

طبعة حَرَيدة ومُنقعة عن سنح خطيّة مع زيادات تطبعُ لأقرارة

ckyelkayiso

في تَفْسِير كَالَامْرُ ٱلنَّانَ

حَالِيفَ الْعَسَلَّامَة الشَّسَتِيْخ عَبِّدالرِّحِمْنَ بِن فَاضِرالْسَّعَدِيُ ١٣٠٧ م - ١٣٧٦م رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ

عتتم كه

فضيكة لشيخم كآرلضا لحالفثيمتن

فضيَّلة إلى عَبادِله بن عَبادِعَزَيْزِب عَقيل

اعتنى بەتىقىقا مۇنابكة عىرالرحمان مى مى كىلراللى يى كى

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

ckuelläuso

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة. ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥ هاتف: ٢٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٢٦٥٠١٢٩



والوالرحم فالرحيم

الحدلاه وحده، والصلاة والسلام على مى لابني بعده أمالعذ: مَإِن مِن نِمَ السِعزوجِل ما منّ به على والدنا الشِي : عدالرحن مِدناهر السعدي من تأ ليف تقسيره المعروف بدلاتيسيرالكرم آلرجي مي هشيريكل ا لمنان) مُعَدكت الله لهذا التفسيرا لقبول مَا نتنع به المبم آلففيرمن الَّمَا بِي مطبع مرأت عديدة أولاها : طبعة الكلتية السلفية ومطبعتها لمحدالدين الخليب - رسماله - أعصبت طبعة المؤسسة السعيدية براهم ونقعيى: محدده يميالنجاد ، ولكن كثيرً من العلماء ولحلية العلم لاحظواً على هاشين الطبعتين – خاصة طبعة النجار – ملاحظات عديدة ، جرت عليط الطبعات اللاحقة جميعه ، وقدتبين صدور هذه الملامكيات وظهرت أضعانها عندساً جعة التقسيرعلى تسنيلتيه المخطوطيتين ، منيان ما من الملمع من الأخطاء والنقص والزباّدة. ولقدعكمنا جهدد: عبدالرحن مدمعلاا للوحمد –الامتاذا لمساعدني عليداشريع بالرباض – من تصميح تفسير والدنا ، ومعًا بلية على النسخاني الخطيبين مع 1 حراجه مي مجلد ولتحديم هامش المعين ، مراينا أن هذا آلمكل متدسيلم من عوارالأعمال السابقة متميزعها بيكباء التعسير على السنخة التى تحط الوالدررحاله ومراجعة على للسنحة الخطية التي اعتديها المطبعة السلفية ، تمصار التفيس بهذا أمرَب ما يكون كما إرادة مؤللته سرحالِه - مَلَعِدُهُ الاعْتِبَارَاتَ مَلْ نَنَا نَعِمَدُ هَذَهُ ٱلْعَلِيمَ بِتَحْقِيهِ وَمَمَّا لِمُهُ عبالرحمي برمعلااللوسعد ، ونعدها الطيعة التي يجب ان تكون ا مدلاً عبرمن برسار عوس المسلم المسلم المسلم ودورالنشر عن المعلم ودورالنشر عن المعلمة منداة وتبين بعراءة مندة هذا العمل المبارك . مع وعائنا البرعزومل أن يغير للوالدالينغ: عبدالرحمن ما صرالسعدي، وأن مجرل له الأجروالمتوبة وصالح ليلى ببينا تحدواً لد دمى كر عمد الله ركم وكن ريم مر ليندروس ف مرابعري Will En fant continued

المقدمات

مقدمة فضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل.

مقدمة فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين.

مقدمة الحقق.



مقدمة صاحب الفضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله بحكمته ورحمته أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، وجعله هدى وبرهاناً لهذه الأمة، ويسره للذكر والتلاوة والهداية بجميع أنواعها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أنزله بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقيض له من العلماء من يفسرونه، ويبلغونه للناس ألفاظه ومعانيه، لتتم بذلك الهداية وتقوم به الحجة. وقد أكثر العلماء من التأليف في تفسير القرآن العظيم كل بما أوتي من علم، فمنهم من يفسر القرآن بالقرآن، ومنهم من يفسره بالأخبار والآثار، ومنهم من يفسره من حيث اللغة العربية بأنواعها، ومنهم من يعتني بآيات الأحكام إلى غير ذلك.

وقد كان لشيخنا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي _ رحمه الله _ من ذلك حظ وافر وذلك بتفسيره المسمى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) حيث جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة، وصاغه على نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد، مستوعب لجميع ما تضمنته الآية من معنى أو حكم سواء من منطوقها أو مفهومها، دون إطالة أو استطراد أو ذكر قصص أو إسرائيليات، أو حكاية أقوال تخرج عن المقصود، أو ذكر أنواع الإعراب إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى، بل يركز على المعنى المقصود من الآية بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي فهو في الحقيقة سهل المقصود من الآية بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي فهو في الحقيقة سهل المعتنع يفهم معناه من مجرد تلاوة لفظه، وقد اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله، واستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية، والفوائد الفقهية إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى التي لا توجد في غير تفسيره مع اهتمامه بتفسير آيات الصفات بمقتضى عقيدة السلف خلافاً لما يؤولها بعض المفسرين.

وقد من الله علي فسمعت منه بعض تفسيره شفهياً في حلقات الدروس في مسجد الجامع بعنيزة، كما أنني ممن أشار عليه بطبعه فطبع الجزء الخامس فقط في حياته عام ١٣٧٥ه في المطبعة السلفية بمصر، وبعد ذلك تشاورنا في طبع بقيته، وساهمت في ذلك أيام كنت قاضياً في عنيزة فطبع باقيه بعد وفاته في عامي ٧٦ و ٧٧، وبعد تمام طبعه تداوله الناس بالقراءة والتدريس، ودرسناه لإخواننا وأبنائنا الطلاب وحصل بذلك خير كثير وقرأه أئمة المساجد على جماعاتهم لوضوح عباراته. وقد طبع بعد ذلك طبعات أخرى لا يخلو كل منها من ملاحظة أو مؤاخذة.

ولما صارت طبعاته بهذه المثابة مع حاجة الناس إليه سمت همة ابننا الشيخ الفاضل: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى طبعه على هامش المصحف الموجه كل جزء (٢٠) صفحة مراعياً في كل صفحة وضع ما يتعلق بتفسيرها. وقد عرض علي النماذج الأولى لهذه الطبعة فأعجبتني، وسررت بها جداً مؤملاً أن تكون هذه الطبعة خير معين على فهم كتاب الله تعالى، والاعتناء به تلاوة وحفظاً وفهماً، لأنه بهذا الصنيع يقرب الاستفادة لتالي القرآن لسهولة

التناول وسرعة الرجوع إلى تفسير الآية من نفس الصفحة بدلاً من الرجوع إليها من كتب التفاسير البعيدة. كما أنه سيعتني بتصحيح الأصل وجودة الطبع، فأسأل الله أن يشكر للابن الشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق هذا الصنيع المبارك وأن يجزيه أفضل الجزاء وأن ينفع بهذه الطبعة كما نفع بسابقاتها وأن يجزي كل من ساهم في إخراج هذا المشروع النافع أفضل الجزاء وأن يتغمد الجميع ومؤلف التفسير برحمته إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حرر في ۱٤١٦/ ١٤١٦هـ

وكتبه الفقير إلى الله عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً وعضو بمجلس القضاء الأعلى (متقاعد)

مقدمة صاحب الفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة:

منها سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

ومنها تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارىء وتبلبل فكره.

ومنها تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قوياً تدعو الحاجة إلى ذكره وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارىء حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

ومنها السير على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

ومنها دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم وهذا يظهر جلياً في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة المائدة حيث استنبط منها خمسين حكماً وكما في قصة داود وسليمان في سورة ص.

ومنها أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿خَذَ العَفُو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾

ومن أجل هذا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم.

وأسأل الله تعالى أن ينفع به مؤلفه وقارئه إنه كريم جواد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

كتبه محمد الصالح العثيمين في ١٥ /رمضان ١٤١٦هـ



مقدمة المحقق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن إنزال القرآن الكريم على هذه الأمة منة عظمى؛ لأنه سبيل الهداية، وطريق السلامة من الضلال والغواية: ﴿ فَإِمَا يَأْتَينَكُم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾.

ولكن الاستفادة الحقة من هذا الكتاب الكريم تكون بدوام الصلة به علماً وعملاً، تلاوة وتدبراً، وفهماً:
⟨كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ومن سبل ذلك التدبر، والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم؛ فإن من كمال حفظ الله عز وجل لهذا الذكر الحكيم أن قيض له جهابذة فهموا مراد الله عن الله وعن رسوله ﷺ فألفوا في ذلك كتباً بسطوا فيها ألفاظ القرآن، وأبانوا ما يعسر فهمه، وفصلوا ما جاء فيه من القواعد والكليات، ودفعوا التعارضات المتوهمة، وبينوا مراجع الضمائر، وعينوا المعاني المرادة إذا احتمل الكلام أوجهاً متعددة وكانوا طرائق قدداً في عنايتهم بهذا الكتاب العظيم حتى جاء شيخ مشايخنا العلامة: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي رحمه الله فجعل جلّ عنايته بالمعاني التي هي المراد الأعظم، فكان كتابه فتحاً في هذا العلم؛ إذ أوقف القارىء على المراد، وأعانه على تدبر التنزيل، دون أن يقف به على المشغلات الصارفات عن ذلك كالبحوث اللغوية الصرفة، والإسرائيليات ونحوها، وليس ذلك عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، وبيان المراد إلا من ملك من علوم الآلة، عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، وبيان المراد إلا من ملك من علوم الآلة، وسعة الاطلاع على كتب التفسير ما يؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة.

ولقد من الله علي بالعناية بهذا التفسير، ومحبة صاحبه رحمه الله وقراءة التفسير وإقرائه، والنصح بقراءته، ومن الله علي بالعناية بطبعه في مجلد واحد يهدم الحواجز النفسية الصادة عن قراءته في مجلداته السبعة التي كان عليها في أشهر طبعاته السابقة، وكان الهم منصرفاً إلى ذلك، ولم يكن الذهن ملتفتاً إلى طبعات الكتاب وما فيها من أخطاء حتى هاتفني بعض أفاضل طلبة العلم من المشايخ الكرام كان منهم: فضيلة الدكتور: عبد الرزاق بن الشيخ عبد المحسن العباد البدر، وفضيلة الدكتور: خالد بن عثمان السبت، حيث جرت مهاتفات معهما ومقابلة للشيخ: عبد الرزاق كانت فاتحة خير للاهتمام بالتفسير وبنسخه المخطوطة، وطبعاته فتبين أن في الطبعات عواراً كثيراً، وأن التفسير لم يخرج حتى الآن على الصورة التي تركها الشيخ ـ رحمه الله وبيان ذلك يحتاج إلى تفصيل تأريخي لكتابة الشيخ لهذا التفسير، وما وقع من طباعته، فرأيت أن أعرض الأمر مفصلاً في هذه المقدمة حتى يستبين الأمر للقارى الكريم، ويرى ما يمكن أن يفعله الكتبيون والناشرون في الكتب.

تأليف الشيخ للتفسير:

بدأ الشيخ ـ رحمه الله ـ تأليفه لهذا التفسير المبارك في عام ١٣٤٢هـ وأنهاه في عام ١٣٤٤هـ. وبهذا يظهر أنه قد بدأه وله من العمر خمسة وثلاثون عاماً وأتمه وله من العمر سبعة وثلاثون عاماً.

والذي يقرأ التفسير يحسب أنه لا يمكن لمن كان في هذا السن أن يكتبه إذ يمثل كتابة عالم ناضج متمكن من العلم وآلاته، واسع الاطلاع ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾.

وقد كتب نسخة واحدة ثم أمر من ينسخ له نسخة أخرى، وبالتتبع والسؤال يبدو لي أنه لم يُنسخ من التفسير إلا هاتان النسختان: نسخة الشيخ ـ رحمه الله ـ والنسخة التي أمر النساخ بنسخها.

وابتغاء توضيح الأمر أبين تفاصيل متعلقة بهاتين النسختين مع وصف لهما:

النسخة الأولى:

هذه النسخة هي التي كانت في حوزة الشيخ وملكه، وهي في جملتها كما سيظهر بخط الشيخ ــ رحمه الله ــ وهذا وصف لها:

تتكون هذه النسخة من تسعة أجزاء، جعلها الشيخ رحمه الله في تسعة مجلدات:

المجلد الأول:

وقد كتب على غلافه (المجلد الأول من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، من منن الله على عبده، وابن عبده، وابن أمته: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي)(١) وفوقها بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ وبحرف صغير (هذه التسمية مأخوذة من قوله: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذّكر﴾ وقوله: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جنناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ وفي وسط الصفحة وبخط الشيخ أيضاً: «شرعت في هذا التفسير المبارك غرة شهر ()(١) سنة ١٣٤٧ه أرجو الله أن يتمه بنعمته.

وهذا المجلد بخط الشيخ _ رحمه الله _ وعليه هوامش وتعديلات بخطه أيضاً، ويقع في (١٥٠) صفحة، في كل صفحة (٣٠) سطراً تقريباً أوله المقدمة، ثم تفسير الفاتحة إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ الآية (١٢٩) من سورة آل عمران.

المجلد الثاني:

وهو بخط الشيخ _ رحمه الله _ ويقع في (١٩٢) صفحة في كل صفحة (٣٠) سطراً تقريباً، أوله تفسير الآية (١٣٠) من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعكم تفلحون﴾ وآخره: آخر تفسير سورة الأنعام.

المجلد الثالث:

وهو بخط الشيخ ــ رحمه الله ــ ويقع في (٢١٤) صفحة في كل صفحة (٢٥) سطراً تقريباً أوله أول تفسير سورة الأعراف، وآخره آخر تفسير سورة هود.

المجلد الرابع:

وهو بخط الشيخ ــ رحمه الله ــ ويقع في (١٢٩) صفحة في كل صفحة (٢٦) سطراً تقريباً أوله أول تفسير سورة يوسف، وآخره آخر تفسير سورة الإسراء.

⁽۱) يلاحظ أن هذه العبارة كتبت على طرة كل مجلد بعد ذكر رقمه، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، ففي طرة المجلد الثاني جاءت العبارة هكذا: (المجلد الثاني من تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن لجامعه: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين. . آمين) وفي المجلد الثالث: (المجلد الثالث من تيسير الرحمن في تفسير القرآن لجامعة الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي).

⁽٢) الكلمة غير واضحة في الأصل والذي يبدو أنه شهر صفر أو محرم لأن الشيخ أتم هذا الجزء في نهاية شهر ربيع الأول.

المجلد الخامس:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (٢٢٩) صفحة في كل صفحة (٢٨) سطراً تقريباً، أوله تفسير سورة الكهف وآخره آخر تفسير سورة النمل.

المجلد السادس:

وهذا المجلد بخط الشيخ: محمد بن منصور بن إبراهيم بن زامل ـ رحمه الله ـ أتم كتابته في ٢٤ رجب سنة (١٣٤٥هـ) وهو خط جميل، ولكنه كثير الأخطاء، ويفصل بين جزئي الكلمة في سطرين، ويكثر هذا منه مما يربك القارى.

وعلى هذا الجزء هوامش وتعديلات بخط الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ــ رحمه الله ــ ويقع في (١٤٢) صفحة في كل صفحة (٢٩) سطراً تقريباً، أوله تفسير سورة القصص، وآخره آخر تفسير سورة الصافات.

المجلد السابع:

وهو بخط الشيخ ــ رحمه الله ــ ويقع في (١٥٣) صفحة في كل صفحة (٢٨) سطراً تقريباً، أوله: تفسير سورة (ص) وآخره: آخر تفسير سورة الفتح.

المجلد الثامن:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (١٤٦) صفحة في كل صفحة (٢٩) سطراً، أوله أول تفسير سورة المقيامة.

المجلد التاسع:

وهو بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ ويقع في (٥٠) صفحة في كل صفحة (٣٠) سطراً تقريباً، أوله تفسير سورة الإنسان، وآخره آخر تفسير سورة الناس.

النسخة الثانية:

المجلد الأول:

وقد كتب عليه: (المجلد الأول من تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لمعلقه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين) وهكذا كتبت هذه العبارة أو قريباً منها باختلاف يسير على طرة كل مجلد.

وفي وسط الصفحة ما يلي: (تنبيه: اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكري ما يتعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنه «مثاني» تثنى فيه الأخبار، والقصص، والأحكام، وجميع المواضيع النافعة، لحكم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه؛ لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف، وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها).

وكثير من هذا المجلد بخط الشيخ _ رحمه الله _ إلا الصفحات ما بين الصفحة (٣٦) والصفحة (٩٦) فهي بخط مغاير لخط الشيخ _ رحمه الله _ وبداية المجلد ونهايته كالنسخة الأولى.

المجلد الثاني:

وهو بخط الشيخ علي الحسن العلي الحسن البريكان، وبداية المجلد ونهايته مثل النسخة الأولى، وللشيخ

(١٦)

عبد الرحمن السعدي رحمه الله عليه تصويبات مما يدل على أنه قرأه ويقع في (١٧٧) صفحة في كل صفحة (٣١) سطراً تقريباً.

المجلد الثالث:

وقد نسخ هذا المجلد ناسخان بدأ الأول بنسخ اثني عشرة صفحة ولكن خطه سقيم، وأخطاءه كثيرة ولذلك كتب الشيخ رحمه الله بخطه على الصفحة الثانية: (الصحائف الأولى من هذا الجزء خطها سقيم، الأمل التأني فيها عند تصحيحها) ثم نسخت الصحائف التالية إلى آخر الجزء بخط مغاير أمثل من الخط الأول، ولم يكتب على هذا الجزء اسما الناسخين.

ويقع هذا الجزء في (١٥٢) صفحة كل صفحة (٣١) سطراً. وبداية المجلد ونهايته كمثيله في النسخة الأولى.

المجلد الرابع:

وهذا الجزء بخط الشيخ سليمان الحمد البسام وللشيخ عبد الرحمن السعدي عليه بعض تصويبات بخط يده رحمه الله ويقع في (١٠٣) صفحات في كل صفحة (٢٨) سطراً وبداية المجلد ونهايته كما في النسخة الأولى.

المجلد الخامس:

وهذا المجلد هو الذي بعث به الشيخ رحمه الله للطباعة أول الأمر.

وكتب الشيخ بخط يده المقدمة التي طبعت مع هذا الجزء أول ما طبع، وهي مقدمة أثبتها في هامش هذه الطبعة عند أول تفسير سورة الكهف، وهذا المجلد نقل عن خط الشيخ المؤلف رحمه الله وليس عليه اسم كاتبه، وقد ألحق الشيخ رحمه الله به أصول من أصول التفسير، وتفسير ألفاظ عامة يكثر في القرآن ورودها ويحتاج إلى معرفتها) وهي بخط الشيخ رحمه الله وقد جعلتها ملحقة بهذه الطبعة في آخر التفسير.

وفي آخر الجزء فهرس لمحتوياته، ثم نقل للخطاب الموجه من الشيخ رحمه الله إلى الشيخ محمد نصيف رحمه الله إلى الشيخ محمد نصيف رحمه الله وقد أرخ في ٢١/٣/ ١٢٧٤هـ ونص الخطاب تجده في هذه المقدمة وعدد صفحات هذا المجلد (٢١٤) صفحة في كل صفحة من صفحات هذا الجزء (٣٠) سطراً، أوله تفسير سورة الكهف، وآخره آخر تفسير سورة النمل ثم بعدها أصول من أصول التفسير وتفسير الأسماء الحسنى.

المجلد السادس:

وهذا المجلد بخط الشيخ رحمه الله وبدايته من أول سورة القصص ونهايته بنهاية تفسير سورة الصافات. وعدد صفحات هذا الجزء (١٥٤) صفحة في كل صفحة ما بين (٢٥. ٨٧) سطراً وبدايته ونهايته كمثيله في النسخة الأخرى.

المجلد السابع:

وهو بخط الشيخ: سليمان بن حمد العبد الله البسام رحمه الله وعدد صفحات هذا الجزء (١٢٢) صفحة في كل صفحة (٢٢) سطراً، وبداية الجزء ونهايته كمثيله في النسخة الأخرى.

المجلد الثامن:

وهو بخط الشيخ رحمه الله وعدد صفحات هذا الجزء (٢٠١) صفحة.

ويبدأ من أول تفسير سورة الحجرات وينتهي بتفسير سورة الناس.

وبهذا فإن هذه النسخة تحتوي على ثمانية أجزاء بينما النسخة الأخرى على تسعة أجزاء.

هذا عن نسخ التفسير المخطوطة وأما طباعته فقد كانت فاتحتها طباعة الجزء الخامس منه، إذ بعث الشيخ رحمه الله إلى الشيخ محمد نصيف رحمه الله برسالة مدونة في خاتمة المجلد الخامس من النسخة (ب) مؤرخة في ٣٠/ ٢/ ١٣٧٤هـ. وقد نقلت من خط الشيخ بخط مغاير هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم، حضرة محترم المقام الشيخ محمد نصيف حفظه الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. سبق جواب كتابكم الآمل وصوله، ثم إننا نكلفكم حيث أرسلت لكم تفسيرنا الكبير المجلد الخامس منه وقع النظر على الاقتصار على طبعه فجعلنا له مقدمة وختمناه بأصول وكليات من أصول وكليات التفسير، ونريد أن يطبع منه خمسة آلاف نسخة، وأحببت أن يكون الاختيار لجنابكم في اختيار من يتولى طبعه، إما محب الدين الخطيب أو الشيخ حامد أو من ترجح وتحثه على العناية التامة فيه، ولو زاد علينا المصرف، وقد وصيت الشيخ: عبد الله المحمد العوهلي يسلم لكم كل الذي تطلبون لأجل طبعه وأرجو الله أن يثيبكم الثواب الجزيل، ويشكر مساعيك ويجزيك عنا أفضل الجزاء فأنت طال عمرك عوض النفس في كل شيء والله الموفق والسلام.

محبك(١) عبد الرحمن الناصر السعدي

وتنبه الطابع على طبع خاتمة

الأصول وكليات التفسير للحاجة الشديدة إليها

وقد أبان الشيخ ـ رحمه الله ـ عن مقصوده من إفراد هذا الجزء بالطباعة في المقدمة التي كتبها لهذا الجزء (٢) فقال: وقد تكرر علي السؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه وألحوا لما يرونه من الفائدة الكبيرة فاعتذرت بأن ذلك يصعب جداً؛ لأنه مبسوط، وأيضاً في هذه الأوقات قلت رغبات الناس في الكتب المطولة، لذلك أحببت إجابتهم لنشر بعض ما طلبوا وهو الاقتصار على جزء واحد من أجزاء هذا التفسير، ووقع الاختيار على الجزء الأوسط من سورة الكهف إلى آخر النمل فما لا يحصل جميعه لا يترك جميعه). وقد طبع هذا المجلد عام ١٣٧٥ه، ثم بعث الشيخ ـ رحمه الله ببقية أجزاء الكتاب للشيخ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله فأتم طباعة الكتاب كله، فطبع الكتاب في عام ١٣٧٦ه، وقبل وفاته بشهر تقريباً بعث إلى شيخنا عبد الله بن عقيل رسالة قال فيها: (التفسير مثل ما ذكرت لك، وصلني منه الجزء الأول عدة ملازم من زمان، وبعد ذلك ما جاءنا عنه خبر) (٣) وبعدها بعشرة أيام بعث برسالة أخرى قال فيها: (أفيدكم وصلني ملازم أيضاً من الجزء الثاني، وبقية الجزء بعشرة أيام بعث برسالة أخرى قال فيها: (أفيدكم وصلني ملازم أيضاً من الجزء الثاني، وبقية الجزء وسهّله) (٤). وبهذا يتبين أن الشيخ رحمه الله لم ير الكتاب كاملاً ويبدو أنه لم يبد ملاحظات على ما طبع منه، إذ توفى بعد رسالته السابقة بشهر تقريباً.

* * *

وتتميز هذه الطبعة أولاً بالسبق الزمني فإنها أول الطبعات، وهي أصل جميع الطبعات السابقة فليس هناك طبعة إلا وكان أصلها عائداً إلى هذه الطبعة. وهي بذلك أسلم من غيرها، وأقل في الأخطاء والتصحيفات والتحريفات، وهذا لا يعني جودتها، وموافقتها للأصل، إذ ثم ملاحظ لا بد من بيانها:

⁽١) تصحفت الكلمة في النسخة إلى: (محمد)، لأن الخطاب فيما يظهر منقول عن كتابة الشيخ ـ رحمه الله ـ فهو بخط مغاير لخط .

⁽٢) انظر نص المقدمة عند أول تفسير سورة الكهف من هذه الطبعة.

⁽٣) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة (٢٩٦).

⁽٤) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة (٢٩٨).

الملحظ الأول:

التصرف في طريقة الشيخ في تفسير الآيات، حيث يعمد الشيخ _ رحمه الله _ إلى ذكر الآيات أحياناً، وأحياناً يقول إلخ القصة، إذا كانت قصة من القصص وأحياناً يورد كلاماً في سياق التفسير لا يقصد به ذكر الآية فيغير المصححون ذلك فيقومون بإيراد الآيات كاملة، ويغيّرون كلامه ويشطبون في المخطوطة، ويضعون الآية أو الآيات بدلاً منه.

ومن أمثلة ذلك:

إن الشيخ رحمه الله أورد قصة قارون هكذا: (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) إلى آخر القصة فشطب المصححون على قوله: (إلى آخر القصة)، وأوردوا الآيات كاملة، وهي في هامش النسخة بخط المصحح.

وكذا عند إيراد قصة لوط في سورة العنكبوت حيث أورد الآيات من قوله تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه﴾ إلى قوله: ﴿ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون﴾ وهي في هامش النسخة بخط المصحح.

الملحظ الثاني:

التصرف في تقسيم الكتاب، حيث قسم الشيخ التفسير إلى ثمانية أجزاء في إحدى النسخ وتسعة في الأخرى، وكانت النسخة التي اعتمدت عليها المطبعة السلفية في ثمانية أجزاء ينتهي الأول منها بنهاية تفسير قوله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ في سورة آل عمران (١٢٩) فجعلوا نهاية الجزء (تم المجلد الأول من تيسير الرحيم الرحمن في تفسير نهياية الجزء (تم المجلد الأول من تيسير الرحيم الرحمن في تفسير سورة القرآن عن نسخة مؤلفه العلامة الجليل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ويليه المجلد الثاني وأوله تفسير سورة النساء، والحمد لله رب العالمين) (١) وليس الأمر كما قالوا بل تقسيم النسخة التي اعتمدوها على خلاف ما ذكروا.

الملحظ الثالث:

الزيادات، لقد زاد القائمون على هذه الطبعة في التفسير زيادات وإن كانت يسيرة إلا أنه لم يتم الإشارة إليها لا في المقدمة، ولا في مواضع الزيادات فمن ذلك:

- الحزء من أجزاء القرآن الكريم قبل بدايته فقبل بداية الجزء الثالث كتبوا عنواناً في وسط الصفحة (الجزء الثالث) (۲) وكذا عند الجزء الرابع وليس في النسخة المخطوطة شيء من ذلك، ولم يشيروا إلى كونها ليست من كلام الشيخ رحمه الله.
- ٢- زيادة جملة: (قوله تعالى) أو: (قال تعالى) في مواضع كثيرة ومن أمثلة ذلك زيادتها في أول سورة النساء
 مع أن عادة الشيخ رحمه الله أن يبدأ الكلام بذكر الآيات المفسرة بعد البسملة (٣).
- ٣- زيادة قوله من ديارهم، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ الآية، حيث قال الشيخ: (ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضاً وإذا وجدوا أسيراً منهم وجب عليهم فداؤه) فزادوا جملة من ديارهم فصار النص

^{.(}١/ ٨٨٢).

⁽٢) (١/ ٩٤١).

⁽٣) المخطوطة ب (٢/ ٢٣) وطبعة السلفية (٣/٣).

هكذا: (ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم).

٤ ومن أمثلة ذلك قال رحمه لله: (أي (و) أرسلنا (إلى مدين) القبيلة المعروفة المشهورة (شعيباً) فأمرهم).

فعدل النص حتى صار بزياداته هكذا: (أي: (و): أرسلنا (إلى مدين) القبيلة المعروفة المشهورة أخاهم شعيباً الذي أمرهم).

وبعدها بقليل قال الشيخ (فكذبوه) فأخذهم عذاب الله فعدلت فصارت (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أي: عذاب الله)(١).

وهذا كثيراً جداً، وبعض التصرف تصرف مقبول في الأصل؛ للحاجة إليه، أو لخطأ في سياق الكلام، إما بعود الضمير المذكر على مؤنث أو نحو ذلك، وإما بنقص أو نحوه، ولكن هذا التصرف وإن كان مقبولاً في الأصل إلا إنه لم ينبه عليه، ولم يشر المصحح إلى شيء من التغيير.

الملحظ الرابع:

التصحيح في بعض الجمل تصحيحاً خاطئاً _ بل ظاهر الخطأ _ ومن ذلك:

١ قال الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾: (﴿ لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ بأن كان عنه مسافة قصر فأكثر، أو بعيداً عنه عرفاً، فهذا الذي يجب عليه الهدي).

وقد جاء التعديل عجباً من العجب حيث غيرت عنه إلى عند أو كلمة (عرفاً) إلى (عرفات) فجاء النص هكذا: (بأن كان عند مسافة قصر فأكثر أو بعيداً عند عرفات فهذا الذي يجب عليه الهدي)(٢).

وقد تتابعت كل الطبعات مقلدة هذا الخطأ.

٧_ ومن التعديل ما يكون بدون مسوغ ظاهر أو بمسوغ من وجهة نظر المصحح دون إشارة للتعديل ومثال ذلك:

قال الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ الآية، (وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم لا يكتب ولا يقرأ فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله). غيرت كلمة زعم إلى: (أخبركم أنه من عند الله) (٣٠).

الملحظ الخامس:

بعض الأخطاء الظاهرة مثل:

قال الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

(فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة) هكذا في المخطوطتين وجاء في طبعة السلفية (فالشرك لا يغفره الله بالتوبة) (٤٤) وهذا خطأ شنيع، وعلى ذلك تتابعت الطبعات (٥٠).

渐渐的

وبعد ظهور هذه الطبعة بسنين طبع التفسير طبعة أخرى عن طريق المؤسسة السعيدية، التي كلفت الأستاذ

⁽١) ينظر الطبعة السلفية (٦/ ٤٣)، والمخطوطة ب (٦/ ٣٣).

⁽٢) المخطوطة ب (٨٢) ، طبعة السلفية، (١/١١٧).

⁽٣) انظر ص ٢٨ من المخطوط (ب) من الطبعة السلفية (١/ ٢٧).

 $^{(3) (1/\}Lambda 71).$

⁽٥) ينظر طبعة النجار (١/ ٢٨٧).

محمد زهري النجار بتصحيح الكتاب، والنجار يوصف بأنه من علماء الأزهر، وله بعض الأعمال الأخرى كتصحيحه لكتاب الأم للشافعي، وهذه الطبعة طبعة تميزت بأنها أضحت الطبعة المعتمدة لسائر طبعات التفسير بعدها بل اعتمدت طبعها الرئاسة العامة للافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، وقد كان ذلك لإحسانهم الظن في المؤسسة ومصححها، ولقد تبين لي جملة من الملاحظ تظهر عوار تلك الطبعة أذكر هنا جملة منها:

الملحظ الأول:

اعتماد هذه الطبعة اعتماداً كلياً على الطبعة السلفية، دون الإشارة إلى ذلك في مقدمة الطبعة، وهذا الاعتماد جعل الملاحظ المذكورة سابقاً على الطبعة السلفية تصدق على هذه الطبعة أيضاً، بل قد زادت طبعة النجار الأمر فجمعت إلى ذلك ملاحظ أخرى أشد وأخطر، ولو أن الطبعة السلفية صورت بدل أن يعهد بتصحيحها إلى النجار لكان الأمر أهون.

الملحظ الثاني:

التصرف في مواقع الآيات من التفسير:

لقد جرت عادة الشيخ - رحمه الله - أن يبدأ فيذكر الآيات التي يريد تفسيرها كاملة ثم يشرع في تفسيرها مجزأة عقب ذلك، وفي بعض الأحيان يقوم رحمه الله بذكر الآيات إذا كانت قصصاً للأنبياء فيقول إلى آخر القصة، وفي أحيان قليلة يغفل ذكر الآيات كاملة فيشرع في تفسيرها مباشرة، وعلى ذلك يجري سياق التفسير، ولكن النجار عمد إلى جعل الآيات في أعلى الصفحة، وجعل بينها وبين التفسير خطاً ثم حذف الآيات في التفسير، ومن هنا يأتي اضطراب السياق في بعض الأحيان فيضطر إلى حذف بعض الكلمات أو الإضافة أو نحو ذلك.

الملحظ الثالث:

التصرف بالزيادة:

إن من أعجب ما عمل النجار أن زاد في التفسير ففي بعض المواضع ترك الشيخ ـ رحمه الله ـ تفسير بعض الآيات سهواً، فيقوم النجار بتفسيرها من عنده.

وفي مواضع أخرى تكون النسخة التي اعتمدت عليها الطبعة السلفية ناقصة؛ لأن الناسخ تجاوز الآيات فيقوم النجار من قبله بتفسير هذه الآيات. وهذه المواضع كثيرة جداً تصل في بعض المواقع إلى صفحات، وفي بعضها إلى أسطر، وفي أخرى إلى كلمات، وهذه أمثلة لها:

- ا_ سقط من النسخة الخطية (ب) تفسير الآية (٢٠٧) من سورة البقرة وهي قول الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ وبناء على سقوطها من النسخة سقطت من الطبعة السلفية فجاء النجار ففسر الآية من عنده، وبدأ بمعاني المفردات، ورجع إلى جملة مراجع؛ كالقاموس والصحاح، وتفسير ابن كثير، ولم يشر إلى أن الكلام من كلامه، وليس من كلام الشيخ _ رحمه الله _ وقد وقع هذا في صفحتين ونصف من طبعته ابتداء من منتصف الصفحة (٢٥٢) من المجلد الأول إلى نهاية ص (٢٥٤)، والقارى للكلام يعلم أنه ليس من كلام الشيخ _ رحمه الله _ لأن الشيخ لا ينقل من مصادر، وإنما يفسر بما فتح الله عليه كما قرر ذلك في أول الكتاب.
- ٢- ومن الزيادات الطويلة التي زادها النجار زيادته في تفسير الآيات رقم (١٠٥ ـ ١٠٧) من سورة الأنعام
 حيث تجاوزها الشيخ فلم يفسرها ففسرها النجار في الصفحات ذوات الأرقام (٤٥٠، ٤٥١) من

الجزء الثاني، ولم يشر إلى التصرف، وظاهر من أسلوبه أنه ليس أسلوب الشيخ حيث أتى ببعض الإعرابات والمعاني اللفظية ثم ذكر المعنى الإجمالي. ومن عجيب أمره أنه في الصفحة (٤٤٩) تصرف تصرفاً يسيراً بأن قدم كلمة على أخرى، وأشار في الهامش إلى ذلك التصرف، ولم يشر إلى تصرفه بزيادة ثلاث صفحات.

- ٣_ في تفسير الآيتين (٥٠، ٥١) من سورة الحج سبق قلم الشيخ _ رحمه الله _ إلى الآية رقم ٥٦ فجمع بينهما وبين هذه الآية فكتب ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك أصحاب الجحيم﴾، ثم فسر الآية على وفق ما كتب، فعمد النجار إلى تغيير التفسير والزيادة زيادة طويلة يصل مجموعها إلى صفحة ونصف الصفحة تقريباً (١) ولم يشر إلى شيء من التعديل.
- ٤- ومن الزيادات العجيبة أن الشيخ عبد الرحمن السعدي _ رحمه الله _ أورد قوله سبحانه: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ من الآية رقم (٢٩) من سورة الدخان، في سياق تفسيره للآية رقم (٤١) من سورة المؤمنون، مستشهداً بها، ولكن يبدو أن النجار ظنها من السورة نفسها ففسرها تفسيراً من عند نفسه ونسبه إلى الشيخ، ولم يعلق، ولم يبين أنه من كلامه، وهذه الزيادة تقع في صفحة تقريباً (٢٠).

ومن عجيب حاله أنه يعلق أحياناً في الهامش على زياداته وكأنها تعليق على كلام الشيخ رحمه الله^(٣).

الملحظ الرابع:

الحواشي والتعقبات:

لقد قام النجار بتعقب الشيخ رحمه الله في مواضع كثيرة من التفسير ووضع هوامش لتلك التعقبات فتعدى (مهمته، وتجاوز طوره، فراح يعلق على هذا التفسير القيم بآراء بعدت عن الصواب، وجانبت الحق في أجلى معانيه مما شوه به هذا الكتاب، وأساء إلى المؤلف، وغش القراء، وأضل الناشئة كما أنه اعترض على المؤلف، ورد أقواله بآراء من عنده لم يوفق فيها إلى الحق والصواب، مع أنه ليس من حقه ذلك، ولا من مهمته أن يعترض على المؤلف فيما اختاره، وإنما مهمته هي تحقيق النص وتصحيحه)(٤).

(والذي في أول الكتاب من هذه التعقبات اعتراضات بسيطة على عبارة، أو لفظة أو نحوها، أما الذي في وسطه وآخره فهي اعتراضات وخيمة تحريف لكلام الله، وغلو في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وتنقص للعلماء وكذب عليهم) (٥).

ولقد كان في معظم تعليقاته متهماً للشيخ وأسلوبه وهذه بعض تعبيراته التي تظهر ذلك قال: (والعبارة قلقة كما ترى)(٢٦)، (العبارة مبهمة تحتاج إلى إيضاح)(٧)، (العبارة فيها شيء من الاضطراب فالأوضح أن يقال)(١٨)، (وفي العبارة غموض كما ترى)(٩).

⁽١) انظر طبعة النجار ٥/٣٠٨، ٣٠٩، وقارنه بما في هذه الطبعة.

⁽۲) ينظر طبعة النجار (۵/ ۳۵۰).

⁽٣) ينظر طبعة النجار (١/٢٥٤).

⁽٤) الشيخ محمد سليمان البسام: كشف الستار عن تلفيق وتعليق النجار على تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي (٧).

⁽٥) المصدر السابق (٩).

^{.(1+8/1) (1)}

⁽V) (1/ Par).

^{.(}YE+/1) (A)

^{(4) (1/137).}

ولقد أبان الشيخ محمد بن سليمان البسام عوار تلك التعقبات بياناً شافياً في رسالة مستقلة عنوانها: (كشف الستار عن تلفيق وتعليق النجار على تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي).

وذكر أمثلة كثيرة دالة على أخطاء النجار فيما زعمه من أخطاء وقع فيها الشيخ _ رحمه الله _ وأكتفي بالإحالة على تلك الرسالة الماتعة، ففيها نقد علمي قوي لأخطاء ظاهرة وقع فيها النجار وأشير هنا إلى ثلاث تعقبات فقط أبين من خلالها شيئاً يسيراً من سوء صنيع النجار، وأما التعقبات التي تحتاج إلى نقد علمي فأحيل فيها إلى رسالة الشيخ محمد البسام.

١ ـ وقوع النجار في الخطأ ثم تخطئة الشيخ رحمه الله به:

قال الشيخ _ رحمه الله _ في تفسيره قوله تعالى: ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ «أي نكاحاً صحيحاً ويطأها؛ لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحاً، ويدخل فيه العقد والوطء، وهذا بالاتفاق) هكذا في النسختين وفي الطبعة السلفية التي اعتمد عليها النجار، ولكنه أسقط (إلا) فصارت العبارة: «لأن النكاح الشرعي لا يكون صحيحاً وهذا فعله، وليس فعل الشيخ _ رحمه الله _ ثم قال النجار في الهامش قوله: «لأن النكاح الشرعي الخ» في العبارة اضطراب، والصواب أن يقال: «لأن النكاح الشرعي الصحيح، يدخل فيه العقد والوطء بإجماع العلماء» فأخطأ النجار ثم خطأ الشيخ، وعدل خطأ الشيخ بزعمه.

٢- إقحام تعليقات لا محل لها فمن ذلك. قال الشيخ ـ رحمه الله ـ «والظلم الذي بين العبد وربه فيما دون الشرك تحت المشيئة والحكمة». قال النجار: (وفي هذا المعنى قال صاحب جوهرة التوحيد:

ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض لربه

٣- الاستدراك في غير محله: قال الشيخ - رحمه الله - «فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة وزيادة في النعم المفقودة». قال في الهامش قوله: «فالشكر فيه بقاء النعم. . الخ» عبر العلماء عن هذا المعنى بقولهم: «الشكر قيد للموجود» وصيد للمفقود»(١) فكأنه خطأ الشيخ في اختيار اللفظ وليس هذا بخطأ بل الأمر واسع في اختيار اللفظ المناسب.

الملحظ الخامس:

سوء توزيع النص

حيث قام بإعادة توزيع النص إلى فقرات وعمد إلى أن تكون تلك الفقرات قصيرة جداً وعليه فقد فرق أجزاء الجملة بين الأسطر، وقطع الكلام عن سياقه إذ نجد فعل الشرط في سطر وجوابه في آخر، والمعلول في سطر وتعليله في آخر، ولذلك تضخم التفسير جداً مع أن صفحاته يمكن أن تكون أقل من ذلك بكثير، والله أعلم بالهدف من وراء ذلك التضخيم.

* * *

إن هذه الملاحظ ليست إلا أمثلة دالة على أن عمل النجار لم يكن عملاً أميناً على هذا التفسير.

وبمجمل هذا العرض يتضح أن التفسير لم يخرج بصورته التي كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ إذ جميع الطبعات كانت نسخاً مكرورة عن طبعة النجار، التي اعتمد فيها صاحبها على الطبعة السلفية، والطبعة السلفية اعتمدت على النسخة الثانية التي لم تكن بخط الشيخ وكان فيها بعض النقص وبعض التحريف من النساخ.

ولما كان الأمر بهذه الصورة التي تظهر الحاجة الماسة إلى إخراج هذا التفسير المبارك إخراجاً علمياً مصححاً كما أراده الشيخ رحمه الله فقد عمدت إلى العمل ثلاث سنين في هذا الكتاب راجياً أن يكون العمل

^{(1/0/1) (1)}

ساداً للثلمة ومبرئاً للذمة.

العمل الذي قمت به:

لقد من الله على بأمر لم يتوفر لمن اعتنى بهذا التفسير من قبل وهو الحصول على النسخة (أ) التي كانت بحوزة الشيخ _ رحمه الله _ وتحت نظره ومحل عنايته إلى أن توفي، وهي في الجملة أسلم من النسخة (ب) التي كانت أصل جميع الطبعات، ولما بدأت في العمل كان الهدف الذي سعيت إليه جاهداً هو: إخراج التفسير كما كتبه الشيخ _ رحمه الله _ دون تعديل أو تبديل، أو زيادة أو نقص، وعلى ذلك قمت بما يلي:

أولاً: نسخ التفسير كما هو ويتضمن ذلك: إثبات الآيات المفسرة كما كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ فحين يورد الآيات كاملة، أوردها كاملة كما فعل، وحين يورد جزءاً منها ويقول: إلخ القصة، أثبتها على هذا الوجه، وحين تفترق النسختان أطبق قواعد المقابلة التي سأبينها لاحقاً بحول الله، وقد راعيت في النسخ ما يلي:

- ١- توزيع النص توزيعاً جيداً، بحيث يكون تقسيم فقرات الكلام وأجزائه متصلاً بمعانية، واجتهدت ألا أقطع السياق الواحد بين فقرتين مختلفتين، وأن أبدأ تفسير الآية أو الآيات من أول السطر.
- ٢_ ترقيم الآيات المفسرة في بداية تفسيرها، وهذا لم يكن من عمل الشيخ رحمه الله ولكن وجدته مهماً
 لأجل سهولة معرفة مواضع الآيات.
 - ٣_ تصحيح بعض الأخطاء الإملائية الظاهرة التي لا تخفى على الشيخ _ رحمه الله _ ولكنها سبق قلم.

ولقد حرصت على عدم التدخل في التفسير والتعديل فيه بأي وجه من الوجوه إلا في ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون الخطأ في الآيات فهنا أثبت الصواب ولا ألتفت إلى الخطأ، ولكن في بعض الأحيان يحدث أن يكون قلم الشيخ سبق إلى آيات في غير السورة، أو في السورة نفسها، وليست في ذلك الموضع، ثم يفسر الآيات التي كتب، فأثبت الصواب في الآيات، وأبقي التفسير كما هو، وأشير إلى ما عملت في الهامش.

الثانية: أن يكون الخطأ ظاهراً، ولا يمكن أن يقبل به المؤلف _ رحمه الله _ فهنا أثبت التعديل الذي أراه صواباً، وأشير في الهامش إلى ما في الأصل من خطأ، أو سبق قلم.

الثالثة: أن يكون التعديل طفيفاً كأن يكون تعديلاً في ضمير فيقول: (خالقهما) والصواب (خالقها) أو العكس أو يقول (التي) والصواب (الذي) ونحو ذلك، فهنا أصوب الكلام، وأشير في أحيان يسيرة إلى ما عملت، خاصة وأن الشيخ ـ رحمه الله ـ: (كان سريع الكتابة، ويكتب بخط دقيق، وبدون نظارة، لكنه على قاعدة صحيحة) () وكانت جل عنايته بالمعاني، ولذلك قال في رسالة للشيخ عبد الله بن عقيل ـ حفظه الله _ (فحسن الإملاء والجري مع المعاني أولى من اعتبار حسن الخط، فذاك أهميته بالنسبة لحسن الإنشاء قليلة). (٢)

ثانياً _ المقابلة:

وابتغاء توضيح الأمر أبين ما قمت به في نقاط:

أولاً: اعتمدت النسخة (أ) وجعلتها أصلاً لأمور:

الأول: أن معظمها بخط الشيخ .. رحمه الله ..

والثاني: أنها النسخة التي كانت بيد الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى حين وفاته.

⁽١) الشيخ عبد الله بن عقيل: الأجوبة النافعة (المقدمة) (٧).

⁽٢) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة (١٧).

الثالث: أنها سالمة من التعديل والشطب اللذين وقعا من النساخ أو الطابعين أو المصححين بعكس النسخة (ب) فإن هذه النسخة سلمت للمطبعة السلفية، فكان المصححون للطبعة يعدلون عليها ويشطبون، بل تجد على هوامشها أسماء (عمال الصف) فنجد اسم (محمود) أو فلان منهم وذلك لتوزيع العمل عليهم، بينما النسخة (أ) لم تمسها الأيدي بشطب أو تعديل.

الرابع: سلامة هذه النسخة من الخروم والنقص لأن معظمها بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ بينما النسخة (ب) كتب معظمها بخطوط النساخ فوقع فيها بعض النقص والخروم.

الخامس: أنها أجود كثيراً من النسخة الأخرى في إملائها بينما تجد في النسخة (ب) أخطاء ظاهرة.

ثانياً: يلاحظ أنني ذكرت في وصف النسختين أن معظم النسخة الأولى كان بخط الشيخ _ رحمه الله _ وأن النسخة الثانية في جملتها بخطوط النساخ وهذا توضيح تفاوت الكتابة على التفصيل مع بيان ما قمت به حيال ذلك التفاوت:

 ١- أجزاء كانت في النسختين بخط الشيخ ـ رحمه الله ـ وذلك مثل كثير من المجلد الأول، والمجلد الثامن، والتاسع، وفي هذه الأجزاء يلاحظ وجود الاشكالات الآتية:

- (أ) أن الشيخ رحمه الله في المجلد فسر الآيات من قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٣٨، إلى نهاية تفسير قوله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٢٩ تفسيراً جديداً فليس ما في النسختين متوافقاً بل هو متغاير من حيث الألفاظ والصياغة والأسلوب وكأن الشيخ رحمه الله كتب ذلك مرتين، ولم يكن هناك احتمال لأن يكون الكلام ليس بكلامه، لأن ما في النسختين بخطه رحمه الله وووح الكلام وأسلوبه هو ذات أسلوب الشيخ رحمه الله وقد قلبت النظر بين خيارات عدة، وكان ما استقر الرأي عليه أن أجعل في صلب التفسير ما كان في النسخة قلبت النظر بين توفي الشيخ رحمه الله وهي في بيته، وأما ما في النسخة (ب) وهو المطبوع في طبعات الكتاب السابقة فقد جعلته في ملحق في آخر التفسير.
- (ب) أن الشيخ رحمه الله في المجلد الثامن من بداية سورة الحجرات وحتى نهاية التفسير نسخ التفسير بخطه نسخة ثانية، ولكنه كان يعدل في الألفاظ ويزيد في الكلمات وينقص منها، ولذلك تفاوت حجم المقابلة بين بعض أجزاء الكتاب بشكل واضح، حيث تجد فروقاً كبيرة بين النسختين في أجزاء ولا تجد إلا اليسير من الفروق في أجزاء أخرى.
- (ج) أن بعض الأجزاء كانت في النسخة (أ) بغير خط الشيخ _ رحمه الله _ وفي النسخة (ب) بخط الشيخ _ رحمه الله _ كما في المجلد السادس وهنا كثرت الأخطاء في النسخة (أ) وقلت في (ب) فاستفدت من (ب) في المقابلة وجعلت جل اعتمادي عليها إذ هي أصح لولا ما عابها من تعديلات مصححي المطبعة السلفية عليها.

ثالثاً: الزيادات: جاءت زيادات في إحدى النسختين عن الأخرى وقد جعلت الزيادات بين قوسين مركنين [] وهي على ثلاثة أنواع:

ا**لأول**: الزيادات التي في الأصل على (ب) وقد جعلتها بين قوسين مركنين، دون إشارة في الهامش إلى شيء.

الثاني: الزيادات التي في (ب) وقد جعلتها بين قوسين مركنين، وأشرت إلى الزيادة في الهامش بقولي: زيادة في ب، وهذا النوع من الزيادات يكثر في الأجزاء التي كانت بخط الشيخ _ رحمه الله _ في النسختين كلتهما.

الثالث: الزيادات التي جعلتها لاقتضاء السياق وعدم استقامته بدونها فقد جعلتها بين قوسين مركنين وأشرت إلى الزيادة في الهامش بقولي: (زيادة يقتضيها السياق).

وبعد، فيلاحظ إني لم أثبت تخريج الأحاديث في الكتاب، لأن ما في الكتاب من الأحاديث ليس بالكثير، ومعظم ما نقل _ رحمه الله _ هو من صحيح البخاري ومسلم، كما لم أفهرس فهرسة تفصيلية، لأن الفهرسة التي يمكن أن يستفاد منها هي الفهرسة الموضوعية للفوائد الإيمانية، والتربوية، والسلوكية، والعلمية، ونحوها التي في الكتاب، وإذا نظرنا إلى الفهرسة بهذا الاعتبار فإن الكتاب يحتاج إلى فهرسة كبيرة وطويلة جداً يمكن الاستغناء عنها بقراءة الكتاب لمريد الاستفادة، وأما الفهارس التفصيلية للآيات والأحاديث والاعلام أو القبائل. ونحوها، فإن طبيعة التفسير لا تدل على الحاجة لذلك، وإن عمل على هذا التفسير فإنما هذا العمل نوع من التزيد والتكثر لا حاجة له.

* * *

وبعد فهذا الجهد الذي بذلت وهو جهد استغرق ثلاثة أعوام قرأت فيها التفسير قراءة مقابلة ثلاث مرات واجتهدت في إخراج التفسير على أتم الوجوه. قدر الإمكان. وما كان لي أن أصل إلى هذا لولا فضل الله عز وجل فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ثم الشكر من بعد لمن كان عوناً لي في إخراج هذا التفسير بأي وجه من أوجه العون وأخص بالذكر صاحبي الفضيلة العالمين الجليلين الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل. وفضيلة والدي الكريم الشيخ معلا اللويحق، والمشايخ الفضلاء الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الذي أعانني على الحصول على النسخة الثانية (ب) لمخطوط التفسير، وأبدى من جميل الملحوظات ما كان عوناً لي على ضبط العمل، والدكتور خالد السبت، الذي كانت مهاتفاته بداية حفز لإعادة العمل في التفسير، والشيخ صالح الهبدان، والشيخ عبد الرحمن الراجحي، والشيخ محمد الخضيري، والاخوة الذين عملوا معي في المقابلة فأمضوا وقتاً طويلاً في سبيل ذلك، وبذلوا جهداً لا أنساه في إعانتي الشيخ إدريس حامد محمد، والشيخ تراوري مامادوا، والأخ فيصل بن طلع المطيري فللجميع مني الشكر والعرفان والدعاء بالتوفيق والتسديد.

وأسأل الله المغفرة عما وقع من تقصير، واستمد منه العون فهو وحده المستعان. والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتب

عبد الرحمن بن معلا اللويحق المطيري بعد عشاء ليلـة الثامـن والعشريـن من شهر ذي القعدة عام ١٤١٩هـ



تنبيـــه

اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكري ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة، لأن الله وصف هذا الكتاب أنه (مثاني) تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه، لا في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها().

⁽۱) هذا التنبيه جعله الشيخ _ رحمه الله _ على غلاف المجلد الأول فصدرت به التفسير كما فعل _ رحمه الله _.



(مقدمة المؤلف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان الفارق بين الحلال والحرام، والسعداء والأشقياء، والحقِّ والباطل.

وجعله برحمته هدى للناس عموماً، وللمتقين خصوصاً، من ضلال الكفر والمعاصي والجهل، إلى نور الإيمان والتقوى والعلم، وأنزله شفاء للصدور من أمراضها وعللها وآلامها وسقمها (۱). وأخبر أنه لا ريب والعلم في المطالب العاليات، وشفاء للأبدان من أمراضها وعللها وآلامها وسقمها (۱). وأخبر أنه لا ريب فيه ولا شك بوجه من الوجوه، وذلك لاشتماله على الحق العظيم في أخباره، وأوامره، ونواهيه، وأنزله مباركاً، فيه الخير الكثير، والعلم الغزير، والأسرار البديعة، والمطالب الرفيعة، فكل بركة وسعادة تنال في الدنيا والآخرة، فسببها الاهتداء به واتباعه، وأخبر أنه مصدق ومهيمن على الكتب السابقة، فما يشهد له فهو الحق، وما ردِّه فهو المردود، لأنه تضمنها وزاد عليها، وقال تعالى فيه: ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾، فهو هاد لدار السلام، مبين لطريق الوصول إليها، وحاث عليها، كاشف عن الطريق الموصلة إلى دار الآلام ومحذِّر عنها، وقال تعالى مخبراً عنه: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من الطريق الموصلة إلى دار الآلام ومحذِّر عنها، وألى تعالى مخبراً عنه: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من للن حكيم خبير﴾ فبين آياته أكمل تبيين، وأتقنها أي إتقان، وفصلها بتبيين الحق من الباطل والرشد من الضلال، تفصيلاً كاشفاً للبس، لكونه صادراً من حكيم خبير، فلا يخبر إلا بالصدق والحق واليقين، ولا يأمر إلا بالعدل والإحسان والبر، ولا ينهى إلا عن المضار الدينية والدنيوية.

وأقسم تعالى بالقرآن ووصفه بأنه «مجيد»، والمجد: سعةُ الأوصاف وعظمتها، وذلك لسعة معاني القرآن وعظمتها، ووصفه بأنه «ذو الذكر» أي: يُتذكر به العلوم الإلهية والأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة، ويتعظ به من يخشى.

وقال تعالى: ﴿إِنَا أَنْزِلْنَاه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ فأنزله (٣٠) بهذا اللسان لنعقله ونتفهمه، وأمرنا بتدبره، والتفكر فيه، والاستنباط لعلومه، وما ذاك إلا لأن تدبره مفتاح كل خير، محصل للعلوم والأسرار. فلله الحمد والشكر والثناء، الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونوراً، وتبصرة وتذكرة، وبركة، وهدى وبشرى للمسلمين.

فإذا علم هذا، علم افتقار كل مكلُّف لمعرفة معانيه والاهتداء بها.

وكان حقيقاً بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك.

وقد كثرت تفاسير الأثمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطوّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مُقْصِرٍ، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية. [بقطع النظر عن المراد]⁽²⁾.

(٢) في ب: بتمييز.

⁽۱) في ب: وأسقامها. (٣) في ب: وأنزله.

⁽٤) زيادة من هامش ب، مشطوبة من أ.

وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يُعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك معرفة على اختلاف أنواعها.

فمن وفق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن لِفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه.

ولما من الباري علي وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة [بنا] أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما من به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا مَنْ بعدهم، فجزاهم الله عن المسلمين خيراً.

والله أرجو، وعليه أعتمد، أن ييسر ما قصدت، ويذلل ما أردت، فإنه إن لم ييسره الله، فلا سبيل إلى حصوله، وإن لم يعن عليه، فلا طريق إلى نيل العبد مأموله.

وأسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم، إنه جواد كريم. اللهم صل على محمد وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن من بـدائـع الفـوائـد لابن القيم رحمه الله تعالى^(۱)

[قال: فصل] النّكرة في سياق النفي تَعُم، مستفاد من قوله تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قرة أعين﴾، وفي الاستفهام من قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سمياً﴾، وفي الشرط من قوله: ﴿فإما تَرَينٌ من البشر أحداً﴾، ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك﴾ وفي النهي من قوله تعالى: ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾.

وفي سياق الإثبات، بعموم العلة والمقتضى كقوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾.

وإذا أضيف إليها «كل» نحو ﴿وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد﴾، ومن عمومها بعموم المقتضى ﴿ونفس وما سواها﴾.

فصل

ويستفاد عموم المفرد المحلَّى باللام من قوله: ﴿إِنَ الإِنسانَ لَفِي خَسرٍ﴾ وقوله: ﴿ويقول الكافر﴾ وعموم المفرد المضاف من قوله: ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾ (وكتابه)(٢).

وقوله: ﴿هذا كتابُنا يَنطق عليكم بالحق﴾ والمراد جميع الكتب التي أحصيت فيها أعمالهم، وعموم الجمع المحلّى باللام من قوله: ﴿وإذا الرُسل أُقتت﴾، وقوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾، وقوله تعالى: ﴿إِن المسلمين والمسلمات﴾ إلى آخرها. والمضاف من قوله: ﴿كلَّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾.

وعموم أدوات الشَّرط من قوله تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾، وقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾، [وقال] ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾، وقوله ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾، وقوله: ﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾، وقوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم ﴾، وقوله: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ هذا إذا كان الجواب طلباً مثل هاتين الآيتين.

فإن كان خبراً ماضياً، لم يلزم العموم، كقوله: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾ ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾.

وإن كان مستقبلاً، فالتزموا ردَّ العموم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أُو وَزَنُوهُمْ يَخْسُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُوا بَهُم يَتَغَامِزُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قَيْلُ لَهُم لَا إِلَّهَ إِلَّا الله يستكبرون﴾.

وقد لا يعم، كقوله تعالى: ﴿وإذا رأيتُهم تُعجبُك أجسامُهم﴾.

⁽١) جاءت هذه الفوائد في: أ بعد تفسير سورة الفاتحة، وقد كتب الشيخ ـ رحمه الله ـ في هامش النسخة: (حق هذه المقدمة أن تتقدم على الفاتحة).

⁽٢) كتبت الكلمة مرتين مرة بالإفراد، ومرة بالجمع، وجاء في هامش أ ما نصه: (قرأ أهل البصرة وحفص (وكتبه). وقرأ الآخرون (وكتابه) على التوحيد).

فصل

ويستفاد كون الأمر المطلق للوجوب، مِن ذمّه لمن خالَفه، وتسميته إياه عاصياً، وترتيبه عليه العقاب بالعاجل أو الآجل.

ويستفاد كون النهي للتحريم، من ذمَّه لمن ارتكبه، وتسميته عاصياً، وترتيبه العقاب على فعله.

ويستفاد الوجوب بالأمر تارة، وبالتصريح بالإيجاب والفرض والكَتْب، ولفظة «على»، ولفظة: حق على العباد وعلى المؤمنين.

ويستفاد التحريم من النهي، والتصريح بالتحريم والحظر، والوعيد على الفعل، وذم الفاعل، وإيجاب الكفارة بالفعل.

وقوله: «لا ينبغي» فإنها في لغة القرآن والرسول للممتنع عقلاً وشرعاً.

ولفظة «ما كان لهم كذا وكذا» و «لم يكن لهم»، وترتيب الحدِّ على الفعل، ولفظة «لا يحل» و «لا يصلح»، ووصف الفعل بأنه فساد، وأنه من تزيين الشيطان وعمله، وأن الله تعالى لا يحبه ولا يرضاه لعباده، ولا يزكي فاعله ولا يكلمه ولا ينظر إليه ونحو ذلك.

وتستفاد الإباحة من الإذن والتخيير، والأمر بعد الحَظْر، ونفي الجُناح والحرج والإثم والمؤاخذة، والإخبار بأنه يعفو عنه، والإقرار على فعله في زمن الوحي، وبالإنكار على من حرَّم الشيء، والإخبار بأنه خلق لنا كذا وجعله لنا، وامتنانه علينا به، وإخباره عن فعل مَنْ قبلنا، غير ذام لهم عليه.

فإن اقترن بإخباره مدحٌ، دلُّ على رجحانه استحباباً أو وجوباً.

فصل

وكل فعل عظَّمه الله ورسوله، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله، أو فرح به، أو أحبَّه، أو أحبً فاعله، أو رضي به، أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالطّيب، أو البركة، أو الحُسن، أو نصبه سبباً لمحبته أو لثوابٍ عاجلٍ أو آجلٍ (۱)، أو نصبه سبباً لذكره لعبده، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو وصف فاعله (۲) بالطيب، أو وصف الفعل بأنه معروف، أو نفى الحُزن والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نصبه سبباً لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسل بحصوله، أو وصفه بكونه قربة، أو أقسم به أو بفاعله، كالقسم بخيل المجاهدين وإغارتها (۱)، أو ضحك الرب جل جلاله من فاعله، أو عجبه به، فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

فصل

وكل فعل طلب الشارع تركه، أو ذم فاعله، أو عيب عليه، أو مقت فاعله، أو لعنه، أو نفى محبته إياه، أو محبة فاعله، أو نفى الرضا به، أو الرضا عن فاعله، أو شبّه فاعله بالبهائم أو الشياطين، أو جعله مانعاً من الهدى، أو وصفه بسوء أو كراهة، أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه، أو جعل سبباً لنفي الفلاح، أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لذم أو لوم، أو ضلالة أو معصية، أو وصفه بخبث أو رجس، أو بحداب أو بحول نعمة، أو حلول نعمة، أو سبباً لإثم أو رجس، أو لعن أو غضب، أو زوال نعمة، أو حلول نقمة، أو حد من الحدود، أو قسوة، أو خزي، أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله أو محاربته، أو الاستهزاء به وسخريته، أو جعله سبباً لنسيانه لفاعله، أو وصف نفسه بالصبر عليه، أو الصفح أو الحلم عنه، أو دعا إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار، أو نسبه إلى الشيطان وتزيينه، أو تولي الشيطان لفاعله، أو وصفه بصفة ذم، مثل كونه ظلماً أو بغياً، أو عدواناً أو إثماً، أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شكوا

⁽١) في ب: أو لثوابه عاجلاً أو آجلاً.

⁽٣) في ب: وإثارتها.(٤) في ب: بالخبث.

⁽٢) ني ب: فاعليه.

إلى الله من فاعله، أو جاهروا فاعله بالعداوة، أو نصب سبباً لخيبة فاعله عاجلاً أو آجلاً، أو رتب عليه حرمان الجنة، أو وصف فاعله بأنه عدو لله أو الله عدوه، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله، أو حمل فاعله إثم غيره، أو قيل فيه «لا ينبغي هذا» أو «لا يصلح» أو أمر بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمر بفعل يضاده، أو هجر فاعله، أو تلاعن فاعلوه في الآخرة، أو تبرأ بعضهم من بعض، أو وصف فاعله بالضلالة، أو أنه «ليس من الله في شيء» أو أنه ليس من الرسول وأصحابه، أو قَرنَ بمحرم ظاهر التحريم في الحكم والخبر عنهما (۱) بخبر واحد، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو جعل سبباً لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، أو قيل لفاعله «هل أنت منته» أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه والمغضاء بين المسلمين، أو قيل لفاعله «هل أنت منته» أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رتب عليه إلهاد، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه»، أو أن الله لا يصلح عمله، ولا يهدي كيده، أو أن فاعله لا يفلح، ولا يكون يوم القيامة من الشهداء ولا من الشفعاء، أو أن الله يغار من فعله، أو نبّه على وجه المفسدة فيه، أو أخبر أنه لا يقبل من فاعله صرفاً ولا عدلاً، أو أخبر أن من فعله، أو نبّه على وجه المفسدة أو جعل الفعل سبباً لإزاغة الله قلب فاعله، أو صرفه عن آياته وفهم آلائه، أو سؤال الله سبحانه عن علة الفعل «لم فعل» نحو: ﴿لم تصدون عن سبيل الله مَنْ آمن﴾، ﴿لمَ تَلبسون الحق بالباطل﴾، ﴿ما منعك أن الشجل»، ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ ما لم يقترن به جواب من المسؤول (٢٠ فإذا قرن به جواب، كان به حواب، كان

فهذا ونحوه، يدل على المنع من الفعل، ودلالته على التحريم أطرد من دلالته على مجرد الكراهة. وأما لفظة يكرهه الله ورسوله، أو مكروه، فأكثر ما يستعمل في المحرَّم، وقد يستعمل في كراهة التنزيه.

وأما لفظة (وأما أنا فلا أفعل) فالمتحقق (٣) منه الكراهة كقوله: «أما أنا فلا آكل متكناً».

قصل

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال، ورفع الجناح، والإذن، والعفو، و «إن شئت فافعل» و «إن شئت فلا تفعل»، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع، وما يتعلق بها من الأفعال، نحو: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾ ونحو ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾.

ومن السكوت عن التحريم، ومن الإقرار على الفعل في زمن الوحي.

فائدة

التعجُّبُ كما يدل على محبة الله تعالى للفعل نحو اعَجِب ربُّك مَنْ شاب ليست له صبوة ونحوه، قد يدل على بغض الفعل كقوله: ﴿وإنْ تَعجِب فعجبٌ قولهم﴾ وقوله: ﴿بل عَجِبتَ ويسخَرُون﴾.

وقوله: ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾.

وقد يدل على امتناع الحكم، وعدم حسنه، كقوله: ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله﴾.

ويدل على حسن المنع منه قدراً، وأنه لا يليق به فعله، كقوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾.

⁽١) في ب: عنه. (٣)

⁽٤) كذا في ب، وفي أ: بعد.

⁽٢) في ب: من السؤال.

فائدة

نفي التساوي في كتاب الله، قد يأتي بين الفعلين، كقوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر﴾ الآية.

وقد يأتي بين الفاعلين كقوله: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله ﴾.

وقد يأتي بين الجزائين كقوله: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾.

وقد جمع الله بين الثلاثة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتُويُ الْأَعْمَى والبَصْيَرِ وَلَا الظلمات ولا النور﴾ الآيات.

فائدة

في ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور:

التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل، كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر، وإبطال أمر.

فائدة

السياق يرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم (١) احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله: ﴿ذَقَ إِنْكَ أَنت العزيز الكريم﴾ كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير.

فائدة

إخبار الرب عن المحسوس الواقع له عدة فوائد:

منها: أن يكون توطئةً وتقدمةً لإبطال ما بعده.

ومنها: أن يكون موعظة وتذكرة.

ومنها: أن يكون شاهداً على ما أخبر به من توحيده، وصدق رسوله، وإحياء الموتى.

ومنها: أن يذكر في معرض الامتنان.

ومنها: أن يذكر في معرض اللوم والتوبيخ.

ومنها: أن يذكر في معرض المدح والذم.

ومنها: أن يذكر في معرض الإخبار عن اطلاع الرب عليه. وغير ذلك من الفوائد.

انتهى كلامه رحمه الله. ، وهو في غاية النفاسة، والاشتمال على كثير من القواعد والضوابط المتعلقة بتفسير القرآن، فجزاه الله خيراً.

قلت: وقد اشتمل القرآن على عدة علوم قد ثنيت فيه وأعيدت:

فمنها: ضرب الأمثال، وقد ذكر ابن القيم فيما تقدم فوائدها.

ومنها ذكر صفات أهل السعادة والشقاوة، وفي ذلك فوائد عديدة:

منها: أن الأوصاف التي يوصف بها أهل الخير، تدل على محبة الله ورضاه وأنها محمودة، والصفات التي يوصف بها أهل الشر، تدل على بغض الله لها وأنها مذمومة.

ومنها: ما يكرم الله به أولياءه من الثناء الحسن بين عباده، فهو ثواب معجل، ويهين به أعداءه من الأوصاف القبيحة، فيكون عقاباً معجلاً.

ومنها: أن فيه حثاً للنفوس على الاقتداء بأهل الخير ومنافستهم، وتنشيط العمال على الأعمال ببيان من عملها من أولياء الله.

وفيه الترهيب من أفعال أهل الشر، وتبغيض المعاصي التي أثرت مع عامليها ما أثرت.

ومنها: الاعتبار بصفات أهل الخير والشر، وأن مَنْ فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم.

وقد حتَّ تعالى على الاعتبار، في غير موضع من كتابه. وحقيقته: العبور من شيء إلى شيء، وقياس الشيء على نظيره.

ومنها: أن العبد إذا رأى (١) أعمال أهل الخير وعجزه عن القيام بها، أوجب له ذلك الإزراء على نفسه واحتقارها، وهذا هو عين فساده، إلى غير ذلك من الفوائد.

ومنها: ذكر صفات الله وأسمائه وأفعاله، وتقديسه عن النقائص، وفي ذلك فوائد عظيمة:

منها: أن هذا العلم _ وهو العلم المتعلق بالله تعالى _ أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق.

فالاشتغال بفهمه والبحث التام عنه، اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب.

ومنها: أن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله، إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها.

وقد اشتمل القرآن من ذلك على ما لم يشتمل عليه غيره، من تفاصيل ذلك وتوضيحها، والتعرف بها إلى عباده، وتعريفهم لنفسه كي يعرفوه.

ومنها: أن الله خلق الخلق ليعبدوه ويعرفوه، فهذا هو الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له. وقبيح بعبدٍ، لم تَزَل نعم الله عليه متواترة، وفضله عليه عظيم من كل وجه، أن يكون جاهلاً بربه معرضاً عن معرفته.

ومنها: أن أحد أركان الإيمان، بل أفضلها وأصلها الإيمان بالله، وليس الإيمان بمجرد قوله: «آمنت بالله» من غير معرفة بربه.

بل حقيقة الإيمان، أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى . يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص. نقص.

وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن.

والطريق في ذلك، إذا مر به اسم من أسماء الله، أثبت $^{(7)}$ له ذلك المعنى وكماله وعمومه، ونزهه $^{(7)}$ عما يضاد ذلك.

ومنها: أن العلم به تعالى أصل الأشياء كلها، حتى إن العارف به حقيقة المعرفة، يستدل بما عرف من صفاته وأفعاله على ما يفعله، وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة

⁽١) في ب: أن يثبت.

⁽٢) في ب: وينزهه.

بين العدل والفضل والحكمة.

وكذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام، إلا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله.

فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة.

وهذا العلم أعظم وأشهر من أن ينبه عليه لوضوحه:

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومنها: ذكر الأنبياء والمرسلين، وما أرسلوا به، وما جرى لهم مع أممهم. وفي ذلك عدة فوائد:

منها: أن من تمام الإيمان بهم معرفتهم بصفاتهم وسيرهم وأحوالهم. وكلما كان المؤمن بذلك أعرف، كان أعظم إيماناً بهم، ومحبة لهم، وتعظيماً لهم، وتعزيزاً وتوقيراً.

ومنها: أن من بعض حقوقهم علينا _ خصوصاً النبي محمد ﷺ _ معرفتهم ومحبتهم محبة صادقة، ولا سبيل لذلك إلا بمعرفة أحوالهم.

ومنها: أن معرفة الأنبياء موجبة لشكر الله تعالى على ما منّ به على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولاً منهم يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، بعد أن كانوا في ضلال مبين.

ومنها: أن الرسل هم المربون للمؤمنين، الذين ما نال المؤمنون (١٠) مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على أيديهم ويسببهم.

فقبيح بالمؤمن أن يجهل حالة مربيه ومزكيه ومعلمه.

وإذا كان من المستنكر جهل الإنسان بنحال أبويه ومباعدته لذلك، فكيف بحالة الرسول، الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أبوهم الحقيقي، الذي حقه مقدم على سائر الحقوق بعد حق الله تعالى؟!!

ومنها: أن في معرفة ما جرى لهم وجرى عليهم، تحصُل للمؤمن (٢) الأسوة والقدوة، وتخف عنه كثير من المقلقات والمزعجات، لأنها مهما بلغت من الثقل والشدة، فلا تصل إلى بعض ما جرى على الأنبياء. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

ومن أعظم الاقتداء بهم، الاقتداء بتعليماتهم، وكيفية إلقاء العلم على حسب مراتب الخلق، والصبر على التعليم، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وبهذا وأمثاله كان العلماء ورثة الأنبياء.

ومن فوائد معرفة الرسول ﷺ، معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه وفهم المعنى. والمراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول، وسيرته مع قومه وأصحابه وغيرهم من الناس، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص تختلف اختلافاً كثيراً.

فلو أراد إنسانٌ (٢٠) أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك، لحصل من الغلط على الله وعلى مراد الله من كلامه، شيء كثير.

وهذا إنما يعرفه من عرف ما في أكثر التفاسير من الأغلاط القبيحة التي ينزه عنها كلام الله(٤)، وغير

⁽١) كذًا في ب، وفي أ: المؤمن.

⁽٢) في ب: للمؤمنين.

⁽٣) في ب: الإنسان.

⁽٤) في ب جاءت الجملة هكذا (ما في كثير من التفاسير من الأغلاط التي ينزه عنها كلام الله) وقد شطبت هذه الجملة، وكتب الشيخ ــ رحمه الله ــ في الهامش بدلاً عنها ما يلي (كيف كثر حمل مراد الله ورسوله على العرف الحادث فوقع الخلل الكثير).

ذلك من الفوائد المفيدة والنتائج السديدة.

ومن علوم القرآن: الأمر والنهي الموجه لهذه الأمة وغيرها، وهذا هو المقصود منهم، وفي معرفة ذلك عدة فوائد:

منها: أن الله تعالى حث على معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، وذم من لم يعرف ذلك.

ومن أعظم ما يجب معرفة حدوده؛ الأوامر والنواه*ي* التي كلفنا بها، وألزمنا بالقيام بها وتعلمها تعليمها.

ولا سبيل إلى امتثالها، [أو اجتنابها،](١) إلا بمعرفتها، ليتأتى فعلها [أو تركها](٢) وذلك أن المكلف إذا أمر بأمر، وجب عليه أولاً معرفة ما هو الذي أمر به، وما يدخل به وما لا يدخل.

فإذا عرف ذلك استعان بالله، واجتهد في امتثاله بحسب القدرة والإمكان.

وكذلك إذا نهي عن أمر من الأمور، وجب عليه معرفة ذلك المنهي وحقيقته، ثم يبذل جهده مستعيناً بربه على تركه، امتثالاً لأمر الله، واجتناباً لنهيه، وامتثال الأمر، واجتناب النهي، كل منهما واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فعرفت أن العلم بها قبل العمل، ومتقدم عليه.

ومنها: أن الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يمكن حصولها وتحصيلها إلا بعد معرفة الخير ليدعو له، ومعرفة المعروف ليأمر به، ومعرفة المنكر لينهى عنه، والقرآن مشتمل على ذلك أعظم اشتمال، ومتضمن له أكمل تضمن.

ومن علوم القرآن أحوال اليوم الآخر، وهو ما يكون بعد الموت مما أخبر به الله في كتابه، أو أخبر به رسوله من أهوال الموت، والقبر والموقف، والمجنة والنار، وفي العلم بذلك فوائد كثيرة:

منها: أن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله، ازداد إيمانه (٣).

ومنها: أن العلم بذلك^(٤) حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر؛ كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفظعة.

وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه.

ومنها: أنه يعرف بذلك فضل الله وعدله، في المجازاة على الأعمال الصالحة، والسيئة، الموجب لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله.

وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته.

ومن علوم القرآن: مجادلة المبطلين، ودفع شبه الظالمين، وإقامة البراهين العقلية الموافقة للأدلة لنقلية.

وهذا الفن من علوم القرآن من خواص العلماء الربانيين، والجهابذة الراسخين، والعقلاء المستبصرين، وقد اشتمل القرآن من الأدلة العقلية، والقواطع البرهانية، ما لو جمع ما عند جميع

⁽۱) زیادة من هامش ب.

⁽٢) زيادة من هامش ب.

⁽٣) في ب: إيمان العبد به.

⁽٤) في ب: أن معرفة ذلك.

المتكلمين من حق، لكان بالنسبة إليه كنقرة عصفور بالنسبة لماء البحر؛ ذلك بأن القرآن هو الحق، وقد اشتمل على الحق والصدق والعدل والميزان العادل والقسط والصلاح والفلاح، فإن ذكر التوحيد والشرك، وأمر بالأول ونهى عن الثاني، أقام من البراهين القاطعة على صحة التوحيد وحسنه وتعينه طريقاً للنجاة، وقبح الشرك وبطلانه، وكونه هو الطريق للهلاك، ما يجعل ذلك للبصيرة كالشمس في نحر الظهيرة.

وإن أمر بالأوامر الشرعية، وحث على الآداب ومكارم الأخلاق، رأيته ينبه العقول النيرة على ما اشتملت عليه من المصالح الضرورية، التي يحتاجونها في معاشهم ومعادهم، ما يجزم بأنه (١) لا أحسن منها، وأن حكمته تقتضى الأمر بها أشد اقتضاء.

وإن نهى عن المحارم والقبائح والخبائث، أخبر بما في ضمنها من الفساد والضرر، والشر الحاصل بتناولها، وأن نعمة الله عليهم بتحريمها عليهم وتنزيههم عنها، وتكريمهم وتعلية أقدارهم عن التلبس بها فوق كل نعمة، فالمأمورات مشتملات (٢٠) على الصلاح، والمحرمات مشتملات (٢٠) على المفاسد.

وإن شرع في الحجاج للمبطلين، وتزييف شبه المشبهين، وبطلان مذاهب الضالين، فقل ما شئت من إحقاق حق، ودمغ باطل، وإرشاد ضال، وإقامة الحجة على المعاند، وبيان أن الباطل لا يقوم لأقل شيء من الحق، بل هو على اسمه باطل لا حقيقة له، إن هي إلا أسماء يسمون بها الباطل إذا جردت، تبينت هباء منثوراً.

ورأيته يسوق البراهين العقلية، بأوضح عبارة وأوجزها وأسلمها من الاعتراض والنقض والخفاء، فيجمع بين الدليل العقلي والنقلي في كلمة واحدة، إيجازاً غير مخل بالمطلوب، وتارة يفصل ذلك، ويسرد من البراهين ما يكفي بعضه بالبيان. فلله الحمد والشكر.

فهذه مقدمة نافعة، إن شاء الله، ينبغي استقراؤها في [كل] مواردها، والتنبه لكل ما يرد من هذه المطالب على وجه التفصيل، فمن استعملها في كل ما يرد عليه من الآيات، انتفع بها نفعاً عظيماً. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

(٣) في ب: مشتملة.

⁽۱) كذا في ب، وفي أ: به أنه.

⁽٢) في ب: مشتملة.

تفسير الفاتحة وهي مكية

﴿١ _٧﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم *غير المغضوب عليهم * ولا الضالين ♦ أي: أبتدىء بكل أسم لله تعالى، لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعمُّ جميع الأسماء [الحسني]، ﴿اللهِ : هُو المَّالُوهِ المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال، ﴿الرحمن الرحيم﴾: اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأثمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم يعلم يعلم شيء، قدير ذو قدزة يقدر على كل شيء.

﴿الّحمد لله :[هو] الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه. ﴿رب العالمين ﴾ الرّب: هو المربي جميع العالمين ـ وهم من سوى الله _ بخلقه لهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى.

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر، ولعل هذا [المعنى] هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الذاء ت

فدلٌ قوله: ﴿رَبِّ العالمين على انفراده بالخلق والتدبير والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.

﴿ مالك يوم الدين ﴾ المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يُدَان الناس فيه بأعمالهم خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاعُ أملاك الخلائق، حتى [إنه] يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصُّه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام.

وقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ أي: نخصُك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقد م (٢٦) العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه تعالى على حق عبده،

و «العبادة»: اسم جامع لكل ما يجبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، و «الاستعانة»: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

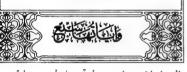
والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، وإنما تكون العبادة عبادة مقصوداً بها وجه الله، فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر «الاستعانة» بعد "العبادة» مع دخولها فيها، لاحتياج تعلل، فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي.

شم قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أي: دُلنا وأرشِدْنا ووفقنا للصراط المستقيم ، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته ، الصراط واهدنا في الصراط ، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط ، فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام ، وترك ما سواه من الأديان ، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً . فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته ، لضرورته إلى ذلك .

وهذا الصراط المستقيم هو: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ﴿غيير﴾ صراط ﴿المغضوب عليهم﴾ الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم، وغير صراط ﴿الضالين﴾ الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم.

فهذه السورة على إيجازها، قد

بنسيأللوالتمازالي ٱلْحَكَمْدُيلَةُ رَبِّ ٱلْعَكَلِمِينَ ۞ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ ۞ مَنْ لِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُوَ إِيَاكَ نَشْتَعِينُ۞ٱهْدِنَا ٱلصِرَطَ ٱلْمُسْتَقِيرَ ۞ صِرَطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَكُمْ عَلَيْهِ مِرْعَكُيْرِ ٱلْمُغْضُوبِ عَلَيْهِ مُ وَلَا الضَّالَيْنَ ۞



الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق، وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها ليست هداية حقيقية [تامة].

ثم وصف المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، لتضمن التقوى لذلك، فقال: ﴿الذين يُؤمنون بالغيب) ، حقيقة الإيمان: هو التصديق التَّام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نَره ولم نُشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يُميَّر به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أولم يشاهده، وسواء فهمه وعقله أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة المكذبين للأمور الغيبية؛ لأن عقولهم القاصرة المقصِرة لم تهتدِ إليها، فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ففسدت عقولهم، ومَرَجتْ أحلامُهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

ويدخل في الإيمان بالغيب [الإيمان بـ] جميعُ ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخــرة، وحــقــائــق أوصـــاف الله وكيفيتها، [وما أخبرت به الرسل من وقوله: ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أي: هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين والمتأخرين من العلم العظيم، والحق المبين، فـ ﴿لا ريب فيه ﴾ ولا شك بوجه من الوجوه، ونفيُ الرَّيب عنه يستلزم ضده، إذ ضدُّ الريب والشك اليقين، فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والرَّيب، وهذه قاعدة مفيدة أن النفي المقصود به المدح لا بدأن يكون متضمناً لضده، وهو الكمال، لأن النفي عدم، والعدم المحضُ لا مدح

فلما اشتمل على اليقين وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين قال: ﴿هَدِّي لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة، وقال: ﴿هدِّي﴾ وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم، وأنه هدي لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في السائل الأصولية والفروعية، ومُبينٌ للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلِّكون الطرق النافعة لهم في دنياهم وأخراهم.

وقال في موضع آخر : ﴿هـدي للناس) فعمَّم، وقي هذا الموضع وغيره ﴿ هدى للمتقين ﴾ الأنه في نفسه هدى لجميع الخلق، فالأشقياء لم يرفعوا به رأساً، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقاتهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر لحصول الهداية وهو التقوى، التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه بامتشال أوامره واجتناب النواهي، فاهتدوابه، وانتفعوا غاية الانتفاع، قال تعالى: ﴿يَا أيها الَّذِين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ فالمتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية والآيات الكونية.

ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق، فالمتقون حصلت لهم احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: ﴿رب العالمين﴾ ، وتوحيد الإلهية، وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: ﴿اللهِ ﴾ ومن قوله: ﴿إياك نعبد ﴾ ، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دلَ على ذلك لفظ ﴿ الحمد ﴾ كما تقدم. وتضمنت إثبات النبوة في قوله:

ممتنع بدون الرسالة . وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله:﴿مالك يوم الدين﴾ ، وأنَّ الجزآء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ لأن ذلك

وتضمنت إثباتَ القدر، وأن العبد فاعلُّ حقيقة، خلافاً للقدرية والجبرية.

بل تضمنت الردِّ على جميع أهل البدّع [والضلال] في قوله: ﴿ آهدنا الصراط المستقيم الأنه معرفة الحق والعمل به، وكل مبتدع [وضال] فهو مخالف لذلك.

وتضمنت إخلاص الدِّين لله تعالى عبادةً واستعانةً في قوله : ﴿ إِياكُ نَعِبِدُ وإياك نستعين فالحمد شرب العالمين.

تفسير سورة البقرة وهي مدنية

﴿١_٥﴾ ﴿بـسـم الله السرحمين الرحيم الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) تقدم الكلام على البسملة، وأما الحروف المقطُّعة في أوائل السور، فالأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها، [من غير مستند شرعي] مع الجزم بأن الله تعالى لم يُنزلها عبثاً بل لحكمة لا نعلمها.

بسياللة الزهن التحيم

الَّمَ ۞ ذَاكَ ٱلْكِنْكُ لَارَبَّ فِيهُ هُدُى الْمُنْقِينَ۞ ٱلْذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْقَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوْةَ وَمِمَّارَزَقَ لَهُمْ يُنفِقُونَ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُثْرِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ مُوقِونَ ۞ أُولَلِيكَ عَلَ هُدُى مِن زَبِهِمْ وَأُولِيكَ هُو ٱلْمُفْلِحُونَ۞ هُدُى مِن زَبِهِمْ وَأُولِيكَ هُو ٱلْمُفْلِحُونَ۞



ذلك] فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها وإن لم يفهموا كيفيتها.

ثم قال: ﴿ويقيمون الصلاة ﴾ لم قال: يفعلون الصلاة ، أو يأتون بالصلاة ، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة ، فإقامة وواجباتها وشروطها ، وإقامتها باطنا(١٠) بإقامة روحها ، وهو حضور القلب بإقامة روحها ، وهو حضور القلب فيها ، وتدبر ما يقوله ويفعله منها ، فهذه الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ وهي التي قال الله فيها والمنكر ﴾ وهي التي يترتب عليها الشواب ، فلا ثواب للإنسان (٢) من صلاته إلا ما عقل منها ، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها .

معاره مراحسه وتوامعه. ثم قال: ﴿وَهَا رزقناهم ينفقون﴾ ، يدخل فيه النفقات الواجبة كالزكاة ، والمنفقة على الزوجات والأقارب المستحبة بجميع طرق الخير ، ولم يذكر المنفق عليه ، لكثرة أسبابه وتنوع أهله ، ولأن النفقة من حيث هي قربة إلى الله ، وأتى بـ «من» المدالة على التبعيض ، لينبههم أنه لم يُرد منهم إلا جزءاً يسيراً من أموالهم ، غير ضار لهم ولا مُثقل ، بل ينتفعون هم بإنفاقه ، وينتفع به

وفي قوله: ﴿رزقناهم﴾ إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، الست حاصلة بقوتكم وملككم، وإنما هي رزق الله الذي خُوَّلكم، وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضَّلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج

بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا

إخوانكم المعدمين.

وكثيراً ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن البصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عذم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان.

ثم قال: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ وهو القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿واْنَزِلُ اللهُ عليك الكتاب والحكمة﴾ فالمتقون يؤمنون بجميع ما جاء به أنزل إليه، فيؤمنون ببعضه، ولا يفرقون بين بعضه، ولا يؤمنون ببعضه، أما بجحده أو تأويله على غير مراد الله ورسوله، كما يفعل ذلك من يفعله من المبتدعة، الذين يؤولون النصوص الدالة على خلاف قولهم، بما حاصله عدم التصديق يؤمنوا بها إيمانا حقيقياً.

وقوله: ﴿وما أنزل من قبلك﴾ يشمل الإيمان بالكتب (٣) السابقة، ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل وبما اشتملت عليه، خصوصاً التوراة والإنجيل والزبور، وهذه خاصية المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية (٤)، وبجميع الرسل فلا يفرقون بين أحد منهم.

ثم قال: ﴿وَبِالآخُرة هم يوقنون﴾ ، و «الآخرة»: اسم لما يكون بعد الموت، وخصّه [بالذكر] بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان

الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرُغبة والرهبة والعمل، و "اليقين": هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.

﴿أُولِئكُ ﴾ أي: الموصوفون بتلك الصفات الحميدة ﴿على هدى من رجم ﴾ أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأيُّ هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة، وهل الهداية [الحقيقية] إلا هدايتهم، وما سواها [عا خالفها]، فهو (٥٠) ضلالة.

وأتى بد "على" في هذا الموضع، الدَّالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بد "في" كما في قوله: ﴿وإِنَا أُو إِنَا أُو إِنَا أُو لَيْ ضلال مبين﴾ لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه عتقر.

ثم قال: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ والفلاح [هو] الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل فهي سبل الشقاء والهلاك والخسار التي تفضي بسالكها إلى الهلاك، فلهذا لما ذكر صفات المؤمنين حقاً، ذكر صفات المؤمنين حقاً، ذكر صفات للرسول، فقال:

ولا الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تسندرهم عليهم أأنذرتهم أم لم تسندرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾، يخبر تعالى أن الذين كفروا، أي: اتصفوا بالكفر، لا يَرْدَعُهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ، إنهم مستمرون على كفرهم، لا يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو المحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم

⁽٣) في ب: بجميع الكتب. (٥) في ب: فهي ضلالة.

⁽٤) في ب: بالكتب السماوية كلها.

⁽١) كذا في ب، وفي أ: وباطنها.

⁽٢) في ب: للعبد.

الدعوة إلا إقامة الحجة عليهم، وكأن في هذا قطعاً لطمع الرسول ﷺ في إيمانهم، وأنك لا تَبأسَ عليهم، ولا تَذهب نفسُك عليهم حسرات.

ثم ذكر الموانع المانعة لهم من الإيمان، فقال: ﴿ حتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعُون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم.

﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ أي: غشاء وغطاء وأكنّة تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، وهذه طرق العلم والخير قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم، ولا خير يُرجى عندهم، وإنما منعوا ذلك، وسدّت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعدما تبين لهم الحق، كما قال تعالى: يؤمنوا به أول مرة﴾ وهذا عقاب عاحا.

ثم ذكر العقاب الآجل، فقال: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ وهو عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم.

ثم قال تعالى في وصف المنافقين الذين ظاهرهم الإسلام وباطنهم الكفر، فقال:

﴿٨ .. ١٠ ﴾ ﴿ومن الناس من يقول استا بالله وباليوم الآخير وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أن فسهم وما يخدعون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ واعلم أن النفاق هو: عذا التعريف النفاق الاعتقادي والنفاق العملي، فالنفاق العملي كالذي ذكر النبي ﷺ في قوله: ﴿آية المنافق ثلاث: الخاص خان»، وفي رواية: ﴿وإذا وعد أخلف،

خاصم فَجَرا.

وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجوداً قبل هجرة الرسول على [من مكة] إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة دلً^(۲) وأظهر الله المؤمنين وأعرَّهم، ذلً^(۲) من في المدينة عمن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفاً ومخادعة، ولتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم، وفي الحقيقة ليسوا منهم.

فمن لطف الله بالمؤمنين أن جالاً أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميّزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضاً عن كثير من فجورهم [قال تعالى]: ﴿ يُحذر المنافقون أن تنزل عليهم فوصفهم الله بأصل النفاق، فقال: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقولد: ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ لأن الإيمان الحقيقي ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا عادعة لله ولعباده المؤمنين.

والمخادعة: أن يُظهر المُخادعُ لن يخادعه شيئاً ويُبطن خلافه، لكي يتمكن من مقصوده بمن يخادع، فهؤلاء المنافقون سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن^(٣) هذا من العجائب؛ لأن المخادع إما أن يُنتج خداعُه ويحصّل ما يريد^(٤)، أو يسلمَ لا لَهُ ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم ^(٥) يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها؛ لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم، [شيئاً] وعباده المؤمنون لا يضرهم كيدهم شيئاً، فلا

يضر المؤمنين أَنْ أَظْهَرَ المنافقون الإيمان، فسلِمت بذلك أموالهم وحقنت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة.

ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجع الفجع، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم وحاقتهم لا يشعرون بذلك.

وقوله: ﴿ في تلويهم مرض والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق، لأن (٢) القلب يعرض له مرضان يُخرجانِه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردِية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا ومحبة [الفواحش و] المعاصي وفعلها من مرض الشهوات، كما قال تعالى: ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴿ وهي من شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من والإيمان، والصبر عن كل معصية، وأقل في أثواب العافية.

وفي قوله عن المنافقين: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي الملاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى: ﴿ونقلب مرة﴾ وقال تعالى: ﴿ونما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى: ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ فعقوبة المعصية المعصية المعسنة الحسنة الحسنة الحسنة الحسنة الحسنة المعدا، كما أن من ثواب الحسنة الحسنة المعدوا هدى﴾ .

⁽٤) في ب: ويحصل له مقصوده.

⁽٥) في ب: عاد خداعهم على أنفسهم فكأنهم.

⁽١) في ب: ولا بعد الهجرة حتى كانت وقعة بدر.

⁽٢) في ب: فذل.

⁽٣) في ب: وهذا.

⁽٦) في ب: وذلك أن.

﴿ ١١ ـ ١٢﴾ ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ أي: إذا نبي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض، وهو العمل بالكفر والمعاصي، ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم فلكافرين ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلباً للحقائق وجعاً بين فعل الباطل واعتقاده حقاً، وهذا أعظم جناية نمن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد وأجى لرجوعه.

ولما كان في قولهم: ﴿إنما نحن مصلحون ، حصرٌ للإصلاح في جانبهم. وفي ضمنه أن المؤمنين ليسواً من أهل الإصلاح -قلبَ الله عليهم دعواهم بقوله: ﴿ أَلَّا إِنَّهُم هُمَّ المفسدون) فإنه لا أعظم فساداً (٢) بمن كفر بآيات الله، وصدُّ عن سبيل الله، وخـــــادع الله وأولياءه، ووالى المحاربين لله ورسوله، وزعم مع ذلك أن هذا إصلاح، فهل بعد هذا آلفساد فساد؟!! ولكن لا يعلمون علماً ينفعهم، وإن كانوا قد علموا بذلك علماً تقوم به عليهم حجة الله، وإنما كان العمل بالمعاصي في الأرض إفساداً، لأنه يتضمن فساد (٢٠) ما على وجه الأرض من الحبوب والشمار والأشجار والنبات، بما(٤) يحصل فيها من الآفات بسبب (٥) المعاصى، ولأن الإصلاح في الأرض أن تبعيميرً بطاعة الله والإيمان به، لهذا خلق الله الخلق، وأسكنهم في الأرض، وأدرًّ لهم (٢) الأرزاق، ليستعينوا بها على طاعته [وعبادته]، فإذا عمل فيها بضده، كان سعياً بالفساد فيها،

وإخراباً لها عما خلقت له.

﴿ ١٣﴾ ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن السفهاء آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا إنهم هم السسفهاء ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ أي: إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي: كإيمان الصحابة رضي الله عنهم، وهو بزعمهم الباطل: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ يعنون _ قبّحهم الله الصحابة رضي الله عنهم، بزعمهم (٢) الصحابة رضي الله عنهم، بزعمهم (٢) الأوطان، ومعاداة الكفار، والعقل الأوطان، ومعاداة الكفار، والعقل عندهم يقتضي ضد ذلك، فنسبوهم إلى السفه؛ وفي ضمنه (٨) أنهم هم العقلاء أرباب الحجى والنهى.

فرد الله ذلك عليهم، وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة، لأن حقيقة السفه^(P): جهل الإنسان بمصالح نفسه، وسعيه فيما يضرها، وهذه الصفة منطبقة عليهم وصادقة عليهم مصالح نفسه، والسعي فيما ينفعه وأفي] دفع ما يضره، وهذه الصفة منطبقة على [الصحابة و] المؤمنين وصادقة عليهم، فالعبرة بالأوصاف والبرهان، لا بالدعاوى المجردة والأقوال الفارغة.

ثم قال تعالى: ﴿١٥ – ١٥﴾ ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون * الله يستهزى عبهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، [وذلك] أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم -أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر -قالوا: إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن

مستهزؤون بالمؤمنين بإظهارنا لهم أنّا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله.

قال تعالى: ﴿الله يستهزىء بهم ويمدُهم في طغيانهم يعمهون﴾ وهذا جزاء لهم على استهزائهم بعباده، فمن من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنّوا أنهم مع المؤمنين لما لم يُسلَّط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة أنه يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً، فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفيء نور فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفيء نور المنافقين، وبَقُوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم الياس بعد النور الطمع، ﴿ينادونهم ألم نكن معكم، قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم﴾ الآية.

قوله: ﴿ويمدهم﴾أي: يزيدهم ﴿في طغيانهم﴾أي: فجورهم وكفرهم، ﴿يعمهون﴾أي: حاثرون مترددون، وهذا من استهزائه تعالى

ثم قال تعالى كاشفاً عن حقيقة أحوالهم:

﴿١٦﴾ ﴿أولئك اللهين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ أولئك، أي: المنافقون الموسوفون بتلك الصفات ﴿الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي: رغبوا في الضّلالة رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأمثلة، فإنه جعل الضلالة التي هي الأمثلة، فإنه جعل الضلالة التي هي الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة، رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم (١٠).

(0)

في ب: التي سببها.

⁽٦) في ب: عليهم.

⁽٧) في ب: لزعمهم.

⁽A) في ب: وفي ضمن ذلك.

⁽۱) ممن يعمل بالمعاصي مع اعتقاد تحريمها

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: فساداً.

⁽٣) في ب: لأنه سبب فساد.

⁽٤) في ب: لما.

⁽٩) كذا في ب، وفي أ: الفسقة.

⁽١٠) في ب: الأموال.

⁽۱۱) في ب: وهذه صفقتهم فبئس

الصفقة .

وإذا كيان من بيذل (١١) دينياراً في مقابلة درهم خاسراً، فكيف من بذل جوهرة وأخذ عنها درهماً؟! فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة، واختار الشقاء على السعادة، ورغب في سافل الأمور عن أعاليها(٢)؟! فما ربحت تجارته، بل خسر فيها أعظم خسارة. ﴿قُلُ إِنَّ الْحَاسِرِينِ اللَّذِينَ خَسَرُوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الحسران المبين﴾.

وقوله: ﴿وما كانوا مهتدين﴾ تحقيق لضلالهم، وأنهم لم يحصل لهم من الهداية شيء، فهذه أوصافهم القبيحة . ثم ذكر مثلهم الكاشف لها غاية

الكشف، فقال: ﴿١٧ ــ ٢٠﴾ ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صمَّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون * أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قلدير ﴾ أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذّي استوقد ناراً، أي: كان في ظلمة عظيمة وحاجة إلى النبار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذَّهبُّ

الإحراق، فبقى في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها(٣) وحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك⁽¹⁾ إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر وظلمة الكفر وظلمة النفاق، وظلم (٥) المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار [ويئس القرار] فلهذا قال تعالى [عنهم]: وصم ای: عن سماع الخير، ﴿بكم ﴾ [أي]: عن النَّطق به، ﴿عُمِيُّ﴾ عن رؤية الحق، ﴿فهم

لا يرجعون﴾ لأنهم تركوا الحق بعد أن

عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من

ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه

لا يعقل، وهو أقرب رجوعاً منهم.

ثم قال تعالى: ﴿أو كصيِّب من السماء ﴾ يعنى: أو مثلهم كصيب، أي: كصاحب صيب من السماء، وهو المطو الذي يصوب، أي: ينزل بكثرة، ﴿فيه ظلمات﴾ : ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، ﴿ورعد﴾ وهبو النصوت الذي يستمع من السحاب، ﴿وبرق﴾: وهو الصوء [اللامع] المشاهد مع(١) السحاب، ﴿كلماً أضاء لهم ﴾البرق في تلك الظلمات ﴿مشوافيه، وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي: وقفوا.

فهكذا حال(٧) المنافقين، إذا سمعوا البقبرآن وأواميره ونبواهبينه ووعيده ووعيده، جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيبه ووعيده ووعيده، فيروعهم وعيده وتزعجهم

إِنَ ٱلَّذِيكَ كَفَرُوا سَوَّاةً عَلَيْهِمْ ءَلَنَوْتَهُمْ أَمْ لَرَتُنذِوْهُمْ لَانِهُ نُوتَ ۞ خَمَّ أَقَةُ عَلَى تُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَسَمِهِمْ وَعَلَى أَشَهُ رِحِمْ غِشَوَةً وَكُمُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ مَامَنَا بِإِفْهِ وَإِلْيَوْمِ ٱلْآخِيرِ وَمَاهُم مِكْوَمِنِينَ ۞ يُخَذِيعُونَ لَقَدَ وَٱلَّذِينَ مَامَنُواْ وَمَا يَخَدْ مَعُوتَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَايَشْعُرُونَ ﴿ فِي قُلُونِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ أَقَدُمُ مَنَا اللَّهِ مُرَجَهُ آوِيْكُرُ عَنَابُ أَلِيدًا مَا حَسَانُوا بَكُونُونَ ۞ وَإِنَا فِيلَ لَمُهُمْ لَاتُنْسِدُوا فِي ٱلأَرْضِ قَالُوا إِنَّا خَنُ مُعْسِلِحُونَ ﴿ ٱلْآَ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلِنْكِنَ لِابْشَعُرُونَ ۞ وَلِغَافِ لَكُمُ عَلِينُواْ حَمَاءًا مَنَ النَّاسُ فَالْوَا أَنْوْمِنُ كُمّا مَا مَنَ السُّعَمَاتُهُ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الشُّفَهَآلُهُ وَلَكِينَ لَا يَمْ لَكُونَ ۞ وَإِذَا لَهُوا الَّذِينَ منتوا فالوآءامنا وإذاخلوا إلى شينطينيوم فالوا إذا معكود إِنَّا غَنَّ مُسْتَهَ رِهُونَ ﴿ اللَّهُ بَسْتَهْ زِئَّ بِهِمْ وَيَسُدُّهُمْ فِي مُلْفَيْنِومْ يَسْمَعُونَ ۞ أُوْلَيْكَ ٱلَّذِينَ ٱشْفَرُوا ٱلصَّهَ كَلَةَ وللمُ اللهُ مَنْ فَمُا رَحَت فِي اللهُ مُ وَمَا كَ الزَّامُهُ مَدِينَ ﴿ MOJEMON - LORSEON

A MARIE

وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد، ويجعل (٢٠) أصابعه في أذنيه (٩) خشية الموت، فهذا تمكن له(١٠٠ السلامة. وأما المنافقون فأنى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم، قدرةً وعلماً، فلا يفوتونه ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتم الجزاء.

ولما كانوا مبتلين بالصمم والبكم والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم طرق الإيسان، قال تعالى: ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) أي: الحسيَّة، ففيه تحذيرٌ لهم وتخويف بالعقوبة الدنيوية ليحذروا، فيرتدعوا عن بعض شرهم ونفاقهم، ﴿إِنَّ اللَّهِ على كل شيء قدير ﴾ فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئاً فعله من غير ممانع ولا معارض.

وفي هذه الآية وما أشبهها ردعلي القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جمَّلة الأشياء الداخلة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيَّءً قَدْيَرٌ ﴾ .

في ب: فيجعل.

(۱۰) في ب: ربما حصلت له.

كذا في ب، وفي أ: أذنه.

﴿٢١ ــ ٢٢﴾ ﴿يا أيها الناس اعبدوا

- (A) في ب: هم كذلك. (1)
 - في ب: وظلمة. (0)
 - في ب: من. **(7)**
 - في ب: حالة.

- في ب: يبذل.
- في ب: وترك عاليها. (٢)
- في ب: ما ستضاءوا بها مؤقتاً (٣) وانتفعوا فحقنت.

ما فيها من الإشراق، وبقى ما فيها من

(V)

مَثَلُهُم كَنَلَ الَّذِي ٱسْتَوْقِدَ نَازًا فَلَنَّاۤ أَضَآ اَصْمَاحَوْلُهُ فَعَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَّكُهُمْ فِي طُلُكَنْتِ لَا يُبْعِيرُونَ ۞ مُمَّا بُكُوَّ عُنَّ فَهُمُ لَا يُرْجِعُونُ ﴿ أَوْلُصَيِبِ مِنَ السَّمَا أُوفِهِ وَلَلْمُنَّ ا وَرَعْدٌ وَرَثَقُ يَجْعَلُونَ أَصَلِيعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِنَ ٱلصَّوْعِيّ حَذَرَ ٱلْمُونِيُّ وَاللَّهُ يُحِيطُ إِالْكَفِرِينَ ۞ يَكَادُ ٱلْمَرْقُ يَحَطَفُ أَصَارَهُمُ حُكُلًنَا أَصَاءَ لَحُمُ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظَلَرَ عَلَيْهِمَ قَامُواْ وَلَوْسُكَآءَ اللَّهُ لَدُهَبَ بِسَنْعِهِمْ وَأَنْصَلُوهِمْ إِسَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ مَنْ وَقِيدٌ ﴿ يَكَأَيْهُا ٱلنَّاسُ أَعْبُدُواْ رَبَّكُرُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُو لَمَلَّكُو نَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِي جَعَكَ ٱكْخُواْ لَأَوْضَ فِرَنشَا وَالسَّنْكَآة بِنَآءُ وَأَمْزَلَ مِنَ السَّنسَكَ إِمَلَة فَأَخْرَجَ بِهِمِنَ ٱلشَّمَرْتِ رِزْقًا لَّحُمُّ فَلَا تَجْعَكُواْ قِمَ أَندَادًا وَأَسْتُمْ تَعَلَمُونَ ۞ وَإِن كُسُمُ فِي زَيْبِ مِثَا زَلْسَاعَلَ عَبْدِنَا فَأَتُواْ بِسُورَةِ مِن مِّشْلِهِ مَوَادْعُواْ شُهَدَآ ۚ كُرُين دُونِ الْقَهِ إِنَّ كَنْتُوْمَىٰ لِدِقِينَ ﴿ فَإِنْ لَرْتَفَعْ كُواْ وَلَنْ تَفْعَ كُواْ فَانَّقُواْ

ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنبداداً وأنتم تعلمون ﴾ هذا أمرٌ عام لكل(١) الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس

النَّازَأَلْقِي وَفُودُهَا النَّاسُ وَلَلْحِبَازَةُ أَعِدَّتْ الْكَوْبِينَ ﴿

شم استدل على وجوب عبادته وحده، بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، فجعل لكم الأرض فراشا تستقرون عليها، وتنتفعون بالأبنية والزراعة والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع(٢) الانتفاع بها، وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم كالشمس والقمر والنجوم.

﴿وَأَنْوَلَ مِنِ السِّماءِ مَاءَ﴾ والسماء: [هو] كل ما علا فوقك فهو سماء، ولهذا قال المفسرون: المراد بالسماء هاهنا: السحاب، فأنزل منه تعالى ماء، ﴿فَأَخْرِجِ بِهُ مِنِ النَّمْرِاتِ﴾ كَالْحِبُوبِ والثمار من نخيل وفواكه [وزروع] وغيرها، ﴿رِزقاً لِكِمْ﴾ به ترتزقون وتقوتون، وتعيشون وتفكهون.

لر ٢ ــ تفسير سورة البقرة

﴿ فَلَا تَجِعِلُوا للهُ أَنْدَاداً ﴾ أي: نظراء وأشباهاً من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم كمما تحبون الله، وهم مثلكم مخلوقون مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولايضرون، ﴿وانتم تعلمون﴾ أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق والرزق والتدبير، ولا في العبادة (٣٠)، فكيف تعبدون معه آلهة أُخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه.

وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهى عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وهو [ذكر] توحيد الربوبية المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كلُّ أحدٍ مقراً بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقبراره بأن [الله] لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك.

وقوله تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾ يحتمل أن المعنى: أنكم إذا عبدتم الله وحده، اتقيتم بذلك سخطه وعذابه، لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك، ويحتمل أن يكون المعنى: أنكم إذا عبدته الله، صرته من المتقين الموصوفين بالتقوى، وكلا المعنيين

صحيح، وهما متلازمان، فمن أتى بالعبادة كاملة كان من المتقين ومن كان من المتقين، حصلت له النجاة من عذاب الله وسخطه ثم قال تعالى: .

۲۳ – ۲۲ ﴿ وإن كنتم في ريب يما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لَم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين، وهذا دليل عىقىلى عىلى صىدق رسىول الله ﷺ وصحة ما جاء به، فقال:

وإن كنتم معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فهاهنا أمر نَصَفٌ، فيه الفيصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم (١٤)، وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوَّله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهدائكم، فإن هذا أمر يسير عليكم، خصوصاً وأنتم أهل الفصاحة والخطابة والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم (٥) على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى ودليل واضح [جلى] على صدقه وصدق ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة [والشدة]، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنبار الدنيا التي إنما تتقد

إلا ليعبدون،

⁽١) في ب: لجميع.

⁽Y) ني ب: وجوه.

⁽٣) **في ب: ولا في الألوهية والكمال.**

هكذا في أ، وفي ب: شطب قوله (بأفصحكم ولا بأعلمكم) وفي هامش النسخة بخط المؤلف جملة أخرى هي (من جنس آخر) فتكون (1) الحملة هكذا (ليس من جنس آخر).

هكذا وردت الكلمة في هامش أ، وهي ليست في ب، ويبدو أن المراد وهذا العرض. (0)

بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدّة ومهيَّأة للكافرين بالله ورسله، فاحذروا الكفر برسوله بعدما تبين لكم أنه رسول الله.

وهذه الأية ونحوها يسمونها آيات

التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿ . وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن

يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم

كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل الذي له الكمال المطلق، والغني الواسع من كل الوجوه؟ هنذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدني ذوق ومعرفة [بانواع] الكلام، إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء، ظهر له الفرق

وفي قوله: ﴿وإن كنتم في ريب﴾ إلى آخره، ذليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: [هو] الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فمهذا إذا بين له الحمق فمهمو حمري بالتوفيق (١١)، إن كان صادقاً في طلب

وأما المعاند الذي يعرف الحق ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعدما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه.

وكذلك الشاك غير الصادق(٢) في طلب الحق، بل هو معرض غير مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه

وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دلالة على أن أعظم أوصافه عِين، قيامه بالعبودية التي لا يلحقه فيها أحدمن الأولين والاخرين.

كما وصفه بالعبودية في مقام الإسراء، فقال: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ وفي مقام الإنزال، فقال: ﴿تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ﴾ .

وفي قوله: ﴿أعدت للكافرين﴾ ونحوهًا من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافاً للمعتزلة، وفيها أيضاً، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: ﴿أُعدت للكافرين﴾ فلو كان [عصاة

وفيه دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر وأنواع المعاصي على اختلافها.

﴿ ٣٥﴾ ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا

الموحدين] يخلدون فيها لم تكن معدة

للكافرين وحدهم، خلافاً للخوارج

والمعتزلة .

الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون، لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جبزاء المؤمنين أهل الأعبمال الصالحات على طريقته تعالى في القرآن^(۴)، يجمع بين الترغيب والترهيب، ليكون العبد راغباً راهباً، خائفاً راجياً، فقال: ﴿وبشُر﴾ أي: [يا أيها الرسول ومن قيام مقيامه](٢)، ﴿الذين آمنوا﴾ بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات، بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة.

ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودنياه، وحياته الدنيوية والأخروية، وينزول بها عنه فساد الأحوال، فيكون بذلك من الصالحين الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في

فبشرهم ﴿أنَّ لهم جنات ﴾ أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة،

وَيَشْهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَيهُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّا لَهُ مُجَنَّاتِ تَحَدَّى مِن عَنْهَا ٱلْأَنْهَا رَبِّكُ لَمَا زُوْفُوا مِنْهَا مِن أَسَرَوَ رَزَقًا فَسَالُواْ هَسَ ذَا ٱلَّذِى رُرِفَنَا مِن مَسْلُ وَأَثُواْ مِدِء مُسَكِيهًا ۗ وَلَهُ رَفِهَا أَزُورَجُ مُطَلَقًارَةً وَهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ٥ . إِنَ آفَةَ لَا يَسْتَعَي تأن يَضْرِبَ مَشَكُا مَّا بَعُوضَ مُ وَقَا فَأَمَّا الَّذِي ءَامَوُا فِيصَلَّوْكَ أَنَّهُ الْحَقِّينِ رَبِّهِ قُرُواْمَا ٱلَّذِيبَ كَنَدُوا فَيَقُولُونَ مَانَاۤ الْاَدَاللَّهُ بِهِهَا فَا مَشَكَا بُنِيلً بِهِ. كَيْبِكَا وَيَهْدِى بِهِ ، كَيْبِكَأْ وَمَا يُّفِيدُ لِّهِ وَإِلَّا ٱلْفَنْسِفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِشَاعِهِ = وَيَفْطَعُونَ مَا آَمَزَالَتَهُ بِهِ ءَأَن مُوسَلَ وَتُفْسِيدُ وَسَرَيْ ٱلْأَرْضِ أُوْلَيْهَا كَالْمَالُخَسِرُونَ ۞ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِأَلْقِوَكُنْتُهُ أَمُونَا فَأَخْبُكُمُ ثُرِّيْتُ تُحَمِّمُ ثُرِّيْتُ بِكُونُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ هُوَالَّذِي خَلَقَ لَحُم مَّافِ ٱلْأَرْضِ جَيعًا لُوْكَاسُتَوْكَا إِلَى ٱلسَّمَآ أُ فَسَوَّنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَيِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ ON THE PROPERTY

والشمار الأنيقة والنظل المديند، [والأغيصان والأفينان وببذليك](°) صارت جنة يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، وتشرب^(١) منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار.

﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اني: هذا من جنسه وعلى وصفه، كلها متشابهة في الحسن واللذة، ليس فيها ثمرة خاصة، وليس لهم وقت خال من اللذة، فهم دائماً متلذذون بأكلها.

وقوله: ﴿وأتوابه متشابهاً ﴿ قيل: متشابهاً في الاسم، مختلف الطعوم وقيل: متشابهاً في اللون مختلفاً في الاسم، وقيل: يشبه بعضه بعضاً في الحسن واللَّذة والفكاهة، ولعل هذا هو الصحيح(^).

ثم لما ذكر مسكنهم وأقواتهم من الطعام والشراب وفواكههم، ذكر أزواجهم، فوصفهن بأكمل وصف وأوجزه وأوضحه، فقال: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ فلم يقل المطهرة من

في أ: أي: يا محمد. (٤)

في ب: وتسقى. (٦) في ب: مختلفاً في الطعم. (V)

في ب: المديد ما صارت به جنة. في ب: كما هي طريقته تعالى في (0)

في ب: باتباعه. (1)

(٣)

في ب: الذي ليس بصادق. **(Y)**

في ب: أحسن، (A)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَيْهِ حَكِمْ إِنِّ جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِفَ مُّ قَالُواْ أَخَعَلُ فِهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآةَ وَخَنْ نُسُيِّحُ بَعَنْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكُ قَالَ إِنَّ أَعَكُرُمَا لَاتَفَالُونَ ﴿ وَعَلَمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُرَّعَهُمُ مُعَلَ ٱلْكَثَيْكَةِ فَعَالَ ٱلْيُونِ بَأَسْنَآءِ هَوْكُادَهِ إِن كُنتُ رَسَادِ فِينَ ۞ فَالْوَاسُوْخَنَكَ لَاعِلْرَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْنَنَا ۗ إِنَّكَ أَنَ ٱلْعَلِيدُ لَلْحَكِيدُ ۞ قَالَ يَقَادَمُ أبننه ربأستآ بعثر فكتآ أنبأهم بأستآبهذ فال ألزأفل لكثر إِنَّ أَعَكُرُ عَيْبَ ٱلسَّمَ وَالرَّضِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعَكُرُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا كُنُنَّدُ تَكْتُمُونَ ۞ وَإِذْ فُلْنَا اِلْمُلَتِهِكُوْ اَسْجُمُواْ اِلْآَمَ مَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِسَ أَيْنَ وَأَسْتُكُمِّرُ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَفِرِينَ ۞ وَقُلْنَا يَتَنَادَمُ ٱسْكُنَّ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْحُنَّةَ وَكُلَامِنْهَا رَعَدُّا حَيْثُ شِنْشًا وَلَانَفْ رَيَا هَاذِهِ ٱلشَّجْرَةَ فَتَكُونَامِنَ ٱلظَّالِيدِي ﴿ مَأْزَفُّ مَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا كِمَّا كَانَافِيِّهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْبِعَضُكُرْلِتَضِعَدُوًّ

وَلَكُوْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرُّ وَمَنْكُمُ إِلَاجِينِ ﴿ مَنَكُفِّى مَادَمُ

ين زَيِهِ ، كَلِنَتِ فَتَابَ عَلَيْهُ إِنَّهُ وهُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيدُ ۞

PONDAGE VERSED العيب الفلاني، ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق، مطهرات اللسان، مطهرات الأبصار، فأخلاقهن أنهن عُرُبٌ متحببات إلى أزواجهن بالخلق الحسن، وحسن التبعل والأدب القولي والفعلى، ومطهر خلقهن من الحيض والنفاس والمني، والبول والغائط، والمخاط والبصاق، والرائحة الكريهة، ومطهرات الخلق أيضاً بكمال الجمال، فليس فيهن عيب، ولا دمامة خلق، بل هن خيرات حسان، مطهرات اللسان والطرف، قاصرات طرفهن على أزواجهن، وقاصرات ألسنتهن عن كل كلام قبيح .

ففي هذه الآية الكريمة، ذكر المِشر والمبشر والمبشر به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشر: هو الرسول على ومن قام مقامه من أمته، والمبشر: هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمشربه: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، والسبب الموصل لذلك هو الإيمان والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة إلا بهما، وهذا أعظم بشارة حاصلة على يد أفضل الخلق،

بأفضل الأسباب.

وفيه استحياب بشارة المؤمنين وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها [وثمراتها]، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشري حاصلة للإنسان توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشري عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا

﴿٢٦ _ ٢٧﴾ ﴿إِنَّ الله لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وينفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهُ لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما﴾ أي: أيُّ مثل كان ﴿بعوضةً فما فوقها﴾ لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيى من الحق، وكأنَّ في هذا جواباً لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة، واعترض على الله في ذلك، فليس في ذلك محل اعتراض، بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم، فيجب أن تتلقى بالقبول والشكر، ولهذا قال: ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) فيتفهمونها، ويتفكرون فيها.

فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها حق، وما اشتملت عليه حق، وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثاً، بل لحكمة بالغة ونعمة

﴿وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مشلاً فيعترضون

ويتحيرون، فيزدادون كفرأ إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيماناً على إيمانهم، ولهذا قال: ﴿يضلُّ بِهِ كثيراً ويهدى بِهِ كثيراً﴾ فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية. قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون، فلا أعظم نعمة على العباد من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحبيرة [وضلالة] وزيبادة شر إلى شرّهم، ولقوم منحة [ورحمة] وزيادة خير إلى خيرهم، فسبحان من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال.

ثم ذكر حكمته في إضلال من يضلهم وأن ذلك عدلٌ منه تعالى(٢) فقال: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله؛ المعاندين لرسل الله؛ الذين صار الفسق وصفهم، فلا يبغون به بدلاً، فاقتضت حكمته تعالى إضلالهم لعدم صلاحيتهم للهدى، كما اقتضت حكمته وفضله هداية من اتصف بالإيمان وتحلى بالأعمال الصالحة.

والفسق نوعان: نوع مخرج من الدين، وهو الفسق المقتضي للخروج من الإيمان، كالمذكور في هذه الآية ونحوها، ونوع غير مخرج عن الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ [الآية].

ثم وصف الفاسقين، فقال: ﴿اللَّهِ نِنقَضُونَ عَهِدُ اللَّهِ مِن بِعَدُ ميثاقه ﴾ وهذا يعم العهد الذي بينهم وبينه ^(۳)؛ والذي بينهم وبين عباده ⁽¹⁾؛ الذي أكده عليهم بالمواثيق الثقيلة والإلزامات، فلا يبالون بتلك المواثيق، بل ينقضونها ويتركون أوامره، ويرتكبون نواهيه، وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق.

⁽٣) في ب: وبين ربهم.

في ب: الخلق. (3)

في ب: نسأل الله من فضله. (1)

نی ب: ثم ذکر حکمته وعدله نی **(Y)** إضلال من يضل.

وأخفى.

وكثيراً ما يقرن بين خلقه للخلق وإثبات علمه كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَعِلُمُ مِنْ خَلَقَ وهو اللطيف الخبير، لأن خلقه للمخلوقات أدل دليل على علمه وحكمته وقدرته.

﴿٣٠ ـ ٣٤﴾ ﴿وإذ قسال ربسك للملائكة إن جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبتهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر (°)، أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض، فقالت الملائكة عليهم السلام: ﴿ أَتَجِعلَ فيها من يفسد فيها ﴾ بالعاصى ﴿ويسفك الدماء ﴾ [و] هذا تخصيص بعد تعميم، لبيان [شدة] مفسدة القتل، وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة الجعول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا البارى عن ذلك، وعظموه، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة، فقالوا: ﴿ونحن نسبِّح بحمدك﴾ أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ﴿ونقدس لك﴾ يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي:

فی ب: هذا شروع في ابتداء خلق

آدم عليه السلام أبي البشر وفضله.

فيجازيكم الجزاء الأوفى، فإذا كنتم في تصرفه وتدبيره وبره، وتحت أوامره الدينية، ومن بعد ذلك تحت دينه الجزائي، أفيليق بكم أن تكفروا به، وهل هذا إلا جهل عظيم وسفه وحماقة ؟ (٢) بل الذي يليق بكم أن تؤمنوا به وتتقوه وتشكروه، وتخافوا عذابه وترجوا ثوابه.

﴿٢٩﴾ ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ أي: خلق لكم برآ بكم ورحمة، جميع ما عَلَى الأرض، للانتفاعُ والاستمتاع والاعتبار.

وفي هذه الآية العظيمة (٣) دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، لأنها سيقت في معرض الامتنان، يخرج بذلك الخبأنث، فإن [تحريمها أيضاً] يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته منعنا من الخبائث تنزيهاً لنا.

وقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماواتِ وهو بكل شيء عليم﴾

﴿ استوى ﴾: ترد في القرآن على ثلاثة معانى: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها الكمال والتمام، كما في ووله عن موسى: ﴿ولما بلغ أشده واستوی) وتارة تكون بمعنى «علا» و «ارتفع»، وذلك إذا عديت بـ «على» كما في قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرشُ (٤٠)، ﴿لتستووا على ظهوره﴾ وتارة تكون بمعنى «قصد» كما إذا عديت بر «إلى» كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض قصد إلى خلق السماوات ﴿فسواهن سبع سماوات﴾ فخلقها وأحكمها وأتقنها، ﴿وهو بكل شيء عليم ف ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، و ﴿يعلم ما تمسرون وما تعلنون) يعلم السرّ

﴿ ويسقط عون ما أمر الله به أن يوصل﴾ وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه

بالإيمان به والقيام بعبوديته، وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبته وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب، وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق^(١)

التي أمر الله أن نصلها.

فأما المؤمنون فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل من هذه الحقوق؛ وقاموا بها أتم القيام، وأما الفاسقون فقطعوها ونبذوها وراء ظهورهم معتاضين عنها بالفسق والقطيعة، والعمل بالمعاصى، وهو: الإفساد في الأرض.

ف ﴿ أُولِتُكَ ﴾ أي: من هذه صفته ﴿ هم الخاسرون ﴾ في الدنيا والآخرة، فحصر الخسارة فيهم، لأن خسرانهم عام في كل أحوالهم، ليس لهم نوع من الربح؛ لأن كل عمل صالح شرطة الإيمان، فمن لا إيمان له لا عمل له، وهذا الخسار هو خسار الكفر، وأما الخسار الذي قد يكون كفراً، وقد يكون معصية، وقد يكون تفريطاً في ترك مستحب، المذكور في قوله تعالى : ﴿إِنَ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسَرٌ ﴾ فهذا عام لكل مخلوق، إلا من اتصف بالإيمانُ والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصى بالصبر، وحقيقته فوات الخير الذي [كان] العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه .

﴿٢٨﴾ ثم قال تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي: كيف يحصل منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم؟ وأنعم عليكم بأصناف النعم، ثم يميتكم عند استكمال آجالكم، ويجازيكم في القبور، ثم يحييكم بعد البعث والنشور، ثم إليه ترجعون،

(1)

في ب: أورد آية أخرى هي: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

في ب: بحقوقهم. في ب: وسفه كبير، بل. **(Y)**

في ب: الكريمة. **(T)**

نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة.

قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنَّ أعلم الخليفة وما لا تعلمون ﴾؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر، فلو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبى منهم الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته لخلقه، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم'' من الخير والشر بالامتحان، وليتبين عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه واتصف به، فهذه حكم عظيمة يكفي بعضها في

ثم لما كان قول الملائكة عليهم السلام، فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، أراد الله تعالى أن يبين لهم من فضل آدم ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه، ف ﴿علم آدم ومن هو مسمى بها، فعلمه الاسم والمسمى، أي: الألفاظ والمعاني، حتى المكبر من الأسماء كالقصعة، والمصغر كالقصعة، والمصغر

﴿ يَ عَرِضَ هِمَ ﴾ أي: عرض المسميات ﴿ على الملائكة ﴾ امتحاناً لهم، هل يعرفونها أم لا؟

﴿ نقال أنبئوني بالسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴿ في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة.

﴿قالوا سبحانك﴾ أي: نُنَزِّهُك عن الاعتراض منا عليك ومخالفة أمرك، ﴿لا علم لنا﴾ بوجه من الوجوه، ﴿إلا ما علمتنا﴾ إياه، فضلاً منك وجوداً،

﴿إنك أنت العليم الحكيم ﴾ العليم الذي أحاط علماً بكل شيء ، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر . لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور ، فما خلق شيئاً إلا لحكمة ، ولا أمر بشيء إلا لحكمة ، والحكمة : وضع الشيء في موضعه اللائق به ، فأقروا واعترافهم عن معرفة أدنى شيء ، واعترافهم بفضل الله عليهم ، وتعليمه إياهم ما لا يعلمون .

فحينئذ قال الله: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ أي: أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة فعجزوا عنها. ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم ﴾ تبين للملائكة فضل آدم عليهم، وحكمة الباري وعلمه في استخلاف هذا الخليفة، ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض ﴾ وهو ما غاب عنا فلم نشاهده، فإذا كان عالماً بالغيب، فالشهادة من باب أولى، ﴿وأعلم ما تكتمون ﴾ .

ثم أمرهم تعالى بالسجود لآدم، إكراما له وتعظيماً، وعبودية لله تعالى، فامتشلوا أمر الله وبادروا كلهم بالسجود، ﴿إلا إبليس أبي﴾ امتنع عن السجود، واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ وهذا الإباء منه والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه، فتبينت حينتذ عداوته لله ولآدم، وكفره واستكباره.

عداوته لله ولادم، وكفره واستكباره. وفي هذه الآيات من العبر والآيات من العبر والآيات متكلماً يقول ما شاء ويتكلم بما شاء، وأنه عليم حكيم، وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالواجب عليه التسليم، واتهام عقله، والإقرار لله بالحكمة، وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة، وإحسانه بهم، بتعليمهم ما

جهلوا، وتنبيههم على ما لم يعلموه. وفيه فضيلة العلم من وجوه:

منها: أن الله تعرف لملائكته بعلمه وحكمته، ومنها: أن الله عرّفهم فضل العبد، ومنها: أن الله أمرهم بالسجود لآدم إكراماً له لما بان فضل علمه، ومنها: أن الامتحان للغير، إذا عجزوا عما امتحنوا به، ثم عرفه صاحب الفضيلة، فهو أكمل مما عرفه ابتداء، ومنها: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن، وبيان فضل آدم، وإفضال الله عليه، وعداوة إبليس له، إلى غير ذلك من العبر.

وسر - ٣٦ و وقلنا يا آدم اسكن وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما عما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين له لم خلق الله آدم وفضله، أتم نعمته عليه بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها ويستأنس بها، وأمرهما بسكنى الجنة والأكل منها وأعداكه، وقال الله له: ﴿إن لك والفواكه، وقال الله له: ﴿إن لك لا تظمأ فيها ولا تصرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى *.

﴿ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ نوع من أنواع شجر الجنة الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحاناً وابتلاء [أو لحكمة غير معلومة لنا] (٢)، ﴿فتكونا من الظالمين ﴾ دل على أن النهي للتحريم، لأنه رتب عليه الظلم.

فلم يزل عدوهما يوسوس لهما، ويزين لهما تناول ما نهيا عنه، حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه، ﴿وقاسمهما﴾ بالله ﴿إني لكما لن الناصحين﴾ فاغترابه وأطاعاه، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد، وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة.

﴿بعضكم لبعض عدو﴾ أي: آدم وذريته، ومن المعلوم أن العدو يجدّ ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشرّ إليه بكل طريق، ففي ضمن وحرمانه الخير بكل طريق، ففي ضمن هذا، تحذير بني آدم من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو من أصحاب السعير﴾ ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بش للظالمين بدلا﴾.

ثم ذكر منتهى الإهباط إلى الأرض، فقال: ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ أي: مسكن وقرار، ﴿ومتاع إلى حين﴾ انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة مؤقتة عارضة، ليست مسكناً حقيقياً، وإنما هي معبر ليست منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار.

﴿٣٧﴾ ﴿فتلقى آدم﴾ أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله ﴿من ربه كلمات﴾ وهي قوله: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الآية، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته ﴿فتاب﴾ الله ﴿عليه﴾ ورحمه ﴿إنه هو التواب﴾ لمن تاب إليه وأناب.

وتوبته نوعان: توفيقه أولاً، ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانياً.

﴿الرحيم﴾ بعباده، ومن رحمته بهم أن وفقهم للتوبة وعفا عنهم وصفح.

﴿٣٩ - ٣٩﴾ ﴿قلنا اهبطوا منها جيماً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فيلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون كرر الإهباط ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله: ﴿فإما يأتينكم مني هدى أي: أي وقت وزمان جاءكم مني - يا معشر الثقلين _ هدى ، أي: رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم من رضائي، ﴿فمن تبع ويدنيكم من رضائي، ﴿فمن تبع هداي منكم ، بأن آمن برسلي وكتبي واهتدى بهم ، وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب، والامتثال للأمر

والاجتناب للنهي، ﴿فلاخوف عليهم ولاهم يجزنون﴾.

وفي الآية الأخرى: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي﴾.

فرتب على اتباع هداه أربعة أشياء:

نفي الخوف والحزن، والفرق بينهما

أن المكروه إن كان قد مضى أحدث

الحزن، وإن كان مستظراً أحدث

الخوف، فنفاهما عمن اتبع هداه، وإذا

انتفيا حصل ضدهما وهو الأمن التام،

وكذلك نفي الضلال والشقاء عمن اتبع

هداه وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو

الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه،

حصل له الأمن والسعادة الدنيوية

والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل

هداه فكفر به وكذب بآياته.

ف ﴿أولئك أصحاب النار﴾ أي:
الملازمون لها ملازمة الصاحب
لصاحبه، والغريم لغريمه، ﴿هم فيها
خالدون﴾ لا يخرجون منها، ولا يفتر

والشقاء، فحصل له المرغوب واندفع

عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع

وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس إلى أهل السعادة وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم في الأمر والنهى.

ثم شرع تعالى يذكّر بني إسرائيل نِعَمَهُ عليهم وإحسانه، فقال:

أتى من بعدهم، فأمرهم بأمر عام، فقال: ﴿ اذكروا نعمت التي أنعمت عليكم ﴾ وهو يشمل سائر النعم التي سيذكر في هذه السورة بعضها، والمراد بذكرها بالقلب اعترافاً، وباللسان ثناء، وبالحوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضيه.

﴿وأوفوا بعهدي﴾ وهو ما عهده إليهم من الإيمان به وبرسله وإقامة شرعه، ﴿أوف بعهدكم﴾ وهو المجازاة على ذلك.

والمراد بمذلك: ما ذكره الله في قوله: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ، وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة [وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي] إلى قوله: ﴿فقد ضل سواء السبيل》.

ثم أمرهم بالسبب الحامل لهم على الوفاء بعهده، وهو الرهبة منه تعالى، وخشيته وحده، فإن من خشِيَهُ أوجبت له خشيته امتثال أمره واجتناب نهيه.

شم أمرهم بالأمر الخاص الذي لا يتم إيمانهم، ولا يصح إلا به، فقال: ﴿وآمنوا بما أنزلت ﴾ وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله واتباعه، ويستلزم ذلك الإيمان بمن أزل عليه، وذكر الداعي لإيمانهم به، فقال: ﴿مصدقاً لما معكم ﴾ أي: موافقاً لما معكم من الكتب غير نحالف موافقاً لما معكم من الكتب غير نحالف لها، فلا مانع لكم من الإيمان به، لأنه جاء بما جاءت به المرسلون، فأنتم أولى من آمن به وصدق به، لكونكم أهل الكتب والعلم.

وأيضاً فإن في قوله: ﴿مصدقاً لما معكم﴾ إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم بتكذيب ما معكم، لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسسى وغير هما من الأنبياء، فتكذيبكم له تكذيب لما معكم.

وأيضاً فإن في الكتب التي بأيديكم صفة هذا النبي الذي جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به كذبتم ببعض ما أنزل إليكم، ومن كذب

ببعض ما أنزل إليه فقد كذب بجميعه، كما أن من كفر برسولٍ، فقد كذب الرسل جميعهم.

فلما أمرهم بالإيمان به، نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر به، فقال: ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي: بالرسول والقرآن.

وفي قوله: ﴿أول كافر به﴾ أبلغ من قوله: ﴿ولا تكفروا به﴾ لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم.

ثم ذكر المانع لهم من الإيمان، وهو اختيار العرض الأدنى على السعادة الأبدية، فقال: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ وهو ما يحصل لهم من المناصب والمآكل، التي يتوهمون انقطاعها إن آمنوا بالله ورسوله، فاشتروها. بآيات الله واستحبوها وآثروها.

﴿وإياي﴾ أي: لا غيري ﴿فاتقون﴾ فإنكم إذا اتقيتم الله وحده، أوجبت لكم تقواه تقديم الإيمان بآياته على الثمن القليل، كما أنكم إذا اخترتم الثمن القليل، فهو دليل على ترحل التقوى من قلوبكم.

شم قال: ﴿ولا تلبسوا﴾ أي: غلطوا ﴿الحق بالباطل وتكتموا الحق فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل وكتمان بيان الحق ؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق من الباطل وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين أمن سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو

من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين.

ثم قال: ﴿وأقيموا الصلاة ﴾ أي: ظاهراً وباطناً ﴿وآتوا الزكاة ﴾ مستحقيها، ﴿واركعوا مع الراكعين ﴾ أي: صلوا مع المصلين، فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسل الله وآيات الله، فقد جمعتم بين الأعمال المعبود والإحسان إلى عبيده، وبين البعادات القلبية والبدنية والمالية.

وقوله: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبر عن الصلاة ببالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها.

﴿٤٤﴾ ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ أي: بالإيمان والخير ﴿وتنسون انفسكم﴾ أي: تتركونها عن أمرها بذلك، والحال: ﴿وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ وأسمى العقل (١) عقلاً لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به عما يضره، وذلك أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، دل على عدم عقله وجهله، خصوصاً إذا كان عالماً بذلك، قد قامت عليه الحجة.

وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التربيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك

أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضاً فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قولُه فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

وه ٤ _ ٤٨) وواستعينوا بالصبر والمصلاة وإنها لكبيرة إلاعلى الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون * يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾ أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور ﴿ وَإِنها ﴾ أي: الصلاة ﴿ لكبيرة ﴾ أي: شاقة ﴿إلا على الخاشعين ﴾ فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع وخشية الله ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحاً صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعى له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه.

والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه ذلاً وافتقاراً، وإيماناً به وبلقائه.

ولهذا قال: ﴿الذين يظنون﴾ أي:
يستيقنون ﴿أنهم ملاقو ربّم﴾
فيجازيهم بأعمالهم ﴿وأنهم إليه
راجعون﴾ فهذا الذي خفف عليهم
العبادات وأوجب لهم التسلي في
الصيبات، ونفس عنهم الكربات،
وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء
لهم النعيم المقيم في الغرفات
العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه،
كانت الصلاة وغيرها من العبادات من
أشق شيء عليه.

ثم كرر على بنى إسرائيل التذكير بنعمته، وعظاً لهم وتحذيراً وحقاً. وخوفهم بسيوم القيامة المذي ﴿لا تجزى﴾ فيه، أي: لا تغني ﴿نفسٌ ﴾ ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين وعن نفس﴾ ولو كانت من العشيرة الأقربين ﴿شيئاً ﴾ لا كبيراً ولا صغيراً، وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه، ﴿ وَلا يَقْبِلُ مِنْهَا ﴾ أي: النفس، شفاعة لأحسد بسدون إذن الله ورضساه عسن المشفوع له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة، ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي: فداء ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب﴾ ولا يقبل منهم ذلك ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي: يدفع عنهم المكروه، فنفى الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله: ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾ هذا في تحصيل المنافع، ﴿ولا هم ينصرون﴾ هذا في دفع المضار، فهذا الشفى لاأمر المستقل^(١) به النافع.

﴿ولايقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل﴾ هذا نفي للنفع الذي يطلب عن يملكه بعوض كالعدل، أو بغيره كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع ويدفع المضار، فيعبده وحده

لا شريك له، ويستعينه على عبادته.

﴿٤٩ ــ ٥٧﴾ ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وإذُ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون * وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون * وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قومُ إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارتكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم * وإذ قلتم یا موسی لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون * وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ هذا شروع في تعداد نعمه على بني إسرائيل على وجه التفصيل، فقال: ﴿وإذ نجّيناكم من آل فرعون﴾ أي: من فرعون وملثه وجنوده، وكانوا قبل ذلك ﴿يسومونكم﴾ أي: يولونهم ويستعملونهم، ﴿سُوء العذابِ﴾ أي: أشده سأن كانوا ويذبحون أبناءكم خشية نموكم فويستحيون نساءكم أي: فلا يقتلونهن، فأنتم بين قتيل ومذلل بالأعمال الشاقة، مستحيئ على وجه المنة عليه والاستعلاء عليه فهذا غاية الإهانة، فمنَّ الله عليهم بالنجاة التامة وإغراق عدوهم

وهم ينظرون لتقر أعينهم. ﴿وفي ذلكه أي: الإنجاء ﴿بلاء ﴾ أي: إحسان ﴿من ربكم عظيم ﴾ فهذا مما يوجب عليكم الشكر والقيام بأوامره.

ئم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليه التوراة المتضمنة

الْمُنَا أَهْبِطُواْ مِنْهَا جَبِيعًا فَإِمَّا يَأْنِينَكُم مِنِي هُدًى فَنَ سَبِعَ هُدَاىَ فَلَاحَوْفُ عَلَيْهِ رُولَاهُ رَيْمَزُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَفُرُواْ وَكَذَبُوا بِعَالِنِينَا أَوْلَتِهِكَ أَصْلُ النَّارِيمُ فِيهَا خَلِدُونَ ا بَنِيَ إِسْزَةِ مِلَ أَذَكُرُ وَأَنِعْمَتَ الِّي آنَعَنْتُ عَلَيْكُرُ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِيمِهْ يَكُرُ وَإِنَّنِي فَأَرْهَبُونِ ۞ وَوَامِنُواْ بِمَا أَزَلْتُ مُصَيِّفًا لِلَامَعَكُوْ وَلَا تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرِيدٍ ، وَلَا نَشْتُرُ وَابِعَا بَنِي ثَمَنَا فَلِيلًا وَإِنِّنَ فَاتَّقُونِ ۞ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْفَطِلِ وَيَتَكُمُّوا ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ مَا لَوُدَ ۞ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكُوَّةَ وَٱرْكَحُوا مَعَ الرَّكِينَ ﴿ • أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِٱلْبِرُونَنَسَوْنَ أَنفُسَكُرُ وَأَشَدْنَتْكُونَ ٱلْكِنَبُ أَفَلَا مَعْفِلُونَ ﴿ وَأَسْتَعِبنُوا إِلْضَهْرِ وَالسَّلَوْذُوَ إِنَّهَا لَكِيرَةً إِلَّاعَلَ لَلْمَنْيُدِينَ ۞ ٱلَّذِينَ بَعَلْنُونَ أَنْهُمُ مُلَاعُواْ رَبِّهِمْ وَأَنْهُمُ إِلَيْهِ رَجِعُونَ ۞ بَبَيْ يَاسَرُهُ بِلَ اَذَكُرُواْ نِعْمَنِيَ الْمَيْ أَفَعَنْتُ عَلَيْكُوْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُوْ عَلَى ٱلْعَلَيْدِينَ ﴿ وَاَتَّفُواْ يَوْمًا لَّا يَحَذِي نَفْسُ عَن نَفْسٍ شَنِعًا وَلَايُعُبَرُهُمْ } الله المُعْمَدُ وَلَا يُؤْخَدُ مِنْهَا عَمَالًا وَلَا هُمْ يُعَمُّونَ عَلَى اللَّهُ وَلَا هُمْ يُعَمُّونَ عَلَ DESCRIPTION VEGREEON

للنعم العظيمة والمصالح العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال المعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه.

﴿وأنتم ظالمون﴾ عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة، فهو أعظم جرماً وأكبر إثماً.

ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضاً، فعفا الله عنكم بسبب ذلك ﴿لعلكم تشكرون﴾ الله .

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ وهذا غاية الظلم والجسراءة على الله وعلى رسوله، ﴿وأَخُذْتُكُم الصاعقة ﴾: إما الموت، أو الغشية العظيمة، ﴿وأنتم تنظرون ﴾ وقوع ذلك، كل ينظر إلى صاحبه ﴿ثم بعشناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾

ثم ذكر نعمته عليهم في التيه والبرية الخالية من الظلال وسعة الأرزاق، فقال: ﴿وظلّنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم الن﴾ وهو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل والكمأة والخبز وغير ذلك، ﴿والسلوى﴾ طائر صغير يقال له السماني، طيب اللحم، فكان ينزل عليهم من المن والسلوى ما يكفيهم

النقالان المنتخب المنتقالان المن

ويقيتهم ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أي: رزقاً لا يحصل نظيره لأحل المدن المترفهين، فلم يشكروا هذه النعم، واستمروا على قساوة القلوب وكثرة الذنوب.

مَارَزَفْنَكُرُ وَمَاظَلُمُونَا وَلَكِنَ كَانُوۤا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٢

ويره الدنوب. ﴿ وما ظلمونا ﴾ يعني بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا لأن الله لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين، ﴿ ولكن كانوا أنفسهم ظلمون ﴿ فيعود ضرره عليهم.

﴿٨٥ _ ٩٥﴾ ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حِطّة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين * فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون، وهذا أيضاً من نعمته عليهم بعد معصيتهم إياه، فأمرهم بدخول قرية تكون لهم عزأ ووطناً وسكناً، ويحصل لهم فيها الرزق الرغد، وأن يكون دخولهم على وجه خاضعين لله فيه بالفعل، وهو دخول الباب ﴿ سُجِّداً ﴾ أي: خاضعين دليلين، وبالقول وهو أن يقولوا: ﴿حِطَّةُ ﴾ أي: أن يحط عنهم خطاياهم بسؤالهم إياه مغفرته.

﴿نغفر لكم خطاياكم ﴾ بسؤالكم المغفرة، ﴿وسنزيد المحسنين ﴾ بأعمالهم، أي: جزاء عاجلاً وآجلاً، ﴿فبدل الذين ظلموا ﴾ منهم، ولم يقل

فبدلوا لأنهم لم يكونوا كلهم بدلوا ﴿قولاً غير الذي قيل لهم ﴾ فقالوا بدل حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله واستهزاء، وإذا بدلوا القول مع خفته فتبديلهم للفعل من باب أولى وأحرى، ولهذا دخلوا يزحفون على أدبارهم، ولما كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم، قال: ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا ﴾ منهم ﴿رجزاً ﴾ أي: عذابا ﴿من السماء ﴾ بسبب فسقهم وبغيهم.

فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين، استسقى أي: طلّب لهم ماء يشربون منه، ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ إما حجر مخصوص معلوم عنده، وإما اسم جنس، ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ وقبائل بني إسرائيل اثنتا عشرة قبیلة، ﴿قدعلُم كل أناس﴾ منهم ﴿مشربهم﴾ أي: مُحلهم الذي يشربونُ عليه من هذه الأعين، فلا يزاحم بعضهم بعضاً، بل يشربونه متهنئين لا متكدرين، ولهذا قال: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله أي: اللذي أتاكم من غير سعي ولا تعب، ﴿ولا تعثوا في الأرض﴾ أي: تخربوا

على وجه الإفساد.

(17) ﴿ وَإِذْ قَلْتُم يَا مُوسَى لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامُ وَاحَدُ فَادَعُ لِنَا رَبِكُ يَخْرِجُ لِنَا مَا تَنْبِتَ الأَرْضُ مِنْ يَقْلَهَا وَقُومَها وَعَدَسِها وَبِصَلْها قَالَ خَيْرِ اهْبِطُوا مَصْراً فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتَ عَلَيْهِمَ اللّٰذِي هُو وَضُرِبَتَ عليهِم الذَلَةُ والمسكنةُ وَباؤُوا بِغَضْبِ مِنْ الله ذَلْكُ بِأَنْهِم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتُ الله ويقتلون النبيين بغير يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير أي واذكروا، إذ قلتم لموسى على وجه أي: واذكروا، إذ قلتم لموسى على وجه التملل لنعم الله والاحتقار لها: ﴿لَنْ السِمِلُ للعم واحد﴾ أي: جنس من الطعام، وإن كان كما تقدم أنواعاً، والطعام، وإن كان كما تقدم أنواعاً،

لكنها لا تتغير، ﴿فادع لنا ربك يخرج

لنا عما تنبت الأرض من بقلها ﴾ أي: نباتها الذي ليس بشجر يقوم على ساقه، أي: شومها ﴾ وهو الخيار ﴿وفومها ﴾ أي: ثيومها ، والبعدس والبيصل معروف، قال لهم موسى ﴿ أتستبدلون الذي هو خير ﴾ وهو الأطعمة والسلوى، فهذا غير لائق بكم، فإن هذه الأطعمة التي طلبتم ، أيَّ مصر الأوعمة والمن عليكم، فهو خير الأطعمة وأشرفها، فكيف تطلبون به الأطعمة وأشرفها، فكيف تطلبون به بدلاً ؟

ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم من جنس عملهم، فقال: ﴿وضربت عليهم الذلة﴾ التي تشاهد على ظاهر أبدانهم ﴿والمسكنة﴾ بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، ولا لهم همم عالية، بل أنفسهم أنفس مهينة، وهمهم أردأ الهمم، ﴿وباؤوا بغضب من الله﴾ أي: لم تكن غنيمتهم التي رجعوا بها وفازوا، إلا أن رجعوا بسخطه عليهم، فبئست الغنيمة غنيمتهم، وبئست الخاله حالتهم،

﴿ذلك﴾ الذي استحقوا به غضبه ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ الدالات على الحق الموضحة لهم، فلما كفروا بها عاقبهم بغضبه عليهم، وبما كانوا ﴿يقتلون النبين بغير الحق﴾

وقوله: ﴿بغير الحق﴾ زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، لكن لثلا يظن جهلهم وعدم علمهم.

﴿ ذَلْكُ بِما عَصَوا﴾ بأن ارتكبوا معاصي الله ﴿ وكانوا يعتدون ﴾ على عباد الله ، فإن المعاصي يجر بعضها بعضاً ، فالغفلة ينشأ عنها الذنب الصغير ، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير ، ثم ينشأ عنها أنواع البدع والكفر وغير ذلك ، فنسأل الله العافية من كل بلاء .

واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال

وتعمهم.

الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر، فهو بيضد هذه الحال، فعليه الخوف والحزن.

والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد شخص وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء.

وذلك والله أعلم - أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، وقبائحهم النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه، ولما كان أيضاً ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص بهم. ذكر تعالى حكماً عاماً يشمل الطوائف كلها، ليتضح الحق، ويزول التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين.

ثم عاد تبارك وتعالى يُوبِّخُ بني إسرائيل بما فعل سلفهم.

﴿٣٣ - ٤٤ ﴾ ﴿وإذ أخذنا ميثاتكم ورفعنا فوقكم الطُورَ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون * ثم عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ﴾ أي: واذكروا ﴿إذ أخذنا ميثاقكم ﴾ وهو العهد الثقيل المؤكد بالتخويف لهم ، برفع الطور فوقهم (١) ، وقيل لهم : ﴿خذوا ما آتيناكم ﴾ من التوراة على أوامر الله ، ﴿واذكروا ما فيه ﴾ أي : ما في كتابكم بأن تتلوه أي : ما في كتابكم بأن تتلوه وتتعلموه ، ﴿لعلكم تتقون ﴾ عذاب الله وسخطه ، أو لتكونوا من عذاب الله وسخطه ، أو لتكونوا من

الذكورة خوطبوا بها وهي فعل اسلافهم، ونسبت إليهم لفوائد عديدة، منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل أحد [منهم] أنهم لسوا

من أهل الصبر ومكارم الأخلاق

ومعالى الأعمال، فإذا كانت هذه حالة

سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع

حالة ممن بعدهم فكيف الظن

بالمخاطبين؟!! ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم نعمة واصلة إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها، لأنها نعم تشملهم

ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافيل وتتساعد على مصالحها، حتى كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكان الحدث من بعضهم حادثاً من الجميع؛ لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بصرر الجميع، وما يعمله من الشريعود بضرر الجميع.

ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحِكَم التي لا يعلمها إلا الله.

(۱۲) ثم قال تعالى حاكماً بين الفرق الكتابية: ﴿إِنَّ الذِينَ آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَن أمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً عليهم ولا هم يحزنون وهذا الحكم على أهل الكتاب خاصة، لأن الصابئين، الصحيح أنهم من جملة فرق النصارى، فأخبر الله أن المؤمنين من النصارى، واليهود والنصارى والصابئين، من آمن منهم بالله واليوم والصابئين، من آمن منهم بالله واليوم والخر، وصدّقوا رسلهم، فإن لهم

وَإِذْ قُلْنَا ٱذْخُلُواْ هَا ذِهِ ٱلْفَرْكِةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِفْتُ رَغَــَدُا وَأَدْخُـ لُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَغَفِرْلَكُوْ خَطَلِيَنَكُو وَسَنَزِيدُ لَلْمُحْسِنِينَ ﴿ فَبَدِّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَوْلَا عَيْرَ ٱلَّذِي فِيلَ لَمُهُ وَأَزَلْنَا عَلَى الَّذِيبَ طَلَعُوا يِجْزَايْنَ ٱلسَّمَاآهِ يَمَاكَ انُواْ يَفْسُفُونَ ۞ • وَإِذِ ٱسْتَسْفَى مُوسَىٰ لِفَوْمِهِ عَفَدُنا أَضْرِب بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرُ فَأَنفَجَرَتَ مِنْهُ ٱلْنَتَاعَشْرَةَ عَيْنَا فَذْعَلِرَكُلُ أَنَاسٍ مَشْرَبَهُمُّ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا نَفْنُواْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ وَإِذْ قُلْتُدُيْنُ مُوسَىٰ لَنَ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَنَا مِر وَاحِدٍ فَأَدْعُ لَنَا رَيَكَ يُخْرِجُ لَنَا مِنَا تُنُيِّتُ ٱلْأَوْضُ مِلْ بَقْلِهِ كَا وَقِئَا إِيهِ كَا وَفُومِهِ كَا وَعَدَيهِ هَا وَبَصَلِها ۖ قَالَ أَنْسَ تَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَأَذَنَّ مِٱلَّذِي هُوَخَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُومَا سَأَلْتُدُّ وَشُرِيَتْ عَلَيْهِدُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَّةُ وَبَأَءُ ويِغَضَّب مِّن ٱللَّهِ ذَالِكَ بِأَنْهُ مُزَّكَا نُواْ يَكْفُرُونَ بِعَابِنَتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّينِينَ بِعَنْ يِعَالِمُ إِنْ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَسَحَا اوُا يَعْتَدُونَ ۞ ON CROWN VERNING

أهل التقوي .

فبعد هذا التأكيد البليغ ﴿توليتم﴾ وأعرضتم، وكان ذلك موجباً لأن يحل بكم أعظم العقوبات، ولكن ﴿لولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾

(17 - 77) (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين أي: ولقد تقرر عندكم حالة (الذين اعتدوا منكم في السبت وهم الذين ذكر الله قصتهم مبسوطة في سورة الأعراف في قوله: (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت الآيات.

فأوجب لهم هذا الذنب العظيم، أن غضب الله عليهم وجعلهم ﴿قردة خَاسِئين﴾ حقيرين ذليلين.

وجعل الله هذه العقوبة ﴿نكالاً لما بين يديها ﴾ أي: لمن حضرها من الأمم، وبلغه خبرها ممن وقتهم، ﴿وما خلفها ﴾ أي: من بعدهم، فتقوم على العباد حجة الله، وليرتدعوا عن معاصيه، ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين، وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات.

⁽١) كذا في ب، وفي أ: برفع الطور

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَارَيْ وَٱلصَّابِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْدِ ٱلْآخِرِ وَعَيَدَلَ صَالِحًا فَلَهُ وَأَجْرُهُرُ عِندَرَيْهِمْ وَلَاخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحَرَثُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِسْلَقَاكُمْ وَدَفَعْنَ افَوْقَكُمُ ٱلظُّورَ خُذُواْمَآ مَايَنَ تَكُمُ بِمُوَرِّ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ مَنْفُونَ ﴿ ثُمَّ وَكُلُتُهُ مِنْ اللَّهِ وَلَاكَ فَلُولَا فَضَلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُ مُولَكُمْتُمُ مِّنَ ٱلْخَلِيرِينَ ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَٱلَّذِينَ آغَنَدُوْا مِنكُوْفِ ٱلسَّبْتِ مَغُلْنَا لَمُرَّكُونُواْ فِرَدَةً خَلِيئِينَ ۞ جَعَلْنَهَا تُكَالُا لِثَابَيْنَ يَدَيْهَا وَمَاخَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَلِذَقَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ مِنْ أَهْدَيَا مُرُكُمْ أَنْ مَذْجُواْ بَقَكَرَةً فَالْوَاْ أَتَنَّخِذُنَا هُزُولًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَحَكُونَ مِنَ ٱلْجَهَالِينَ ﴿ فَالْوَا آدَعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنِ لَنَا مَاهِي فَالَ إِنَّهُ بِمَوْلُ إِنَّهَا بِمَرَّةً * لَافَارِينٌ وَلَا يِكُرُ عَوَانُ ابِنِي ذَلِكَ فَأَفْصَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿ فَالْوَالْدَعُ لَنَارَبُكَ يُبَيِّن لَّنَا مَالُونَهُمَّا فَالَ إِنَّهُ يَعَقُولُ إِنَّهَ تَابَقَرَهُ مَهَ فَرَاهُ فَافِعٌ لَّوَنُهُ كَا نَسَدُّوا النَّفِطِينَ ۞

MONDAGE DECEMBER

﴿ ٦٧ _ ٧٤ _ ﴿ وَإِذْ قِسَالُ مَسُوسِينَ

لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون * قالوا ادع لنا ربك يبينٌ لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الأن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون * وإذ قتلتم نفسأ فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون * ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإنَّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴿ أَي: واذكروا ما جرى لكم مع موسى، حين قتلتم

قتيلاً وادارأتم فيه، أي: تدافعتم

واختلفتم في قاتله، حتى تفاقم الأمر

بینکم وکاد _لولا تبیین الله لکم _

يحدث بينكم شركبير، فقال لكم

موسى في تبيين القاتل: اذبحوا بقرة،

وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا: ﴿أَتَتَخَذَنَا هزواً﴾ فقال نبى الله: ﴿أُعُودُ بِاللهِ أَنْ أكون من الجاهلين، فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزيء بالناس، وأما العاقل فيري أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل، استهزاءه بمن هـو آدمـي مثـله، وإن كـان قـد فـضـل عليه، فتفضيله يقتضى منه الشكر لربه والرحمة لعباده. فلما قال لهم موسى ذلك، علموا أن ذلك صدق، فقالوا: ﴿ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴿ أي: ما سنها؟ ﴿قال إنه يقول: إنها بقرة لا فارض﴾ أي: كبيرة﴿ولا بكر﴾ أي: صغيرة ﴿عوان بين ذلك فافعلوا ما تـؤمرون﴾ واتـركـوا الـتـشـديـد

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول: إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ أي: شديد ﴿تسر الناظرين﴾ من حسنها.

والتعنت.

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا ﴾ فلم نهتد إلى ما تريد ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴿ وقال أنه يقول: إنها بقرة لا ذلول ﴾ أي: مذللة بالعمل، ﴿تشير الأرض ﴾ بالحراثة، ﴿ولا تسقي الحرث ﴾ أي: ليست بساقية، ﴿مسلَمة ﴾ من العيوب أو من العمل ﴿لاشية فيها ﴾ أي: لا لون فيها غير لونها الموصوف المتقدم.

﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ أي:
بالبيان الواضح، وهذا من جهلهم،
وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو
أنهم اعترضوا أي: بقرة لحصل
المقصود، ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة
فشدد الله عليهم، ولو لم يقولوا "إن
شاء الله لم يهتدوا أيضاً إليها،
﴿فذبحوها﴾ أي: البقرة التي وصفت
بتلك الصفات ﴿وما كادوا يفعلون﴾
بسبب التعنت الذي جرى منهم.

فلما ذبحوها، قلنا لهم اضربوا

القتيل ببعضها، أي: بعضو منها، إما معين أو أي: عضو منها، فليس في تعيينه فائدة، فضربوه ببعضها فأحياه الله، وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله، وكان في إحياته وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى، ﴿لملكم تعقلون﴾ فتنزجرون عن ما يضركم.

وثم قست قلوبكم أي: اشتدت وغلظت فلم تؤثر فيها الموعظة، ومن بعد ذلك أي: من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم لأن ما شاهدتم عما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها وكالحجارة التي هي أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار ذاب بخلاف الأحجار.

وقوله: ﴿أو أشد قسوة﴾ أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست ﴿أوَّ بمعنى ﴿بلّ . ثم ذكر فضيلة الأحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يشبط من خشية الله فبهذه الأمور فضكت قلوبكم، ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد، فقال: ﴿وما الله بغافل عما تعملون ﴾ بل هو عالم بها حافظ لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

واعلم أن كثيراً من الفسرين رحمهم الله قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيراً لكتاب الله، محتجين بقوله عليه: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله فإنه لا يجوز جعلها تفسيراً لكتاب الله قطعاً إذا لم تصح عن رسول الله في وذلك أن مرتبتها كما قال في السكتاب

ولا تكذبوهم، فإذا كان مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به، والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعاً بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب المغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموقق.

(۵۷ – ۷۸) ﴿ أَفْتُ طُمِعُونَ أَنْ يؤمنوا لكم وقدكان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله علیکم لیحاجوکم به عند ربکم آفلا تعقلون * أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون * ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإنَّ هم إلا يظنون﴾ هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم (١) لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هى من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم، يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء.

ثم ذكر حال منافقي أهل الكتاب فقال: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ فأظهروا لهم الإيمان قولاً بالسنتهم، ما ليس في قلوبهم، ﴿وإذا خلابعضهم إلى بعض﴾ فلم يكن عندهم أحد من غير أهل دينهم، قال بعضهم لبعض: ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ أي: أتظهرون لهم الإيمان وتخبرونهم أنكم مثلهم، فيكون

ذلك حجة لهم عليكم؟

يقولون: إنهم قد أقروا بأن ما نحن عليه حق، وما هم عليه باطل، فيحتجون عليكم بذلك عند ربكم ﴿أفلا تعقلون﴾أي: أفلا يكون لكم عقل فتتركون ما هو حجة عليكم؟ هذا يقوله بعضهم لبعض.

﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فهم وإن أسروا ما يعتقدونه فيما بينهم، وزعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين، فإن هذا غلط منهم وعلنهم، فيظهر لعباده ما أنتم عليه.

﴿ومنهم﴾أي: من أهل الكتاب ﴿أميُون﴾أي: عوام، ليسوا من أهل العلم، ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط، وليس عندهم خبر بما عند الأولين الذين يعلمون حق المعرفة حالهم، وهؤلاء إنما معهم ظنون وتقاليد لأهل العلم

فذكر في هذه الآيات علماءهم وعوامًهم، ومنافقيهم ومن لم ينافق منهم، فالعلماء منهم متمسكون بما هم عليه من الضلال، والعوام مقلدون لهم لا بصيرة عندهم، فلا مطمع لكم في الطائفتين.

﴿٧٩﴾ ﴿ فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتببت أيديهم وويل لهم مما لكتاب، الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون: ﴿ هذا من عند الله وهذا فيه إظهار الباطل وكتم الحق، وإنما فعلوا ذلك مع علمهم ﴿ ليشتروا به ثمناً قليلا والدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل، فجعلوا باطلهم شركاً يصطادون به ما في أيدي الناس، فظلموهم من وجهين: من جهة تلبيس دينهم عليهم، ومن جهة أخذ أموالهم دينهم عليهم،

ا قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنِ لَنَامَا هِمَ إِنَّ ٱلْمُقَرِّ يَشَدِيَّهُ عَلَيْتَ إِلَّ وَإِنَّا إِن شَكَآءَ اللَّهُ لَهُ مَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُ يَعُولُ إِنَّهَ ابْضَرَةٌ ۗ لَاذَلُولٌ نَيْبُرُ ٱلْأَرْضَ وَلَاتَسْفِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَايْسِيَةً فِيهَا قَالُواْ ٱلْفَنَ جِنْتَ بِٱلْحَقِّ فَنَكَوْهَا وَمَاكَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿ وَإِذْ فَنَلْتُ مُنَفَّسًا فَأَذَّرُهُ ثُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْدِرَجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُسُونَ ۞ فَعَلْنَا أَضْرِيُوهُ بِبَعْضِمَّا لَذَلِكَ يُحَيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُوْ ءَايَننِهِ ءِلَعَلَكُوْ مَعْفِلُونَ ۞ ثُمَّ مَسَتْ قُلُويُكُم مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالِجْ جَلَاهِ أَوْأَشَدُّ فَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلِحْحَارَةِ لَاَيَتَفَجَّرُينُهُ ٱلْأَنْهَنُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَفَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَسَاةُ ا وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَفِيطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِعَلِيمِ عَمَّا فَصَلُونَ أفَظَمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُوْ وَقَدْ حَكَانَ فَكِرِينٌ و يَنْهُ دَيَسْمَعُونَ كُلَادَاللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ وُمِنْ بَعْدِ مَاعَقَلُوهُ اً وَهُمْ يَعْ لَمُونَ ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ مَامَنُواْ فَالْوَامْدَا ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوٓا أَتَحَكِيثُوْنَهُم عِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ أُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُمُ بِهِ عِندَرَيْكُو أَفَلَا تَمْقِلُونَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

بغير حق، بل بأبطل الباطل، أعظم عن يأخذها غصباً وسرقة ونحوهما، ولهذا توعدهم بهذين الأمرين، فقال: ﴿ فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم ﴾ أي: من التحريف والباطل، ﴿ وويلٌ لهم مما يكسبون ﴾ من الأموال، والويل: شدة العذاب والحسرة، وفي ضمنها الوعيد الشديد.

قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه الآيات من قوله: ﴿ أَفْتَطْمِعُونَ ﴾ إلى ﴿ يُعْلَمُ اللَّهِ فَمَ اللَّهِ فَمَ اللَّهِ فَمَ اللَّهِ فَعَلَمُ عَنْ مُواضِعَهُ، وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة.

وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروف، ومتناول لمن كتب كتاباً بيده مخالفاً لكتاب الله لينال به دنيا، وقال: إنه من عند الله، مشل أن يقول: هذا هو الشرع والدين، وهذا معنى الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأئمة، وهذا هو أصول الدين الذي يجب اعتقاده على الأعيان والكفاية، ومتناول لم كتم ما عنده من الكتاب والسنة، لم للا يحتج به مخالفه في الحق الذي

القبيحات.

أَوَلَا يَصْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَصْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُصْلِمُونَ 🕲 وَمِنْهُمْ أُمِيُّونَ لَابَعْ لَمُونَ الْحِينَبَ إِلَّا أَمَّ اِنْ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَطَنُّونَ ۞ فَوَيْلُ لِلَّذِينَ بَكُتُبُونَ ٱلْكِتَبَ بِأَيْدِيهِدْثُمُ يَقُولُونَ هَلْدَامِنْ عِندِاللَّهِ لِيَشْتَمُواْ بِهِ مَثَنَّا فَلِسَلًّا فَوَنَدُلُ لَهُمْ يَمَا كَنَيْتُ أَنَيْ يِعِدْ وَقَيْلُ لَمُّرْمَا ا بَكْسِبُونَ ۞ وَقَالُوا لَن تَنَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُوهَ أَ الْكُلْ قُلْ أَغَنَدْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدُأْ فَأَن يُغَلِّفَ اللَّهُ عَهْدَةُ وَأَمَّ تَعُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَانَفَ لَمُوتَ ﴿ مِلَا مَن كَسَبَ سَيِنَةُ وَأَحَطَفَ إِدِ خَطِيَّنَهُ مُفَافَلَتِهِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّ الْرِهُمْ فِيهَ كَذَا لِدُونَ ﴿ وَالَّذِينَ مَا مَثُوا وَكَلُوا الْ المسليحات أفلكيك أضك المنتوهريها خليدون ٥ وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَنَى بَنِيَ إِسْرَهِ مِلَ لَانَعَبُ دُونَ إِلَّا لَعَهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُسْرَةِي وَٱلْمِسَكِينِ إِلَيْ وَخُولُواْ لِلنَّسَاسِ حُسْسُنًا وَآفِيمُواْ ٱلعَسَلَوٰةَ وَيَاقُواْ ٱلرَّكُوٰةَ ثُمَّ وَلَيْتُ نُوْ إِلَّا فِلِسَلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُومُمْ فِيهُونَ ﴾ MONDAIN MORGEON

وهذه الأمور كثيرة جداً في أهل الأهواء جملة كالرافضة، وتفصيلاً مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء.

رم المام المعدودة قبل أتحدتم المنار إلا أياماً معدودة قبل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون \$ ذكر أفعالهم القبيحة، ثم ذكر مع هذا أنهم يزكون أنفسهم، ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وأنهم لن تحسهم النار إلا أياماً معدودة، أي: قليلة تعد بالأصابع، فجمعوا بين الإساءة والأمن.

ولما كان هذا مجرد دعوى، رد الله تعالى عليهم، فقال: ﴿قَلَ ﴾ لهم يا أيها الرسول ﴿أَخْذَتُم عَنْدُ اللهُ عهداً ﴾ أي: بالإيمان به وبرسله وبطاعته، فهذا الوحد الموجب لنجاة صاحبه الذي لا يتغير ولا يتبدل، ﴿أُم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ ؟ فأخبر تعالى أن صدق دعواهم متوقفة على أحد هذين الأمرين اللذين لا ثالث لهما: إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهداً، فتكون دعواهم صحيحة.

وإما أن يكونوا متقوّلين عليه فتكون

كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم وعذابهم، وقد علم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهداً لتكذيبهم كثيراً من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى أن قتلوا طائفة منهم، ولِنُكُولِهم عن طاعة الله ونقضهم المواثيق، فتعين بذلك أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه ما لا يعلمون، والقول عليه بلا علم من أعظم المحرمات وأشنع

ثم ذكر تعالى حكماً عاماً لكل أحد، يدخل به بنو إسرائيل وغيرهم، وهو الحكم غيره، وهو المانيهم ودعاويهم بصفة الهالكين والناجين، فقال: ﴿بلى أي: ليس الأمر كما ذكرتم، فإنه قول لا حقيقة نكرة في سياق الشرط، فيعم الشرك فما دونه، والمراد به هنا الشرك، بدليل قوله: ﴿وأحاطت به خطيئته ﴾ أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذاً، وهذا لا يكون إلا الشرك، فإن من معه وهذا لا يكون إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته.

﴿ فأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون﴾ وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل، فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه

﴿والذين آمنوا﴾ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ﴿وعملوا الصالحات﴾ ولا تكون الأعمال صالحة إلا بشرطين: أن تكون خالصة لوجه الله، متبعاً بها سنة رسوله.

فحاصل هاتين الآيتين أن أهل النجاة والفوز أهل الإيمان والعمل الصالح، والهالكون أهل السار المسركون بالله، الكافرون به.

﴿٨٣﴾ ﴿وإذ أخذنا ميشاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة

وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون وهذه الشرائع من أصول الدين التي أمر الله بها في كل شريعة، لاشتمالها على المصالح العامة في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين، ولهذا أمرنا الله بها في قوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً إلى آخر الآية.

فقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذُنَا مِيثَاقَ بِنِي إسرائيل﴾ هذا من قسوتهم أن كل أمر أمروا به، استعصوا؛ فلا يقبلونه إلا بالأيمان الغليظة والعهود الموثقة ﴿لا تسعسيدون إلا اللهِ حسدًا أمسرٌ بعبادة الله وحده، ونهى عن الشرك به، وهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها، فهذا حق الله تعالى على عباده، ثم قال:﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: أحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا يعمُّ كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم، وفيه النهى عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة، لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده.

وللإحسان ضدًان: الإساءة، وهي أعظم جرماً، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محرم، لكن لا يجب أن يلحق بالأول، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى والمساكين، وتفاصيل الإحسان لا تنحصر بالعد، بل تكون بالحد، كما تقدم.

ثم أمر بالإحسان إلى الناس عموماً، فقال: ﴿وقولوا للناس حسناً ﴾ ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة، وغير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾

ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به

عباده، أن يكون الإنسان نزيهاً في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذي، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملاً لكل أحد، صبوراً على ما يناله من أذى

الخلق، امتثالاً لأمر الله ورجاء لثوابه. ثم أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لما تقدم أن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة متضمنة للإحسان إلى العبيد.

﴿ أُم ﴾ بعد هذا الأمر لكم بهذه الأوامر الحسنة التي إذا نظر إليها البصير العاقل، عرف أن من إحسان الله إلى عباده أن أمرهم بها، وتفضل بها عليهم، وأخذ المواثيب عليكم حتوليتم ﴾ على وجه الإعراض، لأن المتولي قد يتولى وله نية رجوع إلى ما تولى ولا رجوع في هذه الأوامر، فنعوذ بالله من الخذلان.

وقوله: ﴿إِلا قليلاً منكم﴾ هذا استثناء لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلاً منهم عصمهم الله وئبتهم.

﴿ ٨٤ ــ ٨٩﴾ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أساري تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون * أولئك الذين اشتروا الحيباة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴿ وهذا الفعلُ المذكور في هذه الآية فعل للذين كانوا في زمن النوحس بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج _وهم الأنصار _كانوا قبل مبعث النبي ﷺ مشركين، وكانوا

يقتتلون على عادة الجاهلية، فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة.

فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم (١) الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضاً.

والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيراً منهم وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك، فقال: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ وهو فداء الأسير، ﴿وتكفرون ببعض﴾ وهو القتل والإخراج.

وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال تعلى: ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ﴿ وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، وأجلى من أجلى.

﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد المذاب أي: أعظمه ﴿وما الله بغافل عما تعملون ﴾

ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض الكتاب والإيمان ببعضه، فقال: ﴿أُولئكُ اللّٰين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، فلهذا قال: ﴿فلا يُخفف عنهم العذاب﴾ بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي:

يدفع عنهم مكروه.

﴿٨٧﴾ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيتنات وأيدناه بروح القدس أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً أن أرسل إليهم كليمه موسى وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أبياءهم بعيسي ابن مريم عليهم السلام، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ أي: قواه الله بروح القدس.

قال أكثر الفسرين: إنه جبريل عليه السلام، وقيل: إنه الإيمان الذي يؤيد الله به عباده.

ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها، لما أتوكم ﴿بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم عن الإيمان بهم، ﴿ففريقاً كُفريتم وفريقاً تقتلون خفدمتم الهوى على الهدى، وآثرتم الدنيا على الآخرة، وفيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى.

المدهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون الي اعتذروا عن الإيمان لما دعوتهم أيه الرسول، بأن قلوبهم عُلف، أي: عليها غلاف وأغطية، فلا تفقه ما تقول، يعني فيكون لهم بزعمهم عذر لعدم العلم، وهذا كذب منهم، فلهذا قال تعالى: (بل لعنهم الله بكفرهم أي: أنهم مطرودون ملعونون بسبب كفرهم، فقليلاً المؤمن منهم، أو قليلاً إيمانهم، وكفرهم هو الكثير.

﴿٩٠ _ ٩٠ ﴾ ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * بشسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا

بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين أو : ولما جاءهم كتابٌ من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم من التوراة، وقد علموا به وتيقنوه، من التوراة، وقد علموا به وتيقنوه، المسركين في الجاهيلية حروب، المستصروا بهذا النبي، وتوعدوهم معه، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي ينزل الله من فضله على من يشاء من ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله وغضب عليهم عباده، فلعنهم وشركهم.

ولهم في الآخرة عذاب مهين، أي: مؤلم موجع، وهو صلي الجحيم، وفوت النعيم المقيم، فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به وبكتبه وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم.

﴿ ٩١ ـ ٩٣﴾ ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين * ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم المجل من بعده وأنتم ظالمون * وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خلوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم المجل بكفرهم قل بنسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي: وإذا أمر اليهود بالإيمان بما أنزل الله على رسوله وهو القرآن، استكبروا وعتوا، و ﴿قالوا نؤمن بما آنزل حلينا، ويكفرون بما وراءه﴾ أي: بما سواه من الكتب، مع أن الواجب أَنْ يُؤْمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مَطَلَقًا، سُواء أنزل عليهم أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمانُ بما أنزل الله على جميع رسل الله.

وأما التفريق بين الرسل والكتب،

وزَعْم الإيمان ببعضها دون بعض، فهذا ليس بإيمان، بل هو الكفر بعينه ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقاً .

ولهذا ردَّ عليهم تبارك وتعالى هنا رداً شافياً، والزمهم إلزاماً لا محيد لهم عنه، فردَّ عليهم بكفرهم بالقرآن بأمرين، فقال: ﴿وهو الحقُّ ﴾ فإذا كان هو الحق في جميع ما اشتمل عليه من الإخبارات والأوامر والنواهي، وهو من عند ربهم، فالكفر به بعد ذلك كفر باش، وكفر بالحق الذي أنزله.

ثم قال: ﴿مصدقاً لما معهم﴾ أي: موافقاً له في كل ما دل عليه من الحق ومهيمناً عليه.

فلم تؤمنون بما أنزل عليكم، وتكفرون بنظيره؟ هل هذا إلا تعصبُ واتباع للهوى لا للهدى؟

وأيضاً فإن كون القرآن مصدقاً لما معهم، يقتضي أنه حجة لهم على صدق ما في أيديهم من الكتب، فلا سبيل لهم إلى إثباتها إلا به، فإذا كفروا به وجحدوه، صاروا بمنزلة من ادعى دعوى بحجة وبينة ليس له غيرها، ولا تتم دعواه إلا بسلامة بينته، ثم يأتي هو لبينته وحجته فيقدح فيها ويكذب بها، أليس هذا من الحماقة والجنون؟ فكان كفرهم بالقرآن كفراً بما في أيديم ونقضاً له.

ثم نقض عليهم تعالى دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم بقوله: ﴿قل﴾ الإيمان بما أنزل إليهم بقوله: ﴿قل﴾ من قبل إن كنتم مؤمنين * ولقد جاءكم موسى بالبينات أي: بالأدلة الواضحات البينة للحق ﴿ثم اتفذتم العجل من بعله ﴾ أي: بعد بجيئه ﴿وانتم ظالمون في ذلك ليس لكم عذر.

﴿وإِذَ أَخَلْنَا مِيثَاقِكُم ورفعنا فوقكم البطور، خيلوا منا آتينناكيم بيقوة واسمعوا﴾ أي: سماع قبول وطاعة

(۲) في ب: وشربها.

واستجابة، ﴿قالوا: سمعنا وعصينا﴾ أي: صارت هذه حالتهم ﴿وأُشْرِبُوا في قلوبُهم العِجلَ﴾ أي: صبغ حب العجل وحب عبادته في قلوبهم، وتشرَّبها(٢) بسبب كفرهم.

﴿قل بشسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي: أنتم تدعون الإيمان وتتمدحون بالدين الحق، وأنتم قتلتم أنبياء الله، واتخذتم العجل إلها من دون الله لما غاب عنكم موسى، نبي الله، ولم تقبلوا أوامره ونواهيه إلا بعد التهديد ورفع الطور فوقكم، فالتزمتم بالقول ونقضتم بالفعل، فما هذا الإيمان الذي ادعيتم، وما هذا الدين؟

فإن كان هذا إيماناً على زعمكم، فبئس الإيمان الداعي صاحبه إلى الطغيان والكفر برسل الله، وكثرة العصيان، وقد عهد أن الإيمان الصحيح يأمر صاحبه بكل خير، وينهاه عن كل شر، فوضح بهذا كذبه، وتين تناقضهم.

﴿ ٩٤ ـ ٩٦﴾ ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدأ بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجديهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لويعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر والله بصير بما يعملون﴾ أي: ﴿قل﴾ لهم على وجه تصحيح دعواهم: ﴿إِن كانت لكم الدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿خالصةً من دون الناس﴾ كما زعمتم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصاري، وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى ﴿فتمنُّوا الموت﴾ وهذا نوع

 بذلك كفرٌ بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملائكته، فإن عداوتهم لجبريل لا لذاته، بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله.

فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أرسل إليه، فهذا وجه ذلك.

﴿٩٩﴾ ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) يقول لنبيه ﷺ: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) تحصل ما الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على من عاند، وهي في الوضوح والدلالة على الحق، قد بُلغت مبلغاً عظيماً، ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلا من فسق عن أمر الله، وخرج عن طاعة الله، واستكبر غاية التكبر.

﴿١٠٠﴾ ﴿أُوكِلُما عاهدُوا عهداً نبذه فريت منهم بل أكثرهم لا يؤمنون، وهذا فيه التعجيب(١٦) من كثرة معاهداتهم، وعدم صبرهم على الوفاء بها .

ف «كلُّما» تفيد التكرار، فكلما وجد العهد ترتَّب عليه النقض، ما السبب في ذلك؟ السبب أن أكشرهم لا يؤمنون، فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود، ولو صدق إيمانهم لكانوا مثل من قال الله فيهم: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه).

﴿ ١٠١ ـ ١٠٣﴾ ﴿ وَلَّمَا جِــاءهـــم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذً فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد عليهم، وهو تمني الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك .

فعلم كلُّ أحد أنهم في غاية المعاندة والمحادة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ولن يتمنوه أبدأ بما قدمت أيديهم الكفر والعاصي، لأنهم يعلمون أنه طريق لهم إلى الجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بأحد من الرسل والكتب.

ثم ذكر شدة مجبتهم للدنيا، فقال: ﴿يُودُ أَحَدُهُمُ لُو يُعْمَرُ أَلْفُ سُنَّةٌ ﴾ وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، والحال أنهم ليو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئاً، ولا دفع عنهم من العذاب شيئاً. ﴿والله بصيرٌ بِما يعملون ﴾ تهديد

لهم على المجازاة بأعمالهم . ﴿٩٧ ــ ٩٨﴾ ﴿قبل من كبان عدواً

الجبريل فإنه نزله على قليك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين * من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٍّ للكافرين أي: قل لهؤلاء اليهود الذين زعموا أن الذي منعهم من الإيمان أن وليك جبريل عليه السلام، ولو كان غيره من ملائكة الله، لأمنوا بك وصدقوا، إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، وتكبر على الله، فإنَّ جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك، والله هو الذي أمره وأرسله بذلك، فهو رسول

مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل _ مصدقاً لما تقدمه من الكتب _ غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة بالخير الدنيوي والأخروي لمن أمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف

1 美國 وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ فَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءً كُمْ وَلَا تُحْرِجُونَ أَهْمُت كُم مِن دِينَدِ كُونُدُ أَقْرَائُمُ وَأَسْدُ نَشْهَدُونَ كَ الْمُدَّالَتُهُ مِّنْوُلَاةِ نَفْنُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَنُمْرِجُونَ فَرِيفًا مِنكُم مِن دِينرِهِمْ مَظَلَهَرُوتَ عَلَيْهِم بِالْإِنْمِ وَٱلْعُدُونِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسُارَىٰ شَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُوْمِنُونَ بِيَعْضِ ٱلْكَكْتُبُ وَتَكْفُرُونَ بِيَعْضِ فَمَاجَزَةً مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّاحِزَى فِ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيُّ ا وَيَوْمَ ٱلْقِينَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِ ٱلْعَدَابُ وَمَالَقَهُ بِعَلِيل عَمَّاتَعْمَلُونَ ﴿ أُوْلَتِهِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَقُا ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنْبَا إِ الْآخِرَةُ فَلَا يُغَنَّفُ عَنْهُمُ أَلْمَكَنَّابُ وَلَاهُمْ يُصَرُّونَ ١ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنْبَ وَقَفَّيْنَ امِنْ بَعْدِهِ مِالرَّسُلِّ وَءَاتَيْنَاعِيتَى اَنِ مَرْيَدَا ٱلْبَيْنَاتِ وَأَيْدَنَهُ رِمُعِ ٱلْفَدُيُّ الْفَكَ لَمَا عَامَلُ رَسُولُ إِمَا لَانَهُونَى أَنْفُ كُو السَمَّكُو السَمَّكُورُ مُم ﴿ فَفَرِيتًا كَذَّبْتُمْ وَفِرِيعًا تَقْنُلُونَ ۞ وَقَالُواْ فَلُواْنَا مُ اعْلَفْ مَل لَمَّنَّهُ مُ اللَّهُ يَكُفِّرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿ MOZIAGI W MORIZON علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من

خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون * ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يمسلمون، أي: ولما جماءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله الذي أنزل إليهم، أي: طرحوه رغبةً عنه ﴿وراءُ ظهورهم ﴾ وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين، وهم يعلمون صدقه، وحقية (٢) ما جاء به.

تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون.

ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرخمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلى بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي

بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلى بالباطل. كنذلنك هؤلاء اليهود لما نبذوا

قُلْ بِنْسَمَا يَأْمُرُكُمُ مِيتِإِيمَنْكُمُّ إِن كُنْتُرمُّ وْمِنِينَ۞

ACCEPT LEGISLES

كتاب الله اتبعوا ما تتلو الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله، وبه حصل له الملك العظيم .

وهم كذبةً في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزِّهه الصادق في قيله: ﴿وما كفر سليمان﴾ أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، ﴿ولكنَّ الشياطين كفروا، بذلك.

﴿ يعلُمون الناس السحر ﴾ من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحاناً وابتلاءً من الله لعباده فيعلمانهم السحر .

﴿وما يعلمان من أحد حتم ﴾ ينصحاه، و ﴿يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيانه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى من بسرأه الله منه وهو سليمان عليه السلام. وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما لئلا يكون لهم

فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكلِّ يَصبُو إلى ما يناسبه.

ثم ذكر مفاسد السحر، فقال: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، ومع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ وفي هذا دليل على أن السحر

له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي:

بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي كما في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ فإنه نزلُه على قلبك بإذن الله ﴿ وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهمًا بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل أحَّدٌ من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها

مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها

عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله

وسننة رسوله وإجماع البصحابة

والتابعين.

ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيوية كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصى، كما قال تعالى في الخمر والميسر: ﴿قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من تفعهماً♦ فهذا السحر مضرة محضة، فليس له داع أصلاً، فالمنهيات كلها إما مضرة محصّة، أو شرها أكبر من خيرها.

كما أن المأمورات إما مصلحة محضة، أو خيرها أكثر من شرها.

﴿ولقد علموا ﴾ أي: اليهود ﴿لن اشتراه ﴾ أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة.

﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ نصيب، بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلا، ولكنهم

استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

﴿ وَلَبِئُسَ مَا شُرُوا بِهِ أَنْفُسِهِمَ لُو كانوا يعلمون، علماً يثمر العمل ما فعلوه .

﴿ ١٠٤ _ ١٠٥﴾ ﴿ يِمَا أَيِّهَا الْمُدِينَ آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم * ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: ﴿راعنا﴾ أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحاً، وكان اليهود يريدون بها معنيّ فاسداً، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهي الله المؤمنين عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن، فقال: ﴿وقولوا انظرنا﴾ فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور، ﴿واسمعوا﴾ لم يذكر المسموع ليعم ما أمر باستماعه، فيدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة لفظأ ومعنى واستجابة، ففيه الأدب والطاعة .

ثم توعّد الكافرين بالعذاب المؤلم الموجع، وأخبر عن عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين، أنهم ما يودون ﴿أَن يَنْزُلُ عَلَيْكُمْ مِن خِيرٍ ﴾ أي: لا قليلاً ولا كثيراً ﴿من ربكم﴾ حسداً منهم، وبغضاً لكم أن يحتصكم بفضله ، فإنه ﴿ ذو الفضل العظيم ﴾ ومن فضله عليكم إنزال الكتاب على رسولكم، ليزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون، فله الحمد والمنةُ.

﴿١٠٦ ـ ١٠٧﴾ ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم Carling Carling

غُلِيان سحَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِسَرَةُ عِندَاَفَوِ خَالِصِهَةُ مِن

دُونِ ٱلنَّاسِ مَتَكُنُّوا لَلْوْتَ إِن كُسَمُ مَدِيقِينَ ۞ وَلَنَ

يَتَمَنَّوْهُ أَبَينًا عِمَامَةً مَتْ أَيْدِيهِ رُواْللَّهُ عَلِيدًا بِالظَّالِينَ ۞

وَلْتَجِدَنَٰهُمْ أَخْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَبُوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَضَرَكُواْ

يَوَدُّ لَحَادُ هُوْلَوَيُكُمُّ أَلْفَ سَنَةِ وَمَاهُوَ بُمُزَّرْجِهِ ، مِنَ

ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَكِّرُ وَأَقَدُ بَعِيدِ إِيمَا يَعْسَلُونَ ۞ قُلْ مَنَ

كَانَ عَدُوًّا لِجِعْرِيلَ فَإِنَّهُ وَنَزَّلُهُ عَلَىٰ فَلْبِلْكَ إِذْنِ اللَّهِ

مُصَرِيَّةً إِلَّا بَيْنَ بَدَّيْهِ وَهُدِّي وَيُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿ مَنْ كَانَ عَدُّوًّا يَقِهِ وَمَلَيَّا كَيْءِ وَرُسُلِهِ مَوَيَّهِ بِيلَ

وَمِيكَ الْمُ فَإِنَّ أَلَهُ عَدُوٌّ لِلْكَفِرِينَ ۞ وَلَقَدُ أَزَلُنَّا

إِلَيْكَ وَلِنَتِ يَيْنَنَّتُ وَمَا يَكُفُرُهُ كَا إِلَّا ٱلْفَاسِمُونَ ۞

أوَتَ لَمَاعَهُ وَاعَهُ دُانَتِ نَهُ وَيَعَى يَنْهُ رُبِلُ الْكُرُهُمْ

لَابُوْمِنُونَ ﴿ وَلَنَّا حَاآءَهُمْ رَسُولُ مِنْ عِندِاللَّهِ

مُعَدَدِقٌ لِمَامَعَهُ مُنَدَ وَيِقٌ مِنَ ٱلَّذِيكَ أُونُوا ٱلْكِئَبَ

كِنْبَ اللَّهِ وَرَآءَ مُلْهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَابِعَ لَمُونَ ۞

ON THE WORLD

ثم بعد ذلك أتى الله بأمره إياهم

بالجهاد، فشفى الله أنفس المؤمنين

منهم، فقتلوا من قتلوا، واسترقوا من

استرقوا، وأجلوا من أجلوا ﴿إن الله

ثم أمرهم [الله] بالاشتغال في

الوقت الحاضر بإقامة الصلاة وإيتاء

الزكاة، وفعل كل القربات، ووعدهم

أنهم مهما فعلوا من خير، فإنه

لا يضيع عند الله، بل يجدونه عنده

وافراً موفراً قد حفظه ﴿إِن الله بما

﴿ ١١١ ـ ١١٢﴾ ﴿ وقسالسوا لسن

يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى

حتى يأتى الله بأمره.

على كل شيء قدير).

قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل

ذلك، فقالوا أرنا الله جهرة﴾. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا

وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد أمر الله به، كما قال تعالى: ﴿فَاسَأَلُوا أَهُلِ الذَّكُرِ إِنْ كَنتُم لا تعلمون﴾. ويقررهم(١) عليه، كما والَّيسر﴾ و ﴿يسألونك عن اليتامي﴾

ولماكانت المسائل المنهي عنها - تعملون بصير ﴿ .

> ثم أخبر عن حسدِ كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم ألحال أنهم ودوا ﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً﴾ وسعوا في ذلك، وأعملوا المكايد، وكيدهم راجع عليهم، [كما] قال تعالى: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ وهذا من حسدهم الصادر من عند أنفسهم.

فأمرهم الله بمقابلة من أساء إليهم غاية الإساءة بالعفو عنهم والصفح

سواء السبيل * ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأت الله بأمره إن الله على كل شيء قدير * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير ﴾ ينهى الله المؤمنين أو اليهود، بأن يسألوا رسولهم ﴿كما سئل موسى من قبل﴾ والمراد ببذلك أستبلة التعنب والاعتراض، كما قال تعالى: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من

لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم) فهذه ونحوها هي المنهي

السماء، فقد سألوا موسى أكبر من

في قوله: ﴿يسألونكُ عِن الخمر ونحو ذلك.

مذمومة، قد تصل بصاحبها إلى الكفر، قال: ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾.

تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين * بلي من أسلم وجهه لله وهو عسنٌ فله أجره عند ربه ولا خوف صليهم ولا هم بحزنون﴾ أي: قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصاري: لن يدخل الجنة إلا من كان نصاري، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أماني غير مقبولة إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم صادفين، وهكذا كل من ادعى دعوى لا بد أن يُقيمَ البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه،

وادعى مدع عكسَ ما ادعى بلا برهان

تعلم أن الله على كل شيء قدير * ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) النسخ: هو النقل، فحقيقة النسخ نقل الكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر، أو إلى إسقاطه، وكان اليهود ينكرون النسخ ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوي

فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ، وأنه ما ينسخ من آية ﴿أُو نُنسِها ﴾ أي: ننسها العباد، فنزيلها من قلوبهم، ﴿نأت بخير منها﴾ وأنفع لكم

فدلَ على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول، لأن فضله تعالى يزداد خصوصاً على هذه الأمة، التي سهل عليها دينها غاية التسهيل.

وأخبر أن من قدح في النسخ فقد قدح في ملكه وقدرته، فقال: ﴿ أَلَّم تعلم أن الله على كل شيء قدير * ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض ﴾ فإذا كان مالكاً لكم، متصرفأ فيكم تصرف المالك البر الرحيم في أقداره وأوامره ونواهيه، فكما أنه لا حجر عليه في تقدير ما يقدره على عباده من أنواع التقادير، كذلك لا يعترض عليه فيما يشرعه لعباده من الأحكام. فالعبد مدبر مسخرتحت أوامر ربه الدينية والقدرية، فما له والاعتراض؟

وهو أيضاً ولي عباده ونصيرهم، فيتولاهم في تحصيل منافعهم، وينصرهم في دفع مضارهم، فمن ولايته لهم أن يشرّع لهم من الأحكام ما تقتضيه حكمته ورحمته بهم .

ومن تأمَّل ما وقع في القرآن والسنة من النسخ، عرف بذلك حكمة الله ورحمته عباده، وإيصالهم إلى مصالحهم من حيث لا يشعرون بلطفه.

﴿۱۱۸ ـ ۱۱۸﴾ ﴿أم تسريسدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من

إ وَاتَّبَعُواْ مَانَسْلُواْ الشَّيَطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَنَّ وَمَاكَثَرَ سُلَبْمَنُ وَلَاكِرَ ۖ الشَّبْطِينَ كَغَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنُرِلَ عَلَ ٱلْمُلْكَحَيْنِ بِسَائِلَ هَـُـرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَايُعُكِمَانِ مِنْ أَحَدِ حَنَّى يَقُولًا إِنَّمَا نَحَنُ فِشَتَةٌ فَلَا تَكُفُرُ فَيْتَعَلِّمُونَ مِنْهُمَا مَايُفَرَقُونَ بِهِ ، بَيْنَ ٱلْمُزْءِ وَزَفْجِهِ ، وَمَاهُم بِصَهَا زِيْتَ بِهِء مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَايَتَهُ رُهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدَ عَلِيمُوا لَمَن أَشْفَرَكُهُ مَالَهُ فِ ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٌ وَلِينْسَ مَاسْرَوْا بِهِ ت أَنْفُسَهُمْ لَوْكَانُواْ يَعْلَنُونَ ۞ وَلَوْأَنَّهُمُ وَامْنُواْ وَآتَ فَوَا لَمُثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَ الْوَايِعْ لَمُونَ ۞بَتَأَيُّهُمَ ٱلَّذِيكَ ءَامَنُواْ لَائَـ قُولُواْ رَعِنَا وَقُولُوا ٱنظُرْنَا وَآسْمَعُوْ أَوَلِلْكَ الْجِيرِينَ عَذَابُ أَلِيدٌ ۞ مَا يَوَدُ الذيك كقسروا من أهل الكِتَكِ وَلَا ٱلمُنْرِكِينَ أَنْ يُنْزُلُ عَلَيْكُم مِنْ خَيْرِض دَّيِّ كُمُّ وَاللَّهُ يَخْتَشُ بِرَحْمَيْدِ عِمَن يَسْكَأَهُ وَأَلْقَهُ دُوالْفَضْ لِ ٱلْعَظِيرِ ۞ TORONO III DE LE CONTROL DE LA CONTROL DE LA

لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكلبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان عُلِمَ كذبهم بتلك الدعوى.

ثم ذكر تعالى البرهان الجلي العام لكل أحد، فقال: ﴿بلى﴾ أي: ليس بأمانيكم ودعاويكم، ولكن ﴿من أسلم وجهه شه أي: أخلص شأعماله، متوجها إليه بقلبه، ﴿وهو﴾ مع إخلاصه ﴿عسنٌ﴾ في عبادة ربه، بأن عبده بشرعه، فأولئك هم أهل الجنة وحدهم.

فلهم أجرهم عند ربهم وهو الجنة بما اشتملت عليه من النعيم، ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ فحصل لهم المرغوب، ونجوا من المرهوب.

ويفهم منها أن من ليس كذلك، فهو من أهل النار الهالكين، فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول.

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والحسد إلى أن بغ بعضهم ضلل بعضهم ضلل بعضهم ضلل بعضهم وكفر بعضهم

بعضاً، كما فعل الأميون من مشركي العرب وغيرهم.

فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى، ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه العدل، الذي أخبر به عباده، فإنه (1) لا فوز ولا نجاة إلا لمن صدق جميع الأنبياء والمرسلين، وامتثل أوامر ربه واجتنب نواهيه، ومن عداهم فهو هالك.

﴿ ١١٤﴾ ﴿ وومن أظلم عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خاتفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم أي: لا أحد أظلم وأشد جرماً، عمن مساجد الله عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من أنواع الطاعات.

﴿ وَسَعِي ﴾ أي: اجتهد وبذل وسعه ﴿في خرابها﴾ الحسى والمعنوي، فالخراب الحسى: هدمها وتخريبها وتقذيرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل وقريش حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية، والنصاري حين أخربوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة الساعين في خرابها، محادة لله، ومساقة. فجازاهم الله، بأن منعهم دخولها شرعا وقدراً، إلا خائفين ذليلين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله، فالمشركون الذين صدوا رسوله، لم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيرا، حتى أذن الله له في فتح مكة ومنع المشركين من قربان بيته، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم مذا﴾.

وأصحاب الفيل، قد ذكر الله ما جرى عليهم، والنصارى، سلط الله عليهم المؤمنين فأجلوهم عنه.

وهكذا كل من اتصف بوصفهم،

فلا بد أن يناله قسطه، وهذا من الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر.

واستدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد.

لهم خزي في الدنيا أي: فضيحة كما تقدم، ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظم ﴾.

وإذا كان لا أظلم عن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيماناً عمن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾.

بل قد أمر الله تعالى برفع بيوته وتعظيمها وتكريمها، فقال تعالى: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فها اسمه ﴾.

وللمساجد أحكام كثيرة، يرجع حاصلها إلى مضمون هذه الآيات الكريمة.

﴿ ١١٥﴾ ﴿ و شالمسرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ أي: ﴿ وله المشرق والمغرب ﴾ ، خصهما بالذكر ، لأنهما محل الآيات العظيمة ، فهما مطالع الأنوار ومغاربها ، فإذا كان مالكاً لها ، كان مالكاً لها ، كان مالكاً لكل الجهات .

﴿فأينما تولوا﴾ وجوهكم من الجهات، إذا كان توليكم إياها بأمره، إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أن كنتم مأمورين بالسقبال بيت المقدس، أو تؤمرون بالصلاة في السفر على الراحلة ونحوها، فإن القبلة حيثما توجه العبد أو تشتبه القبلة، فيتحرى الصلاة إليها، ثم يتبين له الخطأ، أو يكون معذوراً بصلب أو مرض ونحو ذلك، فهذه الأمور، إما أن يكون العبد فيها معذوراً أو مأموراً.

وبكل حال، فما استقبل جهة من الجهات، خارجة عن ملك ربه (فشم وجه الله إن الله واسع عليم) ، فيه

إثبات الوجه ش تعالى، على الوجه السلاني به تعالى، وأن ش وجها لا تشبهه الوجوه، وهو _ تعالى واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم.

فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر.

﴿ ١١٧ ـ ١١٦﴾ ﴿ وقال والسموات والأرض كل له قانتون * السموات والأرض كل له قانتون * بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً أي اليهود والنصارى والمشركون، وكل من قال ذلك: ﴿ اتّخذ الله ولداً ﴾ ، فنسبوه إلى ما لا يليق بجلاله، وأساؤوا كل الإساءة، وظلموا أنفسهم.

وهو _ تعالى _ صابر على ذلك منهم، قد حلم عليهم، وعافاهم، ورزقهم مع تنقصهم إياه.

﴿سبحانه ، أي: تنزه وتقدس عن كل ما وصفه به المشركون والظالمون مما لا يليق بجلاله. فسبحان من له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه.

ومع رده لقولهم، أقام الحجة والبرهان على تنزيه عن ذلك، فقال: فبل له ما في السماوات والأرض ، أي: جميعهم ملكه وعبيده، يتصرف فيهم تصرف المالك بالماليك، وهم قانتون له مسخرون تحت تدبيره، فإذا كانوا كلهم عبيده، مفتقرين إليه، وهو غني عنهم، فكيف يكون منهم أحد، يكون له ولداً، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، لأنه جزء منه.

والله تعالى المالك القاهر، وأنتم المملوكون المقهورون، وهو الغني وأنتم الفقراء، فكيف مع هذا، يكون له ولد؟ هذا من أبطل الباطل وأسمجه.

والقنوت نوعان: قنوت عام: وهو قنوت الخلق كلهم، تحت تدبير الخالق، وخاص: وهو قنوت العبادة.

فالنوع الأول كما في هذه الآية، والنوع الثاني: كما في قوله تعالى:

﴿وقوموا لله قانتين﴾.

ثم قال: ﴿بديع السماوات والأرض﴾، أي: خالقهما على وجه قد أتقنهما وأحسنهما على غير مثال ست...

﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾، فلا يستعصى عليه، ولا يمتنع منه.

﴿ ١١٨ ـ ١١٩ ﴾ ﴿ وقال المذيس لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قدبينا الآيات لقوم يوقنون * إنا أرسلناك بالحق بشيراً وسُذيراً ولا تسال عن أصحاب الجحيم) ، أي: قال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم: هلا يكلمنا، كما كلم الرسل. ﴿أُو تَأْتِينَا آيِةٍ﴾ ، يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآراتهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله كقولهم: ﴿ لَنْ نَوْمِنَ لَكُ حتى نرى الله جهرة ﴾، ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ الآية وقالوا: ﴿لُولا أَنْزِلُ إِلَيْهُ مِلْكُ فَيَكُونَ معه نذيراً، أو يلقى إليه كنز، أو تكون له جنة﴾، الآيات وقوله: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾، الآيات.

فهذا دأبهم مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبينن الحق، فإن الرسل قد جاؤوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى: ﴿قد بيئا الآيات لقوم يوقنون﴾.

فكل موقن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب.

ثم ذكر تعالى بعض آية موجزة ختصرة جامعة للآيات الدالة على صدقه ﷺ ، وصحة ما جاء به ، فقال : ﴿إِنَا أُرسَلْنَاكُ بِالْحِقِ بِشِيرًا وِنَذْيِراً ﴾ ، فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها ، وهي ترجع إلى ثلاثة أمور :

الأول: في نفس إرساله، والثاني: في سيرته، وهديه ودله، والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة.

فالأول والثاني قد دخلا في قوله: ﴿إِنَا أُرسِلْنَاكُ ، والثالث دخل في قوله: ﴿بالحق ﴾ .

وبيان الأمر الأول وهرو نفس إرساله أنه قد علم حالة أهل الأرض قبل بعثته على وما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنيران، والصلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر، قد عمتهم وشملتهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، قد انقرضوا قبيل البعثة.

وقد علم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدّى، ولم يتركهم هملاً، لأنه حكيم عليم، قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم، يأمرهم بعبادة الرخمن وحده لا شريك له، فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله وأما الثاني: فمن عرف النبي ﷺ معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين، فمن عرفها وسَبَر أحواله، عَرَف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأن الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم ا

وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به على من الشرع العظيم، والقرآن الكريم المشتمل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة، فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة.

قوله: ﴿بشيراً﴾ أي: لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية، ﴿نذيراً﴾ لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الدنيوي والأخروي.

﴿ولا تُسأَلُ عن أصحاب الجحيم﴾ أي: لست مسؤولاً عنهم، إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.

﴿١٢٠﴾ ﴿ولن ترضى عنك اليهود

ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير > يُخبر تعالى رسوله أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصارى إلا باتباعه دينهم، لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم: ﴿إن همو الله الذي أرسلت به ﴿هو الهدى ﴾.

وأما ما أنتم عليه فهو الهوى، بدليل قوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير﴾.

فهذا فيه النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله على فإن أمته داخلة في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثم قال: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون * يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم يُنصرون * .

غبر تعالى أن الذين آتاهم الكتاب ومن عليهم به منة مطلقة، أنهم ﴿ يتلونه حق اتباعه ، والتلاوة: الاتباع، فيحلُّون حلاله، ويُحرِّمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم.

فهؤلاء هم المؤمنون حقاً، لا من قال منهم: ﴿نؤمنُ بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه﴾.

ولهذا توعدهم بقوله: ﴿وَمِنْ يَكْفُرُ بِهِ فَأُولِئْكُ هِمِ الْخَاسِرونِ﴾ وقد تقدم تفسير الآية التي بعدها.

﴿ ١٢٤ _ ١٢٤ ﴾ ﴿ وإذ ابستسلى

إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إن جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين * وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود في يجر تعلى عن عبده وخليله إبراهيم علمه السيلام، المتفق على إمامته

عليه السلام، المتفق على إمامته وجلالته، الذي كلّ من طوائف أهل الكتاب تدعيه، بل وكذلك المشركون: أن الله ابتلاه وامتحنه بكلمات، أي: بأوامر ونواهي، كما هي عادة الله في ابتلائه لعباده، ليتبين الكاذب الذي

لا يثبت عند الابتلاء والامتحان، من الصادق الذي ترتفع درجته، ويزيد قدره ويزكو عمله، ويخلص ذهبه، وكان من أجلهم في هذا المقام الخليل عليه السلام.

فأتمَّ ما ابتلاه الله به وأكمله ووفَّاه، فسُكر الله لله ذلك، ولم يبزل الله شكورة، فقال: ﴿إِن جاعلك للناس إماماً ﴾ أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبدية،

ويحصل لك الشناء الدائم والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد.

وهذه - لَعَمْر الله - أفضل درجة تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام شمَّر إليه العاملون، وأكمل حالة حصلها أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله.

فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام وأذرك هذا، طلب ذلك لذريته لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضاً من إمامته ونصحه لعباد الله، وعبته أن يُكثر فيهم المرشدون، فلله عظمة هذه الهمم العالية والمقامات السامية.

فأجابه الرحيم اللطيف، وأخبر بالمانع من نيل هذا المقام، فقال: ﴿لا ينال عهدي الظالمن﴾ أي: لا ينال الإمامة في الدين من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على

جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟

ودلُ مفهوم الآية أن غير الظالم سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها.

ثم ذكر تعالى، نموذجاً باقياً دالاً على إمامة إبراهيم، وهو هذا البيت الحرام الذي جعل قصده ركناً من أركان الإسلام، حاطاً للذنوب والآثام.

وفيه من آثار الخليل وذريته، ما عرف به إمامته، وتذكرت به حالته، فقال: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس﴾ أي: مرجعاً يشوبون إليه، لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يترددون ﴿أَمْنَا﴾ يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى الجمادات كالأشجار، ولهذا كانوا في الجاهلية ـ على شركهم _ يحترمونه أشد الاحترام، ويحد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام زاده حرمة وتعظيماً وتشريفاً وتكريماً.

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى > يحتمل أن يكون المراد بدلك المقام المعروف الذي قد جعل الآن مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام مفرداً مضافاً، فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها: من الطواف والسعي، والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار، والنحر، وغير ذلك من أفعال الحج.

فيكون معنى قوله: ﴿مُصَلَى ﴾ أي: معبدًا، أي: اقتدوا به في شعائر الحج، ولعل هذا المعنى أولى، لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له.

وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل الله أو عهدنا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصى، ومن الرجس والنجاسات

التناذالية المراق • مَا نَسَخُ مِنْ ءَايَةٍ أَوْنُسِهَا نَأْتِ عِنْدِ مِنْهَا أَوْمِثْلِهَا أَلْزَتَعَا لَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَىكُ لِنَى وَقِيرُ ۞ أَلْزَعَتَ لَمُ أَنَّ آلِدَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّهُ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكَ مُعْ مِن دُورِب ٱللَّهِ مِن وَلِمْ وَلَانْضِيرِ ۞ آمْ زُيدُونَ أَن تَسْعَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَاسُيلَ مُومَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدِّل ٱلْكُفْرَالْإِيمَن فَقَدْضَلُ سَوَآءَ السَّبيل ﴿ وَذَكِيثِرُمِنَ أَهْلِ الْكِلْب لَوْيَـرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُونَكُمْ فَالْ حَسَدُ امِنْ عِندِ أَنفُيهم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَرَّبُ لَمُهُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّىٰ بَالْيَ أُلَّهُ بِأَمْرِوتُ إِنَّ أَلَّهُ عَلَى كُلْ شَيْءٍ فَدِيرٌ ۞ وَأَقِيمُوا الصَّلَوْةَ وَءَاثُواْ الرَّبِكُوةُ وَمَانُفَذِهُواْ لِأَنفُيكُمُ مِنْ خَيْرِيَحِ دُوهُ عِندَاهُمْ إِنَ اللَّهُ إِمَا لَقَ مَلُونَ بَعِيدٌ ا ﴿ وَقَالُواْ لَنَ بِنَخُلَ الْجَنَّـةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْنَصَارَكُمْ يَلْكَ أَمَانِيْهُمْ فَلْ هَا أَوْ أَرْهَا نَكُمْ إِن كُنتُ مُسَادِقِينَ الله بَالَيْ مَنْ أَسْلَمْ وَجُهَا لُهُ لِلَّهِ وَهُو تُحْسِنُ فَلَهُ وَأَجْرُهُ عِندَرَيْهِ ، وَلَاخُوْتُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ بَعُزَاوُك ٥ ON TOUR WEST OF THE OWNER OWNER OF THE OWNER OWNER OF THE OWNER OW

رحم الله به ذريتهما خاصة، وسائر الخلق عامة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «أنا دَعُوةُ أبي إبراهيم».

ولما عظم الله إبراهيم هذا التعظيم، وأخبر عن صفاته الكاملة، قال تعالى: ﴿١٣٠ ــ ١٣٤﴾ ﴿ومن يرغب عن ملَّة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهأ واحدأ ونحن له مسلمون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون،

أي: ما يرغب ﴿عن ملة إبراهيم ﴾ بعدما عرف من فضله ﴿إلا من سفه نفسه ﴾ أي: جهلها وامتهنها ورضي لها بالدون، وباعها بصفقة المغبون، كما أنه لا أرشد وأكمل، ممن رغب في ملة إبراهيم، ثم أخبر عن حالته في الدنيا والآخرة، فيقال: ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا ﴾ أي: اخترناه ووققناه للأعمال، التي صاربها من

الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم، أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتى إنهما مع هذا العمل دعوا الله أن يتقبّل منهما عَمَلهما، حتى يحصل (١) فيه النفع العميم. ودعوا لأنفسهما، وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته خضوع القلب، وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح. ﴿وأرنا مناسكنا﴾ أي: علمناها على وجه الإراءة والمشاهدة، ليكون أبلغ. يحتمل أن يكون المراد بالمناسك: أعمال الحج كلها، كما يدل عليه السياق والمقام، ويحتمل أن يكون الراد ما هو أعم من ذلك وهو الدين كله والعبادات كلها، كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك: التعبد، ولكن غلب على متعبدات الحج تغليباً عرفياً، فيكون حاصل دعائهما يرجع إلى التوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح، ولما كان العبد_ مهما كان _ لا بدأن يعتريه التقصير ويحتاج إلى التوبة، قالا: ﴿وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم).

وربنا وابعث فيهم أي: في ذريتنا وابعث فيهم ليكون أرفع ورسولا منهم ليكون أرفع لدرجتهما، ولينقادوا له، وليعرفوه حقيقة المعرفة. ويتلو عليهم آياتك لفظاً وحفظاً وتحفيظاً، وويعلمهم الكتاب والحكمة في معنى.

﴿ويزكيهم ﴾ بالتربية على الأعمال الردية الصالحة، والتبري من الأعمال الردية التي لا تزكو النفوس (٢ معها ﴿إنك أي: القاهر لكل شيء، اللذي لا يستنبع على قوته شيء ﴿الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك وحكمتك ابعث فيهم هذا الرسول، فاستجاب الله لهما فبعث الله هذا الرسول الكريم، الذي

والأقذار، ليكون ﴿للطائفين﴾ فيه ﴿والعاكفين والركع السجود﴾ أي: المصلين، قدم الطواف لاختصاصه بالمسجد [الحرام]، ثم الاعتكاف لأن من شرطه المسجد مطلقاً، ثم الصلاة مع أنها أفضل، لهذا المعنى.

وأضاف الباري البيت إليه لفوائد، منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيسللان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في ذلك.

ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام، ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.

ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه .

﴿ ١٢٦﴾ ﴿ وإذ قال إسراهيم ربّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الممرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلداً آمناً، ويرزق أهله من أنواع الشمرات، ثم قيد عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين تأدباً مع الله، إذ كان دعاؤه الأول فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيداً بغير الظالم.

فلما دعا لهم بالرزق وقيده بالمؤمن، وكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر والعاصي والطائع، قال تعالى: ﴿ وَمِن كَفَر﴾ أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر فيتمتع فيها قليلاً ﴿ ثم أضطره ﴾ أي: ألجشه وأخرجه مكرهاً ﴿ إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ .

﴿ ١٢٧ ـ ١٢٩ ﴾ ﴿ وإذ يسرفسع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لِيَسَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلتَّعَسُرَىٰ لَبْسَتِ ٱلْبَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَكَ لَكَ لَكَ اللَّهِ كَالَّهِ كَالَّهِ قَالَ ٱلَّذِيكَ لَابِعَهُ لَمُونَ مِثْلَ فَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَعَكُمُ بَيْنَهُ مُ وَوَمَّ ٱلْقِينَـمَةِ فِيمَاكَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِغُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلُوعَنَ مَّنْكَ مُسَاجِدَاللَّهِ أَن يُنْكَرَفِهَا أَسُهُ، ومَسَعَىٰ فِخَرَاجًا أُوْلَيْكَ مَاكَاتَ لَمُمُولَن يَدْخُلُوهَا إِلَّاخَالِهِ يِن لَمُمْ فِ الدُّنْيَا يَزِيُّ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيرٌ ۞ وَيِقَوَأَلْشَرِقُ وَلَلْفَرْيُّ فَأَيْنَمَا ثُوَلُواْ فَشَدَّ وَجُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالُواْ ٱغَّضَدَ اللَّهُ وَلَذا سُبحَلنَهُ مِلَ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَصِّ كُلُّ لَمُفَانِتُونَ ۞ بَدِيعُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضُ وَإِذَا مَّنَوَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَدُكُ نُكُن وَيَكُونُ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا أَلَقَهُ أَوْ نَأْيِنَآ ءَابَّهُ كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن فَيْلِهِ مِيْشَلَ فَوْلِهِ مُ تَشَلَبَهَتْ فَكُوبُهُ مُّ مَدْيَنَتَ الْأَبْنَ لِفَوْمِ يُوفِئُونَ ۞ إِنَّ أَزْسَلَنَكَ بِٱلْمَقِّ بَشِيرًا وَنَكِذِيزًا وَلَا نُسْتَلُ عَنْ أَمْمَكِ ٱلْمُتَجِدِ، TOWNS WEST VEST

المصطفين الأخيار.

﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين لهم أعلى الدرجات.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبِهُ أَسَلَمَ قَالَ اللهِ المَتَثَالا لَهُ رَبِهُ أَسَلَمَتَ لُرِبُ الْمَالَمِن اللهُ إِخْلاصاً وتوحيداً، ومحبة وإنابة، فكان التوحيد لله نعته.

ثم ورثه في ذريته ووصاهم به، وجعلها كلمة باقية في عقبه وتوارثت فيهم، حتى وصلت ليعقوب فوصًى بها بنيه، فأنتم. يا بني يعقوب ـ قلا وصاكم أبوكم بالخصوص، فيجب عليكم كمال الانقياد واتباع خاتم الأنبياء، قال: ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين﴾ أي: اختاره وتخيره لكم واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، واتصفوا بأخلاقه، الموت إلا وأنتم عليه، لأن من عاش على شيء بعث عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

ولما كان اليهود يزعمون أنهم على ملّة إبراهيم، ومن بعده يعقوب، قال تعلى منكراً عليهم: ﴿أَمْ كنتم شهداء﴾ أي: حضوراً ﴿إِذْ حضر يعقوب الموت﴾ أي: مقدماته وأسبابه، فقال لبنيه على وجه الاختبار، ولتقرّ عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به: ﴿ما

تعبدون من بعدي ؟؟ فأجابوه بما قرت به عينه، فقالوا: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحداً ﴾ فلا نشرك به شيئاً، ولا نعدل به أحداً، ﴿ونحن له مسلمون ﴾ فجمعوا بين التوحيد والعمل.

ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب، لأنهم لم يوجدوا بعد، فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه وصى بنيه بالحنيفية لا باليهودية.

ثم قال تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أي: مضت ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ أي: كل له عمله، وكل سيجازى بما فعله، لا يؤخذ (١) أحد بذنب أحد، ولا ينفع أحداً إلا إيمانه وتقواه فاشتغالكم بهم وادعاؤكم أنكم على ملتهم، والرضا بمجرد القول، أمر فارغ لا حقيقة له، بل الواجب عليكم أن تنظروا حالتكم التي أنتم عليها، هل تصلح للنجاة أم لا؟

﴿ ١٣٥﴾ ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهندوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ أي: دعا كل من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم، زاعمين أنهم هم المهندون وغيرهم ضال.

قل له (٢) تجيباً جواباً شافياً: ﴿بل﴾ نتّبعُ ﴿ملة إبراهيم حنيفاً﴾ أي: مقبلاً على الله، معرضاً عما سواه، قائماً بالتوحيد، تاركاً للشرك والتنديد.

فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية.

﴿ ١٣٦﴾ ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ هذه الآية الكريمة قد اشتملت على جيم ما يجب الإيمان به.

واعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام بهذه الأصول، وإقراره المتضمن لأعمال القلوب والجوارح، وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام،

وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها، فهي من الإيمان وأثر من آثاره، فحيث أطلق الإيمان دخل فيه ما ذكر، وكذلك الإسلام، إذا أطلق دخل فيه الإيمان، فإذا قرن بينهما، كان الإيمان اسماً لما في القبلب من الإقرار والتصديق، والإسلام اسماً للأعمال الظاهرة وكذلك إذا جمع بين الإيمان والأعمال الصالحة. فقوله تعالى: ﴿قُولُوا﴾ أي: بألسنتكم متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام المترتب عليه الثواب والجزاء، فكما أن النطق باللسان بدون اعتقاد القلب، نفاقً وكفرٌ، فالقول الخالي من العمل عمل القلب عديم التأثير، قليل الفائدة، وإن كان العبد يؤجر عليه، إذا كان خيراً ومعه أصل الإيمان، لكن فرق بين القول المجرد والمقترن به عمل القلب.

وفي قوله: ﴿قولوا﴾ إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه.

وفي قوله: ﴿آمنًا﴾ ونحوه مما فيه صدور الفعل منسوباً إلى جميع الأمة المامت الله إلى المتعام بحبل الله جميعاً والحث على الائتلاف، حتى يكون داعيهم واحداً، وعملهم متحداً، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه أن المؤمنين كالجسد الواحد.

وفي قوله: ﴿قولوا آمنا بالله الخ ، دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان على وجه التقييد، بل على وجوب ذلك، بخلاف قوله: «أنا مؤمن ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرونا النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان. فقوله: ﴿آمنا بالله اي: بأنه موجود، واحد أحد، متصف بكل مقص صفة كمال، منزه عن كل نقص وعيب، مستحق لإفراده بالعبادة كلها، وعدم الإشراك به في شيء منها، بوجه من الوجوه.

﴿وما أنزل إلينا﴾ يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ فيدخل فيه الإيمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله، من وسفات الباري، وصفات رسله، واليوم الآخر، والغيوب الماضية والإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمرية، وأحكام الجزاء وغير ذلك.

﴿وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ إلى آخر الآية، فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الكتب المنزلة عمد ما، وخصوصاً ما نص عليه في الآية لشرفهم، ولإتيانهم بالشراتع الكبار فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلاً.

وقوله: ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ أي: بل نؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه على دين.

فاليهود والنصارى والصابتون وغيرهم _ وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به من الرسل والكتب _ فإنهم والكتب، بعضها يؤمنون به، وبعضها يؤمنون به، وبعضها يكفرون به، وبعضها تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل وخصوصاً عمد ﷺ، فإذا كذبوا وسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفراً برسولهم فيما

وفي قوله: ﴿وما أوتي النبيون من ربهم﴾ دلالة على أن عطية الدين هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع.

وفيه أن الأنبياء مبلّغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء.

وفي قوله: ﴿من ربهم﴾ إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده أن ينزل

عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته تركهم سدى ولا هملاً.

وإذا كان ما أوتي النبيون إنما هو من ربهم، ففيه الفرق بين الأنبياء وبين من يدعي النبوة، وأنه يحصل الفرق بينهم بمجرد معرفة ما يدعون إليه، فالرسل لا يدعون إلا لخير، ولا ينهون إلا عن كل شر، وكل واحد منهم يصدق الآخر ويشهد له بالحق، من غير تخالف ولا تناقض لكونه من عند ربهم ﴿ولو كان من عند ربهم ﴿ولو اختلافاً كثيراً﴾.

وهذا بخلاف من ادعى النبوة، فلا بدأن يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم، كما يعلم ذلك من سبر أحوال الجميع وعرف ما يدعون إليه.

فلما بين تعالى جيع ما يؤمن به، عموماً وخصوصاً، وكان القول لا يغني عن العمل، قال: ﴿وَنِحْنُ لَهُ مُسلمون﴾ أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته بباطننا وظاهرنا، محلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول، وهو ﴿له﴾ على العامل، وهو ﴿له﴾

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة _ على إيجازها واختصارها _على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واشتملت على الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب، وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم، وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح والإخلاص لله في ذلك، وعلى النفرق بين الرسل المصادقين، ومن ادعى النبوة من الكاذبين، وعلى تعليم الباري عباده كيف يقولون، ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم

﴿١٣٧﴾ ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في

شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ أي: فإن أمن أهل الكتاب ﴿بِمثل ما آمنتم به﴾ - يا معشر المؤمنين - من جميع الرسل وجميع الكتب، الذين أول من دخل فيهم، وأولى خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ والقرآن، وأسلموا لله وحده، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله ﴿فقد اهتدوا) للصراط المستقيم، الموصل جنات النعيم، أي: فلا سبيل لهم إلى الهداية إلا بهذا الإيمان، لا كما زعموا يقولهم: "كونوا هوداً أو نصاري تهتدوا) فزعموا أن الهداية خاصة بما كانوا عليه، و«الهدى» هو العلم بالحق والعمل به، وضدَّه الضلال عن العلم والضلال عن العمل بعد العلم، وهو الشقاق الذي كانوا عليه، لما تولوا وأعرضوا، فالمشاق: هو الذي يكون في شق، والله ورسوله في شق، ويلزم من المشاقة المحادة، والعداوة البليغة، التي من لوازمها بذل ما يقدرون عليه من أذية الرسول، فلهذا وعد الله رسوله أن يكفيه إياهم، لأنه السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، العليم بما بين أيديهم وما خلفهم، بالغيب والشهادة، بالظواهر والبواطن، فإذا كان كذلك، كفاك الله شرهم.

وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشرّدهم كل مشرد.

ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر.

﴿١٣٨﴾ ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ أي: الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياماً تاماً بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة وصفة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم، أوجب ذلك لكم الانقياد الأوامره، طوعاً واختياراً وعبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام

للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية والأخروية، لحث الدين على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ومعالي الأمور، فلهذا قال على سبيل التعجيب المتقرر للعقول الركية -: ﴿ومن أحسن من الله صبغة ﴾ أي: لا أحسن صبغة من صبغة من

وإذا أردت أن تعرف نموذجاً يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى في عبد آمن بربه إيماناً صحيحاً، أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح، فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتخلى من كل وصف قبيح، ورذيلة وعيب، فوَضْفُه: الصَّدق في قوله وفعله، والصبر والحلم، والعفّة، والشجاعة، والإحسان القولي والفعلي، ومحبة الله وخشيته، وخوفه ورجاؤه، فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده، فقسه بعبد كفر بربه وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر، والشرك، والكذب، والخيانة، والمكر، والخداع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق في أقواله وأفعاله، فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان إلى عبيده.

فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما، ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله، وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة عن انصبغ بغير دينه.

وفي قوله: ﴿ونحن له عابدون﴾ بيان لهذه الصبغة، وهي القيام بهذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة، لأن العبادة السم جامع لكل ما يحبه الله ويسرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، ولا تكون كذلك حتى يشرعها الله على لسان رسوله، والإخلاص: أن يقصد العبد وجه الله وحده في تلك الأعمال، فتقديم المعمول يؤذن بالحصر.

وقال: ﴿ونحن له عابدون﴾ فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازماً.

﴿١٣٩﴾ ﴿قِل أتحاجوننا في الله

وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون الحاجّة: هي المجادلة بين اثنين فأكثر ، تتعلق في المسائل الخلافية، حتى يكون كلِّ منّ الخصمين يريد نصرة قوله وإبطال قول خصمه، فكل واحد منهما يجتهد في إقامة الحجة على ذلك، والمطلوب منها أن تكون بالتي هي أحسن، بأقرب طريق يرد الضّال إلى الحق، ويقيم الحجة على المعاند، ويوضح الحق ويبين الباطل، فإن خرجت عن هذه الأمور، كانت مماراة ومخاصمة لا خير فيها، وأحدثت من الشر ما أحدثت، فكان أهل الكتاب يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى تفتقر إلى برهان ودليل. فإذا كان رب الجميع واحداً، ليس رباً لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، فاستوينا نحن وإياكم بذلك، فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بمالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء من غير فرق مؤثر دعوى باطلة، وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة، وإنما يحصل التفضيل بإخلاص الأعمال الصالحة لله وحده، وهذه الحالة وصف المؤمنين وحدهم، فتعين أنهم أولى بالله من غيرهم؛ لأن الإخلاص هو الطريق إلى الخلّاص، فهذا هو المنسرق بسين أولياء السرخمسن وأولياء

﴿ ١٤٠﴾ ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل

الشيطان، بالأوصاف الحقيقية التي

يسلمها أهل العقول، ولا ينازع فيها

إلا كل مكابر جهول، ففي هذه الآية

إرشاد لطيف لطريق المحاجة، وأن

الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين،

والفرق بين المختلفين.

أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم عمن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون وهذه دعوى أخرى منهم، ومحاجة في رسل الله، زعموا أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين. فرد الله عليهم بقوله: ﴿أأنتم أعلم أم الله ﴾ فالله يقول: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وهم

يقولون: بل كان يهودياً أو نصرانياً. فإما أن يكونوا هم الصادقين العالمين، أو يكون الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعين لا عالم، وصورة الجواب مهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه من وضوحه لم يحتج أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق، ونحو ذلك، لانجلائه لكل أحد، كما إذا قيل: الليل أنور، أم النهار؟ والنار أحر أم الماء؟ والشرك أحسن أم التوحيد؟ ونحو ذلك.

وهذا يعرفه كل من له أدني عقل، حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء لم يكونوا هوداً ولا نصاري، فكتموا هذا العلم وهذه الشهادة، فلهذا كان ظلمهم أعظم الظلم. ولهذا قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضى الاهتمام بإقامتها، فكتموها وأظهروا ضدها، جعوا بين كُتم الحق وعدم النطق به، وإظهار الباطل والدعوة إليه، أليس هـ ذا أعـظـم الـظـلـم؟ بـلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلهذا قال: ﴿وَمَا الله بِعَافِلُ عِمَا تعملون ﴾ بل قد أحصى أعمالهم وعدها واذخر لهم جزاءها، فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئست النار مثوي للظالمين، وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازي عليها.

فيفيد ذلك الوعد والوعيد،

والترغيب والترهيب، ويفيد أيضاً ذكر الأسماء الحسنى بعد الأحكام، أن الأمر الديني والجزائي أثر من آثارها، وموجب من موجباتها، وهي مقتضية له.

﴿ ١٤١﴾ ثم قال تعالى: ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تُسألون عما كانوا يعملون وقدم تفسيرها، وكرَّرها لقطع التعلق بالمخلوقين، وأن المعول عليه ما اتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال.

﴿ ١٤٢ ـ ١٤٣﴾ ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ قد اشتملت الآية الأولى على: معجزة، وتسلية، وتطمين قلوب المؤمنين، واعتراض، وجوابه من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وصفة المسلم حكم الله ودينه.

فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس وهم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصاري، ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه، وذلك أن المسلمين كانوا مأموريين باستقبال بيت المقدس مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف ــ لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها، وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بدأن يقول السفهاء من الناس: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ وهي استقبال بيت المقدس، أي: أيُّ شيء صرفهم عنه؟ وني ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه وفضله وإحسانه، فسلاهم وأخبر بوقوعه، وأنه إنما يقع عمن اتصف بالسفه قليل العقل والحلم والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم

مصدر هذا الكلام، فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه، ولا يلقي له ذهنه. وحدًّ الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول والانقياد والتسليم، كما قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية، ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وقد كان في قوله «السفها» ما يغني عن رد قولهم وعدم المبالاة به.

ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة، حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى: ﴿قُلُّ لَهُم بجيباً : ﴿ للهُ المشرقُ والمغربُ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم اي: فإذا كان المشرق والمغرب ملكاً لله، ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه، ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة أبيكم إبراهيم، فلأي: شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلةً داخلة تحت ملك الله، لم تستفبلوا جهة ليست ملكاً له؟ فهذا يوجب التسليم لأمره بمجرد ذلك، فكيف وهو من فضل اللهعليكم، وهدايته وإحسانه أن هداكم لذلك، فالمعترض عايكم، معترض على فضل الله حسداً لكم وبغياً.

ولما كان قوله: ﴿ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ والمطلق يحمل على المقيد، فإن الهداية والضلال لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله، بأسباب الهداية، التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى، كما قال تعالى: السلام ﴾ ذكر في هذه الآية السبب المواية هذه الأية السبب المواية هذه الأمة مطلقاً بجميع أنواع الهداية، ومنة الله عليها، فقال:

﴿وكذلك جعلناكم أُمةً وَسَطاً﴾
أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في كل أمور الدين، كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم طيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دب ودرج.

بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها.

ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا ﴿أَمَّةُ وَسَطَّأَ﴾ [كاملين] ليكونوا ﴿شهداء على الناس، بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فماشهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول، وما شهدت له بالرد فهو مردود، فإن قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين لوجود التهمة، فأما إذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة كما في هذه الأمة، فإنما المقصود الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة، فقبل قولها.

فإن شكَّ شاكُ في فضلها، وطلب مزكّياً لها فهو أكمل الخلق نبيهم ﷺ، فلهذا قال تعالى: ﴿ويكورْ الرّمول

عليكم شهيداً ﴾

ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم أنه إذا كان يوم القيامة وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أنَّ الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها

وفي الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطأ، لإطلاق قوله: ﴿وسطاً﴾ فلو قدر اتفاقهم على الخطأ لم يكونوا وسطاً إلا في بعض الأمور، ولقوله: ﴿ولتكونوا شهداء على الناس﴾ يقتضى أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه، فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم والشهادة والفتيا، ونحو ذلك.

﴿١٤٣﴾ يقول تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم، يقول تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنتب عليها﴾ وهي استقبال بيت المقدس أولاً ﴿إلا لنعلم﴾ أي: علماً يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها.

ولكن هذا العلم لا يعلق عليه ثواباً ولا عقاباً، لتمام عدله وإقامة الحجة على عباده، بل إذا وجدت أعمالهم ترتب عليها الثواب والعقاب، أي: شرعنا تلك القبلة لنعلم ونمتحن فمن يتبع الرسول، ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة أنه يستقبل الكعبة، فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك إيماناً وطاعة للرسو ل .

وأما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق واتبع هواه، فإنه يزداد كفراً إلى كفره، وحيرةً إلى حيرته، ويدلي بالحجة الباطلة، المبنية على شبهة لا حقيقة لها.

﴿لكبيرة﴾ أي: شاقة ﴿إلا على الذين هدى الله فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا وأقرُّوا له بالإحسان حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر الأرض، وجعل قصده ركناً من أركان الإسلام، وهادماً للذنوب والآثام، فلهذا خف عليهم ذلك، وشق على من سواهم.

ثم قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى، بل هي من المتنعات عليه، فأخبر أنه ممتنع عليه ومستحيل أن يضيع إيمانكم، وقي هذا بشارة عظيمة لنّ منّ الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم فلا يضيعه، وحفظه نوعان:

حفظ عن الضياع والبطلان بعصمته لهم عن كل مفسد ومزيل له ومنقص من المحن المقلقة، والأهواء الصادّة، وحفظً له بتنميته لهم، وتوفيقهم لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره وثوابه، وحفظه من كل مكدر، بل إذا وجدت المحن التي المقصود منها تبيين المؤمن الصادق من الكاذب، فإنها تمحص المؤمنين وتظهر صدقهم، وكأنَّ في هذا احترازاً عما يقال إن قوله: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ قد يكون سببا لترك بعض المؤمنين إيمانهم، فدفع هذا الوهم بقوله: ﴿وماكان الله ليضيع إيمانكم) بتقديره لهذه المحنة أو

ودخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة، فإن الله لا يضيع إيمانهم، لكونهم امتثلوا أمر الله وطاعة رسوله في وقتها، وطاعة الله امتثال أمره في كل وقت بحسب ذلك، وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح.

وقوله: ﴿إِن الله بالناس لرؤوف ﴿ وإن كانت ﴾ أي: صرفك عنها رحيم ﴾ أي: شديد السرحمة بهم

صواب.

عظيمها، فمن رأفته ورحمته بهم أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها، وأن ميز عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه، وأن امتحنهم امتحاناً زادبه إيمانهم، وارتفعت به درجتهم، وأن وجُّههم إلى أشرف البيوت، وأجلُّها.

﴿۱٤٤﴾ ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾ يقول الله لنبيه: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ أي: كثرة تردده في جميع جهاته، شوقاً وانتظاراً لنزول الوحي باستقبال الكعبة، وقال: ﴿وجهك﴾ ولم يقل: «بصرك» لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب

﴿فلنولينك﴾ أي: نوجهك لولايتنا

إياك، ﴿قبلة ترضاها﴾ أي: تحبها وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه ﷺ، حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه، ثم صرح له باستقبالها فقال: ﴿فُولُ وجهك شطر المسجد الحرام، والوجه: ما أقبل من بدن الإنسان، ﴿وحيثما كنتم﴾ أي: من بر وبحر، شرق وغرب، جنوب وشمال ﴿فُولُوا وَجُوهُكُم شَطِّرُهُ أَي: جَهْتُه . ففيها اشتراط استقبال الكعبة للصلوات كلها، فرضها ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفى شطرها وجهتها، وأن الالتفات بالبدن مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده، ولما ذكر تعالى فيما تقدم المعترضين على ذلك من أهل الكتاب وغيرهم، وذكر جوابهم، ذكر هنا أن أهل الكتاب والعلم منهم يعلمون أنك في ذلك على حق وأمر، لما يجدونه في كتبهم، فيعترضون عناداً وبغياً، فإذا كانوا يعلمون بخطئهم فلا تبالوا بذلك، فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه، إذا كان الأمر مشتبها، وكان ممكناً أن يكون معه

فأما إذا تيقن أن الصواب والحق مع المعترض عليه، وأن المعترض معاند، عارف ببطلان قوله، فإنه لا محل للمبالاة، بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية والأخروية، فلهذا قال تعالى: ﴿وما الله بغافل عما يعملون ﴿ بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها، وفيها وعيد للمعترضين، وتسلية للمؤمنين.

﴿ ١٤٥ ﴾ ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين ﴿ كان النبي على من كمال حرصه على هداية الخلق يبذل لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة، ويتلطف بهدايتهم، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله، فكان من الكفار من تمرد عن أمر الله واستكبر على رسل الله، وترك الهدى عمداً وعدواناً، فمنهم: اليهود والنصارى، أهل الكتاب الأول، الذين كفروا بمحمد على عن يقين لا عن جهل، فلهذا أخبره الله تعالى أنك لو ﴿ أُتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ﴾ أي: بكل برهان ودليل يوضح قولك، ويبين ما تدعو إليه، ﴿ما تبعوآ قبلتك﴾ أي: ما تبعوك، لأن اتباع القبلة دليل على اتباعه، ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك لأنهم معاندون، عرفوا الحق وتركوه، فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق وهو مشتبه عليه، فتوضح له الأيات البينات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق فلا حيلة فيه.

وأيضأ فإن اختلافهم فيما بينهم حاصل، وبعضهم غيز تابع قبلة بعض، فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد، وهم الأعداء حقيقة الحسدة، وقوله: ﴿وَمَا أَنْتُ بتابع قبلتهم أبلغ من قوله: «ولا تتبع» لأن ذلك يتضمن أنه ﷺ اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع

ذلك منه، ولم يقل: ﴿وَلُو أَتُوا بِكُلِّ آيَةٍ﴾ لأنهم لا دليل لهم على قولهم.

وكذلك إذا تبين الحق بأدلته اليقينية، لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنه لا حدّلها، ولأنه يعلم بطلانها، للعلم بأن كل ما نافي الحق الواضح فهو باطل، فيكون حل الشبه من باب التبرع.

﴿ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ إنما قال: المواءهم، ولم يقل ادينهم، لأن ما هم عليه مجرد أهوية (١) نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: ﴿أَفِر أَيتُ مِنِ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هُواهُ﴾.

﴿من بعد ما جاءك من العلم ﴿ بأنك على الحق، وهم على الباطل، ﴿إنك إذاً ﴾ أي: إن اتبعتهم، فهذا احتراز لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها، ولو في الأفهام، ﴿ لَمْنِ الطَّالَمِينَ ﴾ أي: داخلُ فيهم، ومندرج في جملتهم، وأي: ظلم أعظم من ظلم من علم الحق والباطل، فآثر الباطل على الحق، وهذا وإن كان الخطاب له ﷺ، فإن أمته داخلة في ذلك، وأيضاً فإذا كان هو ﷺ لو فعل ذلك _وحاشاه _ صار ظالماً مع علو مرتبته، وكثرة حسناته (۲۲)، فغيره من باب أولى

﴿١٤٧ ـ ١٤٦﴾ ثم قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحقُّ من ربك فلا تكونن من المترين،

يخبر تعالى أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم وعرفوا أن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به حق وصدق، وتيقنوا ذلك كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفتهم بمحمد ﷺ ، وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون، لكن فريقاً منهم -وهم أكثرهم -الذين كفروابه، كتموا هذه الشهادة مع تيقنها، وهم يعلمون ﴿ومن أظلم بمن

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ مَنيَّ مَ مِلَّهُمْ قُلُ إِنَّ هُدَى آللَهِ هُوٓ آلْهُ دَيُّ وَلَهِنِ ٱلْبَعْتَ أَهْوَآءَ هُرِيَعَدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ الْقَوْمِن وَلِيِّ وَلَانَصِيرِ ۞ ٱلَّذِينَ ءَانْشَكُمُ ٱلْكِنْبَ يَتَلُونَهُ حَقَّ يَلاَوَيهِ أَوْلَيْكَ يُوْمِنُونَ بِدُّ وَمَن يَكُفُرُهِ مَا أُولَتِكَ هُوُ ٱلْحَنِيرُونَ ۞ بَنِهَ إِنْهَ إِلَى الْأَكُرُواْ يَعْسَيَ ٱلَّيَ ٱنْعَنْتُ عَلَيْكُرُ وَأَنِي فَضَلْتُكُوْعَلَى ٱلْعَلَيْنِ ۞ وَاتَّـفُواْ يَوْمَا لَا يَمْرَى نَفْشُ عَن نَفْسِ ضَيْعًا وَلَا يَفْبَلُ مِنْهَا عَذَلَّ وَلَا نَسْفَعُهُمَا شَفَعَةً وَلِاهُمْ يُعَرُونَ ۞ • وَإِذِ أَبْتُ لِآلِ زَهِعَ رَيُّهُ وَكَلِنَتِ وَأَنْتُهُونَ أَوْلَ إِنِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّبَيِّ قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِينِ ﴿ وَإِذْ يَتِلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَالَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا وَأَغِينُوا مِن مَقَامِ إِزَهِيتَ مُصَلِّ وَعَهِدْ فَآ إِلَّ إِزَهِمَ وَإِسْكِيدِلَ أَنْطَهِرَا بَيْنِيَ لِلطَّآيِفِينَ وَٱلْمَدِيَفِينَ وَٱلْكِيمِةِ لَا أَنْكُمُ ٱلسُّعُود ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْزَهِ عِمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَاذَا بَكَدًا ءَامِنًا وَأَرْزُقَ أَهَلَهُ مِنَ النَّتَرَانِ مَنْ عَاسَ مِنْهُمُ وَالْفِو وَالْفِوْدَ الْآخِيرَ قَالَ وَمَن كَفَرَ وَالْمَيْعُدُ قَلِيلًا ثُمَّ أَخْطَرُهُ وَإِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَيِفْسَ ٱلْحَيْدِ ٥ A STANK II KARELAY

كتم شهادة عنده من الله الله وفي ضمن ذلك تسلية للرسول والمؤمنين، وتحذير لهم من شرهم وشبههم، وفريق منهم لم يكتموا الحق وهم يعلمون، فمنهم من آمن [به] ومنهم من كفر [به] جهلاً، فالعالم عليه إظهار الحق وتبيينه وتزيينه، بكل ما يقدر عليه من عبارة وبرهان ومثال، وغير ذلك، وإبطال الباطل وتمييزه عن الحق، وتشيينه وتقبيحه للنفوس، بكل طريق مؤد لذلك، فهؤلاء الكاتمون عكسوا الأمر، فانعكست أحوالهم.

﴿ الحق من ربك ﴾ أي: هذا الحق الذي هو أحق أنَّ يسمى حقاً من كل شيء، لما اشتمل عليه من المطالب العالية والأوامر الحسنة، وتزكية النقوس وحثها على تحصيل مصالحها ودفع مفاسدها، لصدوره من ربك، الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنفوس، وجميع المصالح.

﴿فلا تكونن من المترين﴾ أي: فلا يحصل لك أدنى شك وريبة فيه، بل تفكّر فيه وتأمّل حتى تصل بذلك إلى اليقين، لأن التفكر فيه لا محالة دافع للشك، موصل لليقين.

﴿١٤٨﴾ ﴿ولِكلِّ وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا بأت

وَإِذْ يَرْفَعُ إِزَاهِ عُرُالْقَوَاءِ مَنَ ٱلْمِيْنِ وَإِسْمَعِيلُ دَبِّنَا تَعَبَّلُ مِنْسَأَّ إِنَّكَ أَنتَ السَّيعُ الْعَلِيدُ ۞ رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمَ فِي لَكَ وَمِن ذُرْتِيَنِنَا أُمَّةُ مُشْلِمةً لِّكَ وَإِينَا مَنَامِكَا وَثُبْ عَلَيْنَاًّ إِنَّكَ أَنْتَ النَّوْآبُ الرَّحِيدُ ۞ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِ رَرَسُولَانِتْهُمْ بَتْلُواْعَلَيْهِدْ ءَابَئيْكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِنْبَ وَلَيْكُمْهُ وَيُزَكِّيهِمُّ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَيْرُلُلْفِيكُم ۞ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِنْزَهِيمَهُ إِلَّامَنَ سَغِهَ نَفْسَهُ وَلَعَدَ أَصْطَفَيْنَهُ فِ ٱلدُّنِيِّ كَالْتُرُفِ ٱلْجُوْدَ لِنَ السَّدَلِيدِينَ ﴿ إِذْ فَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَسْلِمْ فَالَ أَسْلَتُ لِرَبَ ٱلْمَالَدِينَ ﴿ وَوَمَّىٰ بِمَا إِنَّا عِيمُ بَيْدِ وَوَمَّعُوبُ ينبَغَ إِنَّ اللَّهُ اصْعَلَغَىٰ لَحَتُمُ الْذِينَ فَلَا عُونَنَ إِلَّا وَأَمْدُ مُسْلِمُون ﴿ أَمْكُنُهُ شُهَاكَآءَ إِذْ حَمَر يَعْقُوبَ الْمُوتُ إِذْ قَالَ لِينَيِدِ مَاتَعَبُدُوبَ مِنْ بَعَدِى قَالُواْ نَصُدُ إِلَهَكَ ا وَإِلَّهُ ءَابَآبِكَ إِبْرَاهِمَهُ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَنَّ إِلَّهُا وَحِدًا وَتَعْنُ لَدُمُسْ لِمُونَ ﴿ يَلْكَ أَمَّةٌ قَدَ خَلَتْ فَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْنُدُ وَلَا تُسْتَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْسَلُونَ ۞ AND TO SEE THE SECOND

بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير في أي: كل أهل دين وملة له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل من جهة إلى جهة، ولكن الشأن كل الشأن في امتثال طاعة الله والتقرب إليه، وطلب الزلفي عنده، فهذا هو عنوان وطلب الزلفي عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، وهو الذي وخسارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا متصف به النفوس، حصلت لها تصفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهو الذي وهو الذي المناق عليه في جميع الشرائع، وهو الذي خلق الله له الخلق وأمرهم وهو الذي خلق الله له الخلق وأمرهم

والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الجنات، فهو السابقون أعلى الخترة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة وصيام وزكوات (1) وحج وعمرة وجهاد، ونفم متعد وقاصر.

ولما كان أقوى ما يجث النفوس على

المسارعة إلى الخير وينشطها، ما رتب الله عليها من الشواب، قال: ﴿ أَينما تَكُونُوا يَأْتُ بِكُم الله جميعاً إِنَّ الله على كل شيء قدير ﴾ فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله ﴿ ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسن ﴾ .

ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فلله ما أجمعها وأنفعها من آية!!

﴿ ١٤٩ _ ، ٥٠ ﴾ ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحقّ من ربك وما الله بغافل عما تعملون * ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا اللين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون أي: ﴿ ومن حيث خرجت ﴾ في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم ﴿ فولُ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ أي: جهته.

ثم خاطب الأمة عموماً، فقال: ﴿وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ وقال: ﴿وإنه للحق من ربك﴾ أكده به إن واللام، لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال.

﴿وما الله بغافل عما تعملون بل هو مطلع عليكم في جميع أحوالكم، فتأدبوا معه، وراقبوه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن أعمالكم غير مغفول عنها، بل مجازون عليها أتم الجزاء، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقال هنا: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرقة، لينقطع عنكم

احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين، فإنه لو بقي مستقبلاً بيت المقدس لتوجهت عليه الحجة، فإن أهل الكتاب يجدون في كتابهم أن قبلته المستقرة هي الكعبة البيت الحرام، والمشركون يرون أن من ملة إبراهيم وأنه البيت العظيم وأنه من ملة إبراهيم وأنه نحوه حججهم، وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم، وهو من ذريته، وقد ترك استقبال قبلته؟

فباستقبال الكعبة (٢) قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين، وانقطعت حججهم عليه.

إلا من ظلم منهم، أي: من احتج منهم بحجة هو ظالم فيها، وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم، فهذا لا سبيل إلى إقناعه والاحتجاج عليه، وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج محلاً يؤبه لها، ولا يلقى لها بال، فلهذا قال تعلى: ﴿فلا تخشوهم﴾ لأن حجتهم باطلة، والباطل كاسمه مخذول، مخذول ماحبه، وهذا بخلاف صاحب الحق، فإن للحق صولة وعزاً، يوجب خشية من هو معه، وأمر تعالى بخشيته التي هي أصل (٢) كل خير، فمن لم يخش الله هي أصل (٢)

وكان صرف المسلمين إلى الكعبة عما حصلت فيها فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب والمنافقون والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله تعالى وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات التي تضمنتها هذه الآيات.

منها: الأمر بها ثلاث مرات مع كفاية الرة الواحدة، ومنها: أن المعهود، أن الأمر إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعاً، أو للأمة عموماً، وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله: ﴿فول وجهك﴾ والأمة عموماً في قوله: ﴿فول ﴿فولوا وجوهكم﴾

ومنها: أنه ردفيه جميع الاحتجاجات الباطلة التي أوردها أهل العناد، وأبطلها شبهة شبهة كما تقدم توضيحها، ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبلة أهل الكتاب، ومنها قوله: ﴿وإنه للحق من ربك﴾ فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال: ﴿وإنه للحق من ربك﴾ .

ومنها: أنه أخبر _وهو العالم بالخفيات _أن أهل الكتاب متقرر عندهم صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم.

ولما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة نعمة عظيمة، وكان لطفه بهذه الأمة ورحمته لم يزل يتزايد، وكلما شرع لهم شريعة فهي نعمة عظيمة، قال: ﴿ولأتم نعمتى عليكم﴾.

فأصل النعمة الهداية لدينه، بإرسال رسوله وإنزال كتابه، ثم بعد ذلك، النعم المتممات لهذا الأصل، لا تعد كثرة ولا تحصر، منذ بعث الله رسوله ألى أن قرب رحيله من الدنيا، وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم، وأعطى أمته، ما أتم به نعمته عليه وعليهسم، وأنزل الله عليه: ﴿اليوم لكمك لكم دينكم، وأقمت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

فلله الحمد على فضله، الذي لا نبلغ له عداً، فضلاً عن القيام بشكره، ﴿ولعلكم تهتدون﴾ أي: ا تعلمون الحق وتعملون به، فالله تبارك وتعالى _من رحمته _بالعباد، قد يسر لهم أسباب الهداية غاية التيسير، ونبههم على سلوك طرقها، وبينها لهم أتم تبيين حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق المعاندين له فيجادلون فيه، فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل، وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق، لربما لم يتبين حاله الأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء، فلولا الليل ما عرف فضل النهار، ولولا القبيح ما عرف فضل الحسن، ولولا الظلمة ما

عرف منفعة النور، ولولا الباطل ما

اتضح الحق اتضاحاً ظاهراً، فلله الحمد على ذلك.

﴿ ١٥١ ـ ١٥١﴾ ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم واشكروالي ولا تكفرون ﴾ يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكماله ونصحه.

﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ وهذا يعم الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولاً على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة والعلم اليقيني.

ويزكيكم أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية.

﴿ويعلمكم الكتاب﴾ أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه، ﴿والحكمة﴾ قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة: معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، وتنزيل الأمور منازلها.

فيكون على هذا عليم السنة داخلاً في تعليم الكتاب، لأن السنة تبين القرآن وتفسره، وتعبر عنه، ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ لأنهم كانوا قبل بعثته في ضلال مبين،

لا علم ولا عمل، فكل علم أو عمل نالته هذه الأمة فعلى يده شخ وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق، ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده، فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها، فلهذا قال تعالى: ﴿فَادْكُرُونِ أَذْكُرُكُم ﴾ فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ خير منهم".

وذكر الله تعالى أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته وكثرة ثوابه، والذكر هورأس الشكر، فلهذا أمربه خصوصاً، ثم من بعده أمر بالشكر عموماً، فقال: ﴿واشكروا لي﴾ أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقراراً بالنعم واعترافاً، وباللسان ذكراً وثناء، وبالجوارح طاعة لله وانقياداً لأمره واجتناباً لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وفي الإتيان بالأمر بالشكر، بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم إذا زال غيرها، وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر.

ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده، فقال: ﴿ولا تكفرون﴾ المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها وعدم القيام بها، ويحتمل أن يكون المعنى عاماً، فيكون الكفر أنواعاً كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي على اختلاف أنواعها وأجناسها من الشرك فما دونه.

﴿١٥٣﴾ ﴿يما أيها الذيس آمسوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع

الصابرين ﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدينية والدنيوية ﴿بالصبر والصلاة﴾ فالصبر هو: حبس النفس وكفها على ما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعملي أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه، خصوصاً الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئاً وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق خصوصاً إن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مفتضاها وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله والتوكل عليه، واللجأ إليه والافتقار على الدوام.

وبعد المعدر على المعدد، فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر في كل حالة من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه ومع الصابرين أي: مع من كان الصبر وتوفيقه وتسديده، فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل وهذه معية خاصة تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه، وهذه [منقبة عظيمة](١) ونصره وقربه، وهذه [منقبة عظيمة](١) فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلا وشرفاً، وأما المعية العامة فهى معية العلم والقدرة، كما المعامة فهى معية العلم والقدرة، كما

في قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وهذه عامة للخلق.

وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد الدين ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها وما يسن، وحصل فيها حضور القلب الذي هو لبها، فصار العبدإذا دخل فيها استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقاً بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه وصفاً، وداعياً يدعوه إلى امتثالًا أوامر ربه واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على کل شيء.

﴿١٥٤﴾ ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشمرون﴾ لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور (٢٦)، ذكر نموذجاً عما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية وأشقها على النفوس لمشقته في نفسه، ولكونه مؤدياً للقتل وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها.

ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل مما تظنون وتحسبون.

فالشهداء ﴿أحياء عندربهم

يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يسضيع أجر المؤمنين .

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني من المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح والاستبشار (٣)، وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل قد أخبر النبي علية أن أرواح الشهداء في أجواف طيور(١٤) خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. وفي هذه الآية أعظم حث على الجهاد في سبيل الله وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم. يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات الأجور العظيمة والغنائم، لم لا يكون كذلك والله تعالى قد: ﴿اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ .

فوالله لو كان للإنسان ألف نفس تذهب نفساً فنفساً في سبيل الله، لم يكن عظيماً في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى الدنيا حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة.

و وفي الآية دليل على نعيم البرزخ وعنابه، كما تكاثرت بذلك النصوص.

(100 _ 100) ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والشمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك

⁽٣) في ب: وهو الاستبشار.

⁽٤) في ب: طير.

 ⁽۱) زیادة من هامش: ب.

⁽٢) في ب: الأحوال.

عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون، أخبر تعالى أنه لا بدأن يبتلى عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان ولم يحصل معها محنة لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضى تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فأثدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمانً المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده ﴿بشيء من الخوف﴾ من الأعداء ﴿والحوع﴾ اي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو آبتلاهم بالخوف كله أو الجوع لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.

﴿ونقص من الأموال﴾ وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جواثح سماوية، وغرق وضياع، وأخذ الظلمة للأموال، من الملوك الظلمة وقطاع الطريق، وغير ذلك.

﴿والأنفس﴾ أي: ذهاب الأحباب من الأولاد والأقارب والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿والشمرات﴾ أي: الحبوب، والأشجار كلها، والخضر؛ ببرد أو بَرَدٍ، أو حرق، أو آفة سماوية من جراد()

فهذه الأمور لا بدأن تقع، لأن العليم الخبير أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجازع حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل [له] السخط الدال على شدة النقصان.

وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن

التسخط قولاً وفعلاً، واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقاً لحصول ماهو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله وفاز بالشواب، فلهذا قال تعللى: ﴿وبشر الصابرين﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب، فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الذين القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم

﴿قَالُوا إِنَّا شَهُ أَي: مُمْلُوكُونَ شَه، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحين بمماليكه وأموالهم، فلا أعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضاعن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجعٌ إليه من أقوى أسباب الصبر.

﴿أولشك﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عليهم صلوات من ربهم﴾ أي: ثناء وتنويه بحالهم ﴿ورحمه عظيمه، ومن رحمه إياهم أن وفقهم ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع علمُهُم بأنهم لله وأجمون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلَّت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم، فحصل له الذم

من الله والعقوبة والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل إذا وقعت، وهيو وبيان ما تقابل به إذا وقعت وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر بضد حال الصابر.

وأن هذا الابتلاء والاستحان سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وبيان أنواع المصائب.

﴿ ١٥٨ ﴾ ﴿إِن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾ يخبر تعالى شعائر الله ﴾ أي: أعلام دينه الظاهرة ، التي تعبد الله بها عباده ، وإذا كانا من شعائر الله بها عباده ، وإذا كانا من شعائر الله بقد أمر الله بتعظيم شعائر الله فقال : ﴿وَمِنْ يَعَظّمُ شَعَاتُر الله فَإِنّهَا مِنْ تَقْوَى القلوب ﴾ فدلً مجموع تعظيم شعائر الله ، وأن النصين أنهما من شعائر الله ، وأن تعظيم شعائره من تقوى القلوب .

والتقوى واجبة على كل مكلف، وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة كما عليه الجمهور، ودلت عليه الأحاديث النبوية وفعله النبي ﷺ، وقال: «خذوا عني مناسككم».

﴿فمن حج البيت أو اعتمر، فلا جناح عليه أن يُطوف بهما ﴾ هذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما، لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام، فنفى تعالى الجناح لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازه.

ودل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة، أنه لا يتطوع بالسعى مقرداً إلا مع انضمامه لحج أو

 ⁽١) كذا في ب، معدلة في الهامش وفي

عمرة، بخلاف الطواف بالبيت فإنه يشرع مع العمرة والحج،.وهو عبادة

فأما السعى والوقوف بعرفة ومزدلفة ورمى الجمار، فإنها تتبع النسك، فلو فعلت غير تابعة للنسك كانت بدعة، لأن البدعة نوعان: نوع يتعبد لله بعبادة لم يشرعها أصلاً، ونوع يتعبد له بعبادة قُد شرعها على صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصفة وهذا منه.

وقوله: ﴿ومن تطوع﴾ أي: فعل طاعة مخلصاً بها لله تعالى ﴿خيراً﴾ من حج، وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك ﴿فهو خير له﴾ فدلُ هذا على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله، ازداد خيره وكماله ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه.

ودل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه لا يحصل له إلا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شراً له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية

﴿ فَإِنَّ اللَّهُ شَاكِرَ عَلَيْمٌ ﴾ الشاكر والشكور من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره وامتثل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطأ، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفراً، لم تنقصه هذه الأمور.

ومن شكره لعبده، أن من ترك شيئاً لله أعاضه خيراً منه، ومن تقرُّب منه شبراً تقرَّب منه ذراعاً، ومن تقرَّب منه ذراعاً تقرَّب منه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، ومن عامله ربح عليه أضعافاً مضاعفة.

ومع أنه شاكر فهو عليم بمن يستحقّ الثواب الكامل، بحسب نيته وإيمانه وتقواه، ممن ليس كذلك، عليم

بأعمال العباد فلا يضيعها، بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم.

﴿ ١٥٩ _ ١٦٢ ﴾ ﴿إِن السَّذِيسِنِ يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك

أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم * إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله ومن البينات) الدالات على الحق المظهرات له، ﴿والهدى﴾ وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم بأن يبينوا للناس ما من الله به

ويطردهم عن قربهُ ورحمته . ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من حميع الخليقة ، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجُوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يصلى الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديساتهم، وقسربهم مسن

رحمة الله، فجوزي من جنس عمله،

فالكاتم لما أنزله الله، مضاد لأمر الله

عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه،

فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين:

كتم ما أنزل الله، والغشّ لعباد الله،

فأولَتك ﴿يلعنهم اللهِ أي: يبعدهم

مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها وهذا يطمسها ويعميها^(١)، فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

﴿ إِلَّا الَّذِينِ تَابُوا ﴾ أي: رجعوا عما هم عليه من الذنوب ندماً وإقلاعاً، وعيزمياً عيلي عيدم المعياودة، ﴿وأصلحوا﴾ ما قسد من أعمالهم، فلا يكفى ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن.

ولا يكفى ذلك في الكاتم أيضاً، حتى يبين ما كتمه، ويبدي ضد ما أخفى، فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محجوب عنها، فمن أتى بسبب التوبة تاب الله عليه، لأنه ﴿التوابِ﴾ أي: الرجاع على عباده بالعفو والصفح بعد الذنب إذا تابوا، وبالإحسان والنعم بعد المنع إذا رجعوا، ﴿الرحيم﴾ اللذي اتصف بالرحمة العظيمة النتي وسعت كل شيء، ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأنابوا، ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم لطفأ وكرماً، هذا حكم التائب من الذنب.

وأما من كفر واستمر على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه، ولم ينب إليه ولم يتب عن قريب، فأولئك ﴿عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لأنه لما صار كفرهم وصفاً ثابتاً، صارت اللعنة عليهم وصفاً ثابتاً لا تزول، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، ﴿خَالَدُينِ فِيهِا﴾ أي: في اللعنة أو في العذاب والمعنيان (٢) متلازمان.

﴿ لا يخفف عنهم العذاب ﴾ بل عذابهم دائم شديد مستمر، ﴿ولا هم ينظرون، أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضي، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون.

﴿١٦٣﴾ ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، يخبر تعالى ـ وهـ وأصدق القائلين ـ أنه ﴿إله واحد﴾ أي: متوحد منفردٌ في ذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فليس له

في ب. وهذا يسعى في طمسها (٢) في ب: وهما متلازمان. (1) وإخفائها.

شريك في ذاته، ولا سمي له ولا خالق كفو، ولا مثل ولا نظير، ولا خالق ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه، لأنه ﴿الرحْن الرحيم﴾ المتصف بالرحة أحد، فقد وسعت كل شيء، وعمت كل فقد وسعت كل أنواع الكمالات، وبرحته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحته اندفع عنها كل نقمة، وبرحته عرف عباده نفسه بصفاته وآلائه، وبين لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم بإرسال الرسل وإنزال

فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة فمن الله، وأن أحداً من المخلوقين لا ينفع أحداً، علم أن الله هوالمستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات.

وأن من أظلم الظلم وأقبح القبيح، أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد، وأن يشرك المخلوق⁽¹⁾ من تراب برب الأربياب، أو يبعب المخلوق المدبر العاجز من جميع الوجوه مع الخالق المدبر القادر القوي، الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء.

ففي هذه الآية إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع لجميع] النقم، فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى.

﴿١٦٤﴾ ثم ذكر الأدلة التفصيلية فقال: ﴿إِن في خلق السماوات والأرض واختلاف السليل والسنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب

المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾

أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة آيات، أي: أدلة على وحدانية وبحته، والميته، وعظيم سلطانه ورحمته، وسائر صفاته، ولكنها ولقوم فيما خلقت له، فعلى حسب ما من الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره وتدبره، ففي وتساعها، وإحكامها وإتقانها، وما والنجوم، وتنظيمها لمصالح العباد.

وفي خلق ﴿الأرضِ﴾ مهاداً للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، والاعتبار. ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها، وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم. وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة، لانفراده بالخلق والتدبير، والقيام بشؤون عباده، ﴿ ﴾ في ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ وهو تعاقبهما على الدوام، إذا ذهب أحدهما خلفه الآخر، وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط، وفي الطول والقصر والتوسط، وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيبواناتهم، وجميع مناعلي وجمه الأرض من أشجار ونوابت. كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير تَنبَهرُ له العقول، وتعجز عن إدراكه من الرَّجال الفحول، ما يدل ذلك على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته ورحمته الواسعة ولطفه الشامل، وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به، وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه، مما يوجب أن يؤلُّه ويُعبد، ويفرد بالمحبة والتعظيم،

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْنَصَدَرَىٰ تَهْنَدُواْ فَلْ بَلْمِلَّةَ إِزَاهِمَ حَيْفًا وَمَاكَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ فُولُوّاْ ءَامَنَ ابِاللَّهِ وَمَاۤ أُنِلَ إِلَيٰنَا وَمَآ أُنِلَ إِلَىٰٓ إِنْرَاحِتَهُ وَاسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُونِيَ مُوسَىٰ وَعِبسَىٰ وَمَاۤ أُونِت ٱلنِّيْوُنَ مِن نَّيْهِمْ لَانْفُرُقُ بَيْنَ أَحَدِينْهُمْ وَنَحْنُ أَدُ مُسْلِمُونَ ﴿ ظَوْ ءَامَنُواْ عِثْلِ مَآءَامَنتُ ربِدِءفَهَ وَاحْسَدُواْ وَإِن قَوْلُواْ فَإِنْسَا حُمْ فِي شِفَاقُ صَنَيَكُمِيهِ حَسَمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّبِيمُ ٱلْعَسَلِيمُ ﴿ مِبْغَكَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ مِبْغَةٌ وَخَنْ أَمْ عَلِيدُونَ ﴿ قُلْ أَثَمَا جَوْنَنَا فِ اللَّهِ وَهُوزَيُّ وَيُحْتُمْ وَلَيَّا أَخَمُلُنَّا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَغَنْ أَهُ مُغْلِمُونَ ۞ أَمْ نَفُولُونَ إِنَّ إِنْزَوْتِهُ وَإِسْمَاعِيلَ وَلِسْحَنَّ وَيَعْفُوبَ وَإِلْمُسْمِكُ كَ أَوَاهُودًا أَوْنَصَلَرَيٌّ فَلْ مَأْنَتُ أَعْ لَكُمْ أَمِاللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِن ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِفَلَيْلِ حَمَّا تَعْسَلُونَ ﴿ يَلْكَأْمَتُهُ مَنْ خَلَتْ لَهَا مَاكَسَتُ وَلَكُوْمًا كَسَبْتُمُ وَلَا نُنْتَلُونَ عَمَّا كَانُواْبَعْ مَلُوت ا DUDGE " BAROKO!

والخوف والرجاء، وبذل الجهد في محابه ومراضيه .

﴿و﴾ في ﴿الفلك التي تجري في السيف والمراكب وهي السيف والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها، وخلق ليهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها.

ثم سخر لها هذا البحر العظيم، والرياح التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم مصالحهم وتنتظم معايشهم.

فمن الذي ألهمهم صنعتها وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟ أم من الذي سخر لها البحر تجري فيه بإذنه وتسخيره والرياح؟ أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية النار والمعادن المعينة على حملها وحمل ما فيها من الأموال؟ فهل هذه بعملها هذا المخلوق الضعيف العاجز، للذي خرج من بطن أمه لا علم له ولا يقدرة، ثم خلق له ربه القدرة وعلمه ما يشاء تعليمه، أم المسخر لذلك رب واحد حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء؟ بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته،

• سَيَقُولُ السُّفَعَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنِهُمْ عَنَ فِلْنَهُمُ الَّتِي كَافُواْ عَلَيْهَا فُل يَتَوالْلَسَّرِقُ وَلَلْعُرِبُ بَعْدِى مَن يَشَكَّ إِلَى مِرَطِ مُسنَفِيهِ ﴿ وَكَذَٰ إِلَى جَعَلَٰنَكُو أَتَدُّ وَسَطًّا لِتَكُونُوا شُهِدَاءً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُوشَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْفِيلَةَ ٱلِّي كُنتَ عَلَيْهِمَاۤ إِلَّا لِيَعَلَّمُ مَن يَبِّعُ ٱلرَّسُولَ مِنْن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِيَبُ وَإِن سِحَانَتُ لَكَجِيرَةً إِلَّا عَلَىٰ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَاكَ انَ اللَّهُ لِيغْيِمَ إِيمَنْكُمْ إِنَّ اَللَّهَ وَالنَّاسِ لَرَهُ وَفَّ زَجِيهٌ ﴿ فَدُنَّزَىٰ نَقَلُّ وَجِلْكَ فِالسَّمَاةِ مُلْوَلِيَنَكَ فِلْهُ زَمْسَاهُ وَلِوَجْهَكَ سَطْسَ ٱلْمَسْجِدِ الْحَرَارُ وَحَيْثُ مَا كُنْتُدُ وَزُواْ وُجُوهَ حَكُمْ شَطْرَةً وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَلَبَ لَيَعَلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن تَيْعِدُ وَمَا اَتَهُ بِعَنَاغِلِ عَمَّا بَعْمَلُونَ ۞ وَلَهِنْ أَنَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلكِنْبَ يَكُلِ مَا يَوْمَا نَيْعُوا فِيلْنَكُ وَمَا أَنْ يَتَابِعِ فِلْنَهُمُ ومَابَعْتُهُم بِتَابِعِ فِلْكَ بَعْضِ وَلَهِنِ أَبَّعَتَ أَهْوَآءَهُم مِنْ بَعْدِمَا جَآةً كُومِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِنَّا لِنَا الْخَالِمِينَ ۞

وخضعت لجبروته.

وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءاً من أجزاء الأسباب، التي بها وجدت هذه الأمور العظام، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه، وذلك يوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم.

AND THE WEST OF SERVICE

﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ ومحبة وإنابة وعبادة؟ وهو المطر النازل من السحاب. وفي تسخير الس

﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ فأظهرت من أنواع الأقوات وأصناف النبات، ما هو من ضرورات الخلائق التي لا يعيشون بدونها.

أليس ذلك دليلاً على قدرة من أنزله وأخرج به ما أخرج، ورحمته ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟ أليس ذلك دليلاً على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟ ﴿وبتَ فيها﴾ أي: في الأرض ﴿مِن كل دابة﴾ أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة، ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وجوه الانتفاع.

فمنها: ما يأكلون من لحمه، ويشربون من درّه، ومنها: ما يركبون، ومنها: ما يركبون، ومنها: ما يعتبر به، وحراستهم، ومنها: ما يعتبر به، ومع (١٦) أنه بث فيها من كل دابة، فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم المتكفل بأقواتهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها.

وفي ﴿تصريف الرياح﴾ باردة وحارة، وجنوباً وشمالا، وشرقاً ودبوراً، وبين ذلك، وتارة تشير السحاب، وتارة تؤلّف بينه، وتارة تلقحه، وتارة تدره، وتارة تمزقه، وتزيل ضرره، وتارة تكون رحة،

فمن الذي صرفها هذا التصريف، وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه؟ وسخّرها ليعيش فيها جميع الحيوانات، وتصلح الأبدان والأشجار، والحبوب والنوابت، إلا العزيز الحكيم الرحيم، اللطيف بعباده، المستحق لكل ذل وخضوع وعدة وإنابة وعادة؟

وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء، فيحيي به البلاد والعباد، ويروي التلول والوهاد، وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه، فإذا كان يضرهم كثرته أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفاً، ويصرفه عناية وعطفاً، فما أعظم سلطانه وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه!!

أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه، ويعيشوا ببره، وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه؟ أليس ذلك دليلاً على حلمه وصبره وعفوه وصفحه، وعميم لطفه؟

فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

والحاصل أنه كلما تدبر العاقل في

هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع في ها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها.

فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الخني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يجونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ أسرد العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * إذ تبرزاً الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبراً منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾.

ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى لما بين وحدانيته وادلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذكر هنا أن ﴿من الناس﴾ مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أنداداً شه، أي: نظراء ومشلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة.

ومن كان بهذه الحالة ـ بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد ـ علم أنه معاند لله مشاق له، أو معرض عن تدبر آياته، والتفكر في غلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب.

وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد

مع الله، لا يسوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم ليقربوهم إليه، وفي قوله: ﴿ التخذوا﴾ دليل على أنه ليس لله نند وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أنداداً له، تسمية قال تعالى: ﴿ وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول﴾.

﴿إِنْ هِي إِلَّا أَسِمَاءُ سِمِيتُمُوهَا أَنْتُمُ وآباؤكم ماً أنزل الله بها من سلطان إنّ يتبعون إلا الظن♦ فالمخلوق ليس نىداً لله لأن الله هـ و الخيالـ ق وغــيـره مخلوق، والرب الرازق ومن عداه مرزوق، والله هو الغني وأنتم الفقراء، وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه، والله هو النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضر والأمر شيء، فعلم علماً يقينا بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأنداداً، سواء كان ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو صتماً أو غير ذلك، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة والذل التام، فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿والَّذِينَ آمنُوا أَشَدَ حَبًّا للهِ ۗ أَي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبواً من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشتت أمره.

فلهذا توعدهم الله بقوله: ﴿ولو يرى الذين ظلموا ﴾ باتخاذ الأنداد والانقياد لغير رب العباد وظلموا الخلق بصدهم عن سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم.

﴿إذ يسرون السعسذاب﴾ أي: يسوم القيامة عياناً بأبصارهم، ﴿أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾ أي: لعلموا علماً جازماً أن القوة والقدرة لله كلها، وأن أندادهم ليس فيها من القوة شيء، في ذلك اليوم

ضعفها وعجزها، لا كما اشتبه عليهم في الدنيا وظنوا أن لها من الأمر شيئا، وأنها تقربهم إليه وتوصلهم إليه، فخاب ظنهم وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب، ولم تدفع عنهم أندادهم شيئا، ولم تغن عنهم مثقال ذرة من النفع، بل يحصل لهم الضرر منها من حيث ظنوا نفعها.

وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت بينهم الوُصَل التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحلت أعمالهم وتلاشت أحوالهم، وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها انقلبت عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبدا، فهل بعد هذا الخسران خسران؟ ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير مرجو، وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها، ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضرتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل لوجهه ورجا نفعه، فهذا قد وضع الحق في موضعه، فكانت أعماله حقاً لتعلقها بالحق، ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه عند ربّه غير منقطع، كما قال تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم *والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بمانزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم * ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم).

وحينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبر وا من متبوعيهم، بأن يتركوا الشرك بالله ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيهات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنما هو قول يقولونه وأمانى

يتمنونها، حنقاً وغيظاً على المتبوعين لما تبرؤوا منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر إبليس، ومع هذا يقول لأتباعه لما قُضي الأمر. ﴿إِن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾.

﴿ ١٦٨ ـ ١٧٠﴾ ﴿ يِا أَيِّهَا النَّاسِ كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * إنَّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون * وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، هذا خطاب للناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من حبوب وثمار وفواكه وحيوانات، حالة كونها ﴿حلالاً﴾ أي: محلَّلاً لكم تناوله، ليس بغصب ولا سرقة، ولا محصلاً بمعاملة محرمة أو على وجه محرم، أو معيناً على محرم.

﴿طبباً﴾ أي: ليس بخبيث كالميتة والدم ولحم الخنزير، والخبائث كلها، ففي هذه الآية دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلا وانتفاعاً، وأن المحرم نوعان: إما محرم لذاته، وهو المخبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال.

وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يأثم تاركه لظاهر الأمر، ولما أمرهم باتباع ما أمرهم به إذه وعين صلاحهم - نهاهم عن اتباع أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر وفسوق وظلم، ويدخل في ذلك تحريم السوائب والحام، ويدخل في ذلك تحريم فيه أيضاً تناول المأكو لات المحرمة، العداوة، فلا يريد بأمركم إلا غشكم،

وأن تكونوا من أصحاب السعير، فلم يكتف ربنا بنهينا عن اتباع خطواته، حتى أخبرنا. وهو أصدق القائلين ـ بعداوته الداعية للحذر منه، ثم لم يكتف بذلك، حتى أخبرنا بتفصيل ما يأمر به، وأنه أقبح الأشياء وأعظمها مفسدة، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمُ بِالسَّوِّ ﴾ أي: الشر الذي يسوء صاحبه، فيدخل في ذلك جميع المعاصي، فيكون قوله: ﴿والفحشاء﴾ من باب عطف الخاص على العام، لأن الفحشاء من المعاصى، ما تناهي قبحه، كالزنا وشرب الخمر، والقتل، والقذف، والبخل، ونحو ذلك مما يستفحشه من له عقل، ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون، فيدخل في ذلك القول على الله بلا علم، في شرعه وقدره، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو نفي عنه ما أثبته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم، ومن زعم أن لله نداً، وأوثاناً تقرب من عبدها من الله، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: إن الله أحل كذا أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهى عن كذا، بغير بصيرة، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: إن الله خلق هذا الصنف من الخلوقات للعلة الفلانية بلا برهان له بذلك، فقد قال على الله بلا علم، ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه أو كلام رسوله على معان اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال، ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على الله بلا علم من أكبر المحرمات وأشملها وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها، فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده، ويبذلون مكرهم وخداعهم على إغواء الخلق بما يقدرونُ عليه.

وأما الله تعالى فإنه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فلينظر العبد نفسه مع أي: الداعين هو، ومن أي: الحزبين؟ أتتبع داعي الله الذي يريد لك الخير والسعادة الدنيوية

والأخروية، الذي كل الفلاح بطاعته، وكل الفوز في خدمته، وجميع الأرباح في معاملته المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، أم تتبع داعي الشيطان الذي هو عدو الإنسان، الذي يريد لك الشر، ويسعى بجهده على إهلاكك في الدنيا والآخرة؟ الذي كل الشر في طاعته، وكل الخسران في ولايته، الذي لا يأمر إلا بشر، ولا ينهى إلا عن خير. ثم أخبر تعالى عن حال المشركين؛ إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله _ مما تقدم وصفه _رغبواعن ذلك، وقالوا: ﴿بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هٰذا فآباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالاً، وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعاً، واتبعه إن كان منصفاً.

ثم قال [تعالى]: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾.

لًا بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك بالتقليد، علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق ولا مستجيبين له، بل كان معلوماً لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم، أخبر تعالى أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول داعيها ومناديا، فهم يسمعون بحرد داعيها ومناديا، فهم يسمعون بحرد ولكنهم لا يفقهونه فقهاً ينفعهم، قلهذا كانوا صمًا لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عمياً لا ينظرون نظر اعتبار، بكماً فلا ينطقون بما فيه نظر اعتبار، بكماً فلا ينطقون بما فيه

خير لهم.

والسبب الموجب لذلك كله أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء.

فهل يستريب العاقل أن من دعي إلى الرشاد، وذيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه وفوزه ونعيمه، فعصى الناصح وتولى عن أمر ربه، واقتحم النار على بصيرة، واتبع الباطل ونبذ الحق. أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء أنه من أسفه السفهاء.

﴿ ١٧٢ ـ ١٧٣ ﴾ ﴿ يِمَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عادِ فلا إثم عليه إن الله غفور رحّيم﴾ هذا أمر للمؤمنين خاصة بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه باستعمالها بطاعته، والتقوى بها على ما يوصل إليه، فأمرهم بما أمربه المرسلين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُلُّ كُلُوا أَ من الطيبات واعملوا صالحاً﴾ فالشكر في هذه الآية هو العمل الصالح، وهنا لم يقل «حلالاً» لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة، ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس

وقوله: ﴿إِن كنتم إِياه تعبدون﴾ أي: فاشكروه، فدل على أن من أم يشكر الله فلم يعبده وحده، كما أن من شكره فقد عبده وأتى بما أمر به، ويدل أيضاً على أن أكل الطيب سبب للعمل الصالح وقبوله، والأمر بالشكر عقيب النعم؛ لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة، ويزيل النعم الموجودة.

ولما ذكر تعالى إباحة الطيبات ذكر تحريم الخبائث، فقال: ﴿إِنما حرَم

عليكم الميتة وهي ما مات بغير تذكية شرعية ، لأن الميتة خبيثة مُضرة لرداءتها في نفسها، ولأن الأغلب أن تكون عن مرض، في كون زيادة ضرر (١١)، واستثنى الشارع من هذا العموم ميتة الجراد وسمك البحر، فإنه حلال طب.

﴿والدم﴾ أي: المسفوح كما قيد في الآية الأخرى.

﴿وما أهل به لغير الله اي: ذبح لغير الله أي: ذبح لغير الله كالذي يذبح للأصنام والأوشان من الأحجار، والقبور ونحوها، وهذا المذكور غير حاصر للمحرمات، جيء به لبيان أجناس الحبائث المدلول عليها بمفهوم قوله: ﴿طبباتُ فعموم المحرمات تستفاد من طبباً كما تقدم.

وإنما حرّم علينا هذه الخبائث ونحوها، لطفا بنا وتنزيباً عن المضر، ومع هذا ﴿فمن اضطر﴾ أي: ألجى، ﴿فير باغ﴾ أي: غير طالب للمحرم ﴿فير باغ﴾ أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم في تناول ما أبيح له اضطراراً، فمن أضطر وهو غير قادر على الحلال، فلا إثم [أي: جناح] عليه، وإذا ارتفع وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها، الجناح (رجع الأمر إلى ما كان عليه، واذا رنفع والإنسان بهذه الحالة مأمورٌ بالأكل، بل منهيٌ أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه.

فيجب إذاً عليه الأكل، ويأثم إن ترك الأكل حتى مات، فيكون قاتلاً لنفسه، وهذه الإباحة والتوسعة من رحمته تعالى بعباده، فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة، فقال: ﴿إِن الله غفورٌ رحيم﴾.

ولما كبان الحل مشروطاً بهذين الشرطين، وكان الإنسان في هذه الحالة

ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها. أخبر تعالى أنه غفور، فيغفر له ما أخطأ فيه في هذه الحال، خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه المشقة.

وفي هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة: «النضرورات تبييح المحظورات»، فكل محظور اضطر له الإنسان، فقد أباحه له الملك الرحن [فله الحمد والشكر أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً].

﴿ ١٧٤ ـ ١٧٦ ﴾ ﴿إِن السذيسين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار * ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾ هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله، من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي ونبذ أمر الله، فأولئك: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بِطُونِهِم إِلاَّ النار﴾ لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، ﴿ولايكلمهم الله يوم القيامة﴾ بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب المنار، ﴿ولا يسرُ كسيسهم ﴾ أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله وأعرضوا عنه، واختباروا النضلالة على البهدي،

والعذاب على المغفرة، فهولاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟!! ﴿ذلك﴾ المذكور، وهو مجازاته بالعدل ومنعه أسباب الهداية، ممن أباها واختار سواها.

﴿بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾ ومن الحق مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأيضاً ففي قوله: ﴿نزل الكتاب بالحق﴾ ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه، وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن صرفه عن مقصوده فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة.

﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، أو الذين حرفوه وصرفوه على أهوائهم ومراداتهم ﴿ لفي شقاق ﴾ أي: عادة، ﴿ بعيد ﴾ عن الحق شقاق ﴾ أي: عادة الكتاب الذي جاء بالحق الموجب للاتفاق وعدم التناقض، بالحق المرجم، وكثر شقاقهم، وترتب على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به وحكموه في كل شيء، فإنهم اتفقوا وارتفقوا بالمحبة والاجتماع عليه.

وقد تضمنت هذه الآيات الوعيد للكاتمين لما أنزل الله، المؤثرين عليه عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى، فترتب على المغفرة. على ذلك اختيار العذاب على المغفرة. ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار، ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار، موصلة لها، وأن الكتاب مشتمل على الختراق، وأن كل من خالفه فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة

⁽١) في ب: مرض.

⁽٢) في أ: (وإذا ارتفع الجناح) وفوق كلمة الجناح كلمة (الإثم) وفي ب، وردت الجملة هكذا (وإذا ارتفع الاثم).

والمخاصمة، والله أعلم.

﴿١٧٧﴾ ﴿ليس السبر أن تسولسوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من أمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون، يقول تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ أي: ليس هذا هو البر المقصود من العباد، فيكون كثرة البحث فيه والجدال من العناء الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف، وهذا نظير قوله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» ونحو ذلك .

﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ أي: بأنه إله واحد، موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص.

﴿واليوم الآخر﴾ وهو كل ما أخبر الله به في كتابه أو أخبر به الرسول عما يكون بعد الموت.

﴿والملائكة ﴾ الذين وصفهم الله لنا في كتابه ، ووصفهم رسوله ﷺ ، ﴿والكتاب ﴾ أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على رسله ، وأعظمها القرآن ، فيؤمن بما تضمنه من الأخبار والأحكام ، ﴿والنبيين ﴾ عموماً ، خصوصاً خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ .

﴿واتى المال﴾ وهو كل ما يتموله الإنسان من مال، قليلاً كان أو كثيراً، أي: أعطى المال ﴿على حبه﴾ أي: حب المال، بين به أن المال محبوب للنفوس، فلا يكاد يخرجه العبد.

فمن أخرجه مع حبه له تقرباً إلى الله تعالى، كان هذا برهاناً لإيمانه، ومن إيناء المال على حبه أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى، ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة كانت أفضل، لأنه في هذه الحال

يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر.

وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا نما تحبون﴾ فكل هؤلاء نمن آتي المال على حبه.

ثم ذكر المنفق عليهم، وهم أولى الناس ببرّك وإحسانك. من الأقارب الذين تتوجع لمصابهم، وتضرح بسرورهم، الذين يتناصرون ويتعاقلون، فمن أحسن البر وأوفقه تعاهد الأقارب بالإحسان المالي والقولي، على حسب قربهم وحاجتهم. ومن اليتامي الذين لا كاسب لهم، وليس لهم قوة يستغنون بها، وهذا من رحمته [تعالى] بالعباد، الدالة على أنه تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده، فالله قد أوصى العباد، وفرض عليهم في أموالهم الإحسان إلى من فَقِدُ آباؤهم ليصيروا كمن لم يفقد والديه، ولأن الجزاء من جنس العمل، فمن رحم يتيم غيره رُحِمَ يتيمه.

﴿والمساكين﴾: وهم السذيت أسكنتهم الحاجة وأذلهم الفقر، فلهم حق على الأغنياء بما يدفع مسكنتهم أو خففها، بما يقدرون عليه وبما يتيسر، ﴿وابن السبيل﴾: وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فحث الله عباده على الكونه مظنة الحاجة، وكثرة المصارف، فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته الغريب الذي بهذه الصفة على حسب وخوله من نعمته، أن يرحم أخاه استطاعته، ولو بتزويده أو إعطائه آلة لسفره، أو دفع ما ينوبه من المظالم وغيرها.

﴿والسائلين﴾ أي: الذين تعرض لهم حاجة من الحوائج توجب السؤال، كمن ابتلي بأرش جناية، أو ضريبة عليه من ولاة الأمور، أو يسأل الناس لتعمير المصالح العامة، كالمساجد والمدارس والقناطر، ونحو ذلك، فهذا له حتَّ وإن كان غنياً ﴿وفي الرقاب﴾ فيدخل فيه العتق والإعانة

عليه، وبذل مال للمكاتب ليوفي سيده، وفداء الأسرى عند الكفار أو عند الظلمة.

﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ قد تقدم مراراً أن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة ، لكونهما أفضل العبادات وأكمل القربات ، عبادات قلبية وبدنية ومالية ، وبهما يوزن الإيمان ، ويعرف ما مع صاحبه من الإيقان .

﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ والعهد: هو الالتزام بإلزام الله أو إلزام حقوق الله كلها، لكون الله ألزم بها عباده والتزموها، ودخلوا تحت عهدتها، ووجب عليهم أداؤها، وحقوق العباد التي أوجبها الله عليهم، والحقوق التي التزمها العبد كالأيمان والنذور، ونحو ذلك.

﴿والصابرين في البأساء ﴾ أي: الفقر ؛ لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة ، لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره .

فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم، وإن جاع أو جاعت عياله تألم، وإن أكل طعاماً غير موافق لهواه تألم، وإن غري أو كاد تألم، وإن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم، وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم.

فكلُ هذه ونحوها مصائب يؤمر بالصبر عليها والاحتساب، ورجاء الثواب من الله عليها.

والسفسراء أي: المرض على اختلاف أنواعه ، من حمى وقروح ورياح ووجع عضو ، حتى الضرس والإصبع ونحو ذلك ، فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك ؛ لأن النفس تضعف والبدن يألم ، وذلك في غاية المشقة على النفوس ، خصوصاً مع تطاول ذلك ، فإنه يؤمر بالصبر احتساباً لثواب الله [تعالى].

﴿وحين البأس﴾ أي: وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم، لأن الجلاد يشق غاية المشقة على النفس، ويجزع الإنسان من القتل أو الجراح أو الأسر، فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتسابا، ورجاء لثواب الله [تعالى] الذي منه النصر والمعونة التي وعدها الصابرين.

﴿أُولِئك﴾ أي: المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقته الإنسانية، فأولئك هم ﴿الذين صدقت إيمانهم، لأن أعمالهم المتقون﴾ ؛ لأنهم تركوا المحظور وفعلوا المأمور؛ لأن هذه الأمور مشتملة على الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها الأبرار الصادقون المتقون.

وقد علم ما رتب الله على هذه الأمور الثلاثة من الثواب الدنيوي والأخروي، مما لا يمكن تفصيله في [مثل] هذا الموضع.

﴿١٧٨ ـ ١٧٨ ﴾ ﴿يا أيها الذين امنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع غفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * ولكم في تتقون ﴾ يمتن تعلى على عباده المؤمنين، القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم بأنه فرض عليهم ﴿القصاص في بأنه فرض عليهم ﴿القصاص في القتل على الصفة التي قتل عليها القاتل على الصفة التي قتل عليها العباد.

وتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين،

فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل، حتى القاتل بنفسه، إعانة ولى المقتول إذا طلب القصاص، وتمكينه (أ) من القاتل، وأنه لا يجوز لهم أن يجولوا بين هذا الحد ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية ومن أشبههم من إيواء المحدثين.

ثم بين تفصيل ذلك، فقال: ﴿الحر بالذكر، بالحر﴾ يدخل بمنطوقها الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، ويكون منطوقها مقدماً على مفهوم قوله: «الأنثى بالأنثى، مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل دلالة السنة، وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: (القصاص) ما يدل على أنه ليس من العدل أن يقتل الوالد بولده، ولأن ما في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو أذية شديدة جداً من الولد

وخرج من العموم أيضاً الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة.

وأيضاً فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، والعبد بالعبد، ذكراً كان أو أنثى، تساوت قيمهما أو اختلفت، ودلَّ بمفهومها على أن الحر لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له، والأنثى بالأنثى، أخذ بمفهومها بعض أهل العلم، فلم يجز قتل الرجل بالمرأة، وتقدم وجه ذلك.

وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلهذا قال: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود واختيار

الَّذِينَ عَالَيْنَهُمُ الْكِئْبَ إِمِّرُونَهُ كُمَّا يَضْرِوُنَ أَبْنَاءَهُمُّ وَإِنَّ وَيَعَّامِنْهُمْ لِتَكْتُدُونَ ٱلْمُنَّ وَهُمْ يَعْدَدُونَ ﴿ ٱلْمُنَّامِنَ أَيْكُ فَلَانَكُوْنَ مِنَ ٱلْمُنْزِينَ ۞ وَلِكُلْ بِنِحَةً هُوَمُولِهَا ۗ فَأَسْ يَعَوا ٱلْخَيْرَاتِ أَنْ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَيِعَكُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَمُٰ لِي مَنْ وِ فَدِيرٌ ۞ وَيَنْ حَبْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّي وَجْهَكَ شَطْرَلْسَيْجِدِ لَلْحَرَادِ وَ إِنْمُلْلْحَقُّ مِن زَيْكٌ وَمَا اللَّهُ بِمَنْفِلِعَمَّانَعْمَلُونَ ﴿ وَمِنْجَنُ خَرَّجَ فَلْلِينَجُكَ شَطْرًالْتَسْبِوالْفُرُاءِ وَحَنْثُ مَاكُنُدُ فَأَلُوا وُجُوعَكُمْ شَطْرَهُ لِتَلَايَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْتُ عُمْ جُمَّةً إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنهُمْ فَلْاغَنْشُوهُمْ وَأَخْشُونِي وَلِأَيْدُ فِيغَيْنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ مَّمَتُدُونَ ﴿ كُمَّ أَرْسَلْنَا فِيكُرْرَسُولَامِنَكُمْ مِسْلُوا عَلَيْكُو المِنْذَا وَرُزِيِّكُمُ مَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِنْبَ وَلَا لَهُمُنَا وَيُعَلِّمُ كُمُّ مَا لَزِنْكُونُواْ مَا لَدُنْ ﴿ فَاذْكُرُونِ أَذَكُرُ وَنِ أَذَكُرُ كُمْ وَالْفَكُرُوْالِيوَلَانَكُفُرُونِ ﴿ بَتَأَيُّهَا ٱلَّذِيرَ ۖ مَا سَنُوا ٱسْتَعِينُواْ بِالعَمْدِي وَالصَّلَوْةُ إِنَّ اللَّهُ مَعَ العَهَدِينَ ﴿ PARTE TERRETA الدية إلى الولى .

فإذا عفا عنه وجب على الولي [أي: ولي المقتول] أن يتبع القاتل في المعروف من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق، بل يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يحرجه.

وعلى القاتل ﴿أداء إليه بإحسان﴾ من غير مطل ولا نقص ولا إساءة فعلية أو قولية ، قهل جزاء الإحسان الله بالعفو إلا الإحسان بحسن القضاء ، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان ، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف ، ومن عليه الحق بالاداء بإحسان (١) .

وفي قوله: ﴿فمن عفي له من أخيه﴾ ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجاناً.

وفي قوله: ﴿أخيه ﴾ دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه.

وإذا عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوماً منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ أي:

وَلَا نَقُولُواْ لِنَ يُفْتَلُ فِي سَهِيلِ اللَّهِ أَمُونَا ثَلُ أَخْسَأَ وَكُلِّكُمْ لَاتَنْعُرُونَ ﴿ وَلَنَبَلُونَكُمُ بِنَيْ وِيَزَالْلَجُونِ وَلَلْمُ وَتَعْسِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَمْشِينَ وَٱلشَّمَرَاتُ وَيَشِرَالمَسْبِينَ ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا أَمِيَنَهُمُ مُصِيبَةً فَالْوَا إِنَايِقِو وَإِنَّا إِلْيُودَجِعُونَ ۞ أوَلَتِكَ عَلَيْهِ وْمَسَلَوَتْ مِن دَيْهِ وْ وَدَحْسَةٌ وَأَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْهُنَدُونَ ۞ • إِنَّ ٱلصَّفَاوَٱلْمَرُوةَ مِن شَعَآبِرِأِقُوفَنْ حَجَّ ٱلْبَيْنَ أُواْعَنَ مَرَ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ بِظَلَوْفَ بِهِمَّادَمَن مَلَوَعَ خَيْرًا فَإِنَّ أَنَّهُ شَاكِرُ عَلِيمٌ ﴿ إِنَّ أَلَٰذِينَ يَكُنُّونَ مَآ أَزَلْنَامِنَ ٱلْبَيْنَتِ وَٱلْحُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا يَثَنَكُهُ لِلسَّاسِ فِي ٱلْكِنْبُ أُوْلَٰئِكَ بَلْعَنْهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنَّهُمُ ٱللَّاعِنُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ نَامُواْ وَإَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَالْإِلَّا أَوْلَتِكَ أَوْبُ عَلَيْهِمُّ وَأَنَا ٱلنَّوْآبُ ٱلرَّجِيمُ ۞ إِنَّالَذِينَكُمْرُوا وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارُ أُوْلَتِكَ عَلَيْهِ زَلْفَ أَالَّهِ وَلَلْكَتِهِ كَوْ وَالسَّاسِ أَخْمُونَ ۞ خَلِدِينَ فِيقًا لَا يَخْفَفُ عَنْهُ وَالْعَلَابُ وَلَاهُمْ يُظَرُّفِ ﴿ وَإِلَّهُ كُوْ إِلَّهُ وَنَيْدُ كُمَّ إِنَّهُ إِلَّهُ هُوَالْزَخَلُ الرَّحِيدُ ۞ ACCOUNT TO SECOND

بعد العفو ﴿فله عذاب أليم﴾ أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئاً له، فيجب قتله بذلك.

وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول، لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره.

ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص، فقال: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أي: تنحقن بذلك عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد مقتولا انذعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يعصل انكفاف الشر الحدود الشرعية، فيها من النكاية والانزجار ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكر والحياة، لا يأداد التعظيم والتكثير.

ولما كان هذا الحكسم لا يعرف حقيقته إلا أهل العقول الكاملة، والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى يجب من عباده أن يعملوا أفكارهم

وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه من الحكم، والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة، وأن من كان بهذه المثابة فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلا وشرفاً لقوم يعقلون.

وقوله: ﴿لعلكم تنقون﴾ وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين.

﴿ ١٨٠ _ ١٨٠) ﴿ كُتب عليكم إذا

حضر أحدكم الموت إن تىرك خيىراً

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على التقين * فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم * فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) أي: فرض الله عليكم يا معشر المؤمنين ﴿إذا حمضر أحمدكم الموت، أي: أسبابه، كالمرض المشرف على الهلاك، وحضور أسباب المهالك، وكان قد ﴿ترك خيراً﴾ [أي: مالاً] وهو المال الكثير عرفاً، فعليه أن يوصي لوالديه وأقرب الناس إليه بالمعروف، على قدر حاله من غير سرف ولا اقتصار على الأبعد دون الأقرب، بل يرتبهم على القرب والحاجة، ولهذا أتى فيه بأفعل التفضيل.

وقوله: ﴿حقاً على المتقين﴾ دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو الشابت، وقد جعله الله من موجبات التقوى.

واعلم أن جهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل، والأحسن

في هذا أن يقال: إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري.

ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن كان مجملاً، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما عمن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء، وهم أحق الناس ببره، وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلاً من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظاً، واختلف المورد.

فبهذا الجمع عصل الاتفاق والجمع بين الآيات، لأنه (١) مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ، الذي لم يدل عليه دليل صحيح.

ولما كان الموصى قد يمتنع من الوصية، لما يتوهم أن من بعده قد يبدل ما وصى به، قال تعالى: ﴿ فَمَن بدله ﴾ أي: الإيصاء للمذكورين أو غيرهم ﴿ بعدما سمعه ﴾ [أي:] بعدما عقله، وعرف طرقه وتنفيذه، ﴿ فَإِنما إلْمه على الله على المبدلونه ﴾ وإلا فالموصى وقع أجره على الله، وإنما الإثم على المبدل

إن الله سميع السمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته، فعليم المنيته وعليم بعمل الموصى إليه، فإذا اجتهد الموصى اليه من أخطأ، وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل، فإن الله عليم به، مطلع على ما فعله، فليحذر من الله، هذا حكم الوصية العادلة، وأما الوصية التي فيها حيف وجنف وإثم، فينبغي لمن حضر الموصى وقت الوصية بها، أن ينصحه بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهاه بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهاه

عن الجور والجنف، وهو الميل بها عن خطأ، من غير تعمد، والإثم: وهو التعمد لذلك.

فإن لم يفعل ذلك، فينبغى له أن يصلح بين الموصى إليهم، ويتوصل إلى العدل بينهم على وجه التراضي والمصالحة، ووعظهم بتبرئة ذمة ميتهم، فهذا قد فعل معروفاً عظيماً، وليس عليه إثم، كما على مبدل الوصية الجائزة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللهُ غَفُورِ﴾ أي: يغفر جميع الزلات، ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه، ومنه مغفرته لمن غضٌ من نفسه وترك بعض حقه لأخيه، لأن من سامح سامحه الله، غفور ليتهم الجائر في وصيته إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضأ لأجل براءة ذمته، رحيم بعباده، حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون، فدلّت هذه الآيات على الحث على الوصية، وعلى بيان من هي له، وعلى وعيد المبدل للوصية العادلة، والترغيب في الإصلاح في الوصية الجائرة.

﴿ ١٨٣ ــ ١٨٥ ﴾ ﴿ بِما أيها الـذيـن آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون * شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على هداكم ولعلكم تشكرون، يخبر تعالى بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وفيه تنشيط لهذه الأمة بأنه ينبغى

لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختصيتم بها.

ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام، فقال: ﴿لملكم تتقون﴾ فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتال أمر الله واجتناب نهيه.

فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجرى الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب تكثر طاعته، والطاعات من الغالب تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة لفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى.

ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام، أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة.

ثم سهل تسهيلاً آخر، فقال: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ وذلك للمشقة في الغالب، رخص الله لهما في الفطر.

ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام أخر إذا زال المرض، وانقضى السفر، وحصلت الراحة.

وفي قوله: ﴿فَمدة من أيام﴾ فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملاً كان أو ناقصاً وعلى أنه يجوز أن يقضي أياماً قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس.

وقوله: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾

أي: يطيقون الصيام ﴿فدية﴾ عن كل يوم يفطرونه ﴿طعام مسكين﴾ وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتماً فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم بأسهل طريق، وخير المطيق للصوم بين أن يصوم وهو أفضل أو يطعم، ولهذا قال: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾

ثم بعد ذلك جعل الصيام حتماً على الطيق، وغير المطيق يفطر ويقضيه في أيام أخر [وقيل: ﴿وعلى الذين يطيقونه، ويشق عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير فدية عن كل يوم مسكين(١)، وهذا هو الصحيح](٢).

وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي: الصوم المفروض عليكم هو شهر رمضان، الشهر العظيم الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والشقاوة.

فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه أن يكون موسماً للعباد مفروضاً فيه الصيام.

فلمًا قرره وبيَّن فضيلته، وحكمة الله تعالى في تخصيصه، قال: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ هذا فيه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر.

ولما كان النسخ للتخيير بين الصيام والفداء خاصة، أعاد الرخصة للمريض والمسافر، لثلا يتوهم أن الرخصة أيضا منسوخة، [فقال] ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أشد (٣) تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية

⁽٣) في ب: أبلغ تسهيل.

⁽١) ظاهرُ أن المراد عن كل يوم طعام (٢) زيادة من هامش ب.

السهولة في أصله .

وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله سهّله تسهيلاً آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات. وهذه جملة لا يمكن تفصيلها لأن تفاصيلها جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات.

﴿ولتكملوا العدة ﴾ وهذا _ والله أعلم _ لئلا يتوهم متوهم أن صيام رمضان بحصل المقصود منه ببعضه ، وفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته ، ويشكر الله [تعالى] عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده ، وبالتكبير عند انقضائه ، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد .

وإذا سألك عبادي عني فإن قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون هذا جواب سؤال، سأل النبي على بعض أصحابه فقالوا: يا بعيد فنناجيه، أم عبادي عني فإني قريب لأنه تعالى عبادي عني فإني قريب لأنه تعالى الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضاً من داعيه بالإجابة، ولهذا قال: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان والدعاء نوعان: دعاء عبالة.

والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله والإيمان به الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿
وَلَوْ اللَّهِ الللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّاللَّالِي اللَّهُ ال

يرشدون، أي: يحصل لهم الرشد

الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره سبب لحصول العلم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيَّا الذِّينَ آمنوا إِنْ تَتَقُوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾.

€1∧∨**>** ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوآ ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تىلىك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) كان في أول فرض الصيام، يحرم على المسلمين في البليل ببعبد البنوم الأكبل والبشرب والجماع، فحصلت المشقة لبعضهم، فخفف الله تعالى عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع، سواء نام أو لم ينم، لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا

﴿فتاب﴾ الله ﴿عليكم﴾ بأن وسع لكم أمراً كان _لولا توسعته _موجباً للإثم ﴿وعفا عنكم﴾ ما سلف من التخون.

﴿ فَالآنَ ﴾ بعد هذه الرخصة والسعة من الله ﴿باشروهن﴾ وطأً وقبلة ولمساً

وغير ذلك.

﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي: انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى والقصود الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته، وحصول مقاصد النكاح.

وعما كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها

وتضيعوها، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك.

﴿وكلُوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكاً في طلوع الفجر فلا بأس عليه.

وفيه: دليل على استحباب السحور للأمر، وأنه يستحب تأخيره أخذاً من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

وفيه: أيضاً دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جنب من الجماع قبل أن يغتسل، ويصح صيامه، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق.

﴿ شُم ﴾ إذا طلع الفجر ﴿ أُمّوا الصيام ﴾ أي: الإمساك عن المفطرات ﴿ إِلَى اللّيل ﴾ وهو غروب الشمس ولما كان إباحة الوطء في ليالي الصيام ليست إباحته (١) عامة لكل أحد، فإن المعتكف ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ أي: وأنتم متصفون بذلك، ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف، وانقطاعاً إليه، وأن الاعتكاف لا يصح وانقطاعاً إليه، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في مسجد.

ويستفاد من تعريف المساجد، أنها المساجد المعروفة عندهم، وهي التي تقام فيها الصلوات الخمس.

وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف.

﴿تلك﴾ المذكورات ـ وهو تحريم الأكل والشرب والجماع ونحوه من الفطرات في الصيام، وتحريم الفطر على غير المعذور، وتحريم الوطء على المعتكف، ونحو ذلك من المحرمات ﴿حدود الله﴾ التي حدها لعباده، ونهاهم عنها، فقال: ﴿فلا تقربوها﴾ أبلغ من قوله: «فلا تفعلوها» لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهى عن وسائله الموصلة بنفسه، والنهى عن وسائله الموصلة المخرم المنها عن وسائله الموصلة المنافلة الموصلة المخرم المنافلة الموصلة المنافلة ا

والعبد مأمور بترك المحرمات، والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك كل سبب يمدعو إليها، وأما الأوامر فيقول الله فيها: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ فينهى عن مجاوزتها.

﴿كذلك﴾ أي: بيِّن [الله] لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين، وأوضحها لهم أكمل إيضاح.

﴿يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه، فإن الإنسان قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم، ولو علم تحريمه لم يفعله، فإذا بين الله للناس آياته، لم يبقُ لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سبباً

﴿١٨٨﴾ ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) أي: ولا تأخذوا أموالكم، أي: أموال غيركم، أضافها إليهم؛ لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأن أكله لمال غيره يجرى. غيره على أكل ماله عند القدرة.

ولما كان أكلها نوعين: نوعاً بحق، ونوعاً بباطل، وكان المحرم إنما هو أكلها بالباطل، قيده تعالى بذلك، ويدخل في ذلك أكلها على وجه الغصب والسرقة والخيانة في وديعة أو عارية، أو نحو ذلك، ويدخل فيه أيضاً أخذها على وجه المعاوضة، بمعاوضة محرمة، كعقود الربا والقمار كلها، فإنها من أكل المال بالباطل، لأنه ليس في مقابلة عوض مباح، ويدخل في ذلك أخذها بسبب غش في البيع والشراء والإجارة، ونجوها، ويدخل في ذلك استعمال الأجراء وأكبل أجرتهم، وكذلك أخذهم أجرة على عمل لم يقوموا بواجبه، ويدخل في ذلك أخذ الأجرة على العبادات والقربات التي لا تصح، حتى يقصد بها وجه الله

تعالى، ويدخل في ذلك الأخذ من الزكوات والصدقات والأوقاف، والوصايا لمن ليس له حق منها، أو فوق

فكل هذا ونحوه من أكبل المال بالباطل، فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه حتى ولو حصل فيه النزاع وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع، وأدلى من يريد أكلها بالباطل بحجة غلبت حجة المحق، وحكم له الحاكم بذلك. فإن حكم الحاكم لا يبيح محرماً ولا يحلل حراماً، إنما يحكم على نحو مما يسمع، وإلا فحقائق الأمور باقية، فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة ولا شبهة، ولا استراحة.

فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة وحكم له بذلك، فإنه لا يحل له، ويكون آكلاً لمال غيره بالباطل والإثم وهو عالم بذلك. فيكون أبلغ في عقوبته وأشد في نكاله.

وعلى هذا فالوكيل إذا علم أن موكله مبطل في دعواه، لم يحل له أن يخاصم عن الخيائين، كيميا قيال تبعيالي: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾.

﴿١٨٩﴾ ﴿يسَأَلُونَكُ عَنِ الْأَمْلَةُ قُلَّ هي مواقيت للناس والخج وليس البر بأنَّ تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبواسا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿ يقول (١) تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾: جم هلال، ما فائدتها وحكمتها؟ أو عن ذاتها، ﴿قل هي مواقيت للناس﴾ أي: جعلها الله تعالى بلطفه ورحمته على هذا التدبير يبدو الهلال ضعيفاً في أول الشهر، ثم يتزايد إلى نصفه، ثم يشرع في النقص إلى كماله، وهكذا ليعرفُ الناس بذلك مواقيت عباداتهم من الصيام، وأوقات الزكاة، والكفارات، وأوقات الحج.

ولما كسان الحسج يسقسع فسي أشسهسر معلومات، ويستغرق أوقاتاً كثيرةً، قال: ﴿والحج﴾ وكذلك تعرف بذلك أوقمات المديمون المؤجملات، وممدة

إذَ فِ خَلْقِ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلُكِ ٱلْيَحَرِي فِٱلْبَحْرِيمَا يَنْعُمُ ٱلْنَاسَ وَمَٱلْزَكَ _ ٱللَّهُ مِنَ السَّكَآء مِن مَّآءٍ فَأَخِسَابِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَمُونِهَا وَبَثَّ فِهَامِن كُلِ دَانَةَ وَوَصَهِ عِنَ الْهَذَجِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخِّرَيَيْنَ ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضِ لَآئِكَتِ لِغَوْمِ يَعْقِلُونَ ۖ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَنَّخِذُ مِن دُونِ ٱلقَوَالَدَ مَا دُاكِيِّ وَيَهُ مُرَكَحُبُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواَ أَشَدُّ حُبَّاقِقَةً وَلَوْبَرَى الَّذِينَ طَلَكُوّا إِذْ يَرَفْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْفُوَّةَ يَقْدِجَيمُ وَأَنْ اللَّهُ مُسُدِيدُ الْعَكَ الِهِ إِذْ تُنَبِّزًا ٱلَّذِيكِ البُّعُوايِنَ الَّذِيكِ انَّبَعُوا وَرَأَوْا ٱلْعَكَابَ وَتَفَطَّمَتْ بِهِدُ الْأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ٱبْتَعُوا لَوَأَذَانَا حَكَرَةَ فَنَـتَكِزُأَ مِنْهُمْ كَمَا نَبْرَتُواْ مِنَّا كَنَّ لِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْنَلَهُمْ حَسَرَتِ عَلَيْهِمْ وَمَاهُم بِعَنْ رِجِينَ مِنَ ٱلنَّادِ ١ ا يَتَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ كُلُواْعِاَ فِ ٱلْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبَا وَلَا تَشْيَعُوا خُلُونِ ٱلشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَنُوَّتُمِيثُ ۞ إِنَّا يَأْمُرُكُم إِلَيْقَ وَالْفَحَتُ لَهُ وَأَن تَقُولُوا عَلَى أَلْمَهِ مَا لَاتَفَ لَمُوت اللهِ مَا لَاتَف لَمُوت اللهِ OUDADE " LORSEON

الإجارات، ومدة العدد والحمل، وغير ذلك مما هو من حاجات الخلق، فجعله تعالى حساباً يعرفه كل أحد من صغير وكبير، وعالم وجاهل، فلوكان الحساب بالسنة الشمسية لم يعرفه إلا النادر من الناس.

﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبداً بذلك، وظنّاً أنه بر، فأخبر الله أنه ليس ببر(۲۲)، لأن الله تعالى لم يشرعه لهم، وكُل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فهو متعبدببدعة، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع.

ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً، فالأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه،

وَإِذَا فِلَ لَمُهُ أَنَّعُوا مَا أَزَلَ أَنَّهُ فَالْوَا بَلْ سَيِّعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ مَالَاءَنَا أَوْلُوكَ انَّ مَالَّاؤُهُمْ لَا يَغْفِلُونَ شَيْعًا وَلَا يَعْتَلُونَ ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كُفَّتُرُوا كَمَنَّلِ الَّذِي مَنْعِقُ عِالَايْسَمَمُ إِلَّادُعَاءَ وَنِدَاءً مُهُمَّ الْمُحْمُ عُمْقُ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِيرَ وَاسْوُاكُلُوا مِن طَيِّنَتِ مَا وَزَفَّ كُمُ وَآشْكُوُواْ يَعَ إِن سَكُنتُ إِيَّاهُ مَعَبُدُونَ ﴿ إِمَّا حَرَّهُ عَلَيْڪُمُ ٱلْمُنْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْمِنْيَرِ وَمَاۤ أُهِلَّ بِهِ-لِغَيْرِ القَوْفَسَ أَضْطُرَ عَيْرَبَاعِ وَلَاعَادِ فَلَآ إِنْمَ عَلَيْهُ إِنَ أَلْلَهَ غَـ فُورٌ يَعِيدُ ﴿ إِنَّ الَّذِيبَ يَكْتُمُونَ مَا أَزُلَ الْعَكُينَ ٱلْكِتَّبِ وَيَشْغَرُونَ بِهِ مُثَنَّا ظِيلًا أَوْلَتِكَ مَا مَأَكُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا السَّارَ وَلَا يُستَحَلِّمُهُمُ اللَّهُ يُومَ ٱلْمِيسَمَّةِ وَلَائِرَكِيْهِمْ وَلَهُمْ عَدَابُ أَلِيدٌ ﴿ أُوْلَيْكَ أَلَّيْنَ ٱشْتَرَوُ الضِّلَالَةَ إِلْهُ مَى وَالْعَلَابَ بِٱلْمَغِيرَةِ فَأَ أَصْبَوْمُ عَلَىٰ النَّادِ ۞ ذَاكِ إِلَى اللَّهُ زَلَّ ٱلْكِنْبَ إِلَهُ أَنْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِ ٱلْكِتَبْ لَقِي شِفَاقِ بَعِيدِ ﴿ TONOTON " MOREMO

فلا بدأن يحصل له القصود بعون الملك المعبود.

﴿واتقوا الله ﴾ هذا هو البر الذي أمر الله به، وهو لزوم تقواء على الدوام، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإنه سبب للفلاح الذي هو الضوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، فمن لم يتق الله تعالى لم يكن له سبيل إلى الفلاح، ومن اتقاه فاز بالفلاح والنجاح.

﴿ ١٩٠ _ ١٩٣﴾ ﴿ وقاتسلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل يقاتلوهم غند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله فقور رحيم * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا على الظالمين ﴾

هذه الآيات، تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله، وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال أمرهم الله به، بعدما كانوا مأمورين بكف أيديهم، وفي تخصيص القتال

﴿ فَي سَبِيلَ اللهِ حَيثَ عَلَى الإِخْلَاصِ ، ونهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين .

﴿الذين يقاتلونكم﴾ أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا رأي: لهم ولا قتال.

والنهي عن الاعتداء يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل من النساء والمجانين والأطفال والرهبان ونحوهم، والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار [ونحوها] لغير مصلحة تعود للمسلمين.

ومن الاعتداء مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها، فإن ذلك لا يجوز.

﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ هذا أمر بقتالهم أينما وجدوا، في كل وقت، وفي كل زمان، قتال مدافعة، وقتال مهاجة ثم استتى من هذا العموم قتالهم ﴿ عند المسجد الحرام ﴾ وأنه يقاتلون جزاء لهم على اعتداثهم، وهذا مستمر في كل وقت، حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا، فإن الله يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله والشرك في المسجد الحرام، وصد الرسول والمؤمنين عنه، وهذا من رحته وكرمه بعباده.

ولما كان القتال عند المسجد الحرام يتوهم أنه مفسدة في هذا البلد الحرام، أخبر تعالى أن الفسدة بالفتنة عنده بالشرك والصد عن دينه، أشد من مفسدة القتل، فليس عليكم _أيها المسلمون _حرح في قتالهم.

المسلمون حرج في قتالهم. ويستدل بهذه (١) الآية على القاعدة المشهورة، وهي: أنه يرتكب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما.

ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به سفك دماء الكفار وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن ﴿ يكون الدين شه تعالى فيظهر دين الله [تعالى]، على سائر الأديان،

ويدفع كل ما يعارضه من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا القصود فلا قتل ولا قتال، ﴿فإن انتهوا﴾ عن قتالكم عند المسجد الحرام ﴿فلا عدوان إلا على الظالمن﴾ أي: فليس عليهم منكم اعتداء إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة بقدر ظلمه.

﴿ ١٩٤﴾ ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ يقول تعالى: ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ﴾ يحتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي ﷺ وأصحابه عام الحديبية عن الدخول لكة، وقاضوهم على دخولها من قابل، وكان الصد والقضاء في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فيكون هذا الصحابة بتمام نسكهم وكماله.

ويحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتموهم في الشهر الحرام^(٢) فقد قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في ذلك حَرَجٌ وعلى هذا فيكون قوله · ﴿والحرمات قصاص﴾ من ياب عطف العام على الخاص، أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام قوتل، ومن هتك البلد الحرام أخذ منه الحد ولم يكن له حرمة، ومن قتل مكافئاً له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضواً منه اقتص منه، ومن أخذ مالٌ غيره المحترم أخذ منه بدله، ولكن هل لصاحب الحق أن يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟ خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك أنه إن كان سبب الحق ظاهراً كالضيف إذا لم يقره غيره، والزوجة والقريب إذا امتنع من تجب عليه النفقة، [من الإنفاق عليه] فإنه يجوز أخذه من ماله.

⁽١) في ب: ويستدل في هذه.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: بالشهر الحرام.

وإن كان السبب خفياً كمن جحد دين غيره، أو خانه في وديعة، أو سرق منه ونحو ذلك، فإنه لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له، جمعاً بين الأدلة، ولهذا قال تعالى تأكيداً وتقوية لا تقدم: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴿ هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدى.

ولا كانت النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده وعدم تجاوزها، وأخبر تعالى أنه ﴿مع المتقين﴾ أي: بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق.

ومن كان الله معه حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه وخذله، فوكله إلى نفسه، فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد.

﴿ ١٩٥﴾ ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير من صدقة على مسكين، أو إنفاق على من تجب مؤنته.

وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهادٌ باللال، وهو فرض كالجهاد بالبدن، وفيها من المصالح العظيمة الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهية الشرك وأهله، وعلى إقامة ديسن الله وإعسزازه، فسالج بهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم، فيكون قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ كالتعليل لذلك، والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجباً أو مقارباً

لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك ترك الجهاد في سبيل الله أو ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجراً أو بنياناً خطراً، أو يدخل تحت شيء فيه خطر، ونحو ذلك، فهذا ونحوه ممن ألقى بيده إلى التهلكة.

ومن الإلقاء باليد إلى التَّهُلُكَة (1) الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة، ومنها ترك ما أمر الله به من الفرائض، التي تَرْكُها هلاك للروح والدين.

ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعاً من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموماً، فقال: ﴿وَأَحسنُوا إِنَّ اللهُ يجب المحسنين﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم.

ويدخل فيه الإحسان بالجاه بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك الإحسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس من تفريج كرباتهم وإزالة شداتهم، وعيادة مرضاهم، وإعانة من يعمل وإرساد ضالهم، وإعانة من يعمل ونحو ذلك مما هو من الإحسان الذي ونحو ذلك مما هو من الإحسان أيضاً أمر الله به، ويدخل في الإحسان أيضاً الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو كما ذكر النبي على "أه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ وكان الله معه يسدده ويعينه على كل أموره.

ولما فرغ تعالى من [ذكر] أحكام الصيام فالجهاد، ذكر أحكام الحج

هو فقال:

أو (١٩٦٩) ﴿وأتموا الحج والعمرة لله أو أخصِرتُم فما استيسر من الهدي أو ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي على فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى أن الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد

﴿ وأتموا الحج والعمرة ﴾ على أمور: أحدها: وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما.

العقاب، يستدل بقوله [تعالى]:

الثاني: وجوب إتمامهما بأركانهما وواجباتهما التي قد دل عليها فعل النبي عليه وقوله: «خذوا عني مناسككم».

الشالث: أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة.

الرابع: أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما، ولوكانا نفلاً.

الخامس: الأمر بإتقانهما وإحسانهما، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما.

السادس: وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى.

السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما، إلا بما استثناه الله وهو الحصر، فلهذا قال: ﴿ فإن أحصرتم ﴾ أي: منعتم من الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض أو ضلالة أو عدو، ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع.

فما استيسر من الهدي أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدي، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر، ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر، كما فعل النبى على وأصحابه لما صدهم

المشركون عام الحديبية، فإن لم يجد الهدي، فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع، ثم يحل.

ثم قبال تعالى: ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ وهذا من محظورات الإحرام، إزالة الشعر بحلق أو غيره، لأن المعنى واحد، من الرأس أو من البدن، لأن المقصود من ذلك حصول الشعث والمنع من الترفه بإزالته، وهو موجود في بقية الشعر.

وقاس كثير من العلماء على إزالة الشعر تقليم الأظفار بجامع الترفه، ويستمر المنع مما ذكر حتى يبلغ الهدي عله، وهو يوم النحر، والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية.

ويستدل بهذه الآية على أن المتمتع إذا ساق الهدي لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر، فإذا طاف وسعى للعمرة أحرم بالحج، ولم يكن له إحلال بسبب سوق الهدى، وإنما منع تبارك وتعالى من ذلك لما فيه من الذل والخضوع لله والانكسار له، والتواضع الذي هو عين مصلحة العبد، وليس عليه في ذلك من ضرر، فإذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض ينتفع بحلق رأسه له، أو قروح، أو قمل وتنحو ذلك، فإنه يحل له أن يحلق رأسه، ولكن يكون عليه فدية من صيام ثبلاثة أيام، أو صدقة على ستة مساكين (١١)، أو نسك ما يجزىء في أضحية، فهو مخير، والنسك أفضل، فالصدقة، فالصيام.

ومثل هذا كل ما كان في معنى ذلك من تقليم الأظفار، أو تغطية الرأس، أو لبس المخيط، أو التطيب، فإنه يجوز عند الضرورة، مع وجوب الفدية المذكورة لأن القصد من الجميع إزالة ما به تذفه.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتَمَ ﴾ أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغير وفمن تمتع بالعمرة إلى الحج ﴾ بأن توصل بها إليه، وانتفع بتمتعه بعد الفراغ منها.

﴿ فما استيسر من الهدي ﴾ أي: فعليه ما تيسر من الهدي ، وهو ما يجزى و في أضحية ، وهذا دم نسك ، مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة ، ولإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة وقبل الشروع في الحج ، ومثلها القِران لحصول النسكين له .

ويدل مفهوم الآية على أن المفرد للحج ليس عليه هدي، ودلت الآية على جواز بل فضيلة المتعة، وعلى جواز فعلها في أشهر الحج.

﴿ فَمَن لَم يَجِد﴾ آي: الهدي أو ثمنه ﴿ فَصِيام ثلاثة أيام في الحج﴾ أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة ، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر ، أيام رمي الجمار ، والمبيت بـ «منى» ولكن الأفضل منها أن يصوم السابع والثامن والتاسع ، ﴿ وسبعة إذا رجعتم ﴾ أي: فرغتم من أعمال الحج ، فيجوز فعلها في مكة وفي الطريق ، وعند وصوله إلى

﴿ذلك﴾ المذكور من وجوب الهدي على المتمتع ﴿لن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ بأن كان عنه مسافة قصر فأكثر، أو بعيداً عنه عرفاً، فهذا الذي يجب عليه الهدي لحصول النسكين له في سفر واحد، وأما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام، فليس عليه هدي لعدم الموجب لذلك.

﴿واتعقوا الله ﴾ أي: في جميع أموركم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن ذلك امتثالكم لهذه الممورات، واجتناب هذه المحظورات للذكورة في هذه الآية.

﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾
أي: لمن عصاء، وهذا هو الموجب
للتقوى، فإن من خاف عقاب الله،
انكف عما يوجب العقاب، كما أن من
رجا ثواب الله عمل لما يوصله إلى
الثواب، وأما من لم يخف العقاب ولم
يرج الثواب، اقتحم المحارم وتجرأ على
ترك الواجبات.

(190) والحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب يخبر تعالى أن والحج واقع في وأشهر معلومات عند المخاطبين، مشهورات بحيث لا تحتاج إلى تخصيص، كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره، وكما بين تعالى أوقات الخسس.

وأما الحج فقد كان من ملة إبراهيم التي لم تزل مستمرة في ذريته، معروفة بينهم.

والمراد بالأشهر المعلومات عند جهور العلماء: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالباً.

﴿ فَمَنْ فُرضَ فَيهِنَ الحَجِ ﴾ أي: أحرم به، لأن الشروع فيه يصيره فرضاً ولو كان نفلاً.

واستدل بهذه الآية الشافعي ومن تابعه على أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره، قلت: لو قبل: إن فيها دلالة لقول الجمهور بصحة الإحرام [بالحج] قبل أشهره لكان قريباً، فإن قوله: ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ دليل على أن الفرض قد يقع في الأشهر الذكورة، وقد لا يقع فيها، وإلا لم يقيده.

وقوله: ﴿فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصاً الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه من الرفث، وهو الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، خصوصاً عند النساء بحضرتهن.

والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام.

والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة.

والمقمسود مسن الحسج: السذل

والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك يكون مبروراً، والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها (1) يتغلظ المنع عنها في الحج.

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر، ولهذا قال تعالى: ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ أتى به قمن التنصيص العموم، فكل خير وقربة وعبادة، داخل في ذلك، أي: فإن الله به عليم، وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، وخصوصاً في تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيفة، فإنه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها، من صلاة وصيام وصدقة وطواف وإحسان قولي .

ثم أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك، فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم سؤالا واستشرافاً، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين، وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية بلغة ومتاع.

وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه، فهو زاد المقرى النقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل الأكمل لذة، وأجلّ نعيم دائم أبداً، ومن ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، ومنوع من الوصول إلى دار المتقين، فهذا مدح للتقوى.

شم أمر بها أولي الألباب فقال: ﴿ واتقونِ يا أولي الألباب ﴾ أي: يا أهل العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل وفساد الرأى.

﴿ ۱۹۸ - ۲۰۲﴾ ﴿ليس عسليكسم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن

كنتم من قبله لمن الضالين * ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم * فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربناً آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * أولنك لهم نصيب ما كسبوا والله سريع الحساب كا أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب إذا كان المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالاً منسوباً إلى فضل الله، لا منسوباً إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه .

وفي قوله: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ دلالة على أمور:

أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفاً أنه ركن من أركان الحج، فالإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف.

الثاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام وهو المزدلفة، وذلك أيضاً معروف، يكون ليلة النحر بائتاً بها، وبعد صلاة الفجر يقف في المزدلفة داعياً حتى يسفر جداً، ويدخل في ذكر الله عنده، إيقاع الفرائض والنوافل فيه.

الثالث: أن الوقوف بمزدلفة متأخر عن الوقوف بعرفة، كما تدل عليه الفاء والترتيب.

السرابع والخامس: أن عسرفات ومزدلفة كلاهما من مشاعر الحج المقصود فعلها وإظهارها.

السادس: أن مزدلفة في الحرم كما قيده بالحرام.

السابع: أن عرفة في الحل كما هو مفهوم التقييد بـ «مزدلفة».

﴿وَاذْكُرُوهُ كُمَّا هَذَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مَنْ

 أَنِّسَ ٱلْمِرَّالَ مُؤَلُّوا وُجُومَ كُمْ مَلَ ٱلْمُشْرِقِ وَٱلْمَرْفِ وَالْمَرِّ الْمِرَّ مَنْ عَامَنَ بِأَنَّهِ وَالْيُومِ ٱلْآحِيرِ وَلَلْكَتَهِكَةِ وَٱلْكِتَبُ وَالنَّيْصَ ﴿ وَمَانَ لَلْاَلَ عَلَىٰ حُبِيهِ ء ذَوِى ٱلْمُشْرَقِيٰ وَٱلْمِسَكَىٰ وَٱلْمَسْكَىٰ وَالْمَسْكَىٰ وَأَنْ اَلسَكِيل وَالسَكَ إِلِينَ وَفِي ٱلرَّقَابِ وَأَفَكُمَ الصَّلَوْةَ وَمَانَ الزَّكُوهُ أُ وَٱلْوُفُوكَ بِعَمْدِهِمْ إِذَا عَنْمَدُواْ وَٱلصَّامِينَ فِي ٱلْمَأْسَاءِ وَالْمَدِّلَةِ وَعِينَ ٱلْبَالْيِنُ أُوْلَتِيكَ ٱلَّذِيثَ مَسْمَعُ أُواُولَتِيكَ هُمُ ٱلْمُنْقُونَ ﴿ يَنَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْكُونِ عَلَيْكُمُ ٱلْعَصَاصُ فِ ٱلْعَنْلُ ٱلْحُرُّ بَالْحُرُّ وَٱلْعَبَٰدُ بَٱلْعَبْدِ وَٱلْاَثْنَىٰ بِٱلْأَنَىٰ فَنَ عُفِيَ لَهُ مِنْ آخِيهِ مَنَى * فَايَسَاحٌ بِٱلْمُعْرُوفِ وَأَدَاَّهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنُّ ذَٰلِكَ غَنْفِيفٌ مِن رَّيِّحَكُمْ وَرُحَمُّ فَرُاعَدُى بَعْدَذَاكِ فَلَمُعَنَابُ أَلِيدٌ ﴿ وَلَكُمْ فِٱلْوَصَاصِ جَوَةً يًّ إِبَا أُوْلِ ٱلْأَلْفِ لَمَا كُمُ مُنْفُوك ﴿ كُنِبَ عَلَيْكُو إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ ٱلْمُؤْتُ إِن زَكَ حَبْرًا ٱلْوَصِيتَ لُلِوَلِيْنِ وَٱلْأَوْبِينَ إِنْلَمْهُ فِي حَثًّا عَلَى ٱلْمُنْفِينَ ﴿ فَنَ بَتَلَهُ بَعَدُ مَا سَيِعَهُ وَ اللَّهُ اللَّهُ مُنَا الَّذِيكَ بُبَيْلُونَهُ وَإِنَّاللَّهُ سَيَبِعُ عَلِيدٌ ﴿ OND TO WEST OF SERVICE OF SERVICE

قبله لمن الضالين أي: اذكروا الله تعالى كما من عليكم بالهداية بعد الضلال، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون، فهذه من أكبر النعم التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم في القلب واللسان.

وشم أفيضوا من حيث أفاض الناس أي: ثم أفيضوا من مزدلفة من حيث أفاض الناس، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفاً عندهم، وهو رصي الجسمار، وذبح الهدايا، والطواف، والسعي، والمبيت بد المني، ليالي التشريق، وتكميل باقي المناسك.

ولما كانت [هذه] الإفاضة يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك، أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمئة الجسيمة.

وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة، أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومنّ بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالقت ورد العمل، كما أن

فَنَ خَافَ مِن مُوصِ جَنَفًا أَوْاغًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَعَكَيْهُ إِنَّ اللَّهَ عَنْ فُورٌ رَحِيتُ ﴿ يَكَأَنُّهَا ٱلَّذِينَ ٱمَّنُواْ كُنِبَ عَلَىٰكُمُ القِيامُ كُمَاكُيْبَ عَلَى الَّذِيكِينِ فَسَلِكُمُ لَمَ لَكُرُ نَتَقُونَ ﴿ أَيَامَا مَعْدُودَ نُوْفَنَ كَانَ مِنكُمُ مَهِ إِنَّا أَوْعَلَ سَفَرِفِي ذَهُ مِنْ أَيَّا رِأْخَرُوعَلَ ٱلَّذِينَ يُولِعُونَهُ فِذْيَةٌ طَعَامُ مِسْسَكِينٌ فَنَ تَطَوَّعَ خَبْرًا فَهُوَخَيْرًا أُوْلَ تَسُومُواْخَ يَرُّلُكُمُّ إِن كُنتُهُ تَعَلَوْك @ شَهْدُ رَيَحَنَاكَ الَّذِيَّ أُمْنِلَ فِيهِ ٱلْقُدُومَانُ هُدَى لِلْنَاسِ وَيَيَنَٰنِ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْفَ اِنَّ فَنَ شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَةَلْيَصُهُ مُنَّةً وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْعَلَ سَفَرِ فَعِـدَّةً مِنْ أَيَّا مِ أَخَرُ يُودُ اللَّهُ بِكُمُ ٱلْمُسْرَقَلَا بُرُيبُ لُهِ بِكُمْ ٱلْمُسْرَوَلِنُكُيلُوا ٱلْمِلْدَةَ وَلِنُكَ يَرُوا الْعَدَ عَكُلُ مَاهَدَناكُمْ وَلَعَلَّكُمْ مَنْكُرُونَ ﴿ وَإِنَاسَأَلُكَ عِسَادِي عَنِي فَإِنِي قَرِيتُ أَجِيبُ دَعْوَةً ٱلفَّاعِ إِذَا دَعَسَانٍ ر الله الله المراجع ال

الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر.

ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: ﴿من يقول ربنا آتنا في الدنيا الله أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب لرغبته عنها، وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء لهم نصيب من كسبهم وعملهم، وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم وهماتهم ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمد عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين.

والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هني، واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة.

وحسنة الآخرة هي السلامة من العقوبات في القبر والموقف، والنار،

وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي على المشرون الدعاء به، ويحث عليه.

﴿ ٢٠٣﴾ ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ يأمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافاً لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي ﷺ: "أيام لتشريق، أيام أكل وشرب،

وذكر الله الله فيها ذكره عند ويدخل في ذكر الله فيها ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق كالعشر، وليس ببعيد.

﴿فمن تعجل في يومين﴾ أي:
خرج من "منى" ونفر منها قبل غروب
شمس اليوم الثاني ﴿فلا إِنْم عليه،
ومن تأخر﴾ بأن بات بها ليلة الثالث
ورمى من الغد ﴿فلا إِنْم عليه﴾ وهذا
تخفيف من الله [تعالى] على عباده في
إباحة كلا الأمرين، ولكن من المعلوم
أنه إذا أبيح كلا الأمرين، فالتأخر
أفضل لأنه أكثر عبادة.

ولما كان نفي الحرج قد يفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور وفي غيره، والحاصل أن الحرج منفي عن المتقدم، والمتأخر فقط قيده بقوله: ﴿ لمن اتقى ﴾ أي: اتقى الله في جميع أموره وأحوال الحج، فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء، ومن اتقاه في شيء دون شيء، كان المحال.

﴿واتـقـوا الله﴾ بامتـثـال أوامره واجتناب معاصيه، ﴿واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ فمجازيكم بأعمالكم، فمن اتقاه وجد جزاء التقوى عنده،

ومن لم يتقه عاقبه أشد العقوبة، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله، فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

﴿ ٢٠٤ ـ ٢٠٠ ﴾ ﴿ ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾

لا أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وخصوصاً في الأوقات الفاضلة الذي هو خير ومصلحة وبر، أخبر تعالى بحال من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله، فالكلام إما أن يرفع الإنسان أو يخفضه، فقال: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ أي: إذا تكلم راق كلامه السامع، وإذا نطق تكلم بكلام نافع، ويؤكد ما يقول بأنه ﴿يشهد الله على ما في قلبه بأن يخبر أن الله يعلم أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك، لأنه يخالف قوله فعله.

فلو كان صادقاً لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فلهذا قال: ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي: إذا خاصمته، وجدت فيه من اللدد والصعوبة والتعصب، وما يترتب على ذلك ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين الذين جعلوا السهولة مركبهم، والانقياد للحق وظيفتهم، والسماحة سجيتهم.

﴿ وإذا تولى * هذا الذي يعجبك

قوله إذا حضر عندك ﴿سعى في الأرض ليفسد فيها أي: يجتهد على أعمال المعاصي التي هي إفساد في الأرض ﴿ويهلك﴾ بسبب ذلك والمواشي تتلف وتنقص وتقل بركتها، بسبب العمل في المعاصي، ﴿والله لي يحب الفساد ﴾ وإذا كان لا يحب الفساد فهو يبغض العبد المسد في الأرض غاية البغض، وإن قال بلسانه قولاً حسناً.

ففي هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص ليست دليلاً على صدق ولا كنب، ولا بسر ولا فجور، حتى يوجد العمل المصدق لها المزكي لها، وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والمبطل من الناس بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم.

ثم ذكر أن هذا المفسد في الأرض بمعاصي الله، إذا أمر بتقوى الله تكبّر وأنف، و ﴿أخذته العزة بالإشم﴾ فيجمع بين العمل بالمعاصي والكبر(١١) على الناصحين.

وفحسبه جهنم التي هي دار العاصين والمتكبرين، وولبس المهاد أي: المستقر والمسكن عذاب دائم، وهم لا ينقطع، ويأس مستمر، لا يخفف عنهم العذاب ولا يرجون الشواب، جزاء لجناياتهم ومقابلة لأعمالهم، فعياذا بالله من أحوالهم.

﴿۲۰۷﴾ ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ هؤلاء هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلبأ لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن للمليء الوفى الرؤوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال: ﴿إِنَ اللهِ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ إلى آخر الآية. وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم وبذلوها، وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا، فلا تسأل بعد هذا عن ما يحصل لهم من الكريم، وما ينالهم من الفوز والتكريم(

﴿٢٠٨ ـ ٢٠٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مين *

فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم الهذا أمر من الله تعالي للمؤمنين أن يدخلوا ﴿ في السّلم كافّة ﴾ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا عمن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته.

ولما كان الدخول في السلم كافة لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان، قال: ﴿ولا تتبعوا خطوات السيطان﴾ أي: في العمل بمعاصي الله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ والعدو المبين لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء وما به الضرر عليكم.

ولما كان العبد لا بدأن يقع منه خلل وزلل، قال تعالى: ﴿فَإِنْ زَلْلَتُمْ مِنْ بِعَدُ مَا جَاءَتُكُمُ الْبِينَاتُ﴾ أي: على علم علم ويقين ﴿فَاعِلْمُوا أَنْ اللهُ عَزِيزُ حَكِيمٍ﴾.

وفيه من الوعيد الشديد والتخويف ما يوجب ترك الزلل، فإن العزيز القاهر (٣) الحكيم إذا عصاه العاصي قهره بقوته، وعذبه بمقتضى حكمته، فإن من حكمته تعذيب العصاة والجناة.

﴿ ١٠٠﴾ ﴿ هبل يستظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور ﴾ وهذا فيه من الوعد الشديد والتهديد ما تتخلع له القلوب. ، يقول تعالى: هل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان، النابذون لأمر الله، إلا يوم الجزاء بالأعمال، الذي قد حشي من الأهوال والشدائد والفظائم ما يقلقل قلوب الظالمين،

وذلك أن الله تعالى يطوي السموات والأرض، وتنثر الكواكب، وتكور الشمس والقمر، وتنزل الملائكة الكرام فتحيط بالخلائق، وينزل الباري [تبارك] تعالى: ﴿في ظلل من الغمام لين عباده بالقضاء العدل.

فتوضع الموازين، وتنشر الدواوين، وتبيض وجوه أهل السعادة، وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكلٌ يجازى بعمله، فهنالك يعض الظالم على يديه إذا علم حقيقة ما هو عليه.

وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء والنزول والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية، ونحوهم، بمن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان، بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها بل صريحها، دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل، أن تخرج عن ظاهرها، ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من

وأما العقل فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر

ويحق به الجزاء السيىء على المفسدين،

⁽١) في ب: والتكبر.

 ⁽۲) من أول الآية إلى هنا سافط من: ب، وقد قام النجار بتفسير الآية من عند نفسه انظر طبعة النجار (١/ ٢٥٢ _ ٢٥٤) ولم يبين أن هذا
 ليس من كلام الشيخ _ رحمه الله _.

⁽٣) في ب: العزيز المقام.

على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قبل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فكما أن شه ذاتاً لا تشبهها الدوات، فلله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.

ويقال أيضاً لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضاً، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إما أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله، وإما أن تنفى الجميع وتكون منكرأ لرب العالمين، وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، ففرَّق بين ما أثبته وما نفيته، ولن تجد إلى الفرق سبيلاً، فإن قلت: ما أثبته لا يقتضى تشبيها، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيته لا يقتضي تشبيها، فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيته إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبته إلا التشبيه، فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفيته.

والحاصل أن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته، فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بـل قـد خـالـف المعـقـول والمنقول.

﴿ ٢١١﴾ ﴿ سل بني إسرائيل كما التناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد المعقاب يقول تعالى: ﴿ سل بني إسرائيل كم آتبناهم من آية بينة ﴾ تدل على الحق وعلى صدق الرسل، فتيقنوها وعرفوها، فلم يقوموا بشكر هذه النعمة التي تقتضي القيام بها.

بل كفروا بها وبدلوا نعمة الله كفراً، فلهذا استحقوا أن ينزل الله عليهم عقابه ويحرمهم من ثوابه، وسمى الله

تعالى كفر النعمة تبديلاً لها، لأن من أنعم الله عليه بنعمة دينية أو دنيوية فلم يشكرها ولم يقم بواجبها، اضمحلت عنه وذهبت، وتبدلت بالكفر والمعاصي، فصار الكفر بدل النعمة، وأما من شكر الله تعالى وقام بحقها، فإنها تثبت وتستمر، ويزيده الله منها.

﴿٢١٢﴾ ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ يخبر تعالى أن الذين كفروا بالله وبآياته ورسله ولم يتقادوا لشرعه، أنهم زينت لهم الحياة الدنيا، وزينت في أعينهم وقلوبهم، فرضوا بها واطمأنوا بها، وصارت أهواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها، فأقبلوا وعظموها وعظموا من شاركهم في علهما، واحتقروا المؤمنين واستهزأوا بهم، وقالوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟

وهذا من ضعف عقولهم ونظرهم الـقاصر، فإن الـدنيا دار ابـتلاء وامتحان، وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان والكفران، بل المؤمن في الدنيا وإن ناله مكروه، فإنه يصبر ويحتسب، فيخفف الله عنه بإيمانه وصبره ما لا يكون لغيره.

وإنما الشأن كل الشأن والتفضيل الحقيقي في الدار الباقية، فلهذا قال تعالى: ﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾ فيكون المتقون في أعلى الدرجات، متمتعين بأنواع النعيم والسرور والبهجة والحبور.

والكفار تحتهم في أسفل الدركات، معذبين بأنواع العذاب والإهانة والشقاء السرمدي الذي لا منتهى له، ففي هذه الآية تسلية للمؤمنين، ونعي على الكافرين، ولما كانت الأرزاق المنيوية والأخروية لا تحصل إلا بتقدير الله، ولن تنال إلا بمشيئة الله، قال تعالى: ﴿وَالله يرزق من يشاء بغير قال تعالى: ﴿وَالله يرزق من يشاء بغير

حساب أو الرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومجبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب.

﴿٢١٣﴾ ﴿كان النَّاسِ أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيأ بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم♦ (أي: كان الناس) [أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد نوح عليه السلام، فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الأخرعلي الدين، وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم، وقيل بل كانوا](١) مجتمعين على الكفر والضّلال والشقاء، ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم ﴿مبشرين ﴿ من أطاع الله بشمرات الطاعات، من الرزق والقوة في البدن والقلب والحياة الطيبة، وأعلى ذلك الفوز برضوان الله والجنة.

﴿ومنذرين﴾ من عصى الله بثمرات المعصية، من حرمان الرزق، والضعف والإهانة، والحياة الضيقة، وأشد ذلك سخط الله والنار.

﴿وأنزل معهم الكتاب بالحق﴾ وهو الإخبارات الصادقة والأوامر العادلة، فكل ما اشتملت عليه الكتب، فهو حق يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع، وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع، أن يرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه وسنة رسوله فصل النزاع لما أمر بالرد إليهما.

ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب، وكان هذا

⁽۱) زيادة في هامش ب، لم يحدد محلها، وبالنظر إلى السياق يظهر أن الأقرب أن هذا محلها، ولهذا وليتسق الكلام يكون آخره هكذا (وقيل بل كانوا مجتمعين على الكفر) ويكون قوله: (أي كان الناس). مكرراً.

والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة، ﴿واليتامى﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم، فهم في مظنة الحاجة لعدم قيامهم بمصالح أنفسهم، وفقد الكاسب، فوصى الله بهم العباد رحة منه بهم ولطفاً، ﴿والمساكين﴾ وهم أهل الحاجات وأرباب الضرورات

إِنَّ الْمُنْفِلُونَكُمْ وَلَاتَمْنَدُوٓ أَإِنَّا مَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْدِينَ ۞

doleady " concede

لدفع حاجاتهم وإغنائهم. ﴿وابن السبيل﴾ أي: الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعان على

الذين أسكنتهم الحاجة، فينفق عليهم

سفره بالنفقة التي توصله إلى مقصده.
ولما خصّ سل الله تسعالى هولاء
الأصناف لشدة الحاجة، عمم تعالى،
فقال: ﴿وما تفعلوا من خير﴾: من
صدقة على هؤلاء وغيرهم، بل ومن
جميع أنواع الطاعات والقربات، لأنها
تدخل في اسم الخير، ﴿فَإِنَّ الله به
عليم﴾ فيجازيكم عليه ويحفظه لكم،
كل على حسب نيته وإخلاصه، وكثرة
نفقته وقلتها، وشدة الحاجة إليها،
وعظم وقمها ونفعها.

﴿٢١٦﴾ ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تجبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون الآية فيها فرض القتال في سبيل الله، بعدما كان المؤمنون مأمورين بتركه، لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر النبي على الله المدينة وكشر

أبدانهم ﴿وزلزلوا﴾ بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به.

ولكن لشدة الأمر وضيقه قال (الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله).

فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنْ نصر الله قريب﴾ فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن.

فكلما اشتدت عليه وصعبت، إذا صبر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات، وأعقبه ذلك الانتصار على الأعداء، وشفاء ما في قلبه من الداء، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿أَمُ حسبتم أَنْ تَدخلوا الجنة ولما يعلم الله النين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾.

وقوله [تعالى:] ﴿ الله * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنًا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان.

﴿ ٢١٥﴾ ﴿ يسألونك ما ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامي والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإنَّ الله به عليم اي: يسألونك عن النفقة، وهذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنهما، فقال: ﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ أي: مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقاً عليك، وهم الوالدان الواجب برهما والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما، النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق ترك الإنفاق عليهما، ولهذا كانت النفقة عليهما واجية، على الولد الموسوء ومن بعد الوالدين الأقربون على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب، على حسب القرب

يقتضي اتفاقهم عليها واجتماعهم، فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض، وحصل النزاع والخصام وكثرة الاختلاف.

فاختلفوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا أولى الناس بالاجتماع عليه، وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البينات والأدلة القاطعات، فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً.

﴿ فَهَدَى الله الذين آمنوا ﴾ من هذه الأمة ﴿ لما اختلفوا فيه من الحق ﴾ فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب، وأخطأوا فيه الحق والصواب، هدى الله للحق فيه هذه الأمة ﴿ بإذنه ﴾ تعالى وتيسيره لهم ورحمته.

﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ فعم الخلق تعالى بالدعوة إلى الصراط المستقيم، عدلاً منه تعالى، وإقامة حجة على الخلق، لثلا يقولوا: ﴿ ما جاءنا من بشير ولا نذير ﴾ وهدى _ بفضله ورحمته، وإعانته ولطفه _ من شاء من عباده، فهذا وخمته، وإحسانه، وذاك عدله وحكمته.

﴿ ١٤٤﴾ ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب خبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية التي بمن قبلهم، فهي سنته الجارية التي وشرعه لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها.

ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدّته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه.

فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم ﴿مستهم البأساء﴾ أي: ﴿والضراء﴾ أي: الأمراض في

التوالية وَاقْتُلُومُ حَبْثُ ثَقِفْتُمُومٌ وَلَغِيمُوهُم مِنْ حَبْثُ أَخْرَءُ كُرُّ وَٱلْفِلْسَةُ أَشَدُّينَ الْعَنْلُ وَلَانْفَيْلُومْ عِندَ الْسَجِدِ الْخُرَامِحَيُّ مُثَيْلُوكُمْ فِيَّ فَإِن فَنَلُوكُمْ فَأَفَنُلُوهُمْ كَنَاكِكُ جَزَّاءُ ٱلْكَفِينَ ﴿ فَإِنِهُ لَهُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَنْيلُوهُم حَتَّى لَانْكُونَ فِنْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلَّذِينُ بِتَهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَاعُدُونَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّلِمِينَ ۞ ٱلشَّهُرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهُ لِلْحَرَادِ وَلَلْزُمُنَتُ فِصِهَاصٌ فَنَ ٱعْدَدَىٰ عَلَيَكُمْ فَأَعْدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُرُ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُواْ أَكَ ٱللَّهُ مَعَ ٱلْمُنَقِينَ ۞ وَأَضِعُوا فِسَيِيلِ أَشِّهِ وَلَائْلَقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَّالَتَهَاكُةُ وَأَحْسِنُوٓ أَإِنَّ اللَّهَ يَجُبُ لَلْحُسِنِينَ ۞ وَأَيْتُواْ لَلْحَجَّ وَٱلْمُسْرَةَ يَقَّهُ عَإِنْ أُحْصِرَتُمْ فَأَ ٱسْبَيْسَرَينَ ٱلْحَدْثِي وَلَا تَعْلِفُواْ رُهُ وَسَكُوَّحَنَّ بِبَلُغَ ٱ لَمُنَدَى يَصَلُّهُ وَلَنَ كَانَ مِن كُرَمَ بِعِنْهَا أَوْبِهِ تِنْ أَذَى فِن زَّأْمِيهِ وَخَيِدَ يَهُ مِنْ صِيَادِ أَوْصَلَقَةِ أَوْنُسُكِ فَإِذَا آلِمَنْدُفَنَ ثَنْتَمَ إِلْمُسْرَةِ إِلَى لَلْتَجَ فَا ٱسْنَيْسَرَيِنَ ٱلْمُدَيُّ فَنَ لَيْبِيَدْ ضِيبَامُ ثَلَثَةَ أَيَّادِ فِ ٱلْحَجَّ وَسَبْعَة إِذَا رَجَعْمٌ مِّنْكَ عَشَرُهُ كَامِلَةٌ ذَلِكِ لِنَ لَّرَكُنْ أَهْلُهُ كَامِرِي ٱلْمُعْدِ المُرَامُ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَتَ اللَّهَ صَدِيدُ الْمِقَابِ ۞ TORUMON TORONO

المسلمون وقووا، أمرهم الله تعالى بالقتال، وأخبر أنه مكروه للنفوس لما فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتالف، ومع هذا فهو خير محض، لما فيه من الشواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء والظفر بالغنائم، وغير ذلك مما هو مرب، على ما فيه من الكراهة ﴿وعسى أن تجبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ وذلك مثل القعود عن الجهاد لكم وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة، فإنه شر، لأنه يعقب الخذلان وتسلط الأعداء على الإسلام وأهله، وحصول الذل والهوان وفوات الأجر العظيم وحصول العقاب.

وهذه الآيات عامة مطردة في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك.

وأما أحوال الدنيا فليس الأمر مطرداً، ولكن الغالب على العبد المؤمن أنسه إذا أحب أمراً من الأمور، فقيض الله [له] من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه، كما قال اتعلى فاللائق بكم أن تتمشوا

مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم. ولما كان الأمر بالقتال لو لم يقيد لشمل الأشهر الحرم وغيرها، استثنى

تعالى القتال في الأشهر الحرم، فقال:

﴿۲۱۷﴾ ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا

والآخرة وأولئك أصحاب النارهم فيها

خالدون،

الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا، وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ، لأن المطلق عمول على المقيد، وهذه الآية مقيدة، لحموم الأمر بالقتال مطلقاً؛ ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم، بل أكبر مزاياها تحريم القتال فيها، وهذا إنما هو في قتال الابتداء، وأما قتال الدفع، فإنه يجوز في الأشهر الحرم، كما يجوز في اللشهر الحرم، كما يجوز في اللهد الحرام.

ولما كانت هذه الآية نازلة بسبب ما حصل لسرية عبد الله بن جحش، وقتلهم عمرو بن الحضرمي، وأخذهم أموالهم، وكان ذلك _على ما قيل _ في شهر رجب، عيرهم المشركون بالقتال بالأشهر الحرم، وكانوا في تعييرهم ظالمين، إذ فيهم من القبائح ما بعضه أعظم مما عيروا به المسلمين، قال تعالى في بيان ما فيهم: ﴿وصدَ عن سبيل الله أي: صدالمشركين من يريد الإيمان بالله وبرسوله، وفتنتهم من امن به، وسعيهم في ردهم عن دينهم، وكفرهم الحاصل في الشهر الحرام والبلد الحرام، الذي هو بمجرده كاف في الشر، فكيف وقد كان في شهر حرام وبلد حرام؟! ﴿وإخراج أهله ﴾ أي: أهل المسجد الحرام، وهم النبي ﷺ وأصحابه، لأنهم أحق به من المشركين؛ وهم عماره على الحقيقة،

فأخرجوهم ﴿منه ﴾ ولم يمكنوهم من الوصول إليه، مع أن هذا البيت سواء العاكف فيه والباد، فهذه الأمور كل واحد منها ﴿أكبر من القتل ﴾ في الشهر الحرام، فكيف وقد اجتمعت فيهم؟! فعلم أنهم فسقة ظلمة في تعييرهم المؤمنين.

موسين. ثم أخبر تعالى أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم، إنما غرضهم أن يرجعوهم عن دينهم، ويكونوا كفاراً بعد إيمانهم، حتى يكونوا من أصحاب السعير، فهم باذلون قدرتهم في ذلك ساعون بما أمكنهم، ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصاً أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبشوا الأطباء، وبنوا المدارس لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم كل ما يمكنهم من الشبه التي تشككهم في دينهم.

ولكن المرجو من الله تعالى، الذي منَّ على المؤمنين بالإسلام، واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه، أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام، وأن يخذل كل من أراد أن يطفىء نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر دينه، ويعلي كلمته.

وتكون هذه الآية صادقة على هؤلاء الموجودين من الكفار، كما صدقت على من قبلهم: ﴿إِن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾

ثم أخبر تعالى أن من ارتد عن الإسلام، بأن اختار عليه الكفر واستمر على ذلك حتى مات كافراً، ﴿فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ لعدم وجود شرطها وهو الإسلام، ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾

ودلَّت الآية بمفهومها أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام، أنه يرجع إليه عمله الذي قبل ردته، وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة .

﴿٢١٨﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينِ آمنُوا والذَّينِ هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ هذه الأعمال الثلاثة هي عنوان السعادة وقطب رحي العبودية، وبها يعرف ما مع الإنسان من الربح والخسران، فأما الإيمان فلا تسأل عن فضيلته، وكيف تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأهل الجنة من أهل النار؟ وهو الذي إذا كان مع العبد قبلت أعمال الخير منه، وإذا عدم منه لم يقبل له صرف ولا عدل، ولا فرض ولا نفل.

وأما الهجرة: فهي مفارقة المحبوب المألوف لرضا الله تعالى، فيترك المهاجر وطنه وأمواله وأهله وخلانه، تقرُّباً إلى الله، ونصرة لدينه.

وأما الجهاد: فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعى التام في نصرة دين الله وقمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال آلصالحة، وجزاؤه أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر لتوسيع دائرة الإسلام وخذلان عباد الأصنام، وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على لأواتها ومشقتها كان لغيرها أشد قياماً به وتكميلاً.

فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة، وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمنَّ وغرور، وهو دالَ على ضعف همة صاحبه ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولدبلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقى، ونحو ذلك.

وفىي قىولە: ﴿أُولْسُكُ بِسُرْجُونُ رحمة الله إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه.

ولهذا قال: ﴿والله غفور﴾ أي: لمن تاب توبة نصوحاً ﴿رحيم﴾ وسعت رحمته كل شيء، وعمّ جوده وإحسانه

وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات، وحصلت له رحمة الله.

وإذا حصلت له المغفرة، اندفعت عنه عقوبات الدنيا والآخرة، التي هي آثار الذنوب، التي قد غفرت واضمحلت آثارها، وإذا حصلت له الرحمة حصل على كل خير في الدنيا والآخرة؛ بل أعمالهم المذكورة من رحمة الله بهم، فلولا توفيقه إياهم لم يريدوها، ولولا إقدارهم عليها لم يقدروا عليها، ولولا إحسانه لم يتمها ويقبلها منهم، فله الفضل أولاً وآخراً، وهو الذي منّ بالسبب والمسبب.

﴿ ٢١٩﴾ ثم قال تعالى: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما الله أي: يسألك _يماأيها الرسول _المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر، وقد كانا مستعملين في الجاهلية وأول الإسلام، فكأنه وقع فيهما إشكال، فلهذا سألواعن حكمهما، فأمر الله تعالى نبيه أن يبين لهم منافعهما ومضارهما، ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما وتحتيم تركهما.

فأخبر أن إثمهما ومضارهما، وما يصدر منهما من ذهاب العقل والمال، والصدعن ذكر الله وعن الصلاة والعداوة والبغضاء ... أكبر عما يظنونه من نفعهما، من كسب المال بالتجارة بالخمر وتحسيله بالقمار، والطرب للنفوس عند تعاطيهما، وكان هذا

إِلَّ ٱلْحَيُّ أَشْهُ رُّمَّعَلُومَتُّ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَيَّمَ فَلَارَفَتَ إِلَّ وَلَافُسُونَ وَلَاحِدَالَ فِي لَلْحَجُّ وَمَاتَفَعَ كُواْ مِن خَيْرٍ ﴾ يَسْلَمُهُ ٱللَّهُ وَيَسَزَوَّدُواْ فَإِنَ خَبْرَ الزَّادِ ٱلنَّـ فُوكَنْ وَاتَّـ فُونِ إِيَتَأْوَٰلِ ٱلْأَلِيْكِ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَّاحُ أَن تَنْبَعُواْ فَضْ لَا يَن دَّيَ حُكُمْ فَكَإِذَآ أَفَصْتُ مِنْ عَرَفَكَ تِ [فَأَذْ كُرُوا اللَّهُ عِنْدُ الْمُشْفَى رَالْحَكَرَامُ وَأَذْكُمُوهُ كَمَا هَدَنكُمْ وَإِن كُنتُ رِين قَبْ لِدِء لِنَ ٱلنَّهَا لِينَ ۞ ثُمَّا أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَآسْ نَغْفِرُواْ الْقَدَّإِتَ اللَّهَ عَسَفُورٌ نَحِيدٌ ۞ فَإِذَا قَضَيْتُ م مَّنَاسِكَ كُمْ فَأَذْ كُرُواْ ٱللَّهُ كَذِكْ رِكُرُ اَكَآءَكُمُ أَوَّأَنْكَ وَكُولُ فَينَ ٱلنَّاسِ مَن يَعُولُ ﴾ خَلَقِ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَـعُولُ رَبِّنَآ ءَالِنَا فِ ٱلدُّنْبَا حَسَنَةُ 🧯 وَفِي ٱلْآخِدَ رَوْحَدَدُةُ وَفِينَا عَذَابَ ٱلنَّادِ ۞ أُولَتِهِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ لِلْحَسَابِ ٥ A CONTRACTOR OF THE PROPERTY O

ا يُنولُوْ النِّقِيْقِ الْمِقْفِقِ الْمِقْفِقِ الْمِقْفِقِ النِّقِيقِ الْمِقْفِقِ الْمِقْفِقِ الْمِقْفِقِ المُ

البيان زاجراً للنفوس عنهما، لأن العاقل يرجح ما ترجحت مصلحته، ويجتنب ما ترجحت مضرته، ولكن لما كانوا قد ألفوهما، وصعب التحتيم بتركهما أول وهلة، قدم هذه الآية مقدمة للتحريم، الذي ذكره في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان) إلى قوله: ﴿منتهون﴾ وهذا من لطفه ورحمته وحكمته، ولهذا لما نزلت قال عمر رضى الله عنه: انتهينا

فأما الخمر: فهو كل مسكر خامر العقل وغطاه، من أي نوع كان، وأما الميسر: فهو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين، من النرد والشطرنج، وكل مغالبة قولية أو فعلية بعوض ٢٠٠ سوى مسابقة الخيل والإبل والسهام، فإنها مباحة لكونها معينة على الجهاد، فلهذا رخص فيها الشارع.

﴿۲۱۹ _ ۲۲۰﴾ ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة﴾ وهذا سؤال عن مقدار ما ينفقونه من أموالهم، فيسر الله لهم الأمر، وأمرهم أن ينفقوا العفو، وهو المتيسر من أموالهم، الذي لا تتعلق به حاجتهم وضرورتهم، وهذا يرجع إلى

• وَأَذْكُرُواْ اللَّهُ فِي أَبَارِ مَعْدُودُتُ فَنَ نَعَجَلَ فِي وَمَن فَلَا إِنْ مَ عَلَيْهِ وَمَن تَأْخَ رَفَلاَ إِنْ مَ عَلَيْهِ وَلِمَن اتَدَ عَنْ وَاتَّدُوا اللَّهَ وَاعْدَوْ الْتَكُمُ الْتَكُمُ إِلَيْدِ عُمُسَرُونَ 🕲 وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِكَ فَوْلُدُفِ ٱلْحَيَٰوَةِ ٱلدُّنْبَاوَيُنْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَافِ لَلْبِهِ ء وَهُوَ ٱلدُّ ٱلْجِنْصَرَادِ ۞ وَإِنَا تُولُّ ستغنى فسألأذين ليفسيه فيها ويُقلِكَ ٱلْحَدَّةَ وَٱلنَّسَلُّ وَاقَةُ لَا يُحِبُّ ٱلْعَسَادَ ۞ وَإِذَا فِيلَ لَهُ ٱنَّيَ الْقَدَّ أَخَذَنْهُ ٱلْهِ زَهُ بِالْإِشْرُ فَحَسْبُهُ جَهَنَّدُ وَلِينَسَ الْهَادُ ۞ وَينَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْسِي نَفْسَهُ ٱبْيَعْكَآة مَرْضَاتِ ٱللَّهُ وَاللَّهُ رَهُ وفُكُ بِٱلْعِبَ اللَّهِ مِنَا أَنَّهُ مَا ٱلَّذِينَ امَنُواانْخُلُوافِ السِلْمِكَافَةُ وَلَانَتَبْعُواخُلُونَ ٱلشَّبْطَنُ إِنَّهُ لَكَ مُعَدُّوً مُّيبِتُ ﴿ وَإِن زَلَلْتُمِمْنُ بَقْدِ مَاجَاةَ تَكُمُ الْبَيْنَاتُ فَاعْلُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزُ عَكِيمٌ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَّهُمُ أَلَّهُ فِ خُلُلٌ مِنْ ٱلْفَسَاءِ وَلَلْكَتِهِكَ أُو تُغِنِي ٱلْأَمْرُ وَإِلَّ اللَّهِ زُبِّعُ ٱلْأُمُورُ ۞ ADDITION TO BORDED

كل أحد بحسبه، من غني وفقير ومتوسط، كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله، ولو شق تمرة.

ولهذا أمر الله رسوله على أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وصدقاتهم، ولا يكلفهم ما يشق عليهم. ذلك بأن الله تعالى لم يأمرنا بما أمرنا به حاجة أمرنا بما فيه سعادتنا، وما يسهل علينا، وما به النفع لنا ولإخواننا، فيستحق على ذلك أتم الحمد.

ولما بين تعالى هذا البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعه، قال: ﴿كَذَلَكُ بِينَ الله لَكُم الآياتُ ﴾ أي: الدالات على الحقاد المحصلات للعلم النافع والفرقان، ﴿لعلكم تتفكرون في أفكاركم في أسرار شرعه، وتعرفوا أن أوامره فيها مصالح الدنيا والآخرة، وأيضاً لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة وأيضاً لكي التفكروا في الدنيا وسرعة انقضائها، فترفضوها، وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها.

﴿ ۲۲۰﴾ ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ﴾ لما نزل قوله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون

في بطونهم نارأ، وسيصلون سعيراً♦ شقّ ذلك على المسلمين، وعزلوا طعامهم عن طعام اليتامي خوفاً على أنفسهم من تناولها، ولو في هذه الحالة التي جرت العادة بالمشاركة فيها، وسألوا النبي على عن ذلك، فأخبرهم تعالى أن المقصود إصلاح أموال اليتامي بحفظها وصيانتها والآنجار فيها، وأن خلطتهم إياهم في طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامي، لأنهم إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه، وألرجع في ذلك إلى النية والعمل، فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله، فلو دخل عليه شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس، ومن علم الله من نيته أن قصده بالمخالطة التوصل إلى أكلها وتناولها، فذلك الذي حَرِجَ وأثِم، و «الوسائل لها أحكام المقاصد».

وفي هذه الآية دليل على جواز أنواع المخالطات في المآكل والمشارب، والعقود وغيرها، وهذه الرخصة لطف من الله [تعالى] وإحسان، وتوسعة على المؤمسنين، وإلا ف ﴿ لو شاء الله لأعنتكم اي: شق عليكم بعدم الرخصة بذلك فحرجتم، وشق عليكم وأثمتم، ﴿إن الله عزيز﴾ أي: له القوة الكاملة والقهر لكل شيء، ولكنه مع ذلك ﴿حكيم لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته الكاملة وعنايته التامة، فعزته لا تنافى حكمته، فلا يقال: إنه ما شاء فعل، وافق الحكمة أو خالفها، بل يقال: إن أفعاله وكذلك أحكامه تابعة لحكمته، فلا يخلق شيئاً عبثاً، بل لا بدله من حكمة عرفناها أم لم نعرفها، وكذلك لم يشرع لعباده شيئاً مجرداً عن الحكمة، فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة ، لتمام حكمته ورحمته.

﴿٢٢١﴾ ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين

حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ولا تمنك حسوا المنساء ولا تمنك حسوا المنسركات ما دمن على شركهن من الدمامة ما بلغت خير من المشركة ولو بلغت من الحسن ما بلغت، وهذه ولو بلغت من الحسن ما بلغت، وهذه عامة في جميع النساء المشركات، وخصصتها آية المائدة في إباحة نساء أهل الكتاب، كما قال تعالى: والمحصنات من المذين أوتوا الكتاب .

﴿ ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وهذا عام لا تخصيص فيه. ثم ذكر تعالى الحكمة في تحريم نكاح المسلمة لمن خالفهما في الدين، فقال: ﴿ أولئك يدعون إلى النار﴾ أي: في أقوالهم أو أفعالهم وأحوالهم، فمخالطتهم على خطر منهم، والخطر ليس من الأخطار الدنيوية، إنما هو الشقاء الأبدي.

ويستفاد من تعليل الآية، النهي عن خالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع (۱) أن فيه مصالح كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى، وخصوصاً الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها.

وفي قوله: ﴿ولا تستكحوا المشركين﴾ دليل على اعتبار الولي [في النكاح].

ووالله يدعو إلى الجنة والمغفرة الى: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة التي من آثارها دفع العقوبات، وذلك بالدعوة إلى أسبابهما من الأعمال الصالحة، والتوبة النصوح، والعلم النافع، والعمل الصالح.

وريبين آياته أي: أحكامه وحكمها وللناس لعلهم يتذكرون في فيوجب لهم ذلك التذكر لما نسوه، وعلم ما جهلوه، والامتثال لما ضيعوه.

﴿إِن الله يحب التوابين ﴾ أي: من ذنو بهم على الدوام، ﴿ويحب المتطهرين عن الآثام، وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ففيه مشروعية الطهارة مطلقاً

ففيه مشروعية الطهارة مطلقا لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقاً، شرطاً لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.

﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ مقبلة ومدبرة، غير أنه لا يكون إلا في القبل لكونه موضع الحرث، وهو الموضع الذي يكون منه الولد.

وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي على تحريم ذلك، ولعن فاعله.

﴿وقدموا لأنفسكم أي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته ويجامعها على وجه القربة والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله

﴿ واتـقـوا الله أي: في جـيـع أحوالكم كونوا ملازمين لتقوى الله، مستعينين بذلك لعلمكم، ﴿ أنكم ملاقوه ﴾ ومجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها.

ثم قال: ﴿وبشر المؤمنين﴾ لم يذكر المبشر به ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضير رتب على الإيمان، فهو داخل في هذه البشارة.

وفيها عبة الله للمؤمنين، ومحبة ما يسرهم، واستحباب تنشيطهم وتشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي.

﴿٢٢٤﴾ ﴿ولا تجعلوا الله عرضة

حَقَّى مِثْوِلَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَا مُؤَامِّمَتُ مَعْنَ اَعْمُولُ الْآلِدِينَ مَا مُؤَامِّمَتُ مَعْنَ اَعْمُولُوا الْآلِينَ مَا الْمُغَمِّرِ فَلَى مَا الْفَغْمُ الْمَا الْفَغْمُ مِن الْمُسْمَعُ وَالْمُسْمَعُ وَالْمُسْمَعُ وَالْمُسْمَعُ وَالْمُسْمِعُ وَالْمَسْمَعُ وَالْمَسْمِ وَالْمَسْمِ وَالْمُسْمِعُ وَالْمُعْمُ وَالْمُسْمِعُ وَالْمُعُمِينِ وَالْمُسْمِعُ وَالْمُعِلِيمُ وَالْمُسْمِعِيمُ وَالْمُسْمِعُ وَالْمُسْمِعِيمُ وَالْمُسْمِعُ وَالْمُسْمِعُ وَالْمُسْمِعِيمُ وَالْمُسْمِعِيمُ وَالْمُعِلِيمُ وَالْمُسْمِعِيمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِمُ وَالْمُسْمِعُ وَالْمُعِمِّ وَالْمُعِمِّ وَالْمُسْمِعُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِمِ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِمِيمُ وَالْمُعُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِمِيمُ وَالْمُعِمِيمُ وَالْمُعِمِيمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِمِيمُ وَالْمِعِيمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمُ والْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمُ وَالْمُعِلِمِ وَالْمُعِلِمِ وَالْمُعِلِمِ وَالْمُعِلَّ مِنْ مِنْ الْمُعِلَمُ وَالْمُوالِمِ مِنْ مِنْ ال

حَكَوَايِن فَهَالِحِثُمُّ مَسَنَعُهُمُ الْبَأْسِ آءُ وَالعَسَرَّةُ وَلُؤُلُوا

لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وألله سميع عليم، المقصود من اليمين والقسم تعظيم المقسم به، وتأكيد المقسم عليه، وكانَ الله تعالى قد أمر بحفظ الأيمان، وكان مقتضى ذلك حفظها في كل شيء، ولكن الله تعالى استثنى من ذلك إذا كان البر باليمين، يتضمن ترك ما هو أحب إليه، فنهى عباده أن يجعلوا أيمانهم عرضة، أي: مانعة وحائلة عن أن يبروا: أن(١) يفعلوا خيراً، أو يتقوا شراً، أو يصلحوا بين الناس، فمن حلف على ترك واجب وجب حنثه، وحرم إقامته على يىمىنە، ومن حلف على تىرك مستحب استحب له الحنث، ومن حلف على فعل محرم، وجب الحنث، أو على فعل مكروه استحب الحنث، وأما المباح فينبغى فيه حفظ اليمين عن

ويستدل بهذه الآبة على القاعدة المشهورة، أنه "إذا تزاحمت المسالح، قدم أهمها فهنا تتميم اليمين مصلحة، وامتثال أوامر الله في هذه الأشياء مصلحة أكبر من ذلك، فقدمت لذلك.

لم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين، فقال: ﴿والله سميع﴾ أي: لجميع الأصوات ﴿عليم﴾ بالمقاصد ﴿ ٢٢٢ - ٢٢٣﴾ ثم قال تعالى: ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النسساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوة وبشر المؤمنين .

يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقاً كما يفعله اليهود؟

فأخبر تعالى أن الحيض أذى وإذا كان أذى، فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، فلهذا قال: ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ أي: مكان الحيض، وهو الوطء في الفرج خاصة، فهذا المحرم إجماعاً، وتخصيص الاعتزال في المحيض يدل على أن مباشرة الحائض وملامستها في على الوطء في الفرج جائز.

لكن قوله: ﴿وَلا تقربوهن حتى يطهرن﴾ يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة ينبغي تركه، كما كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض، أمرها أن تأتزر فيباشرها.

وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحُيِّض ﴿حتى يطهرن﴾ أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم زال المنع الموجود وقت جريانه، الذي كان لحله شرطان، انقطاع الدم والاغتسال منه.

فلما انقطع الدم زال الشرط الأول، وبقي الشاني، فلهذا قال: ﴿فَإِذَا تَطْهُرُنُ ﴾ أي: اغتسلن ﴿فَأْتُوهُن من حيث أمركم الله ﴾ أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث.

وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم شرط لصحته.

ولما كان هذا المنع لطفاً منه تعالى : بعباده وصيانة عن الأذي، قال تعالى :

ڪُيبَ عَلَيَكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَكُرُهُ ٱلْكُرُوْتُعَنَىٰٓ أَنْ تُكُرُهُواْ شَيْنَا وَهُوَخَيْرٌ لِّحُكُمُ وَعَسَىٰ أَن يُعِبُوا شَيْنَا وَهُوَشَرٌ لِّكُمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَسْتُمْ لَاتَغْلَمُونَ ۞ يَسْتَلُونَكَ عَنَ النَّهْرِ ٱلْحَرَادِ فِتَالِ فِيهِ قُلْ فِتَالٌ فِيهِ حَكِيدٌ ۗ وَصَدُّعَنَّ سَبِيلً آللهِ وَكُفُرُ بِهِ، وَالْمُسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَامُ أَهْلِهِ مِنْهُ أسخترُعِندَانَتَهُ وَالْفِتْنَةُ أَسْحُبَرُمِنَ الْفَتْلُ وَلَايْزَالُونَ يْقَنِلُونَكُرْحَقَى بَرُدُوكُمْ عَن دِينِكُرْ إِنِ اسْتَطَعُواْ وَمَن يَّرْتَدِهُ مِنكُوْعَن دِيدِهِ عَيَّمُتُ وَهُوَكَافِرٌ فَأُوْلَتِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَ اوَٱلْآخِرَةِ وَأُوْلَيْهِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِّ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَثُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَهْدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَيْهِكَ يَرْمُونَ رَحْتَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَنَ عُورٌ تَحِيدٌ ﴿ * يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَيْرِ وَلَلْيُدِيِّ قُلْفِيهِمَا إِثْمُّ كَيِيرُ وَمَنَفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْهُمَا أَكْبَرُ مِن نَفْعِهِمَا أُولِمَنْ لُولَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ فُلِ الْمَفُوكَذَاكِ يُبَيِّثُ اللَّهُ لُكُمُ ٱلْأَبَنَتِ لَعَلَّكُمْ تَفَكَّرُونَ ۞ TO LOTOL " LONGLO"

والنيات، ومنه سماعه لأقوال الحالفين، وعلمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر، وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته، وأن أعمالكم ونياتكم قد استقر علمها عنده.

﴿ ٢٢٥﴾ ثسم قسال تسعسالى: ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم، والله غفور حليم ﴾.

أي: لا يؤاخذكم بما يجري على السنتكم من الأيمان اللاغية التي يتكلم بها العبد من غير قصد منه ولا كسب قلب، ولكنها جرت على لسانه، كقول الرجل في عرض كلامه: «لا والله»، وكحلفه على أمر ماض يظن صدق نفسه، وإنما المؤاخذة على ما قصده القلب.

وفي هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في الأفعال.

﴿والله غــفــور﴾ لمن تــاب إليه، ﴿حليم﴾ بمن عصاه، حيث لم يعاجله بالعقوبة، بل حلم عنه وستر، وصفح مع قدرته عليه وكونه بين يديه.

۲۲٦ ۲۲۲ (اللذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم * وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم وهذا من الأيمان الخاصة بالنوجة، في أمر خاص، وهو حلف الزوج على ترك

وطء زوجته مطلقاً، أو مقيداً، بأقل من أربعة أشهر أو أكثر.

فمن آلى من زوجته خاصة، فإن كان لدون أربعة أشهر، فهذا مثل سائر الأيمان، إن حنث كفر، وإن أتم يمينه فلا شيء عليه، وليس لزوجته عليه سبيل، لأنه ملكه أربعة أشهر.

وإن كان أبداً أو مدة تزيد على أربعة أشهر من أشهر ، ضربت له مدة أربعة أشهر من يمينه إذا طلبت زوجته ذلك ، لأنه حق لها ، فإذا تمت أمر بالفيئة وهو الوطء ، فإن وطىء فلا شيء عليه إلا كفارة اليمين ، وإن امتنع أجبر على الطلاق ، فإن امتنع طلق عليه الحاكم .

ولكن الفيئة والرجوع إلى زوجته أحب إلى الله تعالى، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّ فَاوُوا﴾ أي: رجعوا إلى ما حلفوا على تركه، وهو الوطء. ﴿فَإِنَّ اللهُ غَفُور﴾ يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف بسبب رجوعهم. ﴿رحيم﴾

جعل لأيمانهم كفارة وتحلة، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك، ورحيم بهم أيضاً، حيث فاؤوا إلى زوجاتهم وحنوا عليهن ورحموهن.

﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾ أي: امتنعوا من الفيئة، فكان ذلك دليلاً على رغبتهم عنهن، وعدم إرادتهم لأزواجهم، وهذا لا يكون إلا عزما على الطلاق، فإن حصل هذا الحق الواجب منه مباشرة، وإلا أجبره الحاكم عليه أو قام به.

﴿فَإِنَ اللهُ سَمِيعَ عَلَيمٍ ﴾ فيه وعيد وتهديد لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المضارة والمشاقة.

ويستدل بهذه الآية على أن الإيلاء خاص بالزوجة، لقوله: ﴿من نسائهم﴾ وعلى وجوب الوطء في كل أربعة أشهر مرة، لأنه بعد الأربعة، يجبر إما على الوطء، أو على الطلاق، ولا يكون ذلك إلا لتركه واجباً.

﴿ ٢٢٨﴾ ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفُسِهنَ ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن

مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ أي: النساء اللاق طلقهن أزواجهن ﴿يتربصن بأنفسهن ﴾ أي: ينتظرن ويعتددن مدة ﴿ ثلاثة قروء ﴾ أي: حيض، أو أطبهار، على اختلاف العلماء في المراد بـذلـك، مع أن الصحيح أن القرء الحيض، ولهذه العدة عدة حكم، منها: العلم ببراءة الرحم، إذا تكورت عليها ثلاثة الأقراء، علم أنه ليس في رحمها حمل، فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب، ولهذا أوجب تعالى عليهن الإخبار عن ﴿ما خلق الله في أرحامهن﴾ وحرم عليهن كتمان ذلك من حمل أو حيض، لأن كتمان ذلك يفضى إلى مفاسد كثيرة، فكتمان الحمل موجب أن تلحقه بغير من هو له، رغبة فيه واستعجالاً لانقضاء العدة، فإذا ألحقته بغير أبيه، حصل من قطع الرحم والإرث واحتجاب محارمه وأقاربه عنه، وربما تزوج ذوات محارمه، وحصل في مقابلة ذلكَ إلحاقه بغير أبيه، وثبوت توابع ذلك من الإرث منه وله، ومن جعلُّ أقارب الملحق به أقارب له، وفي ذلك من الشر والفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد، ولو لم يكن في ذلك إلا إقامتها مع من نكاحها باطل في حقه، وفيه

وأما كتمان الحيض، بأن استعجلت وأخبرت به وهي كاذبة، ففيه من انقطاع حق الزوج عنها وإباحتها لغيره، وما يتفرع عن ذلك من الشر كما ذكرنا، وإن كذبت وأخبرت بعدم وجود الحيض لتطول العدة فتأخذ منه نفقة غير واجبة عليه، بل هي سحت عليها محرمة من جهين:

الإصرار على الكبيرة العظيمة وهي

الزنا، لكفي بذلك شراً.

من كونها لا تستحقه، ومن كونها نسبته إلى حكم الشرع وهي كاذبة، وربما راجعها بعد انقضاء العدة، فيكون ذلك سفاحاً لكونها أجنبية عنه، فلهذا قال تعالى: ﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾

فصدور الكتمان منهن دليل على عدم إيمانهن بالله واليوم الآخر، وإلا فلو آمن بالله واليوم الاخر، وعرفن أنهن مجزيات عن أعمالهن، لم يصدر منهن شيء من ذلك.

وفي ذلك دليل على قبول خبر المرأة عما تخبر به عن نفسها، من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه ().

ثم قال تعالى: ﴿وبعولتهن أحق بردهن في ذلك﴾ أي: لأزواجهن ما دامت متربصة في تلك العدة، أن يردوهن إلى نكاحهن ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ أي: رغبة وألفة ومودة.

ومفهوم الآية أنهم إن لم يريدوا الإصلاح فليسوا بأحق بردهن، فلا يحل لهم أن يراجعوهن لقصد المضارة لها، وتطويل العدة عليها، وهل يملك ذلك مع هذا القصد؟ فيه قولان.

الجمهور على أنه يملك ذلك مع التحريم، والصحيح أنه إذا لم يرد الإصلاح لا يملك ذلك، كما هو ظاهر الآية الكريمة، وهذه حكمة أخرى في هذا التربص، وهي: أنه ربما أن زوجها ندم على فراقه لها، فجعلت له هذه المدة، ليتروى بها ويقطع نظره.

وهذا يدل على محبته تعالى للألفة بين الزوجين، وكراهته للفراق، كما قال النبي على الخلال إلى الله الطلاق، وهذا خاص في الطلاق الرجعي، وأما الطلاق البائن فليس البعل بأحق برجعتها، بل إن تراضيا على التراجع فلا بد من عقد جديد محتمع الشروط.

ثم قال تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليه على المناء على المي بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة.

ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع

إلى المعروف، وهو: العادة الجارية في ذلك البلد، وذلك الزمان من مثلها لمثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والأشخاص، والعوائد.

وفي هذا دليل على أن النفقة والكسوة والمعاشرة والمسكن وكذلك الوطء للكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق.

وأما مع الشرط، فعلى شرطهما، إلا شرطاً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً.

﴿وللرجال عليهن درجة ﴾ أي: رفعة ورياسة، وزيادة حق عليها، كما قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾.

ومنصب النبوة والقضاء، والإمامة الصغرى والكبرى، وسائر الولايات مختصٌ بالرجال، وله ضعفا ما لها في كثير من الأمور، كالميراث ونحوه.

والله عزيز حكيم أي: له العزة القاهرة والله عزيز حكيم أي: له الذي دانت له جيع الأشياء، ولكنه مع عزته حكيم في تصرفه.

ويخرج من عموم هذه الآية الحوامل، فعدتهن وضع الحمل، واللاق لم يدخل بهن فليس لهن عدة، والإماء فعدتهن حيضتان، كما هو قول الصحابة رضي الله عنهم، وسياق الآيات (٢) يدل على أن المراد بها الحرة.

الايات يدل على ال المراد به الحره.

(٢٢٩) (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا بما آتيتموهن شيئاً إلا أن يقيما حدود الله فإن خفتم ألا فتدت به تلك حدود الله فأولشك هم ومن يتعذ حدود الله فأولشك هم الظالمون كان الطلاق في الجاهلية، واستمر أول الإسلام، يُطلق الرجل وجته بلا نهاية، فكان إذا أراد مضارتها طلقها، فإذا شارفت انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها، وصنع بها مثل

ذلك أبدأ، فيحصل عليها من الضرر ما الله به عليم، فأخبر تعالى أن ﴿الطلاق﴾ أي: الذي تحصل به الرجعة ﴿مرتان﴾ ليتمكن الزوج إن لم يرد المضارة من ارتجاعها، ويراجع رأيه في هذه المدة، وأما ما فوقها فليس محلاً لذَّلك، لأن من زاد على الثنتين فإما متجرىء على المحرم، أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده المضارة، فلهذا أمر تعالى الزوج أن يمسك زوجته ﴿بمعروف﴾ أي: عشرة حسنة، ويجرى مجرى أمثاله مع زوجاتهم، وهذا هو الأرجح، وإلاّ يسرحها ويفارقها ﴿بإحسانَ﴾ ومن الإحسان أن لا يأخذ على فراقه لها شيئاً من مالها، لأنه ظلم، وأخذ للمال في غير مقابلة بشيء، فلهذا قال: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذُوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافاً أن لا يقيما حدود الله ♦ وهي المخالعة بالمعروف، بأن كرهت الزوجة زوجها لخلقه أو خُلقه أو نقص دينه، وخافت أن لا تطيع الله فيه، ﴿فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ ؛ لأنه عوض لتحصيل مقصودها من الفرقة، وفي هذا مشروعية الخلع، إذا وجدت هذه الحكمة .

﴿تلك﴾ أي: ما تقدم من الأحكام الشرعية ﴿حدود الله﴾ أي: أحكامه التي شرعها لكم، وأمر بالوقوف معها، ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ وأي: ظلم أعظم عمن اقتحم الحلال، وتعدى منه إلى الحرام، فلم يسعه ما أحلً الله؟

والظلم ثلاثة أقسام:

ظلم العبد فيماً بينه وبين الله، وظلم العبد الأكبر الذي هو الشرك، وظلم العبد فيما بينه وبين الخلق، فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة، وحقوق العباد لا يترك الله منها شيئاً، والظلم الذي بين العبد وربه فيما دون الشرك، تحت المشيئة والحكمة.

﴿ ٢٣٠ _ ٢٣١﴾ ﴿ فإن طلقها فلا

تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيماً حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون * وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولاتتخذوا آيات الله هزوآ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم القول تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلْقَهَا ﴾ أي: الطَّلْقَةُ الثَّالِثَةُ ﴿ فَلَا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ أي: نكاحاً صحيحاً ويطؤها، لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحاً، ويدخل فيه العقد والوطء، وهذا بالاتفاق.

ويشترط (١١) أن يكون نكاح الثاني نكاح رغبة، فإن قصد به تحليلها للأول فليس بنكاح، ولا يفيد التحليل، ولا يفيد وطء السيد لأنه ليس بزوج، فإذا تزوجها الثاني راغباً ووطئها ثم فارقها أي: على الزوج الأول والزوجة ﴿أن يتراجعا﴾ أي: يجددا عقداً جديداً بينهما، لإضافته التراجع إليهما، فدل على اعتبار التراضي.

ولكن يشترط في التراجع أن يظنا ﴿أن يقيما حدود الله ﴾ بأن يقوم كل منهما بحق صاحبه، وذلك إذا ندما على عشرتهما السابقة الموجبة للفراق، وعزما أن يبدلاها بعشرة حسنة، فهنا لا جناح عليهما في التراجع.

ومفهوم الآية الكريمة أنهما إن لم يظنا أن يقيما حدود الله، بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية، والعشرة السيئة غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحاً، لأن جميع الأمور إن لم يقم فيها أمر الله، ويسلك بها طاعته، لم يحل الإقدام عليها.

وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان إذا أراد أن يدخل في أمر من

الأمور، خصوصاً الولايات الصغار والكبار، نظر في نفسه (۲)، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك ووثق بها، أقدم وإلا أحجم.

ولما بين الله تعالى هذه الأحكام العظيمة، قال: ﴿وتلك حدود اللله﴾ أي: شرائعه التي حدّدها وبيّنها ووضحها.

﴿يبينها لقوم يعلمون﴾ لأنهم هم المنتفعون بها، النافعون لغيرهم.

وفي هذا من فضيلة أهل العلم ما لا يخفى، لأن الله تعالى جعل تبيينه لحدوده خاصاً بهم، وأنهم المقصودون بذلك، وفيه أن الله تعالى يحب من عباده، معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه بها.

ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النساء ﴾ أي: طلاقاً رجعياً بواحدة أو ثتهن.

﴿فبلغن أجلهن﴾ أي: قاربن انقضاء عدتهن.

﴿ فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أي : إما أن تراجعوهن ونيتكم القيام بحقوقهن، أو قال: ﴿ ولا تمسكوهن ضراراً ﴾ أي : فالحلال، إلى الحرام؛ فالحلال: الإمساك بمعروف (٢)، والحرام: المضارة بن فعلكم هذا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ ولو كان الحق يعود للمخلوق فالضرر عائد إلى من أراد الضرار.

رحمته جعل له واحدة بعد واحدة، رفقاً

به وسعياً في مصلحته .

﴿واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ عموماً، باللسان ثناءً وحمداً، وبالقلب اعترافاً وإقراراً، وبالأركان بصرفها في طاعة الله، ﴿وما أنبزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ أي: السنة، اللذين بين لكم بهما طرق الخير ورغبكم فيها، وطرق الشر وحذركم إياها، وعزفكم نفسه ووقائعه في أوليائه وأعدائه، وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

وقيل: المراد بالحكمة أسرار الشريعة، فالكتاب فيه الحكم، والحكمة فيها بيان حكمة الله في أوامره ونواهيه، وكلا المعنيين صحيح، ولهذا قال: ﴿يعظكم به﴾ أي: بما أنزل عليكم، وهذا بما يقوي أن المراد بالحكمة أسرار الشريعة، لأن الموعظة ببيان الحكم والحكمة، والترغيب أو المحرمة مع الترغيب يوجب الرغبة، والحكمة مع الترغيب يوجب الرغبة،

﴿واتقوا الله ﴿ في جميع أموركم ﴿واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾ فلهذا بين لكم هذه الأحكام بغاية الإتقان والإحكام، التي هي جارية مع المصالح في كل زمان ومكان [فله الحمد والمنة].

﴿ ٢٣٢﴾ ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ هذا خطاب لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث، إذا خرجت من العدة، وأراد زوجها أن ينكحها ورضيت بذلك، فلا يجوز لوليها من أب وغيره أن يعضلها، أي: يمنعها من التزوج به حنقاً عليه وغضباً، واشمئزازاً لما فعل من الطلاق الأول.

وذكر أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإيمانه يمنعه من العضل، فإن ذلك أزكى لكم وأطهر وأطيب عما يظن

المتكبرين.

الولى أن عدم تزويجه هو الرأي:

واللائق، وأنه يقابل بطلاقه الأول بعدم

التزويج له(١١)، كما هو عادة المترفعين

ترويجه، فالله ﴿يعلم وأنسم

لا تعلمون، فامتثلوا أمر من هو عالم

بمصالحكم، مريدلها، قادر عليها،

ميسر لها من الوجه الذي تعرفون

وفي هذه الآية دليل على أنه لا بد

من الولي في النكاح، لأنه نهى الأولياء

عن العضل، ولا ينهاهِم إلا عن أمر

﴿۲۳۳﴾ ثـم قـال تـعـالى:

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين

كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى

المولود له رزقهنَ وكسوتهن بالمعروف لا

تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة

بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث

مثل ذلك فإن أرَادَا فصالاً عن تراض

منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن

أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح

عليكم إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف

واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون

هذا خبر بمعنى الأمر، تنزيلاً له

ولما كان الحول يطلق على الكامل

وعلى معظم الحول، قال. ﴿كاملين لمن

أراد أن يتم الرضاعة ﴾ فإذا تم للرضيع

حولان فقد تم رضاعه، وصار اللبن

بعد ذلك بمنزلة سائر الأغذية، فلهذا

كان الرضاع بعد الحولين غير معتبر

ويؤخذ من هذا النص، ومن قوله

تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأنه

﴿وعلى المولسود لسه ﴾ أي: الأب

﴿رِزِقُهِنِ وِكُسُوتُهِنِ بِالْمُعُرُوفُ﴾ وهذا

منزلة المتقرر الذي لا يحتاج إلى أمر بأن

﴿يرضعن أولادهن حولينَ ﴿ .

هو تحت تدبيرهم ولهم فيه حق.

فإن كان يظن أن المصلحة في عدم

شامل لما إذا كانت في حباله أو مطلقة ، فإن على الأب رزقها، أي: نفقتها وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع.

ودل هـذا عـلي أنهـا إذا كـانـت فـي حباله، لا يجب لها أجرة غير النفقة والكسوة، وكل بحسب حاله، فلهذا قال: ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئاً بالنفقة حتى يجدّ، ﴿لا تضار والدة بولدها، ولا مولود له بولده ♦ أي: لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها، إما أن تمنع من إرضاعه، أو لا تعطى ما يجب لها من النفقة والكسوة أو الأجرة، ﴿ولا مولود له بولده ﴾ بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له، أو تطلب زيادة عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع

ودل قوله: ﴿مولود له﴾ أن الولد لأبيه، لأنه موهوب له، ولأنه من كسبه، فلذلك جاز له الأخذ من ماله رضي أو لم يرض، بخلاف الأم.

وقوله: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ أي: على وارث الطفل إذا عدم الأب وكان الطفل ليس له مال، مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة، فدل على وجبوب نيفقية الأقبارب المعسرين على القريب الوارث الموسر، ﴿ فَإِن أَرَادًا ﴾ أي: الأبوان ﴿ فصالا ﴾ أي: فطام الصبي قبل الحولين، ﴿عن تراض منهما في بأن يكونا راضيين ﴿وتشاور﴾ فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبى أم لا؟ فإن كان مصلحة ورضيا ﴿فلا جناح عليهما ﴾ في فطامه قبل الحولين. فدلت الآية بمفهومها على أنه إن رضي أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل، أنه لا يجوز

وقوله: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي: تطلبوا لهم المراضع غير أمهاتهم على غير وجه المضارة، ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف، أي: للمرضعات، ﴿واللهُ

وَالدُّنْيَاوَ الْآخِرَةُ وَلِنَنَا لُونَكَ عَنِ الْبَنَكِي فُلْ إِصْلاَمْ لَكُمْ خَيْرٌ وَإِن تُحَالِطُوهُمْ فَإِخْوَنُكُمْ وَاللَّهُ يَعَلَمُ الْمُفْسِدَمِنَ ٱلْصَلِيعَ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ لَأَغَنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ عَكِيدٌ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْشُرِكَانِ حَنَّى بُؤْمِنَّ وَلَأَمَا أَمُؤْمِنَ خُبُرُ مِن مُشْرِكَةِ وَلَوْ أَغِبَـٰنَكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ الْشُرْكِينَ مَنَّ مُوْمِنُواْ وَلَعَيْدُ مُوْمِنُ خَيْرِيْنِ مُشْرِكِ وَلَوْ أَغِيَكُمُ أُولَيْكَ يَدْعُونَ إِلَىَ النَّالِّرُ وَأَلْقَهُ يَدْعُواْ إِلَى الْجِنَّةِ وَٱلْفَغْضَ وَإِذْ يَقِّرُونِكِينُ ءَايَنيهِ وِلِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنَذَكَكُرُونَ ۞ وَيَشَكُونَكَعَيْ الْجِيضَ قُلْهُوَأَنَى فَأَغْتَرِلُواْ ٱلنِّسَآةِ فِٱلْمَجِيضِ وَلَاتَفْرَبُوهُنَّ حَتَىٰ يَطَهُرُنَّ فَإِذَا تَطَهَّرُنَ فَأَنْوُهُ ﴾ مِنْحَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوْمَينِ وَيُحِبُّ الْمُتَّطِّقِ رِينَ ۞

يسَا أَوْكُمْ حَرْثُ لَكُرْ فَانُواْ حَرْفَكُمْ أَنَّ الْمَا مُنْ مُوَّا وَقَامُواْ

إِنْ مُنْدِكُمُ وَانَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُواْ أَنَّكُمُ مُلَّقُوهُ وَيَثِّيرِ

ٱلْمُوْمِنِينَ ۞ وَلَا غَمْمَلُوا اللَّهَ عُمْهَا لَهُ إِنْهَانِيكُمْ أَن تَمْمُوا

اللَّهُ وَتَنْفُواْ وَنُصْلِحُوا بَيْكَ ٱلنَّايِنُ وَأَلَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥

DESCRIPTION OF STREET بما تعملون بصير﴾ فمجازيكم على ذلك بالخير والشر.

﴿ ٢٣٤﴾ ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجأ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير، أي: إذا توفى الزوج مكثت زوجته متربصة أربعة أشهر وعشرة أيام وجوباً، والحكمة في ذلك، ليتبين الحمل في مدة الأربعة، ويتحرك في ابتدائه في الشهر الخامس، وهذا العام مخصوص بالحوامل، فإن عدتهن بوضع الحمل، وكذلك الأمة عدتها على النصف من عدة الحرة، شهران وخمسة أيام.

وقوله: ﴿فَإِذَا بِلَغِنِ أَجِلُهِنَ ﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن، أي: من مراجعتها للزينة والطيب، ﴿بالمعروف﴾ أي: على وجه غير محرم ولا مكروه.

وفي هذا وجوب الإحداد مدة العدة على المتوفي عنها زوجها، دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه بين العلماء.

﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمِلُونَ خَبِيرٍ ﴾ أي: عالم بأعمالكم ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، فمجازيكم عليها.

وفي خطابه للأولياء بقوله: ﴿فلا

في ب: بعدم تزويجه.

يمكن وجود الولد بها.

لَا يُؤَاحِدُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغُوفِ آيننيكُ وَلَاكِن تُوَاحِدُكُمُ ٱلَّهُ بِاللَّغُوفِ آيننيكُ وَلَاكِن تُوَاحِدُكُمُ ٱلْكَسَبَتْ فُلُوبُكُمْ وَأَنَّهُ عَفُوزُ حَلِيهٌ ۞ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِسَآ مِمْ مَرَّشُ أَرْبِعَةِ أَشْهُرٌ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱلْفَهَ غَفُورٌ تَحِيدٌ ۞ وَإِنْ عَرَبُواْ ٱلطَّلَقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَٱلْطُلَّقَاتُ بَثَرَتَضَنَ إِلْفُهِينَّ ثَلَثَةَ قُرُورٌ وَكَا يَعِلُ لَكُنَّ أَن يَكُنُهُ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُوْمِنَ بِاللَّهِ وَٱلْبَوْمِ ٱلْآخِرُ وَيُعُولِنُّهُنَّ أَحَقُّ رَدِّهِنَّ فِذَلِكَ إِنْ أَزَادُوٓا إِصْلَاحًا وَلَمُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْعُرُوفِ وَلِلرِّحَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَيَةٌ وَاللَّهُ عَرِيزُ يَكِيدُ ﴿ ٱلطَّلَاقُ مَرَّ وَالْهَاكُ عَلَيْهِ اللَّهُ عِعْرُوفِ أَوْتَسْرِيمٌ إِلِحْسَنَّ وَلَا يَعِلُ لَحَكُمْ أَنَ تَأْخُ ذُواْعًا ٓ مَانَيْتُمُوهُنَّ شَيْعًا إِلَّالَن يَعَافَآ أَلَايُهِيمَاحُدُودَاللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَجُنَاحَ عَلَيْهَا فِيمَا أَفْتَدَتْ بِيُّ عِلْكُ حُدُودُ اللَّهِ فَلَاتَفَتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَتِيكَ هُمُ ٱلظَّلِيمُونَ ۞ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا يَحَلُّ لَهُ مِنْ بَعَدُحَنَّ تَنِكُمْ زَفْجًا عَيْرَةُ وَإِن طَلَقَهَا فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتْرَاجَعَا ٓ إِن ظُنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَيِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِفَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞

A DESCRIPTION OF THE PROPERTY جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن، دليل على أن الولى ينظر على المرأة، ويمنعها بما لا يجوز فعله، ويجبرها على ما يجب، وأنه مخاطب بذلك، واجب

﴿٢٣٥﴾ ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا. تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم، هذا حكم المعتدة من وفاة، أو المبانة في الحياة، فيحرم على غير مبينها أن يصرح لها في الخطبة، وهو المراد بقوله: ﴿ولكن لا تواعدوهن سرآ﴾ وأما التعريض فقد أسقط تعالى فيه الجناح .

والفرق بينهما أن التصريح لا يحتمل غير النكاخ، فلهذا حرم خوفاً من استعجالها، وكذبها في انقضاء عدتها رغبة في النكاح، ففيه دلالة على منع وسائل المحرم، وقضاء لحق زوجها الأول بعدم مواعدتها لغيره مدة عدتها.

النكاح وغيره، فهو جائز للبائن، كأن يقول لها: إني أريد التزوج، وإني أحب أن تشاوريني عند انقضاء عدتك، ونحو ذلك، فهذا جائز لأنه ليس بمنزلة الصريح، وفي النفوس داع قوي

وكذلك إضمار الإنسان في نفسه أن يتزوج من هي في عدتها إذا إنقضت، ولهذا قال: ﴿ أُو أَكُننتم في أنفسِكم، علم الله أنكم ستذكرونهن، هذا التفصيل كله في مقدمات العقد.

وأما عقد النكاح فلا يحل ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ أي: تنقضى

﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم﴾ أي: فانووا الخير ولا تنووا الشر، خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه.

﴿واعلموا أن الله عنفور﴾ لمن صدرت منه الذنوب فتاب منها، ورجع إلى ربه ﴿حليم﴾ حيث لم يعاجل العاصين على معاصيهم، مع قدرته

﴿٢٣٦﴾ ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعأ بالمعروف حقأ على المحسنين اي: ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح وإثم بتطليق النساء قبل المسيس وفرض المهر، وإن كان في ذلك كسر لها، فإنه ينجبر بالمتعة، فعليكم أن تمتعوهن بأن تعطوهن شيئاً من المال، جبراً لخواطرهن. ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر ﴾ أي: المعسر ﴿قدره ﴾.

وهذا يرجع إلى العرف، وأنه يختلف باختلاف الأحوال، ولهذا قال: ﴿متاعاً بالمعروف﴾ فهذا حق واجب ﴿على المحسنين﴾ ليس لهم أن يبخسوهن.

فكما تسببوا لتشوفهن واشتياقهن وأما التعريض، وهو الذي يحتمل - وتعلق قلوبهن، ثم لم يعطوهن ما رغبن

فيه، فعليهم في مقابلة ذلك المتعة.

فلله ما أحسن هذا الحكم الإلهي، وأدله على حكمة شارعه ورحمته!! ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟!!، فهذا حكم المطلقات قبل المسيس وقبل فرض المهر .

ثم ذكر حكم المفروض لهن، فقال:

﴿٢٣٧﴾ ﴿وإن طلَقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ان إذا طلقتم النساء قبل المسيس، وبعد فرض المهر، فللمطلقات من المهر المفروض نصفه، ولكم نصفه .

هذا هو الواجب ما لم يدخله عفو ومسامحة، بأن تعفو عن نصفها لزوجها، إذا كان يصح عفوها، ﴿أُو يعفو الذي بيده عقدة النكاح، وهو الزوج على الصحيح(١)، لأنه الذي بيده حل عقدته؛ ولأن الولي لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة، لكونه غير مالك ولا وكيل.

ثم رغب في العفو، وأن من عفا كان أقرب لتقوآه، لكونه إحساناً موجباً لشرح الصدر، ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة ، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو أخذ الواجب وإعطاء الواجب، وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق والغض مما في النفس، فلا ينبغى للإنسان أن ينسى هذه الدرجة ولو في بعض الأوقات وخصوصاً لمن بينك وبينه معاملة أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل

⁽١) • جاء في هامش أ ما نصه: (هذا بحسب ما ظهر لي وقت كتابتي لهذا الموضع، ثم بعد ذلك تبين لي أن القول بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي الأقرب، وهو الأب، هو الأصح لمساعدة اللفظ له والمعنى كما هو ظاهر للمتدبر).

وفي هامش ب زيادة بخط المؤلف هي: (وقيل: إنه الأب، وهو الذي يدل عليه لفظ الآية الكريمة).

تعملون بصير﴾ ثم قال تعالى:

﴿۲۳۸ _ ۲۳۹﴾ ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين * فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) يأمر بالمحافظة على الصلوات عموماً وعلى الصلاة الوسطى، وهي العصر خصوصاً، والمحافظة عليها أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها وجميع ما لهامن واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتفيد النهى عن الفحشاء والمنكر خصوصاً إذا أكملها كما أمر بقوله: ﴿وقوموا شه قانتين اي: ذليلين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوث والنهي عن الكلام، والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة ﴿فإن خفتم﴾(١) لم يذكر ما يخاف منه ليشمل الخوف من كافر وظالم وسبع، وغير ذلك من أنواع المخاوف، أي: إن خفتم بصلاتكم على تلك الصفة فصلوها ﴿رجالاً﴾ أي: على أقدامكم، ﴿أو ركباناً ﴾ على الخيل والإبل وغيرها، ويلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، وفي هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها حيث أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط، وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها ولو في هذه الحالة الشديدة، فصلاتها على تلك الصورة أحسن وأفضل بل أوجب من صلاتها مطمئناً خارج الوقت ﴿فإذا أمنتم الى: زال الخوف عسكم ﴿فَاذَكُرُوا اللَّهُ ۗ وَهَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ أَنُواعَ الذكر ومنه الصلاة على كمالها وتمامها ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ فإنها نعمة عظيمة ومنة جسيمة، تقتضي مقابلتها بالذكر والشكر ليبقى نعمته عليكم ويزيدكم عليها، ثم قال

والكرم، ولهذا قال ﴿إن الله بما تعالى:

﴿٢٤٠﴾ ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجأ وصية لأزواجهم متاعأ إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معتروف والله عزية حكيم اي: الأزواج الذين يموتون ويتركون خلفهم أزواجاً فعليهم أن يوصوا ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾ أي: يوصون أن يلزمن بيوتهم مدة سنة لا يخرجن منها ﴿فَإِنْ خُرِجِنْ﴾ من أنفسهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ أيها الأولياء ﴿فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم اي: من مراجعة الزينة والطيب ونحو ذلك وأكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة بما قبلها وهي قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجأ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ وقيل لم تنسخها بل الآية الأولى دلت على أن أربعة أشهر وعشر واجبة، وما زادعلي ذلك فهي مستحبة ينبغى فعلها تكميلاً لحق الزوج، ومراعاة للزوجة، والدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفي الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل تكميل الحول، فلو كان لزوم المسكن واجباً لم ينف الحرج عنهم. ﴿ ٢٤١ _ ٢٤١﴾ ﴿ وللمطلقات

متاع بالمعروف حقاً على المتقين * كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون اي: لكل مطلقة متاع بالمعروف حقاً على كل متق، جبراً لخاطرها وأداء لبعض حقوقها، وهذه المتعة واجبة على من طلقت قبل المسيس، والفرض سنة في حق غيرها كما تقدم، هذا أحسن ما قيل فيها، وقيل إن المتعة واجبة على كل مطلقة احتجاجاً بعموم هذه الآية، ولكن القاعدة أن الطلق محمول على القيّد، وتقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والمسيس خاصةً، ولما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على

وَإِذَا طَلَقَتُهُ ٱلنِّسَاتَهِ فَلَغَنَ أَسَلَهُ نَامُسِكُوهُنَّ مَعَرُوفِ أَوْسَرَهُهُ إِيَعَهُ وَفِي وَلَانتُنسِكُو هُنَّ ضِرَالُ لِتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَدْظَلَرَ تَفْسَدُولَاتَتَغِذُوٓا عَابَتِ اللَّهِ هُزُواْ وَاذَكُرُواْ نِعْسَ َ اللَّهِ عَلَيْكُوْ وَمَا أَنْلَ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلْكِنْبَ وَلَيْلَكُمَةِ بَعِظُكُمْ بِدِّ وَأَنْفُوا اللَّهَ وَأَعْلَوْا أَنَا لَقَدَ يُكُلِ ثَنَّ وَعَلِيمٌ ﴿ وَإِذَا طَلَقَتُمُ النِّسَاءَ فَلَقَنْ أَتَعَلَهُنَّ فَلَاتَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنْكِحْنَ أَزْوَجَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمُعْرُوفِّ ذَلِكَ يُوعَظُ بِدِ مَن كَانَ مِنكُرُ يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْبَوْمِ ٱلْآخِيرُ ذَلِكُو اَنْكَ لَكُوْ وَأَطَلُهَرُّ وَأَلْمَهُ بِعَلَوُوَأَمَنُهُ لِالْفَلَدُونَ ﴿ • وَٱلْوَلِلَاتُ يُرْخِيعَنَ أَوْلَكَ هُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِّ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبَدِّ ٱلرَّضَاعَةُ وَعَلَى ٱلْوَلُودِلَةُ رِزْفَهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْعَرُوفِ لَا يُكَلَّفُ مَنْسُ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَانْشَازَ وَلِدَهُ مُ يُولَدِهَا وَلَامَوْلُودٌ لَّذُ بِوَلَدِهُ ءُوَكَلْ لُولِيثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۚ فَإِنْ أَوَادَا فِصَالُاعَن تَرَاضِ مِنْهُمَا وَلَشَا وُرِفَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدَتُمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلَدَكُمْ فَلَاجْنَاحَ عَلَيْحِكُمْ إِذَا سَكَلَّمْتُ مِمَّاءَ اتَّمِتُ مِ الْمُعْرُوفِيُّ م وَاتَّفُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَاتَمْسَلُونَ بَعِيدٌ ﴿ TOWERD WERE TO

الحكمة والرحمة امتن بها على عباده فقال: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ أي: حدوده، وحلاله وحرامه والأحكام النافعة لكم، لعلكم تعقلونها فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها، ثم قال تعالى:

﴿٢٤٣ ـ ٢٤٥﴾ ﴿أَلَمْ تُو إِلَى الدِّينَ خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون * وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم * من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون القص تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم، بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغنى حذر عن قدر، ﴿فقال الله لهم موتوا﴾ فماتوا ﴿ثُمُ إِنَّ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أُحِياهُمُ ﴾ إما بدعوة نبي أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفاً وحلماً، وبياناً لآياته لخلقه بإحياء الموتى، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهِ

من هنا بدأ الاختلاف بين النسختين، وقد أشرت إليه في المقدمة بشيء من التفصيل وقد أثبت التفسير المأخوذ من النسخة ب في

A SHIP IN THE SHIP وَالَّذِينَ مُتَوَفِّونَ مِنكُمْ وَيَنَدُونَ أَزْوَجَا يَثَرَبَصْنَ بِأَنْفُيهِنَّ أَزْيِعَةَ أَشْهُرِ وَعَشْرًا فَإِذَا بِكَفْنَ لَبَكَهُنَّ فَلَاجُسَاحَ عَلَيْكُرُ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِٱلْقَدُوفِ وَأَلَّهُ بِمَاتَعْمَلُونَ خَبِيرُ وَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِمَا عَقَهْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَوَ اللِّسَآهِ أَوْأَلْشَتُمْ فِي أَنْفُي كُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُ أَلَكُمُ سَتَلْذَكُرُونَهُ كَ وَلَكِنَ لَاتُوَاعِدُوهُنَّ مِسرًّا إِلَّا أَن تَقُولُواْ فَوْلَامَّعْ رُوفَ اُولَاتَعْ رَجُواْ عُفْدَةَ النِّكَاحِ حَنَّى يَبْلُغَ الْكِتَبُ أَجَلَهُ وَأَعْلُمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَافِيَ أَنفُي كُمْ فَأَحْدَرُوهُ وَأَعْلَمُواْ أَبَ اللَّهَ عَفُورُ كِلِيدٌ ۞ لَاحُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُ وُالنِّسَاءَ مَالَةِ تَسَنُّوهُنَّ أَوْتَفْرِضُواْ لَمُنَّ فَرِيضَكَةٌ وَمَيْعُوهُنَّ عَلَى ٱلْوُسِعِ فَذَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُعْيَرِ فَذَرُهُ مَنْعَا بِٱلْمَعْرُهِ فِي حَقًّا عَلَى ٱلْحُرِيدِينَ وَإِن طَلَقَنْ مُوهُنَّ مِن جَلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَكَةً فَيَصْفُ مَا فَرَضْتُ ۚ إِلَّا أَنْ يَصْفُونَ أَوْيَقَفُواْ ٱلَّذِي بِيدِ مِعُفْدَةُ ٱلنِّحِكَاجُ وَأَن تَعْفُواْ أَفْرَبُ لِلسَّفُونَةُ ا وَلَاتَنسَوُا ٱلْفَصْلَ يَنْتَكُمْ إِن اللَّهُ عِاتَصْمَلُون بَصِيرُ ۞ ACCOUNT WESTER لذو فضل﴾أي: عظيم ﴿على الناس

ولكن أكشرهم لا يسكرون الله تزيدهم النعمة شكراً، بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه، وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقربها ويصرفها في طاعة المنعم، ثم أمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، فقال: ﴿وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم اي: فأحسنوا نياتكم واقصدوا بذلك وجه الله، واعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئاً، ولو ظننتم أن في القعود حياتكم وبقاءكم، فليس الأمر كذلك، ولهذا ذكر القصة السابقة توطئة لهذا الأمر، فكما لم ينفع الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم، بل أتاهم ما حذروا من غير أن يحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك، ولما كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة وبذل الأموال في ذلك، أمر تعالى بالإنفاق في سبيله ورغب فيه، وسماه قرضاً فقال: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴿ فينفق ما تيسر من أمواله في طرق الخيرات، خصوصاً في الجهاد، والحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى، ﴿فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾. الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، بحسب

حالة المنفق ونيته ونفع نفقته والحاجة

اليها، ولما كان الإنسان ربما توهم أنه إذا أنفق افتقر دفع تعالى هذه الوهم بقوله: ﴿والله يقبض ويبسط﴾أي: يوسع الرزق على من يشاء ويقبضه عمن يشاء، فالتصرف كله بيديه ومدار الأمور راجع إليه، فالإمساك لا يبسط الرزق، والإنفاق لا يقبضه، ومع ذلك فالإنفاق غير ضائع على أهله، بل لهم

فيجازيكم بأعمالكم. ففي هذه الآيات دليل على أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر، وخصوصاً الأسباب التي تترك بها أوامر الله. وفيها: الآية العظيمة بإحياء الموتى أعياناً في هذه الدار. وفيها:

يوم يجدون ما قدّموه كاملاً موفراً

مضاعفاً، فلهذا قال ﴿وإليه ترجعون﴾

الأمر بالقتال والنفقة في سبيل الله، وذكر الأسباب الداعية لذلك الحاثة عليه، من تسميته قرضاً، ومضاعفته، وأن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون . . ﴿ ٢٤٦ _ ٢٤٨ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَسِرُ إِلَى اللَّهُ

ديارنا وأبنائنا اأي: أي: شيء يمنعنا من القتال وقد ألجأنا إليه، بأن أخرجنا من أوطاننا وسبيت ذرارينا، فهذا من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا موجب لكوننا نقاتل ولولم يكتب لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في علينا، فكيف مع أنه فرض علينا وقد سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب حصل ما حصل، ولهذا لما لم تكن عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نياتهم حسنة ولم يقوَ توكلهم على ربهم نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا ﴾ ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال فجبنوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن تولوا إلا قبليلاً منهم والله عبليم المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه، بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد واستولى على أكثرهم الخور والجبن ﴿إلا بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله ووطنوا يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم شرف الدنيا والآخرة، وأما أكثرهم والله ينؤق ملكه من يشاء والله واسع فظلموا أنفسهم وتركوا أمر الله، فلهذا عليم * وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن قال: ﴿والله عليم بالظالمين * وقال يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ويقية بما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن تعييناً من الله الواجب عليهم فيه القبول كنتم مؤمنين ليقص تعالى على نبيه والانقياد وترك الاعتراض، ولكن أبوا قصة الملأ من بني إسرائيل وهم إلا أن يعترضوا، فقالوا: ﴿أَنِّي يَكُونَ الأشـراف والـرؤسـاء، وخـص الملأ بالذكر، لأنهم في العادة هم الذين يبحثون عن مصالحهم ليتفقوا فيتبعهم ملكاً وهو دوننا في الشرف والنسب غيرهم على ما يرونه، وذلك أنهم أتوا

إلى نبى لهم بعد موسى عليه السلام

فقالواله ﴿ابعث لنا ملكاً﴾ أي: عين ا لناملكاً ﴿نقاتل في سبيل الله﴾ ليجتمع متفرقنا ويقاوم بنا عدونا، ولعلهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم، كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت، كل بيت لا يرضى أن يكون من البيت الآخر رئيس، فالتمسوا من نبيهم تعيين ملك يرضي الطرفين ويكون تعيينه خاصأ لعوائدهم، وكانت أنبياء بني إسرائيل تسوسهم، كلما مات نبي خلفه نبي آخر، فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة ﴿قَالَ ﴾لهم نبيهم ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا الله أي: لعلكم تطلبون شيئأ وهو إذا كتب

عليكم لا تقومون به، فعرض عليهم

العافية فلم يقبلوها، واعتمدوا على ِ

عزمهم ونيتهم، فقالوا: ﴿وما لنا ألاَّ

نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من

قليلاً منهم الله وثبتهم

لهم نبيهم ، مجيباً لطلبتهم ﴿إن الله قد

بعث لكم طالوت ملكاً ﴾ فكان هذا

له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم

يؤت سعة من المال أي: كيف يكون

ونحن أحق بالملك منه. ومع هذا فهو

كَيْفِطُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَوْوَ ٱلْوُسْطِي وَقُومُواْ يَعُو فَنتين ﴿ فَإِنْ خِفْتُ رُفِّحَالًا أَوْرُكُ بَانَّا فَإِذَا المِنتُ مَ فَاذْكُرُوا أَفَة كُمَا عَلَّمَكُم مَا لَمْ نَكُونُواْ مَّا لَهُ ﴾ وَالَّذِي يُوَفِّونَ مِنكُمْ وَالَّذِي أَزْوَجَ اوَصِيتَ لَمُ لَأَزُوكِيهِم مَنَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ عَبْرَ إِخْرَاجُ فَإِنْ خَرَجَى فَلَاجُنَاعَ عَلَيْكُمْ فِي مَافَعَلَ فِي أَنفُهِ مِن مَّعْرُوفُ وَأَلْلَهُ عَيْرُدُحَكِيدٌ ۞ وَلِلْمُعْلَلْفَانِ مَنْنَكُمْ إِلَا لَعُرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْنُقِيدَ ۞ كَذَلِكَ يُبَعِّنُ أَقَّةُ لَكُرْ ءَايْنَيْهِ عَلَقَكُمْ نَعْفِلُونَ ٠ الرَّنَرَ إِلَى الَّذِينَ مَرَّحُوا مِن دِينَ رِهِمْ وَهُمُ أَلُوفُ حَدَرَ الْمُرْبِ فَقَالَ لَمُوْالْقَامُ مُونُوا ثُمَرَّ أَجَلَهُمُّ إِنَّ الْقَدَلَدُو مَشْلِ عَلَى الشَّاسِ وَلَنكِنَّ أَحْتُ أَلْنَاسِ لَا بَشْكُرُونَ ۞ وَقَائِلُوا فِي سَهِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَتَ اللَّهُ سَيعِمْ عَلِيدٌ ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرَّضَا حَسَنَا فَيْضَلِعِفْهُ لَهُ وَأَضْعَافًا مُ كَوْنِيرَةً وَاللَّهُ يَمْمِنُ وَيَبْعَتُمُ اللَّهِ وَإِلَيْهِ رُبِّعَتُونَ ۞

لهم بالصبر ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ أي: بإرادته ومشيئته فالأمر لله تعالى، والعزيز من

أعزه الله، والـذليل من أذله الله، فـلا تغنى الكثرة مع خذلانه، ولا تضر القلة مع نصره، ﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله، فوقعت موعظته في قلوبهم وأثرت معهم، ولهذا لما برزوا لجالوت وجنوده ﴿قالوا﴾ جميعهم ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً أي: قو قلوبنا، وأوزعنا الصبر، وثبت أقدامنا عن التزلزل والفرار، وانصرنا على القوم الكافرين. من هاهنا نعلم أن جالوت وجنوده كانوا كفاراً، فاستجاب الله لهم ذلك الدعاء لإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك، ونصرهم عليهم ﴿فهزموهم بإذن الله، وقتل داود﴾ عليه السلام، وكان مع جنود طالوت، ﴿جالوت﴾ أي: بناشر قتل ملك الكفار بيده لشجاعته وقوته وصبره ﴿وآتاه اللهِ أي: آتى الله داود ﴿الملك والحكمة﴾ أي: منَّ عليه بتملكه على بني إسرائيل مع الحكمة، وهي النبوة المشتملة على الشرع العظيم والصراط المستقيم، ولهذا قال ﴿وعلمه مما يشاء ﴾ من العلوم الشرعية والعلوم السياسية، فجمع الله له الملك والنبوة، وقد كان من قبله من الأنبياء يكون الملك

الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين * تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين، أي: لما تملُّك طالوت ببني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم، فلما فصل طالوت بجنود بني إسرائيل وكانوا عدداً كثيراً وجماً عَفيراً، امتحنهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن عن ليس كذلك فقال: ﴿إِن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني﴾ فهو عاص ولا يتبعنا لعدم صبره وثباته ولمعصيته ﴿ومن لم يطعمه ﴾ أي: لم يشرب منه فإنه منى ﴿ إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ فلا جناح عليه في ذلك، ولعل الله أن يجعل فيها بركةً فتكفيه، وفي هذا

الابستلاء ما يدل على أن الماء قد قبل

عليهم ليتحقق الامتحان، فعصى

أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهى

عنه، ورجعوا على أعقابهم ونكصوا

عن قتال عدوهم وكان في عدم

صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل

على عدم صبرهم على القتال الذي

سيتطاول وتحصل فيه المشقة الكبيرة،

وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الشابتون توكلاً على الله، وتضرعاً واستكانة وتبرؤاً من حولهم عدوهم، وزيادة صبر لقلتهم وكثرة عدوهم، فلهذا قال تعالى: ﴿فلما جاوزه﴾ أي: النهر ﴿هو﴾ أي: النهر أهاعوا أمر الله ولم يشربوا من النهر الشرب المنهي عنه فرأوا... قلتهم وكثرة أعدائهم، قالوا أي: قال كثير منهم ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ لكثرتهم وعددهم وعددهم

أي: يستيقنون ذلك، وهم أهل

الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين

لباقيهم ومطمئنين لخواطرهم، وآمرين

فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال، وهذا بناء منهم على ظن فاسد، وهو أن الملك ونتحوه من الولايات مستلزم لشرف النسب وكثرة المال، ولم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقديم مقدمة عليها، فلهذا قال لهم نبيهم: ﴿إِن الله اصطفاه عليكم الزمكم الانقياد لذلك ﴿وراده الله بسطة في العلم والجسم أي: فضله عليكم بالعلم والحسم، أي: بقوة الرأي: والجسم اللذين سما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأى: المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل فى الملك خرق وقمر ومحالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالماً بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي: الذي لا ينفذه شيئاً ﴿والله واسع﴾ الفضل كثير الكرم، لا يخص برحمته وبره العام أحداً عن أحد، ولا شريفاً عن وضيع، ولكنه مع ذلك ﴿عليم﴾ بمن يستحق الفضل فيضعه فيه، فأزال بهذا الكلام ما في قلوبهم من كل ريب وشك وشبهة لتبيينه أن أسباب الملك متوفرة فيه، وأن فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ليس له راد، ولا لإحسانه صاد، ثم ذكر لهم نبيهم أيضاً آية حسية يشاهدونها وهي إتيان التابوت الذي قد فقدوه زماناً طويلاً وفي ذلك التابوت سكينة تسكن بها قلوبهم، وتطمئن لها خواطرهم، وفيه بقية بما ترك آل موسى وآل هارون، فأتت به الملائكة حاملة له وهم يرونه عياناً.

﴿ ٢٥٢ _ ٢٤٩﴾ ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرقة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة فلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع

المنافقة الم لِنَى لَهُمُ أَنِعَتْ لَنَا مَلِكَا أَمُّنَ قِلْ فِ سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ ِ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِنَالُ أَلَّانُمُنَائِلُوَّأٌ مَالُوا وَمَالَنا أَلَّا ثُمَّا يَلُ فِي سَهِيلِ أَلَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِينَدِرِنَا وَأَبْتَ آيِنَا فَلَمَا حَكُيْبَ عَلَيْهِمُ ٱلْفِسَالُ وَقُولًا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمُّ وَأَلْقَهُ عَلِيكُمُ الظَّلْلِيدِينَ ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نِيَتُهُمُ إِنَّ ٱللَّهَ فَذَبَّعَتَ لَكُمْ طَالُونَ مَلِكًا ۚ مَالُواْ أَنَّ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَغَنُ أَحَثُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَهُ مُن ٱلْمَالِ قَالَ إِنَ ٱللَّهُ ٱصْطَعَنهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسُطَةً فِ ٱلْصِلْجِ وَٱلْجِسْمُ وَأَلَّهِ يُوْنِي مُلْكَ أُوسَ يَسْكَأَةُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيدٌ ۞ وَقَالَ لَهُ مُنْبِيثُهُمْ إِنْ ءَابَةً مُلْكِمِ أَن يَأْنِيكُمُ ٱلنَّالُوتُ فِيهِ سَحِينَةٌ مِن زَّيْكُمْ وَبَقِيتَةٍ يَمَّا زَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَمَالُ هَـٰرُونَ تَعْمِلُهُ ٱلْكُلَّيْكُمُّ إنَّ فِي ذَلِكَ لَآكِةً لَّكُمْ إِن كُنْتُ مُنْوَينِينَ ۞ MONOROL " ECROEC

لغيرهم، فلما نصرهم الله تعالى

اطمأنوا في ديارهم وعبدوا الله آمنين مطمئنين لخذلان أعدائهم وتمكينهم من الأرض، وهذا كله من آثار الجهاد في سبيله، فلولم يكن لم يحصل ذلك فلهذا قال تعالى: ﴿ولولادفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ أي: لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالب الكفار لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وإقامتهم شعائر الكفر ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين، حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ومكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها، وأسباب لا يعلمونها، ثم قال تعالى ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ أي: بالصدق الذي لا ريب فيها المتضمن للاعتبار والاستبصار وبيان حقائق الأمور ﴿وإنك لمن المرسلين، فهذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من أخبار الأمم السالفين والأنبياء وأتباعهم وأعدائهم التي لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه من عنده شيء من هذه الأمور، فدل أنه رسول الله حقاً ونبيه صدقاً الذي بعثه بالحق ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وفي هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الألباب، فمنها: أن اجتماع أهل الكلمة والحل والعقد وبحثهم في الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه، ثم العمل به، أكبر سبب لإرتقائهم وحصول مقصودهم، كما وقع لهؤلاء الملأحين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم ويلم متفرقهم، وتحصل له الطاعة منهم، ومنها: أنَّ الحقُّ كلما عورض وأوردت عليه الشبه ازداد وضوحا وتميز وحصل به اليقين التام كما جرى لهؤلاء، لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع وزوال الشبه والريب. ومنها: أن العلم والرأي: مع القوة المنفذة بهما كمال الولايات، وبفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها وضورها. ومنها: أن الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان، والاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر، فالأول كما في قولهم لنبيهم ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبناننا، فكأنه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا، والثاني في قوله: ﴿وِلَمَّا بِرِزُوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله ﴿ . ومنها: أن من حكمة الله تعالى تمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والصابر من الجبان، وأنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط وعدم التمييز. ومنها: أن من رحمته وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين المقاتلين، وأنبه لبولا ذلبك لنفسيدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها، ثم قال

﴿٢٥٣﴾ ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو

تعالى:

شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض بما خصهم من بين سائر الناس بإياته وإرسالهم إلى الناس، ودعائهم الخلق إلى الله، ثم فضل بعضهم على بعض بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة والأفعال السديدة والنفع العام، فمنهم من كلمه الله كموسى بن عمران خصه بالكلام، ومنهم من رفعه على سائرهم درجات كنبينا عَلَيْ الذي اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره، وجمع الله له من المناقب ما قاق به الأولين والآخرين ﴿وآتينا عيسي ابن مريم البينات﴾ الدالات على نبوته وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴿وأبدناه بروح القدس﴾ أي: بالإيمان واليقين الذي أيده به الله وقواه على ما أمر به، وقيل أيده بجبريل عليه السلام يلازمه في أحواله ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البينات، الموجبة للاجتماع على الإيمان ﴿ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فكان موجب هذا الاختلاف التفرق والمعاداة والمقاتلة، ومع هذا فلو شاء الله بعد هذا الاختلاف ما اقتتلوا، فدل ذلك على أن مشيئة الله نمافذة غالبة للأسباب، وإنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة، فإذا وجدت اضمحل كل سبب، وزال كل موجب، فلهذا قال ﴿ولكن الله يفعل ما يريد، فإرادته غالبة ومشيئته نافذة، وفي هذا ونحوه دلالة على أن الله تعالى لم يزل يفعل ما اقتضته مشيئته وحكمته، ومن جملة ما يفعله ما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله ﷺ من الاستواء والنزول والأقوال، والأفعال التي يعبرون عنها بالأفعال الاختيارية. فائدة: كما يجب على المكلف معرفته بربه، فيجب عليه معرفته برسله، ما يجب لهم ويمتنع عليهم ويجوز في حقهم، ويؤخذ جميع ذلك بماً وصفهم الله به في آيات متعددة، منها: أنهم رجال لا نساء، من أهل

القرى لا من أهل البوادي، وأنهم مصطفون مختارون، جمع الله لهم من الصفات الحميدة ما به الاصطفاء والاختيار، وأنهم سالمون من كل ما يقدح في رسالتهم من كذب وخيانة وكتمان وعيوب مزرية، وأنهم والتكليف، وأن الله تعالى خصهم بوحيه، فلهذا وجب الإيمان بهم ومن قدح في واحد منهم أو سبه فهو كافر، كافر يتحتم قتله، ودلائل هذه الجمل كثيرة، من تدبر القرآن تبين له الحق، مقال تعالى:

﴿٢٥٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة والكآفرون هم الظالمون، وهذا من لطف الله بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله، من صدقة وأجبة ومستحبة، ليكون لهم ذخراً وأجراً موفراً في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير، فلا بيع فيه ولو افتدى الإنسان نفسه بملىء الأرض ذهبأ ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه، ولم ينفعه خليل ولا صديق لا بوجاهة ولا بشفاعة، وهو اليوم الذي فيه يخسر المبطلون ويحصل الخزى على الظالمين، وهم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه، فتركوا الواجب من حق الله وحق عباده وتعدوا الحلال إلى الحرام، وأعظم أنواع الظلم الكفر بالله الذي هو وضع العبادة التي يتعين أن تكون لله فيصرفها الكافر إلى مخلوق مثله، فلهذا قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ وهذا من باب الحصر، أي: الذين ثبت لهم الظلم التام، كما قال تعالى: ﴿إِن الشرك لظلم عظيم ♦. ثم قال تعالى:

(٢٥٥) ﴿ (الله لا إلىه إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات

والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها ورداً للإنسان في أوقاته صباحاً ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأنه ﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقاً أن يكون عبداً لربه، عتثلاً أوامره مجتنباً نواهيه، وكل ما سوى الله تعالى باطل، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقاً ناقصاً مدبِّراً فقيراً من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئاً من أنواع العبادة، وقوله: ﴿ الحي القيوم ﴾ هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسني دلالة مطابقة وتضمناً ولزوماً، فالحيّ من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري، ولهذا قال بعض المحققين: إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعى الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميته أنه ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ والسنة النعاس ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: هو المالك وما سواه عملوك وهو الخالق الرازق المدبر وغيره مخلوق مرزوق مدبر لايملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فلهذا قال: ﴿مُن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه،

فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذِن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدىء الشافع قبل الإذن ، ثم قال ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي: ما مضى من جميع الامور ﴿وما خلفهم اي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى، ولهذا قال: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض) وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمةً خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسزار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب، فلهذا قال: ﴿ولا يؤودُه ﴾ أي: يثقله ﴿حفظهما وهو العلي﴾ بذاته فوق عرشه، العلى بقهره لجميع المخلوقات، العلى بقدره لكمال صفاته ﴿العظيم﴾ الذي تتضائل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء، فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسني والصفات العُلاً، ثم قال تعالى:

﴿٢٥٦ _ ٢٥٦﴾ ﴿لا إكسراه فسي الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم * الله ولي الذين أَمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولتك أصحاب النار هم فيها خالدون، يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيىء القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحاً، ولا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين، وإنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجب لقبوله لكل منصف قصده اتباع الحق، وأما القتال وعدمه فلم تتعرض له، وإنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر، ولكن يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما هو قول كثير من العلماء، فمن يكفر بالطاغوت فيترك عبادة ما سوى الله وطاعة الشيطان، ويؤمن بالله إيماناً تاماً أوجب له عبادة ربه وطاعته ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقي ﴾ أي: بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه، وكان المتمسك به على ثقة من أمره، لكونه استمسك بالعروة الوثقي التي ﴿لا انفصام لها﴾ وأما من عكس القضية فكفر بالله وآمن بالطاغوت، فقد أطلق هذه العروة الوثقى التي بها العصمة والنجاة، واستمسك بكل باطل مآله إلى الجحيم ﴿والله سميع عليم﴾ فيجازي كلاً

منهما بحسب ما علمه منهم من الخير والشر، وهذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقي ولمن لم يستمسك بها، ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك فقال: ﴿الله ولى الذين آمنوا ﴾ وهذا يشمل ولايتهم لربهم، بأن تولوه فلا يبغون عنه بدلاً ولا يشركون به أحداً، قد اتخذوه حبيباً وولياً، ووالوا أولياءه وعادوا أعداءه، فتولاهم بلطفه ومنَّ عليهم بإحسانه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصى والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ فتولوا الشيطان وحزبه، واتخذوه من دون الله ولياً ووالوه وتركوا ولاية ربهم وسيدهم، فسلطهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يؤزونهم إلى المعاصي أزّاً، وينزعجونهم إلى السر إزعاجاً، فيخرجونهم من نور الإيمان والعلم والطاعة إلى ظلمة الكفر والجهل والمعاصي، فكان جزاؤهم على ذلك أن حرموا الخيرات، وفاتهم النعيم والبهجة والمسرات، وكانوا من حزب الشيطان وأولياءه في دار الحسرة، فلهذا قال تعالى: ﴿أُولِئِكُ أَصِحَابِ النار هم فيها خالدون، ،

﴿٢٥٨﴾ ﴿أَلُم تَسر إِلَى السَّذِي حَسَاخٍ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تُر إِلَّى الذَّي أَلَّ حاج إبراهيم في ربه﴾ أي: إلى جرائته وعجاهله وعنادة ومحاجته فيما لايقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا ﴿أن آتاه الله الملك الله فطغى وبغى ورأى نفسه مترئساً على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله، فقال إبراهيم ﴿رِي الذي يحيي ويميت﴾ أي: هو المنفرد بأنواع التصرف،

وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: ﴿أَنَا أحيى وأميت﴾ ولم يقل أنا الذي أحيى وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصاً فيكون قد أماته، ويستبقي شخصاً فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلاً عن كونه حجة ، اطرد معه في الدليل فقال إبراهيم ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق) أي: عياناً يقربه كل أحد حتى ذلك الكافر ﴿فأت بها من المغرب﴾ وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقاً في دعواه، فلما قال له أمراً لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحاً يقدح في سبيله ﴿بهت الذي كفر﴾ أي: تحيير فلم يرجع إليه جواباً وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين ♦ بل يبقيهم على كفرهم وضَّلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال، قال ابن القيم رحمه الله: وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جداً، وهي أن شرك العالم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها، فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جُملةً بأن الله وحده هو الذي يحيى ويميت، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له رباً قادراً قاهراً متصرفاً فيه إحياة وإماتةً، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها حتى يتخذ الصنم على

صورته، ويعبد من دونه، وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه الشمس وهي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها بنفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنقاد لأمره ومشيئته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله . «من مفتاح دار السعادة» ، ثم قال تعالى :

﴿۲٥٩﴾ ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير، وهذا أيضاً دليل آخر على توحد الله بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء، فقال: ﴿أُو كالذي مرعلى قرية وهي خاوية على عروشها، أي: قد باد أهلها وفني سكانها وسقطت حيطانها على عروشها، فلم يبق بها أنيس بل بقيت موحشة من أهلها مقفرة، فوقف عليها ذلك الرجل متعجباً و ﴿قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها، استبعاداً لذَّلك وجهلاً بقدرة الله تعالى، فلما أراد الله به خيراً أراه آية في نفسه وفي حماره، وكان معه طعام وشراب، ﴿فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم ﴾ استقصاراً لتلك المدة التي مات فيها لكونه قد زالت معرفته وحواسه وكان عهد حاله قبل موته، فقيل له ﴿بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه اي: لم يتغير بل بقى على حاله على تطاول السنين واختلاف الأوقات عليه، ففيه أكبر دليل على قدرته حيث أبقاه وحفظه عن التغير والفساد، مع أن الطعام والشراب من أسرع الأشياء فساداً ﴿وانظر إلى حمارك ﴾ وكان قد مات وتمزق لحمه وجلده وانتثرت عظامه، وتفرقت أوصاله ﴿ولنجعلك آية

للناس﴾ على قدرة الله وبعثه الأموات من قبورهم، لتكون أنموذجاً محسوساً مشاهداً بالأبصار، فيعلموا بذلك صحة ما أخبرت به الرسل ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها العظام كيف ندخل بعضها في بعض، ونركب بعضها ببعض ﴿ثُمُّ نُكسُوهَا لِحُمَّا﴾ فنظر اليها عياناً كما وصفها الله تعالى، ﴿فلما تبين له ﴾ ذلك وعلم قدرة الله تعالى ﴿قَالَ أَعِلُمُ أَنْ اللهُ عَلَى كُلُّ شَيَّء قدير، والظاهر من سياق الآية أن هذا رجل منكر للبعث أراد الله به خيراً، وأن يجعله آية ودليلاً للناس لثلاثة أوجه

أحدها قوله ﴿أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ ولو كان نبياً أو عبداً صالحاً لم يقل ذلك، والثاني: أن الله أراه آية في طعامه وشرابه وحماره ونفسه ليراه بعينه فيقر بما أنكره، ولم يذكر في الآية أن القرية المذكورة عمرت وعادت إلى حالتها، ولا في السياق ما يدل على ذلك، ولا في ذلك كثير فائدة، ما الفائدة الدالة على إحياء الله للموتى في قرية خربت ثم رجع إليها أهلها أو غيرهم فعمروها؟! وإنما الدليل الحقيقي في إحيائه وإحياء حماره وإبقاء طعامه وشرابه بحاله، والثالث في قوله: ﴿فلما تبين له﴾ أي: تبين له أمر كان يجهله ويخفى عليه، فعلم بذلك صحة ما ذكرناه، والله أعلم. ثم قال تعالى:

﴿٢٦٠﴾ ﴿وإذ قبال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جَبَل منهن جزءاً ثم أدعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم، وهذا فيه أيضاً أعظم دلالة حسية على قدرة الله وإحيائه الموتى للبعث والجزاء، فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يحيى الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عياناً ليحصل له مرتبة عين اليقين، فلهذا قال الله له ﴿أُولُم تؤمن

قال بلي ولكن ليطمئن قلبي، وذلك أنه

THE PARTY OF THE P النَّمَا فَصَلَ لَمَا لُوتُ بِٱلْجُنُودِ فَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُسْزَلِيكُمُ إِنْهَ رِفَيْنَ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِي وَمَن لَّزِيظُ عَسَمُهُ فَإِنْهُ. المِنةِ إِلَّا مَنِ أَغَمَّرُفَ غُرْفَةً إِسكيةٍ وفَسُسَرِيُوا مِنْهُ إِلَّا فَلِيلًا مِنْهُدٌّ ظَلَتَا جَاوَزَهُ هُوَوَالَّذِينَ ءَاسَنُوامَكُ مُعَالُواْ الاطاف لَهُ أَنْ الْيُوْمَ بِهَالُوت وَجُنُودِهِ عَالَ ٱلَّذِينَ) يَظُنُونَ أَنَّهُمُ مُلَفُوا اللَّهِ كَمَ مِن فِتَ فِلِسلَةِ عَسَلَتِ وَاللَّهُ مُتَعَالِمُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّيْرِينَ @ وَلَمَّا إِسَرَزُواْ لِحِسَالُونَ وَجُسُودِهِ فَسَالُواْ رَبِّنَآ أفسيغ عكينك احسنبرا وبيسف أفدامتكا وأنصرب عَكُواً لُقُوْمِ الْكَنْفِينَ ﴿ فَهَكَرَمُوهُمْ بِإِذَٰنِ التَّهِ وَقَتَ لَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَ لِهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلَّكَ وَٱلْحِكَمَةَ وَعَلَّــُهُ مِثَابِنَكَ أَهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّوَالنَّاسَ بَعْضَهُ ويبَغْضِ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُوفَنَسْ لِعَسَلَى ٱلْعَسَلَى الْعَسَلَى اللَّهِ عَالِنَتُ ٱللَّهِ إِلَّ النَّهُومَ عَلَيْكَ بِٱلْحَيِّ وَإِنَّكَ لِمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ ACCOUNT TO SECON

بتوارد الأدلية اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيله أولوا العرفان، فقال له ربه ﴿فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، أي: ضمهن ليكون ذلك بمرأى منك ومشاهدة وعلى يديك. ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ﴾ أي: مزقهن، اخلط أجزاءهن بعضها ببعض، واجعل على كل جبل، أي: من الجبال التي في القرب منّه، جزء من تلك الأجزاء ﴿ثم ادعهن يأتينك سعياً ﴾ أي: تحصل لهن حياة كاملة، ويأتينك في هذه القوة وسرعة الطيران، ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك وحصل له ما أراد وهذا من ملكوت السماوات والأرض الذي أراه الله إياه في قولمه ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ ثم قال: ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم أي: ذو قوة عظيمة سخربها المخلوقات، فلم يستعص عليه شيء منها، بل هي منقادة لعزته خاضعة جلاله، ومع ذلك فأفعاله تعالى تابعة لحكمته، لا يفعل شيئاً عبثاً، ثم قال تعالى:

﴿٢٦١﴾ ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، هذا بيان للمضاعفة التي ذكرها الله في أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا

بنات الرُّسُلُ مَعْمَلُنا بَسْمَهُمْ عَلَى بَسْفِيْ مِنْ مُعْمَلِنَا الْمُسْلُمُ مَعْمَلُنَا الْمُسْلَمِينَ الْمُعْمَلِينَ الْمُسْلَمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلَمِينَ الْمُسْلَمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْلِمِينَ اللّهُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ اللّهُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُونِ وَمَالِمُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُونِ وَمَالِمِينَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَالِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا وَاللَّمِينَ وَالْمِينَالِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَالِمِينَا الْمُسْلِمِينَا وَاللَّمِينَ وَالْمِينَالِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَالِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَالْمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَا الْمُسْلِمِينَال

TOREGO " LONGEO! قوله ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسباً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴿ وهنا قال: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ أي: في طاعته ومرضاته، وأولاها إنفاقها في الجهاد في سبيله ﴿ كَمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، وهذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كان العيد يشاهده ببصره فيشاهد هذه الضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة، ﴿والله يضاعف﴾ هذه المضاعفة ﴿ لمن يساء ﴾ أي: بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه وبحسب حال النفقة وحلها ونفعها ووقوعها موقعها، ويحتمل أن يكون ﴿والله يسضاعف اكشر من هذه المضاعفة ﴿ لمن يشاء ﴾ فيعطيهم أجرهم بغير حساب ﴿والله واسع﴾ الفضل، واسع العطاء، لا ينقصه نائل ولا يحفيه سائل، فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة، لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرته، ومع هذا فهو ﴿عليم ﴾ بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لأ يستحقها، فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته. ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله

ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم

تعالى أنه لا خير فيهم ولا تغني عنهم الآيات ولا تفيد بهم المثلات أنزل بهم عقابه وحرمهم جزيل ثوابه .

﴿ ٢٦٤ ﴿ مِنا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا لَا الَّهِ تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين، ينهى عباده تعالى لطفا بهم ورحمة عن إبطال صدقاتهم بالمن والأذى ففيه أن المن والأذى يبطل الصدقة، ويستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهُرُوا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات، وفي هذه الآية مع قوله تعالى ﴿ولا تبطُّلُوا أعمالكم ألله حث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لئلا يضيع العمل سدى، وقوله: ﴿كالذي يَنفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أي: أنتم وان قصدتم بذلك وجه الله في ابتداء الأمر، فإن المنة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود، لأن شرط العمل أن يكون لله وحده وهذا في الحقيقة عمل للناس لا لله، فأعماله باطلة وسعيه غير مشكور، فمثله المطابق لحاله ﴿كمثل صفوان، وهو الحجر الأملس الشديد ﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ أي: مطر غزير ﴿فتركه صلداً ﴾ أي: ليس عليه شيء من التراب، فكذلك حال هذا المرأئي، قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان، وصدقته ونحوها من أعماله بمنزلة التراب الذي على الصفوان، إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات، فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب وتبين أن عمله بمنزلة السراب، وأن قلبه غير صالح

هم يحزنون * قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذي والله غنى حليم، أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وسبيله، ولا يتبعونها بما ينقصها ويفسدها من المن بها على المنفق عليه بالقلب أو باللسان، بأن يعدد عليه إحسانه ويطلب منه مقابلته، ولا أذية له قولية أو فعلية، فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم الخير واندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملا خالصاً لله سالماً من المفسدات ﴿قول معروف) أي: تعرفه القلوب ولا تنكره، ويدخل في ذلك كل قول كريم فيه. إدخال السرور على قلب المسلم، ويدخل فيه رد السائل بالقول الجميل والدعاء له ﴿ومعَقرة﴾ لمن أساء إليك بترك مؤاخذته والعفو عنه، ويدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغي، فالقول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى، لأن القول المعروف إحسان قولي، والمغفرة إحسان أيضاً بترك المؤاخذة، وكلاهما إحسان ما فيه مفسد، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذى بمن أو غيره، ومفهوم الآية أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف والمغفرة، وإنما كان المن بالصدقة مفسداً لها محرماً، لأن المنة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، فالعبد لا يمن بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضاً فإن المان مستعبد لمن يمن عليه، والذل والاستعباد لا ينبغي إلا لله ، والله غنى بذاته عن جميع مخلوقاته، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم، ﴿والله غني﴾ عنها، ومع هذا فهو ﴿حليم﴾ على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه، ولكن رحمته وإحسانه وحلمه يمنعه من معاجلته للعاصين، بل يمهلهم ويصرف لهم الآيات لعلهم يرجعون إليه وينيبون إليه، فإذا علم

المُتَوَالِينَ المِنْ المُتَالِقِينَ المُتَلِقِينَ المُلِقِينَ المُتَلِقِينَ الْتِينَالِقِينَ المُتَلِقِينَ المُلِقِينَ المُتَلِقِينَ المُتِينِينَ الْمُلِقِينَ المُتَلِقِينَ المُتِينَ المُتَلِقِينَ المُتَلِقِينَ ال أَنَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِيبَ ءَامَنُوا بُخْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَدَ إِلَى ٱلنُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيكَ أَوْهُمُ ٱلطَّاعُونُ يُخْرِجُونَهُ وَمِن النُّورِ إِلَى الظُّلُمَتُ أُوْلَتِهِكَ أَصْحَبُ السَّارِ هُرْفِهَا خَلِدُونَ ﴿ أَلْزَنَرَ إِلَى الَّذِي حَامَمُ إِزَّهِ عِمَا فِي رَبِّهِ تَ أَنْ ءَاتَـنُهُ أَلَقُهُ ٱلْكُلْكَ إِذْ قَالَ إِنْ هِدُرَقِي ٱلَّذِي يُعْيِء الله وَيُهِيتُ فَالَ أَنَا أُخِيء وَأُمِيتُ فَالَ إِزَهِ عِدُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْفِ بَالشَّمْسِ مِنَ ٱلْمُشْرِقِ فَأْنِ بِهَا مِنَ ٱلْمُغْرِبِ فَهُتَ ٱلَّذِي كَفَرُّ وَالْقَهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّائِلِيدِن ﴿ أَوْكَا أَلَّهِى مَرْعَلَىٰ فَرْبَءِ وَهِي خَاوِبَ أَعَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّ بُعْيِء هَلَذِهِ اللَّهُ بُعَدَ مَنْ فِيهَا ۚ فَأَمَالَتُهُ اللَّهُ مِأْفَةَ عَامِ ثُمَّ بَعَثُهُ ا فَالَ حَكُمْ لِيَثَتُّ فَالَ لِيشْتُ يَوْمًا أَوْيَعْضَ يَوْمُّ قَالَ بَل لَيِّنْتَ مِأْفَةً عَمَامِ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ ﴾ بَسَسَنَةٌ وَأَنظُرَ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَابَةً لِلنَّاسِّ وَانظُرْ إِلَى الْمِطْ الِرِكِيْفِ نُنْشِرُهِ الْمُزَّلِكُ مُوهَا لَحَيْاً

OND TO BE THE OF THE OF THE OFFICE OFFICE OF THE OFFICE OF العمل وزاد حرصه، وكان له ذرية ضعفاء ما فيهم معاونة له، بل هم كل عليه، ونفقته ونفقتهم من تلك الجنة، فبينما هو كذلك إذ أصاب تلك الجنة إعصار وهو الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجو، وفي ذلك الإعصار نار فاحترقت تلك الجنة، فلا تسأل عما لقى ذلك الذي أصابه الكبر من الهم والغم والحزن، فلو قدر أن الحزن يقتل صاحبه لقتله الحزن، كذلك من عمل عملاً لوجه الله فإن أعماله بمنزلة البذر للزروع والثمار، ولا يزال كذلك حتى يحصل له من عمله جنة موصوفة بغاية الحسن والبهاء، وتلك المفسدات التي تفسد الأعمال بمنزلة الإعصار الذي فيه نار، والعبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات وكان بحالة لا يقدر معها على العمل، فيجد عمله الذي يؤمل نفعه هباءً منثوراً، ووجد الله عنده فوفاه

والله سريع الحساب فلوعلم الإنسان وتصور هذه الحال وكان له أدنى مسكة من عقل لم يقدم على ما فيه مضرته ونهاية حسرته ولكن ضعف الإيمان والعقل وقلة البصيرة يصير صاحبه إلى هذه الحالة التي لو صدرت من مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيماً وخطره جسيماً، فلهذا أمر تعالى

حسابه.

بصبها وابل فطلَ اي: مطر قليل يكفيها لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حسب حاله، وكل ينمي له ما أنفق أتم تنمية وأكملها والمَنَمّي لها هو الذي أرحم بك من نفسك، الذي يريد مصلحتك حيث لا تريدها، فيالله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتتال عنده، مع انقضاء هذه الدار وفناتها وكثرة أفآتها وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان، دائم مستمر فيه أنواع المسرات والفرحات، ومع هذا تجد النفوس عنه راقدة، والعزائم عن طلبه خامدة، أترى ذلك زهداً في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعد الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات، ولهذا قال تعالى: ﴿والله بِما تعملون بصير ﴾ فيعلم عمل كل عامل ومصدر ذلك العمل، فيجازيه عليه أتم الجزاء ثم قال تعالى:

﴿٢٦٦﴾ ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون، وهذا المثل مضروب لمن عمل عملاً لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها ثم عمل أعمالاً تُفسِدُه، فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات، وخص منها النخل والعنب لفضلهما وكثرة منافعهما، لكونهما غذاءً وقوتاً وفاكهة وحلوي، وتلك الجنة فيها(١) الأنهار الجارية التي تسقيها من غير مؤنة، وكان صاحبها قد اغتبط بها وسرته، ثم إنه أصابه الكبر فضعف عن

لنبات الزرع وزكائه عليه، بل الرياء الذي فيه والإرادات الخبيثة تمنع من انتفاعه بشيء من عمله، فلهذا ﴿لا يقدرون على شيء﴾ من أعمالهم التي اكتسبوها، لأنَّهم وضعوها في غيرً موضعها وجعلوها لمخلوق مثلهم، لا يملك لهم ضررأ ولا نفعأ وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية، فلهذا قال: ﴿والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ .

﴿٢٦٥﴾ ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلَ والله بما تعملون بصير، هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله أي: قصدهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه ﴿وتثبيتاً من أنفسهم اي: صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به، لاعلى وجه التردد وضعف النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتاً من أنفسهم، فمثل نفقة هؤلاء ﴿ كمثل جنة ﴾ أي: كثيرة الأشجار غزيرة الظلال، من الاجتنان وهو الستر، لستر أشجارها ما فيها، وهذه الجنة ﴿بَرْبُوهُ﴾ أي: محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار ووسطه وآخره، فثماره أكثر الثمار وأحسنها، ليست بمحل نازل عن الرياح والشمس، ف ﴿أصابِها ﴾ أي: تلك الجنة التي بربوة ﴿وابل﴾ وهو المطر الغزير ﴿فَآتت أكلها ضعفين العناد تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة لذلك، وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها ﴿فإن لم

وَإِذْ قَالَ إِنْزَهِ عِمُرَتِ أَرِنِي كَيْفَ نَحْيَ الْمُؤْفِّ قَالَ أَوْلَرَ تُؤْمِنُ ۗ فَالَ بَلَىٰ وَلَكِ مِن لِيَعَلَمَ مِنْ قَلْقٌ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَ مَنْ أَلْطَيْرِ فَسُرُهُنَّ إِلَيْكَ ثُمُّ آجْعَلْ عَلَى كُلِّ حَيْلِ مِنْهُنَّ جُدُرُاثُمُّ أَدْعُهُنَّ بَأَيْدِنَكَ سَعِبًا وَأَعَلَمْ أَنَ اللَّهُ عَيْدِيرُ عَكِيدٌ ۞ مَّثُلُ الَّذِينَ يُنفِعُونَ أَمْوَلَهُ رَفِي سَبِيلِ الْقَوَكُمُثَلِ حَبَّةٍ أَلْبُسَتْ كَنْعَ سَنَابِلَ فِ كُلِ سُنْبُلَةٍ مِأْثُمَةً حَبَّةً وَأَلْقَالُهُ مُعْفِفُ لِنَ يَشَكَآهُ وَاللَّهُ وَاسِعُ عَلِيدٌ ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَ لَكُمْ فِ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُنْفِعُونَ مَاۤ أَنفَقُواْ مَنَّا وَلآ أَذَى ۚ لَمُرَّ أَخْرُهُمْ عِندَرَتِهِمْ وَلَاخُونُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَخْزُونَ ۞ * قُولُ مَعْدُ وَفُ وَمَغْفِرَةُ خَيْرٌ مِن صَدَفَ فِي يَبْعُهُمَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِيُّ حَلِيدٌ ﴿ يَكَأَيُّهُا الَّذِينَ مَامَنُواْ لَانْبُطِلُواْ صَدَقَائِكُم بِٱلْمَنِ وَٱلْأَذَىٰ حَكَالَّذِي بُنِفِقُ مَالَمُوبِكَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآَحْرِ فَمُثَلَّهُ كُثُلُ مَعْوَانِ عَلَيْهِ تُزَابُ فَأَصَابَهُ وَابِلُ فَنَرَكَ مُرْصَافِداً لَا يَفْدِرُونَ عَلَى شَىء مِمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لَا بَعْدِى ٱلْفَوْمَ ٱلْكَفِينَ ۞ TORONO " LORGED"

بالتفكر وحثَّ عليه، فقال: ﴿كَذَلَكَ يَبِينَ اللهُ لَـكَـم الأَيّات لَـعـلـكـم تتفكرون﴾.

﴿٢٦٧ ـ ٢٦٧﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أحرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد* الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم، يأمر تعالى عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسر لهم من المكاسب، ومما أخرج لهم من الأرض فكما من عليكم بتسهيل تحصيله فانفقوا منه شكرا لله وأداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم، وتطهيراً لأموالكم، واقصدوا في تلك النفقة الطيب الذي تحبونه لأنفسكم، ولا تيمموا الرديء الذي لا ترغبونه ولا تأخذونه إلا على وجه الإغماض والمسامحة ﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ فهو غنى عنكم ونفع صدقاتكم وأعمالكم عائد إليكم، ومع هذا فهو حميد على ما يأمركم به من الأوامر الحميدة والخصال السديدة، فعليكم أن تمتثلوا أوامره لأنها قوت القلوب وحياة النفوس ونعيم الأرواح، وإياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتم، وليس هذا نصحاً لكم، بل

هذا غاية الغش ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم ولا يضركم، ومع هذا فهو ﴿يعدكم مغفرة﴾ لذنوبكم وتطهيراً لعيوبكم ﴿وفضلا﴾ وإحساناً إليكم في الدنيا والآخرة، من الخلف العاجل، وانشراح الصدر ونعيم القلب والروح والقبر، وحصول ثوابها وتوفيتها يوم القيامة، وليس هذا عظيماً عليه لأنه ﴿واسع﴾ الفضل عظيم الإحسان ﴿عليم﴾ بما يصدر منكم من النفقات قليلها وكثيرها، سرها وعلنها، فيجازيكم عليها من سعته وفضله وإحسانه، فلينظر العبد نفسه إلى أي: الداعيين يميل، فقد تضمنت هاتان الآيتان أموراً عظيمة منها: الحث على الإنفاق، ومنها: بيان الأسباب الموجبة لذلك، ومنها: وجوب الزكاة من النقدين وعروض التجارة كلها، لأنها داخلة في قوله: ﴿من طيبات ما كسبتم الركاة في الزكاة في الخارج من الأرض من الحبوب والثمار والمعادن، ومنها: أن الزكاة على من له

الزرع والثمر لا على صاحب الأرض،

لقوله ﴿أَحُرِجِنَا لِكُمِ﴾ فمن أخرجت له

وجبت عليه ومنها: أن الأموال المعدة

للاقتناء من العقارات والأواني ونحوها

ليس فيها زكاة، وكذلك الديون

والغصوب ونحوهما إذا كانت مجهولة،

أو عند من لا يقدر ربها على استخراجها

منه، ليس فيها زكاة، لأن الله أوجب

النفقة من الأموال التي يحصل فيها

النماء الخارج من الأرض، وأموال

التجارة مواساة من نمائها، وأما

الأموال التي غير معدة لذلك ولا

مقدوراً عليها فليس فيها هذا المعنى، ومنها: أن الرديء ينهى عن إخراجه ولا يجزىء في الزكاة ثم قال تعالى:

﴿ ٢٦٩﴾ ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ لما أمر تعالى بهذه الأوامر العظيمة المشتملة على الأسرار والحكم وكان ذلك لا يحصل لكل أحد، بل لمن منَّ عليه وآتاه الله

الحكمة، وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، وإنَّ من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيراً كثيراً وأي: خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين والنجاة من شقاوتهما! وفيه التخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك، ولما كان الله تعالى قد فطر عباده على عبادته ومحبة الخير والقصد للحق، فبعث الله الرسل مذكرين لهم بما ركز في فطرهم وعقولهم، ومفصلين لهم مالم يعرفوه، انقسم الناس قسمين قسم أجابوا دعوتهم فتذكروا ما ينفعهم ففعلوه، وما يضرهم فتركوه، وهؤلاء هم أولو الألباب الكاملة، والعقول التامة، وقسم لم يستجيبوا لدعوتهم، بل أجابوا ما عرض لفطرهم من الفساد، وتركوا طاعة رب العباد، فهولاء ليسوا من أولي الألباب، فلهذا قال تعالى: ﴿وما يَلْكُرُ إِلَّا أُولُو الألباب

﴿ ٢٧٠﴾ ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار، وهذا فيه المجازاة على النفقات، واجبها ومستحبها، قليلها وكثيرها، التي أمر الله بها، والنذور التي ألزمها المكلَّف نفسه، وإن الله تعالى يعلمها فلا يخفى عليه منها شيء، ويعلم ما صدرت عنه، هل هو الإخلاص أو غيره، فإن صدرت عن إخلاص وطلب لمرضاة الله جازى عليها بالفضل العظيم والثواب الجسيم، وإن لم ينفق العبد ما وجب عليه من النفقات ولم يوفِ ما أوجبه على نفسه من المنذورات، أو قصد بذلك رضى المخلوقات، فإنه ظالم قد وضع الشيء في غير موضعه، واستحق

وَمَثَلُ الَّذِيرَ يُنفِقُونَ أَمْوَلَكُمُ ابْتِعَاءً مَهْ اللَّهِ المُ وَتَنْبِينَا مِنْ أَنْفُسِهِ وَكُمْسُلِ جَنَّةِ بِرَيْوَوْ أَسِهَا بِمَا وَإِلَّ ﴿ فَنَاتَتْ أَحُكُمَا مِنْ مُفَيْنِ فَإِن لَّرْبُصِينَهَا وَابِلَّ فَطَلَّ وَأَلَّهُ إِ عَافَ مَلُونَ بَعِيدُ ۞ أَيُوَدُّ لَكُ كُمْ أَن تَكُونَ لَهُ حَنَّةً مِّن يَّخِيلِ وَأَعْسَابِ بَجَيرِي مِن تَعِيْعَا ٱلْأَمْكُ زُلَهُ الله من الله من الله من الله المناه الكير ولك و والله المناه المناه الله المناه مَّلْمَهَانِهَا إِعْسَارُ فِيهِ نَارُهَا عَرَفَتُ كَذَلِكَ بُبَيْنُ اللهُ لَكُمُ الْآيِنَانِ لَمَا لَكُمُ الْآيِنَانِ لَمَا لَكُمُ الْآيِنَانِ لَمَا لَكُمُ الْآيِنَانِ اللهِ ٱلَّذِيكَ وَامَّنُوٓا أَنفِقُوا مِن طَهِبَنْتِ مَاكَسَبْتُهُ وَعِمَّا ٱلْعَرَجْنَا الكُوْمِنَ ٱلأَرْضِ وَلَا نَبُتَهُوا ٱلْخِيتَ مِنْ مُنْفِقُونَ وَلَسَنَّم مِثَانِفِنِهِ إِلَّا أَن مُثْنِيضُوا فِيهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهُ عَيُّ جَيدُ ۞ الشَّيْطَانُ بَعِدُكُمُ الْفَقْرَوَيَأْمُ كُمُ بِالْفَحْثَالُّهِ ا وَأَنَّهُ يَعِدُ حَكُم مَّغْفِرَةً يَنْهُ وَفَضَهُ لَأُوَّاللَّهُ وَاسِعُ عَلِيتٌ ﴿ وَيُونِي لَلْمُ حَمَّةُ مَن بَشَاءٌ وْمَن بُؤْتَ الْمُحَمَّةُ

DEEDE " BEREER کان، فهی خیر وإحسان وبر یثاب عليها صاحبها ويؤجر، فلهذا قال: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ ثم ذكر حالة التصدقين في جميع الأوقات على جميع الأحوال فقال: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله أي: طاعته وطريق مرضاته، لا في المحرمات والمكروهات وشهوات أنفسهم خبالليل والنهار سرأ وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم﴾ أي: أجر عظيم من خير عند الرب الرحيم ﴿ولا خوف عليهم اذا خاف المقصرون ﴿ولا هم يحزنون ﴾ إذا حزن المفرطون، ففازوا بحصول القصود المطلوب، ونجوا من الشرور والمرهوب، ولما كمل تعالى حالة المحسنين إلى عباده بأنواع النفقات ذكر حالة الظالمين المسيئين إليهم غاية الإساءة فقال:

﴿ ٢٧٥ _ ٢٨١ ﴾ ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق الله الربا ويسربي التصدقيات والله لا يحبب كبل كيفيار أثيم * إن الذين آمنوا وعملوا العقوبة البليغة، ولم ينفعه أحدمن الخلق ولم ينصره، فلُهذا قال: ﴿وما للظالمين من أنصار ﴾.

﴿ ٢٧١ ﴾ ﴿إِن تبدوا البصدقيات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير، أي: ﴿إِنَّ تبدوا الصدقات) فتظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله ﴿فنعما هي﴾ أي: فنعم الشيء ﴿ هم ﴾ لحصول القصود بها ﴿ وإن تخفوها الله أي: تسروها ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ ففي هذا أن صدقة السرعلى الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيراً من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار، ودل قوله: ﴿وتؤتوها الفقراء ﴾ على أنه ينبغى للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطى محتاجاً وغيره أحوج منه، ولما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق ويتضمن ذلك حصول الثواب قال: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم، ففيه دفع العقاب ﴿والله بِما تعملون خبير، من خير وشر، قليل وكثير والمقصود من ذلك المجازاة.

﴿۲۷۲ ـ ۲۷۲﴾ ﴿ليس عـــليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون * للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم * الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرأ وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم

بحزنون، يقول تعالى لنبيه ﷺ ليس عليك هدي الخلق، وإنما عليك البلاغ المبين، والهداية بيدالله تعالى، ففيها دلالة على أن النفقة كما تكون على المسلم تكون على الكافر ولو لم يهتد، فلهذا قال: ﴿وما تنفقوا من خير﴾ أى: قليل أو كثير على أي: شخص كان من مسلم وكافر ﴿فلأنفسكم﴾ أي: نفعه راجع إليكم ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ هذا إخبار عن نفقات المؤمنين الصادرة عن إيمانهم أنها لا تكون إلا لوجه الله تعالى، لأن إيمانهم يمنعهم عن المقاصد الردية ويوجب لهم الإخلاص ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم، يوم القيامة تستوفون أجورك ﴿وأنتم لا تظلمون ﴾ أي: تنقصون من أعمالكم شيئاً ولا مثقال ذرة، كما لا يزاد في سيئاتكم، ثم ذكر مصرف النفقات الذين هم أولى الناس بها فوصفهم بست صفات أحدها الفقر، والثاني قوله: ﴿ أَحَصَّرُوا فِي سبيل الله ﴾ أي: قصروها على طاعة الله من جهاد وغيره، فهم مستعدون لذلك محبوسون له، الثالث عجزهم عن الأسفار لطلب الرزق فقال: ﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض ﴾ أي: سفراً للتكسب، الرابع قوله: ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهذا بيان لصدق صبرهم وحسن تعففهم. الخامس: أنه قال: ﴿تعرفهم بسيماهم) أي: بالعلامة التي ذكرها الله في وصفهم، وهذا لا ينافي قوله: ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء ﴾ فإن الجاهل بحالهم ليس له فطنة يتفرس بها ما هم عليه، وأما الفطن المتفرس فمجردماً يراهم(١) يعرفهم بعلامتهم، السادس قوله: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ أي: لا يسألونهم سؤال إلحاف، أي: إلحاح، بل إن صدر منهم سؤال إذا احتاجوا لذلك لم يلحوا على من سألوا، فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات، وأما النفقة من حيث هي على أي: شخص

TO SERVEY COURT SO وَمَا آنَفَقَتُ مِن نَفَقَةَ أَوْنَ ذَرْتُ مِين نَّذُو فِإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَالِلظَّلِيهِينَ مِنْ أَنْسَهَادٍ ﴿ إِن بُدُوا ٱلْمَدَوَا إ فَيْعِمَا هِيٌّ وَإِن تُحْفُوهِ كَا وَتُوْتُوهِ كَا ٱلْفُفْ كَآمَا فَهُو خَيْرُ أُكُمُ وَيُكَفِّ رُعَنكُم مِن سَيِّعَ أَيْتُ كُمْ وَاللَّهُ مِمَا تَعْسَمُونَ خِيرٌ ۞ • لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَنِهُمُ وَلَكِ يَنْ اللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَكَ أَوُ مَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْر فَلِأَنفُيكُمْ وَمَاتُنفِقُونَ إِلَّا أَبْيَفَا ۚ وَجَدِهِ اللَّهُ وَمَا تُنفِعُوا مِنْ خَيْرِ يُوفَّ إِلَّهِ كُمْ وَأَنْتُ وَلا تُظْلَمُونَ ۞ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أَخْسِرُوا فِي سَيِيلِ الله لايستطيعون متريباف الأزمن بخسبه المجاول أغنيت آوي التعقف تعليفهم يسبكه لَابَسْنَالُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَاتُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يِهِ عَلِيهُ ۞ ٱلَّذِينَ يُسْفِقُونَ أَمْوَكُهُ بِٱلِّسِلِ وَٱلنَّهَارِسِتُزَا وَعَلَانِيكَ فَلَهُ مُرْآجَدُهُمْ عِندَ مُ الْمَيْمِةُ وَلَا خُوْفُ عَلَيْهِهُ وَلَاهُمْ بَصْرَوْنَ 🕲 🧳 ADDOOR " BOLLED

الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظِرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون * واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، يخبر تعالى عن أكلة الربا وسوء مآلهم وشدة منقلبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم ليوم نشورهم ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حیاری سکاری مضطربین، متوقعين لعظيم النكال وعسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و ﴿قالوا إنما البيع مثل الربام وهذا لا يكون إلا من جاهل عظيم جهله، أو متجاهل عظيم عناده، جازاهم الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبُّطُه الشيطان من المس) أنه لما انسلبت عقولهم في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم وضعفت أراؤهم، وصاروا في هيئتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاب العقل الأدبي عنهم،

قال الله تعالى راداً عليهم ومبيناً حكمته العظيمة ﴿وأحل الله البيع﴾ أي: لما فيه من عموم المصلحة وشدة الحاجة وحصول الضرر بتحريمه، وهذا أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع ﴿وحرم الربا﴾ لما فيه من الظلم وسوء العاقبة، والربا نوعان: ربا نسيئة كبيع الربا بما يشاركه في العلة نسيئة، ومنه جعل ما في الذمة رأس مال، سلم، وربا فضل، وهو بيع ما يجري فيه الربا بجنسه متفاضلاً، وكلاهما محرم بالكتاب والسنة، والإجماع على ربا النسيئة، وشذ من أباح ربا الفضل وخالف النصوص المستفيّضة، بل الربا من كباثر الذنوب وموبقاتها ﴿فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ أي: وعظ وتذكير وترهيب عن تعاطى الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة من الله بالموعوظ، وإقامة للحجة عليه ﴿فانتهي﴾ عن فعله وانزجر عن تعاطيه ﴿فله ما سلف﴾ أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله للنصيحة، دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر ﴿وأمره إلى اللهِ في مجازاته وفيما يستقبل من أموره ﴿ومن عاد﴾ إلى تعاطى الربا ولم تنفعه الموعظة، بل أصر على ذلك ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال هذه الأمور التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن

النظر عن كفره، ثم قال تعالى:

﴿ يمحق الله الربا﴾ أي: يذهبه ويذهب

بركته ذاتاً ووصفاً، فيكون سبباً لوقوع

الآفات فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق

منه لم يؤجر عليه بل يكون زاداً له إلى النار ﴿ويربي الصدقات ﴾ أي: ينميها وينزل البركة في المال الذي أخرجت منه وينمى أجر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده ﴿والله لا يحب كل كفار ﴾ لنعم الله، لا يسؤدي ما أوجب عليه مسن الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره عباد الله ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته. لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم، وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿وإن تبتم ﴾ عن الربا ﴿فلكم رؤوس أموالكم﴾ أي: أنزلوا عليها ﴿لا تظلمون﴾ من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ﴿ولا تظلمون بنقص رؤوس أموالكم ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المدين﴿ذُو عسرةَ﴾ لا يجد وفاء ﴿فنظرة إلى ميسرة ﴾ وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به ﴿وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ إما بإسقاطها أو بعضها . التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلولا ما مع الإنسان من التوحيد ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم لصار عمله صالحاً للخلود فيها بقطع توفى كـل نـفـس مـا كـسـبـت وهـم لأ

يظلمون، وهذه الآية من أخر ما نزل

من القرآن، وجعلت خاتمة لهذه

الأحكام والأوامر والنواهي، لأن فيها

الوعدعلي الخير، والوعيدعلي فعل

الَّذِنَ يَأْكُلُونَ الرِّيَوْ لَا يَقُومُونَ إِلَّاكَمَا يَعُومُ الَّذِي لَّ إِنَّ يَنْخَطُهُ ٱلشَّيْطِينُ مِنَ ٱلْمَيْنُ ذَلِكَ بِٱلْفَهُمْ فَالْوَا إِغْمَا ٱلْمِينِ لا يشلُ الرِيوَا وَلَعَلَ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّيوَا فَصَحَآ مُعَوْعِظَةً اللهِ مِن زَيدٍ عَأَنهُ مَا مُلَكُ مَا سَكَفَ وَأَمْرُهُ وَإِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ مَأْ وَلَيْكَ أَصْحَبُ النَّازُّهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّيوَا

وَرُنِي ٱلصَّدَقَاتُ وَأَلَقَهُ لَا يُحِبُّ كُلِّ حَكَفًا رِأَيْسِهِ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِيلُواْ ٱلصَّالِحَنْ وَأَفَامُواْ ٱلصَّاوَهُ وَمَالَوّا ٱلنَّكَاوَةَ لَكُمْ أَجُرُهُمْ عِندَ رَبْهِمْ وَلَا خُوفُ عَلَيْهُمْ وَلَا هُمْ يَحْزَقُونَ ۞ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّـعُواْ اللَّهَ وَيَرُواْ مَا يَعَى مِنَ الرِيَوْ إِن كُنتُ مِثَوْمِنِينَ ﴿ فَإِن لَّوْلَفَعَلُواْ فَأَذَنُواْ بِحَرْبِ مِن اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن بُسْتُمْ فَلَكُمْ رُوُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَانْظُلِمُونَ وَلَانْظُلْمُونَ ۞ وَإِن كَانَ نُو المُسْرَةِ فَظَرَةً إِنَّ مَيْسَرَةً وَأَنْ تَصَدَّ وَأَخَرُلَّكُمُّ إِن اللَّهُ مُسْرَةً وَأَنْ تَصَدَّ وَأَخَرُلُّكُمُّ إِن

كُنتُدْتَعَكَتُونَ ﴿ وَأَنْقُواْ يَوْمَا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَّ ٱللَّهِ ثُمَّ نُوَانَّ كُلُنَفْسِ مَّا كَسَبَتْ وَثُمُ ٱلْأَثْلُلُونَ PARTE WEREE يلزم الولى من العدل ما يلزم من عليه

الحق من العدل، وعدم البخس لقوله ﴿بالعدل﴾التاسع عشر: أنه يشترط عدالة الولى، لأن الإملاء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق، العشرون: ثبوت الولاية في الأموال، الحادي والعشرون: أن الحقّ يكون على الصغير والسفيه والمجنون والضعيف، لاعلى وليهم، الثاني والعشرون: أن إقرار الصغير والسفيه والمجنون والمعتوه ونحوهم وتصرفهم غير صحيح، لأن الله جعل الإملاء لوليهم، ولم يجعل لهم منه شيئاً لطفاً بهم ورحمةً ، خوفاً من تلاف أموالهم، الثالث والعشرون: صحة تصرف الولى في مال من ذكر، الرابع والعشرون: فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوثق بها المتداينون كل واحد من صاحبه، لأن المقصود من ذلك التوثق والعدل، وما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع، الخامس والعشرون أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية، لأن الله أمر بكتابة الديون وغيرها، ولا يحصل ذلك إلا بالتعلم، السادس والعشرون: أنه مأمور بالإشهاد على العقود، وذلك على وجه الندب، لأن القصود من ذلك الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لصلحة المكلفين، نعم إن كان

اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله ولا كتابته، السابع أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقرابة أو صداقة أو غير ذلك، الثامن: أن يكون الكاتب عارفاً بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل واحد منهما، وما يحصل به التوثق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا

بذلك، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ التاسع: أنه إذا وجدت وثيقة بخط المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها، ولو كان هو والشهود قد ماتوا، العاشر قوله: ﴿ولا بِأَبِّ كَاتِبِ أَنْ يَكْتُبِ﴾

أي: لا يمتنع من منَّ الله عليه بتعليمه الكتابة أن يكتب بين المتداينين، فكما أحسن الله إليه بتعليمه، فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته، ولا إ يمتنع من الكتابة لهم، الحادي عشر:

أمر الكاتب أن لا يكتب إلا ما أملاه من

عليه الحق، الثاني عشر: أن الذي يملي من المتعاقدين من عليه الدين، الثالث عشر: أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخس منه شيئاً، الرابع عشر أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول، لأن

الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجبه ومضمونه، وهو ما أقر به على نفسه، ولو ادعى بعد ذلك غلطاً أو سهواً، الخامس عشر أن من عليه حقاً

من الحقوق التي البينة (١) على مقدارها وصفتها من كثرة وقلة وتعجيل وتأجيل، أن قوله هو المقبول دون قول من له الحق، لأنه تعالى لم ينهه عن بخس الحق الذي عليه، إلا أن قوله

مقبول على ما يقوله من مقدار الحق وصفته، السادس عشر أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخس وينقص

شيئاً من مقداره، أو طيبه وحسنه، أو أجله أو غير ذلك من توابعه ولواحقه،

السابع عشر أن من لا يقدر على إملاء الحق لصغره أو سفهه أو خرسه، أو نحو ذلك، فإنه ينوب وليه منابه في

الإملاء والإقرار، الثامن عشر: أنه

الشر، وأن من علم أنه راجع إلى الله فمجازيه على الصغير والكبير والجلي والخفى، وأن الله لا يظلمه مثقال ذرة، أوجب له الرغبة والرهبة، ويدون حلول العلم في ذلك في القلب لا سبيل إلى ذلك.

﴿٢٨٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا

تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن ينمال هنو فبليميليل وليه ببالتعبدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولايأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألأ ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم المذه آية الدين، وهي أطول آيات القرآن، وقد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة والمقدار، أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم وغيره، لأن الله أخبر عن المداينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكراً أحكامها، وذلك يدل على الجواز، الثاني والثالث أنه لابد للسلم من أجل وأنَّه لا بدأن يكون معيناً معلوماً فلا يصح حالاً ولا إلى أجل مجهول، الرابع: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوباً وإما استحباباً لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط والنسيان والمنازعة والمشاجرة شرعظيم، الخامس: أمر الكاتب أن يكتب، السادس أن يكون عدلاً في نفسه لأجل

ولللهِ عَلَيْهَا الَّذِينَ مَامَنُواْ إِذَا لَمَا يَعْتُ مِينَانِ إِلَيْ أَعِلِ مُسَتَّعًى وَأَحْتُبُوهُ وَلِيَكُنُ بِينَكُمُ مَكَانِهُ إِلْمَدَلُّ وَلَا كَأْبَ كَانِتُ أَن يَكُثُ كُمّا عَلْمَهُ أَللَّهُ فَلْيَكُ عُثُ وَلَيْمُ لِل الَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَسَتِّي ٱللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيئاً فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْوَالْحَقُّ سَفِيهًا أَوْضَعِيمًا أَوْلَايَسْتَطِيمُ أَنْ يُمُلَّ حُوَ فَلِيثُ مِيلُ وَلِيثُهُ وَإِلْمَتَ لِأَ وَأَسْ نَشْهِ دُوا شَهِدَ يَنِ مِن يَجَالِحُتُمٌ فَإِن لَّرَيْكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُ لَّ وَأَمْرَأَنَانِ مِثَن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَكَ آءَ أَن نَصِلَّ إِحْدَنْهُمَا فَلُكَحِرَ بعدَنهُ مَا ٱلْأَخْرَيُ وَلَا إِلْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَادُعُ أُولَا تَسْتُواْ أَنَ تَكُنُبُوهُ سَغِيرًا أَوْكَبِيرًا إِلَىٰ أَحَلِهُ عَذَٰلِكُمْ أَفْسَكُمْ عِندَاللَّهِ وَأَقَوْمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْفَتَ أَلَّا زَنَا وَأَلِاّ أَنْ سَكُونَ يِحَكُرُةً حَالِيْهُوا مُدْيِرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَلَاتَكُنُومًا وَأَشْهِدُوا إِنَاتِهَا يَعْشُدُ وَلَايُصَارَّدُ كَانِبٌ وَلَاشْهِبِدُ وَإِن قَمْكُواْ فَانْدُونُسُونِ بِكُورُ إُ وَأَنَّهُواْ اللَّهُ وَيُعَلِّمُ كُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ مَنْ عَلِيمٌ ﴿ TO SO SO IN LIGHT OF THE PARTY OF THE PARTY

المتصرف ولي يتيم أو وقف ونحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي به يحفظ الحق واجباً، السابع والعشرون: أن نصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان أو رجل وامرأتان، ودلت السنة أيضاً أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعى، الثامن والعشرون: أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل، التاسع والعشرون أن شهادة النساء منفردات في الأموال ونحوها لا تقبل، لأن الله لم يقبلهن إلا مع الرجل، وقد يقال إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها وهي موجودة سواء كن مع رجيل أو منفرداتٍ والله أعلم. الثلاثون: أن شهادة العبد البالغ مقبولة كشهادة الحر لعموم قوله: ﴿فاستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ والعبد البالغ من رجالنا، الحادي والثلاثون: أنَّ شهادة الكفار ذكوراً كانوا أو نساء غير مقبولة، لأنهم ليسوا منا، ولأن مبنى الشهادة على العدالة وهو غير عدل، الثاني والثلاثون: فيه فضيلة الرجل على المرأة، وأن الواحد في مقابلة المرأتين لقوة حفظه ونقص حفظها، الثالث والثلاثون: أن من نسى شهادته ثم ذكرها فذكر فشهادته مقبولة لقوله: ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ الرابع والثلاثون: يؤخذ من

المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان

شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والخامس والثلاثون: أنه يجب على الشاهد إذا دعى للشهادة وهو غير معذور، لا يجوز له أن يأبي لقوله: ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا، السادس والثلاثون: أن من لم يتصف بصفة الشهداء المقبولة شهادتهم، لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها ولأنه ليس من الشهداء، السابع والثلاثون: النهى عن السآمة والضجر من كتابة الديون كلها من صغير وكبير وصفة الأجل وجميع ما احتوى عليه العقدمن الشروط والقيود، الثامن والثلاثون بيان الحكمة في مشروعية الكتابة والإشهاد في العُقود، وأنه ﴿أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا، فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد والبلاد، والشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم وأكمل وأبعد من الشك والريب والتنازع والتشاجر، التاسع والثلاثون: يؤخذ من ذلك أن من اشتبه وشك في شهادته لم يجزله الإقدام عليها بل لابد من اليقين، الأربعون: قوله: ﴿ إِلَّا أَنْ تُكُونَ تَجَارَةٌ حَاضَرَةً

﴿٢٨٣﴾ ﴿وإن كنتم على سفر ولم تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تجدوا كاتبأ فرهان مقبوضة فإن أمن تكتبوها الرخصة في ترك الكتابة بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن إذا كانت التجارة حاضراً بحاضر، لعدم شدة الحاجة إلى الكتابة، الحادي يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم، أي: إن كنتم مسافرين ﴿ولم والأربعون: أنه وإن رخص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يشرع تجدوا كاتباً لل يكتب بينكم ويحصل به الإشهاد لقوله: ﴿وأشهدوا إذا التوثق ﴿فرهان مقبوضة ﴾ أي: يقبضها تبايعتم﴾ الثاني والأربعون: النهي عن صاحب الحق وتكون وثيقة عنده حتى مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال يأتيه حقه، ودل هذا على أن الرهن غير المقبوضة لا يحصل منها التوثق، ودل وحصول مشقة عليه، الثالث أيضاً على أن الراهن والمرتهن لو اختلفا والأربعون: النهي عن مضارة الشهيد في قدر ما رهنت به، كان القول قول أيضاً بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو المرِّتهن، ووجه ذلك أن الله جعل الرهن أدائها في مرض أو شغل يشق عليه، أو عوضاً عن الكتابة في توثق صاحب غير ذلك هذا على جعل قوله: ﴿ولا الحق، فلولا أن قول المرتهن مقبول في ينضار كاتب ولاشهيد المسينا قدر الذي رهنت به لم يحصل المعنى للمجهول، وأماعلي جعلها مبنياً المقصود، ولما كان المقصود بالرهن للفاعل ففيه نهى الشاهد والكاتب أن التوثق جاز حضراً وسفراً، وإنما نص يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب الله على السفر، لأنه في مظنة الحاجة أجرة شاقة ونحو ذلك، وهذان هما

الرابع والأربعون والخامس والأربعون. السادس والأربعون أن ارتكاب هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله: ﴿وإن تفعلوا فَإَنَّهُ فَسُوقَ بكم، السابع والأربعون أن الأوصاف كالفسق والإيمان والنفاق والعداوة والولاية ونحو ذلك تتجزأ في الإنسان، فتكون فيه مادة فسق وغيرها، وكذلك مادة إيمان وكفر لقوله: ﴿فإنه فسوق بكم ﴾ ولم يقل فأنتم فاسقون أو فُسَّاق. الشامن والأربعون: _وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه _ اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: ﴿ من ترضون من الشهداء ﴾ . التاسع والأربعون أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضياً معتبراً عند الناس قبلت شهادته، الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى، فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر، ولله في كلامه حِكُم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده. وقوله تعالى:

عليه .

إليه لعدم الكاتب فيه، هذا كله إذا كان صاحب الحق يحب أن يتوثق لحقه، فما كان صاحب الحق آمناً من غريمه وأحب أن يعامله من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملاً غير ظالم له ولا باخس حقه ﴿وليتق الله ربه ﴾ في أداء الحق ويجازي من أحسن به الظن بالإحسان ﴿ولا تكتموا الشهادة ﴾ لأن الحق مبنى عليها لا يثبت بدونها، فكتمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وَجَبَ عليه من الخبر الصدق ويخبر بضده وهو الكذب، ويترتب على ذلك فوات حق من له الحق، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ يَكْتُمُهُا فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم، وقد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد الله عباده إليها على حِكم عظيمة ومصالح عميمة دلت على أن الخلق لو اهتدوا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم، لاشتمالها على العدل والصلحة، وحفظ الحقوق وقطع المشاجرات والمنازعات، وانتظام أمر المعاش، فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصى ثناة

﴿٢٨٤﴾ ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ هذا إخبار من الله أنه له ما في السماوات وما في الأرض، الجميع خلقهم ورزقهم ودبرهم لصالحهم الدينية والدنيوية، فكانوا ملكاً له وعبيداً، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وهو ربهم ومالكهم الذي يتصرف فيهم بحكمته وعدله وإحسانه، وقد أمرهم ونهاهم وسيحاسبهم على ما أسروه وأعلنوه، ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ وهو لمن أتى بأسباب، المغفرة، ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره ﴿والله على كل شيء قدير ﴾ لا يعجزه شيء، بل كل الخلق طوع قهره ومشيئته وتقديره وجزائه.

﴿٢٨٥﴾ ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحدمن رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ يخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه، وانقيادهم وطاعتهم وسؤالهم مع ذلك المغفرة، فأخبر أنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله ونعوت جلاله على وجه الإجمال والتفصيل، وتنزيه عن التمثيل والتعطيل وعن جميع صفات النقص، ويتضمن الإيمان باللائكة الذين نصت عليهم الشرائع جملة وتفصيلاً، وعلى الإيمان بجميع الرسل والكتب، أي: بكل ما أخبرت به الرسل وتضمنته الكتب من الأخبار والأوامر والنواهي، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله، بل يؤمنون بجميعهم، لأنهم وسائط بين الله وبين عباده، فالكفر ببعضهم كفر بجميعهم بل كفر بالله ﴿وقالوا سمعنا﴾ ما أمرتنا به ونهيتنا ﴿وأطعنا﴾ لك في ذلك، ولم يكونوا ممن قالوا سمعنا وعصينا، ولما كان العبد لا بد أن يحصل منه تقصير في حقوق الله تعالى وهو محتاج إلى مغفرته على الدوام، قالوا ﴿غَفُرَانِكُ أَي: نَسَأَلُكُ مَغْفُرةً لَمَا صدر منا من التقصير والذنوب، ومحو ما اتصفنا به من العيوب ﴿وإليك المصير﴾ أي: المرجع لجميع الخلائق

فتجزيهم بما عملوا من خير وشر. ﴿٢٨٦﴾ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لهاما كسبت وعليهاما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصرأكما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين للانزل قوله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الله شق ذلك على المسلمين لما توهموا أن ما يقع في القلب من الأمور اللازمة والعارضة المستقرة وغيرها

• وَإِن حُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرِ وَلَزَيْخِدُواْ كَابَنَا فِهَا ثَمَقُومَهُمَّ فَإِنْ أَمِنَ بَعَمُ كُرِ بَعْمُ الْمُلْوَةِ ٱلَّذِي الْفِينَ أَمُنْتَهُ وَلَيتَنَّق اللهُ رَبُّ فُولَاتُكُمُ وَالشَّهَا مَا فَيَن يَكُمُ مُهَا فَإِنَّهُ وَمَن يَكُمُ مُهَا فَإِنَّهُ وَ مَانِيْرُقَلْبُهُ وَاللَّهُ مِمَانَعَنْ مَلُونَ عَلِيبٌ ﴿ فَي يَتَوْمَا فِ السَّخَوْتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن بُسُدُواْ مَا فِيَ الْفُيدِكُمْ أَوْتُحْ فُوهُ يُمَايِسبْكُم بِدِ اللَّهُ أَيَغْفِرُ لِسَ يَسْلَهُ وَيُعَذِبُ مَن يَنْسَأَةُ وَاللَّهُ عَلَىٰ حَمُلُ مَنَّى وَ فَدِيرٌ ﴿ مَامْزَالَ مُولُ إِيَّا أَنِلَ إِلَيْهِ مِن زَيْدٍ، وَلَلْوُمِنُورَ كُلُّ مَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَّهَ كَدِيهِ وَحَكُنُهُ وِمُورُسُلِةِ عَلَانْفُرَقَ بَيْنَ أَحَدِين رُسُلِةِ عَوَالُوا سَيَعْنَا وَأَلْمَنَنَّا عُغُواللَّكَ رَبِّنَا وَإِلَيْكَ الْعِيدُ لَا يُتَكِلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَحَامًا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱحتَ مَسَبَتُ رَبَّنَا لَا ثُوْلَ خِذْ ثَآ إِن نَسِينَاۤ أَوْ أَخْطَأْنَاً رَبُّنَا وَلَا غَيْلُ عَلَيْنَا آصْرَاكُمَا حَمَلْتُهُ عَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِتُنَّا وَيَنَا وَلَا تَعْيَلْنَا مَا لَاطَافَةَ لَنَا بِيِّهِ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرُلْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَمْنَا فَأَنصُرْنَا عَلَى ٱلْفَوْمِ ٱلْكَفِيرِينَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

مؤاخذون به، فأخبرهم بهذه الآية أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي: أمراً تسعه طاقتها، ولا يكلفها ويشق عليها، كما قال تعالى ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس، بل هي غذاء للأرواح ودواء للأبدان، وحمية عن الضرر، فالله تعالى أمر العباد بما أمرهم به رحمة وإحساناً، ومع هذا إذا حصل بعض الأعذار التي هي مظنة المشقة حصل التخفيف والتسهيل، إما بإسقاطه عن المكلف، أو إسقاط بعضه كما في التخفيف عن المريض والمسافر وغيرهم، ثم أخبر تعالى أن لكل نفس ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من الشر، فلا تزر وازرة وزر أخرى ولا تذهب حسنات العبد لغيره، وفي الإتيان بـ "كسب" في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعى منه بل بمجرد نية القلب وأتى بـ «اكتسب» في عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله ويحصل سعيه، ولما أخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين، معه وأن كل عامل سيجازي بعمله، وكان الإنسان عرضة للتقصير والخطأ والنسيان، وأخبر أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق وتسعه قوتنا، أخبر عن دعاء المؤمنين بذلك، وقد أخبر النبي ﷺ

CHELLING T स्त्रीता निकास के स्वाप्त के स्व الَّذِ ۞ اللَّهُ لَا إِلَّهُ إِلَّا هُوَّ الْحَيُّ الْفَيْوَمُ ۞ زَلْ عَلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا يَنَ يَدَنِّهِ وَأَنَلَ ٱلنَّوْرَنةَ وَٱلْإِنِحِيلَ ۞ مِن مَنلُ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنِلَ الْفُرْقَانُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَابَتِ اللَّهِ لَمُمَّ عَذَاتُ شَدِيدٌ وَٱلْقَهُ عَهِرُدُو ٱنفِقامِ ۞ إِنَّالَةَ لَايَعَنَى عَلَيْهِ مَنَيٌّ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلمَسَدَّآءِ ۞ هُوَٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِ ٱلْأَرْسَادِ كُيْفَ يَشَآةً لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَرْبِدُ ٱلْفَكِيدُ ۞ هُوَ الَّذِي آزَلَ عَلَيْكَ الْكِنْبَ مِنْهُ ءَائِثُ ثُمَّكَ نَتُ هُزَأَمُ الْكِنْبِ وَلُخُرُمَتَشَيْهِكُ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ فَيَنَّيْمُونَ مَانَشَابَهَ حِنْهُ ٱبْبَغَآءَ ٱلْفِسْنَةِ وَٱبْبَغَآءَ نَأُوبِلِيرُّ وَمَا يَعْسَلَرُ نَأُوبِهَهُ ۖ إِلَّاللَّهُ وَالرَّيْعِوُنَ فِي ٱلْمِلْمِ بَعُولُونَ ءَامَنَّا بِدِيكُلُّ مِنْ عِندِ رَيِنكُ وَمَا يَدُّكُرُ إِلَّا أَوْلُوا ٱلْأَلِنَ ۞ رَبَّنَا لَا تُرغَ فَكُويَتَ ابَعْ وَإِ هَدَيْنَنَا وَهَبْ لَنَامِن لَّذَنكَ رَحْمَةٌ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ ۞ رَبَّنآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمِ لَّارَبْ مِنْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحْلِفُ ٱلْمِعَادَ ۞ TOURSE . ESPOES أن الله قال: قد فعلت. إجابة لهذا

الدعاء، فقال ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، والفرق بينهما: أن النسيان: ذهول القلب عن ما أمر به فيتركه نسياناً، والخطأ: أن يقصد شيئاً يجوز له قصده ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله: فهذان قد عفا الله عن هذه الأمة ما يقع بهما رحمة بهم وإحساناً، فعلى هذاً من صلى في ثوب مغصوب، أو نبجس، أو قد نسي نجاسة على بدنه، أو تكلم في الصلاة ناسياً، أو فعل مفطراً ناسياً، أو فعل محظوراً من محظورات الإحرام التي ليس فيها إتلاف ناسياً، فإنه معفو عنه، وكذلك لا يحنث من فعل المحلوف عليه ناسياً، وكذلك لو أخطأ فأتلف نفساً أو مالاً فليس عليه إثم، وإنما الضمان مرتب على مجرد الإتلاف، وكذلك المواضع التي تجب فيها التسمية إذا تركها الإنسان ناسياً لم يضر. ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً ﴾ أي: تكاليف مشقة ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ وقد فعل تعالى فإن الله خفف عن هذه الأمة في الأوامر من الطهارات وأحوال العبادات ما لم يخففه على غيرها ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ وقد فعل وليه الحمد ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فالعفو والمغفرة يحصل بهما

دفع المكاره والشرور، والرحمة يحصل

بها صلاح الأمور ﴿أنت مولانا ﴾ أي:

ربنا ومليكنا وإلهنا الذي لم تزل ولايتك الهنا منذ أوجدتنا وأنشأتنا فنعمك دارة علينا متصلة عدد الأوقات، ثم أنعمت علينا بالنعمة، وهي نعمة الإسلام التي جميع النعم تبع لها، فنسألك يا ربنا ومولانا تمام نعمتك بأن تنصرنا على القوم الكافرين، الذين كفروا بك وبرسلك، وقاوموا أهل دينك ونبذوا أمرك، فانصرنا عليهم بالحجة والبيان والسيف والسنان، بأن تمكن لنا في الأرض وتخذلهم وترزقنا الإيمان والأعمال التي يحصل بها النصر، والحمد لله رب العالمين. تم تفسير سورة البقرة بعون الله وتوفيقه وصلى الله على محمد وسلم.

تفسير سورة آل عصران وهي مدنية

نزل صدرها إلى بضع وثمانين آية في مخاصمة النصارى وإبطال مذهبهم ودعوتهم إلى الدخول في الدين الحق دين الإسلام كما نزل صدر البقرة في عاجة اليهود كما تقدم.

﴿ ١ _ ٦ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نرُّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام * إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرضُ ولا في السماء * هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم، افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود سواه فهو باطل، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم ولا تكمل الحيآة إلابها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام ﴿القيوم﴾ الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره

فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح، ومن قيامه تعالى بعباده ورحمته بهم أن نزل على رسوله محمد على الكتاب، الذي هو أجَلِّ الكتب وأعظمها المشتمل على الحق في إخباره وأوامره ونواهيه، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه ﴿مصدقا لما بين يديه ﴾ من الكتب السابقة، فهو المزكى لها، فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، وهي شاهدة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به، فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتبهم، ثم قال تعالى ﴿وأنزل التوراة﴾ أي: على موسى ﴿والإنجيل ﴾ على عيسى ﴿من قبل﴾ إنزال القرآن ﴿هدى للناس﴾ الظاهر ان هذا راجع لكل ما تقدم، أي: أنزل الله القرآن والتوراة والإنجيل هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، ومن لم يقبل ذلك بقى على ضلاله ﴿وأنزلُ الفرقان، أي: الحجج والبينات

والبراهين القاطعات الدآلة على جميع

المقاصد والمطالب، وكذلك فصل

وفسر ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت

الأحكام جلية ظاهرة، فلم يبق لأحد

عذر ولا حجة لمن لم يؤمن به وبآياته،

فلهذا قال ﴿إنَّ الذِّينَ كَفُرُوا بِآياتِ اللَّهِ ﴾

أي: بعدما بينها ووضجها وأزاح

العلل ﴿لهم عذاب شديد﴾ لا يُقْدَرُ

قدره ولا يدرك وصفه ﴿والله عزيز﴾

أي: قوي لا يعجزه شيء ﴿ذُو انتقام﴾

بمن عصاه ﴿إن الله لا يُخفى عليه شيء

في الأرض ولا في السماء ﴾ وهذا فيه

تقرير إحاطة علمه بالمعلومات كلها،

جليها وخفيها، ظاهرها وباطنها، ومن

جملة ذلك الأجنة في البطون التي لا

يدركها بصر المخلوقين، ولا ينالها

علمهم، وهو تعالى يدبرها بألطف

تدبير، ويقدرها بكل تقدير، فلهذا قال

وهو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء همن كامل الخلق وناقصه، وحسن وقبيح، وذكر وأنثى هلا إله إلا هو العزيز الحكيم تضمنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعينها، وإبطال النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت ابن مريم عليه السلام، وتضمنت المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما لتقدم، وإثبات الشرائع الكبار، وأنها تقدم، وإثبات الشرائع الكبار، وأنها رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى وتقرير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته.

﴿٧ ـ ٩ ﴾ ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب * ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب * ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريـب فـيـه إن الله لا يخــلـف الميعاد) القرآن العظيم كله محكم كما قال تعالى ﴿كتابِ أحكمت آياتُه ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فهو مشتمل على غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ وكله متشابه في الحسن والبلاغة وتصديق بعضه لبعضه ومطابقته لفظأ ومعني، وأما الإحكام والتشابه المذكور في هذه الآية فإن القرآن كما ذكره الله ومنه آيات محكمات، أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة ولا إشكال ﴿هن أم الكتاب﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، ﴿وَ﴾ منه آيات ﴿أُخْرِ مَتْشَابِهَاتِ﴾ أي:

لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على سعيض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلى، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضأ ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ أي: ميل عن الاستقامة " بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد ﴿فيتبعون ما تشابه منه اي: يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه ﴿ابتغاء الفتنة﴾ لن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلاً للفتنة، لوضوح الحق فيه لن قصده اتباعه، وقوله ﴿وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله الله المفسرين في الوقوف على «الله» من قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ قولان، جمهورهم يقفون عندها، وبعضهم يعطف عليها هوالراسخون في العلم الوذلك كله محتمل، فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء وكنهه كان الصواب الوقوف على ﴿إلا الله ﴾ لأن المتشابه الذي استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفيتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرض للوقوف عليها، لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته، كما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله ﴿الرحمن على العرش [استوى](۱) ﴾ فقال السائل: كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم،

يلتبس معناها على كثير من الأذهان:

والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فهكذا يقال في سائر الصفات لن سأل عن كيفيتها أن يقال كما قال الإمام مالك، تلك الصفة معلومة، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة، وقد أخبرنا الله بها ولم يخبرنا بكيفيتها، فيجب علينا الوقوف على ما حد لنا، فأهل الزيخ يتبعون هذه الأمور المشتبهات تعرضاً لما لا يعني، وتكلفاً لما لا سبيل لهم إلى علمه، لأنه لا يعلمها إلا الله، وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بها ويكلون المعنى إلى الله فيُسلِّمونَ وَيسلمون، وإن أريد بالتأويل التفسير والكشف والإيضاح، كان الصواب عطف ﴿الراسخونُ على «الله» فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه ورده إلى المحكم وإزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى والراسخون في العلم يعلمون أيضاً، فيؤمنون بها ويردونها للمحكم ويقولون ﴿كُلُ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿من عند ربنا﴾ وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض بل هو متفق يصدق بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض (٢⁾: وفيه تنبيه على الأصل الكبير، وهو انَّهم إذا علموا أنَّ جميعه من عندالله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يقيناً أنه مردودٌ إلى المحكم، وإن لم يفهموا وجه ذلك. ولما رغب تعالى في التسليم والإيمان بأحكامه وزجرعن اتباع المتشابه قال ﴿وما يذكر ﴾أي: يتعظ بمواعظ الله ويقبل نصحه وتعليمه إلا ﴿أُولُوا الألبابِ﴾ أي: أهل العقول الرزينة لب العالم وخلاصة بني آدم يصل التذكير إلى عقولهم، فيتذكرون ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهم القشور الذي لا حاصل له ولا نتيجة تحته، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة .

⁽١) سقطت كلمة استوى من الأصل وأضفتها؛ لأنها موضع الشاهد.

 ⁽۲) في هامش الأصل زيادة نصها: (وفيه تنبيه على الأصل الكبير وهو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه علموا يقيناً أنه مردود إلى المحكم وإن لم يفهموا وجه ذلك). ولم يتبين لي محلها إلا أن الأقرب أنها هنا.

ثم أخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ أي: لا تملها عن الحق جهلاً وعناداً منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا عما(١) ابتليت به الزائغين ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ أي: عظيمة توفقنا بها للخيرات وتعصمنا بها من المنكرات ﴿ إنك أنت الوهاب اي: واسع العطايا والهبات، كثير الريات.

﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إنك لا تخلف الميعاد) فمجازيهم بأعمالهم حسنها وسيثهاء وقد أثني الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: إحداها: العلم الذي هو الطريق الموصيل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه، الثانية: الرسوخ في العلم وهذا قدر زائد على مجرد العلم، فإنَّ الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالماً محققاً، وعارفاً مدققاً، قد علمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علماً وحالاً وعملاً، الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه ورد لتشابهه إلى محكمه، بقوله ﴿يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية ما ابتلى به الزائغون المنحرفون، الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله وربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كلّ خير واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه باسمه الوهاب، السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل، ثم قال تعالى:

﴿١٠ ــ ١٣ ﴾ ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار * كذأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا

بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب * قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) يخبر تعالى أن الكفار به وبرسله، الجاحدين بدينه وكتابه، قد استحقوا العقاب وشدة العذاب بكفرهم وذنوبهم وأنه لا يغنى عنهم مالهم ولا أولادهم شيئاً، وإن كانوا في الدنيا يستدفعون بذلك النكبات التي ترد عليهم، ويقولون ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين﴾ فيوم القيامة يبدو لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴿وبدالهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ وليس للأولاد والأموال قدر عند الله، إنما ينفع العبد إيمانه بالله وأعماله الصالحة، كما قال تعالى ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون، وأخبر هنا أن الكفار هم وقود النار، أي: حطبها، الملازمون لها دائماً أبداً، وهذه الحال التي ذكر الله تعالى أنها لا تغنى الأموال وأولاد عن الكفار شيئاً، سنته الجارية في الأمم السابقة، كما جرى لفرعون ومن قبله ومن بعدهم من الفراعنة العتاة الطغاة أرباب الأموال والجنود لما كذبوا بآيات الله وجحدوا ما جاءت به الرسل وعاندوا، أخذهم الله بذنوبهم عدلاً منه لا ظلماً والله شديد العقاب على من أتى بأسباب العقاب وهو الكفر والذنوب على إختلاف أنواعها وتعدد مراتبها، ثم قال تعالى ﴿قل ﴾ يا محمد ﴿للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد، وفي هذا إشارة للمومنين بالنصر والغلبة وتحذير للكفار، وقد وقع كما أخبر تعالى، فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين واليهود

والنصاري، وسيفعل هذا تعالى بعباده وجنده المؤمنين إلى يوم القيامة، ففي هذا عبرة وآية من آيات القرآن المشاهدة بالحسِّ والعيان، وأخبر تعالى أن الكفار مع أنهم مغلوبون في الدار أنهم محشورون ومجموعون يوم القيامة لدار البوار، وهذا هو الذي مهدوه لأنفسهم فبئس المهاد مهادهم، وبئس الجزاء جزاؤهم، ﴿قد كان لكم آية﴾ أي: عبرة عظيمة ﴿في فئتين التقتا﴾ وهذا يوم بدر ﴿فئة تقاتل في سبيل الله ﴾ وهم الرسول على وأصحابه ﴿وَأَخرى كافرة﴾ أي: كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطراً وفخراً ورثاء الناس، ويصدون عن سبيل الله، فجمع الله بين الطائفتين في بدر، وكان المشركون أضعاف المؤمنين، فلهذا قال ﴿ يرونهم مثليهم رأي: العين أي: يسرى المؤمنون ألكافرين يزيدون عليها زيادة كثيرة، تبلغ المضاعفة وتزيد عليها، وأكد هذا بقوله ﴿رأى العين ﴾ فنصر الله المؤمنين وأيدهم بنصره فهزموهم، وقتلوا صناديدهم، وأسروا كثيراً منهم، وما ذاك إلا لأن الله ناصر من نصره، وخاذل من كفر به، ففي هذا عبرة لأولى الأبصار، أي: أصحاب البصائر النافذة والعقول الكاملة، على أن الطائفة المنصورة معها الحق، والأخرى مبطلة، وإلا فلو نظر الناظر إلى مجرد الأسباب الطاهرة والعدد والعُدد لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات، ولكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته، وهو نصره وإعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين.

﴿ ١٤ - ١٧ ﴾ ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب

قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا

عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار

خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان

من الله والله بصير بالعباد * الذين

يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا

عذاب النار * الصابرين والصادقين

والقانتين والمنفقين والمستغفريين

بالأسحار﴾ يخبر تعالى أنه زين للناس

حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه

الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات

الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى ﴿إِنَا

جعلنا ما على الأرض زينة لها، فلما

زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من

الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم

ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب

الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي

المقصود، فصارت أفكارهم

وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة

لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله،

وصحبوها صحبة البهائم السائمة،

يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها،

ولا يبالون على أي: وجه حصلوها،

ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء

كانت زاداً لهم إلى دار الشقاء والعناء

والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا

المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء

وامتحاناً لعباده، ليعلم من يقدم طاعته

ومرضاته على لذاته وشهواته،

فجعلوها وسيلة لهم وطريقاً يتزودن

منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به

على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد

صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم،

وعلموا أنها كما قال الله فيها ﴿ ذلك

متاع الحياة الدنيا﴾ فجعلوها معبراً إلى

الدار الآخرة ومتجرأ يرجون بها الفوائد

الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زاداً إلى

ربهم. وفي هذه الآية تسلية للفقراء

الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات

التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير

للمغترين بها وتزهيد لأهل العقول

النيرة بها، وتمام ذلك أن الله تعالى أخبر

بعدها عن دار القرار ومصير المتقين

الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلكم

المذكور، ألا وهي الجنات العاليات

ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية،

والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع

الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قذر ودنس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما ﴿والله بصير بالعباد ﴾ أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء. فالجنة التي ذكر الله وصفها ونعتها بأكمل نعت وصف أيضاً المستحقين لها وهم الذين اتقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وكان من دعائهم أن ﴿١٦ ــ ١٧﴾ ﴿ربنا إننا آمنا فاغفر

لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم ويقيهم شر آثارها وهو عنذاب النار، ثم فيصل أوصاف التقوى. فقال ﴿الصابرين﴾ أنفسهم على ما يحبه الله من طاعته، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، ﴿والصادقين﴾ في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم ﴿والمنفقين﴾ مما رزقهم الله بأنواع النفقات على المحاويج من الأقارب وغيرهم ﴿والمستغفرين بالأسحار، لما بين صفاتهم الحميدة ذكر احتقارهم لأنفسهم وأنهم لايرون لأنفسهم، حالاً ولا مقاماً، بل يرون أنفسهم مذنبين مقصرين فيستغفرون ربهم، ويتوقعون أوقات الإجابة وهي السحر، قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم. فتضمنت هذه الآيات حالة الناس في الدنيا وأنها متاع ينقضي، ثم وصف الجنة وما فيها من النعيم وفاضل بينهما، وفضل الآخرة على الدنيا تنبيهاً على أنه يجب إيثارها والعمل لها، ووصف أهل الجنة وهم المتقون، ثم فصل خصال التقوى، فبهذه الخصال يزن العبد نفسه، هل هو من أهل الجنة أم **لا**؟

النَّ الَّذِيكَ كَفَرُوا لَن تُغِيَّ عَنْهُمْ أَمُوالُهُمْ وَلاَ أَوَلَدُهُمْ مِنَ اللهِ شَنَا وَأُوْلَتَهِكَ هُمْ وَقُودُ السَّادِ ۞ كَمَا أَبِ مَالِ لْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِ مُّ كَذَّبُواْ بِعَايِنَيْنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِنُنُوبِهِمُّ وَافْتَهُ شَكِيدُ ٱلْمِفَابِ ۞ قُل لِلْذِينَ كَفَرُواْ سَلُّغُلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيِسْ لِلْهَادُ ۞ فَذَكَاتَ لَكُرُ ءَايَةً فِي فِئَتَيْنِ ٱلْنَقَتَأَ فِئَةٌ نُقُلِلُ فِي سَبِيلِ الله وَأُخْرَىٰ كَ الْوَلَّ يُزَوْنَهُم مِنْلَيْهِمْ زَأْى ٱلْعَيْنُ وَلَاللهُ ا بُوَيَدُ بِنَصْرِهِ عَن بَسُكَاةً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِأَوْلِي ٱلْأَصْلُو۞ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِسَكَةِ وَٱلْبَيْدِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِٱلْقَنَطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَالْحَنْفِلِ ٱلْمُنَوَّمَةِ وَٱلْأَنْفَيْدِ وَٱلْحَدَرِثُ ذَٰلِكَ مَنَعُٱلْحَبَوْةِ ٱلدُّنْتِأُ وَاللَّهُ عِندَمُ حُسْنُ ٱلْمَعَابِ ۞ • قُل أَوْنَيَتُكُم بِخَيْرِ مِّن ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ أَتَّ فَوْاعِندَ رَبِّهِمْ جَنَّنَتُ خَيْرِي مِن غَيْمَا ٱلْأَنْفُ رُخَادِينَ فِهَا وَأَزْوَجُ مُطَهَّرَةً وَرِضْوَاتُ بِنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا لَقَهُ وَلِهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ONDER OF BONDER'S ﴿١٨ ـ ٢٠ ﴾ وشهداله أنه لا إله

إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب * فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهيي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لًا إله إلا هو، فنوع الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا آلأصل العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، والخلق كلهم عاجزون عن المنافع والمضار لأنفسهم ولغيرهم، ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وأما شهادة الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله، وأما شهادة أهل العلم فلأنهم هم

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَّا إِنَّنَّاءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَ كَا وَفِيكَ عَذَابَ النَّادِ ۞ ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِيْةِنَ وَٱلْفَائِيْدِينَ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَادِ ۞ شَهِدَ اَهَهُ أَنَّهُ لِآ إِلَهُ إِلَّاهُوَ وَلَلْكَهِكَ اللَّهِكَ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَايَتًا بَالْقِسْطُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّاهُوَ الْعَرِيزُ الْفَيْكِدُ ۞ إِنَّ الدِّيبَ عِندَاقَةِ ٱلإِمْلَازُ وَمَا الْخَلَفَ الَّذِينَ أُوثُواْ ٱلْكِتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ ٱلْمِلْرُبَعْيَا يَنْهُمْ وَمَن يَكُفُرُ عِايَنَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِبَابِ ۞ فَإِنْ حَاجُوكَ فَشَلْ أَسْلَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ أَنَّبَعَنَّ وَقُلْ لِلَّذِيكَ أُوتُواْ الْكِئْبَ وَٱلْإِثْبَتِينَ ءَأَسْكَنْبُدُ فَإِنْ أَسْكَوُافَعَدِٱحْسَنَدُّوْأَ وَإِن وَلَّوَا وَإِنَّا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَعِيبِ رُبِّ الْعِبَادِ ۞ إِذَا ٱلَّذِيكَ يَكْفُرُونَ بِعَابِكَتِ اللَّهِ وَيَقْنُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِعَالِمِحَقِّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ بَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّكَاسِ فَبَيْرَهُم بِعَدَابِ أَلِيهِ ۞ أُوْلَتِهِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْنَلُهُمْ فِ الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَمُمْ مِن نَصِينَ ۞ ARTHON OF BERNER

المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصاً في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه والعمل به، وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهدبه بنفسه وأشهدعليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم ينصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم. وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفي بذلك فضلاً، ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذهم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه، ولما قرر توحيده قرر عدله، فقال: ﴿قَائما

بالقسط الله أي: لم يزل متصفاً بالقسط في أفعاله وتدبيره بين عباده، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به ونهي عنه، وفيما خلقه وقدره، ثم أعاد تقرير توحيده فقال ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم، واعلم أن هذا الأصل الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة النقلية والأدلة العقلية، حتى صار لذوى البصائر أجلى من الشمس، فأما الأدلة النقلية فكل ما في كتاب الله وسنة رسوله، من الأمر به وتقريره، ومحبة أهله وبغض من لم يقم به وعقوباتهم، وذم الشرك وأهله، فهو من الأدلة النقلية على ذلك، حتى كاد القرآن أن يكون كله أدلة عليه، وأما الأدلة العقلية التي تدرك بمجرد فكر العقل وتصوره للأمور فقد أرشد القرآن إليها ونبه على كثير منها، فمن أعظمها: الاعتراف بربوبية الله، فإن من عرف أنه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولما كان هذا من أوضح الأشياء وأعظمها أكثر الله تعالى من الاستدلال به في كتابه. ومن الأدلة العقلية على أن الله هو الذي يؤله دون غيره انفراده بالنعم ودفع النقم، فإن من عرف أن النعم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها من الله، وأنه ما من نقمة ولا شدة ولاكربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها وإن أحداً من الخلق لا يملك لنفسه ــ فضلاً عن غيره _جلب نعمة ولا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوى الله من أبطل الباطل وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار، فلهذا أكثر الله في كتابه من التنبيه على هذا الدليل جداً، ومن الأدلة العقلية أيضاً على ذلك: ما أخبر به تعالى عن المعبودات التي عبدت من دونه، بأنها لاتملك نفعاً ولا ضراً، ولا تنصر غيرها ولاتنصر نفسها، وسلبها

الأسماع والأبصار، وأنها على فرض

سماعها لا تغنى شيئاً، وغير ذلك من

الصفات الدالة على نقصها غاية

النقص، وما أخبر به عن نفسه العظيمة

من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة، والقدرة والقهر، وغير ذلك من الصفات التي تعرف بالأدلة السمعية والعقلية، فمن عرف ذلك حق المعرفة عرف أن العبادة لا تليق ولا تحَسُن إلا بالرب العظيم الذي له الكمال كله، والمجدكله، والحمدكله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها، لا بالمخلوقات الْمُدَبِّر ات الناقصات الصم البكم الذين لا يعقلون، ومن الأدلة العقلية على ذلك ما شاهده العباد بأبصارهم من قديم الزمان وحديثه، من الإكرام لأهل التوحيد، والإهانة والعقوبة لأهل الشرك، وما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلاً إلى كل خير دافعاً لكل شر ديني ودنيوي، وجعل الشرك به والكفر سببأ للعقوبات الدينية والدنيوية، ولهذا إذا ذكر تعالى قصص الرسل مع أمم المطيعين والعاصين، وأخبر عن عقوبات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم، قال عقب كل قصة: ﴿إِن في ذلك لآية ﴾ أي: لعبرة يعتبر بها المعتبرون فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك، فهذه من الأدلة الكبار العقلية النقلية الدالة على هذا الأصل العظيم، وقد أكثر الله منها في كتابه وصرفها ونوعها ليحيى من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة فله الحمد والشكر والثناء.

ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو متضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم، وإنما اختلف أهل الكتاب بعد ما جاء هم كتبهم تحثهم على وظلماً وعدواناً من أنفسهم، وإلا فقد وظلماً وعدواناً من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا

الحق ويتركوا الاختلاف، وهذا من

من اللذم والعقاب ما أصابهم، بل الواجب على كل أحد إذا دعى إلى كتاب الله أن يسمع ويطيع وينقاد، كما قال تعالى ﴿إِنْمَا كَانَ قُولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ والسبب الذي غر أهل الكتاب بتجرئهم على معاصي الله هو قولهم ﴿ لَن تُمَسِّنَا النَّارِ إِلَّا أَيَّاماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون افتروا هذا القول فظنوه حقيقة فعملوا على ذلك ولم ينزجروا عن الحارم، لأن أنفسهم منتهم وغرتهم أن مآلهم إلى الجنة، وكذبوا في ذلك، فإن هذا مجرد كذب وافتراء، وإنما مآلهم شر مآل، وعاقبتهم عاقبة وخيمة، فلهذا قال تعالى ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ﴾ أي: كيف يكون حالهم ووخيم ما يقدمون عليه، حالة لا يمكن وصفها ولايتصور قبحها لأن ذلك اليوم يوم توفية النفوس ماكسبت ومجازاتها بالعدل لا بالظلم، وقد علم أن ذلك على قدر الأعمال، وقد تقدم من أعمالهم ما يبين أنهم من أشد الناس

﴿ ٢٦ ــ ٢٧﴾ ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك يمن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج

عذاباً .

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم * أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، أشد الناس جرماً وأي : جرم أعظم من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي من كفر بها فهو في غاية الكفر والعناد ويقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب الحقوق على العباد بعد حق الله ، الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ونصرهم وهؤلاء قابلوهم بضد ذلك، ويقتلون أيضاً الذين يأمرون الناس بالقسط الذي هو العدل، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقواً بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح، وبطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم، وما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله ولا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة، بل قد أيسوا من كل خير، وحصل لهم كل شر وضير، وهذه الحالة صفة اليهود ونحوهم، قبحهم الله ما أجرأهم على الله وعلى أنبيائه وعباده الصالحين.

﴿٢٣ ــ ٢٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِّينَ أُوتُوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون *ذلك بأنهم قالوالن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون * فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب الذين أنعم الله عليهم بكتابه، فكان يجب أن يكونوا أقوم النباس به وأسرعهم انقياداً لأحكامه، فأخبر الله عنهم أنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب تولى فريق منهم وهم يعرضون، تولوا بأبدانهم، وأعرضوا بقلوبهم، وهذا غاية الذم، وفي ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعلهم، فيصيبنا

كفرهم، فلهذا قال تعالى﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلامن بعدما جاءهم العلم بغيأ بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصاً من ترك الحق بعد معرفته، فهذا مستحق للوعيد الشديد والعقاب الأليم، ثم أمر تعالى رسوله على عند محاجة النصاري وغيرهم ممن يفضل غير دين الإسلام، عليه أن يقول لهم: قد ﴿أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ♦ أي: أنا ومن اتبعنى قد أقررنا وشهدنا وأسلمنا وجوهنالربنا، وتركناماسوي دين الإسلام، وجزمنا ببطلانه، ففي هذا تأييس لمن طمع فيكم، وتجديد لدينكم عند ورود الشبهات، وحجة على من اشتبه عليه الأمر، لأنه قد تقدم أن الله اسشهد على توحيده يأهل العلم من عباده ليكونوا حجة على غيرهم، وسيد أهل العلم وأفضلهم وأعلمهم هو نبينا محمد ﷺ، ثم من بعده أتباعه على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم، فلهم من العلم الصحيح والعقل الرجيح ما ليس لأحدمن الخلق ما يساويهم أو يقاربهم، فإذا ثبت وتقرر توحيد الله ودينه بأدلته الظاهرة، وقام به أكمل الخلق وأعلمهم، حصل بذلك اليقين وانتفى كل شك وريب وقادح، وعرف أن ما سواه من الأديان باطلة ، فلهذا قال ﴿وقِلَ لَلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابُ مِنْ النصاري واليهود ﴿والأميين﴾ مشركي العرب وغيرهم ﴿أأسلمتم فإن أسلموا ﴾ أي: بمثل ما أمنتم به ﴿فقد اهتدوا که کسا اهتدیتم وصاروا إخوانكم، لهم مالكم، وعليهم ما عليكم ﴿وإن تبولوا﴾ عن الإسلام ورضوا بالأديان التي تخالفه ﴿فإنما عليك البلاغ) فقد وجب أجرك على ربك، وقامت عليهم الحجة، ولم يبق بعدهذا إلا مجازاتهم بالعقاب على جرمهم، فلهذا قال ﴿والله بصير بالعبادك

﴿٢١ ــ ٢٢﴾ ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق

وَمَ يَحِدُكُلُ نَفْسِ مَا عَلِتُ مِنْ خَيْرِيْعُضَرًا وَمَا عَبِلَتْ مِن سُوِّهِ نَوَدُ لُوَأَنَّ يَيْنَهَا وَبَيْنَهُ وَأَمَدًا بَعِيدُ أُوكِيَذُ رُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِسَادِ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُعِبُّونَ ٱللَّهَ قَانَيِّ عُونِي يُحْبِبُكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَفُولٌ رَّجِيتُرُ ۞ قُلْ أَطِيغُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّواْ فَإِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُ ٱلْكَيْفِرِينَ ۞ • إِنَّ أَلْقَهَ أَصْطَلَفَنَ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَهِيمَ وَءَالَ عِنْرُنَ عَلَى الْعَلَمِينَ ۞ ذُرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلِيدُ ۞ إِذْ قَالَتِ أَمْزَاتُ عِسْرَكَ رَبِّ إِنْي نَذَرُدِتُ لَكَ مَا فِ بَطْنِي مُحَرَّلَا فَنَقَبَلُ مِنَّ إِنَّكَ أَسَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ فَكُنَّا وَصَعَنْهَا فَالَتْ رَبِّ إِنِّ وَصَعَنْهَا أَنْفُ وَالْلَهُ أَعَلَرُ عِمَا وَصَهَعَتْ وَلَبْسَ الذَّكَرُكَا لَأَنفَأْ وَإِنِّ سَمَيْنَهُا مَرْيَهُمَ وَإِنْ أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَينِ الرَّحِيمِ ﴿ فَنَقَبَّلُهَا رَجُ إِفَهُ وَلِحَسَنِ وَأَنْهُمُ آنِهَا الصَّا وَكُفَّلُهَا لُكُرِيّاً حَكُمًّا مَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيًّا أَلْحُرَابَ وَجَدَعِندَهَا رِفْقاً قَالَ يَنْمَزَّمُ أَفَّ لَكِ هَذَأَ قَالَتْ هُوَيْنِ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ عِسَابٍ ﴿ TOROGO " LANGEON

الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب، يقول الله لنبيه ﷺ ﴿قل اللهم مالك الملك * أي: أنت الملك المالك لجميع الممالك، فصفة الملك المطلق لك، والملكة كلها علويها وسفليها لك والتصريف والتدبير كله لك، ثم فصل بعض التصاريف التي انفرد الباري تعالى بها، فقال: ﴿تُؤْتِي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ وفيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة والقياصرة ومن تبعهم ويؤتيه أمة محمد، وقد فعل ولله الحمد، فحصول الملك ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية التي هي سبب بقاء الملك وحصوله وسبب زواله، فإنها كلها بمشيئة الله لا يوجد سبب يستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر، ومن الأسباب التي جعلها الله سببأ لحصول الملك الإيمان والعمل الصالح، التي منها اجتماع المسلمين

واتفاقهم، وإعدادهم الالات التي يقدروا عليها والصبر وعدم التنازع، قال الله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية فأخبر أن الإيمان والعمل الصالح سبب للاستخلاف المذكور، وقال تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم الآية

يحتسب ولا يكتسب، ثم قال تعالى: ﴿٢٨ ــ ٣٠﴾ ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين أَمنوا إذا يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا لقيتم فثة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله وإلى الله المصير * قل إن تخفوا ما في ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما واصبروا إن الله مع الصابرين، فأخبر في السماوات وما في الأرض والله على أن ائتلاف قلوب آلمؤمنين وثباتهم وعدم كل شيء قدير * يوم تجد كل نفس ما تنازعهم سبب للنصر على الأعداء، عملت من خير محضراً وما عملت من وأنت إذا استقرأت الدول الإسلامية سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها ويحنذركم الله نسفسسه والله رؤوف ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم بالعباد) أوهذا نهى من الله تعالى الأعداء وجعل بأسهم بينهم، ثم قال للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة تعالى: ﴿وتعز من تشاء ﴾ بطاعتك والنصرة والاستعانة بهم على أمر من ﴿وتذل من تشاء﴾ بمعصيتك ﴿إنك أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: على كل شيء قدير، لا يمتنع عليك ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في أمر من الأمور بل الأشياء كلها طوع شيء﴾ أي: فقد انقطع عن الله، وليسّ مشيئتك وقدرتك ﴿تولج الليل في له في دين الله نصيب، لأن موالاة النهار وتولج النهار في الليل، أي: الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن تدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، الإيمان يأمر بموالآة الله وموالاة أوليائه فينشأ عن ذلك من الفصول والضياء المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله والنور والشمس والظل والسكون وجهاد أعدائه، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والانتشار، ما هو من أكبر الأدلة على والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، فمن قدرة الله وعظمته وحكمته ورحمته والى ــ الكافرين من دون المؤمنين الذين ﴿وتخرج الحي من الميت﴾ كالفرخ من يريدون أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أولياءه خرج من حزب المؤمنين، وصار من البيضة، وكالشجر من النوي، وكالزرع من بذره، وكالمؤمن من الكافر حزب الكافرين، قال تعالى: ﴿ومن ﴿وتخرَج الميت من الحي﴾ كالبيضة من يتولهم منكم فإنه منهم﴾ وفي هذه الآية دليل على الابتعاد عن الكفار وعن الطائر وكالنوى من الشجر، وكالحب

أعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئاً، فخلقه تعالى الأضداد، والضد من ضده بيان أنها مقهورة ﴿وترزق من تشاء بغير حساب أي: ترزق من تشاء رزقاً واسعاً من حيث لا يحتسب ولا يكتسب، ثم قال تعالى:

لح، التي منها اجتماع المسلمين من الزرع، وكالكافر من المؤمن، وهذا معاشرتهم وصداقتهم، والميل إليهم وصداقتهم، والميل إليهم جاء في هامش النسخة ما يلي: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «المنهاج»: وأما قوله: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ قال مجاهد: لا مصانعة، والتقاة ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه كما في «الصحيح» عن النبي ﷺ: "من رأى منكم منكراً» الخ، فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه وإلا فبقلبه، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون، وهو لم يكن موافقاً لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله إلا لمن أكره الخ.

والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولي كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللسان وإظهار ما به تحصل التقية . ثم قال تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه ﴾ أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك ﴿ وإلى الله المصير ﴾ أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصى أعمالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل الأجر والمثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصاً، ولما في السماء والأرض عموماً، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يري قلبه محلاً لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله، وفي ضمن أخبار الله عن علمه وقدرته الإخبار بما هو لازم ذلك من المجازاة على الأعمال، ومحل ذلك يوم القيامة، فهو الذي توفى به النفوس بأعمالها فلهذا قال ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ أي: كاملاً موفراً لم ينقص مثقال ذرة، كما قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ والخير: اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصَّالحة صغيرها وكبيرها، كما أن السوء اسم جامع لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها وكبيرها ﴿وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ أي: مسافة بعيدة، لعظم أسفها وشدة حزنها، فليحذر العبد من أعمال السوء التي لا بدأن يحزن عليها أشد الحزن، وليتركها وقت الإمكان قبل أن يقول ﴿ يا حسرتا على ما فرطت في جنب

الله ﴿ ﴿ يُومِئذُ يُودُ الذِّينَ كَفُرُوا وعصوا السرسول ليو تسسوى بهم الأرض ﴾ ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا

﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني أتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتاً ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ ﴿حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين المُوالله لترك كل شهوة ولذة وإن عسر تركها على النفس في هذه الدار أيسر من معاناة تلك الشدائد واحتمال تلك الفضائح، ولكن العبد من ظلمه وجهله لا ينظر إلا الأمر الحاضر، فليس له عقل كامل يلحظ به عواقب الأمور فيقدم على ما ينفعه عاجلاً وآجلاً، ويحجم عن ما يضره عاجلاً وآجلاً، ثم أعاد تعالى تحذيرنا نفسه رأفة بنا ورحمة لئلا يطول علينا الأمد فتقسو قلوبنا، وليجمع لنا بين التزغيب الموجب للرجاء والعمل الصالح، والترهيب الموجب للخوف وترك الذنوب، فقال ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، فنسأله أن يمن علينا بالحذر منه على الدوام، حتى

﴿٣١﴾ ﴿قبل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم الله فيها وجموب محبة ألله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال ﴿قار إن كنتم تحبون الله أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفى فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه مجبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محباً لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدَّمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول

لا نفعل ما يسخطه ويغضبه.

يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص.

﴿٣٢﴾ ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين، وهذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما هـ ومن فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهي عنه، لأن اجتنابه امتثالاً لأمر الله هو من طاعته، فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون ﴿فإن تولوا﴾ أى: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمرُ يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد ﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ فلهذا قال: ﴿فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين، بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة، وكأنَّ في هذه الآية الكريمة بياناً وتفسيراً لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي، ثم قال تعالى:

﴿٣٧ _ ٣٧﴾ ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * إذ قالت امرأة عمران رب إنّي نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنشى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإن سميتها مريم وإن أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه وأصفيائه وأحبابه، فأخبر أنه اصطفى آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجودله، وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم

والحلم والفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضل بنيه، فقال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحلناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير عمن خلقنا تفضلاً﴾.

واصطفى نوحاً فجعله أول رسول الم أهل الأرض حين عبدت الأوثان، ووفقه من الصبر والاحتمال والشكر والدعوة إلى الله في جميع الأوقات ما أوجب اصطفاءه واجتباءه، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته، ونجاه ومن (١١) معه في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، وترك عليه ثناء يذكر في جميع الأحيان والأزمان.

واصطفى آل إبراهيم وهو إبراهيم خليل الرحمن الذي اختصه الله بخلته، وبدل نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان، ودعا إلى ربه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، وجعله الله أسوة يقتدي به من بعده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، ويدخل في آل إبراهيم جيع ذريته، وقد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوة على العالمين، ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد على ألحال ما تفرق في تعالى جع فيه من الكمال ما تفرق في غيره، وفاق على الأولين والآخرين، فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد أبراهيم

واصطفى الله آل عمران وهو والد موسى بن مريم بنت عمران، أو والد موسى بن عمران عليه السلام، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم، فلهذا قال تعالى ﴿ ذرية بعضها من بعض﴾ أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق والأخلاق الجميلة، كما قال تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء الداخلين في ضمن هذه البيوت الكبار ﴿ ومن آبائهم وهديناهم إلى صراط واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط

مستقيم، ﴿والله سميع عليم ﴾ يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه ومن لا يستحق ذلك فيخذله ويرديه، ودل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلأ منه وكرماً، ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نحبهم ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم، وأن لا نزال نزري(٢) أنفسنا بتأخرنا عنهم وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة، وهذا أيضاً من لطفه بهم، وإظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين، والتنويه بشرفهم، فلله ما أعظم جوده وكرمه وأكثر فوائد معاملته، لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكارهم مخلدة ومناقبهم مؤبدة لكفي بذلك فضلاً، ولما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لمريم والدة عيسي وكيف لطف الله بها في تربيتها ونشأتها، فقال: ﴿إِذْ قَالَتَ امرأَةً عمران الله أي: والدة مريم لما حملت ﴿رب إني نــذرت لــك مـا فــي بـطــنـي محرراً﴾ أي: جعلت ما في بطني خالصاً لوجهك، محرراً لخدمتك وخدمة بيتك ﴿فتقبل مني﴾ هذا العمل المبارك ﴿إنك أنت السميع العليم﴾ تسمع دعائي وتعلم نيتي وقصدي، هذا وهي في البطن قبل وضعها ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثي﴾ كأنها تشوفت أن يكون ذكرا ليكون أقدر على الخدمة وأعظم موقعاً، ففي كلامها [نوع]^(۱) عذر من ربيا، فقال الله: ﴿وَاللَّهُ آعِلُم بِمَا وَضَعَتَ﴾ أي: لا يحتاج إلى إعلامها، بل علمه متعلق بها قبل أن تعلم أمها ما هي ﴿وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم﴾ فيه دلالة على تفضيل الذكر على الأنثي، وعلى التسمية وقت الولادة، وعلى أن للأم تسمية الولد إذا لم يكره الأب ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) دعت لها ولذريتها أن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن ﴿ أي: جعلها نذيرة مقبولة، وأجارها وذريتها من الشيطان ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ أي: نبتت بباتأ حسنأ في بدنها وخلقها وأخلاقها، لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه السلام ﴿وكفلها﴾ إياه، وهذا من رفقه بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: مصلاها فكان ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾ أي: من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فيقول لها زكريا ﴿أني لك هذا قالت هو من عند الله وضلاً وإحساناً ﴿إِنَّ اللَّهُ يَرِزَقَ مِنْ يَشَاءُ بَغَيْرِ حساب أي: من غير حسبان من العبد ولا كسب، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وفي هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك، خلافاً لمن نفى ذلك، فلما رأى زكريا عليه السلام ما منَّ الله به على مريم، وما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعى منها ولاكسب، طمعت نفسه بالولد، فلهذا قال تعالى:

﴿٣٨ ـ ١٤﴾ ﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين * قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني ما يشاء * قال رب اجعل لي آية قال ما يشك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالمشي والإبكار أي: دعا زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ذرية طيبة، أي: طاهرة الدينية والدنيوية بهم، فاستجاب له الدينية والدنيوية بهم، فاستجاب له

⁽١) في الأصل: وممن.

⁽٢) في الأصل: نزدي.

 ⁽٣) الكلمة غير واضحة في الأصل ويبدو
 ـ والله أعلم _أنها كما أثبت.

دعاءه، وبينما هو قائم في محرابه يتعبد

هُنَاكِ دَعَازَكَ رِبَّارَيَّهُ عَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنكَ دُرَيَّةً طَيَبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۞ فَنَادَنْهُ ٱلْمُلَّبِكَ فُوهُوفَآ إِمَّ يُصَلِّى فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يَبَيُّمُ لِكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكُلِتَ فِينَ اللَّهِ وَسَيَّدُا وَحَمُّورًا وَيَبَيُّ امِّنَ ٱلصَّلِيعِينَ ﴿ قَالَ رَبّ أَنَّ يَكُونُ لِي غُلَنْمُ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِيَرُ وَٱمْرَأَنِي عَاقِرٌّ قَالَ كَذَٰلِكَ أَمَّهُ يُفْمَلُ مَا يَشَاءُ ۞ قَالَ رَبِّ ٱجْعَكُ لَى ا اينة عَالَ عَايَتُكَ أَلَا تُتَكِيرُ النَّاسَ ثَلَنْهَ أَيَّامِ إِلَّا رَمَزَّ وَأَذَكُمُ زَّنَّكَ حَكَيْدًا وَسَيِّعْ بِٱلْعَيْنِيِّ وَٱلْإِنْكَارِ ۞ وَإِذْ فَالَّتِ ٱلْكَنْ حَكَةُ يُنَعَزَّمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنكِ وَطَهْرَكِ وَأَصْطَفَكِ عَلَىٰ نِسَآ الْعَالَمِينَ ﴿ بَالَرْيُمُ الْفُنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَأَزْكُعِي مَعَ ٱلرَّكِعِينَ ۞ ذَلِكَ مِنْ ٱلْبَآءِ ٱلْفَتْبِ فُرِجِهِ الِّيَكُّ وَمَاكَثُتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَنْمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكُفُلُ اللَّهُ مَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْكَتِّهِكُمُ إَنْ مَنْ مَا أَنَّا لَهُ مُبَيِّرُكِ يَكَلِمُ وَمِنْهُ ٱللَّهُ ٱلْمُسِيحُ عِيسَى اللهُ مَنْ مَرْيَمَ وَجِهَا فِ الدُّنْبَاوَا لَآخِرَة وَمِنَ ٱلْمُعَرَّبِينَ ۞ ON TON WEST CEST

﴿ ٤٥ ـ ٨٥﴾ ﴿إِذْ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسي ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين * قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبسرص وأحسي الموتسي بسإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون * إنَّ الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين * ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * إذ قال الله يا عيسى إن متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم

إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون پنوه تعالى بفضيلة مريم وعلو قدرها، وأن الملائكة خاطبتها بذلك فقالت ﴿ يِمَا مريم إن الله اصطفاك أي: اختارك ﴿وطهرك ﴾ من الآفات المنقصة ﴿واصطفاك على نساء العالمين، الاصطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقاً، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك كخديجة وعائشة وفاطمة، لم يناف

الراكعين * ذلك من أنباء الغيب نوحيه

الاصطفاء المذكور، فلما أخبرتها الملائكة باصطفاء الله إياها وتطهيرها، كان في هذا من النعمة العظيمة والمنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها، فلهذا قالت لها الملائكة: ﴿ وَمَا مَرْيُمُ اقنتي لربك﴾ القنوت دوام الطاعة في أ خضوع وخشوع، ﴿واسجدي واركعى مع الراكعين خص السجود والركوع لقضلهما ودلالتهما على غاية الخضوع لله، ففعلت مريم، ما أمرت به شكراً لله تعالى وطاعة، ولما أخبر الله نبيه بما أخبر به عن مريم، وكيف تنقلت بها الأحوال التي قيضها الله لها، وكان هذا من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحى، قال ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم) أي: عندهم ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم للا ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر على بيت المقدس، فتشاحوا وتخاصموا أيهم يكفل مريم، واقترعوا عليها بأن ألقوا أقلامهم في النهر، فأيهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها، فوقع ذلك لزكريا نبيهم وأفضلهم، فلما أخبرتهم يا محمد بهذه الأخبار التي لا علم لك ولا لقومك بها دل على أنك صادق وأنك رسول الله حقاً، فوجب عليهم الانقياد لك وامتثال ﴿٢٤ ــ ٤٤﴾ ﴿وإذ قالت الملائكة يا

أوامرك، كما قال تعالى: ﴿وما كنت

بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى

الأمر﴾ الآيات.

لربه ويتضرع نادته الملائكة ﴿أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله أي: بعيسى عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله ﴿وسيداً﴾ أي: يحصل له من الصفات الجميلة ما يكون به سيداً يرجع إليه في الأمور ﴿وحصوراً﴾ أي: تمنوعاً من إتيان النساء، فليس في قلبه لهن شهوة، اشتغالاً بخدمة ربه وطاعته ﴿ونباً مِن الصالحينِ فأي: بشارة أعظم من هذا الولد الذي حصلت البشارة بوجوده، وبكمال صفاته، وبكونه نبياً من الصالحين، فقال زكريا من شدة فرحه ﴿ رب أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر، وكل واحد من الأمرين مانع من " وجود الؤلد، فكيف وقد اجتمعا، فأخبره الله تعالى أن هذا خارق للعادة، فقال: ﴿كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها التناسل، فإذا أراد أن يوجدهم من غير ما سبب فعل، لأنه لا يستعصى عليه شيء، فقال زكريا عليه السلام استعجالاً لهذا الأمر، وليحصل له كمال الطمأنينة ﴿رِبُ اجعل لِي آية ﴾ أي: علامة على وجود الولد قال ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴿أَي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سبوء، فبلا تبقيدر إلا عبلي الإشبارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودهاء فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام، وأمره الله أن يشكره ويكثرُ من ذكره بالعشى والإبكار، حتى إذا خرج على قومه من المحراب ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً ﴾ أي: أول النهار وآخره.

مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك

على نسآء العالمين * يا مريم اقنتى

لربك واسجدي واركعني مع

CUEULUS C وَيُكَلِّوُ النَّاسَ فِي الْمُهَدِ وَكَيْهَ لَا وَمِنَ الصَّلِمِينَ ۞ قَالَتَ دَبَ أَنَّ يَكُونُ لِي وَلَدُ وَلَزَيْسَشَى بَشُرُّ قَالَ كَذَ لِلبِ اللَّهُ يَعْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّا فَضَى آمَرُ فَإِغْمَا يَقُولُ لَمُرَكُن فَيَكُوثُ @ وَيُعَلِّنُهُ ٱلْكِئْبَ وَالْحِكْمَةَ وَٱلنَّوْرَينةَ وَٱلْإِنْجِيلَ ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِيَ إِسْرَةٍ مِلَ أَنِي فَدْ حِسْنُكُمْ بِعَامَةِ مِن زَبِكُورُ أَنَّ أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَبْتَ وَالطَّيْرِ فَأَهُمُ مِنْ فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرِئُ ٱلْأَحْمَةُ وَٱلْأَرْضَ وَأَخِي ٱلْوُقَ بِإِذِنِ ٱللَّهِ وَأُنْيَقَكُمُ كِمَا تَأْحُكُلُونَ وَمَالَنَّخِرُونَ فِي بُونِكُرُ أَنَّ فِي ذَلِكَ لَآتِ لَا لَتِهَ لَكُو إِن كُنتُومُ قُومِينِ ٥ وَمُصَدِقًا لِمَا يَبْنَ بَدَئَ مِنَ التَّوْرِيْةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمُ بَعْضَ الَّذِي حُرِمَ عَلَيْكُمْ وَجِنْتُكُو بِعَالِمَوْنِ زَّيْكُمْ فَاتَّـعُواْ اللَّهَ وَالْطِيعُونِ ۞ إِنَّا اللَّهَ رَبِّ وَرَبُّكُوفَا عَبُدُوقًا هَا اَمِرُولُ أَسْتَقِيدٌ ﴿ وَ فَلَمَّا أَحَسَ عِبِ عَامِنْهُمُ الْحَكُفْرَقَالَ مَنْ أَنصَارِي ٓ إِلَى اللَّهِ ۗ قَالَ الْحَوَارِيُّورِكُ أُ خَنُ أَنْسَسَازُ أَلَّهِ مَامَنَ الْإِلَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ MONOROUS IN LOCULO

فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون * فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابآ شديدآ فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين * وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين * ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم الخير تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام بأعظم بشارة، وهو كلمة الله عبده ورسوله عيسي ابن مريم، سمي كلمة الله لأنه كان بالكلمة من الله، لأن حالته خارجة عن الأسباب، وجعله الله من آياته وعجائب مخلوقاته، فأرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فولجت فيها تلك النفخة الذكية من ذلك الملك الزكى، فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية، فكَّان روحانياً نشأ من مادة روحانية ، فلهذا سمى روح الله ﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة﴾ أي: له الوجاهة العظيمة في الدنيا، جعله الله أحد أولي العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأتباع، ونشر الله له من الذكر ما ملا ما بين المشرق والمغرب، وفي الآخرة وجيهاً عند الله يشفع أسوة إخوانه من النبيين والمرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين، فلهذا كان من المقربين إلى الله، أقرب الخلق إلى ربهم، بل هو عليه السلام من سادات المقربين ﴿ويكلم

الناس في المهد وكهلا وهذا غير

التكليم المعتاد، بل المراد يكلم الناس بما فيه صلاحهم وفلاحهم، وهو تكليم المرسلين، ففي هذا إرساله ودعوته الخلق إلى ربهم، وفي تكليمهم في المهد آية عظيمة من آيات الله ينتفع بها المؤمنون، وتكون حجة على المعاندين، أنه رسول رب العالمين، وأنه عبد الله، وليكون نعمة وبراءة لوالدته يما رميت به ﴿ومن الصالحين﴾ أي: يمن عليه بالصلاح، من منَّ عليهم، ويدخله في جملتهم، وفي هذا عدة بشارات لمريم مع ما تضمن من التنويه بذكر المسيح عليه السلام ﴿قالت رب أني يكون كي ولد ولم يمسسني بشر، والولد في العادة لا يكون إلا من مس البشر، وهذا استغراب منها، لا شك في قدرة الله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلْكُ اللهُ يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ فأخبرها أن هذا أمر خارق للعادة، خلقه من يقول لكل أمر أراده: كن فيكون، فمن تيقن ذلك زال عنه الاستغراب والتعجب، ومن حكمة البارى تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغريب إلى ما هو أغرب منه، فذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين أحدهما كبير والآخر عاقر، ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب، وهو وجود عيسى عليه السلام من أم بلا أب ليدل عباده أنه الفعال لما يريد وأنه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، ثم أخبر تعالى عن منته العظيمة على عبده ورسوله عيسي عليه السلام، فقال ﴿ويعلمه الكتاب﴾ يحتمل أن يكون المراد جنس الكتاب، فيكون ذكر التوراة والإنجيل تخصيصا لهما، لشرفهما وفضلهما واحتوائهما على الأحكام والشرائع التي يحكم بها أنبياء بني إسرائيل والتعليم، لذلك يدخل فيه تعليم الفاظه ومعانيه، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ﴿ويعلمه الكتاب ♦أى: الكتابة، لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده ولهذا امتن تعالى على عباده بتعليمهم بالقلم في أول سورة أنزلها فقال ﴿اقرأ باسم ربك

الذي خلق خَلَق الإنسان من علق اقرأ

وربك الأكرم الذي علم بالقلم)

والمراد بالحكمة معرفة أسرار الشرع، ووضع الأشياء مواضعها، فيكون ذلك امتنانا على عيسى عليه السلام بتعليمه الكتابة والعلم والحكمة، وهذا هو الكمال للإنسان في نفسه، ثم ذكر له كمالاً آخر وفضلاً زائداً على ما أعطاه الله من الفضائل، فقال ﴿ورسولا إلى بنى إسرائيل ﴾ فأرسله الله إلى هذا الشعب الفاضل الذين هم أفضل العالمين في زمانهم يدعوهم إلى الله، وأقام له من الآيات ما دلهم أنه رسول الله حقاً ونبيه صدقاً ولهذا قال ﴿أَنِي قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين الطيرا، أي: أصوره على شكل الطير ﴿فَأَنْفُخُ فَيهُ فَيكُونَ طَيراً بِإِذَنَّ الله ای: طیراً له روح تطیر بإذن الله ﴿وأبرىء الأكمه ﴾ وهو الذي يولد أعمى ﴿والأبرص﴾ بإذن الله ﴿وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين € وأى: آية أعظم من جعل الجماد حيواناً، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحدة مِن هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها؟ فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان ﴿ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ﴾ أي: أتيت بجنس ما جاءت به التوراة وما جاء به موسى عليه السلام، وعلامة الصادق أن يكون خبره من جنس خبر الصادقين، يخبر بالصدق، ويأمر بالعدل من غير تخالف ولا تناقض، بخلاف من ادعى دعوى كاذبة، خصوصاً أعظم الدعاوي وهي دعوى النبوة، فالكاذب فيها لابد أن يظهر لكل أحد كذب صاحبها وتناقضه ومخالفته لأخبار الصادقين وموافقته لأخبار الكاذبين، هذا موجب السنن الماضية والحكمة الإلهية والرحمة الربانية بعباده، إذ لا يشتبه الصادق بالكاذب في دعوى النبوة أبداً، بخلاف بعض الأمور الجزئية، فإنه قد يشتبه فيها الصادق بالكاذب، وأما النبوة فإنه

عيسى من اليهود، حتى بعث الله نبينا محمداً ﷺ فكان المسلمون هم المتبعين لعيسى حقيقة، فأيدهم الله ونصرهم على اليهود والنصاري وسائر الكفار، وإنما يحصل في بعض الأزمان إدالة الكفار من النصاري وغيرهم على السلمين، حكمة من الله وعقوبة على تركهم لاتباع الرسول ﷺ ﴿ثم إلى مرجعكم أي: مصير الخلائق كلها ﴿ فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ كل يدعى أن الحق معه وأنه المصيب وغيره مخطىء، وهذا مجرد دعاوي تحتاج إلى برهان، ثم أخبر عن حكمه بينهم بالقسط والعدل، فقال ﴿فأما الذين كفروا﴾ أي: بالله وآياته ورسله ﴿فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة﴾ أما عذاب الدنيا، فهو ما أصابهم الله به من التقوارع والعقوبات المشاهدة والقتل والذل، وغير ذلك مما هو نموذج من عذاب الآخرة، وأما عذاب الآخرة فهو الطامة الكبري والمصيبة العظمى، ألا وهو عذاب النار وغضب الجبار وحرمانهم ثواب الأبرار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم من عبداب الله، لا من زعموا أنهم شفعاء لهم عند الله، ولا ما اتخسذوهمم أولياء مسن دونسه، ولا أصدقائهم وأقربائهم، ولا أنفسهم ينصرون، ﴿وأما الذين آمنوا ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وغير ذلك مما أمر الله بالإيمان به ﴿وعملوا الصالحات﴾ القلبية والقولية والبدنية التي جاءت بشرعها المرسلون، وقسسدوا بها رضارب السعالين ﴿فيوفيهم أجورهم ﴿ دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجوريوم القيامة، يجدون ما قدموه من الخيرات محضراً موفراً، فيعطى منهم كل عامل أجر عمله ويزيدهم من فضله وكرمه ﴿والله لا يحب الظالمين ﴾ بل يبغضهم ويحل عليهم سخطه وعذابه ﴿ذلكُ نتلوه عليك من الأيات والذكر الحكيم﴾ وهذا منة عظيمة على رسوله

الأنصار ﴿نحن أنصار الله أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك، وقالوا: ﴿آمنا بالله ﴿فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه آمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتلت الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فلهذا قال تعالى هنا ﴿ومكروا﴾ أي: الكفار بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نبوره ﴿ومكر الله بهم جزاء لهم على مكرهم ﴿والله خير الماكرين﴾ رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عَيْسِي إِنَّ مُتُوفِيكُ ورافعك إلى وصطبهرك من الـذيـن كفروا﴾ فرفع الله عبده ورسوله عيسي إليه؛ وألقى شبهه على غيره، فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباؤوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله، قال الله ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ وفي هذه الآية دليل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه حقيقة، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول والإيمان والتسليم، وكان الله عزيزاً قوياً قاهراً، ومن عزته أن كف بني إسرائيل بعد عزمهم الجازم وعدم المانع لهم عن قتل عيسي عليه السلام، كما قال تعالى ﴿ وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين > حكيم يضع الأشياء مواضعها، وله أعظم حكمة في إلقاء الشبه على بني إسرائيل، فوقعوا في الشبه كما قال تعالى ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً♦ ثم قال تعالى: ﴿وجاعل اللَّينِ اتبعوكُ فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، وتقدم أن الله أيد المؤمنين منهم على الكافرين، ثم إن النصارى المنتسبين لعيسي عليه السلام لم يزالوا قاهرين لليهود لكون النصاري أقرب إلى اتباع

يترتب عليها هداية الخلق أو ضلالهم وسعادتهم وشقاؤهم، ومعلوم أن الصادق فيها من أكمل الخلق، والكاذب فيها من أخس الخلق وأكذبهم وأظلمهم، فحكمة الله ورحمته بعياده أنّ يكون بينهما من الفروق ما يتبين لكل من له عقل، ثم أخبر عيسى عليه السلام أن شريعة الإنجيل شريعة فيها سهولة ويسرة فقال ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم، فدلٌ ذلكُ على أن أكثر أحكام التوراة لم ينسخها الإنجيل بل كان متمماً لها ومقرراً ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ تدل على صدقي ووجوب اتباعي، وهي ما تقدم من الآيات، والمقصود من ذَّلك كلهُ قوله ﴿فاتقوا الله﴾ بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وأطيعوني فإن طاعة الرسول طاعة لله ﴿إِنَّ اللهُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَاعْبِدُوهُ﴾ استدل بتوحيد الربوبية الذي يقربه كل أحدعلي توحيد الإلهية الذي ينكره المشركون، فكما أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعمأ ظاهرة وباطنة، فليكن هو معبودنا الذي نألهه بمالحب والخوف والرجياء والدعياء والاستعانة وجميع أنواع العبادة، وفي هذا رد على النصاري القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره عليه السلام بأنه عبد مدبّر مخلوق، كما قال ﴿إِنِي عَبِدُ اللهِ آتَانِ الكِتَابِ وجعلني نبياً ﴾ وقال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله قبال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته ﴾ إلى قوله ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ وقوله ﴿هذا ﴾ أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله ﴿ صراط مستقيم ﴾ موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم، ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سِحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك ﴿قال من أنصاري إلى الله من يعاونني ويقوم معى بنصرة دين الله ﴿قال الحواريون، وهم

عمد شر وعلى أمته، حيث أنزل عليهم هذا الذكر الحكيم، المحكم المتقن، المفصل للأحكام والحلال والحرام وإخبار الأنبياء الأقدمين، وما أجرى الله على أيديهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات، فهذا القرآن يقص علينا كل ما ينفعنا من الأخبار والأحكام، فيحصل فيها العلم والعبرة وتثبيت الفؤاد ما هو من أعظم رحة رب العباد، ثم قال تعالى:

﴿٩٥ ـ ٢٠﴾ ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من المترين) يخبر تعالى محتجاً على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ماليس له بحق، بغير برهان ولاً شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكاً لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلاً أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدلَّ، وعلى أن أحداً لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصاري في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح ادعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى، فلهذا قال تعالى ﴿إِن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك اى: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمنك أن قصَّ عليكم ما قصَّ من أخبار الأنبياء عليهم السلام ﴿فلا تكن من الممترين أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما

بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، وأن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه.

﴿ ٦٦ ـ ٦٣﴾ ﴿ فمن حاَجِكُ فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنآءنا وأبنآءكم ونسآءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولوا فإن الله عليم بالفسدين اي: ﴿فمن جادلك ﴿وحاجك﴾ في عيسي عليه السلام وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ بأنه عبد الله ورسوله وبينت لمن جادلك ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجداله فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله نبيه أن ينتقل إلى مباهلته وملاعنته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء والنساء، فدعاهم النبي ﷺ إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهليهم وأولادهم فلم يجدوا أهلأ ولامالا وعوجلوا

بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم ببطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلهذا قال تعالى ﴿فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين وفيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأخبر تعالى ﴿إن هذا﴾ الـذى قـصـه الله عـلى عـباده هـو ﴿القصص الحق﴾وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل ﴿وَمَا مِنْ إِلَّهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾فهو المألوه المعبود حقاً الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة ﴿وإن الله لهو العزيز﴾الذي قهر كل شيء وخضع له كل شيء ﴿الحكيم﴾ الذِّي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل(١)

﴿ ٦٤﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سوآء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون،أي: قل لأهل الكتاب من اليهود والنصاري ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ أي: هلموا نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الآنبياء والمرسلون، ولم يخالُّفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدال، ثم فسرها بقوله ﴿ أَلَا نَعِبِدُ إِلَّا اللَّهِ وَلَا نَشُرِكُ بِهِ شَيِئاً ﴾ فنفرد الله بالعبادة ونخصه بالحب والخوف والرجاء ولا نشرك به نبيأ ولا ملكأ ولا وليأ ولا صنمأ ولا وثنأ ولا حيواناً ولا جماداً ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله الكرن الطاعة كلها لله ولرسله، فلا نطيع المخلوقين في معصية الخالق، لأن ذلك جعل للمخلوقين في منزلة الربوبية، فإذا دعى أهل الكناب أو غيرهم إلى ذلك، فإَّن أجابوا كانو مثلكم، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن تولوا فهم معاندون متبعون أهواءهم فاشهدوهم

الرَّبِّتَ الْمَاتُ إِمَّا أَنْزَلَ وَأَنَّبَعْنَ الرَّسُولَ فَأَحْمُنَ الْمَ ٱلشُّهٰدِينَ ﴿ وَمَكَّرُواْ وَمَكَّرَاْلُلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ خَكْرُ الْلَكِينَ ﴿ إِذْ قَالَ أَلَّهُ يُعِيسَى إِنِّي مُنَّوَقِيكَ وَرَافِعُكَ

إِلَّ وَمُطَهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كُفَ رُوا وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ انَّبَعُوكَ فَوْلَ الَّذِينَ كُفَرُوٓا إِلَى يَوْمِ ٱلْفِيئَمَةِ ثُمَّ إِلَّ مَنْجِعُكُمُ فَأَعْكُمُ بِينَكُمْ فِيمَا كُنتُدْ فِيهِ تَغْسَلِفُونَ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَّأُعَذِبُهُ مُ عَذَابًا شَكِيبًا فِي ٱلدُّنيَا وَٱلْآخِرَةُ وَمَا لَمُهُمْ مِن نَصِيرِينَ ﴿ وَإِنَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

المَنْلِحَٰنِ فَبُوفِهِم أَجُرَدُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّلِلِيدِ ﴿ ذَٰلِكَ نَنْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآَيَٰتِ وَٱلذِّحْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿ إِنَّ مَشَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كُمْشَلِ ءَادَمٌ خَلَقَهُ مِن تُركِمُ عَالَ لَذَكُنْ فَبَكُونُ ۞ ٱلْحَقُّ مِن زَّتِكَ فَلَانَكُنْ مِنَ ٱلْمُتَعْرِينَ

۞ فَنَ عَلَبُكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَاجَدَ أَوْكُ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَعُلْ تَعَالُوْا نَدْعُ أَبْنَا آةً نَا وَأَبْنَا آةَكُمْ وَنِسَلَّةً نَا وَنِسَلَّةً حَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُكُ كُرُثُمَّ بَنْتِهِلْ فَتَجْعَل أَفْتَتَ أَقَدِعَلَ ٱلْكَدِينَ ۞ QUENTU OF BETTERN

عذاب لهم، قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفُرُواْ وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً

فوق العذاب بما كانوا يفسدون، ﴿وما يشعرون، بذلك أنهم يسعون في ضرر أنفسهم وأنهم لا يضرونكم شيئاً ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) أي: ما الذي دعاكم إلى الكفر بآيات الله مع علمكم بأن ما أنتم عليه باطل، وأن ما جاءكم به محمد ﷺ هو الحق الذي لا تشكون فيه، بل تشهدون به ويسر به بعضكم إلى بعض في بعض الأوقات، فهذا نهيهم عن ضلالهم، ثم وبخهم على إضلالهم الخلق، فقال ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون، فوبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان الحق، لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم، فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهمأ وكتموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره، ترتب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفته حتى يؤثروه، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق ويعلنوا به، ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة، ليهتدي المهتدون

حنيفاً مسلماً، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد على ومن أمن معه، فهم الذين اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصاري والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضاً حثُّ على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوي التي تخالف ما علم من التاريخ، ثم قالً

﴿ ٦٩ ــ ٧٤ ﴿ ودَّت طِسائِسُة مسن

أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون * يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون أله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طآئفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون * ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشآء والله واسع عليم * يختص برحمته من يشآء والله ذو الفضل العظيم ا يحذر تعالى عباده المؤمنين عن مكر هذه الطائفة الخبيثة من أهل الكتاب، وأنهم يودون أن يضلوكم، كما قال تعالى ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ﴾ ومن المعلوم أن من ود شيئاً سعى بجهده على تحصيل مراده، فهذه الطائفة تسعى وتبذل جهدها في رد المؤمنين وإدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدرون عليه، ولكن من لطف الله أنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله فلهذا قال تعالى ﴿وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ فسعيهم في إضلال المؤمنين زيادة في ضلال أنفسهم وزيادة

أنكم مسلمون، ولعل الفائدة في ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك وأنتم أهل العلم على الحقيقة، كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم كما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين، وأيضاً فإنكم إذا أسلمتم أنتم وآمنتم فلا يعبأ الله بعدم إسلام غيركم لعدم زكائهم ولخبث طويتهم، كما قال تعالى ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ الآية وأيضاً فإن في ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية عما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه ويعلن بإسلامه، إخباراً بيقينه وشكراً لنعمة

﴿٦٥ ـ ٦٨﴾ ﴿يا أهل الكتاب لم تحآجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين * إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهـذا الـنبـي والـذيـن آمـنـوا والله ولي المؤمنين

كان يهودياً، والنصاري أنه نصراني، وجادلوا على ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا ويجادلوا في أمر هم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إسراهيم، الوجه الثاني: أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصاري ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فلهذا قال ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود والنصاري والمشركين، وجعله

OF CHARLES إِنَّ هَاذَا لَهُوَ ٱلْفَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَامِنْ إِلَّهِ إِلَّا أَلَقُهُ وَإِنَّ أَلَّهُ لَهُوَ الْعَرْسِزُ الْحَكِيدُ ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيدُ الْمُفْسِدِينَ ﴿ قُلْ يَنَا هُلَ الْكِنْبِ تَعَالُواْ إِلَّ كَلِمَ وَسَوَّا عِينَا وَيَسْنَكُمُ أَلَّانَعْبُدُ إِلَّا أَلَّهَ وَلَانْشُرِكَ بِهِء شَيْنَا وَلَائِنَّا خِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابَا مِن دُونِ أَلِلَّهُ فَإِن نَوَلَوَّا فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۞ يَنَأَهْلَ ٱلْكِنْكِ لِمُعْكَأَجُّونَ فَ إِنْ وَهِدَ وَمَا أُرْلَتِ التَّوْرَبُكُ وَٱلْإِنِيلُ إِلَّامِنُ بَعْدِيَّةٍ أَفَلَا فَسَفِلُونَ ﴿ هَمَا أَنَّهُ هَا وُلَآ مَنْجَةُ فِيمَا لَكُرْبِهِ ۗ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَلَّقُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِدِمِعَلُمُ وَالْقَدُ يَعْلَرُ وَأَنْتُهُ لَانَعْلَمُونَ ۞ مَاكَانَ إِبْرَهِمُ بَعُودِيَّا وَلَانَصْرَانِيًّا وَلَكِن حَكَانَ حَيْنِفَا مُّسَالِمًا وَمَاكَانَ مِنْ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَهِيمَ لَلَّذِينَ ٱلْبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنِّي ُ وَٱلَّذِينَ عَامَنُواۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَدَّت ظُلَّاهِمَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِئْبِ لَوْ يُضِلُونَكُرُ وَمَا يُعِيدُلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ يَتَأَهْلَ الكِتَكِ لِرَتَكُمْنُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُ رُتَشْهَ دُونَ ٥ TONOTON " MOROMO

ويرجع الضالون وتقوم الحجة على المعاندين قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم). ثم أخبر تعالى عن ما همت به هذه الطائفة الخبيثة، وإرادة المكر بالمؤمنين، فقال ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره اي: ادخلوا في دينهم على وجه المكر والكيد أول النهار، فإذا كان آخر النهار فاخرجوا منه ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن دينهم، فيقولون لو كان صحيحاً لما خرج منه أهل العلم والكتاب، هذا الذي أرادوه عجبا بأنفهسم وظنا أن الناس سيحسنون ظنهم بهم ويتابعونهم على ما يقولونه ويفعلونه، ولكن يأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴿و﴾ قال بعضهم لبعض ﴿لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أي: لا تثقوا ولا تطمئنوا ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، واكتموا(١) أمركم، فإنكم إذا أخبرتم غيركم وغير من هو على دينكم حصل لهم من العلم ما حصل لكم فصاروا مثلكم، أو حاجوكم عندربكم وشهدوا عليكم أنها قامت عليكم الحجة وتبين لكم الهدى فلم تتبعوه، فالحاصل أنهم جعلوا عدم إخبار

المؤمنين بما معهم من العلم قاطعاً عنهم العلم، لأن العلم بزعمهم لا يكون إلا عندهم وموجباً للحجة عليهم، فرد الله عليهم بأن ﴿الهدى هدى الله﴾ فمادة الهدى من الله تعالى لكل من اهتدى، فإن الهدى إما علم الحق، أو إيثارة، ولا علم إلا ما جاءت به رسل الله، ولا موفق إلا من وفقه الله، وأهل الكتاب لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، وأما التوفيق فقد انقطع حظهم منه لخبث نياتهم وسوء مقاصدهم، وأما هذه الأمة فقد حصل لهم ولله الحمد من هداية الله من العلوم والمعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به وبرزوا على كلّ أحد، فكانوا هم الهداة الذين يهدون بأمر الله، وهذا من فضل الله عليها وإحسانه العظيم، فلهذا قال تعالى ﴿قُلُّ إن الفضل بيد الله الله هو الذي يحسن على عباده بأنواع الإحسان ﴿يؤتيه من يشاء ﴾ بمن أتى بأسبابه ﴿والله واسع ﴾ الفضل كثير الإحسان ﴿عليم﴾ بمن يصلح للإحسان فيعطيه، ومن لا يستحقه فيحرمه إياه ﴿ يُختص برحمته من يشاء ﴾ أي: برحمته المطلقة التي تكون في الدنيا متصلة بالآخرة وهي نعمة الدين ومتمماته ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ الذي لا يصفه الواصفون ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً.

﴿٧٧ _ ٧٧﴾ ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قآئماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون * بلي من أوفي بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين * إن الذين يشترون بعهدالله وأيمانهم ثمنا قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، يجبر تعالى عن حال أهل الكتاب في

الوفاء والخيانة في الأموال، لما ذكر خيانتهم في الدين ومكرهم وكتمهم الحق، فأخبر أنَّ منهم الخائن والأمين، وأن منهم ﴿من إن تأمنه بقنطار﴾ وهو المال الكثير ﴿يؤده﴾ وهو على أداء ما دونه من باب أولى، ومنهم أمن إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك وهو على عدم أداء ما فوقه من باب أولي وأحرى، والذي أوجب لهم الخيانة وعدم الوفاء إليكم بأنهم زعموا أنه ﴿ليسُ عليهم ﴿فَي الأمين سبيل ﴾ أي: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم، لأنهم بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار، ورأوا أنفسهم في غاية العظمة، وهم الأذلاء الأحقرون، فلم يجعلوا للأميين حرمة، وأجازوا ذلك، فجمعوا بين أكل الحرام واعتقاد حله وكان هذا كذباً على الله، لأن العالم الذي يحلل الأشياء المحرمة قد كان عند الناس معلوم أنه يخبر عن حكم الله ليس يخبر عن نفسه، وذلك هو الكذب، فلهذا قال ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون المفاد أعظم إثماً من القول على الله بلا علم، ثم رد عليهم زعمهم الفاسد، فقال ﴿بلي﴾أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج، بل عليكم في ذلك أعظم الحرج وأشد الإثم.

﴿من أوفي بعهده واتقى﴾ والعهد يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهده ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله، وإذا كان الأمييون قد عرفوا بوفاء العهود ويتقوى الله وعدم

التجريء على الأموال المحترمة، كانوا هم المحبوبين الله ، المتقين الذين أعدت علمهم بذلك. لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله ﴿٧٩ ـ ٨٠) ﴿ما كان لبشر أن وأجلُّهم، بخلاف الذين يقولون ليس يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم علينا في الأميين سبيل، فإنهم داخلون في قوله: ﴿إِنَّ الذِّينِ يَشْتُرُ وِنْ بِعَهِدُ اللهُ وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ ويدخل في ذلك كل من أخذ شيئاً من الدنيا في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده، وكذلك من حلف على يمين يقتطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية، فهؤلاء ﴿لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي: لا نصيب لهم من الخير ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة غضباً عليهم وسخطا، لتقديمهم هوي أنفسهم على رضاريهم ﴿ولا يَزكيهم ﴾ أي: يطهرهم من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم ﴿ولهم علاات اليم﴾ أي: صوجع للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط

> ﴿٧٨﴾ ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عندالله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون، يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقاً يلوون السنتهم بالكتاب، أي: يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، وهذا يشمل اللي والتحريف لألفاظه ومعانيه، وذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه، وهؤلاء عكسوا القضية وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما تعريضاً وإما تصريحاً، فالتعريض في قوله ﴿لتحسبوه من الكتاب﴾ أي: يلوون ألسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله، وليس هو المراد، والتصريح في قولهم: ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون المحدا أعظم جرماً ممن يقول على الله بلا علم، هؤلاء يقولون على الله الكذب فيجمعون بين نفي المعنى الحق، وإثبات المعنى الباطل، وتنزيل اللفظ

والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله

الدال على الحق على المعنى الفاسد، مع

يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بماكنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملآئكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ وهذه الآية نزلت رداً لمن قال من أهل الكتاب للنبي على لل أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد أن نعبدك مع الله، فقوله ﴿ما كان لبشر﴾ أي: يمتنّع ويستحيل على بشر من الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق ﴿أَن يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله الله فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرون إلا بمعالى الأمور وهم أعظم الناس نهياً عن الأمور القبيحة، فلهذا قال ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اى: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله ﴿بما كنتم تعلمون﴾ الخ، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم التضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين ﴿ولا يامركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ﴿ وهٰذا تعميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه ولا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة والنبيين وغيرهم ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون، هذا ما لا

يكون ولا يتصور أن يصدر من أحد

يَنَافَلَ ٱلْهِكِنَا لِرَتَلِهُ وَالْحَقِّ بِٱلْفِلِل وَتَكُمُونَ ٱلْحَقِّ وَأَنتُمْ مَّمَّا لَوُنَ ﴿ وَقَالَت طَّآلِهَ أَيْنِ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ مَامِنُواْ بِٱلَّذِيَّ أَنِلَ عَلَى ٱلَّذِيرَ مَامَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱلْخُدُواَ الْحِرْمُ لْمَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ وَلَا ثُوْمِنُوا إِلَّا لِمَن يَهِمَ دِينَكُمْ قُلْ لِنَّ ٱلْمُنَىٰ عُنَى اللَّهِ أَن يُؤَفِّنَ آحَدُ مِنْلَ مَا أُوسِنُ مُ آوَيُكُمْ الْحُكُمُ عِندَ رَيِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَصْلَ بِيدِ ٱلَّهِ يُؤْنِيهِ مَن يَشَكَّهُ وَأَفَّهُ وَكِيعُ عَلِيمٌ ﴿ يَخْتَشُ رَحْمَتِهِ مِنْ يَشَآهُ وَاللَّهُ نُوالْفَضْ إِلْفَظِيمِ ا وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِئْكِ مَنْ إِن تَأْمَنُهُ بِفِينَطَارِ وُوَدِوتَ إِلَيْكَ وَمِنْهُ مِثَنَ إِن تَأْمَنْهُ بِدِبْنَادِ لَّا بُوْدَوْمَ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُنْتَ عَلَيْهِ فَآمِمَا ذَيْكَ إِلَيْهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْمُحْيِينَ سَبِيلٌ وَيَغُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْسَحَالِكَ ذِبَ وَهُمْ يَصْلَعُونَ ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ، وَأَتَّفَىٰ فَإِنَّ أَلََّهُ يُحِبُّ ٱلْمُنْفَعِد اللَّذِينَ يَشْمَرُونَ بِعَهْدِ أَلَّهِ وَأَبْمَنِهِ مُنْمَنَا ظَيِيلًا أُوْلَتِهِكَ لَاخَلَقَ لَهُمْ فِ ٱلْآخِرَ وَوَلَا بُكَ لِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا بَنظُرُ إِلَّهُمْ مَوْمَ أَلْفِينَةِ وَلَا بُرْكِيهِمْ وَأَمْمَ عَذَابُ أَلِمْ ۞

منَّ الله عليه بالنبوة، فمن قدح في أحد منهم بشيء من ذلك فقد ارتكب إثماً عظيماً وكفراً وخيماً.

ADDED " KOROKO

﴿٨١ _ ٨١﴾ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا مُعكم من الشاهدين * فمن تولي بعد ذلك فأولتك هم الفاسقون، يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولاً مصدقاً لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا ذلك على أبمهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضاً لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عندالله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد علم أن محمداً على هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم على لما قررهم تعالى

O CHELLING T وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا بَلُورِكَ أَلْسِنَّهُمْ إِلْكِتُكِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِنْبِ وَمَاهُوَمِنَ ٱلْكِنْبِ وَيَقُولُونَ هُوَمِنْ عِندِاللهِ وَمَاهُوَمِنْ عِندِاللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّو ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ مَاكَانَ لِلشَّرِ أَنْ يُؤْمِنَهُ أَلَّهُ ٱلْكِتُلَ وَلَغَنَكُمَ وَٱلنَّهُ بُوَّهَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِسَادًا لِيُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيْكِن كُونُواْ رَبَّنِيْنَ إِمَا كُنتُمْ نُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَلَبَ وَيِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿ وَلَا يَأْمُرُ كُوْلَا نَتَّجِنُواْ ٱلْمَلَيْهِكَةَ وَٱلنَّبِيَعَنَ أَرْبِيابًا أَيَأْمُ كُمُّ بِٱلْكُفُرْ بِعُدَإِذْ أَشُعُر مُسْلِحُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذَالَةُ مِيثَقَ النَّبِيِّئَ لَأَمَالَقِيتُكُمُ مِن كِنْ وَحِكْمَةِ ثُرُّجَاء صُمُ رَسُولٌ مُصَدِّفٌ لِلَامَعَكُمْ لَتُوْمِثُنَ بِهِ وَلِنَنصُرُنَّهُ قَالَ مَأَقَرْتُمُ وَلَنَنْمُ عَلَ ذَالِحَهُمُ إِمْرِيٌّ قَالُواْ أَقْرُنَا قَالَ فَأَشْهَدُواْ وَأَنَّا مَعَكُمُ مِنَ الشَّهِدِينَ ﴿ فَنَ نَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَتِكَ هُمُ ٱلْفَنْسِفُونَ ﴿ أَفَغَنَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ وَأَسْلَرُمَنَ فِي السَّنَوَتِ وَالْأَرْضِ لَمُوعًا وَكَرْهَا وَإِلَيْهِ رُجَّعُونَ ﴿

وقالوا أقررنا وأي: قبلنا ما أمرتنا به على الراس والعين (قال) الله لهم: وفاشهدوا على أنفسكم وعلى أعكم بندك، قال (وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله (فأولئك هم الفاسقون) فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

﴿٨٣﴾ ﴿أَفْغِير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون اي: أيطلب الطالبون ويرغب الراغبون في غير دين الله؟ لا يحسن هذا ولا يليق، لأنه لا أحسن ديناً من دين الله ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ﴾ أي: الخلق كلهم منقادون بتسخيره مستسلمون له طوعاً واختياراً، وهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم، وكرها وهم سائىر الخلق، حتى الكافرون مستسلمون لقضائه وقدره لاخروج لهم عنه، ولا امتناع لهم منه، وإليه مرجع الخلائق كلهآ، فيحكم بينهم ويجازيهم بحكمه الدائر بين الفضل والعدل.

﴿ ٨٤﴾ ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ تقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة، ثم قال تعالى.

﴿٨٥﴾ ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول، لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله، إخلاصاً وانقياداً لرسله فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بشوابه، وكل دين سواه فاطل، ثم قال تعالى:

﴿٨٦ ٨٦﴾ ﴿كسيف يهدي الله قومأ كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجآءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين * أولئك جزآؤهم أن عليهم لعنة الله والملآئكة والناس أجمعين *خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ هذا من باب الاستبعاد، أي: من الأمر البعيد أن يهدى الله قوماً أختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات والبراهين القاطعات ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين فهؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلمأ وبغيأ واتباعأ لأهوائهم، فهؤلاء لا يوفقون للهداية، لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب الغواية، ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال ﴿أُولِنك جِزاؤهم أَن عليهم لعنة الله والملاتكة والناس أجمعين *خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولاهم

ينظرون أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ﴿ولا هم ينظرون ﴾ أي: يمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

﴿٩١ _ ٩١﴾ ﴿إن اللَّذِيسَ كَفَرُوا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون * إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ يخبر تعالى أن من كفر بعد إيمانه، ثم ازداد كفراً إلى كفره بتماديه في الغي والضلال، واستمراره على ترك الرشد والهدى، أنه لا تقبل توبتهم، أي: لا يوفقون لتوبة تقبل بل يمدهم الله في طغيانهم يعمهون، قال تعالى ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ ﴿فلما زغوا أزاغ الله قلوبهم السيئات ينتج بعضها بعضاً، وخصوصاً لمن أقدم على الكفر العظيم وترك الصراط المستقيم، وقد قامت عليه الحجة ووضح الله له الآيات والبراهين، فهذا هو الذي سعيٰ في قطع أسباب رحمة ربه عنه، وهو الذي سدَعلي نفسه باب التوبة، ولهذا حصر الضلال في هذا الصنف، فقال ﴿وأولئك هم الضالون ﴾ وأى: ضلال أعظم من ضلال من ترك الطريق عن بصيرة، وهؤلاء الكفرة إذا استمروا على كفرهم إلى المات تعين هلاكهم وشقاؤهم الأبدي، ولم ينفعهم شيء، فلو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهباً ليفتدي به من عذاب الله ما نفعه ذلك، بل لا يزالون في العذاب الأليم، لا شافع لهم ولا ناصر ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله فأيسوا من كل خير، وجزموا على الخلود الدائم في العقاب والسخط، فعياذاً بالله من حالهم .

﴿٩٢﴾ ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ بِمَا تُحِبُّونَ وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم الله لعباده على الإنفاق في طرق الخيرات، فقال ولن تنالوا﴾ أي: تدركوا وتبلغوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة، ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنكم إذا قدمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها في مرضاته، دل ذلك على إيمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم، فيدخل في ذلك إنفاق نفائس الأموال، والإنفاق في حال حاجة المنفق إلى ما أنفقه، والإنفاق في حال الصحة، ودلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك، ولما كان الإنفاق على أي: وجه كان مثاباً عليه العبد، سواء كان قليلاً أو كثيراً، محبوباً للنفس أم لا، وكان قوله ﴿ لن تنالوا البرحتي تنفقوا مما تحبون، مما يوهم أن إنفاق غير هذا المقيد غير نافع، احترز تعالى عن هذا الوهم بقوله ﴿ وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم الله فلا يضيق عليكم، بل

﴿٩٣ ـ ٩٥﴾ ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرآئيل إلا ما حرم إسرآئيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين * فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون * قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، وهذا ردعلي اليهود بزعمهم الباطل أن النسخ غير جائز، فكفروا بعيسي ومحمد صلَّى الله عليهما وسلم، لأنهما قد أتيا بما بخالف بعض أحكام التوراة بالتحليل والتحريم فمن تمام الإنصاف في المجادلة إلزامهم بما في كتابهم التوراة من أن جميع أنواع الأطعمة محلَّلة لبني

يثيبكم عليه على حسب نياتكم ونفعه.

إسرائيل ﴿إلا ما حرم إسرائيل﴾ وهو يعقوب عليه السلام ﴿على نفسه﴾ أي: من غير تحريم من الله تعالى، بل حرمه على نفسه لما أصابه عرق النَّسَا نذر لئن شفاه الله تعالى ليحرمن أحب الأطعمة عليه، فحرم فيما يذكرون لحوم الإبل وألبانها وتبعه بنوه على ذلك وكان ذلك قبل نزول التوراة، ثم نزل في التوراة أشياء من المحرمات غير ما حرم إسرائيل مما كان حلالاً لهم طيباً، كما قال تعالى ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، وأمر الله رسوله إن أنكروا ذلك أن يأمرهم بإحضار التوراة، فاستمروا بعد هذا على الظلم والعناد، فلهذا قال تعالى ﴿ فمن افترىٰ على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون، وأي: ظلم أعظم من ظلم من يدعى إلى تحكيم كتابه فيمتنع من ذلك عناداً وتكبراً وتجبراً، وهذا من أعظم الأدلة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ وقيام الآيات البينات المتنوعات على صدقه وصدق من نبأه وأخبره بما أخبره به من الأمور التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها، فلهذا قال تعالى ﴿قل صدق الله﴾ أي: فيما أخبر به وحكم، وهذا أمر من الله لرسوله ولمن يتبعه أن يقولوا بالسنتهم: صدق الله، معتقدين بذلك في قلوبهم

عن أدلة يقينية، مقيمين هذه الشهادة

على من أنكرها، ومن هنا تعلم أن

أعظم الناس تصديقاً لله أعظمهم علماً

ويقينا بالأدلة التفصيلية السمعية

والعقلية، ثم أمرهم باتباع ملة أبيهم

إبراهيم عليه السلام بالتوحيد وترك

الشرك الذي هو مدار السعادة، وبتركه

حصول الشقاوة، وفي هذا دليل على

أن اليهود وغيرهم ممن ليس على ملة

إبراهيم مشركون غير موحدين، ولما

أمرهم باتباع ملة إبراهيم في التوحيد

وترك الشرك أمرهم باتباعه بتعظيم بيته

﴿٩٦ _ ٩٦﴾ ﴿إن أول بيت وضع

الحرام بالحج وغيره، فقال:

بَعْدِذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ تَحِيدُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْبَعْدَ إِيمَنِهِمْ ثُرَّازُدَادُواْ كُفُرًا لَّن تُقْبَلَ قَرْبَتُهُمْ وَأُوْلِيَهِكَ هُمُ السِّمَ آلُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَا نُواْ وَهُمْ كُفَّارُّ فَلَن يُفْتِلُ مِن أَسَدِهِم مِّلْ وُ ٱلأَرْضِ ذَهَا وَلَوِ أَفْسَدَىٰ إِنَّ الْوَلَتِكَ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيدٌ وَمَا لَهُم مِن نَّصِيرِينَ ۞ TOWNSON IN MORE WAY للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين الله يخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنه أول بيت وضعه الله للناس، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضي ربهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، ولهذا قال: ﴿مباركاً ﴾ أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية كما قال تعالى ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) ﴿وهدى للعالمين ﴿ والهدى نوعان : هدى في المعرفة، وهدى في العمل، فالهدى في العمل ظاهر، وهو ما جعل الله فيه من أنواع التعبدات المختصة به، وأما هدى العلم فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله ﴿فيه آيات بينات﴾ أي: أدلة واضحات، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية، كالأدلة على توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما منَّ به

على أوليائه وأنبيائه، فمن الآيات

CA CHART THE CANAL

قُلْ ءَامَنَا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزَلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْ إِبْرُهِيمَ وَاسْمَعِيلَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْفُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُونِ مُوسَىٰ

وَعِيسَىٰ وَٱلنَّيْتُونَ مِن زَّبَهِ ذِلاَهُ َرَقُ بَيْنَ أَحَكِمِ مِنْهُمْ

وَخَنُّ لَمُسُدِلِمُونَ ﴿ وَمَن يَسْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَيم دِينًا فَلَن يُفْتِلَ مِنْهُ وَهُوَفِ ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَصِرِينَ

كَيْفَ يَهْدِي ٱهَّةُ قَوْمًا حِكَمَرُواْ بَعْدَ إِيمَنهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ

ٱلرَّسُولَ حَنَّ وَجَآءَ مُمُ الْيَيْنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْ لِي الْفَوْمَ

ٱلظَّالِينِ ۞ أُوْلَتِكَ حَزَّاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعَنَ وَاللَّهِ

وَلَلْكَيْكَةِ وَالنَّاسِ أَخْمَعِينَ ۞ خَلِينِ فِيمَا لَا يُحْتَفُّ

عَنْهُمُ ٱلْعَكَذَابُ وَلَاهُمْ يُظَرُّونَ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَسَابُولِينَ

والفائدة الثانية: أن الاسم المجرور

من حيث كان اسماً لله سبحانه، وجب

الاهتمام بتقديمه تعظيما لحرمة هذا

الواجب الذي أوجبه، وتخويفاً من

تضييعه، إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه

بمثابة ما يوجبه غيره.

النّسَالُوا الْسِرَحَقَ تَعْقُوا مِسَاعُهُونُ وَمَا تُعِفُوا مِن حَدِهِ الْمَسْدُونِ وَمَا تُعِفُوا مِن حَدِهِ الْمَسْدِهِ مِن مَعْمُونُ وَمَا تُعِفُوا مِن حَدِهِ الْمَسْدَة عِلَى الْمُعْمَارِكُونَ وَمَا تُعِفُوا مِن حَدِهِ الْمَسْرَة عِلَى الْمَسْرَة عِلَى الْمُعْمَارِكُونَ مِنْ مَعْدِوْلِكَ الْمَسْرَة عِلَى الْمَوْمِ مِن مَعْمُ مَسْدِوِنَ ﴿ فَيُ فَالْمُونَ مِنْ الْمُعْمَى اللّهُ مِن مَعْدِوْلِكَ مَا لَمَا مَعْمَ مَسْدِوِنَ ﴿ فَيَ مَا مَعْمُ اللّهُ مِن مَعْدِوْلِكَ مَا لَمُعْمَى اللّهُ اللّهُ مِن مَعْدِوْلِكَ مَا لَمَا مَعْمَى اللّهُ اللّهُ مِن مَعْدِولِكَ مَا لَمَا مَعْمَ اللّهُ مِن مَعْدِيلًا اللّهُ اللّهُ مِن مَعْدِيلًا اللّهُ مَن مَعْمُونِ فَي إِنّ الْوَلَ مِنْ مِن مَعْدُونِ مَن مَعْمُ اللّهُ اللّهُ مِن مَعْدُونِ مَا مَعْمُونِ اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِن اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

بِبَكَّهُ مُبَازَكًا وَهُدَى لِلْمُنَايِينَ ۞ فِيهِ ءَايَنَتُ أَيْمَنَاتُ مَّقَـامُ إِبْرُهِيمٌ وَمَن دَخَلَهُ حَكَانَ ءَامِنَا ۚ وَلِقَوعَلَ النَّاسِحِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱلْقَدَعَيُّ عَنِ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِنْبِ لِمَنْكُفُرُونِ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ وَٱلَّهَ شَهِيدُ عَلَى مَامَّتَ لُونَ ﴿ فُلْ يَنَأَهُ لَ ٱلْكِنْبِ لِرَضَيدُ وَنَ عَن سَيِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَعْفُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُدْ شُهُ لَلَّهُ وَمَا اللَّهُ بِعَفِلِ عَمَّاتَعَمَلُون ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَنُوٓ إِن تُطِيعُوا فَيِهَا يَنَ الَّذِينَ أُوقُوا الْكِكَبَ يَرُدُوكُمْ بَعْدَ إِيمَنِيكُو كَفِيرِكَ ۞ ACCOUNT TO BELLEVI ﴿مقام إبراهيم﴾ يحتمل أن المرادبه المقام المعروف وهو الحجر الذي كان يقوم عليه الخليل لبنيان الكعبة لما ارتفع البنيان، وكان ملصقاً في جدار الكعبة، فلما كان عمر رضي الله عنه وضعه في مكانه الموجود فيه الآن، والآية فيه قيل أثر قدمى إبراهيم، قد أثرت في الصخرة وبقى ذلك الأثر إلى أوائل هذه الأمة، وهذا من خوارق العادات، وقيل إن الآية فيه ما أودعه الله في القلوب من تعظيمه وتكريمه وتشريفه واحترامه، ويحتمل أن المراد بمقام إبراهيم أنه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها، فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بينات، كالطواف والسعى ومواضعها، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمى، وسائر الشعائر، والآية في ذلك ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها وبذل نفائس النفوس والأموال في الوصول إليها وتحمل كل مشقة لأجلها، وما في ضمنها من الأسرار البديعة والمعاني الرفيعة، وما في أفعالها من الحكم والمصالح التي يعجز الخلق عن إحصاء بعضها، ومن الآيات البينات فيها أن من دخله كان آمناً شرعاً وقدراً، فالشرع قد أمر الله ورسوله إبراهيم ثم رسوله محمد

باحترامه وتأمين من دخله، وأن لا يهاج، حتى إن التحريم في ذلك شمل صيودها وأشجارها ونباتها، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء أن من جنى جناية خارج الحرم ثم لجأ إليه أنه يأمن ولا يقام عليه الحد حتى يخرج منه، وأما تأمينها قدراً فلأن الله تعالى بقضائه وقدره وضع في النفوس

حتى نفوس المشركين به الكافرين بربهم

احترامه، حتى إن الواحد منهم مع

شدة حميتهم ونعرتهم وعدم احتمالهم

للضيم يجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم

فلا يهيجه، ومن جعله حرماً أن كل من

أراده بسوء فلا بدأن يعاقبه عقوبة

عاجلة، كما فعل بأصحاب الفيل

وغيرهم، وقَذْ رأيت لابن القيم هاهنا

كلاماً حسناً أحببت إيراده لشدة الحاجة

إليه قال فائدة: ﴿وله على الناس حج

البيت من استطاع إليه سبيلاً♦ «حج

البيت، مبتدأ وخبره في أحد المجرورين

قبله، والذي يقتضيه المعنى أن يكون

في قوله: (على الناس) لأنه وجوب،

والوجوب يقتضى اعلى، ويجوز أن

يكون في قوله: ﴿ولهِ النَّه متضمن

الوجوب والاستحقاق، ويرجح هذا

التقدير أن الخبر محط الفائدة

وموضعها، وتقديمه في هذا الباب في

نية التأخير، فكان الأحسن أن يكون

اولله على الناس"، ويرجح الوجه

الأول بأن يقال قوله : "حج البيت على

الناس، أكثر استعمالاً في باب

الوجوب من أن يقال: "حج البيت لله"

أي: حق واجب لله، فتأمله. وعلى

هذا ففي تقديم المجرور الأول وليس

بخبر فاثدتان: إحداهما: أنه اسم

للموجب للحج، فكان أحق بالتقديم

من ذكر الوجوب، فتضمنت الآية ثلاثة

أمور مرتبة بحسب الوقائع: أحدها:

الموجب لهذا الفرض فبدأ بذكره،

والثاني: مؤدي الواجب وهو المفترض

عليه وهم الناس، والثالث: النسبة،

والحق المتعلق به إيجاباً وبهم وجوباً

وأداءً، وهو الحج.

وأما قوله: ﴿مَنْ اللهِ بِدل، وقد استهوى طائفة من الناس القول بأنها فاعل بالمصدر، كأنه قال: أن يحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وهذا القول يضعف من وجوه، منها: أن الحج فرض عين، ولو كان معنى الآية ما ذكره لأفهم فرض الكفاية، لأنه إذا حج المستطيعون برئت ذمم غيرهم، لأن المعنى يؤل إلى: ولله على الناس حج البيت مستطيعهم، فإذا أدى المستطيعون الواجب لم يبق واجباً على غير المستطيعين، وليس الأمر كذلك، بل الحج فرض عين على كل أحد، حج المستطيعون أو قعدوا، ولكن الله سبحانه عذر غير المستطيع بعجزه عن أداء الواجب، فلا يؤاخذه به ولا يطالبه بأدائه، فإذا حج سقط الفرض عن نفسه، وليس حج المستطيعين بمسقط الفرض عن العاجزين، وإذا أردت زيادة إيضاح، فإذا قلت: واجب على أهل هذه الناحية أن يجاهد منهم الطائفة المستطيعون للجهاد، فإذا جاهدت تلك الطائفة انقطع تعلق الوجوب في غيرهم، وإذا قلت واجب على الناس كلهم أن يجاهد منهم المستطيع، كان الوجوب متعلقاً بالجميع وعذر العاجز بعجزه، ففي نظم الآية على هذا الوجه دون أن يقال: ولله حج البيت على المستطيعين، هذه النكتة البديعة فتأملها.

الوجه الثاني: أن إضافة المصدر إلى الفاعل إذا وجد أولى من إضافته إلى المفعول ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بدليل منقول، فلو كان مَنْ هو الفاعل لأضيف المصدر إليه فكان يقال: "ولله على الناس حج من استطاع» وحمله على

باب ايعجبني ضربُ زيدٍ عمراً، وفيما يفصل فيه بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول والظرف حمل على المكتوب المرجوح، وهي قراءة ابن عامر (قتل أولادهم شركائهم)، فلا يصار إليه. وإذا ثبت أن امن ابدل بعض من كل وجب أن يكون في الكلام ضمير يعود إلى «الناس» كأنه قيل: من استطاع منهم، وحذف هذا الضمير في أكثر الكلام لا يحسن، وحسنه هاهنا أمور منها: أن «من» واقعة على من لا يعقل، كالاسم المبدل منه فارتبطت به، ومنها: أنها موصولة بما هو أخص من الاسم الأول، ولو كانت الصلة أعم لقبح حذف الضمير العائد، ومثال ذلك إذا قلت: رأيت إخوتك من ذهب إلى السوق منهم، كان قبيحاً، لأن الذاهب إلى السوق أعم من الإخوة، وكذلك لوقلت: البس الثياب ما حسن وجمل، يريد منها، ولم يذكر الضمير كان أبعد في الجواز، لأن لفظ ما حسن أعم من الثياب.

وباب البعض من الكل أن يكون أخص من المبدل منه، فإذا كان أعم وأضفته إلى ضمير أو قيدته بضمير يعود إلى الأول ارتفع المعموم وبقي الخصوص، وبما حسن حذف المضاف في هذه أيضاً مع ما تقدم طول الكلام بالصلة والموصول.

وأما المجرور من قوله الله فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون في موضع من سبيل، كأنه نعت نكرة قدم عليها، لأنه لو تأخر لكان في موضع النعت لسبيل، والثاني: أن يكون متعلقا بسبيل، فإن قلت: كيف يتعلق به وليس فيه معنى الفعل؟ قيل: السبيل لما كان عبارة هاهنا عن الموصل إلى البيت من قوتٍ وزاد ونحوهما، كان فيه الذي هو الطريق، فصلح تعلق المجرور رائحة الفعل، ولم يقصد به السبيل البيت، واقتضى حسن النظم وإعجاز اللفظ تقديم المجرور وإن كان موضعه التأخير، لأنه ضمير يعود على البيت، والبيت هو المقصود به الاعتناء، وهم

يقدمون في كلامهم ما هم به أهم وببيانه أعني هذا تقرير السهيلي، وهذا بعيد جداً بل الصواب في متعلق الجار والمجرور وجه آخر أحسن من هذين، ولا يليق بالآية سواه، وهو الوجوب المفهوم من قوله "على الناس"، أي: يجب لله على الناس الحج، فهو حق واجب لله، وأما تعليقه بالسبيل وجعله حالاً منها، ففي غاية البعد فتأمله، ولا يكاد يخطر بالبال من الآية، وهذا كما تقول: لله عليك الصلاة والزكاة والصيام.

ومن فوائد الآية وأسرارها أنه سبحانه إذا ذكر ما يوجبه ويحرمه يذكره بلفظ الأمر والنهى، وهو الأكثر، ويلفظ الإيجاب والكتابة والتحريم نحو ﴿كتب عليكم الصيام﴾ ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ وفي الحج أتي سِذًا اللفظ الدال على تأكّد الوجوب من عشرة أوجه، أحدها أنه قدم اسمه تعالى وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص ثم ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف على أبدل منه أهل الاستطاعة، ثم نكر السبيل في سياق الشرط إيذاناً بأنه يجب الحج على أي: سبيل تيسرت، من قوت أو مال، فعلق الوجوب بحصول ما يسمى سبيلاً، ثم أتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر فقال ﴿ وَمَن كَفر ﴾ أي : لعدم إلتزامه هذا الواجب وتركه ثم عظم الشأن وأكد الوعيد بإخباره ما يستغنى به عنه، والله تعالى هو الغنى الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد، وإنما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام بمقته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هو أعظم التهديد وأبلغه، ثم أكد ذلك بذكر اسم «العالمين» عموماً، ولم يقل: فإن الله غنى عنه، لأنه إذا كان غنياً عن العالمين كلهم فله الغنى الكامل التام من كل وجه بكل اعتبار، فكان أدل لعظم مقته لتارك حقه الذي أوجبه عليه، ثم أكد هذا المعنى بأداة «إن» الدالة على التأكيد، فهذه عشرة أوجه تقتضي تأكد

هذا الفرض العظيم.

وتأمل سر البدل في الآية المقتضى لذكر الإسناد مرتين، مرة بإسناده إلى عسموم الناس، ومرة بإسناده إلى خصوص المستطيعين، وهذا من فوائد البدل تقوية المعنى وتأكيده بتكرر الإسناد ولهذا كان في نية تكرار العامل وإعادتة.

ثم تأمل ما في الآية من الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، وكيف تضمن ذلك إيراد الكلام في صورتين وخلتين، اعتناء به وتأكيد لشأنه، ثم تأمل كيف افتتح هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت وعظم شأنه بما تدعوا النفوس إلى قصده وحجه وإن لم يطلب ذلك منها، فقال: ﴿إِنْ أُولَ بِيتَ﴾ الخ، فوصفه بخمس صفات: أحدها كونه أسبق بيوت العالم وضع في الأرض، الثاني: أنه مبارك، والبركة كشرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيراً ولا أدوم ولا أنفع للخلائق، الثالث: أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه نفس الهدى، الرابع ما تضمن من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية، الخامس: الأمن الحاصل لداخله، وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجه وإن شطت بالزائرين الديار وتناءت بهم الأقطار، ثم أتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات، وهذا يدل على الإعتناء منه سبحانه لهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله ﴿وطهر بيتى﴾ لكفي بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً، وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حباله وشوقأ إلى رؤيته، فهذه المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حبأ وإليه اشتياقاً، فلا الوصال يشفيهم ولا البعاد يسليهم، كما قيل:

أطوف به والنفس بعدمشوقة

وألثم منه الركن أطلب بردما

فوالله ماازداد إلا صبابة

فساجنة المأوى ويباغيايية المنبي

أبت غلبات الشوق إلاتقربا

وماكانصدى عنك صدملالية

دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا

وقدرعه واأن الحب إذاناي

ولوكان هذاالزعم حقألكانذا

بسلى إنسه يسبسلى والسهسوى عسلى

وهذامحب قاده الشوق والهوى

أتماك عملى بعدالمزار ولوونت

انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

﴿ ٩٨ _ ١٠١ ﴾ ﴿ تسل بسا أمسل

الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد

على ما تعملون * قل يا أهل الكتاب لم

تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها

عوجاً وأنتم شهدآء وما الله بغافل عما

تعملون * يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا

فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم

بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون

وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم

بقلبي من شوق ومن هيمان

ولا القلب إلا كثرة الخفقان

ويا منيتي من دون كل أمان

إليك فسالى بالبعاد يدان

ولى شاهد من مقلتي ولسان

فلبي البكا والصبر عنك عصاني

سيبلى هواه بعد طول زمان

دواء الهوى في الناس كل زمان

حاله (١) لم يسبله الملوان (٢)

بغير زمام قبائد وعنيان

مطيته جاءت به القدمان

رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴿ يوبخ تعالى أهل إليه وهل بعد الطواف تدانى الكتاب من اليهود والنصاري على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة ﴿الَّذَيْنَ كَفُرُوا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾ فلهذا توعدهم هنا بقوله: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ بل محيط بأعمالكم" ونياتكم ومكركم السيء، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدهم ووبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وذلك لحسدهم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيقانهم، وأن ذلك من أبعد الأشياء، فقال: ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله اي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربكم كل وقت، وهي الآيات البينات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك

فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصاً والمين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصلوات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم يبق في نفوس القائلين مقالاً ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالاً، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على كل خير ﴿فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ موصل له إلى غأية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله .

﴿١٠٢ ـ ١٠٢﴾ ﴿يا أيها الندين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جيعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعدآء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانأ وكنتم على شفأ حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهندون،

من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداوماً لتقوى ربه وطاعته، منيباً إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة، وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود: وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهذه الآية بيان لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ وتفاصيل التقوي المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جداً، يجمعها

على حالم لم يسبله الملوان)

على حاله لم يسبله الملوان

في الهامش كتب: أي الهوى. (1) في الهامش: (لعل صواب هذا البيت قوله: (٢)

بلى إنه يُسبِل المحسبُ وإنه وبمراجعة بدائع الفوائد (٤٦/٢) تبين أن البيت كما يلى:

بلى إنه يبلى التصبر والهوى

في الأصل: بأعمالهم ولعل الصواب ما أثبت.

ONE FOR THE PARTY OF THE PARTY الناجون من المرهوب، ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، فقال: ﴿ولَّا تَكُونُواْ كالذين تفرقوا واختلفوا، ومن

العجائب أن اختلافهم ﴿من بعد ما جاءهم البينات، الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع

علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى: ﴿وأولئك لهم عَذَابِ عظيم ﴿ .

﴿۱۰۸ ـ ۱۰۸﴾ ﴿يسوم تسبيسط وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون * تلك أيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ يخبر تعالى عن حال يوم القيامة وما فيه من آثار الجزاء بالعدل والفضل، ويتضمن ذلك الترغيب والترهيب الموجب للخوف والرجاء فقال: ﴿يوم تبيض وجوه، وهمي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله ﴿وتسود وجوه﴾ وهي وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف، هؤلاء اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة، وأولئك ابيضت وجوههم، لما في قلوبهم من البهجة

ويستهون عن المنكر وأولسك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين منَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله ﴿ أُمَّهُ أَي : جماعة ﴿ يدعون إلى الخير ﴾ وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه ﴿ويامرون بالمعروف) وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات

﴿ولتكن منكم أمة﴾ الخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقررِ أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلاً به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبساء المدارس للإرشاد والعالم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين،

ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿وأُولِئِكُ هُمُ

الملحون الفائزون بالطلوب،

كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله

فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه، ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكمون دعموي المؤمنين واحمدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ﴾ يقتل بعضكم بعضاً، ويأخذُ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضاً، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شرعظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي ع الله فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاة بعضهم لبعض، ولهذا قال: ً ﴿فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار، أي: قد استحقيتم النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها ﴿ فَأَنْقَذُكُم مِنْهَا ﴾ بما منَّ عليكم من الإيمان بمحمد على وكذلك يبين الله لكم آياته أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال ﴿لعلكم تهتدون﴾ بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكراً له ومحبة، وليزيدهم من فضلة وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكرمن نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها .

﴿١٠٤ ــ ١٠٥﴾ ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف

CO CHEST SERVING وَيِتَّهِ مَا فِ ٱلسَّمَوَٰتِ وَمَا فِ ٱلْأَرْضُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ كُنتُهُ خَيْرَأْمَةِ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُهُونَ بِٱلْمَعْدُوفِ وَتَنْهَوْرِ عَنِ ٱلْمُنْكِرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْءَاسَ آهْلُ ٱلْحِينَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمَّ مِنْهُمُ ٱلْتُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَنْسِقُونَ ۞ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَكُ وَإِن يُقَيْلُوكُمْ يُولُوكُمُ ٱلْأَذْبَ أَرْثُمَ لَا يُنْصَرُونَ ۞ مُرْيَثْ عَلَيْهِمُ ٱلِذَلَةُ أَيْنَ مَاثَيْفُوٓ ۚ إِلَّا يِحَسِّلِ مِنَ ٱللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ ٱلنَّاسِ وَيَآْءُو يِغَضَبِ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰ إِلَى بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكُفُرُونَ بِعَايَدَتِ اللَّهِ وَيَقْتُكُونَ ٱلْأَيْلِكَاءَ بِغَيْرِ حَيَّ ذَٰلِكَ بِمَاعَصَواْ وَحَكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ • لَيَسُواْ سَوَاءً مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ أَمَّةً فَآيِمَةً يَتْلُونَ مَايَنَ اللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُون ﴿ يُوْمِنُونَ إِلَّهَ وَٱلْتِوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَصْرُوفِ وَيَسْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكِرِ وَيُسَدِيعُونَ فِي الْحَيْزَتِ وَأُوْلَتِهِكَ مِنَ الصَّلِيحِينَ وَمَايَفْعَلُواْمِنْخَيْرِ فَلَن يُكَكِّنُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ إِلْمُتَّفِينَ ۞ TONE TONE OF THE PARTY OF THE P

والسرور والنعيم والحبور الذي ظهرت آثاره على وجوههم كما قال تعالى: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾ نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم، وقالَ تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، ﴿فأما الذين اسودت وجوههم النقال لهم على وجه التوبيخ والتقريع: ﴿أَكْفُرْتُمْ بعد إيمانكم أي: كيف آثرتم الكفر والضلال على الإيمان والهدى؟ وكيف تركتم سبيل الرشاد وسلكتم طريق الغي؟ ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، فليس يليق بكم إلا النار، ولا تستحقون إلا الخزي والفضيحة والعار ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم﴾ فيهنؤون أكمل تهنئة ويبشرون أعظم بشارة، وذلك أنهم يبشرون بدخول الجنات ورضى ربهم ورحمته ﴿فَفَى رَحْمَةُ الله هم فيها خالدون، وإذا كانوا خالدين في الرحمة، فالجنة أثر من آثار رحمته تعالى، فهم خالدون فيها بما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، في جـوار أرحـم الـراحمـين، لما بـين الله لرسوله ﷺ الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية قال: ﴿تلك آيات الله نتلوها﴾ أي: نقصها ﴿عليك بالحق﴾ لأن أوامره ونواهيه مشتملة على الحكمة

والرحمة وثوابها وعقابها، كذلك مشتمل

على الحكمة والرحمة والعدل الخالي من الظلم، ولهذا قال: ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ نفى إرادته ظلمهم فضلاً عن كونه يفعل ذلك فلا ينقص أحداً شيئاً من حسناته، ولا يزيدفي ظلم الظالمين، بل يجازيهم بأعمالهم فقط، ثم قال تعالى:

﴿١٠٩﴾ ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي: هو المالك لما في السماوات وما في الأرض، الذي خلقهم ورزقهم ويتصرف فيهم بقدره وقضائه، وفي شرعه وأمره، وإليه يرجعون يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم حسنها وسيئها.

﴿١١٠ ـ ١١٠﴾ ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون * لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون * ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، لما كانت الآية السابقة وهي قوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ أمراً منه تعالى لهذه الأمة، والأمر قد يمتثله المأمور ويقوم به، وقد لا يقوم به ، أخبر في هذه الآية أن الأمة قد قامت بما أمرها الله بالقيام به، وامتثلت أمر ربها واستحقت الفضل على سائر الأمم ﴿ولو آمن أهل الكتاب

لكان خيراً لهم﴾ وفي هذا من دعوته بلطف الخطاب ما يدعوهم إلى الإيمان، ولكن لم يؤمن منهم إلا قليل، وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله المعادون لأولياء الله بأنواع العداوة، ولكن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه رد كيدهم في نحورهم، فليس على المؤمنين منهم ضرر في أديانهم ولا أبدانهم، وإنما غاية ما يصلون إليه من الأذي أذية الكلام التي لاسبيل إلى السلامة منها من كل معادي، فلو قاتلوا المؤمنين لولوا الأدبار فرارأ ثم تستمر هزيمتهم ويدوم ذلهم ولا هم ينصرون في وقت من الأوقات، ولهذا أخبر تعالى أنه عاقبهم بالذلة في بواطنهم والمسكنة على ظواهرهم، فلا يستقرون ولا يطمئنون ﴿ إِلَّا بِحِيلِ ﴾ أي: عهد ﴿ مِن اللهِ وحبل من الناس﴾ فلا يكون اليهود إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم، تؤخذ منهم الجزية ويستذلون، أو تحت أحكام النصارى وقد ﴿باؤوا﴾ مع ذلك ﴿ بغيضب من الله ﴾ وهذا أعظم العقوبات، والسبب الذي أوصلهم إلى

هذه الحال ذكره الله بقوله : ﴿ذَلَكُ بِأَنَّهُمُ

كانوا يكفرون بآيات الله التي أنزلها

الله على رسوله محمد ﷺ الموجبة لليقين

والإيمان، فكفروا بها بغياً وعناداً

﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ أي:

يقابلون أنبياء الله الذين يحسنون إليهم

أعظم إحسان بأشر مقابلة، وهو

القتل، فهل بعد هذه الجراءة والجناية

شيء أعظم منها، وذلك كله بسبب

عصيانهم واعتدائهم، فهو الذي

جرأهم على الكفر بالله وقتل أنبياء الله،

ثم قال تعالى:

﴿ ١١٥ _ ١١٥ ﴾ ﴿ ليسوا سوآء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ لما بين تعالى الفرقة الفاسقة من أهل الكتاب وبين أفعالهم وعقوباتهم،

الإِنَّالَيْكَ كَشَرُوا لَن تُغَنِّى عَنْهُ وَأَمَوْلُهُ وَلَا أَوْلَادُهُمُ مِنَ اللهِ شَيَّةً وَأُولَيْهِ فَ أَصْحَبُ النَّارِعُمْ فِهَا خَلِدُونَ ١ مَشَلُمَا يُنفِقُونَ فِي هَانِهِ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْبَ الْكَشَل رِيجِ فِيهَا عِمُّ أَمَابَتْ حَرْثَ فَوْمِ ظُلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَ مُنْدُومًا ظَلَّتَهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ يَنَأَبُهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاَنْتَغِنُواْ بِطَانَهُ مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونِكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَاعَيْتُهُ وَقَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآةُ مِنْ أَفْيَعِهِ رَوَمَاتُخْ صُدُورُهُمْ أَحْتَمُّرُهُ مِنِيَّنَا لَكُمُ الْأَيْنَ الْإِنْكُنتُ مِّعْقِلُونَ ﴿ هَٰۤأَشُرُ أَوْلَآهَ يَجُونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونِكُوْ وَنُوْمِنُونَ بِٱلْكِلَ كَيْ كُلِيهِ وَإِنَا لَقُوكُمْ مَا لُوْآءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَشُواْ عَلَيْكُو ٱلْأَنَّامِلَ مِنَ ٱلْفَيْظِ قُلْمُونُواْ بِغَيْظِكُمُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيدٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ الله إن مَسَسَكُرُ حَسَنَةً نَسُوْهُمْ وَإِن نُصِبْكُمْ سَيِنَةً بَغْرَجُوْابِهِ أُواِن تَصْبِرُواْ وَيُنَقُواْ لَابَضُرُ كُمْ كَنْدُهُمْ الشَيْئًا إِنَّ اللَّهَ يَابَعْسَلُونَ يُعِيدُ ۞ وَاذْغَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ا تُبَوَّئُ الْمُؤْمِدِينَ مَقَاعِدَ الْفِتَ الْ وَاللهُ سَيَعِعُ عَلِيدُ ۞

DESCRIPTION TO BEAUTY

ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾ ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهرونهم على سرائرهم أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم ﴿وما تخفي صدورهم أكبر، عا يسمع منهم فلهذا ﴿لا يألونكم خبالا ﴾ أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم قال الله للمؤمنين ﴿قدبينا لكم الآيات﴾ أى: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية ﴿لعلكم تعقلون﴾ فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو، فليس كل أحد يجعل بطانة، وإنما العاقل من إذا ابتلى بمخالطة العدو أن تكون مخالطة في ظاهره ولا يطلعه من باطنه على شيء ولو تملق له وأقسم أنه من أوليائه قال الله مهيجاً للمؤمنين على الحذر من هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب، ومبيناً شدة عداوتهم ﴿هَاأَنْتُم ﴿١١٦ ـ ١١٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون مخبر تعالى أن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، أي: لا تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله، ولا تجدي عليهم شيئاً من ثواب الله، كما قال تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً، بل تكون أموالهم وأولادهم زاداً لهم إلى النار، وحجة عليهم في زيادة نعم الله عليهم، تقتضي منهم شكرها، ويعاقبون على عدم القيام بها وعلى كفرها، ولهذا قال: ﴿أُولَئُكُ أَصِحَابِ النار هم فيها خالدون،

ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار من أموالهم التي يصدون بها عن سبيل الله ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تبطل وتضمحل، كمن زرع زرعاً يرجو نتيجته ويؤمل إدراك ريعه، فبينما هو كذلك إذ أصابته ريح فيها صر، أي: بردشديد محرق، فأهلكت زرعه، ولم يحصل له إلا التعب والعناء وزيادة الأسف، فكذلك هؤلاء الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ اللَّهِ نَ كُفُرُوا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴿ وما ظلمهم الله البطال أعمالهم ﴿ولكن﴾ كانوا ﴿أنفسهم يظلمون ميث كفروا بآيات الله وكذبوا رسوله وحرصوا على إطفاء نور الله، هذه الأمور هي التي أحبطت أعمالهم وذهبت بأموالهم، ثم قال

﴿١١٨ _ ١٢٠﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * ها أنتم أولاء تحبونهم بين هاهنا الأمة المستقيمة، وبين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوون عنده، بل بينهم من الفرق ما لا يمكن وصفه، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقد مضى وصفهم، وأما هؤلاء المؤمنون، فقال تعالى منهم ﴿أمة قائمة ﴾ أي: مستقيمة على دين الله، قائمة بما ألزمها الله به من المأمورات، ومن ذلك قيامها بالصلاة ﴿ يَسَلُونَ آيِاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيلِ وهِمَ يسجدون ﴿ وهذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب ربهم وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي: كإيمان المؤمنين إيماناً يوجب لهم الإيمان بكل نبي أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيسان باليوم الآخر لأن الإيسان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقر به إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد ﷺ، ثم وصفهم بالهمم العالية ﴿و﴾ أنهم ﴿يسارعون في الخيرات﴾ أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة ﴿من الصالحين الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من فضله وإحسانه، وأسم مهما فعلوا ﴿من خير﴾ قاليلاً كان أو كشيراً ﴿فالن يكفروه♦أى: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، فلهذا قال ﴿والله عليم بالمتقين ﴾ كما قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين€. المؤمنون﴾ . هذه الآيات نزلت في وقعة

إ إِذْهَبَت ظَابِهَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلًا وَأَلَهُ وَلِيُّهُمَّا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْمِنْ مَوْتَ لَلْمُؤْمِدُونَ ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَ كُواللَّهُ بِتَدْرِ وَأَنَّتُمْ أَذِلَّةً فَأَنَّعُوا أَلَّهَ لَعَلَّكُمْ نَشْكُرُونَ ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِينَكُوْ أَن يُمِلَّكُوْرَيُّكُمْ بِثَكَنَّهُ ءَالَغِ مِنَ ٱلْكَنِيكَ فِمُنزَلِينَ ۞ مَلَيَّانِ صَهْرُواْوَتَنَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مِن فَوْرِهِمْ هَلَاَ ابْمُدِذَكُونَدُكُمْ بِحَنْسَةِءَ الَّفِي مِّنَ لَلْلَتِكَةِ سُنَوِمِينَ ۞ وَمَاحَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَعْلَمَ إِنَّ قُلُونِكُمْ بِيقِومَا ٱلْفَسَرُ إِلَّامِنْ عِندِاَهُ وَالْعَزِيزِ لَلْحَكِمِ ۞ڸڡٞڟعَ طَرَوا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْرَكَنِهُمُ مَسَقَلِهُوا عَآبِينَ @لَنْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِشَى * أَوْسَوْبَ عَلَيْهِمْ أَوْمِعَ ذِبْهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَلِمُونَ ۞ وَيَعْمَا فِ ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِ ٱلْأَرْضِ يَعْفِيرُ لِنَ يَشَآهُ وَيُعَذِبُ مَن يَشَآهُ وَاقَدُ عَفُورٌ تَجِيدٌ ۞ يَنَالَهُا الَّذِينَ ،ٓامَنُواْ لَاتَأْكُلُواْ الْرِيُوَا أَضْعَفَا الْشَطِعَفَةُ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ نُعُلِحُونَ ﴿ وَالْقُوا النَّارَ الَّذِي أَعِدَتْ الْكَفِيرِينَ إِنَّمْ اللَّهِ عَوَاللَّهُ وَالرَّسُولَ لَمَ لَحَكُمْ مُرْحَسُونَ ٥

أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابكم، بل إذا لقوكم أظهروا لكم الإيمان ﴿وإِذَا لَقُوكُم قَالُوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل﴾ وهي أطراف الأصابع من شدة غيظهم عليكم ﴿قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور، وهذا فيه بشارة للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا ضرركم لا يضرون إلا أنفسهم، وإن غيظهم لا يقدرون على تنفيذه، بل لا يزالون معذبين به حتى يموتوا فيتنقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة.

ACCEPTED THE FOREST

تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾ فإذا أتيتم بالأسباب التي وعدالله عليها النصر ـ وهي الصبر والتقوى ـ لم يضركم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم لأنه محيط بهم علمه وقدرته فلا منفذ لهم عن ذلك و لا يخفى عليهم منهم شيء. ﴿١٢١ ــ ١٢١﴾ ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم * إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل

«أحد»، وقصتها مشهورة في السير والتواريخ، ولعل الحكمة في ذكرها في هذا الموضع، وأدخل في أثَّنائها وقعة «بدر» لما أنّ الله تعالى قد وعد المؤمنين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكماً عاماً ووعداً صادقاً لا يتخلف مع الإتيان بشرطه، فذكر نموذجاً من هذا في هاتين القصتين، وأن الله نصر المؤمنين في «بدر» لما صبروا واتقوا، وأدال عليهم العدو لما صدر من بعضهم من الإخلال بالتقوى ما صدر، ومن حكمة الجمع بين القصتين أن الله يحب من عباده إذا أصابهم ما يكرهون أن يتذكروا ما يحبون، فيخف عنهم البلاء ويشكروا الله على نعمه العظيمة التي إذا قوبلت بما ينالهم من المكروه الذي هو في الحقيقة خير لهم، كان المكروه بالنسبة إلى المحيوب نزراً يسيراً، وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة في قوله ﴿أُولَا أَصابِتِكُم مصيبة قد أُصبِتم مثليها، وحاصل قضية «أحد» وإجمالها أن المشركين لما رجع فُلهم من "بدر" إلى مكة، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة، استعدوا بكل ما يقدرون عليه من العدد بالأموال والرجال والعُدد، حتى اجتمع عندهم من ذلك ما جزموا بحصول غرضهم وشفاء غيظهم، ثم وجهوا من مكة للمدينة في ثلاثة آلاف ﴿إِن تمسسكم حسنة ﴾ كالنصر على مقاتل، حتى نزلوا قرب المدينة، فخرج الأعداء وحصول الفتح والغنائم النبي على اليهم هو وأصحابه بعد ﴿تسؤهم﴾ أي: تغمهم وتحزنهم ﴿وإن المراجعة والمشاورة حتى استقر رأيهم على الخروج، وخرج في ألف، فلما ساروا قليلاً رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الجيش عمن هو على مثل طريقته،

وهمت طائفتان من المؤمنين أن يرجعوا

وهم بنو سلمة وبنو حارثة فثبتهم الله،

فلما وصلوا إلى أحد رتبهم النبي ﷺ

في مواضعهم وأسندوا ظهورهم إلى

أحد، ورتب النبي ﷺ خمسين رجلاً

من أصحابه في خلة في جبل اأحدا وأمرهم أن يلزموا مكانهم ولا يبرحوا

منه ليأمنوا أن يأتيهم أحدمن

ظهورهم، فلما التقى السلمون

والمشركون انهزم المشركون هزيمة قبيحة وخلفوا معسكرهم خلف ظهورهم، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فلما رأهم الرماة الذين جعلهم النبى على في الجبل، قال بعضهم لبعض: الغنيمة الغنيمة، ما يقعدنا هاهنا والمشركون قد انهزموا، ووعظهم أميرهم عبدالله بن جبير عن المعصية فلم يلتفتوا إليه، فلما أخلوا موضعهم فلم يبق فيه إلا نفر يسير، منهم أميرهم عيدالله بن جبير، جاءت خيل المشركين من ذلك الموضع واستدبرت المسلمين وقاتلت ساقتهم، فجال المسلمون جولة ابتلاهم الله بها وكفر بها عنهم، وأذاقهم فيها عقوبة المخالفة، فحصل ما حصل من قتل من قُتلُ منهم، ثم إنهم انحازوا إلى رأس جبل «أحد» وكف الله عنهم أيدي المشركين وانكفأوا إلى بلادهم، ودخل رسول الله على وأصحابه المدينة قال الله تعالى ﴿وَإِذْ عَدُوتَ مِنْ أَهْلُكُ ﴾ والغدو هاهنا مطلق الخروج، ليس المراد به الخروج في أول النهار، لأن السبي على وأصحابه لم يخرجوا إلا بعدما صلوا الجمعة ﴿تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾ أي: تنزلهم وترتبهم كل في مقعده اللائق به، وفيها أعظم مدح للنبي ﷺ حيث هو الذي يباشر تدبيرهم وإقامتهم في مقاعد القتال، وما ذاك إلا لكمال علمه ورأيه، وسداد نظره وعلو همته، حيث يباشر هذه الأمور بنفسه وشجاعته الكاملة صلوات الله وسلامه عليه ﴿والله سميع ﴾ لجميع المسموعات، ومنه أنه يسمع ما يقول المؤمنون والمنافقون كل يتكلم بحسب ما في قلبه ﴿عليم﴾ بنيات العبيد، فيجازيهم عليها أتم الجزاء، وأيضاً فالله سميع عليم بكم، يكلؤكم، ويتولى تدبير أموركم، ويؤيدكم بنصره كما قال تعالى لموسى وهارون ﴿إنني معكما أسمع وأري، ومن لطفه بهم وإحسانه إليهم أنه، لما ﴿ حمت طائفتان ﴾ من المؤمنين بالفشل وهم بنو سلمة وسو حارثة كما تقدم ثبتهما الله تعالى نعمة عليهما وعلى سائر المؤمنين، فلهذا قال

• وَسَارِعُوا إِلَّ مَغْفِرَوْمِن زَّيْكُمْ وَجَنَّةِ عَهْمُهَا ٱلسَّكَوَّتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ الْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُسْفِفُونَ فِي ٱلمَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلْكَغِيرِي ٱلْفَيْظَ وَٱلْكَافِينَ عَنَ ٱلنَّالِينُ وَالْقَهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَنْحِسُةً أَوْظِلُمُواْ أَفْسَهُمْ ذَكُرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفُرُواْ لِنُغُوبِهِمْ وَمَن يَغْضِرُالذُّنُوبَ إِلَّا أَلَّهُ وَلَرْبِيُصِرُّواْعَلَىٰ مَافَعَلُواْ وَهُمْ يَعَلَٰكُمُونَ ۞ أُوْلَٰتِكَ جَزَّا وُهُمَّنَغْفِرَةً يِّن زَيْهِ رُوجَنَّنَ تَحْدِي مِن تَحْيَّهِ كَاٱلْأَنْهَ لُرُخَالِدِنَ فِيهَا وَمَهْمَ أَجْرُالُهَ عِلِينَ ۞ فَدْخَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَّ مَدِيرُوا فِ ٱلْأَرْضِ فَأَنظُرُواْ كَيْفَكَاتَ عَلَيْتُهُ ٱلْمُحَكَيْدِينَ۞ هَنَا بَيَالٌ لِلْنَاسِ وَهُدَى وَمُوعِظَةٌ الشُّنَّفِينَ ﴿ وَلَانَهِمُوا وَلَا غَمْ زَفُوا رَأَنَّمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّوْمِنِينَ ﴿ إِن يَسَسَكُونَ مُ فَقَدْمَسَ الْفَوْمَ فَسَرْحٌ يُسْلُهُ وَقِلْكَ ٱلْأَبَّامُ مُذَاوِلُهَ ابْيَنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْ لَرَالَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَكَأَةً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّلِلِينَ ۞ DEED WEDDED

يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض).

﴿١٢٧﴾ ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾ يخبر تعالى أن نصره عباده المؤمنين لأحد أمرين: إما أن يقطع طرفاً من الذين كفروا، أي: جانباً منهم وركناً من أركانهم، إما بقتل، أو أسر، أو استيلاء على بلد، أو غنيمة مال، فيقوى بذلك المؤمنون ويذل الكافرون، وذلك لأن مقاومتهم ومحاربتهم للإسلام تتألف من أشخاصهم وسلاحهم وأموالهم وأرضهم فبهذه الأمور تحصل منهم المقاومة والمقاتلة فقطع شيء من ذلك ذهاب لبعض قوتهم، الأمر الثاني أن يريد الكفار بقوتهم وكثرتهم، طمعاً في المسلمين، ويمنوا أنفسهم ذلك، ويحرصوا عليه غاية الحرص، ويبذلوا قواهم وأموالهم فى ذلك، فينصر الله المؤمنين عليهم ويردهم خائبين لم ينالوا مقصودهم، بل يرجعون بخسارة وغم وحسرة، وإذا تأملت الواقع رأيت نصر الله لعباده المؤمنين دائراً بين هذين الأمرين، غير خارج عنهما إما نصر عليهم أو خذل

﴿۱۲۸ ـ ۱۲۹﴾ ﴿ليس لـك مـن الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظاَّلُون * ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب

فاقتتلوا، ونصر الله المسلمين نصراً ﴿والله وليهما ﴾ أي: بولايته الخاصة، التي هي لطفه بأوليائه، وتوفيقهم لما فيه عظيماً، فقتلوا من المشركين سبعين صلاحهم وعصمتهم عمافيه قتيلاً من صناديد المشركين وشجعانهم، مضرتهم، فمن توليه لهما أنهما لما هما وأسبروا سبيعين، واحتووا على معسكرهم ستأتى _إن شاء الله _ بهذه المعصية العظيمة وهي الفشل والفرار عن رسول الله عصمهما، لما القصة في سورة الأنفال، فإن ذلك معهما من الإيمان كما قال تعالى: ﴿الله موضعها، ولكن الله تعالى هنا أتى سا ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات ليتبذكر بهبا المؤمنيون ليتبقبوا ربهم إلى النور﴾ ثم قال ﴿وعلى الله فليتوكل ويشكروه، فلهذا قال ﴿فاتقوا اللهُ المؤمنون) ففيها الأمر بالتوكل الذي هو لعلكم تشكرون﴾ لأن من اتقى ربه فقد اعتماد القلب على الله في جلب المنافع شكره، ومن ترك التقوى فلم يشكره، ودفع المضار، مع الشقّة بالله، وأنَّه إذ تقول يا محمد للمؤمنين يوم بدر بحسب إيمان العبد يكون توكله، وأن مبشراً لهم بالنصر ﴿ أَلن يَكْفَيْكُم أَنْ المؤمنين أولى بالتوكل على الله من بمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملاثكة غيرهم، وخصوصاً في مواطن الشدة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة بربهم والاستنصار له، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فبذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن، ثم قال تعالى:

﴿۱۲۳ ـ ۱۲۳﴾ ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عندالله العزيز الحكيم، وهذا امتنان منه على عباده المؤمنين، وتذكير لهم بما نصرهم به يوم بدر وهم أذلة في قلة عددهم وعُددهم مع كثرة عدد عدوهم وعُددهم، وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة، خرج النبي ﷺ من المدينة بثلاث مئة وبضعة عشر من أصحابه، ولم يكن معهم إلا سبعون بعيرأ وفرَسانِ لطلب عير لقريش قدمت من الشام، فسمع به المشركون فتجهزوا من مكة لفكاك عيرهم، وخرجوا في زهاء ألف مقاتل مع العدة الكاملة والسلاح العام والخيل الكثيرة، فالتقوا هم والمسلمون في ماء يقال له «بدر» بين مكة والمدينة

ويأتوكم من فورهم هذا ﴿ أَي : من مقصدهم هذا، وهو وقعة بدر ﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أي: معلمين بعلامة الشجعان، فشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط: الصبر، والتقوي، وإتيان المشركين من فورهم هذا، فهذا الوعد بإنزال الملائكة المذكورين وإمدادهم بهم، وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الشرطين الأولين كما تقدم في قوله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴿ وَما جعله الله اي أي: إمداده لكم بالملائكة ﴿إِلاَّ بِشْرِي﴾ تستبشرون بها وتفرحون ﴿ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله الله فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه، ولسدا قال ﴿عند الله العزيز﴾فلا يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبرون تحت تدبيره وقهره ﴿الحكيم﴾الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة في إدالة الكفار في بعض الأوقات على المسلمين إدالة غير مستقرة، قال تعالى: ﴿ذَلَكُ وَلُو

﴿أُو يَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالُونَ ﴾ ليدل ذلك

على كمال عدل الله وحكمته، حيث

وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده

بل العبد هو الذي ظلم نفسه، ولما نفي

عن رسوله أنه ليس له من الأمر شيء

قرر من الأمر له فقال ﴿ولله ما في

السسماوات ومسافي الأرض﴾ من

الملائكة والإنس والجن والحيوانات

والأفلاك والجمادات كلها، وجميع ما

في السماوات والأرض، الكل ملكَ لله

مخلوقون مدبرون متصرف فيهم تصرف

الماليك، فليس لهم مثقال ذرة من

الملك، وإذا كانوا كذلك فهم دائرون

بين مغفرته وتعذيبه فيغفر لمن يشاء بأن

يهديه للإسلام فيغفر شركه ويمن عليه

بترك العصيان فيغفر له ذنبه، ﴿ويعذب

من يشاء ﴾ بأن يكله إلى نفسه الجاهلة

الظالمة المقتضية لعمل الشر فيعمل الشر

ويعذبه على ذلك، ثم ختم الآية

باسمين كريمين دالين على سعة رحمته

وعموم مغفرته وسعة إحسانه وعميم

إحسانه، فقال ﴿والله غفور رحيم﴾

ففيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت

غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته،

فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق وأن

منهم من يغفر الله له ومنهم من يعذبه،

فلم يختمها باسمين أحدهما دال على

الرحمة، والثاني دال على النقمة، بل

ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة،

فله تعالي رحمة وإحسان سيرحم بها

عباده لا تخطر ببال بشر، ولا يدرك لها

وصف، فنسأله تعالى أن يتغمدنا

ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين. تم

أَمْ حَيِيبَتُ أَنْ مَذْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَمْلِمُ اللَّهِ ٱلَّذِينَ جَهَدُواْ مِنكُرْ وَيَعَلَمُ ٱلصَّابِرِينَ ۞ وَلَقَدْكُنتُهُ مَّتَوَّاكَ ٱلْمُؤْتَ مِن فَلِل أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَسْتُونَ نَظُمُ رُوب كَ وَمَا يُحَدِّدُ إِلَّا رَسُولُ فَدْخَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْقُيْلَ اَنْتَلَبْتُدْ كَلَىٰ أَعْقَبِكُو ۗ وَمَن بَنَقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْدِهِ فَلُن يَضُرُّ إِللَّهَ شَيْئُ وَسَيَجْنِ اللَّهُ الشَّلِكِينَ ﴿ وَمَاكَانَ لِنَفْسِ أَن تَمُونَ إِلَّا إِذْنِ ٱللَّهِ حِكْمَتُنَا مُؤْجَّ لُأَ وَمَن يُرِدُ ثَوَابَ الدُّنْيَ انْوْتِيهِ مِنْهَا وَمَن بُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَوْنُوْتِهِ مِنْمَّا وَسَنَجْزِى ٱلشَّنِكِوِينَ ۞ وَكَأَيْنَ مِن نَبِي قَنَلَ مَعَهُ دِيِّينُونَ حَيَيْرُوْمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِ سَيِيلِ اللَّهِ وَمَاضَعُمُواْ وَمَا أَسْنَكَا نُوْأَ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِينَ ۞ وَمَا كَانَ فَوْلُهُمَّ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبِّنَا اغْفِرْلِنَا دُنُوسًا وَإِسْرَافِنَا فِي أَمْرِهَا وَثِيتْ أَهْدَامَنَا وَأَنسُرُنَا عَلَى الْقَوْمِ إِلْكَيْرِينَ ﴿ فَعَانَهُمُ أَعَدُنُوا بَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ فَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ MODERALL VERSER

من يشاء والله غفور رحيم لل جرى یوم «أحد» ما جری، وجری علی النبى ﷺ مصائب، رفع الله بها درجته، فشج رأسه وكسرت رباعيته، قال «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم» وجعل يدعو على رؤساء من المشركين مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، أنزل الله تعالى على رسوله نهياً له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرد عن رحمة الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على مصالحهم، وإنما الأمر لله تعالى هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، إن اقتضت حكمته ورحمته أن يتوب عليهم ويمن عليهم بالإسلام فعل، وإن اقتضت حكمته إبقاءهم على كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك، فعل، وقد تاب الله على هؤلاء المعينين وغيرهم، فهداهم للإسلام رضى الله عنهم، وفي هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئاً وتكون الخيرة

والمصلحه في غيره، وأن الرسول ﷺ

ليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى، ففيها أعظم رد على من تعلق

السفر الأول من هذا التفسير المبارك بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين بيسر من الله وإعانة فله الحمد والشكر وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، والثناء وأسأله المزيد من فضله وكرمه نقص في العقل، يتركون من الأمر كله وإحسانه، ويليه المجلد الثاني، أوله له ويدعون من لا يملك من الأمر قول الباري جل جلاله يا أيها الذين مثقال ذرة، إن هذا لهو الضلال آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافأ مضاعفة البعيد، وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته الآية وذلك في تسع وعشرين من شهر عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ ثالث سبباً موجباً لذلك، ليدل ذلك على أن وأربعين وثلاث مئة وألف من الهجرة النعمة محض فضله على عبده، من غير النبوية وصلى الله على محمد وسلم سبق سبب من العبد ولا وسيلة، ولما تسليما كشيرا بقلم جامعه ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله على العذاب بالفاء المفيدة للسببية، فقال

المجلد الثاني من تيسير الكريم المنان في تغسير كلام الرحمن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي غضر الدله ولوالديه والمسلمين أمين.

السعدي غفر الله له ولوالديه وإخوانه

المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد شنحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشمهدان لا إلمه إلا الله وحمده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً قال تعالى:

﴿ ١٣٠ _ ١٣٦﴾ ﴿ يِا أَيِّهَا اللَّذِينَ آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي أعدت للكافرين * وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون * وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين،

تقدم في مقدمة هذا التفسير أن العبد ينبغي له مراعاة الأوامر والنواهي

في نفسه وفي غيره، وأن الله تعالى إذا أمره بأمر وجب عليه _أولا _أن يعرف حده، وما هو الذي أمربه، ليتمكن بذلك من امتثاله، فإذا عرف ذلك اجتهد، واستعان بالله على امتثاله في نفسه وفي غيره، بحسب قدرته وإمكانه، وكذلك إذا نهى عن أمر عرف حده، وما يدخل فيه وما لا يدخل، ثم اجتهد واستعان بربه في مضاعفة، من غير نفع وانتفاع. تركه، وأن هذا ينبغي مراعاته في جميع الأوامر الإلهية والنواهي، وهذه الآيات الكريمات قد اشتملت على أوامر وخصال من خصال الخير، أن الله منع منه لما فيه من الظلم. أمر الله [بها] وحث على فعلها، وأخبر وذلك أن الله أوجب إنظار المعسر، عن جزاء أهلها، وعلى نواهي حث على

> ولعل الحكمة _والله أعلم _في إدخال هذه الآيات أثناء قصة «أحد» أنه قىدتىقىدم أن الله تىعىالى وعىد عبياده المؤمنين، أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم على أعدائهم، وخذل الأعداء عنهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّ تَصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾.

ثم قال: ﴿بلي إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم﴾ الآيات.

فكأنَّ النفوس اشتاقت إلى معرفة خصال التقوي، التي يحصل بها النصر والفلاح والسعادة، فذكر الله في هذه الآيات أهم خصال التقوى التي إذا قام العبد بها فقيامه بغيرها من باب أولى وأحرى، ويدل على ما قلنا أن الله ذكر لفظ «التقوى» في هذه الآيات ثلاث مرات: مرة مطلقة وهي قوله: ﴿ أعدت للمتقين ﴾ ومرتين مقيدتين ،

فقال: ﴿واتقوا اللهِ ﴿واتقوا النارِ﴾ فقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الذين آمنوا﴾ افعلوا كذا، أو اتركوا كذا، يدل على أن الإيمان هو السبب الداعى والموجب لامتثال ذلك الأمر، واجتناب ذلك النهي؛ لأن الإيمان هو

التصديق الكامل بما يجب التصديق به،

المستلزم لأعمال الجوارح، فنهاهم عن

أكل الربا أضعافاً مضاعَّفة، وذلكُ هو

ما اعتاده أهل الجاهلية، ومن لا يبالي بالأوامر الشرعية من أنه إذا حل الدين على المعسر ولم يحصل منه شيء، قالوا له: إما أن تقضى ما عليك من الدين، وإما أن نزيد في المدة، ويزيد ما في ذمتك، فيضطر ألفقير ويستدفع غريمة ويلتزم ذلك، اغتناماً لراحته الحاضرة، فيزداد ـ بذلك ـ ما في ذمته أضعافاً

ففي قوله: ﴿أَضِعَافَا مِضَاعِفَةٍ﴾ تنبيه على شدة شناعته بكثرته، وتنبيه لحكمة تحريمه، وأن تحريم الربا حكمته

وبقاء ما في ذمته من غير زيادة، فإلزامه بما فوق ذلك ظلم متضاعف، فيتعين على المؤمن المتقى تركه وعدم قربانه، لأن تركه من موجبات التقوي .

والفلاح متوقف على التقوى، فلهذا قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلُحُونَ * واتقوا النار التي أعدت للكافرين بترك ما يوجب دخولها، من الكفر والمعاصي، على اختلاف درجاتها، فإن المعاصي كلها .. وخصوصاً المعاصي الكبار _تجر إلى الكفر، بل هي من خصال الكفر الذي أعد الله آلنار لأهله، فترك المعاصى ينجى من النار، ويقى من سخط الجبار، وأفعال الخير والطاعة توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وحصول الرحمة، ولهذا قال: ﴿وأطيعوا الله والرسول﴾ بفعل الأوامر امتثالا، واجتناب النواهي ﴿لعلكم ترحمون﴾

فطاعة الله وطاعة رسوله، من أسباب حصول الرحمة كما قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ﴾ الآيات.

ثم أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمالً التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم، فقال: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ أي: في

يَنَاتُهُا الَّذِيرَ وَاسَنُوَّا إِن تُطِيعُواْ الَّذِيرَ كَمَرُواْ بَرُدُّوكُمْ عَلَىٓ أَعْقَابِكُمْ فَنَعَلِبُواْ خَلِيرِينَ @ بَلِ أَقَدُ مُولِّ عَلَيْهِ مُ وَهُوَ حَيْرُ ٱلنَّصِرِينَ @ سَنَفِي فِي مُلُوبِ الَّذِينَ كَمَرُواْ الرُّعْبِ عِمَّا أَشْرَكُواْ مَالَةُ مَالَةُ لُكُوْلُ وَوِي مُسْلِطِكُ أَوْمَكَ أُورَاهُمُ اَلْنَاازُوَيْشُوَ مَِثْوَى اَلْظَالِمِينَ ۞ وَلَقَدُ صَدَفَكُمُ أَلَهُ وَعَدَهُ وَإِذْ نَحُمُ وَيَهُم بِإِذْ نِدِعَ حَقَّى إذا فيشلث وتشكرغ تذب الأثير وعصيت وين بَعْدِ مَا ٓ أَرَبُ كُم مَّا يُحْبُونَ مِن كِمِن مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَ اوَمِنكُم مِّن بُرِيدُ الْآخِرَةُ ثُمَّمَ مَرَوَفَكُمُ عَنْهُ مُ لِيَنْتَلِيكُمُ وَلَقَدْ عَفَاعَنكُمْ وَأَتَدُدُوفَنْ إِل عَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ ﴿ إِذْ تُصَّعِدُونَ وَلَاتَ أُونَ عَلَىٰ لَعَدُ وَالرَّسُولُ بَنْعُوكُمْ فِي أَخْرَنْكُمْ التَّانَبَكُمْ عَتَاْبِعَتِمْ لِكَيْبِلَا تَحْسَرُ فُواْ عَلَىٰ مَا الله عَن مَ وَلَا مَا أَصَابَ كُمْ وَاللَّهُ خِيرُ إِمِمَا مَعَلُونَ ﴿ AND TO THE PROPERTY OF THE PARTY OF THE PART

حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً ولو قل.

﴿والكاظمين الغيظ﴾ أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم ـ وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول والفعل _، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسىء إليهم.

﴿والعافين عن الناس﴾ يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون يمن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وبمن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وأحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفُّو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله 🆫 .

شم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسسن وأعلى وأجل، وهمي الإحسان، فقال [تعالى: ﴿والله يحب المحسنين والإحسان نوعبان: الإحسان في عبادة الخالق. [والإحسان إلى المخلوق، فالإحسان في عبادة

Digital Children 5HH ثُدَّأَتَلَ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدِ الْغَيْمَ أَمَنَةُ نَقُ اسُا يَعْثَى ظَاهِنَةً مِنكُمُّ وَطَآبِفَةً قَدَا أَهَمَّتُهُمُ أَفْسُهُمْ يَظُنُّونَ فِأَلَّهِ عَيْرَ ٱلْحَقّ ظُنَّ ٱلْجَهِلِنَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَاسَ ٱلْأَثْرِينِ شَيْءَقُلْ إِذَا الْأَمْرَكُ لَمُهِلِّهِ يُخْفُونَ فِي أَغْسِهِم مَا لَابْتِدُونَ لَكَّ عَوُلُونَ لَوَكَانَ لَنَامِنَ الْأَصْرِشَى * مَا قُولُنَا هَفُنَّا قُلْ أَوْكُنتُهُ فِي يُونِكُرُ لَلَاَ ٱلَّذِينَ كُنِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْفَتْلُ إِلَّى مَضَاجِعِهِمَّ وَلِبَنَيْلِ أَلَّهُ مَا فِي صُدُودِكُمْ وَلِيْمَجْصَ مَا فِي قُلُوبِكُو ۗ وَأَلَّهُ عَلِيمُ إِنَاتِ الصُّدُورِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ نَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْنَقَ الْحَسَمُ اللَّهِ مَا السَّفَرَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَنُ بِيَعْضِ مَا كُلُّسُبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَنُورٌ عِلِيدٌ ﴿ يَنَايُهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانَكُونُوا حُمَّالَذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْزَيْهِمْ إِذَا مَنَرَهُوا فِ ٱلْأَرْضِ أَوْكَانُواْ عُنْزَى لَوْكَانُواْ عِنْدَا مَا مَانُواْ وَمَاقِبُلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي فُلُوبِهِمُّ وَلَقَدُعُي ءَدِّيبُتُ وَأَلَّهُ مِمَا نَعْمَلُوكَ بَصِيرٌ ۞ وَلَهِن قُيلُتُمْ فِي سَبِيلِ أَلَّهِ أَوْمُشُمْ لِلْقَفِرَةُ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِنَا يَجْمَعُونَ ۞ ADDEDON V KONGES الخالق](١)

فسرها النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، وعليم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم، والسعي في جمع كلمتهم، والستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق

ثم ذكر اعتذارهم لربهم من جناياتهم وذنوبهم، فقال: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ أي: صدر منهم أعمال [سيثة] (٢) كبيرة، أو ما دون ذلك، بادروا إلى الستوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وما توعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلهذا

قال: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾

﴿أُولِسُكُ المُوسُوفُونَ بِسَلْكُ الصَّفَاتِ ﴿جَزَاؤُهُمْ مَغَفُرةٌ مِن رَبِهُمُ ﴾ تزيل عنهم كل محذور، ﴿وجنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فيها من النعيم والبهاء، والخير والسرور والمقصور والمنازل الأنيقة العاليات، والأشجار المشمرة المساكن الطيبات، ﴿خالدين فيها ﴾ المساكن الطيبات، ﴿خالدين فيها ﴾ لا يحولون عنها، ولا يبغون بها بدلا، أجر العاملين ﴾ عملوا لله قليلاً فأجروا كثيراً في اعتد الصباح يحمد القوم السري، وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملاً موفراً.

وهذه الآيات الكريمات من أدلة أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافاً للمرجئة، ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية، التي سورة الحديد، نظير هذه الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به وبرسله، وهنا قال: ﴿أعدت للمتقين﴾. ثم وصف المتقين بهذه المعال المالية والبدنية، فدل على أن هؤلاء المتقين الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون.

﴿ ۱۳۷ _ ۱۳۸ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾

وهذه الآيات الكريمات، وما بعدها في قصة «أحد» يعزي تعالى عباده المؤمنين ويسليهم، ويخبرهم أنه مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتحنوا، وابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة وجاولة، حتى جعل الله العاقبة

للمتقين، والنصر لعباده المؤمنين، وآخر الأمر حصلت الدولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصر رسله وأتباعهم.

﴿فِسيروا في الأرض﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ فإنكم لا تجدونهم إلا معذبين بأنواع العقوبات الدنيوية، قد خوت ديارهم، وتبين لكل أحد خسارهم، وذهب عزهم وملكهم، وزال بذخهم وفخرهم، أفليس في هذا أعظم دليل، وأكبر شاهد على صدق ما جاءت به الرسل؟!!

وحكمة الله التي يمتحن بها عباده، ليبلوهم ويتبين صادقهم من كاذبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿هذا بيان للناس الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، وهو الإشارة إلى ما أوقع الله بالكذبين.

﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ لأنهم هم المنتفعون بالآيات فتهديهم إلى سبيل الرشاد، وتعظهم وتزجرهم عن طريق الغي، وأما باقي الناس فهي بيان لهم، تقوم [به] عليهم الحجة من الله، ليهك من هلك عن بينة.

ويحتمل أن الإشارة في قوله: ﴿هذا بيان للناس﴾ للقرآن العظيم، والذكر الحكيم، وأنه بيان للناس عموماً، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً، وكلا المعنين حق.

﴿ ١٣٩ _ ١٤٣ ﴾ ﴿ ولا تهند من ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويعلم الصابرين * ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون يقول تعالى مشجعاً

لعباده المؤمنين، ومقوياً لعزائمهم، ومنهضاً لهممهم: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغى منه ذلك، ولهذا قال [تعالى:] ﴿وأنتم الأعلون إنَّ كنتم مؤمنين﴾ .

ثم سلاً هم بما حصل لهم من الهزيمة، وبيَّن الحِكمَ العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: ﴿إِن يمسكم قرحٌ فقد مسَّ القوم قرح مثله ﴾ فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعلى: ﴿إِن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون من الله ما لا يرجون من الله ما لا يرجون كما قال كرجون من الله ما لا يرجون هم الله ما

ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والماجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الانرة، فإنها خالصة للذين آمنوا.

﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ هذا أيضاً من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمنين المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء واليسر والعسر، عن ليس كذلك.

﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ وهذا أيضاً من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله

من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحته بعباده المؤمنين، أن قيض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، فوالله لا يحب الظالمين الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضاً بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا لبطهم عن القتال في سبيله.

﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾.

وليمحص الله الذين آمنوا ♦ وهذا أيضاً من الحكم أن الله يمحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص الله أيضاً المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق، ومن الحكم أيضاً أنه يقدر ذلك، ومن الحكم أيضاً أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون سببا ليمحق التصروا، بغوا، وازدادوا طغياناً إلى طغيانهم، يستحقون به المعاجلة إنا انتصروا، بعوا، وازدادوا طغياناً إلى العقوبة، وابته بعباده المؤمنين.

ثم قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ استفعاه انكارى، أي: لا تظندا،

بستفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد ويسبيل الله عند توطين النفس لها، ويسبيل الله عند توطين النفس لها، تنقلب عند أرباب البصائر منحاً يسرون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم ويخهم تعالى على عدم صبرهم بأمر كانوا يتمنونه ويودون حصوله، فقال: ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ﴾ وذلك أن كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم ممن فاته بدر يتمنون أن يحضرهم، قال الله [تعالى] لهم: ﴿فقد حِهدهم، قال الله [تعالى] لهم: ﴿فقد رأيتم ما تمنيتم بأعينكم ﴿وأنتم تنظرون ﴾ فما بالكم وترك الصبر؟ هذه حالة لا تليق ولا تحسن، خصوصاً لمن تمنى ذلك، وحصل له ما واستفراغ الوسع في ذلك.

وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكره تمني الشهادة، ووجه الدلالة أن الله تعالى أقرهم على أمنيتهم، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها، والله أعلم.

﴿ ١٤٤ ـ ١٤٥ ﴾ ثمم قبال تعالى: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يخسر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الذيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ﴾

يقول تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: ﴿أَوْإِنْ مَاتَ أُو قَتْلُ القليم على أعقابكم﴾ بترك ما جاءكم به من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك.

قال [الله] تعالى: ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ﴾ إنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من إنقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامتثل أمر ربه، فقال: ﴿وسيعجري الله

الشاكرين والشكر لا يكون إلا بالقيام بعبودية الله تعالى في كل حال.

باللهام بعبوديه الله تعلى هي دل سال.
وفي هذه الآية الكريمة إرشاد
لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض
لوازمه، فقدُ رئيس ولو عظم، وما ذاك
الابالاستعداد في كل أمر من أمور
الدين بعدةِ أناس من أهل الكفاءة فيه،
إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون
عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله،
والجهاد عنه، بحسب الإمكان،
لا يكون لهم قصد في رئيس دون
رئيس، فبهذه الحال يستتب لهم

وفي هذه الآية أيضاً أعظم دليل على فضيلة الصديق الأكبر أبي بكر، وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله على الأنهم هم سادات الشاكرين.

ثم أخبر تعالى أن النفوس جميعها متعلقة بآجالها بإذن الله وقدره وقضائه، فمن حَتَّم عليه بالقدر أن يموت، مات ولو بغير سبب، ومن أراد بقاءه، فلو أتى (١) من الأسباب كل سبب، لم يضره ذلك قبل بلوغ أجله، وذلك أن الله قضاه وقدره وكتبه إلى أجل مسمى: ﴿إذا جاء أجلهم فسلا يسستاخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.

ثم أخبر تعالى أنه يعطي الناس من ثواب الدنيا والآخرة ما تعلقت به إراداتهم، فقال: ﴿ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها .

قال الله تعالى: ﴿ كُلاَّ نَمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾.

﴿وسنجزي الشاكرين﴾ ولم يذكر جـزاءهـم ليدل ذلـك عـلى كمشرتـه وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلة وكثرة وحسناً.

﴿١٤٦ ـ ١٤٨﴾ ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله بحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانتصرنا على النَّقوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين، هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كأن متقدماً، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: ﴿وكأين من نبى ﴾ أي: وكم من نبي ﴿قاتل معه ربيون كثير﴾ أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد ربتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك .

﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ﴾ أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال: ﴿والله يجب الصابرين﴾.

ثم ذكر قولهم واستنصارهم لربهم، فقال: ﴿وما كان قولهم﴾ أي: في تلك المواطن الصعبة ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها.

ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستغفار، نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿فَاتَاهُمُ اللهُ وُوابِ الدنيا﴾ من النصر والظفر

والغنيمة، ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المنكدات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء، فلهذا قال: ﴿والله يجب المحسنين﴾ في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء، كفعل هؤلاء الموصوفين(٢).

﴿ ١٤٩ - ١٥٩ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمن ﴾ .

وهذا نهي من الله للمؤمنين أن يطيعوا الكافريين من المنافقين والمسركين، فإنهم إن أطاعوهم لم يسريدوا لهم إلا السسر، وهم اقصدهم] (٢) ردهم إلى الكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران.

ثم أخبر أنه مولاهم وناصرهم، ففيه إخبار لهم بذلك، وبشارة بأنه سيتولى أمورهم بلطفه، ويعصمهم من أنواع الشرور.

وفي ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذه وحده ولياً وناصراً من دون كل أحد، فمن ولايته ونصره لهم أنه وعدهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم من الكافرين الرعب، وهو الخوف العظيم الذي يمنعهم من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى.

وذلك أن المشركين _ بعدما انصرفوا من وقعة «أحد» _ تشاوروا بينهم، وقالوا: كيف ننصرف، بعد أن قتلنا منهم من قتلنا، وهزمناهم ولما نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فانصرفوا خائبين، ولا شك أن هذا من أعظم النصر، لأنه قد تقدم أن نصر الله لعباده المؤمنين لا يخرج عن أحد أمرين: إما أن يقطع

﴿منكم من يريد الدنيا﴾ وهم الذين أوجب لهم ذلك ما أوجب، ﴿ومنكم من يريد الأخرة﴾ وهم الذين لزموا أمر رسول الله ﷺوثبتوا حيث أمروا.

﴿ثم صرفكم عنهم﴾أي: بعدما وجدت هذه الأمور منكم، صرف الله وجوهكم عنهم، فصار الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم وامتحاناً، ليتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصى، وليكفر الله عنكم بهذه المصيبة ما صدر منكم، فلهذا قال: ﴿ ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث منَّ عليهم بالإسلام، وهداهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيباتهم .

ومن فضله على المؤمنين أنه لا يقدر عليهم خيراً ولا مصيبة،" إلا كان خيراً لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فيصبروا، جازاهم جزاء الصابرين.

﴿ ١٥٢ _ ١٥٤ ﴾ ﴿إِذْ تسصىعـــدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثباكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابك والله خبير بما تعملون * ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبشلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبك والله عليم بذات الصدور ﴾ يذكرهم تعالى حالهم في وقت انهزامهم عن القتال، ويعاتبهم على ذلك، فقال: ﴿إِذْ تَصِعِدُونَ ﴾ أي: تجِدُونَ في الهرب ﴿ولا تلوون على أحد انى: لا يلوى أحدمنكم على أحد، ولا ينظر إليه،

بل ليس لكم هم إلا الفرار والنجاء عن

طرفاً من الذين كفروا، أو يكبتهم ورسوله. فينقلبوا خائبين، وهذا من الثاني.

ثم ذكر السبب الموجب لإلقاء

الرعب في قلوب الكافرين، فقال: ﴿ بِمِا أَسُرِكُوا بِاللهِ مِا لَمْ يِسْزِلُ بِهِ سلطاناً ﴾ أي: ذلك بسبب ما اتخذوا من دونه من الأنداد والأصنام، التي اتخذوها على حسب أهواتهم وإرادتهم الفاسدة، من غير حجة ولا برهان، وانقطعوا من ولاية الواحد الرحن، فسمن ثسم كبان المشبرك مبرعبوبياً مين المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدة وضيق، هذا حاله في الدنيا، وأما في الآخرة فأشد وأعظمَ، ولهذا قال: ﴿ومأواهم النار﴾أي: مستقرهم الذي يأوون إليه ولیس لهم عنها خروج، ﴿وبِئس مثوى الظالمين بسبب ظلمهم وعدوانهم صارت النار مثواهم .

﴿١٥٢﴾ ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلت وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد مأ أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾أي: ﴿ولقد صدقكم الله وعده بالنصر، فنصركم عليهم، حتى ولوكم أكتافهم، وطفقتم فيهم قتلاً، حتى صرتم سبباً لأنفسكم، وعوناً لأعدائكم عليكم، فلما خصل منكم الفشل وهو الضعف والخور ﴿وتنازعتم في الأمر﴾الذي فيه ترك أمر الله بالاتتلاف وعدم الاختلاف، فاختلفتم، فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا فيه النبي علي الله ومن قائل: ما مقامنا فيه وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور، فعصيت الرسول، وتركتم أمره من بعدماً أراكم الله ما تحبون وهو انخذال أعدائكم؛ لأن الواجب على من أنعم الله عليه بما أحب، أعظم من

فالواجب في هذه الحال خصوصاً، وفي غيرها عموماً، امتثال أمر الله

ا فَإِذَا عَزَمْتَ مَنَوَسَكَ لَ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُؤْكِلِينَ ﴿ إِن يَصُرُكُمُ ٱللَّهُ فَلَاغَالِبَ لَكُوْ وَإِن يَخْذُلُكُو ۚ فَنَ ذَا ٱلَّذِي يَحْمُرُكُمُ مِنْ بَعْدِهِ أَءُوعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّ لِمَا لَكُوْمِنُونَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَن يَعُلُ وَمَن يَعْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ ٱلْفِيدَ حَذْفُمُ مَّوَفًا كُلُّ نَفْسِ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَابُطْلَمُونَ ۞ أَفَنَ الْبَعْ رِضُوانَ أللَّهَ كَنَنُّ بِكَنَّةٍ بِسَخَطِينَ اللَّهِ وَمَأْوَلَهُ جَعَنَمُ وَّيَشُنَ ٱلْمَصِيرُ الله هُمْ دَرَجَاتُ عِندَالْقَةِ وَاللَّهُ مَصِيرٌ بِمَا يَعْسَلُونَ ﴿ لَقَدْمَنَ أَلِلَهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ لِعَثَ فِيهِدُ رَصُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَنتِهِ عَوْرُكِتِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِحَبّ ۞ أَوَكَأَ أَصَبَتَكُمُ شُعِيبَةً مَذَ أَسَبْتُ مِثْلِيَهَا ثَلْتُ أَنَّ مَا ذَا مُ اللَّهُ مُوَمِنَ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كَلِّينَيْ وِفِيرً ﴿ OVERSE WERRED

والحال أنه ليس عليكم خطر كبير، إذ لستم آخر الناس مما يلي الأعداء، ويباشر الهيجاء، بل ﴿ والرسول يدعوكم في أخراكم الى: بما يلي القوم يقول: «إلى عباد الله»، فلم تلتفتوا إليه، ولا عرجتم عليه، فالفرار نفسه موجب للوم، ودعوة الرسول الموجبة لتقديمه على النفس، أعظم لوماً بتخلفكم عنها، ﴿فأثابكم ﴾أى: جازاكم على فعلكم ﴿غما بغم﴾أي: غماً يتبع غماً، غمّ بفوات النصر وفوات الغّنيمة، وغم بانهزامكم، وغم أنساكم كل غم، وهو سماعكم أن محمداً ﷺ قد قتل.

وَلَين مُّنَّدَ أَوْقِيَاتُمُ لَإِلَى اللَّهِ تَحْشَرُونَ ﴾ فِهَارَهْمَ وَمِنَ

﴿ مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَمُمْ وَسَاوِدُهُمْ فِ ٱلْأَمْرُ

ولكن الله بلطفه وحسن نظره لعباده _ جعل اجتماع هذه الأمور لعباده المؤمنين خيراً لَهم، فقال: ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم لمن النصر والظفر، ﴿ولا ما أصابكم﴾من الهزيمة والقتل والجراح، إذا تحققتم أن الرسول ﷺ يقتل هانت عليكم تلك المصيبات، واغتبطتم بوجوده المسلى عن كل مصيبة ومحنة، فلله ما في ضمن البلايا والمحن من الأسرار والحكم، وكل هذا صادر عن علمه وكمال خبرته بأعمالكم، وظواهركم وبواطنكم، ولهذا قال: ﴿والله خبيس بما تعملون،

ويحتمل أن معنى قوله: ﴿لكيلا

قال تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لِيسَ لَكُ

عليهم سلطان﴾ ثم أخبر أنه عفا عنهم

بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة، وإلا

﴿إِن الله غفور ﴾ للمذنبين الخطائين

بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار،

والمسائب المكفرة، ﴿حليم﴾

لا يعاجل من عصاه، بل يستأنى به،

ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عُليه.

ثم إن تاب وأناب قبل منه، وصيره

﴿١٥٨ _ ١٥٨﴾ ﴿يا أيها اللَّذِينَ

آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا

لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو

كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما

قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم

والله يحيى ويميت والله بما تعملون

بصير * ولئن قتلتم في سبيل الله أو

متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما

يجمعون * ولئن متم أو قتلتم لإلى الله

تحشرون﴾ ينهي تعالى عباده المؤمنين أن

يشابهوا الكافرين، الذين لا يؤمنون

بريهم، ولا بقضائه وقدره، من

ينهاهم عن مشابهتهم في كل شيء،

وفيي هذا الأمر الخاص وهو أنهم

يقولون لإخوانهم في الدين أو في

النسب: ﴿إِذَا صَرِبُوا فِي الأَرْضِ﴾

أي: سافروا للتجارة ﴿أُو كَانُوا غَزِي﴾

أي: غزاة، ثم جري عليهم قتل أو

موت، يعارضون القدر ويقولون:

﴿لُو كَانُوا عَنْدُنَا مَا مَاتُوا وَمَا قَتُلُوا﴾

وهذا كذب منهم، فقد قال تعالى:

﴿قُلُ لُو كُنتُم فِي بِيُوتِكُم لِبُرِزُ الَّذِينَ

كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم

ولكن هذا التكذيب لم يفدهم، إلا

أن الله يجعل هذا القول، وهذه العقيدة

حسرة في قلوبهم، فتزداد مصيبتهم،

المنافقين وغيرهم.

كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه

عيب، فلله الحمد على إحسانه.

فلو واخذهم لاستأصلهم.

يشمل الأمر القدري، والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبة (١) النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته، وإن جرى

من سلطان.

أنفسهم ما لا يبدون لك﴾ ثم بين الأمر لنا من الأمر شيء ﴾ أي: لو كان لنا في هاهنا﴾ وهذا إنكار منهم وتكذيب وتزكية منهم لأنفسهم، فرد الله عليهم القدر والقضاء، فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئاً، بل لا بدأن يمضى الله ما في قلوبكم♦ من وساوس الشيطان،

﴿والله عليم بذات الصدور ﴾ أي: بما فيها وما أكنته، فاقتضى علمه وحكمِته أن قدر من الأسباب، ما به تظهر نُحبَّآت الصدور وسرائر الأمور .

﴿١٥٥﴾ ثم قال تعالى: ﴿إِن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم (أحد) وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم

عليهم ما جري.

﴿يخفون ﴿ يعنى المنافقين ﴿ في الذي يخفونه، فقال: ﴿يقولون لو كان هذه الواقعة رأى: ومشورة ﴿ما قتلنا بقدر الله، وتسفيه منهم لرأي: رسول الله على ورأى: أصحابه، بقوله: ﴿قُلْ لُو كُنتُم فِي بِيُوتَكُمُ الَّتِي هي أبعد شيء عن مظان القتل ﴿لبرز النين كتب عليهم المقتل إلى مضاجعهم الأسباب وإن عظمت _إنما تنفع إذا لم يعارضها كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحسياة، ﴿وَلَيْسِتُمْلِي اللهِ مَا فَسَيِّ صدوركم﴾ أي: يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان، ﴿وليمحص ما وما تأثر عنها من الصفات غير

الحميدة .

وَمَا أَصَدِ كُوْوَمَ ٱلْنَقَى ٱلْجُمْعَانِ فِيإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْ لَرَ ٱلْأَيْمِينِ وَ @ وَلِيَعَلَرُ الَّذِينَ نَافَعُواْ وَفِيلَ لَمُهُمْ تَمَا لَوْا فَنِيلُواْ فِي سَبِيلِ الْعَهِ آوادَفَعُوّاً فَسَالُوا لَوَمَنَا لَهُ يَسَالُا لَأَنْبَعَنَكُمُّ هُنُمْ لِلْسَحُفْرِ يَوْمَهِ ذِأَفْرَ مِنْهُمْ لِلإِعَنْ بَقُولُونَ بِأَفْرَاهِهِ مِمَالِيَنَ فِي قُلُوبِهِ رِّوَالَقَهُ أَعَلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۞ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَيِتُلُواْ قُلْ فَاذْرَهُ وَأَعَنْ أَفْسِكُمُ ٱلْمُوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِينِينَ ﴿ وَلَا غَسَابَنَّ ٱلَّذِينَ مُنِينًا وُأ في سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَانًا بَلْ أَحْبَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ مُرْزَغُونَ اللَّهِ فَيِهِينَ بِمَا ءَانَتَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضَلِهِ مُوَيَسْتُنْفِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَرَيَلْحَقُواْ بِهِدِينَ خَلِفِهِ ذِالْآخَوْنُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَخْزُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَسْلِ وَأَنَ الْقَدَلَائِفِيمُ لَمْرَ ٱلْمُوْمِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُولُهُووَالرَّسُولِينُ بَعْدِمَا لَسَابَهُمُ ٱلْفَرْحُ لِلَّذِيكَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّفُوا أَجْرُ عَظِيدٌ ۞ الَّذِينَ قَالَ لَمَتُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْجَمَعُوا لَحَمَّمَ فَأَخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِينَنَا وَفَا أَوْاحَسْ بُنَا اللَّهُ وَفِيمَ الْوَسِيلُ ﴾ ACCOUNT W CONSES

يعنى: أنه قدر ذلك الغم والمصيبة عليكم، لكي تتوطن نفوسكم، وتمرنوا على الصبر على الصيبات، ويخف عليكم تحمل المشقات: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم الذي أصابكم ﴿ أَمِنةً نُعاساً يغشى طَأْتُفة مِنكُم ﴾. ولا شك أن هذا رحمة بهم،

تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم

وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وزيادة طمأنينة ؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس.

وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين.

وأما الطائفة الأخرى الذين ﴿قد أهمتهم أنفسهم ﴾ فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم، فلهذا لم يصبهم من النُّعَاس ما أصاب غيرهم ﴿ فِيقُولُونَ هِلَ لَنَا مَنِ الْأَمْرِ مِنْ شيء ﴾ وهذا استفهام إنكاري، أي: ما لنا من الأمر _أي: النصر والظهور _ شيء، فأساؤوا الظن بربهم وبدينه ونبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين الله، قال الله في جوابهم: ﴿قُلُ إِنَّ الْأُمْرُ كُلَّهُ لِللَّهِ ۗ الْأُمُّرِ

وأما المؤمنون بالله فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله، فيؤمنون ويسلمون،

فيهدي الله قلوبهم ويثبتها، ويخفف فكيف بغيره؟! بذلك عنهم المصيبة.

> قال الله رداً عليهم: ﴿والله يحيي ويميت﴾ أي: هو المنفرد(١) بذلك، فلا يغني حذر عن قدر.

> ﴿والله بِما تعملون بصير﴾ فيجازيكم بأعمالكم وتكذيبكم.

> ثم أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفض وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم، وأن الخلق أيضاً إذا ماتوا أو قتلوا بأي: حالة كانت، فإنما مرجعهم إلى الله، ومآلهم إليه، فيجازي كلا بعمله، فأين الفرار إلا إلى الله، وما للخلق عاصم إلا الاعتصام بحبل الله؟!!

> ﴿١٥٩﴾ ﴿فيما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظأ غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذأ عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴿ أَي: برحمة الله لك والأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت^(٢) لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك.

﴿ولو كنت فظاً ﴾ أي: سيىء الخلق ﴿ غليظ القلب ﴾ أي: قاسيه، ﴿لانفضوا من حولك﴾ لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول،

أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به على، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله.

ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه على، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان.

﴿وشاورهم في الأمر﴾ أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الآستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره: منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله.

ومنها: أن فيها تسميحاً لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس _إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث ... اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد (٣) عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير

ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأى: المصيب، فإن الشاور لا يكاد يخطىء في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ _وهو أكمل الناس عقلاً، وأغزرهم علماً، وأفضلهم رأياً ..: ﴿وشاورهم في الأمر ﴾ فكيف يغيره؟!

لَّ فَانْعَلَبُواْ بِيْعَمَةِ مِنَ أَنَّهِ وَفَضْلِ لَزَيِّسَتُهُمْ سُوَّ وَأَنَّبُعُواْ رِيضَوَنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ دُوضَه لِعَظِيمِ ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطُانُ البُخَوْتُ أَوْلِيمَاءَمُّ فَلَا تَعَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُسُمُ مُّوْمِينِ كَ وَلا يَحْزُنُكَ الَّذِيرَ لَيُسْرَعُونَ فِي ٱلْكُفُرُ إِنَّهُولَن يَصُرُّواْ اللَّهَ شَيْنَا أُرِيدُ اللَّهُ أَلَا يَعْمَلَ لَكُمْ حَظًّا فِ الْآخِرَةِ وَلَمْزِعَذَابُ عَظِيدُ ۞ إِنَّ ٱلَّذِيكَ ٱشْتَرُواْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمْنِ لَنَ بَضُرُواْ اللَّهَ شَيْنَا وَلَمُهُمْ عَذَاكُ أَلِيدٌ ۞ وَلَا يَضَابَنَ ٱلَّذِيكَ كَفَرُوٓ أَأَمَّا مَنل هَمْ خَيْرٌ لِأَفْسُهِمْ إِنَّا غُلِ هَمْ لِيزُدَادُوْ إِفَّا وَهُمْ عَذَابُ مُّهِينٌ ۞ مَّا كَانَ أَنَّهُ لِيَذَرَأَ لُتُؤْمِنِينَ عَلَىٰمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَيْزَ ٱلْخَيِتَ مِنَ ٱلطَّيْبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَ كُمْ عَلَ ٱلْفَيْبِ وَلِنَكِنَّ ٱللَّهَ يَعِنَّنِي مِن زُّسُلِهِ عَن يَشَآهُ فَعَامِثُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ عَوَان تُوْمِنُواْ وَيَنْقُواْ فَلَكَمُ مَأْخُرُ عَظِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ عِمَاءَ النَّهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضِّلِهِ عُوخَيْرًا لَمْمُ أَلْهُ هُوَضَرُّكُمْ شَكِطُوَّفُونَ مَا يَخِلُواْبِهِ مَقِمَ ٱلْفِيكَ مَا يَّ أُ وَيَقْهِ مِيزَتُ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضُ وَٱللَّهِ عِمَاتَعَمَالُونَ فَي يرُّ DEEDE WEDDED!

ثم قال تعالى: ﴿ فإذا عزمت ﴾ أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة ﴿فتوكل على الله ﴾ أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئاً من حولك وقوتك، ﴿إِن الله يحب المتوكلين، عليه، اللاجئين إليه.

﴿١٦٠﴾ ﴿إِن يستصركه الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فسليتوكسل المؤمسنسون ﴾ أي: إن يمددكم الله بنصره ومعونته ﴿فلا غالب لكم﴾ فلو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعُدد، لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه .

﴿وإِن يُخذلكم ﴾ ويكلكم إلى أنفسكم ﴿فمن ذا الذي ينصركم من بعده؟ ﴾ فلا بد أن تنخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق.

وفسي(٤) ضمسن ذلسك الأمسر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿ تقديم المعمول يؤذن بالحصر، أي: على الله

(Y)

في الأصل: (لنت).

في ب: المتفرد. (1)

⁽٣)في ب: يستبد.

CHEURS . はは لَقَدْسَيَمَ اللَّهُ قُولَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهُ فَقِ يُرُّونَغَنُّ أَغِيكَا أُسَنَكُتُ مَاقَالُوا وَقَلْهُ مُوالْأَيْكَاءَ بِعَكْرِحَقَ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ ذَلِكَ مِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَ اللَّهَ لَيْسَ بِطَلَّامِ لِلْعَبِيدِ ﴿ ٱلَّذِينَ فَالْوَالِتَ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْكَ أَلَّا نُوْمِنَ لِرَسُولِ حَنَّى بَأَيْنَكَ بِقُرْبَانِ تَأْكُلُهُ ٱلنَّازُقُلْ فَدْجَآءَكُمْ رُسُلِّ مِنْ فَبْلِي بِٱلْيَتِنَتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُ وَلِيَارَفَ لَنَاتُمُوهُمْ إِن كُنُتُوصَا بِفِيرَ ﴿ فَإِن كَ فَقُوكَ فَقَدْ كُذِبَ رُسُلٌ مِن فَسَاكَ جَآءُو بِٱلْبِيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِنْفِ الَّذِيدِ ﴿ كُلُّ مَيْنِ نَآيِفَ أَلْوَنِ وَإِنَّا أَوْزَنَ أَجُورَكُمْ مِوْمَ ٱلْقِيلَ مَوَّ فَمَن زُعُونِعَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأَدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَ أَزُّومَا ٱلْفَيْوَةُ الدُّنِيَّ إِلَّامَتَكُ الْفُرُودِ ﴿ • كَتَبْلُونَ فِ أَمْوَلِكُوْ وَأَنْشِكُمْ وَلِثَنْتَهُنَّ مِنَ الَّذِي أُوقُوا الْكِنْبَ مِن فَهْ لِحَكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوۤ ٱلْذَى كَيْدِيرًا وَإِن نَصْبِهُواْ وَمَنَّ فُواْ فَإِن َ ذَلِكَ مِنْ عَسَرْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿ TOWN TOWN WE TOWN

توكلوا لا على غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار.

وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله.

﴿١٦١﴾ ﴿وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون الغلول هو: الكتمان من الغنيمة، [والخيانة في كل مال يتولاه الإنسان](١) وهو محرة إجماعاً، بل هو من الكبائر، كما تدل عليه هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص، فأخبر الله تعالى أنه ما ينبغي ولا يليق بنبى أن يغل، لأن الغلول - كما علمت من أعظم الذنوب وأشر العيوب. وقد صان الله تعالى أنبياءه عن كل ما يدنسهم ويقدح فيهم، وجعلهم أفضل العالمين أخلاقاً، وأطهرهم نفوساً، وأزكاهم وأطيبهم، ونزههم عن كل عيب، وجعلهم محل رسالته، ومعدن حكمته ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾.

فبمجرد علم العبد بالواحد منهم، يجرم بسلامتهم من كل أمر يقدح فيهم، ولا يحتاج إلى دليل على ما قيل فيهم من

أعدائهم، لأن معرفته بنبوتهم، مستلزم لدفع ذلك، ولذلك أتى بصيغة يمتنع معها وجود الفعل منهم، فقال: ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ أي: يمتنع ذلك ويستحيل على من اختارهم الله لنبوته. ثم ذكر الوعيد على من غل، فقال: ﴿ومن يغلل يأت بما غلى يوم القيامة﴾ أي: يأت به حامله على ظهره، حيواناً

لا ذكر عقوبة الغال، وأنه يأتي يوم القيامة بما غله، ولما أراد أن يذكر توفيته وجزاءه، وكان الاقتصار على الغال يوهم _ بالمفهوم _ أن غيره من أنواع العاملين قد لا يوفون _ أتى بلفظ عام جامع له ولغيره.

في هذه الآية الكريمة.

(177 _ 177) ﴿أف من البع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومآواه جهنم وبئس المصير *هم درجات عند الله والله بسير بما يعملون ﴾ يخبر تعلى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، عمن هو مكب على المعاصي، مسخط لربه، هذان لا يستويان في حكم الله، وفي فطر عباد الله.

﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً، لا يستوون ﴾ ولهذا قال هنا: ﴿هم درجات عند الله ﴾ أي: كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم.

فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل والغرفات، فيعطيهم الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم، والمتبعون لمساخط الله يسعون في المنزول في الدركات إلى أسفل سافلين، كل على

حسب عمله، والله تعالى بصير بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، بل قد علمها، وأثبتها في اللوح المحفوظ، ووكل ملائكته الأمناء الكرام، أن يكتبوها ويحفظوها، ويضبطونها.

﴿ ١٩٤٤ ﴾ ﴿ لقد من أنفسهم يتلو إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ هذه المنة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي عباده ألذي أنقذهم الله به من الضلالة، الذي أنقذهم الله به من الضلالة، من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، عليهم آيات الله، يعلمهم ألفاظها ومعانيها.

﴿ويـزكـيـهـم﴾ من الـشـرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوى، الأخلاق.

و ﴿يعلمهم الكتاب ﴾ إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، فيكون قوله: ﴿يتلو عليهم آياته ﴾ المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب - هنا - الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم وتحفظ، ﴿والحكمة ﴾ هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة.

فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين، ﴿وإن كانوا من قبل﴾ بعثة هذا الرسول ﴿لهٰي ضلال مبين﴾ لا يعرفون الطريق الموصل إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض

ذلك عقول العالمين.

﴿ ١٦٥_١٦٨﴾ ﴿أُولَمَا أَصَابِتُكُم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير * وما أصابكم يوم التقي الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين * وليملم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قبلوبهم والله أعبله بنميا يكتمون * الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ مذا تسلية من الله تعالى لعباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم اأحدا، وقتل منهم نحو سبعين، فقال الله: إنكم ﴿قد أصبتم﴾من المشركين ﴿مثليها ﴾ يوم بدر فقتلتم سبعين من كبارهم وأسرتم سبعين، فليهن الأمر ولتخف المصيبة عليكم، مع أنكم لا تستوون أنتم وهم، فإن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار.

﴿قلتم أنى هذا﴾أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمنا؟ ﴿قل هو من عند أنفسكم ﴾حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية.

﴿إِن الله على كل شيء قدير﴾ فإياكم وسوء الظن بالله، فإنه قادر على نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم. ﴿ذلك ولو يشاء الله، لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾.

ثم أخبر أن ما أصابهم يوم التقى الجمعان، جمع المسلمين وجمع المشركين في قاحد، من القتل والهزيمة، أنه بإذنه وقضائه وقدره، لا مرد له ولا بد من وقوعه. والأمر القدري _إذا نفذ، لم يبق إلا التسليم له، وأنه قدره لحكم عظيمة وفوائد جسيمة، وأنه ليتبين بذلك المؤمن من المنافق، الذين لما أمروا

وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي: ذباً عن دين الله، وحماية له وطلباً لمرضاة الله، وأو ادفعوا عن عارمكم وبلدكم، إن لم واعتذروا بأن وقالوا لو نعلم قتالاً بينكم وبينهم قتال لا تبعناكم، وهم بينكم وبينهم قتال لا تبعناكم، وهم كلابة في هذا. قد علموا وتيقنوا وعلم من الحنق والغيظ على المؤمنين بما أصابوا منهم، وأنهم قد بذلوا أموالهم، وجمعوا ما يقدرون عليه من الرجال والعدد، وأقبلوا في جيش عظيم

المؤمنين قتال؟ خصوصاً وقد خرج المسلمون من المدينة وبرزوا لهم، هذا من المستحيل، ولكن المنافقين ظنوا أن هذا العذر، يروج على المؤمنين، قال تعالى: ﴿هم للكفر يومثذ﴾أي: في تلك الحال التي تركوا فيها الخروج مع

قاصدين المؤمنين في بلدهم، متحرقين

على قتالهم، فمن كانت هذه حالهم،

كيف يتصور أنهم لا يصير بينهم وبين

المؤمنين ﴿أقرب منهم للإيمان، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴿ وهذه خاصة المنافقين، يظهرون بكلامهم وفعالهم ما يبطنون ضده في قلوبهم وسرائرهم.

ومنه قولهم: ﴿لونعلم قتالاً لاتبعناكم﴾فإنهم قد علموا وقوع القتال.

ويستدل بهذه الآية على قاعدة «ارتكاب أخف المسسدتين لدفع أعلاهما» وفعل أدنى المسلحتين، للعجز عن أعلاهما» ولأن المنافقين أمروا أن يقاتلوا للدين، فإن لم يفعلوا فللمدافعة عن العيال والأوطان] (١) ﴿ وَاللّهُ أَعلم بِما يكتمون ﴿ وَيلا بِعاده المؤمنين، ويعاقبهم عليه.

ثم قال تعالى: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا﴾ أي: جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله

أُولِهُ لَغَذَا لَهُ مِيثَقَ الَّذِي أُوفُواْ الْكِتْكَ لَتُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ ولاتكتُمُونَمُ فَنَيَدُوهُ وَزَاتَهُ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ عَنَا الْ فَلِيلَا فَيَفْسَ مَا يَشْفَرُونَ ﴿ لَا تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ إِمَّا أَنَوْاْ وَكُيُّوكِ أَن يُحْمَدُواْ مَا لَزَهَا كُوْهَا كُوْلَا غَسَبَنَّهُمُ إِيمَازَةِ مِنَ ٱلْعَكَدَابُ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيدٌ ﴿ وَيَعَوِمُلْكُ ٱلسَّكَوَٰتِ وَٱلْأَرْضُ وَٱللَّهُ عَلَىٰكُلِّ شَيْءٍ فَدِيرٌ ۞ إِنَّ في خَلْق ٱلسَّ مُؤَتِ وَأَلْأَرْضِ وَأَخْتِلَفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَلَتِ النَّوْلِ الْأَلْفِ ﴿ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ اللَّهَ فِلْمَا وَقُعُونًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَحَكُرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَيِ وَٱلْأَرْضِ الربَّنَا مَاخَلَقْتَ هَنْفَا بَطِلَا مُسْبَحَنَّكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿ إُ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلسَّارَفَقَدْ أَخْرَيْتُ ثُمَّوَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْسَارِ ﴿ زَبِّنَا إِنَّنَاسِمِعْنَا مُنَادِبَا بُنَادِي الْإِيمَنِ أَنَّ المِنُوارِيكُوْ فَعَامَنَا أَرَبَّنَا فَأَغْفِرْلِنَا ذُنُوبَنَا وَكَيْفِرْعَتَّا المَّا سَيِعَالِنَا وَتُوَفِّنَا مَعَ ٱلْأَضْرَادِ ﴿ رَبَّنَا وَمَالِنَا مَاوَعَدَتُنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُحَيِّزُنَا يَوْمَ ٱلْقِينَدَةُ إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ لِلْمِعَادَ ۞ TO MODE TO BORDED'S

6期課 图

विकास

وقدره، قبال الله رداً عليهم: ﴿قبل فادرؤوا﴾أي: ادفعوا ﴿عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾إنهم لو أطاعوكم ما قتلوا، لا تقدرون على ذلك ولا تستطيعونه.

وفي هذه الآيات دليل على أن العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأخرى.

﴿ ١٦٩_ ١٧١﴾ ﴿ولا تحسب ن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين معند الآيات الكريمة (٢٦ فيها فضيلة ^(٣) الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: ﴿ولا تحسبن الذين قسلوا في سبيل الله أي: في جهاد أعداءً الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله ﴿ أَمُواتًا ﴾ أي: لا يخطر بسالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها،

MODERAL VICEOROLO الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة. ﴿بل﴾ قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم ﴿أحياء عندربهم﴾ في دار كرامته .

ولفظ: ﴿عند ربهم﴾ يقتضي علو درجستهم، وقسربهم من ربهم، ﴿يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا ﴿فرحين بسما آتاهم الله من فضله اي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنخص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتم لهم^(۱) النعيم والسرور، وجعلوا ﴿يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي: يبشر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، ﴿الاخوف عليهم ولا هم يحزنون أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور، ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل﴾ آي: يهنيء بعضهم بعضاً، بأعظم مهنأ

به، وهو: نعمة ريهم، وفضله، وإحسانه، ﴿وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

وفى هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عندربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضاً، وتبشير بعضهم بعضاً. ﴿۱۷۷ _ ۱۷۷﴾ ﴿السنيسن

أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم النباس إن النباس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فيضل عظيم * إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ لما رجع النبي ﷺ من «أحدا إلى المدينة، وسمع أنَّ أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا _على ما بهم من الجراح _ استجابة لله ولرسوله، وطاعة لله ولرسوله، فوصلوا إلى «حراء الأسد»، وجاءهم من جاءهم وقال لهم: ﴿إِنَّ السنياس قيد جمعيوا ليكسم ﴾ وهموا باستئصالكم، تخويفاً لهم وترهيباً، فلم يزدهم ذلك إلا إيماناً بالله واتكالاً

﴿وقالوا حسبنا اللهِ أي: كافينا كل ما أهمنا ﴿ونعم الوكيل﴾ المفوض إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم. ﴿فَانْقُلْبُوا﴾ أي: رجعوا ﴿بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾.

وجاء الخبرُ المشركينَ أن الرسول وأصحابه قد خرجوا إليكم، وندم من تخلف منهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل،

حيث منَّ عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة والاتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزاة تامة، فبسبب إحسانهم بطاعة ربهم، وتقواهم عن معصيته، لهم أجر عظيم، وهذا فضل الله عليهم ثم قال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ﴾ أي: إن ترهيب من رهب من المشركين، وقال: إنهم جمعوا لكم، داع من دعاة الشيطان، يخوف أولياءه الذين عُدم إيمائهُم، أو ضَعُف. ﴿فلا تَحَافُوهُم استجابوا لله والرسول من بعدما وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ أي: فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه (٢) المستجيبين

وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لبوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبدُ عن محارم الله.

﴿١٧٦ _ ١٧٧﴾ ﴿ولا يحسزنسك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم * إنّ الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم﴾ كان النبى على الخلق، مجتهداً في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحَرِّنُكُ الذين يسارعون في الكفر أمن شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه ﴿إنهم لن يضروا الله شيئاً ♦ فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم فمي الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيباً في الأخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له

⁽١) في النسختين: فتم له.

في النسختين: الخائفين له، ولعل الأقرب ما أثبت. **(Y)**

TO HAMES CENTERAL DES حالقوالة فزالزجنم يَنَائِهَا النَّاسُ الفَّوَارَيُّكُو ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفَي وَيْحِدَوْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَهْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُ مَا يِبَالُا كَذِيرًا وَيْسَلَهُ وَلِنَقُواْ الشَّمَالَّذِي تَسَلَّهَ لُونَ بِهِ وَٱلْأَرْمَامُ إِنَّ الْقَدَّكَانَ عَلَيْكُرْرَفِيهَا ۞ وَءَافُواْ ٱلْبَنَّوَ أَمْوَاَهُ وَلاَنْتَبَدُّ لُواْ الْمُغِينَ وَالطَّيْبُ وَلا تَأْسَعُلُوا أَمُولَكُمُ إِلَّ أَمُولِكُمُ ۗ إِنَّهُكَانَحُهَا كَبِيرًا ۞ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّانْتُشِيطُواْ فِي ٱلْبَسْنَى أَنْحِكُواْ مَا لَمَاتَ لَكُوْ مِنَ ٱلِنِسَاءَ مَسْنَى وَثُلَثَ وَزُولَةً فَإِنْ حِفْتُمْ ٱلْآخِدِ لُواْ فَوْجِدَةُ أَوْمَا مَلَكُفَ أَيْمَنْكُوْ ذَلِكَ أَدَنَ ٱلْاَنْفُولُوا ۞ وَمَافُوا ٱلنِّسَآةَ صَدُقَيْنِهِنَ يَعْلَةُ فإن طِلْنَ لَكُوْعَن شَيْءِ وَمَنْهُ فَشَا فَكُلُوهُ عَيَيْنَامَ يَوْا ۞ وَلَا نُوْثُوا السُّعَهَاءَ أَمْوَلَكُو ٱلْبِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُوْ فِنَمَا وَارْزُقُومُ مِنا وَأَكْسُومُ وَقُولُوا لَمَمْ فَوَلَا مَعْهُمَا ۞ وَابْتَلُوا ٱلْمِتَنَى حَرِينَ اللَّهُوا النِّكَاحَ فَإِنْ عَانَسْتُم مِنْهُمْ رُسْدًا فَأَدْفَعُواْ إِلَيْهِ وَأَمْوَلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُومَا إِسْرَافًا وَمِارًا أَن يَكْبَرُواْ وَصَ كَانَ غَيْبًا فَلْبَسْ نَعْفِفٌ وَمَن كَانَ فَعَيرًا فَلْيَ كَأَكُلْ بِٱلْفَرُوفِ فَإِذَا

THE REPORT OF THE PROPERTY OF

دَفَعْتُ إِلَيْهِمْ أَمْوَلَكُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكُفَّ بِاللَّهِ حَيِيبًا

فهؤلاء حسبوا أن بخلهم نافعهم، ومجد عليهم، فانقلب عليهم الأمر، وصار من أعظم مضارهم، وسبب عقابهم.

﴿وله ميراث السماوات والأرض﴾ أي: هو تعالى مالك الملك، وترد جميع الأملاك إلى مالكها، وينقلب العباد من الدنيا ما معهم درهم ولا دينار، ولا غير ذلك من المال.

قال تعالى: ﴿إِنَا نَحِنَ نُرِثُ الأَرْضِ ومن عليها وإلينا يرجعون، وتأمل كيف ذكر السبب الابتدائي والسبب الغائي، الموجب كل واحد منهما أن لا يبخل العبد بما أعطاه الله.

أخبر أولاً: أن الذي عنده وفي يده فضل من الله ونعممة، ليس ملكاً للعبد، بل لولا فضل الله عليه وإحسانه، لم يصل إليه منه شيء، فمنعه لذلك منع لفضل الله وإحسآنه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان إلى عبيده كما قال تعالى: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك.

فمن تحقق أن ما بيده، فضل من الله، لم يسمنع النفسل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات.

ثم ذكر ثانياً: أن هذا الذي بيد

وتتقوا فلكم أجر عظيم اي: ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما أنستم عليه من الاختلاط وعدم التميز(٢)، حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب.

ولم يكن في حكمته أيضاً أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل [الله] رسَّله، وأمر بطاعتهم، والانقيادلهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم.

فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلقه.

﴿١٨٠﴾ ﴿ولا يحسبن اللذيسن يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ أي: ولا يظن الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شرلهم، في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وأجلهم ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ أي: يجعل ما بخلوا به طوقاً في أعناقهم، يعذبون به كما ورد في الحديث الصحيح، «إن البخيل يمثل له ماله يوم القيآمة شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك، أنا كنزك». وتلا رسول الله علية مصداق ذلك، هذه أولياءه ومن أراد به خيراً، عدلاً منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم.

ثم أخبر أن الذين اختاروا الكفر على الإيمان، ورغبوا فيه رغبة من بذل ما يحب من المال، في شراء ما يحب من السلع ﴿لن يضروا الله شيتاً ﴾ بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهذا قال: ﴿ولسهم علااب أليم ﴾ وكسيف يضرون الله شيئاً، وهم قد زهدوا أشد الزهد في الإيمان، ورغبوا كل الرغبة بالكفر بالرحمن؟! فالله غنى عنهم، وقد قيض لدينه من عباده الأبرار الأزكياء سواهم، وأعدله ممن ارتضاه لنصرته - أهل البصائر والعقول، وذوي الألباب من الرجال الفحول، قال الله تعالى: ﴿قُلْ آمنوا بِهُ أُو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾

﴿١٧٨﴾ ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين، أي: ولا ينظن الذين كفروا برجم ونابذوا دينه، وحاربوا رسوله أن تركنا إياهم في هذه الدنيا، وعدم استئصالنا لهم، وإملاءنا لهم خير لأنفسهم، ومحبة منا لهم .

كلا، ليس الأمر كما زعموا، وإنما ذلك لشر يريده الله بهم، وزيادة عذاب وعقوبة إلى عذابهم، ولهذا قال: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ﴾: فالله تعالى يملي للظالم، حتى يزداد طغيانه، ويترادف كفرانه، حتى إذاً أخذه أخذه (١) أخذ عزيز مقتدر، فليحذر الظالمون من الإمهال، ولا يظنوا أن يفوتوا الكبير المتعال.

﴿١٧٩﴾ ﴿ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا

في ب: ثم أخذه.

للرجحال نصيب متاترك ألولدان والأفريوت وللنسآء نَصِيتٌ مِنْهَا مَرَكَ ٱلْوَالدَانِ وَٱلْأَفْرَبُوكَ مِنَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْكُرُّ نَصِيبًا مَّفْرُونِكَ ۞ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْفِسْمَةَ أُوْلُوا ٱلْفُرْيَى وَٱلْيَتَكَىٰ وَٱلْمَسَكِينِ فَأَرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَحُمُّ فَوَلُا مَّعُرُونَا ۞ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْتَـرَّكُوا مِنْخَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً صِعَفًا حَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَنْقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا فَوَلَا سَدِبُ ا ۞ إِنَّ الَّذِينَ بَأَكُونَ أَمَّوَلَ الْيَسَنَّى طُلْمًا إِنَّمَا يَأْ كُلُونَ فِى بُعُلُونِهِمْ نَازاً وَسَيَصْلُونَ سَعِيزًا ۞ يُوصِيكُو ٱللَّهُ فِيَّ أَوْلَادِكُرُّ لِلنَّكِرِمِثُلُ حَظِّ ٱلْأُشْبَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ لِسَاءً فَوْقَ ٱثْنَتَ بْنِ فَلَهُنَّ ثُلُكَ مَاتَّرُكَ وَإِن كَانَتْ وَلِحِدَةً فَلَهَا ٱلنِصْفُ وَلِأَبْوَيْهِ ولِحُلِ وَلِيدِينَهُ مَا ٱلسُّدُسُ مِمَا مَلَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدُّ فَإِن لَرْبَيكُن لَهُ وَلَدُّ وَوَدِيْنَهُ وَلَهُواهُ فَلِأُمِّدِ الشُّكُثُ فَإِن كَانَ لَهُ مِلِخُوةً فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيبَ وَمُعِي بِهَآ أَوْدَيْنِ ۚ مَابَآ وَٰكُمْ وَأَبْنَآ وَٰكُمْ لِاَنْذَرُونَ أَيُّهُمْ أَفْتَهُ لَكُرْنَفَعَا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهُ كَانَ عَلِيسًا حَكِمَا ۞ ACCOUNT WEST OF THE

العباد كلها ترجع إلى الله، ويرثها تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك منتقل إلى غيرك.

ثم ذكر ثالثاً: السبب الجزائي، فقال: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فإذا كان خبيراً بأعمالكم جميعها _ ويستلزم ذلك الجزاء الحنسن على الخيرات، والعقوبات على الشر _ لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يُجزى به الشواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب.

قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق * بظلام للعبيد * يغير تعالى، عن قول بظلام للعبيد * يغير تعالى، عن قول المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنه مع أفعالهم الشنيعة، وهو: قتلهم مع أفعالهم الشنيعة، وهو: قتلهم ذلك أشد العقوبة، وأنه سيعاقبهم على بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء من البدن إلى الأفتدة، وأن عذابهم ليس

ظلماً من الله لهم، فإنه ﴿ليس بظلاًم للعبيد﴾ فإنه منزه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم من المخازي والقبائح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب.

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا منهم «فنحاص بن عازوراء» من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى ! ﴿من ذا الذي يتقرض الله قرضاً حسناً ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ قال: _ على وجه التكبر والتجرهم _ هذه المقالبة قبحه الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه ليس ببدع من شنائعهم، بل قد سبق لهم من الشنائع ما هو نظير ذلك، وهو: ﴿قتلهم الأنبياء بغير حق﴾ هذا القيد يراد به، أنهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعته، لا جهلاً وضلالاً، بل تمرداً وعناداً.

﴿ ١٨٤ _ ١٨٤ ﴾ ﴿ اللَّذِينِ قَالِوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين * فإن كنبوك فقد كنب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنيرم يخبر تعالى عن حال هؤلاء المفترين القائلين: ﴿إِن الله عهد إلينا ﴾ أي: تـقـدم إلينـا وأوصى، ﴿أَلَا نَـوْمـن لرسول، حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فجمعوا بين الكذب على الله، وحصر آية الرسل بما قالوه، من هذا الإفك المبين، وأنهم إن لم يؤمنوا برسول لم يأتهم بقربان تأكله النار، فهم ـ في ذلك مطيعون لربهم، ملتزمون عهده، وقد علم أن كل رسول يسرسله الله، يويده من الأيات والبراهين، ما على مثله آمن البشر، ولم يقصرها على ما قالوه، ومع هذا فقد قالوا إفكاً لم يلتزموه، وباطلاً لم يعملوا به، ولهذا أمر الله رسوله أن يقول

لهم: ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات﴾ الدالات على صدقهم ﴿وبالذي قلتم﴾ بأن أتاكم بقربان تأكله النار ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صدادقين؟﴾ أي: في دعواهم (١) الإيمان برسول يأتي (٢) بقربان تأكله النار، فقد تبين بهذا كذبهم، وعنادهم وتناقضهم.

ثم سلّى رسوله ﷺ، فقال: ﴿فَإِنَّ كَذَبُوكُ فَقَدَ كَذَبُ رَسُلَ مِن قَبِلُكُ ﴾ كَذَبُوكُ فَقَدَ كَذَبُ رَسُلَ مِن قَبِلُكُ ﴾ أي: هذه عادة الظالمين، ودأبهم الكفر تكذيبهم لرسل الله، عن قصور ما أتوا به، أو عدم تبين حجة، بل قد ﴿جاؤوا بالسينات﴾ أي: الحجج العقلية، بوالنزبر﴾ أي: والبراهين النقلية، ﴿والزبر﴾ أي: الكتب المزبورة المنزلة من السماء، التي الكتب المزبورة المنزلة من السماء، التي

﴿والكتاب المنير ﴾ للأحكام الشرعية ، وبيان ما اشتملت عليه من المحاسن العقلية ، ومنير أيضاً للأخبار الصادقة ، فإذا كان هذا عادتهم في عدم الإيمان بالرسل ، الذين هذا وصفهم ، فلا يجزئك أمرهم ، ولا يهمنك شأنهم . ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم الحيامة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الفور ﴾ ﴿

هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر.

﴿فمن زحزح ﴾ أي: أخرج ، ﴿عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم ، والوصول إلى جنات النعيم ، التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ومفهوم الآية، أن من لم يزحزح عن

السرمدي.

الجزء الرابع)

النار ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقى الشقاء الأبدي، وابتلى بالعذاب

وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: ﴿ وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورُكُمْ يُومُ القيامة ﴾ أي: توفية الأعمال التامة، إنما يكون يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كَقُولُه التعالى: ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدني دون العذاب الأكبر ﴾.

﴿١٨٦﴾ ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور، يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكاليف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهاد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يحب.

﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ﴾ من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم ورسولكم.

وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فواثد:

منها: أن حكمته تعالى تقتضى ذلك، ليتميز المؤمن الصادق من غيره.

ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريده بهم من الخير ليعلى درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، وليزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا أَنَّهُ وَرُسُولُهُ ، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾.

ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه

إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجأون إلى الصبر والتقوي، ولهذا قال: ﴿وإن تصبروا وتتقوا﴾ أي: إذ تصبروا على ما نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الطالمين، وتتقوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به وجه الله والتقرب إليه، ولم تتعدوا في صبركم الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله. ﴿ فَإِن ذَلِكُ مِن عِزِمِ الأَمُورِ ﴾ أي:

من الأمور التي يعزم عليها، وينافس

فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال تعالى: ﴿وما

يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا

ذو حظ عظيم، ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثىمناً قىليلاً فبئس ما يشترون * لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه [الله] الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه ماعلمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبيّنه، ويوضح الحق من الباطل.

فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفاً من إثم الكتمان.

وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصاري ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤاً على محارم الله، وتهاوناً بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمناً قليلاً، وهو ما

THE PERSONAL PROPERTY OF THE PERSONAL PROPERTY وَلَكُمْ مِنْهُ مَا تَكُلُ أَنْ وَجُكُمْ إِن لَّرَيَكُن لَهُ يَ وَلِدُ فَإِن كَاتَ لَهُ إِن وَلَدُ فَلَحَهُمُ ٱلرُّبُمُ 🖔 مِنَّارَ عَنْ مِنْ بَعْدِ وَمِيتَ وْبُومِ بِسَيْهَا أَوْدَيْنٍ وَلَهُ زَالُوبُمُ مِمَّا زَبَحْتُ وَإِن لَّرْيَكُ نَلَّكُمْ وَلَدُّ فَإِن سِكَانَ لَحَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَ ٱلشُّمُو مِمَّا رَحَتُهُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيتَ وَثُومُونَ بِمَا أَوْدَنِهُ وَإِن حَسَالَ رَجُلُ مُورَثُ كُلُلَةً أُولَوْلَ وَلَهُ إِنَّ أُولُولُونًا أُولُونَا فَلِكُلِ وَلِيدِينَهُ مَا ٱلسُّدُمُ ۚ فَإِن كَانُوٓا أَكُمُ مَّا مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِ ٱلشُّكُنُّ مِنْ بَعْدِ وَمِيَّةٍ ؠؙۅۻٙ٤ۼٲٲۉۮؠ۫ڹۼؠٞۯٞڡؙۻػٳۜڋ۫ۏڝۣؾػؘۺؙڶڡؖۄؙۊڵڡ عَلِيهُ وَلِيدُ ﴿ يَعْكَ مُسَدُّوهُ أَمَّةُ وَمَن يُولِع أقَةَ وَرَسُولَ مُ بُدْخِلَةُ جَنَّلُونِ جَسْرِي مِن نَحْتِهَ ٱلْأَنْهَا رُخَالِينَ فِهَا وَذَالِكَ ٱلْمَوْرُ ٱلْمَظِيدُ ۞ وَمَن يَعْمِى أَلَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَتُعَكَّ حُـدُودُهُ يُنْجِـلْهُ نَازًا خَنْلِمَا إِنْهَا وَلَهُ عَذَابُ مُومِنًا ۞ OVERE OF THE PROPERTY

يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، ﴿فبئس ما يشترون♦ لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه _وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدنيوية _ أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنء الخسيس ويتركوا العالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له.

ثم قال تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ﴿ أي: من القبائح والباطل القولي والفعلي.

﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ أي: بالخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك ومحبة أن يحمدوا على فعل الخير الذي ما فعلوه.

﴿ فلا تحسينهم بمفارة من العذاب ﴾ أي: بمحل نجوة منه وسلامة، بل قد استحقوه، وسيصيرون إليه، ولهذا قال: ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بها، ودعا إليها، وزعم

حَقَّ بِتَوَفَّهُنَّ ٱلْمُوتُ أَوْيَجُعَكَ أَلَّهُ لَهُرَبِ سَكِيلًا ۞ وَٱلَّذَانِ يَأْتِينَنِهَامِنِحُتُمْ فَنَادُوهُ مَّا فَإِن مَامَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْعَنْهُمَا إِنْ اللَّهَ كَانَ نَوَّابُ ارَّعِيمًا ۞ إِمَّا ٱلتَّوْبَ أُعَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ بَعْ مَكُونَ ٱلسُّوةِ بِعَهَ لَهَ ثُمَّ يَتُوبُوتَ مِن فَرِيبٍ فَأُوْلَلَهِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمُّ وَكَابَ اللَّهُ عَلِيسَا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَنِ ٱلتَّوْيَةُ لِلَّذِيرَ يَعْسَلُونَ ٱلسَّيَتِانِ حَقَّ إِذَا حَمَرَ لِحَدَهُمُ ٱلْمُوتُ قَالَ إِنِ مُنْتُ اَلْمَنَ وَلَا الَّذِينَ يَتُوثُونَ وَهُمْ سَحُمَّا أَزُاؤُلَتِكَ أَعَدْمَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿ يَنَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَيِثُواْ ٱلنِّسَآةِ كَرْهَا ۖ وَلَا نَعْضُ لُوهُ إِنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَغْضِ مَآءَانَيْتُمُوهُكِ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَنْجِنَـُ وَتُبَيِّنَةً وَعَايِثُرُوهُ إِن الْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَنَى النتكرهُواسْنِعُا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرَكَوْنِهِ AQUADE A BARBAN

THE RECEIVES:

أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل البدع .

ودلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويثني عليه بما.فعله من الخير واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزى بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ وقال: ﴿سلام على نوح في العالمين، إنا كذلك نجزي المحسنين المحسنين وقد قال عباد الرحمن: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ وهي من نعم الباري على عبده، ومننه التي تحتاج إلى الشكر.

﴿١٨٩﴾ ﴿ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير، أي: هو المالك للسماوات والأرض وما فيهما، من سائر أصناف الخلق، المتصرف فيهم بكمال القدرة، وبديع الصنعة، فلا يمتنع عليه منهم أحد، ولا يعجزه أحد.

﴿١٩٠ ـ ١٩٤﴾ ﴿إِنَّ فِي خِيلِيق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لأياتِ لأولى الألبابِ * الذين يذكرون الله قيامأ وقعودأ وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا

عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار * ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار * ربنا وآتِنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، يخبر تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقَ السَّمَاوَاتِ والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿آيات ﴾ ولم يقل: اعلى المطلب الفلاني إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن

بره، ووجوب شکره. وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

لمخلوقِ أن يحصره، ويحيط ببعضه،

وفي الجملة فما فيها من العظمة

والسُّعة، وانتظام السير والحركة، يدل

على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه

وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام

والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف

الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه

الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما

فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة

رحمة الله، وعموم فضله، وشمول

وخص الله بالآيات أولى الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم.

ثم وصف أولي الألباب بأنهم ﴿يذكرون الله ﴾ في جميع أحوالهم: ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم

يستطع فعلى جنب، وأنهم ﴿يتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثاً، فيقولون: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق.

﴿ فقنا عذاب النار ﴾ بأن تعصمنا من السيشات، وتوفقنا للاعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار.

ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم، ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.

﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً بنادى للإيمان﴾ وهو محمد ﷺ، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله

﴿ فَآمَنا ﴾ أي: أجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي منَّ عليهم بالإيمان، سيمن عليهم بالأمان التام.

﴿وتوفنا مع الأبرار ﴾ يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات.

ولما ذكروا تموفيسق الله إيماهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز

وَإِنْ أَزُدَتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجِ مَّكَاثَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُ إِحْدَنَهُ رَبِي فِنظَارًا فَكَلَا تَأْخُدُوا مِنْهُ شَيْقًا أَتَأْخُدُونَهُ بُهْتَنَاوَإِنْمَاتُهِبِنَا ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَكُووَقَدْ أَفَضَى بَعْضُ حُمْ إِلَى بَعْضِ وَأَخَذْ كِمِنكُمْ مِيثَقًا غَلِظًا ۞ وَلَانَحُوهُمَا نَكُمْ مَا ابْأَوْكُمْ مِن النِّسَاءِ إِلَّا مَا فَدْسَلَفَ النَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَفْتًا وَسَانَهُ سَكِيلًا ﴿ خُرِينَ عَلَيْكُمْ أَمْعَكُ كُورُيَّنَا ثُكُورُ وأخوتشكم وعملنكر وخلك شكم ويناث الأخ وَيَنَاتُ الْأُخْنِ وَأُمَّهَانُكُ مُ مُالِّنِيَّ أَرْضَعْنَكُ وَلْغَوَّتُكُم مِن الرَّضِدَ عَوْ وَأُمْهَاتُ نِسَايِكُمُ وَرَيْلَيِبُ كُمُ اللَّهِي فِي حُجُورِكُم مِن نِسَايَحُمُ اللَّنِي دَخَلْتُ مِيهِنَ فَإِن لَّهُ تَكُونُواْ مَخَلْتُ مِيهِنَّ فَكُلَّ المُسَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَيْهِلُ أَنْسَآيِكُمُ ٱلَّذِينَ الله الله المنافية والمنافقة والمناف PERSON IN LONG LONG

البدنيا على البديين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمناً قليلاً، وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وتركُّ الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فأثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب.

ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح _وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصى، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

والمصابسرة أي(١): الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال. والمرابطة: وهمي^(٢) لـزوم المحــل

وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقآت، فإن هذا كله ﴿متاع قليل﴾ ليس له ثبوت ولا بقاء، بلّ يتمتعون به قليلاً، ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.

وأما المتقون لربهم، المؤمنون به _ فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها،

فلوقدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة ، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزراً يسيراً، ومنحة في صورة محنة ، ولهذا قال تعالى : ﴿وما عند الله خير للأبرار، وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً ، وعطاء جسيماً، وفوزاً دائماً.

﴿ ١٩٩ - ٢٠٠ ﴾ ﴿ وإن مِسن أهمل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم حاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إنّ الله سريع الحساب * يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنـزل إليكـم ومـا أنـزل إليهـم، وهـذا الإيمان النافع لاكمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض.

ولهذا _ لما كان إيمانهم عاماً حقيقياً .. صار نافعاً، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده.

وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ومن تمام خشيتهم لله، أنهم ﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ﴾ فلا يقدمون

برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم، فلهذا قال:

﴿١٩٥﴾ ﴿فاستجاب لهم ربهم أن لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذّين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الشواب♦ ، أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعناء الطلب، وقال: إن لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفراً، ﴿بعضكم من بعض﴾ أي: كلكم على حد سواء في الشواب والعقاب، ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا) فجمعوا بين الإيمان والهجرة، ومفارقة المحبوبات من الأوطان والأموال، طلباً لمرضاة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله .

﴿ لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله الذي يعطي عبده الثواب الجزيل على العمل القليل.

﴿والله عنده حسن الثواب) بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد ذلك، فليطلبه من الله بطاعته والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد.

﴿١٩٦ ـ ١٩٨﴾ ﴿لا يسغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد * لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً منّ عند الله وما عند الله خير للأبرار) وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات،

في ب: هي. (1)

في النسختين وهو، ولعل الصواب ما أثبت. (٢)

وَالْمُصَدِّدُ مِنَ الْسَكَاةِ الْاَ مَا مَلَحَتْ اَبْنَكُوْ الْمُحْمَّ الْمَاكِلِيَّةِ الْمُحْمَّ الْمَاكِلِيَّةِ الْمُحْمَّ الْمَاكِلِيَّةِ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَّ الْمَاكِلِيَّةِ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَلُ الْمُحْمَلُ اللَّهُ الْمُحْمَلُ اللَّهُ الْمُحْمَلُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُلِي الللْمُلْمُلِي اللْمُلْمُ اللْمُلِي الللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللْمُلْمُلِي اللْمُلْمُ اللَّ

عَلَى اَلْفُصَنَانِ مِنَ الْعَدَابِّ ذَلِكَ لِلْ خَيْمِ اَلْعَنَى مِنْ اَلْعَنَى مِنْ اَلْعَنَى مِنْ الْعَنَى

رُبِدُ أَلَّهُ لِبُسَيِّنَ لَكَ مُ مَنِفِدِ يَكُوسُ نَنَ ٱلْآيِسَ

أُم مِن قَبْلِكُمْ وَمَنُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾

Transition of the state of the

الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والاخروي، وينجون من المكروه كذلك.

فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحداً الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها.

والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا

تم تفسير اسورة آل عمران، والحمد لله على نعمته، ونسأله تمام

تفسير سورة النساء وهي مدنية

﴿١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث

على ذلك .

وبيَّن السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه لأنه ﴿ربِكم الذي خلقكم﴾ ورزقكم، ورباكم بنعمه العظيمة، التي من جملتها خلقكم ﴿من نفس واحدةٍ وخلق منها زوجها، ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم لها بالسؤال بالله . فيقول من يريد ذلك لغيره: أسألك بالله أن تفعل الأمر الفلان؛ لعلمه بما قام في قلبه من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأله بالله، فكما عظمتموه بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه.

وكذلك الإخبار بأنه رقيب، أي: مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقباً لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه.

وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس

واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد _ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصاً الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر الله به، وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عموماً، ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل، من أول السورة إلى آخرها. فكأنها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم.

وفي قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ تنبيمه على مراعاة حتى الأزواج

والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب(١٦) علاقة.

وقوله تعالى: ﴿وآتوا اليسامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالكم إنه كان حوباً كبيراً﴾ ، هذا أول ما أوصى به من حقوق الخلق في هذه السورة . وهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافلين (٢) لهم، وهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم .

فأمر الرؤوف الرحيم عباده أن يحسنوا إليهم، وأن لا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، وأن يوتوهم أموالهم إذا بلغوا ورشدوا، كاملة الذي هو أكل مال اليتيم بغير حق. ﴿ الله عِلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله عَلَمُ الله الذي ما فيه حرج ولا تبعة. ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ أي: مع أموالكم، ففيه تنبيه لقبع أكل مالهم بهذه الحالة، التي قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له من الرزق في ماله. فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى ﴿ حوباً كبيراً ﴾ أي: الحالة، التي ألمالة، التي ألمالة المنالة المن

ومن استبدال الخبيث بالطيب أن يأخذ الولي من مال البتيم النفيس، ويجعل بدله من ماله الخسيس. وفيه الولاية على البتيم، لأن مِنْ لازم إيتاء البتيم ماله، ثبوت ولاية المؤتي على

وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه، والقيام به بما يصلحه وينميه، وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار.

﴿٣_ ٤ ﴾ ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا * وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء

⁽١) ني ب: وأوثق.

⁽۲) كذا في ب، وفي أ: الذين فقدت آباؤهم الكافلون.

عَنكُرْسَيِّنَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُنخَلاكِرِيمًا وَلَانْتَمَنُّواْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِ عَضَد كُمْ عَلَى بَشْنُ الْبَال نَصِيبٌ مِنَا ٱحْتَسَبُواْ وَالنِسَاءِ نَصِيبٌ مِنَا ٱكْتَسَبَنَ وَسَّتُلُواْ الْقَدَمِن فَضَيلِيَّة إنَّ اللهَ كَاتَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۞ وَلِحُ لَي جَعَلْنَا مَوْلِيَ مِمَّا نَسَرَكَ ٱلْوَلِينِ اللَّهُ وَالْأَفْرَةُ وَاللَّيْنِ عَفَدَتْ أَيْسَنُ سَحُمْ فَعَا تُوهُمُ

أُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ أَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ اللَّهِ مِنْهِيدًا ﴿

DESCRIPTION AT LONG CO. بنضروراتهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية، وأن يقولوا لهم قولاً معروفاً، بأن يعدوهم _إذا طلبوها _ أنهم سيدفعونها لهم بعد رشدهم، ونحو ذلك، ويلطفوا لهم في الأقوال جبراً لخواطرهم.

وفي إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء، إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم، من الحفظ والتصرف وعدم التعريض للأخطار. وفي الآية دليل على أن نفقة المجنون والصغير والسفيه في مالهم، إذا كان لهم مال، لقوله: ﴿وَارِزَقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾

وفيه دليل على أن قول الولى مقبول فيما يدعيه من النفقة الممكنة والكسوة؛ لأن الله جعله مؤتمناً على مالهم، فلزم قبول قول الأمين.

﴿٦﴾ ﴿وابتلوا اليتامي حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدأ فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبرواً ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفي باله حسيبام الابتلاء: هو الاختبار والامتحان. وذلك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد، الممكن رشده، شيئاً من ماله، ويتصرف فيه التصرف اللائق بحاله، فيتبين بذلك رشده من سفهه. فإن

النساء، ويهضمونهن حقوقهن، خصوصاً الصداق الذي يكون شيئاً كثيراً، ودفعة واحدة، يشق دفعه للزوجة، أمرهم وحثهم على إيتاء

ولما كان كثير من الناس يظلمون

النساء ﴿صدقاتهن﴾ أي: مهورهن ﴿نحلة﴾ أي: عن طيب نفس، وحال طمأنينة، فلا تمطلوهن أو تبخسوا منه شيئاً. وفيه: أن المهر يدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد، لأنه

أضافه إليها، والإضافة تقتضي

التمليك.

﴿فإن طبن لكم عن شيء منه ﴾ أي: من الصداق ﴿نفساً ﴾ بأن سمحن لكم عن رضا واختيار بإسقاط شيء منه، أو تأخيره أو المعاوضة عنه. ﴿ فَكُلُوهُ هُنَيْئًا مُرِيثًا ﴾ أي: لا حرج

عليكم في ذلك ولا تبعة. وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها _ولو بالتبرع _إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن كذَّلك، فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من

الصداق شيء، غير ما طابت به. وفي قوله: ﴿فَانْكُحُوا مَا طَابُ لَكُمْ من النسَّاء﴾ دليل على أن نكاح الخبيثة غير مأموربه، بل منهيي عنه، كالمشركة، وكالفاجرة، كما قال تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ وقال: ﴿الزانية لا ينكحها إلاَّ زان أو

﴿٥﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً﴾ السفهاء، جم «سفيه»، وهو مَنْ لا يحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون والمعتوه، ونحوهما، وإما لعدم رشده

كالصغير وغير الرشيد. فنهي الله الأولياء أن يوتوا هؤلاء أموالهم، خشية إفسادها وإتلافها، لأن الله جعل الأموال قياماً لعباده في مصالح دينهم ودنياهم، وهؤلاء لا يحسنون القيام عليها وحفظها، فأمر الولي أن لا يؤتيهم إياها بل يرزقهم منها

ويكسوهم، ويبذل منها ما يتعلق

خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت حجوركم وولايتكم، وخفتم أن لا تقوموا بحقهن لعدم محبتكم إياهن، فاعدلوا إلى غيرهن، وانكحوا﴿ما طاب لكم من النساء) أي: ما وقع عليهن اختياركم، من ذوات الدين، والمال، والجمال، والحسب، والنسب، وغير ذلك من الصفات الداعية لنكاحهن، فاختاروا على نظركم، ومن أحسن ما يختار من ذلك صفة الدين، كما قال النبي ﷺ: "تُنْكُح المرأة لأربع: لمالها، ولجمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يمينك». وفي هذه الآية _ أنه ينبغي للإنسان

منه نفساً فكلوه هنيئاً مرئياً﴾ أي: وإن

أن يختار قبل النكاح، بل وقد أباح له الشارع النظر إلى مَنْ يريد تزوجها، ليكون على بصيرة من أمره. ثم ذكر العدد الذي أباحه من النساء فقال: ﴿مثنى وثلاَّث ورباع﴾ أي: مَنْ أحب أن يأخذ ثنتين فليفعل، أو ثلاثاً فليفعل، أو أربعاً فليفعل، ولا يزيد عليها، لأن الآية سيقت لبيان الامتنان، فلا يجوز الزيادة على غير ما سمى الله تعالى إجماعاً. وذلك لأن الرجل قد لا تندفع

شهوته بالواحدة، فأبيح له واحدة بعد

واحدة، حتى يبلغ أربعاً، لأن في

الأربع غنية لكل أحد، إلا ما ندر، مشرك). ومع هذا فإنما يباح له ذلك إذا أمن على نفسه الجور والظلم، ووثق بالقيام بحقوقهن. فإن خاف شيئاً من هذا، فليقتصر على واحدة، أو على ملك يمينه. فإنه لإ يجب عليه القسم، في ملك اليمين. ﴿ ذلك ﴾ أي: الاقتصار على واحدةٍ ، أو ما ملكت اليمين ﴿أدنى ألا تعولوا﴾

أي: تظلموا. وفي هذا أن تعرض العبد للأمر الذي يخاف منه الجور والظلم، وعدم القيام بالواجب ـ ولو كان مباحاً ـ أنه لا ينبغي له أن يتعرض له، بل يلزم السعة والعافية، فإن العافية خير ما أعطى العبد.

استمر غير محسن للتصرف، لم يدفع إليه ماله، بل هو باق على سفهه، ولو بلغ عمراً كثيراً.

فإن تبين رشده وصلاحه في ماله وبلغ النكاح فوادفعوا إليهم أموالهم كاملة موفرة. فولا تأكلوها إسرافا في الحد الحلال الذي أباحه الله لكم من أموالكم، إلى الحرام الذي حرمه الله عليكم من أموالهم.

﴿وبداراً أن يسكسبروا﴾ أي: ولا تأكلوها في حال صغرهم، التي لا يمكنهم فيها أخذها منكم، ولا منعكم من أكلها، تبادرون بذلك أن يكبروا، فيأخذوها منكم ويمنعوكم

وهذا من الأمور الواقعة من كثير من الأولياء، الذين ليس عندهم خوف من الله، ولا رحمة ومحبة للمولى عليهم، يرون هذه الحال، حال فرصة، فيغتنمونها ويتعجلون ما حرم الله عليهم، فنهى الله تعالى عن هذه الحالة بخصوصها.

﴿٧﴾ ﴿للرجال نصيب عما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب عما ترك ترك الوالدان والأقربون عما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ كان العرب في الجاهلية حمن جبروتهم (١) وقسوتهم،

لا يورثون الضعفاء، كالنساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء، لأنهم _ بزعمهم _ أهل الحرب والقتال، والنهب والسلب، فأراد الرب الرحيم الحكيم أن يشرع لعباده شرعاً، يستوي فيه رجالهم ونساؤهم، وأقرياؤهم وضعفاؤهم. وقدَّم بين يدي ذلك أمراً مجملا، لتتوطن على ذلك النفوس.

فيأتي التفصيل بعد الإجمال، قد تشوفت له النفوس، وزالت الوحشة التي منشؤها العادات القبيحة، فقال: ﴿للرجال نصيب﴾ أي: قسط وحصة ﴿عَا تَرِكُ أَي: خلف ﴿الوالدان﴾ أي: الأب والأم ﴿والأقربون﴾ عموم بعد خصوص ﴿وللنساء نصيبٌ عا ترك الوالدان والأقربون﴾

فكأنه قيل: هل ذلك النصيب راجع إلى العُرف والعادة، وأن يرضخوا لهم ما يشاؤون؟ أو شيئاً مقدراً؟ فقال تعالى: ﴿نصيباً مفروضاً﴾ أي: قد قدره العليم الحكيم، وسيأتي إن شاء الله _تقدير ذلك.

وأيضاً فهاهنا توهم آخر، لعل أحداً يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: ﴿عما قل منه أو كثر﴾ فتبارك الله أحسن الحاكمين.

﴿٨﴾ ﴿وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ وهذا من أحكام الله الحسنة الجليلة الجابرة أي: قشمة المواريث ﴿أولو القربى﴾ أي: الأقارب غير الوارثين، بقرينة قوله: ﴿القسمة﴾ لأن الوارثين من المقسوم عليهم. و﴿اليتامى والمساكين﴾ فوارزقوهم منه﴾ أي: أعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كلو ولا تعب، ولا عناء ولا نصب، فإن نفوسهم متشوفة إليه، وقلوهم ما

متطلعة، فاجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم.

ويؤخذ من المعنى أن كل مَنْ له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي عليه يقول: "إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين، أو كما قال.

وكان الصحابة رضي الله عنهم - إذا بدأت باكورة أشجارهم - أتوا بها رسول الله على في فيرك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك، علماً منه بشدة تشوفه لذلك، وهذا كله مع إمكان الإعطاء، فإن لم يمكن ذلك - لكونه حق سفهاء، أو ثم أهم من ذلك - فليقولوا لهم قولاً معروفاً يردوهم (٢) رداً جميلاً، بقول حسن غير فاحش ولا قبح.

به يبون معامله اود دعم بعدام.
وقيدا: إن المراد بذلك أولياء
والضعاف، أن يعاملوهم في مصالحهم
الدينية والدنيوية بما يحبون أن يعامل به
مَنْ بعدهم من ذريتهم الضعاف.
﴿ فليتقوا الله ﴾ في ولايتهم لغيرهم،
أي: يعاملونهم بما فيه تقوى الله، من
عدم إهانتهم، والقيام عليهم،
والزامهم لتقوى الله.

ولما أمرهم بذلك، زجرهم عن أكل أموال اليتامي، وتوعد على ذلك أشد فإنه غير مذكور في ذلك. لكنه قد ثبت في السنن، عن المغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة أن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس، مع إجماع العلماء على

فقوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم♦ أي: أولادكم _يا معشر الواللدين -عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فتعلمونهم وتؤدبونهم، وتكفونهم عن المفاسد، وتأمرونهم بـطـاعـة الله، وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارأ وقودها الناس والحجارة) فالأولاد عند والديهم موصى بهم، فإما أن يقوموا بتلك

الوصية، وإما أن يضيعوها، فيستحقوا

بذلك الوعيد والعقاب. وهذا بما يدل

على أن الله تعالى أرحم بعباده من

الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع

كمال شفقتهم، عليهم. ثم ذكر كيفية إرثهم فقال: ﴿للذكر مشل حظ الأنشيين ﴾ أي: الأولاد للصلب، والأولاد للابن، للذكر مثل حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب فرض، أو ما أبقت الفروض يقتسمونه كذلك، وقد أجمع العلماء على ذلك، وأنه -مع وجود أولاد الصلب -فالميراث لهم. وليس لأولاد الابن شيء، حيث كان أولاد الصلب، ذكوراً وإناثاً، هذا مع اجتماع الذكور والإناث. وهنا حالتان: انفراد الذكور، وسيأتي حكمها. وانفراد الإناث، وقد ذكره بقوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نساء فوق اثنتين ، أي: بنات صلب أو بنات ابن، ثلاثاً فأكثر ﴿فلهن ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة ﴾ أي: بنتاً أو بنت ابن ﴿فُلُهَا النَّصَفُ﴾ وهذَا إجماع. بقى أن يقال: من أين يستفاد أن للابنتين الثنتين الثلثين بعد الإجماع على

فالجواب أنه يستفاد من قوله: ﴿وَإِن كانت واحدة فلها النصف، فمفهوم ذلك أنه إن زادت على الواحدة، انتقل

العذاب فقال: ﴿إِن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلماً ﴾ أي: بغير حق، وهذا القيد يخرج به ما تقدم، من جواز الأكل للفقير بالمعروف، ومن جواز خلط طعامهم بطعام اليتامي.

> فمَنْ أَكِلُهَا ظُلْماً، فَ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ في بطونهم ناراً ♦ أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم. ﴿وسيصلون سعيراً﴾ أي : ناراً محرقة متوقدة . وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامي وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله

﴿١١ ــ ١٢﴾ ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين أباؤكم وأبناءكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً * ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع بما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين

غير مضار وصية من الله والله عليم

حليم﴾ هذه الآيات، والآية التي هي

آخر السورة هن آيات المواريث المتضمنة

لها. فإنها مع حديث عبد الله بن

عباس الثابت في صحيح البخاري

«ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي

فلأولى رجل ذكر» _مشتملات على

جل أحكام الفرائض، بل على جميعها

كما سترى ذلك، إلا ميراث الجدات

وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْكُخْرُومَن يَكُنُ ٱلشَّيْطَلُ أَهُ وَيَنَا فَسَاءَ وَيَنَاكُ وَمَاذَاعَلَيْهِ وَلَوْءَامَنُوا بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِ وَأَنْفَقُوا مَا وَزَفَهُمُ ٱللَّهُ وَكَاكَ ٱللَّهُ بِهِ وَعَلِيمًا ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَوَّةً وَان تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِن لَدُنْهُ أَبُواعَظِيماً ۞ فَكَيْفَ إِذَاحِنْنَا مِن كُلِ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِنْنَا بِكَ عَلَ هَنُؤُلِّاءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَهِذِيَوَذُ ٱلَّذِينَ كُفَرُواْ وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْنُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلأَرْضُ وَلَا يَكُنُّسُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿ يَنَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَنَفْرَهُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَأَنْمُ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ نَعْلُمُواْ مَا تَقُولُون وَلَاجُنُّا إِلَّاعَابِي سَبِيل حَقَّانَعْ نَسِلُواْ وَإِن كُنتُومِّ وَخَقَ أَوْعَلَىٰ سَفَرٍ أَوْجَاءَ أَحَدُّ يَسْكُمُ مِنَ ٱلْفَالِهِ لَوْلَاسَتُهُ ٱلِنِسَاءَ فَالْرَجِهُ وَامَاءً فَنَيْتَ مُوا صَعِيدًا طَيِبًا فَأَسْتُواْ بِوُجُوهِ كُوْ وَأَيْدِيكُمْ أَبْ ٱللَّهُ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۞ أَلْرَثَوَ إِلَى الَّذِيبَ أُوتُواْ نَصِيبُ امِّنَ مُ الْكِنْبِ بَشْتَرُونَ ٱلصَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُوا ٱلسَّيِيلَ ﴿ TOURDE AND LONGER الفرض عن النصف، ولا ثم بعده إلا

THE PRINCE

وَالَّذِينَ يُسْفِعُونَ أَمَّوَلَهُمْ رِيثَآءَ النَّاسِ وَلَا يُوْمِنُونَ إِلَّهُ

الثلثان. وأيضاً فقوله: ﴿للذُّكر مثل حظ الأنثيين﴾ إذا خلَّف ابناً وبنتاً، فإن الابن له الثلثان، وقد أخبر الله أنه مثل حظ الأنثيين، فدل ذلك على أن للبنتين الثلثين .

وأيضاً فإن البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها _وهو أزيد ضرراً عليها من أُختها، فأخذها له مع أختها من باب أولى وأحرى. وأيضاً فَإن قوله تعالى في الأختين: ﴿فإن كانتا اثنتين، فلهما الثلثان مما ترك المحتين

فإذا كان الأختان الثنتان _مع بُعدهما _ يأخذان الثلثين، فالابنتان _ مع قربهما _من باب أولي وأحرى. وقد أعطى النبي ﷺ ابنتي سعد الثلثين كما في الصحيح .

بقى أن يقال: فما الفائدة في قوله: ﴿ فُوقَ النَّتِينَ ﴾ ؟ قيل: الفائدة في ذلك _والله أعمله _أنه ليعمله أن الفرض الذي هو الثلثان، لا يزيد بزيادتهن على الثنتين، بل من الثنتين فصاعداً. ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة، وبنت ابن أو بنات ابن، فإن لبنت الصلب النصف، ويبقى من الثلثين اللذين فرضهما الله للبنات أو بنات الابن السدس، فيعطى بنت الابن، أو بنات الابن، ولهذا يسمى هذا السدس تكملة الثلثين.

من من مع بنات الابن، مع بنات الابن اللاتي أنزل منها.

كَمْرُواْ مَنْ وُلِآ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ وَامْنُواْ سَبِيلًا ۞

وتدل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين، أنه يسقط من دونهن من بنات الابن، لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، وقد تم. فلو لم يسقطن، لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص. وكل هذه الأحكام مجمع عليها بكين العلماء، ولله الحمد.

ودل قوله: ﴿ عا ترك ﴾ أن الوارثين يرثون كل ما خلف الميت، من عقار، وأثاث، وذهب وفضة، وغير ذلك، حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمم (١).

ثم ذكر ميراث الأبوين فقال: ﴿ولأبويه﴾ أي: أبوه وأمه ﴿لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ أي: ولد صلب أو ولد ابن، ذكراً كان أو أنثى، واحداً أو متعدداً. فأما الأم فلا تزيد على السدس مع أحد من الأولاد.

وأما الأب فمع الذكور منهم، لا يستحق أزيد من السدس، فإن كان

الولد أنثى أو إناثاً، ولم يبق بعد الفرض شيء _ كأبوين وابنتين _ لم يبق له تعصيب. وإن بقي بعد فرض البنت أو البينات شيء، أخذ الأب السدس فرضاً، والباقي تعصيباً، لأننا ألحقنا الفروض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر، وهو أولى من الأخ والعم، وغيرهما.

وفإن لم يكن له ولد، وورثه أبواه، فلأُمّه الثلث أي: والباقي للأب، لأنه أضاف ألله إلى الأب والأم، إضافة واحدة، ثم قدر نصيب الأم، فدل ذلك، على أن الباقي للأب.

وعلم من ذلك أن الأب مع عدم الأولاد لا فرض له، بل يرث تعصيبا المال كله، أو ما أبقت الفروض، لكن لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين ويعبر عنهما بالعمريتين فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه، ثم تأخذ الأم ثلث الباقى والأب الباقى.

وقد دلَّ على ذلك قوله: ﴿وورثه أبواه، فلأمه الثلث﴾ أي: ثلث ما ورثه الأبوان. وهو في هاتين الصورتين، إما سدس في زوج وأم وأب، وإما ربع في زوجة وأم وأب. فلم تدل الآية على إرث الأم، ثلث المال كاملاً، مع عدم الأولاد حسى يسقال: إن هاتسين الصورتين قد استثنيتا من هذا.

ويوضح ذلك أن الذي يأخذه الزوج أو الزوجة بمنزلة ما يأخذه الغرماء، فيكون من رأس المال، والباقي بين الأبوين.

ولأنا لو أعطينا الأم ثلث المال، لزم زيادتها على الأب في مسألة الزوج، أو أخذ الأب في مسألة الزوجة زيادة عنها نصف السدس، وهذا لا نظير له، فإن المعهود مساواتها لىلأب، أو أخذه ضعف ما تأخذه الأم.

﴿فإن كان له إخوة فلأُمّه السدس﴾ أشقاء، أو لأب، أو لأم، ذكوراً كانوا

أو إناثاً، وارثين أو محجوبين بالأب، أو الجد [لكن قد يقال: ليس ظاهر قوله: ﴿ وَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَهُ شَامِلاً لَغْيِرِ الوَارثين بدليل عدم تناولها للمحجوب بالنصف، فعلى هذا لا يحجبها عن السلمث من الإخوة إلا الإخوة الوارثون. ويؤيده أن الحكمة في الوارثون، ويؤيده أن الحكمة في حجبهم لها عن الثلث لأجل أن يتوفر لهم شيء من المال، وهو معدوم، والله أعلم] أن ولكن بشرط كونهم اثنين فأكثر، ويشكل على ذلك إتيان لفظ فأكثر، ويشكل على ذلك إتيان لفظ ذلك بأن المقصود مجرد التعدد ذلك بأنين.

وقد يطلق الجمع ويراد به الاثنان، كما في قوله تعالى عن داود وسليمان. ﴿وكنا لحكمهم شاهدين ﴿ وقال في الإخوة للأم: ﴿وإن كان رجل يورك كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴾

فأطلق لفظ الجمع والمراد اثنان فأكثر بالإجاع. فعلى هذا لو خلف أما وأبا وإخوة، كان للأم السدس، والباقي للأب، فحجبوها عن الثلث، مع حجب الأب إياهم [إلا على الاحتمال الآخر فإن للأم الشلث والباقي للأب] (").

ثم قال تعالى: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ أي: هذه الفروض والأنصباء والمواريث، إنما ترد وتستحق بعد نزع الديون التي على الميت لله أو للآدميين، وبعد الوصايا التي قد أوصى الميت بها بعد موته، فالباقي عن ذلك، هو التركة الذي يستحقه الورثة.

وقدم الوصية مع أنها مؤخرة عن الدين للاهتمام بشأنها، لكون إخراجها شاقاً على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال.

⁽١) في ب: الذمة.

 ⁽٢) زيادة من هامش ب وهناك زيادة أخرى في هامش أ وإن لم يتبين محلها، لكنها ذات صلة بهذا الموضوع وهي قوله: [وعند شيخ الإسلام إذا كان الإخوة غير وارثين فإنهم لا يحجبون الأم] وبعد كلمة الأم كلمة غير واضحة في الأصل.

⁽۳) زیادة من هامش ب.

وأما الوصية فإنها تصح من الثلث فأقل، للأجنبي الذي هو غير وارث. وأما غير ذلك فلا ينفذ إلا بإجازة الورثة، قال تعالى: ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾.

فلو رد تقدير الإرث إلى عقولكم واختياركم لحصل من الضرر ما الله به عليم، لنقص العقول وعدم معرفتها بما هو اللائق الأحسن، في كل زمان ومكان. فلا يدرون أي: الأولاد أو الوالدين أنفع لهم وأقرب، لحصول مقاصدهم الدينية والدنيوية.

﴿فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً ﴿ أَي : فرضها الله الذي قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحكم ما شرعه ، وقد رما قدره على أحسن تقدير ، لا تستطيع العقول أن تقترح مثل أحكامه الصالحة الموافقة لكل زمان وحال .

شم قبال تعبالى: ﴿ولكم ﴾ أيها الأزواج ﴿نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فلكم الربع عما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين، ولهن الربع عما تركتم إن لم يكن لكم ولد، فإن كان لكم ولد فلهن الشمن عما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ .

ويدخل في مسمى الولد المشروط وجوده أو عدمه، ولد الصلب أو ولد الابن الذكر والأنثى، الواحد والمتعدد، الذي من الزوج أو من غيره، ويخرج عنه ولد البنات إجماعاً.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُ رَجِلُ يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾ أي: من أم، كما هي في بعض القراءات. وأجع العلماء على أن المراد بالإخوة هنا الإخوة للأم، فإذا كان يورث كلالة أي: ليس للميت والدولا ولد أي: لا أب ولا جدولا ابن ولا ابن ابن ولا بنت ابن وإن نزلوا. وهذه هي الكلالة، كما فسرها

بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد حصل على ذلك الاتفاق، ولله الحمد.

﴿فلكل واحد منهما﴾ أي: من الأخ والأخت ﴿السدس﴾ ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك﴾ أي: من واحد ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ أي: لا يزيدون على الثلث ولو زادوا عن اثنين. ودل قوله: ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ أن ذكرهم وأنشاهم سواء، لأن لفظ «التشريك» (١)

ودل لفظ «الكلالة» على أن الفروع وإن نزلوا، والأصول الذكور وإن علوا، يسقطون أولاد الأم، لأن الله لم يورثهم إلا في الكلالة، فلو لم يكن يورث كلالة، لم يرثوا منه شيئاً اتفاقاً. ودل قوله: ﴿ فِهِمَ شُرِكًا وَ فَي

الثلث أن الإخوة الأشقاء يسقطون في المسألة المسماة بالحمارية. وهي: زوج، وأم، وإخوة الأم، وإخوة أشقاء. للزوج النصف. وللأم الشلث، السدس، وللإخوة للأم الشلث، ويسقط الأشقاء، لأن الله أضاف الثلث للإخوة من الأم، فلو شاركهم الثشقاء لكان جمعاً لما فرق الله حكمه. وأيضاً فإن الإخوة للأم أصحاب فروض، والأشقاء عصبات. وقد قال النبي على النبي الخلية: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر». وأهل المضروض هم النيس قدر الله أنصباءهم، ففي هذه المسألة لا يبقى بعدهم شيء، فيسقط الأشقاء، وهذا

هو الصواب في ذلك. وأما ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب، فمذكور في قوله: ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ الآية.

فالأُخت الواحدة شقيقة أو لأب لها النصف، والثنتان لهما الثلثان، والشقيقة الواحدة مع الأخت للأب، أو الأخوات، تأخذ النصف والباقي

أُوْلِيَتِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَّهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَن ٱللَّهُ فَلَن جَدَلَهُ مُصِيرًا ۞ أَمْلَهُمْ نَصِيبُ مِنْ الْكُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْمِّن النَّاسَ نَقِيرًا ۞ أَمْرَعَشُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآءَاتَنهُ مُ الْقَدُمِن فَضَيلِيُّوءَفَعَدْءَاتِينَاۤ ءَالَ إِبْرَهِيمَ ٱلْكِئَبَ وَلَلِحَكَمَةً وَءَالِنَهُمُ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿ فِينَهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِ ء وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكُنَّ بِحَهَةً مُسَعِيرًا ﴿إِنَّالَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَائِدَيْنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ الزَّاكُلُّمَا نَضِحَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرِهَا لِيَذُوفُواْ ٱلْعَذَابُ إِنَ ٱللَّهُ كَانَ عَيْرِزَاحَكِمُنَا ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتِ يَحْرِي مِن يَحِنِهَا ٱلْأَنْهَا رُخَالِدِينَ فِيهَا أَبَدُّا لَهُمْ فِيهَا أَذْوَبُعُ مُطَلَقَرَةً ۚ وَيُدْخِلُهُمْ خِلْلُاطَلِيلًا۞ • إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمُ أَنْ تُوَدُّواْ ٱلْأَمْلَنَتِ إِلَّى أَهْلِهَا وَإِذَا سَكَّتُ مُبِّرِ النَّاسِ أَنْ غَكَمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ الْقَدِيفِ مَا يَعِظُكُمْ بِهِتَّ إِنَّ الْقَدَّكَانَ سَيِيعًا بَيِيرًا ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤ ٱلَّهِيعُوا ٱللَّهُ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْخَرِمِينَكُونَ إِن سَنَزَعْتُمْ فِي شَيْء وَفَرُهُ وَهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن اللهُ مَنْ مُوْمَوْنَ بِأَهْمِ وَالْمَوْرِ ٱلْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا OLEGO " DESCRIPTION

من الشلشين للأخت أو الأخوات لأب^(۲)، وهو السدس تكملة الثلثين. وإذا استغرقت الشقيقات الثلثين سقط الأخوات للأب كما تقدم في البنات وبنات الابن. وإن كان الإخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثين.

فإن قبل: فهل يستفاد حكم ميراث القاتل، والرقيق، والمخالف في الدين، والمبعض، والخنثى، والجد مع الإخوة لغير أم، والعول، والرد، وذوي الأرحام، وبقية العصبة، والأخوات لغير أم، مع البنات أو بنات الابن من القرآن أم لا؟

قيل: نعم، فيه تنبيهات وإشارات دقيقة يعسر فهمها على غير المتأمل، تدل على جميع المذكورات. فأما (القاتل والمخالف في الدين) فيعرف أنهما غير وارثين من بيان الحكمة الإلهية في توزيع المال على الورثة، بحسب قربهم ونفعهم الديني والدنيوي.

وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة بقوله: ﴿لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾. وقد علم أن القاتل قد سعى لمورثه (٣) بأعظم الضور، فلا ينتهض ما فيه من موجب الإرث، أن يقاوم ضرر القتل الذي هو ضد النفع الذي

⁽١) في ب: الشريك.

⁽٢) في النسختين أخوات الأب، والصواب. والله أعلم. ما أثبته، وظاهر أنه سبق قلم.

⁽٣) في الأصل: لموروثه.

رتب عليه الإرث. فعلم من ذلك أن القتل أكبر مانع يمنع الميراث، ويقطع الرحم الذي قال الله فيه: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾. مع أنه قد استقرت القاعدة الشرعية أن "من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه».

وبهذا ونحوه يعرف أن المخالف لدين الموروث لا إرث له، وذلك أنه قد تعارض الموجب الذي هو اتصال النسب الموجب للإرث، والمانع الذي هو المخالفة في الدين، الموجبة للمباينة من كل وجه، فقوي المانع، ومنع موجب الإرث الذي هو النسب، فلم يعمل الموجب لقيام المانع. يوضح ذلك أن الله تعالى قد جعل حقوق المسلمين أولى من حقوق الأقارب الكفار الدنيوية، فإذا مات المسلم انتقل ماله إلى مَنْ هو أولى وأحق به. فيكون قوله تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله الأفقت أديانهم، وأما مع تباينهم، فالأخوة الدينية مقدمة على الأخوة النسبية المجردة.

قال ابن القيم في اجلاء الأفهام»: اوتأمل هذا المعنى في آية المواريث، وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ الزوجة، دون المرأة، كما في قوله

تعالى: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم . إيذاناً بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث. وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين (١١) [انتهى].

وأما (الرقيق) فإنه لا يرث ولا يسورُث، أما كسونه لا يسورث فواضح، لأنه ليس له مال يورث عنه، بل كل ما معه فهو لسيده. وأما كونه لا يرث، فلأنه لا يملك، فإنه لو ملك لكان لسيده، وهو أجنبي من الميت، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿للذَّكُرُ مثل حظ الأنثيين ﴾ _ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم، ﴿فلكل وأحد منهما السدس، وتحوها، لمن يتأتى منه التملك، فأما الرقيق فلا يتأتى منه ذلك، فعلم أنه لا ميراث له. وأما من بعضه حر وبعضه رقيق، فإنه تتبعض أحكامه. فما فيه من الحرية يستحق بها ما رتبه الله في المواريث، لكون ما فيه من الحرية قابلاً للتملك، وما فيه من الرق فليس بقابل لذلك، فإذا يكون المبعض، يرث ويورث، ويحجب بقدر ما فيه من الحرية. وإذا كان العبد يكون محموداً مذموماً، مثاباً ومعاقباً، بقدر ما فيه من موجبات ذلك، فهذا كذلك.

ية من موجبت دين، فهذا تدين. وأما (الخنثى) فلا يخلو إما أن يكون واضحاً ذكوريته أو أنوثيته، أو مشكلاً. فإن كان واضحاً فالأمر فيه واضح.

إنّ كان ذكراً فله حكم الذكور، ويشمله النص الوارد فيهم.

وإن كان أنثى فله حكم الإناث، ويشملها النص الوارد فيهن.

وإن كان مشكلاً، فإن كان الذكر والأنثى لا يختلف إرثهما _ كالإخوة للأم _ فالأمر فيه واضح، وإن كان يختلف إرثه بتقدير ذكوريته وبتقدير أنوثيته، ولم يبق لنا طريق إلى العلم بذلك، لم نعطه أكثر التقديرين،

لاحتمال ظلم من معه من الورثة، ولم نعطه الأقل، لاحتمال ظلمنا له. فوجب التوسط بين الأمرين، وسلوك أعدل الطريقين، قال تعالى: ﴿اعدلوا لعدل في مثل هذا أكثر من هذا الطريق المذكور. و ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.

وسعها والمه ما استطعتم ... وأما (ميراث الجد) مع الإخوة الأشقاء أو لأب، وهل يرثون معه أم لا؟ فقد دل كتاب الله على قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأن الجد يجب الإخوة أشقاء أو لأب أو لأم، كما يحجبهم الأب.

وبيان ذلك: أن الجد أب في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِذَ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق الآية. وقال يوسف عليه السلام: ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾.

فَسَمَى الله الجد وجد الأب أباً. فدل ذلك على أن الجد بمنزلة الأب، يرث ما يرثه الأب، ويحجب من يجعه.

وإذا كان العلماء قد أجعوا على أن الجد حكمه حكم الأب عند عدمه في ميراثه مع الأولاد وغيرهم، من بني الإخوة والأعمام وبنيهم، وسائر أحكام (٢) المواريث، فينبغي أيضاً أن يكون حكمه حكمه في حجب الإخوة لغيراً م.

وإذا كنان ابن الابن بمنزلة ابن الصلب، فلم لا يكون الجد بمنزلة ابن الأب؟ وإذا كن جد الأب مع ابن الأخ، قد اتفق العلماء على أنه يحجبه. فلم لا يحجب جد الميت أخاه؟ فليس مع مَنْ يورث الإخوة مع الجد، نص ولا إشارة، ولا تنبيه ولا قياس

وأما مسائل (الغول) فإنه يستفاد حكمها من القرآن، وذلك أن الله تعالى قد فرض وقدر لأهل المواريث أنصباء،

وَلَوْلَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اَقْتُلُوۤا أَنفُسَكُمْ أَوا خُرُجُوامِن دِينرِكُومَافَعَكُوهُ إِلَّا قِلْيِلُّ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعُلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦٓلَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَـدَّ تَقِيبُـنَا ۞ وَإِذَا لَآئِينَهُمْ مِن لَّدُنَّا أَخِرًا عَظِيمًا ﴿ وَلِمَا يَنْهُمْ مِيرَطًا تُسْتَقِيمًا ﴿ وَمَن يُعِلِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَيْهِ كَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱنْعَـمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبَيْءَ وَالصِّدِيقِينَ وَالصَّالِمِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُرَ أُوْلَيْكَ رَفِيقًا ۞ ذَلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَ فَي بِٱللَّهِ عَلِيكًا ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْخُذُواْحِنْدَكُمْ فَٱنِفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِاْنِفِرُواْ جَبِعًا ۞ وَإِذَّ مِنكُوْكُنَ لِّبُيِّطَانَنَ فَإِنْ أَصَابَتْكُرُ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْفَ مَاللَّهُ عَلَىٓ إِذْ لَرْأَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿ وَلَيِنْ أَصَابَكُو ْفَضَالَّةِنَ ٱللَّهِ لِتَقُولَنَّ كَأْنَ لِّزَّتْكُنَّ بَيْنَكُمُ مَيْنَكُمُ مَوَدَّةً مِّنَكُنَّ مَنَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ • فَلْيُقَائِلْ فِي سَيِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF فإن تساووا من كل وجه اشتركوا. والله

يَشْرُونَ ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَ الْإِلْآخِ رَفَّوَمَن يُقَلَّىٰ فِلْ فِ

ا سَيِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْبِغَلِبْ فَسَوْفَ نُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞

وأما كون الأخوات لغير أم مع البنات، أو بنات الابن عصبات، يأخذن ما فضل عن فروضهن، فلأنه ليس في النقرآن ما يندل على أن الأخوات يسقطن بالبنات.

فإذا كان الأمر كذلك، وبقى شيء بعد أخذ البنات فرضهن، فإنه يعطى للأخوات، ولا يعدل عنهن إلى عصبة أبعد منهن، كابن الأخ والعم، ومَنْ هو أبعد منهم. والله أعلم.

﴿١٤ _ ١٤ ﴾ ﴿تلك حيدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ أي: تلك التفاصيل التي ذكرها في المواريث حدود الله التي يجب الوقوف معها، وعدم مجاوزتها، ولا القصور عنها، وفي ذلك دليل على أن الوصية للوارث منسوخة بتقديره تعالى أنصباء الوارثين. شم قبوليه تبعيالي: ﴿تبليك حدود ألله ﴾ (٢) فالوصية للوارث بزيادة

علة الرد كونه صاحب فرض قريباً، إما أن يحجب بعضهم بعضاً، أو وعلى القول الآخر أن الزوجين كغيرهما من ذوى الفروض يرد عليهما؛ فكما ينقصان بالعول فإنهما يزادان بالرد كغيرهما فالعلة على هذا كونه وارثأ صاحب فرض، فهذا هو الظاهر من دلالة الكتاب والسنة، والقياس الصحيح والله أعلم]^(١).

وبهذا يعلم أيضاً (ميراث ذوي الأرحام) فإن الميت إذا لم يخلف صاحب فرض ولا عاصباً، وبقى الأمر دائراً بين كون ماله يكون لبيت المال لمنافع الأجانب، وبين كون ماله يرجع إلى أقاربه المدلين بالورثة المجمع عليهم، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وأُولُو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴿ . فصرفه لغيرهم ترك لن هو أولى من غيره، فتعين توريث ذوي الأرحام. وإذا تعين توريثهم، فقد علم أنه ليس لهم نصيب مقدر بأعيانهم في كتاب الله. وأن بينهم وبين الميت وسائط، صاروا بسببها من الأقارب. فينزلون منزلة مَنْ أدلوا به من تلك الوسائط. والله أعلم.

وأما (ميراث بقية العصبة) كالبنوة، والأخوة وبنيهم، والأعمام وبنيهم إلخ فإن النبي ﷺ قال: "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر». وقال تعالى: ﴿وَلَكُلُّ جِعَلْنَا مُوالَى مُمَا ترك الوالدان والأقربون ﴾. فإذا ألحقنا الفروض بأهلها، ولم يبق شيء، لم يستحق العاصب شيئاً، وإن بقي شيء أخذه أولى العصبة، وبحسب جهاتهم ودرجاتهم.

فإن جهات العصوبة خمس: البنوة، ثم الأبوة، ثم الأخوة وبنوهم، ثم العمومة وبنوهم، ثم الولاء، فيقدم منهم الأقرب جهة. فإن كانوا في جهة واحدة، فالأقرب منزلة، فإن كانوا في منزلة واحدة، فالأقوى وهو الشقيق،

وهم بين حالتين :

فإن حجب بعضهم بعضاً، فالمحجوب ساقط لا ينزاحم ولا يستحق شيئاً، وإن لم يحجب بعضهم بعضاً، فلا يخلو، إما أن لا تستغرق الفروض التركة، أو تستغرقها من غير زيادة ولا نقص، أو تزيد الفروض على التركة، ففي الحالتين الأوليين كلُّ يأخذ فرضه كاملاً. وفي الحالة الأخيرة، وهي ما إذا زادت الفروض على التركة فلا يخلو من

إما أن ننقص بعض الورثة عن فرضه الذي فرضه الله له، ونكمل للباقين منهم فروضهم، وهذا ترجيح بغير مرجح، وليس نقصان أحدهم بأولى من الآخر، فتعينت الحال الثانية، وهي: أننا نعطي كل واحد منهم نصيبه بقدر الإمكان، ونحاصص بينهم كديون الغرماء الزائدة على مال الغريم، ولا طريق موصل إلى ذلك إلاَّ بالعول، فعلم من هذا أن العول في الفرائض قد بينه الله في كتابه.

وبعكس هذه الطريقة بعينها يعلم (الرد). فيإن أهل النفروض إذا لم تستغرق فروضهم التركة، وبقى شيءً ليس له مستحق من عاصب قريب ولا بعيد، فإن رده على أحدهم ترجيح بغير مرجح، وإعطاؤه غيرهم نمن ليس بقريب للميت، جنف وميل، ومعارضة لقوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴿ . فتعين أن يردعلي أهل الفروض بقدر

فروضهم. ولما كان الزوجان ليسا من القرابة، لم يستحقا زيادة على فرضهم المقدر [هذا عند من لا يورث الزوجين بالرد، وهم جمهور القائلين بالرد فعلى هذا تكون

ما بين القوسين زيادة من هامش أ. وقد جاء في ب بدل هذه الزيادة ما نصه: [عند القائلين بعدم الرد عليهما. وأما على القول الصحيح أن حكم الزوجين حكم باقي الورثة في الرد فالدليل المذكور شامل للجميع، كما شملهم دليل العول].

هنا سبقُ قلم من الشيخ ــ رحمه الله _ فالآية ﴿تلك حدود الله﴾ وأثبت الشيخ ــ زيادة ﴿فلا تعتدوها﴾ وليس هنا محلها، وعلى مقتضى ما أثبت فسر، فأبقيت الكلام كما هو، وعدلت الآية.

AND THE STATE OF THE PARTY NAMED IN وَمَالَكُمْ لَانْفَيْلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ إِلْسَالِ وَالِنْسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبِّنآ أَخْرِجْنَامِنْ هَافِهِ ٱلْقَرِّيةِ ٱلظَّالِرَ أَهْلُهَا وَلَجْعَلَ لَّنَامِنِ لَّدُنُكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلَ لِّنَامِن لَدُنْكَ نَصِيرًا ۞ ٱلَّذِينَ مَامَوْا يُعَيْدُونَ فِي سَبِيلَ لَقَّةً وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُعَيِّدُونَ فِ سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ فَقَائِلُوٓا أَوْلِيآا الشَّيْطِينَ إِنَّ كَيْدَالشَّيْطِينَ كَانَ صَعِيعًا ۞ أَلَرْسَرَالَ الَّذِينَ مِلَ لَمُتُمَّ كُفُوٓ إَلَيْدِينَكُرٌ وَأُقِيمُواْ السَّالَوَةَ وَمَاثُواْ ٱلزَّكُونَ فَلَمَاكُيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِنَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَحْشُونَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْأَشَدَّ خُشْيَةً وَقَالُواْرَيَّنَا لِرَكَيْلْتَ عَلَيْنَا ٱلْفِئَالَ لَوْلَآ أَخَرَيْنَاۚ إِلَىٰ أَجَلِ فَرِيبٍ قُلْ مَنْعُ ٱلذُّنْيَا فَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِيَنَانَغُنَىٰ وَلَانُظُلَمُونَ فَتِيلًا ۞ أَيْنَمَا تَكُونُوا بُدُرِكُمُّ اَلْمَوْتُ وَلَوْكُنتُدُو بُرُوجٍ مُّشَيِّدَةً وَإِن تَصِبْهُمْ حَسَنَةً يَتُولُواْ هَا وَمِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَإِن تُصِبَّهُمْ سَيِّتَهُ يَتُولُواْ هَاذِهِ مِنْ عِندِكُ قُلْكُلْ مِنْ عِندِ اللَّهِ فَال هَنَوُلِكَمْ الْفَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۞ مَّا أَصَابِكَ مِنْ حَسَنَةٍ فِينَ ٱللَّهِ وَمَا أَصَابِكَ مِن اسَيِّتَةِ مِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلَنَكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَنْ بِأَهْوَشَهِيدًا ۞

ACTUACY DESCRIPTION على حقه، يدخل في هذا التعدي، مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث». ثم ذكر طاعة الله ورسوله ومعصيتهما عموماً، ليدخل في العموم لزوم حدوده في الفرائض، أو ترك ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَطِعُ اللهُ وَرُسُولُهُ ﴾ بامتثال أمرهما الذي أعظمه طاعتهما في التوحيد، ثم الأوامر على اختلاف درجاتها، واجتناب نهيهما الذي أعظمه الشرك بالله، ثم المعاصى على اختلاف طبقاتها ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها). فمَنْ أدى الأوامر، واجتنب النواهي، فلا بدله من دخول الجنة والنجأة من النار. ﴿وذلك الفوز العظيم﴾ الذي حصل به النجاة من سخطه وعذابه، والفوز بثوابه ورضوانه بالنعيم المقيم الذي

لا يصفه الواصفون. ﴿وَمَنْ يَعِصُ اللهِ ورسولُهُ ويتعِدُ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ ويدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصى، فلا. يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصى فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طّاعته وطاعة رسوله. ورتب دخول النارعلى معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب.

ومَنْ عصى الله ورسوله معصية تامة، يدخل فيها الشرك فما دونه،

دخل النار وخلَّد فيها، ومَنْ اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية. وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد، غير مخلدين في النار،

الخلود فيها. ﴿ ١٦ ـ ١٦ ﴾ ﴿ والسلاتي يسأتسين الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً * واللَّذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابأ

بالفاحشة لشناعتها وقبحها. أي: من رجالكم المؤمنين العدول. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأُمْسَكُوهِنْ فِي البِيوتِ﴾

رحيماً ﴾ أي: النساء ﴿اللآلِ يأتين

الفاحشة♦أي: الزنا، ووصفها

أي: احبسوهن عن الخروج الموجب للريبة، وأيضاً فإن الحبس من جملة العقوبات ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ أي: هذا منتهى الحبس. ﴿أُو يَجعل الله لهن سبيلاً أي: طريقاً غير الحبس في البيوت، وهذه الآية ليست منسوخة،

وإنما هي مغياة إلى ذلك الوقت، فكان الأمر في أول الإسلام كذلك، حتى جعل ألله لهن سبيلاً، وهو رجم المحصن وجلد غير المحصن. ﴿وَ كَذَلْكَ ﴿اللَّذَانَ يَأْتَيَانَهَا ﴾ أي:

الفاحشة ﴿منكم﴾ من الرجال والنساء ﴿فَأَذُوهُما ﴾ بالقول والتوبيخ والتعيير، والضرب الرادع عن هذه الفاحشة، فعلى هذا يكون الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون، والنساء يحبسن ويؤذين.

فالحبس غايته إلى الموت، والأذية نهايتها إلى التوبة والإضلاح، ولهذا قىال: ﴿فَاإِنْ تِمَانِيا﴾ أي: رجعًا عن الذنب الذي فعلاه وندما عليه، وعزما على أن لا يعودا ﴿وأصلحا﴾ العمل الدال على صدق التوبة ﴿فأعرضوا عنهما ﴾ أي: عن أذاهما ﴿إن الله كان

توابأ رحيماً ﴿ أي: كثير التوبة على المذنبين الخطائين، عظيم الرحمة والإحسان، الذي _من إحسانه _ وفقهم للتوبة وقبلها منهم، وسامحهم عن ما صدر منهم. ويؤخذ من هاتين الآيتين أن بينة

فما معهم من التوحيد مانع لهم من الزنا، لابدأن تكون أربعة رجال مؤمنين، ومن باب أولى وأحرى اشتراط عدالتهم؛ لأن الله تعالى شدد في أمر هذه الفاحشة، ستراً لعباده، حتى إنه لا يقبل فيها النساء منفردات، ولا مع الرجال، ولا ما دون أربعة.

ولا بد من التصريح بالشهادة، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وتسومسيء إليه هسذه الآيسة لما قسال: ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾. لم يكتف بذلك حتى قال: ﴿فَإِن شَهْدُوا﴾ أي: لا بدمن شهادة صريحة عن أمر ﴿ فِاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ يشاهد عياناً ، من غير تعريض ولا كناية.

ويؤخذ منهما أن الأذية بالقول والفعل والحبس، قد شرعه الله تعزيراً لجنس المعصية الذي يحصل به الزجر.

﴿ ١٧ _ ١٨ ﴾ ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ توبة الله على عباده نوعانُ: توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد، فأخبر هنا _أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرماً منه وجوداً، لمن عمل السوء، أي: المعاصى ﴿بِجِهِالةِ﴾ أي: جهالة منه بعاقبتها، وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تؤول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص له، فهو جاهل بهذا الاعتبار، وإن كان عالماً بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقب عليها. ﴿ثم يتوبون من

قريب﴾ يحتمل أن يكون العني: تم

يتوبون قبل معاينة الموت، فإن الله يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والمعذاب قطعاً. وأما بعد حضور الموت، فلا يقبل من العاصين توبة، ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم، لما رأوا بأسنا،

وقال هنا: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ أي: المعاصي فيما دون الكفر.

سنة الله التي قد خلت في عباده).

وحتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار، أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل (۱) أن يكون معنى قوله: «من قريب» أي: قريب من فعلهم للذنب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب، وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفات راسخة، فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة.

والخالب أنه لا يوفق للتوبة، ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السسوء على علم تام^(٣) ويقين، وتهاون⁽¹⁾ بنظر الله إليه، فإنه سد^(۵) على نفسه باب الرحة.

نعم قد يوفق الله عبده المصر على المذنوب عن عمد ويقين لتوبة (٢) تامة (٧)، [التي] يمحو بها ما سلف من سيئاته، وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا

ختم الآية الأولى بقوله: ﴿وكان اللهِ عليماً حكيماً ﴾ .

فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها، فيجازي كلاً منهما بحسب ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدم توفيقه. والله أعلم.

﴿١٩ ـ ٢١﴾ ﴿يا أيها الذِّين آمنوا

لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً

ولا تعضلوهن لتذهبوا بنعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً * وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بمتانا وإثماً مبيناً * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ كانوا في الجاهلية إذا مات أحدهم عن زوجته، رأى قريبه كأخيه وابن عمه ونحوهما أنه أحق بزوجته من كل أحد، وحماها عن غيره، أحبت أو كرهت. فإن أحبها تزوجها على صداق يحبه دونها، وإن لم يرضها عضلها، فلا يزوجها إلاَّ مَنْ يختاره هو، وربما امتنع من تزويجها حتى تبذل له شيئاً من ميراث قريبه أو من صداقها، وكان الرجل أيضاً يعضل زوجته التي [يكون] يكرهها ليذهب ببعض ما آتاها، فنهى الله المؤمنين عن جميع هذه الأحوال إلا حالتين: إذا رضيت واختارت نكاح قريب زوجها الأولَّ، كـمـا هـو مـفـهـوم قـوكـه: ﴿كرِهاً﴾. وإذا أتين بفاحشة مبينة كالزنا والكلام الفاحش وأذيتها

ثم قال: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾

لزوجها، فإنه في هذه الحال يجوز له أن يعضلها، عقوبة لها على فعلها، لتفتدى

قَرَيْطِع الرَّمُوكَ فَقَدَالُمَاعَ الْتَدُّوْنُ وَقَلْ لَا مَمَّا الْرَسَانَكَ مَنْ عَلَيْهِمْ مَغِيضًا ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَمَا مَغَالَا الْمَامَةُ الْأَرْدُالْ الْمَدْعِنَا الْمُدْعِنَا الْمُعْلِقِينَا الْمُدْعِلَا الْمُدْعِلَا الْمُدْعِنَا الْمُدْعِنَا الْمُعْلِمِينَا الْمُدْعِلَا الْمُعْلِمِينَا الْمُدْعِلَا الْمُعْلِمِينَا الْمُدْعِلَا الْمُعْلِمُ الْمُدْعِلَا الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمِينَا الْمُعْلِمِينَا الْمُعْلَمِينَا الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمِينَا الْمُعْلِمِينَا الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمِينَا الْمُعْلِمِينَا الْمُعْلِمِينَا الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمِينَا الْمُعْلِمِينَا الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمِينَا الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِينَا الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِينَا الْمُعْلِمُ الْمُعْلِم

القوعليك موروعته الآخته القيطان الأفيلان الموالد المؤدن ا

المُنْ الْمُنْ مُنْ الْمُنْ ال

وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجت بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسس المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوها، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال.

﴿ فَإِن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ أي: ينبغي لكنم _أيها الأزواج _ أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيراً كثيراً. من ذلك امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.

ومنها أن إجباره نفسه - مع عدم عبته لها - فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة. وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك. وربما رزق منها ولذا صالحاً، نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور.

فإن كان لا بدمن الفراق، وليس

فی ب: یسد.

(0)

منه إذا كان عضلاً بالعدل.

⁽۲) ن*ی* ب: ذنبه.

⁽٣) في ب: قائم. (٦) في ب: للتوبة.

⁽٤) في ب: متهاون. (٧) في ب: النافعة.

 ⁽١) في هامش أ [ويؤيد هذا الاحتمال
 أن ألله قال: ﴿إنما التوبة على الله﴾

الحاضرة ولم يقل: إنما يتوب الله، وبين اللفظين فرق ظاهر].

الإمساك على، فليس الإمساك بلازم. بل متى ﴿أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وتزوج أي: قطليق زوجة ، وتزوج أي: فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج . ولكن إذا ﴿آتيتم إحداهن أي: المفارقة ، أو التي تزوجها ﴿قنطاراً ﴾ أي: مالاً كثيراً . ﴿فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ بل وفروه لهن ، ولا تمطلوا بهن .

وفي هذه الآية دلالة على عدم تحريم كشرة المهر، مع أن الأفضل واللاشق الاقتداء بالنبي على في تخفيف المهر. ووجه الدلالة أن الله أخبر عن أمريقع منهم، ولم ينكره عليهم. فدل على عدم تحريمه [لكن قد ينهى عن كثرة الصداق إذا تضمن مفسدة دينية وعدم مصلحة تقاوم](١).

ثم قال: ﴿أَتَأْخِذُونَهُ بِهِتَانَاً وَإِثْمَاً مبيناً﴾ فإن هذالا يحل، ولو تحيلتم عليه بأنواع الحيل، فإن إثمه واضح.

وقد بين تعالى حكمة ذلك بقوله: وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض، وأخذن منكم ميشاقاً غليظاً ، وبيان ذلك: أن الزوجة قبل عقد النكاح محرمة على الزوج، ولم ترض بحلها له إلا بذلك المهر الذي يدفعه لها، فإذا دخل بها وأفضى إليها، وباشرها المباشرة التي كانت حراماً قبل

ذلك، التي لم ترض ببذلها إلا بذلك العوض، فإنه قد استوفى المعوض، فثبت عليه العوض، فكيف يستوفي المعوض، ثم بعد ذلك يرجع على العوض؟ هذا من أعظم الظلم والجور، وكذلك أخذ الله على الأزواج ميثاقاً غليظاً بالعقد، والقيام بحقوقها. ثم قال تعالى:

﴿٢٢﴾ ﴿ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾ أي: لا تتزوجوا من النساء ما تزوجهن آباؤكم، أي: الأب وإن علا. ﴿إنه كان فاحشة﴾ أي: أمراً قبيحاً يفحش ويعظم قبحه ﴿ومقتاً﴾ من الله لكم ومن الخلق، بل يمقت بسبب ذلك الابن أباه، والأب ابنه، مع الأمر بيره.

﴿وساء سبيلا﴾ أي: بئس الطريق طريقاً لمن سلكه، لأن هذا من عوائد الجاهلية، التي جاء الإسلام بالتنزه عنها والبراءة منها.

﴿ ٢٣ _ ٢٤﴾ ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نساءكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نساءكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبناءكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً * والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولأجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ هذه الآيات الكريمات مشتملات على المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع، والمحرمات بالصهر، والمحرمات بالجمع، وعلى المحللات من النساء. فأما المحرمات

في النسب فهن السبع اللاتي ذكرهن الله.

الأم، يدخل فيها كل مَنْ لها عليك ولادة، وإن بعدت. ويدخل في البنت كل مَنْ لك عليها ولادة، والأخوات الشقيقات، أو لأب أو لأم. والعمة: كل أخت لأبيك، أو لجدك، وإن علا. وإن علا، وإن علت، وإن علت، وإن علت، وإن علت، وإن قام لا. وبنات الأخ، وبنات الأخ،

فهؤلاء هن المحرمات من النسب بإجماع العلماء، كما هو نص الآية الكريمة، وما عداهن فيدخل في قوله:
وأحل لكم ما وراء ذلكم وذلك كبنت العمة والعم، وبنت الخال والخالة.

وأما المحرمات بالرضاع فقد ذكر الله منهن الأم، والأخت. وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، إنما هو لصاحب اللبن، دل بتنبيه على أن صاحب اللبن، يكون أباً للمرتضع فإذا ثبتت الأبوة والأمومة، ثبت ما هو فرع عنهما، كإخوتهما وأصولهم وفروعهم (٢).

وقال النبي على المحرم من الرضاع ما يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب». فينتشر التحريم من جهة المرضعة ومَنْ له اللبن، كما ينتشر في الأقارب، وفي الطفل المرتضع إلى ذريته فقط. لكن بشرط أن يكون الرضاع خمس رضعات في الحولين، كما بينت السنة.

وأما المحرمات بالصهر، فهن أربع. حلائل الآباء وإن علوا، وحلائل الأبناء وإن نزلوا، وارثين أو محجوبين. وأمهات الزوجة وإن علون، فهؤلاء الثلاث يحرمن بمجرد العقد.

والرابعة: الربيبة، وهي بنت زوجته وإن نزلت، فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجته كما قال هنا ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ الاية.

وقد قبال الجمهور: إن قبوله: ﴿اللاتِ في حجوركم﴾ قيد خرج نخرج

الغالب، لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره، ولكن للتقييد بذلك فائدتان:

إحداهما: فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة، وأنها كانت بمنزلة البنت فمن المستقبح إباحتها.

والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة، وأنها بمنزلة مَنْ هي في حجره من بناته ونحوهن. والله أعلم.

وأما المحرمات بالجمع، فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحَرَّمَهُ. وحرَّم النبي على الجمع بين المرأة وعمتها، أو خالتها، فكل امرأتين بينهما رحم عرم، لو قدر إحداهما ذكراً والأخرى أنشى، حرمت عليه، فإنه يحرم الجمع بينهما، وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام.

ومن المحرمات في السكاح فه المحصنات من النساء أي: ذوات الأزواج. فإنه يحرم نكاحهن ما دمن في عدتها. ﴿إلا ما ملكت أيمانكم أي: بالسبي، فإذا سبيت الكافرة ذات بالسبي، فإذا سبيت الكافرة ذات تستبراً. وأما إذا بيعت الأمة المزوجة أو وهبت، فإنه لا ينفسخ نكاحها لأن الملك الثاني نزل منزلة الأول، ولقصة بريرة حين خيرها النبي

وقوله: ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ أي: النرموه واهتدوا به، فإن فيه الشفاء والنور، وفيه تفصيل الحلال من الحرام.

ودخل في قوله: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم كل ما لم يذكر في هذه الآية، فإنه حلال طيب. فالحرام عسسور، والحلال ليس له حد ولا حصر، لطفاً من الله ورحمة، وتسيراً للعباد.

وقوله: ﴿أَنْ تَبَتَعُوا بِأَمُوالَكُمَ ﴾ أي: تطلبسوا من وقع عليه نظركم واختياركم، من اللاتي أباحهن الله لكم حالة كونكم ﴿محصنين ﴾ أي: مستعفين عن الزنا، ومعفين نساءكم.

﴿غير مسافحين﴾ والسفح: سفح الماء في الحلال والحرام، فإن الفاعل لذلك لا يحصن زوجته، لكونه وضع شهوته في الحرام، فتضعف داعيته للحلال، فلا يبقى محصناً لزوجته. وفيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف، لقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكِح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكِحها إلا زان أو مشرك.

﴿فما استمتعتم به منهن﴾ أي: عن تزوجتموها ﴿فاتوهن أجورهن﴾ أي: الأجور في مقابلة الاستمتاع. ولهذا إذا صداقها، ﴿فريضة﴾ أي: إتيانكم صداقها، ﴿فريضة﴾ أي: إتيانكم عليكم، ليس بمنزلة التبرع الذي إن شاء أمضاه وإن شاء رده. أو معنى قوله فريضة: أي: مقدرة قد قدر تموها منها فوجبت عليكم، فلا تنقصوا منها

شبثا

ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة أي: بزيادة من الزوج، أو إسقاط من الزوجة عن رضا وطيب نفس [هذا قول كثير من المفسرين، وقال كثير منهم: إنها نزلت في متعة النساء التي كانت حلالاً في أول الإسلام، ثم حرمها النبي على انقضى الأمد الذي بينهما فتراضيا بعد الفريضة فلا حرج عليهما، والله أعلم](١).

﴿إِن الله كان عليماً حكيماً ﴾ أي: كامل العلم واسعه، كامل الحكمة. فمن علمه وحكمته شرع لكم هذه الشرائع، وحدً لكم هذه الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام.

﴿ ٢٥﴾ ثم قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمَ يَسْتَطِعُ مِنْكُمْ طُولاً أَنْ يَنْكُمُ المُحْسَنَاتُ المُؤْمِنَاتُ فَمِنْ مَا مَلْكُتُ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتِياتُكُمْ المؤمِنَاتُ واللهُ أُعلم بإيمانُكُم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات

أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم أي: ومَنْ لم يستطع الطول الذي هو المهر لنكاح المحصنات، أي: الحرائر المؤمنات، وخاف على نفسه العنت، أي: الزنا أو المشقة الكثيرة، فيجوز له نكاح الإماء المملوكات فيجوز له نكاح الإماء المملوكات المؤمنات. وهذا بحسب ما يظهر، وإلا فأمور الدنيا مبنية على ظواهر الأمور، وأحكام الآخرة مبنية على ما في البواطن.

﴿فَانْكُحُوهُنَ﴾ أي: المملوكات ﴿بإذن أهلهن﴾ أي: سيدهن، واحداً، أو متعدداً.

﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف ﴾
أي: ولو كن إماء، فإنه كما يجب المهر للحرة، فكذلك يجب للأمة. ولكن لا يجوز نكاح الإماء إلا إذا كن إلحصنات ﴾ أي: عفيفات عن الزنا ﴿عَمِينَات ﴾ أي: زانيات علانية ﴿ولا متخذات أخدان ﴾ أي: أخلاء ﴿

فالحاصل أنه لا يجوز للحر المسلم نكاح أمة، إلا باربعة شروط ذكرها الله: الإيمان بهن، والعفة ظاهراً وباطناً، وعدم استطاعة طول الحرة، وخوف العنت، فإذا تمت هذه الشروط جاز له نكاحهن.

ومع هذا فالصبر عن نكاحهن أفضل، لما فيه من تعريض الأولاد للرق، ولما فيه من الدناءة والعيب. وهذا إذا أمكن الصبر، فإن لم يمكن الصبر عن المحرم إلا بنكاحهن وجب ذلك. ولهذا قال: ﴿وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم﴾

وُقوله: ﴿فإذا أحصن ﴾ أي: تزوجين أو أسلمين، أي: الإماء ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات ﴾ أي: الحرائر ﴿من العذاب ﴾

وذلك الذي يمكن تنصيفه، وهو

الجلد، فيكون عليهن خسون جلدة. وأما الرجم فليس على الإماء رجم، لأنه لا يتنصف، فعلى القول الأول إذا لم يتزوجن فليس عليهن حد، إنما عليهن تعزير يردعهن عن فعل الفاحشة.

وعلى القول الثاني: إن الإماء غير المسلمات، إذا فعلن فاحشة أيضاً عزرن.

وختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين «الغفور والرحيم» لكون هذه الأحكام رحمة بالعباد، وكرماً وإحساناً إليهم، فلم يضيق عليهم، بل وسع غاية السعة.

ولعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنبوب عباده، كما ورد بذلك الحديث. وحكم العبد الذكر في الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بينهما.

﴿٢٦ ـ ٢٨﴾ ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ يخبر تعالى بمنته العظيمة، ومنحته الجسيمة، وحسن تربيته لعباده المؤمنين، وسهولة دينه، فقال: ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ أي: جميع ما تحتاجون إلى بيانه من الحق والباطل، والحلال والحرام، ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم أي: الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم، في سيرهم الحميدة، وأفعالهم السديدة، وشماتلهم الكاملة، وتوفيقهم التام. فلذلك نفذ ما أراده، ووضح لكم، وبيّن بياناً ما بُيّنَ لمن قبلكم، وهداكم هداية عظيمة في العلم والعمل.

﴿ويتوب عليكم﴾ أي: يلطف بكم في أحوالكم وما شرعه لكم، حتى تمكنوا(١) من الوقوف على ما حده الله، والاكتفاء بما أحله، فتقل ذنوبكم

بسبب ما يسر الله عليكم، فهذا من توبته على عباده .

ومن توبته عليهم أنهم إذا أذنبوا فتح لهم أبواب الرحمة، وأوزع قلوبهم الإنابة إليه، والتذلل بين يديه، ثم يتوب عليهم بقبول ما وفقهم له. فله الحمد والشكر على ذلك.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ أي: كامل الحكمة، فمن علمه أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ومنها هذه الأشياء والحدود. ومن حكمته أنه يتوب على من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخذل مَنْ اقتضت حكمته وعدله مَنْ ليصلح للتوبة.

وقوله: ﴿والله يسريعد أن يستوب عليكم﴾ أي: توبة تلم شعثكم، وتجمع متفرقكم، وتقرّب بعيدكم.

﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ أي: يميلون معها حيث مالت، ويقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم، ويعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة والعاصين، المقدمين لأهوائهم على طاعة ربهم، فهؤلاء يريدون ﴿أَن تَميلوا ميلاً عظيماً﴾ أي: [أن] تنحرفوا عن الصراط المنتقيم، إلى صراط المغضوب عليهم والضالين.

يريدون أن يصرفوكم عن طاعة الرحن إلى طاعة الشيطان، وعن التزام حدود من السعادة كلها في امتثال أوامره، إلى من الشقاوة كلها في اتباعه. فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه عادتكم، وأن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرونكم بما فيه غاية الحسار والشقاء، فاختاروا لأنفسكم أولى الداعين، وتخيروا أحسن الطريقتين.

﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ أي: بسهولة ما أمركم به و [ما] نهاكم عنه، ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع، أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم ونحوهما للمضطر، وكتزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة. وذلك لرحمته التامة

وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك، أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته.

(۲۹ - ۳۰ ﴿ وَيأْيِهَا الذَين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً * يفعل ذلك على الله يسيراً وكان ذلك على الله يسيراً في ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصوب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديثة. بل لعله يدخل في والإسراف، لأن هذا من الباطل وليس من الحق.

ثم إنه _ لما حرم أكلها بالباطل _ أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب الخالية من الموانع، المستملة على الشروط من التراضي وغيره.

﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل الإنقاء الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك. ﴿ إِن الله كان بكم رحيماً ﴾ ومن رحمته، أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبه من الحدود.

وتأمل هذا الإيجاز والجمع في قدوله: ﴿لا تأكسلوا أموالكمم ولا تقتلوا أنفسكم كيف شمل أموال غيرك ومال نفسك، وقتل نفسك وقتل غيرك، بعبارة أخصر من قوله: «لا يأكل بعضكم مال بعض» و قدد العبارة على مال الغير، ونفس الغير فقط.

مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى

عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصالحهم، كالجسد الواحد، حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية.

ولما نهى عن أكل الأموال بالباطل التي فيها غاية الضرر عليهم، على الآكل، ومن أخذ ماله، أباح لهم ما فيه مصلحتهم من أنواع المحاسب والستجارات، وأنواع الحرف والإجارات، فقال: ﴿إلا أن تكون تماض منكم﴾ أي: فإنها مباحة لكم.

وشرط التراضي - مع كونها تجارة - لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا، لأن الربا ليس من التجارة، بل خالف لمقصودها، وأنه لا بد أن يرضئ كل من المتعاقدين ويأتي به اختياراً.

ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوماً، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدوراً على تسليمه، لأن غير المقدور عليه شبيه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا، فلا ينفذ عقده.

وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا، فبأي: طريق حصل الرضا انعقد به العقد. ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ الله كان بكم رحيماً ﴾ ومن رحمته أن عصم دماءكم وأموالكم وصانها، ونهاكم عن انتهاكها.

﴿ ٣٠﴾ ثم قال: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلْكَ ﴾ أي: أكل الأموال بالباطل، وقتل النفوس ﴿ عدواناً وظلماً ﴾ أي: لا جهلاً ونسياناً ﴿ فسوف نصليه ناراً ﴾ أي: عظيمة كما يفيده التنكير ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ .

﴿٣١﴾ ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نفكر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ وهذا من فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات، وأدخلهم مدخلاً كريماً، كثير الخير وهو الجنة،

المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ويدخل في اجتناب الكباتر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكبا كبيرة، كالصلوات الخمس، والجمعة وصوم رمضان، كما قال النبي ﷺ: «المصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان،

الكبائر». وأحسن ما حُدَّت به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه.

مكفرات لما بينهما، ما اجتنبت

﴿٣٢﴾ ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبن اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ ينهى تعالى المؤمنين عن من الأمور الممكنة وغير الممكنة. فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكمال، تمنيا مجرداً، لأن هذا هو الحسد بعينه، تمني نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويسلب إياها.

ولأنه يقتضي السخط على قدر الله، والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة، التي لا يقترن بها عمل ولا كسب. وإنما المحمود أمران: أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، ويسأل الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه، ولا على غير ربه. ولهذا قال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾ أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب.

﴿وللنساء نصيب عما اكتسبن﴾ فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه. ﴿واسألوا الله من فضله﴾ أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا. فهذا كمال العبد وعنوان سعادته، لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه، أو يجمع بين الأمرين، فإن

هذا مخذول خاسر .

وَمَاكَانَ لِثَوْمِنِ أَن يَقْتُلُمُ وْمِنَّا إِلَّاخَطُفَّا وَمَن فَسَكُلَّ مُوْمِنًا خَطَتَافَتَحْدِيرُ رَفِيكُو مُؤْمِنكَهِ وَدِيكَةٌ مُسَلَّمَةً إِلَّا أَهْ لِهِ مَا لَا آن يَعَتَ مُؤَا فَإن كَانَ مِن فَوْمِ عَدُولَكُمْ وَهُو مُوْمِنٌ فَتَحْرِيرُ وَقِي مُوْمِن مِنْ فَان حَالَ مِن فَوْمِ يَيْنَكُمْ وَيَنْهُمْ مِينَاقً فَدِبَةً مُسَلِّمَةً إِلَّ أَهْلِهِ، وَتَحْدِيرُ رَفِّكَ فِمُوْمِكُمُّ فَمَن لَّذِيجِدْ فَصِيكُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ فَوْبَ قَيْنِ أَلِيُّ وَكَالَ اللَّهُ عَلِيسًا حَكِيمًا ﴿ وَمَن يَقْتُ لَمُؤْمِنَا مُّنْكَيِّنَا فَهُوَّأُولُهُ جَهَنَّهُ خُذَلِنا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْدٍ وَلَعَنَهُ. وَأَعَتْ لَلُهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۞ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامُّوَّا إِنَا حَمَرَ اللَّهُ فِي سَكِيلِ اللَّهِ فَتَهَيَّدُواْ وَلَالْتَ عُولُوا لِمَنْ ألغن إليف مُ السَّكَمَ السَّكَمَ لَسْتَ مُؤْمِنَا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيْوَالدُّنْكَ فَعِندَ ٱلْقُومَفَايِمُ حَكَيْرَةً كَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ فَبِلُ فَمَرَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ event " Entre

وقوله: ﴿إِنَّ الله كَانَ بِكُلِّ شَيْءَ عليماً﴾ فيعطي من يعلمه أهلاً لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق.

﴿٣٣﴾ ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ أي: ﴿ولكل﴾ من الناس ﴿جعلنا موالي﴾ أي: يتولونه ويتولاهم، بالتعزز والنصرة، والمعاونة على الأمور. ﴿عما ترك الوالدان والأقربون﴾ وهذا ينشمل سائر والحواشى، هؤلاء الموالي من القرابة.

ثم ذكر نوعاً آخر من الموالي فقال:
﴿واللّهِ عقدت أيمانكم ﴾ أي:
حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد
المحالفة على النصرة والمساعدة،
والاشتراك بالأموال، وغير ذلك.
وكل هذا من نِعم الله على عباده، حيث
كان الموالي يتعاونون بما لا يقدر عليه
بعضهم مفرداً.

قال تعالى: ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ أي: آتوا الموالي نصيبهم، الذي يجب القيام به من النصرة والمعاونة والمساعدة، على غير معصية الله. والميراث للأقارب الأدنين من الموالي.

﴿إِن الله كان على كل شيء شهيداً ﴾ أي: مطلعاً على كل شيء، بعلمه لجميع الأمور، وبصره لحركات عباده، وسمعه لجميع أصواتهم.

لَّايَسْتَوِى َالْقَلْعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِدِينَ غَيْرُأُوْلِي ٱلصَّرَرَ وَٱلْجُهُدُونَ في سَبِيلَ اللَّهِ بِأَمْرَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ ٱلْجُهُودِينَ بِأَمْوَالِمِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَلْعِدِينَ دَرَحَةً وَكُلُّا وَعَدَالْتَهُ ٱلْحُسْنَ وَضَمَّلَ ٱللَّهُ ٱلْجُنِهِدِينَ عَلَى ٱلْقَلِهِدِينَ ٱجْرَاعِظِيمًا ۞ دَيَجَلْتِ مِنْهُ وَمَغْفِرَةَ وَرَحْمَةُ وَكَانَ أَقَهُ عَفُورًا زَحِيمًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ نَوْفَنَّهُمُ ٱلْمَلَتِيكَةُ ظَالِينَ أَنفُسِهِمْ فَالُوافِيمُ كُنتُمُ قَالُواْ كُنَامُسْ فَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَضِ عَالُواْ أَلَوْ يَكُنُ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهُمَا حِرُوا فِيهَاْ فَأُولَئِهِكَ مَأْوَعَهُمُ جَهَنَّهُ وَسَلَّةَ نَ مَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلْمُسْتَضَّعَهِ بَنَ مِنَ ٱلِيَهَ إِلِ وَٱلِسِّنَا ۗ وَٱلْوَلِدُنِ لَايَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿ فَأُولَٰإِنَّكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُورًا ﴿ ﴿ وَمَنْ يَهِا إِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُفِي ٱلْأَرْضِ مُزَعَمًا كَيْرِا وَسَعَةٌ وَمَن يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ عَمُهَا حِرَالِلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَمْ يَدْرِكُهُ ٱلْمُؤْتُ فَعَدُ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَإِفَاضَرَيُّمْ فِ ٱلْرَّضِ فَلِسَ عَلَيْكُوْجُنَاحُ أَن تَقَصُّرُ وَأِينَ ٱلصَّكَوْةِ إِنْ خِفَتُمْ آَن يَمْتِنَكُو الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَفِينَ كَانُوا لَكُوْعَدُوَا مِّينَا ١ MONEGOW IN LONGER

﴿٣٤﴾ ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً ﴾ يخبر تعالى ﴿أَن الرجال قوامون على النساء ﴾ ، أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه، وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضاً بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء، فقال: ﴿بِمَا فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم أي: بسبب فضل الرجال على النساء، وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجُلَد الذي ليس للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات

يختص بها الرجال، ويتميزون عن النساء.

ولعل هذا سر قوله: ﴿بما أنفقوا﴾ وحذف المفعول، ليدل على عموم النفقة. فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به.

وظيفتها: القيام بطاعة ربها، وطاعة زبها، وطاعة زوجها، فلهذا قال: فضالت أي: مطيعات شه تعالى ﴿حافظات للغيب﴾ أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب، تحفظ الله لهن، وتوفيقه لهن، لا من أنفسهن، فإن النفس أمارة بالسوء، ولكن مَنْ توكل على الله، كاه، من أمر دينه ودنياه.

شم قسال: ﴿والسلاتي تخسافسون نشوزهن، أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن، بأن تعصيه بالقول أو الفعل، فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل، ﴿ فعظوهن ﴾ أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته، والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضرباً غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾ أي: فقد حصل لكم ما تحبون، فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية، والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها، ويحدث بسببه الشر.

وإن الله كان علياً كبيراً أي: له العلو المطلق، بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات.

(٣٥) ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من

أهلها إن يُريد إصلاحاً يوفق الله بينهما إنَّ الله كان عليماً خبيراً ﴾ أي: وإن خفتم الشقاق بين الزوجين، والمباعدة والمجانبة، حتى يكون كل منهما في شق، ﴿فَابِعِتُوا حَكُماً مِنْ أَهُلُهُ وَحَكُما من أهلها الله أي: رجلين مكلفين، مسلمين عدلين عاقلين، يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق. وهذا مستفاد من لفظ «الحكم» لأنه لا يصلح حكماً، إلا مَنْ اتصف بتلك الصفات. فينظران ما ينقم كل منهما على صاحبه، ثم يلزمان كلا منهما ما يجب، فإن لم يستطع أحدهما ذلك، قَنَّعَا الزوج الآخر بالرضا بما تيسر من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصلاح فلا يعدلا عنه.

فإن وصلت الحال إلى أنه لا يمكن اجتماعهما وإصلاحهما، إلا على وجه المعاداة والمقاطعة، ومعصية الله، ورأيا أن التفريق بينهما أصلح، فرقا بينهما. ولا يشترط رضا الزوج، كما يدل عليه، أن الله سماهما حكمين، والحكم يحكم، ولو⁽¹⁾ لم يسرض المحكوم عليه، ولهذا قال: ﴿إِن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما أي: بسبب الرأي: الميمون والكلام الذي يجذب القلوب، ويؤلف بين القرينين.

﴿إِن الله كان عليماً خبيراً ﴾ أي: عالماً بجميع الظواهر والبواطن، مطلعاً على خفايا الأُمور وأسرارها. فمن علمه وخيره أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة، والشرائع الجميلة.

والمسلم الله والمسلم والمسلم الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى والبتامى والمساكين والجار ذي القربى وابار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً من الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر

ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه. عبة وذلاً وإخلاصاً له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة.

وينهى عن الشرك به شيئاً، لا شركاً أصغر ولا أكبر، لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا غيرهم من المخلوقين، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لآ يشركه ولا يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه، أمر بالقيام بحقوق العباد، الأقرب فالأقرب. فقال: ﴿وبالوالدين إحساناً أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم، والخطاب اللطيف والفعل الجميل، بطاعة أمرهما، واجتناب نهيهما، والإنفاق عليهما، وإكرام مَنْ له تعلق بهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما. وللإحسان ضدان، الإساءة، وعدم الإحسان. وكلاهما منهى عنه.

﴿وبذي القربى﴾ أيضاً إحساناً، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قربوا أو بعدوا، بأن يحسن إليهم بالقول والفعل، وأن لا يقطع برحمه بقوله أو فعله.

﴿واليتامى﴾ أي: الذين فقدوا آباءهم (١) وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، سواء كانوا أقارب أو غيرهم، بكفالتهم، وبرهم، وتربيتهم خواطرهم، وتأديبهم، وتربيتهم أحسن تربية، في مصالح دينهم ودنياهم.

﴿والمساكين﴾ وهم الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم، ولا كفاية مَنْ يمونون. فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بسد

خلتهم، وبدفع فاقتهم، والحض على ذلك، والقيام بما يمكن منه.

﴿والجار ذي القربي ﴾ أي: الجار القريب الذي له حقان، حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. وكذلك ﴿الجار الجنب ﴾ أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب باباً، كان أكد حقاً، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة، والدعوة، واللطافة بالأقوال والأفعال، وعدم أذيته بقول أو فعل.

﴿والصاحب بالجنب﴾ قيل: الرفيق بالسفر، وقيل: الزوجة، وقيل الصاحب مطلقا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر، ويشمل الزوجة.

فعلى الصاحب لصاحبه، حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له؛ والوفاء معه في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن يجب له ما يجب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحبة تأكد الحق وزاد.

﴿وابن السبيل﴾ وهو: الغريب الذي احتاج في بلد الغربة أو لم يحتج، فله حق على المسلمين لشدة حاجته، وكونه في غير وطنه، بتبليغه إلى مقصوده [وبإكرامه وتأنيسه] (٢).

﴿وما ملكت أيمانكم﴾ أي: من الآدميين والبهائم، بالقيام بكفايتهم وعدم تحميلهم ما يشق عليهم وإعانتهم على ما يتحملون، وتأديبهم لما فيه مصلحتهم. فمَنْ قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله، المتقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومَنْ لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع غير منقاد لأوامره، ولا متواضع معجب بنفسه، فخور بقوله، ولهذا

قال: ﴿إِن الله لا يحب مَنْ كَان مختالاً ﴾ أى: معجباً بنفسه، متكبراً على الخلق. ﴿فَحُوراً﴾ يثني على نفسه ويمدحها، على وجه الفخر والبطر على عباد الله. فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر، يمنعهم من القيام بالحقوق. ولهذا ذمهم بذلك، بقوله: ﴿البذين يبخلون أي: يمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة، ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ بأقوالهم وأفعالهم، ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ أي: من العلم الذي يهتدي به الضالون ويسترشد به الجاهلون، فيكتمونه عنهم، ويظهرون لهم من الباطل ما يحول بينهم وبين الحق. فجمعوا بين البخل بالمال، والبخل بالعلم، وبين السعى في خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم، وهذه هي صفات الكافرين، فلهذا قال تعالى: ﴿ وَأَعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ أي: كما تكبّروا على عباد الله، ومنعوا حقوقه وتسببوا في منع غيرهم، من البخل وعدم الاهتداء، أهانهم بالعذاب الأليم، والخزي الدائم. فعياذاً بك اللهم من کل سوء.

ثم أخبر عن النفقة الصادرة، عن رياء وسمعة، وعدم إيمان به، فقال: ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ أي: ليروهم ويسممدحوهم، ويعظموهم، ﴿ولا يومنون بالله ولا باليوم الآخر اي: ليس إنفاقهم صادراً عن إخلاص وإيمان بالله، ورجاء ثوابه. أي: فهذا من خطوات الشيطان وأعماله التي يدعو حزبه إليها، ليكونوا من أصحاب السعير. وصدرت منهم بسبب مقارنته لهم وأزهم إليها، فلهذا قال: ﴿وَمَنْ يَكُنَّ الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ أي: بئس المقارن والصاحب الذي يريد إهلاك مَنْ قارنه، ويسعى فيه أشد السعى .

فكما أن مَنْ بخل بما آتاه الله،

⁽١) كذا في ب، وفي أ: الذين فقد آباؤهم.

⁽٢) زيادة من هامش ب.

وكتم ما مَنْ به الله عليه عاص آشم غالف لربه، فكذلك مَنْ أنفق وتعبد لغير الله، فإنه آشم عاص لربه، مستوجب للعقوبة، لأن الله إنما أمر بطاعته وامتثال أمره، على وجه أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فهذا العمل المقبول الذي يستحق صاحبه المدح والثواب، فلهذا حث تعالى عليه بقوله:

﴿٣٩﴾ ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله عليماً﴾ أي: أي: شيء عليهم، وأي: حرج ومشقة تلحقهم، لإخلاص، وأنفقوا من أموالهم الذي هو رزقهم الله وأنعم بها عليهم، فجمعوا بين الإخلاص والإنفاق، ولما كان لا يطلع عليه إلا الله، أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال فقال: بعلمه بجميع الأحوال فقال:

﴿ ٤ - ٢٤ ﴾ ﴿ إِنَّ الله لا ينظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً * فكيف إذا جثنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً * يومثذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ يخبر عما يضاد ذلك من الظلم القليل والكثير، فقال: ﴿ إِنَ الله لا يظلم عبده، أو يزيدها في سيئاته، كما قال عبده، أو يزيدها في سيئاته، كما قال يره، ومَنْ يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومَنْ يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾ أي: إلى عشرة أمثالها، إلى أكثر من ذلك، بحسب حالها ونفعها، وحال صاحبها، إخلاصاً وعبة وكمالاً.

﴿ويبؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ أي: زيادة على ثواب العمل بنفسه، من التوفيق لأعمال أخر، وإعطاء البر الكثير والخير الغزير.

ثم قال تعالى: ﴿ فكيف إذا جئنا من

كل أُمَّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ أي: كيف تكون تلك الأحوال، وكيف يكون ذلك الحكم العظيم، الذي جمع أن مَنْ حكم به كامل العدل، كامل العلم، كامل العدل، كامل الرسل على أعهم، مع إقرار المحكوم عليه؟!! فهذا _والله _الحكم الذي هو أعم الأحكام وأعدلها وأعظمها.

وهناك يبقى المحكوم عليهم مقرين له لكمال الفضل والعدل، والحمد والثناء. وهنالك يسعد أقوام بالفوز والفلاح والعز والنجاح. ويشقى أقوام بالخزي والفضيحة والعذاب المهين.

ولهذا قال: ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول﴾ أي: جعوا بين الكفر بالله وبرسوله، ومعصية الرسول ﴿لو تسوَّى بهم الأرض﴾ أي: تبتلعهم ويكونون تراباً وعدماً، كما قال تعالى: ﴿ويقول الكافريا ليتني كنت تراباً﴾.

﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ أي: بل يقرون له بما عملوا، وتشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يوفيهم الله جزاءهم الحق، ويعلمون أن الله هو الحق المين.

فأما ما ورد من أن الكفار يكتمون كفرهم وجحودهم، فإن ذلك يكون في بعض مواضع القيامة، حين يظنون أن جحودهم مغن عنهم من عذاب الله، فإذا عرفوا الحقائق، وشهدت عليهم جوارحهم، حينثذ ينجلي الأمر، ولا يبقى للكتمان موضع، ولا نفع ولا فائدة.

﴿٤٣﴾ ﴿يسا أيها السنيس آمسوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إنَّ الله كان عفواً غفوراً ﴾ ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، حتى يعلموا ما

يقولون، وهذا شامل لقربان مواضع الصلاة كالمسجد، فإنه لا يمكن السكران من دخوله. وشامل لنفس الصلاة، فإنه لا يجوز للسكران صلاة ولا عبادة، لاختلاط عقله، وعدم علمه بما يقول، ولهذا حدّد تعالى ذلك وغياه إلى وجود العلم، بما يقول السكران. وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقاً، فإن الخمر في أول الأمر - كان غير عرّم، ثم إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه، بقوله: في أول الذمر ومنافع للناس، وإثمهما أكبر ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما .

ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة، كما في هذه الآية، ثم إنه تعالى حرّمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله: ﴿ يَا أَيّهَا الذّين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ الآية.

ومع هذا فإنه يشتد تحريمه وقت حضور الصلاة، لتضمنه هذه المفسدة العظيمة، بعد حصول مقصود الصلاة الذي هو روحها ولبها، وهو الخشوع القلب، ويصدعن ذكر الله وعن الصلاة، ويؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبين، والترقي لطعام ونحوه، كما ورد في ذلك الحديث الصحيح.

ثم قال: ﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل﴾ أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنباً، إلا في هذه الحال، وهو عابر السبيل، أي: تمرون في المسجد ولا تمكثون فيه، ﴿حتى تغتسلوا﴾ أي: فإذا اغتسلتم، فهو غاية المنع من قربان الصلاة للجنب، فيحل للجنب المرور في المسجد فقط.

وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم

وَإِذَاكُنتَ فِهِمْ فَأَقَسَ لَهُمُ الصَّاوَةَ فَلْنَقْمْ ظَأَبِفَ مِنْهُم مْعَكَ وَلِيَالْمُذُوَّا أَسْلِحَتُهُمْ فِإِذَا سَيَحِدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَزَابِكُمْ وَلْسَالْتِ طَابَعَتُهُ أُخْرَىٰ لَرَيْصَلُواْ فَلْحُسُلُواْ مَعَكَ وَلْمَالْخُدُواْحِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتُهُمْ وَدُالَّذِيكَ كَفُرُواْ لَوْتَغَفُّلُونَ عَنْ أَسْلِحَيْكُمْ وَأَمْتِعَيْكُمْ فَيَهِدُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحِدَةً وَلَاجُنَاعَ عَلَيْكُمُ إِن كَانَ بكثم أذى مِن مَطَ وأوْثُ سُدُمْ مَنْ خَالَ لَضَعُوا أَسْلِمَكُمُ وَخُذُواْحِنْدَكُمُ إِنَّ أَمَّدَ أَعَدَّ لِلْكَفِرِينَ عَلَا إِنَّهِينًا ۞ فَإِنَا فَصَنِينُ وُالصِّكُوةَ فَأَذْكُرُواْ الْفَدَ فِيلَمَا وَفُعُونًا وَكُلَّ جُنُوبِ عُمُ فَإِنَا لَلْمَا أَنْتُ مُ فَأَقِيمُوا الصِّكَافَ إِنَّ الصَّالُوةَ حَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِمَنْكَا مُؤَوِّدُنَا ﴿ وَلِاتِهِ مُوا فِ ٱبْيَفَكَهُ ٱلْفَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَالْمُونَ فَإِنَّهُمْ بِأَلْمُونَ كَمَاتَ أَلْمُونُ وَتَرْجُونَ وَنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكُانَ اللهُ عَلِيسًا مَرِكِمًا ﴿ إِنَّا أَرْلُنَّا إِلَيْكَ ٱلْكِنَبَ بِلَغِيْ لِفَنْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْدَكَ اللَّهُ وَلَاتَكُن لِلْحَالِينِ خَيِيمًا ۞

> لقيه لا يشرك به شيئاً، لأتاه بقرابها مغفرة.

ONE TO LEGISLE

﴿ ٤٤ ــ ٤٦﴾ ﴿ أَلَمْ تَسر إِلَى الْسَذَيْسِنَ أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل * والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليأ وكفي بالله نصيراً * من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليَا بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا هذا ذم لن ﴿ أُوتُوا نصيباً من الكتاب ﴿ وفي ضمنه تحذير عباده عن الاغترار بهم، والوقوع في أشراكهم، فأخبر أنهم، في أنفسهم ﴿يشترون الضلالة ﴾أي: يحبونها محبة عظيمة، ويؤثرونها إيثار من يبذل المال الكثير في طلب ما يجبه، فيؤثرون الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان، والشقاء على السعادة، ومع هذا ﴿يريدون أن تهلوا السبيل).

فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك، ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بين لهم ما اشتملوا عليه من الضلال والإضلال، ولهذا قال: ﴿وكفى بالله ولياً ﴾أي: يتولى أحوال عباده، ويلطف بهم في جميع أمورهم،

وقوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ هذا محل المسح في التيمم: الوجه جميعه، واليدان إلى الكوعين، كسما دلت على ذلك الأحماديث الصحيحة، ويستحب أن يكون ذلك بضربة واحدة، كما دل على ذلك حديث عمار، وفيه أن تيمم الجنب كتيمم غيره، بالوجه واليدين.

فاللة

اعلم أن قواعد الطب تدور على ثلاث قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحمية عنها. وقد نبه تعالى عليها في كتابه العزيز.

أما حفظ الصحة والحمية عن المؤذي، فقد أمر بالأكل والشرب وعدم الإسراف في ذلك، وأباح للمسافر والمريض الفطر، حفظاً لصحتهما، باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل، وحماية للمريض عما بضوه.

وأما استفراغ المؤذي، فقد أباح تعالى للمحرم المتأذي برأسه أن يحلقه لإزالة الأبخرة المحتقنة فيه، ففيه تنبيه على استفراغ ما هو أولى منها، من البول والغائط والقيء والمني والدم، وغير ذلك، نبه على ذلك ابن القيم رحه الله تعالى.

وفي الآية وجوب تعميم مسح الوجه واليدين، وأنه يجوز التيمم ولو لم يضق الوقت، وأنه لا يخاطب بطلب الماء إلا بعد وجود سبب الوجوب والله أعلم.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِن الله كان عفواً غفوراً﴾أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشق على العبد امتثاله، فيحرج بذلك.

ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليه، ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته، أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم

النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا ﴿ فأباح التيمم للمريض مطلقاً مع وجود الماء وعدمه، والعلة المرض الذي يشق معه استعمال الماء، وكذلك السفر فإنه مظنة فقد الماء، فإذا فقده المسافر أو وجد ما يتعلق بحاجته من شرب ونحوه، جاز له التيمم.

وكذلك إذا أحدث الإنسان ببول أو غائط أو ملامسة النساء، فإنه يُباح له التيمم إذا لم يجد الماء، حضراً وسفراً، كما يدل على ذلك عموم الآية. والحاصل: أن الله تعالى أباح التيمم في حالتين:

حال عدم الماء، وهذا مطلقاً في الحضر والسفر. وحال المشقة باستعماله بمرض ونحوه.

واختلف المفسرون في معنى قوله: وأو لامستم النساء وهل المراد بذلك: الجمّاع، فتكون الآية نصاً في جواز التيمم للجنب، كما تكاثرت بذلك الأحاديث الصحيحة؟ أو المراد بذلك مرد اللمس باليد، ويقيد ذلك بما إذا كان مظنة خروج المذي، وهو المس الذي يكون لشهوة، فتكون الآية دالة على نقض الوضوء بذلك؟

واستدل الفقهاء بقوله: ﴿فلم تجدوا ماء ﴾ بوجوب طلب الماء عند دخول الوقت، قالوا: لأنه لا يقال: فلم يجده لمن لم يطلب، بل لا يكون ذلك إلا بعد الطلب، واستدل بذلك أيضاً على أن الماء المتغير بشيء من الطاهرات يجوز بل يتعين التطهر به لدخوله في قوله: ﴿فلم تجدوا ماء ﴾ وهذا ماء. ونوزع في ذلك بأنه ماء غير مطلق، وفي ذلك نظر.

وفي هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم الذي امتن به الله على هذه الأمة، وهو مشروعية التيمم، وقد أجمع على ذلك العلماء ولله الحمد، وأن التيمم يكون بالصعيد الطيب، وهو كل ما تصاعد على وجه الأرض، سواء كان له غبار أم لا، ويحتمل أن يختص ذلك بذي الغبار، لأن الله قال: ﴿ وَاللَّهُ عَالَ اللَّهُ عَالَ عَالَ عَالَ اللَّهُ عَالَ عَلَى عَلَا عَالَ عَالَ عَالَ عَالَ عَالَ عَالَ عَالَ عَالَ عَالَ عَلَا عَالَ عَلَا عَالَ عَلَى عَلَا عَلَى عَا

وَٱسْتَغْفِرَاسَمَا اللهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِها ۞ وَلَا يُحْلِلُ عَنَ ٱلَّذِي يَغَنَا تُونَ أَنفُسَهُم إِنَ آلَّهُ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَاتَ الْبِسَا ۞ يَسْتَخْفُونُ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَمَعَهُمْ إِذْ يُكِتُّونَ مَا لَاسِرْضَىٰ مِنَ ٱلْقُولُّ وَكَالَ اللَّهُ مِمَا يَعْمُ مُلُونَ يُحِيطًا ﴿ هَا أَشُرُ هَا وَلَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّالِي اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّ الللَّهُ جَندَلْتُ مُعَنَّهُمْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْكَ الْمَنْ يُجَلِّدِ لُلَّاتُهُ عَنْهُمْ يَوْعَ ٱلْفِيدَ مَدَأُ مُثَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَسِيدَالًا ۞ وَمَن يَعْ مَلْ سُوَءًا أَوْيَظُلِرْنَفْ سَهُ رُثُرِيَتُ تَغْفِرِ أَقَدَيَجِ لِ أَقَّهَ عَفُولَاتِيبَ اللهِ وَمَن يَكْسِبُ إِثْمَا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهُ ءُوِّكًا كَ أَنَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ وَمَن يَكْمِبُ خَطِيتَةً أَوْ إِنْمَا ثُرَيَرُهِ بِهِ بَيِنَا فَعَدَ ٱخْتَلَ بُهُمَّا لَمَا وَأَغُا تُبِينًا ۞ وَلَوْلَا فَضْدُلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْتُ مُدَكِّمَتْ ظَلَيْتَ ظُلَيْفَ ۗ مِنْهُمْ أَن يُعَنِيلُوكَ وَمَا يُعِينَلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ لَأَ مِن شَيْءً وَأَن زَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتْبُ وَالْحِكْمَةُ وَعَلَّمُكَ مَا لَرْنَكُن نَعْ لَرُوكَاتَ فَضَلُ أَفَّو عَلَيْكَ عَظِيمًا ١

ويبسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم. ﴿وكفى بالله نصيراً ﴾ ينصرهم على أعدائهم، ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر.

ثم بين كيفية ضلالهم وعنادهم، وإيثارهم الباطل على الحق فقال: ﴿من الذين هادوا﴾ أي: اليهود، وهم علماء الضلال منهم.

﴿ يُحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ إما بتغيير اللفظ أو المعنى ، أو هما جميعاً . فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم ، التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد على على أنه غير مرادبها ، ولا مقصود بها ، بل أريد بها غيره ، وكتمانهم ذلك .

به حيره، وتعاليم دلك.
فهذا حالهم في العلم أشر حال،
قلبوا فيه الحقائق، ونزلوا الحق على
الباطل، وجحدوا لذلك الحق، وأما
حالهم في العمل والانقياد فإنهم
فيقولون سمعنا وعصينا أي: سمعنا
والعناد، والشرود عن الانقياد،
وكذلك يخاطبون الرسول على بأقبح
خطاب وأبعده عن الأدب، فيقولون:
فاسمَغ غير مُسمَع وقصدهم: اسمع
منا غير مسمع ما تحب، بل مسمع ما

الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ _ لما كان محتملاً لغير ما أرادوا من الأمور _ أنه يروج على الله وعلى رسوله، فتوصلوا بذلك اللفظ الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين، والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فلهذا قال: ﴿لِيا بالسنتهم وطعناً في الدين﴾

ثم أرشدهم إلى ما هو خيرٌ لهم من ذلك فقال: ﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم من حسن الخطاب والأدب اللائق في خاطبة الرسول، والدخول تحت خاطبة الرسول، والدخول تحت طاعة الله والانقياد لأمره، وحسن التلطف في طلبهم العلم، بسماع سؤالهم، والاعتناء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه. ولكن لما كانت طبائعهم غير زكية، أعرضوا عن ذلك، وطردهم الله، بكفرهم لعنهم الله بكفرهم لعنهم الله بكفرهم لله يؤمنون إلا قليلاً

﴿٤٤﴾ ﴿يا أيها النين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً يأمر تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أن يؤمنوا بالرسول عمد ﷺ وما أنزل الله عليه من القرآن العظيم، المهيمن على غيره من الكتب السابقة الذي قد صدقها، فإنها أخبرت به فلما وقع المخبر به كان تصديقاً لذلك

وأيضاً فإنهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فإنهم لم يؤمنوا بما في أيديهم من الكتب، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً، ويوافق بعضها بعضاً. فدعوى الإيمان ببعضها دون بعض، دعوى باطلة، لا يمكن صدقها.

وفي قوله: ﴿ آمنوا بِما نزلنا مصدقاً لما معكم ﴾ حث لهم، وأنهم ينبغي أن

يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه، بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، والكتاب الذي يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم، ولهذا توعدهم على عدم الإيمان فقال: ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها، وهذا جزاء من جنس ما عملوا، كما تركوا الحق، وآثروا الباطل، وقلبوا الحقائق، فجعلوا الباطل حقاً والحق باطلاً، جوزوا من جنس ذلك بطمس وجوههم كما طمسوا الحق، وردها على أدبارها، بأن تجعل في أقفائهم، وهذا أشنع ما يكون ﴿أُو نلعنهم كما لعنا أصحابَ السبت﴾ بأن يطردهم من رحمته، ويعاقبهم بجعلهم قردة، كما فعل بإخوانهم الذين اعتدوا في السبت، ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾. ﴿وكان أمر الله مفعولاً كقوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ .

﴿٤٨﴾ ﴿إِن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك(١٠) من الذنوب، صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته.

فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية، والمصائب الكفرة في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد.

وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب السرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً وما لهم يوم القيامة ﴿من شافعين * ولا صديق حميم﴾.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشُرِكُ بِاللَّهِ

فقد افترى إثما عظيماً ﴿أَي: افترى جرماً كبيراً، وأي: ظلم أعظم ممن سوًى المخلوق _من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الفقير بذاته من كل وجه، آلذي لا يملك لنفسه _ فضلاً عمّن عبده ً ـ نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً _بالخالق لكل شيء، الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، الذي بيده النفع والضر، والعطاء والمنع، الذي ما من نعمة بالمخلوقين، إلا فمنه تعالى،

فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب ﴿إنه مَنْ يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النارم. وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما التائب، فإنه يغفر له الشرك فما دونه، كما قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذُّنوب جميعاً ﴾ أي: لمن تاب إليه

﴿٤٩ ـ ٥٠ ﴾ ﴿أَلَمْ تَسر إِلَى السَّذِيسِنَ يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلاً * انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفي به إثماً مبيناً ﴾ هذا تعجيب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصاري، ومَنْ نحا نحوهم، من كل مَن زكى نفسه، بأمر ليس فيه. وذلك أن اليهود والنصاري يقولون: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ ويقولون: ﴿ لَن يدخل الجنة إلا مَنْ كان هوداً أو نصاری ﴾ وهذا مجرد دعوی لا برهان عليها، وإنما البرهان ما أخبر به في القرآن في قوله: ﴿بلي مَنْ أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون). فهؤلاء هم الذين زكاهم الله، ولهذا قال هنا: ﴿ بِل اللهِ يَزِكُي مَنْ يَشَاء ﴾ أي: بالإيمان والعمل الصالح، بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتحلي بالصفات الجميلة.

وأما هؤلاء فهم _وإن زكوا أنفسهم بزعمهم أنهم على شيء، وأن الثواب

لهم وحدهم _فإنهم كذبة في ذلك، ليس لهم من خصال الزاكين نصيب، بسبب ظلمهم وكفرهم، لا بظلم من الله لهم، ولهذا قال: ﴿ولا يظلمون فتيلاكه وهذا لتحقيق العموم، أي: لا يظلمون شيئاً، ولا مقدار الفتيل الذي في شق النواة، أو الذي يفتل من وسخ اليد وغيرها.

قال تعالى: ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب أي: بتزكيتهم أنفسهم، لأن هذا من أعظم الافتراءً على الله. لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم، الإخبار بأن الله جعل ما هم عليه حقاً، وما عليه المؤمنون المسلمون باطلاً. وهذا أعظم الكذب، وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً. ولهذا قال: ﴿وكفي به إثماً مبيناً ﴾ أي: ظاهراً بيناً، موجباً للعقوبة البليغة والعذاب الأليم.

﴿١٥ _ ٥٧﴾ ﴿أَلَمْ تَسر إِلَى السَّذِيسِن أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً * أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً * فمنهم من آمن به ومنهم من صدعته وكفي بجهنم سعيراً * إن الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارأ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً * والذين أمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً وهذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة، وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله.

THE REPORT OF THE PARTY OF THE • لَاخَيْرَ فِ كَيْرِينِ غُولِهُ وَ إِلَّا مَنْ أَكْرَبِهِكَ فَا فِي المُومَعْرُونِ أَوْ إِصْلَيْحِ بَيْتِ ٱلنَّايِنُ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ أبيفكة ممضات أتلومكؤف تؤيب وأخسرا عظيمان وَمَن يُسَالِقَ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَاتُرَيِّن لَهُ ٱلْمُدَىٰ وَيَشِّعْ غَرْسَكِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ثُولُو مِمَاتُولُ وَنُصَيلِهِ ، جَهَنَكُمُ ﴾ وَسَكَةَتْ مَعِيدِيرًا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِ رُأَن يُشْرَلُكَ بِهِ عَ وَيَغْفِرُمَادُونَ ذَٰلِكَ لِلْ يَشَكَّاءُ وَمَن يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْضَلُّ ضَلَنَلُا بَعِيدًا ﴿ إِن يَدْعُونِ مِن دُونِيهِ إِلَّا إِنْكُنَا وَإِن يَنْعُونَ إِلَّا شَيْطُنَا مِّهِيًا ۞ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ ﴾ لَأَيُّنَا نَكُ مِنْ عِسَادِكَ مَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿ وَلَأَيْسَانُهُمْ وَلَأَمْنِينَهُمْ وَلَآمَنَهُمْ فَلَيْنِكُ مُنْ الْأَلْفَكِم وَلَهُمْ مَا لَيْكَغِيرُكُ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَ عِذِ الشَّيْطُلَ ﴾ وَلِيتَ امِّن دُورِبِ ٱللَّهِ فَقَدَ خَسِسَ حُسْرَانِكَ المُبِيدُ اللهِ إِيَّدُهُمْ وَمُنَزِّيهِمْ وَمَايِعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّاعُهُ لَا الْمَعْرُولَا ۞ الْوَلَيْكَ مَأُونَهُمْ مَجَهُمُ مُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا عِيصَا ١ DESCRIPTION WESTERN

وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان، كل هذا من الجبت والطاغوت، وكذلك حملهم الكفر والحسدعلي أن فضلوا طريقة الكافرين بالله _عبدة الأصنام _ على طريق المؤمنين، فقال: ﴿ ويقولون للذين كفروا ﴿أي: لأجلهم، تملقاً لهم ومداهنة، وبغضاً للإيمان: ﴿ هُولاءٍ أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾أي: طريقاً. فما أسمجهم وأشد عنادهم، وأقل عقولهم! ! كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم، والوادي الذميم؟!! هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقل أحد من الجهلاء، فهل يفضل دين قام على عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالمخلوقين، والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين، وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلاً، وإما من أعظمهم عناداً وتمرداً ومراغمة للحق، فدخل في ذلك السحر والكهانة،

وَالْذِرِنِ مَا مَنُواْ وَعَهُواْ الصَّلِيحُونِ مَسَنَدَ عِلْهُمْ الْحَدَلِيدِ فِيهَا آلَبَنَا الْمُعْدُونِ الْمَوْقِ لَا هُ الْمَبْ الْمُعْدُونِ اللّهِ الْمَعْدُونِ اللّهِ اللّهَ الْمُعْدُونِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الل

وهذا هو الراقع، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿ أُولْنُكُ الذِّينَ لَعنهم الله أي: طردهم عن رحمته، وأحل عليهم نقمته. ﴿ ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ أي: يتولاه، ويقوم بمصالحه، ويحفظه عن المكاره، وهذا غاية الخذلان.

وَٱلْمُسْ تَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَسَاحَىٰ

إِلْقِسْطِ وَمَاتَفْ عَلُواْمِنْ خَيْرِ فَإِنَّ ٱللَّهُ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۞

﴿أَم لَهُم نصيب من الملك﴾ أي: فيفضلون من شاؤوا على مَنْ شاؤوا في تمجرد أهوائهم، فيكونون شركاء شه في تدبير المملكة، فلو كانوا كذلك لشحوا وبخلوا أشد البخل، ولهذا قال: ﴿فَإِذَا ﴾ أي: لو كان لهم نصيب من الملك ﴿لا يؤتون الناس نقيراً ﴾ أي: شيئاً، ولا قليلاً. وهذا وصف لهم بشدة البخل، على تقدير وجود ملكهم المشارك لملك الله. وأخرج هذا خرج الاستفهام المتقرر إنكاره، عند كل أحد.

﴿أَم يحسدون السناس على ما أَتَاهِم الله مِن فضله ﴾ أي: هل الحامل لهم على قولهم كونهم شركاء لله، فيفضلون مَنْ شاؤوا؟ أم الحامل لهم على ذلك الحسد للرسول وللمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؟ وذلك ليس ببدع ولا غريب على فضل الله.

﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴿ وذلك ما أنعم الله به على إبراهيم وذريته، من النبوة والكتاب والملك الذي أعطاه من

أعطاه من أنبيائه كد «داود» و «سليمان». فإنعامه لم يزل مستمراً على عباده المؤمنين.

فكيف ينكرون إنعامه بالنبوة والنصر والملك لمحمد ري أفضل الخلق وأجلهم، وأعظمهم معرفة بالله وأخشاهم له؟!!

﴿فَحَنْهُمْ مَنْ آمِنْ بِهُ أَي:

بمحمد على الله المذلك السعادة
الدنيوية والفلاح الأخروي. ﴿ومنهم
مَنْ صدعنه ﴾ عناداً وبغياً وحسدا،
فحصل لهم من شقاء الدنيا ومصائبها،
ما هو بعض آثار معاصيهم ﴿وكفى
بجهنم سعيراً ﴾ تسعر على مَنْ كفر
بالله، وجحد نبوة أنبيائه من اليهود
والنصارى، وغيرهم من أصناف

الوقود، شديدة الحرارة، ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ أي: احترقت ﴿بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب منهم كل مبلغ. وكما تكرر منهم الكفر والعناد، وصار وصفاً لهم وسجية؛ كرر عليهم العذاب جزاءاً وفاقاً، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللهُ كَانَ عَزِيزاً حكيماً﴾ أي: له العزة العظيمة، والحكمة في خلقه العزة العظيمة، والحكمة في خلقه

وأمره، وثوابه وعقابه.

ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا بِأَيَّاتِنَا

سوف نصليهم ناراً) أي: عظيمة

﴿والذين آمنوا﴾ أي: بالله، وما أوجب الإيمان به ﴿وعملوا الصالحات﴾ من الواجبات والمستحبات ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة﴾ أي: من الأخلاق الرذيلة، والخلق الذميم، ومما يكون من نساء الدنيا من كل دنس وعيب ﴿وندخلهم ظلاً ظللاً﴾

﴿ ٨ - ٩ ٥ ﴾ ﴿ إِن الله يأمركم أَن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إِن الله كان سميعاً بصيراً * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله

والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً الأمانات كل ما اؤتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا ممطولاً بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله.

وقد ذكر الفقهاء، على أن مَنْ اوْتَمَن أمانة وجب عليه حفظها في حرز مثلها. قالوا: لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها؛ فوجب ذلك.

وفي قوله: ﴿إلى أهلها﴾ دلالة على أنها لا تدفع وتؤدى لغير المؤتمن، ووكيله بمنزلته؛ فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤدياً لها.

﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ وهذا يشمل الحكم بينهم في المدماء، والأموال، والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو.

والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به، هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام، وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به. ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة، قال: ﴿إِن الله تعما يعظكم به، إِن الله كان سميعاً ونواهيه، لا شتمالها على مصالح ونواهيه، لا شتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون.

ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله، ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق في

رحيماً * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً بما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ يخبر تعالى خبراً في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له. وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين، ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين، تعظيم المطيع^(۲) للمطاع .

DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقاً، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقاً .

وقوله: ﴿بَإِذِنَ اللَّهُ أَيِّ: الطَّاعَةُ من المطيع، صادرة بقضاء الله وقدره. ففيه إثبات القضاء والقدر، والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يمكن الإنسان _إن لم يعنه الله _أن يطيع الرسول.

ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترف السيشات، أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك﴾ أي: معترفين بذنوبهم، باخعين بها.

إلى الطاغوت، وهو كل مَنْ حكم بغير شرع الله فهو طاغوت.

والحال أنهم ﴿قد أمروا أن يكفروا به ﴾ فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضى الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمُنْ زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ عن الحق.

﴿فكيف﴾ يكون حال هؤلاء الضالين ﴿إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) من المعاصي، ومنها تحكيم الطاغوت؟!

﴿ثُم جاؤوك﴾ معتذرين (١) لما صدر منهم، ويقولون: ﴿إنَّ أَرَّدُنَا إِلَّا إِحْسَانَاً وتوفّيقاً﴾ أي: ما قصدنا في ذلك إلاّ الإحسان إلى المتخاصمين والتوفيق بينهم، وهم كذبة في ذلك. فإن الإحسان كل الإحسان تحكيم الله ورسوله ﴿ومَنْ أحسن من الله حكماً لقوم يوقئون) .

ولهذا قال: ﴿أُولِسُكُ الدِّينَ يعلم الله ما في قلوبهم الله أي: من النفاق والقصد السيىء. ﴿ فَأَعْرِضَ عنهم﴾ أي: لا تبال بهم ولا تقابلهم على ما فعلوه واقترفوه. ﴿وعظهم﴾ أي: بين لهم حكم الله تعالى، مع الترغيب في الانقياد لله، والترهيب من تركه، ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا انصحهم سرأ بينك وبينهم، فإنه أنجح لحصول المقصود، وبالغ في زجرهم وقمعهم عمّا كانوا عليه، وفي هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه، فإنه ينصح سرا، ويبالغ في وعظه بما يظن

حصول المقصود به. ﴿ ٢٤ ـ ٢٥﴾ ﴿وصا أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابأ

معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة الرسول فإن الرسول، لا يأمر آلا بطاعة الله، ومَنْ يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية.

ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه، إلى الله وإلى رسوله، أي: إلى كتاب الله وسُنّة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما، أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسُنّة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا يهما .

فالرد إليهما شرط مي الإيمان، فلهذا قال: ﴿إِن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فدل ذلك على أن مَنْ لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر فى الآية بعدها ﴿ذلك﴾ أي: الرد إلى الله ورسوله ﴿خير وأحسن تأويلا﴾ فإن حكم الله ورسوله، أحسن الأحكام وأعدلها، وأصلحها للناس، في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم.

﴿٦٠ – ٦٣﴾ ﴿أَمْ تَسر إِلَى السَّذِيسِنِ يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً * فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً * أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغام يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. ﴿الذين يزعمون أنهم﴾ مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا ﴿يريدون أن يتحاكموا

في النسختين: متعذرين. (١)

⁽Y) في النسختين: تعظيم المطاع للمطيع، وهو سبق قلم، وقد عدلت في ب عن طريق المطبعة السلفية إلى تعظيم المطاع من المطيع.

• يَكَأَيُّهُ اللَّذِينَ عَامَنُوا كُونُواْ فَزَّمِينَ بِٱلْفِسْطِ شُهَدَّاءً يِّهِ وَلَوْعَلَىٰ النَّهِ حُوْ اَوْالْوَلِدَيْنِ وَالْأَفْرَبِينَ إِن كُنْ عَنِيتًا أَوْفَقِيرًا فَأَلْفَهُ أَوْلَى بِهِمَّا فَلَاتَنِّيمُوا أَلْمُوَّكَ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَـ لْوُرَا أَوْتُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيرًا يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ مِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْمَكْتَاب ٱلَّذِي َ نَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ عَوَالْحِۓ نَبْ ٱلَّذِي ٓ أَنَزَلَ مِن جَّـٰ لَُّ وَمَن يَكُفُرُ بِإِللَّهِ وَمَلَآنِ كَذِهِ ء وَكُنِّيهُ و - وَرُسُلِهِ ء وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَعَدَضَلَ صَلَلَابَعِيدًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْثُمَّ ءَامَنُوانُدُ كَلُفَرُوانُدَّ أَذْدَادُوا كُفُّرًا لَّرْيَكِنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِهَٰ دِيَهُمْ سَبِيلًا ۞ بَثِيرِ ٱلْمُنْفِقِينَ إِنَّ لَمُمْ عَدَالًا أَلِكًا ٥ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَفِيرِينَ ٱوْلِيَّآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَّ أَيْمَتَعُونَ عِندَهُ ٱلْمِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْمِزَّةَ يَقِيجِيمًا ۞ وَقَدْزُلَّ عَلَيْكُرُ فِي ٱلْكِئْكِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ مَالِئَتِ أَهَدِيُ كَثَرُيِهَا وَإِسْتَهْزَأُيِهَا فَلَا تَقَعْدُواْ مَعَهُمْ حَنَّى يَخُوضُوا فِ حَدِيثٍ غَيْرِهِ تَالِنَّكُمْ إِنَا مَثْ لُهُمْ إِنَّ اللَّهُ جَامِعُ ٱلمُنْفِقِينَ وَالْكَفِرِينَ فِجَهَنَّمَ جَمِيمًا ۞

﴿فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحهم بقبول التوبة والتوفيق لها، والشواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ ختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك، لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء، بل ذلك شرك.

ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسُنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، ثم لا يكفي ذلك (۱) حتى يسلموا لحكمه تسليماً، بانشراح صدر، والباطن.

فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها، فمَنْ ترك هذا التحكيم الذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَنْ

تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين.

﴿٦٦ _ ٦٦﴾ ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً * وإذا لآتيناهم من لدناً أجراً عظيماً * ولهديناهم صراطاً مستقيماً پخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس، والخروج من الديار، لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمداً وشكراً لربه.

ثم أخبر أبهم لو فعلوا ما يوعظون به، أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا همهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم يكونوا نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً، حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط.

ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور:

(أحدها) الخيرية في قوله: ﴿لكان خيراً لهم﴾ أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم، من أفعال الخير، التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفى ضده.

(الثاني) حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي

هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا، عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر، التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب، التي يكرهها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر.

فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر.

وأيضاً فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها، ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.

(الثالث): قوله: ﴿وَإِذَا لَآتِينَاهُم من للنا أجراً عظيماً﴾ أي: في العاجل والآجل، الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم عما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(الرابع) الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم بالحق، ومحبته وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير، واندفع عنه كل شر وضير.

والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً أي: كل مَن أطاع الله ورسوله على حسب حاله، وقدر الواجب عليه من ذكر وأنثى وصغير وكبير، ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم أي: النعمة الذين العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة، ﴿من النبيين الذين فضلهم الله بوحيه، واختصهم بإرسالهم إلى الخلق،

AKTINESE: LEEPINESE اللِّينَ يَتَّرَبَّسُونَ بِكُرْ فَإِنْ كَانَ لَكُوْفَتْ مِنْ اللَّهِ قَالُوٓ الْكَرْنَكُ لَّ اللَّهُ مَنكُرُ وَإِن كَانَ اللَّهِ كَانِهِ إِنْ نَصِيبٌ قَالُوۤ الْرَفَنتَ عَوْدُ عَلَيْكُوْ وَغَنْعَكُمْ مِنَ ٱلْمُوْمِينِينَّ فَأَمَّةُ يَعَكُمُ بَيْنَكُوْ يَوْمَ ٱلْفِيكَمَةُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَ مِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِينَ سَبِيلًا ۞ إِنَّ ٱلْمُتَنِفِقِينَ يُحَلِيعُونَ اللَّهَ وَهُوَخَلِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى ٱلصَّلَوْةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُزَاءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ الْاقَلِيلَا ۞ مُّنَبْدَيِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَآ إِلَى هَـتُوْلِآ وَلَآ إِلَى هَتَوُلْآءِ وَمَن يُضْلِلْ لَلَّهُ فَلَن تِحَدَلَهُ سَكِيلًا ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ لَانْتَحِدُواْ ٱلْحَكِيْمِينَ أَوْلِيَلْمُمِن دُونِ ٱلْوَقِينِيُّ أَتْرِيدُونَ أَنْ يَخْمَـ لُولَيْدَ عَلَيْحَمُ مُسْلَطَلَنَا مَّبِيتًا @ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي ٱلدِّرْكِ ٱلأَسْفَىلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَنْ يَحِدَ لَمُمْ نَصِيرًا ۞ إِلَّا الَّذِيكَ نَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا إِ إِلَّا يَا لِنَّهُ وَأَخْلُصُوا دِينَهُمْ لِنَوَا وَلَيْهِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ كُوْتِ اللَّهُ ٱلْتُوْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَسَدَابِكُوْ إن شكرتُهُم وَءَامَنتُم وَكَانَ اللّهُ شَاكِرَتُم وَءَامَنتُم وَكَانَ اللّهُ شَاكِرَاعَلِيمًا

DESCRIPTION IN PROPERTY الطاعة الكبيرة، التي بها يقوى الإيمان، ويسلم بها العبد من العقوبة والخسران، ويحصل له فيها عظيم الثواب، ورضا الكريم الوهاب.

وأما القعود فإنه وإن استراح قليلاً، فإنه يعقبه تعب طويل وآلام عظيمة، ويفوته ما يحصل للمجاهدين.

ثم قال: ﴿ولئن أصابكم فضل من الله أي: نصر وغنيمة وليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ أي : يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك، كأنه ليس منكم، يا معشر المؤمنين ولا بينكم وبينه المودة الإيمانية، التي (١) من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم المؤمنين(٢)، ويألمون بفقدها، ويسعون جميعاً في كل أمر يصلحون به دينهم ودنياهم، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة.

ومن لطف الله بعباده أن لا يقطع عنهم رحمته، ولا يغلق عنهم أبوابها. بل من حصل منه غير ما يليق، أمره ودعاه إلى جبر نقصه، وتكميل نفسه،

ولهذا قال: ﴿فانفروا ثبات﴾ أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم غيرهم ﴿أُو انفروا جميعاً﴾ وكل هذا تبع للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين في دينهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من

ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: ﴿وإن منكم أي: أيها المؤمنون ﴿ إِنَّ ليبطئن ﴾ أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله، ضعفاً، وخوراً، وجبناً، هذا الصحيح .

وقيل معناه: ليبطئن غيره، أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون ولكن الأول أولى، لوجهين:

أحدهما: قوله ﴿منكم﴾ والخطاب للمؤمنين.

والثاني: قوله في آخر الآية: ﴿كَأَنَّ لم تكن بينكم وبينه مودة ﴾ فإن الكفار من المشركين، والمنافقين، قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة. وأيضاً فإن هذا هو الواقع، فإن المؤمنين على

صادقون في إيمانهم، أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد.

وضعفاء دخلوا في الإسلام، فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد.

كما قال تعالى: ﴿قالت الأعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا♦ إلى أخر الآيات. ثم ذكر غايات هؤلاء المتثاقلين، ونهاية مقاصدهم، وأن معظم قصدهم الدنيا وحطامها فقال: ﴿ فإن أصابتكم مصيبة ﴾ أي: هزيمة ، وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال، لما لله في ذلك من الحكم. ﴿قَالَ لَهُ الْمُتَخَلِّفُ ﴿قَدَ أَنْهُمُ اللَّهُ على إذ لم أكن معهم شهيداً ﴿ رأى من ضعف عقله وإيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي فيه تلك المصيبة نعمة . ولم يدر أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه

ودعوتهم إلى الله تعالى ﴿والصديقين﴾ وهم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولاً وعملاً وحالاً، ودعوة إلى الله، ﴿والشهداء﴾ الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فقتلوا، ﴿والصالحين﴾ الذين صلح ظاهرهم وباطنهم، فصلحت أعمالهم، فكل مَنْ أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء وفي صحبتهم، ﴿وحسن أولئك رفيقاً ﴾ بالاجتماع بهم في جنات النعيم، والأنس بقربهم في جوار رب العالمين.

﴿ ذلك المفضل ﴾ الذي نالوه ﴿من الله فهو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب، ما لا تبلغه أعمالهم.

﴿وكفي بالله عليماً ﴾ يعلم أحوال عباده، ومَنْ يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة، التي تواطأ عليها القلب والجوارح.

﴿٧١ ـ ٧٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً * وإن منكم لن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً * ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً * فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم، ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم ومحارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله .

في النسختين: الذي. (1)

في النسختين: على يد غيره من أخوانه. **(Y)**

ACT HOUSE SERVER لَا يُعِبُ اللّهُ وَلِلْهِ مَنَ الْقُولِ إِلَّا مَن ظُلِمُ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيسًا ۞ إِن بُندُواْ خَيْرًا أَوْتُخْفُوهُ أَوْتَعْفُواْ عَن سُوٓهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا فِنَيرًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِيكَ يَكُفُ رُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَقُولُونَ نُوْمِرُ بِيَعْضِ وَنَكُفُ رُبِيعْضِ وَيُدِيدُونَ أَنْ يَنَّخِـدُوا يَزِحَ ذَٰلِكَ سَهِيلًا ۞ أُوَلَيْهَكَ مُمُ ٱلْكَفِّرُونَ حَقَّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَاهِينَ عَنَابًا ثُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ عَامُنُواْ بِأَقِّهِ وَرُسُلِهِ ءَوَلَوْيُفَرِقُواْ بَيْنَ لَسَدِمِنْهُمْ أَوْلَيَكَ مَنُوفَ يُوْتِيهِمْ أُجُرِيهُمُّ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورَارَّحِيمًا ۞ يَتَلُكَ أَهَلُ ٱلْكِنَبِ أَنْ تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ كِلَبَامِنَ ٱلسَّلَةِ فَقَدْسَأَ لُواْمُوسَى أَحْتُرَمِن ذَلِكَ فَعَالُوا أَرِيا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَهُمُ الصَّبْعِفَةُ بِطُلْبِهِمْ ثُمَّ ٱغَنَدُوا ٱلْمِجْلُ مِنْ بَعْدِ مَا بَآءَتْهُمُ ٱلْبِيْنَاتُ فَعَفُوْنَاعُن ذَالِكَ وَوَالَيِّنَامُوسَىٰ شُلْطَلْنَا شِّيتُ ا﴿ وَرَفَهَنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَبِيسَنْقِهِمْ وَقُلْنَا لَمَهُ ٱنْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَمُنْمُ لَاتَعَدُواْ فِ ٱلسِّنْتِ وَلَنَذُنَامِنْهُم مِينَقَا عَلِيظًا ﴿ TO DOTTON TO BOTTON

فلهذا أمر هؤلاء بالإخلاص، والخروج في سبيله، فقال: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بِالآخُرة﴾ . هذا أحد الأقوال في هذه الآية، وهو أصحها.

وقيل: إن معناه: فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الكاملو الإيمان، الصادقون في إيمانهم ﴿الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ أي: يبيعون الدنيا رغبة عنها، بالآخرة رغبة فيها.

فإن هؤلاء هم الذين يوجه إليهم الخطاب، لأنهم الذين قد أعدوا أنفسهم ووطنوها على جهاد الأعداء، لما معهم من الإيمان التام المقتضى

وأما أولئك المتثاقلون، فلا يعبأ بهم، خرجوا أو قعدوا، فيكون هذا نظير قوله تعالى: ﴿قُلُّ آمنُوا بِهِ أُو لا تؤمنوا، إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ إلى آخر الآيات. وقوله: ﴿فَإِنْ يَكُفُّرُ بِهَا هُؤُلًّاءً فَقَدْ وَكُلُّنَا بِهَا قُومًا ليسوا بها بكافرين﴾. وقيل: إن معنى الآية: فليقاتل المقاتل والمجاهد للكفار، الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، فيكون على هذا الوجه «الذين» في محل نصب على المفعولية .

﴿ ومَن يقاتل في سبيل الله ﴾ بأن يكون جهاداً، قد أمّر الله به ورسوله، ويكون العبد مخلصاً لله فيه قاصداً

وجه الله. ﴿ فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ زيادة في إيمانه ودينه، وغنيمة، وثناء حسناً، وثواب المجاهدين في سبيل الله الذين أعد الله لهم في الجنةُ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿٥٧﴾ ﴿وما لكم لا تقاتلون في

سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ هذا حث من الله لعباده المؤمنين، وتهييج لهم على القتال في وترجون من الله ما لا يرجون﴾ الآية. سبيله، وأن ذلك قد تعين عليهم، وتوجه اللوم العظيم عليهم بتركه فقال: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله الحال أن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، ومع هذا فقد نالهم أعظم الظلم من أعدائهم، فهم يدعون الله أن يخرجهم

من هذه القرية الظالم أهلها لأنفسهم

بالكفر والشرك وللمؤمنين بالأذى

والصدعن سبيل الله، ومنعهم من

الدعوة لدينهم والهجرة.

ويدعون الله أن يجعل لهم ولياً ونصيراً، يستنقذهم من هذه القرية الظالم أهلها، فصار جهادكم على هذا الوجه من باب القتال، والذب عن عيلاتكم وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه فضل عظيم، ويلام المتخلف عنه أعظم لوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ الستضعقين منكم أعظم أجراً، وأكبر فائدة بحيث يكون من باب دفع الأعداء.

﴿٧٦﴾ ثم قال: ﴿اللَّذِينَ آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.

هذا إخبار من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ الذي هو الشيطان. في ضمن ذلك عدة فوائد:

منها: أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه ومتابعته. فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب الكفر ومقتضياته.

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون،

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمدٌ على ركن وثيق، وهو الحق، والتوكل على الله. فصاحب القوة والركن الوثيق، يطلب منه من الصبر والثبات والنشاط ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة. فلهذا قال تعالى: ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾.

والكيد: سلوك الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدني شيء من الحق، ولا لكيد الله لعباده المؤمنين.

﴿٧٧ _ ٧٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِّينَ قَيلَ لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنالم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والأخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً * أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ كان المسلمون _إذ كانوا بمكة _مأمورين بالصلاة والزكاة، أي: مواساة البفقراء، لا النزكاة المعروفة ذات النصب والشروط، فإنها لم تفرض إلا بالمدينة، ولم يؤمروا بجهاد الأعداء، لعدة فوائد:

منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشق

عليهم؛ ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل.

ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال _ مع قلة عددهم وعُددهم، وكثرة أعدائهم _ لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام، فروعي جانب المصلحة العظمى على ما دونها، ولغير ذلك من الحكم.

وكان بعض المؤمنين يودون أن لو

فرض عليهم القتال في تلك الحال،

غير اللائق فيها ذلك، وإنما اللائق فيها

القيام بما أمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾ فلما هاجروا إلى المدينة، وقوي الإسلام، كُتب عليهم القتال في وقته المناسب لذلك، فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك، خِوفاً من الناس وضعفاً وخوراً: ﴿ربنا لم كتبت علينا القتال﴾؟ وفي هذا تضجّرهم، واعتراضهم على الله، وكنان الذي ينبغى لهم ضد هذه الحال، التسليم لأمس الله، والتصبير على أوامره، فعكسوا الأمر المطلوب منهم، فقالوا: ﴿لُولًا أَحْرَتْنَا إِلَى أَجِلَ قَرِيبٍ﴾ أي: هلاً أخرت فرض القتال مدة متأخرة عن الوقت الحاضر، وهذه الحال كثيراً ما تعرض لمن هو غير رزين واستعجل في الأمور قبل وقتها، فالغالب عليه أنه لا يصبر عليها وقت حلولها، ولا ينوء بحملها، بل يكون قليل الصبر. ثم إن الله وعظهم عن هذه الحال، التي فيها التخلف عن القتال فقال: ﴿قُلَّ متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾ أي: التمتع بلذات الدنيا وراحتها قليل، فتحمل الأثقال في طاعة الله في المدة القصيرة عما يسهل على النفوس ويخف عليها؛ لأنها إذا علمت أن المشقة التي تنالها لا يطول لبثها، هان عليها ذلك، فكيف إذا وازنت بين الدنيا والآخرة، وأن الآخرة خير منها، في ذاتها، ولذاتها، وزمانها، فذاتها ـكما ذكر النبي ﷺ في الحديث الثابت عنه _ (أن موضع

سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها". ولذاتها صافية عن المكدرات، بل كل ما خطر بالبال، أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة الجنة فوق ذلك كما قال تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾. وقال الله على لسان نبيه: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".

وأما لذات الدنيا فإنها مشوبة بأنواع التنغيص، الذي لو قوبل بين لذاتها وما يقترن بها من أنواع الآلام، والهموم والغموم، لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه.

وأما زمانها، فإن الدنيا منقضية، وعمر الإنسان بالنسبة إلى الدنيا شيء يسير، وأما الآخرة، فإنها دائمة النعيم، وأهلها خالدون فيها، فإذا فكر العاقل في هاتين الدارين، وتصور حقيقتهما حق التصور، عرف ما هو أحق بالإيثار، والسعي له، والاجتهاد لطلبه، ولهذا قال: ﴿والآخرة خير لمن اتقى الشرك، وسائر المحرمات.

﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾ أي: فسعيكم للدار الآخرة، ستجدونه كاملاً موفراً، غير منقوص منه شيئاً.

ثم أخبر أنه لا يغني حذر عن قدر، وأن القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئا، فقال: ﴿أين ما تكونوا يدرككم الموت﴾ أي: في أي: زمان، وأي: مكان. ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي: قصور منيعة، ومنازل رفيعة، وكل هذا حث على الجهاد في سبيل الله تاره بالترغيب في فضله وثوابه، وتارة بالترهيب من عقوبة تركه، وتارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودهم، وتارة بتسهيل الطريق في

ذلك وقصرها.

﴿ ٨٠ – ٨٠﴾ ثـــم قـــال: ﴿ وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً * ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من

ALTHUR: SERIER فَجَانَقْضِهِم مِيثَلَقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِنَايَاتِ اللَّهِ وَقَبْلِهِمُ ٱلْأَبْلِكَ آءَ بِغَيْرِحَقِ وَفَوْلِهِمْ قُلُولُنَا غُلُفُ بُلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَرَّالِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهُمَّنَّا عَظِيمًا ﴿ وَقُولِهِم إِنَّا فَتَلْنَا ٱلْمُسِيحَ عِيسَى آنَ مَ يُرَسُولَ ٱللَّهِ وَمَاقَتَلُوهُ وَمَاصَلُهُوهُ وَلَاكِن شُبِّهَ لَهُمُّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْفِيهِ لِنَي شَكِّي مِنْهُ مَا لَهُم بِدِينَ عِلْمٍ إِلَّا ٱبْبَاعَ ٱلطَّرِ وَمَا قَنَاهُوهُ يَقِينًا ۞ مَل رَفَعَهُ أَلِقُهُ إِلَيْ وَكَانَ اللَّهُ عَرْسِزًا حَكِمَا ٩ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِئْبِ إِلَّا لَيُوْمِ نَنَّ بِهِ ، قَبْلَ مَوْنِيٌّ ، وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۞ فَيِظُلْمِ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُولُ حَرَّمْنَاعَلَيْهِمْ طَيْبَنَتِ أُجِلَّتْ لَحُمُّ وَيَصَدِّهِمْ عَن سَبِيلَالَيَّهِ كَثِيرًا ۞ وَلَغَذِهِمُ ٱلرِيَوَا وَقَدْنَهُواْعَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمُوْلَالْنَاسِ إِلْفَطِيلَ وَأَعَنَدُنَا لِلْكَهْرِينَ مِنْهُمْ عَنَابًا أَلِيمًا ۞ لَلْحِنَ الرَّبِيحُونَ ﴿ فِ ٱلْمِلْمِينَهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ عِمَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَاۤ أُمْزِلَ مِن مَبْلِكَ وَالْقِيمِينَ الصَّلَوَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكُوةَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَاسِّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُولَتِيكَ سَنُوْيَهِمْ أَجْرُاعَظِيمًا ۞ DUDGE III ESPORT

سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفي بالله شهيداً * من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ يخبر تعالى عن الذين لا يعلمون، المعرضين عما جاءت به الرسل، المعارضين لهم، أنهم إذا جاءتهم حسنة، أي: خصب وكثرة أموال، وتوفر أولاد وصحة، قالوا: ﴿ هذه من عند الله ﴾ وأنهم إن أصابتهم سيئة، أي: جدب، وفقر، ومرض، وموت أولاد وأحباب قالوا: ﴿ هذه من عندك اي: بسبب ما جئتنا به يا محمد، تطيروا برسول الله ﷺ، كما تطير أمثالهم برسل الله، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى ﴿فَإِذَا جَاءَتُهُمُ الْحُسْنَةُ قَالُوا لِنَا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومَنْ معه ﴾ .

وقال قوم صالح: ﴿قالوا اطيرنا بك وبمَنْ معك﴾.

وقال قوم ياسين لرسلهم: ﴿إِنَا تَطِيرِنَا بِكُم لَنَ لَم تَنتَهُوا لَنْرِجْنَكُم ﴾ الآية. فلما تشابهت قلوبهم بالكفر، تشابهت أقوالهم وأعمالهم. وهكذا كل مَنْ نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه، فهو داخل في هذا الذم الوخيم.

قال الله في جوابهم: ﴿قل كل﴾ أي: من الحسنة والسيئة، والخير والشر. ﴿من عند الله﴾ أي: بقضائه

إِنّا أَوْتِينَا إِلَيْكَ كُمّا أَوْتِنَا إِلَى فَعِ وَالْتِينِنَ رَبَّ اللّهِ فَعِ وَالْتَيْنِ رَبَّ اللّهِ فَعِ وَالْتَيْنِ رَبَّ اللّهِ فَعِ وَالْتَيْنِ رَبَّ اللّهِ فَا وَقُومُنَ وَقَدُونِ وَصَلّا لَمْنُ وَمَا لَيْنَا وَقُومُن وَقَدُونِ وَصَلّا لَمْنُ وَمَا لَيْنَا وَقَدُ وَقَدَ وَكُل اللّهِ مَنْ فَعَى مَنْهُمُ مَلَكُ مَنْ وَمَا لَيْنَا وَقَدُ وَمِن فَبَلُ اللّهِ مَنْ وَمَا لَكُن وَكُونِ وَكُل اللّهُ وَمِن فَلَيْنِ وَمِن فَيْلِ اللّهُ وَمِينَا وَمَنْ لَكُن وَمِن فَيْلِ اللّهُ وَمِنْ وَكُون وَكُن اللّهُ اللّهُ وَمِن وَلِيلًا لِللّهُ اللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا لِللّهُ اللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا لِللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا لَهُ وَمِنْ وَلِيلًا لِللّهُ اللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا لِللّهُ اللّهُ وَمِنْ وَلَا لِلْمُ لِللّهُ وَمِنْ وَلَا لِللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا لَهُ اللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا لِللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ وَلَا لِللّهُ وَمِنْ وَاللّهُ وَمِنْ وَلَا لِللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ وَاللّهُ وَمِنْ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ وَمِنْ وَاللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا لِللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا فَاللّهُ وَمِنْ وَكُونُ وَاللّهُ وَمِنْ وَلِيلًا فَاللّهُ وَمِنْ وَكُونُ وَاللّهُ وَمِنْ وَكُونُ وَاللّهُ وَمِنْ وَكُونُ وَاللّهُ وَمِنْ وَكُن اللّهُ وَمِنْ وَكُونُ وَلِيلًا فَاللّهُ وَمِنْ وَكُلُونُ وَلِلْ السّلَامُ وَمِنْ وَكُونَ وَلِلْ السّلَامُ وَلَاللّهُ وَمِنْ وَكُونَ وَكُلُونُ وَلَا لِلْمُ وَلِيلُونَ وَكُونَا وَلَا لِللّهُ وَلِيلُونَا وَلَوْلُكُونُ وَلَا لِلْمُ وَلِيلُونَا وَلِلْ السّلَامُ وَلِيلُكُمُ وَاللّهُ وَلِيلُونُ وَلِيلُونَا وَلَوْلُكُونُ وَلِيلُونَا وَلِلْ اللّهُ وَلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِيلُونَ وَلِلْ اللّهُ وَلِيلُونَا وَلَوْلُونَ وَلِلْ اللّهُ وَلِيلْمُ وَلِيلُونَا وَلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِيلُونَ وَلِلْمُ وَلِيلُونَا وَلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِلْمُ وَلِيلُونَا وَلِيلُونَا وَلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِيلُونَا وَلَوْلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِيلُونَا وَلِلْمُونِ وَلِلْمُ وَلِيلُونَا وَلِلْمُعِلِيلًا وَلِيلُونَا وَلِلْمُ وَلِلْمُ وَلِيلُولِيلُونَا وَلِلْم

December:

وقد أيد الله وقدره وخلقه في في الله وقدره وخلقه في في الله وقد أيد الله أي: الصادر منهم تلك المقالة الباطلة . رسول الله في الأقاويل الله في المعمون حديثاً بالكلية ، ولا يقربون منه الوتين . من فهمه ، أو لا يفهمون منه إلا فهما في الله في فقد أطاع الله وعلى كل فهو ذم لهم وتوبيخ فقد أطاع الله وعن عليهم حفي على عدم فهمهم وفقههم عن الله وعن عليهم حفي رسوله ، وذلك بسبب كفرهم مرزوا من عن واعراضهم .

وإحرامهم. وفي ضمن ذلك مدح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على ذلك، من الإقبال على كلامهما وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليه. فلو فقهوا عن الله لعلموا أن الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك.

والسلام، لا يكونون سبباً لشر يحدث، هم ولا ما جاؤوا به، لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا والآخرة والدين. ثم قال تعالى: ﴿ما أصابك من

حسنة الله أي: في الدين والدنيا وفَمِنَ الله هو الذي من بها ويسرها بتيسير أسبابها. (وما أصابك من سيئة في الدين والدنيا (فمن نفسك أي: بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر.

فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه، وأمرهم بالدخول لبره

وفضله، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلا نفسه فإنه المانع لنفسه، عن وصول فضل الله وبره.
ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله عمد على فقال: ﴿وأرسلناك للناس

رسولاً وكفى بالله شهيداً على أنك وأحوالهم، بل أرسلناك مبلغاً ومبيناً رسول الله حقاً بما أيدك بنصره، وناصحاً وقد أديت وظيفتك، والمعجزات الباهرة، والبراهين أم لم يهتدوا. كما قال تعالى: ﴿ فَلْ كَلَ الله سواء اهتدوا الساطعة، فهي أكبر شهادة على الآية . انما أنت مذكر لست عليهم بمسيط (الآية . وينكم فإذا علم أن الله تعالى، كامل ولا بد أن تكون طاعة الله ورسوله وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره فأما مَنْ يظهر في الحضرة والمغيب . وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره فأما مَنْ يظهر في الحضرة الطاعة وقد أيد الله ، وإلا فلو تقول عليه بعض جنسه، ترك الطاعة وأقبل على ضدها، والأقاويل، لأخذ منه باليمين، ثم لقطع فإن الطاعة التي أظهرها غير نافعة ولا الأقاويل، لأخذ منه باليمين، ثم لقطع فإن الطاعة التي أظهرها غير نافعة ولا

﴿ ٨٠ ـ ٨١﴾ ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً * ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾ أي: كل مَنْ أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه ﴿ فقد رسول الله في أوامره ونواهيه ﴿ فقد

وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول ﷺ لأن الله أمر بطاعته مطلقاً، فلولا أنه معصوم في كل ما يبلغ عن الله، لم يأمر بطاعته مطلقاً، ويمدح على ذلك.

أطاع الله﴾ تعالى، لكونه لا يأمر ولا

ينهى إلا بأمر الله، وشرعه، ووخيه

وهذا من الحقوق المشتركة، فإن الحقوق ثلاثة:

حق لله تعالى، لا يكون لأحدمن الخلق، وهو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك.

وقسم مختص بالرسول، وهمو التعزير والتوقير والنصرة.

وقسم مشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله، ومجبتهما وطاعتهما كما جع الله بين هذه الحقوق في قوله: للتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقوره وتسبحوه بكرة وأصيلاً .

فمَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله، وله من الشواب والخير، ما رتب على طاعة الله، ﴿وَمَنْ تولى﴾ عن طاعة الله ورسوله، فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً ﴿فما أرسلناك عليهم وأحوالهم، بل أرسلناك مبلغاً ومبيناً وناصحاً، وقد أديت وظيفتك، ووجب أجرك على الله، سواء اهتدوا

ولا بدأن تكون طاعة الله ورسوله ظاهراً وباطناً، في الحضرة والمغيب. فأما مَنْ يظهر في الحضرة الطاعة والالتزام، فإذا خلا بنفسه أو أبناء فإن الطاعة التي أظهرها غير نافعة ولا مفيدة، وقد أشبه مَنْ قال الله فيهم: ﴿وَيقولُونُ طَاعَةٌ ﴾ أي: ينظهرون الطاعة إذا كانوا عندك. ﴿فإذا برزوا من الطاعة إذا كانوا عندك. ﴿فإذا برزوا من عندك ﴾ أي: خرجوا وخلوا في حالة لا يطلع فيها عليهم. ﴿بيت طائفة منهم غير الذي تقول ﴾ أي: بيتوا ودبروا غير طاعتك ولا شم إلاً

وفي قوله: ﴿بيت طائفة منهم غير الذي تقول﴾ دليل على أن الأمر الذي استقروا عليه غير الطاعة؛ لأن التبييت تدبير الأمر ليلا على وجه يستقر عليه الرأي، ثم توعدهم على ما فعلوا فقال: ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ أي: عفظه عليهم، وسيجازهم عليه أتم الجزاء، ففيه وعيد لهم.

المصية .

ثم أمر رسوله بمقابلتهم بالإعراض، وعدم التعنيف، فإنهم لا يضرونه شيئاً إذا توكل على الله، واستعان به في نصر دينه، وإقامة شرعه. ولهذا قال: ﴿ فَأَعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾

ووص على الله وعلى بنه وعير ب ﴿ ٨٢﴾ ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ يأمر تعالى بندبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم المنافق المستخدمة المنافق المنافقة الم

يَّهُ يَهُونَ هَمُهِن دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَلَاضِهَا ﴿ يَكَيُّهَا النَّانُ فَدَّجَاءَ كُهُ هُوْنَ ثِينَ رَتِيكُو وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُو وَلَاثِينَا ۞ فَا مَا الَّذِينَ وَمَنْوا مِلْعَ وَاعْتَصَارُوا إِنِهِ وَمَنْفَا مِنْهُ وَالْمُهُونِ فَرَضُونِينَهُ وَمَشْلِى وَمَهْ بِعِنْمِ إِلَيْهِ مِيرَطَا الشَّتَقِيبَ ا۞ ﴿ وَمَنْ وَنِنْهُ وَمَشْلِى وَمَهْ بِعِنْمِ إِلَيْهِ مِيرَطَا الشَّتَقِيبَ ا۞ ﴿ وَمَنْ وَنِنْهُ وَمَشْلِى وَمَهْ بِعِنْمِ إِلَيْهِ مِيرَطَا الشَّتَقِيبَ ا۞ ﴾ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُوالِلَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمِنْ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُولِمُنِهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَا الْمُنْالِينَا الْمُؤْمِنِينَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَا اللْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِينَا اللْمُؤْمِنِينِ الللَّهُ اللْمُؤْمِنِينَا اللْمُؤْمِنِينَا اللْمُؤْمِنِينَا

لرسوله: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك أي: ليس لك (٢) قدرة على غير نفسك، فلن تكلف بفعل غيرك.

﴿وحرّض المؤمنين﴾ على القتال، وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم، والإخبار بضعف الأعداء، وفشلهم، وبما أعد الله للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال.

﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ أي: بقتالكم في سبيل الله، وتحريض بعضكم بعضاً. ﴿والله أشد بأساً﴾ أي: قوة وعزة ﴿وأشد تنكيلاً﴾ بالمذنب في نفسه وتنكيلاً لغيره، فلو شاء تعالى لانتصر من الكفار بقوته ولم يجعل لهم باقية.

ولكن من حكمته يبلو بعض عباده ببعض، ليقوم سوق الجهاد، ويحصل الإيمان النافع، إيمان الاختيار، لا إيمان الاضطرار والقهر الذي لا يفيد شيئاً.

﴿ ٨٥﴾ ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ المراد بالشفاعة هنا:

مصيبة عليهم، أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي: والعلم والنصح، والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها.

فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم وتحرزاً من أعدائهم، فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة (۱) أو فيه مصلحته، لم ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم ينيعوه، ولهذا قال: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان، أم لا؟ فيحجم عنه؟

ثم قال تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به، واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم.

ذلك، فإن تدبر كتاب الله مفتاحٌ للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته.

فإنه يعرف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرف الطريق الموصلة إليه، وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملاً فيه، ازداد علماً وعملاً وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك، وحث عليه، وأخبر أنه [هو] المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب﴾ وقال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾.

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين، والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً، فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد من القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلافاً أصلاً.

﴿ ٨٣﴾ ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخسوف أذاعسوا به ولسو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه

ويؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية، من وجهين:

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها، أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعاً.

الثاني: ما يستفاد من أفعل التفضيل، وهو «أحسن» الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك.

ويستثنى من عموم الآية الكريمة مَنْ حيا بحال غير مأمور بها، ك «على مشتغل بقراءة، أو استماع خطبة، أو مصل ونحو ذلك» فإنه لا يطلب إجابة تحيته، وكذلك يستثنى من ذلك من أمر الشارع بهجره، وعدم تحيته، وهو العاصي غير التائب الذي يرتدع بالهجر، فإنه يهجر ولا يحيا، ولا ترد تحيته، وذلك لمعارضة المصلحة الكبرى.

ويدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس، وهي غير محظورة شرعاً، فإنه مأمور بردها أو أحسن منها، ثم أوعد تعالى وتوعد على فعل الحسنات والسيئات بقوله: ﴿إِن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾ فيحفظ على العباد أعمالهم، حسنها وسيئها، صغيرها وكبيرها، ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله وحكمه المحمود.

﴿٨٧﴾ ﴿الله لا إلى الله إلا هـو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ يخبر تعالى، عن انفراده بالوحدانية، وأنه لا معبود ولا مألوه إلا هو، لكماله في ذاته وأوصافه، ولكونه المنفرد بالخلق والتدبير، والنعم الظاهرة والباطنة.

وذلك يستلزم الأمر بعبادته، والتقرب إليه بجميع أنواع العبودية. لكونه المستحق لمذلك وحده، والمجازي للعباد بما قاموا به من عبوديته أو تركوه منها، ولذلك أقسم على وقوع عمل الجزاء وهو يوم القيامة، فقال: ﴿ليجمعنكم﴾ أي: أولكم

وآخركم في مقام واحد.

في ﴿يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ أي: لا شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، بالدليل العقلي والدليل السمعي، فالدليل العقلي ما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها، ومن وجود النشأة الأولى التي وقوع الثانية أولى منها بالإمكان، ومن الحكمة التي يجزم بأن الله لم يخلق خلقه عبثاً، يحيون ثم يموتون، وأما الدليل السمعي، فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك، بل إقسامه عليه، ولهذا قال: ﴿ومَنْ أصدق من الله حديثاً ﴾ كذلك أمر رسوله ﷺ أن يقسم عليه في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلي وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾.

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَصدق من الله قيلاً﴾ ﴿وَمَنْ أَصدق من الله قيلاً﴾ إخبار بأن حكيثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، بل أعلاها. فكل ما قيل في العقائد [والعلوم] (١) والأعمال نما يناقض ما أخبر الله به، فهو باطل لمناقضته للخبر الصادق اليقيني، فلا يمكن أن يكون حقاً.

﴿٨٨ ـ ٩١) ﴿فسمالكسم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً * ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليأ ولا نصيراً * إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولوشاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا * ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة

نَسْتَفْتُونَاكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِٱلْكَلَالَةِ إِنِٱمْ أُواْهَلَكَ لَيْسَ لَمُولَدٌ وَلَهُ وَأَخْتُ فَلَهَا نِصِفُ مَاتَزَكُ وَهُوبَرِثُهَا إِن لَّرْ يَكُن لَمَّا وَلَدُّ فَإِن كَانَتَا أَثَنَّ يَنِ فَلَهُمَا ٱلثُّكُ إِن مِمَّا فَرُكًّ وَإِنكَ انْوَا إِخْوَةً يِتِمَا لَا وَلِسَاءً فَلِلذَّكِّرِ مِثْلُ حَظِ ٱلْأَثْمَيِّينُ ۗ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُ مَا لَن مَصِلُوا وَاللهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيدً ۞ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُوا بِٱلْعُقُودُ لُجِلَّتْ ٱلْكُرِبَهِ بِمَةُ ٱلْأَفْسَٰدِ إِلَّا مَا يُنْلَ عَلَيْكُوْ غَبْرَكِي لِي الصَّيْدِ وَأَنتُهُ حُرُمُ إِنَّ اللَّهَ يَعَكُو مَايُرِيدُ ۞ بَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَانْجُلُواْشَعَهِرَاْقَهِوَلَا ٱلشَّهْزَاغُرَامَ وَلَا ٱلْهُدَى وَلَا ٱلْفَكَنِيدَ وَلَا آلِينِ ٱلْبَيْتَ ٱلْحُرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلَا مِن زَّبِهِمْ وَرِضْوَنَاۚ وَإِذَا حَلَلْتُهُ فَأَصْطَادُوًّا وَلَا يَجْرِهَ تَكُمُ شَكَنَانُ قَوْمِ أَنْ صَدُّوكُوْعَنِ ٱلْمُسْجِدِ ٱلْحُرَارِ أَن نَعْ مَدُواْ وَتَعَسَا وَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلنَّسَ فُوَيَّ وَلَاتَعَا وَنُواْ عَلَ ٱلْإِنْدِوَٱلْعُدُولِيْوَوَٱتَّفُواْ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهُ مِنْ اللَّهُ الْحَدَالْمِقَابِ ۞ A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفع غيره وقام معه على أمر من أمور الخير ومنه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم كان له نصيب من شفاعته، بحسب الحسيد وعمله ونفعه، ولا ينقص من عاون غيره على أمر من الشر، كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه. ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان ورر ذلك بقوله: ﴿وكان الله على كل ورر ذلك بقوله: ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ أي: شاهداً حفيظاً، حسيباً على هذه الأعمال، فيجازي كلاً ما يستحقه.

﴿٨٦﴾ ﴿وإذا حبيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً التحية هي اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين، على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها.

وأعلى أنواع التحية ما وردبه الشرع، من السلام ابتداء ورداً. فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي: تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها لفظاً وبشاشة، أو مثلها في ذلك. ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية، أو ردها بدونها.

أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾ المراد بالمنافقين المذكوريين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلامهم، ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم فيهم اشتباه، فبعضهم تحرج عن قتالهم، وقطع موالاتهم بسبب ما أظهروه من الإيمان، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم، فحكم بكفرهم، فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم، وأن تكونوا مثلهم. فإذا تحققتم ذلك منهم ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ وهذا يستلزم عدم محبتهم، لأن الولاية فرع

ويستلزم أيضاً بغضهم وعداوتهم، لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم، فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي على يجري أحكام الإسلام لكل مَنْ كان معه وهاجر إليه، وسواء كان مؤمناً حقيقة أو ظاهر الإيمان.

وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها فضف فوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي: في أي: وقت، واي: عل كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة، على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد التحريم في الأشهر الحرم.

ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فِرَق:

فرقتين أمر بتركهم وحتم [على] ذلك، إحداهما(٢) من يصل إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال، فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال.

والفِرقَّة الثانية قوم ﴿حصرت صدورهم أن يقاتلوا قومهم ﴾ أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضاً أمر بتركهم، وذكر الحكمة بذلك في قوله: ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فإن الأمور المكنة ثلاثة أقسام:

إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم، وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمريس عليكم، والله قمادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن من ذلك.

فهؤلاء ﴿إِن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾

الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم، بقطع النظر عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ستجدون أي: من هؤلاء المنافقين. ﴿يريدون أن يأمنوكم ﴾ أي: خوفاً منكم ﴿ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها ﴾ أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن، عرض لهم ونكسهم على رؤوسهم، أعماهم ونكسهم على رؤوسهم، الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة غالفة لها.

فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين

احتراماً لهم، لا خوفاً على أنفسهم، وأما هذه الفرقة فتركوه خوفاً لا احتراماً، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون (٢) لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم، ويتضح اتضاحاً عظيماً اعتزال المؤمنين ولهذا قال: ﴿ فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ﴾ أي: المسالمة والموادعة ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾ أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمن لكم واضحة، لكونهم معتدين ظالمن لكم تاركين للمسالمة، فلا يلومون إلا أنفسهم.

﴿٩٢﴾ ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً ﴾ هذه الصيغة من صيغ الامتناع، أي: يمتنع ويستحيل، أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي: متعمداً، وفي هذا الإخبار بشدة تحريمه، وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصاً عظيماً، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك، فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة الإيمانية، التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذي، وأي: أذى أشد من القتل؟

وهــذا يــصــدقــه قــولــه ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب

⁽١) في هامش أ: (وقد ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ، خرج إلى أحد، فرجم ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا فأنزل الله: ﴿فما لكم في المنافقين فنتين﴾ فقال رسول الله ﷺ: ﴿إنها طبية، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الحديد». وليس هناك علامة تدل على محل هذه الزيادة.

⁽۲) كذا في ب، وفي أ: أحدها.

⁽٣) في ب: سيقدمون.

بعضكم رقاب بعض». فعلم أن القتل من الكفر العملي، وأكبر الكبائر بعد الشرك بالله.

ولما كان قوله: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ﴾ لفظاً عاماً لجميع الأحوال، وأنه لا يصدر منه قتل أخيه بوجه من الوجوه، استثنى تعالى قتل الخطأ فقال: ﴿إِلَّا خَطَّأُ ﴾ فإن المخطىء الذي لا يقصد القتل غير آثم، ولا متجرىء على محارم الله، ولكنه لما كان قد فعل فعلاً شنيعاً، وصورته كافية في قبحه، وإن لم يقصده أمر تعالى بالكفارة والدية فقال: ﴿ وَمَنْ قَتَلِ مَوْمَنَّا خطأ، سواء كان القاتل ذكراً أو أنثى، حراً أو عبداً، صغيراً أو كبيراً، عاقلاً أو مجنوناً، مسلماً أو كافراً، كما يفيده لفظ «مَنْ، الدالة على العموم، وهذا من أسرار الإتيان بـ «مَنْ، في هذا الموضع، فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول: فإن قتله، ولكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله «مَنْ».

وسواء كان المقتول ذكراً أو أنشى، وسواء كان المقتول ذكراً أو أنشى، صغيراً أو كبيراً، كما يفيده التنكير في سياق الشرط، فإن على المقاتل ﴿ تحرير ماله، ويشمل ذلك الصغير والكبير، والذكر والأنشى، والصحيح والمعيب، في قول بعض العلماء.

ولكن الحكمة تقتضي أن لا يجزى، عتق المعيب في الكفارة؛ لأن المقصود بالعتق نفع العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعتقه، وبقاؤه في الرق أنفع له، فإنه لا يجزى، عتقه، مع أن في قوله: ﴿تحرير رقبة﴾ ما يدل على الستحقت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع، لم يتصور وجود التحرير. فأنه واضح.

وأما الدية فإنها تجب على عاقلة القاتل في الخطأ وشبه العمد.

﴿مسلمة إلى أهله ﴾ جبراً لقلوبهم، والمراد بأهله هنا هم ورثته، فإن الورثة يرثون ما ترك الميت، فالدية داخلة فيما

ترك، وللدية تفاصيل كثيرة مذكورة في كتب الفقه.

وقوله: ﴿إِلاّ أَنْ يَصِدَقُوا﴾ أَي: يتصدق ورثة القتيل بالعفو عن الدية، فإنها تسقط، وفي ذلك حث لهم على العفو، لأن الله سماها صدقة، والصدقة مطلوبة في كل وقت. ﴿فإن كان﴾ المقتول ﴿من قوم عدو لكم﴾ أي: من كفار حربين ﴿وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ أي: وليس عليكم لأهله دية، لعدم احترامهم في دماڻهم وأموالهم.

﴿ وَإِن كَانَ ﴾ المقتول ﴿ من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ﴾ وذلك لاحترام أهله بما لهم من العهد والمثاق.

ونمن لم يجد الرقبة ولا ثمنها، بأن كان معسراً بذلك، ليس عنده ما يفضل عن مؤنته وحوائجه الأصلية شيء يفي بالرقبة، وفصيام شهرين عندر، فإن أفطر لعذر، فإن العنر عذر، فإن العنر والحيض ونحوهما. وإن كان لغير عذر، انقطع التتابع، ووجب عليه استئنف الصوم. وتوبة من الله أي: هذه الكفارة التي أوجبها الله على القاتل توبة من الله على القاتل توبة لما عساه ان يحصل منهم من تقصير وعدم احتراز، كما هو واقع كثيراً للقاتل خطاً.

وكان الله عليماً حكيما ﴾ أي: كامل العلم كامل الحكمة، لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السيماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، في أي: وقت كان وأي: على كان.

ولا يخرج عن حكسته من المخلوقات والشرائع شيء، بل كل ما خلقه وشرعه، فهو متضمن لغاية الحكمة، ومن علمه وحكمته أن أوجب على القاتل كفارة مناسبة لما

في ب: عليهم.

صدر منه، فإنه تسبب لإعدام نفس عترمة، وأخرجها من الوجود إلى العدم، فناسب أن يعتق رقبة ويخرجها من رق العبودية للخلق إلى الحرية التامة، فإن لم يجد هذه الرقبة صام شهرين متتابعين، فأخرج نفسه من رق الشهوات واللذات الحسية القاطعة للعبد عن سعادته الأبدية إلى التعبد لله تعالى بتركها تقرباً إلى الله.

ومدها تعالى بهذه المدة الكثيرة الشاقة في عددها، ووجوب التتابع فيها، ولم يشرع الإطعام في هذا الموضع لعدم المناسبة. بخلاف الظهار، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومن حكمته أن أوجب في القتل الدية، ولو كان خطأ، لتكون رادعة وكافة عن كثير من القتل، باستعمال الأسباب العاصمة عن ذلك.

ومن حكمته أن وجبت على العاقلة في قتل الخطأ، بإجماع العلماء، لكون القاتل لم يذنب فيشق عليه أن يحمل هذه الدية الباهظة، فناسب أن يقوم بذلك من بينه وبينهم المعاونة والمناصرة، والمساعدة على تحصيل المصالح وكف المفاسد [ولعل ذلك من أسباب منعهم لمن يعقلون عنه من القتل حذراً من تحميلهم] (١)، ويخف عنهم (٢) بسبب توزيعه عليهم بقدر أحوالهم وطاقتهم، وخففت أيضاً بتأجيلها عليهم ثلاث

ومن حكمته وعلمه أن جبر أهل القتيل عن مصيبتهم، بالدية التي أوجبها على أولياء القاتل.

﴿٩٣﴾ ﴿وَمَن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأحدٌ له عذاباً عظيماً ﴾ تقدم أن الله أخبر أنه لا يصدر قتل المؤمن من المؤمن، وأن القتل من الكفر العملى، وذكر هنا وعيد القاتل عمداً، وعيداً ترجف له القلوب، وتنصدع له الأفئدة، وتنزعج منه أولو العقول.

فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو

الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار. فعياذاً بالله من كل سبب يبعد عن رحته.

وهذا الوعيد له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، على بعض الكبائر والمعاصي بالخلود في النار، أو حرمان الجنة.

وقد اختلف الأثمة رحمهم الله في تأويلها، مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدونهم في النار ولو كانوا موحدين. والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق: شمس الدين بن القيم رحمه الله في المدارج فإنه قال بعدما ذكر تأويلات الأثمة في ذلك وانتقدها فقال:

وقىالت فِرقَة: هـذه الـنـصـوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه.

وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتض لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع، فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص. فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص، فلا بد من إعمال النصوص من الجانين.

ومن هنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات، اعتباراً بمقتضى العقاب ومانعه، وإعمالاً لأرجحها.

قالوا: وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما. وعلى هذا بناء الأحكام الشرعية، والأحكام القدرية،

وهو مقتضى الحكمة السارية في السوجود، وبه ارتباط الأسباب ومسبباتها، خلقاً وأمراً، وقد جعل الله سبحانه لكل ضد ضداً يدافعه ويقاومه، ويكون الحكم للأغلب منهما.

فالقوة مقتضية للصحة والعافية، وفساد الأخلاط وبغيها مانع من عمل الطبيعة، وفعل القوة، والحكم للغالب منهما، وكذلك قوى الأدوية والأمراض. والعبد يكون فيه مقتض للصحة، ومقتض للعطب، وأحدهما يمنع كمال تأثير الآخر ويقاومه، فإذا ترجع عليه وقهره، كان التأثير له.

ومن هنا يعلم انقسام الخلق إلى مَنْ يدخل الجنة ولا يدخل النار، وعكسه، ومَنْ يدخل النار ثم يخرج منها، ويكون مكثه فيها بحسب ما فيه من مقتضى المكث في سرعة الخروج وبطئه. ومَنْ له بصيرة منورة يرى بها كل ما أخبر الله به في كتابه، من أمر المعاد وتفاصيله، حتى كأنه يشاهده رأي: عين.

ويعلم أن هذا هو مقتضى إلهيته سبحانه، وربوبيته، وعزته، وحكمته، وأنه يستحيل عليه خلاف ذلك، ونسبة ذلك إليه نسبة ما لا يليق به إليه، فيكون نسبة ذلك إلى بصيرته، كنسبة الشمس والنجوم إلى بصره.

وهذا يقين الإيمان، وهو الذي يحرق السيئات، كما تحرق النار الحطب، وصاحب هذا المقام من الإيمان يستحيل إصراره على السيئات، وإن وقعت منه وكثرت، فإن ما معه من نور الإيمان يأمره بتجديد التوبة كل وقت بالرجوع إلى الله في عدد أنفاسه، وهذا من أحب الخلق إلى الله. انتهى كلامه، قدس الله روحه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

﴿ ٩٤﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله

مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً له يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهاداً في سبيله، وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة.

فإن الأمور قسمان: واضحة وغير اضحة.

فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشكلة غير الواضحة، فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هلّ يقدم عليها أم لا؟ فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدایتها (۱۱)، قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الذين عاتبهم الله في الآية، لما لم يتثبتوا وقتلوا من سلَّم عليهم، وكان معه غنيمة له أو مالً غيره، ظناً أنه يستكفى بذلك قتلهم، وكان هذا خطأ في نفس الأمر، فلهذا عاتبهم بقوله: ﴿ولا تقولوا لمن ألقي إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ﴾ أي: فلا يحملنكم العرض الفاني القليل، على ارتكاب ما لا ينبغى فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى.

وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى، وهي مضرة له أن يذكرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيباً للنفس في امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها.

ثم قال تعالى مذكراً لهم بحالهم الأولى، قبل هدايتهم إلى الإسلام:

كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم أي: فكما هداكم بعد ضلالكم، فكذلك يهدي غيركم،

وكما أن الهداية حصلت لكم شيئاً فشيئاً، فكذلك غيركم.

فنظر الكامل خاله الأولى الناقصة، ومعاملته لن كان على مثلها، بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه، ولهذا أعاد الأمر بالتين فقال: ﴿ فتبينوا﴾ .

فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأموراً بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية، في أنه إنما سلم تعوذاً من القتل، وخوفاً على نفسه فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع الشباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويبين الرشد والصواب.

﴿إِن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ فيجازي كلاً ما عمله ونواه، بحسب ما علمه من أحوال عباده ونياتهم.

﴿٩٩ - ٩٩ ﴿ لا يسستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً المؤمنين بنفسه وماله، ومَنْ لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر.

وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرب، والذي لا يجد ما يتجهز به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمَنْ كان من أولي الضرر راضياً بقعوده، لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا [وجود] المانع، ولا يحدث نفسه بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر.

ومَنْ كان عازماً على الخروج في

سبيل الله لولا وجود المانع، يتمنى ذلك ويحدَّث به نفسه، فإنه بمنزلة مَنْ خرج للجهاد، لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل

ينزل صاحبها منزلة الفاعل.

ثم صرّح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرَّح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر.

والدرجات التي فصلها النبي ﷺ بالحديث الثابت عنه في «الصحيحين»، أن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله.

وهذا الثواب الذي رتبه الله على الجهاد، نظير الذي في سورة الصف في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من ختما الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾ إلى آخر السه، ق.

وتأمل حسن هذا الانتقال، من حالة إلى أعلى منها، فإنه نفى التسوية أولاً بين المجاهد وغيره، ثم صرَّح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة، ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات.

وهذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها عند التفضيل والمدح، أو النزول من حالة إلى ما دونها، عند القدح والذم احسن لفظاً، وأوقع في النفس.

وكذلك إذا فضل تعالى شيئاً على شيء، وكل منهما له فضل، احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين، لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا: ﴿وكلاً وعد الله الحسني﴾.

وكما [قال تعالى] في الآيات ج في المذكورة في الصف في قوله: ﴿وبشَر

المؤمنين . وكما في قوله تعالى:
﴿لا يستوي منكم مَنْ أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ أي: عمن لم يكن كذلك .
ثم قال: ﴿وكلا وعد الله الحسنى ﴾ وكما قال تعالى: ﴿فههمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً ﴾ فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف والأعمال ، أن يتفطن لهذه النكتة .

وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات، ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض، لئلا يتوهم أن المفضل قد حصل له الكمال. كما إذا قيل: النصارى خير من المجوس، فليقل مع ذلك: وكل منهما كافر.

والقتل أشنع من الزنا، وكل منهما معصية كبيرة، حرمها الله ورسوله وزجر عنها.

ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة الصادرين عن اسميه الكريمين الففور الرحيم ختم هذه الآية بهما. فقال: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

﴿٩٧ _ ٩٩﴾ ﴿إن الذين توفاهم الملاتكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يحفو عشهم وكان الله عفوأ غفوراً﴾ هذا الوعيد الشديد لن ترك الهجرة مع قدرته عليها حتى مات، فإن الملائكة الذين يقبضون روحه، يوبخونه بهذا التوبيخ العظيم، ويقولون لهم: ﴿فيم كنتم﴾ أي: على أي: حال كنتم؟ وبأي: شيء تميزتم عن المشركين؟ بل كثرتم سوادهم، وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم الخير الكثير والجهاد مع رسوله والكون مع المسلمين ومعاونتهم على أعدائهم.

﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ أي: ضعفاء مقهورين مظلومين، ليس لنا قدرة على الهجرة. وهم غير صادقين في ذلك، لأن الله وبخهم

وتوعدهم، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

واستثنى المستضعفين حقيقة، ولهذا قالت لهم الملائكة: ﴿ أَلُمْ تُكُنَّ أرض الله واسعة فتهاجروا فيهام وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإنَّ له متسعاً وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِي الذِّينِ آمِنُوا إِنَّ أرضى واسعة فإياي فاعبدون♦. قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿ فَأُولِنُكُ مِأُواهِم جِهِنَم وساءت مصيراً﴾ وهذا كما تُقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع شروطه، وانتفاء موانعه، وقد يمنع من ذلك مانع.

وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر، وفي الآية دليل على أن كل مَنْ توفي فقد استكمل واستوفى ما قدر له من الرزق والأجل والعمل، وذلك مأخوذ من لفظ «التوفي» فإنه يدل على ذلك، لأنه لو بقي عليه شيء من ذلك لم يكن متوفياً.

وفيه الإيمان بالملائكة ومدحهم، لأن الله ساق ذلك الخطاب لهم على وجه التقرير والاستحسان منهم، وموافقته لمحله.

ثم استثنى المستضعفين على الحقيقة، الذين لا قدرة لهم على الهجرة بوجه من الوجوه ﴿ولا يهتدون سبيلا﴾.

فهؤلاء قال الله فيهم: ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا﴾ و (عسى) ونحوها واجب وقوعها من الله تعالى بمقتضى كرمه وإحسانه، وفي الترجية بالثواب لمن عمل بعض الأعمال فائدة:

وهو أنه قد لا يوفيه حق توفيته، ولا يعمله على الوجه اللاثق الذي ينبغي، بل يكون مقصراً فلا يستحق ذلك الثواب. والله أعلم.

وفي الآية الكريمة دليل على أن من

عجز عن المأمور من واجب وغيره، فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾. وقال في عموم الأوامر: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.

وقال النبي على: «إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم». ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده، وانسدت عليه أبواب الحيل، لقوله: ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ونحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة.

﴿ ١٠٠﴾ ﴿ ومسن بهساجسر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقيع أجره على الله وكان الله غفوراً الهجرة، والترغيب وبيان الحث على المصالح، فوعد الصادق في وعده، أن المصالح، فوعد الصادق في وعده، أن يجد مراغماً في الأرض وسعة، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين والسعة على مصالح الدنيا.

وذلك أن كثيراً من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتاً بعد الألفة، وفقراً بعد الغنى، وذلاً بعد العز، وشدة بعد الرخاء.

والأمر ليس كذلك، فإن المؤمن ما دام بين أظهر المشركين، فدينه في غاية النقص، لا في العبادات القاصرة عليه، كالصلاة ونحوها، ولا في العبادات المتعدية، كالجهاد بالقول والفعل، وتوابع ذلك، لعدم تمكنه من ذلك، وهو بصدد أن يفتن عن دينه، خصوصاً إن كان مستضعفاً.

فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله وجهاد أعداء الله، ومراغمتهم، فإن المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاظة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك يحصل له سعة في رزقه، وقد وقع كما أخبر الله تعالى.

حُرِّمَتْ عَلَيْهِ مُ مُ ٱلْمُتَكَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِيزِيرِ وَمَآ أَهِلَ لِغَيْرِاللَّهِ بِهِ ء وَٱلْنُخَنِقَةُ وَٱلْوَفُونَةُ وَٱلْكُرِّدِيُّ وَالنَّظِيحَةُ وَمَا أَحَلَ السَّبُعُ إِلَّامَا ذَحَيْنُهُ وَمَا ذُبِعَ عَلَى النُّصُب وَأَن نَسْ نَفْسِمُواْ بِالْأَزْلِيُّهِ ذَلِكُمْ فِسْقُ الْيُومَ بَيِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُوْ فَلَا غَشُومٌ وَأَحْشَوْنُ الْيَوْمُ الْكُمْلُتُ لَكُرُويِنَكُوْ وَأَغْمَتُ عَلَيْكُ نِعْمَةٍ وَيَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَى دِينَا فَوَاضِطُ فِي مَخْمَكَ إِغَيْرُ مُنْجَانِفِ لِإِثْرُ فَإِنْ اللَّهُ عَفُورٌ وَجِيدٌ ۞ يَسْتَلُونَكَ مَاذَآ أَيُلَ لَمُنَّمُ كُلُ أَيلً لَكُمُ ٱلطَّيْبَاتُ وَمَاعَلَنتُمْ مِنَ ٱلْحَوَارِجِ مُكَلِينَ شَلِمُونَهُنَّ مِّاعَلَٰتَكُوْ اللَّهُ فَكُلُوا مِّٱلْسَكَنَ عَلَيْكُمْ وَاَذْكُرُواْ اَسْمَالَتَهِ عَلَيْدٍ وَانْقُواْ اَلِّدَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحَسَاب ۞ ٱلْيَوْمُ أُمِلَّ ٱلْكُو ٱلطَّيْسَتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنَبَ حِلَّ لَكُرُ وَطَعَامُكُو عِلَّ لَمُ مَوَالْفُصَيَنْتُ مِنَ الْتَوْمِنَاتِ وَالْمُصَيَّنَةُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنْبَ مِن مَبْلِكُمْ إِنَّا ءَانَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُصِينِينَ غَيْرَمُسَفِحِينَ وَلَامُتَّخِذِي ٓأَخَدَانٍ وَمَن يَكُمُرُ مُ إِلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَمِطَ عَمُلُمُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَيْرِينَ ۞ DADADA WEDDED

واعتبر ذلك بالصحابة رضي الله عنهم، فإنهم لما هاجروا في سبيل الله وتسركوا ديسارهم وأولادهم وأموالهم لله، كمل بذلك إيمانهم، وحصل لهم من الإيمان التام والجهاد العظيم والنصر لدين الله، ما كانوا به أمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم، ما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل مَنْ فعل فعلهم، حصل له ما يحصل لهم إلى يوم القيامة.

ثم قال: ﴿ومَنْ يَخْرِج مِنْ بِيتهُ مِهَاجِراً إِلَى الله ورسوله﴾ أي: قاصداً ربه ورضاه، ومحبة لرسوله، ونصراً لدين الله، لا لغير ذلك من المقاصد ﴿ثم يدركه الموت﴾ بقتل أو غيره، ﴿فقد وقع أجره على الله﴾ أي: فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى، وذلك لأنه في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله، في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله، أن أعطاهم أجرهم كاملاً، ولو لم يكملوا العمل وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها.

ولهذا ختم هذه الآية بهطين الاسمين الكريمين فقال: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ يغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصاً التائين المنيين إلى رجم.

يتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَإِنَا فُنْتُ لِكَ ٱلصَّلَاةِ فَأَغْيِسِلُواْ وُجُوهِ حَكُمْ وَأَيْدِ بَكُمْ إِلَى ٱلْذَافِي وَأَسْتَحُواْ بَرُهُ وسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَانِيُّ وَإِن كُنتُمْ جُنبُ فَاطَهَ رُوا وَإِن كُنتُم مِّن أَوْعَلَ سَغَرَ أَيْاً مَا لَحَدٌّ مِنكُم مِنَ ٱلْعَابِطِ أَوَّلَكَ مُمَّ ٱلنِّكَةَ فَلَرْجَعُدُواْ مَلَّهُ فيستواصع كاطباكا فأسكوا ومجوهث وألديكم تنأه نارُبِدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْتُ مُ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن رُبِيدُ لِيُطَهْرَكُمْ وَلِيُنِدَّرِهْ مَنْكُ عَلَيْكُمْ لَمَلَكُمْ تَشَكُّرُ تَشْكُرُونَ ٥ وَإِذْ كُرُوا مِنْ مَهُ اللَّهِ عَلَيْ كُمْ وَمِينَا فَهُ الَّذِي وَالْفَكُمُ مِنِهِ إِذْ قُلْتُدُ سَيَعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ وَالْقُوا الْقَمَّانِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ٱللَّهَ عَلِيهِ رُّبِذَاتِ ٱلسُّدُورِ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواَ كُونُواْ قَوَّمِينَ يَدُوشُهُ ذَاءً إِلْقِسْطِّ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنْعَانُ فَوْمِ عَلَىٰٓ ٱلْاَضَـٰ لِلْأَ آعْدِلُواْ هُوَ أَفْرَبُ لِلنَّقُوكُ وَأَنْفُواْ اللَّهُ إِنَ ٱللَّهَ خِيرُيمَا تَعْسَلُونَ ۞ وَعَدَاللَّهُ ٱلَّذِيكَ ءَاسَنُواْ وَعَكِيلُواْ ٱلصَّلِيحَتِّ لَمُ مُعْفِرَةً وَأَجْرُعَظِيمٌ ۞ CONTRACT WEST CONTRACTOR

ورحيماً بجميع الخلق، رحمة أوجدتهم ورزقتهم من المال والبنين والقوة، وغير ذلك. رحيماً بالمؤمنين، حيث وفقهم للإيمان، وعلمهم من العلم ما يحصل به الإيقان، ويسر لهم أسباب السعادة والفلاح، وما به يدركون غاية لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فنسأل الله أن لا يرما خيره بشر ما عندنا.

﴿١٠١ _ ١٠٢﴾ ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إنّ الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً * وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أحرى لم يتصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذالذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أوكنشم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً الماتان الآيتان أصل في رخصة القصر، وصلاة

الخوف، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرِبْتُم فَي الْرَضُ﴾ أي: في السفر، وظاهر الآية، [أنه] يقتضي الترخص(١) في أي: سفر كان، ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأتمة الثلاثة وغيرهم، فلم يجوزوا الترخص(١) في سفر المعصية، تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي بسفره، يناسب حاله التخفيف.

وقوله: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ أي: لا حرج ولا إثم عليكم في ذلك، ولا ينافي ذلك كون القصر هو الأفضل، لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس، بل ولا ينافي الوجوب، كما تقدم ذلك في سورة البقرة، في قوله: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله إلى آخر الآية.

وإزالة الوهم في هذا الموضع ظاهرة، لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة، ولا يزيل هذا عن نفوس أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه.

ويدل على أفضلية القصر على الإتمام أمران:

أحدهما: ملازمة النبي على القصر في جميع أسفاره.

والثاني: أن هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد، والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته.

وقوله: ﴿أَن تقصروا من الصلاة﴾ ولم يقل أن تقصروا الصلاة، فيه فائدتان:

إحداهما: أنه لو قال أن تقصروا الصلاة، لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة، لأجزأ، فإتيانه بقوله: ﴿من الصلاة﴾ ليدل ذلك على أن القصر محدود

مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي ﷺ وأصحابه.

الثانية: أن «من» تفيد التبعيض، ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات، لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران، وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعين.

فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: ﴿إِنْ خَفْتَم أَنْ يَفْتَنَكُمُ اللَّبِينَ كَفُرُوا﴾ الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما، السفر مع الخوف.

ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: ﴿أَن تقصروا ﴾ قصر العدد فقط؟ أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأهل.

وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى سأل عنه النبسي هذا عقال: يا رسول الله، ما لنا نقصر الصلاة وقد أمنا؟ أي: والله يقول: ﴿إِن خفتم أن يفتنكم النين كفروا ﴿ فقال رسول الله هذا "صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته او كما قال.

فعلى هذا يكون هذا الفيد أي به نظراً لغالب الحال التي كان النبي على وأصحابه عليها، فإن غالب أسفارهم أسفار جهاد.

وفيه فائدة أخرى، وهي بيان الحكمة والمصلحة في مشروعية رخصة القصر، فبين في هذه الآية أنهى ما يتصور من المشقة المناسبة للرخصة، وهي اجتماع السفر والخوف، ولا يستلزم ذلك أن لا يقصر مع السفر وحده، الذي هو مظنة المشقة.

وأما على الوجه الثاني، وهو أن المراد بالقصر: قصر العدد والصفة، فإن القيد على بابه، فإذا وجد السفر والخوف جاز قصر العدد، وقصر الصفة، وإذا وجد السفر وحده جاز

قصر العدد فقط، أو الخوف وحده جاز قصر الصفة.

ولذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ أي: صليت بهم صلاة تقيمها، وتتم ما يجب فيها ويلزم، فعلمهم ما ينبغي لك ولهم فعله.

ثم فسر ذلك بقوله: ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو، كما يدل على ذلك ما يأتي: ﴿فإذا سجدوا﴾ أي: الذين معك، أي: أكملوا صلاتهم، وعبر عن الصلاة بالسجود، ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها.

﴿فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة الذين أخرى لم يصلوا ﴿ وهم الطائفة الذين قاموا إزاء العدو ﴿ فليصلوا معك ﴾ دل ذلك على أن الإمام يبقى بعد انصراف الطائفة الأولى منتظراً للطائفة الثانية ، فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من صلاته ، ثم جلس ينتظرهم حتى يكملوا صلاتهم ، ثم يسلم بهم ، وهذا أحد الوجوه في صلاة الخوف .

فإنها صحت عن النبي على من وجوه كثيرة كلها جائزة، وهذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين وجهين:

أحدها: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة، فإنجابها في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى.

والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيراً من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال المطلة في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلولا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأحلها.

وتدل الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء، لا يخل به

لو صلوها بعدة أنمة، وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين واتفاقهم، وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم، وأمر تعالى بأخذ المسلاح، والحذر في صلاة الخوف، وهذا وإن كان فيه حركة واشتغال عن بعض أحوال الصلاة، فإن فيه مصلحة راجحة، وهو الجمع بين الصلاة والجهاد، والحذر من الأعداء الحريصين والجهاد، والخذر من الأعداء الحريصين والجهاد، في الإيقاع بالمسلمين، والميل عليهم وعلى أمتعتهم ولهذا قال تعلى: ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن المسحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم

ثم إن الله عذر من له عذر، من مرض أو مطر، أن يضع سلاحه، مرض أو مطر، أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: ﴿ولا جُناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴾.

ميلة واحدة،

ومن العذاب المهين ما أمر الله به حزبه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين، من قتلهم وقتالهم حيثما ثقفوهم، ويأخذوهم ويحصروهم، ويقعدوا لهم كل مرصد، ويحذروهم في جميع الأحوال، ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم.

فلله أعظم حمد وثناء على ما من به على المؤمنين، وأيدهم بمعونته وتعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية، ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات.

وفي قوله: ﴿فَإِذَا سِجِدُوا فَلَيْكُونُوا

من وراقكم بدل على أن هذه الطائفة تكمل جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول ﷺ يثبت منتظراً للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولاً ذكر أن الطائفة تقوم معه، فأخبر عن مصاحبتهم له. ثم أضاف الفعل بعد إليهم دون الرسول، فدل ذلك على ما ذكرناه.

وفي قوله ﴿ ولتات طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك﴾ دليل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع

وَالَّذِينَ كُفَّرُوا وَحَكَ نَوُا بِعَالِنِينَا أُولَيْكَ أَضِحَتُ المتحدو يكأبها أأيت المؤاذكروا فست ألَّهِ عَلَيْحُمْ إِذْكُمَّ قَوْمُ أَنْ يَبْسُطُوۤ ۚ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكُفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنحَكُمْ وَاتَّعُوا اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتُوكُلُ ٱلْمُوْمِنُونَ ١٠٥ وَلَقَلْدُ أَخَدُ ٱللَّهُ مِثْنَقَ بَنِيَ إِسْرَةِ مِلْ وَيُعَثِّنَا مِنْهُمُ أَنْفَى عَشَرَيْقِيبًا وَقَالَ أَلَدُ إِنِّي مَمَكُمَّ لَهِنْ أَقَمَتُهُ ٱلعَبَى لَوْةَ وَءَاتَيْتُهُمُ الزَّكَوْةَ وَءَامَنتُ بِرُسُ لِي وَعَكَزُّ لِنَهُ وَهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهُ قَرْضَا حَسَنَا لأكففرت عنكم سينايكم ولأذنيا جَنَّلْتِ بَشِّرِي مِن غَيْمَكَ ٱلْأَنْهَا رُّفْمَن كَفَرَيَفَ مَ ذَلِكَ مِن حُكُمْ فَقَدْ صَلَ لَسَوَلَةَ ٱلسَّيِيلِ ۞ فَيمَا تَقَيْبِهِم يَبِثُنَكُهُمْ لَتَنَّهُمْ وَحَعَلَنَا قُلُوبَهُمْ قَلِيسِيَةً يُحَرِّقُونَ ٱلْكَيْلِ عَن مُّوَاضِعِيدٌ وَنَسُوا حَشَّلُ امِّمَا لَكِّرُوا يود وَلَاتَ زَالُ تَعَلَّمُ عُلَ خَالَتَ وَتَعْدُمُ إِلَّا قَلِسَ لَا مِنْهُمْ ا فَأَعَفْ عَنْهُمْ وَأَصْفَعْ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِدِينَ ۞ ON THE WAR THE THE TANK

صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكماً في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل.

﴿ ١٠٣﴾ ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا اطمأنتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة أي : كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ أي : فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في جميع صلاة الخوف بذلك لفوائد. منها: أن القلب صلاحه وفلاحه وسعادته، بالإنابة إلى الله تعالى في المحبة وامتلاء القلب من ذكره والثناء عليه.

وأعظم ما يحصل به هذا المقصود الصلاة، التي حقيقتها أنها صلة بين العبد وبين ربه.

ومنها: أن فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان، ما أوجب أن يفرضها الله على عباده كل يوم وليلة. ومن المعلوم أن صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر بجبرها بالذكر بعدها.

ومنها: أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه، ما هو مظنة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه كانوا يعاقبون عليها، وعلى سائر الأحكام في الآخرة.

﴿٤٠١﴾ ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وتسرجلون من الله منا لا يسرجلون وكان الله عليماً حكيماً ﴾ أي: لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار، أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وهن القلب مستدع لوهن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم.

ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيئين:

الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك، فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة. الجارية لا يضعف إلا مَنْ توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير الدوام، لا مَنْ يدال مرة، ويدال عليه

الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله عدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه وعدلاً وأخبر أنه أنزله ليحكم بين والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية، وآمال رفيعة، من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن مَنْ يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته، فسبحان مَنْ فاوت بين العباد، وفرّق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: ﴿وكان الله عليماً حكيماً ﴾ كامل العلم، كامل

الحكمة. ﴿ ١٠٥ _ ١١٣﴾ ﴿إِنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُ الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً * واستخفر الله إن الله كان غفوراً

أنفسهم إن الله لا يجب من كان خواناً أثيماً * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً * هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً * ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً * ومن يكسبُ إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً * ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً * ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لمتكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ يحبر تعالى، أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب

بالحق، أي: محفوظاً في إنزاله من

الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل

بل نزل بالحق، ومشتملاً أيضا على

الحق فأخباره صدق، وأوامره ونواهيه

رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون

وفي الآية الأخرى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزُل إليهم ٠٠٠٠ فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس، في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبيين جميع الدين، وأصوله وفروعه، ويحتمل أنَّ الآيتين كليهما، معناهما واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفى العقائد، وفي جميع مسائل الأحكام.

وقوله: ﴿ مِما أَراكُ اللهِ أَي: لا بهواك، بيل بيما عيليميك الله وألهمك، كقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، • وفي هذا دليل على عصمته ﷺ فيما يبلغ عن الله من جميع الأحكام

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَنَّا أَخَذْ نَا مِينَا فَهُمَّ فَنَشُهُ احَظَّامَ مَّاذُكُرُواْبِهِ وَأَغْرَبُ اللَّهُ مُ ٱلْعَكَاوَةُ وَالْبَغَصِكَ آمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيكَ مَوْ وَسَوْفَ يُنَتَّ مُهُمُ اللَّهُ بِمَاكَانُواْيِعَهِ مَعُونَ ﴿ يَكَأَهُ لَ ٱلْكِتَابِ قَدْجَاءَكُمْ رَسُولُكَ الْبُرَيْ ﴾ لَكُمْ كَيْرُاعْمًا كُ يُمْ تَعْفُوك مِنَ ٱلْكِتَبِ وَيَسْفُواْعَن كَثِيرِ قَدْجَاءَكُم مِنَ اللَّهِ سُورٌ وَكِتَابٌ مُبِيثُ ﴿ يَهْ دِي بِواللَّهُ مَنِ ٱلَّبَعَ رِضَوَانَهُ شُبُلَ السَّكَايِرِ وَيُحْرِجُهُم مِنْ الظُّلْمَاتِ إِلَى ٱلتُورِ بإذْ نِهِ ، وَمَعْدِ بِعِنْمُ إِلَكَ مِنْزِطِ مُسْتَقِيدٍ ۞ لَقَدْ حَمَرُ ٱلَّذِينَ ٱلْوَالِيَّ ٱلْمَهُ مُوَلِّلَيْكِ أرث مَنْ مَنْ مُ قُلْ فَسَن يَعْلِكُ مِن اللَّهِ مُسَيِّفًا إِنَّ أَزَادُ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَيْسِيحُ ٱبْرَى مِنْ يَمْ وَأُمَّتُ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَيعَتُ أُوبِلَهِ مُلْكُ ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَايَنِهُمَأُ يَخْـ أَقُ مَا يَشَكَآهُ وَأَلْقَهُ عَلَى كُلِ مَنْ وَقَدِيرٌ ۞ TOWN TO THE REAL PROPERTY OF THE PARTY OF TH من أعظم مقويات القلب.

ذلك من الحكم. وقوله: ﴿ فَإِذَا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ﴾ أي: إذا أمنتم من الخوف، واطمأنت قلوبكم وأبدانكم، فأتموا صلاتكم على الوجه الأكمل، ظاهراً ويباطنناً، بباركانها وشروطها، وخشوعها، وسائر مكملاتها.

ومنها: أن الذكر لله تعالى مع الصبر

والثبات سبب للفلاح وألظفر

بالأعداء، كما قال تعالى: ﴿يا أيها

الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا،

واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾.

﴿إِن الصلاة كانت عِلى المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ أي: مفروضاً في وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتاً لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التى قد تقررت عند المسلمين، صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد على بقوله: "صلُّوا كما رأيتموني أصلي".

ودل قوله: ﴿على المؤمنين﴾ على أن الصلاة ميزان الإيمان، وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاته، وتتم وتكمل، ويدل ذلك على أن الكفار وإن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة _ أنهم لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة، ولا يؤمرون بها، بل ولا تصح منهم ما داموا على كفرهم، وإن

وغيرها، وأنه يشترط في الحاكم (۱) العلم والعدل، لقوله: ﴿ بما أراك الله ولم يقل: بما رأيت. ورتب أيضاً الحكم بين الناس على معرفة الكتاب، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط، نهاه عن المجور والظلم الذي هو ضد العدل، فقال: ﴿ ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ أي: لا تخاصم عن مَنْ عرفت خيانته، من مدع ما ليس له، أو منكر حقاً أي: لا تحريم الخصومة في عليه، سواء علم ذلك أو ظنه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية.

ويىدل مىفىهوم الآيىة عىلى جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم .

﴿واستغفر اللهِ مما صدر منك، إن مدر.

﴿إِن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ أي: يغفر الذنب العظيم لمن استغفره وتاب إليه وأناب، ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك، الموجب لثوابه وزوال عقابه.

ولا تجادل عن الدين يختانون انفسهم . «الاختيان» و «الخيانة» بمعنى الجناية والظلم والإثم، وهذا يشمل النهي عن المجادلة، عن مَنْ أذنب وتوجه عليه عقوبة، من حد أو تعزير، فإنه لا يجادل عنه بدفع ما ترتب على منه من الخيانة، أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية. ﴿إن الله كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب شبت ضده، وهو البغض، وهذا كالتعليل، للنهى المتقدم.

ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم فيستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون خافة الخلق عندهم أعظم من

خافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم.

وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، خصوصاً في حال تبييتهم ما لا يرضيه من القول، من تبرئة الجاني، ورمي البري، بالجناية، والسعي في ذلك للرسول ﷺ، ليفعل ما بيتوه.

فقد جعوا بين عدة جنايات، ولم يراقبوا رب الأرض والسماوات، المطلع على سرائرهم وضمائرهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿وكان الله بما يعملون عيطاً﴾ أي: قد أحاط بذلك علماً، ومع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة، بل استأنى بهم، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من الإصرار على ذنبهم، الموجب للعقوبة الليغة.

﴿ هَا أَنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا أي: هبكم جادلتم عنهم في هذه الحياة الدنيا، ودفع عنهم جدالكم بعض ما تخدرون (٢) من العار والفضيحة عند الحلق، فماذا يغني عنهم وينفعهم؟ ومَنْ يجادل الله عنهم يوم القيامة حين تتوجه عليهم الحجة، وتشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون؟ ﴿ يومئذ يوفيهم الله هيو الحق الحين، ويعلمون أن الله هيو الحق المين .

فمن يجادل عنهم، من يعلم السر وأخفى، ومن أقام عليهم من الشهود ما لا يمكن معه الإنكار؟ وفي هذه الآية إرشاد (٢) إلى المقابلة بين ما يتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله، أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة، أو يحصل من عقوباتها.

فيقول مَنْ أمرته نفسه بترك أمر الله

ها أنت تركت أمره كسلاً وتفريطاً، فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟

وكذلك إذا دعته نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة، قال لها: هبك فعلت ما اشتهيت، فإن لذته تنقضي، ويعقبها من الهموم والغموم والخمرات، وفوات الثواب وحصول العقاب ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها.

وهذا من أعظم ما ينفع العبد تدبره، وهو خاصة العقل الحقيقي. بخلاف الذي (٤) يدعي العقل، وليس كذلك، فإنه بجهله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة، والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان.

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يعمل سوءاً أو يظلم نفسه، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ أي: مَنْ تجراً على المعاصي واقتحم على الإثم، ثم استغفر الله استغفاراً تاماً، يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه، والإقلاع، والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده مَنْ لا يخلف الميعاد، بالمغفرة والرحة.

فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة، ويوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلاً عن توفيقه، لأنه قد غفره وإذا غفره، غفر ما يترتب عليه.

واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي، الصغيرة والكبيرة، وسمي «سوءاً» لكونه يسوء عامله بعقوبته، ولكونه في نفسه سيئاً غير حسن.

وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشرك فما دونه. ولكن

(٤) في ب: من.

⁽١) في أ: الحكم.

⁽٢) في ب: ما يحذرون.

⁽٣) في ب: الإرشاد.

عند اقتران أحدهما بالآخر، قد يفسر كل واحد منهما بما يناسبه، فيفسر عمل السوء هنا بالظلم الذي يسوء الناس، وهو ظلمهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ويفسر ظلم النفس بالظلم والمباصي التي بين الله وبين عبده، وسمي ظلم النفس «ظلماً» لأن نفس العبد ليست ملكاً له، يتصرف فيها بما جعلها أمانة عند العبد، وأمره أن يقيمها على طريق العدل، بإلزامها ليسعى في تعليمها ما أمر به، ويسعى في تعليمها ما أمر به، ويسعى في العمل بما يجب، فسعيه في غير هذا في العمل، الذي ضده الجور والظلم.

ثم قال: ﴿ومَنْ يكسب إِثماً فإنما يكسبه على نفسه ﴾ وهذا يشمل كل ما يؤثم من صغير وكبير، فمَنْ كسب سيئة فإن عقوبتها الدنيوية والأخروية قال تعداها إلى غيرها، كما قال تعالى: ﴿ولا ترر وازرة وزر قرار أخرى لكن إذا ظهرت السيئات فلم أخرى عمت عقوبتها، وشمل إثمها، فلا تخرج أيضاً عن حكم هذه الآية الكريمة، لأن مَنْ ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئة.

وفي هذا بيان عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحداً بذنب أحد، ولا يعاقب أحداً أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه، ولهذا قال: ﴿وكان الله عليماً حكيماً ﴾ أي: له العلم الكامل، والحكمة التامة.

ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب وما صدر منه، والسبب الداعي لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة المذنب، أنه إن صدر منه الذنب، يغلبة دواعي نفسه الأمارة بالسوء، مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته، أنه سيغفر

له ويوفقه للتوبة .

وإن صدر منه بتجرئه على المحارم، استخفافاً بنظر ربه، وتهاوناً بعقابه، فإن هذا بعيد من المغفرة، بعيد من التوفيق للتوبة.

ثم قال: ﴿ومن يكسب خطيئة﴾ ما دون أي: ذنباً كبيراً ﴿أو إشماً﴾ ما دون ذلك. ﴿ثم يرم به﴾ أن يتهم بذنبه ﴿بريئاً﴾ من ذلك الذنب، وإن كان أي: فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ مذنباً. ﴿فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ وهذا يدل على أن وأثماً ظاهراً بيناً، وهذا يدل على أن قد جمع عدة مفاسد: كسب الخطيئة قد جمع عدة مفاسد: كسب الخطيئة ثم الكذب الشنيع، بتبرئة نفسه واتهام والبريء، ثم ما يترتب على ذلك، من العقوبة الدنيوية، تندفع عمن وجبت على، وتقام على مَنْ لا يستحقها.

ثم ما يترتب على ذلك أيضاً من كلام الناس في البريء، إلى غير ذلك من المفاسد التي نسأل الله العافية منها، ومن كل شر.

ثم ذكر مئته على رسوله بحفظه وعصمته عمن أراد أن يضله فقال: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾. وذلك أن هذه الآيات الكريمات قد ذكر الفسرون، أن سبب نزولها: أن أهل بيت سرقوا في المدينة، فلما اطلع على سرقتهم خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقتهم فرموها ببيت مَنْ هو بريء من

واستعان السارق بقومه أن يأتوا رسول الله على ويطلبوا منه أن يبرى، صاحبهم على رؤوس الناس، وقالوا: إنه لم يسرق، وإنما الذي سرق مَنْ وجدت السرقة ببيته، وهو البري، فههم رسول الله على أن يسبرى، صاحبهم، فأنزل الله هذه الآيات

تذكيراً وتبييناً لتلك الواقعة، وتحذيراً للرسول على من المخاصمة عن الخائنين، فإن المخاصمة عن البطل من الضلال، فإن الضلال نوعان:

ضلال في العلم، وهو الجهل بالحق، وضلال في العمل، وهو العمل العمل بغير ما يجب. فحفظ الله رسوله عن هذا النوع من الضلال [كما حفظه عن الضلال في الأعمال](١).

وأخبر أن كيدهم ومكرهم يعود على أنفسهم، كحالة كل ماكر، فقال: ﴿ وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ لكون ذلك المحيل، لم يحصل لهم فيه مقصودهم، ولم يحصل لهم (٢) إلا الخيبة والحرمان والإثم والحسران، وهذه (٣) نعمة كبيرة على رسوله ﷺ، يتضمن النعمة بالعمل، وهو التوفيق لفعل ما يجب، والعصمة له عن كل

ثم ذكر نعمته عليه بالعلم فقال: ﴿ وَأَنْزِلُ اللهُ عليك الكتابِ والحكمة ﴾ أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم، الذي فيه تبيان كل شيء، وعلم الأولين والآخرين.

والحكمة: إما السُنّة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السُنّة تنزل عليه كما ينزل القرآن.

وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها، وترتيب كل شيء بحسبه.

﴿وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى. فإنه ﷺ كما وصفه الله قبل النبوة بقوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ ﴿ووجدك ضالاً فهدى ﴾.

ثم لم يزل يوحي الله إليه ويعلمه ويكمله، حتى ارتقى مقاماً من العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخرين،

⁽۱) زیادة من هامش: ب.

⁽٢) في النسختين: له، وقد غيرتها للتوافق مع ما سبق من الضمائر.

⁽٣) في النسختين: وهذا.

ANGREW WERE SERVICE

ضلاله. كما قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قبلوبهم الله وقبال تبعالى: ﴿وَنَقِلُبِ أَفِئِدَتُهُمْ وَأَبِصَارِهُمْ كَمَا لَمُ يؤمنوا به أول مرة ﴿ . ويدل مفهومها ، على أن مَنْ لم يشاقق الرسول، ويتبع غيرسبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله، واتباع رسوله، ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهم بها، ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبات الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه، بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه، ويعصمه من السوء، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء، وكذلك كل فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين السناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان، كما قال تعلل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله الآرة.

وقال تعالى: ﴿والصلح خير﴾ والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والسدقة، والمسلح لا بدأن يصلح الله سعيه وعمله.

كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله، ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: ﴿إِنَ الله لا يصلح عمل الفسدين﴾. فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء.

ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ﴿ومَنْ يَفْعَلْ ذَلْكُ ابتغاء مرضاة الله فسوف نوّته أجراً عظيماً ﴾ فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى، ويخلص العمل لله في كل وقت، وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص، فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية حصلت، واقترن بها ما يمكن من العمل.

﴿ ١١٥ - ١١٥ ﴾ ﴿ ومن يشاقى الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً * إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ أي: ومن يخالف الرسول ﷺ ويعانده فيما جاء به ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ بالدلائل القرآنية بعد ما تبين له الهدى ﴾ بالدلائل القرآنية

فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها، ولهذا قال: ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ ففضله على الرسول محمد ﷺ أعظم من فضله على كل غلوق(١٠).

وأجناس الفضل الذي قد فضله الله به، لا يمكن استقصاؤها(٢) ولا يتيسر إحصاؤها(٢).

﴿ ١١٤﴾ ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شرومضرة محضة، كالكلام المحرم بجميع أنواعه.

ثم استثنى تعلى فقال: ﴿إِلا مَنْ أَمر بصدقة﴾ من مال أو علم، أو أي: نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة، كالتسبيح والتحميد، ونحوه، كما قال النبي ﷺ: ﴿إِن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل مليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة الحديث.

﴿أو معروف﴾ وهو الإحسان والطاعة، وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضاً لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر.

يم عنل حير إله بعرف السود وأما عند الاقتران، فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك النهي. ﴿ وَالْ إصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب، يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره،

⁽١) في ب: الخلق.

⁽٢) في النسختين: استقصاؤه، وقد عدلت في ب، ولعل الصواب ما أثبت.

⁽٣) في النسختين: إحصاؤه، وقد عدلت في ب، ولعل الصواب ما أثبت.

فَالُواْ يَسُمُونِنَيْ إِنَّا لَن نَّذَخُهُمْ أَلِكِدُا مَّا دَامُوا فِيمَّا فَاذَهَتْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَلْلِلَّا إِنَّاهَاهُا اَقَاعِدُونَ ۞ قَالَ رَبّ إِنِّ لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْيِقِ وَأَخِلُّ فَأَفْرُقْ بَنْكَنَا وَيَتْرَك ٱلْقَوْمِ ٱلْفَلْسِفِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَدِّمَةً عَلَيْمِهُ أَرْبَعَ بَنَ سَسَنَةٌ بِنَيهُوبَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْفَرْمِ ٱلْفَلْسِفِينَ ٠ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ أَبْنَى ءَادَمَ بِالْحَقِي إِذْ فَرَّا فُرْبَانًا فَتُقُبِّلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبِّلُ مِنَ ٱلْآخَرَ قَالَ لِأَفْلُنَكَ قَالَ إِنَّمَا يَنْفَيَّلُ اللَّهُ مِنَ ٱلْمُثَّقِينَ ۞ لَيَنْ بِسَعَلَتَ إِلَّ يَدَكَ لِتَغَسُّلَنِي مَا أَنَا بِبَارِسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَفْتُلَكَ ۖ إِنَّ لَنَافُ اللَّهُ رَبَّ الْعَلَيمِينَ ۞ إِنِّ أُرِيدُ أَن تَبْوَأَ بِإِنْهِي وَإِثْمِكَ مَتَكُونَ مِنْ أَصْحَبِ ٱلنَّكَارُ وَذَٰ لِكَ جَزَّ وُالْفَلِلِينَ فَطَوَّعَتْ لَمُغَشْمُ فَقَلَ أَخِيهِ فَتَنَاقُهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَلِيرِينَ ۞ فَعَتَ اللَّهُ عُرَابَ ابَتَحَتْ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَكُنَّكُفَ يُؤْرِي اسَوْءَةَ أَخِيبُ قَالَ يَنُوتِيلَتَيْ أَعَجَزَتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَلْذَا ٱلْفُكُوبِ فَأُولَدِي سَوْةَ ةَ أَيْفٌ فَأَصْبِحَ مِنَ ٱلنَّكِيمِينَ ۞ TONOMON ""MOROMO

مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل.

وقوله: ﴿ونصله جهنم﴾ أي: نعذبه فيها عذاباً عظيماً. ﴿وساءت مصيراً﴾ أي: مرجعاً له ومآلاً.

وهذا الوعيد المرتب (١) على الشقاق، وخالفة المؤمنين، مراتب لا يحصيها إلا الله، بحسب حالة المذنب صغراً وكبراً فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق.

وهو: أن الشرك لا يغفره الله تعالى، لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته، وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبارات.

فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال، عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق، الذي ليس له من صفات الغنى الكمال شيء، بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود، وعدم الكمال، وعدم الكمال، وعدم

الغني، والفقر من جميع الوجوه.

وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي، فهو تحت المشيشة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب عليه، وعاقب بعدله وحكمته، وقد استدل بهذه الآية الكريمة، على أن إجماع هذه الأمة حجة، وأنها معصومة من الخطأ.

ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، واسبيل المؤمنين، مفرد مضاف، يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال.

فإذا اتفقوا على إيجاب شيء، أو استحبابه، أو تحريمه، أو كراهته، أو إاحته في أو المحته في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾.

ووجه الدلالة ممها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرون إلا بالمعروف، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفاً، ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على النهى عن شيء، فهو مما نهوا عنه، فلا يكون إلا منكِّراً، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ . فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطاً، أي: عدلاً خياراً، ليكونوا شهداء على الناس، أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم معصومة، لكونهم عالمين بما شهدوا به، عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلَّكُ لم يكونوا عادلين في شهادتهم، ولا عالمين بها .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء، فردوه إلى الله

والرسول > يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه، بل اتفقوا عليه، أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسُنّة، وذلك لا يكون إلا موافقاً للكتاب والسُنّة، فلا يكون خالفاً.

فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع، أن إجماع هذه الأُمة حجة قاطعة، ولهذا بين الله قبح ضلال المشركين بقوله:

﴿١٢١ ـ ١٢١﴾ ﴿إِنْ يَلْحُونُ مِنْ دُونِهُ إِلاَ إِنَاثَا وَإِنْ يَلْحُونُ إِلَّا شَيْطَاناً مُرِيداً * لَمِنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً * ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً * أولئك مأواهم جهنم لا يجدون عنها محيصاً﴾

أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إنـــاثـــاً، أي: أوثـــانـــاً وأصناماً، مسميات بأسماء الإناث، ک «العزی» و «مناة» ونحوهما، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدها لصفات الكمال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدفع عن عابديها، بل ولا عن نفسها؛ نفعاً ولا ضراً، ولا تنصر أنفسها ممن يريدها بسوء، وليس لها أسماع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يُعبد مَنَّ هذا وصفه، ويُترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد، والجلال، والعز، والجمال، والرحمة، والبر، والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟!! هل هذا إلاَّ من أقبح القبيح، الدال على نقص صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدني ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟!!

ومع ذلك(١٦) فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة. وبالحقيقة ما عبدوا غير الشيطان، الذي هو عدوهم، الذي يريد إهلاكهم، ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله، لعنه الله وأبعده عن رحمته، فكما أبعده الله من رحمته، يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله. ﴿إِنَّمَا يَدُعُو حَزِّبُهُ لَيُكُونُوا مِنْ أَصِحَابٍ السعير﴾ ولهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين الشر لهم والفساد، وأنه قال لربه مقسماً: ﴿لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ﴾ أي: مقدراً. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على مَنْ تولاه، وآثر طاعته على طاعة مولاه.

وأقسم في موضع آخر ليغوينهم ﴿الأغوينهم أجمين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾. فهذا الذي ظنه الخبيث وجزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾.

وهذا النصيب المفروض الذي أقسم لله إنه يتخذهم (٢)، ذكر ما يريد بهم، وما يقصده لهم بقوله: ﴿ولاصلف عن الصراط المستقيم، ضلالاً في العلم، وضلالاً في العمل.

ولأمنينهم أي: مع الإضلال، لأمنينهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على من الضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه شرهم، حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة، وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم، فإنهم كما حكى الله عنهم، فوقالوا لن يدخل الجنة إلا مَنْ كان هودا أو نصارى، تلك أمانيهم ولوكذلك زينا لكل أمة عملهم فول

هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً الآية.

وقال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: ﴿أَلَمُ نَكُنَ مَعْكُمُ ؟ قالوا: بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾.

وقوله: ﴿ولامرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ أي: بتقطيع آذانها، وذلك كالبحيرة، والسائبة والوصيلة، والحام، فنبه ببعض ذلك على جميعه. وهذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم الله، أو تحليل ما حرّم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام الجائرة، ما هو من أكبر المضلال. ﴿ولامرنهم فليغيرن الخلقة الله وهذا يتناول تغيير الخلقة والتفلج للحسن، ونحو ذلك، عما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحن.

وذلك يتضمن التسخط من خلقته، والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء، مفطورين على قبول الحق وإيشاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشروالحسوق.

فإن كل مولود يولد على الفطرة، ولكن أبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد، من توحيده، وحبه ومعرفته، فافترستهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذناب للغنم المنفردة.

لولا لطف الله وكرمه بعباده المخلصين، لجرى عليهم ما جرى على

هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم مسن تبوليهم عسن ربهم وفاطرهم "، وتوليهم لعدوهم المريد لهم الشر من كل وجه، فخسروا الدنيا والأخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة، ولهذا قال: ﴿ومَن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر الشيطان عمن خسر دينه ودنياه، وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي.

كما أن مَنْ تولى مولاه وآثر رضاه، ربح كل الربح، وأفلح كل الفلاح، وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، اللهم تولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت.

ثم قال: ﴿يعدهم ويمنيهم﴾ أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم. والوعد يشمل حتى الوعيد كما قال تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾. فإنه يعدهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره، كما قال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه كالآية. ويخوفهم عند إيثار مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن، مما يدخله في عقولهم، حتى يكسلوا عن فعل الخّير، وكذلكُ يمنيهم الأماني الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له، ولهذا قال: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، أولئك مأواهم جهنم، أي: مَنْ انقاد للشيطان، وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحزبه، مستقرهم النار. ﴿ولا يجدون عنها محيصاً﴾ أي: مخلصاً ولا ملجاً، بل هم خالدون فيها أبد الآباد.

﴿١٢٢﴾ ولما بين مآل الأشقياء أولياء الشيطان، ذكر مآل السعداء أوليائه فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وعد الله حقاً، ومن أصدق من الله

قسيسلا (1) أي: ﴿آمسنسوا ﴾ بسالله واليوم وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، على الوجه الذي أمروا به ، علماً وتصديقاً وإقراراً . ﴿وعملوا الصالحات ﴾ الناشئة عن الإيمان .

وهذا يشمل سائر المأمورات، من واجب ومستحب، الذي على القلب، والذي على اللسان، والذي على بقية الجوارح. كل له من الثواب المرتب على ذلك بحسب حاله ومقامه، وتكميله للإيمان والعمل الصالح.

ويفوته ما رتب على ذلك بحسب ما أخل به من الإيمان والعمل، وذلك بحسب ما علم من حكمة الله ورحته، وكذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله وسُنة رسوله.

ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله: ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) فيهاما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بسر، من أنواع المآكل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلية، والفواكه المستغربة، والأصوات الشجية، والنِعَم السابغة، وتزاور الإخوان، وتذكرهم ماكان منهم في رياض الجنان وأعلى من ذلك كله وأجل رضوان الله عليهم، وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، والأسماع بخطابه، الذي ينسيهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لهم لطاروا وماتوا من الفرح والحبور، فلله ما أحلى ذلك النعيم، وما أعلى ما أنالهم الرب الكريم، وماذا حصل لهم من كل خير وبهجة لا يصفه الواصفون، وتمام ذلك وكماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات، ولهذا قال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهِا أَبِداً، وعد الله

وحديثه في الصدق أعلى ما يكون، ولهذا لما كان كلامه صدقاً، وخبره حقاً كان ما يدل عليه مطابقة، وتضمناً، وملازمة، كل ذلك مراد من كلامه، وكذلك كلام رسوله ﷺ لكونه لا يخبر إلا بأمره ولا ينطق إلا عن

﴿ ١٢٣ ـ ١٢٣ ﴾ ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجربه ولا يجدله من دون الله وليا ولا نصيراً * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون أجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ أي: ﴿ليس﴾ الأمر والنجاة والتزكية ﴿ بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ﴾. والأماني: أحاديث النفس المجردة عن العمل، المقترن بها دعوى جردة، لو عورضت بمثلها لكانت من جنسها. وهذا عام في كل أمر، فكيف جنسها. وهذا عام في كل أمر، فكيف

بأمر الإيمان والسعادة الأبدية؟! فإن أماني أهل الكتاب قد أخبر الله بها، أنهم قالوا: ﴿لن يدخل الجنة إلا مَنْ كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم﴾ وغيرهم ممن ليس ينتسب لكتاب ولا رسول من باب أولى وأحرى.

وكذلك أدخل الله في ذلك مَنْ ينتسب إلى الإسلام لكمال العدل والإنصاف، فإن مجرد الانتساب إلى الإنسان ببرهان على صحة دعواه. الإنسان ببرهان على صحة دعواه. فالأعمال تصدق الدعوى أو تكذبها، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ يعمل سوءاً يجز بها وهذا شامل لجميع العاملين، لأن السوء شامل، لأي: ذنب كان (٢)، من صغائر الذنوب وكبائرها، وشامل أيضاً لكل جزاء، قليل أو كثير، دنيوي أو أخروى.

والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فمَنْ كان عمله كله سوءاً، وذلك لا يكون إلا كافراً. فإذا مات من

دون توبة جوزي بالخلود في العذاب الأليم .

ومَنْ كان عمله صالحاً، وهو مستقيم في غالب أحواله، وإنما يصدر منه بعض الأحيان بعض الذنوب الصغار، فما يصيبه من الهم والغم، والأذى، و [بعض] (٢) الآلام، في بدنه، أو قلبه، أو حبيبه، أو ماله، ونحو ذلك ما فإنها مكفرات للذنوب، وهي مما يجزى به على عمله، قيضها الله لطفاً بعباده، وبين هذين الحالين مراتب كثيرة.

وهذا الجزاء على عمل السوء العام، غصوص في غير التاثبين، فإن التاثب من الذنب كمَنْ لا ذنب له، كما دلت على ذلك النصوص.

وقوله: ﴿ولا يجدله من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ لإزالة بعض ما لعله يتوهم أن من استحق المجازاة على عمله، قد يكون له ولي، أو ناصر، أو شافع، يدفع عنه ما استحقه، فأخبر تعالى بانتفاء ذلك، فليس له ولي يحصل لمه المطلوب، ولا نصير يكفع عنه المرهوب، إلا ربه ومليكه.

﴿ومَنْ يعمل من الصالحات ﴾ دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية ، ودخل أيضاً كل عامل من إنس أو جن ، صغير أو كبير ، ذكر أو أنشى وهو ولهذا قال: ﴿من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾ وهذا شرط لجميع الأعمال ، لا تكون صالحة ، ولا تقبل ، ولا يترتب عليها الثواب ، ولا يندفع بها العقاب ، إلا بالإيمان .

فالأعمال بدون الإيمان، كأغصان شجرة قطع أصلها، وكبناء بني على موج الماء، فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة التي يبنى عليه كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق، فإنه مقيد به.

﴿فأولتك﴾ أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، ﴿يدخلون

فصدق الله العظيم الذي بلغ قوله

حقاً، ومَنْ أصدق من الله قيلاً .

⁽١) في ب: أورد الآية كاملة، بينما في أ، اقتصر على أولها.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: لأي سوء كان.

⁽٣) زيادة من هامش: ب.

الجنة ﴾ المشتملة على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿ولا يظلمون نقيراً ﴾ أي: لا قليلاً ولا كثيراً مما عملوه من الخير، بل يجدونه كاملاً موفراً، مضاعفاً أضعافاً كثيرة.

﴿١٢٥﴾ ﴿ومن أحسن ديناً بمن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ أي: لا أحد أحسن من دين من جع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله، الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه، وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله.

﴿وهو صع هذا الإخلاص والاستسلام ﴿عسن ﴾ أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، وأنزل كتبه، وجعلها طريقاً لخواص خلقه وأتباعهم.

﴿واتبع ملة إبراهيم ﴾ أي: دينه وشرعه ﴿حنيفا ﴾ أي: ماثلاً عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأما المحبة من الله، فهي خليلاً، لأنه وفي بما أمر به وقام بما ابتلي به، فجعله الله إماماً للناس، واتخذه خليلاً، ونوه بذكره في العالمين.

و المحاوات و المحاوات و المحاوات و المحاوات و الأرض و كان الله بكل شيء عيطاً و هذه الآية الكريمة فيها بيان الله و المحافة الله تعالى بجميع الأشياء، فأخبر الأرض أي: الجميع ملكه وعبيده، فهم المملوكون، وهو المالك المتفرد المعلومات، وبصره بجميع المصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمت الموجودات، والسماوات، وقهر بعزه وقهره كل والسماوات، وقهر بعزه وقهره كل غلوق، ودانت له جميع الأشياء.

﴿١٢٧﴾ ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلي عليكم في الكتاب في يتامي النساء اللات لاً تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامي بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً ﴾ الاستفتاء: طلب السائل من المسؤول بيان الحكم الشرعي في ذلك المسؤول عنه. فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول ﷺ، في حكم النساء المتعلق بهم فتولى الله هذه الفتوى بنفسه، فقال: ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع شؤون النساء، من القيام بحقوقهن وترك ظلمهن عموماً وخصوصاً.

وهذا أمرعام يشمل جميع ما شرع الله أمراً ونهياً، في حق النساء الزوجات وغيرهن، الصغار والكبار، ثم خص _ بعد التعميم _ الوصية بالضعاف من اليتامي والولدان، اهتماماً بهم، وزجراً عن التفريط في حقوقهم، فقال: ﴿وما يتلي عليكم في الكتاب في يتامي النساء ﴾ أي: ويفتيكم أيضاً بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامي من النساء. ﴿اللاله لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ وهذا إخبار عن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت، فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل، بخسها حقها وظلمها، إما بأكل مالها الذي لها أو بعضه، أو منعها من التزوج لينتفع بمالها، خوفاً من استخراجه من يده إن زوجها، أو يأخذ من مهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره، هذا إذا كان راغباً عنها، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال، ولا يقسط في مهرها، بل يعطيها دون ما تستحق، فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص، ولهذا قال: ﴿وترغبون أن تنكحوهن ﴾ أي: ترغبون عن نكاحهن، أو في نكاحهن كما ذكرنا تمثيله.

﴿والمستضعفين من الولدان﴾ أي : ويفتيكم في المستضعفين من الولدان الصغار، أن تعطوهم حقهم من الميراث

وغيره، وأن لا تستولوا على أموالهم على وجه الظلم والاستبداد. ﴿وَأَن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ أي: بالعدل التام، وهذا يشمل القيام عليهم بالزامهم أمر الله وما أوجبه على عباده، فيكون الأولياء مكلفين بذلك، يلزمونهم بما أوجبه الله.

ويشمل القيام عليهم في مصالحهم الدنيوية، بتنمية أموالهم، وطلب الأحظ لهم فيها، وأن لا يقربوها إلا بالتي هي أحسن، وكذلك لا يحابون في تزوج وغيره، على وجه الهضم لحقوقهم. وهذا من رحمته تعالى بعباده، حيث حث غاية الحث على القيام بمصالح مَنَ المعفه وفقد أمه

ثم حث على الإحسان عموماً، فقال: ﴿وما تفعلوا من خير ﴾ لليتامى ولغيرهم، سواء كان الخير متعدياً أو لازماً، ﴿فإن الله كان به عليماً ﴾ أي: قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير، قلة وكثرة، حسناً وضده، فيجازي كلاً بحسب عمله.

﴿ ١٢٨ ﴾ ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ أي: إذا خافت المرأة نشوز زوجها، أي: ترفعه عنها، وعدم رغبته فيها وإعراضه عنها، فالاحسن في هذه الحالة أن يصلحا بينهما صَلحاً، بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها، على وجه تبقى مع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة، أو الكسوة، أو المسكن، أو القسم، بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها أو لضرتها.

فإذا اتفقا على هذه الحالة، فلا جناح ولا بأس عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من الفرقة، ولهذا قال: ﴿والصلح

خير في ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين مَن بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء، أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة، والاتصاف بصفة السماح.

وهو جائز في جميع الأشياء ، إلا إذا أحل حراماً أو حرّم حلالاً ، فإنه لا يكون صلحاً ، وإنما يكون جوراً . واعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم ولا يكمل ، إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه ، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح ، فذكر تعالى المقتضى لذلك ، ونبّه على أنه خير ، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه ، فإن كان _ مع ذلك _ قد أمر الله به وحث عليه ازداد المؤمن طلباً له ورغبة فيه .

وذكر المانع بقوله: ﴿وأحضرت الأنفس الشع ﴾ أي: جبلت النفوس على الشع ، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعا، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده، وهو السماحة، وهو بذل الحق الذي عليك، والاقتناع ببعض الحق الذي لك.

فمتى وفق الإنسان لهذا الخلق الحسن، سهل حينتذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب. بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله الثمر.

ثم قال: ﴿ وَإِن تحسنوا وتتقوا﴾ أي: تحسنوا في عبادة الخالق، بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وتحسنوا إلى المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال، أو علم، أو جاه، أو غيسر ذلك. ﴿ وتتقوا﴾ الله بفعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظور. أو تحسنوا بفعل

المأمور، وتتقوا بترك المحظور ﴿ فَإِن الله كان بِما تعملون خبيراً ﴾ قد أحاط به علماً وخبراً ، بظاهره وباطنه ، فيحفظه لكم، ويجازيكم عليه أتم الجزاء.

﴿١٢٩﴾ ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ يخبر تعالى: أن الأزواج لا يستطيعون، وليس في قدرهم العدل التام بين النساء، وذلك لأن العدل يستلزم وجود المحبة على السواء، والداعي على السواء، والميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك. وهذا متعذر غير ممكن، فلذلك عفا الله عما لا يستطاع، ونهى عمّا هو ممكن بقوله: ﴿فَلَّا تَمْيِلُوا كُلِّ الْمِيلُ فَتُذْرُوهُا كالمعلقة ﴾ أي: لا تميلوا ميلاً كثيراً بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل.

فالنفقة والكسوة والقسم ونحوها، عليكم أن تعدلوا بينهن فيها، بخلاف الحب، والوطء ونحو ذلك، فإن الزوجة إذا ترك زوجها ما يجب لها، صارت كالمعلقة التي لا زوج لها فتستريح وتستعد للتزوج، ولا ذات زوج يقوم بحقوقها.

﴿وإن تصلحوا﴾ ما بينكم وبين زوجاتكم، بإجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس، احتساباً وقياماً بحق الزوجة، وتصلحوا أيضاً فيما بينكم وبين الناس، وتصلحوا أيضاً بين الناس، فيما تنازعوا فيه، وهذا يستلزم الحث على كل طريق يوصل إلى الصلح مطلقاً كما تقدم.

﴿وتتقوا﴾ الله بفعل المأمور وترك المحظور، والصبير على المقدور. ﴿ فَإِنَ اللهُ كَانَ غَفُوراً رحيماً ﴾ يغفر ما صدر منكم من الذنوب والتقصير في الحق الواجب، ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحتموهن.

﴿١٣٠﴾ ﴿وإن يتفرقا يغن الله كُلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾ هذه الحالة الثالثة بين الزوجين، إذا

تعذر الاتفاق فإنه لا بأس بالفراق، فقال: ﴿وَإِن يَتَفَرِقا﴾ أي: بطلاق، أو فسسخ، أو خسر ذلك ﴿يغن الله كلا﴾ من الزوجين ﴿من سعته﴾ أي: من فضله وإحسانه الواسع الشامل. فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضله وإن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولعل الله يرزقها أي: بمصالحهم، ولعل الله واسعاً ﴿ أي: كثير الفضل، واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه.

ولكنه مع ذلك ﴿حكيماً﴾ أي: يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة. فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان حرمه عدلاً وحكمة.

﴿ ١٣١ _ ١٣٢﴾ ﴿ ولله مسا فسبى السماوات وما في الأرض ولقد وصينًا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإنّ لله ما في السموات وما في الأرض وكبان الله غنياً حميداً * ولله ما في السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً كيبر تعالى عن عموم ملكه العظيم الواسع، المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف قدرأ وشرعأء فتصرفه الشرعى أن وصي الأولين والآخرين أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهى، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب. ولهذا قال: ﴿وَإِنْ تَكَفُّرُوا﴾ بأن تتركوا تقوی الله، وتشرکوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضرون الله شيئاً، ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم، وأكثر مطيعون له خاضعون لأمره. ولهذا رتب على ذلك قوله: ﴿وإن تكفروا فإن شما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً ﴾ له الجود الكامل والإحسان

الشامل الصادر من خزائن رحمته، التي لا ينقصها الإنفاق، ولا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض، أولهم وآخرهم، فسأل كل [واحد] منهم ما بلغت أمانيه، ما نقص من ملكه شيئاً، ذلك بأنه جواد واجد ماجد، عطاؤه كلام، وعذابه كلام، إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون.

ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف، إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه، لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك الكمال، بل له كل صفة كمال، ومن تلك الصفة كمالها، ومن تمام غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولا شريكاً في ملكه ولا ظهيراً، ولا معاوناً له على شيء من تدابير ملكه.

ومن كمال غناه افتقار العالم العلوي والسفلي، في جميع أحوالهم وشؤونهم إليه، وسؤالهم إياه جميع حوائجهم الدقيقة والجليلة، فقام تعالى بتلك المطالب والأسئلة، وأغناهم وأقناهم، ومنً عليهم بلطفه وهداهم.

وأما الحميد فهو من أسماء الله تعالى الجليلة، الدال على أنه [هو] المستحق لكل حمد، ومحبة وثناء وإكرام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النِعم الجزال، فهو المحمود على كل حال.

وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين ﴿الغني الحميد﴾!! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.

ئسم كرر إحاطة ملكم لما في السماوات وما في الأرض، وأنه على كل شيء وكيل، أي: عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة، فإن ذلك من تمام الوكالة، فإن الوكالة تستلزم العلم بما هو وكيل عليه، والقوة والقدرة على

تنفيذه، وتدبيره وكون ذلك التدبير على وجه الحكمة والمصلحة، فما نقص من ذلك فهو لنقص بالوكيل، والله تعالى منزه عن كل نقص.

﴿الله الله الناس ويأت بآخرين يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً * من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا هو الآخرة وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ أي: هو الغني الحميد الذي له القدرة الكاملة والمشيئة النافذة فيكم، ﴿إن يشا يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين عيركم، هم أطوع لله منكم وخير منكم، وفي هذا تهديد للناس على أقامتهم عن منكم، فإن الله لا يعبأ بهم شيئاً إن لم يطيعوه، ولكنه يسمهل ويضلي ولا يهمل.

ثم أخبر أن مَنْ كانت همته وإرادته دنية، غير متجاوزة ثواب الدنيا، وليس له إرادة في الآخرة، فإنه قد قصر سعيه ونظره، ومع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا سوى ما كتب الله له منها، فإنه تعالى هو المالك لكل شيء، الذي عنده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلبا منه، ويستعان به عليهما، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة به، والافتقار إليه على الدوام.

وله الحكمة تعالى في توفيق مَنْ يوفقه، وخذلان مَنْ يخذله، وفي عطائه ومنعه، ولهذا قال: ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾

بالير المراكب ثم قال تعالى: ﴿ يَا أَيَّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قوامِينَ بِالقَسطُ شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإنَّ الله كان بما تعملون خيراً ﴾ .

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا ﴿قوامين بالقسط شهداء شه ، والقوام صيغة مبالغة ، أي : كونوا في كل

Ball Markers مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَاعَلَ بَنِيَ إِسْرَاوِمَ ٱلْمُعُن فَتَلَ تَفْسَنَا بِفَكْرِيَفْسِ أَوْفِسَادٍ فِ ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّ مَاقَئَلَ ٱلنَّاسَ جَيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكُأَمُّا أَخِيا ٱلنَّاسَ جَيعًا وَلَقَدْ جَلَّهَ فَهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَيْ يُؤَامِّنُهُم بَعْدَذَٰلِكَ فِ ٱلْأَرْضِ كَتَبْرِقُونَ ۞ إِنَّسَاجَزَاقًا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ مَسَادًا أَن يُقَلَّوُا أَوْيُصَالِبُواْ أَوْتُعَلَّمُ أَيْدِيهِمْ وَأَنْعِلُهُمُ مِنْ خِلَنِي أَوْيُنفَوْايِنِ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِنْقُ فِٱلدُّنْتُ وَلَهُمْ فِٱلْكَخِرَةِ عَذَابُ عَظِيدُ ۞ إِلَّا ٱلَّذِيرَ كَابُواْ مِن قَسْلِ أَن تَصَّدِدُواْ عَلَيْهِمْ فَآعَسَكُمُواْ أَنَ اللَّهَ عَنْ فُورٌ رَّبِيدٌ ﴿ بَنَا لَهُ الَّذِينَ النَّوْ اَتَّ غُواْ اللَّهَ وَالْبِنَغُوَّا إِلَيْ وَالْوَسِيلَةَ وَجَلِيمُ وَأَفِي سَبِيلِهِ ، لَسَلَعُمْ مُقَلِحُونَ ۞ إِذَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوَاتَ إُ لَمَتُ مَا إِلَى ٱلْأَرْضِ جَيِعَا وَمِشْلَةُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا مِدِينً إِلَّهُ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْفِيكَ مَةِ مَا تَقَيُّ لَمِيْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ۞ ON TO THE OWNER OF THE OWNER OWNER OF THE OWNER OWNER OF THE OWNER OW

أحوالكم قائمين بالقسط، الذي هو العدل في حقوق الله، وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته، بل تصرف في طاعته.

والقسط في حقوق الآدميين، أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك^(۱)، كما تطلب حقوقك. فتؤدي النفقات الواجبة، والديون، وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من الأخلاق والمكافأة، وغير ذلك.

ومن أعظم أنواع القسط القسط في المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين، أو أحد المتنازعين، لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي: وجه كان، حتى على الأحباب بل على النفس، ولهذا في أنفسكم أو

الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما أي: فلا تراعوا الغني لغناه، ولا الفقير بزعمكم رحمة له، بل اشهدوا بالحق، على مَنْ كان.

والقيام بالقسط من أعظم الأمور، وأدل على دين السقائم به، وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على مَن نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نصب عينيه،

بُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَاهُم بِخَرْجِينَ مِنْهَا وَلَمُهُ عَذَاتٌ مُقِيدٌ ۞ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَأَفْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا حَزَامًا بِمَا كَسَبَا نَكَالُامِنَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ عَبِرُ حَكِيدٌ ۞ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ ء وَأَصْلَمَ فَإِنَ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْدُ إِلَى ٱللَّهَ عَنْهُ وَ تَجِيدُ ۞ ٱلَّهِ تَعْلَمُ أَنَّالْغَهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَايِّبُ مَن يَشَاآهُ وَيَشْفِرُلُمَن يَشَكَآءُ وَأَلَقَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَوْسٍ عِلَيْكِرُ ۞ • يَكَأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحَزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَدِعُونَ فِي ٱلْكُمْرَ مِنَ الَّذِيبَ قَالُوٓاْ ءَامَتَ بِأَفْوَهِهِمْ وَلَرَّتُوْمِبِ قُلُوبُهُمَّ وَمِنَ ٱلَّذِيرَ عَادُواْ سَمَّنَعُونَ لِلْحَكَذِبِ سَمَّاعُورِتَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَرَيْأَتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكِلِّمِينُ بَعْدِمَوَاضِعِيَّهُ يَعُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَاذَا فَحُدُوهُ وَإِن لَّرَّقُوْتُوهُ فَلَسَدُوكًا وَمَن يُسِوِداً لِلَّهُ وَتُنْتَهُ أَ فَلَن تَسْلِكَ لَهُ رِسَ ٱللَّهِ شَيْئًا أُوْلَتَهِكَ الَّذِيكَ لَرْيُرِدُ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبُهُمُّ لَكُمْ فِي الدُّنْكَ احِنْقُ وَلَهُمْ فِ ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيدٌ ﴿ TOWNSON WESTERNOOM

وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه، وفق للحق، وهدي إلى الصراط

ومحل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل

مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو

ولما بين أن الواجب القيام بالقسط، نهى عن ما يضاد ذلك، وهو لي اللسان عن الحق في الشهادات وغيرها، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه، ويدخل في ذلك تحريف الشهادة وعدم تكميلها، أو تأويل الشاهد على أمر الخير، فيإن هيذا، من اللي، لأنه الانحراف عن الحق.

﴿أَوْ تَعْرَضُوا﴾ أي: تتركوا القسط المنوط بكم، كترك الشاهد لشهادته وترك الحاكم لحكمه، الذي يجب عليه القيام به.

﴿ فَإِن الله كان بِما تعملون خبيراً ﴾ أي: محيط بما فعلتم، يعلم أعمالكم

خفيها وجليها، وفي هذا تهديد شديد للذي يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل، أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرماً، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام بالباطل.

﴿١٣٦﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ اعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى مَنْ لم يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء منه، فهذا يكون أمراً له بالدخول فيه، وذلك كأمر مَنْ ليس بمؤمن بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم﴾ الآية.

وإما أن يوجه إلى مَنْ دخل في الشيء، فهذا يكون أمره ليصحح ما وجد منه ويحصل ما لم يوجد، ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان، فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم، من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات.

ويقتضي أيضاً الأمر بما لم يوجد من المؤمن، من علوم الإيمان وأعماله، فإنه كلما وصل إليه نص، وفهم معناه واعتقده، فإن ذلك من الإيمان المأمور به. وكذلك سائر الأعمال الظاهرة والباطنة، كلها من الإيمان، كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، وأجمع على سلف الأمة.

ثم الاستمرار على ذلك والثبات عليه إلى الممات كما قال تعالى:
إا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وأمر هنا بالإيمان به وبرسوله، وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من مؤمناً إلا به، إجمالاً فيما لم يصل إليه تفصيله، وتفصيلاً فيما علم من ذلك بالتفصيل، فهذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى وأنجع. ﴿ومن المأمور به، فقد اهتدى وأنجع. ﴿ومن

يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾. وأي: ضلال أبعد من ضلال مَنْ ترك طريق الهدى المستقيم، وسلك الطريق الموصلة له إلى العذاب الأليم؟!!

واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض، ثم قال:

﴿١٣٧﴾ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمِنُوا ثُمَّ كَفُرُوا شم آمنوا شم كفروا شم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾ أي: مَنْ تكور منه الكفر بعد الإيمان، فاهتدى ثم ضل، وأبصر ثم عمي، وآمن ثم كفر واستمر على كفره، وازداد منه، فإنه بعيد من التوفيق والهداية لأقوم الطريق، وبعيد من المغفرة، لكونه أتى بأعظم مانع يمنعه من حصولها. فإن كفره، يكون عقوبة وطبعاً، لا يزول كما قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾. ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾. ودلت الآية: أنهم إن لم يزدادوا كفراً، بل رجعوا إلى الإيمان، وتركوا ما هم عليه من الكفران، فإن الله يخفر لهم، ولو تكررت منهم الردة. وإذا كان هذا الحكم في الكفر، فغيره من المعاصى التي دونه من باب أولى أن العبد لو تكررت منه، ثم عاد إلى التوبة، عاد الله له بالمغفرة.

﴿١٣٨ - ١٣٨﴾ ﴿بشر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً * الذين يتخذون الكافريس أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإنّ العزة لله جميعاً﴾ البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد، كما في هذه أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوئها، وهو الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأي: شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟.

وهمذا همو المواقع ممن أحموال

CO MANDE COMPANY سَمَّاعُونَ لِلْكَانِ أَكَّلُونَ لِلسُّحْتُ فَإِن جَآءُوكَ فَأَحْكُرُ بِينَهُمُ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمَّ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَخْتُ مِيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّاللَّهَ يُحِبُّ ٱلْقُسِطِينَ ۞ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرِينةُ فِهَاحُكُمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتُوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَالِكُ وَمَا أُولَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَكَ مَنِهَا هُدَى وَثُورٌ يَحَكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيثُونِ ٱلَّذِينَ ٱسْلَمُواْ لِلَّذِينَ حَادُواْ وَالرَّبَاكِنِيُونَ وَالْأَصْارُ يِمَا ٱسْتُحْفِظُواْمِن كِنَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهِكَ ٱنَّهُ فَلَا تَغَشُّواْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشُونِ وَلَانَشْ تَرُواْ مِنَايَنِي ثَمَنَ اقِلِيلًا وَمَن لَّهِ يَخَكُمُ بِمَا أَنذَلَ اللَّهُ فَأُولَتِهِ كَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ٥ وَكَتَبْنَاعَلَيْهِمْ فِيهَا آكَ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَرْبَ ا لَهُ عَنِي وَالْأَمَّ لِالْهِ وَالْأَدِّ عِلَالْمُنْ وَالْمُثَالِقَ الْمُثَالِينَ وَالْجُرُوحَ فِصَاصٌّ فَمَن تَصَكَّ قَ بِهِ ء فَهُوكَ غَارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّرْ يَعَكُم بِمَا أَسْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِيكَ هُمُ ٱلظَّالِلُونَ ۞

المؤمنين ﴾ أي: يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة، ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع من تفنيدهم، وتزهيدهم في القتال، ومظاهرة الأعداء عليهم، وغير ذلك مما هو معروف منهم.

ON TON WE THE CONTRACTOR

﴿فَالله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ فيجازي المؤمنين ظاهراً وباطناً بالجنة، ويعذب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات.

﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ أي: تسلطاً واستيلاء عليهم، بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصورة، لا يضرهم مَنْ خدلهم ولا مَنْ خالفهم، ولا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين، ودفع لتسلط الكافرين، ما هـومشـهـودبالعيان. حتى إن [بعض](۲) المسلمين الذين تحكمهم الطوائف الكافرة، قد بقوا محترمين لا يتعرضون لأديانهم، ولا يكونون مستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فله (٣) الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

﴿ ١٤٢ - ١٤٣ ﴾ ﴿ إِنَّ المُسَافِقِينَ يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالي يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا * مذبذبين

أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله، لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقاً، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصى والفسوق، التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهى عن القعود معهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي : غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها. ﴿إِنكم إِذاً ﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿مثلهم﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحياصل أن مَنْ حيضر مجيلساً يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم، مع القدرة أو القيام مع

﴿إِنَّ اللهِ جَامِعِ المُنافقينِ والكافرينِ في جهنم جميعاً﴾ كما اجتمعوا على الكفر والموالاة ولا ينفع الكافرين(^(١) مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ يُوم يَقُولُ المُنافِقُونُ والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ إلى آخر الآيات.

ثم ذكر تحقيق موالاة المنافقين للكافرين، ومعاداتهم للمؤمنين فقال: ﴿الذين يتربصون بكم ﴾ أي: ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها، وتنتهون إليها، من خير أو شر، قد أعدوا لكل حالة جواباً بحسب نفاقهم. ﴿فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم، فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهرأ وباطناً، ليسلموا من القدح والطعن عليهم، وليشركوهم في الغنيمة والفيء، ولينتصروا بهم.

﴿ وإن كان للكافرين نصيب ﴾ ولم يقل فتح، لأنه لا يحصل لهم فتح، يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة، بل غاية ما يكون، أن يكون لهم نصيب غير مستقر، حكمة من الله. فإذا كان ذلك ﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم ﴾ أي: نستولي عليكم ﴿ونمنعكم من المنافقين، ساء ظنهم بالله، وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمًّا وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء، يتعززون بهم ويستنصرون.

والحال أن العزة لله جميعاً، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين ؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم.

﴿ ١٤٠ _ ١٤١ ﴾ ﴿ وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفربها ويستهزأبها فلاتقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديثِ غيره إنكم إذاً مثلهم إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴿ الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ أي: وقدبين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصى ﴿أَن إِذَا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ﴾ أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها، وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فضد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم.

وكذلك المبتدعون على اختلاف

وَقَفَّيْنَا عَلَى مَا تَسْرِهِ رِجِيسَى أَيْنَ مَرْيَمٌ مُصَدِّقًا لِلْأَيْنَ يَكَذَيْدِمِنَ ٱلتَّوَيَّةِ وَءَاتَيْنَهُ ٱلْبِجِيلَ فِيهِ هُدَى وَفُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَابَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْلِينَاةِ وَهُدَى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَلْيَخْكُرُ أهْلُ ٱلْإِجْدِلِ بَمَّا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيدُّ وَمَن لَّرْيَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَتِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ ۞ وَأَرَلْنَا إِلِنْكَ الْكِنْبَ بالمقق مُصِدَقًا لِلَابَيْنِ بَدَنِهِ مِنَ ٱلْكِنْبِ وَمُهَنِينًا عَلَيْهُ فَاحْدَتُ مِينَهُم عِنَا أَنْلَ اللَّهُ وَلَا نَشَيِعُ أَهْوَا ءَهُمْ عَمَا حَآةَكُ مِنَ لَلْقَ لِحَدُلِ جَعَلْنَامِن كُمُّ شِرْعَكَ وَمُعْلَمُا وَلَوْ سُنَاءَ اللهُ لَجَعَلُكُمُ أَمَّةً وَلِيدَةً وَلَكِينَ لِيَنْ فِيلُونِ مِنَا وَانْسَكُورُ فَأَسْنَيْفُوا ٱلْمُنْزِّنَ إِلَى اللَّهِ مَنْجِعُ حَمْمَ جَيِمًا فَيُنَتِ ثُكُرُ يِمَاكُ سُتُدْ فِيهِ تَغَنْلِغُونَ ۞ وَأَنِ ٱمْكُرُيِّنَهُمْ بِمَاۤ أَرْلَ اللَّهُ وَلَا نَشَيِعَ أَهُوا المُهُمَّ وَلَمْذَرُهُمُ أَن يَفْيِنُوكَ عَنْ يَعْفِ مَا أَنْلَ اللَّهُ إِلَيْكُ فَإِن تَوَلُّوا فَأَعَلَرْ أَغَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ دُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَيْرِاعِنَ النَّاسِ لَفَاسِعُونَ ﴿ أَفَكُمْ لَلْهَ لِيَاتِهِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حَكُمًا لِقَوْمِ بُولِوْنِ وَمَ

بين ذلك لا إلى هولاء ولا إلى هولاء ومن يضلل الله فلن تجدله سبيلاً يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، من قبيح الصفات، وأن طريقتهم خادعة الله تعالى، أي: بما أظهروه من الإيمان، وأبطنوه من المخدان، ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده، والحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم، ومشيهم عليها، خداع لأنفسهم. وأي: خداع أعظم ممن يسعى سعياً يعود عليه بالهوان والذل والحرمان؟!!

ويدل بمجرده على نقص عقل صاحبه، حيث جمع بين المعصية، ورآها حسنة، وظنها من العقل والمكر، فلمه ما يصنع الجهل والخذلان ما ذكره الله في قوله: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا فلتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم إلى

ومن صفاتهم أنهم ﴿إذا قاموا إلى الصلاة﴾ - إن قاموا - التي هي أكبر الطاعات العملية، ﴿قاموا كسالى﴾

متثاقلين لها، متبرمين من فعلها، والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده، عادمة لإيمان، لم يصدر منهم الكسل، لإيمان، لم يصدر منهم الكسل، انطوت عليه سرائرهم، وهذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم واحترامهم، ولا يخسل صون لله فسلم هذا ولا يخلون الله إلا قليلا المتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذكر الله تعالى وملازمته، لا يكون إلا من مؤمن عتلىء قلبه بمحبة الله وعظمته.

﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أي: متردديس بين فريق المؤمنين . فلا من المؤمنين ظاهراً وباطناً، ولا من للكافرين، وظاهرهم للمؤمنين، وهذا أعظم ضلال يقدر. ولهذا قال: ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ أي: لن غوايته، لأنه انغلق عنه باب الرحم، وصار بدله كل نقمة.

فهذه الأوصاف المذمومة، تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها، من الصدق ظاهراً وباطناً وبالخلص، وأنهم لا يجهل ما عندهم، ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم، وكثرة ذكرهم لله تعالى. المستقيم. فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين، وليختر أيهما أولى به، وبالله (١)

﴿ ١٤٤﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهِ الْمَنْ آمَنُوا لا تَتَخَذُوا الْكَافِرِينَ أُولِياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا شعليكم سلطاناً مبيناً ﴾ لما ذكر أن من صفات المنافقين اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة، وأن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن

﴿ تَجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾ أي: حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أنذرنا وحذرنا منها، وأخبرنا بما فيها من المفاسد، فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب.

وفي هذه الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يعذب أحداً؟ قبل قيام الحجة عليه، وفيها التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطاناً مسناً.

﴿ ١٤٥ _ ١٤٧ ﴾ ﴿إِن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً * ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً في يُجبر تعالى عن مال المنافقين، أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار، لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة، والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشغربه ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه، ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق، إلا مَنْ منَّ الله عليهم بالتوبة من السيئات. ﴿وأصلحوا﴾ له الظواهر والبواطن ﴿واعتصموا بالله ﴾ والتجأوا إليه، في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم. ﴿وأخلصوا دينهم الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان ﴿شُهُ.

فقصدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة، وسلموا من الرياء والنفاق، فمن اتصف بهذه الصفات ﴿فأولئك مع المؤمنين ﴾ أي: في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، ﴿وسوف يوق الله منين أجراً عظيماً ﴾ لا يعلم كنهه

إلا الله، بما لا عمين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وتأمل كيف خص الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: ﴿وأصلحوا﴾ لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما، خصوصاً في هذا المقام الحرج الذي تمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، وكون الإخلاص منافي كل المنافاة للنفاق، فذكرهما لفضلهما وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما، ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما.

وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم أجرأ عظيماً، مع أن السياق فيهم. بل قال: خوسوف يدؤي الله المؤمنين أجراً عظيماً لان هذه القاعدة الشريفة للمناف في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب (١) عليه ثواباً أو عقاباً وكان ذلك مشتركاً بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تندرج تحته تلك القضية وغيرها، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر اللجزئي، فهذا من أسرار القرآن المبديعة، فالتائب من المنافقين، مع المؤمنين وله ثوابهم.

ثم أخبر تعالى عن كمال غناه، وسعة حلمه، ورحمته وإحسانه، فقال: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ والحال أن الله شاكر عليم. يعطي المتحملين لأجله الأثقال الدائبين في الأعمال جزيل الشواب وواسع الإحسان، ومَنْ ترك شيشاً لله أعطاه الله خراً منه.

ومع هذا يعلم ظاهركم وباطنكم، وأعمالكم وما تصدر عنه من إخلاص وصدق، وضد ذلك. وهو يريد منكم التوبة والإنابة والرجوع إليه، فإذا أنبتم إليه، فأي: شيء يفعل بعذابكم؟ فإنه لا يتشفى بعذابكم، ولا ينتفع

بعقابكم، بل العاصي لا يضر إلا نفسه، كما أن عمل المطيع لنفسه.

والشكر هو خضوع القلب، واعترافه بنعمة الله، وثناء اللسان على المشكور، وعمل الجوارح بطاعته، وأن لا يستمين بنعمه على معاصيه.

الله (١٤٩ ـ ١٤٩) ﴿ لا يحسب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً * إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإنّ الله كان عفواً قديراً ﴾ يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول، أي: يبغض ذلك ويمقته ويعاقب عليه، ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسبونحوذك، فإن ذلك كله من المنهي عنه الذي يبغضه الله.

ويدل مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين.

وقوله: ﴿إلا مَنْ ظُلِمْ﴾ أي: فإنه يجوز له أن يدعو على مَنْ ظلمه، ويتشكى (٢) منه، ويجهر بالسوء لن جهر له به، من غير أن يكذب عليه، ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعفوه، وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصِلْحَ فَاجُرِهُ عَلَى اللهُ ﴾.

رس عد واحديم فجره على الله به كانت الآية قد استملت على الكلام السيء والحسن والمباح، أخبر تعالى أنه سميع، فيسمع أقوالكم، فاحذروا أن تتكلموا بما يغضب ربكم فيعاقبكم على

وفيه أيضاً ترغيب على القول الحسن ﴿عليم﴾ بنياتكم ومصدر أقوالكم. ثم قال تعالى: ﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه﴾ وهذا يشمل كل خير قولي وفعلي، ظاهر وباطن، من واجب ومستحب.

﴿أُو تعفوا عن سوء ﴾ أي: عمّن ساءكم في أبدانكم وأموالكم وأعراضكم، فتسمحوا عنه، فإن الجزاء من جنس العمل. فمَنْ عفا شه عفا الله عنه، ومَنْ أحسن أحسن الله

إليه، فلهذا قال: ﴿فإن الله كان عفواً قديراً ﴾ أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة، فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته.

وفي هذه الآية إرشاد إلى المتفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسني، كما في هذه الآية.

لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن أحالنا على معرفة أسمائه، وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص.

﴿ ١٥٠ _ ١٥٠ ﴾ ﴿إن السذيسن يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يقرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولتك هم الكافرون حقاً أمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾.

هنا قسمان قد وضحا لكل أحد: مؤمن بالله وبرسله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله.

وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض ، وأن هذا سبيل ينجيه من عذاب الله ، إن هذا إلا مجرد أماني . فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله .

فإن مَنْ تولى الله حقيقة تولى جميع رسله، لأن ذلك من تمام توليه، ومَنْ عادى أحداً من رسله فقد عادى الله، وعادى جميع رسله كما قال تعالى: ﴿مَنْ كان عدواً للهِ الآيات.

وكذلك مَنْ كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال: ﴿ أولئك هم الكافرون حقاً ﴾ وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر.

ووجه كونهم كافرين ـ حتى بما

زعموا الإيمان به - أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله، أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدحون بها في النبي الذي كفروا به موجود مثلها أو أعظم منها فيمن آمنوا به.

فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي والهوى وبجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلها، ولما ذكر أن هؤلاء هم الكافرون حقاً، ذكر عقاباً شاملاً لهم ولكل كافر، فقال: ﴿وَاعْدَنَا للكَافْرِينَ عَذَاباً مهيناً﴾ كما تكبروا عن الإيمان بالله، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي.

﴿والذين آمنوا بالله ورسله ﴾ وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه، وبكل ما جاءت به الرسل من الأخبار والأحكام. ﴿ولم يفرقوا بين أحدٍ ﴾ من رسله، بل آمنوا بهم كلهم، فهذا هو الإيمان الحقيقي، واليقين المبني على البرهان .

﴿أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ أي: جزاء إيمانهم، وما ترتب عليه من عمل صالح، وقول حسن، وخلق جيل، كلّ على حسب جاله. ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم، ﴿وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ يغفر السيئات ويتقبل الحسنات.

﴿ ١٥٣ ـ ١٦١ ﴾ ﴿ يسألك أمل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً * ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً * فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا * وبكفرهم وقولهم على مريم بمتاناً عظيماً * وقولهم إناً قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم

وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلا أتباع الظن وما قتلوه يعقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً * فبظلم من الذين وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أوال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً هذا السؤال اللصادر من أهل الكتاب للرسول محمد على على من أهل الكتاب للرسول محمد على على السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو وجه العناد والاقتراح، وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو

تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده، كما قال تعالى عن الرسول، لما ذكر الآيات التي فيها

وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقاً، مجرد دعوى لا دليل عليها، ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب نزل مفرقاً فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟

اقتراح المشركين على محمد على ، ﴿قلِ

سبحان ربي هل كنت إلا بشراً

بل نزول هذا القرآن مفرقاً بحسب الأحوال، مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعلى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولا يأتونك بمشل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾.

فلما ذكر اعتراضهم الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلكوه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به، من سؤالهم له رؤية الله

عياناً، واتخاذهم العجل إلهاً يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم.

ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الطور من فوق رؤوسهم، وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض، والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري.

ومن امتناعهم من دخول أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجداً مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتدى منهم في السبت، فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة.

وبأخذ الميثاق الغليظ عليهم، فنبذوه وراء ظهورهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: أنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه وما صلبوه، بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه.

وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الحق، ودعوهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه، والتشديد فه.

فالذين فعلوا هذه الأفاعيل، لا يستنكر عليهم أن يسألوا الرسول عمداً أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحاجة من الاعتراض الباطل ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق، أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة، ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها.

وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد على يمكن أن يقابل بمثله، أو ما هو أقوى منه في نبوة من يدعون إيمانهم به، ليكتفى بذلك شرهم، وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم لنبوة مَنْ آمنوا

الجزء السادس]

به، فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة ومقررة لنبوة محمد ﷺ.

ولما كان المراد من تعديد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة ، لم يبسطها في هذا الموضع، بل أشار إليها، وأحال على مواضعها، وقد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها .

وقوله: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته > يحتمل أن الضمير هنا في قوله : ﴿قبِل موته﴾ يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت، ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسي عليه السلام، ولكنه إيمان لا ينفع، إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم وقيامهم؟!! ويحتمل أن الضمير في قوله: ﴿قبل موته ﴾ راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحدٍ من أهل

فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسي عليهم شهيداً، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة لشرع الله أم لا؟

الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام

قبل موت المسيح، وذلك يكون عند

اقتراب الساعة وظهور علاماتها

وحينئذ لا يشهد إلا ببطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشريعة القرآن ولما دعاهم إليه محمد ﷺ، علمنا بذلك، لعلمنا بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلَّا بالحق، إلاَّ أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، وما عداه فهو ضلال وباطل.

شم أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيراً من الطيبات التي كانت حلالاً عليهم وهذا تحريم عقوبة، بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصدهم الناس عن سبيل الله، ومنعهم إياهم من الهدي، وبأخذهم الربا وقد نهوا

عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبايعونه عن العدل، فعاقبهم الله من جنس فعلهم، فمنعهم من كثير من الطيبات التي كانوا بصدد حلها، لكونها طيبة، وأما التحريم الذي على هذه الأمة، فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم.

﴿١٦٢﴾ ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرأ عظيماً ﴾ لما ذكر معايب أهل الكتاب، ذكر الممدوحين منهم، فقال: ﴿لكن الراسخون في العلم﴾ أي: الذين ثبت العلم في قلوبهم، ورسخ الإيقان في أفئدتهم، فأثمر لهم الإيمان التام العام ﴿بِما أَنزِل إليك وما أَنزِل من قبلك ﴾ . وأثمر لهم الأعمال الصالحة، من

الإخلاص للمعبود، والإحسان إلى العبيد. وآمنوا باليوم الآخر فخافوا الوعيد ورجوا الوعد.

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، اللذين هما

أفضل الأعمال، وقد اشتملتا على

﴿ أُولِنُكُ سِنؤتيهم أَجِراً عظيماً ﴾ لأنهم جمعوا بين العلم والإيمان، والعمل الصالح، والإيمان بالكتب والرسل السابقة واللاحقة.

﴿١٦٣ _ ١٦٥﴾ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً * ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،

منها: أن محمداً عَلَيْ ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين

وفي هذا عدة فوائد:

• يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانَتَخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ الْوَلِمَا أَيْتُونُهُمْ أَوْلِيَآ اُبُعْضِ وَمَن يَتُوَكُّم مِنكُو فَإِنَّهُ مِنْهُمَّ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ۞ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَقَّنُ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ غَنْهَ آنَ تُصِيبَ الْآيِرَةُ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْقِيَ بِالْفَتْحِ أَوْلَمْ ﴿ مِنْ عِندِهِ، فَيصْبِحُ اعْلَى مَا أَسَرُوا فِ أَنفُيهِم نَدِمِينَ ﴿ وَيَعُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَهَنَـ وُلِآءِ ٱلَّذِينَ أَفْسَهُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْنُومْ إِنَّهُمْ لَعَكُمُّ حَيِطَتَ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَيْرِينَ ۞ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ مَامَنُواْسُ يَرْنَدُّ مِنكُوَّ عَن دِينِهِ ، فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِغَوْمِ يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّونُهُ وَأَوْلَةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَةِ عَلَى ٱلْكَيْفِرِينَ يُحَيِّهِدُونَ فِ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآيِمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْمِيهِ مَن يَشَأَةُ وَاللَّهُ وَسِعُ عَلِيمٌ ۞ إِنَّمَا وَلِيكُكُوْ أَلَهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ مَا مَنُوا ٱلَّذِيبَ يُقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوةَ وَهُمْ رَكِعُونَ ﴿ وَمَن يَتُولَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ فَإِنَّ حِرْبَ اللَّهِ هُمُ ٱلْغَلِيمُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ا يَمَنُوا لَانَتَغِدُوا لَلِينَ لَغَنَدُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَلِعِبَا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا يِّمْ الْكِنَبَين مَّلِكُرُ وَالْكُفَّارَأُ وَلِيَّةَ وَالنَّقُوااللَّهَ إِن كُنتُم تُوْمِدِينَ ۞ DECEMBER IN MERCEDIA

العدد الكثير والجم الغفير، فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل أو العناد.

ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضاً، ويوافق بعضهم بعضاً.

ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؟ ولا بالكذابين، ولا بالملوك الظالمين.

ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم، من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم، مما يزداد به المؤمن إيماناً بهم، ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستناناً بسنتهم، ومعرفة بحقوقهم، ويكون ذلك مصداقاً لقوله: ﴿سلام على نوح في العالمين ﴿سلام على إبراهيم ﴿سلام على موسى وهارون﴾ ﴿سلَّام على إلَّ ياسين، إنَّا كذلك نجزي المحسنين .

فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه. والرسل ـ خصوصاً هؤلاء المسمون _في المرتبة العليا من الإحسان.

ولما ذكر اشتراكهم بوحيه، ذكر تخصيص بعضهم، فذكر أنه آتي داود الزبور، وهو الكتاب المعروف، المزبور

HARLES SHARE وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاوَاتَغَنَّدُوهَا هُزُوا وَلِعِبًّا ذَلِكَ بِأَنْهُ مُدْوَوْ لَايِمْ قِلُونَ ﴿ قُلْ يَكَأَعْلَ الْكِتَبِ عَلْ تَنْفِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ النَّا بألله وَمَا أَمْزِلَ إِلَيْنَا وَمِّآ أَمْزِلَ مِن قِيلُ وَأَنَّ أَكْثَرُكُو فَلِيهُونَ ۞ قُلْ هَلْ أَنْبَتَكُمُ بِشَرَقِن ذَٰلِكَ مَثُويَةً عِندَاللَّهِ مَن لَّعَنَـُهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ مِنْهُمُ أَلْقِرَدَةً وَلَلْخَنَاذِرَ وَعَبَدَ الطَّلْغُوتِ أَوْلَتِكَ مَرَّتِكَانًا وَلَسَرُ عَن سَوَلَهِ السَّبِيلِ ۞ وَإِذَا لِنَا يُحِرُّوَ الْوَايِّامَ اَحَقَدُمُنُلُوا بِالْكُفْرِوَهُمْ فَفَخَرَهُ إِيهِ وَالْقَهُ أَعَلَمُ عَاكَانُواْ يَكْتُنُونَ ۞ وَثَرَىٰ كَيْعِرُ اَمِنْهُمْ يُسَرِعُونَ فِي ٱلْإِنْدِوَاْلْعُدَوْنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلشُّمَّتُ لَيَشْرَمَاكَانُواْيَعْمَلُونَ ۞ لَوَلَايَنْهَ هُمُّٱلْزَيَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِنْمُ وَأَكِهِمُ ٱلشِّعْتُ لِينْسَمَا كَانُواْ يَصَنَّعُونَ ۞ وَقَالَتِ ٱلْهَوْدُ يَدُاللَّهِ مَغَلُولَةً عُلَّتَ أَيْدِيهِمْ وَلُمِنُواْ مِا فَالْوَأَكِلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنِفِي كَنْفَ يَشَلَّهُ وَلَيْزِيدَنَّ كَيْرِامِنْهُم مَّا أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن زَيِكَ مُلْغِيْنَا وَكُغْزُ وَٱلْقِينَا يَيْنَهُمُ ٱلْسَدَوَةَ وَٱلْبَعْضَةَ إلى يَوْمِ ٱلْغِيدَ مَوْكُمُنَا أَوْقَدُواْ نَاوَ لِلْحَرْبِ ٱلْمُفَالْحُمَا اللَّهُ المُ اللَّهُ مُعَوِّدَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاقَدُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿ وَلَا مُعَالِمُ المُفْسِدِينَ ﴿ MOSSAGE III BORSEON

الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كلّم موسى تكليماً، أي: مشافهة منه إليه، لا بواسطة، حتى اشتهر بهذا عند العالمين، فيقال: «موسى كليم الرحن».

وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على رسوله، ومنهم مَنْ لم يقصصه على رسوله، وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشريان لمن أطاع الله واتبعهم، بالسعادة الدنيوية ومنذرين مَنْ عصى الله وخالفهم بشقاوة الدارين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا: ﴿ما جاءنا من بشير ونذير﴾.

فلم يبق للخلق على الله حجة لإرساله الرسل تترى، يبينون لهم أمر دينهم، ومراضي ربهم ومساخطه، وطرق الجنة وطرق النار، فمَنْ كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته، أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وذلك أيضاً من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم ضرورة تقدر، فأزال هذا الاضطرار، فله

الحمد وله الشكر. ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم، أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم، إنه جواد كريم.

اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً لل اذكر أن الله أوحى إلى رسوله محمد على كما أوحى بشهادته تعالى على رسالته وصحة ما جاء به، وأنه ﴿أنزله بعلمه﴾ يحتمل أن يكون المراد أنزله مشتملاً على علمه، أي: فيه من العلوم الإلهية والأحكام الشرعية والأخبار الغيبية، ما هو من علم الله تعالى الذي علم به عباده.

ويحتمل أن يكون الراد: أنزله صادراً عن علمه، ويكون في ذلك إشارة وتنبيه على وجه شهادته، وأن المعنى: إذا كان تعالى أنزل هذا القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي، وهو يعلم ذلك، ويعلم حالة الذي أنزله عليه، وأنه دعا الناس إليه، فمن أجابه وصدقه كان وليه، ومَنْ كذبه وعاداه كان عدوه واستباح ماله ودمه، والله تعالى يمكنه، ويوالي نصره، ويجيب دعواته، ويخذل أعداءه وينصر أولياءه، فهل توجد شهادة أعظم من هذه الشهادة وأكبر؟!! ولا يمكن القدح في هذه الشهادة، إلا بعد القدح بعلم الله وقدرته وحكمته، وإخباره تعالى بشهادة الملائكة على ما أنزل على رسوله، لكمال إيمانهم ولجلالة هذا المشهود عليه .

فإن الأمور العظيمة لا يستشهد عليها إلا الخواص، كما قال تعالى في الشهادة على التوحيد: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم و وفي بالله شهيداً.

﴿ الله الله الله الله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيداً * إنّ الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم

طريقاً * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً * لما أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأخبر برسالة خاتمهم محمد، وشهد بها وشهدت ملائكته ـ لزم من ذلك، ثبوت الأمر المقرر والمشهود به، فوجب تصديقهم، والإيمان بهم واتباعهم.

ثم توعد من كفر بهم فقال: ﴿إِنَّ اللّٰذِينَ كَفَرُوا وَصِدُوا عِنْ سَبِيلَ اللهُ أَي: جمعوا بين الكفر بأنفسهم، وصدهم الناس عن سبيل الله. وهؤلاء هم أئمة الكفر ودعاة الضلال ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً﴾. وأي: ضلال ضلوا ضلالاً بعيداً﴾. وأي: ضلال غيره، فباء بالإشمين، ورجع غيره، فباء بالإشمين، ورجع قال: ﴿إِنَّ الذَينَ كَفُرُوا وظلموا﴾ وهذا قال: ﴿إِنَّ الذِينَ كَفُرُوا وظلموا﴾ وهذا الظلم هو زيادة على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه.

والمراد بالظلم هنا أعمال الكفر والاستغراق فيه، فهؤلاء بعيدون من المغفرة والهداية للصراط المستقيم. ولهذا قال: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم﴾.

وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية ، لأنهم استمروا في طغيانهم ، وازدادوا في كفرانهم (۱) ، فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ ,

﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي: لا يبالي الله بهم ولا يحبأ، لأنهم لا يصلحون للخير، ولا يليق بهم إلا الحالة التي اختاروها لأنفسهم.

﴿ ١٧٠﴾ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكمم وإن تكفروا فإن شما في السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ﴾ يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده ورسوله محمد ﷺ. وذكر السبب الموجب للإيمان به، والفائدة من الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره

بأنه جاءهم بالحق. أي: فمجيئه نفسه حق، وما جاء به من الشرع حق، فإن العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم، غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن حكمته ورحمته العظيمة نفس إرسال الرسول إليهم، ليعرفهم الهدى من الضلال، والغي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته.

وكذلك النظر إلى ما جاء به من الشرع العظيم والصراط المستقيم. فإن فيه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة، والخبر عن الله وعن اليوم والرسالة. وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح، ورشد، وعدل، وإحسان، وصدق، وبر، وصلة، وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد، والبغي والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله.

وكلما ازداد به العبد بصيرة، ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان.

وأما الفائدة في الإيمان، فأخبر أنه خير لكم والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين، في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم، وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل وآجل، فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم، والعمل الصالح، والسرور والأفراح، والجنة وما اشتملت عليه، من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان.

كما أن الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه. وأما مضرة عدم الإيمان به على فيعرف بضد ما يترتب على الإيمان به. وأن العبد عنه، لا تضره معصية العاصين، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ شَمَا فَي السَمَاوَاتِ وَلَكَمَا لِللَّهِ مَا فَي السَمَاوَاتِ وَلَكَمَا وَتَعَلَّمُ عَلَيْهِ وَمَلَكَهُ، والأرض أي: الجميع خلقه وملكه، وتحت تدبيره وتصريفه ﴿وكان الله عليماً بكل شيء ﴿حكيماً في عليماً بمن يستحق خلقه وأمره. فهو العليم بمن يستحق

الهداية والغواية، الحكيم في وضع الهداية والغواية موضعهما.

﴿ ١٧١﴾ ﴿ بِا أَمِلِ الْحَسَابِ لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفي بالله وكيلاً بنهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع، إلى ما ليس بمشروع. وذلك كقول النصاري في غلوهم بعيسي عليه السلام، ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك، ولهذا قال: ﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء:

أمرين منهي عنهما، وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسماته وصفاته وأفعاله، وشرعه ورسله، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور.

ولما كانت هذه قاعدة عامة كلية ، وكان السياق في شأن عيسى عليه السلام نص على قول الحق فيه ، المخالف لطريقة اليهودية والنصرانية فقال: ﴿إِنَمَا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ أي: غاية المسيح عليه السلام ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال، أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة التي هي أعلى الدرجات، وأجل المثوبات.

وأنه ﴿كلمته﴾ التي ﴿ألقاها إلى مريم﴾ أي: كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم.

وكذلك قوله: ﴿وروح منه﴾ أي: من الأرواح التي خلقها، وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، أرسل الله روحه جبريل عليه السلام،

فنفخ في فرج مريم عليها السلام، فحملت بإذن الله، بعيسى عليه السلام.

فلما بين حقيقة عيسى عليه السلام، أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة، أحدهم عيسى، والثاني مريم، فهذه مقالة النصارى قبحهم الله.

فأمرهم أن ينتهوا، وأخبر أن ذلك خير لهم، لأنه الذي يتعين أنه سبيل النجاة، وما سواه فهو طريق الهلاك، ثم نزه نفسه عن الشريك والولد، فقال: ﴿إِنَمَا الله إله واحد﴾ أي: هو النفرد بالألوهية، الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿سبحانه﴾ أي: تنزه وتقدس ﴿أن يكون له ولد﴾ لأن ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ فالكل مملوكون له، مفتقرون إليه، فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد.

ولما أخبر أنه المالك للعالم العلوي والسفلي، أخبر أنه قائم بمصالحهم الدنيوية والأخروية وحافظها، ومجازيهم عليها تعالى.

﴿ ١٧٢ ـ ١٧٣ ﴾ ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾

لا ذكر تعالى غلو النصارى في عيسى عليه السلام، وذكر أنه عبده ورسوله، ذكر هنا أنه لا يستنكف عن عبادة ربه، أي: لا يمتنع عنها رغبة عنها لا هو ﴿ولا الملائكة المقربون﴾. فنزههم عن الاستكبار من باب أولى، ونفي الشيء فيه إثبات ضده.

أي: فعيسى والملائكة القربون، قد رغبوا في عبادة ربهم، وأحبوها وسعوا فيها بما يليق بأحوالهم، فأوجب لهم ذلك الشرف العظيم، والفوز العظيم،

فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيداً لربوبيته ولا لإلهيته، بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار .

ولا يظن أن رفع عيسى أو غيره من الخلق، فوق مرتبته التي أنزله الله فيها، وترفعه عن العبادة كمالاً، بل هو النقص بعينه، وهو محل الذه والعقاب، ولهذا قال: ﴿ومَنْ يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ أي: فسيحشر الخلق كلهم إليه، المستنكفين والمستكبرين، وعباده المؤمنين، فيحكم بينهم بحكمه العدل، وجزائه الفصل.

ثم فصل حكمه فيهم فقال: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان المأمور به، وعمل الصالحات من واجبات ومستحبات، من حقوق الله وحقوق عباده.

﴿فيوفيهم أجورهم﴾ أي: الأجور التي رتبها على الأعمال، كل بحسب إيمانه وعمله.

ويزيدهم من فضله من الثواب الذي لم تنله أعمالهم، ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر على قلوبهم. ودخل في ذلك كل ما في الجنة من المآكل والمسارب، والمناكح، والمناظر، والعيم القلب والروح، ونعيم البدن، بل يدخل في ذلك كل خير ديني ودنيوي رتب على الإيمان والعمل الصالح.

﴿وَأَمَا الذينَ استنكفوا واستكبروا﴾ أي: عن عبادة الله تعالى ﴿فيعلهم عذاباً أليماً ﴾ وهو سخط الله وغضبه، والنار الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ أي: لا يجدون أحداً من الخلق يتولاهم فيحصل لهم المطلوب، ولا مَنْ ينصرهم فيدفع عنهم الرهوب، بل قد تخلى عنهم أرحم الراحين، وتركهم في عذابهم خالدين، وما حكم به تعالى فلا راد لحكمه، ولا مغير لقضائه.

﴿١٧٤ ـ ١٧٤﴾ ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴿ فأما الذين أمنوا بالله

واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً عمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وتوضحه، وتبين ضده.

وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ .

وفي قوله: ﴿من ربكم﴾ ما يدل

على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث

كان من ربكم الذي رباكم التربية

الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط في المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم. فوانزلنا إليكم نوراً مبيناً وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على على على على والأخيار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن ظلم يقتبسوا من خيره.

ولكن انقسم الناس - بحسب الإيمان بالقرآن، والانتفاع به - قسمين:

﴿فأما اللذين آمنوا بالله أي:
اعترفوا بوجوده، واتصافه بكل وصف
كامل، وتنزيهه من كل نقص وعيب.
﴿واعتصموا به أي: لجأوا إلى الله
واعتمدوا عليه، وتبرؤوا من حولهم
وقوتهم، واستعانوا برجهم.
﴿فسيدخلهم في رحمة منه وفضل أي: فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة،
فيوفقهم للخيرات، ويجزل لهم
المشوبات، ويدفع عنهم البليات
والمكروهات.

﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ أي: يوفقهم للعلم والعمل، معرفة الحق والعمل به.

أي: ومَنْ لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه، منعهم من رحمته، وحرمهم من فضله، وخلى بينهم وبين أنفسهم، فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالاً مبيناً، عقوبة لهم على تركهم الإيمان، فحصلت لهم الخيبة والحرمان، نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة.

﴿ ١٧٦﴾ ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم أخبر تعالى أن الناس استفتوا رسوله ﷺ أي: في الكلالة بدليل قوله: ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة وهي الميت يموت وليس له ولد صلب ولا ولد ابن، ولا أن، ليس له ولد أي: لا ذكر ولا أنثى، لا ولد صلب ولا ولد ابن.

وكذلك ليس له والد، بدليل أنه ورث فيه الإخوة، والأخوات بالإجماع لا يرثون مع الوالد، فإذا هلك وليس له ولد، ولا والد ﴿وله أخت﴾ أي: شقيقة أو لأب، لا لأم، فإنه قد تقدم حكمها. ﴿فلها نصف ما ترك﴾ أي: نصف متروكات أخيها، من نقود وعقار وأثاث، وغير ذلك، وذلك من بعد الدين والوصية كما تقدم.

وهو أي: أخوها الشقيق، أو الذي للأب ويرثها إن لم يكن لها ولد ولم يقدر له إرثاً لأنه عاصب، فيأخذ مالها كله، إن لم يكن صاحب فرض ولا عاصب يشاركه، أو ما أبقت الفروض.

وفيان كانسا وأي: الأخسان والتين أي: فما فوق وفلهما الثلثان عما تبرك، وإن كانسوا إخوة رجالاً ونساء وأي: اجتمع المذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث وفللذكر مثل حظ الأنشين فيسقط فرض الإناث ويعصبهن إخوتهن.

﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ أي:

يبين لكم أحكامه التي تحتاجونها، ويوضحها ويشرحها لكُّم، فضلاً منه وإحساناً لكي تهتدوا ببيانه، وتعملوا بأحكامه، ولئلا تضلوا عن الصراط المستقيم بسبب جهلكم وعدم علمكم. ﴿والله بكل شيء عليم ﴾ أي: عالم

بالغيب والشهادة، والأمور الماضية والمستقبلة، ويعلم حاجتكم إلى بيانه وتعليمه، فيعلمكم من علمه الذي ينفعكم على الدوام في جميع الأزمنة والأمكنة.

آخر تفسير سورة النساء فلله الحمد والشكر

تفسير سورة المائدة وهي مدنية

﴿١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد المرامن الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئاً، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم

والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغني والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة ﴾ بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع .

وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها. (١)

ثم قال ممتناً على عباده: ﴿ أَحِلْتُ لكم اي: لأجلكم، رحمة بكم وبيمة الأنعام) من الإبل والبقر والغنم، بل ربما دخل في ذلك الوحشي منها، والظباء وحمر الوحش، ونحوها من الصيود.

واستدل بعض الصحابة بهذه الأية على إباحة الجنين الذي يموت في بطن أمه بعدما تذبح.

﴿ إلا ما يتلى عليكم ﴾ تحريمه منها في قوله: ﴿حَرِّمت عَلَيْكُم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ إلى آخر الآية. فإن هذه المذكورات وإن كانت من بهيمة الأنعام فإنها محرمة.

ولما كانت إباحة بهيمة الأنعام عامة في جميع الأحوال والأوقات، استثنى منها الصيد في حال الإحرام فقال: ﴿ غير محلي الصيد وأنتم حرم ﴾ أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام في كل حال، إلا حيث كنتم متصفين بأنكم غير محلى الصيد وأنتم حرم، أي: متجرؤون على قتله في حال الإحرام، وفي الحرم، فإن ذلك لا يحل لكم إذا كان صيداً، كالظباء ونحوه .

والصيد هو الحيوان المأكول المتوحش.

﴿إِنْ اللهِ يحكم ما يريد ﴾ أي: فمهما أراده تعالى حكم به حكماً موافقاً لحكمته، كما أمركم بالوفاء بالعقود لحصول مصالحكم ودفع المضار عنكم. وأحل لكم بهيمة الأنعام رحمة بكم، وحرم عليكم ما استثنى منها من ذوات العوارض، من الميتة ونحوها، صوناً لكم واحتراماً، ومن صيد الإحرام احتراماً للإحرام وإعظاماً.

﴿٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شبعباتسر الله ولا السشبهبر الحبرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمَين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً فهذا الأمر شامل لأصول الدين وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم

THE PROPERTY OF **多** وَلُوْاَتَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَاسْتُواْ وَانْقَوْا لَكُفَّرْنِا عَنْهُمْ سَيَتَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَهُمْ حَنَّنْتِ ٱلنِّعِيهِ ۞ وَلَوْأَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَيْنَةَ وَٱلْإِنِحِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِن زَيِّهِ مُ لَأَحَكُ لُواْ مِن فَوقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجِلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُصْنَصِدُهُ وَكِيْرُيْرُ مِنْهُمُ سَنَّةَ مَايِعَمُلُوبَ ۞ • يَتَأَيُّهُا ٱلرَّسُولُ بَلِغَ مَاۤ أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن زَيْكٍ وَإِن لَرْتَفَعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتُهُ وَٱللَّهُ يَعْصُكَ مِنَ النَّسَاسِّ إِنَّ الْقَدَ لَا يَهْدِى الْقَوْمُ الْكَلْفِرِينَ ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِنَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَقَّ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَيَةَ وَٱلْإِنِيلَ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُم مِن زَيْكُو وَلِيَزِيدَ نُكْثِيرًا مِنْهُم مَّا أُنزلَ إِلَيْكَ مِن زَيِكَ مُلْغَيْنَ ا وَسَحُهُ مُرَّا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَيْمِينَ ﴿إِذَّالَّذِيكَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَدَىٰ مَنْ ءَامَرَ إِلَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِيرِ وَعَيهِ لَ صَلَّاحًا الْ فَلَاخُونُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْسَرُونَ ۞ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَنَ يَى إِسْرَةَ مِلَ وَأَرْسَلْنَا ۗ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُمَّ لَمَا جَاءَهُمْ رَسُولًا إِمَّا لَا نَعْوَىٰۤ أَنفُسُهُمْ فَرِيقَا كُذَّبُواْ وَفَرِيقِـَا يَفْتُ لُوكٍ ۞

شنأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) يقول تعالى: ﴿ إِما أَيَّهَا الذَّينَ آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ أي: محرماته التي أمركم بتعظيمها، وعدم فعلها والنهى يشمل النهى عن فعلها، والنهى عن اعتقاد حلها؛ فهو يشمل النهي، عن فعل القبيح، وعن اعتقاده.

ويدخل في ذلك النهى عن محرمات الإحرام، ومحرمات الحرم. ويدخل في ذلك ما نص عليه بقوله: ﴿وَلِا السُّهُرُ الحرام أي: لا تنتهكوه بالقتال فيه وغيره من أنواع الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنْ عِدْةُ الشَّهُورِ عِنْدُ اللهُ اثنا عِشْرِ شهرأفسي كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم 🤏 .

والجمهور من العلماء على أن القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وغير ذلك من العمومات التي فيها الأمر بقتال الكفار مطلقاً، والوعيد في التخلف عن قتالهم مطلقاً.

(١) في هامش أ ما نصه: (ويستدل بهذه الآية أن الأصل في العقود والشروط الإباحة، وأنها تنعقد بما دلّ عليها من قول أو فعل لإطلاقها) وليس هناك علامة تدل على موضع الزيادة. ويبدو أن موضعها هنا ـ والله أعلم ـــ

وَحَيِسِبُوٓا أَلَّاتَكُونَ فِنْتَةٌ فَكُوا وَكُمُوا أَرْكُمُوا أَيْدَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَكُواْ وَكُمُّواْ كَيْدِيُّرُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرًا بِكَايَعْ مَكُونَ ۞ لَقَدْ كَفَرَالَّذِينَ قَالُوٓ الْإِنَ ٱللَّهَ هُوَالْمَسِيحُ أَنْ مَهِيمٌ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَنْبَيَ إِسْرَةٍ مِلْ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهُ زَبِّي وَزَبَّكُمْ إِنَّهُ مِن يُشْرِكُ بِٱللَّهِ فَقَدْحَرُمُ ألَّةُ عَلَيْهِ وَٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَنَهُ أَلْنَارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَادٍ ۞ لَّقَدُّكُفَ رَالَّذِينَ قَالُوٓ الْإِنْ ٱللَّهُ ثَالِثُ ثَلَنَةَ وَمَامِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌّ وَإِن لَّرْيَنتَهُ وَاعَمَّا يَقُولُونَ لِتَمَسَّنَ الَّذِينَ كَفَّنُواْ مِنْهُ وَعَذَابُ أَلِيدُ ۞ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَلِيَسْ تَغْفِرُونِكَهُ وَاللَّهُ عَنَفُورٌ لَّحِيدٌ فَبْلِوالرِّسُلُ وَأَمَّهُ صِدِيفَةٌ كَانَا يَأْكُلاب ٱلطَّعَامُ ٱنظُرْحَيْفَ بُدِّينُ لَهُمُ ٱلْآيْنَةِ ثُمَّ ٱنظُرُ أَنَّ يُؤْفِكُونَ ﴿ قُلْ أَنْعَبُ وُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَحَكُمْ مَسَرًّا وَلَانَفْعَ أَوَاللَّهُ هُوَ السَّيمِيعُ الْعَلِيدُ ۞ MANUACU W BORSEO

وبأن النبي على قاتل أهل الطائف في ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم.

وقال آخرون: إن النهي عن القتال في الأشهر الحرم غير منسوخ لهذه الآية وغيرها، مما فيه النهي عن ذلك بخصوصه، وحملوا النصوص المطلقة الواردة على ذلك، وقالوا: المطلق يحمل على المقيد.

وفصل بعضهم فقال: لا يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، وأما استدامته وتكميله إذا كان أوله في غيرها، فإنه يجوز.

وحملوا قتال النبي الله لأهل الطائف على ذلك، لأن أول قتالهم في «حنين» في «شوال». وكل هذا في القتال الذي ليس المقصود منه الدفع.

فأما قتال الدفع إذا ابتدأ الكفار المسلمين بالقتال، فإنه يجوز للمسلمين القتال، دفعاً عن أنفسهم في الشهر الحرام وغيره بإجماع العلماء.

وقوله: ﴿ولا الهدي ولا القلائد﴾ أي: ولا تحلوا الهدي الذي يهدى إلى بيت الله في حج أو عمرة، أو غيرهما من نعم وغيرها، فلا تصدوه عن الوصول إلى محله، ولا تأخذوه بسرقة أو غيرها، ولا تقصروا به، أو تحملوه ما لا يطيق، خوفاً من تلفه قبل وصوله إلى محله، بل عظموه وعظموا مَنْ جاء

﴿ولا القلائد﴾ هذا نوع خاص من أنواع الهدي، وهو الهدي الذي يفتل له قلائد أو عرى، فيجعل في أعناقه إظهاراً لشعائر الله، وحملاً للناس على الاقتداء، وتعليماً لهم للسنة، وليعرف أنه هدي فيحترم، ولهذا كان تقليد الهدي من السنن والشعائر المسنونة.

ولا آمين البيت الحرام أي: قاصدين له ويبتغون فضلا من ربهم ورضوانا أي: مَنْ قصد هذا البيت الحرام، وقصده فضل الله بالتجارة والمكسب المساحة، أو قسده رضوان الله بحجه وعمرته والطواف به، والصلاة، وغيرها من أنواع العبادات، فلا تتعرضوا له بسوء، ولا تهينوه، بل أكرموه، وعظموا الوافدين الزائرين لبيت ربكم.

ودخل في هذا الأمر الأمرُ بتأمين الطرق الموصلة إلى بيت الله، وجعل القاصدين له مطمئنين مستريحين، غير خائفين على أنفسهم من القتل فما دونه، ولا على أموالهم من المكس والنهب ونحو ذلك.

وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ فالمشرك لا يمكن من الدخول إلى الحرم.

والتخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه _ يدل على أن مَن قصده ليلحد فيه بالمعاصي، فإن من تمام احترام الحرم صد مَنْ هذه حاله عن الإفساد ببيت الله، كما قال تعالى: ﴿ومَنْ يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾.

ولما نهاهم عن الصيد في حال الإحرام قال: ﴿وَإِذَا حَالَمُ اللَّهِ مِن فَاصَطَادُوا﴾ أي: إذا حالتم من الإحرام بالحج والعمرة، وخرجتم من الحرم حل لكم الاصطياد، وزال ذلك التحريم. والأمر بعد التحريم يرد الأشياء إلى ما كانت عليه من قبل.

﴿ولا بجـرمـنـكـم شـنـآن قـوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾

أي: لا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم واعتداؤهم عليكم، حيث صدوكم عن المسجد على الاعتداء عليهم، طلبأ للاشتفاء منهم، فإن العبد عليه أن يلتزم أمر الله، ويسلك طريق العدل، ولو جني عليه أو ظلم واعتدي عليه، فلا يحل له أن يكذب على مَنْ كذب عليه، أو يخون مَنْ خانه.

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ أي: ليعن بعضكم بعضاً على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يجبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدمين.

والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بفعلها بنفسه، بركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، ويمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك.

وولا تعاونوا على الإثم وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ويحرج. ﴿والعدوان﴾ وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد، كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه.

عيره عنى ترك. ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ على من عصاه وتجرأ على محارمه، فاحذروا المحارم لثلا يحل بكم عقابه العاجل والآجل.

وسلم المنت والدم ولحم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمتخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة على النصب وأن تستقسموا بالأزلام فلكم فسق هذا الذي حولنا الله عليه في قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾. واعلم أن الله تبارك وتعالى لا يحرم ما يعن الضرر الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك وقد لا يبين.

فأخبر أنه حرم ﴿الميسة ﴾ والمراد

بالميتة: ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها المضر بآكلها. وكثيراً ما تموت بعلة تكون سبباً لهلاكها، فتضر بالآكل. ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسمك، فإنه حلال.

﴿والدم﴾ أي: المسفوح، كما قيد في الآية الأخرى. ﴿ولحم الخنزير﴾ وذلك شامل لجميع أجزائه، وإنما نص الله عليه من بين سائر الخبائث من السباع، لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحله لهم. أي: فلا تغتروا بهم، بل هو محرم من جملة الخبائث.

وما أهل لغير الله به أي: ذُكر عليه اسم غير الله تعالى، من الأصنام والأولياء والكواكب وغير ذلك من المخلوقين. فكما أن ذكر الله تعالى يطيب الذبيحة، فذكر اسم غيره عليها، يفيدها خبئاً معنوياً، لأنه شرك بالله تعالى.

﴿والمنخنقة﴾ أي: الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو ادخالها رأسها بشيء ضيق، فتعجز عن إخراجه حتى تموت.

﴿والموقوذة﴾ أي: الميتة بسبب الضرب بعصاً أو حصى أو خشبة، أو هدم شيء عليها، بقصد أو بغير قصد.

﴿والمشردية ﴾ أي: الساقطة من علو، كجبل أو جدار أو سطح ونحوه، فتموت بذلك.

﴿والنطيحة ﴾ وهي التي تنطحها غيرها فتموت.

﴿وما أكل السبع ﴾ من ذئب أو أسد أو نمر، أو من الطيور التي تفترس الصيود، فإنها إذا ماتت بسبب أكل السبع، فإنها لا تحل.

وقوله: ﴿إلا ما ذكيتم﴾ راجع لهذه المسائل، من منخنقة، وموقوذة، ومتردية، ونطيحة، وأكيلة سبع، إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة لتتحقق الذكاة فيها، ولهذا قال الفقهاء: «لو حلقومها، كان وجود حياتها كعدمه، لعدم فائدة الذكاة فيها» [وبعضهم لم يعتبر فيها إلا وجود الحياة فإذا ذكاها الحشوة وهو ظاهر الآية الكريمة](١).

﴿وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام . ومعنى الاستقسام: طلب ما يقسم لكم ويقدر بها، وهي قداح ثلاثة كانت تستعمل في الجاهلية ، مكتوب على أحدها «افعل» وعلى الثاني «لا تفعل» والثالث غفل لا كتابة فيه .

فإذا هم أحدهم بسفر أو عرس أو نحوهما، أجال تلك القداح المتساوية في الجرم، ثم أخرج واحداً منها، فإن خرج المكتوب عليه «افعل» مضى في أمره، وإن ظهر المكستوب عليه «لا تفعل» لم يفعل ولم يمض في شأنه، وإن ظهر الآخر الذي لا شيء عليه، أعادها حتى يخرج أحد القدحين فيعمل

فحرَّمه (۲) الله عليهم الذي في هذه الصورة وما يشبهه، وعوضهم عنه بالاستخارة لربهم في جميع أمورهم.

﴿ذَلَكُم فَسَقَ﴾ الإشارة لكل ما تقدم من المحرمات، التي حرمها الله صيانة لعباده، وأنها فسق، أي: خروج عن طاعته إلى طاعة الشيطان.

ثم امتنَّ على عباده بقوله:

﴿٣﴾ ﴿اليوم يئس الذين كفروا من
 دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم
 أكملت لكم دينكم وأقمت عليكم

نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم،

واليوم المسار إليه يموم عرفة، إذ أتم الله دينه، ونصر عبده ورسوله، وانخذل أهل الشرك انخذالاً بليغاً، بعدما كانوا حريصين على رد المؤمنين عن دينهم، طامعين في ذلك.

فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره وظهوره، يشسوا كل اليأس من المؤمنين، أن يرجعوا إلى دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون، ولهذا في هذه السنة التي حج فيها النبي شخ سنة عشر حجة الوداع لم يجج فيها مشرك، ولم يطف بالبيت عريان.

وله ذا قال: ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾أي: فلا تخشوا المشركين، واخشوا الله الذي نصركم عليهم وخذلهم، وردكيدهم في نحورهم.

واليوم أكملت لكم دينكم ابتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسُنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه.

فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله.

﴿ وأتمت عليكم نعمتي الظاهرة والباطنة ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ أي: اخترته واصطفيته لكم ديناً ، كما ارتضيتكم له ، فقوموا به شكراً لربكم ، واحمدوا الذي مَنْ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها .

﴿ فَ مِنْ اصْطر ﴾ أي: ألجاته الضرورة إلى أكل شيء من المحرمات

⁽١) كذا في ب، وفي أ: كعدمه.

⁽٢) كذا في النسختين، ولعل الأقرب: فحرم.

السابقة، في قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ ﴿في محمصة﴾ أي: محاعة ﴿غير متجانف﴾ أي: ماثل ﴿لائم﴾ بأن لا يأكل حتى يضطر، ولا يزيد في الأكل على كفايته ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ حيث أباح له الأكل في هذه الحال، ورحمه بما يقيم به بنيته من غير نقص يلحقه في دينه.

وع فيسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن بما واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله لنبيه عمد في : فيسألونك ماذا أحل لنبيه عمد في كل ما فيه نفع أو لذه الطيبات وهي كل ما فيه نفع أو لذه من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل فدخل في ذلك جميع الحبوب والثمار في القرى والبراري، ودخل في ذلك جميع الحبوب والثمار حيوانات البر، إلا ما استثناه الشارع، حيوانات البر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع والخبائث منها.

ولهذا دلت الآية بمفهومها على تحريم الخبائث، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾.

﴿وما علمتم من الجوارح ﴾ أي: أحل لكم ما علمتم من الجوارح إلى آخر الآية. دلت هذه الآية على أمور:

أحدها: لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكوه مما صادته الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقر، ونحو ذلك، مما يصيد بنابه أو بمخله.

الثاني: أنه يشترط أن تكون معلمة، بما يعد في العرف تعليماً، بأن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل، ولهذا قال: ﴿تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ أي: أمسكن من الصيد لأجلكم.

وما أكل منه الجارح فإنه لا يعلم أنه أمسكه على صاحبه، ولعله أن يكون أمسكه على نفسه.

الثالث: اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: ﴿من الحوارح﴾ مع ما تقدم من تحريم النخنقة. فلو خنقه الكلب أو غيره، أو قتله بثقله لم يبح [هذا بناء على أن الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنيابها أو خالبها، والمشهور أن الجوارح بمعنى الكواسب أي: المحصلات للصيد والله ركات لها فلا يكون فيها على هذا دلالة _ والله أعلم _](١).

الرابع: جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه.

الخامس: طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد، لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلاً، فدل على طهارته.

السادس: فيه فضيلة العلم، وأن الجارح المعلم - يباح صيده، والجاهل بالتعليم لا يباح صيده.

السابع: أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذموماً، وليس من العبث والباطل. بل هو أمر مقصود، لأنه وسيلة لحل صيده والانتفاع به.

الثامن: فيه ججة لمن أباح بيع كلب الصيد، قال: لأنه قد لا يحصل له إلا بذك.

التاسع: فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجارح، وأنه إن لم يسم الله متعمداً، لم يبح ما قتل الجارح.

العاشر: أنه يجوز أكل ما صاده الجارح، سواء قتله الجارح أم لا. وأنه إن أدركه صاحبه، وفيه حياة مستقرة فإنه لا يباح إلا بها.

ثم حث تعالى على تقواه، وحذر من إتيان الحساب في يوم القيامة، وأن ذلك أمر قد دنا واقترب، فقال: ﴿وَاتَقُوا اللهِ إِنْ اللهُ سَرِيعِ الحسابِ

﴿ وَ هِ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعام كم حل لهم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين أجدرهن محصنين غير مسافحين فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين كرر تعالى إحلال الطيبات المينان، ودعوة للعباد إلى شكره والإكثار من ذكره، حيث أباح لهم ما تدعوهم الحاجة إليه، ويحصل لهم الانتفاع به من الطيبات.

﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلُ لكم﴾ أي: ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم _يا معشر المسلمين _دون باقي الكفار، فإن ذبائحهم لا تحل للمسلمين، وذلك لأن أهل الكتاب ينتسبون إلى الأنبياء والكتب.

وقد اتفق الرسل كلهم على تحريم الذبح لغير الله، لأنه شرك، فاليهود والنصارى يتدينون بتحريم الذبح لغير الله، فلذلك أبيحت ذبائحهم دون غيرهم. والدليل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم، أن الطعام الذي ليس من الذبائح كالحبوب والثمار ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية، بل يباح ذلك ولو كان من طعام غيرهم.

وأيضاً فإنه أضاف الطعام إليهم. فدل ذلك، على أنه كان طعاماً، بسبب ذب حسم. ولا يسقال: إن ذلك للتمليك، وأن المراد: الطعام الذي يملكون. لأن هذا، لا يباح على وجه الغصب، ولا من المسلمين.

وُوطعامكم أيها المسلمون وحل لهم أي: يحل لكم أن تطعموهم إياه وه أحل لكم والمحصنات أي: الحرائر العفيفات ومن المؤمنات والحرائر العفيفات ومن الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي: من اليهود والنصارى.

وهـ ذا مخـصـص لـقـولـه تـعـالى. ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ الجزء السادس

ومفهوم الآية، أن الأرقاء من المؤمنات لا يبناح نكاحهن للأحرار، وهو كذلك.

وأما الكتابيات فعلى كل حال لا يبحن، ولا يجوز نكاحهن للأحرار مطلقاً، لقوله تعالى: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ وأما المسلمات إذا كن رقيقات فإنه لا يجوز للأحرار نكاحهن إلا بشرطين، عدم الطول وخوف العنت.

وأما الفاجرات غير العفيفات عن الزنا فلا يباح نكاحهن، سواء كن مسلمات أو كتابيات، حتى يتبن لقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ الآية.

وقوله: ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ أي: أبحنا لكم نكاحهن، إذا أعطيتموهن مهورهن، فمن عزم على أن لا يؤتيها مهرها فإنها لا تحل له. وأمر بإيتائها إذا كانت رشيدة تصلح للإيتاء، وإلا أعطاه الزوج لوليها.

وإضافة الأجور إليهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها، وليس لأحد منه شيء، إلا ما سمحت به لزوجها أو وليها أو غيرهما. ﴿ كسنين غير مسافحين ﴾ أي: حالة كونكم _أيها الأزواج _ كسنين لنسائكم، بسبب حفظكم لفروجكم عن غيرهن.

﴿ غير مسافحين ﴾ أي: زانين مع كل أحد ﴿ ولا متخلي أخدان ﴾. وهو: الزنا مع العشيقات لأن الزناة في الجاهلية، منهم مَنْ يزني مع مَنْ كان، فهذا المسافح. ومنهم مَنْ يزني مع خدنه وعبه. فأخبر الله تعالى أن ذلك كله ينافي العفة، وأن شرط التزوج أن يكون الرجل عفيفاً عن الزنا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكَفَر بِالإِيمانُ فَقَد حَبِط عَمِلُهُ أَي: ومَنْ كَفَر بِاللهِ تعالى، وما يجب الإيمان به من كتبه ورسله أو شيء من الشرائع، فقد حبط عمله، بشرط أن يموت على كفره، كما قال تعالى: ﴿ومَنْ يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴿ ﴿وهو في الدنيا والآخرة ﴾ ﴿وهو في الدنيا والآخرة ﴾ ﴿وهو في الذيا والآخرة ﴾ ﴿ والله في الذيا والآخرة ﴾ أي: الذين

خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة، وحصلوا على الشقاوة الأبدية. ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ وَلِمَا أَيُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَمْتُمَ إِلَى الصّلاة فاغسلوا وحو هكم وأبديكم

إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا بر ووسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها ما يسره الله وسهله.

أحدها: أن هذه المذكورات فيها امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله فيا أيها الذين آمنوا ﴾ إلى آخرها. أي: يا أيها الذين آمنوا ، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم.

الثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿إِذَا قَمْتُم إِلَى الصلاة ﴾ .

الثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿إِذَا قمتم إلى الصلاة﴾ أي: بقصدها ونيتها.

الرابع: اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.

الخامس: أنّ الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة.

السادس: أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر.

السابع: الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والـذقـن طـولاً. ومـن الأذن إلى الأذن عرضاً.

ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسُنّة، ويدخل فيه الشعور التي فيه.

فأيتأخل الكتك لاتفأوا في دينكم غَيْرَاكُمُ وَلَاتَنَّهُ عَوَّا أَهُوآهُ قُومِ فَدْ صَكُوامِكِ فَبَدُلُ وَأَصَكُوا كَيْمُوا وَضَالُوا عَن سَوَاهِ السَّكِيل ۞ لُهِنَ ٱلَّذِيكَ كَفُرُواْ مِنْ بَحِت إِمْرَاء بِلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُردَ وَعِيسَى آَيْنِ مَرْبَيَّمُ ذَلِكَ بِمَاعَصُواْ وَكَ انُواْ بَعْتُ دُونَ الله كَانُواْ لَا يَـتَنَاهَوْكَ عَنْ مُنكَرِفَكُوهُ لَبِثْنَ مَاكَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ نَرَىٰ كَيْرُامِنْهُمْ يَتُوَلُّوْبَ ٱلَّذِيبَ كَفَنُرُواْ لَيَتَّسَ مَافَدَّ مَتْ لَمَنَّمَ أَنفُسُهُمْ أن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَكَ الِهِ مُمَّ خَلِيدُونَ ۞ وَلَوْكَ اثُواْ يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَٱ أَنْزِلَ إِلَيْهِ مَا أَغَنَدُ وَهُمْ أَوْلِي آءَ وَلَكِئَ كَتَ حَيْدِيرًا مِنْهُمْ فَلِيعُونَ ٥ • لَتُعِمَّكُ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوْ ٱلْهُودَ وَالَّذِيكَ أَشْرَكُو الرَّحِيدَ الْفَيْهُ مُّودَّةً لِلَّذِينَ المَّاسَنُوا الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا الْمَهَدَى ذَلِكَ بِأَكْ مِنْهُمْ مُ فِيدِيدِينَ وَرُفِكَ أَنَا فَأَنَّهُ مُولَايَدَ مَكُمُونَ ٥ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتفي بظاهرها.

الثامن: الأمر بغسل اليدين، وأن حدهما إلى المرفقين و"إلى" كما قال جهور المفسرين بمعنى "مع"، كقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ ولأن الواجب لا يتم إلا نقد الحمالة قد

بغسل جميع المرفق. التاسع: الأمر بمسح الرأس.

العاشر: أنه يجب مسح جميعه، لأن الباء ليست للتبعيض، وإنما هي للملاصقة، وأنه يعم المسح بجميع الرأس.

الحادي عشر: أنه يكفي المسح كيفما كان، بيديه أو إحداهما، أو خرقة أو خشبة أو نحوهما، لأن الله أطلق المسح ولم يقيده بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.

الثاني عشر: أن الواجب المسع. فلو غسل رأسه ولم يمر يده عليه لم يكف، لأنه لم يأت بما أمر الله به.

الثالث عشر: الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.

الرابع عشر: فيها الردعلى الرافضة، على قراءة الجمهور بالنصب، وأنه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين.

الخامس عشر: فيه الإشارة إلى مسح

وإذَا سَيعُواْمَا أُوْلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَيَّا أَعْدُنَهُمْ تَعِيثُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّاعَرُهُوا مِنَ لَغُقِّ مُقُولُونَ رَبِّنَآ ءَامَنَا فَأَحُمُّ بُنَا مَعَ ٱلشُّهدِينَ ﴿ وَمَالَنَا لَانُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَاجَآءَ تَامِنَ ٱلْمَيْقَ وَنَظْمَعُ أَن يُدْخِلُنَ ارَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّلِحِينَ ۞ فَأَنْبَهُمُ ٱللَّهُ كِمَا قَالُولُ جَنَّتِ جَمْرِي مِن تَقْيَعَ الْأَنْفُ كُرْخَلِا مِن فِيهَا وَذَالِكَ حَسَنَّاهُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ وَالَّذِينَ سَحَمَّوُا وَكُنَّاوُ بِنَايَنِيْنَا أُوْلَتِهِكَ أَضْحَلُ لَلْمَحِيدِ ۞ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ لَا تُعَيِّرُمُوا طَيِبَنَتِ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوُّا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿ وَكُلُواْمِتَا زَزَقَكُمُ اللَّهُ مَلَكُ طَيِّبُ ۚ وَانَّا هُواْ اللَّهُ ٱلَّذِيٓ اَنْشُد بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ لَايُوَاحِدُكُرُ ۗ ٱللَّهُ وَإِللَّهْ وَيَأَيَّذُ كُمُ مَ وَلَكِن يُؤَلِئِذُكُر بِمَا عَقَّدتُمُ ٱلْأَيْمَانُ ۗ فَكُفُكَرُتُهُ ۖ وَإِظْعَامُ عَشَرَةِ مَسَنْدِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَاتُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْكِنْ وَتُهُمَّ أَوْتَمْرِيهُ رُرَفَنَةً فَنَ لَزْيَجِهُ فَصِيامُ ثَلَاثَةِ أَيَّا إِذَ لِكَ كَفَّدَرُهُ أَغَلَيْكُمْ إِذَا حَلَفَتُدُّ وَأَحْمَظُواْ أَيَّنَكُو كُمَّ خَالِكَ يُبَيِّنُ أَلَهُ لَكُوْ مَالِّنِهِ - لَعَلَّكُوْ تَفْكُرُونَ ۞

المستريد ال

وتكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلهما إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف.

السادس عشر: الأمر بالترتيب في الوضوء، لأن الله تعالى ذكرها مرتبة. ولأنه أدخل محسوحاً ـ وهو الرأس ـ بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.

السابع عشر: أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآبة.

وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.

الثامن عشر: الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور

التاسع عشر: الأمر بالغسل من الجنابة.

العشرون: أنه يجب تعميم الغسل للبدن، لأن الله أضاف التطهر للبدن، ولم يخصصه بشيء دون شيء.

الحادي والعشرون: الأمر بغسل ظاهر الشعر وباطنه في الجنابة.

الثاني والعشرون: أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي من هما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه، لأن الله لم يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء.

الثالث والعشرون: أن الجنب يصدق على مَنْ أنزل المني يقظة أو مناماً، أو جامع ولو لم ينزل.

الرابع والعشرون: أن مَنْ ذكر أنه احتلم ولم يجد بللاً، فإنه لا غسل عليه، لأنه لم تتحقق منه الجنابة.

الخامس والعشرون: ذكر منة الله تعالى على العباد، بمشروعية التيمم.

السادس والعشرون: أن من أسباب جواز التيمم وجود المرض الذي يضره غسله بالماء، فيجوز له التيمم.

السابع والعشرون: أن من جملة أسباب جوازه، السفر والإتيان من البول والغائط إذا عدم الماء، فالمرض يجوز التيمم مع وجود الماء لحصول التضرر به، وباقيها يجوزه العدم للماء ولو كان في الحضر.

الثامن والعشرون: أن الخارج من السبيلين من بول وغائط، ينقض الوضو .

التاسع والعشرون: استدل بها مَنْ قال: لا ينقض الوضوء إلا هذان الأمران، فلا ينتقض بلمس الفرج ولا بغيره.

الثلاثون: استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به (١٠)، لقوله تعالى: ﴿أوجاء أحد منكم من الغائط﴾

ُ الحادي والشلاثون: أن لمس المرأة بلذة وشهوة ناقض للوضوء.

الثاني والثلاثون: اشتراط عدم الماء لصحة التيمم.

الثالث والثلاثون: أنه مع وجود الماء ولو في الصلاة، يبطل التيمم

لأن الله إنما أباحه مع عدم الماء.

الرابع والشلائون: أنه إذا دخل الوقت وليس معه ماء، فإنه يلزمه طلبه في رحله وفيما قرب منه، لأنه لا يقال الم يجد الله لم يجد الله لم يطلب.

الخامس والثلاثون: أن مَنْ وجد ماء لا يكفي بعض طهارته، فإنه يلزمه استعماله، ثم يتيمم بعد ذلك.

السادس والثلاثون: أن الماء التغير بالطاهرات، مقدم على التيمم، أي: يكون طهوراً، لأن الماء المتغير ماء، فيدخل في قوله: ﴿فلم تجدوا ماء﴾.

السابع والثلاثون: أنه لا بد من نية التيمم لقوله: ﴿فتيمموا﴾ أي: اقصدوا.

الثامن والثلاثون: أنه يكفي التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض من تراب وغيره. فيكون على هذا، قوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ إما من باب التغليب، وأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليدين، وإما أن يكون إرشاداً للأفضل، وأنه إذا أمكن التراب الذي في غبار فهو أولى.

التاسع والثلاثون: أنه لا يصح التيمم بالتراب النجس، لأنه لا يكون طيباً بل خبيثاً.

الأربعون: أنه يمسح في التيمم الوجه واليدان فقط، دون بقية الأعضاء.

الحادي والأربعون: أن قبوله: ﴿ بوجوهكم ﴾ شامل لجميع الوجه وأنه يعممه (٢) بالمسح، إلا أنه معفو عن إدخال التراب في الفم والأنف، وفيما تحت الشعور، ولو خفيفة.

الشاني والأربعون: أن اليديسن تمسحان إلى الكوعين فقط، لأن اليدين عند الإطلاق كذلك.

فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك، كما قيده في الوضوء.

الثالث والأربعون: أن الآية عامة في جواز التيمم، لجميع الأحداث كلها، الحدث الأكبر والأصغر، بل ولنجاسة البدن، لأن الله جعلها بدلا عن طهارة الماء، وأطلق في الآية فلم يقيد [وقد يقال أن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم لأن السياق في الأحسداث وهسو قسول جمسهسور العلماء](١).

الرابع والأربعون: أن محل التيمم في الحدث الأصغر والأكبر واحد، وهو الوجه واليدان.

الخامس والأربعون: أنه لو نوى من عليه حدثان التيمم عنهما، فإنه يجزى. أخذاً من عموم الآية وإطلاقها.

السادس والأربعون: أنه يكفي المسح بأي: شيء كان، بيده أو غيرها، لأن الله قال: ﴿فامسحوا﴾ ولم يذكر الممسوح به، فدل على جوازه بكل شيء.

السابع والأربعون: اشتراط الترتيب في طهارة التيمم، كما يشترط ذلك في الوضوء، ولأن الله بدأ بمسح الوجه قبل مسح اليدين.

الثامن والأربعون: أن الله تعالى _ فيما شرعه لنا من الأحكام _ لم يجعل علينا في ذلك من حرج ولا مشقة ولا عسر، وإنما هو رحمة منه بعباده ليطهرهم، وليتم نعمته عليهم.

وهذا هو التاسع والأربعون: أن طهارة الظاهر بالماء والتراب، تكميل لطهارة الباطن بالتوحيد، والتوبة النصوح.

الخمسون: أن طهارة التيمم، وإن لم يكن فيها نظافة وطهارة تدرك بالحس والمشاهدة، فإن فيها طهارة معنوية ناشئة عن امتثال أمر الله تعالى.

الحادي والخمسون: أنه ينبغي للعبد أن يستدبس الحسكم والأسسرار في شرائع الله، في الطهارة وغيرها ليزداد معرفة وعلماً، ويزداد شكراً لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة.

وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور > يأمر تعالى عباده بذكر نعمه الدينية والدنيوية، بقلوبهم وألسنتهم. فإن في استدامة ذكرها داعياً لشكر الله تعالى ومحبته، وامتلاء القلب من إحسانه.

وفيه زوال للعجب من النفس بالنعم الدينية، وزيادة لفضل الله وإحسانه. ﴿وميشاقه﴾ أي: واذكروا ميشاقه ﴿الذي واثقكم به﴾ أي: عهده الذي أخذه عليكم.

وليس المراد بذلك أنهم لفظوا ونطقوا بالعهد والميثاق، وإنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله ورسوله قد التزموا طاعتهما، ولهذا قال: ﴿إِذْ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ أي: سمعنا ما دعوتنا به من آياتك القرآنية والكونية، سمع فهم وإذعان وانقياد. وأطعنا ما أمرتنا به بالامتثال، وما نهيتنا عنه بالاجتناب. وهذا شامل لجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة.

وأن المؤمنين يذكرون في ذلك عهد الله وميثاقه عليهم، وتكون منهم على بال، ويحرصون على أداء ما أمروا به كاملاً غير ناقص.

﴿واتقوا الله ﴾ في جميع أحوالكم ﴿إن الله عليم بذات الصدور ﴾ أي: بما تنطوي عليه من الأفكار والأسرار والخواطر. فاحذروا أن يطلع من قلوبكمعلى أمر لا يرضاه، أو يصدر منكم ما يكرهه، واعمروا قلوبكم بمعرفته وعبته والنصح لعباده. فإنكم _إن كنتم كذلك _غفر لكم الحسنات، وضاعف لكم الحسنات، وضاعف لكم الحسنات،

﴿ ﴿ ﴾ ﴿ يَا أَيّها الذّين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ أي: ﴿ يا أيّها الذّين آمنوا ﴾ بما أمروا بالإيمان به، قوموا بلازم إسمانكم، بأن تكونوا ﴿ قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة

والباطنة وأن يكبون ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل، لا الإفراط ولا التفريط، في أقوالكم ولا أفعالكم، وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو.

﴿ولا يجرمنكم﴾ أي: يحملنكم بغض ﴿قوم على ألا تعدلوا﴾ كما يفعله مَنْ لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافراً أو مبتدعاً، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق.

﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى.

﴿إِن الله خبير بما تعملون﴾ فمجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، جزاء عاجلاً، وآجلاً.

﴿٩ _ ١٠ ﴾ ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولى أصحاب الجحيم ﴾ أي: ﴿وعد الله الذي لا يخلف الميعاد وهو أصدق القائلين – المؤمنين به وبكتبه ورسله واليوم الآخر ، ﴿وعملوا الصالحات ﴾ من واجسات ومستحبات – بالمغفرة لذنوبهم ، بالعفو عنها وعن عواقبها ، وبالأجر العظيم الذي لا يعلم عظمه إلا الله تعالى .

﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.

﴿وَالذَينَ كَفُرُوا وَكَذَبُوا بِآيَاتَنا﴾ الدالة على الحق المين، فكذبوا بها بعدما أبانت الحقائق. ﴿أُولئك أصحاب الجحيم﴾ الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه.

﴿١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا

نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون له يذكر تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة، ويحثهم على تذكرها بالقلب واللسان، وأنهم - كما أنهم يعدون قتلهم لأعدائهم، وأخذ أموالهم وبلادهم وسبيهم نعمة - فليعدوا أيضا كيدهم في نحورهم نعمة. فإنهم كيدهم في نحورهم نعمة. فإنهم الأعداء قد هموا بأمر، وظنوا أنهم قادرون عليه.

فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم، فهو نصر من الله لعباده المؤمنين ينبغي لسهم أن يشكروا الله على ذلك، ويعبدوه ويذكروه، وهذا يشمل كل من هم بالمؤمنين بشر، من كافر ومنافق وباغ، كف الله شره عن المسلمين، فإنه داخل في هذه الآية.

شم أمرهم بما يستعينون به على الانتصار على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، وتبرؤوا من حولهم وقوتهم، ويثقوا بالله تعالى في حصول ما يحبون. وعلى حسب إيمان العبد يكون توكله، وهو من واجبات القلب المتفق عليها.

﴿١٢ _ ١٣﴾ ﴿ولـقـد أخــذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً وقال الله إن معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضأ حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل * فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم وجعلنا قلوبهم قاسيةُ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظأ تما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فأعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) يخبر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد، وذكر صفة الميثاق

وأجرهم إن قاموا به، وإثمهم إن لم

يقوموا به، ثم ذكر أنهم ما قاموا به، وذكر ما عاقبهم به، فقال: ﴿ولقد أُخذَ الله ميثاق بني إسرائيل﴾ أي: عهدهم المؤكد الغليظ، ﴿وبعثنا منهم الني عشر نقيباً﴾ أي: رئيساً وعريفاً على من تحته، ليكون ناظراً عليهم، حاثاً لهم على القيام بما أمروا به، مطالباً يدعوهم.

﴿وقال الله ﴾ للنقباء الذين تحملوا من الأعباء ما تحملوا: ﴿إني معكم ﴾ أي: بالعون والنصر، فإن المعونة بقدر المؤنة.

ثم ذكر ما واثقهم عليه فقال: ﴿لَثُنَّ

أقمتم الصلاة ﴾ ظاهراً وباطناً، بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها، والمداومة على ذلك ﴿ وَآتيتم الركاة ﴾ لستحقيها ﴿وأمنتم برسلي مبعهم، الذين أفضلهم وأكملهم محمد ﷺ، ﴿وعزرتموهم أي: عظمتموهم، وأديتم ما يجب لهم من الاحترام والطاعة ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ وهو الصدقة والإحسان، الصادر عن الصدق والإخلاص وطيب المكسب، فإذا قمتم بذلك ﴿الأكفرنَّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار، فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم، واندفاع المكروه بتكفير السيئات، ودفع ما يترتب عليها من العقوبات.

﴿ فَمَنْ كَفَر بِعِد ذَلِكُ ﴾ العهد والميثاق المؤكد بالأيمان، والالتزامات المقرون بالترغيب بذكر ثوابه.

﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ أي: عن عمد وعلم، فيستحق ما يستحقه الضالون من حرمان الثواب، وحصول العقاب. فكأنه قيل: ليت شعري ماذا فعلوا ؟ وهل وفوا بما عاهدوا الله عليه، أم نكثوا ؟

فبيّن أنهم نقضوا ذلك فقال: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أي: بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات:

الأولى: أنا ﴿لمسناهم أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم، الذي

هو سببها الأعظم.

الثانية: قوله: ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيده الهدى والخير إلا شراً.

الثالثة: أنهم ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ أي: ابتلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلم الذي أراد الله معنى غير ما أراده الله ولا رسوله.

الرابعة: أنهم ﴿نسواحظاً عما ذكروا به ﴾ فإنهم ذكروا بالتوراة، وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظاً منه، وهذا شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم.

وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه عما نسوه.

الخامسة: الخيانة المستمرة التي إلا تزال تطلع على خائنة منهم أي: خيانة لله ولعباده المؤمنين.

ومن أعظم الخيانة منهم، كتمهم الطن [عن] مَنْ يعظهم ويحسن فيهم الظن الحق، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة. وهذه الخصال الذميمة، حاصلة لكل مَنْ اتصف بصفاتهم.

فكل مَنْ لم يقم بما أمر ألله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذكر به، وأنه لا بدأن يبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية.

وسمى الله تعالى ما ذكروا به حظاً، لأنه هو أعظم الحظوظ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية، كما قال تعالى: فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما من اليهود والنصاري، وأنهم نقضوا ذلك إلا قليلاً منهم، أمرهم جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، واحتج عليهم بآية قاطعة دالة على صحة نبوته، وهي: أنه بين لهم كثيراً مما يخفون عن الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم، فإذا كانوا هم المشار إليهم في العلم ولا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا ما عندهم، فالحريص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم، فإتيان الرسول على بهذا القرآن العظيم الذي بيّن به ما كانوا يتكاتمونه بينهم، وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب من أدل الدلَّائل على القطع برسالته، وذلك مثل صفة محمد في كتبهم، ووجود البشائر

﴿ويعفو عن كثير﴾ أي: يترك بيان ما لا تقتضيه الحكمة.

﴿قد جاءكم من الله نـور﴾ وهـو القرآن، يستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة.

﴿وكتاب مبين ﴾ لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم. من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية .

ثم ذكر مَنْ الذي يهتدي بهذا القرآن، وما هو السبب الذي من العبد لحصول ذلك، فقال: ﴿ يهدى به الله مَنْ اتبع رضوانه سبل السلام﴾ أي: يهدي به مَنْ اجتهد وحرص على بلوغ مرضاة الله، وصار قصده حسناً ــ سبل السلام التي تسلم صاحبها من العذاب، وتوصله إلى دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به، إجمالاً وتفصيلا .

﴿ويخرجهم من﴾ ظلمات الكفر والبدعة والمعصية، والجهل والغفلة. إلى نور الإيمان والسُنّة، والطاعة، والعلم، والذكر.

وكل هذه الهداية بإذن الله، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

﴿١٧ ـ ١٨﴾ ﴿لقد كفر الذين

أُوتِي قارون، إنه لذو حظ عظيم﴾ وقال في الحظ النافع: ﴿وما يلقاها إلا الذين به في كتبهم، وبيان آية الرجم ونحو

الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير * وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن

خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير، لما ذكر تعالى أخذ الميثاق على أهل الكتابين، وأنهم لم يقوموا به بل نقضوه، ذكر أقوالهم

فذكر قول النصاري، القول الذي ما قاله أحد غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، ووجه شبهتهم أنه ولدمن غير أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطِل. مع أن حواء نظيره، خلقت بلا أم، وآدم أولى منه، خُلق بلا أب ولا أم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوها في المسيح؟

CHEMINE.

يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّا ٱلْحَنْمُ وَٱلْمُيْسِرُوۤا لْأَنْصَابُ وَٱلْأَلْاَلِيهِ مُ

مِنْ عَكِ ٱلشَّيْطِينَ فَأَجْتِينُوهُ لَعَلَّكُونُ فَلِحُوتَ ۞ إِنَّا أَرُيدُ

الشَّيْطَنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآةِ فِالْخَيْرِوَلْلْيُسِرِ

وَنَصُدُّكُوْعَنَ ذِكْرَالِلَّهِ وَعَنِ الصَّلَوْةِ فَهَلَ أَنتُمُ مُّنَهُونِ ٢٠٠٠ ۞

وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَلَعَذَ دُوَّأً فَإِنْ فَوَلَّتُهُمْ فَأَعْلَمُواْ أَغَا

عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاءُ ٱلَّذِينُ ۞ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ وَعَيْلُواْ

القيلاحات جُسَاحٌ فيسَاطَعِمُوّا إِذَامَا ٱلْفَوَا وَءَامَـنُوا وَعَسَمِلُوا

ٱلصَّلِحَٰتِ ثُمَّاتَقُوا وَءَامَنُوا ثُمَّالَقُوا وَأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحُسِينَ

٩ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبَلُونَكُمُ ٱللَّهُ مِنْ المَّسْدِ مِّنَ اللَّهُ

أَيْدِيكُرُ وَرِمَا شُكُرُ لِيَعَلَمُ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبُ فَنَ اعْتَدَى بَعْدَ

ذَلِكَ فَلَمُعَذَابُ أَلِيمٌ ۞ يَنَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَانَقَتْ كُوا الصَّيْدَ

وَأَنْتُوحُورُ وَمَن قَسَلُكُومِنكُومُنكُومُ لَكَيْدًا لَجُزَّاهُ يَشْلُ مَا فَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَيَم

يَحَكُرُبِهِ دَوَاعَدُلِ مِنكُرُ حَدْيًا بِلِغَ ٱلْكَتْبَ ۚ أَوْكَفَنْ رَهُ طَعَامُ

مَسَنِكِينَ أَوْعَذَلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَدُوفَ وَدَالَ أَمْرِقُ عَفَاالَةَهُ عَمَّا

سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنفِقَامِ ۞

OWNERS TO BEEN SON

قالوا إنَّ الله هو المسيح ابن مريم قلِّ

فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن

يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في

فدل على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان ولا شبهة. فرد الله عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال: ﴿قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومَنْ في الأرض

فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعهم لو أراد الله أن يهلكهم،

وقوله: ﴿ إِلَّا قِلْيُلاُّ مِنْهُم ﴾ أي: فإنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه فوفقهم وهداهم للصراط المستقيم. ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفى عنهم،

صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم﴾.

واصفح، فإن ذلك من الإحسان﴿إِن الله يحب المحسنين﴾ والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.

وفي حق المخلوقين: بذل النفع الديني والدنيوي لهم .

﴿١٤﴾ ﴿ومن اللَّذِين قالوا إنا

نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظأ تما ذكروابه فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وكما أخذنا على اليهود العهد والميثاق، فكذلك أخذنا على ﴿الذين قالوا إنا نصاری لعیسی ابن مریم، وزکوا أنفسهم بالإيمان بالله ورسله وما جاؤوا به، فنقضوا العهد، ﴿فنسوا حظاً مما ذكروابه ﴾ نسياناً علمياً، ونسياناً

وفأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ أي: سلطنا بعضهم على بعض، وصار بينهم من الشرور والإحن ما يقتضي بغض بعضهم بعضأ ومعاداة بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة ، وهذا أمر مشاهد، فإن النصاري لم يزالوا ولا يزالون في بغض وعداوة وشقاق. ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ فيعاقبهم عليه. ﴿١٥ ـ ١٦﴾ ﴿يا أهل الكتاب قد

جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم،

in in the second 部回線 原色 أُمِلَ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَنَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّا رُوِّ وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّمَادُمْتُ وَحُرُمُ ۗ وَأَفَعُوا السَّالَيْنَ إِلَيْهِ غُمُنْمُ وِنَ ۞ • جَعَلَ اللَّهُ ٱلْكَبِّدَ ٱلْمَيْتَ الْمُعَالَمُ مِنْعَالِلنَّاسِ وَالشَّهْرَلِلْحَرَامَ وَالْمُنْدَى وَٱلْعَلَيْدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِ السَّمَوْتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ مَنى عَلِيدُ ﴿ اعْلَمُوا أَنَ اللَّهُ سَدِيدُ ٱلْمِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ وَعِيدٌ ﴿ مَاعَلَ الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلُّغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَاتَبْدُودِتَ وَمَاتَكَتُسُونَ ۞ قُل لَايَسْنَوِى لَلْجَيِثُ وَٱلطَّيْبُ وَلِوَأَغِيَاكَ كُنْزُهُ ٱلْخِيثِ فَاتَّـعُوا اللَّهَ بَنَـا وَلِي ٱلْأَلِيبِ لَعَلَّحُمُ مُغُلِحُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا لَانَسْعَلُوا عَنْ أَشَيَآة إِن تُبَدّ لَكُمْ تَسُوْكُمْ وَإِن تَسْتُلُواْعَنْهَا حِينَ يُنَزُّكُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَلَكُمْ عَمَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَنْهُ وَلَا تَعَوْرُ حَلِيدً @ قَدْسَالْلَا فَوْمُ مِن قَلِكُونُو أَضْبَحُوا بِمَا كَغِينَ ۞ مَاجَسَلَ الله ين بجيرة ولاستآب والاوسيداة والاحام والكي الديت كَفُرُوا يَمْنَرُونَ عَلَاهُوالكَذِبُّ وَأَسْتُ ثَرُحُرُ لاَ يَمْفِلُونَ ۞

ولا قدرة لهم على ذلك دل على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك، ولا غي قوته شيء من الفكاك.

ومن الأدلة أن ﴿ ش ﴾ وحده ﴿ ملك السماوات والأرض ﴾ يتصرف فيهم بحكمه الكوني والشرعي والجزائي، وهم مملوكون مدبرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلها معبوداً غنياً من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال.

ولا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح عيسى ابن مريم من غير أب، فإن الله في الله من أب وأم، كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم، كحواء. وإن شاء من أم بلا أب، كعيسى. وإن شاء من غير أب ولا أم [كدم](۱).

فنوع خليقته تعالى بمشيئته النافذة، التي لا يستعصي عليها شيء، ولهذا قال: ﴿وَاللّٰهُ عَلَى كُلُّ شَيءَ قَدِيرٍ ﴾.

ومن مقالات اليهود والنصاري أن كلاً منهما ادعى دعوى باطلة، يزكون بها أنفسهم، بأن قال كل منهما: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾

والابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البنوة الحقيقية، فإن هذا ليس

من مذهبهم إلا مذهب النصارى في السح.

قال الله رداً عليهم حيث ادعوا بلا برهان: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾؟ فلو كنتم أحبابه ما عذبكم [لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه](٢).

وبل أنتم بشر ممن خلق بحري عليكم أحكام العدل والفضل ويغفر عليكم أحكام العدل والفضل ويغفر بأسباب المغفرة أو أسباب العذاب، ويشمك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير أي: فأي: شيء خصكم بهذه الفضيلة، وأنتم من جملة الماليك ومن جملة من يرجع إلى الله في الدار الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

﴿ ٩٩﴾ ﴿ يَا أَهِلُ الكتابِ قَدَ جَاءَكُمُ رَسُولْنَا بِينَ لَكُمْ عَلَى فَتَرَةً مِنَ الرَّسِلُ أَنَّ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرِ وَلا نَذَيرِ فَقَدَ جَاءَكُم بَشِيرٍ وَنَذَيرِ وَاللهُ عَلَى كُلُ شِيءَ قَديرٍ ﴾ يدعو تبارك وتعالى أهل الكتاب _ بسبب ما منَّ عليهم من كتابه _ أن يؤمنوا برسوله محمد ﷺ ، كتابه _ أن يؤمنوا برسوله محمد ﷺ ، ويشكروا الله تعالى الذي أرسله إليهم على حين ﴿ فَتَرَةً مِنَ الرَّسِلِ ﴾ وشدة على حين ﴿ فَتَرَةً مِنَ الرَّسِلِ ﴾ وشدة حاحة الله .

وهذا مما يدعو إلى الإيمان به، وأنه يبين لهم جميع المطالب الإلهية والأحكام الشرعية .

وقد قطع الله بذلك حجتهم، لثلا يقولوا: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ يبشر بالثواب الماجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. وينذر بالعقاب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها.

وُوالله على كل شيء قلير القادت الأشياء طوعاً وإذعاناً لقدرته، فلا يستعصي عليه شيء منها، ومن قدرته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأنه يشيب مَنْ أطاعهم ويعاقب مَنْ عصاهم.

﴿٢٦ _ ٢٦﴾ ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكأ وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين * يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ إلى آخر القُّصة^(٣). لما امتنَّ الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون وقومه وأسرهم واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكّرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: ﴿إذكروا نعمة الله عليكم﴾ بقلوبكم وألسنتكم. فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، ﴿إِذَ جعل فيكم أنبياء ﴾ يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من البردي ويحثونكم على سعادتكم الأبدية، ويعلمونكم مالم تكونوا تعلمون ﴿وجعلكم ملوكاً﴾ تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون من إقامة دينكم.

﴿ وآتاكم ﴾ من النعم الدينية والدنيوية ﴿ ما لم يوت أحداً من المالمين ﴾ فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم.

فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: ﴿ يَا قُومُ ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ أي: المطهرة ﴿ التي كتب الله لكم ﴾ .

فأخبرهم خبراً تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم دخولها، وانتصارهم على عدوهم.

﴿ ولا ترتدوا ﴾ أي: ترجعوا ﴿ على أدباركم، فتنقلبوا خاسرين ﴾ قد

⁽۱) زیادة من هامش ب.

⁽۲) زیادة من هامش ب.

⁽٣) في ب: كتب الآيات إلى قوله: ﴿ فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾.

ومواجهتهم لنبيهم فيه في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد ﷺ حيث قال

الصحابة لرسول الله ﷺ -حين شاورهم في القتال يوم «بدر» مع أنه لم يحتم عليهم: يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك.

فلما رأى موسى عليه السلام عتوهم عليه ﴿قال: ربِّ إني لا أملكُ إلا نفسي وأخي اي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء.

﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ أي: احكم بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق.

﴿قَالَ﴾ الله مجيباً لدعوة موسى: ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، وتلك المدة أيضاً يتيهون في الأرض، لا يستندون إلى طريبق ولا يببقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر .

ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه

خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح بلادكم. وآخرتكم

بما فاتكم من الشواب، وما استحققتم _بمعصيتكم _من العقاب، فقالوا قولاً يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله ورسوله .﴿قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ♦شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها .

﴿وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون، وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي مَنْ أعانه الله بقوة من عنده، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعداً خاصاً.

﴿قسال رجسلان مسن السذيسن يخافون﴾ الله تعالى، مشجعين لقومهم، منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. ﴿أنعم الله عليهما التوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر واليقين.

وادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾. فإن في التوكل على الله ـ وخصوصاً ف*ى هذاً الموطن ـ تيسيراً للأمر، ونصرا*ً على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم الملام، فقالوا قول الأذلين: ﴿يما موسى، إنما لمن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ .

فما أشنع هذا الكلام منهم،

وَإِذَا قِلَ لَمُتَمَّ مَّنَا لَوْ إِلَّ مَا أَزَلَ أَقَدُ وَإِلَّ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَ مَاوَجَدُنَا عَلَيْهِ ءَاكِآءً نَأْ أَوَلَوْكَ انَ ءَاكِآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْنَا وَلَابَهْ نَدُونَ ۞ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُوْ ٱلْعُسَكُوْ لَا يَضُرُّكُم مِّن صَلَّ إِذَا آهَنَدَ يَتُمُّ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُبَتَثُكُمُ عِلَكُنُهُ مَعْمَلُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا شَهَدَةُ يَنْ يُكُمْ إِذَا حَضَرَ لَحَدَكُوا لَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ آثْنَانِ ذَوَاعَدْلِ مِنكُوْ أَوْ ءَاحَرُانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنَّ أَمُّ مُرَدُّمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَبَ الْكُرْتُصِيبَ أَلْوَيْتِ تَحْيِسُونَهُ عَامِنُ بَعْدِ ٱلْصَهَا وَلَ فَيُقْسِمَانِ بِالْقِي إِنوَارْتَبْشُرُ لَانَشْتَرِى بِهِدِثَنَا وَلَوْكَانَ ذَاهُرْتِيَكُ وَلَانَكْتُ مُشْهَلَدَةَ الْقُوإِنَّا إِنَّا لِّينَ ٱلْآثِينِينَ ۞ فَإِنْ عُيْرَعَلَ أنَّهُما أسْتَحَقّا إِنَّا فَعَاخَ إِن بَقُومَانِ مَقَامَهُمَامِنَ ٱلَّذِيثَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلِيَنِ فَيُقْسِمَانِ بِالْقُولْسُهَا دَثْنَا أَحَقَٰين شَهَكَنِيهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَيْنَ الظَّالِينِ ﴿ ذَاكِ أَدَانَا أَن بَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى مِنْ إِلَيْهِمَ أَقْتَنَا فَإِلَّا أَنْ زُدًّا أَيْنَ أَبَعَدَ أَيْمَلُهِمْ وَانْقُوا اللَّهُ وَاسْتَعُوا وَاللَّهُ لَايَهُ دِى الْقُومَ الْفَسِيفِينَ ۞ OLEGO TO COLOR

2017

CHELLE .

المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة .

ولما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصاً قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن الله قد حتمها، قال: ﴿فلاتأسَ على القوم الفاسقين﴾ أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلماً منا.

﴿٢٧ ـ ٣١ ﴾ ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) إلى آخر القصة (١٠). أي: " قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة يعتبر بها المعتبرون، صدقاً لا كذباً، وجداً لا لعباً، والظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل عليهم نبأهما في حال تقريبهما للقربان، الذي أداهما إلى الحال

BIEIR FILE रेप्राची रेज्य । يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلُ فَيَقُولُ مَاذَا أَجِبْتُ وَالُوا لَاعِلْ لَنَا أَنْ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ ٱلْفُيُوبِ ۞ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَغِيسَى آَنِ مَنْ يَكُ آذْ كُرْنِعْ مَقِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالْدَيْكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوجٍ ٱلْفُدُسِ تُحَكِلُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكُهْ لَأُ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَبَ وَلِلْحِكَمَةَ وَٱلتَّوْرَكِةَ وَٱلْإِنْجِيلِّ وَلِذَعَنَّاقُ مِنَ ٱلطِّيزِكُهُ مُنَّةِ ٱلطَّيْرِ بِإِنَّا فَنَنْفُخُ مِنِهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذَنِّ وَيُدِينُ ٱلْأَحْمَةَ وَٱلْأَرْصَ بِإِذَنِي وَأَدْعُمْعُ لَلْوَفَ بِإِذْ فِي وَإِذْ كَمَعْتُ بَنِ إِسْرَةَ بِلَ عَنكَ إِذْ حِنْتَهُم بِٱلْبَيْنَاتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَتْرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَا ذَا إِلَّا سِحْرُمُبِيثُ ۞ قَاذَا وَحَيْثُ إِلَى ٱلْحَوَادِينَ أَنْ مَامِنُوا بِي وَبِيرَسُولِي فَالْوَاْ مَامَنَا وَأَشْهَدُ بِأَنْسَامُسْلِمُونَ ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَالِيقُونَ يَعِيسَى ٱبْنَ مَنْهَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِلَ عَلَيْنَا مَآيِدَةً مِنَ السَّكَأَةِ قَالَ اللَّهُ قُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُوْمِنِينَ ۞ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَأْحَكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَينَ قُلُوبُنَا وَهَا لَرَأَنَ فَدْ صَرَدَ فَكَ الرَّكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّلِهِ دِيرَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّلِهِ دِيرَ

TO STORE IN LONG LONG

﴿إِذْ قَرِبًا قَرِبَانًا ﴾ أي: أخرج كل منهما شيئاً من ماله لقصد التقرب إلى الله، ﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾ بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقربان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه.

﴿قال﴾ الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسداً وبغياً ﴿الْقتلنك﴾. فقال له الآخر _ مترفقاً له في ذلك _ ﴿إنما يتقبل الله من المتقين ﴿ فأي: ذنب لي وجناية توجب لك أن تقتلني؟ إلا أني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة على وعليك، وعلى كل أجد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك العمل، بأن يكون عملهم خالصاً لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله ﷺ

ثم قال له مخبراً أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة فقال: ﴿ لِنُن بِسطت إلى يدك لتقتلني، ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ وليس ذلك جبناً مني ولا عجزاً. وإنما ذلك لأن ﴿أَحْسَافُ اللهُ رَبِ السَّعْسَالِمِينَ﴾ والخائف لله لا يقدم (أ) على الذنوب، خصوصاً الذنوب الكبار.

وفى هذا تخويف لمن يريد القتل،

وأنه ينبغي لك أن تتقى الله وتخافه .

﴿إِن أريد أن تبوء ﴾ أي: ترجع ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ ﴾ أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلاً أو تقتلني فإني أوثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين ﴿فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين دل حذا على أن القتل من كسائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار.

فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. ﴿فَقَتله فأصبح من الخاسرين، دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السُّنَّة لَكُلُّ قاتل.

«ومن سنَّ سُنَّة سيئة، فعليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة».

ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه «ما من نفس تقتّل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول مَنْ سنَّ القتل، فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أوّل ميت مات من بني آدم ﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض﴾ أي: يثيرها ليدفن غراباً آخر ميتاً. ﴿ليريه﴾ بذلك ﴿كيف يواري سوءة أخيه ﴾ أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة ﴿ فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصى الندامة

والخسارة.

﴿٣٢﴾ ﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إنّ كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) يقول تعالى: ﴿مُن أجل ذلك﴾ الذي ذكرناه في قصة ابني آدم، وقتل أحدهما أخاه، وسَنِّهِ القتل لَن بعده، وأن القتل عاقبته وخيمة وخسارة في الدنيا والآخرة، ﴿كتبنا على بنى إسرائيل الكتب السماوية ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتْلُ نَفْساً بِغَيْرُ نَفْسُ أو فساد في الأرض﴾ أي: بغير حق ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتُلَ النَّاسِ جَمِيعاً ﴾؛ لأنه ليس

معه داع يدعوه إلى التبيين، وأنه لا يقدم على القتل إلا بحق، فلما تجرأ على قتل النفس التي لم تستحق القتل، علم أنه لا فرق عنده بين هذا المقتول وبين غيره، وإنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمّارة بالسوء. فتجرؤه على قتله، كأنه قتل الناس جميعاً.

وكذلك مَنْ أحيا نفساً أي: استبقى أحداً، فلم يقتله مع دعاء نفسه له إلى قتله، فمنعه خوف الله تعالى من قتله، فهذا كأنه أحيا الناس جميعاً، لأن ما معه من الخوف يسمنعه من قسل مَنْ لا يستحق القتل.

ودلت الآية على أن القتل يجوز بأحد

إما أن يقتل نفساً بغير حق متعمداً في ذلك، فإنه يحل قتله، إن كان مكلفاً مكَّافئاً، ليس بوالد للمقتول.

وإما أن يكون مفسداً في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم إلا بالقتل.

وكذلك قطّاع الطريق ونحوهم، ممن يصول على الناس لقتلهم، أو أخذ أموالهم.

﴿ولُقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ التي لا يبقى معها حجة لأحد. ﴿ثم إن كثيراً منهم أي: من الناس ﴿بعدُ ذلك البيان القاطع للحجة ، الموجب للاستقامة في الأرضُ ﴿لمسرفون﴾ في العمل بالمعاصي، ومخالفة الرسل الذين جاءوا بالبينات والحجج.

﴿٣٤ _ ٣٤﴾ ﴿إنَّما جِبْراء الدِّين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم * إلاَّ الذين تأبواً من قبل أن تقدروا عليهم فاعلمواأن الله غفور رحيم المحاربون لله ورسوله، هم البذيين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض

وإخافة السبل.

واحد من هذه الأمور .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبِلُ أَنْ تَقَدِّرُوا

عليهم، أي: من هؤلاء المحاربين، ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ آي: فيسقط عنه ما كان لله، من تحتم القتل والصلب والقطع والنفي، ومن حق الأدمى أيضاً، إنَّ كان المحارب كافراً ثم أسلم، فإن كان المحارب مسلماً فإن حق الآدمى، لا يسقط عنه من القتل وأخذ المال. ودل مفهوم الآية على أن توبة المحارب _بعد القدرة عليه _أنها لا تسقط عنه شيئاً، والحكمة في ذلك

وإذا كانت التوبة قبل القدرة عليه، تمنع من إقامة الحد في الحرابة، فغيرها من الحدود _إذا تاب مَنْ فعلها، قبل القدرة عليه _ من باب أولى .

﴿٣٥﴾ ﴿يا أيها اللذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون، هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد، ويبذل غاية ما يمكنه من المقدور فى اجتناب ما يسخطه الله، من معاصى القلب واللسان والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك من سخط الله وعذابه.

﴿وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل. والبدنية: كالزكاة والحج. والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخيليق بالمال والتعلم والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي [بها] ويستجيب الله له الدعاء.

ثم خص تبارك وتعالى من العبادات

إفساد في الأرض. بالكفر والقتل، وأخذ الأموال،

> والمشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام قطّاع الطريق، الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها، فتنقطع بذلك. فأخبر الله أن جزاءهم ونكالهم ـ عند إقامة الحد عليهم -أن يفعل بهم

> > واختلف المفسرون: هل ذلك على التخيير، وأن كل قاطع طريق يفعل به الإمام أو نائبه ما رآه المصلحة من هذه الأمور المذكورة؟ وهذا ظاهر اللفظ، أو أن عقوبتهم تكون بحسب جرائمهم، فكل جريمة لها قسط يقابلها، كما تدل عليه الآية بحكمتها وموافقتها لحكمة الله تعالى. وأنهم إن قتلوا وأخذوا مالأتحتم قتلهم وصلبهم، حتى يشتهروا ويختزوا ويرتدع غيرهم.

وإن قتلوا ولم يأخذوا مالاً تحتم قتلهم فقط. وإن أخذوا مالاً ولم يقتلواً تحتم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمني والرجل اليسري.

وإن أخافوا الناس ولم يقتلوا، ولا أخذوا مالاً، نفوا من الأرض، فلا يتركون يأوون في بلد حتى تظهر توبتهم. وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه وكثير من الأثمة ، على اختلاف في بعض التفاصيل.

﴿ذَلَكُ ﴾ النكال ﴿لهم خزي في الدنيا ﴿ أَي : فضيحة وعار ﴿ ولهم في الآخرة عنَّاب عظيم اللَّخرة عنَّا أنَّ قطع الطريق من أعظم الذنوب، موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخــرة، وأن فــاعـــلــه محـــارب لله

وإذا كان هذا شبأن عظم هذه الجريمة، علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق، عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده

原则 原即原。 قَالَ عِيسَى أَنُّ مَرْبَمَ اللَّهُ ذَرَيَّنَ ٱلْزِلْ عَلَيْنَا مَآبِدَةً مِنَ السَّمَا تَكُونُ لَنَاعِيدًا لِأَقَلْنَا وَءَلِيزِنَا وَءَلِينَا وَءَلَيْهُ مِنْكُ وَأَرْزُفْكَ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّزِفِينَ ۞ فَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِلُمُ اعَلَيْكُو فَنَ يَكُثُرُ بَعْدُمِنكُوْ فِإِنْ أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَآ أَعَذِّبُهُۥ لَسَكَامِّنَ ٱلْعَنكِينَ ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُنْعِيسَى آنِ مَرْبَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ لَيَّعَدُونِ وَأَيْ إِلَهَ يَنِينِ دُونِواللَّهِ قَالَ سُبَحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِي عَنَّ إِن كُنتُ قُلْتُ مُفَعَّدٌ عَلِمْتَ هُ مَعَ لُومًا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَوُمَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّمُ ٱلْفُيُوبِ ۞ مَاقُلْتُ لَمَتُمْ إِلَّامَآ أَمْزَهَي بِدِيَّ أَنِ اَعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُوُّ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ مَهِيدًا مَّادُمْتُ فِيهِمُّ فَلَمَّا فَوَقَّتَنَّى كُنَّ أَنَّ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمُّ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِ شَيْءِ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُّ فَإِن تَنْفِرْ لَكُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْمَزِيزُ أَتْمَكِيمُ ۞ قَالَ اللَّهُ هَلَا أَيْوَمُ يَنْفَعُ ٱلمَّدِيِّةِ مَ مِدْفَعَمُ لَمُ مَنَّتُ عَرِي مِن عَيْمَ ٱلْأَنْهَ أَرْخَالِينَ فِهَا أَبَدَأُ دَمِنِي الْقَدْعَنْهُمْ وَرَصَنُواْعَنَّهُ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُٱلْمَظِيمُ ۞ يَتُو مُلْكُ ٱلسَّنَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَافِيهِنَّ وَهُوَعَلَى كُلِ شَى وَفَدِيرًا ۞ TOURSE IN MORRED TO

المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو: بذل الجهد في قتال الكافرين بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي فى نصر دين الله بكل ما يقدر عليه التعبد، لأن هذا النوع من أجلً الطاعات وأفضل القربات.

ولأن مَنْ قام به، فهو على القيام بغيره أحرى وأولى ﴿لعلكم تفلحون﴾ إذا اتقيتم الله بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلى الله، بفعل الطاعات، وجاهدتم في سبيله ابتغاء مرضاته.

والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب، والنجاة من كل مرهوب، فحقيقته السعادة الأبدية والنعيم المقيم .

﴿٣٦ _ ٣٧﴾ ﴿إن الذين كفروا لو أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم * يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم، يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله يوم القيامة ومآلهم الفظيع، وأنهم لو افتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله معه ما تقبل منهم، ولا أفاد، لأن محل الافتداء قد فات، ولم يبق إلا العذاب الأليم، الموجع الدائسم الذي لا يخرجون منه أبدأ، بل هم ماكثون فيه سر مدا .

﴿٣٨ _ ٤٠) ﴿والسارق والسارقة

A COMPANY SOLD

فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإنّ الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم * ألم تعلم أنّ الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله اخذ مال غيره المحترم خفية، بغير رضاه. وهو من كباثر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة، وهو قطع اليد اليمنى، كما هو في قراءة بعض الصحابة.

NO DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

وحد اليد عند الإطلاق من الكوع، فإذا سرق قطعت يده من الكوع، وحسمت في زيت لتنسد العروق فيقف الدم، ولكن السنة قيدت عموم هذه الآية من عدة أوجه:

منها: الحرز، فإنه لابد أن تكون السرقة من حرز، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة. فلو سرق من غير حرز فلا قطع عليه.

ومنها: أنه لا بد أن يكون المسروق نصاباً، وهو ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو ما يساوي أحدهما، فلو سرق دون ذلك فلا قطع عليه.

ولعل هذا يؤخذ من لفظ السرقة ومعناها، فإن لفظ «السرقة» أخذ الشيء على وجه لا يمكن الاحتراز

منه، وذلك أن يكون المال محرزاً، فلو كان غير محرز لم يكن ذلك سرقة شرعة.

ومن الحكمة أيضاً أن لا تقطع اليد في الشيء النزر التافه، فلما كان لا بد من التقدير، كان التقدير الشرعي محصصاً للكتاب.

والحكمة في قطع اليد في السرقة، أن ذلك حفظ للأموال، واحتياط لها، وليقطع العضو الذي صدرت منه الجناية، فإن عاد السارق قطعت رجله اليسرى، فإن عاد، فقيل: تقطع يده اليسرى، ثم رجله اليمنى، وقيل: يجس حتى يموت.

وقوله: ﴿جزاء بما كسبا﴾ أي: ذلك القطع جزاء للسارق بما سرقه من أموال الناس.

﴿نكالاً من الله أي: تنكيلاً وترهيباً للسارق ولغيره، ليرتدع السراق _إذا علموا _أنهم سيقطعون إذا سرقوا.

﴿ والله عزيـز حـكـيـم ﴾ أي: عـز وحكم فقطع السارق.

وفمن تاب من بعد ظلمه وأصلح، فإن الله يتوب عليه، إن الله غفور رحيم فيغفر لمن تاب فترك الذنوب، وأصلح الأعمال والعيوب. وذلك أن لله ألمك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما شاء من التصاريف القدرية والشرعية، والمغفرة والعقوبة، بحسب ما اقتضته حكمته ورحمته الواسعة ومغفرته.

الواسعة وعبدرة.
(13 - 13) (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه يقولون أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم *سماعون في الآخرة عذاب عظيم *سماعون

للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين * وكيف بحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين * إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا اللذين هادوا والربانيون والأحبار بما شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون و

الرسول المسلم من شدة حرصه على المخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى، إلى أنه لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء. فإن حفروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال مبيناً للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم حفقال: فلوجب لعدم الحزن عليهم حفقال: قلوبهم فإن الذين "يؤسى ويحزن قلوبهم من كان معدوداً من المؤمنين، عليهم، من كان معدوداً من المؤمنين، وحاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن الإيمان -إذا خالطت ويرتدوا، فإن الإيمان -إذا خالطت غيره، ولم يبغ به بدلا.

ومن الذين هادوا أي: اليهود وسمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك أي: مستجببون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي. وهؤلاء أعرضوا عنك، وفرحوا بما عندهم من البياطل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، أي: جلب معان للألفاظ ما أرادها الله ولا قصدها، لإضلال الخلق ولمنع الحق، فهؤلاء المنقادون للدعاة إلى الضلال، المتبعين للمحال، الذين يأتون بكل كذب، لا عقول لهم ولا

المناسعة ال

ا وَلَا بُلُكُمْ مُنْ إِنَّ الْمِرْبُ أَنْ الْصُوْبِ اَوْلَ مِنْ السَلَمُ اللَّهِ الْمُنْ السَلَمُ اللَّهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ اللَّهِ اللَّهُ اللْمُنْلِيَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّ

DESCRIPTION IN MORE COMP.

وضياء وذكراً للمتقين ﴿ بحكم بها ﴾ بين الذيبن هادوا، أي: اليهود في القضايا والفتاوى ﴿ النبيون الذين أسلموا ﴾ لله وانقادوا لأوامره، الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم، وهم صفوة الله من العباد. فإذا كان اقتدوا بها وائتموا ومشوا خلفها، فما الذي منع هؤلاء الأراذل من اليهود من الاقتداء بها؟

وما الذي أوجب لهم أن ينبذوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمد على الذي لا يقبل عمل ظاهر وباطن، إلا بتلك العقيدة؟ هل لهم إمام في ذلك؟ نعم لهم أئمة دأبم التحريف، وإقامة رياستهم ومناصبهم بين الناس، والتأكل بكتمان الحق، وإظهار الباطل، أولئك أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار.

وقوله: ﴿والربانيون والأحبار﴾ أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أثمة الدين من الربانين، أي: العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنياء المشفقين.

والأحبار أي: العلماء الكبار الذين يقتدي بأقوالهم، وترمق آثارهم، ولهم لسان الصدق بين أعمهم. وليست هذه منسوخة، فإنه _عند آخاكم هذا الصنف إليه _غير بين أن يحكم بينهم، أو يعرض عن الحكم بينهم، بسبب أنه لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وعلى هذا فكل مستفت ومتحاكم إلى عالم، يعلم من حاله أنه إن الإفتاء لهم، فإن حكم بينهم وجب أن يحكم بالقسط، ولهذا قال: ﴿وإن يُحكم بالقسط، ولهذا قال: ﴿وإن يُحكم بينهم بالقسط، وأن شيئاً، وإن يجب المقسطين﴾ حتى ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم.

وفي هذا بيأن فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى ع م

ثم قال متعجباً لهم (١): ﴿وكيف كحمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله، ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ فإنهم - لو كانوا مؤمنين عاملين بما يقتضيه الإيمان ويوجبه - لم يصدفوا عن حكم الله الذي في التوراة التي بين أيديهم، لعلهم أن يجدوا عندك ما يوافق أهواءهم.

وحين حكمت بينهم بحكم الله الموافق لما عندهم أيضاً، لم يرضوا بذلك بل أعرضوا عنه، فلم يرتضوه أيضاً.

قال تعالى: ﴿وما أُولئك﴾ الذين هذا صنيعهم ﴿بالمؤمنين﴾ أي: ليس هذا دأب المؤمنين، وليسوا حريين بالإيمان. لأنهم جعلوا آلهتهم أهواءهم، وجعلوا أحكام الإيمان تابعة لأهدائه.

﴿إِنَّا آنْزَلْنَا التوراة ﴾ على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام. ﴿فيها همدى ﴾ يهدي إلى الإيمان والحق، ويعصم من الضلالة ﴿ونور ﴾ يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان همم. فلا تبال أيضاً إذا لم يتبعوك، لأنهم في غاية النقص، والناقص لا يؤبه له ولا يبالى به.

﴿يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا أي: هذا قولهم عند محاكمتهم إليك، لا قصد لهم إلا اتباع الهوى.

يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم محمد بهذا الحكم الذي يوافق أهواءكم، فاقبلوا حكمه، وإن لم يحكم لكم به، فاحذروا أن تتابعوه على ذلك، وهذا فتنة واتباع ما تهوى الأنف.

﴿ومَنْ يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً > كقوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي مَنْ أحببت ولكن الله يهدي مَنْ يشاء > .

﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أي: فلذلك صدر منهم ما صدر. فعدل ذلك على أن مَنْ كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن مَنْ حاكم هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، حير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد.

﴿ لَهُم في الدنيا خزي ﴿ أي: فضيحة وعار ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ هو: النار وسخط الجبار.

وسماعون للكذب والسمع هاهنا سمع استجابة، أي: من قلة دينهم وعقلهم، أن استجابوا لمن دعاهم إلى القول الكذب.

﴿أَكُالُونَ لَلْسَحَتَ﴾ أي: المال الحرام، بما يأخذونه على سفلتهم وعوامهم من المعلومات والرواتب، التي بغير الحق، فجمعوا بين اتباع الكذب وأكل الحرام.

﴿ فإن جاووك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ فأنت مخير في ذلك.

قُلْ أَيُّ مَنْ وَأَخَبُرُ مُهَادَّةً قُلُ اللَّهُ شَهِيدُ يَنِي وَيُنْكُرُ وَأُوهِ مَالَيَّ هَنَاٱلْقُرُوَانُ لِأُنْذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغُ أَلِنَكُمُ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ عَالِهَةَ أُخْرِكُ قُلُ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّا هُوَ إِلَهُ وَلِيدٌ وَإِنَّنِي بَيِئَ * ثِمَّا أَثْشُرِكُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْتُهُمُ ٱلْكِنْبَ يَعْرِهُ يَدُكُمَا يَعْ فِي َ أَبْنَاءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَيدُ وَا أَنْفُسُهُمْ فَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَرُ عَنَ اَفْتَى عَلَ الْقَوِكَةِ الْوَكَذَّبَ إِنَّا لِينَوْتِ إِنَّهُ لَا يُعْسَلِحُ ٱلظَّالِيُوكَ ۞ وَيَوْمَ غَشْرُكُوْجِيعَاثُمَّ فَقُولُ لِلَّذِيكَ أَشْرُكُوا أَنْ شُرَكَ آلُونَ أَلْينَ كُنتُ زُعْنُونَ ۞ ثُمَّ أَرْ تَكُنُ فِتُنْهُمُ لِلَّأَنْ وَالْوَا وَلَقَوْرَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۞ ٱللَّذَيَّةِ فَكَنْهُوا عَلَىٓ الْفُلْسِهِمُّ وَصَلَّ عَنْهُ مِنَّا كَانُواْ يَمْ تَرُونَ ۞ وَمَنْهُم مَّن يَسْنَيعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ الْمُوجِمِ أَكِنَّةُ أَن يَشْفَهُوهُ وَفِي ٓءَاذَانِهِمْ وَثَرَّا وَلَن يَرَوَّا كُلَّ مَانِهِ لَا يُؤْمِنُواْ بِهِ أَحَوَّى إِذَا جَآءُوكَ يُجَلِيلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كُفَّرُواْ إِنْ هَنْكَآ إِلَّا أَسْلِيلِيرًا لَأَوَّلِينَ ۞ وَهُمْ يَهُونَ عَنْهُ وَيَنْعُونَ عَنْهٌ وَيَلْوُنَ إِلَّا أَخْسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُهِنَ ۞ وَلُوْزَيَّ إِذْ وُضِنُواْ عَلَىٰ لَنَادِهُ فَالْوَا يَكَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا ثَكَوْبَ بِعَايَتِ رَيِّنَا وَنَكُوْنَ مِنَ ٱلْمُوْمِدِينَ ۞ PARTER WESTERS

وذلك الحكم الصادر منهم الموافق للحق ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ أي: بسبب أن الله استحفظهم على كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان وتعليمه لمن لا يعلمه.

وهم شهداء عليه، بحيث إنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه على الناس منه، فالله تعالى قد حمل أهل العلم، ما لم يحمله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حملوا.

وأن لا يقتدوا بالجهال، بالإخلاد إلى البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا

وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصاً الأمور الأصولية والتي يكثر وقوعها وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم، ولهذا قال: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا﴾ فتكتمون الحق، وتظهرون

الباطل، لأجل متاع الدنيا القليل، وهذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعادته، بأن يكون همه الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم أن الله قد استحفظه ما (١١) أو دعه من العلم واستشهده عليه، وأن يكون خاتفاً من ربه، ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثر الدنيا على الدين.

كما أن علامة شقاوة العالم أن يكون غلداً للبطالة، غير قائم بما أمر به، ولا مبال بما استحفظ عليه، قد أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدنيا، قد ارتشى في أحكامه، وأخذ المال على فتاويه، ولم يعلم عباد الله إلا بأجرة

فهذا قد مَنَّ الله عليه بمنة عظيمة، كفرها ودفع حظاً جسيماً، محروماً منه غيره، فنسألك اللهم علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، وأن ترزقنا العفو والعافية من كل بلاء يا كريم.

﴿وَمَنْ لَم يُحكم بِما أَنزل الله من الحق المبين، وحكم بالباطل الذي يعلمه، لغرض من أغراضه الفاسدة ﴿فأولئك هم الكافرون﴾ فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفراً ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد اسحق من فعله العذاب الشديد.

﴿ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ هذه الأحكام من جملة الأحكام التي في التوراة، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار. إن الله أوجب عليهم فيها أن النفس _إذا قتلت _ عليهم فيها أن النفس _إذا قتلت _ والعين تقلع بالعين، والأذن توخذ بالسن. ومثل بالأذن، والسن ينزع بالسن. ومثل

هذه ما أشبهها من الأطراف التي يمكن الاقتصاص منها بدون حيف.

﴿والجسروح قسصاص﴾ والاقتصاص: أن يفعل به كما فعل. فمَنْ جرح غيره عمداً اقتص من الجارح جرحاً مثل جرحه للمجروح، حداً، وموضعاً، وطولاً، وعرضاً وعمقاً، وليعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه.

﴿ فَمَنْ تصدق به ﴾ أي: بالقصاص في النفس، وما دونها من الأطراف والجروح، بأن عفا عمن جني، وثبت له الحق قبله.

﴿فهو كفارة له ﴾ أي: كفارة للجاني، لأن الآدمي عفا عن حقه. والله تعالى أحق وأولى بالعفو عن حقه، وكفارة أيضاً عن العافي، فإنه كما عفا عمن جنى عليه، أو على من يتعلق به، فإن الله يعفو عن زلاته وجناياته.

وَمَنْ لَمْ يَحِكُم بِما أَنْزِل الله فأولئك هم الظالمون قال أبن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفست دون فست، فهو ظلم أكبر، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له.

﴿ 3 ـ ٧٤ ﴾ ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين * وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ يما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ الذين يحكمون بالتوراة بعبدنا ورسولنا عيسى ابن مريم، روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم.

بعثة ألله مصدقاً لما بين يديه من التوراة، فهو شاهد لموسى ولما جاء به من التوراة بالحق والصدق، ومؤيد لدعوته، وحاكم بشريعته، وموافق له في أكثر الأمور الشرعية.

وقد يكون عيسى عليه السلام أخف في بعض الأحكام، كما قال تعالى عنه

أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾.

﴿وآتيناه الإنجيل﴾ الكتاب العظيم المتمم للتوراة. ﴿فيه هدى ونور﴾ يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل. ﴿ومصدقاً لما بين يديه من والموافقة. ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ فإنهم الذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بالمواعظ، ويرتدعون عمّا لا يليق. ﴿وليحكم أهل الإنجيل بمما أنزل الله فيه﴾ أى: يلزمهم التقيد

بكتابهم، ولا يجوز لهم العدول عنه.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزُلُ اللَّهُ فَأُولَٰتُكُ هُمُ

الفاسقون 🦩 .

﴿ ٤٨ _ ٥٠ ﴾ ﴿ وأنــزلــنــا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون الله عكماً لقول تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتابِ الذي هو القرآن العظيم، أفضل الكتب وأجلها.

﴿بالحق أي: إنسزالاً بالحق، ومشتملاً على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه. ﴿مصدقا لما بين يديه من الكتاب لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقاً لخبرها.

﴿ومهيمناً عليه﴾ أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل

حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحِكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم خالفه.

﴿ فَاحِكُم بِينْهُم بِمَا أَنْزِلُ اللهُ ﴾ من الحكم الشرعي الذي أَنْزِلُه الله عليك. ﴿ وَلا تَتْبِعُ أَهُواءُهُم عَمَا جَاءُكُ مَن الحق ﴾ أي: لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلاً عمّا جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي

ولكل جعلنا منكم أيها الأمم جعلنا وشرعة ومنهاجاً أي: سبيلا وسُنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكسمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة واحدة، لا يختلف متأخرها و[لا] ومتقدمها.

﴿ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾ فيختبركم وينظر كيف تعملون، ويبتلي كل أُمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويؤتي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم فكل أُمة تحرص على سبق غيرها، ولهذا قال: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي: بادروا إليها وأكملوها، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقاً لغيره مستولياً على الأمر، إلا بأمرين:

المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به. ويستدل بهذه الآية، على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول

وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزى، في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينسبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها السبق.

ولاحمل، ويحصل بها السبق.

إلى الله مرجعكم جميعاً ﴾ الأمم
السابقة واللاحقة، كلهم
سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه.

﴿فينبتكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ من
الشرائع والأعمال، فيثيب أهل الحق
والعمل الصالح، ويعاقب أهل الباطل

﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ هذه الآية هي التي قيل: إنها ناسخة لقوله: ﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾.

والصحيح: أنها ليست بناسخة، وأن تلك الآية تدل على أنه على غير بين الحكم بينهم وبين عدمه، وذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق.

وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم، فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسُنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله قال: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ماشرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جور وظلم.

﴿ولا تتبع أهواءهم ﴾ كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها. ولأن ذلك في مقام الحكم والفتوى، وهو أوسع، وهذا في مقام الحكم وحده، وكلاهما يلزم فيه أن لا يتبع أهواءهم المخالفة للحق، ولهذا قال: ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ أي: إياك والاغترار مما أننزل [الله] إليك، فيصدوك عن بعض ما أننزل [الله] إليك، فيصدار اتباع موائهم سبباً موصلاً إلى ترك الحق الواجب، والفرض اتباعه.

﴿فَإِنْ تُولُواۚ﴾ عن اتباعك واتباع الحق﴿فاعلم﴾ أن ذلك عقوبة عليهم وأن الله يريد﴿أن يصيبهم ببعض

ذنوبهم فإن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يبتلي العبد ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه.

﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ أي: طبيعتهم الفسق والخروج عن طاعة الله واتباع رسوله.

﴿ أفحكم آلجاهلية يبغون﴾ أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمَنْ أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعلى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى.

ومَنْ أَحسَنَ من الله حكماً لقوم يوقنون فللوقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز _ بإيقانه _ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين _عقلاً وشرعاً _ اتباعه.

واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل.

﴿١٥ ــ ٥٣﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين كيرشد تعالى عباده المؤمنين حين بين لهم أحوال اليهود والنصاري وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء. فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدأ على مَنْ سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون

بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئاً على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا مَنْ هو مثلهم، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يتولهم منكم فإنه منهم﴾ لأن التولي

يتولهم منكم فإنه منهم لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم. والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً، حتى يكون العبد منهم.

﴿إِنَ اللهُ لا يهدي القوم الظالمين ﴾

أي: الذين وصفهم الظلم، وإليه يرجعون، وعليه يعولون. فلو جنتهم بكل آية ما تبعوك، ولا انقادوا لك. ولما نهى الله المؤمنين عن توليهم، أخبر أن ممن يدعى الإيمان طائفة تواليهم، فقال: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ونفاق، وضعف إيمان، يقولون: إن تولينا إياهم للحاجة، فإننا ﴿نخشى أن تصيبنا دائىرة ﴾ أي: تكون الدائرة لليهود والنصاري، فإذا كانت الدائرة لهم، فإذا لنا معهم يد يكافؤوننا عنها، وهذا سوء ظن منهم بالإسلام، قال تعالى _ راداً لظنهم السييء ..: ﴿ فعسى الله أن يأتى بالفتح الذي يعز الله به الإسلام على اليهود والنصاري، ويقهرهم السلمون ﴿أُو أمر من عنده ﴾ ييأس به المنافقون من ظفر الكافرين من اليهود وغيرهم ﴿فيصبحوا على ما أسروا﴾ أي: أضمروا ﴿في أنفسهم نادمين﴾ على ماكان منهم وضرهم بلا نفع حصل لهم، فحصل الفتح الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين، وأذل به الكفر والكافرين، فندموا وحصل لهم من الغم ما الله به عليم.

ويقول الذين آمنوا متعجبين من حال هؤلاء الذين في قلوبهم مرض: فأهؤلاء الذين في قلوبهم مرض: أيمانهم إنه جهد أيمانهم إنهم لمعكم أي: حلفوا وأكدوا حلفهم، وغلظوه بأنواع التأكيدات: إنهم لمعكم في الإيمان، وما يلزمه من النصرة والمحبة والموالاة، ظهر ما أضمروه، وتبين ما أسروه، وصار كيدهم الذي كادوه، وظنهم الذي ظنوه بالإسلام وأهله _باطلا،

فبطل كيدهم وبطلت ﴿أعمالهم﴾ في الدنيا ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ حيث فاتهم مقصودهم، وحضرهم الشقاء والعذاب.

﴿٤٥﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ يخبر تعالى أنه الغني عن العالمين، وأنه مَنْ يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه. وأن لله عــبــادأ مخــلــصــين، ورجــالأ صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافاً، وأقواهم نفوساً، وأحسنهم أخلاقاً، أجل صفاتهم أن الله ﴿ يُسبهم ويحبونه ﴾. فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضّيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبداً يسرله الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لا بدأن يتصف بمتابعة الرسول على ظاهراً وباطناً، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَتَمْ عَبُونَ اللهُ فَاتَبْعُونِي يُجْبِكُمُ اللهُ﴾.

كما أن من لازم (١٠ عبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي على المديث الصحيح عن الله: ﴿وَمَا تَقْرِب إِلَّي عبدي بشيء أحب إلَّي عما افترضت عليه، ولا يزال [عبدي] يتقرب إلَّي بالموافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، يبطش بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعطينه، ولئن استعاذني

ولما مدحهم تعالى بما منّ به عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه منّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء والله واسع عليم﴾ أي: قد عمت رحمته كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون أوليائه من فضله، ما لا يكون

لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق

الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل

رسالته أصلاً وفرعاً.

﴿٥٥ ــ ٥٦﴾ ﴿إنــمــا وليكــم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله.والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصاري وغييرهم، وذكر مال توليهم أنه الخسران المبين، أخبر تعالى مَنْ يجب ويستعين تـوليه، وذكـر فـائـدة ذلـك ومصلحته فقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله ﴾. فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى. فكل مَنْ كان مؤمناً تقياً كـان لله ولياً، ومَـنْ كـان ولياً لله فـهـو ولي لرسوله، ومَنْ تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولي مَنْ تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهرأ وباطناً، وأخلصوا للمعبود، بإقامتهم المصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم.

وقوله: ﴿وهم راكعون﴾ أي: خاضعون شه ذليلون. فأداة الحصر في قوله: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم.

ثنم ذكر فائدة هذه الولاية فقال: ﴿ومَن يتول الله ورسوله والذين آمنوا

الْمُ اللّهُ مَا صَافَا غَفُون مِن الْمُ الْكُودُو الْمَدُوا لِمَادُوا لِمَاكُونُوا الْمُعُوا مِن اللّهُ الْمُتَا مَا مَا مَا مُعْمَدُ الْمُعْمِدُونَ هِي وَقَالَوْنَ وَفِهُوا عَلَى الْمُعْمِدُ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهُ ال

فإن حزب الله هم الغالبون أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَدْنَا لَهُمُ الْعَالَبُونَ ﴾ الغالبون ﴾ .

۞ وَإِن كَانَكُمُرُعَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِن أَسْتَطَمَّتَ أَنْ بَتْنَعِيَ

تَعَفَافِ ٱلْأَرْضِ أَوْسُلُمُمَافِ ٱلسَّمَلَةِ مَثَالِيَهُم بِعَلِيَةً وَلَوْسَكَةَ اللَّهُ

لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَيْ فَكَ الْخُونَ مِنَ الْمُهَامِينَ ٥

DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF

وهذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره، الغلبة والانتصار، ومَنْ أصدق من الله قللاً.

﴿٧٥ _ ٥٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوأ ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين * وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوأ ولعبأ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون اينهي عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصاري ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون لهم (۱^{۱)} أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم، وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امتشال أوامره واجتناب زواجره مما ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جداً، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومَنْ أحسب الله أكسسر من ذكسره، وإذا أحب الله عبداً قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل.

ومن صفاتهم أنهم ﴿ أَذَٰكُ عَلَى

المؤمنين أعزة على الكافرين، فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولةً جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لأياته، المكذبين لرسله _أعزة قد أجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال تعالى: ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكَفَّارِ رَحْمَاءُ بِينْهُمَ﴾ فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.

﴿ يَاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، بأقوالهم وأنفسالهم ، وأنفالهم وأنفالهم ولا يخافون لومة لائم به بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم وعزائمهم ، فإن ضعيف القلب ضعيف القلب ضعيف اللائمين ، وتنفتر قوته عند لوم العاذلين . وفي قلوبهم تعبد لغير الله ، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله ، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله ، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله ،

وعبد الطاغوت أولئك شر مكانأ وأضل عن سواء السبيل * وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا یکتمون * وتری کثیرا منهم بسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإث وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يستعون أي: ﴿قل الها الرسول: ﴿يا أهل الكتاب﴾ ملزماً لهم، إن دين الإسلام هو الدين الحق، وإن قدحهم فيه قدح بأمر ينبغي المدح عليه: ﴿ هُلُ تَنقُمُونَ مِنَا إِلَّا أَنَّ آمَنَا بِاللَّهُ وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴿ أي: هل لنا عندكم من العيب إلا إيماننا بالله، وبكتبه السابقة واللاحقة، وبأنبيائه المتقدمين والمتأخرين، وبأننا نجزم أن مَنْ لم يؤمن كهذا الإيمان فإنه كافر فاسق؟

فهل تنقمون منا بهذا الذي هو أوجِب الواجبات على جميع المكلفين؟!! ومع هذا فأكثركم فاسقون، أي: خارجون عن طاعة الله، متجرئون على معاصيه، فأولى لكم _أيها الفاسقون _ السكوت، فلوكان عيبكم وأنتم سالمون من الفسق، وهيهات ذلك ــ لكان الشر أخف من قدحكم فينا مع فسقكم.

ولما كان قدحهم في المؤمنين يقتضي أنهم يعتقدون أنهم على شر، قال تعالى: ﴿قُلُ لَهُم مُحْبِراً عِن شَنَاعَةً مَا كَانُوا عليه: ﴿ هِلِ أَنْبِنُكُم بِشُر مِنْ ذَلِكُ ﴾ الذي نقمتم فيه علينا، مع التنزل معكم، ﴿مَنْ لَعنه الله ﴾ أي: أبعده عن رحمته ﴿وغضب عليه﴾ وعاقبه في الدنيا والآخرة ﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) وحو الشيطان، وكل ما عُبدَ من دون الله فهو طاغوت. ﴿أُولِنْكُ﴾ الذكورون بهذه الخصال القبيحة ﴿شر مكاناً﴾ من

المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم،

ورضي الله عنهم وأثابهم في الدنيا

والآخرة، لأنهم أخلصوا له الدين.

﴿ ٥ ــ تفسير سورة المائدة عليه وجعل منهم القردة والخنازير

MOSSIGN IN EGREEN تدعوهم إلى معاداتهم، وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزواً ولعباً، واحتقاره واستصغاره، خصوصاً الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزوأ ولعبأ، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها

إِنَّا يَسْتَجِبُ الَّذِيكَ يَسْمَعُونَ وَالْوَنَ يَعْمُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ

يُرْحَقُونَ ۞ وَقَالُواْ لَوْلَانُزِلَ عَلَيْهِ ءَالِيَّةٌ مِنْ زَيَةٍ عَقَلِ إِنَّ

أَفَّةَ قَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يُغَرِلَ مَائِمةً وَلَكِنَّ أَكُمُ وَكُولُ الْمِقْدُونَ ﴿

وَمَايِن ذَاتَبَ وَفِ ٱلْأَرْضِ وَلَاحَلَيْهِ يَعِلِيمُ بِعَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةً أَمَّنْ ٱلْكُر

مَّا فَرَّهَا نَافِ ٱلْكِئْكِ مِن شَيْءُ ثُرَّ إِلَّا رَبِهِ مُحْشَرُونَ ﴿

وَالَّذِيكِ لَمَّ فِواْمِنَا لِنَيْنَاصُمُّ وَمُحْكُمٌ فِي ٱلظُّلُنَةُ مَن يَشَكِّ

ٱللَّهُ يُصْلِلْهُ وَمَن دِسَا أَجَعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطِرِ مُسْتَقِيمٍ ۞ قُلْ أَرْمَيْنَكُو

إِنْ أَتَكُمُ عَنَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْ حَكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَا لَهَ يَدْعُونَ

إِن كَنْتُدُمُ لَدِ فِينَ ۞ مَلْ إِيَاهُ مُذَعُونَ فَيَكَيْنِفُ مَا مَذَعُونَ إِلَيْعِ إِن شَكَآءَ وَمَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهُمْ

مِن مَنْكِ فَأَخَذْنَهُم وَالْبَأْسَآةِ وَالطِّنَّزَآهِ لَسَلَّهُمْ يَصَنَّرَعُونَ

@ فَلْوَلْآ إِذْ جَالَة هُرَبَأْسُنَا مَفَرَّعُواْ وَلَكِنَ فَسَتْ فَلُومُهُمْ

وَزَيْنَ لَهُمُ ٱلشَّنِكُنُ مَا كَانُواْ مِسْكُونَ ۞ مَكْنَا

نَسُواْ مَادُ سِيَّرُواْ بِهِ وَتَحْسَاعَلَيْهِ مِنْ أَوْرَبُ كُلِ شَيْ وَحَقَّ

إِنَا فَيَرِحُواْ يَمَا أُوقُوا أَخَذَنْهُمْ بَفْتَةً فَإِذَاهُم مُثْلِمُونَ ٩

فإذا علمتم _أيها المؤمنون _حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فمن لم يعادهم بعد هذا دل على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية

فكيف تدعى لنفسك ديناً قيماً، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بموالاة مَنْ اتخذه هزواً ولعباً، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟!

وهذا فيه من التهييج على عداوتهم ما هو معلوم لكل مَنْ له أدنى مفهوم. ﴿٥٩ - ٦٣﴾ ﴿قل يا أمل الكتاب

هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثر كم فاسقون * قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب

وهذا النوع من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه وكذلك قوله: ﴿ وأضل عن سواء السبيل ﴾ أي: وأبعد عن قصد السبيل.

﴿ وَإِذَا جَاؤُوكُم قَالُوا آمِنًا ﴾ نفاقاً ومكراً ﴿وَ ﴾ هم ﴿قددخلوا ﴾ مشتملين على الكفر ﴿وهم قد خرجوا به﴾ فمدخلهم ومخرجهم بالكفر ــ وهم يزعمون أنهم مؤمنون، فهل أشر من هؤلاء وأقبح حالاً منهم؟!!

﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون فيجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها.

ثم استمر تعالى يعدد معايبهم، انتصاراً لقدحهم في عباده المؤمنين، فقال: ﴿وترى كثيراً منهم﴾ أي: من اليهود ﴿يسارعون في الإثم والعدوان﴾ اي: يحرصون، ويبادرون المعاصى المتعلقة في حق الخالق والعدوان على

﴿وأكلهم السحت﴾ الذي هو الحرام. فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يضعلون ذلك، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه، وهذا يدل على خبثهم وشرِهم، وأن أنفسهم مجبولة على حب المعاصي والظلم. هذا وهم يدعون لأنفسهم المقامات العالية. ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ وهذا في غاية الذم لهم والقدح فيهم.

﴿لُولًا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت﴾ أي: هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين مَنَّ الله عليهم بالعلم والحكمة _عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر ﴿لبنس ما كانوا يصنعون،

﴿ ٦٤ - ٦٦﴾ ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما ﴿ويسعون في الأرض فساداً أي : يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض، بعمل المعاصي، والدعوة إلى دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام ﴿والله لا يحب المفسدين ﴾ بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم على ذلك [ثم قال تعالى].

ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم وهذا من كرمه وجوده، حيث ذكر قبائح أهل الكتاب ومعايبهم وأقوالهم الباطلة، دعاهم إلى التوبة، وجميع رسله، واتقوا الماصي، لكفر عنهم سيئاتهم ولو كانت ما كانت، ولأدخلهم جنات النعيم التي فها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ﴾ أي: قاموا بأوامرهما ونواهيهما، كما ندنهم الله وحثهم.

ومن إقامتهما الإيمان بما دعيا إليه، من الإيمان بمحمد الله وبالقرآن، فلو قاموا بهذه النعمة العظيمة التي أنزلها ربهم إليهم، أي: لأجلهم وللاعتناء بهم ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهمم أي: لأدر الله عليهم

ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من الإحسان، ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان من كل النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يأرون في دفع المكاره، وتبارك مَنْ لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وتعالى مَنْ لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده.

وقبّح الله مَنْ استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة، ونحوهم عمن حاله كحالهم ببعض قولهم، لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالى يحلم عنهم،

ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم. وقوله: ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما

أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً . وهذا أعظم العقوبات على العبد (٢)، أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، المذي فيه حياة القلب والمروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام لله هذا زيادة غي إلى غيه، وطغيان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعاما، ومعارضته لها بالشبه الباطلة.

والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يسوم القيامة فلا يتآلفون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل لم يزالوا متباغضين في قلوبهم، متعادين بأفعالهم إلى يوم القيامة (كلما أوقدوا ناراً للحرب ليكيدوا بها الإسلام وأهله، وأبدوا وأعادوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم وأطفاها الله بخذلانهم وتفرق جنودهم، وانتصار المسلمين عليهم.

أوقدوا نباراً للحرب أطفاها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين * ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يخبر تعالى عن مقالة اليهود الشنيعة، وعقيدتهم الفظيعة، فقال: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ أي: عن الخير والإحسان والبر.

﴿ فلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ وهذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم. فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقاً عليهم.

المحادوا البحل الناس وافلهم وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي. ولهذا قال: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم.

فيداه (١) سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرار، يفرج كرباً، ويزيل غماً، ويغني فقيراً، ويغيب ويفك أسيراً ويجبر كسيراً، ويجيب سائلاً، ويعطي فقيراً عائلاً، ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين. وينعم على مَنْ لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصياً، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر، ويجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل ويثيبهم عليها من الثواب العاجل

⁽۱) في ب: فيده.

⁽٢) في ب: وهذا أعظم من العقوبات على العبد.

CA CENTER SERVE وَكُذَلِكَ مَنْنَا بِنَصْنَهُم يَنْضِر لِيَكُولُواْ أَمْنَوُلَا مِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ دِينَ بَيْنِكُ ٱلْيَسَ اللَّهُ مُأْعَلَرُ بِٱلنَّاكِينَ ﴿ وَلِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِيكَ يُوْمِنُوكَ بِعَائِلَتِنَا فَقُلْ سَلَامً عَلَيْكُمُ مُكُنَّ رَيَّكُمْ عَلَىٰ فَفْسِ وَالرَّحْ مَةَ أَنَّهُ مِنْ عَكِيلَ مِن كُمْ مُوَاً جِهَالَةِ رُبُّ تَأْبُ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَمَ فَأَنَّهُ عَنُورٌ زَّجِيدٌ ٨ وَكُمْتَالِكَ مُنْصَلُ ٱلْآئِلَتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَكِيلُ ٱلْحُدرِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّي نَهُيتُ أَنْ أَعْبُ ٱلَّذِيزِكَ تَدْعُونِكِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُلْ لَّا أَنَّيْهُ أَهْوَاءَكُوْ مَذْصَلَكَ إِذَا وَمَا أَنَافِينَ ٱلْهُنَدِينَ ۞ قُلْ إِنِّ عَلَىٰ يَيْنَدُونِ رَّفِ وَكَ ذَّبْتُم بِيُّهُ مَاعِدُ وَمَا تَسْتَعْجِلُونَ بِيِّتِهِ إِنْ لَلْمُسْتُمُ إِلَّا يَقْوَيَهُمُّ ٱلْحَقِّ وَهُوَخِيرُ ٱلْفَصِيلِينَ ﴿ قُلَالَوْآتَ عِندِى مَانَتَ مَعْدِلُونَ بِهِ لَقُعِينَ ٱلْأَثْرُبُنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعَلَمُ وَاللَّهُ أَعَدُمُ إِلْفَالِمِينَ ۞ • وَعِندَهُ مَفَى اعْ الْغَيْبِ لَا يَسْلَمُهُ آ إِلَّاهُوُّ وَيَعْدَدُمَا فِ الْبَرِّ وَٱلْبَحْدُ وَمَانَسْفُطُ مِن وَدَقَكَةٍ إِلَّايَسْ لَمُهَا وَلَاحَتِكَ وَفِي

ظُلُنَتِ ٱلْأَرْضِ وَلَارَظْبِ وَلَا بَابِسِ إِلَّافِي حِسَّنِيمَ بِينِ ﴾ TONOMIN MONEYO

الرزق، ولأمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض كما قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض♦.

﴿منهم أي: من أهل الكتاب ﴿أُمة مقتصدة ﴾ أي: عاملة بالتوراة والإنجيل، عملاً غير قوى ولا نشيط، ﴿وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ أي: والمسيء منهم الكثير. وأما السابقون منهم فقليل ما هم.

﴿٧٧﴾ ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين، هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لمأ أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه على من العقائد والأعمال والأقبوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر وبشر، ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين.

﴿وإن لم تفعل﴾أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك ﴿فما بلغت رسالته﴾ أي: فما امتثلت أمره.

﴿والله يعصمك من الناس، هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليّغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب

﴿ ٢٨ ﴾ ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزلَ إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين، أي: قل لأهل الكتاب، منادياً على ضلالهم، ومعلناً بباطلهم: ﴿لستم على شيء ﴾ من الأمور الدينية، فإنكم لا بالقرآن ومحمد آمنتم، ولا بنبيكم وكتابكم صدقتم، ولا بحق تمسكتم، ولا على أصل اعتمدتم ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل) أي: تجعلوهما قائمين بالإيمان بهما واتباعهما، والتمسك بكل ما يدعوان إليه.

﴿ وَ ﴾ تقيموا ﴿ما أنزل إليكم من ربكم الذي رباكم، وأنعم عليكم، وجعل أجلِّ إنعامه، إنزال الكتب إليكم. فالواجب عليكم، أن تقوموا بشكر الله، وتلتزموا أحكام الله، وتقوموا بما حملتم من أمانة الله وعهده .

﴿ وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً، فلا تأس على القوم الكافرين،

﴿٦٩﴾ ﴿إِن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصاري من آمن بمالله واليوم الآخسر وعسمسل صمالحمأ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يخبر تعالى عن أهل الكتب (١١)، من أهل

القرآن والتوراة والإنجيل، أن سعادتهم ونجاتهم في طريق واحد، وأصل واحد، وهُو ٱلإيمان بالله واليوم الآخر [والعمل الصالح](٢). فمَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر، فله السنجاة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من الأمور المخوفة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا منها. وهذا الحكم المذكور يشمل سائر الأزمنة.

﴿٧١_٧١﴾ ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كُذْبُوا وفريقاً يقتلون * وحسبواً ألاتكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثي منهم والله بصير بما يعملون، يقول تعالى: ﴿لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ﴾ أي: عهدهم الثقيل بالإيمان ا بالله، والقيام بواجباته التي تقدم الكلام عليها في قوله: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً ﴾ إلى آخر الآيات ﴿وأرسلنا إليهم رسلا﴾ يتوالون عليهم بالدعوة، ويتعاهدونهم بالإرشاد، ولكن ذلك لم ينجع فيهم، ولم يفد ﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم، من الحق كذبوه وعاندوه، وعاملوه أقبح المعاملة ﴿ فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، وحسبوا أن لا تكون فتئة ﴾ أي: ظنوا أن معصيتهم وتكذيبهم لايجر عليهم عذاباً ولا عقوبة، فاستمروا على باطلهم. ﴿فعموا وصموا﴾ عن الحق ﴿ ثُم ﴾ نعشهم و ﴿ تابِ الله عليهم ﴾ حين تابوا إليه وأنابوا ﴿ثُمُ لَمُ يُستمرُوا على ذلك حتى انقلب أكثرهم إلى الحال القبيحة . ﴿فعموا وصموا كثير منهم﴾ بهذا الوصف، والقليل استمروا على توبتهم وإيمانهم. ﴿والله بصير بما يعملون، فيجازي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

﴿٧٧ ـ ٧٥﴾ ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي

وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم * ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبلة الرسل وأمه صديقةً كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أني يؤفكون، يخبر تعالى عن كفر النصارى بقولهم: ﴿إِنَّ اللهِ هُو المُسيحِ ابنِ مريمٍ بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم في هذه الدعوى، وقال لهم: ﴿يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ فأثبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق.

﴿إنه مَنْ يشرك بالله احداً من المخلوقين، لا عيسى ولا غيره. ﴿فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له _ وهو العبادة الخالصة _ لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار.

﴿وما للظالمين من أنصار ﴾ ينقذونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم.

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث شلاثة ﴾ وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث شلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه القالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين (١٠)؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى ـرادا عليهم وعلى أشباههم ـ: ﴿
ووما من إله إلا إله واحد متصف

بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل معه إله غيره؟!! تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثم توعدهم بقوله: ﴿وَإِن لَم ينتهوا عَمّا يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ثم دعاهم إلى التوبة عمّا عباده فقال: ﴿ أَفَلا يتوبون إلى الله أي: يرجعون إلى ما يجبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد، وبأن عيسى عبد الله ورسوله، عمّا كانوا يقولونه ﴿ ويستغفرونه ﴾ عن ما صدر منهم ﴿ ويستغفرونه ﴾ عن ما صدر منهم التائبين، ولو بلغت عنان السماء، ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات.

وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو في غاية اللطف واللين في قوله: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهُ﴾.

ثم ذكر حقيقة المسيح وأمه، الذي هو الحق، فقال: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ أي: هذا غايته ومنتهى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم، تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية.

﴿وأمه ﴾ مريم ﴿صديقة ﴾ أي: هذا أيضاً غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء. والصديقية، هي العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح. وهذا دليل على أن مريم لم تكن نبية، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبية، لأن الله تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين، في الرجال كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا

رجالاً نوحي إليهم . فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة، فلأي: شيء اتذهما النصارى إلهين مع الله؟

وقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام ﴾ دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغنى الحميد.

ولما بين تعالى البرهان قال: ﴿انظر كيف نبين لهم الآيات﴾ الموضحة للحق، الكاشفة لليقين، ومع هذا لا تفيد فيهم شيئاً، بل لا يزالون على إفكهم وكذبهم وافترائهم، وذلك ظلم وعناد منهم.

﴿٧٦﴾ ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرأ ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾ أي: ﴿قل﴾ لهم أيها الرسول: ﴿أتعبدون من دون الله من المخلوقين الفقراء المحتاجين، ﴿من لا يسملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾ وتدعون من انفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع، ﴿والله هو السميع ﴾ لجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

والعليم بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة، والأمور الماضية والمستقبلة، فالكامل تعالى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له المدن.

﴿٧٧ ـ ٨١﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل * لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن

سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون في يقول تعالى لنبيه على : ﴿ قتل يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك كقولهم في المسيح، ما تقدم حكايته عنهم.

وكغلوهم في بعض المشايخ، اتباعاً لـ ﴿أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ أي: تقدم ضلالهم.

﴿وأضلوا كثيراً ﴾ من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين، الذين هم عليه. ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ أي: قصد الطريق، فجمعوا بين الضلال والإضلال، وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة، ثم قال تعالى: ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾ أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله ﴿على لسان داود وعيسى ابن مريم اي: بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم، وعاندوها. ﴿ذَلِكُ الْكُفُرُ وَاللَّعِنْ ﴿ بِمَا عَصُوا وكانوا يعتدون﴾ أي: بعصيانهم له، وظلمهم لعباد الله، صار سبباً لكفرهم وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات.

ومن معاصيهم التي أحلت بهم المثلات، وأوقعت بهم العقوبات أنهم: ﴿ كَانُوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضاً، فيشترك بذلك المباشر وغيره، الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك.

وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولخضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر _مع القدرة _موجباً للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة: منها: أن مجرد السكوت، فعل

معصية، وإن لم يباشرها الساكت. فإنه _ كما يجب اجتناب المعصية _ فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية.

ومنها: ما تقدم أنه يدّل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها.

ومنها: أن ذلك يجرىء العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أولاً.

ومنها: أن _ في ترك (۱) الإنكار للمنكر _ يندرس العلم، ويكشر الجهل، فإن المعصية _ مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها _ يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي: مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرّم الله، ورؤية الباطل حقاً؟!!

ومنها: أن السكوت (٢) على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبنى جنسه، ومنها ومنها.

فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم.

﴿لَٰبِئُس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾ بالحبة والموالاة والنصرة.

﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ﴾ هذه البضاعة الكاسدة، والصفقة الخاسرة، وهي سخط الله الذي يسخط لسخطه كل شيء، والخلود الدائم في العذاب العظيم، فقد ظلمتهم أنفسهم حيث قدمت لهم هذا النزل غير الكريم، وقد ظلموا أنفسهم إذ فوتوها

(۲) كذا في ب، وفي أ: السكوت.

النعيم المقيم.

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾. فإن الإيمان بالله وبالنبي وما أنزل إليه، يوجب على العبد موالاة ربه، وموالاة أولياته، ومعاداة مَنْ كفر به وعاداه، وأوضع في معاصيه، فشرط ولاية الله والإيمان به، أن لا يتخذ أعداء الله أولياء، وهؤلاء لم يوجد منهم الشرط، فدل على انتفاء المشروط. ﴿ولكن كثيراً فدل على انتفاء المشروط. ﴿ولكن كثيراً منهم فاسقون ﴾ أي: خارجون عن طاعة الله والإيمان به وبالنبي. ومن فسقهم موالاة أعداء الله.

ثم قال تعالى :

معاوي المدان الله الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين أمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم منهم قسيسين ورهباناً وأنهم الإيستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * والذبم الله بما قالوا جنات تجري من أختها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين * والذين كفروا وكذبوا بياتنا أولئك أصحاب الجحيم *.

يقول تعالى في بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين، وإلى ولايتهم ومجبتهم، وأبعدهم من ذلك: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾. فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعياً في إيصال الضرر إليهم، وذلك لشدة بغضهم لهم، بغياً وحسداً وعناداً وكفراً.

﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ وذكر تعالى لذلك عدة أسباب:

منها: أن ﴿منهم قسيسين ورهباناً﴾ أي: علماء متزهدين، وعُبّاداً في

⁽١) كذا في ب، وفي أ: أن في ترك.

الصوامع متعبدين. والعلم مع الزهد وكذلك العبادة مما يلطف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة المشركين.

ومنها: ﴿أنهم لا يستكبرون﴾ أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر.

ومنها: أنهم ﴿إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول عمد به أثر ذلك في قلوبهم وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه، فلذلك آمنوا وأقروا به فقالوا: ﴿ربنا عمد الشاهدين وهم أمة عمد بالرسالة وصحة ما جاؤوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب.

وهم عدول، شهادتهم مقبولة، كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. فكأنهم ليموا على إيمانهم ومسارعتهم فيه، فقالوا: ﴿وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا يمنعنا من الإيمان بالله، والحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك والريب، ونحن إذا آمنا واتبعنا الحق طمعنا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأي: مانع يمنعنا؟ المقوم الصالحين، فأي: مانع يمنعنا؟ الميسارعة والانقياد للإيمان وعدم التخلف عنه.

قال الله تعالى: ﴿فَاتَابِهِم الله بِما قالوا ﴾ أي: بما تفوهوا به من الإيمان ونطقوا به من التصديق بالحق ﴿جنات بجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاء المحسنين ﴾. وهذه الآيات نزلت في النصارى الذين آمنوا بمحمد ﷺ، كالنجاشي وغيره ممن آمن منهم. وكذلك لا يزال يوجد فيهم

مَنْ يختار دين الإسلام، ويتبين له بطلان ما كانوا عليه، وهم أقرب من اليهود والمشركين إلى دين الإسلام.

ولما ذكر ثواب المحسنين، ذكر عقاب المسيئين قال: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ لأنهم (١) كفروا بالله، وكذبوا بآياته المبينة للحق.

﴿٨٨ ـ ٨٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يجب المعتدين * وكلوا عما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ يقول تعلى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ من المطاعم والمشارب، فإنها نِعَم أنعم الله بها والمكروه ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراماً خبيثاً، فإن هذا من الاعتداء.

والله قد نهى عن الاعتداء فقال: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك.

ثم أمر بضد ما عليه المشركون، النين يحرمون ما أحل الله فقال: ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ أي: كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم، بما يسره من الأسباب، إذا كان حلالاً أنواع الأموال التي تؤخذ بغير حق، أنواع الأموال التي تؤخذ بغير حق، وكان أيضاً طيباً، وهو الذي لا خبث فيه، فخرج بذلك الخبيث من السباع والخبائث.

﴿واتقوا الله ﴿ في امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه . ﴿ الذي أنتم به مؤمنون ﴾ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراعاة حقه ، فإنه لا يتم إلا بذلك . ودلت الآية الكريمة على أنه إذا حرم حلالاً عليه ، من طعام

وشراب، وسرية وأمة، ونحو ذلك، فإنه لا يكون حراماً بتحريمه، لكن لو فعله فعليه كفارة يمين، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي لَمْ تَحْرِم ما أَحْلِ الله لك﴾ الآية. إلا أن تحريم الزوجة فيه كفارة ظهار، ويدخل في هذه الآية أنه لا ينبغي للإنسان أن يتجنب الطيبات ويحرمها نفسه، بل يتناولها مستعيناً بها على طاعة ربه.

﴿٨٩﴾ ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ (٢) أي: في أيمانكم التي صدرت على وجه اللغو، وهي الأيمان التي حلف بها المقسم من غير نية ولا قصد، أو عقدها يظن صدق نفسه، فبان بخلاف ذلك. ﴿ولكن يؤاخذكم عليه، وعقدت عليه قلوبكم. كما قال في الآية الأخرى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ ﴿فكفارته﴾ أي: كفارة اليمين الذي عقدتموها بقصدكم إطعام عشرة مساكين﴾.

وذلك الإطعام ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ﴾ أي: كسوة عشرة مساكين، والكسوة هي التي تجزىء في الصلاة. ﴿أو تحرير رقبة ﴾ أي: عتق رقبة مؤمنة كما قيدت في غير هذا الموضع، فمتى فعل واحداً من هذه الثلاثة فقد انحلت يمينه. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدَ ﴾ واحداً من هذه الثلاثة ﴿فَصِيام ثلاثة أيام ذلك ﴾ المذكور ﴿كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾ تكفرها وتحوها وتمنع من الإثم.

وواحفظوا أيمانكم وعن الحلف بالله كاذباً، وعن كشرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيراً، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير.

﴿كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ المبينة للحكام. ﴿لعلكم تشكرون ﴾ الله حيث علمكم ما لم تكونوا تعلمون. فعلى العباد شكر الله تعالى على ما من به عليهم، من معرفة الأحكام الشرعية والميسر، ليوقع بين المؤمنين العداوة وتبيينها .

> ﴿٩١ ــ ٩١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. ﴿فاجتنبوه أي: اتركوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرّم الله، خصوصاً هذه الفواحش المذكورة وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره والميسر، وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب، التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما ينصب ويعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفاسدها الداعية إلى تركها واجتنابها. فمنها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن نجسة

> والأمور الخبيثة مما ينبغى اجتنابها وعذم التدنس بأوضارها .

ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان.

ومن المعلوم أن العدو يحذر منه، وتحذر مصايده وأعماله، خصوصاً الأعمال التي يعملها ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحرم كل الحرم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر منها، والحوف من الوقوع فيها.

ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور مانعة من الفلاح ومعوقة له .

ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصاً الخمر

والبغضاء.

فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصاً إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأُخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء.

ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والمسر، يصدانه عن ذلك أعظم صد، ويشتغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضى عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو.

فأي: معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصدعن ذكر الله وعن الصلاة؟!! فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها؟!!

ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، عرضاً بقوله: ﴿فَهُلُ أَنتُم مُنتَهُونَ﴾ . لأن العاقل _إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد ـ انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ.

﴿ ٩٢﴾ ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين، طاعة الله وطاعة رسوله واحدة، فمَنْ أطاع الله فنقند أطاع النوسنول، ومَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله. وذلك شامل للقيام بما أمر الله به ورسوله من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، الواجبة والمستحبة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق خلقه، والانتهاء عما نهي الله ورسوله عنه كذلك.

وهذا الأمر أعم الأوامر، فإنه كما تری یدخل فیه کل أمر ونهی، ظاهر وباطن، وقوله: ﴿واحذروا﴾ أي: من معصية الله ومعصية رسوله، فإن في ذلك الشر والخسران المبين. ﴿فَإِنَّ توليتم﴾ عمّا أمرتم به ونهيتم عنه. ﴿فَاعِلْمُوا أَنْمَا عَلَى رَسُولُنَا البِّلاغُ المبين ، وقد أدى ذلك . فإن اهتديتم فلأنفسكم، وإن أسأتم فعليها، والله هو الذي يحاسبكم، والرسول قد أدى ما عليه وما حمل به.

﴿ ٩٣﴾ ﴿ليس على اللذيس آمسوا وعملوا الصالحات جناخ فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين، لما نزل تحريم الخمر والنهي الأكيد والتشديد فيه، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر وهم يشربونها.

فأنزل الله هذه الآية، وأخبر تعالى أنه ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح﴾ أي: حرج وإثم ﴿فيما طعموا﴾ من الخمر والميسر قبل تحريمهما.

ولما كان نفى الجناح يسمل المذكورات وغيرها، قيد ذلك بقوله: ﴿إِذَا مِنَا اتَّتَقَّبُوا وآمنُوا وعَسَمُلُوا الصالحات أي: بشرط أنهم تاركون للمعاصى، مؤمنون بالله إيماناً صحيحاً، موجباً لهم عمل الصالحات، ثم استمروا على ذلك. وإلا فقد يتصف العبد بذلك في وقت دون آخر . فلا يكفى حتى يكون كذلك حتى يأتيه أجله، ويدوم على إحسانه، فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد، ويدخل في هذه الآية الكريمة، من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، واتقى وآمن وعمل صالحاً، فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في

﴿ 98 _ 97 ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله

أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام * أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعأ لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ هذا من منن الله على عباده، أن أخبرهم بما سيفعل قضاء وقدراً، ليطيعوه ويقدموا على بصيرة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، فقال تعالى:

أيديكم ورماحكم اي: تتمكنون من صيده، ليتم بذلك الابتلاء، لا غير مقدور عليه بيد ولا رمح، فلا يبقى للابتلاء فائدة.

ثم ذكر الحكمة في ذلك الابتلاء، فقال: ﴿ليعلم اللهُ علماً ظاهراً للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب ﴿من يخافه بالغيب﴾ فيكف عما نهى الله عنه مع قدرته عليه وتمكنه، فيثيبه الثواب الجزيل عمن لا يخافه بالغيب، فلا يرتدع عن معصية تعرض له فيصطاد ما تمكن منه ﴿فَمَن اعتدى ﴾ الحجج، وأوضح السبيل. ﴿فله عذاب

وعدم حضور الناس عنده. وأما إظهار

مخافة الله عند الناس، فقد يكون ذلك،

﴿يا أيها الذينُّ آمنوا﴾ لا بد أن يختبر الله إيمانكم . ﴿ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ أي: بشيء غير كثير، فتكون محنة يسيرة، تَخَفيفاً منه تعالى ولطفاً، وذلك الصيد الذي يبتليكم الله به ﴿تناله

منكم ﴿بعد ذلك﴾ البيان، الذي قطم

أليم﴾ أي: مؤلم موجع، لا يقدر على وصفه إلا الله، لأنه لا عذر لذلك المعتدي، والاعتبار بمن يخافه بالغيب،

لأجل مخافة الناس، فلا يشاب على

ثم صرح بالنهي عن قتل الصيد، في حال الإحرام، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حسرم ﴾ أي: محسرمسون فسي الحسج والعمرة، والنهي عن قتله يشمل النهي عن مقدمات القتل، وعن المشاركة في القتل، والدلالة عليه، والإعانة على قتله، حتى إن من تمام ذلك أنه ينهى المحرم عن أكل ما قتل أو صيد لأجله، وهذا كله تعظيم لهذا النسك العظيم، أنه يحرم على المحرم قتل وصيد ما كان حلالاً له قبل الإحرام.

وقوله: ﴿ومَنْ قتلهُ منكم متعمداً ﴾ أى: قتل صيداً عمداً ﴿ ف عليه ﴿جزاء مثل ما قتل من النعم ﴿ أي: الإبل، أو البقر، أو الغنم، فينظر ما يشبه شيئاً من ذلك، فيجب عليه مثله، يذبحه ويتصدق به. والاعتبار بالمماثلة أن ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ أي: عدلان يعرفان الحكم، ووجه الشبه، كما فعل الصحابة رضى الله عنهم، حيث قضوا بالحمامة شاة، وفي النعامة بدنة، وفي بقر الوحش _على اختلاف أنواعه _بَقرة، وهكذا كل ما يشبه شيئاً من النعم، ففيه مثله، فإن لم يشبه شيئاً ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المتلفات، وذلك الهدي لا بد أن يكونَ ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ أي: يذبح في

﴿ أُو كفارة طعام مساكين ﴾ أي: كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، أي: يجعل مقابلة المثل من النعم، طعام يطعم المساكين.

قال كثير من العلماء: يقوم الجزاء، فيشتري بقيمته طعام، فيطعم كل مسكين مُد بُرّ أو نصف صاع من غيره. ﴿أُو عدل ذلك ﴾ الطعام ﴿صياماً ﴾ أي: يصوم عن إطعام كل مسكين يوماً. ﴿ليذوق﴾ بإيجاب الجزاء المذكور عليه ﴿وبال أمره ﴾ ﴿ومَنْ عاد ﴾ بعد

وَهُوَالَّذِي يَنْوَفَّن كُم بِالَّيْلِ وَيَسْلَمُ مَا يَرْحَنُّهِ بِالنَّهَ الِنُّكُ ينعثُكُمْ مِدلِفُنَكَ أَحَلَّمُكُمُّ ثُوْلِكُ مِنْ حِنْكُمْ ثُرُيْنَتُكُمْ عَاكِسُمُ مَنْكُونَ ۞ وَهُوَٱلْقَامِمُ فَوْدَعِيادِهِ وَرُسِلُ عَلَنَكُ حَفَظَةً حَفَّا إِذَا بِيَّاءَ أَعَدُكُوا لَوْتُ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَيِّمُ لُونَ ۞ ثُرُّزُدُ وَاللَّا فَوَمُولَعُ مُلْفَيَّ أَلَا لَهُ ٱلْمُكُرُّهُ وَهُوَ أَشْرَعُ ٱلْحَسِيِينَ ۞ قُلْمَن يُنَجِيكُم مِن ظُلُسُتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْيِرِيَدْعُونِهُ تَضَرُّعَا وَخُفْيَحَةً لِّينَ أَنِحَلْنَا مِنْ هَلْذِهِ ء لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّلْحِينَ ﴿ قُلِ اللَّهُ بُنَيِّيكُمْ يَسْمَا وَمِن كُلِّحَدْبٍ ثُرَّأَتُ تُشَرِّكُونَ ۞ قُلْهُوَ ٱلْقَادِرُعَلَ ٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوْفِكُرُ أَوْمِن تَحْتِ أَرْجُلِكُرُ أَوْيَلْإِسَكَمُ مِثِيمًا وَيُنِيَّ بَسْنَكُمْ بَأْسَ بَسْنِينَ ٱنفُارَكِفَ نِصْرِفَ ٱلْأَيْلَتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۞ وَكَذَّتَ بِمِهَ وَمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّتَتْ عَلَيْكُمْ وَكِيلٍ۞ لِكُلِّيكُمْ مُسْتَقَرِّ فَكَنَوْنَ فَعَنَكُونَ ﴿ وَإِذَا زَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوسُونَ فِي َ ايَنتِنَا فَأَعْضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَغُونُ وأَفِ حَدِيثٍ عَكَيْرِهُ وَالْمَا يُسَيِنَّكَ ٱلشَّيْطَانُ فَلَا تَقَعُدُ مَّهُ دَ ٱلذِّكَرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ ۞ ONDION TO BEREEN

ذلك﴿فينتقم الله منه، والله عزيز ذو انتقام 🏶 .

وإنمانص الله على المتعمد لقتل الصيد، مع أن الجزاء يلزم المتعمد والمخطىء، كما هو القاعدة الشرعية _ أن المتلف للنفوس والأموال المحترمة، فإنه يضمنها على أي: حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق، لأن الله رتب عليه الجزاء والعقوبة والانتقام، وهذا للمتعمد. وأما المخطىء فليس عليه عقوبة، إنما عليه الجزاء، [هذا جواب الجمهور من هذا القيد الذي ذكره الله. وطائفة من أهل العلم يرون تخصيص الجزاء بالمتعمد وهو ظاهر الآية. والفرق بين هذا وبين التضمين في الخطأ في النفوس والأموال في هذا الموضع آلحق فيه لله، فكما لا إثم لا جزاء لاتلاف نفوس الآدميين وأموالهم](١).

ولما كان الصيد يشمل الصيد البري والبحري، استثنى تعالى الصيد البحري فقال: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴾ أي: أحل لكم _في حال إحرامكم _صيد البحر، وهو الحي من حيواناته وطعامه، وهو الميت منها، فدل ذلك على حل ميتة البحر . ﴿متاعاً لكم وللسيارة ﴾ أي: الفائدة في إباحته

ما بين القوسين زيادة من هامش أ، وجاء في هامش ب بدلاً منها بخط المؤلف: (هذا قول جمهور العلماء، والصحيح ما صرحت (1) به الآية أنَّه لا جزاء على غير المعتمد كما لا إثم عليه).

CA CHANGE 1 SOUR وَمَاعَلَ اللَّهِ بَ يَتَّقُوبَ مِنْ حِسَابِهِ مِينَ شَفَ وَوَلَكِن وْ صَمَا كَالْمُعْمَدُ مِنْ فُون ﴿ وَوَرِالَّذِي أَفِّى وَالَّذِي أَفِّى ذُولِينَا ثَمْ لَيْ اوَلَهُوا وَغَيَّهُمُ لَلْيُوهُ الذُّنْ الْوَيْ وَيَحْرِيهِ إِنَّ بُسَكِلَ نَفْنُ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ آمَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيمٌ وَان مَنْ وِلْ كُلُّ عَدْلِ لَا يُؤخَذُ مِنْهُ أَوْلَيْهِ لَالَّذِينَ أُمْسِلُوا عِاحَكُ وَأَلْمُ مُثَرَابُ مِنْ حَيدٍ وَعَذَابُ أَلِيدُ إِمَاحَافُواْ يَّكُمُرُونَ ۞ قُلْ أَنْمُعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَ وَلَا يَشْرُنَا وَثُرَدُّ عَلَىٰ أَعْمَىٰ إِنَاهِمْ لَهِ إِذْ هَدَسْنَا ٱللَّهُ كَالَّذِي ٱسْتَهُولَهُ ٱلشَّيَطِينُ فِٱلْأَرْضِ حَكِرانَ لَهُ وَأَصْحَبُ يَنْعُونَهُ وَإِلَى ٱلْهُدَى ٱلْمِنْكَ أَقُلُ إِنَّ هُدَى ٱلْقَوْهُوَ ٱلْمُدَدَّى وَأَمِنَا لِلْسَلِمَ لِهَتِ ٱلْمَدَلِمَةِ مِنْ ۞ وَأَنْ أَلْمَتِ مُوااَلْمَهَ كَوْءً وَانْتَقُوهُ وَهُوَالَّذِيِّ إِلَيْهِ تُعَثِّرُونَ ۞ وَهُوَالَّذِي خَكَّ السَّنَوْتِ وَالأَرْضَ إِلْمَيِّ وَيُوْمَ بِنُولُ كُن بَكُولٌ فَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْسُلَاتُ يَوْمَ يُنفَعُ فِ ٱلصُّورُ عَسُلِرُ ٱلْنَكِيْبِ وَٱلنَّهُ لَدَةً وَهُوَ ٱلْحَصِيدِ الْخَيِيرُ ۞ DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF

لكم أنه لأجل انتفاعكم وانتفاع رفقتكم الذين يسيرون معكم. ﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً ﴾. ويؤخذ من لفظ «الصيد» أنه لا بد أن يكون وحشياً، لأن الإنسي ليس بصيد. ومأكولاً، فإن غير المأكول لا يصاد ولا يطلق عليه اسم الصيد. ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ أي: اتقوه بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، واستعينوا فيجازيكم، هل قمتم بتقواه فيثيبكم فيعاقبكم؟

﴿٧٧ - ٩٩﴾ ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم * اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم * ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يجر تعالى أنه جعل ﴿ الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ . يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم ودنياهم ، فبذلك يتم إسلامهم ، وبه بقصده - العطايا الجزيلة ، والإحسان بقصده - العطايا الجزيلة ، والإحسان وتتقحم (١) حمن أجله - الأهوال .

ويجتمع فيه من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيوية.

قال تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ ومن أجل كون البيت قياماً للناس قال مَنْ قال من العلماء: إن حج بيت الله فرض كفاية في كل سنة. فلو ترك الناس حجه لأثم كل قادر، بل لو ترك الناس حجه لزال ما به قوامهم، وقامت القيامة.

وقوله: ﴿والهدي والقلائد﴾ أي: وكذلك جعل الهدي والقلائد ـ التي هي أشرف أنواع الهدي _ قياماً للناس، ينتفعون بهما ويثابون عليهما. ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأن الله بكل شيء عليم﴾.

فمن علمه أن جعل لكم هذا البيت الحرام، لما يعلمه من مصالحكم الدينية والدنيوية.

﴿اعلموا أن الله شديد المقاب وأن الله غفور رحيم أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والآجل على مَن عصاه، وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه من عقابه، والرجاء لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء.

ثم قال تعالى: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ وقد بلغ كما أمر، وقام بوظيفته وما سوى ذلك، فليس له من الأمر شيء. ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ فيجازيكم بما يعلمه تعالى منك.

﴿ ١٠٠﴾ ﴿ وَل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم عن المسر ومرغباً في الخيس: عن المسر ومرغباً في الخيس: ﴿ لا يستوي الخبيث والطيب ﴾ من كل سيء ، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا الطاعة والمعصية ، ولا أهل الجنة والأعمال الخبيثة والأعمال الخبار، ولا المال الحرام بالمال الحلال.

﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ فإنه لا ينفع صاحبه شيئاً، بل يضره في دينه ودنياه.

﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ﴿ فأمر أُولي الألباب ، أي : أهل العقول الوافية ، والآراء الكاملة ، فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب . وهم الذين يؤبه لهم ، ويرجى أن يكون فهم خير .

ثُم أُخبر أن الفلاح متوقف على التقوى التي هي موافقة الله في أمره ونهيه، فمَن اتقاه أفلح كل الفلاح، ومَنْ ترك تقواه حصل له الخسران وفاتته الأرباح.

﴿ ١٠١ ـ ٢٠١﴾ ﴿ ينا أيها النين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ ينهى عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء التي إذا بينت لهم ساءتهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بين للسائل لم يكن له فيه خير، وكسؤالهم للأمور غير الواقعة.

وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أحرجت الأُمة، وكالسؤال عما لا يعني، فهذه الأسئلة، وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السؤال الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهذا (١١ مأمور به، كما قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون♦.

﴿ وَإِن تَسَأَلُوا عِنْهَا حِينَ يِنْزُلُ القرآنِ تبد لكم أي: وإذا وافق سؤالكم محله فسألتم عنها حين ينزل عليكم القرآن، فتسألون عن آية أشكلت، أو حكم خفي وجهه عليكم، في وقت يمكن فيه نزول الوحي من السماء، تبد لكم، أي: تبين لكم وتظهر، وإلا فاسكتوا عمّا سكت الله عنه .

﴿عفا الله عنها﴾ أي: سكت معافياً لعباده منها، فكل ما سكت الله عنه فهو مما أباحه وعفا عنه. ﴿والله غفور حليم) أي: لم يزل بالمغفرة موصوفاً، وبالحلم والإحسان معروفاء فتعرضوا لمغفرته وإحسانه، واطلبوه من رحمته ورضوانه.

وهذه المسائل التي نهيتم عنها ﴿قد سألها قوم من قبلكم أي: جنسها وشبهها، سؤال تعنت لا استرشاد. فلما بينت لهم وجاءتهم وأصبحوا بها كافرين كما قال النبي عَيْقُوني الحديث الصحيح: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك مَنْ كان قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم».

﴿ ١٠٣ _ ١٠٤﴾ ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أُولُو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون مذا ذم للمشركين الذين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله، وحرموا ما أحله الله، فجعلوا بآرائهم الفاسدة شيئا من مواشيهم محرما، على حسب اصطلاحاتهم التي عارضت ما أنزل الله، فقال: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مَنْ بحيرة، وهي: ناقة يشقون أذنها، ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة.

﴿ وَلا سَائِبَةِ ﴾ وهي: ناقة، أو بـقـرة، أو شـاة، إذا بـلُـغـت شـيـئـأ اصطلحوا عليه، سيبوها فلا تركب ولا يحمل عليها ولا تؤكل، وبعضهم ينذر شيئاً من ماله يجعله سائبة.

﴿ولاحام) أي: جمل يحمى ظهره عن الركوب والحمل، إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم.

فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم، ولهذا قال: ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) فلا نقل فيها ولا عقل، ومع هذا فقد أعجبوا بآرائهم التي بنيت على الجهالة والظلم.

فبإذا دعـوا ﴿إِلَى مِنَا أُنْسُولُ اللهِ وَإِلَى الرسول) أعرضوا فلم يقبلوا، و ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين، ولو كان غير سديد، ولا ديناً ينجى من عذاب الله .

ولوكان في آبائهم كفاية ومعرفة ودراية لهان الأمر. ولكن آباءهم لا يعقلون شيئاً، أي: ليس عندهم من المعقول شيء، ولا من العلم والهدى

فتبألمن قلّد مَن لا علم عنده صحيح، ولا عقل رجيح، وترك اتباع ما أنزلَ الله، واتباع رسله الذي يملأ القلوب علماً وإيماناً وهدى وإيقاناً .

﴿ ١٠٥ ﴾ ﴿ يَا أَيُّنَا الَّذِينَ آمِنُوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعلمون القول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، أي: اجتهدوا في إصلاحها وكمالها وإلزامها سلوك الصراط المستقيم، فإنكم إذا صلحتم لا يضركم مَنْ ضل عن الصراط المستقيم، ولم يهتد إلى الدين القويم، وإنما يضر نفسه.

ولا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لا يضر العبد تركهما وإهمالهما، فإنه لا يتم هداه إلا

LE STEEL TO • وَإِذْ فَالَ إِن مِسِمُ لأَسِهِ مَا لَا أَنْتَغِذُ أَصْنَامًا مَا لِهَمَّ إِنَّ أَوْلُكُ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالِ مُبِينٍ ۞ وَكَذَالِكَ نُرِيَّ إِبْرَهِيدَ مَلَكُونَ السَّنَوْتِ وَٱلأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْوُفِيدِ ٥ فَلْنَاجَزَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَوَا كُوكَبًّا قَالَ هَلِنَا رَبُّ فَلْمُنَا أَلْكُلَّ أَلْكُلَّ أَلْكُلَّ قَالَ لَا أَحِثُ الْكَيْلِينَ ۞ فَلْمَارَةَ ٱلْفَصَرَ الْخَالَةَ عَالَ هَلْنَا رَبِّي فَلَتَّا أَفَكَ قَالَ لَهِن لَّرْيَهُدِنِ رَبِّ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْفَوْمِ ٱلْمَهِ آلِين ﴿ فَلْمَارَةُ ٱللَّهُ مُسَ بَانِفَ مُعَالَ هَا مُا اللَّهِ هَا نَآ أَحْتَ بَرُّفَ لَنَآ أَفَلَتْ قَالَ يَافَور إِنَّ بَسِيَّةٌ مِّمَا تُشْرِكُونَ ۞ إِنَّ وَحَفَتُ وَخِعِىَ لِلَّذِى فَعَلَ رَأَلْسَكَ كُوَتِ وَٱلْأَرْضَ حَيِينًا وَمَا أَنَامِنَ ٱلمُثْرِكِينَ ۞ وَمَلَبَّهُ فَوْمُهُ قَالَ أَتُحَدَّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنْ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ إِيدَ إِلَّا أَن يَثَآ اَرَنِي شَيْئًا وَمِعَ رَفِي كُلِّ فَن وَ عِلْمَّا أَفَلَا تَنَدَّكَّرُونَ ﴿ وَكَيْنَ أَخَافُ مَا أَشْرَكَتُمْ وَلَا عَنَافُونِ أَنْكُوْ أَشْرَكْنُهُ وِبَاللَّهِ مَا لَرْيُزَلِّ بِدِيعَلَيْكُوسُ لَكُنَّا ا كَأَيُّ ٱلْفَرِيقَ يَنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُ مَقَالُمُونَ ۞ DUSTON IN MORRED

بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

نعم، إذا كان عاجزاً عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه، فإنه لا يضره ضلال غيره.

وقوله: ﴿إِلَى اللهِ مرجعكم جميعاً ﴾ أي: مآلكم يوم القيامة، واجتماعكم بين يدي الله تعالى. ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر .

﴿١٠٦﴾ ﴿ ١٠٦﴾ ﴿ إِما أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنَّا إذاً لمن الآثمين * فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين * ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين كيبر تعالى خبراً متضمناً للأمر بإشهاد اثنين على الوصية، إذا حضر الإنسان مقدمات الموت وعلائمه، فينبغي له أن

SENION SENION الَّذِيكَ وَاسْتُوا وَلَرْ مَلِيسُوٓ لِمَا يَنْتَهُمُ مِظْلَمِ أُوْلَيْكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهُ تَدُونَ ۞ وَقِلْكَ حُتَمُنَآ ءَاتَيْنَهَآ إِبْرُهِ بِمِعَلَىٰ قَوْمِدِّ، نَرْفَعُ دَرَجَتِ مَن نُشَكَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمُ عَلِيمٌ ۞ وَوَهَنَالُهُ وَإِسْخَنَ وَيَقْفُوبَ حُكُلًّا هَدَيْنَا وَتُوعًا هَدَيْنَا مِن مِّن لَّ وَمِن ذُرِّيِّت و ، دَاوُد وَمُل لِنَكُ ذَا وَكُوسُ فَ وَمُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَلِرُونَ وَحَكَ ذَلِكَ نَجْزِي ٱلْخَسِبَينَ ۞ وَزَكَ رَبَّا وَيَعْنِي وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلُّ مِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴿ وَإِسْمَعِيلَ وَٱلْمِسَعَ وَيُونُنَ وَلُومِناً وَسِكُ لَا فَضَالَناعَلَ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ وَمِنْ الْبَآيِهِ مِدْ وَذُيْنِكَيْهِمْ وَالْحَرَافِيمْ وَكُفَّيْنَاهُمُ وَمَدَيْنَهُمْ إِلَى مِرَاطِ مُسْتَقِيدٍ ۞ ذَاكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى ﴿ يوء من يَشَاَّهُ مِنْ عِبَادِيْء وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ مِنْكُونِ ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِي الْمِنْكُورُ الْكِتَ وَلَلْكُوا اللَّهِ وَالشُّبُوَّةُ فَإِن يَكُفُرُهِمَا مَثَوُلِآءً فَمَدَّدُ وَحَكَّلْنَابِهَا قَرَمَا لَيْسُوابِهَا كِنْفِينَ ۞ أُوْلَيْكَ ٱلَّذِينَ مَدَى اللَّهُ فَهُدَنْهُمُ افْتَدُّهُ قُلْلًا أَسْتَلُكُمُ مَعَلَيْهِ أَجُراً إِنْ هُوَ إِلَّا وَكُنَّى اِلْعَالَمِينَ ۞

خانا ﴿فَآخِران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان﴾.

أي: فليقم رجلان من أولياء الميت، وليكونا من أقرب الأولياء إليه. في في الميت الميت أحق من شهادتنا أحق من شهادتهما أي: أنهما كذبا، وغيرا وخانا. فوما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين أي: إن ظلمنا واعتدينا،

وشهدنا بغير الحق.
قال الله تعالى في بيان حكمة تلك الشهادة وتأكيدها، وردها على أولياء الميت حين تظهر من الشاهدين الخيانة:
﴿ ذلك أدنى ﴾ أي: أقرب ﴿ أن يأتوا بالشهادة على وجهها ﴾ حين توكد

عليهما تلك التأكيدات. ﴿أُو يَخَافُوا أَن عليهما تلك التأكيدات. ﴿أُو يَخَافُوا أَن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ أي: أن لا تقبل أيمانهم، ثم ترد على أولياء الميت.

﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ أي: الذين وصفهم الفسق، فلا يريدون الهدى والقصد إلى الصراط المستقيم.

وحاصل هاذا، أن المست إذا حضره الموت في سفر ونحوه، مما هو مظنة قلة الشهود المعتبرين أنه ينبغي أن يوصي شاهدين مسلمين عدلين. فإن لم يجد إلا شاهدين كافرين، جاز أن يوصي إليهما، ولكن لأجل كفرهما فإن الأولياء إذا ارتبابوا بهما فإنسم يحلفونهما (١) بعد الصلاة، أنهما ما خانا، ولا كذبا، ولا غيرا، ولا بدلا، فيبرآن بذلك من حق يتوجه إليهما.

فإن لم يصدقوهما ووجدوا قرينة تدل على كذب الشاهدين، فإن شاء أولياء الميت، فليقم منهم اثنان، فيقسمان بالله: لشهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين، وأنهما خانا وكذبا، فيستحقون منهما ما يدعون.

وهذه الآيات الكريمة نزلت في قصة «تميم الداري» و «عدي بن بداء» المشهورة حين أوصى لهما العدوي، والله أعلم.

ويستدل بالآيات الكريمات على

عدة أحكام:

منها: أن الوصية مشروعة، وأنه ينبغي لمن حضره الموت أن يوصي.

ري ومنها: أنها معتبرة، ولوكان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت وعلاماته، ما دام عقله ثابتاً.

ومنها: أن شهادة الوصية لا بد فيها من اثنين عدلين.

ومنها: أن شهادة الكافرين في هذه الوصية ونحوهامقبولة لوجود الضرورة، وهذا مذهب الإمام أحمد. وزعم كثير من أهل العلم: أن هذا الحكم منسوخ، وهذه دعوى لا دليل عليها.

ومنها: أنه ربما استفيد من تلميح الحكم ومعناه، أن شهادة الكفار _عند عدم غيرهم، حتى في غير هذه المسألة _مقبولة، كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومنها: جُوازَ سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذور .

ومنها: جواز السفر للتجارة.

ومنها: أن الشاهدين _ إذا ارتيب منهما، ولم تبد قرينة تدل على خيانتهما، وأراد الأولياء _ أن يؤكدوا عليهم اليمين، ويحبسوهما من بعد الصلاة، فيقسمان بصفة ما ذكر الله تعالى.

ومنها: أنه إذا لم تحصل تهمة ولا ريب لم يكن حاجة إلى حبسهما، وتأكيد اليمين عليهما.

ومنها: تعظيم أمر الشهادة حيث أضافها تعالى إلى نفسه، وأنه يجب الاعتناء بها والقيام بها بالقسط.

ومنها: أنه يجوز امتحان الشاهدين عند الريبة منهما، وتفريقهما لينظر عن شهادتهما.

ومنها: أنه إذا وجدت القرائن الدالة على كذب الوصيين في هذه المسألة _ قام اثنان من أولياء الميت فأقسما بالله: أن أيماننا أصدق من أيمانهما، ولقد خانا وكذبا.

ثم يدفع إليهما ما ادعياه، فتكون

يكتب وصيته، ويشهد عليها اثنين ذوي عدل بمن تعتبر شهادتهما.

TOURSE IN BORSEON

﴿أو آخران من غيركم﴾ أي: من غير أو آخران من غير أو غير أو أو أو ألك عند النصارى أو غيرهم، وذلك عند الحاجة والضرورة وعدم غيرهما من المسلمين.

﴿إِنْ أَنتم ضربتم في الأرض﴾ أي: سافرتم فيها ﴿فَأَصَابِتَكُم مصيبة المُوت﴾ أي: فأشهدوهما، ولم يتأمر بشهادتهما إلا لأن قولهما في تلك الحال مقبول، ويؤكد عليهما، بأن يجبسا ﴿من بعد البصلاة﴾ التي يعظمونها.

﴿فيقسمان بالله أنهما صدقا، وما غيرا ولا بدّلا، هذا ﴿إن ارتبتم ﴾ في شهادتهما، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك.

ويقولان: ﴿لا نشتري به﴾ أي: بأيماننا ﴿ثمناً﴾ بأن نكذب فيها، لأجل عرض من الدنيا. ﴿ولو كان ذا قربي﴾ فلا نراعيه لأجل قربه منا ﴿وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ ﴾ بل نؤديها على ما سمعناها ﴿إِنا إِذاً﴾ أي: إن كتمناها ﴿فِل الأثمين﴾.

﴿ فَإِنْ عَشْرِ عَلَى أَنْهِ مِا ﴾ أي: الشاهدين ﴿ استحقا إِثْماً ﴾ بأن وجد من القرائن ما يدل على كذبهما وأنهما

القرينة _مع أيمانهما _قائمة مقام

﴿١١٩ ـ ١١٩﴾ ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب * إذ قال الله یا عیسی ابن مریم اذکر نعمتی عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإَّدْ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذن فتنفخ فيها فتكون طيرأ بإذني وتسبرىء الأكسم والأبرص ببإذن وإذ تخرج الموتى ببإذن وإذكففت بنيي إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحرٌ مبين﴾ يخبر تعالى عن يوم القيامة وما فيه من الأهوال العظام، وأن الله يجمع به جميع الرسل فيسألهم: ﴿ماذا أجبتم﴾ أي: ماذا أجابتكم به أعكم.

فر ﴿قالوا لا علم لنا﴾ وإنما العلم لك يا ربنا، فأنت أعلم منا. ﴿إنك أنت علام الغيوب) أي: تعلم الأمور الغائبة والحاضرة.

﴿إِذْ قَالَ اللهِ يَا عَيْسَى ابْنُ مُرِيَّمُ اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) أي: اذكرها بقلبك ولسانك، وقم بواجبها شكراً لربك، حيث أنعم عليك نعماً ما أنعم بها على غيرك.

﴿إِذْ أَيدتِكُ بِرُوحِ القدسِ الْيُ أَي : إِذْ قويتك بالروح والوحى، الذي طهرك وزكاك، وصار لك قوة على القيام بأمر الله والدعوة إلى سبيله. وقيل: إنَّ المراد «بروح القدس» جبريل عليه السلام، وأن الله أعانه به وبملازمته له، وتثبيته في المواطن المشقة.

﴿تَكُلُّمُ النَّاسِ فِي المهد وكهلاً﴾ المراد بالتكليم هنا، غير التكليم المعهود الذي هو مجرد الكلام، وإنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب، وهو الدعوة إلى الله.

ولعيسى عليه السلام من ذلك، ما لإخوانه من أولي العزم من المرسلين، من التكليم في حال الكهولة، بالرسالة والدعوة إلى الخير، والنهى عن الشر، وامتاز عنهم بأنه كلّم الناسٌ في المهد، فقال: ﴿إِنْ عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حبأ﴾ الآية .

﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة ﴾ فالكتاب يشمل الكتب السابقة، وخصوصاً التوراة، فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل _بعد موسى _بها. ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه.

والحكمة هي: معرفة أسرار الشرع وفوائده وحكمه، وحسن الدعوة والتعليم، ومراعاة ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي.

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنِ الطِّينِ كَهِينَةُ الطِّيرِ ﴾ أي: طيراً مصوراً لا روح فيه. فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وتبرىء الأكمه الذي لا بصر له ولا عين. ﴿والأبرص باذني، وإذ تخسرج الموتسى بإذن، فهذه آيات بيّنات، ومعجزات باهرات، يعجز عنها الأطباء وغيرهم، أيد الله بها عيسى وقوّى بها دعوته .

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بِنِي إِسْرَائِيلُ عَنْكُ ، إِذْ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ﴾ لما جاءهم الحق مؤيداً بالبينات الموجبة للإيمان به. ﴿إن هذا إلاَّ سحر مبين ﴾. وهموا بعيسي أن يقتلوه، وسعوا في ذلك، فكف الله أيديهم عنه، وحفظه منهم وعصمه.

فهذه منن امتن الله بها على عبده ورسوله عيسي ابن مريم، ودعاه إلى شكرها والقيام بها، فقام بها عليه السلام أتم القيام، وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم.

﴿ ١١١ - ١٢٠ ﴾ ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا

HENDEY BEING وَمَافَدُرُوا اللَّهَ حَقَّ فَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَاۤ أَنْـزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَـرِيۡن شَحْتُ و قُلْ مَنْ أَنْلَ ٱلْكِئْبَ ٱلَّذِي عِنَّاءَ مِهِ مُوسَىٰ فُورًا وَهُدَى لَلْتَامِنَّ خَعَلُونَدُوٓ اَطِيرَ بُندُونَا وَتُعَوُّزَكَ عَنْ الْعَلْمَا أَنُّمْ وَلِآءَابَا أَوْكُمْ مُ قُلِ اللَّهُ ثُرُدُرُهُمْ فِيخَضِهِ مَ يَلْعَبُونَ ۞ وَهَنَاكِنَابُ أَزَلْنَاهُ مُبَارَكُ مُصَدِقُ الَّذِي يَنْ يَدَّيْهِ وَلِنُنذِرَأُمُّ ٱلْفُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَمَا ۚ وَٱلَّذِينَ ﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِزَةِ يُوْمِنُونَ بِإِنَّهِ وَهُمْ عَلَى مَلَاتِهِ مُرَيَّعَا فِطُورَتَ ۞ وَمَنَ أَظَالُوعَيْنَ أَفَرُكَا عَلَيْقَوَكُوبًا أَوْقَالَ أُوحِمَ إِلَىَّ وَلَرَثُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأَمْزُلُ مِثْلَ مَآلُزُلُ اَهَةً وَلَوْتَرَيَّ إِذِ ٱلظَّلَامُونِ فِي غَسَرَتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَيْتَ مُ بميطوا أينيه أخرجوا أنفسك تماليوم تحرون عذاب الْهُونِ يَاكُنتُ مِنْقُولُونَ عَلَاهُوعَ يُرَالُحَقِ وَكُنتُمُ عَنَّ الِكَتِهِ وَتُسْتَحَيُّرُونَ ۞ وَلَقَدْ حِدْثُمُونَا فُرُونَىٰ كُمَّا الله مَلَقَنَاكُمُ أَوَّلَ مَنْ وَوَرَكَ مُرَمَّا خُوَلِنَكُمْ وَوَلَهَ مُلْهُورِ فُوفَا الله الله المنتقبة المناكمة الله الله المنتقبة المنترف المنتقاة

آمنا﴾ إلى آخر الآيات^(١) أي: واذكر نعمتي عليك إذ يسرت لك أتباعاً وأعواناً. فأوحيت إلى الحواريين أي: ألهمتهم، وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبسرسولي، أو أوحبيت إليهم على لسانك، أي: أمرتهم بالوحي الذي جاءك من عند الله، فأجابوا لذلك وانقادوا، وقالوا: آمنا بالله، واشهد بأننا مسلمون، فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان.

والحواريون هم: الأنصار، كما قال تعالی کما قال عیسی ابن مریم' للحواريين: ﴿مَنْ أَنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله♦.

﴿إِذْ قَالَ الْحُوارِيونَ يَا عَيْسَيَ ابِنَ مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴾ أي: مائدة فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، واستطاعته على ذلك. وإنما ذلك من باب العرض والأدب منهم.

ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافياً للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسي عليه السلام فقال:

في ب أكمل الآيات إلى قوله: (وهو على كل شيء قدير).

هكذا في الأصل والمراد بيّن وهو كما قال الله تعالى حكاية لقول عيسى ابن مريم للحواريين. **(Y)**

﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئاً.

فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك ف ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ بالإيمان حين نرى الآيات العيانية، فيكون(١١) الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين. كما سأل الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ﴿قال أُوَلُّمُ تؤمن؟ قال: بلي ولكن ليطمئن قلبي﴾ . فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كلّ وقت، ولهذا قال: ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ أي: نعلم صدق ما جنت به، أنه حق وصدق، ﴿ونـكسون عـليهـا مـن الشاهدين، فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك.

فلما سمع عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال:

﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك ﴾ أي : يكبون وقت نزولها عيداً وموسماً، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين.

كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين ومناسكهم مذكراً لآياته، ومنبهاً على سنن المرسلين وطرقهم القويمة، وفضله وإحسانه عليهم. ﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ أي: اجعلها لنا رزقاً، فسأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الديا، وهي أن تكون رزقاً.

﴿قَالَ اللهِ إِنَّ مِنْزِلُهَا عِلَيْكُمْ فَمَنَّ يكفر بعد منكم، فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين لأنه شاهد الآية الباهرة وكفر عناداً وظلماً، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد. واعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم _إن كفروا _جذا الوعيد، ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويــدل عــلى ذلــك، أنــه لم يــذكــر فــى الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأناجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه.

أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلاً، وإنما ذلك كان متوارثاً بينهم، ينقله الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿وَإِذْ قَالَ الله يَا عَيْسَى إِبِنَ مَرِيمَ أَأَنَتَ قَلْتَ لَلْنَاسَ اتَخَذُونِ وَأُمِي إِلْهِينَ مِن دون الله ﴿ وَهَذَا تُوبِيخُ لَلْنَصَارِى اللَّهِ عَالَمُ لَلْكَ أَلُونَ اللهُ عَلَيْتُ اللَّهِ عَالَمُ لَلْكُونَةُ ،

فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ عيسى ويقول: ﴿سبحانك﴾ عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك.

﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئاً ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون ﴿إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴿ فأنت أعلم بما صدر مني و ﴿أنت علام الغيوب، وهذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام: «لم أقل شيئاً من ذلك»، وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافى منصبه الشريف، وأن هذا من الامور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.

ئم صرّح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ﴾ فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرىء على عظمتك، ﴿أَنَ اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي.

﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم أشهد على مَنْ قام بهذا الأمر، من لم يقم به. ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم أي: المطلع على سرائرهم وضمائرهم. ﴿وأنت على كل شيء شهيد علماً وسمعاً وبصراً، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر.

﴿إِن تعذبهم فإنهم عبادك ، وأنت أرحم بهم من أنفسهم وأعلم بأحوالهم ، فلولا أنهم عباد متمردون لم تعذبهم . ﴿وإِن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » أي : فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة ، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة .

الحكيم حيث كان من مقتضى حكمتك أن تففر لمن أتى بأسباب المغفرة.

وقال الله مبيناً لحال عباده يوم القيامة، ومَنْ الهالك، ومَنْ الهائل، ومَنْ الهائل، ومَنْ الهائك، يتفع الصادقين صدقهم والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: خللهم جنات تجري من تحتها الأنهار ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر والمائمة، وثمرة أعمالهم والمائدة.

﴿لله ملك السماوات والأرض﴾ لأنه الخالق لهما والمدبر لذلك بحكمه القدري، وحكمه الجزائي، ولهذا قال: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فلا يعجزه شيء، بل جميع الأشياء منقادة لمشيئته، ومسخرة

تم تفسير سورة المائدة بفضل من الله وإحسان، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الأنعام وهي مكية

﴿١-٢﴾ ﴿بسم الله السرهن السرحيم الحمد لله المذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والذين كفروا بربهم يعدلون ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾ هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة

والجلال عموماً، وعلى هذه المذكورات خصوصاً. فحمد نفسه على خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، وذلك شامل للحسي من ذلك كالليل والنهار والشمس والقمر. والمعنوي كظلمات

سامل للحسي من ذلك كالليل والنهار والشمس والقمر. والمعنوي كظلمات الجهل والشك، والشرك والمعصية، والمغفلة، ونور العلم والإيمان واليقين والطاعة، وهذا كله يدل دلالة قاطعة أنه تعالى هو المستحق للعبادة وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان (شم الذين كفروا بربهم البيدن كفروا بربهم يعدلون) إي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع يسوونهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه.

وذلك بخلق خلقكم من طين و وذلك بخلق مادتكم وأبيكم آدم عليه السلام. وشم قضي أجلا أي: ضرب لمدة إقامتكم في هذه الدار أجلا، تتمتعون به وتمتحنون، وتبتلون بما يرسل إليهم به رسله.

﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ ويعمركم ما يتذكر فيه مَنْ تذكر . ﴿وَأَجِلُ مسمى عنده ﴾ وهي: الدار الآخرة، التي ينتقل العباد إليها من هذه الدار، فيجازيهم بأعمالهم من خير وشر.

﴿ تُم ﴾ مع هذا البيان التام وقطع الحجة ﴿ أَنتم تمترون ﴾ أي: تشكون في وعد الله ووعيده، ووقوع الجزاء يوم القيامة.

وذكر الله الظلمات بالجمع، لكثرة موادها وتنوع طرقها. ووحد النور لكون الصراط الموصلة إلى الله واحدة لا تعدد فيها، وهي: الصراط المتضمنة للعلم بالحق والعمل به، كما قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾.

(٣٩) ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم

ويعلم ما تكسبون أي: وهو المألوه المعبود في السماوات وفي الأرض، فأهل السماء والأرض، متعبدون لربهم خاضعون لعظمته، مستكينون لعزه وجلاله، الملائكة المقربون، والأنبياء والمسلون، والصديقون والشهداء والصالحون.

وهو تعالى يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون، فاحذروا معاصيه وارغبوا في الأعمال التي تقربكم منه، وتدنيكم من رحمته، واحذروا من كل عمل يبعدكم منه ومن رحمته.

﴿٤ ـ ٦﴾ ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون * الم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنأ آخرين، هذا إخبار منه تعالى عن إعراض المشركين، وشدة تكذيبهم وعداوتهم، وأنهم لا تنفع فيهم الآيات حتى تحل بهم المثلات، فقال: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات رجم، الدالة على الحق دلالة قاطعة، الداعية لهم إلى اتباعه وقبوله ﴿إِلاَّ كَانُوا عِنْهَا معرضين لا يلقون لهابالا، ولا يصغون لها سمعاً، قد انصرفت قلوبهم إلى غيرها، وولوها أدبارهم.

﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ والحق حقه أن يتبع، ويشكر الله على تيسيره لهم، وإتيانهم به، فقابلوه بضد ما يجب مقابلته به فاستحقوا العقاب به يستهزؤون ﴾ أي: فسوف يرون ما استهزؤوا به، أنه الحق والصدق، ويبين الله للمكذبين كذبهم وافتراءهم، والنار، فإذا كان يوم القيامة قيل والمكذبين: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾.

وقال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلي

وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون # ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ثم أمرهم أن يعتبروا بالأمم السالفة فقال:

﴿ أَلَم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن أَي: كم تتابع إهلاكنا للأمم المكذبين، وأمهلناهم قبل ذلك الإهلاك، بأن ﴿مكناهم في الأرض ما لم نمكن له لهؤلاء من الأموال والبنين والرفاهية.

وأرسلنا السماء عليهم مدراراً، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فينبت لهم بذلك ما شاء الله من زروع وثمار، يتمتعون بها، ويتناولون منها ما يشتهون، فلم يشكروا الله على نعمه، بل أقبلوا على الشهوات، وألهتهم أنواع اللذات، فجاءتهم رسلهم بالبينات فلم يصدقوها، بل ردوها وكذبوها فأهلكهم الله بذنوبهم وأنشأ فمن بعدهم قرنا آخرين و

فهذه سُنّة الله ودأبه في الأمم السابقين واللاحقين، فاعتبروا بمَنْ قص الله عليكم نبأهم.

را - ٩ ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين * وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لحفيه الأمر ثم لا ينظرون * ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون
هذا إخبار من الله لرسوله عن شدة عناد الكافرين، وأنه ليس تكذيبهم لقصور فيما جئتهم به، ولا لجهل منهم بذلك، وإنما ذلك ولولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم وتيقنوه ﴿ الله الذين كفروا ﴾ ظلماً وعلواً ﴿ إن هذا إلا سحر مين ﴾ .

فأي: بينة أعظم من هذه البينة، وهذا قولهم الشنيع فيها، حيث كابروا المحسوس الذي لا يمكن مَنْ له أدنى مسكة من عقله دفعه؟!!

﴿وقالوا﴾ أيضاً تعنتاً مبنياً على الجهل، ﴿لولا

أنزل عليه ملك أي: هلا أنزل مع محمد ملك، يعاونه ويساعده على ما هو على برعمهم أنه بشر، وأن رسالة الله، لا تكون إلا على أيدي الملائكة.

قال الله في بيان رحمته ولطفه بعباده، حيث أرسل إليهم بشراً منهم يكون الإيمان بما جاء به عن علم وبصيرة وغيب. ﴿ولو أنزلنا ملكاً﴾ برسالتنا، لكان الإيمان لا يصدر عن معرفة بالحق، ولكان إيماناً بالشهادة الذي لا ينفع شيئاً وحده، هذا إن آمنوا، والغالب أنهم لا يؤمنون بهذه الحالة، فإذا لم يؤمنوا قضى الأمر بتعجيل الهلاك عليهم وعدم إنظارهم، لأن هذه سُنّة الله فيمن طلب الآيات المقترحة فلم يؤمن بها، فإرسال الرسول البشري إليهم بالآيات البينات، التي يعلم الله أنها أصلح للعباد وأرفق بهم، مع إمهال الله للكافرين والمكذبين، خير لهم وأنفع، فطلبهم لإنزال الملك شرلهم لو كانوا يعلمون، ومع ذلك فالملك لو أنزل عليهم، وأرسل، لم يطيقوا التلقي عنه، ولا احتملوا ذلك، ولا أطاقته قواهم

﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا﴾ لأن الحكمة لا تقتضي سوى ذلك. ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ أي: ولكان الأمر ختلطاً عليهم وملبوساً وذلك بسبب ما لبسوه على أنفسهم، فإنهم بنوا أمرهم على هذه القاعدة التي فيها اللبس، وبها عدم بيان الحق.

فلما جاءهم الحق بطرقه الصحيحة، وقواعده التي هي قواعده، لم يكن ذلك هداية لهم، إذا اهتدى بذلك غيرهم، والذنب ذنبهم، حيث أغلقوا على أنفسهم باب الهدى، وفتحوا أبواب الضلال.

﴿ ١٠ - ١١﴾ ﴿ ولقد استهزى ء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون * قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ يقول تعالى _ مسلياً لرسوله، ومصبراً ومتهدداً أعداءه

ومتوعداً. ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك لل جاؤوا أعمهم بالبينات كذبوهم واستهزؤوا بهم وبما جاؤوا به . فأهلكهم الله بذلك الكفر والتكذيب، ووفى لهم من العذاب أكمل نصيب. ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون لهم ما كانوا به يستهزؤون فاحذروا _ أيها المكذبون _ أن تستمروا على تكذيبكم، فيصيبكم ما أصابهم.

فإن شككتم في ذلك أو ارتبتم، فسيروا في الأرض ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين، فلن تجدوا إلا قوماً أوحشت منهم المنازل، وعدم من تلك الربوع كل متمتع بالسرور نازل، أبادهم الملك الجبار، وكان بناؤهم عبرة لأولي الأبصار. وهذا السير المأمور به سير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار، وأما بحرد النظر من غير اعتبار، وأن ذلك لا يفيد شيئاً.

﴿قل لمن ما في السماوات والأرض قبل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل﴾ لهؤلاء المشركين بالله، مقرراً لهم وملزماً بالتوحيد: ﴿لمن ما في السماوات والأرض﴾ أي: من الخالق لذلك، المالك له المتصرف فيه؟

﴿قل﴾ لهم: ﴿للهُ وهم مقرون بذلك لا ينكرونه، أفلا حين اعترفوا بانفراد الله بالملك والتدبير، أن يعترفوا له بالإخلاص والتوحيد؟!!

وقوله: ﴿كتب على نفسه الرحمة ﴾
أي: العالم العلوي والسفلي تحت ملكه وتدبيره، وهو تعالى قد بسط عليهم وامتنانه، وكتب على نفسه كتاباً أن رحته تغلب غضبه، وأن العطاء أحب إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة، إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم، وقوله: ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ وهذا قسم منه،

وهو أصدق المخبرين، وقد أقام على ذلك من الحجج البينة والبراهين، ما يجعله حق اليقين، ولكن أبي الظالمون إلا جحوداً، وأنكروا قدرة الله على بعث الخلائق، فأوضعوا في معاصيه، وتجرؤوا على الكفر به، فخسروا دنياهم وأخراهم، ولهذا قال: ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾

﴿۱۳ ـ ۲۰﴾ ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم * قلُّ أغير الله أتخذوليا فاطر السماوات والأرض وهو يُطَعِمُ ولا يُطْعَمُ قل إن أمسرت أن أكسون أوّل مسن أمسلسم ولا تكونن من المشركين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴿ من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين * وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاً هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير * وهو القاهر فوق عباده وهو آلحكيم الخبير * قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إئي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أَتُنَّكُمُ لتشهدون أنَّ مع الله آلهةً أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنَّني بريء مما تشركون * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون اعلم أن هذه السورة الكريمة قد اشتملت على تقرير التوحيد بكل دليل عقلي ونقلي، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله.

فهذه الآيات ذكر الله فيها ما يتبين به الهدى، وينقمع به الشرك. فذكر أن ﴿له﴾ تعالى ﴿مَا سكن في الليل والنهار﴾ وذلك هو المخلوقات كلها، من آدميها وجنّها، وملائكتها، وحيواناتها وجماداتها، فالكل خلق مدبرون، وعبيد مسخرون لربهم العظيم القاهر المالك، فهل يصح في عقل ونقل أن يعبد من هؤلاء الماليك، الذي لا نفع عنده ولا ضر؟ ويترك الإخلاص للخالق المدبر المالك، النضار النافع؟! أم العقول السليمة والفطر المستقيمة تدعو

إلى إخلاص العبادة، والحب والخوف، والرجاء لله رب العالمين؟!

﴿السميع﴾ لجميع الأصوات على اختلاف اللغات بتفنن الحاجات. ﴿العليم﴾ بما كان، وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف كان يكون، المطلع على الظواهر والبواطن؟!

﴿ قَـل ﴾ لهـ ولاء المشركين بالله: ﴿أُغْسِرُ اللهُ أَتَخَلَدُ وَلَيَّا ﴾ من هـؤلاء المخلوقات العاجزة يتولاني وينصرني؟! فلا أتخذمن دونه تعالى ولياً لأنه فاطر السماوات والأرض، أي: خالقهما ومدبرهما. ﴿وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ﴾ أي: وهو الرزاق لجميع الخلق، من غير حاجة منه تعالى إليهم، فكيف يليق أن أتخذ ولياً غير الخالق الرزاق، الغنى الحميد؟! ﴿قُلُّ إِنَّ أمرت أن أكون أوّل مَنْ أسلم الله لله بالتوحيد، وانقاد له بالطاعة، لأني أولى من غيري بامتثال أوامر ربي.

﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ أي: ونهيت أينضاً عن أن أكون من المشركين، لا في اعتقادهم ولا في مجالستهم، ولا في الاجتماع بهم، فهذا أفرض الفروض على، وأوجب الواجبات.

﴿ قَـل إِنِّ أَحَافَ إِنْ عَـصـيـت رِبِ عذاب يوم عظيم العصية في الشرك توجب الخلود في النار، وسخط الجبار، وذلك اليوم هو اليوم الذي يخاف عذابه، ويحذر عقابه؛ لأنه مَنْ صُرفِ عنه العذاب يومثذ فهو المرحوم، ومَنْ نجا فيه فهو الفائز حقاً، كما أن مَنْ لم ينج منه فهو الهالك الشقى.

ومن أدلة توحيده، أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والــــراء، ولــهــذا قــال: ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ من فقر، أو مرض، أو عبسر، أو غيم، أو هيم أو نحوه. ﴿فلا كاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ . فإذا كان وحده النافع الضار ، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية

CONTRACT STORY ا الكُهُ أَلَّهُ رُبُّكُمُ لاَ إِلَا إِلَّهُ إِلَّا اللهِ عَلِينُ كُلِبَ ثَيْءٍ فَأَعْبُدُونُ اللهِ وَهُوَعَلَىكُ لَنِّيءِ وَكِيلٌ ۞ لَّاللَّهُ كُالْأَتَّصَارُ ا وَهُوَيْدُرِكُ ٱلْأَصْرُوهُوَ ٱللَّظِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۞ قَدْحَاءَكُمُ بِصَآبِرُمِن زَيْحُ فَنَ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِةً ، وَمَنْ عَمِي فَعَلَيْهَا وَمَا التَّاعَلَيْكُمْ بِمَفِيظٍ ۞ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيْلَةِ اللَّهُ وَلِيَقُولُواْ دَرُسْتُ وَلِنُكِيِّنَهُ لِقَوْمِ يَسْلَمُونَ ۞ أَيِّعْ مَا أُورِكَ رُّ إِلَيْكَ مِن زَبِكَ لَآ إِلَهَ إِلَّهُ وَأَوْأَغْرِضَ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَوْسَكَآءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَاجَعَلَنَكَ عَلَيْهِ مْحَفِيظًا وَمَا أَتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلِ ۞ وَلَاتَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُوبِ اللَّهِ فيَسُبُوا ٱللّهَ عَمَدُوَّا بِعَنْ رِعِلْمِ صَحَنَا لِكَ زَيّنَا لِكُلْ أَمَّةٍ عَمَلَهُمْ زُرُالَ رَبِهِ مِنْ جِعُهُمْ فَيُنْتِنْهُمُ مِنَاكَ افْزَايَتْ عَلُوك ۞ يُّ وَأَقَسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَاً يَمْنِهِ مَلَهِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةً لَيُوْمِنُنَّ بِعِمَّاقُلْ ﴾ إِنَّمَا ٱلْآيَلَ عِندَاللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا ٓ إِذَا جَلَّةَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفِيدَتَهُ مُواَبِّسَكَ رَفُّمْ كَمَالَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ : الله مَرْةُ وَدَكَ ذَوْهُمْ فِ طُغَيْنَ وَمُونَ اللهُ اللهُ وَمُعَالِمُ مُعْدِدَ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ الل

> ﴿وهو القاهر فوق عبداده فلا يتصرف منهم متصرف،

ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون، فإذا كان هو القاهر وغيره مقهوراً، كان هو المستحق للعبادة .

﴿وهو الحكيم﴾ فيما أمر به ونهي، وأثاب وعاقب، وفيما خلق وقدر. ﴿الحبير﴾ المطّلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، وهذا كله من أدلة التوحيد.

﴿قل﴾ لهم - لما بينا لهم الهدى، وأوضحنا لهم المسالك _: ﴿أَي شيء أكبر شهادة ﴾ على هذا الأصل العظيم ﴿قل اللهِ أكبر شهادة، فهو ﴿شهيد بيني وبينكم ﴾ فلا أعظم منه شهادة ولا أكبر، وهو يشهد لي بإقراره وفعله، فيقرن على ما قلت لكم، كما قال تعالى: ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه التوتين﴾ فالله حكيم قدير، فلا يليق بحكمته وقدرته أن يقر كاذبأ عليه، زاعماً أن الله أرسله ولم يرسله، وأن الله أمره بدعوة الخلق ولم يأمره، وأن الله أباح له دماء مَنْ خالفه وأموالهم ونساءهم، وهو مع ذلك يصدقه بإقراره وبفعله، فيؤيده على ما

SEMINE I COMPANY • وَلَوْأَنْنَا نَزَلْنَا إِلَيْهُ الْكُلِّيكَ عَمْ وَكُلِّمَهُ مُالُوْقٌ وَحَدْنَا عَلَيْهِ مُزُلِّ شَيْءٍ قُبُلًامَّا كَانُوا لِيُوْمِنُواْ إِلَّا أَن يَنَكَآءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكُنَّ أَكُنَّ مُعْمَعُهُونَ ۞ وَكُذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلْ بَي عَدُوًّا مُسَيَطِينَ ٱلْإِنِسِ وَٱلْجِنِّ بُوجِي بَعْضُهُ مُ إِلَىٰ بَعْضِ زُخْوَ ٱلْفَوَّلِ عُرُوزًا وَلُوسُكَآءَ رَبُّكِ مَافَعَلُوهُ فَكَ رَهُمُ وَمَا يَفْتَوُونَ ۞ وَلِنْصَغَنَ إِلَيْهِ أَفْعِدُهُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآحِدَوْوَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَفَيْرِفُواْ مَاهُمُمُّقَثِّرِفُونَ ۞ أَفَنَيْرَاتَهِ أأشنى حككا وهواللوي أسزل إليكثم المسجتب مفضكأ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَكُمُ ٓ ٱلْكِنَّابِيَعْ لَمُونَ ٱلَّهُ مُمَّزَّلٌ مِن زَيِكَ بِلَكِيٍّ هَلَانَكُوْنَ مِنَ ٱلْمُنْفِينَ ۞ وَتَمَثَّنَ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَكَدُلاً لَامْتِكَ لَى لِحَكِمِينِهِ وَهُوَ السَّكِيعُ الْعَكِيمُ ۞ قان تُلِعَ أَحُثُرَ مَن فِ ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهُ إِن يَ اللَّهُ عُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمُمْ إِلَّا يَخْدُوهُونَ ۞ إِذَّ رَبُّكَ هُوَأَعْلَوُمَن يَضِلُّ عَنسَجِيلِيِّهِ وَهُوَأَعْلَوُ بِٱلْهُمْ تَدِينَ ۞ فَكُلُواْ يَمَا ذُكِرَاسْمُ الْقَوْعَلَيْ وِإِن كُنتُدِيفَا يُنْهِمِ مُؤْمِنِينَ ۞

قال بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، وينصره ويخذل مَنْ خالفه وعاداه، فأي: شهادة أكبر من هذه الشهادة؟!!

وقوله: ﴿وأوحي إلى هذا القرآن لأنسذركسم به ومسن بسلخ أي: وأوحى الله إلى هذا القرآن الكريس لمنفعتكم ومصلحتكم، لأنذركم به من العقاب الأليم. والنذارة إنما تكون بذكر ما ينذرهم به من الترغيب، والترهيب، وببيان الأعمال والأقوال، الظاهرة والباطنة، التي مَنْ قام بها فقد قبل النذارة، فهذا القرآن فيه النذارة لكم أيها المخاطبون، وكل مَن بلغه القرآن إلى يوم القيامة، فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية.

لا بين تعالى شهادته التي هي أكبر الشهادات على توحيده، قال: قل لهؤلاء المعارضين لخبر الله، والمكذبين لرسله: ﴿أَنْنَكُم لِتَشْهِدُونَ أَنْ مِعَ اللهَ الْسِهِدُ أَيْنَ مِعَ اللهَ أَخْرَى، قل لا أشهد﴾ أي: إن شهدوا، فلا تشهد معهم.

فوازن بين شهادة أصدق القائلين ورب العالمين، وشهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة على توحيد الله وحده لا شريك له، وشهادة أهل الشرك

الذين مرجت عقولهم وأديانهم، وفسدت آراؤهم وأخلاقهم، وأضحكوا على أنفسهم العقلاء.

بل خالفوا بشهادة فطرهم، وتناقضت أقوالهم على إثبات أن مع أنه لا يقوم مع أنه لا يقوم على ماقالوه (١٠) أدنى شبهة فضلاً عن الحجج، واختر لنفسك أي: الشهادتين إن كنت تعقل، ونحن نختار لأنفسنا ما اختاره الله لنبيه، الذي أمرنا الله بالاقتداء به، فقال: ﴿قل إنما هو إله واحد﴾ أي: منفرد لا يستحق العبودية والإلهية سواه، كما أنه المنفرد بالخلق والتدبير.

﴿وإنني بريء مما تشركون ، به من الأوثان والأنداد، وكل ما أشرك به مع الله. فهذا حقيقة التوحيد، إثبات الإلهية لله ونفيها عمّا عداه.

لا بين شهادته وشهادة رسوله على التوحيد، وشهادة المشركين الذين لا علم لديهم على ضده، ذكر أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى. فيعرفون صحة التوحيد (كما يعرفون أبناءهم) أي: لا شك عندهم فيه بوجه، كما أنهم لا يشتبهون بأولادهم، خصوصاً لا يشتبهون بأولادهم، خصوصاً البنين الملازمين في الغالب لآبائهم.

ويحتمل أن الضمير عائد إلى الرسول محسد في وأن أهل الكتاب لا يشتبهون بصحة رسالته ولا يمترون بها، لما عندهم من البشارات به، ونعوته التي تنطبق عليه ولا تصلح لغيره، والمعنيان متلازمان.

قوله: ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي: فوتوها ما خلقت له من الإيمان والتوحيد، وحرموها الفضل من الملك المجيد ﴿فهم لا يؤمنون﴾ فإذا لم يوجد الإيمان منهم، فلا تسأل عن الحسار والشر، الذي يحصل لهم.

﴿٢١﴾ ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ﴾ أي: لا أعظم

ظلماً وعناداً عمن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتمعا افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته، التي جاءت بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم لا يفلح أبداً.

ويدخل في هذا كل من كذب على الله، بادعاء (٢٦ الشريك له والعوين، أو [زعم] أنه ينبغي أن يعبد غيره أو اتخذ له صاحبة أو ولداً، وكل مَنْ رد الحق الذي جاءت به الرسل أو مَنْ قام مقامهم.

﴿٢٢ ـ ٢٤﴾ ﴿وينوم تنحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون * ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين * انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون، يخبر تعالى عن مأل أهل الشرك يوم القيامة، وأنهم يسألون ويوبخون فيقال لهم: ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تسزعــمــون﴾ أي: إن الله ليس لـــه شريك، وإنما ذلك على وجه الزعم منهم والافتراء ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ أي: لم يكن جوابهم حين يفتنون ويختبرون بذلك السؤال، إلا إنكارهم لشركهم وحلفهم أنهم ماكانوا مشركين ﴿انظر﴾ متعجباً منهم ومن أحوالهم < كيف كذبوا على أنفسهم أي: ` كذبوا كذباً عاد بالخسار على أنفسهم وضرهم ـ والله ـ غاية الضرر ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون، من الشركاء الذين زعموهم مع الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿ ٣٧﴾ ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرأ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذيسن كفروا إن هذا إلا أساطيس الأولين ﴾ أي: ومن هؤلاء المشركين قوم يحملهم بعض الأوقات، بعض الدواعي إلى الاستماع لما تقول، ولكنه استماع خال من قصد الحق واتباعه، ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع لعدم ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع لعدم

DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF أفلا تعقلون ﴿ هذه حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، أما حقيقة الدنيا فإنها لعب ولهو، لعب في الأبدان، ولهو في القلوب، فالقلوب لها والهة، والنفوس لها عاشقة، والهموم فيها متعلقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان.

وأما الآخرة فإنها ﴿خير للذين يتقون﴾ في ذاتها وصفاتها، وبقائها ودوامها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من نعيم القلوب والأرواح، وكثرة السرور والأفراح، ولكنها ليست لكل أحد، وإنما هي للمتقين الذين يفعلون أوامر الله، ويتركون نواهيه وزواجره ﴿أفلا تعقلون ﴾ أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تدركون، أي: الدارين أحق بالإيثار.

﴿٣٣ _ ٣٥﴾ ﴿قدنعلم إنه ليحرنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين * وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولوشاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ أي: قد نعلم أن الذي يقول المكذبون فيك يحزنك ويسؤك، ولم

المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، فإنهم كانوا يخفون في أنفسهم أنهم كانوا كاذبين، ويبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات. ولكن الأغراض الفاسدة صدتهم عن ذلك، وصرفت قلوبهم عن الخير، وهم كذبة في هذه الأمنية، وإنما قصدهم أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب.

﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم

﴿وقالوا﴾ منكرين للبعث ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا ﴾ أي: ما حقيقة الحال والأمر وما المقصود من إيجادنا، إلا الحياة الدنيا وحدها. ﴿وما نحن بمبعوثين،

﴿٣٠﴾ ﴿ولو ترى إذ وقفوا على

ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلي وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، أي: ﴿ولو ترى﴾ الكافرين ﴿إِذْ وقَفُوا عِلَى رَجِمَ لِلرَّايِتِ أَمِراً عظيماً، وهولا جسيماً، ﴿قالَ ﴾ لهم موبخاً ومقرعاً: ﴿ اليس هذا ﴾ الذي ترون من العذاب ﴿بالحق؟ قالوا: بلي وربنام فأقروا واعترفوا حيث لا ينفعهم ذلك، ﴿قال فذوقوا العذابِ بما كنتم تكفرون،

﴿٣١﴾ ﴿قدخسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما ينزرون، أي: قد خاب وخسر وحرم الخير كله، مَنْ كذَّب بلقاء الله، فأوجب له هذا التكذيب، الاجتراء على المحرمات، واقتراف الموبقات ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة﴾ وهم على أقبح حال وأسوئه، فأظهروا غاية الندم. و ﴿قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها، ولكن هذا تحسر ذهب وقته، ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما ينزرون. فإن وزرهم وزر يثقلهم ولا يقدرون على التخلص منه، ولهذا خلدوا في النار، واستحقوا التأبيد في غضب الجبار .

﴿٣٢﴾ ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهؤ وللدار الآخرة خير للذين يتقون

إرادتهم للخير ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أي: أغطية وأغشية، لئلا يفقهوا كلام الله، فصان كلامه عن أمثال هؤلاء. ﴿وفِي آذانهم ﴾ جعلنا ﴿وقراً ﴾ أي: صمماً، فلا يستمعون ما

﴿ وَإِنْ يُرُوا كُلِّ آية لا يؤمنوا بِها ﴾ وهذا غاية الظلم والعناد، أن الآيات البينات الدالة على الحق، لا ينقادون لها، ولا يصدقون بها، بل يجادلون بالباطل الحقّ ليدحضوه.

ولهذا قال: ﴿حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أي: مأخوذ من صحف الأولين المسطورة، التي ليست عن الله ولا عن رسله. وهذا من كفرهم، وإلا فكيف يكون هذا الكتاب الحاوي لأنباء السابقين واللاحقين، والحقائق التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون، والحِّق، والقسط، والعدل التام من كل وجه، أساطير الأولين؟

﴿٢٦﴾ ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن بهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون، وهم: أي: المشركون بالله، المكذبون لرسوله، يجمعون بين الضلال والإضلال، ينهون الناس عن اتباع الحق، ويحذرونهم منه، ويبعدون بأنفسهم عنه، ولن يضروا الله ولا عباده المؤمنين بفعلهم هذا شيئاً. ﴿إِن يَهلُّكُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

﴿۲۷ ــ ۲۹﴾ ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآیات ربنا ونکون من المؤمنین * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون * وقالوا إن هي إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ يقول تعالى _ مخبراً عن حال المشركين يوم القيامة، وإحضارهم النار: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ ليوبخوا ويقرعوا، لرأيت أمراً هائلاً وحالاً مفظعة. ولرأيتهم كيف أقروا على أنفسهم بالكفر والفسوق، وتمنوا أن لو يردوا إلى الدنيا. ﴿فقالُوا يَا لَيْتُنَا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من

فَنَ يُرِدِ آفَهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدَدَهُ، لِلْإِسْلَةِ وَمَن يُرِدْ يُصِلَهُ يَخِيَلُ صَدْدُهُ مَنِقًا حَرَجًا كَأَمَّا يَصَعَدُ فِ ٱلمتَكَنَّاةِ حُكَدُّلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ ٱلرَّخْرَعَلَ ٱلَّذِيكَ لَأَيْوَمُونَ @ وَهَٰ ذَاصِرُهُ رَبِّكَ مُسْتَقِيبً أُفَذَ فَصَلْنَا ٱلْإِيْتِ لِقَوْمِ يَذَّكَّرُونَ ۞ • لَهُ وَالْأَلْسَكَلِمِ عِندَ رَبِّهِ مَّ وَهُوَ وَلِيُّهُ مِيَاكَ اَوْاَيِعْ مَلُوتَ ۞ وَيُوْمَ يَخْشُرُهُ جَيِعًا بكمَعْشَرُ الْجِنْ فَداسَتَكُمُرَتُمُ مِنَ الْإِنِينَ وَقَالَ أَوْلِيكَ أَوْهُمْ مِنَ ٱلْإِنس رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضَ إِبَعْضِ وَبَلَغْنَ ٓ أَجَلَنَ ٱلَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّ الْأَمْفُونَكُوخَلِينَ فِيهَ ۚ إِلَّامَاتُ اَاللَّهُ إِذَ رَبِّكَ حَكِمُ عَلِيدٌ ۞ وَكَذَالِكَ نُولِ بَعْضَ الظَّالِيدِي بَّعْشَاعِمَاكَانُواْ يَكْمِسْبُونَ ۞ يَكَمَّعْشَرَالْجِنِ وَالْإِنِيلَازَ ر مصوت عليصة النبي وثين وثين وثين وثين الله المستماة النبية وثين وقط المستماة المستماة المستماة المستمادة يَأْيَكُمْ رُسُلُّ مِنْكُرْيَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ اَلَيْقِي وَيُنذِرُونَكُمْ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٓ أَنفُسِهِمْ أَنْهُمْ كَافُواْ كَنفِينَ ۞ ذَٰلِكَ أَن لَّرْ يَكُن زَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْمُسْرَىٰ يِظْلَرِ وَأَهْلُهَا غَلْفِلُونَ ﴿ ADDIOS ... BORDEON

٢ كولاالانكال الكانية

تأمرك بما أمرناك به من الصبر إلا لتحصل لك المنازل العالية والأحوال الغالية. فلا تظن أن قولهم صادر عن اشتباه في أمرك وشك فيك ﴿فإنهم لا يكذبونك الأنهم يعرفون صدقك ومدخلك ومخرجك، وجميع أحوالك، حتى إنهم كانوا يسمونه قبل البعثة الأمين. ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ أي: فإن تكذيبهم لأيات الله التي جعلها الله على يديك(١).

﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ فاصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا، ﴿ولقد جاءك من نبا المرسلين، ما به يثبت فؤادك، ويطمئن به قلبك.

﴿ وَإِنْ كَانَ كُبِرُ عَلَيْكُ إِعْرَاضُهُم ﴾ أي: شق عليك من حرصك عليهم ومحبتك لإيمانهم، فابذل وسعك في ذلك، فليس في مقدورك أن تهدي مَنْ لم يرد الله هدايته.

﴿ فَإِن استطعت أَن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية﴾ أي: فافعل ذلك، فإنه لا يفيدهم شيئاً، وهذا قطع لطمعه في هدايته أشباه هؤلاء المعاندين.

﴿ولوشاء الله لجسمعهم على

الهدي، ولكن حكمته تعالى اقتضت أنهم يبقون على الضلال. ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا ينزلونها على منازلها.

﴿٣٧_٣٦﴾ ﴿إنَّما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون * وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إنّ الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون، يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿إنما يستجيب﴾ لدعوتك ويلبى رسالتك وينقاد لأمرك ونهيك﴿الذين يسمعون﴾ بقلوبهم ما يستضعهم، وهم أولو الألساب والأسماع.

والمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد سماع الأذن، يشترك فيه البر والفاجر. فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى باستماع آياته، فلم يبق لهم عذر في عدم القبول. ﴿ والموتى يبعثهم الله ثم إليه

يرجعون ﴾ يحتمل أن المعنى مقابل للمعنى المذكور . أي : إنما يستجيب لىك أحياء القلوب، وأما أموات القلوب الذين لا يشعرون بسعادتهم، ولا يحسون بما ينجيهم، فإنهم لا يستجيبون لك ولا ينقادون، وموعدهم القيامة، يبعثهم الله ثم إلية يرجعون، ويحتمل أن المراد بالآية على ظاهرها، وأن الله تعالى يقرر المعاد، وأنه سيبعث الأموات يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانوا يعملون .

ويكون هذا متضمناً للترغيب في الاستجابة لله ورسوله، والترهيب من عدم ذلك.

﴿ وقالوا ﴾ أي: المكذبون بالرسول تعنتاً وعناداً: ﴿لُولًا نَزُلُ عَلَيْهُ آيةٌ مِنْ ربه ﴾ يعنون بذلك آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة وآرائهم

كقولهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب،

فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ الآيات.

﴿ قُلِ مُحِيبًا لقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهُ قادر على أن ينزل آية ﴾ فليس في قدرته قصور عن ذلك، كيف وجميع الأشياء منقادة لعزته، مذعنة لسلطانه؟!

ولكن أكثر الناس لا يعلمون فهم لجهلهم وعدم علمهم يطلبون ما هو شر لهم من الآيات، التي لو جاءتهم فلم يؤمنوا بها، لعوجلوا بالعقاب، كما هي سُنّة الله التي لا تبديل لها، ومع هذا فإن كان قصدهم الآيات التي تبين لهم الحق، وتوضح السبيل، فقد أتى محمد ﷺ بكل آية قاطعة، وحجة ساطعة، دالة على ما جاء به من الحق، بحيث يتمكن العبد في كل مسألة من مسائل الدين، أن يجد فيما جاء به عدة أدلة عقلية ونقلية، بحيث لا تبقى في القلوب أدنى شك وارتياب، فتبارك الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق، وأيده بالايات البينات ليهلك مَنْ هلك عن بينة، ويحيا مَنْ حيّ عن

بينة، وإن الله لسميع عليم. ﴿٣٨﴾ ﴿وما من دابةٍ في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ أي: جميع الحيوانات الأرضية والهوائية، من البهائم والوحوش والطيور، كلها أمم أمثالكم خلقناها كما خلقناكم، ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا

كما كانت نافذة فيكم.

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ أي: ما أهملنا ولا أغفلنا في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم. وفي هذه الآية دليل على أن الكتاب

الأول قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: الجزء السابع]

التي يضطر إلى دفعها، هل تدعون آلهتكم وأصنامكم، أم تدعون ربكم الملك الحق المبين.

﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ فإذا كانت هذه حالكم مع أندادكم عند الشدائد، تنسونهم، لعلمكم أنهم لا يملكون لكم ضرأ ولا نفعاً، ولا موتأولا حياة ولا نشوراً.

وتخلصون لله الدعاء، لعلمكم أنه هو النافع الضار، المجيب لدعوة المضطر، فما بالكم في الرخاء تشركون به وتجعلون له شركاء؟ هل دلكم على ذلك عقل أو نقل، أم عندكم من سلطان بهذا؟ بل (٢) تفترون على الله

﴿ ٤٦ _ ٤٥ ﴾ ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون * فقطع دأبر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين لل يقول تعالى: ﴿ولقبد أرسلنا إلى أمم من قبلك من الأمم السالفين والقرون المتقدمين، فكذبوا رسلنا وجحدوا آياتنا ﴿فَأَحَذُناهِم بِالبِّأْسَاءِ وَالضَّرَاءُ ﴾ أي : بالفقر والمرض والآفات والمصائب، رحمة منا بهم. ﴿لعلهم يتضرعون﴾ إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا.

﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم﴾ أي: استحجرت فلا تلين للحق. ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان.

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ من الدنيا ولذاتها وغفلاتها وحتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون،

وليكُلِّ دَرَحَتُ مِتَاعَكِمُوا وَمَارَتُكَ بِعَلَهِ لَا عَكُمَّا يَعْسَلُونَ ۞ وَرَثُكَ الْغَيْءُ وُالزَّعْسَةُ إِن يَشَأَ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَايَنُكَ أَكُماً أَنْسُأُكُمْ مِن ذُرِّنِيَةُ فَوْمِ ءَاحْدِينَ ﴿ إِنَّ مَا وَعُكُونَ لَآتِ وَمَا أَنتُ مِنتَجِيزِي ﴿ قُلْ يَكَفُّومِ أَعْكُمُواْعَلَىٰ مَكَانَتِكُمُ إِنِّي عَامِلٌ فَمَنْوِيكَ تَصْفُوكَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَلَيْهَ أَلَدًا إِنَّا ثُلَا يُفْلِمُ ٱلظَّلِيمُونَ المُ وَجَعَكُواْ بِعَوْمِمَا ذَرَأُ مِنَ ٱلْحَرَٰتِ وَٱلْأَقْلَمِ نَصِيبًا فقكالوأهك ذايقه زغه وفروهك ذالشكرك أبثأفتا

كَانَ لِثُرُكَ آبِهِ مُ فَلَايَصِ أُلِكَ ٱللَّهِ وَكَا كَانَ يَدُونَهُونِمِسِلُ إِلَى شُرَكَ آبِهِ وَأَسَاتَهُ مَايَحْكُمُونَ ۞ وَكَنْالِكَ ذَيْنَ لِكَيْبِهِ ﴿ مِنَ ٱلْمُشْمِوكِينَ مَنْلَ أَوْلَدِهِمْ شُرَكَ آوُعُرَ السُندهُ وهُمْ وَلِيكَلِسُواْ عَكِيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْسُكَةَ

الله مَافِعَ الْوَقِ مَافِكُ وَمُ مَافِعَ اللهِ مَافِقَ اللهِ مَافِعَ اللهِ مَافِعَ اللهِ مَافِقَ اللهِ مَنْ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ اللّهِ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ اللّهِ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ المَافِقِ اللهِ مَافِقَ اللهِ مَافِقَ اللّهِ مَافِقَ اللّ

CENTRAL CHESTS CHESTS

ON TON WE DESIGN أى: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد

لعقوبتهم وأعظم لمصيبتهم. ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي: اصطلموا بالعذاب، وتقطعت بهم الأسباب. ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على منا قنضناه وقندره من هنلاك المكذبين. فإن بذلك تتبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاءت به المرسلون.

﴿ ٤٦ ـ ٤٧) ﴿ قسل أرأيستهم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كييف نتصرف الآيات ثنم هم يصدفون * قبل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون، يخبر تعالى أنه كما أنه المتفرد بخلق الأشياء وتدبيرها، فإنه المنفرد بالوحدانية والإلهية، فقال: ﴿قُلُ أُرأُيتُمُ إِنْ أَخُذُ اللهُ سَمِعِكُمُ وأبصاركم وختم على قلوبكم، فبقيتم بلا سمع ولا بصر ولا عقل ﴿من إله غير الله يأتيكم به الله فإذا لم يكن غير الله يأتي بذلك، فلِمَ عبدتم معه مَنْ لا قدرة له على شيء إلا إذا شاءه الله. وهذا من أدلة التوحيد وبطلان

الشرك، ولهذا قال: ﴿انظر كيف

علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل

شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد .

ويحتمل أن المراد بالكتاب هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾.

وقوله: ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ أي: جميع الأمم تحشر وتجمع إلى الله في موقف القيامة، في ذلك الموقف العظيم الهائل، فيجازيهم بعدله وإحسانه، ويمضى عليهم حكمه الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، أهل السماء وأهل الأرض.

﴿٣٩﴾ ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم هذا بيان لحال المكذبين بآيات الله المكذبين لرسله، أنهم قد سدوا على أنفسهم باب الهدي، وفتحوا باب الردي، وأنهم ﴿صم﴾ عن سماع الحق ﴿بِكُم﴾ عن النطق به، فلا ينطقون إلا

﴿ فِي الظلماتِ ﴾ أي: منغمسون في ظلمات الجهل والكفر، والظلم، والعناد، والمعاصي. وهذا من إضلال الله إياهم، في ﴿ مَنْ يَسَأُ اللهُ يضلله ومَنْ يشأ يجعله على صراط مستقيم الأنه المنفرد بالهداية والإضلال، بحسب ما اقتضاه فضله وحكمته.

﴿ ٤٠ ــ ٤١ ﴾ ﴿قبل أرأيتكم إن أتاكم عنذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون، يقول تعالى لرسوله: ﴿قل ﴾ للمشركين بالله، العادلين به غيره: ﴿أَرْأَيْنَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين اي: إذا حصلت هذه المشقات، وهذه الكروب

نصرف الآيات أي: ننوعها، ونأي بها من كل فن، ولتنير الحق، وتتبين سبيل المجرمين. وثم هم مم مغ هذا البيان التام (يصدفون عن آيات الله ويعرضون عنها.

ويعرصون عنها.

﴿ قل أرأيتكم ﴾ أي: أخبروني ﴿ إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة ﴾ أي: مفاجأة أو قد تقدم أمامه مقدمات، تعلمون بها وقوعه ﴿ هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴾ الذين صاروا سبباً لوقوع العذاب بهم، بظلمهم وعنادهم. فاحذروا أن تقيموا على الظلم، فإنه الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي.

﴿٤٨ ـ ٤٩﴾ ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴿ يذكر تعالى زبدة ما أرسل به المرسلين، أنه البشارة وذلك مستلزم لبيان المبشر والمنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر به، والأعمال التي إذا عملها والمنذر به، والأعمال التي مَنْ عملها والمنذرة.

ولكن الناس انقسموا _بحسب إجابتهم لدعوتهم وعدمها _إلى قسمين:

﴿ فِمِن آمِن وأصلح ﴾ أي: آمن

بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأصلح إيمانه وأعماله ونيته ﴿فلا خوف عليهم﴾ فيما يستقبل ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما مضى.

﴿والذِّينِ كَذِبُوا بِآيَاتِنا يَمْسَهُمُ العذَابِ﴾ أي: ينالهم ويذوقونه ﴿بما كانوا يفسقونِ﴾.

﴿ • • ﴾ ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا ، تتفكرون ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ ؛ المقترحين (١) عليه الآيات ، أو القائلين له : إنما تدعونا لنتخذك إلها مع الله : أي مفاتيح رزقه ورحته . ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ وإنما ذلك كله عند الله فهو الذي ما يفتح للناس من رحمة فلا الذي ما يفتح للناس من رحمة فلا بعده ، وهو وحده عالم الخيب والشهادة . فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من رسول .

﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ فأكون نافذ التصرف قوياً، فلست أدعي فوق منزلتي التي أنزلني الله بها. ﴿إِن أُتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ أي: هذا غايتي ومنتهى أمري وأعلاه، إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، فأعمل به في نفسي، وأدعو الخلق كلهم إلى ذلك.

فإذا عُرفت منزلتي، فلأي: شيء يبحث الباحث معي، أو يطلب مني أمراً لست أدعيه، وهل يلزم الإنسان بغير ما هو بصدده؟

ولأي: شيء إذا دعوتكم، بما أوحي إلي أن تلزموني أني أدعي لنفسي غير مرتبتي، وهل هذا، إلا ظلم منكم وعناد وتمرد؟ قل لهم في بيان الفرق بين مَنْ قَبِلَ دعوتي وانقاد لما أوحي إلي، وبين مَنْ لم يكن كذلك ﴿قل هل يسشوي الأعمى والبصير أفلا يتفكرون فتنزلون الأشياء منازلها، وتختارون ما هو أولى بالاختيار والإيثار؟

﴿١٥ _ ٥٥﴾ ﴿وأندر به الديس الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون * ولا تطرد الذين يدعون رجم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين * وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين * وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفورٌ رحيم * وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ، هذا القرآن نذارة للخلق كلهم، ولكن إنما ينتفع به ﴿الدِّين يَخَافُونَ أَنْ يُحَسِّرُوا إِلَى رَبِّمُ فهم متيقنون للانتقال من هذه الدار إلى دار القرار، فلذلك يستصحبون ما ينفعهم ويدعون ما يضرهم. ﴿ليس لهم من دونه ﴾ أي: من دون الله ﴿ولي ولا شفيع أي: لا من يتولى أمرهم فيحصل لهم المطلوب ويدفع عنهم المحذور، ولا من يشفع لهم، لأن الخلق كلهم ليس لهم من الأمر شيء. ﴿لعلهم يتقونَ الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن الإنذار موجب لذلك، وسبب من أسبابه.

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي: لا تطرد عنك وعن مجالستك أهل العبادة والإخلاص، رغبة في مجالسة غيرهم، من الملازمين لدعاء ربهم، دعاء العبادة بالذكر والصلاة ونحوها، ودعاء المسألة في أول النهار وآخره، وهم قاصدون بذلك وجه الله، ليس وهم من الأغراض سوى ذلك الغرض الجليل، فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم، بل هم مستحقون للطرد لما المصفوة من الخلق وإن كانوا لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، الأعزاء في الحقيقة وإن كانوا

عند الناس أذلاء.

﴿ما عليك من حسابه من شيء ﴾ وما من حسابك عليهم من شيء ﴾ أي: كل له حسابه، وله عمله الحسن وعمله القبيع. ﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ وقد امتثل ﷺ هذا الأمر أشد امتثال، فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين صبر نفسه معهم، وأحسن معاملتهم، وألان لهم جانبه، وحسن خلقه، وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه رضى الله عنهم.

وكان سبب نزول هذه الآيات، أن أناساً [من قريش، أو] من أجلاف العرب قالوا للنبي ﷺ: إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلاناً وفلاناً، أناساً من فقراء الصحابة، فإنا نستحيي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء، فحمله حبه لإسلامهم واتباعهم له، فحدثته نفسه بذلك. فعاتبه الله بهذه الآيات ونحوها.

وكذلك فتنا بعضهم ببعض، ليقولوا أهولاء من الله عليهم من بيننا أي: هذا من ابتلاء الله لعباده، حيث جعل بعضهم غنياً؛ وبعضهم فقيراً، وبعضهم شريفاً، وبعضهم وضيعاً، فإذا مَنْ الله بالإيمان على الفقير أو الوضيع؛ كان ذلك عل عنة والباعه آمن وأسلم، ولم يمنعه من ذلك مشاركة الذي يراه دونه بالغنى أو السرف، وإن لم يكن صادقاً في طلب الحق، كانت هذه عقبة ترده عن اتباع

وقالوا محتقرين لمن يرونهم دونهم: ﴿ أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا ﴾ . فمنعهم هذا من اتباع الحق، لعدم زكائهم، قال الله مجيباً لكلامهم المتضمن الاعتراض على الله في هداية هولاء، وعدم هدايت هم هم. ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ الذين يعرفون النعمة، ويقرون بها، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح، فيضع فضله ومنته عليهم، دون مَنْ ليس

بشاكر، فإن الله تعالى حكيم لا يضع فضله عند مَن ليس له بأهل، وهؤلاء المعترضون بهذا الوصف، بخلاف مَن الله عليهم بالإيمان من الفقراء وغيرهم فإنهم هم الشاكرون. ولما نهى الله رسوله عن طرد المؤمنين الماتنين، أمره بمقابلتهم بالإكرام والإعظام، والتبجيل والاحترام، فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَكُ الذّين يؤمنون بناتنا فقل سلام عليكم﴾ أي: وإذا جاءك المؤمنون، فحيهم ورخب بهم ولقهم منك تحية وسلام، وبشرهم بما ينشط عزائمهم وهمهم، من رحمة الله وسعة جوده وإحسانه، وحثهم على كل سبب وطريق يوصل لذلك.

ورهبهم من الإقامة على الذنوب، وأمُرهم بالتوبة من المعاصي لينالوا مغفرة ربهم وجوده، ولهذا قال: «كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه مَن عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح أي: فلا بدمع ترك الذنوب والإقلاع والندم عليها، من إصلاح العمل وأداء ما أوجب الله، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة.

فإذا وجد ذلك كله ﴿فأنه غفور رحيم﴾ أي: صب عليهم من مغفرته ورحته، بحسب ما قاموا به مما أمرهم به.

﴿وكذلك نفصل الآيات ﴾ أي: نوضحها ونبينها، ونميز بين طريق الهدى من الضلال، والغي والرشاد، ليهتدي بذلك المهتدون، ويتبين الحق الذي ينبغي سلوكه. ﴿ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ الموصلة إلى سخط الله وعذابه، فإن سبيل المجرمين إذا استبانت واتضحت أمكن اجتنابها والبُعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة، فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل.

﴿٥٦ _ ٨٥﴾ ﴿قل إني نهيست أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا

من المهتدين * قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين * قبل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بين وبينكم والله أعلم بالظالمين ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل الهؤلاء المشركين الذين يدعون مع الله آلهة أخرى: ﴿إِنِي نَهِيت أَن أُعبِدُ الذين تدعون من دون الله ﴿ من الأنداد والأوثبان التي لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فإن هذا باطل، وليس لكم فيه حجة بل ولا شبهة، إلا اتباع الهوى الذي اتباعه أعظم الضلال، ولهذا قال: ﴿قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً الى: إن اتبعت أهواءكم ﴿وما أنا من المهتدين﴾ بوجه من الوجوه، وأما ما أنا عليه من توحيد الله وإخلاص العمل له، فإنه هو الحق الذي تقوم عليه البراهين والأدلة القاطعة .

وأنا ﴿على بيّنة من ربي ﴾ أي: على يقين مبين، بصحته وبطلان ما عداه، وهذه شهادة من الرسول جازمة لا تقبل التردد، وهو أعدل الشهود من الخلق على الإطلاق؛ فصدق بها المؤمنون، وتبين لهم من صحتها وصدقها، بحسب ما مَنَّ الله به عليهم.

و الكنكم أيها المسركون و كذبتم به وهو لا يستحق هذا منكم، ولا يليق به إلا التصديق، وإذا أن العذاب واقع بكم لا محالة، وهو أن العذاب واقع بكم لا محالة، وهو عند الله، هو الذي ينزله عليكم إذا شاء وكيف شاء، وإن استعجلتم به فليس بيدي من الأمر شيء وإن الحكم الله فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي، فأمر ونهى، فإنه بيعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته. ويعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته فالاعتراض على حكمه مطلقاً مدفوع، وقد أوضح السبيل وقص على عباده وقد أوضح السبيل وقص على عباده

الحق قصاً، قطع به معاذيرهم، وانقطعت له حجتهم، ليهلك من هلك عن بينة ﴿وهو عن بينة ﴿ وهو خير الفاصلين ﴾ بين عباده في الدنيا والآخرة، فيفصل بينهم فصلا يحمده عليه، ووجه الحق نحوه.

وقل المستعجلين بالعذاب، جهلاً وعناداً وظلماً، ولو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم فأوقعته بكم ولا خير لكم في ذلك، ولكن الأمر عند الحليم الصبور، الذي يعصيه العاصون، وهو يعافيهم ويتجرأ عليه المتجرؤون، وهو يعافيهم والباطنة. ووالله أعلم بالظالمين لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، فيمهلهم ولا يهملهم.

﴿٥٩﴾ ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار من الحيوانيات والأشجيار، والرميال والحصى والتراب، وما في البحار من حيواناتها ومعادنها وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها.

﴿وما تسقط من ورقة ﴾ من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفر، والدنيا والآخرة، إلا يعلمها. ﴿ولاحبة في ظلمات الأرض ﴾ من حبوب الشمار والزروع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النوابت البرية التي ينشيء منها أصناف النباتات.

﴿ولا رطب ولا يابس ﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿إلا في كتاب مبين ﴾ وهو اللوح المحفوظ قد حواها واشتمل

عليها، وبعض هذا المذكور يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته في أوصافه كلها.

وأن الخلق - من أولهم إلى آخرهم - لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع، العليم، الحميد المجيد، المحيط.

وجل من إله لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث.

﴿٦٠ ــ ٦٢﴾ ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بماكنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحسق ألا لسه الحسكسم وهسو أسسرع الحاسبين، هذا كله تقرير لإلوهيته، واحتجاج على المشركين به، وبيان أنه تعالى المستحق للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، فأخبر أنه وحده المتفرد بتدبير عباده، في يقظتهم ومنامهم، وأنه يتوفاهم بالليل وفاة النوم، فتهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية والدنيوية وهو _تعالى _يعلم ما جرحوا وما كسبوا من تلك الأعمال. ثم لا يزال تعالى هكذا يتصرف فيهم، حتى يستوفوا آجالهم. فيُقضى بهذا التدبير أجل مسمى، وهو: أجل الحياة، وأجل آخر فيما بعد ذلك، وهو البعث بعد الموت، ولهذا قال: ﴿ ثم إليه مرجعكم لا إلى غيره ﴿ثُمُّ ينبئكم بما كنتم تعملون، من خير

﴿وهو﴾ تعالى ﴿القاهر فوق عباده﴾ ينفذ فيهم إرادته الشاملة ومشيئته

العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئاً، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة، يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين. كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون﴾. ﴿عن كاتبين وعن الشمال قميد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ فهذا حفظه لهم في حال الحياة.

﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ أي: الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وهم لا يفرطون﴾ في ذلك، فلا يزيدون ساعة عما قدر الله وقضاه ولا ينقصون، ولا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية والتقادير الربانية.

﴿ثُمَ بِعِدُ المُوتِ وَالْحِياةِ الْبِرزِخِيةِ وما فيها من الخير والشر ﴿ردوا إلى اللهِ مولاهم الحق) أي: الذي تولاهم بحكمه القدري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير، ثم تولاهم بأمره ونهيه، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ثم ردوا إليه ليتولى الحكم فيهم بالجزاء، ويثيبهم على ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم على الشرور والسيئات، ولهذا قال: ﴿ أَلَا لَهُ الحكم) وحده لا شريك له ﴿وهـو أسرع الحاسبين، لكمال علمه وحفظه لأعمالهم، بما أثبته في اللوح المحفوظ، ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم، فإذا كان تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، وهو القاهر فوق عباده، وقد اعتنى بهم كل الاعتناء في جميع أحوالهم، وهو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، فأين للمشركين العدول عن من هذا وصفه ونعته، إلى عبادة مَنْ ليس له من الأمر شيء، ولا عنده مشقال ذرة من النفع، ولا له قدرة وإرادة؟!

أما والله لو علموا حلم الله عليهم وعفوه ورحمته بهم، وهم يبارزونه بالشرك والكفران، ويتجرؤون على عظمته بالإفك والبهتان، وهو يعافيهم

ويرزقهم، لانجذبت دواعيهم إلى

معرفته، وذهلت عقولهم في حبه،

ولمقتوا أنفسهم أشدالمقت، حيث

انقادوا لداعي الشيطان، الموجب

للخزي والخسران، ولكنهم قوم لا

﴿ ٣٣ _ ٦٤ ﴾ ﴿قل من ينجيكم من

ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا

وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من

الشاكرين * قُل الله ينجيكم منها ومن

كل كرب ثم أنتم تشركون) أي:

﴿قَلِ﴾ للمشركين بالله الداعين معه آلهة

أخرى، ملزماً لهم بما أثبتوه من توحيد

الربوبية، على ما أنكروا من توحيد

الإلهية ﴿من ينجيكم من ظلمات البر

والبحر، أي: شدائد هما ومشقاتهما،

وحين يتعذر أو يتعسر عليكم وجه

الحيلة، فتدعون ربكم تضرعاً بقلب

خاضع، ولسان لا يزال يلهج بحاجته

في الدّعاء، وتقولون وأنتم في تلك

الحال: ﴿لِنُنِ أَنجانًا مِن هَذُهُ السَّدَةُ

التي وقعنا فيها ﴿لنكونن من

الشاكرين ﴾ لله، أي: المعترفين بنعمته،

الواضعين لها في طاعة ربهم، الذين

﴿قُلُ اللَّهُ يُنجِيكُمُ مِنْهَا وَمِنْ كُلُّ كرب، أي: من هذه الشدة الخاصة،

ومن جميع الكروب العامة ﴿ثم أنتم

تشركونَ ﴾ لا تفون لله بما قلتم،

وتنسون نعمه عليكم، فأي: برهان

أوضح من هذا على بطلان الشرك،

﴿٦٥ ـ ٦٧ ﴾ ﴿قل هو القادر على

أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من

تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق

بعضكم بأس بعض انظر كيف تصرف

الآيات لعلهم يفقهون * وكذب به

قومك وهو الحق قبل لست عليكم

بوكيل * لكل نبأ مستقر وسوف

تعلمون، أي: هو تعالى قادر على

إرسال العذاب إليكم من كل جهة.

﴿من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو

يلبسكم ﴾ أي: يخلطكم ﴿شيعاً ويذيق

وصحة التوحيد؟!!

حفظوها عن أن يبذلوها في معصيته .

من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أنه قادر على ذلك. ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف. ولكن عاقب من عاقب منهم بأن

﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ أي: ننوعها، ونأتي بها على أوجه كثيرة وكلها دالة على الحق. ﴿لعلهم يفقهون، أي: يفهمون ما خلقوا من أجله، ويفقهون الحقائق الشرعية

بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها

﴿ وَكِذُبُ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ قومك وهو الحق) الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه. ﴿قبل لست عليكم بوكيل، أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها، وإنما أنا منذر ومبلغ.

﴿لكل نبأ مستقر ﴾ أي: وقت يستقر فيه، وزمان لا يتقدم عنه ولا يتأخر ﴿وسوف تعلمون﴾ ما توعدون به من العذاب.

﴿ ٢٩ _ ٢٩ ﴾ ﴿ وإذا رأيت الله ين

بعضكم بأس بعض اي: في الفتنة، وقتل بعضكم بعضاً. فهو قادر على ذلك كله، فاحذروا

أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط

المعتبرون، ويشعر بها العالمون^(١). والمطالب الإلهية.

بخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين * وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكري لعلهم يتقون المراد بالخوض في أيات الله: التكلم بما يخالف الحق، من تحسين المقالات الباطلة والدعوة إليها ومدح أهلها، والإعراض عن الحق والقدح فيه وفي أهله. فأمر الله رسوله أصلاً، وأمته تبعاً، إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك حتى

وَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَ اللَّهُ عَل ءَالذَكَ مَن حَرَّمَ أَمِ ٱلأُنكِين أَمَّا أَشْتَمَكُ عَلَيْهِ أَنْ حَامُ ٱلْأَنْكَيْنَ بَتُونِ بِعِنْدِ إِن كُنْتُومَ لِيقِينَ ، وَمِنَ ٱلْإِبلِ آشَنِينِ وَمِنَ ٱلْبَصَرَ آشَيْنُ قُلْ ءَٱلذُّكُرَيْنِ حَرِّرَ أَوِ ٱلْأَنْتِكِينِ أَمَّا أَشْتَمَكُ عَلَيْهِ أَرْحَكُمُ ٱلْأُنْتُ أَنَّ أَمْرَكُ بِنُدْشُهَدَآءَ إِذْ وَضَاحِكُمُ أَلَقَهُ بِهَا فَأَ فَنَ أَظَاكُرُ مِّنَ أَفْرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبَا لِيُصِلُ النَّاسَ بِعَكْرِعِلْهِ الْتَ الله لَايَهْدِي الْقَوْرَ الظَّلِلِينَ ﴿ قُل لَّا أَجِدُفِ مَا أُرِي إِلَّ عُرَّمًا عَلَىٰ طَاعِهِ يَطْعَرُمُهُ وَإِلَّا أَنْ يَسَحُونَ مَيْتَةً أوّدَ مَا مَّسْفُوحًا أَوْلَحْ مَ خِيْرِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسُ أَوْفِيتَقَا أُحِلَّ لِفَيْرِاللَّهِ بِدُّ فَنَ أَضْعُلْ تَغَيْرَكَ إِعْ وَلاعَ اوْفَإِثَ رَبُّكَ عَـعُورٌ رَحِيـهٌ ۞ وَعَكَلَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ في إن علمُ ومن المقروالفن عكرَّف اعليَّهِ الشحومَهُ مَا إِلَّامَا حَلَتْ ظُهُودُهُ مَا أَوَا خُوَابَ آوْمَا أَخْلَطُ

POSESSE WESTERN يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره زال النهي المذكور.

إِمَنْظُمُّ ذَلِكَ جَزَيْنَهُ مِسَنْبِهِمْ قَانَكُ لَسَكِوفُنَ ۞

فإن كان مصلحة كان مأموراً به، وإن كان غير ذلك كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل، حث على البحث والنظر والمناظرة بالحق شم قال: ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة. ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين الشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرّم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته.

هذا النهي والتحريم لمن جلس معهم، ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم وعن الإنكار، فإن استعمل تقوى الله تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه، فهذا ليس عليه حرج ولا إثم، ولهذا قال: ﴿وماعلى الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكري لعلهم يتقبون أي: ولكن ليذكس هم ويعظهم، لعلهم يتقون الله تعالى.

ENE LENE I إِ فَإِن كَ نَبُوكَ فَقُل رَبُّكُمْ ذُورَهُ } وَاسِعَةِ وَلاَيْرُدُ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْفَوْمِ ٱلْمُجْمِعِينَ ۞ سَيَغُولُ ٱلَّذِينَ ٱلسَّرَكُولَ لْوَشَآةَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكَ نَا وَلآءَابَ أَوْنَا وَلاَحْرَيْنَ امِن شَيْءً كَذَلِكَ كَنَّبَ الَّذِيرَ مِن قَبْلِهِ مْحَتَّى ذَاْفُواْ بَأْسَتُّ اللَّهِ هَلْ عِندَكُمُ مِنْ عِلْمِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن مَثْ يَعُوكَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَلِنَ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْذُرُصُونَ ۞ قُلْ فَيِقُولَ لَهُ جُكَةُ ٱلْبَالِيُّفَّةُ فَلَوْسَاءً لِمُدَنَكُوا لِمَعَوِينَ ﴿ قُلْمَكُونَهُ مَا يَحْمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَ ٱلْقَاحَرُومَهَاذَاً فَإِن شَهِدُواْفَلَا تَشْهَدُمْمَهُمُ وَلَائْتَيْمَ أَهْوَآهُ الَّذِينَ كَنَّهُ وَإِيمَا يُلتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ بِٱلْآخِسَرَةِ وَهُمْ مِرْزَقِهِمْ يَعْدِلُونَ ۞ قُلْقَكَ الْوَا أَتَلُ مَا حَرْمَ رَيُّ كُمْ عَلَيْتِ كُمْ أَلَاثُنْدِكُوا يهِ سَيَتًا وَبِٱلْوَلِائِنِ إِحْسَانًا وَلَاٰتَقْتُ أَوَا أَوْلَاسَكُم مِنْ إِمَانَ خُنُ زَنُقُكُمْ وَالْيَافَةُ وَلَاتَقَدَهُوا ٱلْفَوَحِشَ ماظه رمنها ومابتك ولاتفث أواالتنس التي كرير إِلَّا اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقُّ ذَلِكُمْ وَمَّاكُمُ بِمِيلَعَلَّكُو تَعْقِلُونَ ﴿ ADDEDE INCORPED

وفي هذا دليل على أنه ينبغي أن يستعمل المذكر من الكلام ما يكون أقرب إلى حصول مقصود التقوى. وفيه دليل على أنه إذا كان التذكير والوعظ مما يزيد الموعوظ شراً إلى شره، إلى أن تركه هو الواجب(١)، لأنه إذا ناقض المقصود، كان تركه مقصوداً.

﴿٧٠﴾ ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شرابٌ من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون القصود من العبآد أن يخلصوا لله الدين، بأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويبذلوا مقدورهم في مرضاته ومحابه. وذلك متضمن لإَقبال القلب على الله وتوجهه إليه، وكون سعى العبد نافعاً، وجداً لا هزلاً، وإخلاصاً لوجه الله لا رياء وسمعة، هذا هو الدين الحقيقي الذي يقال له دين، فأما مَنْ زعم أنه على الحق، وأنه صاحب دين وتقوى، وقد اتخذ دينه لعباً ولهواً. بأن لها قلبه عن محبة الله ومعرفته، وأقبل على كل ما يضره، ولها في باطله، ولعب فيه ببدنه، لأن العمل والسعى إذا كان

لغير الله فهو لعب، فهذا أمر الله تعالى أن يترك ويحذر، ولا يغتر به، وتنظر حاله، ويحذر من فعاله، ولا يغتر بتعويقه عمّا يقرب إلى الله.

ودكر به أي: ذكر بالقرآن ما ينفع العباد، أمراً، وتفصيلاً، وتحسيناً له، بذكر ما فيه من أوصاف الحسن، وما يضر العباد نهياً عنه، وتفصيلاً لأنواعه، وبيان ما فيه من الأوصاف القبيحة الشنيعة الداعية لتركه، وكل هذا لئلا تبسل نفس بما كسبت، أي: قبل اقتحام العبد للذنوب وتجرئه على علام الغيوب، واستمرارها على ذلك المرهوب، فذكرها، وعظها، لترتدع وتنزجر وتكف عن فعلها.

وقوله: ﴿لِيس لها من دون الله ولي ولا شفيع ﴾ أي: قبل [أن] تحيط بها ذنوبها، ثم لا ينفعها أحد من الخلق، لا قريب ولا صديق، ولا يتولاها من دون الله أحد، ولا يشفع لها شافع ﴿وإن تعدل كل عدل ﴾ أي: تفتدي بكل فداء، ولو بملء الأرض ذهبا ﴿لا يؤخذ منها ﴾ أي: لا يقبل ولا يفيد.

﴿أُولْمُنْكُ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الذين أبسلوا﴾ أي: أهلكوا وأيسوا من الخير، وذلك ﴿بما كسبوا، لهم شراب من حميم﴾ أي: ماء حار قد انتهى حره، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم ﴿وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾.

﴿٧٧-٧٧﴾ ﴿قـل أنـدعـوا مـن دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين * وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون * وهو الذي ويوم خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب

والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ ﴿قل﴾ يا أيها الرسول للمشركين بالله ، الداعين معه غيره ، الذين يدعونكم إلى دينهم ، التي يكتفي العاقل بذكر وصفها عن النهي عنها ، فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المشركين جزم ببطلانه قبل أن تقام البراهين على ذلك ، فقال : ﴿أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ﴾ وهذا وصف يدخل فيه ، كل من عبد من دون الله ، فإنه لا ينفع ولا يضر، وليس له من الأمر شيء ، إن الأمر ولا .

﴿ونسرد عسلى أعسقسابسا بسعمد إذ هدانما الله الله أي: وننقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال، ومن الرشد إلى الغي، ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم، إلى الطرق التي تفضى بسالكها إلى العذاب الأليم، فهذه حالً لا يرتضيها ذو رشد، وصاحبها ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض) أي: أضلته وتيهته عن طريقه ومنهجه، الموصل له إلى مقصده. فبقى ﴿حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدي والشياطين يدعونه إلى الردي، فبقى بين الداعيين حائراً وهذه حال الناس كلهم، إلا مَنْ عصمه الله تعالى، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي (٢) متعارضة ، دواعي (٣) الرسالة والعقل الصحيح، والفطرة المستقيمة ﴿يدعونه إلى الهدي، والصعود إلى أعلى عليين.

ودواعي (4) الشيطان ومن سلك مسلكه، والنفس الأمّارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس مَنْ يكون مع داعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها، ومنهم مَنْ بالعكس من ذلك. ومنهم مَنْ يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السقاوة.

وقوله: ﴿قل إن هدى الله هو اللهدى﴾ أي: ليس الهدى إلا الطريق

٣) كذا في ب، وفي أ: داع.

⁽٤) كذا في ب، وفي أ: داعي.

⁽١) في ب: كان تركه هو الواجب.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: دواع.

التي شرعها الله على لسان رسوله، وما عداه فيه و ضلال وردى وهلاك. ﴿ وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴿ بأن ننقاد لتوحيده، ونستسلم لأوامره ونواهيه، وندخل تحت رق عبوديته، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد،

﴿وأن أقيموا الصلاة ﴾ أي: وأمرنا أن نقيم الصلاة بأركانها وشروطها وسننها ومكملاتها. ﴿واتقوه بفعل ما أمر به، واجتناب ما عنه نهى. ﴿وهو الذي إليه تحشرون ﴾ أي: تجمعون ليوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم خيرها مشدها

وأكمل تربية أوصلها إليهم.

وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ليأمر العباد وينهاهم، والأرض بالحق ليأمر العباد وينهاهم، ويثيبهم ويعاقبهم، وويوم يقول كن فيكون قوله الحق الذي لا مرية فيه الملك يوم ينفخ في الصور أي: يوم القيامة، خصّه بالذكر _ مع أنه مالك كل شيء _ لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى ملك إلا لله الواحد القهار. وعالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير الذي له الحكمة التامة، والنعمة السابغة، والإحسان العظيم، والعمل المحيط بالسرائر والبواطن والخفايا، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

﴿ ٧٤ - ٣٨﴾ ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين * وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ إلى آخر القصة . يقول تعالى : واذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، مثنيا عليه ومعظماً في حال دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك ، إذ قال لأبيه ﴿ آزر أتتخذ أصناماً آلهة ﴾ أي : لا تنفع ولا تضر وليس لها من الأمر شيء ، ﴿ إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ حيث عبدتم مَن لا يستحق من

العبادة شيئاً، وتركتم عبادة خالقكم، ورازقكم ومدبركم.

وكذلك وين وفقناه للتوحيد والدعوة إليه فرري إبراهيم ملكوت السسماوات والأرض أي: ليرى ببصيرته ما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة فوليكون من الموقنين فإنه بحسب قيام الأدلة يحصل له الإيقان، والعلم التام بجميع المطالب.

﴿ فَلَمَا جَنَّ عليه الليل ﴾ أي: أظلم ﴿ رأى كوكباً ﴾ لعله من الكواكب المضيئة، لأن تخصيصه بالذكر يدل على زيادته عن غيره، ولهذا _ والله أعلم _ قال مَنْ قال: إنه الزهرة.

﴿قَالَ هَذَا رِي﴾ أي: على وجه التنزل مع الخصم، أي: هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه بغير حجة ولا برهان.

﴿ فلما أقل ﴾ أي: غاب ذلك الكوكب ﴿ قال لا أحب الآفلين ﴾ أي: الذي يغيب ويختفي عمّن عبده، فإن المعبود لا بد أن يكون قائماً بمصالح من عبده، ومدبراً له في جميع شؤونه، فأما الذي يمضي وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخاذه إلها إلا من أسفه السفه، وأبطل الباطل؟!

﴿فلما رأى القمر بازغاً ﴾ أي: طالعاً، ورأى زيادته على نور الكواكب وخالفته لها ﴿قال هذا ربي ﴾ تنزلاً. ﴿فلما أفل قال: لئن لم يهدني ربي الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يعنه على طاعته فلا معين له.

﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ﴾ من الكوكب ومن القمر . ﴿ فلما أفلت ﴾ تقرر حيننذ الهدى ، واضمحل الردى ف ﴿ قال يا

وَلِاتَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْبَسِهِ إِلَّا مِالَّةِ هِيَ أَحْسَنُ حَقَّى بَلُغَ أَشُدُّ

وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلُ وَالْمِيزَاتَ بِٱلْقِسْطِ لَانْكَلِفُ فَسًّا

إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُ مُ فَأَعْدِلُواْ وَلَوْكَ انْ ذَاقَرُكُمْ وَبِعَهْدِ

LEGISTE 1

قوم إني بريء مما تشركون ، حيث قام البرهان الصادق الواضح على بطلانه.

ONE MONINE DE LE COMP

يَصِّدِ فُونَ عَنْ ءَايَدْتِنَا سُوَّءَ ٱلْعَذَابِ عِمَا كَانُواْ يَصِّدِ فُونَ ۞

﴿إِنِ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً﴾ أي: لله وحده، مقبلاً عليه، معرضاً عن مَن سواه. ﴿وما أنا من المشركين﴾ فتبرأ من المشركين فتبرأ على ذلك البرهان [وهذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات هو الصواب، وهو أن المقام مقام مناظرة من إبراهيم لقومه وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها. وأما من قال إنه مقام نظر في حال طفوليته فليس عليه دليل] (١٠).

﴿وحآجه قومه قال: أتحآجوني في الله وقد هدان أي فائدة لمحاجة من (٢) لم يتبين له الهدى? فأما مَن هداه الله، ووصل إلى أعلى درجات اليقين، فإنه _ هو بنفسه _ يدعو الناس إلى ما هو عليه.

﴿ولا أخاف ما تشركون به ﴾ فإنها لن تضرني، ولن تمنع عني من النفع شيئاً. ﴿إِلاَ أَن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون فلتعلمون أنه وحده المعبود المستحق للعبودية.

﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ وحالها حال العجز وعدم النفع، ﴿ ولا

⁽١) زيادة من هامش: ب وهي بخط الشيخ ــ رحمه الله ــ.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: المحاجة لمن.

١ ينونوالانجيان المنظرة عَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْنِيَهُمُ ٱلْكَتِّبَكُا أَوْيَأْتِ رَثُكَ أَوْيَأْتِ يَعْضُ ءَايَكِ رَبِكُ تُومَ يَأْتِي يَعْضُ ءَايَكِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيَنْهُا لَرَتَكُنَّ ءَامَنَتْ مِن قَبَلُ أَوْكَسَتَتْ فِيَإِيمَنِهَا خَيْرًا فَإِلَيْظُ فَإِلَّا إِنَّامُنَفِطِيهِ فَ إِذَالَّذِينَ فَرَقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيعًالِّتَ مِنْهُمْ فِي ثَنِيَّ ۚ إِنَّآ أَمُّوهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُرُّونِيَتُكُمْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَكُونَ ٨ مَن جَآةٍ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَنْ الِمَأْ وَمَن جَآةٍ بِٱلسَّيَعَةِ فَلَا يُجْزَيَّ إِلَّامِشْلَهَا وَهُوَ لَا يُظْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنِّي هَدَنِي رَفِي إِلَّا صرط مُستقيد دينَاقِيمَا مِلَّةَ إِرَاهِ يمَ حَيفاً وَمَاكَانُ مِنْ ٱلْمُشْكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلَاقِي وَلُسُكِي وَعَيَاىَ وَمَسَالِبَ بِلَّوَرَتِ ٱلْعَنْلِينَ ۞ لَاشْرِيكَ لَهُ وَيَذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِي رَبَّا وَهُوَرَبُ كُلِّ شَيَّءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّاعَلَيْهَأْ وَلَانَزِرُ وَازِرَةً وِزْرَأْخَرَةً ثُمَّالِلَارَيِّكُمْ مَّرْجِئُكُمُّ فَيُنَيِّتُكُمُّ بِمَاكُنتُمْرْفِيهِ تَغْتَلِفُونَ ۞ وَهُوَٱلَّذِى جَعَلَكُمْرُ خَلَيْفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُرُ فَوْقَ بَعْضِ دَرَحَتِ لِيَتْلُوكُرُ فِ مَآءَ التَكُرُ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْمِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَكُورٌ رَجِيعٌ ۞

تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي: إلا بمجرد اتباع الهوى. ﴿ فَأَي: الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾ .

والذين الفريقين قال الله تعالى فاصلاً بين الفريقين قال الله تعالى فاصلاً بين الفريقين فإيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون الأمن من المخاوف والعذاب والسقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام والهداية التامة.

حصل لهم الامن التام والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء.

ولما حكم لإبراهيم عليه السلام، بما بين به من البراهين القاطعة قال: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ أي: علا بها عليهم، وفلجهم ما.

﴿نرفع درجات مَنْ نشاء ﴾ كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات. خصوصاً

العالم العامل المعلم، فإنه يجعله الله إماماً للناس بحسب حاله، ترمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره، ويمشى بعلمه في ظلمة

يرور قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾.

﴿إِن ربك حكيم عليم﴾ فلا يضع العلم والحكمة، إلا في المحل اللاتق بها، وهو أعلم بذلك المحل وبما ينبغي

﴿٩٠ _ ٨٤﴾ ﴿ووهبنا له إسحاق

ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من

قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويبوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى الحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوظأ وكلأ فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدی الله بهدی به من یشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكري للعالمين، لما دخر الله تعالى عبده وخليله إبراهيم عليه السلام، وذكر ما منَّ الله عليه به من العلم والدعوة والصبر، ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب. وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، وأعظم بهذه المنقبة والكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها نظير فقال: ﴿ ووهبنا له إسحاق

العالمين. ﴿كُلاَّ﴾ منهما ﴿هدينا﴾ الصراط المستقيم في علمه وعمله.

ويعقوب، ابنه، الذي هو إسرائيل،

أبو الشعب الذي فضله الله على

﴿ونوحاً هدينا﴾ ﴿من قبل﴾

وهدايته (۱) من أنواع الهدايات الخاصة التي لم تحصل إلا لأفراد من العالم؛ وهم أولو العزم من الرسل الذي هو أحدهم.

﴿ وَمَن ذريته ﴾ يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح ، لأنه أقرب مذكور ، ولأن الله ذكر مع مَنْ ذكر لوطاً ، وهو من ذرية نوح ، لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه .

ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم، لأن السياق في مدحه والثناء عليه، ولوط _ وإن لم يكن من ذريته _ فإنه ممن آمن على يده، فكان منقبة الخليل وفضيلته بذلك، أبلغ من كونه جود ابن له.

﴿ داود وسليمان ﴾ بسن داود ﴿ وأيوب ويوسف ﴾ بن يعقوب. ﴿ وموسى وهارون ﴾ ابني عمران ، ﴿ وكذلك ﴾ كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل ، لأنه أحسن في عبادة ربه ، وأحسن في نفع الخلق ﴿ كذلك نجزي المحسنين ﴾ بأن نجعل لهم من الثناء الصدق ، والذرية الصالحة بحسب إحسانهم .

﴿وزكريا ويحيى ابنه ﴿وعيسى ﴾ ابن مريم. ﴿وإلياس كل ﴾ من هؤلاء ﴿من المصالحين ﴾ في أخلاقهم وأعمالهم وعلومهم، بل هم سادة الصالحين وقادتهم وأثمتهم.

وإسماعيل بن إبراهيم أبو الشعب الذي هو أفضل الشعوب، وهو الشعب العربي، ووالد سيد ولد أدم محمد على ويونس بن متى ولوطا بن هاران، أخي إبراهيم. وكلا من هؤلاء الأنبياء والمرسلين وفضلنا على العالمين لأن درجات الفضائل أربع - وهي التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَمَنْ يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله

في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك.

﴿ ومن آبائهم ﴾ أي: آباء هؤلاء المذكورين ﴿ وذرياتهم وإخوانهم ﴾ أي: وهدينا من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم ، ﴿ واجتبيناهم ﴾ أي: اخترناهم ﴿ وهديناهم إلى صراط

وذلَ ك الله الذي لا هدى المذكور وهدى الله الذي لا هداه. وهدى الله الذي لا هدى إلا هداه. وهي منه الله عن يشاء من عباده فلا هادي لكم غيره، وعمن شاء هدايته هؤلاء المذكورون. ولمن شاء هدايته هؤلاء الفرض والتقدير ولحبط عنهم ما كانوا يعملون فإن الشرك عبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا وحاشاهم _ لحبطت أعمالهم، فغيرهم أولى.

وأولتك المذكورون والمذيب هدى الله فبهداهم اقتده أي: امش منها الرسول الكريم حفلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امتثل هن فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع المتقين، وكان سيد المرسلين وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا الملحظ استدل من الصحابة، أن رسول الله من أفضل الرسل كلهم.

رحون الله ويتج المسل الرسل عليهم. ﴿قل له المالكم عليه أجراً أي: لا أطلب منكم مغرماً ومالاً جزاء عن إبلاغي إياكم، ودعوتي لكم فيكون من أسباب امتناعكم، إن أجري إلاً على الله.

وإن هدو إلا ذكرى للعالمين يتذكرون به ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيذرونه ويتذكرون به معرفة ربهم بأسمائه وأوصافه. ويتذكرون به الأخلاق الحميدة، والطرق الموصلة

إليها، والأخلاق الرذيلة، والطرق المفضية إليها، فإذا كان ذكرى للعالمين، كان أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم فعليهم قبولها والشكر عليها.

﴿٩١٩ ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون، هذا تشنيم على مُنَّ نفَى الرُسالَةَ ، [من اليهود والمشركين](⁽¹⁾ وزعم أن الله ما أنزل على بشر من شيء، فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمته، إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملاً، لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأي: قدح في الله أعظم من هذا؟!!

وقرهم، بما به يقرون _: ﴿مَنْ أَنْوَلُهُمْ الْحَتَابِ الذِي جَاء به موسى ﴾ وهو الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ وهو الجهل ﴿وهدى ﴾ من الضلالة، وهادياً الكتاب الذي شاع وذاع، وملاً ذكره القلوب والأسماع. حتى إنهم جعلوا فيه بما شاؤوا، فما وافق أهواءهم منه أبدوه وأظهروه، وما خالف ذلك أخفوه وكتموه، وذلك كثير.

﴿وعلمتم ﴾ من العلوم التي بسبب ذلك الكتاب الجليل ﴿ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ فإذا سألتهم عن مَنْ آنزل هذا الكتاب الموصوف بتلك الصفات، فأجب عن هذا السؤال. و ﴿قل الله وينجلي مثل الشمس، وتقوم عليهم الحجة، شم إذا ألزمتهم بهذا الإلزام ﴿ فرهم في خوضهم يلعبون ﴾ أي:

القدن كالمنافق المنافق المنا

اتركهم يخوضوا في الباطل، ويلعبوا بما لا فائدة فيه، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

الله الله المركب المركب المركب المركب المركب الله الله الله الله الله الله الله ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة ومن حولها والذين يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون الي و أنزلناه الله أي: وصفه البركة اليك ومبارك أي: وصفه البركة وذلك لكثرة خيراته وسعة مبراته ومصدق الذي بين يديه أي: موافق للكتب السابقة، وشاهد لها بالصدق وليتنذر أم القرى ومَنْ حولها الي وأنزلناه أيضاً لتنذر أم القرى، ومن حولها من وهي: مكة المكرمة، ومَنْ حولها من وهي: مكة المكرمة، ومَنْ حولها من

ديار العرب، بل ومن سائر البلدان. فتحذر الناس عقوبة الله، وأخذه الأمم، وتحذرهم مما يوجب ذلك. ﴿وَالذَّينَ يؤمنونَ بِالآخرة يؤمنونَ بِهِ ﴾ لأن الخوف إذا كان في القلب عمرت أركانه، وانقاد لمراضي الله.

﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ أي: يداومون عليها، ويحفظون أركانها وحدودها وشروطها وآدابها، ومكملاتها. جعلنا الله منهم.

﴿ ٩٣ _ ٩٤ ﴾ ﴿ ومن أظلم ممن المسترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل

وأسمائه وصفاته؟ [!

يَشْبِهَانِ مَلَيْهِ مَا مِن وَزَقِ ٱلْجَنَّةُ وَنَادَنهُ مَادَتُهُمَا أَلُوَأَنْهَكُما عَن يَلْكُمَّا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَّا إِنَّ ٱلشَّيَطُانَ لَكُمَّا عَدُّوتُمُّ بِينَّ ١ PROPERTOR OF THE PROPERTY ما أنـزل الله ولـو تـرى إذ الـظـالمون فـى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ، يقول تعالى: لا أحد أعظم ظلماً ولا أكبر جرماً ممن كَذَبَ [علي] الله، بأن نسب إلى الله قولاً أو حكماً وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب وتغيير الأديان أصولها وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله ــ ما هو

ويدخل في ذلك ادعاء النبوة، وأن الله يوحي إليه وهو كاذب في ذلك، فإنه ممع كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم.

من أكبر المفاسد.

ويدخل في هذه الآية كل مَنْ ادعى النبوة، كمسيلمة الكذّاب والأسود العُنْسي والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

﴿ومَـن قـال سـأنـزل مــثـل مـا أنزل الله أي: ومن أظلم ممن زعم،

أنه يقدر على ما يقدر الله عليه، ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع كما شرعه الله، ويدخل في هذا كل مَنْ يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن، وأنه في إمكانه أن يأتي بمثله. وأي: ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، في ذاته

ولما ذم الظالمين ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار، ويوم القيامة، فقال: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ أي: شدائده واهواله الفظيعة، وكربه الشنيعة لرأيت أمراً هائلاً، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها.

﴿والملائكة باسطو أيديهم ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها، وتعصيها للخروج من الأبدان: ﴿ أَخرجوا أَنفُسكم اليوم تجزون عذاب الهون، أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلكم، والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب ﴿بِمَا كُنتُم تَقُولُونَ عَلَى اللَّهُ غَيْرِ الْحَقَّ﴾ من كذبكم عليه، وردكم للحق، الذي جاءت به الرسل. ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون، أي: تَرَفَّعُون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها. وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت

وفيه دليل على أن الروح جسم يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن الجسد ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ.

وأما يوم القيامة فإنهم إذا وردوها، وردوها مفلسين فرادى بلا أهل ولا مسال ولا أولاد ولا جسنسود ولا أنصار، كما خلقهم الله أول مرة، عارين من كل شيء.

فإن الأشياء، إنما تتمول وتحصل بعد ذلك بأسبابها التي هي أسبابها،

وفي ذلك اليوم تنقطع جميع الأمور التي كانت مع العبد في الدنيا، سوى العمل الصالح والعمل السيّىء، الذي هو مادة الدار الآخرة، الذي تنشأ عنه، ويكون حسنها وقبحها، وسرورها وغمومها، وعذابها ونعيمها، بحسب الأعمال. فهي التي تنفع أو تضر، وما سواها من الأهل والولد، والمال والأنصار، فعواري خارجية، وأوصاف زائلة، وأحوال حائلة، ولهذا قال تعالى:

﴿ولقد جنتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم ﴾ أي: أعطيناكم وأنعمنا به عليكم ﴿وراء ظهوركم ﴾ لا يغنون عنكم شيئاً ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴾

فإن الشركين يشركون بالله، ويعبدون معه الملائكة والأنبياء والصالحين، وغيرهم، وهم كلهم لله، ولكنهم يجعلون لهذه المخلوقات نصيباً وهذا زعم منهم وظلم، فإن الجميع عبيد لله، والله مالكهم، والمستحق وصرفها لبعض العبيد، تنزيل لهم منزلة الخالق المالك، فيوبخون يوم القيامة ويقال لهم هذه المقالة.

﴿ وما نرى معكم شفعاء كم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطع بينكم ﴾ أي: تقطعت الوصل والاسباب بينكم وبين شركائكم، من الشفاعة وغيرها، فلم تنفع ولم تجد شيئاً. ﴿ وضل عنكم ما كنتم والنجاة، التي زينها لكم الشيطان وحسنها في قلوبكم، فنطقت بها السنتكم. واغتررتم بهذا الزعم الباطل الذي لا حقيقة له، حين تبين لكم نقيض ما كنتم تزعمون، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم.

﴿٩٥ _ ٩٨﴾ ﴿إن الله فالق الحبّ والنّوى نجرج الحيّ من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى

تؤفكون * فالق الإصباح وجعل الليل سكنأ والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم * وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون * وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ يخبر تعالى عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته، وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، فقال: ﴿إِنَّ اللهُ فالق الحب﴾ شامل لسائر الحبوب التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها الله في البراري والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع والنوابت، على اختلاف أنواعها وأشكالها ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار من النخيل والفواكه، وغير ذلك. فينتفع الخلق من الآدميين والأنعام والدواب. ويرتعون فيما فلق الله من الحب والنوي، ويقتاتون وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك. ويريهم الله من بره وإحسانه ما يبهر العقول، ويذهل الفحول، ويريهم من بدائع صنعته وكمال حكمته، ما به يعرفونه ويوحدونه، ويعلمون أنه هو الحق، وأن عبادة ما سواه باطلة.

﴿يُخرِج الحي من الميت﴾ كما يخرِج من المني حيواناً، ومن البيضة فرخاً، ومن الحب والنوى زرعاً وشجراً.

﴿وَخُرِجِ المُيتَ﴾ وهو الذي لا نمو فيه، أو لا روح ﴿من الحي﴾ كما يخرج من الأشجار والزروع، النوى والحب، ويخرج من الطائر بيضاً، ونحو ذلك.

﴿ذلكم﴾ الذي فعل ما فعل، وانفرد بخلق هذه الأشياء وتدبيرها ﴿الله﴾ ربكم أي: الذي له الألوهية والعبادة على خلقه أجمعين، وهو الذي ربى جميع العالمين بنعمه، وغذاهم بكرمه. ﴿فأنى تؤفكون﴾ أي: فأنى تصرفون، وتصدون عن عبادة مَنْ هذا شأنه، إلى عبادة مَنْ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة،

ولما ذكر تعالى، مادة خلق الأقوات، ذكر منته بتهيئة المساكن، وخلقه كل ما يحتاج إليه العباد، من الضياء والظلمة، وما يترتب على ذلك من أنواع المنافع والمصالح فقال: ﴿فالق الحب والنوى، أي: كما أنه فالق الحب والنوى، كذلك هو فالق ظلمة الليل الداجي، الشامل لما على وجه الأرض، بضياء الصبح الذي يفلقه شيئاً فشيئاً، حتى الضياء والنور العام، الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم ومعايشهم، ومنايشهم،

ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة، التي لا تتم بوجود النهار والنور ﴿جعل﴾ الله ﴿الليل سكناً﴾ يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة، ثم يريل الله ذلك، بالضياء، وهكذا أبداً إلى يوم القيامة ﴿وَ حِعل تعالى ﴿الشَّمسُ والقَّمرُ حسباناً ﴾ بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر وتناوبهما واختلافهما سلاعرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه، بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت.

وذلك التقدير المذكور وتقدير المعزيز العليم الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة، فجرت مذللة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر والعليم الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر.

ومن الأدلة العقلية على إحاطة علمه، تسخير هذه المخلوقات العظيمة، على تقدير رنظام بديع، تحير العقول في حسنه وكماله وموافقته للمصالح والحكم.

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وليحر تشبه عليكم المسالك، ويتحير في سيره السالك، فجعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم وتجاراتهم وأسفارهم.

منها: نجوم لا تنزال ترى، ولا تسير عن محلها، ومنها ما هو مستمر السير، يعرف سيره أهل المعرفة بذلك، ويعرفون به الجهات والأوقات.

ودلت هذه الآية ونحوها على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك.

وقد فصلنا الآيات أي: بيناها، ووضحناها، وميزنا كل جنس ونوع منها عن الآخر، بحيث صارت آسات الله بيادية ظاهرة. ولقوم يعلمون أي: لأهل العلم والمعرفة، فإنهم الذين يوجه إليهم الخطاب، ويطلب منهم الجواب، بخلاف أهل الجهل والجفاء، المعرضين عن آيات الله وعن العلم الذي جاءت به الرسل، فإن البيان لا يفيدهم شيئاً، والتفصيل لا يزيل عنهم ملتبساً، والإيضاح لا يكشف لهم مشكلاً.

﴿ وهو الدِّي أنشأكم من نفس واحدة السلام. أنشأ الله منه هذا العنصر الآدمي؟ الذي قد ملأ الأرض. ولم ينزل في زيادة ونمو، الذي قد تفاوت في أخلاقه وخلقه وأوصافه تفاوتأ لا يمكن ضبطه، ولا يدرك وصفه، وجعل الله لهم مستقراً، أي: منتهى ينتهون إليه، وغاية يساقون إليها، وهي دار القرار التي لا مستقر وراءها، ولا نهاية فوقهاً، فهذه الدار هي التي خلق الخلق لسكناها، وأوجدوا في الدنيا ليسعوا في أسبابها، التي تنشأ عليها وتعمر بها، وأودعهم الله في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، ثم في دار الدنيا، ثم في البرزخ، كل ذلك على وجه الوديعة، التي لا تستقر

ولا تثبت، بل ينتقل منها حتى يوصل إلى الدار، التي هي المستقر، وأما هذه الدار فإنها مستودع وممر ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ عن الله آياته، ويفهمون عنه حججه وبيناته.

﴿٩٩٩ ﴿ وهيو السذى أنسزل مسن السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرأ نخرج منه حبأ متراكباً ومن النخل من طلَّعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إنّ في ذلكم لآياتٍ لقوم يؤمنون، وهذا من أعظم مننه العظيمة، التي يضطر إليها الخلق من الآدميين وغيرهم، وهو أنه أنزل من السماء ماء متتابعاً وقت حاجة الناس إليه، فأنبت الله به كل شيء مما يأكل البنياس والأنسعيام، فيرتبع الخيليق بفضل الله، وانبسطوا برزقه، وفرحوا بإحسانه، وزال عنهم الجدب واليأس والقحط، ففرحت القلوب، وأسفرت الوجوه، وحصل للعبادمن رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون وبه يرتعون، ما يوجب لهم أن يبذلوا جهدهم في شكر مَنْ أسدى النعم، وعبادته والإنابة إليه، والمحبة له.

ولما ذكر عموم ما ينبت بالماء، من أنواع الأشجار والنبات، ذكر الزرع والنخل، لكثرة نفعهما وكونهما قوتاً لأكثر الناس فقال: ﴿فأخرجنا منه خضراً نخرج منه﴾ أي: من ذلك فوق بعض، من بر وشعير، وذرة، فوي وصفه بأنه متراكب، إشارة إلى أن واحدة، وجيعها تستمد من مادة وإشارة أيضاً إلى كثرتها، وشمول ريعها وإشارة أيضاً إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلتها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية وغيرة للأكل والادخار.

﴿ومن النخل﴾ أخرج الله ﴿من طلعها﴾ وهو الكفرى، والوعاء قبل ظهور القنو منه، فيخرج من ذلك الوعاء ﴿قنوان دانية﴾ أي: قريبة سهلة

التناول، متدلية على مَنْ أرادها، بحيث لا يعسر التناول من النخل وإن طالت، فإنه يوجد فيها كُرَبٌ ومراقي يسهل صعودها.

﴿و﴾ أخرج تعالى بالماء ﴿جنات من أعناب والزيتون والرمان﴾ فهذه من الأشجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عمَّ جميع الأشجار والنوابت. وقوله: ﴿مشتبها وغير متشابه﴾ يحتمل أن يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبها في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره.

ويحتمل أن يرجع ذلك إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشبه بعضه بعضاً، ويتقارب في بعض أوصافه، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به، فقال: فانظروا في نظر فكر واعتبار ﴿إلى شمره أي: الأشجار كلها، خصوصاً: النخل إذا أثمر.

﴿وينعه﴾ أي: انظروا إليه وقت إطلاعه، فإن في فالدعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبراً وآيات يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده وكمال اقتداره وعنايته بعباده.

ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر، وليس كل مَنْ تفكر أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين، فقال: ﴿إِن في المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه عقلاً وفطرة وشرعاً.

﴿ ١٠٠ – ١٠٠﴾ ﴿ وجعلوا لله بنين شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السماوات والأرض أتى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو

خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾ يخبر تعالى: أنه مع إحسانه لعباده وتعرفه إليهم بآياته البينات، وحججه الواضحات _أن المشركين به من قريش وغيرهم، جعلوا له شركاء يدعونهم ويعبدونهم من الجن والملائكة، الـذيـن هـم خـلـق مـن خلق الله، ليس فيهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر، وهو المنعم بسائر أصناف النُّعَم، الدافع لجميع النقم، وكذلك «خرق المشركون» أي: ائتفكوا وافتروا من تلقاء أنفسهم لله، بنين وبنات بغير علم منهم، ومن أظلم عن قال على الله بلا علم، وافترى عليه أشنع النقص، الذي يجب تنزيه الله عنه؟!!

ولهذا نزه نفسه عمّا افتراه عليه المشركون، فقال: ﴿سبحانه وتعلى عمّا يصفون﴾ فإنه تعالى الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقمص وآفة وعيب.

﴿بديع السماوات والأرض﴾ أي: خالقهما، ومتقن صنعتهما، على غير مثال سبق، بأحسن خلق ونظام وبهاء، لا تقترح عقول أولي الألباب مثله، وليس له في خلقهما مشارك.

﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴾ أي: كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد، الذي لا صاحبة له، أي: لا زوجة، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابها لله بوجه من الوجوه.

ولما ذكر عموم خلقه للأشياء، ذكر إحاطة علمه بها، فقال: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ وفي ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى

ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر فإن في ذلك دلالة على سعة علم الخالق، وكمَّال حكمته، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعِلُمُ مَنْ خَلَقَ وَهُو اللطيف الخبير﴾ وكما قال تعالى: ﴿وهبو الخلاق العليم﴾ ذلكم الذي خلق ما خلق، وقدَّر ما قدر.

> ﴿الله ربكم ﴾ أي: المألوه المعبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب، الرب الذي ربى جميع الخلق بالنُّعَمْ، وصرف عنهم صنوفَ النِقَم. ﴿لا إِلَّهُ إِلاَّ هِـو خِبالِـق كِيل شـيء فاعبدوه ﴾ أي: إذا استقر وثبت أنه الله الذي لا إله إلا هو، فاصرفوا له جميع أنواع العبادة، وأخلصوها لله، واقتصدوا بها وجهه. فإن هذا هو المقصود من الخلق الذي خلقوا لأجله ﴿ومِا خِلْقَتِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلاَّ ليعبدون، ٠

﴿وهو على كل شيء وكيل ﴿ أي: جميع الأشياء تحت وكالة الله وتدبيره، خلقاً وتدبيراً وتصريفاً.

ومن المعلوم أن الأمر المتصرف فيه يكون استقامته وتمامه وكمال انتظامه، بحسب حال الوكيل عليه. ووكالته تعالى على الأشياء ليست من جنس وكالة الخلق، فإن وكالتهم وكالة نيابة، والوكيل فيها، تابع لموكله .

وأما الباري تبارك وتعالى، فوكالته من نفسه لنفسه، متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه والعدل، فلا يمكن لأحد، أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خللاً ولا فطوراً، ولا قى تدبيرُه نقصاً

ومن وكالته أنه تعالى، توكل ببيان دينه، وحفظه عن المزيلات والمغيرات، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمتهم عما يزيل إيمانهم ودينهم.

﴿لا تدركه الأبصار﴾ لعظمته

وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفى الإدراك لا ينفى الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفي الإدراك الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دلّ على أن الرؤية

فإنه لو أراد نفى الرؤية ، لقال: «لا تراه الأبصار» ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم.

﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ أي: هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، وسمعه، بجميع الأصوات الظاهرة والخفية، وبصره، بجميع المبصرات، صغارها وكبارها، ولهذاً قال: ﴿وهو اللطيف الخبير ﴾ الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن.

ومن لطفه أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لآ يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا بحتسب، حتى إنه يقدر عليه الأمور التي يكرهها العبد ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ البين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم ﴿ أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه من

وَالاَرْمُنَا طَلَقَنَا أَنْفُكَنا وَلارَ لَيْغَفِ لَنَا وَرُحَتَ الْنَكُونَ مِنَ الْخَلِيمِينَ ۞ قَالَ الْمِيطُوالِمِنْ أَكْلِيْفِ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِ ٱلْأَرْضِ مُسَنَّقَرُّ وَمَتَنَكُمُ إِلَى حِينِ ۞ قَالَ فِيهَا تَغَيَّرُكَ وَفِيهَا غَوْوُنَ وَمِنْهَا غُرْيُهُونَ ﴿ يَلَنِي ءَادَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْهُ إِلِمَامًا وُدَى سَوَءَ يَكُوُ وَدِيثُ أَوْلِبَاسُ ٱلتَّقُوكَا ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ حَيْرٌ ءَايَنتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ يَنَبَيْ ٓ ادَّمَ لَا يَفْنِنَكُرُ ٱلشَيْطَانُ كُمَّا أَخْرَجَ أَبِوَيْكُمْ مِنَ ٱلْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِسَاسَهُمَا لِلْهُ يَهُمَا سَوْءًا تِهِ مَا أَنَّهُ يُرِيكُمُ هُو كُفِّيلُهُ مِن حَيثُ لَا نَرُونَهُ إِنَّاجَتَكُنَا ٱلشَّيْطِينَ أَوْلِيكَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِثُونَ ۞ وَلَاَ مَسَلُوا فَلْحِشَةٌ قَالُوا وَبَهْ مَا عَلَيْهَا آيَاتِكَةَ فَا وَالْمَدُأَمَ فَإِيمًا فَلْ إِنَّ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ وَالْفَحَسُكُمُ أَنْ أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَاصَّالُونَ الْمُونِ قُلْ أَتَرَرَقَ بِٱلْقِسْطِ وَلَقِيمُوا وُجُوهَ كُمْ عِندَكُلْ مَسْجِدِ وَٱدْعُوهُ تُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّيُّ كَمَّابَدَ أَكُمْ مَعُودُونَ ۞ فَرِيقًا حَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِ مُ ٱلضَّهَ لَلَهُ إِنَّهُ مُ أَخَّتُ أُوا ٱلشَّهَ يَطِينَ أَوْلِيكَةَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمُ مُّهُ مَدُونَ ۞ CAPTON TOTAL OF

فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقاتق الجميلة، لأنها صادرة من الرب الذي ربى خلقه بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، التي من أفضلها وأجلُّها تبيين الأيات، وتوضيح المشكلات.

﴿فمن أبصر﴾ بتلك الآيات مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها ﴿فلنفسه﴾ فإن الله هو الغنى الحميد.

﴿ وَمَنْ عَمَى ﴾ بأن بصر، فلم يتبصر، وزجر، فلم ينزجر، وبيّن له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه.

﴿ وما أنا ﴾ أيها الرسول ﴿ عليكم بحفيظ، أحفظ أعمالكم وأراقبها على الدوام، إنما على البلاغ المبين وقد أديته، وبلغت ما أنزل الله إلى، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفاً فيه(١).

﴿١٠٨﴾ ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون، ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزاً، بل مشروعاً في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثاناً وآلهة

انتقل الشيخ ـ رحمه الله ـ بعد تفسير هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا. . . ﴾ فلم يفسر الآيات من قوله تعالى: (وكذلك نصرف الآيات) إلى قوله: (ومَا أنت عليهم بوكيل) ذات الأرقام (١٠٥ ـ ١٠٧) فقام النجار بتفسيرها دون الإشارة إلى أنها ليست من كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ انظر طبعة النجار (٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢).

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم

• يَنْبَنِي ٓ ادَّمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَكُلِ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَاتُتُرِقُواْ إِنَّةَ لِآيُحِبُ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْمَنْ حَرَّمَ زِينَ ٓ ٱللَّهِ ٱلْقِيَّ ٱخْدَجَ لِعِبَ الدِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الزِزْقَ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَاحَالِصَهُ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَّةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوْحِشَ مَاظُهُ رَمِنْهَا وَمَابِطُنَ وَٱلْإِثْرُوٓٱلْبَغْيَ بِعَيْرِٱلْحَقِّ وَأَن نُشْرِكُواْ بِٱهْوِمَا لَرَيُهُزِلْ بِيهِ سُلَطَنَا وَانَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَفَعَلَمُونَ ۞ وَلِكُلِّ أَمَّةٍ أَجَرٌّ أَ وَإِذَا جَآةِ أَجَلُهُ مُو لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٨ يَنْبَنِي ادَّمَ إِمَّا يَأْيِنَكُمُّ رُسُلُّ مِنْ كُرِيَةُ شُولِ عَلَيْكُمُ الْبَيِّ فَنَ ٱتَّكَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَاخُوفُ عَلَيْهِ رُوَلَاهُمْ يَعْرُزُونِ ۞ وَالَّذِينَ كَنَّوْا بِعَائِيْنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَيْكَ أَصْحَبُ السَّارِّحْرِيْهَا خَلِيهُ وَبَ ۞ فَزَأَ ظَلَمُ مِتَنِ ٱفْتَرَىٰ صَّلَ ٱلْعَرَكَذِبًا أَوْكَذَبَ بِعَلِيْمِيَّا ثُوَلَيْكَ بَسَالْحُمْ مَعِينِبُهُمِ مَنَ ٱلْكِئْبِ مَنَّ إِذَا جَلَةَ تَعُرُ رُمُهُ لَمُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيِّنَ مَاكَ نُشَعْ مَنْعُوبَ مِن دُونِ اللَّمِ قَالُواْ صَلُواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافُوا كَفِينَ ۞ TO SOL TOE SOLED

مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها.

ولكن لما كان هذا السب طريقاً إلى سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وقفة، وسب، وقدح _نهى الله عن لدينهم، ويتعصبون له. لأن كل أمة زين الله لهم عملهم، فرأوه حسناً وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتى رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون الهتم.

ولكن الخلق كلهم مرجعهم ومألهم إلى الله يوم القيامة، يعرضون عليه، وتعرض أعمالهم، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشر.

وفي هدّه الآية الكريسة دليل للقاعدة الشرعية وهي أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضى إلى الشر.

م ۱۰۹ – ۱۱۱ (الله ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهُ جَهِدُ أَيْمَانُهُم لَكُنْ جَا جَهِدُ أَيْمَانُهُم لَكُنْ جَا قَلْ إِنَمَا الآيات عند الله وما يشعركم أنبًا إذا جاءت لا يؤمنون * ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون *

الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكشرهم يجمهلون اي: وأقسم المشركون المكذبون لسلرسول محمد ﷺ. ﴿بالله جهد أيمانهم﴾ أي: قسماً اجتهدوا فيه وأكدوه. ﴿لَتُن جاءتهم آية ﴾ تدل على صدق محمد ﷺ ﴿ليؤمنن بها﴾ وهذا الكلام الذي صدر منهم لم يكن قصدهم فيه الرشاد، وإنما قصدهم، دفع الاعتراض عليهم، ورد ما جاء به الرّسول قطعاً، فإن الله أيد رسوله ﷺ بالآيات البينات، والأدلة الواضحات، التي _عند الالتفات لها ـ لا تبقى أدنى شبهة ولا إشكال في صحة ما جاء به، فطلبهم _ بعد ذلك _ للآيات من باب التعنت، الذي لا يلزم إجابته، بل قد يكون المنع من إجابتهم أصلح لهم، فإن الله جرت سنته في عباده، أن المقترحين للآيات على رسلهم، إذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها ـ أنه يعاجلهم بالعقوبة، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتَ عَنْدُ اللَّهُ ۗ أَي: هو الذي يرسلها إذا شاء، ويمنعها إذا شاء، ليس لي من الأمر شيء، فطلبكم مني الآيات ظلم، وطلب لمأ لا أملُّك، وإنما توجهون إلى توضيح ما جئتكم به وتصديقه، وقد حصل، ومع ذلك فليس معلوماً، أنهم إذا جاءتهم الآيات يؤمنون ويصدقون، بل

﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾

الغالب ممن هذه حاله أنه لا يؤمن،

ولهذا قال:

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي: ونعاقبهم إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيه الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا من عدل الله وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح

لهم الباب فلم يدخلوا، وبيَّن لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق كان مناسباً لأحوالهم.

وكذلك تعليقهم الإيمان بإرادتهم ومشيئتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط، فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة، من تنزيل الملائكة إليهم يشهدون للرسول بالرسالة، وتكليم الموتى، وبعثهم بعد موتهم، وحشر كل شيء إليهم حتى يكلمهم (1) ﴿ قبلا ﴾ ومشاهدة ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل منهم الإيمان، إذا لم يشأ الله إيمانهم ولكن أكثرهم يجهلون. فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات، وإنما العقل والعلم أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه.

﴿ كذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يحمي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون * ولتصغي إليه أفئدة الذين ما هم مقترفون * يقول تعالى _ مسلياً لرسوله محمد ﷺ _ وكما جعلنا لك أعداء يردون دعوتك، ويحاربونك ويحسدونك، فهذه سنتنا، أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق أعداء، من شياطين الإنس والجن، يقومون بضد ما جاءت به الرسل.

﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴿ أَي: يزين بعضهم للمعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المهوهة، فيعتقدون الحق والعبارات المهوهة، فيعتقدون الحق

باطلاً والباطل حقاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ولتصغي إليه﴾ أي: ولتميل إلى ذلك الكلام المزخرف ﴿أَفْسُدَةُ اللَّذِينَ لا يؤمنون بالأخرة﴾ لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة، يحملهم على ذلك، ﴿وليرضوه﴾ بعد أن يصغوا إليه فيصغون إليه أولاً، فإذا مبالبوا إليه ورأوا تبلبك البعببارات المستحسنة رضوه، وزين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك، أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ما هم مقترفون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة، فهذه حال المغترين، بشياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم، وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك العبارات، ولا تخلبهم تلك التمويهات، بل همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة، فإن كانت حقاً قبلوها وانقادوا لها، ولو كسيت عبارات ردية، وألفاظاً غير وافية، وإن كانت باطلاً، ردوها على مَنْ قالها، كانناً مَنْ كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة، ما هو أرق من الحرير.

ومن حكمة الله تعالى في جعله للأنبياء أعداء، وللباطل أنصاراً قائمين بالدعوة إليه، أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليتميز الصادق من الحاذب، والعاقل من الجاهل، والبصير من الأعمى.

ومن حكمته أن في ذلك بياناً للحق، وتوضيحاً له، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه. فإنه _ حينل _ يتبين من أدلة الحق، وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو من أكبر المطالب التي يتنافس فيه المتنافسون.

﴿١١٤ ــ ١١٥﴾ ﴿أَفْغَيْرُ اللهُ أَبْتَغَيُّ

حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين * وغت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبذل لكلماته وهو السميع العليم أي: قبل ينا أيها السوسول وأنفير الله أبتغي حكماً أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه. فإن غير الله يحكوم عليه، لا حاكم. وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على

﴿الله أنزل إليكم الكتاب مفصلاً أي: موضحاً فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجل من برهانه، ولا أحسن منه حكماً، ولا أقوم قيلاً، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحة.

يجب أن يتخذ حاكماً، فهو الله وحده

لا شريك له، الذي له الخلق والأمر.

وأهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى، يعترفون بذلك ﴿ويعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ ولهذا تواطأت الإخبارات ﴿فلا﴾ تشكن في ذلك ولا ﴿تكونن من الممترين﴾.

ثم وصف تفصيلها فقال: ﴿وَمَتَ كَلَمَةُ رَبِكُ صِدَقاً وَعَدَلاً﴾ أي: صدقاً وعدلاً﴾ أي: صدقاً في الأمر والنهي. فلا أصدق من أخبار الله التي أودعها هذا الكتاب العزيز، ولا أعدل من أوامره ونواهيه ﴿لا مبدل لكلماته﴾ [حيث حفظها وأحكمها بأعلى أنواع الصدق وبغاية الحق، فلا يمكن تغييرها ولا اقتراح أحسن منها](١١).

﴿وهو السميع﴾ لسائر الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات. ﴿العليم﴾ الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والماضي والمستقبل.

(١١٧ – ١١٧) ﴿ ﴿ وَإِن تَطْع أَكْثَر مَن فِي الأَرْض يَضْلُوكُ عَنْ سَبِيلَ اللهُ إِنْ يَسْبَعُونَ إِلاَّ السَّطْنِ وَإِنْ هَم إِلاَّ يَخْرَصُونَ * إِنَّ رَبكُ هو أَعلم من يَضْلُ

عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين يقول تعالى لنبيه محمد على عذراً عن طاعة أكثر الناس: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم وعلومهم. فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق.

بل غايتهم أنهم يتبعون الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، ويتخرصون في القول على الله ما لا يعلمون، ومَنْ كان بهذه المثابة، فحري أن يحذر الله منه عباده، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن أمته أسوة له في سائر الأحكام التي ليست من خصائصه.

والله تعالى أصدق قيلاً، وأصدق حديثاً، و ﴿هو أعلم من يضل عن سبيله ﴾ وأعلم بمن يهتدي ويهدي. فيجب عليكم _ أيها المؤمنون _ أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه لأنه أعلم بمصالحكم، وأرحم بكم من أنفسكم.

ودلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه.

﴿ ١١٨ - ١١٨ ﴾ ﴿ فكلوا عما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين * وما لكم ألا تأكلوا عما ذكر اسم الله عليه وقد فضل لكم ما حرم عليكم إلا أهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بمقتضى الإيمان، وأنهم، إن كانوا مؤمنين، فليأكلوا عما ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام، وغيرها من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا حلها،

ولا يفعلوا كما تفعله الجاهلية، من تحريم كثير من الحلال، ابتداعاً من عند أنفسهم، وإضلالا من شياطينهم، فذكر الله أن علامة المؤمن مخالفة أهل الجاهلية، في هذه العادة الذميمة، المتضمنة لتغيير شرع الله، وأنه أي شيء يمنعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل الله لعباده ما حرّم عليهم، وبينه ووضحه؟ فلم يبق فيه إشكال ولا شبهة توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال، خوفاً من الوقوع في الحرام، ودلت الآية الكريمة على أن الأصل في الأشياء والأطعمة، الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكّت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصّله الله فما لم يفصله الله، فليس

ومع ذلك فالحرام الذي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخمصة، كما قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ إلى أن قال: ﴿فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله عفور رحيم﴾.

ثم حذر عن كثير من الناس، فقال:
﴿ وَإِنْ كَثِيراً لَيْضَلُونَ بِأَهُوائِهِم ﴾ أي:
بمجرد ما تهوى أنفسهم ﴿ بغير علم ﴾
ولا حجة. فليحذر العبد من أمثال
هؤلاء، وعلامتهم _ كما وصفهم الله
لعباده _ أن دعوتهم غير مبنية على
برهان، ولا لهم حجة شرعية، وإنما
يوجد لهم شبه، بحسب أهوائهم
الفاسدة، وآرائهم القاصرة، فهؤلاء
معتدون على شرع الله وعلى عباد الله،
والله لا يجب المعتدين، بخلاف الهادين
والهدى، ويؤيدون دعوتهم بالحجج
المعقلية والنقلية، ولا يتبعون في
دعوتهم إلا رضا ربهم والقرب منه.

﴿ ١٢٠﴾ ﴿ وذروا ظـاهـر الإئـم وباطنه إنّ الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ﴾ الراد بالإئم: جميع المعاصي التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم والحرج، من

الأشياء المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده. فنهى الله عباده عن اقتراف الإثم الظاهر والباطن، أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح، والمتعلقة بالقلب، ولا يتم للعبد ترك المعاصي الظاهرة والباطنة إلا بعد معرفتها والبحث عنها، فيكون البحث عنها، ومعرفة معاصي القلب والبدن، والعلم بذلك واجباً متعيناً على المكلف.

وكثير من الناس، تخفي عليه كثير من المعاصي، خصوصاً معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم وعدم البصيرة.

ثم أخبر تعالى أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون على حسب كسبهم، وعلى قدر ذنوبهم، قلت أو كثرت، وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا، يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته.

﴿ ١٢١﴾ ﴿ ولا تأكلوا بما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ ويدخل تحت هذا المنهي عنه ما ذكر عليه اسم غير الله، كالذي يبذبح للأصنام وآلهتهم، فإن هذا بما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصاً.

ويدخل في ذلك متروك التسمية مما ذبح شه، كالضحايا والهدايا، أو للحم والأكل، إذا كان الذابح متعمداً ترك التسمية عند كثير من العلماء.

ويخرج من هذا العموم الناسي بالنصوص الأخر، الدالة على رفع الحرج عنه، ويدخل في هذه الآية ما مات بغير ذكاة من الميتات، فإنها عما ليذكر اسم الله عليه.

ونص الله عليها بخصوصها في قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ ولعلها سبب نزول الآية، لقوله: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ بغير علم.

فإن المسركين _ حين سمعوا تحريم الله ورسوله الميتة، وتحليله للمذكاة، وكانوا يستحلون أكل الميتة _ قالوا _ معاندة لله ورسوله، ومجادلة بغير حجة وبرهان _ أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون بذلك: المئة.

وهذا رأي: فاسد، لا يستند على حجة ولا دليل، بل يستند إلى آرائهم الفاسدة التي لو كان الحق تبعاً لها لفسدت السماوات والأرض، ومَنْ فيهن.

فتباً لمن قدم هذه العقول على شرع الله وأحكامه، الموافقة للمصالح العامة والمنافع الخاصة. ولا يستغرب هذا منهم، فإن هذه الآراء وأشباهها صادرة عن وحي أوليائهم من الشياطين، الذين يريدون أن يضلوا الخلق عن دينهم، ويدعوهم ليكونوا من أصحاب السعير.

وإن أطعتموهم في شركهم وتحليلهم الحرام، وتحريمهم الحلال وتحليكم التخذيم الخذات الله الماركون الله، ووافقتموهم على ما به فارقوا المسلمين، فلذلك كان طريقهم .

ودلت هذه الآية الكريمة على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات والكشوف، التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل ممجردها على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على كتاب الله وسئة رسوله.

فإن شهدا لها بالقبول قبلت، وإن ناقضتهما ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك، توقف فيها ولم تصدق ولم تكذب، لأن الوحي والإلهام يكون من الرحمن، ويكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما والفرقان، وبعدم التفريق بين الأمرين حصل من الغلط والضلال، ما لا يحصيه إلا الله.

﴿١٢٢ ــ ١٢٤﴾ ﴿أُومَن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما

كانوا يعملون * وكذلك جعلنا في كل

قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما

يمكرون إلاّ بأنفسهم وما يشعرون *

وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى

في ظلمات الكفر والجهل والمعاصي،

النور، متبصراً في أموره مهتدياً

في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفاً

فيهاكبالخديعة والدعوة إلى سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم بالقول والفعل، وإنما مكرهم وكيدهم يعود على أنفسهم، لأنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

وكذلك يجعل الله كبار أثمة الهدى حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد وأفاضلهم يناضلون هؤلاء المجرمين، بما كانوا يمكرون كيقول تعالى: ﴿أُو ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في مَنْ كان من قبل هداية الله له ﴿مِيتاً ﴾ سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله ويسدد ﴿فأحييناه ﴾ بنور العلم والإيمان رأيهم ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام والطاعة، فصار يمشي بين الناس في بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته بنصرهم وظهورهم، لسبيله، عارفاً للخير مؤثراً له، مجتهداً والعاقبة للمتقين.

وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل، حسداً منهم وبغياً، فقالوا: ﴿ لَن نَوْمِن حَتِّي نَوْتِي مِثْلُ مِا أُولَ رسل الله كمن النبوة والرسالة. وفي ا هذا اعتراض منهم على الله، وعجبُ بأنفسهم، وتكبر على الحق الذي أنزله الله على أيدي رسله، وتحجر على فضل الله وإحسانه.

فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلاً أن يكونوا من النبيين والمرسلين، فقال: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴿ فمن عُلمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرؤ من كل خلق دنء، أعطاه الله منها ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند مَنْ لا يستأهله، ولا يزكو عنده. وفي هذه الآية دليل على كمال

في الظلمات يعمهون، وفي باطلهم حكمة الله تعالى، لأنه وإن كان تعالى رحيماً واسع الجود كثير الإحسان، فإنه فمنهم: القادة، والرؤساء، حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله، ثم والمتبوعون، ومنهم: التابعون توعد المجرمين، فقال: ﴿سيصيبُ الذين أجرموا صغار عند الله ﴾ أي: إهانة وذل، كما تكبروا على الحق أذلهم الله. ﴿وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾أي: بسبب مكرهم،

لا ظلماً منه تعالى.

نؤتى مثل ما أوق رسل الله الله أعلم

خَللِدُونَ ۞ وَزُعَنَامَافِ صُدُودِهِرِينَ غِلِّ جَنْدِي مِن التَنه مُ ٱلأَنْهَارُ وَقَالُوا ٱلْحَكَمُ مُوقِوا لَذِي هَدَنَا لِهَاذَا وَمَا كُنَّا لِنَمْنَدِيَ لَوْ لَآنَ هَدَنَا أَلَّهُ لَلْمَدْ جَآةَتْ رُسُلُ رَوْسَا إِلَّحِقَّ وَوُدُوا أَن يَعْكُمُ الْجَنَّةُ أُونِيْتُ مُوكَا يَاكُنُهُ مَّ مَكُونَ ۞ ON TORSE TO SOLUTION

قَالَ انْخُلُوا فِي أَكْرِ فَدْخَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِنَ ٱلْجِنْ وَٱلْإِسِ

فِالنَّارِكُلِّمَا دَخَلَتْ أُمَّةً لَّمَنَ أَخَدُمَّا حَتَّى إِذَا أَنَّارَكُولِفِهَا

جَيعًا قَالَتَ أَخَرَهُ ثُمْ لِأُولَدُهُ وَرَبُّنَا هَنَّوُلَا ۚ أَصَالُونَا فَعَاتِعِهُ

عَذَا كَا مِنْ عَفَا مِنَ النَّارِ قَالَ إِكُلَّ مِنْ عَفَّ وَلَكِنَ لَاتَعَامُونَ

﴿ وَقَالَتَ أُولَنَهُمْ لِأَخْرَنِهُمْ فَأَكَّانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلَ

فَذُوقُواْ ٱلْعَدَاكِ يَمَاكُ نِتُعَرِّكُمْكُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَنَّوْا بِحَالِبَتِنَا وَأَسْتَكُكُمُ وَأَعَنْهَا لَانْفَنَّحُ لَمُدْ أَبِّوَبُ ٱلسَّحَلَّةِ

وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَقَّ لِيَهَ ٱلْجَمَلُ فِي سَدِ ٱلْحِسَاطُّ

وَكُنَّالِكَ بَحْزِي لَلْجُرِمِينَ ۞ لَمُمْ مِن جَهَكَمُ مَهَادٌ وَمِن فَوَقِهِ خُوَاشُ

وَكَذَلِكَ نَجِنْزِيَ الظَّالِمِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيَلُواْ الْصَبْلِاحَتِ

لَا يُكِلُّ نَفْسًا إِلَّا وَيُسْعَهَا أَوْلَيْكَ أَسْحَبُ الْجَنَّةُ هُوْمِيهَا

﴿ ١٢٥ ﴾ ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله أنه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون للمقول تعالى _ مبيناً لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله _: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيى بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذاً به غير مستثقل فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومن عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق.

وإنَّ علامة من يرد الله أن يضله، أنه يجعل صدره ضيقاً حرجاً. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السماء الذي لا حيلة له فيه.

وهذا سببه عدم إيمانهم هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجس عليهم، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير، فإن مَنْ أعطى واتقى وصدّق بالحسني، يسره الله لليسري، ومَنْ بخل واستغنى وكذَّب بالحسني،

بالشر، مبغضاً له، مجتهداً في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره. أفيستوي هذا بمَنْ هو في الظلمات، ظلمات الجهل والغي، والكفر والمعاصي. ﴿ليس بخارج منها﴾ قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهم والغم والحزن والشقاء. فنبه تعالى العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا يستوي هذا ولا هذا كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات. فكأنه قيل: فكيف يؤثر مَنْ له أدني مسكة من عقل، أن يكون بهذه الحالة، وأن يبقى في الظلمات متحيراً: فأجاب بأنه ﴿ زين للكافرين ما كانوا يعملون الشيطان يحسن لهم أعمالهم، ويزينها في قلوبهم، حتى

استحسنوها ورأوها حقاً. وصار ذلك

عقيدة في قلوبهم، وصفة راسخة

ملازمة لهم، فلذلك رضوا بما هم

عليه من الشر والقبائح. وهؤلاء الذين

يترددون غير متساوين.

المرؤوسون، والأولىون منهم الذين فازوا بأشقى الأحوال، ولهذا قال: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾أي: الرؤساء الذّين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم ﴿ليمكروا

وَادَقَ الْسِكُ الْجَدَّةُ الْسِكُ النَّارِ الْ فَدْ وَيَدَانَا وَالْمَالُونَا الْجَنَّا الْمَالُونَا الْجَنَّا الْمَالُونَا اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ

أفتسننة لاينا لمنكأفة يخرنوا تشكوا الجنة لاخوف عليكولا آفز

غَزَوُنَ ۞ وَلَدَى أَصْحَبُ النَّارِ أَصْحَبُ الْحِسَنَةِ أَنْ

أَفِينُواْ عَلَيْنَ امِنَ ٱلْمُنَآهِ أَوْمِمَّا رَزَقَكُمُ ٱلَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ

اللَّهُ حَرِّمَهُمَا عَلَى الْكَنْجِينَ ۞ الَّذِينَ اتَّخَنْعُا

دِبَهُ مُرَ لَمَوْا وَلِيسًا وَغَرَبْهُ مُوالْحَيَوةُ ٱلدُّنِيا فَالْيُوْمَ نَسَعُمُ كِكَا

نَسُوالِقَآءَ يَوْمِهِمُ هَلْمَا وَمَاكَانُواْ بِتَالِيْنَا يَجْمَلُونَ ۞

الماري (101) فسييسره للعسرى

﴿١٢٦ ـ ١٢٦﴾ ﴿وهــذا صــراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون * لهم دار السلام عند ربمم وهو وليهم بما كانوا يعملون) أي: ` معتدلاً، مسوصلاً إلى الله وإلى دار كرامته، قد بينت أحكامه، وفصّلت شرائعه، وميّز الخير من الشر. ولكن هذا التفصيل والبيان ليس لكل أحد، إنما هو ﴿لقوم يذكرون﴾ فإنهم الذين علموا، فانتفعوا بعلمهم، وأعدُّ الله لهم الجزاء الجزيل، والأجر الجميل، فلهذا قال: ﴿لهم دار السلام عند ربهم السلام، وسميت الجنة دار السلام، لسلامتها من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات، ويلزم من ذلك أن يكون نعيمها في غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون، من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

وهو وليهم الذي تولى تدبيرهم وتربيتهم، ولطف بهم في جميع أمورهم، وأعانهم على طاعته، ويسر لهم كل سبب موصل إلى محبته، وإنما تولاهم بسبب أعمالهم الصالحة، ومقدماتهم التي قصدوا بها رضا مولاهم، بخلاف مَنْ أعرض عن

مولاه واتبع هواه، فإنه سلّط عليه الشيطان فتولاه، فأفسد عليه دينه ودنياه.

﴿١٢٨ ـ ١٣٥﴾ ﴿ويوم يحشرهم

جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلاَّ ما شاء الله إنَّ ربك حكيم عليم * وكذلك نُولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون * ينا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياق وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين * ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون * ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون * وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم اخرين * إنَّ ما توعدون لآتِ وما أنتم بمعجزين *قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ يقول تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ﴾ أي: جميع الثقلين، من الإنس والجن، مَنْ ضل منهم، ومَنْ أَضل غيره، فيقول موبخاً للجن الذين أضلوا الإنس، وزينوا لهم الشر، وأزوهم إلى المعاصى: ﴿ يَا مَعْشُرُ الْجُنِّ قَدْ اسْتَكُثُّرْتُمْ من الإنس♦ أي: من إضلالهم وصدهم عن سبيل الله، فكيف أقدمتم على محارمي، وتجرأتم على معاندة رسلي؟ وقمتم محاربين لله، ساعين في صدعباد الله عن سبيله إلى سبيل الجحيم؟

فاليوم حقت عليكم لعنتي، ووجبت لكم نقمتي، وسنزيدكم من العذاب بحسب كفركم، وإضلالكم لغيركم. وليس لكم عذر به تعتذرون، ولا ملجأ إليه تلجأون، ولا شافع يشفع ولا دعاء يسمع، فلا تسأل حيشذ، عمّا يحل بهم من النكال والخزي والوبال، ولهذا لم يذكر الله

لهم اعتذاراً، وأما أولياؤهم من الإنس فأبدوا عذراً غير مقبول، فقالوا: ﴿ رَبِنا استمتع بعضنا ببعض﴾ أي: تمتع كل من الجِنّي والإنسي بصاحبه، وانتفع به.

فالجني يستمتع بطاعة الإنسى له، وعبادته وتعظيمه، واستعاذته به. والإنسى يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغه بسبب خدّمة الجنّي له بعض شهواته، فإن الإنسى يعبد الجنّي، فيخدمه الجنّي، ويحصل له منه بعض الحوائج الدنيوية، أي: حصل منا من الذنوب ما حصل، ولا يمكن رد ذلك، ﴿وبِلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ أي: وقد وصلنا المحل الذِّي تجازي فيه بالأعمال، فافعل بنا الآن ما تشاء، واحكم فينا بما تريد، فقد انقطعت حجتنا ولم يبق لنا عذر، والأمر أمرك، والحكم حكمك. وكأن في هذا الكلام منهم نوع تضرع وترقق، ولكن في غير أوانه. ولهذا حكم فيهم بحكمه العادل، الذي لا جور فيه، فقال: ﴿النار مثواكم خالدين فيها﴾ .

ولما كان هذا الحكم من مقتضى حكمته وعلمه، ختم الآية بقوله: ﴿إِن ربك حكيم عليم﴾ فكما أن علمه وسع الأشياء كلها وعمها، فحكمته الغائية شملت الأشياء وعمتها ووسعتها.

﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ أي: وكما ولينا الجن المردة وسلطناهم على إضلال أوليائهم من الإنس وعقدنا بينهم عقد الموالاة والموافقة، بسبب كسبهم وسعيهم بذلك.

كذلك من سنتنا أن نولي كل ظالم ظالماً مثله، يؤزه إلى الشر ويحثه عليه، ويزهده في الخير وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيع أثرها، البليغ خطرها.

والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. ومن ذلك أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، ومنعهم الحقوق الواجبة، ولى عليهم ظلمة يسومونهم سوء

مولاهم، وقنعوا بما حباهم.

للمقربين من عباده، والمصطفين من خلقه، وأهل الصفوة من أهل وداده. ﴿وما ربك بغافل عمّا يعملون﴾ فيجازي كلاً بحسب عمله، ويما يعلمه من مقصده، وإنما أمر الله العباد بالأعمال الصالحة، ونهاهم عن الأعمال السيئة، رحمة بهم وقصداً لمصالحهم، وإلا فهو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، فلا تنفّعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين .

﴿إِن يِسْأُ يِدُمِبِكُم ﴾ بالإملاك ﴿ ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم أخرين، فإذا عرفتم بأنكم لا بدأن تنتقلوا من هذه الداركما انتقل غيركم، وترحلون منها وتخلونها لمن بعدكم، كما رحل عنها من قبلكم وخلوها لكم، فلِمَ اتخذتموها قراراً؟ وتوطنتم بها ونسيتم، أنها دار ممر لا دار مقر. وأن أمامكم داراً، هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة ونقص؟

وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرحل نحوها السابقون واللاحقون، التي إذا وصلوها، فثم الخلود الدائم، والإقامة اللازمة، والغاية التي لا غاية وراءها، والمطلوب الذي يستهمي إليه كل مطلوب، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب، هنالك والله، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ويتنافس فيه المتنافسون، من لذة الأرواح وكثرة الأفراح، ونعيم الأبدان والقلوب، والقرب من علام الغيوب، فلله همة تعلقت بتلك الكرامات، وإرادة سمت إلى أعلى الدرجات!! وما أبخس حظ من رضي بالدون، وأدني

همة من اختار صفقة المغبون!!

ولا يستبعد المعرض الغافل، سرعة

الربح والفلاح ودخول الجنة، فإن بينهم من الفرق ما لا يعلمه إلا الله، مع أنهم كلهم قد رضوا بما آتاهم

يُوْمِنُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ أَيْنَ مَكَأَتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْجَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَيِّحَالُ لَّنَامِن شُفَعَا ٓءَ فَيَشَفَعُوا لَنَآ أَوْنُرَدُ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْ مَلْ قَدْ حَيْدُوٓا أَنفُ كُمْرُوَضَكَّ عَنْهُ مِمَّاكَ انُواْيَفْتُرُونَ ﴿ إِنَّ رَبِّكُمُ أَلَتُهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي فنسأله تعالى أن يجعلنا من أهل يسَنَّةِ أَيَّاءِثُهُ ٓ ٱلسُّنَّوَيٰعَلَى ٱلْكَرْشِ يُغْفِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَادَ الفردوس الأعلى، التي أعدها الله يَطَلِكُهُ حَيْدِينًا وَالشَّهُ مَسَ وَالْفَكَ مَرَوَالنَّجُومُ مُسَحُّ رَاتِي بأَمْرِيُّوا لَالَهُ ٱلْخَلْقُ وَالْخَرُّ ثَبَّ لَاكَ اللَّهُ رَبُّ ٱلْمَاكِيدِ ﴿ ﴾ ٱدْعُواْرَيَّكُمْ مَّضَرُّعًا وَخُفَيَةٌ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُتَكِينَ۞ وَلَانُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَلَعَا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِمِينَ ۞ وَهُوَالَّذِى مُرْسِلُ ٱلهِ يَحَ بُشُرًا يَيْنَ بِيدَى رَحْمَتِ لِيدِ حَقَّى إِذَا أَمَّلْتَ مَدَحَا بَالِفَالَا سُقَنَكُهُ لِسَلَدٍ مَّيْتِ فَأَنزَلْنَا بِوَالْمَآةِ فَأَخْرَحْنَا بِمِيرِكُ لِ التَمَرَتُ كَدَّالِكَ غَنْمُ الْمُؤِنَّ لَمَلَّكُمْ مَثَكُّرُونَ ۞

الوصول إلى هذه الدار، ف ﴿إِن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين، لله ،

وَلَقَادَ حِنْنَهُم بِكِنَكِ فَصَهَا لَنَهُ عَلَى عِلْمِهُ أَى وَدَحْمَةُ لِقَوْمٍ

فارين من عقابه، فإن نواصيكم تحت قبضته، وأنتم تحت تدبيره وتصرفه.

﴿قُلِ ﴾ يا أيها الرسول لقومك إذا دعوتهم إلى الله، وبيّنت لهم ما لهم وما عليهم من حقوقه، فامتنعوا من الانقياد لأمره واتبعوا أهواءهم، واستمروا على شركهم: ﴿يا قبوم اعتملوا على مكانتكم أي: على حالتكم التي أنتم عليها، ورضيتموها لأنفسكم ﴿إني عامل الله على أمسر الله، ومستسع لمراضى الله. ﴿ فسوف تعلمون مَن تكون له عاقبة الدار﴾ أنا أو أنتم، وهذا من الإنصاف بموضع عظيم حيث بين الأعمال وعامليها، وجعل الجزاء مقروناً بنظر البصير، ضارباً فيه صفحاً عن التصريح الذي يغني عنه التلويح. وقد علم أنَّ العاقبة الحسنة في الدُّنيا والآخرة للمتقين، وأن المؤمنين لهم عقبى الدار، وأن كل معرض عن ما جاءت به الرسل عاقبته عاقبة سوء وشر، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ لَا يَقَلُّحُ الظالمون﴾ فكل ظالم، وإن تمتع في الدنيا بما تمتع به، فنهايته [فيه] الاضمحلال والتلف «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته».

﴿١٤٠ _ ١٣٦﴾ ﴿وجعلوا للهُ تما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فماكان العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والحبور أضعاف ما منعبوا من حقوق الله، وحقوق عباده، على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين.

كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعاتهم، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف، ثم وبّخ الله جميع مَنْ أعـرض عـن الحـق ورده، مـن الجـن والإنس، وبيّن خطأهم فاعترفوا ىذلك، فقال:

﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آيات، الواضحات البينات، التي فيها تفاصيل الأمر والنهى والخير والشر، والوعد

﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ ويعلمونكم أن النجاة فيه، والفوز إنما هو بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن الشقاء والخسران في تضييع ذلك، فأقروا بذلك واعترفوا، فـ ﴿قَالُوا﴾ بلي ﴿شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها، ونعيمها، فاطمأنوا بها ورضوا، وألهتهم عن الآخرة، ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانبوا كافرين كافقامت عليهم حجة الله، وعلم حينتذكل أحد، حتى هم بأنفسهم عدل الله فيهم، فقال لهم: حاكماً عليهم بالعذاب الأليم: ﴿ ادخلوا في ﴿ جملة ﴿ أَمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس﴾ صنعوا كصنيعكم، واستمتعوا بخلاقهم كما استمعتم، وخاضوا بالباطل كما خضتم، إنهم كانوا خاسرين، أي: الأولون من هؤلاء والآخرون، وأي: خسران أعظم من خسران جنات النعيم، وحرمان جوار أكرم الأكرمين؟! ولكنهم وإن اشتركوا في الخسران، فإنهم يتفاوتون في مقداره تفاوتاً عظيماً .

﴿ولكل﴾ منهم ﴿درجات مما عملوا ﴾ بحسب أعمالهم، لا يجعل قليل الشر منهم ككثيره، ولا التابع كالمتبوع، ولا المرؤوس كالرئيس، كما أن أهل الثواب والجنة وإن اشتركوا في محظورين، بل ثلاثة محاذير، منتهم إِلَّا نَكِكُأْكَ نَسْلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآئِلَتِ لِقَوْمِ يَشْكُرُونَ ﴿ لَعَنْدَ أَرْسَلْنَا نُوْمًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ بِنَقُومٍ أَعْبُدُواْ لَعَدَمَالُكُمُ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَإِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يُومِ عَظِيهِ قَالَ لَلْتَلَأُمِن فَوْمِهِ مَإِنَّا لَزَيْكَ فِي صَلَالٍ مُّبِعِبٍ۞ قَالَ يَافَوْمِ لَيْسَ فِي صَلَالَةُ وَلَلْسِينِي رَسُولُ مِن زَبِ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَصْبَحُ لَكُمْ وَأَعْلَرُمِنَ اللَّهِ

> مَالَاتَمَاكُونَ ۞ أَوَغِبْتُدَأَنِ كَالْمُؤْذِ حَدَّيْنِ تَبِكُوعَلَ رَجُل مِنكُولِينُ فِي رَكُمْ وَلِنَتَا فُوا وَلَعَلَاكُ مُرْتَحُونَ ۞ فَكُذَّهُوهُ وَأَغِينَاهُ وَالَّذِينَ مَعَمُّ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَفَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَالِمَتِنَأُ إِنَّهُ مُكَافُواْ فَرَمَا عَمِينَ ۞ • وَالْحَسَادِ أَخَاهُمُ هُوذاً قَالَ يَنَقَوهِ أَعْبُدُوا أَلَّذَ مَا لَكُم مِنَ إِلَاهِ عَنْ مِنْ إِ أَفَلَانَتَقُونَ ۞ قَالَ ٱلْمُلَأَ ٱلَّذِيكَ كَفَرُوا مِن فَرِيمِهِ إِنَّا لَفَرَيْكَ

TO SO TO SO

لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما بحكمون * وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون * وقبالبوا هبذه أنبعنام وحبرث حبجبر لا يطعمها إلاً من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون * وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على

أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنّه حكيم عليم * قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين،

للنبي ﷺ ، من سفاهة العقل وخفة

الأحلام، والجهل البليغ، وعدد تبارك وتعالى شيئاً من خرافاتهم لينبه بذلك على ضلالهم والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق

الذي جاء به الرسول، لا تقدح فيه أصلاً، فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة

ولشركائهم من ذلك نصيباً، والحال

أن الله تعالى هو الذي ذرأه للعباد،

وأوجده رزقأ، فجمعوا بين محذورين

الحق، فذكر من ذلك أنهم ﴿جعلوا للهُ ما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ﴾

يخبر تعالى عمّا عليه المشركون المكذبون

الشركاء الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئاً في ذلك، وحكمهم الجائر في أن ما كان لله لم يبالوا به ولم يهتموا، ولو كان واصلاً إلى الشركاء، وما كان لشركائهم اعتنوا به واحتفظوا به ولم يصل إلى الله منه شيء، وذلك أنهم إذا حصل لهم .. من زروعهم وثمارهم وأنعامهم التي أوجدها الله لهم _ شيء، جعلوه قسمين: قسماً قالوا: هذا لله بقولهم

على الله في جعلهم له نصيباً، مع

اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع، وإشراك

وزعمهم، وإلا فالله لا يقبل إلاَّ ما كانُ خالصاً لوجهه، ولا يقبل عمل مَنْ أشرك يه .

وقسماً جعلوه حصة شركائهم من الأوثان والأنداد.

فإن وصل شيء مما جعلوه لله، واختلط بما جعلوه لغيره، لم يبالوا بذلك، وقالوا: الله غنى عنه، فلا يردونه، وإن وصل شيء عما جعلوه لآلهتهم إلى ما جعلوه لله، ردوه إلى محله، وقالوا: إنها فقراء، لا بد من

رد نصيبها. فهل أسوأ من هذا الحكم. وأظلم؟!! حيث جعلوا ما للمخلوق، يجتهد فيه وينصح ويحفظ، أكثر مما يفعل بحق الله.

ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة، ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال

عن الله تعالى أنه قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ أشرك معى شيئاً تركته وشركه».

وأن معنى الآية أن ما جعلوه وتقربوا به لأوثانهم، فهو تقرب خالص لغير الله، ليس لله منه شيء، وما

جعلوه لله على زعمهم فإنه لا يصل إليه لكونه شركاً، بل يكون حظ الشركاء والأنداد، لأن الله غنى عنه، لا يقبل العمل الذي أشرك به

ومن سفه المشركين وضلالهم أنه زين لكثير من المشركين شركاؤهم ـ أي: رؤساؤهم وشياطينهم ـ قتل

معه أحد من الخلق.

أولادهم، وهو: الوأد، الذين يدفنون أولادهم الذكور خشية الافتقار، والإناث خشية العار.

وكل هذا من خدع الشياطين، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك، ويلبسوا عليهم دينهم، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح، ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم، حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة، ولو شاء الله أن يمنعهم ويحول بينهم وبين هذه الأفعال، ويمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم، ما فعلوه، ولكن اقتضت حكمته التخلية بينهم وبين أفعالهم، استدراجاً منه لهم، وإمهالاً لهم، وعدم مبالاة بما هم عليه، ولهذا قال: ﴿فذرهم وما يفترون، أي: دعهم مع كذبهم وافترائهم، ولا تحزن عليهم، فإنهم لن

ومن أنواع سفاهتهم أن الأنعام التي أحلها الله لهم عموماً، وجعلها رزقاً ورحمة، يتمتعون بها وينتفعون، قد اخترعوا فيها بدعا وأقوالا من تلقاء أنفسهم، فعندهم اصطلاح في بعض الأنعام [والحرث] أنهم يقولون فيها: ﴿هَذُهُ أَنْعَامُ وَحُرِثُ حَجِرٌ ﴾ أي: محرم ﴿لا يطعمها إلا مَنْ نشاء ﴾ أي: لا يجوز أن يطعمه أحد، إلا مَنْ أردنا أن يطعمه، أو وصفناه بوصف ــمن عندهم ..

يضروا الله شيئاً.

وكل هذا بزعمهم لا مستندلهم ولا حجة، إلا أهويتهم وأراءهم الفاسدة.

وأنعام ليست محرمة من كل وجه، بل يحرمون ظهورها أي: بالركوب والحمل عليها، ويحمون ظهرها، ويسمونها الحام، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها، بل يذكرون اسم أصنامهم وماكانوا يعبدون من دون الله عليها، وينسبون تلك الأفعال إلى الله، وهم كذبة فجار في ذلك.

﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ على الله من إحلال الشرك، وتحريم الحلال من الأكل والمنافع .

ومن آرائهم السخيفة أنهم يجعلون

للذكور والإناث.

بعض الأنعام ويعينوها _ محرماً ما في بطنها على الإناث دون الذكور، والنباتات المختلفة. فيقولون: ﴿ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا﴾ أي: حلال لهم، لا يشاركهم فيها النساء، ﴿ومحرم على أزواجنا ﴾ أي: نسائنا، هذا إذا ولد حياً، وإن يكن ما [في] بطنها يولد ميتاً، فهم فيه شركاء، أي: فهو حلال

حيث وصفوا ما أحله الله بأنه حرام، العباد كيف يعرشونها وينمونها . ووصفوا الحرام بالحلال، فناقضوا شرع الله وخالفوه، ونسبوا ذلك إلى آلله: ﴿إنه حكيم ﴾ حيث أمهل لهم، ومكنهم مما هم فيه من الضلال. ﴿عليم﴾ بهم، لا تخفى عليه خافية، وهو تعالى يعلم بهم وبما قالوه عليه وافتروه، وهو يعافيهم ويرزقهم جل

﴿سيحزيهم الله ﴿وصفهم

﴿١٤٠﴾ ثم بين خسرانهم وسفاهة عقولهم فقال: ﴿قد خسر الذِّين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾ أي: خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصفهم _بعد العقول الرزينة _السفه المردى والضلال.

﴿وحرموا ما رزقهم اللهِ أي: ما جعله رحمة لهم، وساقه رزقاً لهم. فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوها بأنها حرام، وهي من أحل الحلال.

وكل هذا ﴿افتراءَ على اللهِ أي: كذباً يكذب به كل معاند كفار . ﴿قد ضلوا وما كانوا مهندين اي: قد ضلوا ضلالاً بعيداً، ولم يكونوا مهتدين في شيء من أمورهم.

﴿١٤١﴾ ﴿وهو الذي أنشأ جناتِ معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا

أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين للا ذكر تعالى تصرف المشركين في كثير مما أحله الله لهم من الحروث والأنعام، ذكر تبارك وتعالى نعمته عليهم بذلك، ووظيفتهم اللازمة عليهم في الحروث والأنعام

فقال: ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾ أي: بساتين، فيها أنواع الأشجار المتنوعة،

﴿معروشات وغير معروشات﴾ أي: بعض تلك الجنات، مجعول له عرش، تنتشر عليه الأشجار، ويعاونها في النهوض عن الأرض. وبعضها خاَّل من العروش، تنبت على ساق، أو تنفرش في الأرض، وفي هذا تنبيه على كثرة منافعها وخيراتها، وأنه تعالى علم

﴿وَ﴾ أنشأ تعالى ﴿النخل والزرع ختلفاً أكله﴾ أي: كله في محل واحد، ويشرب من ماء واحد، ويفضل الله بعضه على بعض في الأكل.

وخص تعالى النخل والزرع على اختلاف أنواعه لكثرة منافعها، ولكونها هي القوت لأكثر الخلق. ﴿وَ﴾ أنشأ تعالى ﴿الزيتون والرمان متشابهاً ﴿ في شجره ﴿وغير متشابه ﴾ في ثمره وطعمه. كأنه قيل: لأي: شيء أنشأ الله هذه الجنات، وما عطف عليها؟ فأخبر أنه أنشأها لمنافع العباد فقال: ﴿كلوا من ثمره﴾ أي: النخل والزرع ﴿إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾أي: أعطوا حق الزرع، وهو الزكاة ذات الأنصباء المقدرة في الشرع، أمرهم أن يعطوها يوم حصادها، وذلك لأن حصاد الزرع

ويسهل حيننذ إخراجه على أهل الزروع، ويكون الأمر فيها ظاهراً لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج بمن وقوله: ﴿ولا تسرفوا﴾يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع

بمنزلة حولان الحول، لأنه الوقت

الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء،

أكلاً يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويُضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه .

وفي هـ ذه الآيـة دليل عـلى وجـوب

CONTROL V أَيْفَكُورِسَكَتِ رَبِي وَأَنَا لَكُونَا مِيمُ لِيدِثُ ۞ أَوَجَيْتُ مُ أَنْ جَاءً كُمْ وَكُرْتِن زَيْكُمْ عَلَا رَجُل مِنْ كُولِكُ إِنَّكُولُ لِللَّهِ وَكُولُ وَاذْكُرُوا إِذْ خَمَاكُوخُ الْمَاءَ مِنْ بَعْدُ فَرِيْرُ وَمِ وَزَادَكُرُ فِي ٱلْحَكَاقِ يَضْطَلُّهُ فَاذَكُرُواْءَ الْآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ ثُمُّ لِحُونَ ۞ قَالُوٓا أَجِعُنَّنَا لِنَعْمُدُ ٱللَّهُ وَجَدَهُ وَنَكَذَرُ مَاكَانَ يَمْبُدُ مَاكِ وَأَ فَأَيْنَا عِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِ قِينَ ۞قَالَ قَدْ وَقَمْ عَلَيْتُ مُ مِن رَّبِّ كُمْ رِيحَسُّ وَعَصَبُّ أنجُ لِهِ فَيَ فِي آلَت كَاوِسَ فَيْتُ مُوهَا آلَتُهُ وَ الرَّا وُكُم مَّانَـزَّلَ ٱلْقَهُ بِهِكَ مِن سُلْطَكَ نُ قَانَظِ رُوَّا إِنِي مَعَكُمُ مِنَ ٱلْنَظِينِ ۞ فَأَجْتِنَهُ وَٱلَّذِينَ مَعَدُيرِتَ مَعْوِينًا وَقَلَعْنَا ذَايِرَالَّذِينَ كُنَّبُواْ بِعَالِمَتِنَّا وَمَاكَانُواْ مُؤْمِنِينَ وَ اللَّ نَسُودَ لَخَسَاهُمْ مَسَلِيماً قَالَ بِلَقَوْمِ أَعْبُدُواْ اللهَ مَالَكُ مِنْ إِلَا عَنْمُورُ فَيْ خَاتَ مَاكُم بَيْكُ قُيْن رَيِّكُمُّ هَاذِهِ مَافَدُ ٱللَّهِ لَكُمْ مَاكِةٌ فَلَارُوْهَا اَكُاكُمُ إِنَّ الرَّضِ اللَّهِ وَلَا تَنْسُوهَا بِسُوَّو مَنْ أَنْكُرُ عَذَابُ أَلِيدٌ ۞ A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده.

وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمنها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكى المال الذي يبقى بعده.

وقد كان النبي ﷺيبعث خارصاً يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعتريها من الأكل وغيره من أهلها

﴿ ١٤٢ _ ١٤٢ ﴾ ﴿ ومن الأنسام حمولة وفرشأ كلواتما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرّم أم الأنشيين أما اشتملت عليه أرحام الأنشيين نبؤون بعلم إن كنشم صادقين * ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم

وَأَذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلُفَكَةً مِنْ بَعْدِعَادِ

وَيَوْأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَجَّدُونَ مِن سُهُولِمَا فَصُورُا

وَتَنْجِتُونُ ٱلْجِهَالَ بُيُوتًّا فَٱذْكُرُوٓا مَالَآالَهُوَالْأَمْوَا

فِ ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَالَ ٱلْمَكُأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكَمَرُواْ

مِن قَوْمِهِ مِلِلَّذِيكَ أَسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَّنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ

أَنْ صَلِحًا مُّنْهَ كُلِّينَ زَيِّهِ فَالْوَاٰإِنَا بِمَا أَرْسِلَ بِهِ مُوْمِنُونَ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَكَمُ وَأَ إِنَّا بِٱلَّذِينَ

مَامَنتُ مِيدِ حَمَا فِرُونَ ۞ فَكُفَّرُوا ٱلنَّاقَةَ وَعَمَّوْا عَن

أشررتيه وقسا أوأيكم لؤتنكا يماتف كنآإن سنكنتين

ٱلْتُرْسَكِيبَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّخْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ

جَنْثِيبِ ۞ فَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَكَوُّو لَقَدْ أَبْلَغَنْكُمْ

رِسَالَةَ رَبِّى وَنَسَحَتُ لَكُرُ وَلَلْحِينَ لَا يُجَنُونَ ٱلنَّصِحِينَ

وَلُومًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِيةَ أَتَا فُونَ الْفَاحِثَةَ مَاسَبَقَكُمُ

بِهَا مِنْ أَحَكِمِ مِنَ ٱلْعَمَلِيدِ ﴿ إِنَّكُو لَتَأْوُّونَ النِّجَالَ

شَكَعْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُ مُوَوِّرُهُمُ مُرِفُونَ ﴿

تنقسم إلى هذين القسمين.

وشقاؤكم الأبدي.

TO NOT THE PROPERTY OF THE PARTY OF THE PART

الظالمين ﴾ أي: ﴿وَ ﴿ خَلَقَ وَأَنْشَأُ ﴿مِنْ

الانتفاع، فإنها كلها تؤكل وينتفع بهاً.

ولهذا قال: ﴿كلوا مما رزقكم الله

ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي:

بعض ما رزقكم الله . ﴿إنه لكم عدو

مبين، فلا يأمركم إلا بما فيه مضرتكم

وهذه الأنعام التي امتنَّ الله بها على

عباده، وجعلها كلها حلالاً طيباً،

فصلها بأنها: ﴿ثمانية أزواج من الضأن

اثنين، ذكر وأنثى ﴿ومن المعز اثنين﴾

كذلك، فهذه أربعة، كلها داخلة فيما

أحل الله، لا فرق بين شيء منها،

فقل لهؤلاء المتكلفين، الذين يحرمون

منها شيئاً دون شيء، أو يحرمون

بعضها على الإناث دونَ الذكور، ملزماً

لهم بعدم وجود الفرق بين ما أباحوا

منها وحرموا﴿آلذكرين﴾ من الضأن والمعز ﴿حرم﴾ الله، فلستم تقولون

بذلك وتطردونه، ﴿أُمُ الْأَنْتُينِ ﴾

حرّم الله من الضأن والمعز، فليس هذا

قولكم، لا تحريم الذكور الخلص،

ولا الإناث الخلص من الصنفين.

فإذا كنتم لا تقولون بأحدهذه الأقوال الثلاثة، التي حصرت الأقسام الممكنة في ذلك، فإلى أي: شيء تذهبون؟

﴿نبؤونِ بعلم إن كنتم صادقين﴾

في قولكم ودعواكم، ومن المعلوم أنهم لا يمكنهم أن يقولوا قولاً سائعاً في العقل، إلا واحداً من هذه الأمور الثلاثة. وهم لا يقولون بشيء منها. إنما يقولون: إن بعض الأنعام التي يصطلحون عليها اصطلاحات من عند أنـفـسـهـم، حـرام عـلى الإنباث دون اللذكور، أو محرمة في وقت من الأوقات، أو نحو ذلك من الأقوال، التي يعلم علماً لا شك فيه أن مصدرها من الجهل المركب، والعقول المختلة المنحرفة، والآراء الفاسدة، وأن الله ما أنئزل _بما قالوه _من سلطان، ولا لهم عليه حجة ولا برهان.

ثم ذكر في الإبل والبقر مثل ذلك. فلمّا بيّن بطلان قولهم وفساده، قال لهم قولاً لا حيلة لهم في الخروج من تبعته، إلا في اتباع شرع الله. ﴿أَم كنتم شهداء إذ وصَاكم الله ﴾ أي: لم يبق عليكم إلا دعوى، لا سبيل لكم إلى صدقها وصحتها. وهي أن تقولوا: إن الله وصَّانا بذلك، وأوحى إلينا كما أوحى إلى رسله، بل أوحى إلينا وحياً مخالفاً لما دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، وهذا افتراء لا يجهله أحد، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ أَطْلُم مُنْ افْتُرِي على الله كذباً ليضل الناس بغير علم، أي: مع كذبه وافترائه على الله، قصده بذلك، إضلال عباد الله عن سبيل الله، بغير بيّنة منه ولا برهان، ولا عقل ولا نقل.﴿إن الله لا يهدي

بقى إذا كان الرحم مشتملاً على ذكر وأنشى، أو على مجهول فقال: ﴿أُمِ﴾ تحرمون ﴿ما اشتملت عليه أرحام الأنشيين ﴾ أي: أنشى الضان وأنشى المعز، من غير فرق بين ذكر وأنثى، فلستم تقولون أيضاً بهذا القول.

الأنعام حمولة وفرشاً ﴾ أي: بعضها تحملون عليه وتركبونه، وبعضها لا تصلح للحمل والركوب عليها لصغرها كالفصلان ونحوها، وهي الفرش، فهي من جهة الحمل والركوب وأما من جهة الأكل وأنواع طرقه وأعماله التي من جملتها أن تحرموا

القوم الظالمين الذين لا إرادة لهم في

﴿١٤٥ ـ ١٤٦﴾ ﴿قل لا أجد في ما أوحى إلَي محرماً على طاعم يطعمه إلاً أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير اللهٰ به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإنّ ربك غفور رحيم * وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنّا لصادقون، لما ذكر تعالى ذم المشركين على ما حرموا من الحبلال ونسبوه إلى الله، وأبطل قولهم. أمر تعالى رسوله أن يبيِّن للناس ما حرّمه الله عليهم، ليعلموا أن ما عدا ذلك حلال، مَنْ نسب تحريمه إلى الله فهو كاذب مبطل، لأن التحريم لا يكون إلا من عند الله على لسان رسوله، وقدقال لرسوله: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً على طاعم﴾ أي: محرماً أكَّله، بقطع النظر

غير الظلم والجور والافتراء على الله.

﴿ إِلاَّ أَن يَكُونَ مِينَّةً ﴾ والمينة: ما مات بغير ذكاة شرعية، فإن ذلك لا يحل. كما قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ .

عن تحريم الانتفاع بغير الأكل وعدمه.

﴿ أُو دَمَّا مُسَفُّوحًا ﴾ وهو الدم الذي يخرج من الذبيحة عند ذكاتها، فإنه الدم الذي يضر احتباسه في البدن، فإذا خرج من البدن زال الضرر بأكل اللحم، ومفهوم هذا اللفظ، أن الدم الذي يبقى في اللحم والعروق بعد الذبح، أنه حلاًل طاهر .

﴿ أُو لَحُم خَنْزِيرِ فَإِنَّهُ رَجِسٍ ﴾ أي: فإن هذه الأشياء الثلاثة رجس، أي: خبث نجس مضر، حرمه الله لطفاً بكم، ونزاهة لكم عن مقاربة الخبائث.

﴿أُو﴾ إلا أن يكون ﴿فسقا أهل لغير الله به ♦ أي: إلا أن تكون الذبيحة مذبوحة لغير الله، من الأوثان والآلهة التي يعبدها المشركون، فإن هذا من الفسّق الذي هو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته، أي: ومع هذا، فهذه الأشياء المحرمات، من اضطر إليها، أي: حملته الحاجة والضرورة إلى أكل

شيء منها، بأن لم يكن عنده شيء وخاف على نفسه التلف ﴿غير باغ ولا عاد﴾ أي: ﴿غير باغ﴾ أي: مريد لأكلها، من غير اضطرار ولا متعدٍ، أي: متجاوز للحد، بأن يأكل زيادة عن حاجته. ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾ أي: فالله قد سامح مَنْ كان بهذه الحال.

واختلف العلماء رحمهم الله في هذا الحصر المذكور في هذه الآية ، مع أن ثم عرمات لم تذكر فيها ، كالسباع وكل ذي غلب من الطير ونحو ذلك ، فقال بعضهم: إن هذه الآية نازلة قبل تحريم ما ذكر فيها ، فلا ينافي هذا الحصر المذكور فيها التحريم المتأخر بعد ذلك ؛ لأنه لم يجده فيما أوحي إليه في ذلك الوقت، وقال بعضهم: إن هذه الآية مشتملة على سائر المحرمات، بعضها يؤخذ من المعنى وعموم العلة .

فإن قوله تعالى في تعليل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو الأخير منها فقط: ﴿ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهِ وصف شامل لكل عمرم، فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من الخبائث المستقذرة التي حرمها الله على عباده، صيانة لهم وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس.

ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من المقصود منه، فإنها تفسر القرآن، وتبين من المطاعم إلا ما ذكر، والتحريم لا يكون مصدره إلا شرع الله _دل ذلك على أن المشركين، الذين حرموا ما رزقهم الله مفترون على الله، متقولون عليه ما لم يقل.

وفي الآية احتمال قوي، لولا أن الله ذكر فيها الخنزير، وهو أن السياق في نقض أقوال المسركين المتقدمة، في تحريمهم لما أحله الله وخوضهم بذلك، بحسب ما سولت لهم أنفسهم، وذلك في بهيمة الأنعام خاصة، وليس منها محرم إلا ما ذكر في الآية: الميتة منها، وما أهل لغير الله عنها، وما أهل لغير الله

به، وما سوى ذلك فحلال.

ولعل مناسبة ذكر الخنزير هنا على هذا الاحتمال، أن بعض الجهال قد يدخله في بهيمة الأنعام، وأنه نوع من أنواع الغنم، كما قد يتوهمه جهلة النصارى وأشباههم، فينمونها كما ينمون المواشي، ويستحلونها، ولا يفرقون بينها وبين الأنعام، فهذا المحرم على هذه الأمة كله (۱) من باب التنزيه لهم والصيانة.

وأما ما حرم على أهل الكتاب، فبعضه طيب ولكنه حرم عليهم عقوبة لهم ولهذا، قال: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ وذلك كالإبل وما أشبهها وحرمنا عليهم.

ومن البقر والغنم بعض أجزائها، وهو: وشحومهما وليس المحرم جميع الشحوم منها، بل شحم الألية والثرب، ولهذا استثنى الشحم الحلال من ذلك، فقال: وإلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا وأو ما اختلط المخالط للأمعاء وأو ما اختلط بعظم .

﴿ ذلك ﴾ التحريم على اليهود ﴿ جزيناهم ببغيهم ﴾ أي: ظلمهم وتعديهم في حقوق الله وحقوق عباده، فحرم الله عليهم هذه الأشياء عقوبة لهم ونكالاً. ﴿ وإنا لصادقون ﴾ في كل ما نقول ونفعل ونحكم به، ومن أصدق من الله حديثاً، ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

المسري من الله حجما للوم يوليون.

(127) خوان كذبوك فقل ربكم المجرمين أي: فإن كذبك هؤلاء المشركون، فاستمر على دعوتهم، بالترغيب والترهيب، وأخبرهم بأن الله خور رحمة واسعة أي: عامة شاملة [الجميع] للمخلوقات كلها، فسارعوا إلى رحمته بأسبابها، التي رأسها ومادتها تصديق محمد على ألها،

﴿ ولا يسرد بسأسه عسن السقوم المجرمين ﴾ أي: الذين كثر إجرامهم

وذنوبهم، فاحذروا الجرائم الموصلة لبأس الله، التي أعظمها ورأسها تكذيب محمد ﷺ

﴿ ١٤٨ ـ ١٤٨ ﴾ ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون الا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر، حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ الآية.

فأخبر تعالى أن هذه الحجة لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئاً ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهلكهم الله وأذاقهم بأسه.

فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة من عدة أوجه:

منها: ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة لم تحل بهم العقوبة.

ومنها: أن الحجة لا بدأن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذ كانت مستندة إلى مجرد الظن والخبرص الذي لا يُغني من الحق شيئاً، فإنها باطلة، ولهذا قال: ﴿قَلَ

هل عندكم من علم فتخرجوه لنا كان لهم علم _ وهم خصوم ألداء _ لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم. ﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴿ ومَنْ بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل

خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟

ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لأحد عذراً، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة (١) القاطعة باطل، لأن نقيض الحق لا يكون إلا باطلاً.

ومنها: أن الله تعالى أعطى كل غلوق قدرة وإرادة يتمكن بها من فعل ما كُلُف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن على تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم، فإن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا يستكره إلا مَنْ كابر وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجاً تحت إرادته.

ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر، لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب.

فياً عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟!!

ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من

الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأً(٢).

﴿ ١٥٠ ﴾ ﴿ قل هلم شهداء كم الذين يشهدون أن الله حرّم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم برجهم يعدلون ﴾ أي: قل لن حرَّم ما أحل الله، ونسب ذلك إلى الله: أحضروا شهداء كم الذين يشهدون أن الله حرم هذا، فإذا قيل لهم هذا الكلام، فهم بين أمرين:

إما: أن لا يحضروا أحداً يشهد بهذا، فتكون دعواهم إذاً باطلة، خلية من الشهود والبرهان.

وإما: أن يحضروا أحداً يشهد لهم بذلك، ولا يمكن أن يشهد بهذا إلا كل أفاك أثيم غير مقبول الشهادة، وليس هذا من الأمور التي يصح أن يشهد بها العدول؛ ولهذا قال تعالى _ فامياً نبيه وأتباعه عن هذه الشهادة _: فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يـومنون بالآخرة وهـم بربهم يعدلون أي: يسوون به غيره من الأنداد والأوثان.

فإذا كانوا كافرين باليوم الآخر غير موحدين لله، كانت أهويتهم مناسبة لعقيدتهم، وكانت دائرة بين الشرك والتكذيب بالحق، فحري بهوى هذا شأنه، أن ينهى الله خيار خلقه عن اتباعه، وعن الشهادة مع أربابه، وعلم حينئذ أن تحريمهم لما أحل الله صادر عن تلك الأهواء المضلة.

(١٥١ - ١٥٣) ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف

نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * وأنَ هذا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون * يقول تعالى النبيه على الله : ﴿ تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ﴾ تحريماً عاماً شاملاً لكل أحد، عليكم ﴾ تحريماً عاماً شاملاً لكل أحد، والمشارب والأقوال والأفعال. ﴿ ألا قليلاً ولا كثيراً.

وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يعظم كما خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحداً، خلصاً لله في جميع أحواله، فهذا حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

ثم بدأ بآكد الحقوق بعد حقه فقال:

وبالوالدين إحساناً من الأقوال الكريمة الحسنة، والأفعال الجميلة المستحسنة، فكل قول وفعل يحصل به منفعة للوالدين أو سرور لهما، فإن ذلك من الإحسان، وإذا وجد الإحسان انتفى العقوق.

﴿ولا تقتلوا أولادكم ﴾ من ذكور وإناث ﴿من إملاق ﴾ أي: بسبب الفقر وضيقكم من رزقهم، كما كان ذلك موجوداً في الجاهلية القاسية الظالمة، وإذا كانوا منهيين عن قتلهم في هذه الحال وهم أولادهم، فنهيهم عن قتلهم لغير موجب، أو قتل أولاد غيرهم من باب أولى وأحرى.

﴿نحن نرزقكم وإياهم أي: قد تكفلنا برزق الجميع، فلستم الذين ترزقون أولادكم، بل ولا أنفسكم، فليس عليكم منهم ضيق. ﴿ولا تقربوا الفواحش ﴾ وهي: الذنوب العظام المستفحشة، ﴿ما ظهر منها وما بطن ﴾

⁽١) في ب: الآية.

⁽٢) في ب: من الكلام المصيب عندهم والمخطىء.

حرج عليه فيما سوى ذلك. ﴿ وإذا قلتم ﴾ قولاً تحكمون به بين

الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال ﴿فاعدلوا﴾ في قولكم بمراعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على مَنْ تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم.

بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطى كل ذي حق حقه، وأن يبينُ ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبعدها منه.

وذكر الفقهاء أن القاضي يجب عليه

العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه. ﴿وبعهد الله أوفوا ﴾وهذا يشمل العهد الذي عاهده عليه العباد من القيام بحقوقه والوفاء بها، ومن العهد الذي يقع التعاهد به بين الخلق. فالجميع يجبُّ الوفاء به، ويحرم نقضه والإخلالُ

﴿ذُلْكُمُ ﴾ الأحكام المذكورة ﴿وصاكم به لعلكم تذكرون ﴿ما بينه لكم من الأحكام، وتقومون بوصية الله لكم حق القيام، وتعرفون ما فيها من الحكم والأحكام.

ولما بين كثيراً من الأوامر الكبار، والشرائع المهمة، أشار إليها وإلى ما هو أعم منها، فقال: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً ﴾ أي: هذه الأحكام وماً أشبهها، مما بينه الله في كتابه ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر.

﴿فاتبعوه ﴾لتنالوا الفوز والفلاح، وتدركوا الآمال والأفراح ﴿ولا تتبعو السُبل ﴾أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق ﴿فتفرق بكم عن سبيله ﴾أي: تضلكم عنه وتفرقكم يميناً وشمالا،

وبهذه الآية ونحوها استدل الأصوليون، بأن الله لا يكلف أحداً ما لا يطيق، وعلى أن من اتقى الله فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا

﴿ وَإِلَىٰ مَذَيْنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبُ أَقَالَ يَكَفِّرِهِ أَعْبُدُواْ اللَّهُ المَالَكُ مِنْ إِلَاهِ غَيْرُمُّ فَذَكَ آءَنْكُم بَيِنَ أَيْنِ رَيْحُةُ مَا وَفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيَّاتَ وَلَاتَبْخَسُوا اَلنَّنَاسَ أَشْيَآءَ هُدُ وَلَائْفُسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ مِعْدَاصْلَاحِمَّا ذَالِكُ مُ خَيِّرًا كُمُ مِن كُنتُ مُثَوْمِنِيك ﴿ وَلَا تَعَعُدُوا بِكُلِ صِرَاطٍ قُوعِيدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سكيل القومَنْ وامَّن بعِيووَبَهْ فُونَهَ اعِيجَاً وَأَنْكُرُواْ إِ إِنْكُنتُهُ قَلِيلًا فَكَثَّمُكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَكُانَ لل عَنقِبَةُ ٱلْفُسِدِينَ ۞ فَانْكَانَ طَآبِفَةُ قِنْكُمْ ا اَسَنُوا بِالَّذِيَّ أَرْسِلْتُ بِمِورَكَا آيِفَ لَّهُ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا المَا عَنْ يَعْكُمُ اللَّهُ يَيْنَ مَا وَهُوَخَيْرُ لَلْأَكِيدِينَ ﴿

فإذا ضللتم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم.

or to a medical property

ال وَمَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ فَكَالُواْ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ

أَفَدَيْكُمُ أَنَّهُ مُأْنَاتُ تَطَفَرُونَ ﴿ فَأَعَيْكُهُ

وَأَهْلَهُ إِلَّا اَمْرَأَتُ مُكَانَتْ مِنَ الْعَكَمِينَ ﴿ وَأَمْطَانِهَا

عَلَيْهِ وَمُطَدًّا فَانْظُرْكَيْفَ كَانَ عَلَيْكُ ٱلْمُجْرِوِينَ

﴿ذلكم وصَاكم به لعلكم تتقون﴾ فإنكم إذا قمتم بما بينه الله لكم علماً وعملاً صرتم من المتقين وعباد الله المفلحين، ووحد الصراط وأضافه إليه، لأنه سبيل واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه.

﴿١٥٤ _ ١٥٧﴾ ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون * وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دارستهم لغافلين * أوتقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدي ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾ «ثم»في هذا الموضع، ليس المراد منها الرتيب الزماني، فإن زمن موسى عليه السلام متقدم على تلاوة الرسول محمد علي هذا الكتاب، وإنما المراد الترتيب الإخباري. فأخبر أنه آتي ﴿موسى الكتاب، وهو التوراة ﴿تماماً ﴾ لنعمته، وكمالاً لإحسانه. ﴿على الذي أحسن﴾ أي: لا تقربوا الظاهر منها والخفي، أو المتعلق منها بالظاهر ، والمتعلق بالقلب والباطن.

والنهى عن قربان الفواحش أبلغ من النهى عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهى عن مقدماتها ووسائلها الموصلة

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله ﴾ وهي: النفس المسلمة، من ذكر وأنثي، صغير وكبير، بَر وفاجر، والكَافرة التي قد عُصمت بالعهد والميثاق. ﴿ إِلَّا بالحق، كالزاني المحصن، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق

﴿ ذَلَكُم ﴾ المذكور ﴿ وصاكم به لعلكم تعقلون﴾عن الله وصيته، ثم تحفظونها، ثم تراعونها وتقومون بها.

ودلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.

﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ بأكل، أو معاوضة على وجه المحاباة لأنفسكم، أو أخذ من غير سبب. ﴿ إِلاَّ بِالتَّى هَيُ أحسن ﴾ أي: إلا بالحال التي تصلح بها أموالهُم، وينتفعون بها. فدُّل هذا على أنه لا يجوز قربانها والتصرف بها على وجه ينضر اليتامي، أو على وجه لا مضرة فيه ولا مصلحة، وحتى يبلغ) اليتيم ﴿أشده﴾أي: حتى يبلغ ويرشد، ويعرف التصرف، فإذا بلغ أشده، أعطى حينئذ ماله، وتصرف فيه

وفي هذا دلالة على أن اليتيم _ قبل بلوغ الأشد _ محجور عليه، وأن وليه يتصرف في ماله بالأحظ، وأن هذا الحجر ينتهي ببلوغ الأشد.

﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ أي: بالعدل والوفاء التام، فإذا اجتهدتم في ذلك، ف ﴿لا نكلُف نفساً إلا وسعها أي: بقدر ما تسعه، ولا تضيق عنه. فمَنْ حرص على الإيفاء في الكيل والوزن، ثم حصل منه تقصير لم يفرط فيه ولم يعلمه، فإن الله عفو غفور(١٠).

• قَالَ الْكُلُّ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن فَوْمِهِ مَلْ خُرْجَنَّاكَ يَلشُّعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْسَتِنَا أَوْلَتَعُودُكَ فِي مِلَّتِكَ قَالَ أَوْلُوكُنَّا كَرْهِينَ ۞ فَدِأْفَتُرَيِّنَا عَلَى اللَّهِ كَذِيًّا إِنْ عُدْنَا فِي لِلَّةِكُمْ بَعَدَ إِذْ نَعَنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَّا أَنْ مَعُودَ فِيهَاۤ إِلَّا أَن يَشَكَةَ اللَّهُ رَبُّناً وَسِعَ رَبُّنَاكُ لَ شَقِءٍ عِلْأَعَلَ اللَّهِ وَكُلَّناً رَبَّنَا ٱفْنَحْ يَنْنَنَا وَيَيْنَ فَوَمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَلْيِحِينَ ﴿ وَقَالَ ٱلْكُلَّ ٱلَّذِيكَ كَفَرُوا مِن قَوِيدِ لَهِن ٱتَّبَعْتُمْ شُكَيْبً إِنَّكُمْ إِذَا لَّخَدِرُونَ ۞ فَلَخَذَتْهُمُ الرَّخِفَ أَفَسَبِحُواْفِ دَارِجَ جَلِيْمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ كَنَّاهُما شُعَيَّاكَ أَرْيَضَوَّا فِيهَا ۗ الَّذِيكَ لَذَبُوا شُعَبُناكَ أَوْاهُمُ الْخَسِرِينَ ۞ فَوَلَّ عَنْمُ وَقَالَ يَنَقُومِ لَقَدْ أَتَلَفْئُ كُمْ وَيَسْلَلْتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمُّ ۖ فَكَيْفَ ءَامَىٰعَلَ فَوْمِكَ فِي رِكَا فِي وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةُر مِن يَي إِلَّا أَخَذَنَّا أَهُلَهَا بِالْبَأْسَلَةِ وَالضِّزَّلِ لَمُلَّهُمْ يَضَمَّعُونَ ١ ثُرَّيَدُكَ مَكَانَ السَيِعَةِ لَفُسَنَةً حَقَّى عَفُواْ وَعَالُواْفَدَ مَسَ عَالِمَةً عَا ٱلفَيْزَلَةُ وَٱلسَّدَانَةُ فَأَخَذَنَهُ مِغْتَةً وَهُزَلَايَشْعُ فِي ٥

من أمة موسى، فإن الله أنعم على المحسنين منهم بنِعَم لا تحصى. من جلتها وتمامها إنزال التوراة عليهم. فتمت عليهم نعمة الله، ووجب عليهم القيام بشكرها.

﴿وتفصيلاً لكل شيء ﴾ يحتاجون الله تفصيله، من الحلال والحرام، والأمر والنهي، والعقائد ونحوها. ﴿وهدى ورحمة ﴾ أي: يهديهم إلى الخير، ويعرفهم بالشر، في الأصول الفروع. ﴿ورحمة والخير الكثير. للمعاهم ﴿ بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ والبينات عليهم ﴿ بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ فإنه اشتمل من الأدلة القاطعة على البعث والجزاء بالأعمال، ما يوجب لهم الإيمان بلقاء ربهم والاستعداد له.

وهذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم. ﴿ كتاب أنزلناه مبارك أي: فيه الخير الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير وتستخرج منه البركات، فما من خير الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر، إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكر وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة ﴿ فاتبعوه ﴾ فيما يأمر وينهى، وابنوا أصول دينكم وفروعه عليه ﴿ واتقوا ﴾ الله تعالى أن تخالفوا له أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ أمراً ﴿ لعلكم ﴾ إن اتبعتموه ﴿ ترحون ﴾ الله وقد وقد الله وقد وقد المنافقة وقد الم

فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب علماً وعملاً.

﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ أي: أنزلنا إليكم هذا الكتاب المبارك قطعاً لحجتكم، وخشية أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، أي: اليهود والنصارى.

﴿ وَإِن كُنّا عَنْ دُراسَتِهِم لَغَافَلِينَ ﴾ أي: تقولون لم تنزل علينا كتاباً، والكتب التي أنزلتها على الطائفتين ليس لنا بها علم ولا معرفة، فأنزلنا إليكم كتاباً، لم ينزل من السماء كتاب أجع ولا أبين منه.

﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ آي: إما أن تعتذروا بعدم وصول أصل الهداية إليكم، وإما أن تعتذروا، [بعدم] بكمالها وتمامها، فحصل لكم بكتابكم أصل الهداية وكمالها، ولهذا قال: ﴿فقد جاءكم فيه كل ما يبين الحق ﴿وهدى من من لم يرفع به وأساً وكذب به، فإنه الانقياد لأحكامه والإيمان بأخباره، وأن مَن لم يرفع به رأساً وكذب به، فإنه أظلم الظالمين، ولهذا قال: ﴿فَمَن أَطلم من كذب بآيات الله وصدف عنها ﴾ أي: أعرض ونأى بجانبه.

﴿سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب أي: العذاب الذي يسوء صاحبه ويشق عليه. ﴿بما كانوا يصدفون لأنفسهم ولغيرهم، جزاء لهم على عملهم السيّى، ﴿وما ربك بظلام للعبيد ﴾.

وفي هذه الآيات دليل على أن علم القرآن أجل العلوم وأبركها وأوسعها، وأنه به تحصل الهداية إلى الصراط الستقيم، هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخرص المتكلمين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأولين والآخرين.

وأن المعروف أنه لم ينزل جنس الكتاب إلا على الطائفتين، [من] اليهود والنصاري، فهم أهل الكتاب عند

الإطلاق، لا يدخل فيهم سائر الطوائف، لا المجوس ولا غيرهم.

وفيه: ما كان عليه الجاهلية قبل نزول القرآن، من الجهل العظيم وعدم العلم بما عند أهل الكتاب، الذين عندهم مادة العلم وغفلتهم عن دراسة كتبهم.

﴿١٥٨﴾ ﴿هـال يـنظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربكم يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون﴾ يقول تعالى: هل ينظر هؤلاء الذين استمر ظلمهم وعنادهم، ﴿إلا أن تأتيهم﴾ مقدمات الآخرة بأن تأتيهم وصلوا إلى تلك الحال لم ينفعهم الإيمان ولا صالح الأعمال. ﴿أو يأتي ربك﴾ لفصل القضاء بين العباد، ومجازاة المحسنين والمسيئين. ﴿أو يأتي بعض اليات ربك﴾ الدالة على قرب الساعة.

﴿يوم يأي بعض آيات ربك﴾ الخارقة للعادة، التي يعلم بها أن الساعة قد دنت، وأن القيامة قد اقتربت. ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ أي: إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمن المقصر أن يزداد خيره بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له من الخير المرجو قبل أن يأتي بعض الآيات.

والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيمانا بالغيب، وكان اختياراً من العبد، فأما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة، لأنه يشبه والحريق ونحوهما، عمن إذا رأى الموت أقلع عمّا هو فيه، كما قال تعالى: وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانه لم ارأوا بأسنا، سُنة الله التي قد خلت في عباده .

وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبسي على أن المراد بسعض آيات الله، طلوع الشمس من مغربها، وأن الناس إذا رأوها آمنوا، فلم ينفعهم إيمانهم، ويغلق حينئذ باب التوبة.

ولما كان هذا وعيداً للمكذبين بالرسول في منتظراً، وهم ينتظرون بالنبي في وأتباعه قوارع الدهر ومصائب الأمور، قال: ﴿قُلُ انتظروا إِنَّا منتظرون في الله والمنتظرون في المنتظرون أينا أحق بالأمن.

وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السُنة والجماعة في إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى، كالاستواء والنزول، والإتيان لله تبارك وتعالى، من غير تشبيه له بصفات المخلوقين.

وفي الكتاب والسنة من هذا شيء كثير، وفيه أن من جملة أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها. وأن الله تعالى حكيم قد جرت عادته وسنته، أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختيارياً لا اضطرارياً، كما تقدم.

وأن الإنسان يكتسب الخير بإيمانه. فالطاعة والبر والتقوى إنما تنفع وتنمو إذا كان مع العبد الإيمان. فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك.

ودلت الآية الكريمة أن اللين يأمر

بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية. وأمره أن يتبرأ عمن فرقوا دينهم فقال: ﴿لست منهم في شيء﴾ أي: لست منهم وليسوا منك، لأنهم خالفوك وعاندوك ﴿إنما أمرهم إلى الله يسردون إليه في جازيهم بأعمالهم ﴿ثم ينبئهم بما كانوا

ثم ذكر صفة الجزاء، فقال: ﴿مَنْ جاء بالحسنة ﴾ القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله أو حق خلقه ﴿فله عشر أمثالها ﴾ هذا أقل ما يكون من التضعيف.

﴿ومَنْ جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾ وهذا من تمام عدله تعالى وإحسانه، وأنه لا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: ﴿وهم لا يظلمون ﴾.

(١٦٥ - ١٦٥) ﴿ قَلْ إِنني هذا إِن إِلَى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إِراهيم حنيفاً وما كان من المشركين * قل إِن صلاتي وسكي وعياي وعماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين * قبل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ولا ترر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبتكم بما كنتم فيه كنتفون * وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما أتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم سريم العقاب وإنه لغفور رحيم المنتفية المنتفية

سريع العقاب وإنه لغفور رحيم تعالى نبيه على أن يقول ويعلن بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصاً إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من

أديان أهمل الانحراف، كماليهمود والنصاري والمشركين.

وهذا عموم، ثم خصص من ذلك أشرف العبادات فقال: ﴿قل إن صلاي ونسكي﴾ أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على عبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تجه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى.

ومَنُ أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله. وقوله: ﴿وعياي ومماييه أي: ما آتيه في حياتي، وما يجريه الله ﴿له رب العالمين لا شريك له ﴾ في العبادة، كما أنه ليس له شريك له ﴾ في الملك والسدبير، وليس هذا الإخلاص لله ابتداعاً مني، وبدعاً أتيته أمراً حتماً، لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله ﴿وأنا أوّل المسلمين ومن هذه الأمة.

﴿قل أغير الله ﴿ من المخلوقين ﴿ أَبغي رباً ﴾ أي: أيحسن ذلك ويليق بي، أن أتخذ غيره مربياً ومدبراً والله رب كل شيء، فالخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقادون الأمره؟!!

فت عين علي وعلى غيري، أن يتخذ الله رباً، ويرضى به، وألا يتعلق بأحد من المربوبين الفقراء العاجزين.

ثم رغب ورهب بذكر (١) الجزاء فقال: ﴿ولا تكسب كل نفس﴾ من خير وشر ﴿إلاً عليها﴾ كما قال تعالى: ﴿مَنْ عمل صالحاً فلنفسه ومَنْ أساء فعليها﴾.

﴿ولا تـزر وازرة وزر أخـرى بـل كلّ عليه وزر نفسه، وإن كان أحد قد تسبب في ضلال غيره ووزره، فإنّ عليه وزر التسبب من غير أن ينقص من وزر المباشر شيء.

﴿ ثُم إلى ربُّكم مرجعكم ﴾ يوم

القيامة ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ من خير وشر، ويجازيكم على ذلك، أوفي الجزاء .

﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ أي: يخلف بعضكم بعضاً، واستخلفكم الله في الأرض، وسخّر لكم جميع ما فيها، وابتلاكم، لينظر كيف تعملون.

﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ في القوة والعافية ، والرزق والخلق والخلق والخلق . ﴿ليبلوكم فيما اتكم ﴾ فتفاوتت أعمالكم . ﴿إن ربك سريع العقاب ﴾ لمن عصاه وكذب بآياته ﴿وإنه لغفور رحيم ﴾ لمن آمن به وعمل صالحاً ، وتاب من الموبقات .

آخر تفسير سورة الأنعام، فلله الحمد والثناء وصلى الله وسلم على نبينا محمد [وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين](١١).

المجلد الثالث من تيسير الرحمن في تفسير القرآن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن تاصر المعدى

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأعراف مكيـــة

الرحيم المص * كتاب أنزل إليك الرحيم المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون * وكم من قائلون * فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين * فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن الرسلين * فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين * يقول تعالى لرسوله كنا غائبين * يقول تعالى لرسوله

عمد على مبيناً له عظمة القرآن: (كتاب أنزل إليك) أي: كتاب جليل حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، عكماً مفصلاً (فلا يكن في صدرك حرج منه) أي: ضيق وشك واشتباه، بل لتعلم أنه تنزيل من حكيم حميد ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأصدق الكلام فلينشرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك، ولتصدع بأوامر، ونواهيه، ولا تخش لائماً ومعارضاً.

﴿لتنذربه ﴾ الخلق، فتعظهم وتذكرهم، فتقوم الحجة على المعاندين. ﴿وَ لَكُونَ ﴿ ذَكْرَى لَلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَذَكْرَ فَإِنَّ الذّكرى تنفع المؤمنين ﴾ يستذكرون به البصراط المستقيم، وأعماله الظاهرة والباطنة، وما يحول بين العبد وبين سلوكه.

ثم خاطب الله العباد، وألفتهم إلى الكتاب فقال: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي: الكتاب الذي أريد إنزاله لأجلكم، وهو ﴿من ربكم﴾ الذي يريد أن يتم تربيته لكم، فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي، إن اتبعتموه كملت تربيتكم، وتمت عليكم النعمة، وهديتم لأحسن الأعمال والأخلاق ومعاليها ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ وتتبعون أهواءهم،

﴿ قُلِيلاً ما تَذكرون ﴾ فلو تذكرتم وعرفتم المصلحة ، لما آثرتم الضار على النافع ، والعدو على الولى .

ثم حذرهم عقوباته للأمم الذين كذبوا ما جاءتهم به رسلهم، لئلا يشابهوهم (٢) فقال: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا﴾ أي: عذابنا الشديد ﴿بياتا أو هم قائلون﴾ أي: في

حين غفلتهم، وعلى غرتهم غافلون، لم يخطر الهلاك على قلوبهم. فحين جاءهم العذاب لم يدفعوه عن أنفسهم، ولا أغنت عنهم آلهتهم التي كانوا يرجونهم، ولا أنكروا ما كانوا يفعلونه من الظلم والمعاصى.

وفما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا إنا كنا ظالمين كما قال تعالى: وحركم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين * فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون * قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين .

وقوله: ﴿فلنسألن الذين أرسل اليهم﴾ أي: لنسألن الأمم الذين أرسل أرسل الله إليهم المرسلين، عما أجابوا به رسلهم ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ الآيات.

﴿ ولنسألن المرسلين ﴾ عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعما أجابتهم به أعهم.

﴿فلنقصن عليهم ﴾ أي: على الخلق كلهم ما عملوا ﴿بعلم ﴾ منه تعالى الأعمالهم ﴿وما كنا غائبين ﴾ في وقت من الأوقات، كما قال تعالى: ﴿أحصاه الله ونسوه ﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ .

﴿ ٨ - ٩ ﴾ ثم ذكر الجرزاء على الأعمال، فقال: ﴿ والوزن يومئذِ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ أي: والوزن يوم القيامة يكون بالعدل والقسط، الذي لا جور

⁽۱) زيادة من ب، وقد جاء بعدها قول الناسخ: (وكان الفراغ من كتابته في يوم الجمعة الموافق خمس وعشرين من جمادى الآخرة، سنة ١٣٤٥ه، بقلم الفقير إلى ربه المنان: على الحسن العلي الحسن البريكان، وقد نسخته على نسخة المؤلف غفر الله له وأثابه على ذلك الثواب الجزيل، وجزاه الله عنّا وعن جميع المسلمين أقضل الجزاء في دار الجزاء، وأدخله الله برحمته فسيح الجنان، ووقانا وإياه عذاب النيران بفضله وكرمه، إنه قريبٌ مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين ثم آمين يا رب العالمين.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْفُرَىٰ ءَامُّواْ وَانَّهُواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِ مِيرَكَاتِ مِنَ ٱلسَّكَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَكِينَ كُنَّهُمُ أَلَّا فَأَخَذْنَهُم بِمَاكَانُواْ يَخْدِبُونَ ۞ أَفَالِمِنَ أَهْلُ الْقُرُيِّ أَن يَأْنِيكُمُ بَأْسُنَا يَئِئًا وَهُزَنَايِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَعْلُ ٱلْفُرَكَ أَن يَأْتِيهُم بَأْسُنَا مُحَى وَهُرْ يَلْحَدُونَ ۞ أَفَأَمِنُواْ مَكَوَاللَّهُ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَالِقَهِ إِلَّا ٱلْقَوْرُ ٱلْخَلِيمُونَ ۞ أَوَلَوْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَثْوَنَ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَشَدِ أَهْلِهِكَ أَنْ لَّوْ نَشَآءُ أُصَيِّنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَايَسْمَعُونَ ۞ يَلْكَ ٱلْفُرِينَ نَفْضُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْكَ إِيقًا وَلَقَذَ عَآةَ نَهُ وَرُسُلُهُمْ بِٱلْبَيْنَاتِ فَاَكَانُواْ لِيُوْمِنُوا بِمَاكَذَّهُوَا مِن فَبُلُّ كَ ذَاكِ يَطْبَعُ أَلَقَهُ عَلَى قُلُوبِ ٱلْكَلِيرِينَ ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَحْتُرُهِ مِنْ عَهْدُوان وَجَدْنَا أَحْتُرُو لَلْسِيقِينَ الله فَرْبَعَنْنَا مِنْ بَعْدِ وَهِ مُوسَولٍ بِعَالِيْتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَا يُوهِ المُ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْكَيْفُ كَانَ عَنِيَهُ ٱلْفَيْدِينَ ۞ الله وَقَالَ مُوسَعَلَ يَنفِرْعَوْنُ إِنِّ رَسُولٌ مِن زَّتِ ٱلْعَلَمَ لِينَ 🕸 DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

وأشرّهم.

﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ أي: المهانين الأذلين، جزاءً على كبره وعجبه بالإهانة والذل.

فلما أعلن عدو الله بعداوة الله، وعداوة آدم وذريته، سأل الله النظرة والإمهال إلى يوم البعث، ليتمكن من إغواء ما يقدر عليه من بني آدم، ولما كانت حكمة الله مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم، ليتبين الصادق من الكاذب، ومن يطيعه عن يطيع عدوه، أجابه لما سأل، فقال: ﴿إنك من المنظرين﴾.

(1- 17) وقال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين أي: قال إبليس لما أبلس وأيس من رحمة الله _ وفيما أغويتني لأقعدن لهم أي: للخلق وصراطك المستقيم أي: لألزمن الصراط ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه.

وثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي: من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم. لفضله، فامتثلوا أمر ربهم، فسجدوا كلهم أجمعون وإلا إبليس أبى أن يسجدله، تكبراً عليه وإعجاباً بنفسه، فوبخه الله على ذلك وقال: وما منعك ألا تسجد له لا خلقت بيدي، أي: شرفته وفضلته بهذه الفضيلة، التي لم تكن لغيره، فعصيت أمرى وتهاونت بي؟

﴿قال﴾ إبليس معارضاً لربه: ﴿أَنَا خَيْرَ مِنهُ ثُم برهن على هذه الدعوى الباطلة بقوله: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ وموجب هذا أن المخلوق من نار أفضل من المخلوق من طين، لعلو النار على الطين وصعودها، وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه باطل من عدة أوجه:

منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس، أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص، يقارب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعاً لها.

فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاء النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة.

ومنها: أن قوله: ﴿أنا خير منه﴾ بمجردها كافية لنقص إبليس الخبيث. فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على الله بلا علم. وأي: نقص أعظم من هذا؟!!

ومنها: أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين في السكون والرزانة، الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات، على اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق.

ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين، فقال الله له: ﴿فاهبط منها﴾ أي: من الجنة ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ لأنها دار الطيبين الطاهرين، فلا تليق بأخبث خلق الله

فيه ولا ظلم بوجه. ﴿فمن ثقلت موازينه ﴾ بأن رجحت كفة حسناته على سيئاته ﴿فأولئك هم المفلحون ﴾ أي: النساجون من المكروه، المدركون للمحبوب الذين حصل لهم الربح العظيم ، والسعادة الدائمة .

﴿ومن خفّت موازينه ﴾ بأن رجحت سيئاته ، وصار الحكم لها ، ﴿فأولئك الذين خسروا أتفسهم ﴾ إذ فاتهم النعيم المقيم ، وحصل لهم العذاب الأليم ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ فلم ينقادوا لها كما يجب عليهم ذلك .

﴿١١﴾ ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾ يقول تعالى عتناً على عباده بذكر المسكن والمعيشة: ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ أي: هيأناها لكم، بحيث تتمكنون من البناء عليها وحرثها، ووجوه الانتفاع بها ﴿وجعلنا لكم فيها والنبات، ومعادن الأرض، وأنواع الصنائع والتجارات، فإنه هو الذي هيأها وسخر أسبابها.

﴿قليلاً ما تشكرون﴾ الله، الذي أنعم عليكم بأصناف النعم، وصرف عنكم النقم.

(۱۱ - ۱۱) (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال أنظرين إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال أنظرين إلى يقول تعالى خاطباً لبني آدم: ﴿ولقد علقاكم بخلق أصلكم ومادتكم التي منها خرجتم: أبيكم آدم عليه السلام فراسن تقويم، وعلمه الله تعالى ما به تكمل صورته الباطنة، أسماء كل شيء.

ثم أمر الملائكة الكرام أن يسجدوا لآدم، إكراماً واحتراماً، وإظهاراً

حَقِيقٌ عَلَيْ أَن لَا أَفُولَ عَلَى لَقِهِ إِلَّا الْحَقَّ مَذْ حِنْتُكُم بِيَنِيَةٍ يْن زَيْكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِي بَيْ إِسْرَة بِلَ ۞ قَالَ إِن كُنتَ جنتَ بَنَايَةِ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِيفَ ۞ فَأَفَّقَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَ إِنَّ مُّهِ بِتُّ ۞ وَزُعَ يَدَّمُ فَإِذَا هِيَ يَضَدَّهُ لِلتَظِينِ ۞ قَالَ الْكَلَّمِينَ قَوْرِفِيْ عَوْنَ إِنَّا هَا مَا السَّاعِرُ عَلِيدٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُغْرِحَكُم مِنْ أَرْضِكُوهَا ذَا تَأْمُرُونَ @ قَالُواْ أَرْبِهِ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمُتَآبِنِ حَشِيرِت ﴿ يَأْتُوكَ بِحُلِ سَيمِ عَلِيهِ ﴿ وَجَاءَ ٱلسَّحَدَةُ فِنْعَوْنَ وَالْوَا إِنَّ لَنَا لَأَخِرًا إِن كُنَّا غَنْ الْفَكِيدِي ﴿ وَالْفَرْ وَلِنَّكُوْ لِينَ لَلْقُرَّفِينَ ۞ قَالُواْكِنُوسِينَ إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَامَّا أَنْ لْكُونَ غَنْ ٱلْمُلْفِينَ ﴿ وَاللَّهُ أَلَمْنَا ٱلْفَوْلَ مَكَرُوا أَعَيْرُ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَ بَوْهُمْ وَجَآ أَوْمِيعْ عَظِيمٍ ۞ • وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ ٱلْقِي عَمَاكَ فَإِذَا فِي تَلْقَفُ مَايَا فِكُنَّ هِ فَوَقَعَ الْمُتَّةُ وَيَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ فَنْكِيمُواْ هُذَالِكَ المَّا وَالْعَكَبُوا مَنْ فِينَ ﴿ وَأَلْقِنَ السَّحَسَرَةُ سَنجِدِيثَ ۞ ولما علم الخبيث أنهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازما ببذل مجهوده على إغوائهم، ظن وصدق ظنه فقال: ﴿ولا تجد أكثرهم

وإنما نبهنا الله على ما قال وعزم على فعله، لنأخذ منه حذرنا ونستعد لعدونا، ونحترز منه بعلمنا، بالطرق التي يأتي منها، ومداخله التي ينفذ منها، فله تعالى علينا بذلك أكمل

شاكرين﴾ فإن القيام بالشكر من سلوك

الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم

عنه، وعدم قيامهم به، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَدُعُو حَزِّبِهِ لَيُكُونُوا مِنْ أَصِحَابٍ

﴿١٨﴾ ﴿قال اخرج منها مذؤوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ أي: قال الله لإبليس لمأ قال ما قال: ﴿اخرج منها﴾ خروج صغار واحتقار، الآخروج إكرام بل ﴿مَدُوْوِما ﴾ أي: مدموماً ﴿مدحوراً ﴾ مبعداً عن الله وعن رحمته وعن كل

﴿الأملأن جهنم الله منك وعمن تبعك منهم ﴿أَجْعِينَ﴾ وهذا قسم منه تعالى أن النار دار العصاة، لا بدأن يملأها من إبليس وأتباعه من الجن والإنس.

ثم حذّر آدم شره وفتنته فقال:

﴿ ١٩ ـ ٢٣ ﴾ ﴿ ويا آدم اسكن أنت عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما خجلا وجعلا يخصفان على عوراتهما من وزوجك الجنّة فكلا من حيث شئتما أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك. ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من ﴿وناداهما ربهما ﴾ وهما بتلك الحال الظالمين * فوسوس لهما الشيطان موبخاً ومعاتباً: ﴿ أَلَمُ أَنْهُكُما عَنِ تَلَكُما ليبدى لهما ما وورى عنهما سن الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه عدو مبين، فلم اقترفتما المنهى، الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا وأطعتما عدوكما؟ فحينئذٍ منّ الله من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا الناصحين * فدلهما بغرور فلما ذاقا بالذنب، وسألا من الله مغفرته فقالا: الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ أي: قد ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وضرينا لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * أنفسنا باقتراف الذنب، وقد فعلنا سبب قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وترحمنا لنكونن من الخاسرين، أي: وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافاة أمر الله تعالى أدم وزوجته حواء، التي من أمثال هذه الخطايا. فغفر الله لهما أنعم الله بها عليه ليسكن إليها، أنَّ ذلك ﴿وعصىٰ آدم ربه فغوى. ثم يأكلا من الجنة حيث شاءا ويتمتعا فيها بما أرادا، إلا أنه عين لهما شجرة، اجتباه ربه فتاب عليه وهدي♦. ونهاهما عن أكلها، والله أعلم ما هي، هذا وإبليس مستمر على طغيانه، وليس في تعيينها فائدة لنا. وحرّم عليهما أكلها، بدليل قوله: ﴿فتكونا من الظالمين﴾ فلم يزالا ممتثلين لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما

غير مقلع من عصيانه، فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع _إذا صدرت منه الذنوب _ اجتباه الله وهداه. ومن أشبه إبليس -إذا صدر منه

الذنب، لا يزال يزداد من المعاصي _ فإنه لا يزداد من الله إلا بعداً.

﴿٢٥ ــ ٢٦﴾ ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون * يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يـــذكـــرون﴾ أي: لما أهـــبــط الله آدم وزوجته وذريتهما إلى الأرض، أخبرهما بحال إقامتهم فيها، وأنه جعل لهم فيها حياة يتلوها الموت، مشحونة بالامتحان والابشلاء، وأنهم لا يزالون فيها، يرسل إليهم رسله، وينزل عليهم كتبه، حتى يأتيهم الموت، فيدفنون فيها، ثم إذا استكملوا بعثهم الله وأخرجهم منها إلى الدار التي هي الدار حقيقة، التي هى دار المقامة.

ثم امتن عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي

إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما وقال: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أي: من جنس الملائكة ﴿أُو تَكُونًا مِنِ الْخَالَدِينِ ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿ هِلْ أَدَلْكُ عَلَى شَجِرَةً الخلد وملك لا يبلي المع قوله هذا أقسم لهما بالله ﴿إِن لِكِما لِن الناصحين أي: من جملة الناصحين حيث قلت لكما ما قلت، فاغترا بذلك، وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل.

﴿ فدلاهما ﴾ أي: نزُّلهما عن رتبتهما العالية، التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بأوضارها، فأقدما على أكلها.

﴿ فِلْمَا ذَاقًا السَّجِرِةُ بِدُتُ لِهِمَا سوآتهما ﴾ أي: ظهرت عورة كل منهما بعدما كانت مستورة، فصار العري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع فظهرت وحده لا شريك له. والدعاء يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة، أي: لا تراؤا ولا تقصدوا من الأغراض في دعائكم سوى عبودية الله ورضاه.

OND TO LONG LONG

﴿ كما بدأكم ﴾ أول مرة ﴿ تعودون ﴾ للبعث، فالقادر على بدء خلقكم ، قادر على إعادة أهون من البداءة .

﴿فريقا﴾ منكم ﴿هدى﴾ الله، أي: وفقهم للهداية، ويسر لهم أسبابها، وصرف عنهم موانعها. ﴿وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾ أي: وجبت عليهم الضلالة بما تسببوا لأنفسهم وعملوا بأسباب الغواية.

ف ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ﴿ ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ فحين انسلخوا من ولاية الرحمن، واستحبوا ولاية الشيطان، حصل لهم النصيب الوافر من الخذلان، ووكلوا وهم يحسبون أنهم مهتدون، لأنهم انقلبت عليهم الحقائق، فظنوا الباطل حقاً والحق باطلاً، وفي هذه الآيات دليل على أن الأوامر والنواهي تابعة للحكمة والمصلحة، حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتنكر، العقول، وأنه لا يأمر إلا

ف ﴿إنه ﴾ يراقبكم على الدوام ، و ﴿يراكم هو وقبيله ﴾ من شياطين الجن ﴿من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ فعدم الإيمان هو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان والشيطان .

﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه، والنذين هم به مشركون﴾.

﴿٢٨ _ ٣٠) ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عندكل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون * فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون، يقول تعالى مبيناً لقبح حال المشركين الذين يفعلون الذنوب، وينسبون أن الله أمرهم بها. ﴿وإذا فعلوا فاحشة ﴾ وهي: كل ما يستفحش ويستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة ﴿قالوا: وجدنا عليها آباءنا﴾ وصدقوا في هذا. ﴿والله أمرنا بها﴾ وكذبوا في هذا، ولهذا رد الله عليهم هذه النسبة فقال: ﴿قُلْ إِنْ الله لا يأمرُ بالفحشاء ﴾ أي: لا يليق بكماله وحكمته أن يأمر عباده بتعاطى الفواحش، لا هذا الذي يفعله المشركون ولا غيره ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون ، وأى: افتراء أعظم من

ثم ذكر ما يأمر به، فقال: ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ أي: بالعدل في العبادات والمعاملات، لا بالظلم والجور. ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ أي: توجهوا لله، واجتهدوا في تكميل العبادات، خصوصاً «الصلاة» أقيموها، ظاهراً وباطناً، ونقوها من كل نقص ومفسد. ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾ أي: قاصدين بذلك وجهه

المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب والمراكب، والمناكع ونحوها، قد يسر الله للعباد ضروريها، ومكمل ذلك، و[بين لهم](۱) أن هذا ليس مقصوداً بالذات، وإنما أنزله الله ليكون معونة لهم على عبادته وطاعته، ولهذا قال: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبيلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح.

وأما اللباس الظاهري، فغايته أن يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات، أو يكون جمالاً للإنسان، وليس وراء ذلك منه نمع.

وأيضاً فبتقدير عدم هذا اللباس، تنكشف عورته الظاهرة التي لا يضره كشفها مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تنكشف عورته الباطنة، ويناله الخزي والفضيحة.

وقوله: ﴿ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ أي: ذلك المذكور لكم من اللباس، مما تذكرون به ما ينفعكم ويضركم، وتشبهون(٢) باللباس الظاهر على الباطن.

﴿٢٧﴾ ﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ يقول تعالى محذراً لبني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان ﴾ بأن يزين لكم العصيان، ويدعوكم إليه ويرغبكم فيه، فتنقادون له ﴿كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ وأنزلهما من المحل العالى إلى أنزل منه، فأنتم يريد أن يفعل بكم كذلك، ولا يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم إن استطاع، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، وأن تلبسوا لأمة الحرب بينكم وبينه، وأن لا تغفلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم.

1000 概念

الحلال إلى الحرام.

क्षित्र । जिल्ला v

MOZEROW III KOROKO

بالعدل والإخلاص، وفيه دليل على أن

الهداية بفضل الله ومنّه، وأن الضلالة

بخذلانه للعبد، إذا تولى - بجهله

وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه

بالضلال، وأن من حسب أنه مهتد

وهو ضال، أنّه لا عذر له، لأنه متمكن

من الهدى، وإنما أتاء حسبانه من ظلمه

﴿٣١﴾ ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم

عندكل مسجد وكلوا واشربوأ

ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين،

يقول تعالى _ بعدما أنزل على بني أدم

لباساً يواري سوآتهم وريشاً: ﴿يا بني

آدم خذوا زینتکم عند کل مسجد﴾

أي: استروا عوراتكم عند الصلاة

كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة

للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحاً

ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق

ثم قال: ﴿وكلوا واشربوا﴾ أي: مما

رزقكم الله من الطيبات ﴿ ولا تسرفوا ﴾

في ذلك، والإسراف إما أن يكون

بالزيادة على القدر الكافي والشره في

المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن

يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل

والمشارب واللباس، وإما بتجاوز

ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي

هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجمل فيها، ونظافة

السترة من الأدناس والأنجاس.

بترك الطريق الموصل إلى الهدي.

﴿إنه لا يحب المسرفين ﴾ فإن السرف يبغضه الله، ويضربدن الإنسان

ومعيشته، حتى إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر

بتناول الأكلّ والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما. ﴿٣٢ ـ ٣٣﴾ ﴿قــل مــن حــرم

زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قلُّ هي للَّذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون * قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا

على الله ما لا تعملون، يقول تعالى منكراً على من تعنت، وحرم ما أحل الله من الطيبات ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه، والطيبات من الرزق، من مأكل ومشرب بجميع أنواعه، أي: من هذا

على العباد، ومن ذا الذي يضيق عليهم ما وسعه الله؟!! وهذا التوسيع من الله لعباده بالطيبات، جعله لهم ليستعينوا به على

الذي يقدم على تحريم ما أنعم الله بها

عبادته، فلم يبحه إلا لعباده المؤمنين، ولهذا قال: ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، أي: لا تبعة عليهم فيها.

ومفهوم الآية أن من لم يؤمن بالله، بل استعان بها على معاصيه، فإنها غير خالصة له ولا مباحة، بل يعاقب عليها وعلى التنعم بها، ويسأل عن النعيم يوم القيامة .

﴿ كَذَلَكُ نَفْصِلُ الآيَاتِ ﴾ أي: نوضحها ونبينها ﴿لقوم يعلمون﴾ لأنهم الذين ينتفعون بما فصله الله من الآيات، ويعلمون أنها من عند الله، فيعقلونها ويفهمونها.

ثم ذكر المحرمات التي حرمها الله في كلُّ شريعة من الشرائع فقال: ﴿قلُّ إنما حرّم ربي الفواحش، أي: الذنوب

الكبار التي تستفحش وتستقبح لشناعتها وقبحها، وذلك كالزنا

واللواط ونحوهما. وقوله: ﴿مَا ظَهِرِ مِنْهَا وَمَا بِطُنَّ ﴾ أي: الفواحش التي تتعلق بحركات البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب، كالكبر والعجب والرياء والنفاق، ونحو ذلك، ﴿والإثم والبغي بغير الحسق ﴾ أي: الذنوب الستى توثم وتوجب العقوبة في حقوق الله، والبغي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فدخل في هذا الذنوب المتعلقة بحق الله، والمتعلقة بحق

﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾ أي: حجة، بل أنزل الحجة والبرهان على التوحيد. والشركُ هو أن يشرك مع الله في عبادته أحد من الخلق، وربما دخل في هذا الشرك الأصغر كالرياء، والحلف بغير الله، ونحو ذلك.

﴿ وَأَن تَـقُـولُـوا عَـلِي اللهِ مِـا لا تعلمون الله في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرّمها الله، ونهى العباد عن تعاطيها، لما فيها من المفاسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجري على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه.

﴿٣٤﴾ ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ أي: وقد أخرج الله بني آدم إلى الأرض، وأسكنهم فيها، وجعل لهم أجلاً مسمى لا تتقدم أمة من الأمم على وقتها المسمى، ولا تتأخر، لا الأمم المجتمعة ولا أفرادها. ﴿٣٦ ٣٦ ﴿ إِلَّا بِنْسَى آدم إِمَا يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين

كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك

أصحاب النار هم فيها خالدون، لما أخرج الله بني آدم من الجنة، ابتلاهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم يقصون عليهم آيات الله ويبينون لهم STANKE V وَجَوَزُنَا بِهِنِيَ امْنَوْ مِلَ الْبَحْرَ فَأَقُواْ عَلَىٰ قَوْمِ يَعْسَكُفُونَ عَلَىٰ أَصْبَ الرِلْمُ وَالْوَائِدُوسَ تَجْعَلُ أَنَا إِلْهَاكُمَ الْمُ عَلِيَّةً وَالَ إِنَّكُوْ فِي مُعَمِّلُونَ ﴿ إِنَّ مَنْ إِلَّهُ مُسَبِّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَّاكَانُواْ مِنْكُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَالُمَّوَ أَبْنِيكُمُّ إِلَهُاوَهُوَ مَنْهَكُ مُ عَلَىٰ الْمُعَلِينَ ۞ وَإِذْ أَيْمَنِّنَكُمُ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ مُسَوَّعُ ٱلْعَكَالِّ يُعَنِّـ لُونَ أَنِكَةَ كُمْ وَلَمْتُ عَوُنَ نِلْكُمْ اللَّهِ مُلِّكُمُ بَكَدَّ مِن زَيْكُمْ عَظِيرٌ ۞ • وَوَعَدْنَا مُومَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَثْمَنْنَهَا بِمَشْرِهُنَّةً مِيقَكُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيَلَةً وْقَالَ مُوسَىٰ لِأَيْفِ وهَلِدُونِ كَفَلْفَنِي فِي قَرْمِي وَأَصْلِحَ وَلَائَلَيَّمَ كِيلَ ٱلْمُتْفَسِدِينَ ﴿ وَلَكَاجَآءَ مُوسَىٰ لِيقَالِنَا وَكَ أَمَّدُهُ هُ | رَبُّهُ وَالَ رَبِّ إَدِنِيَ أَنطُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَن زَمَلِنِي وَلِكِيَ أَنظُرَ إِلَى ٱلْجَبَكِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّمَكَ ٱنْدُفْتُوفَ تَرْبَانِي فَلْمَا جَلَّلْ

الله المُ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الللَّاللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ اللَّا إِلَّا الْعَاقَ قَالَ سُبْحَكَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَمَّا أُوَّلُ الْكُوْمِدِينَ ﴿ TO SERVING TO SERVED TO

نجزي المجرمين * لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين محبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته فلم يؤمن بها، مع أنها آيات بينات، واستكبر عنها فلم ينقد لأحكامها، بل كذب وتولى، أنهم آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا وصعدت تريد العروج إلى الله، فتستأذن فلا يؤذن لها، كما لم تصعد في الدنيا إلى الإيمان بالله ومعرفته ومحبته، كذلك لا تصعد بعد الموت، فإن الجزاء من جنس العمل.

ومفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر الله المصدقين بآياته، تفتح لها أبواب السماء حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله من العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربها والحظوة برضوانه.

وقوله عن أهل النار ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل، وهو البعير المعروف ﴿ فَي سَمِ الْخِياطِ ﴾ أي: حتى يدخل البعير الذي هو من أكبر الحيوانات جسماً، في خرق الإبرة، الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من باب تعليق الشيء بالمحال، أي: فكما أنه محال دخول الجمل في سم الخياط، فكذلك المكذبون بآيات الله محال دخولهم الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة

على ما مضيتم عليه من الكفر والاستكبار، فاستحق الجميع الخزى والبوار، كلما دخلت أمة من الأمم العاتية النار ﴿لعنت أختها﴾ كما قالُ تعالى: ﴿ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴿حتى إذا ادَّاركوا فيها جميعاً ﴾ أي: اجتمع في النار جميع أهلها، من الأولين والأخريس، والقادة والرؤساء، والمقلدين الأتباع.

﴿قسالت أخسراهسم ﴾ أي: متأخروهم، المتبعون للرؤساء ﴿الأولاهم﴾ أي: لرؤسائهم، شاكين إلى الله إضلالهم إياهم: ﴿ رَبُّنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾ أي: عذبهم عذاباً مضاعفاً لأنهم أضلونا، وزينوا لنا الأعمال الخبيثة. على الله كذباً أو كذب بأياته أولئك

﴿٣٩﴾ ﴿وقــالــت أولاهـــ لأخراهم ♦ أي: الرؤساء قالواً لأتباعهم: ﴿فما كان لكم علينا من فضل الى: قد اشتركنا جيعاً في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العَّذاب، فأي: فضل لكم علينا؟ ﴿قال ﴾ الله ﴿لكل﴾ منكم ﴿ضعف﴾ ونصيب من العذاب.

﴿فُذُوقُوا الْعَذَابِ بِمَا كُنْتُم تكسبون ﴿ ولكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء وأثمة الضلال، أبلغ وأشنع من عذاب الأتباع، كما أن نعيم أثمة الهدى ورؤساته أعظم من ثواب الأتباع، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفُرُوا وصدواً عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون، فهذه الآيات ونحوها، دلت على أن سائر أنواع المكذبين بآيات الله، مخلدون في العذَّاب، مشتركون فيه وفي أصله، وإن كانوا متفاوتين في مقداره، بحسب أعمالهم وعنادهم وظلمهم وافتراثهم، وأن مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعنة .

﴿ ٤٠ ـ ٤١ ﴾ ﴿إِنَّ السَّذِيسَ كَسَدُبُوا بأياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك

أحكامه، ثم ذكر فضل من استجاب لهم، وخسار من لم يستجب لهم فقال: ﴿فمن اتقى﴾ ما حرّم الله، من الشرك والكبائر، والصغائر، ﴿وأصلح﴾ أعماله الظاهرة والباطنة ﴿فلا خوف عليهم﴾ من الشر الذي قد يخافه غيرهم ﴿ولاَّ هم يحزنون﴾ علَى ما مضى، وإذا انتفى الخوف والحزن حصل الأمن التام، والسعادة، والفلاح الأبدي.

والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ أي: لا آمنت بها قلوبهم، ولا انقادت لها جوارحهم، ﴿أُولَــُكُ أصحاب النار هم فيها خالدون، كما استهانوا بآياته، ولازموا التكذيب بها أهينوا بالعذاب الدائم الملازم. ﴿٣٧﴾ ﴿فمن أظلم ثمن افترى

ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا

جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم

تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين أي: لا أحد أظلم ﴿ ممن افترى على الله كذباً ♦ بنسبة الشريك له، أو النقص له، أو التقول عليه ما لم يقل، ﴿أُو كذب بِآياته ﴾ الواضحة أ المبينة للحق المبين، الهادية إلى الصراط المستقيم، فهؤلاء وإن تمتعوا بالدنيا، ونالهم نصيبهم مما كان مكتوباً لهم في اللوح المحفوظ، فليس ذلك بمغن عنهم شيئاً، يتمتعون قليلاً، ثم يعذبون طويلاً، ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي: الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واستيفاء آجالهم. ﴿قَالُوا﴾ لهم في تلك الحالة توبيخاً وعتاباً ﴿أَيِّن مَا كَنْتُم تُدْعُونُ مِنْ دون الله من الأصنام والأوثان، فقد جاء وقت الحاجة إن كان فيها منفعة لكم أو دفع مضرة. ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أي: اضمحلوا وبطلوا، وليسوا مغنين عناً من عذاب الله من شيء. ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ مستحقين للعذاب المهين الدائم.

فقالت لهم الملائكة ﴿ادخلوا في أمم﴾ أي: في جملة أمم ﴿قد خلت من قبلكم من الجن والإنس) أي: مضوا

高温器 فَالْ يَنْمُونَنَىٰ إِنَّ أَصْطَفَيْنُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِيسَالَتِي وَبِكُلِّي فَخُذْمَا مَا تَيْنُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِينَ ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاجِ مِن كُلُ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأَوْرِيجُ دَارَٱلْفَنسِفِينَ ۞ سَأَضرِفُ عَنْءَائِقِ ٱلَّذِينَ يَكَكُّمُونَ فِ ٱلْأَرْضِ بِعَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن بَرَوَّاكُلَّ عَلَيْهِ لَّهُ وَمِنُوابِهَا وَإِن بَرَوْا سَهِيلَ الرُّمْسِدِ لَا يَتَخِذُوهُ سَهِيلًا وَإِن يَرَوْا سَكِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَكِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمُّ حَسَّنَهُ لُوَا عَلَيْنَا وَكَانُواْعَنْهَاعَنْهِايِنَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَنَّا وَالْبِينَا وَلِقَكَ الْآخِرَةِ حِطَتْ أَعْلَمُهُ مِلْ يُعْزَقِ إِلْمَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ @ وَأَيِّحَذَقَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُلِيِّهِمْ عِندَ جَسَتَ مَا أَمْ خُوَارُ أَلْرَيْرُوا أَنْهُ لَا يُكُونُهُ وَلَا يَهْدِيهِمْ سكيلاً أثَّفَ وُهُ وَكَافُوا طَلِينِ ۞ وَلِمَا سُوعًا ف أيديهة وَرَأُوا أَنَّهُمْ فَدْ صَدْ لُواْ قَالُوا لَهِن لَّرْيَحَتْ مَنَا وَ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا ACCION IN CONCEDIO

ومأواه النار) وقال هنا ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ أي: الذين كثر إجرامهم واشتد طغيانهم.

﴿لهم من جهنم مهاد﴾ أي: فراش من تحتهم ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أي: ظلل من العذاب، تغشاهم. ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ لأنفسهم، جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد.

﴿٤٤ ـ ٤٤﴾ ﴿والسذيسن آسنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسأ إلأ وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هداناً لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون كا ذكر الله تعالى عقاب العاصين الظالمين، ذكر ثواب المطيعين فقال: ﴿والذين آمنوا ﴾ بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ بجوارحهم، فجمعوا بين الإيمان والعمل، بين الأعمال الطاهرة والأعمال الباطنة، بين فعل الواجبات وتبرك المحرمات، ولما كيان قبوليه: ﴿وعملوا الصالحات الفظا عاما يشمل جميع الصالحات الواجبة والمستحبة، وقد يكون بعضها غير مقدور للعبد، قال تعالى: ﴿لا نكلف نفسأ إلا وسعها اي: بمقدار ما تسعه طاقتها، ولا يعسر على قدرتها، فعليها في هذه

الحال أن تتقي الله بحسب استطاعتها، وإذا عجزت عن بعض الواجبات التي يقدر عليها غيرها سقطت عنها، كما قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها﴾ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما حرج﴾ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ فلا واجب مع العجز، ولا عرم مع الضووة.

والعمل الصالح ﴿ المتصفون بالإيمان والعمل الصالح ﴿ اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ أي: لا يحولون عنها ولا يبغون بها بدلاً ، لأنهم يرون فيها من أنواع اللذات وأصناف المشتهيات ما تقف عنده الغايات، ولا يطلب أعلى

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجوداً في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخواناً متحابين، وأخلاء متصافين.

قال تعالى: ﴿ونرعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه.

وقوله: ﴿ تجري من تحتهم الأنهار ﴾
أي: يفجرونها تفجيراً، حيث شاؤوا،
وأيسن أرادوا، إن شاءوا في خلال
القصور، أو في تلك الغرف العاليات،
أو في رياض الجنات، من تحت تلك
الحدائق الزاهرات أنهار تجري في غير
اخدائق الزاهرات أنهار تجري في غير
و الحدائل الرأوا ما أنعم الله عليهم
وأكرمهم به ﴿ قالوا الحمد لله الذي
وأكرمهم به ﴿ قالوا الحمد لله الذي
قلوبنا، فآمنت به، وانقادت للأعمال
الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ الله
علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها
إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم،
الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم

الظاهرة والباطنة مالا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون، ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله أي: ليس في نفوسنا قابلية للهدى، لولا أنه تعالى من بهدايته واتباع رسله.

﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾
أي: حين كانوا يتمتعون بالنعيم الذي
أخبرت به الرسل، وصار حق يقين
لهم بعد أن كان علم يقين [لهم]، قالوا
لقد تحققنا، ورأينا ما وعدتنا به الرسل،
وأن جميع ما جاؤوا به حق اليقين،
لا مرية فيه ولا إشكال، ﴿ونودوا﴾
تهنئة لهم وإكراماً، وتحية واحتراماً،
﴿أن تلكم الجنة أورثتموها﴾ أي: كنتم
الوارثين لها، وصارت إقطاعاً لكم، إذ
﴿بما كنتم تعملون﴾.

قال بعض السلف: أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة، وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته.

﴿ ٤٤ _ ٥٤ ﴾ ﴿ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذِّن مؤذِّن بينهم أن لعنة الله على الطالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون، يقول تعالى لمّا ذكر استقرار كل من الفريقين في الدارين، ووجدوا ما أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب، من الشواب والعقاب، أن أهل الجنة نادوا أصحاب النار بنأن قالوا: ﴿ أَنْ قَدُ وَجَدُنَّا مَا وعدنا ربنا حقاً ﴾ حين وعدنا على الإيمان والعمل الصالح الجنة، فأدخلناها، وأرانا ما وصفه لنا ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم الكفر والمعاصى ﴿حقاً قالوا نعم﴾ قد وجدناه حقاً، فتبين للخلق كلهم، بياناً لا شك فيه، صدق وعد الله، ومن أصدق من الله قيلاً، وذهبت عنهم الشكوك والشبه، وصار الأمر حق اليقين، وفرح المؤمنون بوعد الله واغتبطوا، وأيس الكفار من الخير، وأقروا على

أنفسهم بأنهم مستحقون للعذاب.

﴿فَأَذِن مؤذن بينهم ﴾ أي: بين أهل النار وأهل الجنة ، بأن قال ﴿أَن للهِ النار وأهل الجنة ، بأن قال ﴿أَن للهِ اللهُ أَي: بعده وإقصاؤه عن كل خير ﴿على الظالمِن ﴾ إذ فتح الله لهم أبواب رحمته ، فصدفوا أنفسهم عنها ظلماً ، وصدوا عن سبيل الله بأنفسهم ، وصدوا غيرهم ، فضلوا .

والله تعالى يريد أن تكون مستقيمة، ويعتدل سير السالكين إليه، ﴿وَ ﴾ هؤلاء يريدونها ﴿عوجاً ﴾ منحرفة صادة عن سواء السبيل، ﴿وهم بالآخرة كافرون ﴾ وهذا الذي أوجب على شهوات النفوس المحرمة، عدم إيمانهم بالبعث، وعدم خوفهم من العقاب ورجائهم للثواب، ومفهوم هذا النداء أن رحمة الله على المؤمنين وبره شامل لهم، وإحسانه متواتر عليهم.

﴿٤٦ ــ ٤٩) ﴿وبينهما حجابً وعلى الأعراف رجال يىمرفون كبلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون * وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمن * ونادي أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغني عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ أي: وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حجاب يقال له: ﴿الأعراف﴾ لا من الجنة ولا من النار، يشرف على الدارين، وينظر من عليه حال الفريقين، وعلى هذا الحجاب رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة والنار بسيماهم، أي: علاماتهم، التي بها يعرفون ويميزون، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم ﴿أن سلام عليكم﴾ أي: يحيونهم ويسلمون عليهم، وهم _إلى الآن _لم يدخلوا الجنة، ولكنهم

يطمعون في دخولها، ولم يجعل الله الطمع في قلوبهم إلا لما يريد بهم من كرامته.

﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ ورأوا منظراً شنيعاً، وهولاً فظيماً ﴿قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ فأهل الجنة [إذا رآهم أهل الأعراف] (١) يطمعون أن يكونوا معهم في الجنة، ويحيونهم ويسلمون عليهم، وعند انصراف أبصارهم بغير اختيارهم لأهل النار، يستجيرون بالله من حالهم هذا على وجه العموم.

ثم ذكر الخصوص بعد العموم فقال: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ وهم من أهل النار، وقد كانوا في الدنيا لهم أبهة وشرف، وأموال وأولاد، فقال لهم أصحاب الأعراف، حين رأوهم منفردين في العذاب، بلا ناصر ولا مغيث: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمَّعُكُمْ﴾ في الدنيا، الذي تستدفعون به المكاره، وتتوسلون به إلى مطالبكم في الدنيا، فاليوم اضمحل، ولا أغنى عنكم شيئاً، وكذلك، أي شيء نفعكم استكباركم على الحق وعلى من جاء به وعلى من اتبعه، ثم أشاروا لهم إلى أناس من أهل الجنة كانوا في الدنيا فقراء ضعفاء يستهزىء بهم أهلَ النار، فقالوا لأهل النار: ﴿أَهُوْلاء ﴾ الذين أدخلهم الله الجنة ﴿الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) احتقاراً لهم وازدراء وإعجاباً بأنفسكم، قد حنثتم في أيمانكم، وبدا لكم من الله ما لم يكُّن لكم في حساب، ﴿ادخلوا الجنة﴾ بما كنتم تعملون، أي: قيل لهؤلاء الضعفاء إكراماً واحتراماً: ادخلوا الجنة بأعمالكم الصالحة ﴿لا خوف عليكم المنايستقبل من المكاره ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ على ما مضى، بل آمنون مطمئنون فرحون بكل خير.

وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الذَينَ أُجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون﴾

إلى أن قال: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون *على الأرائك ينظرون﴾ واختلف أهل العلم والمفسرون، من هم أصحاب الأعراف، وما أعمالهم؟

والصحيح في ذلك، أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار، ولا رجحت حسناتهم فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه، ورحمته وسعت كل شيء.

﴿ ٥٠ _ ٥٣ ﴾ ﴿ ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممما رزقكم الله قمالموا إنّ الله حرّمهما على الكافرين * الذين اتخذوا دينهم لهوأ ولعبأ وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون * ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون * هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضلٌ عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي : ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة، حين يبلغ منهم العذاب كل مبلغ، وحين يمسهم الجوع المفرط والظمأ الموجع، يستغيثون بهم، فيقولون: ﴿ أُفْسِضُوا عِلْمِنَّا مِنْ المَّاءُ أُو مِمَّا رزقكم الله من الطعام، فأجابهم أهل الجنة بقولهم: ﴿إِنَّ اللهِ حَرَّمُهُما ﴾ أي: ماء الجنة وطعامها ﴿على الكافرين﴾ وذلك جنزاء لمهم على كنفسرهم بآيات الله، واتخاذهم دينهم الذي أمروا أن يستقيموا عليه، ووعدوا بالجزاء الجزيل عليه.

﴿لهوا ولَعبا﴾ أي: لهت قلوبهم وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سخرياً، أو أنهم جعلوا بدل دينهم اللهو واللعب، واستعاضوا بذلك عن

الدين القيم .

﴿وغرَّتُهُمُ الحِياةُ الدُّنيا﴾ بزينتها وزخرفها وكثرة دعاتها، فاطمأنوا إليها ورضوا بها وفرحوا، وأعرضوا عن الآخرة ونسوها .

﴿فاليوم ننساهم﴾ أي: نتركهم في العذاب ﴿ كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ فكأنهم لم يخلقوا إلا للدنيا، وليس أمامهم عرض ولا جزاء.

﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتُنَا يُجِحَدُونَ﴾ والحال أن جحودهم هذا لا عن قصور في آيات الله وبيناته، بل قد ﴿جئناهم بكتاب فصلناه أي: بينا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق ﴿على علم الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور، فتجهله بعض الأحوال، فيحكم حكما غير مناسب، بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته کل ش*یء* .

﴿ هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ أي: تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال، وبيان الحق والباطل، والغيّ والرشد، ويحصل أيضاً لهم به الرحمة، وهي: الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فينتفى عنهم بذلك الضلال والشقاء.

وهؤلاء الذين حق عليهم العذاب، لم يؤمنوا بهذا الكتاب العظيم، ولا انقادوا لاوامره ونواهيه، فلم يبق فيهم حيلة إلا استحقاقهم أن يحل بهم ما أخبر به القرآن.

ولهذا قال: ﴿ هِلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تأويله ﴾ أي: وقوع ما أخبر به، كما قال يوسف عليه السلام حين وقعت رؤياه: ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل﴾.

﴿ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل متندمين متأسفين على ما مضى منهم، متشفعين في مغفرة ذنوبهم. مقرين بما أخبرت به الرسل: ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ وقد فات الوقت عن الرجوع إلى الدنيا.

﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿ .

وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا، ليعملوا غير عملهم كذب منهم، مقصودهم به دفع ما حل بهم، قال تعالى: ﴿ولو ردوآ لعادوا لما نهوا عنه

وإنهم لكاذبون).

﴿قد خسروا أنفسهم﴾ حين فوتوها الأرباح، وسلكوا بها سبيل الهلاك، وليس ذلك كخسران الأموال والأثاث أو الأولاد، إنما هذا خسران لا جبران لمصابه، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون، في الدنيا بما تمنيهم أنفسهم به، ويعدهم به الشيطان، قدموا على مالم يكن لهم في حساب، وتبين لهم باطلهم وضلالهم، وصدق ما جاءتهم به الرسل.

﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّ رَبِّكُمُ اللَّهُ الذِّي خُلْقَ السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، يقول تعالى مبيناً أنه الرب المعبود وحده لا شريك له: ﴿إِن ربكم الله اللذي خلق السماوات والأرض، وما فيهما على عظمهما وسعتهما، وإحكامهما وإتقانهما، وبديع خلقهما.

﴿ فِي سِنةِ أَيَّامِ ﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاهما وأودع فسيسهسما مسن أمسره مسا أودع ﴿استوى البارك وتعالى ﴿على العرش، العظيم الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، ولهذا قال: ﴿يغشى الليل﴾ المظلم ﴿النهار﴾ المضيء، فيظلم ما على وجه الأرض، ويسكن الآدميون، وتأوي المخلوقات إلى مساكنها، ويستريحون من التعب والذهاب والإياب الذي حصل لهم في النهار.

﴿ يطلبه حثيثاً ﴾ كلما جاء الليل ذهب النهار، وكلما جاء النهار ذهب

الليل، وهكذا أبداً على الدوام، حتى يطوي الله هذا العالم، وينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار .

﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كاني: بتسخيره وتدبيره، الدال على ماله من أوصاف الكمال، فخلقها وعظمها دال على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرِ ﴾ أي: له الخبلق البذي صددت عبنيه جمييع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها، والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء، ﴿تبارك اللهِ أي: عظم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته، ولهذا قال: فـ ﴿تبارك الله رب العالمين،

ولما ذكر من عظمته وجلاله ما يدل ذوي الألباب على أنه وحده، المعبود المقصود في الحوائج كلها، أمر بما يترتب على ذلك، فقال:

﴿٥٥ _ ٥٦﴾ ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنَّه لا يحب المعتدين * ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فأمر بدعائه ﴿تضرعاً﴾ أي: إلحاجاً في المسألة، ودؤوباً في العبادة، ﴿وخفية﴾ أي: لا جهراً وعلانية يخاف منها الرياء، بل خفية وإخلاصاً لله تعالى.

﴿إنه لا يحب المعتنديسن أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور، ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل

وَلْنَا رَجَعَ مُوسَى إِلَىٰ قَوْمِهِ ، غَضْيَكِنَ أَسِفًا قَالَ بِشَكَمَا خَلَفْتُهُ فِي مِنْ مِنْدِيَّةُ أَعِلْتُ دَأَمْ رَيِّكُمْ وَأَلْقَ ٱلْأَلْوَامَ وَلَخَذَرَأْسِ أَخِيهِ يَجُدُّرُهُ النَّهُ قَالَ آبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِ وكادوا يَقْتُ لُونَي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلَى مَعَ ٱلْفَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ۞ قَالَ رَبِّ أَغْفِرْلِي وَالْأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِ رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَهُ الرَّحِينِ ۞ إِذَا لَذِينَ ٱغَّفَ كُواْ ٱلْيِجْلَ سَيَنَا لَمُنْ غَضَبٌ مِن دَيْهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيْوَ ٱلدُّنيَّأُ وَكَدَالِكَ بَخَدِي لَلْفُتَرِينَ ۞ وَالَّذِينَ عَيِلُواْ ٱلسَّيِّعَاتِ ثُرُّ تَابُواٰمِنُ بَعَدِهَا وَءَامَنُواْ إِنَّ زَبَّكَ مِنْ بَعَدِهَا لَغَنَفُورٌ يَحِيدُ @ وَلِنَاسَكَتَ عَنْهُ مِينَى ٱلْعَسَبُ لَنَذَ ٱلْأَلْحَ وَفِ نُسْخَفِهَا هُنَى وَرَحْمَةً لِلَّذِيرَ مُرْلِزَ وَمُرْرَهَمَ مُونَ ﴿ وَأَخْلَرَ مُومَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ يَجُلُا لِيقَائِنَّا فَكَتَا ٓ أَخَذَتْهُ كُالْيَحْفَ مُ قَالَ رَبِ لَوَشِئْتَ أَهْلَكُنْهُ مِن قِبُلُ وَإِنَّى أَنْهُلِكُمَ إِمَا اَمْمَالُ السُّفَهَاةُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِنْنَكُ تُصْلُوبِهَا مَنْ تَشَكَّهُ وَتَهْدِي مَن تَشَكَّهُ التَ وَلِينَا فَأَغْفِرُكَا وَأَرْحَنَا أَوَانَتَ خَيْرُ ٱلْفَكَغِينَ ﴿ MODE OF THE PROPERTY

فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية، لأنهم يرونها من أكبر النعم الواصلة وحين بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب فيبين لهم من معانيها بحسب ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحيا، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها.

وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلا قابلاً، بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالمطر الذي يمر على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً الآيات.

﴿٩٥ - ٤٢ ﴿ ﴿وَلَقَدُ أُرْسَلْنَا نُوحاً اللهِ قُومه ﴾ إلى آخر القصة (١٠) لما ذكر تعالى من أدلة توحيده جملة صالحة ، أيد ذلك بذكر ما جرى للأنبياء الداعين إلى توحيده مع أعمم المنكرين لذلك ، وكيف أيد الله أهل التوحيد، وأهلك من عاندهم ولم ينقد لهم، وكيف اتفقت دعوة المرسلين على دين واحد

أي: الرياح المبشرات بالغيث، التي تثيره بإذن الله من الأرض، فيستبشر الخلق برحمة الله، وترتاح لها قلوبهم قبل نزوله.

وحتى إذا أقلت الرياح وسحاباً ثقالاً قد أثاره بعضها، وألفه ريح أخرى وسقناه أخرى، والقحه ريح أخرى وسقناه لبلد ميت قد كادت تهلك حيواناته، وكاد أهله أن ييأسوا من رحمة الله، وفائزلنا به أي: بذلك البلد الميت وسخر الله له ريحاً تدره وتفرقه الذ، الله أله.

﴿فَأَخرجنا به من كل الشمرات ﴾ فأصبحوا مستبشرين برحمة الله، واتعين بخير الله، وقوله: ﴿كَذَلَكُ نَخْرِج الله تَكْرُون ﴾ أي: كما أحيينا الأرض بعد موتها بالنبات، كذلك نخرج الموتى من قبورهم، بعدما كانوا رفاتاً متمزقين، وهذا بعدما كانوا رفاتاً متمزقين، وهذا الأمرين، فمنكر البعث استبعاداً له مع أنه يرى ما هو نظيره من باب العناد، وإنكار المحسوسات.

وفي هذا الحث على التذكر والتفكر في آلاء الله، والنظر إليها بعين الاعتبار والاست دلال، لا بعين الخفضلة والإهمال.

﴿ ٥٨ ﴾ ثم ذكر تفاوت الأراضي، التي ينزل عليها المطر، فقال: ﴿ والبلد الطيب ﴾ أي: طيب التربة والمادة، إذا نزل عليه مطر ﴿ يُخرج نباته ﴾ الذي هو مستعد له ﴿ بإذن ربه ﴾ أي: بإرادة الله ومشيئته، فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك. ﴿ والدي خبث ﴾ من الأراضي ﴿ لا يُخرج إلا نكداً ﴾ أي: إلا نباتا خاسًا لا نفع فيه ولا بركة.

﴿كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم يشكرون الله بالاعتراف بنعمه، والإقراربها، وصرفها في مرضاة الله،

لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهى عنه.

﴿ولا تفسدوا في الأرض ﴾ بعمل المعاصي ﴿بعد إصلاحها ﴾ بالطاعات، فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ كما أن الطاعات تصلح بها الأخلاق، والأعسال، والأرزاق، وأحوال الدنيا والآخرة.

﴿وادعوه خوفاً وطمعاً ﴾ أي: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه، طمعاً في قبولها، وخوفاً من ردها، لا دعاء عبد مدل على ربه قد أعجبته نفسه، ونزل نفسه فوق منزلته، أو دعاء من هو غافل لاه.

وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء: الإخلاص فيه لله وحده، لأن ذلك يتضمنه الجفية، وإخفاؤه وإسراره، وأن يكون القلب خائفاً مبال بالإجابة، وهذا من إحسان مبال بالإجابة، وهذا من إحسان لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولهذا قسال: ﴿إِن رحمة الله قسريب من المحسنين إلى عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحساناً، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان إحساناً، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان رجمة على الإحسان ما لا يخفى.

﴿٧٥ _ ٥٠﴾ ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجننا به من كل الشمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون * والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ويبين تعالى أثراً من آثار قدرته، ونفحة يبين تعالى أثراً من آثار قدرته، ونفحة يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ويرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته

BUILD • وَأَكْتُ لَنَا فِي هَلَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّاهُدُنَّا إِلَيْكُ قَالَ عَكَايِنَ أُصِيبُ بِدِينَ أَشَكَةٌ وَيَحْرَقِي وَسِعَتْ كُلُّ مَنَّ وَمُسَأَحَتُهُمَا لِلَّذِيكَ يَتَّقُونَ وَيُؤَوُّونَ ٱلزَّكَوْةَ وَٱلَّذِينَ هُرِيعَايَتِوْنَا يُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ بَشِّيعُونَ الرِّسُولَ النِّبِيِّ ٱلْأَخْتَ ٱلَّذِي يَجِبُ وَيَهُ مَكَّفُواْ عِندَهُ مُرْفِ ٱلتَّوْرَيْكِ وَٱلْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمُصْرُونِ وَيَنْهَ مَعْرُعَنِ ٱلْمُحَدِونَهُ لُمُكُو ٱلطَّيْبَاتِ وَمُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَلَيِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِمْرَهُمْ وَٱلْأَغْلُلَ الَّتِي حَكَانَتْ عَلَيْهِمُّ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِمِيوَعَكَزَّرُوهُ وَنَصَكُرُوهُ وَأَنَّبُعُواْ النُّورَ ٱلْنِوَ أَيْلَ مَعَكُمُ بِأُوْلَيْهِكَ هُمُ ٱلْتُقْلِحُونَ ۞ قُلَ يَنَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ إِلِّي رَسُولُ النَّمِ إِلَيْكَ مُعْمِيعًا ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ كَآ إِلَنَهَ إِلَّاهُ وَيُتَىء وَيُعِيد تُ فَعَامِنُواْبِ الْقَهِ وَوَسُولِهِ النَّبِيِّ ٱلْأَيِّيِّ الْذِي يُؤْمِثُ بِاللَّهِ وَكَيْلَنِيمِوَأَتَ مِثُوهُ لَمَكْ كُمْ مَّهَ مَدُونَ ا الله وَمِن فَوْرِمُوسَى أَمَّةُ يَهَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ اللهِ

ومعتقد واحد، فقال عن نوح _أول المرسلين _ ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه الله وحده، قومه الله وحده، حين كانوا يعبدون الأوثان ﴿فقال﴾ لهم: ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾أي: وحده ﴿مالكم من إله غيره ﴾ لأنه الخالق الرازق المدبِّر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق مدبر، ليس له من الأمر شيء، ثم خوفهم إن لم يطيعوه عذاب ألله، فقال: ﴿إِنِّ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابِ يُومُ عظيم الصلاة من نصحه عليه الصلاة والسلام وشفقته عليهم، حيث خاف عليهم العذاب الأبدي، والشقاء السرمدي، كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم، فلما قال لهم هذه المقالة، ردوا عليه أقبح رد.

ACCEPTED WELL TO SERVICE

﴿ ١٠﴾ ﴿ قَالَ اللَّا مَن قومه ﴾ أي: الرؤساء الأغنياء المتبوعون الذين قد جرت العادة باستكبارهم على الحق، وعدم انقيادهم للرسل، ﴿ إِنَا لَنْرَاكُ فِي ضَلَالُ مَبِينَ ﴾ فلم يكفهم صلال مبين ﴾ فلم يكفهم على استكبروا عن الانقياد له، وقدحوا فيه أعظم قدح، ونسبوه إلى الضلال، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالاً مبيناً، واضحاً لكل أحد.

وهذا من أعظم أنواع المكابرة، التي

لا تروج على أضعف الناس عقلا، وإنما هذا الوصف منطبق على قوم نـوح، الـذيـن جـاؤوا إلى أصـنـام قـد صوروها ونحتوها بأيديهم، من الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئاً، فنزلوها منزلة فاطر السماوات، وصرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات، فلولا أن لهم أذهاناً تقوم بها حجة الله عليهم لحكم عليهم بأن المجانين أهدى منهم، بل هم أهدى منهم وأعقل، فرد نوح عليهم رداً لطيفاً، وترقق لهم لعلهم ينقادون له فقال: ﴿يا قوم ليس بي ضلالة ﴾ أي: لست ضالاً في مسألة من المسائل بوجه من الوجوه، وإنما أنا هاد مهتد، بل هدايته عليه الصلاة والسلام من جنس هداية إخوانه أولي السعرة من الرسلين، أعلى أنواع الهدايات وأكملها وأتمها، وهي هداية الرسالة التامة الكاملة، ولهذا قال:

﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾أي: ربي وربكم ورب جميع الخلق، الذي ربى جميع الخلق، الذي من أعظم تربيته أن أرسل إلى عباده رسلاً تأمرهم بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والعقائد الحسنة وتنهاهم عن أضدادها، ولهذا قال: ﴿المغكم رسالات ربي وأنصح لكم﴾ أي: وظيفتي تبليغكم، بيان توحيده

وأوامره ونوأهيه، على وجه النصيحة لكم والشفقة عليكم، ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فالذي يتعين أن تطيعوني وتنقادوا لأمري إن كنتم تعلمون، ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم﴾أي: كيف تعجبون من حالة لا ينبغي العجب منها، وهو أنه جاءكم التذكير والموعظة والنصيحة، على يد رجل منكم، تعرفون حقيقته وصدقه وحاله؟!!

فهذه الحال من عناية الله بكم وبره وإحسانه الذي يتلقى بالقبول والشكر، وقوله: ﴿لينذركم ولتتقوا، ولعلكم

تسرحمون أي: لينذركم العذاب

الأليم، وتفعلوا الأسباب المنجية من استعمال تقوى الله ظاهراً وباطناً، وبذلك تحصل عليهم وتنزل رحمة الله الواسعة، فلم يفد فيهم، ولا نجح فكذبوه فأتجيناه والذين معه في الفلك أي: السفينة التي أمر الله نوحاً عليه الصلاة والسلام بصنعتها، وأوحى إليه أن يحمل من كل صنف من وأوحى إليه أن يحمل من كل صنف من الحيوانات، زوجين النين وأهله ومن آمن معه، فحملهم فيها ونجاهم الله

وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين عن الهدى، أبصروا الحق، وأراهم الله على يدنوح من الآيات البينات، ما بهم يؤمن أولوا الألباب، فسخروا منه، واستهزؤوا به وكفروا.

و 7 - ٧٧ و إلى عاد أخاهم هوداً إلى آخر القصة (١٠). أي: ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى عاد ﴾ الأولى، الذين كانوا في أرض اليمن ﴿أخاهم ﴿في النسب ﴿هوداً ﴾ عليه السلام، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك والطغيان في الأرض.

فقال للهم: ﴿ يَا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون الله وعذابه ، إن أقمتم على ما أنتم عليه ، فلم يستجيبوا ولا انقادوا.

ف ﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه (ادين لدعوته، قادحين في رأيه: ﴿ إِنَا لنراكُ في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ أي: ما نراك إلا سفيها غير رشيد، ويغلب على ظننا أنك من جلة الكاذبين، وقد انقلبت عليهم الحقيقة، واستحكم عماهم حيث رموا نبيهم عليه السلام بما هم متصفون به، وهو أبعد الناس عنه، فإنهم السفهاء حقاً الكاذبون.

وأي سفه أعظم ممن قابل أحق الحق بالرد والإنكار، وتكبر عن الانقياد للمرشدين والنصحاء، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد، ووضع العبادة في غير موضعها، فعبد من COLUMN V **86** 期間 وَقَطَعْنَ مُواَفِّنَةَ عَشْرَةَ أَسْسَاطًا أَمَمُ وَأَوْحِنَكَ آلَ مُوسَى إذ أسْتَسْقَهُ قَوْمُهُ إِن أَضْرِب بِعَصَى الْدُ الْحَبَحُرُ فَأَنْكِجَسَتْ مِنْهُ ٱلْفُتَاعَشْرَةَ عَيْنًا فَذْ عَلِرُكُلُّ أَسَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْتَ عَلَيْهِمُ ٱلْعَكَمْ وَأَزَلْتَ عَلَيْهِمُ ٱلْمُ وَالسَّاوَيُّ كُلُوامِن طَيْبَكَتِ مَارُزُفْنَكُمْ وَمَا طْلَكُونًا وَلِيُكِن كَانُوا أَنفُكُ مُرْيَظُ لِهُونَ ۞ وَإِذْ قِيلَ لَمُ مُرَّاسُكُ مُواْهَا نِواْلَعَرْبِيَّةَ وَكُلُواْمِنْهَا حَيْثُ شِفْتُنَهُ وَقُولُوا حِطَّةً وَلَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَتَكَ الْغَيْرَ لَكُمْ خَوِلِتَانِكُمْ مُكَنِّعِهُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥ فبتلك أأيين طلكوا منسفة قؤلاغتيرا أنيف فيلمكته فأزسكنا عكيشجز يخسؤلين التستكو يماكافؤا يَظْلِمُونَ ۞ وَسَعَلَهُمْ عَنِ ٱلْفَرْبِ وَٱلَّيْ كَانَّتْ حَلِيْرَةَ ٱلْبَحْدِهِ إِذْ يَسْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جيت المُعْمَرُ يُؤْمَّ سَكِيْنِ فِيرَمُّرَّعَكَ اوْيُوْمُ لَالْسَبِينُوكُ لَا تَأْتِيهِ مِرْكَ نَزْلُكَ نَبْلُومُ بِمَاكَ افْأَيَفْسُفُونَ ۞

عليهم الحجج، فلم ينقادوا لها، وأمروا بالإيمان فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك، والخزي والفضيحة.

﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة، ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بغداً لعاد قوم هود﴾.

وقال هنا: ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ بوجه من الوجوه، بل وصفهم التكذيب والعناد، ونعتهم الكبر والفساد.

﴿٧٧ _ ٧٩﴾ ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ إلى آخر قصتهم (١). أي: ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى تمود﴾ القبيلة المعروفة الذين كانوا يسكنون الحجر وما حوله من أرض الحجاز وجزيرة العرب، أرسل الله إليهم ﴿أَخَاهُمُ صالحاً ﴾ نبياً يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، وينهاهم عن الشرك والتنديد، ف ﴿قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره الله عليه الصلاة والسلام من جنس دعوة إخوانه من المرسلين، الأمر بعبادة الله، وبيان أنه ليس للعباد إله غير الله، ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ أي: خارق من خوارق العادات، التي لا تكون إلا آية سماوية لا يقدر الناس عليها، ثم فسرها بقوله: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ أي: هذه ناقة شريفة فاضلة لإضافتها

﴿ أَجِنتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ قبحهم الله، جعلوا الأمر الذي هو أوجب الواجبات وأكمل الأمور، من الأمور التي لا يُعارَضُون بها ما وجدوا عليه آباءهم، فقدموا ما الأصنام، على ما دعت إليه الرسل من توحيد الله وحده لا شريك له، وكذبوا نبيهم، وقالوا: ﴿ فَائتنا بِمَا تَعدنا إِن كنت من الصادقين ﴾ وهذا استفتاح منهم على أنفسهم.

فقال لهم هود عليه السلام: ﴿قد

وقع عليكم من ربكم رجس وغضب،

أي: لا بلدمن وقوعه، فإنه قلد انعقدت أسبابه، وحان وقت الهلاك ﴿ أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ أي: كيف تجادلون على أمورً لا حقائق لها، وعلى أصنام سميتموها آلهة، وهي لا شيء من الآلهة فيها، ولا مثقالُ ذرة و ﴿مَا نَزُّلُ اللَّهُ بِهَا مِنْ سلطان الإكانت صحيحة لأنزل الله بها سلطاناً، فعدم إنزاله له دليل على بطلانها، فإنه ما من مطلوب ومقصود _وخصوصاً الأمور الكبار _ إلا وقد بين الله فيها من الحجج ما يدل عليها، ومن السلطان مالا تخفي معه ﴿فانتظروا﴾ ما يقع بكم من العقاب، الذي وعدتكم به ﴿إني معكم من النتظرين ﴿ وفرق بين الانتظارين ، انتظار من يخشى وقوع العقاب، ومن يرجو من الله النصر والثواب، ولهذا فسم الله بين الفريقين فقال: ﴿فَأَنْجِينَاهُ أَي: هُوداً ﴿وَالَّذِينَ ﴾ آمنوا ﴿معه برحمة منا ﴾ فإنه الذي هداهم للإيمان، وجعل إيمانهم سبباً ينالون به رحمته فأنجاهم برحمته، ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: استأصلناهم بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحداً، وسلط الله عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فأهلكوا فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت

لا يغني عنه شيئاً من الأشجار والأحجار؟!!

وأيّ كذب أبلغ من كذب من نسب هذه الأمور إلى الله تعالى؟!!

﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ﴾ بوجه من الوجوه، بل هو الرسول المرشد الرشيد، ﴿ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ .

فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول والانقياد وطاعة رب العباد.

﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴾ اي: كيف تعجب منه ، وهو أن الله أرسل إليكم رجلاً منكم تعرفون أمره ، يذكركم بما فيه النفع مصالحكم ، ويحثكم على ما فيه النفع لكم ، فتعجبتم من ذلك تعجب المنكرين .

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قسوم نسوح ﴾ أي: واحمدوا ربسكسم واشكروه، إذ مكن لكم في الأرض، وجعلكم تخلفون الأمم الهالكة الذين كذبوا الرسل، فأهلكهم الله وأبقاكم، لينظر كيف تعملون، واحذروا أن تقيموا على التكذيب كما أقاموا، فيصيبكم ما أصابهم، ﴿وَ اذكروا نعمة الله عليكم التي خصكم بها، وهي أن﴿زادكم في الخلق بسطة﴾ في القوة وكبر الأجسام، وشدة البطش، ﴿ فَاذْكُرُوا آلَاءُ اللَّهُ أَي: نعمه الواسعة، وأياديه المتكررة ﴿لعلكم﴾ إذا ذكرتموها بشكرها وأداء حقها ﴿تفلحون﴾ أي: تفوزون بالمطلوب، وتنجون من المرهوب، فوعظهم وذكرهم، وأمرهم بالتوحيد، وذكر لهم وصف نفسه، وأنه ناصح أمين، وحذرهم أن يأخذهم الله كما أخذ من قبلهم، وذكرهم نعم الله عليهم وإدرار الأرزاق إليهم، فسلم يستقادوا ولا استجابوا.

ف ﴿قالوا﴾ متعجبين من دعوته، ونخبرين له أنهم من المحال أن يطيعوه:

原物 图划图54 85型图 图像 وَإِذْ قَالَتْ أَمَّةٌ يُسْهُمْ لِرَتَهِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْمُعَكِيْبُهُمْ عَنَابًا شَكِيدًا قَالُواْ مَعْدِرَةً إِلَا رَيْكُو وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَكَأَنْسُوا مَا ذُكِرُوا بِمِعَا أَغِينَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ اللَّهِ وَ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَكُوا مِهِ كَذَابِ بَعِينٍ بِمَاكَانُواْ يَفْسُقُونَ @ فَكُمَا عَنَوَاْعَن مَّانُهُواْعَنُهُ قُلْنَا لَمُتُوكُونُواْ قِرَدَةً خَلِيءِينَ ا وَإِذْ تَأَذَّ كَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيكَ مَعْمَنَ يَسُومُهُمْ رَسُومَ ٱلْعَكَ ابِأَ إِنَّ رَبِّكَ لَسَرِيعُ ٱلْمِيقَابُ وَلِنَّهُ لَفَكُودُ تَنْجِهُ ۞ وَقَطَّعْنَاهُرُ فِ ٱلْأَرْضِ أَتَمَا يِّنْهُدُ ٱلصَّبُلِحُونَ وَمِنْهُرْدُونَ ذَالِكَ وَيَلُونَهُم بِٱلْحَسَنَلْتِ وَٱلْسَيَّاتِ لَعَلَّهُ مُ يَرْجِعُونَ ۞ غَلَفَ مِنْ بَعْدِ هِرْخَلُفُ وَرِيقُواْ ٱلْكِنَابَ يَأْخُذُونَ عَهَنَ هَلَا الْأَدْنَ وَيَقُولُونَ سَيُغَفَرُكَا وَإِن يَأْتِهِدْعَهَنَّ مِثْلُهُ مِثْلُهُ مِثْلُهُ وَأَلْرَبُؤَخَذَ عَلَيْهِ مِيْتُكُوا ٱلْكِتَسْبِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا ٱنْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهٌ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَٰذِيكَ يَتَّقُونَّ أَفَلَاتَعَتْقِلُونَ ۞ وَٱلَّذِيزَ يُمَسِّكُونَ الكِنَبِ وَأَفَامُوا الصَّلَوةَ إِنَّا لَانْضِيعُ أَجْرَ لَلْصَلِحِينَ ٥ TO DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

إلى الله تعالى إضافة تشريف، لكم فيها آية عظيمة. وقد ذكر وجه الآية في قوله: ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾. وكان عندهم بثر كبيرة، وهي المعروفة ببئر الناقة، يتناوبونها هم والناقة، للناقة يوم تشربها ويشربون اللبن من ضرعها، ولهم يوم يردونها، وتصدر الناقة عنهم.

وقال لهم نبيهم صالح عليه السلام: ﴿فَدُرُوهِا تَأْكُلُ فَي السلام: ﴿فَدُرُوهِا تَأْكُلُ فَي أُرْضِ اللهُ فَلا عليكم من مؤونتها شيء، ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي: بعقر أو غيره، ﴿فَيأْخَذُكُم عَذَابِ

واذكروا إذ جعلكم خلفاء في الأرض تتمتعون بها وتدركون مطالبكم ومن بعد عاد الذين أهلكهم الله، وجعلكم خلفاء من بعدهم، ووبوأكم في الأرض أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تتخذون من سهولها ليست بجبال، تتخذون فيها القصور العالية والأبنية الحصينة، ووتنحتون العالية والأبنية الحصينة، ووتنحتون المبال بيوتاً كما هو مشاهد إلى الآن المبال بيوتاً كما هو مشاهد إلى الآن المباكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، وناذكروا آلاء الله كالمباكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، وفاذكروا آلاء الله كالمباكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، وفاذكروا آلاء الله كالمباكن والحبور ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، وفاذكروا آلاء الله كالمباكن والحبور ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، وفاذكروا آلاء الله كالمباكن والحبور ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، وفاذكروا آلاء الله كالمباكن والحبور ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، وفاذكروا آلاء الله كالهرون وتبعون المباكن والحبور ونحوها، وهي باقية ما بقيت المباكن والحبور الله كالهرون وتبعور اللهرون وتبعون وتبعور اللهرون وتبعور اللهرون وتبعور اللهرون وتبعون وتبع

أي: نعمه، وما خولكم من الفضل والرزق والقوة، ﴿ولا تعشوا في الأرض مقسدين﴾ أي: لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإن المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحشة بعدهم.

﴿قال اللا الذين استكبروا من قومه ﴾ أي: الرؤساء والأشراف الذين تكبروا عن الحق، ﴿للذين استضعفوا ﴾ ولما كان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين، قالوا ﴿لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ﴾ أي: أهو صادق أم كاذب؟

فقال المستضعفون: ﴿إِنَا بِمَا أُرسَلُ به مؤمنون﴾ من توحيد الله والخبر عنه وأمره ونهيه.

﴿قال الذين استكبروا: إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء.

﴿فعقروا الناقة ﴾ التي توعدهم إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب أليم، ﴿وعتواعن أمره الذي من عتا عنه، واستكبروا عن أمره الذي من عتا أذاقه العذاب الشديد. لا جرم بغيرهم ﴿وقالوا ﴾ مع هذه الأفعال متجرئين على الله، مُعجزين له، غير مبالين بما فعلوا، بل مفتخرين بها: ﴿يا صالح ائتنا بما تعدنا ﴾ إن كنت من الصادقين من العذاب، فقال: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ .

وفأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جائمين على ركبهم، قد أبادهم الله، وقطع دابرهم، وفتولى عنهم حين عنهم الله بم العذاب، ووقال خاطبا أحل الله بم العذاب، ووقال خاطبا أهلكهم الله: ويا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم أي: جميع ما أرسلني الله به إليكم، قد أبلغتكم به

وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم. ﴿ولكن لا تجبون الناصحين﴾ بل رددتم قول النصحاء، وأطعتم كل شيطان رجيم.

واعلم أن كشيراً من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح، وأنها تمخضت تمخض الحامل، فخرجت الناقة وهم ينظرون، وأن لها فصيلاً حين عقروها، رغى ثلاث رغيات، وانفلق له الجبل ودخل فيه، وأن صالحاً عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الشاني: عمرة، والشالث: مسودة، فكان كما قال.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لوكانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والأيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحاً قال لهم: ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ أي: تنعموا وتلذَّذوا بهذا الوقت القصير جداً، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي: لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يومأ فيومأ على وجه يعمهم ويشملهم [احمرار وجوههم، واصفرارهم واسودادها من العذاب](١).

هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟!!. فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله هما لا يساقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه ﴿وما آتاكم

الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ♦. وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما.

﴿٨٠ ٤٨﴾ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ إلى آخر القصة (١) . أي : ﴿وَهِ اذْكُر عبدنا ﴿لوطاً ﴾ عليه الصلاة والسلام، إذ أرسلناه إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده، ويشهاهم بها أحد من الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من والشناعة إلى أن استغرقت أنواع ألى : الخصلة التي بلغت في العظم الفحش، ﴿ما سبقكم بها من أحد من والمشياء، وكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعهم، من وابتكروها، وسنوها لمن بعدهم، من أيكون أيضاً.

ثم بينها بقوله: ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ﴾ أي: كيف تذرون النساء اللاي خلقهن الله لكم، وفيهن المستمتع الموافق للشهوة والفطرة، وتقبلون على أدبار الرجال، التي هي غاية ما يكون في الشناعة والخبث، عل تخرج منه الأنتان والأخباث، التي يستحيى من ذكرها فضلاً عن ملامستها وقربها، ﴿بل أنتم قوم مسرفون ﴾ أي: متجاوزون لما حده الله متجرئون على محارمه.

﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون أي: يتنزهون عن فعل الفاحشة. ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾.

﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من المغابرين ﴾ أي: الباقين المعذبين ، أمره الله أن يسري بأهله ليلاً ، فإن العذاب مصبح قومه فسرى بهم ، إلا امرأته أصابها ما أصابهم .

﴿وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ أي: حجارة حارة شديدة، من سجيل، وجعل الله عاليها سافلها، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ الهلاك والخزي الدائم.

﴿ ٨٨ ـ ٣٩ ﴾ ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ . . . إلى آخر القصة (٢) أي : ﴿ وَ القصة (٢) أي : ﴿ وَ السب ﴿ شعيباً ﴾ ﴿ أخاهم ﴾ في النسب ﴿ شعيباً ﴾ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويأمرهم بإيفاء المكيال والميزان، لا يعثوا في الأرض مفسدين، بالإكثار من عمل المعاصي، ولهذا قال : ﴿ وَلا تَسْفَسدوا في الأرض بعد أو أصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ فإن ترك المعاصي امتثالاً من ارتكابها الموجب لسخط الجبار، وعذاب النار.

ولاتقعدوا للناس وبكل صراط) أي: طريق من الطرق التي يكثر سلوكها، تحذرون الناس منها و ﴿توعدون﴾ من سلكها ﴿وتصدون عن سبيل الله من أراد الاهتداء به ﴿وتعنونا عوجاً ﴾ أي: تبغون سبيل الله تكون معوجة، وتميلونها اتباعاً لأهوائكم، وقد كان الواجب عليكم وعلى غيركم الاحترام والتعظيم للسبيل التي نصبها الله لعباده ليسلكوها إلى مرضاته ودار كرامته، ورحمهم بها أعظم رحمة، وتَصَدُّون لنصرتها والدعوة إليها، والذب عنها، لا أن تكونوا أنتم قطاع طريقها، الصادين الناس عنها، فإن هذا كفر لنعمة الله ومحادة لله، وجعل أقوم الطرق وأعدلها ماثلة، وتشنعون على من سلكها.

واذكروا العمة الله عليكم وإذ كنتم قليلا فكثركم أي: نماكم بما أنعم عليكم من الزوجات والنسل، والصحة، وأنه ما ابتلاكم بوباء أو أمراض من الأمراض المقللة لكم، ولا

سلط عليكم عدواً يجتاحكم ولا فرقكم في الأرض، بل أنعم عليكم باجتماعكم، وإدرار الأرزاق وكثرة النسل.

﴿وانطروا كيف كان عاقبة المفسدين في فإنكم لا تجدون في جوعهم إلا الشتات، ولا في ربوعهم إلا الوحشة والانبتات ولم يورثوا ذكراً حسناً، بل أتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة أشد خزياً وفضيحة.

﴿ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا ﴾ وهم الجمهور منهم . ﴿ فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴾ فينصر المحق، ويوقع العقوبة على المطل.

وقال الملأ الذين استكبروا من قومه وهم الأشراف والكبراء منهم الذين اتبعوا أهواءهم ولهوا بلذاتهم، فلما أتاهم الحق ورأوه غير موافق لأهوائهم الرديئة، ردوه واستكبروا عنه، فقالوا لنبيهم شعيب ومن معه من شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا استعملوا قوتهم السبعية، في مقابلة الحق، ولم يراعوا السبعية، في مقابلة الحق، ولم يراعوا واتبعوا أهواءهم وعقولهم السفيهة التي ولتهم على هذا القول الفاسد، فقالوا: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من قريتنا.

فرشعيب عليه الصلاة والسلام كان يدعوهم طامعاً في إيمانهم، والآن لم يسلم من شرهم، حتى توعدوه إن لم يتابعهم بالجلاء عن وطنه، الذي هو ومن معه أحق به منهم.

ف ﴿قال﴾ لهم شعيب عليه الصلاة والسلام متعجباً من قولهم: ﴿أَو لُو كَنَا كَارِهِينَ﴾ أي: أنتابعكم على دينكم وملتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلانها، فإنما يدعى إليها من له نوع رغبة فيها، أما من يعلن بالنهي عنها، والتشنيع على من اتبعها فكيف

⁽١) في ب: أورد الآيات كاملة.

يدعى إليها؟!!

﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ﴾ أي: اشهدوا علينا أننا إن عدنا فيها بعدما نجانا الله منها وأنقذنا من شرها، أننا كاذبون مفترون على الله الكذب، فإننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ممن جعل لله شريكاً، وهو الواحد الأحد الفرد السمحد، الذي لم يتخذ ولداً ولا صاحبة، ولا شريكاً في الملك.

﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها ﴾ أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها ، فإن هذا من المحال ، فآيسهم عليه الصلاة والسلام من كونه يوافقهم من وجوه متعددة ، من جهة أنهم كارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك . ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذباً ، وأشهدهم أنه إن اتبعهم ومن معه فإنهم كاذبون .

ومنها: اعترافهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها.

ومنها: أن عودهم فيها _ بعدما هداهم الله _ من المحالات، بالنظر إلى حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعالى والاعتراف له بالعبودية، وأنه الإله وحده الشريك له، وأن آلهة المشركين أبطل الباطل، وأعل المحال.

وحيث إن الله منَّ عليهم بعقول يعرفون بها الحق والباطل، والهدى والضلال.

وأما من حيث النظر إلى مشيئة الله وإرادته النافذة في خلقه، التي لا خروج لأحد عنها، ولو تواترت الأسباب وتوافقت القوى، فإنهم شيئاً أو يتركونه، ولهذا استثنى ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ أي: فلا يمكننا ولا غيرنا، الخروج عن مشيئته التابعة لعلمه وحكمته، وقد ﴿وسع ربنا كل شيء علماً فيعلم ما يصلح للعباد وما

يدبرهم عليه. ﴿على الله توكلنا﴾ أي: اعتمدنا أنه سيثبتنا على الصراط المستقيم، وأن يعصمنا من جميع طرق الجحيم، فإن من توكل على الله كفاه، ويسر له أمر دينه ودنياه.

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ أي: انصر المظلوم وصاحب الحق، على الظالم المعاند للحق ﴿ وأنت خير الفاتحين ﴾ وفتحه تعالى لعباده نوعان: فتح العلم، بتبيين الحق من الباطل، ومن هو من المستقيمين على الصراط، ممن هو منحرف عنه.

والنوع الثاني: فتحه بالجزاء وإيقاع العقوبة على الظالمين، والنجاة والإكرام للصالحين، فسألوا الله أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق والعدل، وأن يريهم من آياته وعبره، ما يكون فاصلاً بين الفريقين.

﴿وقال الملا الذين كفروا من قومه ﴾ عذرين عن اتباع شعيب، ﴿لثن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون ﴾ هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة والشقاء في اتباع الرشد والهدى، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة في لزوم ما هم عليه من المضلال والإضلال، وقد علموا ذلك حين وقع جم النكال.

وفأخذتهم الرجفة أي: الزلزلة الشديدة وفأصبحوا في دارهم جاثمين أي: صرعى ميتين هامدين، قال تعالى ناعياً حالهم والذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم ما تمتعوا في عرصاتها، ولا تفيئوا في ظلالها، ولا أكلوا من غنوا في مسارح أنهارها، ولا أكلوا من ممار أشجارها، حين فاجأهم (١) العذاب، فنقلهم من مورد اللهو واللعب واللذات، إلى مستقر الحزن والشقاء والعقاب والدركات ولهذا والشاسرين أي: الخسار محصور فيهم، الخاسرين أي: الخسار محصور فيهم، يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران

المبين، لا من قالوا لهم: ﴿لَنُنَ اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون﴾،

فحين هلكوا تولى عنهم نبيهم شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿وقال﴾ معاتباً وموبخاً ومخاطباً بعد موتهم: ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي﴾ أي: أوصلتها إليكم، وبينتها حتى بلغت منكم أقصى ما يمكن أن تصل إليه، وخالطت أفندتكم ﴿ونصحت لكم﴾ فلم تقبلوا نصحي، ولا انقدتم لإرشادي، بل فسقتم وطغيتم.

﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾
أي: فكيف أحزن على قوم لاخير فيهم، أتاهم الخير فردوه ولم يقبلوه، ولا يليق بهم إلا الشر، فهؤلاء غير حقيقين أن يحزن عليهم، بل يفرح بإهلاكهم ومحقهم، فعياذاً بك اللهم من الخزي والفضيحة، وأي: شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم؟!!

﴿ ٩٤ _ ٩٥﴾ ﴿وما أرسلنا في قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى: ٰ ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن ما هم فيه من الشر، فلم ينقادوا له: إلاابتلاهم الله ﴿بالبأساء والضراء﴾ أى: بالفقر والمرض وأنواع البلايا. ﴿لعلهم﴾ إذا أصابتهم، أخضعت نفوسهم فتضرعوا إلى الله واستكانوا للحق. ﴿ثُمُّ إِذَا لَمْ يَفَدُ فَيَهُمُ ، واستمر استكبارهم، وازداد طغيانهم. ﴿بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ فأذرّ عليهم الأرزاق، وعافي أبدانهم، ورفع عنهم البلاء ﴿حتى عفوا﴾ أي: كثروا، وكثرت أرزاقهم وانبسطوا في نعمة الله وفضله، ونسوا ما مرعليهم من البلاء. ﴿ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ أي: هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين، تارة

يكونون في سراء وتارة في ضراء، وتارة في ضراء، وتارة في ترح، على حسب تقلبات الزمان وتداول الأيام، وحسبوا أنها ليست للموعظة والتذكير، ولا للاستثدراج والنكير حتى إذا اغتبطوا، وفرحوا بما أوتوا، وكانت الدنيا، أسر ما كانت إليهم، أخذناهم بالعذاب (بغتة وهم لا يشعرون) أي: لم يخطر لهم الهلاك على بال، وظنوا أنهم قادرون على ما آتاهم الله،

وأنهم غير زائلين ولا منتقلين عنه.

﴿٩٦ ـ ٩٩﴾ ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السسماء والأرض وللكن كلذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون * أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسل يبتلون بالضراء موعظة وإنذارأ، وبالسراء استدراجاً ومكراً، ذكر أن أهل القري، لو آمنوا بقلوبهم إيماناً صادقاً صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهراً وباطناً، بترك جميع ما حرّم الله، لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدراراً، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش جائمهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كد ولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا ﴿فَأَخَذَنَاهُمُ بما كانوا يكسبون بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا فلو واخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك عليها من دابة . ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، ليذيقهم بعض الذي عملوا، لعلهم

﴿أَفَأَمَنَ أَهِلَ القرى﴾ أي: المُكذبة، بقرينة السياق ﴿أَنْ يَأْتِيهِم بأَسنا﴾ أي:

عذابنا الشديد ﴿بياتاً وهم نائمون﴾ أي: في غفلتهم، وغرتهم وراحتهم. ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ أي: أي: شيء يؤمنهم من ذلك، وهم قد فعلوا أسبابه، وارتكبوا من الجرائم العظيمة، ما يوجب بعضه الهلاك؟!

﴿أفأمنوا مكر الله حيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملي لهم، إن كيده متين، ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴿ فإن من أمن من عذاب الله، فهو (١) لم يصدق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسل حقيقة الإيمان.

وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون أمناً على ما معه من الإيمان.

بل لا يزال خاتفاً وجلاً أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعياً بقوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد _ولو بلغت به الحال ما بلغت _فليس على يقين من السلامة.

رون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون * تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين * وما وجدنا لأكثرهم من يقول تعلى منبها للأمم الغابرين بعد يقول تعلى منبها للأمم الغابرين بعد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أي: أو لم يتبين ويتضح للأمم الذين ورثوا لأرض، بعد إهلاك من قبلهم الذين ورثوا الأرض، بعد إهلاك من قبلهم بذنوبهم أمن قبلهم بذنوبهم ثم عملوا كأعمال أولئك

COLUMNS A PROPERTY DESCRIPTION OF THE PROPERTY AND ADDRESS OF THE PROPERTY ADDRESS OF THE PROPERTY AND ADDRESS OF THE PROPERTY ADDRESS OF • وَإِذْ نَنَقْنَا ٱلْجَيْلُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةً وَظَلْوا أَنْهُ وَاقِرُّهِم خُدُوا مَآ عَالَيۡنَكُمُ بِعُوۡ وَوَاذۡكُرُوا مَافِيهِ لَعَلَّكُوۡ نَتَعُوبَ @ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيَّ ادْمَ مِن طَلْهُ و هِرْ ذُرْيِّتَ كُمْرَ وَأَشْهَدَهُ عَلَىٰ أَنفُ هِزِ ٱلْسَتُ بَرَيْكُمْ قَالُوا بِيَا شَهَدَنَ ٱلْوَا حَوْلُوا مِرْمُ ٱلْقِيَكُمَةِ إِنَّاكُنَّا عَنْ هَلَدَا غَيْفِلِينَ ۞ أَوْتَقُولُوا إِثَّمَا أَشْرُكُ ءَلَكَ أَوْنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرْتِيَّةً مِنْ بَقْدِيقِرْ أَفْنُهُ لِكُنَّا عَاضَكَ ٱلْتَبْطِلُونَ ۞ وَكُذَاكِ نُفَصِّلُ ٱلْآيَكِ وَلَعَلَّهُ مُوْتَجِعُوبَ @ وَاتَدَلُ عَلَيْهِ مِنْ مِنَا ٱلَّذِي ءَاتَيْنَ لُهُ مَا يَكِينَا فَانسَكُمَ مِنْهَا فَأَنْبَكُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْعَادِينَ ۞ وَلَوْمِثْ ثَنَا لَهُ مَنْ نَهُ مِهَا وَلَا كِنَّهُ مِلْنَادَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَاتَّبُعَ هُوَلِيهُ فَكُلُّهُ كَشَرَ الْحَدَٰبِ إِن تَحْدِلْ عَلَيْهِ بِلَعَتْ الْتَغْرُكُ لُهُ بَلُهَتْ ذَاكَ مَنْكُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِيرَ كُذَّبُوا بِعَالِيْنَا فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَمَالَهُ بَنَفَكَ رُون ﴿ سَنَّةَ مَنَكُو الْفَقُ الَّذِيكَ كَنَّبُواْ بِكَانِينَا وَأَنفُ كُمُّرْكَ انُواْ يَظْلِمُونَ ۞ مَن يَهْدِ أَمَّةُ فَهُوَ لَلْهُ تَدِيٌّ وَمَن يُعْمِلُ فَأُولَيْكَ حُرُاتُخُلِيرُونَ ۞ ON THE WAR WAR

الملكين؟

أو لم يهتدوا أن الله لو شاء لأصابهم بذنوبهم، فإن هذه سنته في الأولين والآخرين.

وقوله: ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ أي: إذا نبهَهُم الله فلم ينتبهوا، وذكرهم فلم يتذكروا، وهداهم بالآيات والعبر فلم يهتدوا، فإن الله تعالى يعاقبهم ويطبع على قلوبهم، فيعلوها الران والدنس، حتى يصل إليها خير، ولا يسمعون ما ينفعهم، وإنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم.

﴿تلك القرى﴾ الذين تقدم ذكرهم ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ ما يحصل به عبرة للمعتبرين، وازدجار للظالمين، وموعظة للمتقين.

﴿ولقد جاءته رسلهم بالبينات﴾ أي: ولقد جاءت هولاء المكذبين رسلهم تدعوهم إلى ما فيه سعادتهم، وأيدهم الله بالمعجزات الظاهرة، والبينات المبينات للحق بياناً كاملاً، ولكنهم لم يفدهم هذا، ولا أغنى عنهم شيئاً، ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ أي: بسبب تكذيبهم وردهم الحق أول مرة، ما كان الله ليهديهم

 ⁽١) في ب: فإنه.

⁽٢) في هامش ب في بيان معنى كلمة الغابرين المتكررة ما يلي: الغابرين: الباقين، الغابرين: الماضين.

الإيمان، جزاء لهم على ردهم الحق، كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾. ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ عقوبة منه. وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم.

وما وجدنا لأكثرهم من عهد أي: وما وجدنا لأكثر الأمم الذين أرسل الله إليهم الرسل من عهد، أي: من ثبات والتزام لوصية الله التي أوصى بها جميع العالمين، ولا انقادوا لأوامره التي ساقها إليهم على ألسنة رسله.

﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾
أي: خارجين عن طاعة الله، متبعين لأهوائهم بغير هدى من الله، فالله تعلى امتحن العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمرهم باتباع عهده وهداه، فلم يمتثل لأمره إلا القليل من الله الناس، الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة.

وأما أكثر الخلق فأعرضوا عن الهدى، واستكبروا عما جاءت به الرسل، فأحل الله بهم من عقوباته المتنوعة ما أحل.

﴿١٧١ ـ ١٧٣﴾ ﴿ثم بعثنا من

بعدهم موسى بأياتنا إلى فرعون وملائه ﴾ إلى أخر قصته (١). أي: ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى الكليم، الإمام العظيم، والرسول الكريم، إلى قوم عتاة جبابرة، وهم فرعون وملته، من أشرافهم وكبراتهم، فأراهم من آيات الله العظيمة ما لم يشاهد له نظير ﴿فظلموا بها﴾ بأن لم ينقادوا لحقها الذي من لم ينقد له فهو ظالم، بل استكبروا عنها ﴿فَانْظُرُ كَيْفُ كأن عاقبة المفسديين كيف أهلكهم الله، وأتبعهم الذم واللعنة في الدنيا ويوم القيامة، بئس الرفد المرفود، وهذا مجمل فصله بقوله: ﴿وقال موسى، حين جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان ﴿ يا فرعون إني رسول من رب العالمين أي: إن رسول من مرسل عظيم، وهو رب العالمين، الشامل للعالم العلوي والسفلي، مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه، ويدعى أنه أرسله ولم يرسله .

فإذا كان هذا شأنه، وأنا قد اختارني واصطفاني لرسالته، فحقيق علي أن لا أكدب عليه، ولا أقول عليه إلا أكترة فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر. فهذا موجب لأن ينقادوا له ويتبعوه، خصوصاً وقد جاءهم ببينة من الله فوجب عليهم أن يعملوا بمقصود واضحة على صحة ما جاء به من الحق، رسالته، ولها مقصودان عظيمان: إسرائيل الشعب الذي فضله الله على العالمين، أولاد الأنبياء، وسلسلة يعقوب عليه السلام، الذي موسى يعقوب عليه السلام واحد منهم.

فقال له فرعون: ﴿إِنْ كَنْتَ جَنْتُ بِآية فأت بها إِنْ كَنْتُ مِنْ الصَّادَقِينَ * فَالْقَى الْمُوسِى ﴿عَصَاهُ ۚ فِي الْأَرْضِ

﴿فَإِذَا هِي تُعبِانَ مَبِينَ﴾ أي: حية ظاهرة تسعى، وهم يشاهدونها.

﴿ونزع يده ﴾ من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين من غير سوء، فهاتان آيتان كبيرتان دالتان على صحة ما جاء به موسى وصدقه، وأنه رسول رب العالمين، ولكن الذين لا يؤمنون لو جاءتهم كل آية لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، فلهذا ﴿قال الملأ من قوم فرعون کر حین بهرهم ما رأوا من الآيات، ولم يؤمنوا، وطلبوالها التأويلات الفاسدة: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ أي: ماهر في سحره، ثم خوفوا ضعفاء الأحلام وسفهاء العقول، بأنه ﴿يريد ﴾ موسى بفعله هذا ﴿أَن يُخرِجِكُم مِن أُرضِكُم﴾ أي: يريد أن يجليكم (٢) عن أوطانكم ﴿فَمَاذَا تأمرون﴾ أي: إنهم تشاوروا فيما بينهم ما يفعلون بموسى، وما يندفع به ضرره بزعمهم عنهم، فإن ما جاء به إن لم يقابل بما يبطله ويدحضه، وإلا دخل في عقول أكثر الناس، فحينتذ انعقد رأيهم إلى أن قالوا لفرعون: ﴿أُرجِهُ وأخاه أي: احبسهما وأمهلهما، وابعث في المدائن أناساً يحشرون أهل المملكة ويأتون بكل سحار عليم، أي: يجيئون بالسحرة المهرة، ليقابلوا ما جاء به موسى، فقالوا: يا موسى اجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى.

﴿قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى * فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى وقال هنا: ﴿وجاء السحرة فرعون ﴾ طالبين منه الجزاء إن غلبوا ف ﴿قالوا: إن لنا لأجرأ إن كنا نحن الغالبين ﴾ ف ﴿قال فرعون : ﴿قال فرعون : ﴿قال فرعون الغالبين ﴾ فوعدهم الأجر ﴿وإنكم لمن وعلو المنزلة عنده ، ليجتهدوا ويبذلوا وسعهم وطاقتهم في مغالبة موسى ، فلما حضروا مع موسى بحضرة الخلق وعدم التألى وعدم العظيم ﴿قالوا على وجه التألى وعدم

⁽١) في ب: أورد الآيات كاملة.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: يريد ليجليكم من.

المبالاة بما جاء به موسى: ﴿يا موسى المبالاة بما جاء به موسى إما أن تلقي﴾ ما معك ﴿وإما أن نكون نحد المقين في المقين في القوا ﴾ لم معهم ﴿القوا ﴾ لأجل أن يرى الناس ما معهم وما مع موسى.

وفلما ألقوا حبالهم وعصيهم، إذا هي من سحرهم كأنها حيات تسعى، ف وسحروا أحين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم لم يوجد له نظير من السحر.

﴿وأوحينا إلى مسوسسى أن ألسق عصاك فألقاها ﴿فإذا هي كحية تسعى، ف ﴿تلقف ﴿ جميع ﴿ما يأنكون ﴾ أي: يكذبون به ويموهون.

﴿فوقع الحق﴾ أي: تبين وظهر، واستعلن في ذلك المجمع، ﴿وبطل ما كانوا يعملون * فغلبوا هنالك﴾ أي: في ذلك المقام ﴿وانقلبوا صاغرين﴾ أي: حقيرين قد اضمحل باطلهم، وتلاشي سحرهم، ولم يحصل لهم المقصود الذي ظنوا حصوله.

وأعظم من تبين له الحق العظيم أهل الصنف والسحر، الذين يعرفون من أنواع السحر وجزئياته ما لا يعرفه غيرهم، فعرفوا أن هذه آية عظيمة من آيات الله لا يدان لأحد بها.

﴿وألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون﴾ أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات.

ف ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ فرعون ﴾ متهدداً على الإيمان: ﴿ آمنتم به قبل أن آذن لكم ﴾ كان الخبيث حاكماً مستبداً على الأبيدان والأقبوال، قيد تنقرر عنده وعندهم أن قوله هو المطاع، وأمره نافذ وحكمه، وبهذه الحالة تنحط الأمم، وتضعف عقولها ونفوذها، وتعجز عن المدافعة عن حقوقها، ولهذا قال الله عنه: ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ وقال هذا: ﴿ أمنتم به قبل أن آذن لكم ﴾ أي: فهذا سوء أدب منكم وتجرؤ على .

ثم موه على قومه وقال: ﴿إِن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ أي: إن موسى كبيركم الذي علمكم السحر، فتواطأتم أنتم وهو على أن تنغلبوا له، فيظهر فتتبعوه، ثم يتبعكم الناس أو جهورهم، فتخرجوا

منها أهلها.

وهذا كذب يعلم هو ومن سبر الأحوال، أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يجتمع بأحد منهم، وأنهم جمعوا على نظر فرّعون ورسله، وأن ما جاء به موسى آية إلهيّة، وأن السحرة قد بذلوا مجهودهم في مغالبة موسى، حتى عجزوا وتبين لهم الحق، فاتبعوه. ثم توعدهم فرعون بقوله: ﴿ فسوف تعلمون ﴾ ما أحل بكم من العقوبة، ﴿الأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف الخبيث أنهم مفسدون في الأرض، وسيصنع بهم ما يصنع بالمفسدين، من تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، أي: اليد اليمني والرجل اليسرى. ﴿ثم لأصلبنكم﴾ في جذوع النخل، لتختزوا بزعمه ﴿أَجِعِينَ ﴾ أي: لا أفعل هذا الفعل بأحد دون أحد، بل كلكم سيذوق هذا العذاب، فقال السحرة الذين آمنوا لفرعون حين تهددهم: ﴿إِنَّا إِلَّى رَبُّنَا منقلبون اي: فلا نبالي بعقوبتك، فالله خير وأبقى، فاقض ما أنت قاض. ﴿ وما تنقم منا ﴾ أي: وما تعيب منا على إنكارك علينا وتوعدك لنا؟ فليس لنا ذنب ﴿إلا أن آمنا﴾ [بآيات] ربنا [لما

ثم دعوا الله أن يثبتهم ويصبرهم فقالوا: ﴿ربنا أفرغ أي: أفض خعلينا صبراً ﴾ أي: عظيماً، كما يدل عليه التنكير، لأن هذه محنة عظيمة، تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير، ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه،

جاءتنا](١) فإن كان هذا ذنباً يعاب

عليه، ويستحق صاحبه العقوبة، فهو

ويزول عنه الانزعاج الكثير .

ورود وفنا مسلمین ای ای منقادین الأمرك، متبعین لرسولك، والظاهر أنه أوقع بهم ما توعدهم علیه، وأن الله تعالى ثبتهم على الإيمان.

هذا وفرعون وملأه وعامتهم المتبعون للملأ، قد استكبروا عن آيات الله، وجحدوا بها ظلماً وعلواً، وقالوا لفرعون مهيجين له على الإيقاع بموسى، وزاعمين أن ما جاء باطل وفساد: ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ بالدعوة إلى الله، وإلى التي هي الصلاح في الأرض، وما هم عليه هو الفساد، ولكن الظالمين لا يبالون بما يقولون.

﴿ويندرك وآلهتك ﴾ أي: يدعك أنت وآلهتك، وينهى عنك، ويصد الناس عن اتباعك.

ف ﴿قال﴾ فرعون بحيباً لهم، بأنه سيدع بني إسرائيل مع موسى بحالة لا ينمون فيها، ويأمن (٢) فرعون وقومه _ بزعمه _ من ضررهم: ﴿سِنقتل أَبِناءهم ونستحيي نساءهم أي: نستبقيهن فلا نقتلهن، فإذا فعلنا ذلك أمنا من كثرتهم، وكنا مستخدمين لباقيهم، ومسخرين لهم على ما نشاء من الأعمال ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ لا فيروج لهم عن حكمنا ولا قدرة، وهذا نهاية الجبروت من فرعون والعتو والقسوة.

ف ﴿قال موسى لقومه ﴾ موصياً لهم في هذه الحالة ، _ التي لا يقدرون معها على شيء ، ولا مقاومة _بالمقاومة الإلهية ، والاستعانة الربانية : ﴿استعينوا بالله أي : اعتمدوا عليه في جلب ما ينفعكم ، ودفع ما يضركم ، وثقوا بالله أنه سيتم أمركم ﴿واصبروا ﴾ أي : الزموا الصبر على ما يحل بكم ، منتظرين للفرح .

﴿إِنَّ الأَرْضُ شَهُ لِيست لَفُرِعُونُ ولا لقومه حتى يتحكموا فيها ﴿يورثها

⁽١) زيادة من هامش ب، وهي في أ: آمنا بربنا.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: ويؤمن.

من يشاء من عباده أي: يداولها بين الناس على حسب مشيئته وحكمته، ولكن العاقبة للمتقين، فإنهم ولكن المتحدة المتحدة النصر لهم، ﴿والعاقبة العبد، أنه عند القدرة، أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير، ما يقدر عليه، وعند العجز، أن يصبر ويستعين الله، وينتظر الفرج.

﴿قالوا﴾ لموسى متضجرين من طول ما مكثوا في عذاب فرعون، وأوذيته: ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ فإنهم يسوموننا سوء العذاب، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ﴿ومن بعد ما جثنا﴾ كذلك ف ﴿قال﴾ لهم موسى مرجياً [لهم](۱) الفرج والخلاص من شرهم: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض﴾ أي: يمكنكم فيها، ويجعل لكم التدبير فيها ﴿فينظر كيف تعملون﴾ هل تشكرون أم تكفرون؟. وهذا وعد أنجزه الله لما

الله تعالى في بيان ما عامل به آل فرعون في هذه المدة الأخيرة، أنها على عادته وسنته في الأمم، أن يأخذهم بالبأساء والضراء، لعلهم يضرعون. الآيات:

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين اي : بالدهور والجدب، ﴿ونقص من الشمرات لعلهم يذكرون اي : يتعظون أن ما حل بهم وأصابهم معاتبة من الله لهم، لعلهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجع فيهم ولا أفاد، بل استمروا على الظلم والفساد.

﴿فإذا جاءتهم الحسسنة ﴾ أي: الخصب وإدرار الرزق ﴿قالوا لنا هذه ﴾ أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا الله عليها ﴿وإن تصبهم سيئة ﴾ أي: قحط وجدب ﴿يطيروا بموسى ومن معه ﴾ أي: يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، واتباع بني إسرائيل له.

قال الله تعالى: ﴿ أَلا إِنما طَائرهم عند الله ﴾ أي: بقضائه وقدرته، ليس كما قالوا، بل إن ذنوبهم وكفرهم هو السبب في ذلك، بل ﴿ أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي: فلذلك قالوا ما قالوا.

﴿وقالوا﴾ مبينين لموسى أنهم لا يزالون، ولا يزولون عن باطلهم: ﴿مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ أي: قد تقرر عندنا أنك ساحر، فمهما جئت بآية جزمنا أنها سحر، فلا نؤمن لك ولا نصدق، وهذا غاية ما يكون من العناد، أن يبلغ بالكافرين إلى أن تستوي عندهم الخالات، سواء نزلت عليهم الآيات أم لم تنزل.

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ أي:
الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم
وزروعهم، وأضر بهم ضرراً كثيراً
﴿والجراد﴾ فأكل ثمارهم، وزروعهم،
ونباتهم ﴿والقمل﴾ قيل: إنه الدباء،
أي: صغار الجراد، والظاهر أنه القمل
أوعيتهم، وأقلقتهم، وآذتهم أذية
شديدة ﴿والدم﴾ إما أن يكون
الرعاف، أو كما قال كثير من
الفسرين، أن ماءهم الذي يشربون
انقلب دماً، فكانوا لا يشربون إلا
دماً، ولا يطبخون إلا بدم.

﴿آيات مفصلات ﴾ أي: أدلة وبينات على أنهم كانوا كاذبين ظالمين، وعلى أن ما جاء به موسى حق وصدق ﴿فاستكبروا ﴾ لما رأوا الآيات ﴿وكانوا ﴾ في سابق أمرهم ﴿قوماً عرمين ﴾ فلذلك عاقبهم الله تعالى، بأن أبقاهم على الغي والضلال.

ولا وقع عليهم الرجز أي: السعذاب، يحتمل أن المراد به: الطاعون، كما قاله كثير من المفسرين، ويحتمل أن يراد به ما تقدم من الآيات: السطوفان، والجراد، والسقمل، والسففادع، والدم، فإنها رجز وعذاب، وأنهم كلما أصابهم واحد منها ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما

عهد عندك أي: تشفعوا بموسى بما عهد الله عنده من الوحي والشرع، ولئن كشفت عنا الرجز، لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل وهم في ذلك كذبة، لا قصد لهم إلا زوال ما حل بهم من العذاب، وظنوا إذا رفع لا يصيبهم غيره.

﴿ فَلَما كَشَفْنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه ﴾ أي: إلى مدة قدر الله بقاءهم إليها، وليس كشفاً مؤبداً، وإنما هو مؤقت، ﴿ إذا هم ينكثون ﴾ العهد الذي عاهدوا عليه موسى، ووعدوه بالإيمان به، وإرسال بني إسرائيل، فلا آمنوا به ولا أرسلوا معه بني إسرائيل، بل استمروا على كفرهم يعمهون، وعلى تعذيب بني إسرائيل دائين.

﴿فانتقمنا منهم ﴾ أي: حين جاء الوقت المؤقت له لاكهم، أمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، وأخبره أن فرعون سيتبعهم هو وجنوده ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ يجمعون الناس ليتبعوا بني إسرائيل، وقالوا لهم: ﴿إِنَّ هِـؤُلَّاء لِشرَدْمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون * فأخرجناهم من جنات وعيون ۞ وكنوز ومقام كريم ۞ كذلك وأورثناها بني إسرائيل * فأتبعوهم مشرقين * فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كه إن معى ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم * وأزلفنا ثم الآخرين * وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ﴿ ثم أغرقنا الآخرين﴾.

وقال هنا: ﴿فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ أي: بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عما دلت عليه من الحق.

﴿ وأورثنا القوم الذيسن كانوا يستضعفون ﴿ في الأرض ، أي: بني إسرائيل الذين كانوا خدمة لآل

الله المَالِثُ لِنَفِي نَفَعًا وَلَاضَرًا إِلَّامَا شَكَّةَ اللَّهُ وَلَوْكُنتُ أَعَلُ ٱلْغَنْدَ لَاسْتَكُنَّ ثُينَ آغَيْرُومَامَتِينَ ٱلنُّوعُ إِنَّ أَنَّا الْأَنَدَرُّ وَمَشَرِّ لِقَوْمِ تُوْمِنُونَ ﴿ ﴿ هُوَالَّذِي خَلَقَكُم يِّن نَفْسِ وَجِدَةِ وَبَحَدَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ الْيَهَا فَلَمَّا تَفَشَّعُا مَلَفَ حَلَلاخَفِيفَا فَرَّتِ بِيعَالَمَا أَتَقَلَت دُعُوا أَنْهُ زَيَّهُ مَا لَهُ ءَاتَشُنَا مَبُلِمًا لَنَكُوْنَ مِنَ الشَّكِينَ ۞ فَلَتَآ ءَاتَنهُمَا صَلِلمًا جَعَلَا لَهُشُرُكَاءَ فِيمَا ءَاتُنهُمُ أَفَعَلَ إَلَّهُ عَايِنْهِ وَكِنْ الْمُنْفِقُونَ مَا لَا يَعْلَقُ شَيْعًا وَهُرْ يُعْلَقُونَ @ وَلَايِسْ تَطِيعُونَ لَكُمْ رَضَرًا وَلَا أَنْسُ مُرْيَعُمرُون كَ وَإِن مَّاعُومُ إِلَى لَلْمُنَىٰ لَايَنِّيعُ وُرُسُوّاً عَلَيْسَكُمْ أَمْعَوْتُومُ المَالَتُ مَسَكِمةُ ذَ ﴿ إِنَّا أَلْدِيكَ مَّدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ إِيكَ أَنْ الْكُنِّ الْكُنِّرُ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْ يَجِيبُوا لَكُولُ كُنَّا الْكُنَّانِ كُنْدُ السكيفين ﴿ الْمُعْرَاقِيمُ لِيَشُونَ بِمَا أَرْمُكُوْ أَيْدِينَا لِمُعْرَافِهِ وَمَا الْمُعْرَافِينَ إِيَّا أَمْ لَكُمْ أَعَيُنْ يَغِيرُونَ بِعَا أَمْ كُمُ مَاذَانُ يَسْتَحُونَ إِياً قُلِ انْعُواشُرَكَ آهَ كُونُدُوكِي مُونِو فَلَا نُظِرُونِ ﴿ TOUGHT IVE BONG BONG

فقال: ﴿ وَإِذْ أُنْجِينَاكُم مِنْ آلَ فَرَعُونَ ﴾ أي: من فرعون وآله ﴿يسومونكم سوء العذاب) أي: يوجهون إليكم من العذاب أسوأه، وهو أنهم كانوا ويقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم النجاة من عذابهم ﴿بلاء من ربكم عظيم أي: نعمة جليلة، ومنحة جزيلة، أو: وفي ذلك العذاب الصادر منهم لكم بلاء من ربكم عليكم عظيم، فلما ذكرهم موسى ووعظهم انتهوا عن ذلك. ولما أتم الله نعمته عليهم بالنجاة من عدوهم، وتمكينهم في الأرض، أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى، ويتهيأ لوعد الله، ويكون لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى

ثم ذكرهم ما امتن الله به عليهم

بما يدعى من دونه .

ولما ذهب موسى إلى ميقات ربه قال لهارون موصياً له على بني إسرائيل من حرصه عليهم وشفقته: ﴿اخلفني في قومي﴾ أي: كن خليفتي فيهم، واعمل فيهم بسما كنت أعمل، ﴿وأصلح﴾ أي: اتبع طريق الصلاح وولا تتبع سبيل المفسدين﴾ وهم الذين يعملون بالمعاصى.

إنزالها .

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ الذي وقتناه له لإنزال الكتاب ﴿وكلمه ربه ﴾ بما كلمه من وحيه وأمره ونهيه، تشوق إلى رؤية الله، ونزعت نفسه لذلك، حباً لربه ومودةً لرؤيته.

زيادة من هامش ب.

فرعون، يسومونهم سوء العذاب أورثهم الله ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ والمراد بالأرض هاهنا، أرض مصر التي كانوا فيها مستضعفين، أذلين، أي: ملكهم الله ﴿وَقَت كُلُمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾ حين قال لهم موسى: ﴿استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾.

﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ من الأبنية الهائلة، والمساكن المزخرفة ﴿وما كانوا يعرشون ﴾ ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ بعدما أنجاهم الله من عدوهم فرعون وقومه، وأهلكهم الله، وبنو إسرائيل ينظرون.

﴿فأتوا﴾ أي: مروا ﴿على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾ أي: يقيمون عندها ويتبركون بها، ويعبدونها. فرقالوا﴾ من جهلهم وسفههم لنبيهم موسى بعدما أراهم الله من الآيات ما أراهم ألهة كما أي: اشرع لنا إلها كما لمناما آلهة كما اتخذها هؤلاء.

ف ﴿قال﴾ لهم موسى: ﴿إنكم قوم عَهِهِلُون﴾ وأي جهل أعظم من جهلٍ مَن جَهِلُ ربه وخالقه وأراد أن يسوي به غيره، ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟!! ولهذا قال لهم موسئ: ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ لأن دعاءهم إياها باطل، وهي باطلة.

﴿قال أغير الله أبغيكم إلها ﴾ أي: أأطلب لكم إلها أغير الله المألوه، الكامل في ذاته وصفاته وأفعاله. ﴿وهو فضلكم على العالمين ﴾ أن تقابلوا فضله وتفضيله بالشكر، وذلك بإفراده وحده بالعبادة، والكفر

الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرون معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال _ مقنعاً لموسى في عدم إجابته للرؤية _ ﴿ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه ﴾ إذا تجلى الله له ﴿فسوف ترانى ﴿

﴿فلما تجلى ربه للجبيل﴾ الأصم الغليظ ﴿جعله دكاً ﴾ أي: انهال مثل الرمل، انزعاجاً من رؤية الله وعدم ثبوته لها(١)، ﴿وخر موسى﴾ حين رای ما رأی ﴿صعقا ﴾ فتبین له حینند أنه إذا لم يشبت الجبل لرؤية الله، فموسى أولى أن لا يشبت لذلك، واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم يوافق موضعاً و[لَّذلك](٢) ﴿قَالَ سِيحَانِكُ أَي: تَنْزِيهَا لِكُ، وتعظيماً عما لا يليق بجلالك ﴿تبت إليك) من جميع اللذنوب، وسوء الأدب معك ﴿وأنا أول المؤمنينِ ﴿ أَي : جدد عليه الصلاة والسلام إيمانه، بما كمل الله له مما كان يجهله قبل ذلك، فلما منعه الله من رؤيته _ بعدما كان متشوقاً إليها _ أعطاه خيراً كثيراً فقال: ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ أى: اخترتك واجتبيتك وفضلتك

إِنَّ وَلِقِ اللَّهُ الَّذِي زَلَّ الْكِتَابُّ وَهُوَ يَتُولَّي الصَّالِمِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ وَلَا يَسْ نَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَّ أَنفُسَهُمْ يَصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْخُدَىٰ لَابِتِّمَعُمُّ أَ وَرَنَهُمْ يَنظُونَ إِلَيْكَ وَهُرَلَا يُبْعِيرُونَ ﴿ خُذِ ٱلْعَفُو وَأُمَّرُ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْيِضْ عَنِ ٱلْجَهِلِينَ ۞ وَلِمَّا يَنْزَغَنَّكُ مِنَ ٱلشَّيْطُانِ زُزَّعٌ فَأَسْتَعِذْ إِلْقَةً إِنَّهُ سَكِيمٌ عَلِيدٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِيكَ ٱتَّقَوَّ إِذَا مَنَّهُ مُعَلِّمَ قُنِ الشَّيْطَانِ مَذَّكُّرُواْ فَإِذَا مُرتَّبْسِرُونَ @ وَلِمُؤْنَهُمْ يَكُنُّونَهُمْ فِ الْفَيْ ثُمَّرَ لَايُغْصِرُونَ ۞ وَلِمَا لَوْتَأْتِهِ رِبِعَايَةِقَالُواْ لَوْلَا لَبَعَيَّيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَنِّيعُ مَالُوحَيْ إِلَى مِن زَّقِ عَلْمَ السَّكَ إِرْمِن رَّبِحَمَّم وَهُدُى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُدْوَانُ فَأَسْتَيمُوالْمُوَأَنِيشُوا لَمَلْكُوَّرُكَمُونَ ۞ وَاذَكُرُ زَبُكَ فِي نَفْسِكَ تَضَمُّنَّا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِينَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْفَكْدِ وَٱلْآمَالِ وَلَا تَكُنُّ مِنَ ٱلْعَلَيْفِلِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَقِكَ لَايسْتَكُمْرُونَ عَنْ عِبَادَ يَهِ وَيُسَيِّحُونَهُ وَلَمُيَسَّجُدُونَ ﴿ TONE TONE OF THE PARTY OF THE P

وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، ﴿برسالانِ﴾ التي لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق.

﴿وبكلامي﴾ إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسى الكليم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين، ﴿فخذ ما آتيتك﴾ من النعم، وخذ ما آتيتك من الأمر والنهي بانشراح صدر، وتلقه بالقبول والانقياد، ﴿وكن من الشاكرين﴾ نه على ما خصك وفضلك.

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء ﴾ يحتاج إليه العباد ﴿موعظة ﴾ ترغب النفوس في أفعال الخير، وتفصيلاً لكل شيء ﴾ من الأحكام الشرعية، والعقائد والأخلاق والآداب ﴿فخذها بقوة ﴾ أي: بجد واجتهاد على إقامتها، الأوامر الواجبة والمستحبة، فإنها أحسنها ، وفي هذا دليل على أن أوامر الله - في كل شريعة كاملة - فادلة حسنة .

﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ بعدما أهلكهم الله، وأبقى ديارهم عبرة بعدهم، يعتبر بها المؤمنون الموفقون المتواضعون، وأما غيرهم، فقال عنهم: ﴿سأصرف عن آياتي﴾ أي: عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية، والفهم لآيات الكتاب ﴿الذين يتكبرون

في الأرض بغير الحق﴾ أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيراً كثيراً وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح.

﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ لإعراضهم واعتراضهم، ومحادتهم شه ورسوله، ﴿وإن يروا سبيل الرشد﴾ أي: الهدى والاستقامة، وهو الصراط الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته. ﴿لا يتخذوه﴾ أي: لا يسلكوه ولا يرغبوا فيه ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ الشقاء ﴿يتخذوه سبيلا﴾ والسبب في انحرافهم هذا الانحراف ﴿ذلك بأنهم فردهم لآيات الله، وغفلتهم عما يراد بها واحتقارهم لها _ هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشاد ما أوجب.

﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ العظيمة الدالة على صحة ما أرسلنا به رسلنا. ﴿ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم﴾ لأنها على غير أساس، وقد فقد شرطها وهو الإيمان بآيات الله، والتصديق بجزائه وحصوا، ضد مقصودهم ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ فإن أعمال من لا يؤمن وليس لها غاية تنتهي إليه، فلذلك اضمحلت وبطلت ﴿واتّخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً﴾ صاغه السامري وألقى عليه قبضة من وصوت، فعبدوه واتخذوه إلهاً.

وقال (هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى، وذهب يطلبه، وهذا من سفههم، وقلة بصيرتهم، كيف اشتبه عليهم رب الأرض والسماوات، بعجل من أنقص المخلوقات؟!!

ولهذا قال مبيناً أنه ليس فيه من الصفات الذاتية ولا الفعلية، ما يوجب أن يحكون إلها فيروا أنه

لا يكلمهم أي: وعدم الكلام نقص عظيم، فهم أكمل حالة من هذا الحيوان أو الجماد، الذي لا يتكلم ﴿ولا يهديهم سبيلا﴾ أي: لا يدلهم طريقاً دينياً ، ولا يحصل لهم مصلحةً دنيوية، لأن من المتقرر في العقول والفطر، أن اتخاذ إله لا يتكلُّم ولا ينفع ولا يضر من أبطل الباطل، وأسمج السفه، ولهذا قال: ﴿اتَّخذُوهُ وَكَانُوا ظالمين، حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وفيها دليل على أن من أنكر كلام الله، فقد أنكر خصائص إلهية الله تعالى، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للإلهية.

ولما ورجع موسى إلى قومه ، فوجدهم على هذه الحال، وأخبرهم بضلالهم ندموا و وسقط في أيديهم أي: من الهم والندم على فعلهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا فتنصلوا، لله وتضرعوا و وقالوا: لمن لم يرحنا ربنا فيدلنا عليه، ويرزقنا عبادته، ويوفقنا لصالح الأعمال، ويوفقنا لصالح الأعمال، العجل ولنكونن من الخاسرين الذين حساوا الدنيا والآخرة.

﴿ولا رجع موسى إلى قومه غضبان اسفا﴾ أي: ممتلئا غضباً وغيظاً عليهم، لتمام غيرته عليه الصلاة والسلام، وكمال نصحه وشفقته، ﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي﴾ أي: بئس الحالة التي خلفتموني بها من بعد ذهابي عنكم، فإنها حالة تفضي إلى الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي.

﴿أعجلتم أمر ربكم > حيث وعدكم بإنزال الكتاب. فبادرتم - برأيكم الفاسد - إلى هذه الخصلة القبيحة ﴿والقي الألواح ﴾ أي: رماها من الغضب ﴿وأخذ برأس أخيه > هارون ولحيته ﴿يجره إليه > وقال له: ﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلوا، أن لا تتبعن أفعصيت أمري > لك بقولي: ﴿اخْلُفْنِي فِي قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المسدين > فـ ﴿قال يا ابن أم لا

تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل، ولم ترقب قولي﴾ و ﴿قال﴾ هنا ﴿ابن أم﴾ هذا ترقيق لأخيه، بذكر الأم وحدها، وإلا فهو شقيقه لأمه وأبيه: ﴿إِنَّ القُّومُ استضعفون﴾ أي: احتقروني حين قلت لهم: ﴿يا قوم إنما فتنتم به، وإن ربكم الرحمن، فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ ﴿وكادوا يقتلونني ﴾ أي: فلا تظن بى تقصيراً ﴿ فلا تشمت بي الأعداء﴾ بنهرك لي، ومسَّك إياي بسوء، فإن الأعداء حريصون على أن يجدوا على عثرة، أو يطلعوا لي على زلة ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ فتعاملني معاملتهم.

فندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته، مما ظنه فيه من التقصير، و ﴿قال رب اغفر لي ولأخي﴾ هارون ﴿وأدخلنا في رحمتك ﴾ أي: في وسطها، واجعل رحمتك تحيط بنا من كل جانب، فإنها حصن حصين من جميع الشرور، وثمَّ كل خير وسرور.

﴿وأنت أرحم الراحين أي: أرحم بنا من كل راحم، أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا وأولادنا وأنفسنا، قال الله تعالى مبيناً حال أهل العجل النيس عبدوه: ﴿إِنَّ النَّهِسَ اتَّخَذُواْ العجل ﴾ أي: إلها ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيام كما أغضبوا ربهم واستهانوا بأمره.

﴿وكذلك نجزي المفترين ﴿ فكلُّ مفتر على الله كاذب على شرعه، متقول عليه مالم يقل، فإن له نصيباً من الغضب من الله، والذل في الحياة الدنيا، وقد نالهم غضب الله، حيث أمرهم أن يقتلوا أنفسهم، وأنه لا يرضى الله عنهم إلا بذلك، فقتل بعضهم بعضاً، وانجلت المعركة عن كثير من القتلى(١)، ثم تاب الله عليهم بعد ذلك، ولهذا ذكر حكماً عاماً يدخلون فيه هم وغيرهم، فقال: ﴿والذين عملوا السيئات﴾ من شرك

وكبائر، وصغائر ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ بأن ندموا على ما مضى وأقلعوا عنها، وعزموا على أن لا يعودوا ﴿وآمنوا﴾ بالله وبما أوجب الله من الإيمان به، ولا يتم الإيمان إلا بأعمال القلوب، وأعمال الجوارح المترتبة على الإيمان ﴿إِن رَبِكُ مِن بِعَدُهَا﴾ أي: بعد هذه الحالة، حالة التوبة من السيئات والرجوع إلى الطاعات، ﴿لغفور﴾ يغفر السيئات ويمحوها، ولو كانت قراب الأرض ﴿رحيم﴾ بقبول التوبة، والتوفيق لأفعال الخير وقبولها.

﴿ وَلِمَا سَكِتَ عِنْ مُوسِي الْغَضِبِ ﴾ أي: سكن غضبه، وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه، اشتغل بأهم الأشياء عنده، ف ﴿ أَخِذُ الأَلُواحِ ﴾ التي ألقاها، وهى ألواح عظيمة المقدار، جليلة ﴿وفي نسختها ﴾ أي: مشتملة ومتضمنة ﴿هدى ورحمة ﴾ أي: فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير وأعمال الشر، والهدى لأحسن الأعمال، والأخلاق، والآداب، ورحمة وسعادة لن عمل بها، وعلم أحكامها ومعانيها، ولكن ليس كُل أحد يقبل هدى الله ورحمته، وإنما يقبل ذلك وينقاد له، ويتلقاه بالقبول الذين [هم](٢) ﴿لربهم يرهبون﴾ أي: يخافون منه ويخشونه، وأما من لم يخف الله ولا المقام بين يديه، فإنه لا يزداد بها إلا عتواً ونفوراً، وتقوم عليه حجة الله

﴿ وَ ﴾ لما تاب بنو إسرائيل وتراجعوا إلى رشدهم ﴿اختار موسىٰ﴾ منهم ﴿سبعين رجلا﴾ من خيارهم، ليعتذروا لقومهم عندريهم، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا، قالوا: يا موسى، ﴿أَرِنَا اللهُ جهرة الله جراءة كبيرة، وأساؤوا الأدب معه، ف ﴿ أَخِذْتُهُم الرجفة ﴾ فصعقوا وهلكوا.

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهَا لِلْهُ الْأَنْسَالُ يَقِيوَالرَّسُولِ فَأَنَّ عُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُواْذَاتَ بَيْنِكُمُّ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِن كُنتُم مُوْمِنِينَ ۞ إِنَّا ٱلْوَقِينُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا دُكِرَاتَهُ وَيَهَتَ ا قُوْبَهُمْ وَإِذَا تَلِتَ عَلَيْهِمْ ءَالِنَهُ وَلَاتَهُمْ لِإِنْاً وَعَسَلَادَيْهِمْ يَوَكَ لُونَ ۞ ٱلَّذِيكَ يُقِيعُونَ ٱلصَّلَوْةَ وَعَمَا رَزَقَنَاهُمُ السُفِقُونَ ۞ أُوْلَيْكَ هُرُالْتَوْمِنُونَ حَتَّا لَمُتَرَدَّيَحَتَّ عِندَ رَبِهِ رُومَعْ فِرَةً وَرِنَقُ كَيدُ ۞ كَمَا أَخْرَبُكَ رَبُّكَ مِنُ يَيْنِكَ بِأَنْحَقِ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۞ يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيِّنَ كَأَفَّا يُسَاقُونَ إِلَى الْمُؤْتِ وَهُمْ يَنْظُرُهِنَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُرُ اللَّهُ إِسْدَى ٱلطَّا يَفْتَيْنِ النَّهَا لَكُوْوَقَوْدُونَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُوْ ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكِيلَيْدِ وَيَقَطَّعَ دَارِرَالْكَلَيْرِينَ ۞ إِنَّ لِيُحِنَّ ٱلْمُعَنَّ وَمُنْظِلَ ٱلْكِيلِلَ وَلَوْحَكَيْرَهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ OND TO WE DO THE

والسلام، يتضرع إلى الله ويتبتل ويقول: ﴿رب لو شَنْت أهلكتهم من قبل﴾ أن يحضروا ويكونوا في حالة يعتذرون فيها لقومهم، فصاروا هم الظالمين ﴿أَتُهِلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءَ مِنَا﴾ أي: ضعفاء العقول، سفهاء الأحلام، فتضرع إلى الله واعتذر بأن المتجرئين على الله ليس لهم عقول كاملة، تردعهم عما قالوا وفعلوا، وبأنهم حصل لهم فتنة يخطر بها الإنسان، ويخاف من ذهاب دينه فقال: ﴿إِن هِي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين اي: أنت خير من غفر، وأولى من رحم، وأكرم من أعطى وتفضل، فكأن موسى عليه الصلاة والسلام قال: المقصوديا رب بالقصد الأول لنا كلنا، هو التزام طاعتك والإيمان بك، وأن من حضره عقله ورشده، وتم على ما وهبته من التوفيق، فإنه لم يزل مستقيماً، وأما من ضعف عقله، وسفه رأيه، وصرفته الفتنة، فهو الذي فعل ما فعل، لذينك السببين، ومع هذا فأنت أرحم الراحمين، وخير الغافرين، فاغفر لنا

﴿١٥٦﴾ فأجاب الله سؤاله، فلم يزل موسى عليه الصلاة وأحياهم من بعد موتهم، وغفر لهم

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَيْ مُحِدُّكُم بِأَلْفِ مِنَ ٱلْكُنِّيكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَاجَعَكُهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشَرَىٰ وَلِتَظْمَينَ بِدِعَلُوبُ كُمُّ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّامِنْ عِندِ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَيْنِزُ حَرِيدُ ۞ إِذْ يُعَشِّيكُمُ ٱلنَّعَاسَ أَمَنَكُ مِنْهُ وَيُتَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ ٱلسَّمَآء مَآءُ لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُو رِجْزَالشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَ تَلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِدِ ٱلْأَفْدَامَ ۞ إِذْ يُوحِي رَثُكِ إِلَى ٱلْمُلَنِّ كَمْ أَلْنَ مَعَكُمْ فَيْتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأَلَقِ فِ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَنُواْ ٱلرُّغِبَ فَأَضْرِيُواْ فَوَ ٱلْأَعْسَاقِ وَلَمْرِهُ أَمِنْهُ مُكُلِّ بَسَانِ ۞ ذَٰ لِكَ بِأَنَّهُ مُ شَسَآ قُواْ أَلْهَ وَزَسُولَهُ وَمَن يُشَافِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَكِيدُ ٱلْمِعَىٰابِ ۞ ذَالِكُمْ مَذَوْقُوهُ وَأَنَ لِلْكَامِينِ عَنَابُ ٱلنَّادِ ۞ يَنَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامْتُوٓ الْإِلَالَقِيتُ مُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفَا فَلَاثُوْلُوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَنْ يُوَلِّمْ يُوْمِيْرُ وَمِيْدٍ دُبُرَهُ وَإِلَّا مُتَحَدِقًا لِقِتَ إِلَى أَوْمُتَحَدِيًّا إِلَّا فِسَوَفَقَدْ بَآةَ بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَلُهُ جَهَنَّا أُو وَيِثْسَ ٱلْمَيِيرُ ۞ PROPERTY WESTER

ذنوبهم، وقال موسى في تمام دعائه: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ﴾ من علم نافع، ورزق واسع، وعمل

﴿وفي الآخرة ﴾ حسنة وهي ما أعد الله لأوليائه الصالحين من الثواب. ﴿إنا هدنها إليك﴾ أي: رجعنا مقرين بتقصيرنا، منيبين في جميع أمورنا

﴿قَالُ ﴾ الله تعالى: ﴿عذابي أصيب به من أشاء﴾ ممن كان شقياً، متعرضاً لأسبابه، ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ من العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ المعاصي، صغارها وكبارها.

﴿ ويسؤتون الركاة ﴾ الواجبة مستحقيها ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي ﷺ ظاهراً وباطناً، في أصول الدين وفروعه.

﴿١٥٧﴾ ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي احتراز عن سائر الأنبياء، فإن المقصود بهذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ

والسياق في أحوال بني إسرائيل

وأن الإيمان بالنبي محمد ﷺ شرط في دخولهم في الإيمان، وأن المؤمنين به المتبعين، هم أهل الرحمة المطلقة، التي كتبها الله لهم، ووصفه بالأمي لأنه من العرب الأمة الأمية، التي لا تقرأ ولا تكتب، وليس عندها قبل القرآن

﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، باسمه وصفته، التي من أعظمها وأجلها، ما يدعو إليه وينهى عنه. وأنه ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ وهو كل ما عرف حسنه وصلاحه

﴿وينهاهم عن المنكر﴾ وهو: كل ما

عرف قبحه في العقول والفطر، فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحسج، وصلمة الأرحام، وبسر الموالدين، والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والتصدق، والتعفّاف، والبر، والنصيحة، وما أشبه ذلك، وينهى عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والزنا، وشرب ما يسكر العقل، والظلم لسائر الخلق، والكذب، والفجور، ونحو ذلك.

فأعظم دليل يبدل عبلي أنبه رسول الله، ما دعا إليه وأمر به، ونهى عنه، وأحله وحرّمه، فإنه ﴿ يُحِلُ لَهُم الطيبات) من المطاعم والمشارب، والمناكح .

﴿ويحرم عليهم الخبائث من المطاعم والمشارب والمناكح، والأقوال و الأفعال .

﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم أي: ومن وصفه أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال .

﴿فَالَّذِينَ آمِنُوا بِهِ وَعَزِرُوهِ ﴾ أي: عظموه وبجلوه وونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه الهو القرآن، الذي يستضاء به في ظلمات الشك والجهالات، ويقتدى به إذا تعارضت المقالات، ﴿أولئك هم المفلحون﴾ الظافرون بخير المدنيا والأخرة،

والناجون من شرهما، لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح.

وأما من لم يؤمن بهذا النبي الأمي، ويعزره وينصره، ولم يتبع النور الذي أنزل معه، فأولئك هم الخاسرون.

ولما دعا أهل التوراة من بني إسرائيل إلى اتباعه، وكان ربما توهم متوهم أن الحكم مقصور عليهم، أتى بما يدل على العموم فقال: ﴿قل يا أيها الناس إن رسول الله إليكم جميعاً ﴾ أي: عربيكم، وعجميكم، أهل الكتاب منكم، وغيرهم.

﴿اللَّذِي لِنَّهُ مِلْكُ الْسِمَاوات والأرض المتصرف فيهما بأحكامه الكونية والتدابير السلطانية، وبأحكامه الشرعية الدينية التي من جملتها: أن أرسل إليكم رسولا عظيما يدعوكم إلى الله وإلى دار كرامته، ويحذركم من كل ما يباعدكم منه، ومن دار كرامته.

ولا إله إلا هو أي: لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، ولا تعرف عبادته إلا من طريق رسله، ﴿ يُحيى ويسميت ﴾ أي: من جملة تدابيرة: الإحياء والإماتة، التي لا يشاركه فيها أحد، الذي جعل الموت جسراً ومعبراً يعبر منه إلى دار البقاء، التي من آمن بها صدق الرسول محمداً ﷺ قطعاً.

﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى﴾ إيماناً في القلب، متضمناً لأعمال القلوب والجوارح ﴿الذي يؤمن بالله وكلماته ﴾ أي: آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله، ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون) في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالاً بعيداً.

﴿١٥٩﴾ ﴿ومن قوم موسىٰ أمة﴾ أي: جماعة ﴿ يهدون بالحق وبه يعدلون اي: يهدون به الناس في تعليمهم إياهم وفتواهم لهم، ويعدلون به بينهم في الحكم بينهم، بقضاياهم، كما قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ وفي هذا فضيلة لأمة موسى عليه الصلاة والسلام، وأن الله تعالى

الجزء التاسع كم

جعل منهم هداة يهدون بأمره.

وكأن الإتيان صِذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فیما تقدم جملة من معایب بن*ی* إسرائيل، النافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

﴿١٦٠﴾ ﴿وقسط مناهم ﴾ أي: قسمناهم ﴿اثنتي عشرة أسباطاً أعام ﴾ أي: اثنتي عشرة قبيلة متعارفة متوالفة، كل بني رجل من أولاد يعقوب قبيلة. ﴿وَأُوحِينَا إِلَى مُوسِيِّ إِذْ استسفاهُ قومه ﴾ أي: طلبوا منه أن يدعو الله تعالى، أن يسقيهم ماءً يشربون منه وتشرب منه مواشيهم، وذلك لأنهم _ والله أعلم _ في محل قليل الماء .

فأوحى الله لموسئ إجابة لطلبتهم ﴿أَن اضرب بعصاك الحجر﴾ يحتمل أنه حجر معين، ويحتمل أنه اسم جنس، يشمل أي حجر كان، فضربه ﴿فانبجست ﴿ أي: انفجرت من ذلك الحجر ﴿ اثنتا عشرة عيناً ﴾ جارية سارحة.

﴿قد علم كل أناس مشربهم ﴾ أي: قد قسم على كل قبيلة من تلك القبائل الاثنتي عشرة، وجعل لكل منهم عيناً، فعلموها واطمأنوا، واستراحوا من التعب والمزاحمة، والمخاصمة، وهذا من تمام نعمة الله عليهم.

﴿ وظللنا عليهم الغمام ﴾ فكان يسترهم من حر الشمس ﴿وأنزلنا عمليهم المن﴾ وهمو الحملوي، ﴿والسلوي﴾ وهو لحم طير من أحسن أنواع الطيور وألذها، فجمع الله لهم بين الظلال، والشراب، والطعام الطيب، من الحلوى واللحوم، على وجه الراحة والطمأنينة .

وقيل لهم: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم وماظلمونا بحيرلم يـشكروا الله، ولم يـقـومـوا بـمـأ أوجب الله عليهم.

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

حیث فوتوها کل خیر ، وعرضوها للشر والنقمة، وهذا كان مدة لبثهم في التيه .

﴿١٦١﴾ ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ أي: ادخلوها لتكون وطناً لكم ومسكناً، وهي «إيلياء» ﴿وكلوا منها حيث شئتم ﴿ أي: قرية كانت كثيرة الأشجار، غزيرة الثمار، رغيدة العيش، فلذلك أمرهم الله أن يأكلوا منها حيث شاؤوا.

﴿ وَقُولُوا ﴾ حين تدخلونُ الياب: ﴿حطة﴾ أي: احطط عنا خطايانا، واعف عنا.

﴿وادخلوا الباب سجداً ﴾ أي: خاضعين لربكم مستكينين لعزته، شاكرين لنعمته، فأمرهم بالخضوع وسؤال المغفرة، ووعدهم على ذلك مغفرة ذنوبهم والثواب العاجل والآجل فقال: ﴿نغفر لكم خطيماتكم سنزيد المحسنين، من خير الدنيا والآخرة، فلم يمتثلوا هذا الأمر الإلهي، بل ﴿بِدُلُ الذِّينِ ظِلْمُوا مِنْهُم ﴾ أي: عصوا الله واستهانوا بأمره ﴿قُولاً غَير الذي قيل لهم الفالوا بدل طلب المغفرة، وقولهم: ﴿حطة﴾ ، (حبة في شعيرة)، وإذا بدلوا القول _مع يسره وسهولته _ فتبديلهم للفعل من باب أولى، ولهذا دخلوا وهم يزحفون على أستاههم.

﴿ فَأُرْسِلْنَا عِلْيُهِم ﴾ حين خالفوا أمر الله وعصوه ﴿ رَجِزاً مِن السماء ﴾ أى: عذاباً شديداً، إما الطاعون وإما غيره من العقوبات السماوية.

وما ظلمهم الله بعقابه وإنما كان ذلك ﴿بما كأنوا يظلمون ﴾ أي: يخرجون من طاعة الله إلى معصيته، من غير ضرورة ألجأتهم ولاداع دعاهم سوى الخبث والشر الذي كان كامناً في

نفوسهم. ﴿١٦٣﴾ ﴿واسألهم ﴾ أي: اسأل بنى إسرائيل ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ أي: على سأحله في حال تعديهم وعقاب الله إياهم.

٨ يُولِعُ الْأَلْتُكُلِكُ } فَلَرْتَفْتُ لُوهُمْ وَلَكِنَّ أَلْقَاقَتُكُهُمْ وَمَارَمَيْتِ إِذْ رَمَيْتِ وَلَكِنَ اللَّهُ زَيَّنُ وَلِيسُهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَكُلَّةً حَسَنَّا إِنَّ أَنَّهُ سَكِيعٌ عَلِيدٌ ۞ ذَٰلِكُمْ وَأَنَ اللَّهُ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَافِينَ ۞ إِن تَسْتَفْنِحُواْفَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْهُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرًا لَّكُمُّ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدُ وَلَن تُغُمِّ عَلَيْ فِنَاتُكُمْ شَيْنَا وَلَوْكَ ثُرُتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِيْونَ ۞ يَّنَانُهُا ٱلَّذِيبَ ، امُّنَّوْا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا وَلَوْ أَوْاعَنْهُ وَأَلَّمُ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَايَسْمَعُونَ۞ • إِنَّ شَرَّالدَّوَآتِ عِندَاسُّوالصُّهُ ٱلْبُحْتُمُ ٱلَّذِينَ لَايَمْ قِلُونَ ۞ وَلَوْعَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ حَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمٌّ وَلَوْأَسْمَعَهُ مُنْتُولُواْ وَهُم مُعْمِنُونَ ﴿ يَنَالُهُ الَّذِينَ مَامَنُوا أَسْنَجِهِ بُوا يَدَو وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمُ لِلَا يُحِيِّدِكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ اللَّهُ وَقَلْ وَوَلَيْهِ وَالْمُعُوالَةِ وَ الْمُنْتَرُونَ ۞ وَاتَّـ قُولَفِتْنَةً لَانْقِيدِتَ الَّذِي ظَلْمُوا أَلَّهُ مُ مِنكُمْ مَأْمَالُمُ وَأَعْلَمُوا أَنَ اللَّهُ مَسُدِيدُ ٱلْمِقَابِ ONDOOR WEDGE

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبِّ وَكَانَ اللهُ تعالى قد أمرهم أن يعظموه ويحترموه ولا يصيدوا فيه صيداً، فابتلاهم الله وامتحنهم، فكانت الحيتان تأتيهم ﴿يوم سبتهم شرعاً﴾ أي: كثيرة طافية على وجه البحر .

﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي: إذا ذهب يوم السبت ﴿لا تأتيهم ﴾ أي: تذهب في البحر فلا يرون منها شيئاً ﴿كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون، ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم (١) الله، وأن تكون لهم هذه المحنة، وإلا فلو لم يفسقوا، لعافاهم الله، ولما عرضهم للبلاء والشر، فتحيلوا على الصيد، فكانوا يحفرون لها حفراً، وينصبون لها الشباك، فإذا جاء يوم السبت ووقعت في تلك الحفر والشباك، لم يأخذوها فى ذلك اليوم، فإذا جاء يوم الأحد أُخَذُوها، وكثر فيهم ذلك، وانقسموا ثلاث فرق:

﴿١٦٤﴾ معظمهم اعتدوا وتجرؤوا، وأعلنوا بذلك.

وفرقة أعلنت بنهيهم والإنكار

وفرقة اكتفت بإنكار أولئك عليهم، ونهيهم لهم، وقالوا لهم: ﴿ لَمُ تَعَظُونَ قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ﴾ كأنهم يقولون: لا فأثدة في

وعظ من اقتحم محارم الله، ولم يصغ للنصيح، بل استمر على اعتدائه وطغيانه، فإنه لا بدأن يعاقبهم الله، إما بهلاك أو عذاب شديد.

فقال الواعظون: نعظهم وننهاهم (معذرة إلى ربكم) أي: لنعذر فيهم.

﴿ولعلهم يتقون﴾ أي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم، فربما نجع فيهم الوعظ، وأثر فيهم اللوم.

وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي.

﴿ فلما نسواما ذكروابه أي: تركواما ذكروابه، واستمروا على غيهم واعتدائهم.

﴿أنجينا ﴾ من العذاب ﴿الذين ينهون عن السوء ﴾ وهكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

﴿وأخذنا الذين ظلموا ﴾ وهم الذين اعتدوا في السبت ﴿بعذاب بئيس﴾ أي. شديد ﴿بما كانوا يفسقون ﴾

وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين: ﴿ لَم تعظون قوماً الله مهلكهم ﴾ فاختلف المفسرون في نجابم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين، لأن الله خص الهلاك

بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون، بعدهم خلف. فلدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في بعدهم (الكتاب السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي إليهم، وصاروا عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بأهوائهم، وتبذل البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا ويحكموا بغير ابانكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم الرشوة.

بقولهم: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ﴾ فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله ميعاقبهم أشد العقوبة.

﴿١٦٦﴾ ﴿فلماعتواعمانهوا

عنه اي: قسوا فيلم يلينوا

ولا اتعظوا، ﴿قلنالهم﴾ قولاً قدرياً: إ ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ فانقلبوا ؛ بإذن الله قردة، وأبعدهم الله من مرحته، ثم ذكر ضرب الذلة والصغار على من بقي منهم فقال: ﴿وإذ تأذن ربك﴾ أي: أعلم إعلاماً صريحاً: م ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من

يسومهم سوء العذاب أي: يهينهم ويذلهم.

(إن ربك لسريع العقاب لمن عصاه، حتى إنه يعجل له العقوبة في الدنيا. (وإنه لغفور رحيم لمن تاب عليه العيوب، ويرحمه بأن يتقبل منه الطاعات، ويشيبه عليها بأنواع المثوبات، وقد فعل الله بهم ما أوعدهم به، فلا يزالون في ذل وإهانة تحت حكم غيرهم، لا تقوم لهم راية، ولا ينصر لهم عَلَمٌ.

﴿١٦٨﴾ ﴿ وقطعناهم في الأرض أيماً ﴾ أي: فرقناهم ومزقناهم في الأرض بعدما كانوا مجتمعين، ﴿ منهم الصالحون﴾ القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ﴿ ومنهم دون ذلك﴾ أي: دون الصلاح، إما مقتصدون، وإما ظالمون لأنفسهم، ﴿ وبلوناهم ﴾ على عادتنا وسنتنا، ﴿ بالحسنات والسيئات ﴾ أي: بالعسر واليسر.

﴿لعلهم يرجعون﴾ عما هم عليه مقيمون من الردي، يراجعون ما خلقوا له من الهدى، فلم يزالوا بين صالح وطالح ومقتصد، حتى خلف من

بعدهم خلف. زاد شرهم ﴿ورثوا﴾ بعدهم ﴿الكتاب﴾ وصار المرجع فيه إليهم، وصاروا يتصرفون فيه بأهواتهم، وتبذل لهم الأموال، ليفتوا ويحكموا بغير الحق، وفشت فيهم الرشوة.

74.4

﴿يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون مقرين بأنه ذنب وأنهم ظلمة: ﴿سيغفر لنا ﴾ وهذا قول خال من الحقيقة، فإنه ليس استغفاراً وطلباً للمغفرة على الحقيقة.

فلو كان ذلك لندموا على ما فعلوا، وعزموا على أن لا يعودوا، ولكنهم -إذا أتاهم عرض آخر، ورشوة أخرى -يأخذوه.

فاشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، قال الله [تعالى] في الإنكار عليهم، وبيان جراءتهم: ﴿ أَلَمْ يَوْحُذُ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ فما بالهم يقولون عليه غير الحق اتباعاً لأهوائهم، وميلاً مع مطامعهم. ﴿وَ الحال أنهم قد ودرسوا ما فيه ﴾ فليس عليهم فيه إشكال، بل قد أتَوْا أمرهم متعمدين، وكانوا في أمرهم مستبصرين، وهذا أعظم للذنب، وأشد للوم، وأشنع للعقوبة، وهذا من نقص عقولهم، وسفاهة رأيهم، بإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، ولهذا قال: ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون الماحزم الله عليهم، من المآكل التي تصاب، وتؤكل رشوة على الحكم بغير ما أنزل أله، وغير ذلك من أنواع

وأفلا تعقلون أي: أفلا يكون لكم عقول توازن بين ما ينبغي إيثاره، وما ينبغي الإيثار عليه، وما هو أولى بالسعي إليه، والتقديم له على غيره، فخاصية العقل النظر للعواقب.

وأما من نظر إلى عاجل طفيف منقطع، يفوت نعيماً عظيماً باقياً فأنى له العقل والرأى؟!!

وإنما العقلاء حقيقة من وصفهم الله بقوله: ﴿والذين يمسكون

بالكتاب أى: يتمسكون به علما قرنا بعد قرن. وعملاً، فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار التي علمها أشرف العلوم.

ويعملون بما فيها من الأوامر التي هى قرة العيون وسرور القلوب، وأفسراح الأرواح، وصلاح السدنسيا والآخرة.

ومن أعظم ما يجب التمسك به من المأمورات إقامة البصلاة، ظباهم أ وباطناً، ولهذا خصها الله بالذكر لفضلها وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات.

ولما كان عملهم كله إصلاحاً، قال تعالى: ﴿إِنَا لَا نَضِيعِ أَجِرِ المصلحينِ﴾ فى أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، مصلحين لأنفسهم ولغيرهم.

وهذه الآية وما أشبهها دلّت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضآر، وأنهم بعشوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم.

﴿١٧١﴾ ثم قال تعالى: ﴿وإِذْ نتقنا الجبل فوقهم، حين امتنعوا من قبول ما في التوراة .

فألزمهم الله العمل ونتق فوق رؤوسهم الجبل، فصار فوقهم ﴿كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم > وقيل لهم: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ أي: بجد واجتهاد.

﴿واذكروا ما فيه ﴾ دراسة ومباحثة ، واتصافاً بالعمل به ﴿لعلكم تتقون﴾ إذا فعلتم ذلك.

﴿١٧٢﴾ ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ، يقول تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون

﴿و﴾ حين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم

قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف

فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة، ولهذا ﴿قالوا بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾

أي: إنما امتحناكم حتى أقررتم بما تقرر عندكم، من أن الله تعالى ربكم، خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تقروا بشيء من ذلك، وتزعمون أن حجة الله ما قامت عليكم، ولا عندكم بها علم، بل أنتم غافلون عنها لاهون.

فاليوم قد انقطعت حجتكم، وثبتت الحجة البالغة لله عليكم، أو تحتجون أيضاً بحجة أخرى، فتقولون: ﴿إِنَّمَا أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم، فحذونا حذوهم، وتبعناهم في باطلهم.

﴿أَفْتَهَلَّكُنَا بِمَا فَعَلَّ الْمِطْلُونِ ﴾ فقد أودع الله في فطركم ما يدلكم على أن ما مع آبائكم باطل، وأن الحق ما جاءت به الرسل، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم، ويعلو عليه.

نعم قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين ومذاهبهم الفاسدة ما يظنه هو الحق، وما ذاك إلا لإعبراضه، عن حجج الله وبيناته وآياته الأفقية والنفسية، فإعراضه عن ذلك، وإقباله على ما قاله المبطلون، ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق، هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات.

وقد قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتج عليهم بما أقروا

النافاة ٨ منوالتك وَمَا لَهُمْ أَلَا يُعُكِنِّهِ مُواللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّ وَنِكَ عَنِ ٱلْمُسْجِدِ أُ الْحَدَادِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيآ ءَ مُرِانَ أَوْلِيآ وُمُواِلَّا لَكُنْ غُونَ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْنَهُ لَا يَعْدَلُونَ ۞ وَمَاكَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَالْكِيْتِ إِلَّامُكَاآءَ وَتَصْدِينَهُ مَذُوقُوا الْعَذَابَ عِمَا كُنتُرْتَكُفُرُونَ ﴿ إِنَّالَّذِينَ كَغَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ لِيَصُدُواْعَن سَكِيلِ أَلَةً فَسَيُنفِقُونَهَا ثُعَرَّكُونُ عَلَيْهِ وَحَسْرَةً ثُمَّرُيْفَ لَبُونَ وَالَّذِيكَ كَفَسُرُواْ إِلَى جَهُمَّ يُحْشَرُونِ ۞ لِيكِيزَأَلْقَهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيْبِ وَيَجْعَلُ أنخيت بفض أبتل بقض فيزك مند بجيت فيجعك الله عَهَنَّ مَأْ وَلَلِكَ هُمُ الْعَنْدُونِ ۞ قُل لِلَّذِيكَ كَفَرُوا إِن كِنْهُوا يُغْفَرُ لِمُكْمِمًا فَكُ سَكَفَ وَإِن يُّ يَتُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوْلِينَ ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَقَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْتُ قُويَكُونَ الدِّيثُ كُلَّةُ بِيَّةُ فَإِن أَسَكَةُواْ فَإِنَّ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَمَابَ تُولُّواْ الله المُعَامَوا أَنَ اللهُ مَوْلَدَكُمُ فِي مُالْوُلُ وَفِي مَالِيِّهِ فِي A COLUMN TO THE SECOND

به في ذلك الوقت على ظلمهم في كفرهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة، ولكن ليس في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك.

فإن هذا العهد والميشاق، الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره، حين كانوا في عالم كالذر، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمى، فكيف يحتج الله عليهم بأمرليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟!! ولهذا لما كنان حذا أمراً واضحاً جلياً، قال تعالى: ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي: نبينها ونوضحها، ﴿ولعلهم يرجعون﴾ إلى ما أودع الله في فيطرهم، وإلى منا عاهدوا الله عليه، فيرتدعون عن القبائح.

﴿١٧٥﴾ ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون، يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾

A STATE OF THE PARTY OF THE PAR • وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَيْمَتُم مِن شَيْءِ فَأَكَ لِقَوْحُسُكُ وَلِلْرَسُولِ وَلِذِى ٱلْمُدَرِينَ وَٱلْمُتَكَنَّى وَٱلْمَسَكِينِ وَآيْنِ ٱلسَّهِيلِ إِنْ كَنْتُمْ ءَامَنْتُ مِ إِنَّهِ وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ نَوْمَ ٱلْتَغَى ٱلْجَمْعَ اللَّهِ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرً ۞ إِذْ أنشُد بِٱلْمُ وَوَالدُّنْ وَهُم بِٱلْمُ وَوَالْفُصُوعَ وَالرَّكُ أسْفَلَ مِنكُمّْ وَلَوْتَوَاعَكَتُّمْ لَأَخْتَكَفْتُ وَفِ ٱلْمِعَكَةِ وَلَهِ إِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْ إِسكَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَيْنَ وَيَعْنِي مَنْ حَتِعَنْ يَيْنَ فُو وَالْ اللَّهُ لَسَيِيمُ عَلِيهُ ۞ إِذْ يُرْبِكُهُ مُرَالِقَةُ فِ مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَ حُرُكَيْنِ لَفَيْ لَتُمْ وَلَنَنَازَعْنُهُ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَكِنَا ٱللَّهَ سَالَّمُ إِنَّهُ عَلِيدٌ إِذَاتِ ٱلسُّهُ دُولِ ۞ وَاذَ يُرِيكُنُوهُمْ إذالْتَيَنَّدُونَ أَعْيُنِكُمْ قِلِيلًا وَيُقَلِلُكُدُونَ أَعْدُوهِ لِيَقْمِو اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ رُزِّحَهُ ٱلْأَمُورُ ﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَاكُنُوا إِذَا لَقِيتُ مُونَكُ فَأَتْ بُتُوا وَاذْكُرُوا اللّهَ كَيْدِيرَا لَعَلَكُونُفَالِحُونَ ۞ A DE LOS INTERPRESENTA

أي: علمناه علم كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النحرير.

﴿فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان﴾ أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإن العلم بذلك، يصير صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزاً. ﴿فكان من الراشدين المرشدين، وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة، فيتحصن من أعدائه.

﴿ ولكنه ﴾ فعل ما يقتضي الخذلان، فأخلد إلى الأرض، أي: إلى الشهوات السفلية، والقاصد الدنيوية، ﴿ واتبع هواه ﴾ وترك طاعة مولاه، ﴿ فمثله ﴾ في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، ﴿ كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي: لا يزال لامثاً في كل حال، وهذا لا يزال

حريصاً حرصاً قاطعاً قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا.

﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ بعد أن ساقها الله إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على الله، واتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من الله.

﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيات، فإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا.

﴿١٧٧﴾ ﴿ساء مثلاً القوم الذين

كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون أي: ساء وقبح، مشل من كذب بآيات الله، وظلم نفسه بأنواع المعاصي، فإن مثلهم مثل السوء، وهذا الذي أتاه الله آياته، يحتمل أن المراد به شخص معين، قد كان منه ما ذكره الله، فقص الله قصته تنبيها للعباد. ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس، وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها.

وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى، وإخلاد العبد إلى الشهوات، يكون سبباً للخذلان.

﴿١٧٨﴾ ثم قال تعالى مبيناً أنه المنفرد بالهداية والإضلال: ﴿من يهد الله بأن يوفقه للخيرات، ويعصمه من المكروهات، ويعلمه ما لم يكن يعلم ﴿فهو المهتدي ﴾ حقاً لأنه آثر هدايته تعالى، ﴿ومن يضلل ﴾ فيخذله ولا يوفقه للخير ﴿فأولئك هم الخاسرون ﴾ لأنفسهم وأهليهم يوم الخياة، ألا ذلك هو الخسران المين.

﴿١٧٩﴾ ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ تعالى مبيناً كثرة الخاوين الضالين،

المتبعين إبليس اللعين: ﴿ولقد ذرأنا﴾ أي: أنشأنا وبثثنا ﴿لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ صارت البهائم أحسن حالة منهم.

﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ أي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة.

﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها وفائدتها.

﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ سماعاً يصل معناه إلى قلوبهم.

﴿أُولِئُكُ الذين بهذه الأوصاف القبيحة ﴿كَالأَنْعَام ﴾ أي: البهائم، التي فقدت العقول، وهؤلاء آثروا ما يغنى على ما يبقى، فسلبوا خاصية العقل.

﴿بل هم أضل﴾ من البهائم، فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان تدرك بها، مضرتها من منفعتها، فلذلك كانت أحسن حالاً منهم. ﴿أُولِئُكُ هم الغافلون﴾ الذين غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره.

خلقت لهم الأفشدة والأسماع والأبصار، لتكون عوناً لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود.

فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا بمن ذرأ الله لجهنم وخلقهم لها، فخلقهم للنار، وبأعمال أهلها يعملون.

وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة الله، وانصبغ قلبه بالإيمان بالله ومجبته، ولم يغفل عن الله، فهؤلاء أهل الجنة يعملون.

﴿١٨٠﴾ ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علماً محضاً لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة

منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها.

وذلك نحو «العليم» الدال على أن له علماً محيطاً عاماً لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

واكالرحيم، الدال على أن له رحمة عظيمة واسعة لكل شيء.

واكالقدير؛ الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك.

ومن تمام كونها «حسنى» أنه لا يبدعن إلا بها، ولنذلك قبال: ﴿ فادعوه بها ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علي يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك.

وقوله: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ أي: عقوبة وعذاباً على إلحادهم في أسمائه، وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لا ألهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، ويحذر اللحدون فيها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي على المحدود فيها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي المحدود فيها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي المحدود فيها، وقد ثبت في الصحيح من أحصاها دخل الجنة،

﴿١٨١﴾ وقوله: ﴿وىمن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ أي: ومن جملة من خلقنا أمة فاضلة كاملة في نفسها، مكملة لغيرها، يهدون أنفسهم وغيرهم بالحق، فيعلمون الحق ويعملون به، ويعلمونه، ويدعون إليه وإلى العمل به.

﴿وبه يعدلون﴾ بين الناس في أحكامهم إذا حكموا في الأموال والدماء والحقوق والمقالات، وغير ذلك، وهولاء هم أشمة الهدى، عليهم بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهم الدين مرتبتهم تلي مرتبة الرسالة، وهم في أنفسهم مراتب متفاوتة كل بحسب حاله وعلو منزلته، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

﴿١٨٢﴾ ﴿والذين كذبوا بآباتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقتربَ أجلهم فبأي: حديث بعده يؤمنون * من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعممهون، أي: والذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة ما جاء به محمد ﷺمن الهدي فردوها ولم يقبلوها. ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون بأن يدر لهم الأرزاق. ﴿وأملي لهم﴾أي: أمهلهم حتى يظنوا أنهم لا يوخذون ولا يعاقبون، فيزدادون كفراً وطغياناً، وشراً إلى شرهم، وبذلك تزيد عقوبتهم، ويتضاعف عذابهم، فيضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون، ولهذا قال: ﴿إِنْ كَيْدِي مِتِينَ ﴾ أي: قوي بليغ.

﴿ ١٨٤﴾ ﴿ أُولُم يست فسكروا ما بصاحبهم ﴾ محمد ﷺ ﴿ من جنّه ﴾ أي: أو لم يعملوا أفكارهم، وينظروا هل في صاحبهم الذي يعرفونه ولا يخفي عليهم من حاله شيء، هل هو مجنون؟ فلينظروا في أخلاقه وهديه، ودلّه وصفاته، وينظروا في ما دعا إليه، فلا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها، ولا من الأخلاق إلا

أتمها، ولا من العقل والرأي: إلا ما فاق به العالمين، ولا يدعو إلا لكل خير، ولا ينهي إلا عن كل شر.

أفبهذا يا أولي الألباب من جنة؟!! أم هو الإمام العظيم والناصح المبين، والماجد الكريم، والرؤوف الرحيم؟!! ولهذا قال: ﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ أي: يدعو الخلق إلى ما ينجيهم من العذاب، ويحصل لهم الثواب.

﴿ ١٨٥﴾ ﴿ أُولَمْ يُنظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾ فإنهم إذا نظروا إليها وجدوها أدلة دالةً على توحيد ربها، وعلى ماله من صفات الكمال.

و كذلك لينظروا إلى جميع أما خلق الله من شيء فإن جميع أجزاء العالم يدل أعظم دلالة على علم الله وقدرته وحكمته وسعة رحمته، وإحسانه، ونفوذ مشيئته، وغير ذلك من صفاته العظيمة، الدالة على تفرده بالخلق والتدبير، الموجبة لأن يكون هو المعبود المحمود، المسبح الموحد المحبوب.

وقوله: ﴿وأن عسىٰ أن يكون قد اقترب أجلهم﴾أي: لينظروا في خصوص حالهم، وينظروا لأنفسهم قبل أن يقترب أجلهم، ويفجأهم الموت وهم في غفلة معرضون، فلا يتمكنون حينئذٍ من استدراك الفارط.

﴿فبأي: حديث بعده يؤمنون﴾ أي: إذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب الجليل، فبأي: حديث يؤمنون به؟!! أبكتب الكذب والضلال؟ أم بحديث كل مفتر دحال؟

ولكن الضال لا حيلة فيه، ولا سبيل إلى هدايته، ولهذا قال تعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾أي: متحيرين (١٠ يترددون، لا يخرجون منه ولا يهتدون إلى حق.

﴿ ١٨٧﴾ ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجلّيها لوقتها إلا هو ثقلت في

السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفيَّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون * قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يومنون * يقول تعالى لرسوله عمد الله المكذبون لك، المتعنتون ﴿عن الساعة أيان مرساها ﴾ أي: متى وقتها الذي أيان مرساها أي: متى وقتها الذي

ولا إنما علمها عند ربي أي: إنه تعالى مختص بعلمها، ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾ أي: لا يظهرها لوقتها الذي قدر أن تقوم فيه إلا هو.

﴿ثقلت في السماوات والأرض﴾ أي: خفي علمها على أهل السماوات والأرض، واشتد أمرها أيضاً عليهم، فهم من الساعة مشفقون.

﴿لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ أي: فجأة من حيث لا تشعرون، لم يستعدوا لها، ولم يتهيؤوا لقيامها.

﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ أي: هم حريصون على سؤالك عن الساعة، كأنك مستحف عن السؤال عنها، ولم يعلموا أنك _ لكمال علمك بربك، وما ينفع السؤال عنه _ غير مبال بالسؤال عنها، ولا حريص على ذلك، وليكفون عن الاستحفاء عن هذا السؤال الخالي من المصلحة المتعذر علمه، فإنه لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وهي من الأمور التي أخفاها الله عن الخلق، لكمال حكمته وسعة علمه.

﴿قل إنما علمها عند الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلذلك حرصوا على ما لا ينبغي الحرص عليه، وخصوصاً مثل حال هؤلاء الذين يتركون السؤال عن الأهم،

ويدعون ما يجب عليهم من العلم، ثم يذهبون إلى مالا سبيل لأحد أن يدركه، ولا هم مطالبون بعلمه.

﴿١٨٨﴾ ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ﴾ فإني فقير مدبر، لا يأتيني خير إلا من الله، ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني الله تعالى.

﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع، ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما تفضي

ولكني _ لعدم علمي _ قد ينالني ما ينالني من السوء، وقد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، في لذا أدلُ دليل على أني لا علم لي بالغيب.

﴿إِن أَنا إِلا نذير﴾ أنذر العقوبات الدينية والدنيوية والأخروية، وأبين الأعمال المفضية إلى ذلك، وأحذر منها.

﴿وَبِشِيرِ﴾ بالشواب العاجل والآجل، ببيان الأعمال الموصلة إليه والترغيب فيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هذه البشارة والنذارة، وإنما ينتفع بذلك ويقبله المؤمنون، وهذه الآيات الكريمات، مبينة جهل من يقصد النبي ﷺ ويدعوه لحصول نفع أو دفع ض.

فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله، ولا يدفع الضر عمن لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والنذارة، وعمل بذلك، فهذا

نفعه ﷺ، الذي فاق نفع الآباء والأمهات، والأخلاء والإخوان بما حث العباد على كل خير، وحذرهم عن كل شر، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح.

﴿١٨٩﴾ ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون * أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم يَنصرون * وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون، أي: ﴿ هُو الذي خُلَقَكُم ﴾ أيها الرجال والنساء، المنتشرون في الأرض على كثرتكم وتفرقكم. ﴿من نفس واحدة﴾ وهو آدم أبو البشر ﷺ

﴿وجعل منها زوجها ﴾ أي: خلق من آدم زوجته حواء لأجل أن يسكن إليها لأنها إذا كانت منه حصل بينهما من المناسبة والموافقة ما يقتضي سكون أحدهما إلى الآخر، فانقاد كل منهما إلى صاحبه بزمام الشهوة.

﴿فلما تغشاها﴾ أي: تجللها مجامعاً لها قدر الباري أن يوجد من تلك السهوة وذلك الجماع النسل، [وحينئذ] (١) ملت حمل خفيفاً، وذلك في ابتداء الحمل، لا تحس به الأنثى، ولا يثقلها.

﴿فلما﴾ استمرت به و ﴿أثقلت﴾ به حين كبر في بطنها، فحيننذ صار في قلوبهما الشفقة على الولد، وعلى خروجه حياً صحيحاً، سالماً لا آفة فيه (٢٠) [كذلك]، فدعوا ﴿الله ربهما لئن آتيتنا﴾ ولدا ﴿صالحاً﴾ أي: صالح

الخلقة تامها، لا نقص فيه ﴿لنكونن من الشاكرين﴾

﴿ فلما آتاهما صالحاً ﴾ على وفق ما طلبا، وتمت عليهما النعمة فيه ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ أي: جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذّي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقرَّ به أعين والديه، فعبَّداه لغير الله. إما أن يسمياه بعبدغیر الله که اعبد الحارث، و"عبد العزيز"(١) و"عبد الكعبة" ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة، بعدما منَّ الله عليهما بما منَّ من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد.

وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيراً، فلذلك قررهم الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس . واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجاً، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه، ويلتذبه، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة، والأولاد والنسل.

شم أوجد النذريسة فسي بسطون الأمهات، وقتاً موقتاً، تنشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجه سوياً صحيحاً، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم .

أفلا يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا به في عبادته أحداً، ويخلصوا له الدين، ولكن الأمر جاء على العكس، فأشركوا بالله من ﴿ بَحْلَقَ شَيِئًا وَهُمَ يَخْلُقُونَ * ولا يستطيعون لهم) أي: لعابديها ﴿نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾

فإذا كانت لا تخلق شيئاً، ولا مثقال ذرة، بل هي مخلوقة،

ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن من يعبدها، بلولا عن أنفسها، فكيف تتخذمم الله آلهة؟!! إن هذا إلا أظلم الظلم، وأسفه السفه.

وإن تدعوا، أيها المشركون هذه الأصنام، التي عبدتم من دون الله ﴿إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون، فصارً الإنسان أحسن حالة منها، لأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تهدى ولا تُهدَى، وكل هذا إذا تصوره اللبيب العاقل تصوراً مجرداً، جزم ببطلان إلهيتها، وسفاهة من عبدها.

﴿ ١٩٤ - ١٩٦ ﴾ ﴿إِن السَّدِيسِن تدعون من دون الله عباد أمشالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن وليِّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وهذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونَ اللهُ عباد أمثالكم أي: لا فرق بينكم وبينهم، فكلكم عبيد لله مملوكون، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أبها تستحق من العبادة شيئاً ﴿فادعُوهُم فليستجيبوا لكم، فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوي، مفترون على الله أعظم الفرية، وهذا لا يحتاج إلى التبين فيه، فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتها دالة على أنه ليس لديها من النفع شيء، فليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيد تبطش بها، ولا أعين تبصر بها، ولا أذان تسمع بها، فهى عادمة لجميع الآلات والقوى الموجودة في الإنسان.

فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها، وهي عباد أمثالكم، بل أنتم أكمل منها وأقوى على كثير من الأشياء، فلأي:

CO HEALEST A SERVERY وَأَطِيعُوا اللَّهُ وَيُسُولُهُ وَلِالْنَازَعُوا أَنْفَشُلُواْ وَتَذْهَبُ رِعُكُمْ وَأَصْدُواْ إِنَّ أَلَّهُ مَمَ الصَّهُ بِينَ ۞ وَلِا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَيُحُ أِين دِيَك رِهِم بَعَلَ رُا وَرِينَآةَ ٱلنَّكَ إِس وَيَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ عِيظٌ ﴿ وَلَا ذَا لَنَا لَهُ مُكُمُّ ٱلشَّيْطُانُ أَعْلَلَهُمْ وَقَالَ لَاغَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمِينَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّ جَازُلُكُمْ مَّلَمَّا رَّأَءَتِ ٱلْفِئْتَ إِنْ نَكُمُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنْ بَرِعَتَ " مِنْ حَكُمْ إِنِّ أَرَىٰ مَا لَا زُوْنَ إِنَّ أَمَافُ أَمَّةُ وَأَمَّةُ شَكِيدُ ٱلْمِقَابِ ﴿ إِذْ يَكُولُ ٱلْنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِ وَمَّرَضُ عَسَرٌ هَنَّوُلْآهِ دِيثُ هُرُّ وَمَن بِتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزُ حَكِيدٌ ۞ وَلَوْتَرَقَ إِذْ يَتَوَفَّ الَّذِينَ كَفَتَرُوا الْمُلَّذِكَةُ يَضْرِيونَ وَمُحْرَهُمُ وَأَذْبَكُوهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ أَنْحَكِينِ ۞ وَالَّهِ بِمَا قَذَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ أَفَّهَ لَيْسَ بِطَلَّا مِ لِلْفَهِيدِ ۞ كَنَأْبِ ال فِنْهُونَ وَالَّذِينَ مِن مَهِ لِهِدُّ كَفُرُوا بِعَايَنتِ اللَّهِ ا فَأَحَنَهُ مُرَافَقَهُ بِذُنُوبِهِ مِرَّائِكَ أَفَدَ فَرِيٌّ شَكِيدُ الْمِقَابِ ۞ DAD TO INT LOT SEA

شيء عبدتموها.

﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون احتمعوا أنتم وشركاؤكم على إيقاع السوء والمكروه بى، من غير إمهال ولا إنظار (٢)، فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي، لأن وليَّى الله الذي يتولاني فيجلب لي المنافع ويدفع عنى المضار .

﴿الذي نزَّل الكتابِ﴾ الذي فيه الهدى والشفاء والنور، وهو من توليته وتربيته لعباده الخاصة الدينية.

﴿وهو يتولى الصالحين ﴾ الذين صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم، كما قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ فالمؤمنون الصالحون ملا تولوا ربهم بالإيمان والتقوى، ولم يتولوا غيره ممن لا ينفع ولا يضر -تولاهم الله ولطف بهم وأعانهم على ما فيه الخير والمصلحة لهم، في دينهم ودنياهم، ودفع عنهم بإيمانهم كل مكروه، كما قال تعالى: ﴿إِنْ اللهِ يدافع عن الذين

﴿١٩٧﴾ ﴿والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى السورة .

إِ ذَلِكَ بِأَنَ اللَّهَ لَزِيكُ مُغَيِّرُ لِغَمْةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمِحَةً يُغَيِّرُولُ مَا إِنْفُسِهِ وَأَنَ ٱللَّهَ سَمِيعُ عَلِيدٌ ۞ كَمَالُ ۖ قَالِ فِيْهُونَ وَالَّذِينَ مِن مَبْلِهِمْ كَنَّهُ إِعَايَاتِ رَبِّهِمْ فَأَعْلَكُمْهُم بِذُنُوبِهِ مِ وَأَغَرَقِنَا ٓ وَالَ فِيْعَوَذُ وَكُلُّ كَانُوا ظَلِمِينَ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلِدَّوَآتِ عِندَ ٱللَّوَالَّذِينَّ كُلَّكُوا فَهُمْ لَا يُوْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ عَلَهَ مَنْ مَنْهُمُ ثُرَّبَنَقُضُونِ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّهَ تَهْ وَهُزِلَائِتَا قُونَ ۞ فَإِمَّا نَتْقَفَّنَا هُرَفِي ٱلْحَسَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْخَلْفَهُ لِمَكَلَّهُ لَمَنَا لَكُمُ مَيْنَكُ رُونَ ﴿ وَلِمَّا تَخَافَنَ مِن فَوَرِجِيَانَةُ فَأَنِكُ إِلَيْهِ رَعَلَى سَوَّاهِ إِنَ أَقَدَ لَا يُحِبُّ ٱلْعَلَيْدِينَ ٥ وَلَا يَعْسَ مَنَّ الَّذِيكَ كَنَّرُوا سَبَقُوا إِنَّهُ مَا لَا يُعْجِرُونَ ﴿ وَأَعِدُوا لَمُ مَا أَسْتَطَعْدُ مِن قُوْقَ وَمِن رِبَ الِل ٱلْحَيْلِ رُهِبُونَ بِهِ عَدُوً اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَمَا خَرِيرَ مِن دُونِهِمْ لَاتَعَكُونَهُ مُرَّا لَقَدُيْعَ لَمُهُدُّ وَمَانُنفِفُوا مِن مُتَعِوفِ سَجِيلِ لَلَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُوْوَأَنَدُو لِاتُّظَاكُونَ ۞ • وَلَدْجَنَّحُوْلِلْتَكِيرِ } فَأَجْنَعْ لَمَا وَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ إِنْدُمُوالسَّحِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞

المتوسمون فيك من الجمال والكمال والصدق. ﴿١٩٩﴾ ﴿خذ العقو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغى في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم،

لرسول الله على، فتحسبهم ينظرون

إليك يا رسول الله نظر اعتبار يتبين به

الصادق من الكاذب، ولكنهم

لا يبصرون حقيقتك وما يتوسمه

باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم. ﴿ وأمر بالعرف ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خسر، من صلة رحم، أوبرً شيطانه خاسئاً حسيراً، قد أفسد عليه

والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي: مصيب، أو كل ما أدركه منه . معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينيةً أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل، بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل

> وأما ما ينبغى أن يعامل به العبد شياطين الإنس والجن، فقال تعالى: ﴿٢٠٠﴾ ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم * إن

الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون * وإخوانهم يسدونهم في الغي ثم لا يقصرون)

أي: أيُّ وقت، وفي أي: حال ﴿ ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ أي: تحس منه بوسوسة وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر وإيعاز إليه. ﴿فاستعذ بالله ﴾ أي: التجيء واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه ﴿سميع﴾ لما تقول. ﴿عليم النيتك وضعفك، وقوة التجانك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى

﴿قُـل أعـوذ بـرب الـنـاس﴾ إلى آخـر

ولما كان العبد لا بدأن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطاً ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الخاوين، وأن المتقى إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب _ تذكر من أي: باب أي، ومن أي: مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد

وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنباً بعد ذنب، ولا يقصرون عن ذلك، فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء، لأنها طمعت فيهم حين رأتهم سلسي القياد لها، وهم لا يقصرون عن فعل الشر.

﴿٢٠٣﴾ ﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربی هذا بصائر من ربکم وهدی ورحمة لقوم يؤمنون اي أي: لا يزال هؤلاء المكذبون لك في تعنت وعناد،

ADDITION IN LONG TO بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون وهذا أيضاً في بيان عدم قول وفعل جميل، أو ما هو دون ذلك، استحقاق هذه الأصنام التي يعبدونها ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه من دون الله لشيء من العبادة، لأنها عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير ليس لها استطاعة ولا اقتدار في نصر لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، أنفسهم، ولا في نصر عابديها، وليس ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع لها قوة العقل والاستجابة، فلو دعوتها إلى الهدى لم تهتد، وهي صور لا حياة فيها، فتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون حقيقة، لأنهم صوروها على صور الحيوانات من الآدميين أو غيرهم، وجعلوا لها أبصاراً وأعضاء، فإذا رأيتها قلت: هذه حية، فإذا تأملتها عرفت أنها جمادات لا حراك بها، ولا حياة، فبأي: رأي اتخذها المشسركون آلسهة منع الله؟ ولأي: مصلحة أو نفع عكفوا عندها وتقربوا لها بأنواع العبادات؟

> وعجزها، وكمال قوة الله واقتداره، وقوة من احتمى بجلاله وتوكل عليه. وقيل: إن معنى قوله: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون أن الضمير يعود إلى المشركين المكذبين

فإذا عرف هذا، عرف أن المشركين

وآلهتهم التي عبدوها، ولو اجتمعوا

وأرادوا أن يكيدوا من تبولاه فباطر

الأرض والسماوات، متولى أحوال

عباده الصالحين، لم يقدروا على كيده

بمثقال ذرة من الشر، لكمال عجزهم

ولو جاءتهم الآيات الدالة على الهدى والرشاد، فإذا جنتهم بشيء من الآيات الدالة على صدقك لم ينقادوا.

﴿ وإذا لم تأتهم بآية ﴾ من آيات الاقتراح التي يعينونها ﴿ قالوا لولا المتبيتها ﴾ أي: هلا اخترت الآية ، فصارت الآية الفلانية ، أو المعجزة الفلانية كأنك أنت المنزل للآيات ، المدبر لجميع المخلوقات ، ولم يعلموا أنه ليس لك من الأمر شيء ، أو أن المغنى: لولا اخترعتها من نفسك .

﴿قُلُ إِنَّمَا أَتْبُعُ مَا يُوحِي إِلَّي مِنْ ربي الله تعالى منبع مدبّر، والله تعالى هو الذي ينزل الآيات ويرسلها على حسب ما اقتضاه حمده وطلبته حكمته البالغة، فإن أردتم آية لا تضمحل على تعاقب الأوقات، وحجة لا تبطل في جميع الآنات، فهذا القرآن العظيم والذَّكر الحكيم ﴿بصائر من ربكم﴾ يستبصر به في جميع المطالب الإلهية والمقاصد الإنسانية، وهو الدليل والمدلول فمن تفكر فيه وتدبره، علم أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه قامت الحجة على كل من بلغه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، وإلا فمن آمن، فهو ﴿هدى الضلال ﴿ورحمة﴾له من الشقاء، فالمؤمن مهتد بالقرآن، متبع له، سعيد في دنياه

وأما من لم يؤمن به، فإنه ضال شقي في الدنيا والآخرة.

﴿ ٢٠٤﴾ ﴿ وإذا قسرى السقسرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترجمون﴾ هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين

يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تلى عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير

ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة وغيرها.

﴿ ٢٠٥ - ٢٠٠ ﴿ ﴿ وَاذْكَرَ رَبِكُ فَي نَفْسَكُ تَضْرِعاً وَخِيفَة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين ﴿ إِنَّ اللّٰيِنُ عند رَبِكُ لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون الذكر شه تعالى يكون يسجدون القلب، ويكون باللسان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر الله عبده ورسوله محمداً أصلاً، وغيره تبعاً بذكر ربه، في نفسه، أي : غلصاً خالياً.

وتضرعاً أي: متضرعاً بلسانك، مكرراً لأنواع الذكر، ووخيفة في قلبك بأن تكون خائفاً من الله، وجل القلب منه، خوفاً أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به.

﴿ودون الجهر من القول أي: كن متوسطاً، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلاً. ﴿والآصال المنهار ﴿والآصال مزية وفضيلة على غيرهما.

ولا تكن من الغافلين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة

فَانْ يُرِيدُواْ أَنْ يَغْدَعُوكَ فَإِنْ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيَّ أَيَّدُكُ يِنَصْرِوهِ وَيَالْوُونِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ تُلُوبِهِمُّ لَوَ أَنْفَقْتَ ﴿ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَيعًا مَّاۤ أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِ مْرِوَلَكِنَّ ٱللَّهَ ٱلَّفْ يَنْهُدُ إِنَّهُ عَزِيزُ حَكِيرٌ ۞ يَنَأَيُّهُا ٱلنَّهِ كُمْسَبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَّعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ يَنَأَيْهَا ٱلنَّبِيُّ حَيْضٍ ﴾ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَ إِلَّ إِن يَكُنْ مِنْكُمْ عِنْمُونَ صَبُرُونَ يَغْلِوُا مِأْتَتَيْنُ وَإِن يَكُن مِنكُم مِأْتُ يُعِينَّا لِمُوا ٱلْفَامِنَ الَّذِيكَ لَفَنْرُوا بِأَنْهُمْ قَوْرٌ لَا يَفْقَعُونَ ۞ الْعَنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُرُ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُمْ مِالْلَهُ صَابِرَةً يُغَلِبُواْ مِأْنَتَيْنُ وَإِن يَكُن مِنكُمُ أَلْفٌ يَغَلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذِنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ۞ مَا صُحَّانَ لِنَبِيِّ أَن يَكُونَ لَهُ وَأَسْرَىٰ حَقِّيٰ يُشْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُرِيدُون عَهَنَ ٱلدُّنْيَ اوَٱللَّهُ ﴿ إِيْرِيدُ ٱلْآخِرَةُ وَٱللَّهُ عَزِيزُ حَكِيدٌ ۞ لَوْلَا كِنَاتُهُ مِنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَتَسَكُّرُ فِيمَآ أَخَذَ ثُرَعَنَاكُ عَظِيرٌ ﴿ فَكُمُ أُولِمَا وَ اللَّهُ عَلَيْهُ مَلَاكُ طَيِّبُ وَأَتَّقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ تَحِيدٌ ۞ DESCRIPTION TABLES

والخيبة في الاشتغال به، وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر الله آناء الليل والنهار، خصوصاً طرّفي النهار، مخلصاً خاشعاً متضرعاً، متذللاً، ساكناً، وتواطئا عليه قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه.

ثم ذكر تعالى أن له عباداً مستديمين لعبادته، ملازمين لخدمته وهم الملائكة، فلتعلموا أن الله لا يريد أن يتكثر بعبادتكم من قلة، ولا ليتعزز بها من ذلة، وإنما يريد نفع أنفسكم، وأن تربحوا عليه أضعاف أضعاف أضعاف ما عملتم، فقال: ﴿إِن الذين عند ربك﴾ من الملائكة القربين، وحملة العرش والكروبيين ﴿لا يستكبرون عن عبادته ﴾ بل يذعنون لها وينقادون والنهار لا يفترون.

﴿وله ﴾ وحده لا شريك له ﴿يسجدون ﴾ فليقتد العباد بهؤلاء الملائكة الكرام، وليداوموا [على] عبادة الملك العلام.

تم تفسير سورة الأعراف وله الحمد والشكر والثناء وصلى الله على عمد وآله وصحبه وسلم

يَنَأَيُّهُا ٱلنَّبِيُّ قُلِيلَنِ فِي أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَشْرَعَ إِن يَسْلِرُ ٱللَّهُ فِي قُلُو بِكُوخَيْرًا ثُوْمَة كَمْرَخِيْرَا مِثَا أَلِيغُذَ مِن فُو وَمَفْيِمْ لَكُمُّ وَلَقَهُ عَنَفُورٌ فَيْصِدُ ۞ وَإِن يُربِدُواْخِيالْتَكَ فَقَدْ خَافُوْاللَّهُ مِن قَتِلُ فَأَمْكُنَ مِنْهُدُّ وَاللَّهُ عَلَيْهُ حَكِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجِرُوا وَجَلَهَ دُوا مِا مُؤلِيدٌ وَأَنفُ وَيَ فِي سَبِيلًا عَو وَالَّذِينَ عَاوَواْ وَمَصَرُواْ أُوْلَيْكَ مَعْضُهُمْ أَوْلِيكَ أَمْسُونُ وَالَّذِيثَ ءَامَنُواْ وَلَرْيُهَاجِ رُواْ مَالَكُمْ مِن وَلَيْنِهِ مِن شَيْءِ حَقَّا يُهَاجُواْ أ وَإِن أَسْتَنصَرُوكُمُ فِي الدِينِ فَعَكَيْكُ عُمُ الضَّرُ إِلَّا عَكَلَ قَرْمِ بَيْنَكُرُوبَيْنَهُم مِّيَثَاقٌ وَٱلْقَامُ يَاتَعَكُونَ بَصِيدٌ ۞ وَٱلَّذِينَ حَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِى آهُ بَعْضُ إِلَّالْفَعْلُوهُ تَكُنُ فِتْمَدُّو ٱلْأَرْضِ وَفَسَادُ كَبِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَثُوا وَهَاجُوا وَيَعَامُلُوا في سَيِيلِ اللَّهِ وَالَّذِيبَ مَا وَوا وَنَعَهُرُوۤا أُوْلَيَتِكَ مُوۤا أَلْوَمُنُونَ حَقّاً لَهُ مُعْدِيرَةً وَرِزْقُ كَيْرِهُ ﴿ وَالَّذِينَ التَّوْلِينَ إِلَّهُ لَهُ وكالجروا وكهد وامعكم كأولكك منكر وأولوا الأزيام بَعْمُهُ فُرَأُولَ بِبَعْضِ فِي كِنْبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ مُنْ وَعَلِيمٌ ﴿

تفسير سورة الأنفال وهي مدنية

TO A DECEMBER WITH THE PROPERTY OF THE PROPERT

﴿ ١ ع ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين * إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيساناً وعلى ربهم يتوكلون * الذِّين يقيمون الصلاة وممأ رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند رسم ومغفرة ورزق كريم، الأنفال هي الغنائم التي ينفلها الله لهذه الأمة من أموال الكفار، وكانت هذه الآيات في هذه السورة قد نزلت في قصة «بدر» أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين، فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول الله ﷺ عنها، فأنزل الله: ﴿ يسألونك عن الأنفال) كيف تقسم وعلى من

وقل لهم: الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاءا، فلا اعتراض لكم على حكم الله ورسوله، بل عليكم إذا حكم الله ورسوله أن ترضوا بحكمهما، وتسلموا الأمر لهما، وذلك داخل في قوله: ﴿فاتقوا الله› بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿وأصلُحوا ذات بينكم اي:

أصلحوا ما بينكم من التشاحن فو التقاطع والتدابر، بالتوادد والتحاب و والتواصل. فبذلك تجتمع كلمتكم، هو ويزول ما يحصل _بسبب التقاطع _ يومن التخاص، والتشاح، والتنازع،

من التخاصم، والتشاجر والتنازع. كا ويمدخل في إصلاح ذات البين أأ تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيثين أ منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في ع القلوب من البغضاء والتدابر، والأمر

الجامع لذلك كله قوله: ﴿وأُطيعوا الله الصفات ﴿هُم ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ فإن الإيمان جمعوا بين الإ يدعو إلى طاعة الله ورسوله، كما أن الأعمال الباط من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن. بين العلم والعم ومن نقصت طاعته لله ورسوله، وحقوق عباده، فذلك لنقص إيمانه، ولما كان الإيمان وقدم تعالى قسمين: إيماناً كاملاً يترتب عليه المدح أصل لأعمال ا والشناء، والفوز التام، وإيماناً دون وفيها دليل ع

لشرائع الإيمان.

﴿ السَّذِينَ إِذَا ذَكْرَ اللهِ وجلت قلوبهم ﴾ أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله

تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن

ذلك ذكر الإيمان الكامل فقال: ﴿إِنَّمَا

المؤمنون، الألف واللام للاستغراق

الذنوب.

﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴿ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم ، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بدأن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه ، أو يتذكرون ما كانوا نسوه ، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير ، واشتياقاً إلى كرامة ربهم ، أو وجلاً من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصى ، وكل هذا عما

يزداد به الإيمان. ﴿وعلى ربهم﴾ وحده لا شريك له ﴿يتوكلون﴾ أي: يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك.

والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به.

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ من

فرائض ونوافل، بأعمالها الظاهرة والباطنة، كحضور القلب فيها، الذي هو روح الصلاة ولبها، ﴿وعا رزقناهم ينفقون﴾ النفقات الواجبة، كالزكوات، والكفارات، والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير.

﴿ اولتك الذي اتصعوا بتلك الصفات ﴿ هم المؤمنون حقا ﴾ لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الظاهرة، بين العلم والعمل، بين أداء حقوق الله

وقدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها، وفيها دليل على أن الإيمان، ينزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها.

وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه، وإن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه. ثم ذكر ثواب المؤمنين حقاً فقال: ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ أي: عالية بحسب

ثم ذكر ثواب المؤمنين حقاً فقال: ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ أي: عالية بحسب علو أعمالهم ﴿ومغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب شر.

ودل هذا على أن من لم يصل إلى درجتهم في الإيمان - وإن دخل الجنة - فلن ينال ما نالوا من كرامة الله التامة.

﴿ ٥ ـ ٨ ﴾ ﴿ كما أخرجك ربك من

بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون * يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون * وإذ يمدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون في قدم تعالى _ أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة _ الصفات التي على المؤمنين أن يقوموا بها، لأن من قام

بها استقامت أحواله وصلحت أعماله، التي من أكبرها الجهاد في سبيله.

فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي، وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به، كذَّلك أخرج الله رسوله على من بيته إلى لقاء المشركين في "بدر" بالحق الذي يحبه الله تعالى، وقد قدره وقضاه.

وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال.

فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين يجادلون النبي ﷺ في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصاً بعدما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدال محل [فيها](١)، لأن الجدال محله وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح ويان، فليس إلا الانقياد والإذعان.

هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقيض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها.

وكان أصل خروجهم يتعرضون لعير خرجت مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشآم، قافلة كبيرة، فلما سمعوا برجوعها من الشام، ندب النبى على الناس، فخرج معه ثلاث مئة، وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع عيرهم، في عدد كثير وعُدةٍ وافرة من السلاح والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريباً من الألف.

فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعير، أو

بالنفير، فأحبوا العير لقلة ذات يد المسلمين، ولأنها غير ذات شوكة، ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمرأ أعلى مما أحبوا.

أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج ووضع الأشياء مواضعها. فيه كبراء المشركين وصناديدهم، ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ﴾ فينصر أهله ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أى: يستأصل أهل الباطل، ويُرى عباده من نصره للحق أمراً لم يكن يخطّر ببالهم .

﴿لَيحِق الحِقِّ بِما يَظْهِرُ مِن الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ﴿ويبطل الباطل﴾ بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ﴿ولو

كره المجرمون﴾ فلا يبالي الله بهم. ﴿٩ - ١٤ ﴾ ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من

الملائكة مردفين * وما جعله الله إلاًّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام * إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب * ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار﴾ أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم

منها: أن الله أمدكم ﴿ بِأَلْفُ مِنْ الملائكة مردفين﴾ أي: يردف بعضهم بعضاً، ﴿وما جعله اللهِ أَي: إنزال الملائكة ﴿إلا بشرى﴾ أي: لتستبشر بذلك نفوسكم، ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ وإلا فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عدد ولا عُدَدٍ.

بعدوكم، استغثتم بربكم، وطلبتم منه

أن يعينكم وينصركم ﴿فاستجاب

لكم، وأغاثكم بعدة أمور:

﴿إِنْ اللهِ عزيز ﴾ لا يغالبه مغالب، بل هو القهار، الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا. ﴿حكيم﴾ حيث قدر الأمور بأسبابها،

ومِن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاساً ﴿يغشيكم﴾ [أي] فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون ﴿أمنة﴾ لكم وعلامة على النصر والطمأنينة.

ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطراً ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه.

﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ أي: يثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن، ﴿ويثبت به الأقدام ﴾ فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلمانزل عليها المطر تلبدت، وثبتت به الأقدام.

ومن ذلك: أن الله أوحي إلى الملائكة ﴿أَنَّ مُعَكُم﴾ بالعون والنصر والتأييد، ﴿فَتُبِتُوا الذِّينِ آمِنُوا﴾ أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله.

﴿سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، الذي هو أعظم جند لكم عليهم، فإن الله إذا ثبت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين، لم يقدر الكافرون على الشبات لهم، ومنحهم الله أكتافهم.

﴿فَاصْرِبُوا فُوقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: على الرقاب ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ أى: مفصل.

وهذا خطاب، إما للملائكة الذين أوحى الله إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا، فيكون في ذلك دليل أنهم باشروا القتال يوم بدر، أو للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين، وأنهم لا يرحمونهم، وذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله أي: حاربوهما وبارزوهما بالعداوة. ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب، ومن عقابه

تسليط أوليائه على أعدائه وتقتيلهم.

﴿ذلكم الحداب المذكور ﴿فَذُوقُوه ﴾ أيها المشاققون لله ورسوله عذاباً معجلاً، ﴿وأن للكافرين عذاب

وفى هذه القصة من آيات الله العظيمة ما يدل على أن ما جاء به

محمد ﷺ رسول الله حقاً.

منها: أن الله وعبدهم وعبداً،

ومنها: ما قال الله تعالى: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين﴾ الآية.

ومنها: إجابة دعوة الله للمؤمنين لما استغاثوه بما ذكره من الأسباب، وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

ومنها: أن من لطف الله بعبده أن يسهل عليه طاعته، وييسرها بأسباب داخلية وخارجية.

﴿١٥ ـ ١٦﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره، والسعي في جلب الأسباب المقوية للقلوب والأبدان، ونهاهم عن الفرار إذا التقى الزحفان، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً أي: في صف القتال، وتزاحف الرجال، واقتراب بعضهم من بعض، ﴿فلا تولوهم الأدبار ﴾ بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم، لقلوب المؤمنين، وإرهاباً للكافرين.

﴿ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء﴾ أي: رجع ﴿بغضب من الله ومأواه ﴾ أي: مقره﴿جهنم وبئس المصير﴾ وهذا يدل على أن الفرار من الزحف

وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد.

من غير عذر من أكبر الكبائر، كما

وردت بذلك الأحاديث الصحيحة

ومفهوم الآية: أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فاراً، وإنما ولي دبره ليستعلى على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين، وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإنَّ كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من

أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد ـ في هذه الحال _أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه على هذا لا يتصور الفرار المنهى عنه، وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد.

آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز،

ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن

الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم.

﴿١٧ ــ ١٩﴾ ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم * ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين * إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فتتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين) يقول تعالى _ لما انهزم المشركون يوم بدر، وقتلهم المسلمون عوفلم فإن في ذلك نصرة لدين الله، وقوة تقتلوهم، بحولكم وقوتكم ﴿ولكن الله قتلهم﴾ حيث أعانكم على

ذلك بما تقدم ذكره. ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رميٰ﴾ وذلك أن النبي ﷺ وقت القتال دخل العريش وجعل يدعو الله، ويناشده في نصرته، ثم خرج منه،

فأخذ حفنة من تراب، فرماها في وجوه المشركين، فأوصلها الله إلى وجوههم، فما بقي منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه، وفمه وعينيه منها، فحينئذِ انكسر حدهم، وفتر زندهم، وبان فيهم الفشل والضعف، فانهزموا.

يقول تعالى لنبيه: لست بقوتك _ حين رميت التراب _أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم بقوتنا واقتدارنا، ﴿وليبل المؤمنين منه بلاء حسناً ﴾ أي: إن ألله تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال، ولكن الله أراد أن يمتحن المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجراً حسناً وثواباً جزيلاً.

﴿إِنْ الله سميع عليم ﴾ يسمع تعالى ما أسر به العبد وما أعلن ، ويعلم ما في قلبه من النيات الصالحة وضدها، فيقدر على العباد أقداراً موافقة لعلمه وحكمته ومصلحة عباده، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله.

﴿١٨﴾ ﴿ذلكم﴾ النصر من الله لكم ﴿وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ أي: مضعف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محيقاً

(١٩١) ﴿إِن تِستِفتِحِوا ﴾ أيها المشركون، أي: تطلبوا من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين.

﴿ ف قد جاءكم الفتح ﴾ حين أوقع الله بكم من عقابه، مآكَّان نكالاً لكم وعبرة للمتقين﴿وإن تنتهوا﴾ عن الاستفتاح ﴿فهو خير ﴾ لأنه ربما أمهلتم، ولم يعجل لكم النقمة. ﴿وإن تعودوا ﴾ إلى الاستفتاح وقتال حزب الله المؤمنين ﴿نعد﴾ في نصرهم

﴿ولن تغنى عنكم فتتكم ﴾ أي: أعوانكم وأنصاركم، الذين تحاربون وتقاتلون، معتمدين عليهم، شيئاً وأن الله مع المؤمنين.

ومن كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفاً قليلاً عدده، وهذه المعية

التي أخبر الله أنه يؤيد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان.

فإذا أديل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات، فليس ذلك إلا تفريطاً من المؤمنين وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، وإلا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه، لما انهزم لهم راية [انهزاماً مستقراً](۱) ولا أديل عليهم عدوهم أداً.

﴿٢١ ـ ٢١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون * ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون به أطيعوا الله ورسوله ﴾ بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما.

﴿ولا تولوا عنه ﴾ أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة الله، وطاعة رسوله، ﴿وأنتم تسمعون ﴾ ما يتلى عليكم من كتاب الله، وأوامره، ووصاياه، ونصائحه، فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال.

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي: لا تكتفوا بمجرد الدعوى الخالية التي لا حقيقة لها، فإنها حالة لا يرضاها الله ولا رسوله، فليس الإيمان بالتمني والتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

﴿٢٧ ـ ٣٧﴾ ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ يقول تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله من لم تفد فيهم الآيات والنذر، وهم السماع الحق ﴿البكم ﴾ عن النطق به ﴿الذين لا يعقلون ﴾ ما يضرهم، ويؤثرونه على ما يضرهم،

فهؤلاء شرعند الله من جميع (۲) الدواب، لأن الله أعطاهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ليستعملوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصيه وعدموا _بذلك _الخير الكثير، فإنهم كانوا بصدد أن يكونوا من خيار البرية.

فأبوا هذا الطريق، واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية، والسمع الذي نفاه الله عنهم، سمع المعنى المؤثر في القلب، وأما سمع الحجة، فقد قامت حجة الله تعالى عليهم بما سمعوه من آياته، وإنما لم يسمعهم السماع النافع، لأنه لم يعلم فيهم خيراً يصلحون به لسماع آياته.

﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم على الفرض والتقدير ﴿لَتَوَلَّوْا ﴾ عن الطاعة ﴿وهم معرضون ﴾ لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه، وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير، إلا لمن لا خير فيه، الذي لا يزكو لديه ولا يشمر عنده. وله الحمد تعالى والحكمة في هذا.

﴿ ٢٤ - ٢٥ ﴿ ﴿ إِنا أَيَّهَا الذَّيْنَ آمَنُوا استجيبُوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون * واتقوا فتنة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهى عنه.

وقوله: ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح، بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة لله مستضعفون في الأرض تخافون أنَّ

بَكَآةَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِيكَ عَلَمَةُ مُ مِنَ ٱلْشَرِكِينَ ۞ فيسيحوا في الأنض أذبكة أشهر وَاعْ كُوَّا أَنْكُوْ عَيْرُهُ عُجزي اللهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُغْزِي ٱلْكَفِينَ ۞ وَأَذَنَّ مُنَ اللَّهِ وَرَسُولِيَّ إِلَى السَّاسِ وَوَالْحَيْمَ الْأَحْتَى مِنْ اللَّهُ مِنَ اللَّهُ مِنَ اللَّهُ مِكِينٌ * وَرَسُولُةً فَإِن ثَبْتُ مُفَهُوَ غَيْرًا لَكُمْ وَإِن ثَوَلَّتُ مُفَاعَلَمُوا أَنْكُو عَيْرُمُعْجِينِي ٱللَّهِ وَيَشِيرُ ٱلَّذِيكَ كَفَرُواْ بِعَكَ ابِ أَلِيهِ ۞ إِلَّا ٱلَّذِي عَلَمَا فُمِّن ٱلشَّرْكِينَ أَثُرُ لَيَعْشُوكُو شَيْنًا وَلَرْيُطَاهِرُواْ عَلَيْحَتُمُ أَحَدًا فَأَيْمُواْ إِلَيْهِ مَعَمَّنَهُمْ إِلَى مُنَتِعِمُ إِنَّالَقَدَ بَعِبُ ٱلْمُنْقِعِينَ ۞ فَإِذَا ٱلْسَكَةَ ٱلْأَمْثُهُ وُٱلْحُسُومُ فَاقْتُلُوا ٱلْتُمْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَيْتُوهُمْ وَخُلُومٌ وَلَحْدُومٌ وَلَحْدُومُ وَأَقْتُ كُواْ لَمَنْ كُلِّ مَرْصِيدٌ فَإِن تَسَاجُواْ وَأَقْسَامُواْ الْعَسَلُوةَ وَمَاتُواْ الرَّكَوْةَ عَنْلُواكِيدَلَهُمُّ إِنَّ اللَّهُ عَنْوُرُ فَجِيدٌ ۞ وَإِنْ أَحَدُ مِنَ ٱلْشَرِكِ مِنَ ٱسْتَجَالِكَ وَأَحِرُهُ حَقَّ يَسْمَعَ كَلْمَالُقُومُ أَلِيفُهُ مَأْمَنَهُ رُولِكَ بِأَنْهُمْ وَرُولًا يَعْلَمُونَ ٥ TO SO TO SO WE TO SO TO THE

وللرسول فقال: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردقوه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أن شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك.

﴿وأنَّه إليه تحشرون﴾ أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه.

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ بل تصيب فاعل الظلم وعيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقرى (٣) هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقدمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن.

﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن تعرض لمساخطه، وجانب رضاه. ﴿٢٦﴾ ﴿واذكروا إذ أنستم قاليل

⁽۱) زیادة من هامش ب.

⁽۲) في ب: من شرار.

 ⁽٣) هكذا في النسختين والمراد ظاهر وهو: أن اتقاء هذه الفتنة يكون بالنهى عن المنكر

٠ كالغالبية كَيْفَيْكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهَدُّعِ دَاللَّهِ وَعِنهَ رَسُولِهِ وَالْاَالَّذِينَ عَلَهَدَ فَرْعِندَ الْمُسْجِدِ الْعُرَالِّيرِ فَاَاسْتَقَلُّوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَمُنْ إِنَ اللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُتَقِينَ ۞ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُ وَاعَلَيْكُمْ لَايْرَقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلاَدِمَةَ مُرْصُونَكُم بِالْفَوْهِم وَتَكَأَنَ قُلُونِهُمْ وَٱلْتُكُومُ فَكُسِقُوكَ ۞ أَشْتَرَوْا مِنَايَتِ اللَّهِ ثَنَا قَلِيلًا فَصِرَتُوا عَن سَيبِلَيْتِ إِنَّهُ مُسَاءً مَا كَانُواْ يَعْ مَلُونَ ۞ لَا رَقُونَ فِ مُؤْمِن إِلَّا وَلَا إِنَّ مُؤْمِنُ وَأُولَلَمْكَ هُمُ مُلْلُغُنَّدُوكَ ۞ فإن تَكَابُواْ وَأَفَامُواْ الصَّلَوْةَ وَءَاتَوُا الرَّحَوْةَ فَإِخْوَيْتُكُوْ فِ الدِّيبُّ وَنُفَعِبُلُ ٱلْآيَلَتِ لِقَوْمِ يَعْ لَمُونَ ۞ قَادَ نَّكَتُوا ۚ ﴿ أَيْنَنَهُر مِّنْ بَعَدِيمَهُ دِهِرْ وَمَلَعَ نُواْفِي دِينِكُمْ فَقَالَتِلُواْ أَسِنَةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمُ لَاّ أَيْمَانَ لَمُمَّالُكُمِّهُ وَيَسْتَحُونَ ٥ الانْتَكَيْلُونَ قَوْمَانَكَ ثُوّا أَيْكَ نَعْرُو وَهَكُوا با فَ مَسْمِونَ وَمِنْ فَصَاءُ الْمُسْمِونِ وَمِنْ فَعَلَمُ اللَّهِ مِنْ وَمِنْ فَعَلَمُوا اللَّهِ اللَّهِ مِن الإِخْسَرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ مِنَدَهُ وُكُمْ أَوْلَ مَنْ أَوْ أَغَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَغْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّوْمِنِينَ ٣ TOWN TONOROW

يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يقول تعالى ممتناً على عباده في نصرهم بعد الذلة ، وتكثيرهم بعد القلة ، وإغنائهم بعد العيلة .

﴿واذْكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ أي: مقهورون تحت حكم غيركم ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ أي: يأخذونكم.

فاآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات فجعل لكم بلداً تأوون إليه، وانتصر من أعدائكم على أيديكم، وغنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء.

. ﴿لعلكم تشكرون﴾ الله على منته العظيمة وإحسانه التام، بأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

ود تسروا به مليه . ﴿ ٢٧ _ ٢٧ ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أما أماناتكم وأنتم تعلمون * واعلموا أنما أجر عظيم ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما انتمنهم الله عليه من أوامره ونواهيه ، فإن الأمانة قد عرضها الله على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً، فمن أدى الأمانة استحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها استحق وللمسول ولأمانته، منقصاً لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وهي الخيانة مفوتاً لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة.

ولما كان العبد ممتحناً بأمواله وأولاده، فربما حمله عبة (١) ذلك على تقديم هوى نفسه على أداء أمانته، أخبر الله تعلى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي الله بهما عباده، وأنها عارية ستؤدى لمن أعطاها، وترد لمن استودعها ﴿وأن الله عنده أجرعظيم﴾

فإن كان لكم عقل ورَأَي، فآثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة، فالعاقل يوازن بين الأشياء، ويؤثر أولاها بالإيشار، وأحقها بالتقديم.

﴿٢٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيراً، فذكر هنا أن من اتقىٰ الله حصل له أربعة أشياء، كل

واحد منها خير من الدنيا وما فيها: الأول: الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع. يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

الرابع: الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه. ﴿وَاللّٰهُ ذُو الفضل العظيم﴾

و٣٠﴾ ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكر الله والله خير الله والله خير اللكحريسن أي: ﴿وَ اذكر أيسا الرسول، ما منَّ الله به (٢٠) عليك. ﴿إذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي ﷺ، إما أن يثبتوه عندهم بالحس ويوثقوه.

وإما أن يقتلوه فيستريحوا -بزعمهم - من شره.

وإما أن يخرجوه ويجلوه من يارهم.

فكل أبدى من هذه الآراء رأياً رآه، فاتفق رأيهم على رأي: رآه شريرهم أبو جهل لعنه الله، وهو أن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش فتى ويعطوه سيفا صارما، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل فيرضى بنو هاشم [ثمً] بديته، فلا يقدرون على مقاومة سائر (٣) قريش، فترصدوا للنبي على الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه.

فجاءه الوحي من السماء، وخرج عليهم، فذرً على رؤوسهم التراب وخرج، وأعمى الله أبصارهم عنه، حتى إذا استبطؤوه جاءهم آت وقال: خيبكم الله، قد خرج محمد وذرً على رؤوسكم التراب.

فنفض كل منهم التراب عن رأسه، ومنع الله رسوله منهم، وأذن له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، وأيده الله بأصحابه المهاجرين والأنصار، ولم يزل أمره يعلو حتى دخل مكة عنوة، وقهر أهلها، فأذعنوا له وصاروا تحت حكمه، بعد أن خرج

⁽١) في ب: محبته.

⁽٢) في النسختين: ما منَّ الله بك عليك.

⁽٣) في ب: جميع.

مستخفياً منهم، خائفاً على نفسه. فسبحان اللطيف بعبده الذي لا يغالبه مغالب.

﴿٣١ ـ ٣٤ وقوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين * وإذ قالوا اللهم إن كان هذا من السماء أو اثتنا بعذاب أليم * وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون * وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم الليعلمون * يقول تعالى في بيان عناد الكذبين للرسول ﷺ: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ الدالة على صدق ما جاء عليهم آياتنا ﴾ الدالة على صدق ما جاء الرسول.

﴿قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴿ وهذا من عنادهم وظلمهم، وإلا فقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله، ويدعوا من استطاعوا من دون الله، فلم يقدروا على ذلك، وتين عجزهم.

فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوى، كذبه الواقع، وقد علم أنه هي أمّي لا يقرأ ولا يكتب، ولا رحل ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللّهِ مِ إِنْ كَانَ هَذَا ﴾ الذي يدعو إليه محمد ﴿ هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اثننا بعذاب أليم ﴾ قالوه على وجه الجزم منهم بباطلهم، والجهل بما ينبغي من الخطاب.

فلو أنهم إذ أقاموا على باطلهم من الشبه والتمويهات ما أوجب لهم أن يكونوا على بصيرة ويقين منه، قالوا لمن ناظرهم وادعى أن الحق معه: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، لكان أولى لهم وأستر لظلمهم.

فمذ قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، علم بمجرد قولهم أنهم السفهاء الأغبياء، الجهلة الظالمون، فلو عاجلهم الله بالعقاب لما أبقى منهم باقية، ولكنه تعالى دفع عنهم العذاب بسبب وجود الرسول بين أظهرهم، فقال: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وفوجوده ﷺبين أظهرهم أمنة لهم من العذاب.

وكانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على رؤوس الأشهاد، يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم، فيستغفرون الله [تعالى فلهذا] قال تعالى: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾.

فهذا مانع يمنع من وقوع العذاب بهم، بعدما انعقدت أسبابه، ثم قال: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله أي: أي: شيء يمنعهم من عذاب الله، وقد فعلوا ما يوجب ذلك، وهو صد الناس عن المسجد الحرام، خصوصاً صدهم النبي ﷺوأصحابه، الذين هم أولى به منهم، ولهذا قال: ﴿وما كانوا﴾أي: المشركون ﴿أُولِياء المُحتمل أَن الضمير يـــعــود إلى الله، أي: أولياء الله. ويحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام، أي: وما كانوا أولى به من غيرهم ﴿إنَّ أولياؤه إلا المتقون ﴿ وهم الذين آمنوا بالله ورسوله، وأفردوا الله بالتوحيد والعبادة، وأخلصوا له الدين، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون الللك ادَّعَوا لأنفسهم أمراً غيرهم أولى به.

﴿٣٥﴾ ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴿يعني أن الله تعالى إنما جعل بيته الحرام ليقام فيه دينه ، الذين قاموا بهذا الأمر ، وأما هؤلاء الشركون الذي يصدون عنه ، فما كان العبادات ﴿إلا مكاء وتصدية ﴾أي : صفيراً وتصفيقاً ، فعل الجهلة الأغبياء ، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم ، ولا معرفة بحقوقه ، ولا احترام المعرفة بحقوقه ، ولا احترام

فَائِلُوهُ مُرِيُّكُ إِنْهُمُ اللَّهُ إِلَّذِيكُمْ وَيُعْزِهِمُ وَيَصَارِكُمْ عَلَيْهِدْ وَيَشْفِ صُدُورَ فَوْمِ ثُوْمِينِ ﴿ ۞ وَيُذْهِبْ غَيْظَ الله الله على من الله على من الله على من من الله على من من الله على من من الله على من من الله ﴿ أَرْحَبُ يَتُمُ إِن ثُمَّ يَكُوا وَيُكَايِقُهُ الَّهُ وَالَّهُ الَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُواللَّذِاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّالِ اللَّالِّلِّ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ ال مِنكُمْ وَلَمُ يَنْخِفُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَارَسُولِهِ وَلَا لَلْحَيْنِ وَلِيجَةٌ وَأَنَّهُ خِيرٌ مَا فَعَنْمُلُونَ ۞ مَا كَانَ الْمُشْرِكِينَ أَن يَعْـمُرُواْ مَسَجِدَ اللَّهِ شَهِدِينَ عَلَىٓ أَنفُسِهِ مِالْكُفِّ أَوْلَتِهِكَ حَيِمَلَتْ أَعْمَلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِهُمْ وَخَالِدُونَ ۞ إنمَّايَعْـ مُرُمَكَ جِدَاهُومَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْ وَالْكَوْرِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلمَسَلَوْةَ وَءَافَ ٱلرَّسِحُوةَ وَلَرْيَعْنَ إِلَّا اللَّهُ مُسَكَى أُولَتِهِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْهُمْ تَدِينَ ﴿ وَ أَجْمَالُتُ مُوعَالِمَ أَنْعَ آَجُ وَعَالُوا ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَاهِ كُمَّنْ ءَامِنَ بِأَقَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَ حَمَدَ في سَيِيلِ الله لايسترن عنداقة والقه كايتهدى القور الظليب ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَيَحِهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمْوَلِمْ وَأَنفُيهِمْ المَعْظَ مُودَوَجَةً عِندَاللَّهِ وَأَوْلَكُمِكَ هُمُ الْفَكَ إِنَّونَ ۞ ON TON WE OF THE PARTY OF THE P

لأفضل البقاع وأشرفها، فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟!!

فبأي: شيء كانوا أولى بهذا البيت من المؤمنين السنين هم في صلاتامذخاشعون، والذين هم عن السلخو معرضون، إلى آخر ما وصفهم الله به من الصفات الحميدة، والأفعال السديدة.

لا جرم أورثهم الله بيته الحرام، ومكنهم منه، وقال لهم بعدما مكن لهم فيه فيا أيها الذين آمنوا إنما المسركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال هنا:

فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون الهرام بعد عامهم هذا وقال هنا:

﴿٣٧ ـ ٣٧﴾ ﴿إِنّ اللَّيْسِ كَفُرُوا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون واللَّين كفروا إلى جهنم يحشرون * ليمييز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ويقول تعالى مبيناً لعداوة ومبارزتهم لله ولرسوله، وسعيهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وأن وبال مكرهم سيعود عنيهم، ولا يحيق المكر السيّىء إلا بأهله، فقال: ﴿إِن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن عنفقون أموالهم ليصدوا عن

سبيل الله أي: ليبطلوا الحق وينصروا الباطل، ويبطل توحيد الرحمن، ويقوم دين عبادة الأوثان.

﴿فسينفقونها﴾ أي: فسيصدرون هذه النفقة، وتخف عليهم لتمسكهم بالباطل، وشدة بغضهم للحق، ولكنها ستكون عليهم حسرة، أي: ندامة وخزياً وذلاً، ويغلبون فتذهب أموالهم وما أملوا، ويعذبون في الآخرة أشد العذاب، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفُرُوا إلى جهنم يحشرون اي: يجمعون إليها، ليذوقوا عذابها، وذلك لأنها دار الخبث والخبثاء، والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب، ويجعل كل واحدة على حدة، وفي دار تخصه، فيجعل الخبيث بعضه على بعض، من الأعبمال والأموال والأشخاص. ﴿فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

٣٨٥ - ٤٥ ﴿ وَلَ لَلْذَين كَفُرُوا إِن يَتَهُوا يَغْفُر لَهُم مَا قَدْ سَلْفُ وَإِنْ يَعُودُوا وَفَقَدُ مَضْتُ سَنَةُ الأولين * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * وإن تولوا فاعلموا أن الله بصير * وإن تولوا فاعلموا أن الله بصير *

مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾ هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد، من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد والهدى، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى، فقال: ﴿قَلَ لَلّذِينَ كَفُرُوا إِنْ يَسْتَهُوا ﴾ عن كفرهم، وذلك ينتهوا ﴾ عن كفرهم، وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له.

﴿ يَعْفُر لَهُم مَا قَدْ سَلْفَ ﴾ منهم من الحرائم ﴿وإن يعودوا ﴾ إلى كفرهم وعنادهم ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، فهذا خطابه للمكذبين، وأما خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين، فقال: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ أي: شرك وصد عن سبيل الله، ويذعنوا لأحكام الإسلام، ﴿ويكون الدين كله لله الله المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالى على سائر الأديان.

﴿فَإِنْ انتهوا﴾ عن ما هم عليه من الظلم ﴿فَإِنْ الله بِما يعملون بصير﴾ لا تخفى عليه منهم خافية.

﴿وإن تولوا﴾ عن الطاعة وأوضعوا في الإضاعة ﴿فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى﴾ الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر (١) لهم منافعهم الدينية والدنيوية، ﴿ونعم الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجار، وتكالب الأشرار.

ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عِزَّ له ولا قائمة له.

﴿٤٦ ـ ٤٢﴾ ﴿واعلموا أَنَّمَا غَنَمَتُم من شيء فأنَّ لله خسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا

يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير * إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم، يقول تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء ﴾ أي: أخذتم من مال الكفار قهراً بحق، قليلاً كان أو كثيراً، ﴿فَأَن للهُ خُسه ﴾ أي: وباقيه لكم أيها الغانمون، لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خمسها، فدل على أن الباقي لهم، يقسم على ما قسمه رسول الله على: للراجل سهم، وللفارس سهمان لفرسه، وسهم له.

وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم، سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمسلحة، لأن الله جعله له ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله، فإذا لم يعين الله له مصرفا، دل على أن مصرفه للمصالح العامة.

والخمس الثاني: لذي القربي، وهم قرابة النبي على من بني هاشم وبني المطلب، وأضافه الله إلى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه عنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم. والخمس الثالث لليتامي، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم،

والخمس الرابع للمساكين، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث.

والخمس الخامس لابن السبيل، وهو^(٢٢): الغريب المنقطع به في غير بلده، [وبعض المفسرين يقول إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك

تبع للمصلحة وهذا هو الأولى](1) وجعل الله أداء الخمس على وجهه شرطاً للإيمان، فقال: ﴿إِن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ وهو يوم «بدر» الذي فرق الله به بين الحق وأبطل . الباطل .

﴿يوم التقى الجمعان﴾ جمع المسلمين، وجمع الكافرين، أي: إن كان إيمانكم بالله، وبالحق الذي أنزله الله على رسوله يوم الفرقان، الذي حصل فيه من الآيات والبراهين، ما دل على أن ما جاء به هو الحق. أحد إلا غله.

﴿إِذْ أَنسَم بِالمِعدوة الدنيا ﴿ أَي : بعدوة الوادي القريبة من المدينة، وهم بعدوته أي : جانبه البعيدة من المدينة، فقد جمعكم واد واحد.

﴿والركب﴾ الذي خرجتم لطلبه، وأراد الله غيره﴿أسفل منكم﴾ مما يلي ساحل البحر.

﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم وإياهم على هذا الوصف وبهذه الحال ﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ أي: لا بد من تقدم أو تأخر، أو غير ذلك، عا يعرض لكم أو لهم، يصدفكم عن ميعادكم (٢).

﴿ولحُن﴾ الله جمعكم على هذه الحال ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾ أي: مقدراً في الأزل، لا بدمن وقوعه.

﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾ أي: ليكون حجة وبينة للمعاند، فيختار الكفر على بصيرة وجزم ببطلانه، فلا يبقى له عذر عند الله.

﴿ ويحيا من حيّ عن بيّنة ﴾ أي: يزداد المؤمن بصيرة ويقيناً، بما أرى الله الطائفتين من أدلة الحق وبراهينه، ما هو تذكرة لأولي الألباب.

﴿وإن الله لسميع عليم ﴾ سميع المعات ، المعات ،

على تفنن الحاجات، عليم بالظواهر والضمائر والسرائر، والغيب والشهادة.

﴿ ٤٣ ـ ٤٤ ﴾ ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلّم إنّه عليم بذات الصدور * وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور ﴾ وكان الله قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عدداً قليلاً، فبشر بذلك أصحابه، فاطمأنت قلويهم وتثبت أفئدتهم.

ولو أراكهم الله إياهم كثيراً فأخبرت بذلك أصحابك (لفشلتم ولتنازعتم في الأمر) فمنكم من يرى الإقدام على قتالهم، ومنكم من لا يرى ذلك فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل.

﴿ولكن الله سلم﴾ فلطف (٣) بكم ﴿إِنه عليم بذات الصدور﴾ أي: بما فيها من ثبات وجزع، وصدق وكذب، فعلم الله من قلوبكم ما صار سبباً للطفه وإحسانه بكم، وصدق الله رؤيا رسوله، فأرى الله المؤمنين عدوهم، قليلاً في أعينهم، ويقللكم _يا معشر المؤمنين _ في أعينهم، فكل من الطائفتين ترى الأخرى قليلة، لتقدم كل منهما على الأخرى.

لله الله الله أمراً كان مفعولاً من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وقتل قادتهم ورؤساء الضلال منهم، ولم يبق منهم أحد له اسم يذكر، فيتيسر بعد ذلك انقيادهم إذا دعوا إلى الإسلام، فصار أيضاً لطفاً بالباقين، الذين من الله عليهم بالإسلام.

﴿ وإلى الله تسرجع الأمسور ﴾ أي: جميع أمور الخلائق تسرجع إلى الله، فيميز الخبيث من الطيب، ويحكم في الخلائق بحكم العادل، الذي لا جور فيه ولا ظلم.

﴿وَعُ لِـ ﴿وَعُ لِي أَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُم فَتُهُ فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهِ كَثْيُراً

التُمَنَّوُ وُ اللَّهُ مِنْ بَقِيدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَيْهُمْ رَحِيدُ ﴿ يَنَانُهُا الَّذِينَ وَاسْتُواْ إِنَّمَا الْمُنْرِكُونَ تَخَتَّى فَلَايَقْ كَيُوا ٱلْمَسْجِ كَ ٱلْحَكَرَامَ بِقَدَعَامُهِ وَهَنَاً وَالْخِفْتُ مَيْدُلَةُ فَنَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضَالِحَةً النشكآة أن الله عَلِيمُ حَكِيمٌ ﴿ قَائِلُوا ٱلَّذِينَ لَانْ مِنْهُ كِي إِلَّهُ وَلَا بِالَّهُ مِرَالْكِيفِ وَلَا يُحْبَرُهُونِ مَا كَرِّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَاكِ بِنُوكِ دِينَ ٱلْحَقِّ مِن الَّذِي أُوثُوا الْكِنبَ حَقِّل يُعْلُوا الْجِزيَّةَ عَن يَد وَهُمْ مَهَا خِرُونِ ﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَحُودُ عُزَيْزُانْتُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ النَّمِ كَرَى الْمَدِيمُ أَبْثُ اللَّهُ وَاللَّ قَوْلُهُم بأفرَّعِهِ مُّرِينَ مُنْهَا وَكَ قَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَكُنْلَهُمُ اللَّهُ أَلِّي فَوْفَكُونَ ۞ أَتَّخَذُواْ الله وَاللَّهُ مُواللَّهُ أَلَّى بِلْوَفَكُوبَ ۞ النَّحَادُولَ الْحَبِارَهُ مُولَعِبَكُمُ مُولِكِهِ اللَّهِ وَلِي اللَّهِ وَلِي اللَّهِ وَالْمَسِيمَ انْ مَنْ مِيمَ وَمَا أَمِسْرُوا إِلَّا لِتَعْبُدُوا إِلَّا وَعِيدُ الْآلِكَةُ إِلَّاهُ وَسُبْحَكَنَهُ عَمَّا الشَّرِكُونَ ٥ ON STORY WEST OF THE STORY

CANCE REPRESENTATION

لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين * ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط * وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب * إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكُّل على الله فإنَّ الله عزيز حكيم ، يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة ﴾ أي: طائفة من الكفار تقاتلكم.

﴿فاثبتوا﴾ لقتالها، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة، التي عاقبتها العز والنصر.

واستعينوا على ذلك بالإكثار من ذكر الله (لعلكم تفلحون) أي: تدركون ما تطلبون من الانتصار على أعدائكم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر.

﴿وأطبيعوا الله ورسوله ﴾ في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال.

CONTROL CONTROL يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَاقَة بِالْوَاهِمِدْ وَمَأْفَ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِدَّ ثُورَهُ وَلَوْكَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الْذِي الْرَسَلَ رَسُولَتُهُ الْمُسْتَىٰ وَدِيرِ الْمَعَ لِيُنْلِهِ رَهُ عَلَى الدِّينِ حَجَلِهِ ـ وَلَوْكِرُو لَلْشُرِكُونَ ﴿ وَيَنَالُهُ اللَّذِي مَامَثُوا إِذَ كَيْرُامِنَ ٱلْأَمْبَ الدَّمْ الرُّمْبَ اللهِ اللهُ المُحْدُونَ أَمْوَلَ السَّكَاسِ بِالْبَعِلِلِ وَيَحَدُّ ويَ عَنْ سَهِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يتشخيزُون الذَّهَبَ وَالْفِضَةَ وَلَا يُسْفِقُونَهَ كَا فِي سَيِيلِ ٱللَّهِ فَهَنِّدُوهُم بِعَكَابِ أَلِيدٍ ۞ يَوْدَيُعَمَعُكَهَا في كَارِجَهَنَّ مَنَ المُستَّوَىٰ بِهَا عِبِ الْهُهُمْ وَيَحُ الْمِيْهُمْ وَظُهُورُهُمُّ هَا مَاكَ زَنْدُ لِأَنْسُكُمُ فَكُوفُوا مَا حُنتُ رُبُّ فَي فِي اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ المقواثن اعشر شهرا في كنب القويزم خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبِيكُ خُرُدُ ذَلِكَ الْمِيْكُ الْمُتَمِّدُ فَكُر تَظْلِمُوافِهِ لَنَسُكُمْ وَقَائِلُواللَّشِّرِكِينَ كَافَّةً كَتَابُقُلِلُونَكُوكُ كَالَّغَةُ وَاعْلُمُوا أَنَ الْقَدَّمَعَ لَلْنَقِينَ ﴿ TOWNS IN COLUMN

﴿ولا تسازعوا﴾ تسازعاً يوجب تشتت القلوب وتفرقها، ﴿فتفشلوا﴾ أي: تجبنوا ﴿وتذهب ريحم﴾ أي: تسحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله.

﴿واصبروا﴾ نفوسكم على طاعة الله ﴿إِن الله مع الصابرين﴾ بالعون والنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له.

ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله أي: هذا مقصدهم الذي خرجوا إليه، وهذا الذي أبرزهم من ديارهم لقصد الأشر والبطر في الأرض، وليراهم الناس ويفخروا للهم.

والقصود الأعظم أنهم خرجوا ليصدوا عن سبيل الله من أراد سلوكه، ﴿والله بما يعملون محيط﴾ فلذلك أخبركم بمقاصدهم، وحذركم أن تشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

فليكن قصدكم في خروجكم وجمه الله تعالى وإعلاء دين الله، والصدعن الطرق الموصلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم الموصل لجنات النعيم.

﴿وَإِذْ زِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُم ﴾

حسنها في قلوبهم وخدعهم. ﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾ فإنكم في عَدَدٍ وعُدَدٍ وهيئة لا يقاومكم فيها محمد ومن معه.

﴿وإني جار لكم﴾ من أن يأتيكم أحد عمن تخشون غائلته، لأن إبليس قد تبدَّى لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكانوا يخافون من بني مدلج لعداوة كانت بينهم.

فقال لهم الشيطان: أنا جار لكم، فاطمأنت نفوسهم وأتوا على حرد قادرين.

﴿فلما تراءت الفئتان﴾ المسلمون والكافرون، فرأى الشيطان جبريل عليه السلام يزع الملائكة خاف خوفاً شديداً و ﴿نكص على عقبيه﴾ أي: ولى مدبراً، ﴿وقال﴾ لمن خدعهم وغرهم: ﴿إِن بريء منكم إِن أرى ما لا ترون﴾ أي: أرى الملائكة الذين لا يدان لأحد بقتالهم.

وإن أخاف الله أي: أخاف أن يعاجلني بالعقوبة في الدنيا ﴿والله شديد العقاب﴾.

ومن المحتمل أن يكون الشيطان، قد سول لهم، ووسوس في صدورهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، وأنه جار لهم، فلما أوردهم مواردهم، نكص عنهم، وتبرأ منهم، كما قال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين .

﴿إِذْ يَقُولُ المُنَافَقُونُ وَاللَّيْنُ فَيُ قلوبِهم مرض﴾ أي: شك وشبهة، من ضعفاء الإيمان، للمؤمنين حين أقدموا _مع قلتهم _على قتال المشركين مع كثرتهم.

﴿ عَرَّ هَوْلا عَدِينُهِ م ﴾ أي: أوردهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقاراً لهم واستخفافاً لعقولهم، وهم _ والله _ الأخِفّاء عقولاً، الضعفاء أحلاماً.

فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام، فإنَّ المؤمن المتوكل على الله، الذي يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلُّهم على تفع شخص بمثقال ذرة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحقّ، وأن الله تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، وكان واثقاً بربه، مطمئن القلب لا فزعاً ولا جباناً، ولهذا قال: ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز ﴾ لا يغالب قوته قوة، ﴿حكيم﴾ فيما قضاه وأجراه.

٥ - ٢٥ (ولو ترى إذ يتوقى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد * كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب بقول تعالى: ولو ترى الذين كفروا بآيات الله حين توفاهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم وقد اشتد بهم يضربون وجوههم وأدبارهم يقولون الحم: أخرجوا أنفسكم، ونفوسهم متمنعة مستعصية على الخروج، لعلمها ما أمامها من العذاب الأليم.

وله أمال: ﴿وذوق واعداب المسديد المحرق، ذلك العذاب حصل لكم، غير ظلم ولا جور من ربكم، وإنما هو بما قدمت أيديكم من المعاصي التي أثرت لكم ما أثرت، وهذه سنة الله في الأولين والآخرين، فإن دأب هؤلاء المكذبين أي: سنتهم وما أجرى الله عليهم من الهلاك بذنوبهم.

﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم﴾ من الأمم المكذبة ﴿كفروا بآيات الله فأخذهم الله بالعقاب ﴿بندوهم، إن الله قوي شديد العقاب لا يعجزه أحد يريد أخذه

﴿ما من دابة إلا هو آخذ ناصيتها﴾ . ﴿٥٣ - ٥٤ ﴾ ﴿ذلك بأنَّ الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأنّ الله سمّيع عليم * كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ ﴿ذلك ﴾ العذاب الذي أوقعه الله بالأمم الكذبين(١٠)، وأزالُ عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنومهم وتغييرهم ما بأنفسهم، فإن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقيها ويزيدهم منها، إن از دادوا له شكراً، ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرأ، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم.

ولله الحكمة في ذلك والعدل والإحسان إلى (٢) عباده، حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم، وحيث جذب قلوب أوليائه إليه، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره.

﴿وأن الله سميع عليم﴾ يسمع جميع ما نطق به الناطقون، سواء من أسر القول ومن جهر به، ويعلم ما تنطوي عليه الضمائر، وتخفيه السرائر، فيجري على عباده من الأقدار ما اقتضاه علمه وجرت به مشيئته.

﴿كَدَأَبِ آلُ فَرَعُونَ﴾ أي: فرعون وقومه ﴿والذين من قبلهم كذبوا بآيات رجم﴾ حين جاءتهم ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ كل بحسب جرمه.

﴿وأَعْرِقْنَا آل فُرْعُونَ وكل ﴾ من المهلكين المعذبين ﴿كانوا ظالمِن ﴾ المهلكين المعذبين ﴿كانوا ظالمِن ﴾ يظلمهم الله، ولا أخذهم بغير جرم المخاطبون أن يشابهوهم في الظلم، فيحل الله بهم من عقابه ما أحل بأولئك الفاسقين.

﴿ ٥٥ - ٧٥ ﴾ ﴿إنّ شسر السدواب عسد الله السنيسن كسفروا فسهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون * فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴾ هؤلاء الذين جمعوا هذه الخيصال الشلات: الكفر، وعدم الإيمنان، والخيانة، بحيث لا يثبتون على عهد والحواب عند الله فهم شر من الحمير عالكلاب وغيرها، لأن الخير معدوم منهم، والشر متوقع فيهم، فإذهاب هؤلاء ومحقهم هو المتعين، لثلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا قال:

﴿ فَإِمَا تَتْقَفَنَهُم فِي الحربِ ﴾ أي: تجدنهم في الحربة، بحيث لا يكون لهم عهد وميثاق.

﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي: نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون [به] عبرة لمن بعدهم ولعله المعلمه أي: من خلفهم فيذكرون صنيعهم، لثلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجراً لمن عملها أن لا يعاودها.

ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر _ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر _أنه إذا أُعْطِيَ عهداً لا يجوز خيانته وعقوبته.

﴿ ٥٨ ﴾ ﴿ وَإِمَا تَخَافَنَ مِن قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين ﴾ أي: وإذا كان بينك وبين قوم عهد وميثاق على ترك القتال فخفت منهم خيانة ، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة .

﴿فَأَنْبِدُ إِلَيْهِمِ ﴾ عهدهم، أي: ارمه عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك

وبينهم ﴿على سواء﴾ أي: حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل لك أن تغدرهم، أو تسعى في شيء مما منعه موجب العهد، حتى غيرهم بذلك.

﴿إِنَّ اللهُ لا يحب الخائنين ﴾ بل يبغضهم أشد البغض، فلا بد من أمر بين يبرئكم من الخيانة.

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة (٤) منهم لم يحتج أن ينبذ إلهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: ﴿على متواء﴾ وهنا قد كان معلوماً عند الجميع غدرهم.

ودل مفهومها أيضاً أنه إذا لم يُخف منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته.

﴿ ٥٩ ﴿ ولا يحسبنَ الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون ﴾ أي: لا يحسب الكافرون بربهم المكذبون بآياته ، أنهم سبقوا الله وفاتوه ، فإنهم لا يعجزونه ، والله لهم بالمرصاد .

وله تعالى الحكمة البالغة في إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، التي من جملتها ابتلاء عباده المؤمنين وامتحانهم، وتزودهم من طاعته ومراضيه، ما يصلون به إلى المنازل العالية، واتصافهم بأخلاق وصفات لم يكونوا بغيره بالغيها، فلهذا قال لعباده المؤمنين:

﴿ ٦٠ ﴾ ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تنظيلهم وما تنفقوا من الأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم ، ﴿ ما استطعتم من وإبطال دينكم ، ﴿ ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة

⁽١) في ب: المكذبة.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: على.

⁽٣) زيادة يقتضيها السياق ليست في النسختين.

⁽٤) في ب: المحقة.

ونحو ذلك، مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرَّمْي، والشجاعة والتدبير.

وُلهذا قال النبي ﷺ: «ألا إن القوة الرَّمْيُ» ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعلى: ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علّة.

فإذا كان شيء موجود (١) أكثر إرهاباً منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأموراً بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن «ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب».

وقوله: ﴿ترهبون به عدو الله وعدو الله وعدوكم﴾ من تعلمون أنهم أعداؤكم. ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾ من سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به ﴿الله يعلمهم﴾ فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذل النفقات المالية في جهاد الكفار.

ولهذا قال تعالى مرغباً في ذلك:

﴿ وما تنفقوا من شيء في سبيل الله ﴾
قليلاً كان أو كثيراً ﴿ يوف إليكم ﴾ أجره
يوم القيامة مضاعفاً أضعافاً كثيرة،
حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف
إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة.
﴿ وأنتم لا تظلمون أي:

لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئاً. ﴿ ٦٦ ــ ٦٤﴾ ﴿ وإن جنحوا للسلم

فاجنح لها وتوكّل على الله إنّه هو السميع العليم * وإن يريدوا أن ينحره وإن يريدوا أن بنصره وبالمؤمنين * وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنّه عزيز حكيم * يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين * يقول تعالى: ﴿ وَإِن جَنْحُوا ﴾ أي: الكفاربون، أي: مالوا ﴿ للسلم ﴾ أي: الصلح وترك القتال.

﴿فاجنح لها وتوكل على الله أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلا على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة.

منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماماً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

ومنها: أنَّكم إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بدأن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذِ يكثر الراغبون فيه والتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم، فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره، فعال: ﴿وإن يسريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله أي: كافيك ما يؤذيك، وهو القائم بمصالحك ومهماتك، فقد سبق [لك] من كفايته لك ونصره ما يطمئن به قلبك.

فل ﴿ موالذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ أي: أعانك بمعونة

سماوية، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة بالمؤمنين بأن قيضهم لنصرك.

﴿وَالف بين قلوبهم﴾ فاجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرهما لتاليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة ﴿ما ألفت بين قلوبهم﴾ لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى.

﴿ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ومن عزته أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة كما قال تعلل: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾.

ثم قبال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِي حسبك الله أي: كافيك ﴿ ومن البَّهِ أي: كافيك و ومن أتباعك من المؤمنين ، وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله ، بالكفاية والنصرة على الأعداء .

فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بدأن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها.

﴿ ١٥ - ٦٥﴾ ﴿ يا أيها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن بأنّم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا الفين بإذن الله والله منكم ألف يغلبوا الفين بإذن الله والله مع الصابرين * يقول تعلى لنبيه ﷺ أينا النبي حرّض المؤمنين على ﴿ يا أيها النبي حرّض المؤمنين على ما يقوي عزائمهم ويشط همهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم ويشط همهم، من الترغيب في الجهاد ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل

أحدهما أنهابصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه،

بالواقع .

صابرين بأن يكونوا متدربين على

ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين، فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم [إذا غلب على ظنهم الضرر](١)، كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويجاب عن الأول بأن قوله: ﴿الآن خفف الله عنكم الله آخرها، دليل على أن هذا أمر (٢) لازم وأمر محتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة

وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر، وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

ويجاب عن الشاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسياب الموجبة لذَّلك [فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر الله به

من النصر لهذا العدد القليل]^(٣). ﴿ ٦٧ ـ ٦٩﴾ ﴿ما كآن لنبئ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتابٌ من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب

عظيم * فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتَّقوا الله إنَّ الله غفور رحيم ﴾ هذه معاتبة من الله لرسوله وللمؤمنين يوم «بدر» إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء، وكان رأى: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال، قتلهم واستئصالهم.

فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لَنْبِي أَنْ يُكُونَ له أسرى حتى يثخن في الأرض، أي:

وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار والثَّاني: تقييد ذلك العدد أن يكونوا

ءَاكَنُوامَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ أَنْفِرُوا فِي سَكِيلِ الله أفك قلتُ ملك الأرض أرضيتُ م بالحكيزة الدُّنيّا مِنَ ٱلْآخِرَةُ وَكُمَّا مَتَنَامُ ٱلْحَكِيزَةِ ٱلدُّنْكِ إِنِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا لَنَ غِرُواْ يُسَكِّدُ بَحَثُمُ عَذَاكِ الْلِيمَا وَمَسْتَبْدِلْ فَوَمَا غَيْرَكُ مِ وَلَا تَعَشُرُوهُ مَسْبُكَ وَالْقَدْعَ لَلْ كُلِّشُ وَقَدِيرُ ﴾ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَلَدُ نَصِّرُوا لَقَهُ إِذَ أخرَحَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي ٱلْمُنَاذِ وَهُمَا فِي ٱلْعَادِ الله يَعُولُ لِمُنجِيدِ لَاحْمَازُنُ إِنَّ أَقَةَ مَعَنَ أَمَّ اللَّهِ اللَّهِ مَعَنَ أَمَّا لَذَلَ الله سكينت مُعَلَف ورَأْبَدَهُ بِعُنْ وَرَأْبَدَهُ اللهِ اللهُ مُنْ وَرِأْتِ مُنْ وَالْمِنْ وَالْمِنْ وَ وَحَدَدُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ

ما ينبغي ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يبطفؤوا نبور الله ويسعوا لإخماد دينه، وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد الله، أن يتسرع إلى أسرهم وإبقائهم لأجل الفداء الذي يحصل منهم، وهو عرض قليل بالنسبة إلى المصلحة المقتضية لإبادتهم وإبطال شرهم، فما دام لهم شر وصولة، فالأوفق أن لا يؤسروا.

وكيمةُ القوم الْعُلْبُ أَوَاقَهُ عَزِيرُ عَكِيدً ۞

DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

CONTRACTOR OF THE PROPERTY OF

المَا النِّيوسُ، زِيَادَةً فِ ٱلْكُ فَرِّيعُومَ لِهِ الَّذِينَ

كَغُرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَعُكَ مُونِكُمُ عَامًا لَهُ اللهُ أَعِدُا

مَاكَزِّمُ اللَّهُ فَيُعِلُّواْ مَاكَزَّمُ اللَّهُ فَيْنِ لَمُنْ مُنْ الْمُعْلَمُهُ

وَاللَّهُ لَائِمُ دِي الْغَوْرَ الْكَامِينَ ۞ يَنَأَيُّهُا الَّذِينَ

فإذا أشخنوا، وبطل شرهم، واضمحل أمرهم، فحينتذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم.

يقول تعالى: ﴿تريدون﴾ بأخذكم الفداء وإبقائهم ﴿عرض الحياة الدنيا﴾ أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم.

﴿والله يريد الآخرة ﴾ بإعزاز دينه، ونصر أولياته، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، فيأمركم بما يوصل إلى

﴿ والله عزيز حكيم ﴾ أي: كامل العزة، لو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعل، لكنه حكيم، يبتلي بعضكم ببعض.

﴿لُولا كتاب من الله سبق له به القضاء والقدر، أنه قد أحل لكم الغنائم، وأن الله رفع عنكم _أيها الأمة _ العذاب ﴿ لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ وفي الحديث: «لو نزل

الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير الدنيا والأخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾.

﴿إِن يَكُن مَنْكُم ﴾ أيها المؤمنون ﴿عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾ يكون الواحد بنسبة عشرة من الكفار، وذلك بأن الكفار ﴿قوم لا يفقهون﴾ أي: لا علم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون لأجل العلوفي الأرض والفساد فيها، وأنتم تفقهون المقصود من القتال، أنه لأعلاء كلمة الله وإظهار دينه، والذب عن كتاب الله، وحصول الفوز الأكبر عند الله، وهذه كلها دواع للشجاعة والصبر والإقدام على القتال.

ثم إن هذا الحكم خففه الله على العباد، فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴿ فلذلك اقتضت رحمته وحكمته التخفيف، ﴿فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين، بعونه وتأييده.

وهذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية.

ولكن معناها وحقيقتها الأمر وأن الله أمر المؤمنين _ في أول الأمر _ أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المئة، والمئة من

ثسم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، ولكن يردعلي هذا أمران:

آنف رُواخِفَافَا وَثِقَا لَا وَجَهِدُوا بِأَمْوَاكِكُمْ وَأَفْسُكُمُ الْأَ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ ذَالِكُرُ خَيْرًا لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ لَوْكَانَ عَرَضًا فَيِسًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّأَنَّبَعُوكَ وَلَكِئَ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوَ ٱسْتَطَعْنَا لَزَّجْنَا مَعَكُّرُ يُمْلِكُونَ أَنفُ لَهُمْ وَأَلْمَا يُعَلَّمُ إِنَّهُمْ أَكَانِبُونَ ۞ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِهِ أَذِنتَ لَمُنْدِحَقَّ يَتَبَيِّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعَلَّمَ ٱلْكَيْدِينَ ۞ لَايَسْتَنْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُوْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْخَصِٰرِ أَنْ يُجِلَعِهُ وَأَيَّامُ وَلِمِيدٌ وَأَنْفُرِبِ هِمْ وَأَلَّهُ عَلِيهُ مُلَكُنَّقِينَ ۞ إِنَّا يَشْتَعْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَايُّوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَرْتَ ابْتُ تُلُوبُهُمْ وَفَهُمْ فِ رَبِّ هِرْ يَ تَرَدَّدُونَ ﴿ وَ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُــُرُوعَ لَأَعَــُ تُوالُّهُ عُـدَّةً وَلَكِن كَرِهُ اللَّهُ ٱلْبِعَاثَهُمْ فَشَكَطُهُمْ وَقِيلَ اقْمُدُوا مَعَ الْقَلَوِينَ ۞ لَوَخَجُوا فِيكُمُّ مَازَادُ وَكُرْ إِلَّاحْبَ اللَّهِ وَلَأَوْضَهُ عُوا خِلَالَكِ مُ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِئْنَةَ وَفِيكُمْ سَنَاعُونَ لَمُنْذُواللَّهُ عَلِيدُ وَالظَّالِمِينَ ۞ TO TO THE WORLD

عذاب يوم بدر، ما نجا منه إلا عمر».

﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ وهذا من لطفه تعالى بهذه الأمة، أن أحل لها الغناثم ولم يحلها لأمة قبلها.

﴿واتقوا الله ﴾ في جميع أموركم ولازموها، شكراً لنعم الله عليكم، ﴿إن الله غفور ﴾ يغفر لمن تاب إليه جميع الذنوب، ويغفر لمن لم يشرك به شيئاً جميع المعاصى.

﴿رحيم﴾ بكم، حيث أباح لكم الغنائم وجعلها حلالاً طيباً.

﴿٧٠ ـ ٧٧﴾ ﴿يا أيها النبيّ قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً عما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم * وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل نزلت في أسارى يوم بدر، وكان في جلتهم العباس عم رسول الله ﷺ فلما طلب منه الفداء، ادّعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يسقطوا عنه الفداء، فأنزل الله تعالى جبراً لخاطره ومن كان على مثل حاله.

﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يوتكم خيراً عا أخذ منكم أي: من

المال، بأن ييسر لكم من فضله، خيراً وأكثر^(١) مما أخذ منكم.

ويغفر لكم ونوبكم، ويدخلكم الجنة وقد الجنة وعده للعباس وغيره، أنجز الله وعده للعباس وغيره، فحصل له بعد ذلك من المال شيء كشير، حتى إنه مرة لما قدم على النبي على مال كثير، أتاه العباس فأمره أن يأخذ منه بثوبه ما يطيق حمله، فأخذ منه ما كاد أن يعجز عن حمله.

﴿ وإن يريدوا خيانتك ﴾ في السعي لحربك ومنابذتك ، ﴿ فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ﴾ فليحذروا خيانتك ، فإنه تعلل قادر عليهم وهم تحت قبضته ، ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أي : عليم بكل شيء ، حكيم يضع الأشياء مواضعها ، ومن علمه وحكمته أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة ، وأن تكفل (٢) بكفايتكم شأن الأسرى وشرهم إن أرادوا خيانة .

﴿٧٧﴾ ﴿إِنَّ الدِّينِ آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾ هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين أمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتمام اتصال بعضهم ببعض.

﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال، فلما

لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء لكنهم ﴿إن استنصروكم في الدين﴾ أي: لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم ﴿فعليكم النصر﴾ والقتال معهم، وأما من قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد فليس عليكم نصرهم.

وقوله تعالى: ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ أي: عهد بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون المتميزون الذين لم يهاجروا قتالهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق.

﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ يعلم ما أنتم عليه من الأحوال، فيشرع لكم من الأحكام ما يليق بكم.

﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير لها عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم أولياء لبعض (٣)، فلا يواليهم إلا كافر مثلهم.

وقوله: ﴿إلا تفعلوه﴾ أي: موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أو واليتم الكافرين وعاديتم المؤمنين.

﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض.

﴿٧٤ ـ ٥٧﴾ ﴿والـذيـن آمـنـوا وهـاجروا وجـاهـدوا في سبيـل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزة، كريم * والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنّ الله بكل

شيء عليم﴾ الآيات السابقات في ذكر عقد الموالاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار.

وهذه الآيات في بيان مدحهم وشوابهم، فقال: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك أي: المؤمنون من المهاجرين والأنصار ﴿هم المؤمنون حقاً ﴾ لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين.

﴿لهم مغفرة﴾ من الله تمحى بها سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، ﴿و﴾ لهم ﴿رزق كريم﴾ أي: خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم.

وربما حصل لهم من الشواب المعجل ما تقرّبه أعينهم، وتطمئن به قلوبهم، وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، عن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل الله. ﴿فَأُولُنُكُ مَنكُم﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم (١).

فهذه الموالاة الإيمانية ـ وقد كانت في أول الإسلام ـ لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي الهاجرين والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا الأحوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فلا يرثه إلا أقاربه من العصبات وأصحاب الفروض، فإن لم يكونوا، فأقرب قراباته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة، وقوله: ﴿فَي كتاب الله أَي في حكمه وشرعه.

﴿إِن الله بكل شيء عليم ﴾ ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائعه الدينية عليكم ما يناسبها.

تم تفسير سورة الأنفال ولله الحمد

تفسير سورة براءة ويقال: سـورة التوبـــة، وهي مدنيـــة

﴿ ١ - ٢﴾ ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أتكم غير معجزي الله وأن الله خزي الكافرين ﴾ أي: هذه براءة من الله ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض على اختيارهم، المشهر فلا عهد لهم ولا ميثاق.

وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإنه يتعين أن يتمم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد..

ثم أنذر المعاهدين في مدة عهدهم، أنهم وإن كانوا آمنين، فإنهم لن يعجزوا الله ولن يفوتوه، وأنه من استمر منهم على شركه فإن الله لا بد أن يخزيه، فكان هذا عما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد الله له.

واذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المسركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم هذا ما وعد الله به المؤمنين، من نصر دينه وإعلاء كلمته، وخذلان أعدائهم من المشركين الذين أخرجوا الرسول ومن معه من مكة، من التسلط عليه من أرض الحجاز.

نصر الله رسوله والمؤمنين حتى افتتح مكة، وأذل المشركين، وصار للمؤمنين الحكم والغلبة على تلك الديار.

لَقَدَ أَبْتَكُوا ٱلْفِنْكَةُ مِن قَبْلُ وَفَكَلِّوْ الْكَ ٱلْأُمُورَحَكَّ جَلَةَ ٱلْعَقُّ وَظَهِكِ رَأَمْهُ أَهِّهِ وَهُمْ رَكَارِهُونَ ﴿ وَمِنْهُدَمَّن يَكُولُ أَفْذَن لِلْ وَلِالْفَيْنِيُّ أَلَّا فِي ٱلْفِشْكَةِ سَعَلُواً وَالْ جَهَنَّرَلُمُ حِيطَةً إِلَّاكَ عَرِينَ ۞ إِن تُصِبِّكُ حَسَنَةً تُسُوُّهُمَّ وَإِن تُصِبِّكُ مُصِيكَةً يَغُولُواْ قَدْ أَخَذُنَّا أَمْرَكَ امِن قَبْلُ وَيَتَوَلُّواْ وَهُمْ فَرِجُونَ ٥ قُل أَن يُصِيبَ نَمْ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُو مُعْلِنَا وَعَلَاللَّهِ فَلْيَدُّوكَ إِللَّهُ وَمِنُونَ ۞ قُلْ هَلَ زَّيْهُ وَنَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى أَكْمُ نَيْنِ وَغَنْ نَكَدَّفُ بِحَدُ أَن يصيبكم القريك المرمن عندويا وبأيديث فتركضوا إنا مَعَكُمْ مُثَمَّوْتُ ﴿ قُلْ أَنفِ قُواْطُوْعًا أَوْكَرْهَا لَنْ يُنَفَيَّلُ مِنْ كُمُّ لِلْكُمْرِكُ مُنْ قُوْمًا فَلِيقِينَ ﴿ وَمَا مَنْعَهُمُ أَن تُعْبَىلَ مِنْهُمُ نَفَقَدَتُهُمْ إِلَّا أَنْ عُرُ كَ فَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا بِأَنُّونَ ٱلصَّالَةِ ٓ إِلَّا ا وَهُمْ حَسَالًا وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُرْكَ رِهُونَ ٥ 020302110 COROCO

فأمر النبي (٢) مؤذنه أن يؤذن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن الله بيء ورسوله من المشركين، فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسم من الهجرة.

وحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأذن ببراءة _ يوم النحر _ابن عم رسول الله على على بن أبي طالب رضى الله عنه.

أنم رغب تعالى المشركين بالتوبة، ورهبهم من الاستمرار على الشرك فقال: ﴿فَإِنْ تَبْتُم فَهُو خِير لَكُم، وإِنْ تُولِيتُم فَاحِلْمُ مُوا أَنْكُم غَيْر مُعْجِزي اللهُ.

أي: فاثتيه، بل أنتم في قبضته، قادر أن يسلط عليكم عباده المؤمنين. وبشر الذين كفروا بعذاب أليم أي: مؤلم مفظع في الدنيا بالقتل والأسر والجلاء، وفي الآخرة بالنار وبش القرار.

﴿ ٤﴾ ﴿ إِلاَ الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم

⁽١) كذا في ب، وفي أ: له ما لكم وعليه ما عليكم.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: الله.

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE فَلَا تُعْجِبُكُ أَمُواهُمُ وَلَآ أُولِنَاهُمُ إِنَّا أُرْبِيدُ أَلَّهُ لِعُكِيِّنِهُم بهاني ألحكوة الدُّنياة تَزْهَقَ أَنفُسُهُرُ وَهُرُكَافِرُونِ @ وَيَعْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُ مُلِّنَاكُمُ وَمَا هُرِمَنَكُمْ وَلَائِكُهُمُ قَوْرُيَفْرَقُونَ ۞ لَوْيَحِهُ وَنَ مَلْجَنًا أَوْمَعُكَرَتِ أَوْمُلَخَلُا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ۞ وَمِنْهُ مُمَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهِ كَارَضُواْ وَإِن لَّرَيُعْطُوْ أَمِنْهِ كَأَإِذَا هُدَيِنْخُطُونَ ۞ وَلَوَّأَنَّهُدُ رَضُواْ مَا ٓءَاسَاهُ مُالَّةُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُّوْتِينَ اللَّهُ مِن فَضِّيهِ وَرَسُولُهُ رَائِنَا إِلَى اللَّهِ رَاغِنُونَ ۞ • إِنْكَمَا ٱلصَّكَدَمَّاتُ لِلْفُ غَرَآهِ وَٱلْمُسَاحِينِ وَٱلْعَكِمِلِينِ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤلِّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلِمَاكِبِ وَٱلْمَسَرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَيْ ٱلسَّيلُ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيهُ مُعَكِيدٌ ۞ وَمَنْهُ وُالَّذِينَ يُوْدُونَ النِّيَّ وَيَنْقُولُونَ هُوَأَدُنُّ قُلَّ أَدُنُ خَيْرِلَّكُمْ يُؤْمِثُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِثُ لِلْمُؤْمِنِينِ وَزَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ،امْنُوا مِنْ حُدُّ وَالَّذِيكَ يُؤْدُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَمُدْعَدَكُ أَلِمْ ۞ TORONO IN LORONO

عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين أي: هذه البراءة التامة المطلقة من جميع المسركين وإلا الذين عاهدتم من المسركين واستمروا على عهدهم، ولم يجر منهم ما يوجب النقض، فلا نقصوكم شيئاً، ولا عاونوا عليكم أحداً، فهؤلاء أغوا لهم (١١) عهدهم إلى مدتهم، قلت أو كثرت، لأن الإسلام مدتهم، قلت أو كثرت، لأن الإسلام المرباطيانة وإنما يأمر بالوفاء.

﴿إِن الله يحب المتقين﴾ الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصى.

وه فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المسركين حيث وجدتموهم وخدوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم يقول تعالى: فإذا انسلخ الأشهر الحرم أي: التي حرم فيها قتال المشركين المعاهدين، وهي أشهر التسيير الأربعة، وعام المدة لمن له مدة أكثر منها، فقد برئت منهم الذهة.

﴿فاقسلوا المسركين حييث وجدتموهم في أي: مكان وزمان، ﴿وخذوهم أسرى ﴿واحصروهم ﴾ أي: ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه التي جعلها [أله] معبداً لعباده.

فهؤلاء ليسوا أهلاً لسكناها، ولا يستحقون منها شبراً، لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربة الذين يريدون أن يخلوا الأرض من دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

﴿واقعدوا لهم كل مرصد أي: كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادهم وابذلوا غاية مجهودكم في ذلك، ولا تزالوا على هذا الأمر حتى يتوبوا من شركهم.

ولهذا قال: ﴿فإن تابوا﴾ من شركهم ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي: أدوها بحقوقها ﴿وآتوا الزكاة﴾ لستحقيها ﴿فخلوا سبيلهم﴾ أي: اتركوهم، وليكونوا مثلكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.

﴿إِن الله غفور رحيم > يغفر الشرك فما دونه للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبولها منهم.

وفي هذه الآية دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة، فإنه يقاتل حتى يؤديهما، كما استدل بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) ﴿وإن أحد من المسركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون لا يعلمون لا كان ما تقدم من قوله: ﴿فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المسركين حيث وجدتموهم وخذوهم واقعدوا لهم كل مرصد أمراً عاماً في جميع الأحوال، وفي كل أمراً عاماً في جميع الأحوال، وفي كل المصلحة إذا اقتضت تقريب بعضهم الأسخاص منهم، ذكر تعالى أن المصلحة إذا اقتضت تقريب بعضهم أحد من المشركين استجارك أي: أحد من المشركين استجارك أي: لأجل أن يجيره وقمنعه من الضرر، لأجل أن يسمع كلام الله، وينظر حالة الإسلام.

﴿فَأَجِره حتى يسمع كلام الله ثم إن أسلم فذاك، وإلا فأبلغه مأمنه، أي: المحل الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون،

فربما كان استمرارهم على كفرهم لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر الله رسوله، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام الله.

وفي هذا حجة صريحة لذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، ويطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: أن القرآن مخلوق.

وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول، ليس هذا محل ذكرها.

﴿٧﴾ ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلاّ الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إنّ الله يجب المتقين﴾ هذا بيان للحكمة الموجبة لأن يتبرأ الله ورسوله من المشركين عهد عند الله وعند رسوله؟!﴾ هل قاموا بواجب الإيمان، أم تركوا رسول الله والمؤمنين من أذيتهم؟ أمّا حاربوا الحق ونصروا الباطل؟

أماً سعوا في الأرض فساداً؟ فيحق لهم أن يتبرأ الله منهم، وأن لا يكون لهم عهد عنده ولا عند رسوله.

﴿إلا الذين عاهدتم ﴾ من المشركين ﴿عند المسجد الحرام ﴾ فإن لهم في العهد وخصوصاً في هذا المكان الفاضل حرمة ، أوجب أن يراعوا فها.

﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، إن الله يحب المتقين ﴾ ولهذا قال:

﴿٨ - ١١﴾ ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون * اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون * لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون * فإن تبابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة

(١)

فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون أي: ﴿كيف كيكون للمشركين عند الله عهد وميثاق ﴿و ﴾ الحال أنهم ﴿إن ينظهروا عليكم ﴾ بالقدرة والسلطة ، لا يرحموكم ، و ﴿لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ولا قرابة ، ولا يخافون الله فيكم ، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا.

ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم ﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم﴾ الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقاً، المبغضون لكم صدقاً، ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ لا ديانة لهم ولا مروة.

﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا﴾ أي: اختاروا الحظ العاجل الخسيس في الدنيا على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله.

﴿فصدوا﴾ بأنفسهم، وصدوا غيرهم ﴿عن سبيله، إنهم ساء ما كانوا يعملون * لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة﴾ أي: لأجل عداوتهم للإيمان وأهله.

فالوصف الذي جعلهم (١) يعادونكم لأجله ويبغضونكم، هو الإيمان، فذبوا عن دينكم، وانصروه واتخذوا من عاداه لكم عدواً ومن نصره لكم ولياً، واجعلوا الحكم يدور معه وجوداً وعدماً، لا تجعلوا الولاية والعداوة طبيعية (٢) تميلون بهما، حيثما مال الهوي، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء، ولهذا: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَّاةُ وَآتُوا الزَّكَاةُ فَإِخُوانَكُمْ في الدين، وتناسوا تلك العداوة إذ كأنوا مشركين، لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدأ حقيقة. لما بين من أحكامه العظيمة ما بين، ووضح منها ما وضح، أحكاماً

وحكماً وحُكماً وحكمة قال: ﴿ونفصل الآيات﴾ أي: نوضحها ونميزها ﴿لقوم يعلمون﴾ فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، وبهم عرف دين الإسلام وشرائم الدين.

اللهم اجعلنا من القوم الذين يعلمون، ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك [وإحسانك يا رب العالمين].

﴿١٢ ــ ١٥﴾ ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أثمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون * ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم، يقول تعالى بعدما ذكر أن المعاهدين من المشركين إن استقاموا على عهدهم فاستقيموا لهم على الوفاء: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أي: نقضوها وحلوها، فقاتلوكم أو أعانوا على قتالكم، أو نقصوكم، ﴿وطعنوا في دينكم﴾ أي: عابوه وسخروا منه.

ويدخل في هذا جميع أنواع الطعن الموجهة إلى الدين، أو إلى القرآن، فقاتلوا أثمة الكفر أي: القادة فيه، الرؤساء الطاعنين في دين الرحن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم جنايتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليدل على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أئمة الكفر.

﴿إنهم لا أيمان لهم أي: لا عهود ولا مواثيق يلازمون على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين،

يخلفون بألله لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَحَدُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَافُواْمُؤْمِنِينَ ۞ أَلْرَيْعَ لَمُوَاأَنَّهُ مِنَ يُحَادِدِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنْ لَهُ فَارْجَهَ فَرَخَالِهُ فِيهَا ذَلِكَ ٱلْجِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ۞ يَحْـذُرُٱلْمُنَكَ فِقُوتَ أَنْ أَنْزُلُ عَلَيْهِمْ سُورَةُ تُنَيِّتُهُمُ مِهَافِ قُلُوبِهِ مَّ قُلِ اَسْتَهْزِهُ وَالِنَ اللّهَ مُغْرِجٌ مَّا تَحْدَدُون ﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُ مُ لَيَعُولُنَّ إِنْسَا عُنَّا غَوْضُ وَلَلْمَثُ قُلْ أَبِ اللَّهِ وَمَا يَكِيهِ وَرَسُولِهِ كُنَّمُ تَسْتَهْ رُوْوِيَ ۞ لَاتَفَتَىٰ ذِرُوا فَدَّكَ فَرَيْتُم بَعْتَ إيكنيك تمَّأَون نَعَفُ عَن طَآيِفَ قِ مِن كُونُكُذِبٌ طَآيِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ نَجْرُومِينَ ۞ ٱلنَّفِقُونَ وَٱلْتَنْفِقَاتُ بَعْضُهُ مِينَ بَعْضُ يَأْمُونَ إِلَّهُ حَيْدَ وَيَسْعَوْنَ عَنِ لَلْقَدُوفِ وَيَقْبِضُونِ أَيْدِينَهُمُّ نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيمُهُمُّ إِنَّا ٱلْتَنْفِقِينَ هُمُ ٱلْفَلَسِ قُونَ ۞ وَعَدَالْقَدُالْتَنْفِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَتِ ارْجَهَا مِّرْحَالِينَ فِيهَا مِي حَسْبُهُ وَلَقَتَ مُواللَّهُ وَلَهُوعَذَاتِ مُعِيدًا ٥

ناكثين للعهد، لا يوثق منهم.

«لعلهم» في قتالكم إياهم ﴿ينتهون عن الطعن في دينكم، وربما دخلوا فيه، ثم حث على قتالهم، وهيج المؤمنين بذكر الأوصاف التي صدرت من هؤلاء الأعداء، والتي هم موصوفون بها، المقتضية لقتالهم فقَّال: ْ ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قُوماً نَكِثُوا أَيْمَانُهُم وهموا بإخراج الرسول الذي يجب احترامه وتوقيره وتعظيمه؟ وهم هموا أن يجلوه ويخرجوه من وطنه وسعوا في ذلك ما أمكنهم، ﴿وهم بدؤوكم أول مرة﴾ حيث نقضوا العهد وأعانوا عليكم، وذلك حيث عاونت(٣) قريش ـ وهم معاهدون _بني بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، وقاتلوا معهم كما هو مذكور مبسوط في السيرة .

﴿ أَخْشُونهم ﴾ في ترك قتالهم ﴿ فَالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ فإنه (٤) أمركم بقتالهم ، وأكد ذلك عليكم غاية التأكيد.

فإن كنتم مؤمنين فامتثلوا لأمر الله، ولا تخشوهم فتتركوا أمر الله، ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم من

⁽١) في النسختين: جعلوهم، ولعل الصواب ما أثبت.

⁽٢) في ب: طبعية.

⁽٣) في ب: أعانت.

⁽٤) في ب: فالله.

كَالَّذِيكِ مِن قِبَلِكُ مُكَانُوا أَشَدُّ مِنكُمْ فُوَّةً وَأَكْثَرُ أمَّوالْا وَأُولِكَ مَا فَأَسْتَمْنَعُواْ بِعَلَيْتِهِمْ فَأَسْتَمْنَعْتُم بِغَلَّقِكُمْ كماآستنت آلذي بن قالكم يخلقه ووخنت كَالَّذِي خَاضُوٓ أَوْلَيْكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِالدُّنْيَا وَٱلْآيَةِ وَا وَأُوْلَتِهَكَ هُمُواعْظِيرُونَ ۞ أَلْزَيَاتِهِمْ نَبَ أَالَّذِينَ مِن قَبُلِهِ مُ قَوْدٍ نُوجٍ وَيَحَسَادٍ وَكَمُودَ وَقَوْمِ إِزَّهِمَ وَأَحْسَبُ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْفَةِ كَتَاتُ أَلْتَعْمُرُوسُكُمُ مِالْبَيْنَاتُ فَتَا كَانَ أَفَدُ لِيظَلِمَ هُرُ وَلَكِن كَانُوا أَفْسُكُ مُرْيَظُلِمُونَ ﴿ وَٱلْمُوْمِنُونِ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعِنْهُمُ وَأَقْلِى آءُ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمُفْرُونِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكِرِ وَيُعِيمُونَ ٱلصَّاوَةَ وَيُوْقُونَ ٱلزَّحَوَةِ وَيُعِلِيعُونَ ٱلْقَدَوَيَ وَلَيُطِيعُونَ ٱلَّهَ وَيَسُولَهُۥ أُوْلَلِكَ سَيَرْمَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَنِيزُمَكِيرٌ ۞ وَعَكَ اللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتِ جَنَّتِ جَنَّاتٍ جَنَّاتٍ جَنَّاتٍ مَعْدِي مِن تَعْلِهَا ٱلأَنْهَا رُخَالِدِينَ فِيهَا وَمَسِكَ كِنَ كُلِيدَةً فِي جَنَّاتِ عَنْمُ وَرِضْوَنَ مِن الْمَوَأَكَ بَرُّذَالِكَ هُوَالْفَوْزُ ٱلْعَظِيرُ ۞ TORONO WITCHES

الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم، فقال: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ بالقتل ﴿ويخزهم ﴾ إذا نصركم الله عليهم، ويحرص عليه، ﴿وينصركم عليهم ﴾ هذا وعد من الله وبشارة قد أنجزها.

ويدهب غيظ قلوبهم فإن في قلوبهم ويذهب غيظ قلوبهم فإن في قلوبهم من المحنق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نور الله، وزوالا معينة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل من جملة المقاصد الشرعية مشفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم.

ثم قال: ﴿ويستوب الله على من يشاء ﴾ من هولاء المحاربين، بأن يوفقهم للدخول في الإسلام، ويزينه في قلوبهم، ويُكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

﴿والله عليم حكيم ﴾ يضع الأشياء مواضعها، ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه، ومن لا يصلح فيبقيه في غيه وطغيانه.

﴿١٦﴾ ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم

يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون المؤمنين بعدما أمرهم بالجهاد: ﴿أَمْ حسبتم أَنْ تَتْرَكُوا ﴾ من دون ابتلاء وامتحان ، وأمر بما يبين به الصادق والكاذب .

﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ أي: علماً يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليترتب عليه الشواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله لإعلاء كلمته ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسول ولا المؤمنين وليجة ﴾ أي: ولياً من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء.

فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائح والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين.

﴿والله خبير بما تعملون أي: يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها.

والمركبن المشركين المسروا مساجد الله شاهدين على أن يعمروا مساجد الله شاهدين على وفي النار هم خالدون * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين يقول تعالى: ﴿ما كان أن يعمروا مساجد الله بالعبادة أن يعمروا مساجد الله بالعبادة والصلاة، وغيرها من أنواع الطاعات، والحال أنهم شاهدون ومقرون على أنفسهم بالكفر بشهادة حالهم وفطرهم، وعلم كثير منهم أنهم على الكفر والباطل.

فإذا كانوا ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ وعدم الإيمان الذي هو شرط لقبول الأعمال، فكيف يزعمون أنهم عُمَّارُ مساجد الله، والأصل منهم

مفقود، والأعمال منهم باطلة؟!! ولهذا قال: ﴿أُولَئِكُ حبطت أعمالهم﴾ أي: بطلت وضلت ﴿وفي النار هم خالدون﴾

ثم ذكر من هم عمّار مساجد الله فقال: ﴿إِنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة ﴾ الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن.

﴿وآتى الزكاة﴾ لأهلها ﴿ولم يخش إلا الله﴾ أي: قصر خشيته على ربه، فكف عما حرم الله، ولم يقصر بحقوق الله الواجبة.

فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أمها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها.

﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ و احسى » من الله واجبة . وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، ولا عنده خشية لله ، فهذا ليس من عمار مساجد الله ، ولا من أهلها الذين هم أهلها ، وإن زعم ذلك وادعاه .

﴿١٩ ـ ٢٢﴾ ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الطالمين * اللين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عندالله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم الختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيسان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما، فقال: ﴿ أجعلتم سقاية الحاج أي: سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد ﴿وعمارة المسجد

الحرام كسن آسن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾.

فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال وتزكو الخصال.

وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل.

وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالاً صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: ﴿لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمن﴾ أي: الذين وصفهم الظالم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر.

ثمَّ صرح بالفضل فقال: ﴿الذين الله المنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم بالنفقة في الجهاد وتجهيز النفس خاعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون أي: لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم.

﴿يبشرهم ربهم﴾ جوداً منه، وكرماً وبراً بهم، واعتناء وعبة لهم، ﴿برحمة منه﴾ أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم [بها] كل خير. ﴿ورضوان﴾ منه تعلى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً.

﴿وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ من كل ما اشتهته الأنفس، وتلذ الأعين، عما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله أحد تعمالى، الدي مسنه أن الله أحد للمجاهدين في سبيله مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة

واحدة منها لوسعتهم.

﴿ خالدين فيها أبداً ﴾ لا ينتقلون عنها، ولا يبغون عنها حولاً،

﴿ إِن الله عسنده أجر عظيم ﴾ لا تستغرب كثرته على فضل الله،

ولا يتعجب من عظمه وحسنه على من يقول للشيء كن فيكون .

و ٢٤ ـ ٢٤) ﴿يا أيها الذين آمنوا

لا تتخذوا آباء كم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون * قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين عقول تعالى: ﴿يا أيها الذين الفاسقين عملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم

و ﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم﴾ الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم ﴿أُولِياء إِن استحبوا﴾ أي أُ اختاروا على وجه الرضا والمحبة ﴿الكفر على الإيمان﴾.

﴿ومن يتولهم منكم فأولئك هم السظالمون﴾ لأنهم تجرووا على معاصي الله، واتخذوا أعداء الله أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، وحبتهم على عبة الله ورسوله.

ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما، فقال: ﴿قل إن كان آباؤكم وإخوانكم ﴾ ومثلهم الأمهات والعشرة (۱) ﴿وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ أي: قراباتكم عموماً ﴿وأموال اقترفتموها ﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم

في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصاً عليها بمن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كذ.

و و تجارة تخشون كسادها الله أي: رخصها و نقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

﴿وَمساكن ترضُونها﴾ من حسنها ورخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء ﴿أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾ فأنتم فسقة ظلمة.

﴿فتربصوا﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ الذي لا مرد له.

ولله لا يهدي القوم الفاسقين الهار يهدي القوم الفاسقين الهاد المقدمين عن طاعة الله المقدمين على محبة الله شيئاً من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمهما على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوّتُ عليه عبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم تبارك لما يجب

﴿ ٢٠ _ ٢٧﴾ ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم ملبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك

على من يشاء والله غفور رحيم الله يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن اللقاء، ومواضع الحروب والهيجاء، حتى في يوم "حنين" الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها.

وذلك أن النبي على الم فتح مكة ، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه ، فسار إليهم على في أصحابه الذين فتحوا مكة ، وبمن أسلم من الطلقاء أهل مكة ، فكانوا النبي عشر ألفاً ، والمشركون أربعة آلاف ، فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم ، وقال بعضهم : لن نغلب اليوم من قلة .

فلما التقواهم وهوازن، حملوا على المسلمين حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله على إلا نحو مئة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي على يركض بغلته نحو المشركين ويقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع المصوت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة.

فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم.

وذلك قوله تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾ وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف.

﴿إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ أي: لم تفدكم شيئاً ، قليلاً ولا كثيراً ﴿وضاقت عليكم الأرض﴾ بما أصابكم من الهم والغم حين الهزمتم ﴿بما رحبت﴾ أي: على رحبها

وسعتها، ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أي: منهزمين.

﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد.

﴿وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ وهم الملائكة ، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين ، يثبتونهم ويبشرونهم بالنصر .

﴿وعدَّب الذين كفروا﴾ بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم.

﴿وذلك جنزاء الكسافسريسن﴾ يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ.

﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ فتاب الله على كثير بمن كانت الوقعة عليهم، وأتوا إلى النبي على مسلمين تائبين، فرد عليهم نساءهم وأولادهم.

والله غفور رحيم اي: ذو مغفرة واسعة، ورحمة عامة، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة والطاعة، والصفح عن جرائمهم وقبول توباتهم، فلا يباسل أحد من مغفرته ورحمته، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل.

﴿٢٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم » يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون » بالله الذين عبدوا معه غيره ﴿نجس ﴾ أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي: نجاسة أبلغ عن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغنى عنه شيئاً؟!!

وأعمالهم ما بين محاربة شه، وصد عن سبيل الله، ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض

لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم.

﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق، وبعث النبي ﷺ ابن عمه علياً، أن يـؤذن يـوم الحـج الأكبس بـ «براءة»، فنادى أن لا يجج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عربان.

وليس المراد هنا نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب(١)

والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تَقَذَّرُهم من النجاسات، وإنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة.

وقوله: ﴿وإن خفتم﴾
﴿عيلة﴾ أي: فقراً وحاجة، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن انقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية، ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ فليس الرزق مقصوراً على باب واحد، وعل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، فصوصاً لمن ترك شيئاً لوجهه الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين.

وقد أنجز الله وعده، فإن الله أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا من أكبر الأغنياء والملوك.

وقوله: ﴿إِن شاء﴾ تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على مجبة الله، فلهذا علقه الله بالمشيئة، فإن الله يعطي المدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين إلا من محب.

﴿إِن الله عليم حكيم ﴾ أي: علمه

وينزلها منازلها .

على حسب حاله، من غني وفقير ومتوسط، كما فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره من أمراء

المؤمنين. وقوله: ﴿عن يد﴾ أي: حتى يبذلوها(١⁾ في حال ذلهم، وعدم اقتدارهم، ويعطونها بأيديهم، فلا يرسلون بها خادماً ولا غيره، بل لا تقبل إلا من أيديهم، ﴿وهم صاغرون﴾ .

فإذا كانوا بهذه الحال، وسألوا المسلمين أن يقروهم بالجزية، وهم تحت أحكام المسلمين وقهرهم، وحال الأمن من شرهم وفتنتهم، واستسلموا للشروط التي أجراها عليهم المسلمون ما ينفى عزهم وتكبرهم، وتوجب ذلهم وصغارهم، وجب على الإمام أو نائبه أن يعقدها لهم.

وإلا بأن لم يفوا، ولم يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لم يجز إقرارهم بالجزية، بل يقاتلون حتى يسلموا.

واستدل بهذه الآية الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن الله لم يذكر أخذ الجزية إلا منهم.

وأما غيرهم فلم يذكر إلا قتالهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الكتاب في أخبذ الجريبة وإقرارهم في ديبار المسلمين، المجوس، فإن النبي على أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير المؤمنين عمر من الفرس المجوس. وقيل: إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخباراً بالواقع، لا مفهوم له.

ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب، ولأنه قد تواتر عن المسلمين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين

واسع، يعلم من يليق به الغني، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها

> وتدل الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ أن المشركين بعدما كانوا هم الملوك والرؤساء بالبيت، ثم صار بعد الفتح الحكم لرسول الله والمؤمنين، مع إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم نزلت هذه الآية .

ولما مات النبي ﷺ أمر أن يجلوا من الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل هذا لأجل بُعُدِ كل كافر عن المسجد الحرام، فيدخل في قوله ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا،

﴿٢٩﴾ ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بمالله ولا بماليوم الآخسر ولا يحسرمسون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، هذه الآية أمر بقتال الكفار من اليهود والنصاري من ﴿الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ إيماناً صحيحاً يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم. ولا يحرمون ما حرّم الله، فلا يتبعون شرعه في تحريب المحرمات، ﴿ ولا يسديستسون ديسن الحسق ﴾ أي: لا يدينون بالدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير الحق، لأنه ما بين دين مبدل، وهو الذي لم يشرعه الله أصلاً، وإما دين منسوخ قد شرعه الله، ثم غيره بشريعة محمد على التمسك به بعد النسخ غير جائز .

فأمره بقتال هؤلاء وحث على ذلك، لأنهم يدعون إلى ما هم عليه، ويحصل الضرر الكثير منهم للناس، بسبب أنهم أهل كتاب.

وغبي ذلك القتال وحتى يُعطوا الجزية ﴾ أي: المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين قتالهم، وإقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم بين أظهر السلمين، يؤخذ منهم كل عام، كلّ

يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَيْهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنْفِقِينَ وَأَغْلُظُ عَلَيْهِمْ وَمَأُونَاهُمْ جَهَا لِمُرْتُونِفُسُ لَلْصِيرُ ۞ يَخِلِفُونَ بِالْقُومَاقَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِوَكَ فَرُواْ بَعْدَ إِسْلَيْوِمْ وَهِكُوا بِمَا لَرَيْكَ الْوَأْ وَكَافَقَكُواْ إِلَّا أَنْ أَغَنَا بُهُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهُ مَان يَتُوبُواْنِكَ خَيْرًا لَمُدَّ فَان يَتَوَلُّواْ يُعَالِّبُهُمُ ٱللَّهُ عَكَذَابًا أَلِيسَا فِي ٱلدُّنْيَ اوَٱلْآئِدَ رَوَّ وَمَا لَحَدُ فِي ٱلْأَرْضِ ين وَلِيَ وَلَانْصِيرِ۞ • وَمِنْهُ رَمِّنْ عَكَمَدَ ٱلْفَهَ لَهِنْ ءَاتَنْتَ مِن فَشْبِلُوء لَنَصَّدَّفَ وَلَنكُوْنَ مِنَ الصَّلِلِيمِينَ 🕲 فَلَمَآ اَتَالَهُ مِينَ فَعَنْبِلِهِ بَغِنُلُواْ بِهِ وَتَوَلُّواْ وَهُمَمُّعْ رِضُونَ ا فَأَعْمَدَهُمْ فِنَ اللَّهِ فُلُوبِهِ لِلْ يَوْمِ يَلْقَوْنَ مُعِنَّا أَخْلَفُوا اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَيِمَا كَانُوا يَكُونِونَ ﴿ الْرَبِعَ لَهُوا أَنَ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مِسْرَهُ مُدْوَجُونِهُمْ وَأَنْ ٱللَّهُ عَلَيْمُ الْغُيُوبِ ۞ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطِّوِّمِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِٱلصَّيَدَ قَلْتِ وَٱلَّذِينَ لَايَجِدُونَ إِلَّاجُهُدَةً المَّا فَيَسَّخَرُونَ مِنْهُرْسَخِرَافَةُ مِنْهُدُ فَكَتَرَعَلَكُمُ الْمُ TO NOT THE DESIGNATION OF THE PARTY OF THE P

كِتَابِي وغيره .

﴿٣٠ ـ ٣٣﴾ ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً وآحداً لا إله إلاّ هو سبحانه عما يشركون * يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، فيدل ذلك على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرؤوا فيها على الله، وتنقصوا عظمته وجلاله.

وقد قيل: إن سبب ادعائهم في «عزير» أنه ابن الله، أنه لما سلَّط الله الملوك(٢) على بني إسرائيل، ومزقوهم كل بمزق، وقتلواً حَمَلَةَ التوراة، وجدوا

في ب: أنه لمّا تسلط الملوك.

المستفرّ المنتراك المستفرّ المنتراك المستفرّ المنتراك المستفرّ المنتراك ال

عزيراً بعد ذلك حافظاً لها أو لأكثرها، فأملاها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة.

TORONO TO MENOR DE DI

أُزِلَتَ سُورَةً أَنْ عَلِمِنُوا بِالْقَوقِ حَلِهِ دُواْ مَعَ رَسُولِهِ كَسَتَعَذَنَكَ

إِ أَوْلُواْ الطَّوْلِوِينْهُمْ وَقَىٰ الْوَانْدَرْتَ نَكُنْ مَّعَ ٱلْفَيَّوِينِ ﴾

﴿وقالت النصاري المسيح عيسي ابن مريم ﴿ابن الله قال الله تعالى ﴿ الله وَلَكُ الله الله على الله وَلَكُ الله وَلَكُ الله وَلَكُ الله على الله عليه حبحة ولا برهاناً.

ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي: قول يقوله، فإنه لا دين ولا عقل يحجزه عما يريد من الكلام.

ولهذا قال: ﴿يضاهئون﴾ أي: يشابهون في قولهم هذا ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ أي: قول المشركين الذين يقولون: «الملائكة بنات الله تشابهت أقوالهم في البطلان.

﴿قاتلهم الله أنَّى يؤفكون﴾ أي: كيف يصرفون عن الحق الصرف الواضح المين، إلى القول الباطل المين. وهذا _وان كان يستغيب على أمة

وهذا _ وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة أن تتفق على قول _ يدل على بطلانه أدنى تفكر وتسليط للعقل عليه، فإن لذلك سبباً وهو أنهم:

(اتخذوا أحبارهم) وهم علماؤهم ورهبانهم) أي: العبادة.

﴿ أَرْبَاباً مِن دُونَ الله ﴾ يُجلُون لهم ما الكافرون ﴾ وسعوا ما أمكنهم في رده

حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.

وكانوا أيضاً يغلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثاناً تعبد من دون الله، وتقصد بالذبائح والدعاء والاستغاثة. ﴿والمسيح ابن مريم﴾ اتخذوه إلهاً من دون الله، والحال أنهم خالفوا في

ذلك أمر الله لهم على ألسنة رسله فما ﴿أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو﴾ فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة والدعاء، فنبذوا أمر الله وأشركوا به مالم يستزل به سلطاناً.

﴿سبحانه ﴾ وتعالى ﴿عما والأعمال السيئة المضر يشركون ﴾ أي: تنزه وتقدس، وتعالت والأبدان والدنيا والآخرة. عظمته عن شركهم وافترائهم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما ﴿ليظهره على الدين ك لا يليق بجلاله، والله تعالى العالى في المشركون ﴾ أي: ليعليه أوصافه وأفعاله عن كل ما نسب إليه، الأديان بالحجة والبرهان عاينافي كماله المقدس.

فلما تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصلوه، وإنما هو بحرد قول قالوه وافتراء افتروه، أخبر أنهم ﴿يريدون﴾ بهذا ﴿أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾.

ونور الله: دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه الله نوراً، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفؤوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلاً.

عيها دين العار .

إلى الله إلا أن يتم نوره النه النور الباهر ، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه ، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده ، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء ، ولهذا قال :

إلى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون و سعدا ما أمكنه في ده

وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئاً.

ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: ﴿هُو الذي أرسل رسوله بالهدى الذي هو العلم النافع ﴿ودين الحق الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمداً ﷺ أسماء الله وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأرواح والأبدان من أخلاص الدين لله وحده، وعبة الله وعاسن الشيم، والأعمال الصالحة وعاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب

فأرسله الله بالهدى ودين الحق ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المسركون﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وإن كره المسركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكرهم، فإن المكر السيِّىء لا يضر إلا صاحبه، فوعد الله لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لا بد أن يقوم به.

﴿٣٤ ـ ٣٥) ﴿ إِنَّا أَيُّنَا الَّذِينَ آمِنُوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى علیها فی نار جهنم فتکوی بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذاما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون هذا تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الأحبار والرهبان، أي: العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، أي: بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم، فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها

ويصدون الناس عن سبيل الله، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتاً وظلماً، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم.

ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحبار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان: أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصدهم الناس عن سبيل الله.

﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ أي: يمسكونهما ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله أي: طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت.

﴿فبشرهم بعذاب أليم ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿يوم يحمى عليها ﴾ أي: على أموالهم، ﴿في نار جهنم ﴾ فيحمى كل دينار أو درهم على حدته.

﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخاً ولوماً: ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز.

وذكر الله في هاتين الآيتين انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعاً، بل لا يناله منه إلا النفرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصدعن سبيل الله.

وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في

الواجبات و «النهي عن الشيء، أمر مضده».

﴿٣٣﴾ وقوله: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة المتقين﴾ يقول تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله أي: في قضائه وقدره ﴿إثنا عشر شهراً﴾ وهي هذه الشهور المعروفة عشر شهراً﴾ وهي هذه الشهور المعروفة والأرض﴾ وأجرى ليلها ونهارها، وقدر أوقاتها فقسمها على هذه الشهور وشهراً.

﴿منها أربعة حرم﴾: وهي: رجب الفرد، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرماً لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها.

﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهراً، وأن الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على مِنْتِه بها، وتقييضها لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصاً مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها.

ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال: إن القتال في الأشهر الحرام (۱) لم ينسخ تحريمه عملاً بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها.

ومنهم من قال: إن تحريم القتال

فيها منسوخ، أخذاً بعموم نحو قوله تعالى ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾أي: قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافريس برب العالمين.

ولا تخصوا أحداً منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألونهم من الشر شيئاً.

ويحتمل أن ﴿كافة﴾ حال من الواو فيكون معنى هذا: وقاتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين.

وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية . ﴿واصلموا أن الله مع المتقين بعونه ونصره وتأييده ، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله في سركم وعلنكم ، والقيام بطاعته ، خصوصاً عند قتال الكفار ، فإنه في بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين .

﴿٣٧﴾ ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يجلونه عاماً ويعرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله في حسالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ النسيء: هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما وأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الفاسدة _أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يجعلوا مكانه من أشهر الحل يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا

القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حراماً، فهذا كما أخبر الله عنهم ا أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، لما فيه من المحاذير.

منها: أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه.

ومنها: أنهم قلبوا الدين، فجعلوا الحلال حرامًا، والحرام حلالاً.

ومنها: أنهم مَوْهوا على الله بزعمهم وعلى عباده، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله.

ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل، ولهذا قال: ﴿يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرَّم الله ﴾ أي: ليوافقوها في العدد، فيحلوا ما حرَّم الله .

﴿زين لهم سوء أعمالهم ﴾ أي: زينت لهم الشياطين الأعمال السيئة، فرأوها حسنة، بسبب العقيدة المزينة في قلوبهم.

﴿والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ أي: الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا.

(٣٩ ـ ٣٩) قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل توماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على السورة الكريمة نزلت في غزوة تبوك، الدب النبي على المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حاراً، والزاد

قليلاً، والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين من التثاقل ما أوجب أن يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم، فقال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي (١) اليقين من المبادرة لأمر الله، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، ف ﴿ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله ولملتم إلى الأرض﴾ أي: تكاسلتم، وملتم إلى الأرض والدعة والسكون فيها.

﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ أي: ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا وسعى لها ولم يبال بالآخرة، فكأنه ما آمن ما.

﴿ فها متاع الحياة الدنيا ﴾ التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة ﴿ إِلا قليل ﴾ أفليس قد جعل الله لكم عقولاً تَسزِنُون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟.

أفليست الدنيا - من أولها إلى آخرها - لا نسبة لها في الآخرة. فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المسلوءة بالأكدار، المسحونة بالأخطار.

فبأي: رَأْي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من عُدَّ من أولي الألباب، ثم توعدهم على عدم الغير فقال:

﴿ إِلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ﴾ في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة، فإن المتخلف قد

عصى الله تعالى وارتكب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فَتَّ في أعضاد من قاموا بجهاد أعداء الله، فحقيق بمن هذا حاله أن يتوعده الله بالوعيد الشديد، فقال:

﴿إِلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم * ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿ولا تضروه شيئاً * فإنه تعالى متكفل بنصر دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر الله، أو ألقيتموه وراءكم ظهرياً.

﴿وَاللهُ عَلَى كَلَ شَيِء قَدْيَسِ ﴾ لا يعجزه شيء أراده، ولا يغالبه أحد.

و ٤٠٠٠ وإلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم أي: إلا تنصروا رسوله كمدا كلمة أله غني عنكم، كمون وأذله ﴿إذ أخرجه الذين كفروا من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحسرصوا أشد الحرص، فألجؤوه إلى أن يخرج.

وثاني اثنين أي: هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذ هما في الغار أي: لما هربا من مكة، لجآ إلى غار ثور (٢) في أسفل مكة، فمكثا فيه ليرد عنهما الطلب.

فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة الشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال.

﴿إِذِ يقولَ النبي ﷺ ﴿لصاحبه ﴾ أبي بكر لما حزن واستند قلقه،

⁽١) في ب، ودواعي.

⁽٢) في أ: (إلى غار حراء)، وفي ب: عدلت إلى: (غار ئور) وهو الصحيح فيبدو ـ والله أعلم ـ أنه سبق قلم.

﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ بعونه ونصره وتأييده.

﴿ فأنزل الله سكينته عليه ﴾ أي : الثبات والطمأنينة والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال: ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ .

﴿وأيده بجنود لم تروها ﴾ وهي الملائكة الكرام ، الذين جعلهم الله حرساً له ، ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفل ﴾ أي: الساقطة المخذولة ، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين ، في ظنهم على قتل الرسول ﷺ وأخذه ، حنقين عليه ، فعملوا غاية بجهودهم في ذلك ، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم ، بل ولا أدركوا شيئاً منه .

ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله لهم ما طلبوا وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم.

والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع.

وقوله: ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ أي: كلماته القدرية وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر.

﴿والله عزيز﴾ لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب، ﴿حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها، ويؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر اقتضته الحكمة الإلهية.

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز جذه المنقبة

الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجم المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي كافراً، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها.

وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى _ إذا نزل بالعبد _أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة.

(13 - 23) وانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا خرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله ليعلم إنهم لكاذبون يقول تعالى لعباده يعلم إنهم لكاذبون يقول تعالى لعباده سبيله فقال: (انفروا خفافاً وثقالا) أي: في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، وفي جميع الأحوال.

﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله أي: ابذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على أنه _ كما يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك.

ثم قال: ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أي: الجهاد في النفس والمال ، خير لكم من التقاعد عن ذلك ، لأن فيه رضا الله تعالى ، والفوز بالدرجات العاليات عنده ، والنصر لدين الله ، والدخول في جملة جنده وحزبه .

لو كان خروجهم لطلب العرض القريب، أي: منفعة دنيوية سهلة

التناول ﴿و﴾ كان السفر ﴿سفراً قاصداً﴾ أي: قريباً سهلاً ﴿لاتبعوك﴾ لعدم المشقة الكثيرة، ﴿ولكن بعدت عليهم السفة، وصعب عليهم السفر، فلذلك تثاقلوا عنك، وليس هذا من أمارات العبودية، بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل

﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم﴾أي: سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج، أن لهم أعذراً، وأنهم لا يستطيعون ذلك.

﴿ يَهِلَكُونَ أَنفُسِهُم ﴾ بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، ﴿ والله يعلم إنهم لكاذبون ﴾ .

وهذا العتاب إنما هو للمنافقين، الذين تخلفوا عن النبي على في «غزوة تبوك» وأبدوا من الأعذار الكاذبة ما أبدوا، فعفا النبي على عنهم بمجرد اعتذارهم، من غير أن يمتحنهم، فيتبين له الصادق من الكاذب، ولهذا عاتبه الله على هذه المسارعة إلى عذرهم فقال:

(32 - 63) (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين * لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يسترددون ويقول تعالى لرسوله على: ﴿عفا الله عنك أي:

﴿ لَمُ أَذَنت لهم ﴾ في التخلف ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ بأن تمتحنهم، ليتبين لك الصادق من الكاذب، فتعذر من يستحق ذلك.

ثم أخبر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم، لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان، يحملهم على الجهاد من غير أن يحثهم عليه حاث،

فضلاً عن كونهم يستأذنون في تركه من غير عذر .

﴿والله عليم بالمتقين ﴾ فيجازيهم على ما قاموا به من تقواه، ومن علمه بالمتقين، أنه أخبر، أن من علاماتهم أنهم لا يستأذنون في ترك الجهاد.

﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم أي : ليس لهم إيمان تام، ولا يقين صادق، فلذلك قلت رغبتهم في الخير، وجبنوا عن القتال، واحتاجوا أن يستأذنوا في ترك القتال. ﴿فهم في ربيهم يترددون أي : لا يزالون في الشك والحيرة.

﴿٤٦ ـ ٤٨ ﴾ ﴿ولو أرادوا الخبروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴿ لُو خرجوا فيكم ما زآدوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين * لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ يقول تعالى مبيناً أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر.

﴿وَ ﴾ أما هؤلاء المنافقون ف ﴿لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ﴾ أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج.

ولكن كره الله انبعاثهم معكم في الخروج للغزو ﴿فببطهم قدراً وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم ﴿وقيل اقعدوا مع النساء والمعذورين.

ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾ أي: نقصاً.

﴿ولأوضعوا خلالكم اي: ولسعوا في الفتنة والشربينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، ﴿يبغونكم الفتنة اي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.

﴿وفيكم﴾ أناس ضعفاء العقول ﴿سماعون لهم﴾ أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم، فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فلله أتم الحكمة حيث بطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفأ من أن يداخلهم ما لا ينفعهم بل يضرهم.

﴿والله عليم بالظالمين﴾ فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من نخالطتهم.

ثم ذكر أنه قد سبق لهم سوابق في ا الشر فقال:

ولقد ابتغوا الفتنة من قبل أي: حين هاجرتم إلى المدينة، بذلوا الجهد، وقلب المناف الأمور أي: أداروا الخيل في إبطال الأفكار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا في ذلك، وحتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون وبطل كيدهم واضمحل باطلهم، فحقيق بمثل هؤلاء أن يحذر الله عباده المؤمنين منهم، وأن لا يبالي المؤمنون بتخلفهم عنهم.

أو 43 ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين أي: ومن هو لاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول: ﴿ائذن لي﴾ في التخلف ﴿ولا تفتني في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بني الأصفر لا أصبر عنهن، كما قال ذلك «الجد بن قيس».

نال: ﴿لو والنفّاق بأنّ مقصودي مقصود حسن، *خبالاً﴾ فإن في خروجي فتنة وتعرضاً للشر، وفي عدم خروجي عافية وكفاً عن

قال الله تعالى مبيناً كذب هذا القول: ﴿ الله في الفتنة سقطوا ﴾ فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده ، وفإن] في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة ، وهي معصية الله ومعصية رسوله ، والتجرىء على الإثم الكبير ، والوزر العظيم ، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف ، وهي مقوله ، ولهذا توعدهم الله بقوله : ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ليس لهم عنها مفر ولا مناص ، ولا فكاك ولا خلاص .

﴿ ٥ _ ١ ٥ ﴾ ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أحذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون * قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يقول تعلى مبينا أن المنافقين هم الأعداء حقاً، المبغضون للدين صرفاً: ﴿إن تصبك حسنة ﴾ كنصر وإدالة على العدو ﴿تسؤهم أي: تحزنهم وتغمهم.

وإن تصبك مصيبة > كإدالة العدو عليك ﴿ يقولوا > متبجحين بسلامتهم من الحضور معك .

﴿قد أخذنا أمرنا من قبل ﴾ أي: قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة.

﴿ويتولوا وهم فرحون ﴾ فيفرحون بمصيبتك، وبعدم مشاركتهم إياك فيها. قال تعالى راداً عليهم في ذلك ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ أي: قدره وأجراه في اللوح المحفوظ. ﴿هو مولانا ﴾ أي: متولي أمورنا

هو مولانا اي: متولي امورنا الدينية والدنيوية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء.

﴿وعلى الله وحده ﴿فليتوكل المؤمنون ﴾ أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه ، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل.

﴿٢٥﴾ ﴿قل هل تربصون بنا إلاَّ

المنآزل عند الله.

القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين.

﴿٥٥ ـ ٧٥﴾ ﴿فيلاتعبيك أموالهم ولاأولادهم إئتما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * ويحلفون بالله إنهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجاً أو معارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون) يقول تعالى: فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، وأول بركاتها عليهم أن قدموها على مراضى ربهم، وعصواً الله لأجلها ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا، والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من الشقة في تحصيلها، والسعى الشديد في ذلك، وهم القلب فيها، وتعب البدن.

فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهي _لما ألهتهم عن الله وذكره _صارت وبالاً عليهم حتى في الدنيا.

ومن وبالها العظيم الخطر، أن قلوبهم تستعلق بها، وإراداتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم، ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب، فيوجب ذلك أن ينقلوا من الدنيا ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾.

فأي: عقوبة أعظم من هذه العقوبة الموجبة للشقاء الدائم والحسرة الملازمة.

﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم و قصدهم في حلفهم هذا أنهم ﴿قوم يفرقون ﴾ أي: يخافون الدوائر، وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم . فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرؤوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب.

وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلعة الجبن، وحلوا بحلية الكذب.

حَيَزًا أَلَّا يَجِيدُ وَامَا يُسْفِقُونَ ﴿ وَإِمَّا ٱلسَّيِيلُ عَلَى

اً ٱلَّذِينَ يَسْتَعْذِ فُونَكَ وَهُمْ فَأَغِيبَ آهُ رَضُهِ الْإِن كُمُواْ

اللهُ مَعَ أَنْخُو الِفِ وَمَلَّبَعَ أَلَقَهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞

DECEMBER TO PROPERTY

ثم ذكر شدة جبنهم فقال: ﴿لو يَبدون ملجاً﴾ يلجؤون إليه عندما تنزل بهم الشدائد، ﴿أو مغارات﴾ يدخلونها فيستقرون فيها ﴿أو مدخلاً﴾ أي: محلاً يدخلونه فيتحصنون فيه ﴿لولوا إليه وهم يجمعون أي: يسسرعون ويهرعون، فليس لهم ملكة يقتدرون بها على الثبات.

﴿٥٨ ــ ٥٩ ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون * ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ أي: ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها، وليس انتقادهم فيها وعيبهم لقصد صحيح، ولا لرأي: رجيح، وإنما مقصودهم أن يعطوا منها. ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يسعطوا مشها إذا هم يسخطون، وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه، تابعاً لهوي نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعاً لمرضاة ربه، كما قال النبي ﷺ: الا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعأ لما جئت

وقال هنا: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أي: أعطاهم من قليل وكثير. ﴿وقالواحسبنا الله﴾ إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون أي: قل للمنافقين الذين يتربصون بكم الدوائر: أي: شيء تربصون بنا؟ فإنكم لا تربصون بنا إلا أمراً فيه غاية نفعنا، وهو إحدى الحسنيين، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ونيل الثواب بالأحداء والنيوي. وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع

وأما تربصنا بكم _ يا معشر المنافقين _ فنحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، لا سبب لنا فيه، أو بأيدينا بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم. ﴿فتربصوا﴾ بنا الخير ﴿إنا معكم متربصون﴾ بكم الشر. ﴿حَالَ الْفَقُوا طوعاً أو

كرهأ لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلآ أنهم كفروا بالله وبرسوله ولأ يأتون الصلاة إلا وهم كسالي ولا ينفقون إلا وهم كارهون، يقول تعالى مبيناً بطلان نفقات المنافقين، وذاكراً السبب في ذلك ﴿قل﴾ لهم ﴿أنفقوا طوعاً﴾ من انفسكم ﴿أو كرهاً﴾ على ذلك، بغير اختياركم. ﴿ لن يتقبلُ منكم الله من أعمالكم (إنكم كنتم قوماً فاسقينَ ﴾ خارجين عن طاعة الله، ثم بين صفة فسقهم وأعمالهم، فقال: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالي، قال: ﴿ولا يأتون البصلاة إلا وهم كسالي﴾ أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم.

﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ من غير انشراح صدر وثبات نفس، ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت

CENTRAL CENTRAL DEC يَعْتَ ذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَبِحَتُمْ الْيَهِمُ قُلُ أَنْعُتَذِرُواْ لَن فَوْمِنَ لَكُمْ مَّذَ نَسَأَنَا أَقَدُمِنَ أَخِيارِكُمْ وَسَيَرَى أللهُ عَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّرُّدُونُ إِلَى عَدِيرِ ٱلْفَكِيب وَالشَّهَادَةِ فَيُنْبَثُّ كُمِهَا كُنتُ مُعَالِمُ لَعَمَلُونَ ﴿ سَيَعْلِغُونَ بالقولكم إذا أنقلَتُ وليَه مُراتُم مِنُوا عَنْهُمُ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُ وَرَحْقُ وَمَأْوَلُهُمْ جَهُ لَيْرِيِّكُمْ مَا كَانُواْ يَكُولُواْ يَكُولُواْ يَكُولُواْ ۞ يَعْلِفُونَ لَحَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمٌّ فَإِن مَرْضَوْا عَنْهُمَّ فَإِنَ اللَّهُ لَا يُرْضَ عَنِ ٱلْعَوْرِ ٱلْفَاسِيقِينَ ۞ ٱلْأَعْلَامُ أشد شُعُفُ وَيَفَ اقَا وَأَجْ مَدُ أَلَّا يَمُّ لَمُؤْمِدُو مَا أَنزَلَ الْقَهُ عَلَىٰ رَسُولُهِ وَالْقَهُ عَلِيهُ حَكِيدٌ ۞ وَمِنَ ٱلْأَعْرَبِ نَ يَنَّخِذُ مَا يَسْفِقُ مَغْرَمًا وَكِثَرَيْسُ بِحُدُ ٱلْدَّوَآبِيرَ ۗ عَلَيْهِدُدَآبِرَهُ ٱلمَنْوَةُ وَلَقَهُ سَكِيعٌ عَلِيدٌ ﴿ وَمِنَ ٱلْخَعَلِيدِ مَنْ يُؤْمِثُ بِالْقُودَ الْكُورِ الْآخِدِ وَيَتَخِذُمَا لِنَغِقُ قُولُكُتُو عِنْدَ اللّهِ وَصَلَوْتِ الرَّسُولِثِ الْآلِيَّا أَوْبَكَ لَكُمْدُ سَيُدْخِلُهُ مُ أَقَدُفِ رَحْمَتِهُ إِنَّ أَقَدَعَ فُورٌ رَجِيدٌ ۞ AND THE PROPERTY OF THE PARTY O

أي: كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا: ﴿سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ أي: متضرعون في جلب منافعنا ودفع مضارنا، لسلموا من النفاق ولهدوا إلى الإيمان والأحوال العالية، ثم بين تعالى كيفية قسمة الصدقات الواجبة فقال:

﴿ إِنَّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم يقول تعالى: ﴿ إِنَمَا الصدقات ﴾ أي: الزكوات الواجبة ، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد.

أي: إنسا الصدقات لهولاء المذكوريين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر،

ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنياً، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.

والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: المؤلفة قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها عن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالاً، لدخوله في قوله:

الـسادس: الخارمون، وهم

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنياً.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوفّي به دينه.

والسابع: الغازي في سبيل الله، وهم الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ

القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله.

وقالوا أيضاً: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، [وفيه نظر](()

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

﴿ فريضة من الله فرضها وقدرها، تابعة لعلمه وحكمه ﴿ والله عليم حكيم ﴾ واعلم أن هذه الأصناف الثمانية ، ترجم إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير والمسكين ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية.

﴿ ٦٦ _ ٦٣ ﴾ ﴿ ومنهم الذيس يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم * يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين * ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم) أي: ومن هؤلاء المنافقين ﴿الذين يؤذون النبي﴾ بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه، ﴿ويقولون هو أذن ﴾ أي: لا يبالون بما يقولون من الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يُقال له، لا يميز بين صادق وكاذب،

وقصدهم _قبحهم الله _فيما بينهم، أنهم غير مكترثين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل.

فأساؤوا كيل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

ومنها: عدم اهتمامهم أيضاً بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

ومنها: قدحهم في عقل النبي على وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلاً، وأقهم إدراكاً، وأثقبهم رأياً وبصيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلُ أَذَنْ خَيْرُ لَكُمْ ﴾ أي : يقبل من قال له خيراً وصدقاً.

وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم (١)، وامتئاله لأمر الله في قوله:
إسيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس .

وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ الصادقين الصادق من الكاذب، وإن كان كثيراً يعرض عن الذين يعرف كنذبهم وعدم صدقهم، ﴿ورحة للذين آمنوا منكم﴾ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون.

وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة، بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخسرتهم، ﴿والسنيسن يسؤذون رسول الله بالقول أو الفعل ﴿لهم عذاب أليم ﴾ في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه.

﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم فيتبرؤوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايتهم أن ترضوا عليهم. ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا

مؤمنين لان المؤمن لا يقدم شيئاً على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير الله ورسوله.

وهذا محادة لله ومشاقة له، وقد توعد من حاده بقوله: ﴿ أَلَّمْ يَعْلَمُوا أَنْهُ مِن يُحَادِدُ اللهُ ورسوله ﴾ أي (٢): يكون في حدوشق مبعد عن الله ورسوله بأن تهاون بأوامر الله، وتجرأ على محارمه.

﴿ فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه، حيث فاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على عذاب الجحيم عياذاً بالله من أحوالهم (٣).

﴿٢٤ ـ ٢٦﴾ ﴿ كذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قسل است هـزووا إنّ الله خرج ما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا بحرمين﴾ كانت هذه السورة الكريمة تسمى «الفاضحة» لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين:

إحداهما: أن الله سِتِّيرٌ يحب الستر على عباده.

والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف.

قال الله تعالى: ﴿لَـشُن لَم يَسْتُهُ المُنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً .

وقال هنا: ﴿يُحِدْرِ المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾

(٣) في ب: حالهم.

الْ وَٱلسَّنِيقُونَ ٱلْأَتُونَ مِنَ ٱلْهُمَاجِينَ وَٱلْأَمْصَارِ وَٱلَّذِينَ اللَّهُ النَّيْمَةُ هُو بِلِحْسُن زَّضِي اللَّهُ عَنْهُمْ وَيَضُواْ عَنْهُ وَأَعَذَّ لَكُمُّ كَنَّتِ غِنْدِي غَنْتُهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِادِي فِيهَآ أَبِدُ ٱذْلِكَ الْفَوْزُ الْفَطْهُ ۞ وَتَمَنْ خَوْلِكُونَ ۖ الْفَرْابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْدِينَةُ مَرَدُواْعَلَ ٱلنِّفَ الْ الْعَدَالُهُ مُرْخَفَنُ ا نَعَالَمُ مُنْ سَنُعَا نِبُهُ مُ مَّنَ مِنْ ثَرَيْرُهُ وَبِ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمِ @ وَمَاخُرُونَ أَعْتَرُواْ إِنْهُ فِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلَا صَلِيحًا وَالْحَرَ مَنَيَّنَا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمُ إِن ٱللَّهُ عَفُورٌ تَكِيمٌ ۞ خُذْمِنْ أَمْوَلِلِهُ صَدَقَةَ تُعَلِّهُ رُهُرٌ وَزُبَيِحِيهِ مِهَاوَسَلِعَلِيْهِمْ إِذَ مَهَ لَوْفِكَ سَكَنَّ لَمُكَثَّرُ وَأَفَدُ سَيِيعٌ عَلِيدٌ ۞ أَلْرَيَعَ لَكُوَّا أَنَّ أَلَةَ هُوَ يَقْبُلُ التَّوْرَةَ عَنْ عِسَادِهِ ، وَيَلْخُذُ ٱلصَّدَقَتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَالْتُوَابُ الرِّهِيدُ ۞ وَقُلِ اعْسَلُوا مُسَدِّي اللَّهُ مُعَلِّكُرُ وَرَصُولُهُ وَالْمُوْمِنُونَ وَسَكُرُهُونَ إِلَا عَلِمِ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَلَوَ فَيُبَتِثُكُمُ عِاكْنَتُ مَعْمَلُونَ ﴿ وَمَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ الِأَمْرَ اللَّهِ إِمَّالِمُدَنِّبُهُمْ وَامَّا يَوْبُ عَلَيْهِمْ وَالْقَدُعَلِيمُ عَكِيمٌ ۞ DECEMBER OF BELLEVIEW

أي: تخبرهم وتفضحهم، وتبين أسرارهم، حتى تكون علانية لعباده، ويكونوا عبرة للمعتبرين.

﴿قل استهزؤوا﴾ أي: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية. ﴿إن الله مخرج ما تحذرون﴾ وقد وفى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم.

﴿ولئن سألتهم ﴾ عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم ، يقول طائفة منهم في غزوة تبوك «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء _ يعنون النبي ﷺ وأصحابه _ أرغب بطوناً ، [وأكذب السناً] (أ) وأجبن عند اللقاء » ونحو ذلك .

ولما بلغهم أن النبي ﷺ قد علم بكلامهم، جاؤوا يعتذرون إليه ويقولون: ﴿إِنما كنا نخوض ونلعب﴾ أي: نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب.

قال الله تعالى _ مبيناً عدم عذرهم وكذبهم في ذلك _: ﴿قل﴾ ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر غرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم

⁽١) في النسختين: بشأنه.

⁽٢) في ب: بأن

CANDER CENTRAL PROPERTY وَالَّذِينَ ٱتَّحَادُواْ مَسْجِدًا ضِرَازًا وَكُفْرًا وَتَضْرِيقًا يَوْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَانْصَادَا لِمَنْ حَانِبَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَسِّلٌ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدُنَكَ إِلَّا ٱلْحُسْفَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُ لِكُونُونَ ﴿ لَالْقُدُ فِي وَأَبِكُأَ لَّمُسْجِدُ أَيْسَسَ عَلَى السَّفْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ أَحَقُ أَن تَقُورَ فِيهِ فِيهِ وِيجَالٌ يُحَبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُظَهِرِينَ ۞ أَفَكُنْ أَسْسَى بُنْيَكُنَهُ عَلَى تَغْوَىٰمِ اللَّهُ وَرِضُوَلٍ خَيْراً مِّنَّ أَسَّكِ الْمُعْلَدُ عَلَى شَفَاجُ رُفِ هَ ارِفَأَنْهَ ارْبِهِ فِي نَارِجَهَ فَرُولُقَهُ لَا يَهْ مِي ٱلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ لَا يَنَزَلُ بُنْيَسَنُكُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْرِيبَةً فِي مُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ مُلُوبُهُمْ وَأَلْقَهُ عَلِيمُ حَكِيمٌ ۞ • إِنَ اللَّهُ أَشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمُوٰكُمْ بِأَتْ لَمُنْ الْجَنَّةُ يُقَالِلُونَ فِي سَيِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُلُونَ إِ وَيُفْتَلُونَ وَعَدَّاعَلَنه وحَقَّ إِنَّ التَّوْرَبِ إِنَّ وَأَلْإِنِحِيلِ وَٱلْقُدُوانَّ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِيهِ مِنَ الْقَوْفَاسْ تَبْشِرُوا بِيَنِيكُرُالَّذِي بَايَمْتُ مِيدً ، وَذَلِكَ هُوَالْفُوزُ ٱلْمُظِيرُ ۞ TONOTON ... KONOKO

دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة.

وله ذا لما جاؤوا إلى السرسول لا يعتذرون بهذه المقالة، والرسول لا يزيدهم على قوله: ﴿أَبَاللهُ وَآيَاتُهُ وَرَسُولُهُ كُنّتُم تستهزؤون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾.

وقول: ﴿إِن نعف عن طائفة منكم﴾ لتوبتهم واستغفارهم وندمهم، ﴿نعذب طائفة﴾ منكم ﴿بأنهم﴾ بسبب آنهم ﴿كانوا مجرمين﴾ مقيمين على كفرهم ونفاقهم.

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه، ويستهزى، به وبآياته ورسوله، أن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة.

وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، أنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة في كل ذنب وإن كان عظيماً.

﴿٦٧ ـ ٦٧﴾ ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إنّ المنافقين هم المفاسقون * وعد الله المنافقين

والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم في يقول تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ لأنهم اشتركوا في تولي بعضهم بعضاً، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكُرِ ﴾ وهو الكفر والفسوق والعصيان.

﴿وينهون عن المعروف﴾ وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة. ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.

﴿نسوا الله فلا يذكرونه إلا قليلاً، ﴿فنسيهم لله من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين.

﴿إِن المنافقين هم الفاسقون﴾ حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد.

﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ﴿ جمع المنافقين والكفار في النار، والمعنة والخلود في ذلك، لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعاداة لله ورسوله والكفر بآياته.

﴿ ٦٩ - ٠٧﴾ ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون * ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين

والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقول تعالى محذراً للمنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة. ﴿قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات ﴾ أي: قرى قوم لوط.

فكلهم ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ أى: بالحق الواضح الجلى، المبين لحقائق الأشياء، فكذَّبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي: بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصى الله ولم تتعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم، وخضتم كالذي خاضوا، أي: وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتاع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم من فعلوا كفعلهم، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ الله ليظلمهم ﴾ إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ حيث تجرؤوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيد.

﴿الا_الا ﴿ والمؤمسنسون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون المعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الله الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحهم الله إن الله عزيز حكيم * وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو المفوز العظيم﴾ لما ذكر أن المنافقين المفوز العظيم﴾ لما ذكر أن المنافقين

بعضهم أولياء بعض (١) ، ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، المؤمنين بعضه أولياء بعض، ووصفهم المنافقين، فقال: ﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ أي: ذكورهم وإناثهم ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ في المحبة والموالاة والانتماء والنصرة.

﴿يأمرون بالمعروف﴾ وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو: كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

﴿ويسطيعون الله ورسوله ﴾ أي : لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام.

﴿أُولِشِكُ سِيرِحْهِم اللهِ أَي: يدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه.

﴿إِنَّ الله عزيز حكيم ﴾ أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به.

ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب نال:

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى.

﴿ خالدين فيها ﴾ لا يبغون عنها حِوَلاً ﴿ ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾ قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفاً في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من

ظاهرها .

فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي: إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها.

﴿ورضوان من الله يحله على أهل الجنة ﴿أكبر ﴾ مما هم فيه من النعيم ، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم ، ولأنه الغاية التي أمّها المعابدون ، والنهاية التي سعى نحوها المحسبون ، فسرضا رب الأرض والسماوات أكبر من نعيم الجنات .

﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده.

و ٧٣ - ٤٧ و إلى اليها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير و يقول تعالى لنبيه على ذي إما النبي جاهد الكفار والمنافقين أي: أيا الغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث القضت الحال الغلظة عليهم حيث

وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان.

ومن كان مذعناً للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوىء الشرك والكفر، فهذا مالهم في الدنيا.

﴿و﴾ أما في الآخرة ف ﴿مأواهم جهنم﴾ أي: مقرهم الذي لا يخرجون منها ﴿وبئس المصير﴾.

الله ما قالوا ولقد قالوا وداعي المروءة الإنسانية .

SERVICE STATES المَّالِمُ السَّيْدُونَ الْعَكِيدُونَ أَلْحَكِيدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّيْكُونَ لِّ السَّاحِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمُعْرُونِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْنُكُرِ ﴾ وَٱنْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهُ وَيَشِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ @مَاكَانَ النَّيْقِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغُفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ مُ وَلَوْكَ اثْوَا أُولِي قُرْفَ مِنْ بَعْدِ مَاتِّرَيِّ كَلَّمُ أَنَّهُمْ أَضَابُ ٱلْجَرِيدِ ۞ وَمَاكَانَ ٱلسَّيْغَفَارُ إِرَّاهِيرَ الأبيه الأعن منهجة وتعكم هآ إيناه فلمّا تبيّن لشرانَهُ عَدُوْ يَعُونَ مُزَامِنَهُ إِذَ إِزَهِي مِرَ لَأَوْرُهُ مَلِيدٌ ﴿ وَمَاكَانَ اللَّهُ اللَّهُ يُصِلِّ فَوَمَّا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُمْ رَحَقَّىٰ بُبَيِّبَ كَمُمَّا يَتَكُونَا إن الله يَكُلِ مُون وعليدُ ﴿ إِنَ اللَّهُ لَا لُكُ السَّمَاؤِتِ وَالْأَرْضِ يُعْمِى وَيُبِيثُ وَمَالَكُ مِنْ دُونِ التَّوِمِن وَلِحِتِ وَلَانَصِيرِ ۞ لَقَدَنَّابَ اللَّهُ عَكَلَ كُلُ ٱلنَّهِيِّ وَٱلْمُهَاجِينَ وَٱلْأَنْسِكَارِ ٱلَّذِينَ ٱلنَّهِ وَأَلْمُهُ فِي اساعكة المسكرة مِنْ بَعْدِ مَاكَادَيَزِيعُ قُلُوبُ فَيِعِي المِنْهُ مُنْفَقَابَ عَلَيْهِ فَإِلَنَهُ بِهِ مُرَدُهُ وَتُ لَيْهِ مُنْ فَكَ يَوْمُ مُنْ فَعَ اللَّهِ مُن ON TON THE PROPERTY

كلمة الكفر أي: إذا قالوا قولاً كقول من قال منهم "ليخرجن الأعز منها الأذل" والكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين وبالرسول.

فإذا بلغهم أن النبي على قد بلغه شيء من ذلك، جاؤوا إليه يحلفون بالله ما قالوا.

قال تعالى مكذباً لهم: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ فإسلامهم السابق _ وإن كان ظاهره أنه أخرجهم من دائرة الكفر _ فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر.

﴿وهموا بما لم ينالوا ﴾ وذلك حين هموا بالفتك برسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فقص الله عليه نبأهم، فأمر من يصدهم عن قصدهم.

و الحال أنهم ﴿ما نقموا﴾ وعابوا من رسول الله ﴿ إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سبباً لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنياً لهم بعد الفقر، وهل حقه ويخدوه؟!! فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الانسانية.

のは、一般を表現している。 وَعَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِيكَ خُلِفُواحَتَىٰ إِذَاضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بَارَجُتَ وَصَافَتَ عَلَيْهِ ذَأَنفُسُ هُرُ وَظَانُوا أَن لَامَلْحِ كَأَمِنَ ٱللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّا مَا مَعَلَيْهِ مُلِيُّونُهُ أَلِيَّ أَلِكَ أَلَقَهُ هُوَ ٱلتَّوَابُ ٱلرِّحِيدُ ۞ يَـٰ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ اَنَّفُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّدِفِينَ ۞ مَاكَانَ لِأَهْلِ ٱلْدِينَةِ وَتَنْخَطِّمُ مِنَ ٱلْأَغْرَابِ أَن يَتَحَكَّفُواْعَن رَّسُولِ اللَّهُ وَلَا يُرْعَبُواْ بِأَنفُسِ هِرْعَن نَفْسِ مِعْذَلِكَ بِأَنْهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأُولَا نَصَبُّ وَلَاعَنْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا بَعَلَوُنِ مَوْطِكَا يَغِيظُ ٱلْكُفَّالَا وَلَايِنَالُونَ مِنْ عَدُوِنَّيْلًا إِلَّاكُتِبَ لَمُمْ بِوِ عَمَلًا بُسْفِقُونِ نَفَقَةُ صَغِيرةً وَلَاكِيرَةً وَلَا يَقَطَاعُونَ وَادِبًا إِلَّا كُتِهِ لَمُنْ لِيَجِينَهُ مُالَّةُ أَحْسَنَ مَاكَنُوا يَعْمَلُونَ ۞ • وَمَاكَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِ فِرْقَ مِينَّهُ رَطَا إِفَةً لِيَنْفَقَهُوا فِي الِدِينِ وَلِنَذِنُوا فَوْمَهُمْ إِذَا رَحَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعَذَرُونَ ۞ TONORON WERE CO

ثم عرض عليهم التوبة فقال: ﴿فَإِنَ يتوبوا يك خيراً لهم﴾ لأن التوبة أصل لسعادة الدنيا والآخرة.

﴿وإن يتولوا﴾ عن التوبة والإنابة ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة﴾ في الدنيا بما ينالهم من الهم والخرة والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة في عذاب السعير.

﴿وَما لَهُم فِي الأَرْضَ مِن وَلِي ﴾ يتولى أمورهم، ويحصل لهم المطلوب ﴿ولا نصير ﴾ يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية الله تعلل، فشَمَّ أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان.

واسرائان . و ۷ - ۷۷ (ومنه من من و ۷۸ - ۷۵ (ومنه الله لن آتانا من فضله لنصدق قل ولنكون من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون * ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام

الغيوب أي: ومن هؤلاء المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه (المنا آتانا من فضله من الدنيا فبسطها لنا ووسعها (لنصدقن ولنكونن من الصالحين) فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة.

﴿فلما آتاهم من فضله ﴾ لم يفوا بما قالوا، بل ﴿بخلوا به وتولوا ﴾ عن الطاعة والانقياد ﴿وهم معرضون ﴾ أي: غير ملتفتين إلى الخير.

فلما لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، عاقبهم فاقبهم في قلوبهم مستمراً فإلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون .

فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء.

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الثابت في الصحيحين: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف».

فهذا المنافق الذي وعند الله وعاهده، لئن أعطاه الله من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف.

ولهذا توعد من صدر منهم هذا الصنيع بقوله: ﴿أَمْ يَعلَمُوا أَنُ الله يَعلَمُ سَرِهُم وَنَ اللهُ عَلَمُ سَرِهُم وَنَ اللهُ عَلَمُ الغيوب﴾ وسيجازيهم على ما عملوا من الأعمال التي يعلمها الله تعالى، وهذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين يقال له: «ثعلبة» جاء إلى النبي ﷺ وسأله أن يدعو الله له، أن يعطيه الله من فضله، وأنه إن أعطاه ليتصدقن، ويصل الرحم، ويعين على

النوائب، فدعا له النبي ﷺ، فكان له غنم، فلم تزل تتنامى حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر إلا بعض الصلوات الخمس، ثم أبعد، فكان لا يحضر إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت فأبعد بها، فكان لا يحضر جمعة ولا جماعة.

ففقده النبي ﷺ فأخبر بحاله، فبعث من يأخذ الصدقات من أهلها، فمروا على ثعلبة، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فلما لم يعطهم جاؤوا فأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: "يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة»

فلما نزلت هذه الآية فيه، وفي أمثاله، ذهب بها بعض أهله فبلغه إياها، فجاء بزكاته، فلم يقبلها النبي ﷺ، ثم جاء بها لأبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ فلم يقبلها، ثم جاء بها بعد أبي بكر لعمر فلم يقبلها، فيقال: إنه هلك في زمن عثمان (().

﴿٧٩ ـ ٨٠﴾ ﴿اللَّذِينَ يُسلَّمُ رُونَ المطوعين من المؤمنين في الصدقات والنديس لا يجدون إلا جسدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بـالله ورسـولـه والله لا يهـدي الـقـوم الفاسقين ﴿ وهذا أيضاً من مخازي المنافقين، فكانوا _قبحهم الله _ لا يدعون شيئاً من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالاً، إلا قالواً وطعنوا بغياً وعدواناً، فلما حتَّ الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم المكثر، ومنهم القل، فيلمزون المكثر منهم، بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة، وقالوا

⁽۱) قصة ثعلبة هذه ذكرها كثير من المفسرين، وقد ضعفها جهابذة أهل الحديث كابن حزم، والبيهقي، والقرطبي، والهيثمي، والعراقي، وابن حجر، والسيوطي والمناوي وغيرهم – رحمهم الله –، وبينوا أن في إسنادها علي بن يزيد، وهو ضعيف كما أن من رواتها: معان بن رفاعة، والقاسم بن عبد الرحمن وهما ضعيفان، وذكر ابن حزم تضعيفها من جهة متنها أيضاً. ينظر المحلى: (۲۱/۸۱)، والإصابة: ترجمة ثعلبة، ومجمع الزوائد (۷/۳۲)، والجامع لأحكام القرآن (۸/۲۱)، وفيض القدير (٤/٧٥٧)، وفتح الباري (٣/٨)، ولباب النقول للسيوطي (١٢١) وتخريج الإحياء للعراقي (٣/ ٣٣٨).

للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللهِ مِن للمرون﴾ أي: يعيبون ويطعنون ﴿المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ فيقولون: مراؤون، قصدهم الفخر والرياء.

﴿وَ لِلمَزُونَ ﴿الذِّينَ لَا يَجْدُونَ إِلَا جَهِدُهُ مِهُ فَيَخْرِجُونَ مَا استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم ﴿فَيسخرونَ مَنْهُم﴾.

فقابلهم الله على صنيعهم بأن ﴿سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة عاذر.

منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالاً يقولونه فيهم، والله يقول: ﴿إِنَّ الذَينَ آمنوا لهم عذاب المه ﴾.

ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين. ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي [هو] إعانته وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم وعابوهم عليه.

ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالاً كثيراً بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأى: شر أكبر من هذا؟!!

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: «الله غني عن صدقة هذا»، كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله وإن كان غنياً عنهم فقراء إليه فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان

جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم.

 ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة ﴾ على وجه المبالغة، وإلا فلا مفهوم لها.

وفلن يغفر الله لهم كما قال في الآية الأخرى: وسواء عليهم أستغفرت لهم لن يغفر الله لهم لن يغفر الله لهم لن يغفر الله لهم فقال: وذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافراً.

﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ أي: الذين صار الفسق لهم وصفاً ، بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يبغون به بدلاً ، يأتيهم الحق الواضح فيردونه ، فيعاقبهم الله تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك .

﴿ ٨٨ - ٨٨﴾ ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرقل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون * فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة تبجح المنافقين بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان.

﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرّم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

ووكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا - ولو لعذر - حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم

من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه.

﴿وقالوا في الحراك أي: المسافقيون ﴿لا تنقروا في الحراك أي: قالوا: إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة.

وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهبه البكر^(۱) والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية.

ولهذا قال: ﴿قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون﴾ لما آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة.

قال الله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾ أي: فليتمتعوا في هذه الدار المنقضية، ويفرحوا بلذاتها، ويلهوا بلعبها، فسيبكون كثيراً في عذاب أليم ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والنفاق، وعدم الانقياد لأوامر ربهم.

﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم﴾ وهم الذين تخلفوا من غير عذر، ولم يحزنوا على تخلفهم ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ لغير هذه الغزوة، إذا رأوا السهولة. ﴿فقل﴾ لهم عقوبة ﴿لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ فسيغنى الله عنكم.

﴿إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين وهذا كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرّة ﴾ فإن المتثاقل المتخلف عن المأمور به عند انتهاز الفرصة لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه.

وفيه أيضاً تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان

ذلك توبيخاً لهم، وعاراً عليهم ونكالاً أن يفعل أحد كفعلهم.

﴿٨٤﴾ ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون يقول تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ﴾ من المنافقين ﴿ولا تقم على قبره بعد الدفن لتدعو له ، فإن صلاته ووقوفه على قبورهم شفاعة منه لهم ، وهم لا تنفع فيهم الشفاعة .

﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ومن كان كافراً ومات على ذلك، فما تنفعه شفاعة الشافعين، وفي ذلك عبرة لغيرهم، وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلى عليه.

وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم للدعاء لهم، كما كان النبي على يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان مقرراً في المؤمنين.

﴿٥٥﴾ ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون أي: لا تغتر بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال والأولاد، فليس ذلك لكرامتهم عليه، وإنما ذلك إهانة منه لهم. ﴿إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا ﴾.

فيتعبون في تحصيلها، ويخافون من زوالها، ولا يتهنّؤون بها.

بل لا يزالون يعانون الشدائد والمشاق فيها، وتلهيهم عن الله والدار الآخرة، حتى ينتقلوا من الدنيا ﴿وتزهِقُ أَنفسهم وهم كافرون﴾ قد سلبهم حبها عن كل شيء، فماتوا وقلوبهم بها متعلقة، وأفئدتهم عليها متحرقة.

٩٣ ـ ٧٨ ﴿ ﴿ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع

الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون يقول تعالى: في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: وإذا أنزلت سورة يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله. وأولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في المقاعدين .

﴿ ٨٧﴾ قال تعالى: ﴿ رضوا بِأَن يكونوا مع الخوالف﴾ أي: كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد، هل معهم فقه أو عقل دلهم على ذلك؟ أم طبع الله على قلوبهم فلا تعي الخير، ولا يكون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح؟ فهم لا يفقهون مصالحهم، فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال.

﴿٨٨ ـ ٨٩ ﴾ ﴿لكن السرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون * أعدالله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾

تخلف مؤلاء المنافقون عن الجهاد، فالله سيغني عنهم، ولله عباد وخواص من خلقه اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم ﴿الرسول﴾ محمد والفين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ غير متثاقلين ولا كسلين، لهم فرحون مستبشرون، ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ الكثيرة في الدنيا والآخرة، ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ المفالب وأكمل المغائب.

﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم و فتباً لمن لم يرغب بما رغبوا فيه، وخسر دينه ودنياه وأخراه، وهذا

نظير قوله تعالى: ﴿قل أمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يستملى عمليهم يخرون لملاذقان سجداً﴾.

وقوله: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾.

﴿ ٩٠ _ ٩٣﴾ ﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم * ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون * إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون، يقول تعالى: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لمهم اي: جاء اللذين تهماونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مبالين في الاعتذار لجفائهم وعدم حيائهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف.

وأما النين كذبوا الله ورسوله منهم، فقعدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل أن معنى قوله: ﴿ المعذرون ﴾ أي: الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله ﷺ ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر.

﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله: ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ في الدنيا والآخرة.

لما ذكر المعتذرين، وكانوا على قسمين، قسم معذور في الشرع، وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله:

﴿لَيسَ على الضعفاء﴾ في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال. ﴿ولاعلى المرضى﴾

وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي (١) لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وهي والفالج، وغير ذلك.

﴿ولا على النين لا يجدون راداً، ولا يسنفقون ﴾ أي: لا يجدون زاداً، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بمسرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد.

وما على المحسنين من سبيل أي: من سبيل أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة ، فإنهم - بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد -أسقطوا توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في [نفسه] (٢) أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه عسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن _ وهو المسيء _ كالمفرط، أن عليه الضمان.

﴿والله غفور رحيم﴾ من مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأثابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين.

﴿ولا على الله الما أتوك لتحملهم فلم يصادفوا عندك شيئاً ﴿قلب ﴾ فلم يصادفوا عندك شيئاً أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره الله عنهم.

فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله،

وهو أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سغيّ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام.

﴿إنما السبيل > يتوجه واللوم يتناول الذين (٣) يستأذنوك وهم أغنياء قادرون على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء ﴿رضوا > لأنفسهم ومن دينهم والأطفال ونحوهم.

﴿و﴾ إنما رضوا بهذه الحال لأن الله طبع على قلوبهم أي: ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدنيوية، ﴿فهم لا يعلمون﴾ عقوبة لهم على ما اقترفوا.

﴿قل ﴾ لهم ﴿لا تعتذروا لن نؤمن لكم ﴾ أي: لن نصدقكم في اعتذاركم الكاذب.

﴿قد نبأنا الله من أخباركم ﴾ وهو الصادق في قيله ، فلم يبق للاعتذار فائدة ، لأنهم يعتذرون بخلاف ما أخبر الله عنهم ، ومحال أن يكونوا صادقين فيما يخالف خبر الله الذي هو أعلى مراتب الصدق .

﴿وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ في الدنيا، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقبوال، فلا دلالة فيها على شيء من ذلك.

﴿ نُسم تردون إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية ، فينبئكم بما كنتم تعملون وشر، ويجازيكم بعدله أو بفضله، من غير أن يظلمكم مثقال ذرة .

واعلم أن المسىء المذنب له ثلاث حالات: إما [أن] يقبل قوله وعذره، ظاهراً وباطناً، ويعفى عنه بحيث يبقى كأنه لم يذنب. فهذه الحالة هي المذكورة هنا في حقُّ المنافقين، أن عذَّرهم غير مقبول، وأنه قد تقررت أحوالهم الخبيثة وأعمالهم السيئة، وإما أن يعاقبوا بالعقوبة والتعزير الفعلي على ذنبهم، وإما أن يعرض عنهم، ولا يقابِلُوا بما فعلوا بالعقوبة الفعلية، وهذه الحال الثالثة هي التي أمر الله بها فى حق المنافقين، ولهذا قال: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم﴾ أي: لا توبخوهم، ولا تجلدوهم أو تقتلوهم.

﴿إنهم رجس﴾ أي: إنهم قذر خبثاء، ليسوا بأهلٍ لأن يبالى بهم، وليس التوبيخ والعقوبة مفيداً فيهم، ﴿و﴾ تكفيهم عقوبة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

وقوله: ﴿ يَحلفون لكم لترضوا عنهم ﴾ أي: ولهم أيضاً هذا المقصد الآخر منكم، غير مجرد الإعراض، بل يحبون أن ترضوا عنهم، كأنهم ما فعلوا شيئاً.

﴿ فَإِن تَسْرِضُوا عِنْهُمُ فَإِنْ اللهُ لا يَرضَى عَن القوم الفاسقين ﴾ أي: فلا ينبغي لكم أيها المؤمنون أن ترضوا عن من لم يرض الله عنه، بل عليكم أن توافقوا ربكم في رضاه وغضه.

وتأمل كيف قال: ﴿فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ ولم يقل: «فإن الله لا يرضى عنهم ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله

⁽٣) في ب واللوم يتأكد على الذين.

⁽١) في النسختين: التي.

يتوب عليهم ويرضى عنهم.

وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا يرضى عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو خروجهم عن ما رضيه الله لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك والنفاق والعاصى.

وحاصل ما ذكره الله أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد من غير عذر، إذا اعتذروا للمؤمنين، وزعموا أن لهم أعذاراً في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بذلك أن تعرضوا عنهم، وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم، فلا حباً ولا كرامة لهم.

وأما الإعراض عنهم، فيعرض المؤمنون عنهم، إعراضهم عن الأمور الردية الرجس، وفي هذه الآيات، إثبات الكلام شه تعالى في قوله: ﴿قَدَ لِنَانَا الله من أخباركم﴾ وإثبات الأفعال الاختيارية شه، الواقعة بمشيئته [تعالى] وسيرى الله عملكم ورسوله أخبر أنه سيراه بعد وقوعه، وفيها إثبات الرضا لله عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين.

﴿ ٧٩ - ٩٩ ﴾ ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أسزل الله على رسبوله والله عليم حكيم * ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم * ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم على يقول تعلى: ﴿ الأعراب وهم سكان البادية والبراري ﴿ أشد كفرا ونفاقاً ﴾ من الحاضرة الذين فيهم كفر ونفاق، وذلك لأسباب كثيرة:

منها: أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع الدينية والأعمال والأحكام، فهم أحرى ﴿وأجدر ألا يعلموا حدود

ما أنزل الله على رسوله من أصول الإيمان وأحكام الأوامر والنواهي، بخلاف الحاضرة، فإنهم أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، فيحدث لهم _بسبب هذا العلم _ تصورات حسنة، وإرادات للخير، الذي يعلمون، ما لا يكون في الدنة.

وفيهم من لطافة الطبع والانقياد للداعي ما ليس في البادية، ويجالسون أهل الإيمان، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية، وإن كان في البادية والحاضرة، كفار ومنافقون، ففي البادية أشد وأغلظ عما في الحاضرة، ومن ذلك أن الأعراب أحرص على

ومن دلت آن الاعراب احرص على الأموال وأشح فيها. ﴿ ٩٨﴾ فمنهم ﴿ من يتخذ ما ينفق ﴾

من الزكاة والنفقة في سبيل الله وغير ذلك، ﴿مغرماً﴾ أي: يراها خسارة ونقصاً، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه الله، ولا يكاد يؤديها إلا كرهاً.

﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ أي: من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم، فعليهم دائرة السوء.

وأما المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبى الحسنة، ووالله سميع عليم يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال من إخلاص وغيره.

وليس الأعراب كلهم مذمومين، بل منهم ﴿من يومن بالله واليوم الآخر﴾ فيسلم بذلك من الكفر والنفاق ويعمل بمقتضى الإيمان.

﴿ ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ﴾ أي نكة سد ما ينفق قربات عند الله الله

أي: يحتسب نفقته، ويقصد بها وجه الله تعالى والقرب منه ﴿و﴾ وجه الله تعالى والقرب منه ﴿و﴾ يُعلمها وسيلة لـ ﴿صلوات الرسول ﴾ أي: دعائه لهم ، وتبريكه عليهم ، قال تعالى مبيناً لنفع صلوات الرسول : ﴿أَلَا إِنَّهَا قَرْبَهُ لَهُم ﴾ تقربهم إلى الله ، وتنمى

أموالهم وتحل فيها البركة. ﴿سيدخلهم الله في رحمته ﴿ في جملة عباده الصالحين إنّه غفور رحيم ، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه ، ويعم عباده برحمته ، التي وسعت كل شيء ، ويخص عباده المؤمنين برحمة يوفقهم فيها إلى الخيرات ، ويحميهم فيها من المخالفات ، ويجزل لهم فيها أنواع

وفي هنده الآية دليل على أن الأعراب كأهل الحاضرة، منهم المدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعربهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله، وأنهم في مظنة ذلك.

المثوبات.

ومنها: أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخف بحسب الأحوال.

ومنها: فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كفرا ونفاقاً، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أزل الله على رسوله.

ومنها: أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والخفاق، والفسوق، والحصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك. فإن في معرفتها يتمكن من فعلها - إن كانت مأمور بها (١٠)، أو تركها إن كانت عظورة - ومن الأمر بها أو النهي

ومنها: أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنماً، ولا تكون مغرماً.

﴿١٠٠﴾ ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأولونَ من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم

بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأصد لهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة والجهاد، وإقامة دين الله.

﴿من المهاجرين ﴿الله الله الله الله الله أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ﴾ .

﴿و﴾ من ﴿الأنصار﴾ ﴿الذين تبوَّوا الدار والإيمان، [من قبلهم] يجبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله.

مرضي الله عنهم ورضاه تعالى المبرمن نعيم الجنة، وورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار الجارية التي تساق إلى سَقْي الجنان، والحداثق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضة.

﴿خالدين فيها أبداً﴾ لا يبغون عنها حولاً، ولا يطلبون منها بدلاً، لأنهم مهما تمنوه أدركوه، ومهما أرادوه، وجدوه.

﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ الذي حصل لهم فيه ، كل محبوب للنفوس ، ولذة للأرواح ، ونعيم للقلوب ، وشهوة للأبدان ، وإندفع عنهم كل محذور .

﴿١٠١﴾ ﴿ويمن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ يقول تعالى: ﴿ويمن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ﴾ أيضاً منافقون ﴿مردوا على النفاق ﴾ أي: تمرنوا عليه، واستمروا وازدادوا فيه طغياناً.

ولا تعلمهم بأعيانهم فتعاقبهم،
 أو تعاملهم بمقتضى نفاقهم، لما لله في
 ذلك من الحكمة الباهرة.

﴿نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين﴾ يحتمل أن التثنية على بابها، وأن عذابهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة. ففي الدنيا ما ينالهم من الهم والحزن (١١)، والكراهمة لما يصيب المؤمنين من الفتح والنصر، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار.

(۱۰۳ – ۱۰۳) ﴿ وَأَخَسَرُونَ اعترفُوا بَذَنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم * خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إنّ صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ يقول تعملى: ﴿ وَآخرونَ ﴾ عن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد الإسلامية، ﴿ اعترفُوا بَذُنوبهم ﴾ أي: أقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها.

﴿ خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخر سيناً ﴾ ولا يكون العمل صالحاً إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهؤلاء خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء بأن يغفر الله لهم، فهؤلاء ﴿ عسى الله أن يتوب

عليهم الله وتوبته على عبده نوعان : الأول: التوفيق للتوبة. والثاني:

ادون. التوقيق للتوبه. والتاي قبولها بعد وقوعها منهم.

بري بعد وتوسي منهم. وصفه (إن الله غفور رحيم) أي: وصفه المغفرة والرحمة، اللتان لا يخلو مخلوق منهما، بل لا بقاء للعالم العلوي والسفلي إلا بهما، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دادة

﴿إِن الله يحسبك السحاوات والأرض أن ترولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾.

ومن مغفرته أن المسرفين على أنفسهم الذين قطعوا أعمارهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا ولو قبيل موتهم بأقل القليل، فإنه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، فهذه الآية دلت^(۲) على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحاً، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أق ب.

وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصراً على ما للذنوب، فإنه يخاف عليه أشد الخوف.

قال تعالى لرسوله ومن قام مقامه، آمراً له بما يطهر المؤمنين، ويتمم إيمانهم: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ وهي الزكاة المفروضة، ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

وُوتزكيهم أي : تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمى أموالهم.

وُوصَلُ عليهم أي : ادع لهم، أي : للمؤمنين عموما، وخصوصاً عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم.

﴿إِن صلاتك سكن لهم﴾ أي : طمأنينة لقلوبهم، واستبشار لهم، ﴿والله سميع﴾ لدعائك، سمع إجابة وقول.

﴿عليم﴾ بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عامل بعمله، وعلى قدر نيته، فكان النبي ﷺ ممثل لأمر الله، ويأمرهم بالصدقة، ويبعث عماله لجبايتها، فإذا أتاه أحد بصدقته دعا له وبرك.

ففي هذه الآية دلالة على وجوب الزكاة في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال

⁽١) في ب: والغم.

تنمى ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسى منها الفقراء، بأداء ما أوجب الله فيها من الزكاة.

وما عدا أموال التجارة، فإن كان المال ينمى، كالحبوب، والشمار، والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للقنية، لم تكن بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة مالاً يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، وإنما صرف عن المالية بالقنية ونحوها.

وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها. وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي أن يكون جهراً، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.

ويؤخذ من المعنى، أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك يما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه.

وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملاً صالحاً بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك.

﴿١٠٤﴾ ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم﴾ أي: أما علموا سعة رحمة الله وعموم كرمه وأنه ﴿يقبل التوبة عن عباده﴾ التائبين من أي: ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده إذا تاب أعظم فرح يقدر.

﴿ويأخذ الصدقات﴾ منهم، أي: يقبلها ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدهم كما يربي الرجل فلوه، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك.

﴿وأن الله هو التواب﴾ أي: كثير التوبة على التائين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو تكررت منه [المعصية (١)] مراراً. ولا يمل الله من التوبة على

عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفار والشرود عن بابه، وموالاتهم عدوهم.

﴿الرحيم﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته، ويتبعون رسوله.

﴿١٠٥﴾ ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبتكم بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى: ﴿وقل﴾ لهؤلاء المنافقين: ﴿اعملوا﴾ ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك سيخفى.

﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤسنون﴾ أي: لا بد أن يتبين عملكم ويتضح، ﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمر على باطله وطغيانه وغيه وعصيانه.

ويحتمل أن المعنى: أنكم مهما عملتم من خير أو شر، فإن الله مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة.

المؤمنين على اعمالكم ولو كانت باطنه.

﴿ ١٠٦﴾ ﴿ وآخرون مرجون مرجون الله إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم والله عليم حكيم أي: ﴿ وآخرون ﴾ من المخلفين مؤخرون ﴿ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ﴾ ففي هذا التخويف الشديد للمتخلفين، والحث لهم على التوبة والندم.

﴿والله عليم﴾ بأحوال العباد ونياتهم ﴿حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فإن اقتضت حكمته أن يغفر لهم ويتوب عليهم غفر لهم وتاب عليهم، وإن اقتضت حكمته أن يخذلهم ولا يوفقهم للتوبة، فعل ذاك.

﴿۱۱۰ ـ ۱۱۰﴾ ﴿والله ين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمسنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا

الحسني والله يشهد إنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبدأ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين * أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنو ريبة في قلوبهم إلاّ أن تقطّع قُلوبهم والله عليم حكيم في كان أناس من المنافقين من أهل قبأء اتخذوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصناً عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم فقال: ﴿والدِّينَ اتَّخِذُوا مسجداً ضراراً ♦ أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه ﴿وكفراً ﴾ أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان.

﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، ﴿وإرصاداً﴾ أي: إعسداداً ﴿لن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي: تقدم حرابهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة، كفر به، وكان متعبداً في الجاهلية، فذهب إلى المسركين يستعين بهم على حرب رسول الله ﷺ.

فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد وعالأة، هو والمنافقون. فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي على من يهدمه وعرق، وصار بعد ذلك مزبلة.

قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم

الفاسدة في ذلك المسجد ﴿وليحلفن إن أردنا ﴾ في بنائنا إياه ﴿إلا الحسنى ﴾ أي: الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير.

﴿والله يسشمه إنهم لكاذبون﴾

فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم. ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ أي: لا تصل في ذلك المسجد الذي بني ضراراً أبداً، فَاللَّهُ يَغْنِيكُ عَنَّهُ، ولست بمضطر إليه. ﴿لسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾ ظهر فيه الإسلام في «قباء»، وهو مسجد «قباء»، أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديماً في هذا عريقاً فيه، فهذا المسجد الفاضل ﴿ أحق أن تقوم فيه ﴾ وتتعبد، وتذكر الله تعالى فهو فأضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله: ﴿فيه رجال يجبون أن يتطهروا، من الذنوب، ويتطهروا من الأوسياخ، والنجاسات و الأحداث.

ومن المعلوم أن من أحب شيئاً لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يجب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا عن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد مع رسول الله على المافة شرائع الدين، وعمن كانوا يتحرزون من مخالفة الله ورسوله.

وسألهم النبي على بعدما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة الماء، فحمدهم على صنيعهم.

﴿والله بحب المطهرين﴾ الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث.

فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة، ﴿خير أم من أسس بنيانه على شفا﴾ أي: على طرف ﴿جرف هار﴾ أي: بال، قد تداعى للانهدام، ﴿فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لما فيه مصالح دينهم ودنياهم.

ولا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي: شكا وريباً ماكثاً في قلوبهم أي: شكا وريباً ماكثاً في قلوبهم بأن يندموا غاية الندم ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غاية الخوف، فبذلك يعفو الله عنهم، وإلا فبنيانهم لا يزيدهم إلا ريباً إلى ريبهم، ونفاقاً إلى نفاقهم.

﴿ والله عليم ﴾ بجميع الأشياء، ظاهرها وباطنها، خفيها وجليها، وبما أسره العباد، وأعلنوه.

ولا يفعل ولا يخلق ولا يخلق ولا يخلق ولا يخلق ولا يأمر ولا ينهى، إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به فلله الحمد(١١).

وفي هذه الآيات فوائد عدّة: منها: أن اتخاذ المسجد الذي يقصد

منها: أن أنحاد المسجد الذي يفضد به الضرار لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، وأنه يجب هدم مسجد الضرار، الذي اطلع على مقصود أصحابه.

ومنها: أن العمل وإن كان فاضلاً تغيره النية، فينقلب منهياً عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

ومنها: أن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها.

كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين واثتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن الله علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد المرجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله.

ومنها: النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها.

ومنها: أن المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهى عن القيام فيه، وكذلك

الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد «قباء» حتى قال الله فيه: للسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ﴾

ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان ﷺ يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه.

ومنها: أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية، أربع قواعد مهمة، وهي:

كُل عمل فيه مضارة لمسلم، أو فيه معصية لله، فإن المعاصي من فروع الكفر، أو فيه تفريق بين المؤمنين، أو فيه معاونة لمن عادى الله ورسوله، فإنه عرم محنوع منه، وعكسه بعكسه.

ومنها: أن الأعمال الحسية الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع قلبه من الندم والحسرات.

ومنها: أنه إذا كان مسجد قباء مسجداً أسس على التقوى، فمسجد النبي على الذي أسسه بيده المباركة وعمل فيه واختاره الله له من باب أولى وأحرى.

ومنها: أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم.

والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين.

﴿ ١١١﴾ ﴿إِنَّ الله الستسرى مسن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والمقرآن ومن أوفى بعسهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ يخبر تعالى خبراً صدقاً، ويعد وعداً حقاً بمبايعة

عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه ﴿اشترى﴾ بنفسه الكريمة ﴿من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ فهي المثمن والسلعة المبيعة.

﴿بأن لهم الجنّة ﴾ التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع السلنات، والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات.

وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه في هيتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون في فيذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله موكدة بأنواع التأكيدات.

﴿وعداً عليه حقاً في السوراة والإنجيل والقرآن﴾ التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.

﴿ومن أوفى بعده من الله فاستبشروا الله أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله ، ﴿ببيعكم الذي بايعتم به أي: لتفرحوا بذلك ، وليبشر بعضكم بعضاً ، ويحث بعضكم بعضاً .

ووذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله، وإلى المعوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، وإلى الثمن الذي هو أحب الأشياء للإنسان.

وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي: كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق.

﴿١١٢﴾ ﴿السائبون السابدون المعابدون الحسامدون السسائبدون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر

المؤمنين كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل الكرامات؟ فقال: هم ﴿التائبون﴾ أي: الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات.

﴿العابدون﴾ أي: المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين.

والحامدون شفي السراء والضراء، والسر والعسر، المعترفون بما شه عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المتنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار.

﴿السائحون﴾ فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله وعبته، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحوذلك.

﴿الراكعون الساجدون﴾ أي: المكثرون من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود.

﴿الآمرون بالمعروف﴾ ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات.

﴿ والناهون عن المنكر﴾ وهي جميع ما نهي الله ورسوله عنه .

﴿وَالْحَافِظُونَ لَحْدُودُ اللهُ ﴾ بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما يسدخل في الأوامس والنسواهسي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلاً وتركا.

﴿وبسر المؤمنين﴾ لم يذكر ما يبشرهم به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن.

وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيـمانهـم، قـوة، وضعفاً، وعملاً بمقتضاه.

﴿١١٤ ـ ١١٣﴾ ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين

ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلاعن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم لله يعني: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿أَن يستغفروا للمشركين ﴾ أي: لن كفر به وعبد معه غيره ﴿ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الححيم، فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.

وأيضاً فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له، ولنن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه ﴿عن موعدة وعدها إياه﴾ في قوله:

ربي إنه كان بي حفياً﴾ وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه .

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو شه، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير ﴿تبرأ منه﴾ موافقة لربه وتأدباً معه.

﴿حليم﴾ أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبو، قال له: ﴿لأرجمنك﴾ وهو يقول له: ﴿سلام عليك سأستغفر لك رب﴾.

فعليكم أن تقتدوا وتتبعوا ملّة إبراهيم في كل شيء ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ كما نبهكم الله عليها وعلى غيرها، ولهذا قال:

﴿110 ــ 110﴾ ﴿ومـــا كـــان الله

ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إنّ الله بكل شيء عليم * إنّ الله له ملك السماوات والأرض يحي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * يعني أن الله تعالى إذا منَّ على قوم بالهداية ، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم ، فإنه تعالى يتمم عليهم إحسانه ، ويبين لهم ضرورتهم ، فلا يتركهم ضالين بأمور دينهم ، ففي هذا دليل على كمال رحمته ، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد في أصول الدين وفروعه .

ويحتمل أن المراد بذلك ﴿وصا كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ فإذا بين لهم ما يتقون فلم ينقادوا له، عاقبهم بالإضلال جزاء لهم على ردهم الحق المين، والأول أولى.

﴿إِنَ اللهُ بِكُلِّ شِيءَ عَلَيْمٍ ﴾ فلكمال علمه وعمومه علمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبين لكم ما به تتنفعون.

﴿إِن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت ﴾ أي: هو المالك لذلك، المدبر لعباده بالإحياء والإماتة وأنواع التدابير الإلهية، فإذا كان لا يخل بتدبيره القدري فكيف يخل بتدبيره الديني المتعلق بإلهيته، ويترك عباده سدى مهملين، أو يدعهم ضالين جاهلين، وهو أعظم توليه لعباده؟!!

فلهذا قال: ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي: ولي يتولاكم بجلب المنافع لكم، أو ﴿نصير﴾ يدفع عنكم المضار.

﴿١١٧ - ١١٧﴾ ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنّه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم

الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا الميه من الله إلا المتوبوا إن الله هو التقاب الرحيم في يجبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه (تاب على النبي في محمد التي الزلات، ووفر لهم الحسنات، ورقاهم الخريات، وذلك بسبب الزلات، ووفر لهم الحسنات، وذلك بسبب ولهذا قال: (الذين اتبعوه في ساعة ولهذا قال: (الذين اتبعوه في ساعة الأعداء في وقعة (تبوك)(۱) وكانت في والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف.

فاستعانوا الله تعالى، وقاموا بذلك ومن بعد ما كاديزيغ قلوب فريق منهم أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم وأيدهم وقواهم. وزَيْغُ القلب هو انحرافه عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف في أصل الدين كان كفراً، وإن كان في شرائعه كان بحسب تلك الشريعة التي زاغ عنها، إما قصر عن فعلها، أو فعلها على غير الوجه الشرعي.

وقوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ أي: قبل توبتهم ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ ومن رأفته ورحمته أن مَنَّ عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبتهم عليها.

﴿و﴾ كذلك لقد تاب الله ﴿على الثلاثة الذين خلفوا﴾ عن الخروج مع المسلمين في تلك الغزوة، وهم: «كعب بن مالك» وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة في الصحاح والسنن. ﴿حتى إذا﴾ حزنوا حزناً عظيماً، و﴿ضافت عليهم الأرض بما رحت ﴾

﴿حتى إذا خزنوا حزناً عظيماً، و﴿ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ أي: على سعتها ورحبها ﴿وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من

أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء.

وظنوا أن لا ملجاً من الله إلا إليه أن تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خسين ليلة.

وشم تاب عليهم أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها وليتوبوا أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، وإن الله هو التواب أي: كثير التوبة والعصيان، والغضران عن الزلات والعصيان، والرحيم وصفه الرحة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية.

وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عباده، وامتنَّ عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة. ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقاً تاماً، وانقطع عن المخلوقين.

ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿خلفوا﴾ إشارة إلى أن المؤمنين

خلفوهم، [أو خلفوا عن من بُتَ في قبول عذرهم أو في رده [(۱) وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: (تخلفوا».

ومنها: أنَّ الله تعالى مَنَّ عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالاقتداء بهم فقال:

﴿١١٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين أي: ﴿يا أيها الذين آمنوا ﴾ بالله، وبما أمر الله بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى الله تعالى، باجتناب ما نهى الله عنه والبعد عنه.

﴿وكونوا مع الصادقين ﴿ في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البريهدى إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ الآية .

﴿١٢٠ _ ١٢١﴾ ﴿ما كان لأمل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخصمة في سبيل ألله ولا يطؤون موطِئاً يغيظ الكَفار ولا ينالون من عدوً نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديأ إلأ كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون القول تعالى -حاثاً لأهل المدينة المنبورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم ..: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ أي: ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحوالهم.

﴿ولا يرغبوا بأنفسهم ﴾ في بقائها

وراحتها، وسكونه ﴿عن نفسه﴾ الكريمة الزكية، بل النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم عليها، فعلامة تعظيم الرسول ﷺ لا يتخلفوا عنه، ثم ذكر الثواب الحامل على الخروج، فقال: ﴿ذلك بأنهم﴾ إلى: المجاهدين في سبيل الله أي: المجاهدين ولا نصب أي: تعب ومشقة ﴿ولا مخمصة في سبيل الله أي: عاعة.

ولا يطوون موطئاً يغيظ الكفار من الخوض لديارهم والاستيلاء على أوطانهم، وولا ينالون من عدو نيلا كالظفر بجيش أو سرية أو الغنيمة لمال فإلا كتب لهم به عمل صالح لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم.

﴿إِن الله لا يضيع أَجَر المحسنين ﴾ النين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم.

ثم قال: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً في ذهابهم إلى عدوهم ﴿إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسسن ما كانسوا يعملون ﴾.

ومن ذلك هذه الأعسال، إذا أخلصوا فيها، ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآفار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير.

(۱۲۷) ﴿ وصاكسان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجموا إليهم لعلهم يعذرون ﴾ يقول تعالى: _ منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم _ ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ أي: جميعاً لقتال

عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفوت به كثير من المصالح الأخرى، ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم﴾ أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ ﴿طائفة﴾ تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: ﴿ليتفقهوا﴾ أي: القاعدون ﴿في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ أي: ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصاً الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره الذي ينمى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي: منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي: نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وشمرته، وهذا غاية الحرمان، لن آتاه الله علماً ومنحه فهماً.

وفي هذه الآية أيضاً دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن السلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون مصالحهم، ولهو قيام مصلحة دينهم قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جيع الأمور.

﴿ ﴿ ١٢٣﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الذَّينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذَّينَ يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم

(1)

المنافقة ال

متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل وصرف الله قلوبهم أي: صدها عن الحق وخذلها.

خانشن و الم

ON CONTRACTOR OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

﴿بأنهم قوم لا يفقهون ﴿ فقها ينفعهم ، فإنهم لو فقهوا ، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها ، وانقادوا لأمرها .

والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره من شرائع الإيمان، كما قال تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت﴾.

(۱۲۸ – ۱۲۹) ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله إلا هو عليه توكلت وهو رب المرش العظيم ﴾ يمتن [تعالى] على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو مالجهم.

﴿عزيز عليه ما عنتم ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

انقيادهم لما تحثهم عليه.

﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ونفاق ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ أي: مرضاً إلى مرضهم، وشكاً إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد لذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك ﴿وَ الطبع على قلوبهم، حتى ﴿ماتوا وهم كافرون ﴾ .

وهذا عقُوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه.

قال تعالى _ موبخاً لهم على إقامتهم على ماهم عليه من الكفر والنفاق _:

﴿ أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام
مرة أو مرتين بما يصيبهم من البلايا
والأمراض، وبما يبتلون من الأوامر
الإلهية التي يراد بها اختبارهم.

﴿ثُمْ لَا يَتُوبُونَ﴾ عما هم عليه من ﴿ولا هم يذكرونَ﴾ ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه.

فالله تعالى يبتليهم _كما هي سنته في سائر الأمم _بالسراء والضراء وبالأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.

وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميه، ليكون دائماً في صعود.

(۱۲۷) وقوله: ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون يعني: أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها خنظر بعضهم إلى بعض جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون: ﴿هل يراكم من أحد ثم انصرفوا》

غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وهذا أيضاً إرشاد آخر، بعدما أرشدهم إلى التدبير فيمن يباشر القتال، أرشدهم إلى أنهم يبدؤون بالأقرب فالأقرب من الكفار، والغلظة عليهم، والشدة في القتال، والشجاعة والثبات.

﴿واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ أي: وليكن لديكم علم أن المعونة من الله تنزل بحسب التقوى، فلازموا على تقوى الله، يُعِنْكُم وينصركم على عدوكم.

وهذا العموم في قوله: ﴿قاتلوا النين يلونكم من الكفار﴾ غصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال غير النين يلوننا، وأنواع المصالح كثيرة جداً.

﴿ ١٢٤ - ١٢٤﴾ ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً قلم يستبشرون * وأما الذين في قلموبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون * أولا عمم مرة يون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين شم لا يتوبون ولا هم يذكرون يقول تعالى: مبيناً حال يذكرون يقول تعالى: مبيناً حال المؤمنين عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين فقال: القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين فقال: والنهي، والخبر عن نفسه الكريمة، والحث على وعن الأمور الغائبة، والحث على الجهاد.

فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً أي: حصل الاستفهام لن حصل له الإيمان بها من الطائفتين.

قال تعالى _ مبيناً الحال الواقعة _: ﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ﴾ بالعلم بها، وفهمها واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر.

﴿وهم يستبشرون﴾ أي: يبشر بعضهم بعضاً بما منَّ الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها. وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة

﴿حريص عليكم﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه، ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.

PONTON IN ESPORA

ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره ﴿فَإِنَّ أَمَنُوا، فَذَلْكُ حظهم وإن ﴿تُولُوا﴾ عن الإيمان والعمل، فامض على سبيلك، وقل ولا تسزل في دعسوتسك، وقل ما أهمني، ﴿لا إله إلا هو﴾ أي: الله كافيُ في جميع ما أهمني، ﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبود بحق سواه.

﴿ عليه توكلت ﴾ أي: اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ الذي هو أعظم المخلوقات. وإذا كان رب العرش العظيم، الذي وسع المخلوقات، ان ربًا لما دونه من باب أول وأحرى.

تم تفسير سورة التوبة بعون الله ومنّه فللـه الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطنـاً

تفسیر سورة یونس مکیـــة

﴿ ١ - ٢﴾ ﴿ بسم الله الرحن الرحيم الله تيات الكتاب الحكيم ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ﴾ يقول تعالى: ﴿آلر ملك آيات الكتاب الحكيم ﴾ وهو هذا القرآن ، المستمل على الحكمة والأحكام ، الدالة آياته على الحقائق الإيمانية والأوامر والنواهي الشرعية ، الذي على جميع الأمة تلقيه بالرضا والانقياد .

ومع هذا فأعرض أكثرهم فهم لا يعلمون، فتعجبوا ﴿أنْ أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الساس﴾ عذاب الله، وخوفهم نقم الله، وذكرهم بآيات الله.

ورسر الذين آمنوا الماناً صادقاً وأن لهم قدم صدق عند رجم أي: في الهم جزاء موفور (١٠) وثواب مذخور عند رجم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة.

فتعجب الكافرون من هذا الرجل العظيم تعجباً حملهم على الكفر به، ف ﴿قال الكافرون﴾ عنه: ﴿إِن هذا لساحر مبين﴾ أي: بَيْنُ السحر، لا يخفى بزعمهم على أحد، وهذا من سفههم وعنادهم، فإنهم تعجبوا من أمر ليس مما يتعجب منه ويستغرب، وإنما يتعجب من جهالتهم وعدم معرفتهم بمصالحهم.

كيف لم يؤمنوا بهذا الرسول الكريم، الذي بعثه الله من أنفسهم، يعرفونه حق المعرفة، فردوا دعوته، وحرصوا على إبطال دينه، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

٣ - ٤ > ﴿إن ربــكـــم الله السذي
 خلق السماوات والأرض في ستة أيام
 شم استوى على العرش يدبر الأمر
 ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله

ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون * إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعبده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين بما كانوا يكفرون * يقول تعالى مبيناً لربوبيته وإلهيته وعظمته: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام * مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله.

ومن جملة حكمته فيها، أنه خلقها بالحق وللحق، ليعرف بأسمائه وصفاته ويفرد بالعبادة.

﴿ سُم ﴾ بعد خلق السماوات والأرض ﴿ استوى على العرش ﴾ استواء يليق بعظمته.

﴿يدبر الأمر﴾ في العالم العلوي والسفلي، من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضرعن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين.

فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مذعنون لعزه (٢)، خاضعون لعظمته وسلطانه.

﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة ، ولو كان أفضل الخلق، حتى يأذن الله ولا يسأذن ، إلا لمن ارتضضى، ولا يسرتضي إلا أهل الإخلاص والتوحيد له .

﴿ ذلكم ﴾ الذي هذا شأنه ﴿ الله ربكم ﴾ أي: هو الله الذي له وصف الإلهية الجامعة لصفات الكمال، ووصف الربوبية الجامع لصفات الأفعال.

﴿ فاعبدوه ﴾ أي: أفردوه بجميع ما تقدرون عليه من أنواع العبودية ، ﴿ أَفَلا تَذَكّرون ﴾ الأدلة الدالة على أنه وحده المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام . فلما ذك حكمه القلدى وهم

فلما ذكر حكمه القدري وهو التدبير العام، وحكمه الديني وهو

شرعه، الذي مضمونه ومقصوده عبادته وحده لا شريك له، ذكر الحكم الجزائي، وهو مجازاته على الأعمال بعد الموت، فقال: ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ أي: سيجمعكم بعد موتكم لميقات يوم معلوم.

﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ فالقادر على إعادته ، على ابتداء الخلق قادر على إعادته ، والذي يرى ابتداء بالخلق ، ثم ينكر إعادته للخلق ، ثم ينكر لأحد المثلين مع إثبات ما هو أولى منه ، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد . ثم ذكر الدليل النقل فقال :

﴿ وعد الله حَقاً ﴾ أي: وعده صادق لا بد من إتمامه.

﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ بقلوبهم بما أمرهم الله بالإيمان به.

﴿وعملوا الصالحات بجوارحهم، من واجبات ومستحبات، ﴿بالقسط ﴾ أي: بإيمانهم وأعمالهم، جزاء قد بينه لعباده، وأخبر أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴿والذين كفروا ﴾ بآيات الله وكذبوا رسل الله.

ولهم شراب من حميم أي: ماء حار، يشوي الوجوه، ويقطع الأمعاء. وعذاب أليم من سائر أصناف العذاب وبما كانوا يكفرون أي: بسبب كفرهم وظلمهم، وما

ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.

﴿ ٥ - ٢ ﴾ ﴿ هـ و الـ ذي جـعـل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق بلله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴿ إِن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في والسماوات والأرض وجميع ما خلق أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسماوات والأرض وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، و (القوم يتقون علمون)

فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية استنباط الدليل⁽¹⁾ على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين.

وحاصل ذلك أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الإحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة والمصالح - كجعل الشمس ضياء، والقمر نوراً، يحصل بهما من النفع والمصروري وغيره ما يحصل - يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتناته بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة.

وذلك دال على أنه وحده المعبود المحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام، الذي لا تنبغي الرغبة والرهبة إلا إليه، ولا يصرف خالص الدعاء إلا له، لا لغيره من المخلوقات المربوبات، المفتقرات إلى الله في جميع شؤونها.

وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجود للذهن والقريحة.

والذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون * يقول تعالى: ﴿إِن الذين لا يرجون لقاءنا أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤملون، بل أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ﴿ورضوا بالحياة الدنيا ﴾

بدلاً عن الآخرة.

﴿واطمأنوا بها﴾ أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم (٢) ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي: طريق حصلت حصلوها، ومن أي: وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إراداتهم ونياتهم وأعمالهم إليها.

فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون.

﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ فلا ينتفعون بالآيات القرآنية ، ولا بالآيات الأفقية والنفسية ، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة ، عن المدلول المقصود .

وبما كانوا يكسبون ، من الكفر والشرك وأنواع المعاصي، فلما ذكر عقابهم ذكر ثواب المطيعين، فقال:

﴿٩ - ١٠ ﴾ ﴿إِنَّ السَّلْسِنَ آمسُوا وعملوا الصالحات بهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الذّين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المستملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة.

ويديهم ربهم بإيمانهم أي: بسبب ما معهم من الإيمان يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى

الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم، ولهذا قال: ﴿ تجرى من تحتهم الأنهار ﴾ الجارية على الدوام ﴿ في جنات النعيم ﴾ أضافها الله إلى النعيم، لاشتمالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه، ولقآء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنغمات المشجيات، والمناظر المفرحات. ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشارب، والمناكح، ونحو ذلك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون.

﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم ﴾ أي: عبادتهم فيها ش، أولها تسبيح شه وتنزيه له عن النقائص، وآخرها تحميد ش، فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل اللذات، الذي هو ألذ عليهم من المآكل اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو ومشقة.

﴿و﴾ أما ﴿تحيتهم﴾ فيما بينهم عند التلاقي والتزاور، فهو السلام، أي: كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه ﴿سلام﴾ وقد قبل في تفسير قوله: ﴿دعواهم فيها سبحانك﴾ إلى آخر الطعام والشراب ونحوهما _قالوا للهم، فأحضر لهم في الحال.

فإذا فرغوا قالوا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾

﴿ ١١﴾ ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ وهذا من لطفه وإحسانه بعباده، أنه لو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه، وبادرهم بالعقوبة على

ذلك، كما يعجل لهم الخير إذا أتوا بأسبابه ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ أي: لمحقتهم العقوبة، ولكنه تعالى يمهلهم ولا يهملهم، ويعفو عن كثير من حقوقه، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة.

ويدخل في هذا أن العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه لهلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حليم حكيم.

وقوله: ﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يستعدون لها، ولا يعملون ما ينجيهم من عذاب الله، ﴿في طغيانهم﴾ أي: باطلهم، الذي جاوزوا به الحق والحد.

﴿يعمهون﴾ يترددون حائرين، لا يهتدون السبيل ولا يوفقون لأقوم دليل، وذلك عقوبة لهم (١١) على ظلمهم، وكفرهم بآيات الله.

﴿١٢﴾ ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضرّه مر كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ وهذا إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه إذا مسه ضر، من مرض أو مصيبة، اجتهد في الدعاء، وسأل الله في جميع أحواله، قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وألح في الدعاء ليكشف الله عنه ضره.

﴿فلما كشفنا عنه ضره مركأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ أي: استمر في غفلته معرضاً عن ربه، كأنه ما جاءه ضره، فكشفه الله عنه، فأي: ظلم أعظم من هذا الظلم ؟!! يطلب من الله قضاء غرضه، فإذا أناله إياه لم ينظر إلى حق ربه، وكأنه ليس عليه لله حق. وهذا تزيين من الشيطان، زين له ما كان مستهجناً مستقبحاً في العقول والفطر.

﴿كَلَلْكُ زِينَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: ﴿ كَالَوْا يَعْمُلُونَ ﴾ .

(۱۳ - ۱۲) ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين * ثم جعلناكم كلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ يخبر تعالى أنه أهلك كيف تعملون ﴾ يغبر تعالى أنه أهلك جاءتهم البينات على أيدي الرسل تبين الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا. فأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرىء على محارم الله، وهذه سنته في جميع الأمم.

وثم جعلناكم وأيها المخاطبون خلاتف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون وإن أنتم اعتبرتم واتعظتم بمن قبلكم واتبعتم آيات الله وصدقتم رسله ، نجوتم في الدنيا والآخرة.

وإن فعلتم كفعل الظالمين قبلكم، أحل بكم ما أحل بهم، ومن أنذر فقد أعذر.

(١٥ - ١٧) ﴿ وَإِذَا تُمْثِلُ عَلَيْهِمُ آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بذله قل ما يكون لى أن أبدَله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحي إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون * فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون، يذكر تحالى تعنت الكذبين لرسوله محمد ﷺ ، وأنهم إذا تتلى عليهم آيات الله القرآنية المبينة للحق، أعرضوا عنها، وطلبوا وجوه التعنت فقالوا، جراءة منهم وظلماً: ﴿انْتِ بِقْرِآنِ غِيرٍ هذا أو بدّله﴾ فقبحهم الله، ما أجرأهم على الله، وأشدهم ظلماً ورداً لآياته.

فإذا كان الرسول العظيم يأمره الله أن يقول لهم: ﴿قل ما يكون لي﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق ﴿أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ فإني رسول محض، ليس لي من الأمر شيء، ﴿إن أتبع إلا ما يوحى

إلى أي: ليس لي غير ذلك، فإني عبد مأمور، ﴿إِنِ أَخَافَ إِنْ عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ فهذا قول خير الخلق وأدبه مع أوامر ربه ووحيه، فكيف بهؤلاء السفهاء الضالين، الذين جمعوا بين الجهل والضلال، والظلم والعناد، والتعنت والتعجيز لرب العالمين، أفلا يخافون عنذاب يوم عظيم؟!!.

فإن زعموا أن قصدهم أن يتبين لهم الحق بالآيات التي طلبوا فهم كَذَبَةٌ في ذلك، فإن الله قد بين من الآيات ما يؤمن على مشله البشر، وهو الذي يصرفها كيف يشاء، تابعاً (١١ لحكمته الربانية ورحمته بعباده.

﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمراً﴾ طويلاً ﴿من قبله﴾ أي: قبل تلاوته، وقبل درايتكم به، وأنا ما خطر على بالي، ولا وقع في ظني.

﴿أَفَلا تَعْقَلُونَ ﴾ أَنِي حيث لم أتقوله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل على ذلك، فكيف أتَقَوَّلُه بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمراً طويلاً تعرفون حقيقة حالي، بأني أمي لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرس ولا أتعلم من أحدادا

فأتيتكم بكتاب عظيم أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن _مع هذا _أن يكون من تلقاء نفسي، أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد؟

فلو أعملتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب، لجزمتم جزماً لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذ^(٢) أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون.

﴿ فَمِن أَظَلَم مِن افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذَباً، أَو كَذَبِ بَايَاته ﴾؟!!

فلو كنت مُتَقَوِّلاً لكنت أظلم الناس، وفاتني الفلاح، ولم تخف عليكم حالي، ولكني جئتكم

بآیات الله، فكذبتم بها، فتعین فیكم الظلم، ولا بدأن أمركم سیضمحل، ولن تنالوا الفلاح، ما دمتم كذلك.

ودل قوله: ﴿قَالَ اللّهُ لَا يَرْجُونَ لَا يُرْجُونَ لَقَاءَنا﴾ الآية، أن الذي حملهم على هذا التحنت الذي صدر منهم هو عدم إيمانهم بلقاء الله وعدم رجائه، وأن من آمن بلقاء الله، فلا بد أن ينقاد لهذا الكتاب ويؤمن به، لأنه حسن القصد.

﴿١٨﴾ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبثون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يقول تعالى: المشركون المكذبون لرسول الله ﷺ

﴿من دون الله مالا يسضرهم ولا ينفعهم﴾ أي: لا تملك لهم مثقال ذرة من النفع ولا تدفع عنهم شيئاً.

﴿ ويعقبولون ﴾ قبولاً خالياً من البرهان: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ أي: يعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم، ولهذا قال تعالى _مبطلاً لهذا القول -: ﴿قُلُ أَتُنْبُثُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلُمُ في السماوات ولا في الأرض﴾ أي: ﴿ الله تعالى هو العالم، الذِّي أحاط علماً بجميع ما في السماوات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك ولا إله معه، أفأنتم _يا معشر المشركين _ تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء؟ أفتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتموه؟ أأنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول، المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين؟

فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ أي: تقدس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير، بل هو الله الأحد الفرد الصمد

SERVICE TO THE PERSON OF THE P إِذَّ الَّذِبَ لِارْجُونَ لِقَآمَ مَا وَرَضُوا بِٱلْحَمَةِ وَٱلدُّنْسَا وَاطْمَالُوْا بِهَا وَالَّذِينَ هُرَعَنَ الِيَتِنَاعَنِولُونَ ۞ أُولَيْكَ مَأْوَنَهُمُ النَّارُ مَا كَانُواْ يَكْمِهُ وَكَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ وَامْثُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِاحَتِ يَهْدِيهِ وَتَبْهُم بِإِيَّنِهِ مُّ تَجْرِي مِن تَحْبِهُ ٱلْأَمْرُ فِ جَنَّاتِ ٱلنَّهِيرِ ۞ دَعُونُهُ مَ فِيهَا سُبْحَنَكَ ٱللَّهُمَّ وَيَيْنَهُ مُ مُنْفِهَا سَلَكُو وَالْحِدُوةَ عَوَلَهُ مَأْنِ ٱلْحَسَمَدُ لِلَّهِ وَبَ ٱلْعَالَمِينَ ۞ • وَلَوْ تُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّيرَّ ٱسْتِعْجَالَهُمُ بِٱلْخَيْرِ لَقَضِيَ إِلَيْهِ رَأَجَ لَهُمْ فَكَذُرُ الَّذِيكَ لَايَرْجُونَ لِقَاآةَ الفِي كُلْفِيكَ فِي مِنْفُسَكُمُونَ ۞ وَاذَامَسُ ٱلْإِنسَانَ ٱلشُّرُدَى الْالِحَيْدِينَأَوْفَ اعِدًا أَوْفَ آبِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مُرَكَانَ لَرَيْدُعُنَا إِلَى ضُرِّ مَنْكَةً كَانَاكِ نُوِنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْيِعْ مَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكُمَّا ٱلْقُرْفِيةَ مِن قِبَاكَ مُنْ لِلَّاظَ لَمُوا فَيَاءَ تَهُدُّرُ مُنْ لَهُمْ إِلْبَيْنَاتِ وَمَا كَانُواْ ﴾ لِيُوْمِنُوا كَذَاكِ خَيْنِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِوِينَ ۞ ثُرْبَعَكُنْكُرُ الأرتين مِن بَعْدِهِمْ لِنَظُرَكَيْفَ مَعْدَالُونَ الْأَرْسِينُ بَعْدِهِمْ لِنَظُرَكَيْفَ تَعْمَلُونَ ١

الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو، وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلاً وشرعاً وفطرة.

﴿ذلك بأن الله هـو الحـق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير﴾.

﴿١٩ _ ، ٢﴾ ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة ﴾ متفقين على الدين الصحيح ، ولكنهم اختلفوا ، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بإمهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم، ﴿لقضي بينهم ﴾ بأن ننجي المؤمنين، ونهلك الكافرين المكذبين، وصار هذا فارقاً بينهم ﴿فيما فيه يختلفون﴾

ولكنه أراد امتحانهم وابتلاء بعضهم ببعض، ليتبين الصادق من الكاذب.

وَلِذَا نُشَا إِعَلَيْهِ مِنْ الْكَالِيِّنَانُ قَالَ ٱلَّذِي لَا يَرْجُونَ لِقَاآةَنَا أَثْنِ بِقُدْرَ إِن غَيْرِهَ لَذَآ أَوْبَلِيَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُكِدَلَهُ مِن يَلْقَ كَا يَ نَفْيِقَ إِنْ أَيْتُمُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يُوْمِ عَظِيرٍ ۞ قُلُ أَوْشَأَةً اللَّهُ مَانَكُوْنُهُ عَلَىٰ كُمْ وَلَا أَدْرَيْكُ مِيدًا فَقَدْ لَبِثْتُ فِكُمْ عُمُرًا مِن قَيْلُهُ بِأَفَلَا تَعْبِقِلُونَ ۞ فَنَ أَظْلَارُ مِتَن اَفْتَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْكَذَّبَ بِعَائِلَتِمُّ النَّهُ لَايُفَلِحُ لَلْجَرِمُونَ ۞ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَايَضَّرُّهُمْ وَلَايَنَفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَا وُلِآءٍ شُفَعَنُوْنَا عِندَاللَّهِ قُلْ أَتُنِيُّونَ أَلَّهَ مِمَا لَا يَعْدَرُ فِي السَّمَوْتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِينَ مُسْبَحَنَتُهُ وَقِعَكُ إِلَى مَثَا يُشْرِيكُونَ ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أَمَّةَ وَهِيدَةً فَاخْتَ لَفُوًّا وَلَوْلَا كَلِيَّةً سَبَقَتْ مِن زَّيْكَ لِقَيْنِي يَيْنَكُمْ فِيهَافِ وَيَغْتَكِلْفُونَ ١ وَيَهُولُوكَ لَوْلَا أَيْلَ عَلَيْهِ وَالِدُّ مِنْ زَيْبِ وَمَعَلَلَ إِنَّمَا ٱلْفَكِيْبُ يِقِّوفَانْنَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ ٱلْنَفِلِينَ ۞ ASSESSED TO LEGISLES

﴿ويسقولون﴾أى: المكذبون المتعنتون، ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ يعنون: آيات الاقتراح التي يعينونها كقولهم: ﴿لُولًا أَنْزُلُ إِلَّيْهُ مَلُكُّ فيكون معه نذيراً ﴾ الآيات.

وكقولهم: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾

﴿فقل﴾لهم إذا طلبوا منك آية ﴿إِنَّمَا الْغَيْبِ لللهِ أَي: هو المحيط علماً بأحوال العباد، فيدبرهم بما يقتضيه علمه فيهم وحكمته البديعة، وليس لأحد تدبير في حكم ولا دليل، ولا غاية ولا تعليل.

﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: كل ينتظر بصاحبه ما هو أهل له، فانظروا لمن تكون العاقبة.

﴿ ٢١﴾ ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون بيقول تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم كالصحة بعد المرض، والغني بعد الفقر، والأمن بعد الخوف، نسوا ما أصابهم من الضراء، ولم يشكروا الله على الرخاء والرحمة، بل استمروا في طغيانهم ومكرهم.

ولهذا قال: ﴿إذا لهم مكر في يبغون في الأرض بغير الحق أي:

آياتنا الله أي: يسعون بالباطل ليبطلوا به

﴿قُلُ اللهُ أُسْرَعُ مُكُواً ﴾ فإن المكر السيّىء لا يحيق إلا بأهله، فمقصودهم منعكس عليهم، ولم يسلموا من التبعة، بل تكتب الملائكة عليهم ما يعملون، ويحصيه الله عليهم، ثم يجازيهم [الله] عليه أوفر الجزاء.

﴿۲۲ _ ۲۲﴾ ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين * فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق بأ أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبِّئكُم بما كنتم تعملون لل ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد الضراء، واليسر بعد العسر، ذكر حالة تؤيد ذلك وهي حالهم في البحر عند اشتداده، والخوف من عواقبه، فقال: ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ بما يسر لكم من الأسباب المسيرة (١) لكم فيها، وهداكم إليها.

﴿ حتى إذا كنتم في الفلك ﴿ أِي: السفن البحرية ﴿وجرين بهم بريح طيبة ﴾ موافقة لما يهوونه من غير انزعاج ولا مشقة.

﴿وفرحوا بها ﴾ واطمأنوا إليها، فبينما هم كذلك، إذ ﴿جاءتها ربح همها وحزنها وحسرتها. عاصف اشديدة الهبوب ووجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم أي: عرفوا أنه الهلاك، فانقطع حينئذٍ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا الله وحده، فدعوه مخلصين له الدين ووعدوا من أنفسهم على وجه الإلزام، فقالوا: ﴿ لِنُن أَنجِيتُنَا مِن هَذَّهُ لِنكُونِنَ من الشاكرين * فلما أنجاهم إذا هم

نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزموه أنفسهم، فأشركوا بالله، من اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق، فهلا أخلصوا لله العبادة في الرخاء، كما أخلصوه في الشدة؟!! .

ولكن هذا البغي يعود وباله عليهم، ولهذا قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْكُمُ على أنفسكم متاع الحياة الدنيا﴾ أي: غاية ما تؤملون ببغيكم وشرودكم عن الإخلاص لله، أن تنالوا شيئاً من حطام الدنيا وجاهها النزر اليسير الذي سينقضي سريعاً، ويمضى جميعاً، ثم تنتقلون عنه بالرغم.

﴿ثم إلينا مرجعكم ﴾ في يوم القيامة ﴿فننبتكم بما كنتم تعملون ﴾ وفي هذا غاية التحذير لهم عن الاستمرار على

﴿ ٢٤﴾ ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتاً قصيراً، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلىء القلب من

فذلك ﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض♦أي: نبت فيها من كل صنف، وزوج بهيج ﴿ مُمَا يأكل الناس كالحبوب والثمار ﴿و﴾ ما تأكل ﴿الأنعام ﴾ كأنواع العشب، والكلأ المختلف الأصناف.

﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت أي: تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية

للمتبصرين، فصرت ترى لها منظراً عجيباً ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره.

﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها ﴾ أي: حصل معهم طمع بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إراداتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه.

فبينما هم في تلك الحالة ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس﴾ أي: كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء.

﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أي: نبينها ونوضحها، بتقريب المعاني إلى الأذهان، وضرب الأمثال ﴿لقوم يتفكرون﴾ أي: يعملون أفكارهم فيما ينفعهم.

وأما الغافل المعرض، فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان، ولما ذكر الله حال المدنيا وحاصل نعيمها، شَوَّق إلى الدار الباقية، فقال:

﴿٢٥ ـ ٢٦﴾ ﴿والله يسدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

عمّ تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام والحث على ذلك والترغيب، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاءه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد البيان والرسل، وسمى الله الجنة الدار والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه.

ولما دعا إلى دار السلام، كأن النفوس تشوقت إلى الأعمال الموجبة

لها الموصلة إليها، فأخبر عنها بقوله: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المذكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان.

فهؤلاء الذين أحسنوا لهم «الحسنى» وهي الجنة الكاملة في حسنها و «زيادة» وهي النظر إلى وجه الله الكريم وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون.

ثم ذكر اندفاع المحذور عنهم فقال: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ﴾
أي: لا ينالهم مكروه بوجه من السوجسوه، لأن المكسروه إذا وقسع بالإنسان، تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدر.

وأما هؤلاء _فهم كما (١١) قال الله عنهم _ ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ ﴿أولئك أصحاب الجنة ﴾ الملازمون لها ﴿هم فيها خالدون ﴾ لا يحسولسون ولا يسزولسون، ولا يتغيرون.

﴿٢٧﴾ ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لما ذكر أصحاب الخة ذكر أصحاب النار، فذكر أن بضاعتهم التي اكتسبوها في الذنيا هي الأعمال السيئة المسخطة لله، من أنواع الكفر والتكذيب، وأصناف المعاصي، فجزاؤهم سيئة مثلها، أي:

وَإِنَّا أَدْفَنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةُ مِنْ بَعْدِ ضَرَّا مَسَنَهُ وَإِذَا لَمُدُمِّكُ في اليانياً قُل الله أَسْرَعُ مك رَّأ إِنَّ رُسُكَنا بِكُدُبُونَ مَاتَمَنُمُونِ ۞ هُوَّأَلَّذِي يُسَيِّرُكُمُ فِي ٱلْمِيْوَالْبَحْسِّرِ حَقَيْلِنَا كُتُدُوْالْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهدرِيهِ طِيبَةٍ وَفَرِحُواْبِها جَأَةَتُهَا رِيحُ عَاضِفٌ وَيَمَاءَهُمُ الْمُوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَلْمُواْ أَنْهُمْ لْحِطَ بِهِمُّ دَعَوُاللَّهَ تُحْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لِمَنْ أَغِيَّتُنَا مِنْ هَذِهِ، لَتَكُونَ مِنَ الشَّكِونِ ۞ فَلَمَّا أَنِحَنهُمْ إِذَا هُمْرَةٍ فُونَ فِ ٱلْأَرْضِ بِعَيْرِ ٱلْحَقِّ بَنَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا بَقْيُكُمْ عَلَىٓ أَنفُسِكُمْ مُّنَّعَ ٱلْحَيْوَةِ ٱلدُّنْيَّا فُرَّ إِلَيْنَا مَجْعِكُمْ فَأَنْيَ فَكُمْ بِمَاكُنْمُ مَّنْكُونَ ۞ إِنَّا مَثَلُ ٱلْحَيْزِةِ ٱلدُّنياكُمَّا وَأَرْكُنُهُ مِنَ ٱلسَّنَّاءِ فَاخْتَلَطَ بِمِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَفْلُوحَيَّ إِنَّا آخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزَّيَّتَ وَظَلَّ أَهَلُمَّا أَنَّهُمْ قَلْدُونَ عَيْمًا أَتَهَا أَمْرُهَا لَيْلًا أَوْنَهَا لَا فَتَكَلَّنَهَا حَدِيدُ اكَأْتِ لَمْ تَمْنَ بَالْأَمْشُ كَتَالِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمِ يَلْفَكُّرُونَ ۞ وَأَلَّمُهُ المُعُوَّا إِلَى دَارِ السَّلَاءِ وَيَهْدِى مَن يَسْلَهُ إِلَى مِرَطِمُ سُتَقِيدٍ

جزاء يسوؤهم بحسب ما عملوا من السيئات على اختلاف أحوالهم .

﴿وترهقهم اي: تغشاهم ﴿ذلة ﴾ في قلوبهم وخوف من عذاب الله ، لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم ، وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرهم ، فتكون سواداً في الوجوه (٢) .

﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ فكم بين الفريقين من الفرق، وينا بعد ما بينهما من التفاوت؟!

﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة * ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ ﴿وجوه يومئذ مسفرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾.

(۲۸ - ۳۰) ﴿ويوم نحشرهم جيماً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون * فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين * هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا

يفترون﴾ يقول تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ أي: نجمع جميع الخلائق لميعاد يوم معلوم، ونحضر المشركين، وما كانوا يعبدون من دون الله.

وأثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم أي: الزموا مكانكم ليقع التحاكم والفصل بينكم وبينهم فرزيلنا بينهم أي: فرقنا بينهم بالبعد البدني والقلبي، وحصلت بينهم العداوة الشديدة، بعد أن بذلوا لهم في الدنيا خالص المحبة وصَفْوَ الوداد، فانقلبت تلك المحبة والولاية بغضاً وعداوة.

وتبرأ شركاؤهم منهم وقالوا: ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ فإننا ننزه الله أن يكون له شريك أو نديد. ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ ما أمرناكم بها، وعاكم إلى ذلك، وهو الشيطان كما قال دعاكم إلى ذلك، وهو الشيطان كما قال لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو من.

وقال: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً شم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴿.

فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرؤون عمن عبدهم يوم القيامة ويتنصلون من دعائهم إياهم إلى عبادتهم وهم الصادقون البارون في ذلك، فحينئذ يتحسر المشركون حسرة قدموا من الأعمال، وما أسلفوا من رديء الخصال، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين، وأنهم مفترون على الله، معبوداتهم، وتقطعت بهم الأسباب والوسائل.

ولهذا قال تعالى: ﴿هنالك﴾ أي: في ذلك اليوم ﴿تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ أي: تتفقد أعمالها وكسبها، وتتبعه بالجزاء، وتجازى بحسبه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وضل عنهم ما كانوا يفترون من قولهم بصحة ما هم عليه من الشرك وأن ما يعبدون من دون الله تنفعهم وتدفع عنهم العذاب.

﴿٣١ ـ ٣٣﴾ ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ أي: ﴿قل﴾ لهؤلاء الذينُ أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطاناً -محتجاً عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الإلهية _ ﴿من يرزقكم من السماء والأرض بإنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها؟

﴿أَمْ مَن يَمَلُكُ السَّمِعُ وَالْأَبْصَارِ﴾ أي: من هو الذي خلقهما وهو مالكهما؟، وخصهما بالذكر من باب التبيه على المفضول بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما.

﴿ومن يخرج الحيي من الميت﴾ وهدى للعالمين.

كإخراج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ عكس هذه المذكورات، ﴿ومن يدبر. الأمر﴾ في العالم العلوي والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير ﴿فسيقولون الله﴾ لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من المذكورات.

﴿فقل﴾ لهم إلزاماً بالحجة ﴿أفلا تتقون﴾ الله فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان.

﴿فَذَلَكُم﴾ الذي وصف نفسه بما وصفها به ﴿الله ربكم﴾ أي: المألوه المعبود المحمود، الربي جميع الخلق بالنعم وهو: ﴿الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾.

فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام.

وفائني تصرفون عن عبادة مَنْ هذا وصفه الى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

فليس له من الملك منقال ذرة، ولا شركة له بوجه من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فتباً لمن أشرك به، وويحاً لمن كفر به، لقد عدموا عقولهم بعد أن عدموا أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم.

ولهذا قال [تعالى] عنهم: ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ بعد ما أراهم (١) الله من الآيات البينات والبراهين النيرات ما فيه عبرة لأولي الألباب، وموعظة للمتقين

﴿٣٤_٣٤﴾ ﴿قبل مبل مبن شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأتى تؤفكون * قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قبل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون * وما يتبع أكثرهم إلاّ ظناً إنّ الظنَ لا يغنى من الحق شيئاً إنّ الله عليم بما يفعلون﴾ يقول تعالى _مبيناً عجز آلهة المشركين وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله _: ﴿قُلُّ هل من شركائكم من يبدأ الخلق، أي: يبتديه ﴿ثم يعيده ﴾ وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم أحد يبدأ الخلِّق ثم يعيده، وهي أضعفُ من ذلك وأعجز ، ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ من غير مشارك ولا معاون له على ذلك.

﴿فأنى تؤفكون﴾ أي: تصرفون، وتحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء، والإعادة إلى عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون.

﴿قل هل من شركاتكم من يهدي إلى الحق﴾ ببيانه وإرشاده أو بإلهامه وتوفيقه.

﴿قل الله﴾ وحده ﴿يهدي للحق﴾ بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق، والإعانة إلى سلوك أقوم طريق.

﴿أَمَّن لا يهدي﴾ أي: لا يهتدي ﴿إِلا أن يهدى﴾ لعدم علمه ولضلاله، وهي شركاؤهم التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تُهدَى ﴿فما لكم كيف تحكمون ﴿ أي: أي شيء جعلكم تحكمون هذا الحكم الباطل، بصحة عبادة أحد مع الله، بعد ظهور الحجة والبرهان أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده.

فإذا تبين أنه ليس في آلهتهم التي يعبدون مع الله أوصافاً معنوية ولا أوصافاً فعلية، تقتضي أن تعبد مع الله، بل هي متصفة بالنقائص الموجبة لبطلان إلهيتها، فلأي: شيء جعلت مع الله آلهة؟

فالجواب: أن هذا من تريين

الشيطان للإنسان، أقبح البهتان، وأضل الضلال، حتى اعتقد ذلك وألفه وظنه حقاً، وهو لا شيء.

ولهذا قال: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أي: ما يتبعون في الحقيقة شركاء لله، فإنه لبس لله شريك أصلاً عقلاً ولا نقلاً، وإنما يتبعون الظن و ﴿إِن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ فسموها آلهة وعبدوها مع الله، ﴿إِن هِي إِلا أسماء سميتموها ألتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾.

﴿إِن الله عليم بما يفعلون ﴾ وسيجازيهم على ذلك بالعقوبة البليغة . ﴿٣٧ _ ٤١ ﴾ ﴿وما كان هذا القرآن أن يفتري من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يومن به وربك أعلم بالمفسدين * وإن كذَّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء ما تعملون، يقول تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفتري من دون الله أي: غير ممكن ولا متصور، أن يفتري هذا القرآن على الله تعالى، لأنه الكتاب العظيم الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ وهو الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهو كتاب الله الذي تكلم به

ووصفه؟!! فإن كان أحديماثل الله في عظمته وأوصاف كماله، أمكن أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولو تنزلنا على الفرض والتقدير، فَتَقوَّله أحد على رب

[رب العالمين]، فكيف يقدر أحد من الخلق أن يتكلم بمثله، أو بما يقاربه،

والكلام تابع لعظمة المتكلم

العالمين، لعاجله بالعقوبة وبادره مالنكال.

﴿ولكن﴾ الله أنزل هذا الكتاب رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين.

أنزله ﴿تصديق الذي بين يديه ﴾ من كتب الله السماوية، بأن وافقها وصدقها بما شهدت به، وبشرت بزوله، فوقع كما أخبرت.

﴿وتفصيل الكتاب﴾ للحلال والحرام، والأحكام الدينية والقدرية، والإخبارات الصادقة.

﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ أي: لا شك ولا مرية فيه بوجه من الوجوه، بل هو الحق اليقين: تنزيل من رب العالمين الذي ربّى جميع الخلق بنعمه.

ومن أعظم أنواع تربيته أن أنزل عليهم هذا الكتاب الذي فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، المشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

﴿أُم يقولونَ ﴾ أي: المكذبون به عناداً وبغياً: ﴿افتراه ﴾ محمد على الله واختلقه، ﴿قل ﴾ لهم _ملزماً لهم بشيء _إن قدروا عليه، أمكن ما ادّعوه، وإلا كان قولهم باطلاً.

وفأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين يعاونكم على الإتيان بسورة مثله، وهذا محال، ولو كان ممكناً لادعوا قدرتهم على ذلك، ولأتوا مثله.

ولكن لما بان عجزهم تبين أن ما قالوه باطل، لاحظً له من الحجة، والذي حملهم على التكذيب بالقرآن المشتمل على الحق الذي لاحق فوقه، أنهم لم يحيطوا به علماً.

فلو أحاطوا به علماً وفهموه حق فهمه، لأذعنوا بالتصديق به، وكذلك إلى الآن لم يأتهم تأويله الذي وعدهم أن ينزل بهم العذاب ويحل بهم النكال، وهذا التكذيب الصادر منهم من جنس تكذيب من قبلهم، ولهذا قال: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ وهو الهلاك

الذي لم يبق منهم أحداً.

فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيحل بهم ما أحل بالأمم المكذبين والقرون المهلكين.

وفي هذا دليل على التثبت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر بقبول شيء أو رده قبل أن يحيط به علماً.

﴿ومنهم من يؤمن به﴾ أي: بالقرآن وما جاء به، ﴿ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ وهم الذين لا يؤمنون به على وجه العناد والظلم والفساد، فسيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب.

وإن كذبوك فاستمر على دووتك، وليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء، لكل عمله. ﴿ فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريثون مما قال تعالى: ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعلها ﴾ .

﴿٤٤ ـ ٤٤﴾ ﴿ومسنسهسم مسن يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون * إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلّمون، يخبر تعالى عن بعض المكذبين للرسول ﴿ وَ أَنْ ﴿ مِنْ هِمَ مِنْ ولما جــاء يستمعون الله النبي على وقت قراءته للوحي، لا على وجه الاسترشاد، بل على وجه التفرج والتكذيب وتطلب(١١ العثرات، وهذا استماع غير نافع ولا مُجدِ على أهله خيراً، لا جرم انسد عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع، ولهذا قال: ﴿أَفَأَنْتُ تَسْمُعُ الصم ولو كانوا لا يعقلون وهذا الاستفهام بمعنى النفي المتقرر، أي: لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول ولو جهرت به، وخصوصاً إذا كان عقلهم معدوماً.

فإذا كأن من المحال إسماع الأصم

الذي لا يعقل للكلام، فهؤلاء المكذبون، كذلك عتنع إسماعك إياهم إسماعاً يتفعون به.

وأما إسماع الحجة، فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة الله البالغة، فهذا طريق عظيم من طرق العلم قد انسد عليهم، وهو طريق المسموعات المتعلقة بالخبر.

ثم ذكر انسداد الطريق الثاني، وهو: طريق النظر فقال: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ فلا يفيده نظره إليك، ولا سبر أحوالك شيئاً، فكما أنك لا تهدي السعمسي ولو كانسوا لا يسمرون، فكذلك لا تهدي هؤلاء.

فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق، فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق؟

ودل قوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك الآية ، أن النظر إلى حالة النبي على وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به ، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة .

وقوله: ﴿إِن الله لا يظلم الناس شيشاً ﴾ فلا يزيد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ يجيئهم الحق فلا يقبلونه، فيعاقبهم الله بعد ذلك بالطبع على قلوبهم، والختم على أسماعهم وأبصارهم.

﴿و٤٤﴾ ﴿ويوم بحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ يخبر تعالى عن سرعة انقضاء الدنيا، وأن الله تعالى إذا حشر الناس وجعهم ليوم لا ريب فيه، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس، وهم يتعارفون بينهم، كحالهم في الدنيا، فغي هذا اليوم يربح المتقون، ويخسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين

إلى الصراط المستقيم والدين القويم، حيث فاتهم النعيم، واستحقوا دخول النا.

﴿٤٦﴾ ﴿وإما نريتك بعض الذي نعدهم أو نتوفيتك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ أي: لا تحزن أيها الرسول على هـولاء المكذبين، ولا تستعجل لهم، فإنهم لا بد أن يصيبهم الذي نعدهم من العذاب.

إما في الدنيا فتراه بعينك، وتَقرُّ به نفسك.

وإما في الآخرة بعد الوفاة، فإن مرجعهم إلى الله، وسينبثهم بما كانوا يعملون، أحصاه الله ونسوه، والله على كل شيء شهيد، ففيه الوعيد الشديد لهم، والتسلية للرسول الذي كذبه قومه وعاندوه.

(٤٧ - ٤٩) ﴿ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ يقول تعالى: ﴿ ولكل أمة ﴾ من الأمم الماضية ورينه.

﴿فإذا جاء﴾ هم ﴿رسولهم﴾ بالآيات، صدقه بعضهم وكذبه آخرون، فيقضي الله بينهم بالقسط بنجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين ﴿وهم لا يظلمون﴾ بأن يعذبوا قبل إرسال الرسول وبيان الحجة، أو يعذبوا بغير جرمهم، فليحذر المكذبون لك من مشابهة الأمم المهلكين، فيحل بهم ما طي بأولئك.

ولا يستبطئوا العقوبة ويقولوا: أمتى هذا الوعد إن كنتم صادقين فإن هذا ظلم منهم، حيث طلبوه من النبي على فإنه ليس له من الأمر شيء، وإنما عليه البلاغ والبيان

وأما حسابهم وإنزال العذاب عليهم فمن الله تعالى، ينزله (١) عليهم إذا جاء الأجل الذي أجله فيه، والوقت الذي قدره فيه، الموافق لحكمته الإلهية.

فإذا جاء ذلك الوقت لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فليحذر المكذبون من الاستعجال بالعذاب، فإنهم مستعجلون بعذاب الله الذي إذا نزله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ولهذا قال:

﴿ ٥ - ٢٥﴾ ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون * أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون * ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون » يقول تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً ﴾ وقت نومكم بالليل ﴿أو نهاراً ﴾ بياتاً ﴾ وقت غفلتكم ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾ أي: بشارة استعجلوا بها؟ وأي: عقاب ابتدروه؟

" (أثم إذا ما وقع آمنتم به فإنه لا ينفع الإيمان حين حلول عذاب الله، ويقال لهم توبيخاً وعتاباً في تلك الحال التي زعموا أنهم يؤمنون، ﴿آلان﴾ تؤمنون في حال الشدة والمشقة؟ ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ فإن سنة الله في عباده أنه يعتبهم إذا استعتبوه قبل وقوع العذاب.

فإذا وقع العذاب لا ينفع نفساً إيمانها، كما قال تعالى عن فرعون، لما أدركه الغرق ﴿قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين وأنه يقال له: ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾.

وقال تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده ﴾ وقال هنا: ﴿أَلُم إِذَا ما وقع أمنتم به الآن تدعون الإيمان (٢) ، ﴿وقد كنتم به تستعجلون ﴾ فهذا ما عملت أيديكم ، وهذا ما استعجلتم به .

في ب: ينزل.

﴿ثم قيل للذين ظلموا ﴿ حين يوفون أعمالهم يوم القيامة : ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ﴾ أي : العذاب الذي تخلدون فيه ، ولا يفتر عنكم ساعة . ﴿ هِل تَجزون إلا بما كنتم تكسبون ﴾ من الكفر والتكذيب والمعاصى .

﴿ ٣٥ - ٣٥ ﴾ ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي ورني إنّه لحقّ وما أنتم معجزين * ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا والعذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * ألا إن ش ما في السماوات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون * هو يجبي ويميت وإليه ترجعون ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: ترجعون ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: يستخبرك المكذبون على وجه التعنت والرشاد "كالمنبون على وجه التعنت والرشاد".

﴿ أحق هو ﴾ أي: أصحيح حشر العباد، وبعثهم بعد موتهم ليوم المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشز؟

﴿قل﴾ لهم مقسماً على صحته، مستدلاً عليه بالدليل الواضح والبسرهان: ﴿إِي وربي إنه لحسق﴾ لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه.

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ لله أن يبعثكم، فكما ابتدأ خلقكم ولم تكونوا شيئاً، كذلك يعيدكم مرّة أخرى ليجازيكم بأعمالكم.

﴿و﴾ إذا كانت القيامة فـ ﴿لو أن لكل نفس ظلمت﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ما في الأرض﴾ من ذهب وفضة وغيرهما، لتفتدي به من عذاب الله ﴿لافتدت به﴾ ولما نفعها ذلك، وإنما النفع والضر والثواب والعقاب، على الأعمال الصالحة والسيئة.

﴿وأسروا﴾ [أي] الذين ظلموا ﴿الندامة لما رأوا العذاب﴾ ندموا على ما قدموا، ولات حين مناص، ﴿وقضي

CHANGE CHANGE ا قُلْ عَزِينِ شُرِّكًا بِكُمْ مِّنَ سِندُواْ ٱنْحَلِقَ ثُمْرَهُ مُدُفُّ اللَّهُ مِبْدُواْ كَعَلَقَ مُرْسَدُهُمُ فَأَنَّ تُوْفَكُونَ ﴿ قُلْ عَلْمِن شُرَكًا بِكُر مَّن يَهْدِي إِلَّ الْحَوَّ قُلُ الْقَدِّيَةِ بِي لِلْحَقِّ أَفَنَ بَعْدِيّ إِلَى آكُوَّ أَحَقُ أَن يُسْبَعَ أَشَّ لَا يَهِدِي إِلَّا أَن يُهْدَى فَأَ لَكُوكَيْفَ غَنَكُونَ ﴿ وَمَا يَشِّعُ أَحْ مُرُورُ إِلَّا فَانَّا إِنَّ الطَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيًّا إِنَّ السَّعَلِيمُ كَايَفْمَلُونَ۞ وَمَا كَانَ هَلْنَا ٱلْقُرْدَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن قَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَّيْهِ وَتَغْصِيلَ الْكِتْبُ لَارْيُبُ فِيهِين زَّتِ ٱلْمُعَلِّمِينَ ۞ أَمْ يَتُولُونَ ٱفْتَرَنكُ قُلْ فَسَأْتُواْ بِسُورَةِ مِثْلِهِ وَأَدْعُواْ مَنِ أَسْتَطَعْتُرُمِن دُونِ أَلْمَهِ إِن كُتُنْمِ صَلِيقِينَ ۞ بَلْكَذَوا عِالْرَجِيطُوا بِيلْمِهِ وَلَا يَأْتِهِ مَنَا وِيلُمُكُذَلِكُ كُذَّبَ الَّذِينَ مِن مَيلِهِ مِّ فَانظُر كَيْفَكُ كَانَ عَلَيْهُ ٱلظَّالِينَ ۞ وَمِنْهُرَمِّنْ يُؤْمِنُ بِعِيوَمِنْهُ مِنْ لَا يُؤْمِثُ بِوِ وَرَبَّلِكَ أَعْلَمُ التنسيدين ٥ قان كَنْعُكَ فَعُلْ لِي عَلِي وَلَكُوعَمُلُكُورً أَنْتُ مَرَيِتُونَ مِيَّا أَغْمَلُ وَأَنَازِيَّةٌ يِّمَّاتَعْمَلُونَ ۞ وَمُعْمِّنَ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنَ تُسْمِعُ الشُّمِّ وَلَوْكَافُوا لَا يَعْفِلُونَ ۞

بينهم بالقسط، أي: العدل التام الذي لا ظلم ولا جور فيه بوجه من الوجوه.

﴿ أَلا إِن شَه ما في السسماوات والأرض ﴾ يحكم فيهم بحكمه الديني والقدري، وسيحكم فيهم بحكمه الجزائي، ولهذا قال: ﴿ أَلا إِن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ فلذلك لا يستعدون للقاء الله، بل ربما لم يؤمنوا به، وقد تواترت عليه الأدلة القطعية والبراهين النقلية والغقلية.

﴿هو يحيي ويميت﴾ أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، وسائر أنواع التذبير (٤)، لا شريك له في ذاك.

﴿وإليه ترجعون ﴾ يوم القيامة ، فيجازيكم بأعمالكم خيرها وشرها .

﴿٧٥ ـ ٨٥﴾ ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير تما يجمعون ﴾ يقول تعالى ـ مرغباً للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم ، بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال : ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ﴾ أي : تعظكم ، وتنذركم عن الأعمال الموجبة تعظكم ، وتنذركم عن الأعمال الموجبة

⁽٣) في ب: الاسترشاد.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: للإيمان. (٤) في ب: التدابير.

CENTRAL PORT وَمِنْهُ مِنْ مُنْظِرُ البِّكُ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْمُمْنِ وَلْوَكَا وُأَلاَيْتِهِمُونَ ﴿ إِنَّاللَّهُ لَا يُطْلِمُ النَّاسَ شَيْعًا وَلَنَّكِنَّ النَّاسَ الْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَتَوْمَ يَعْشُرُهُمْ كَأَن لَرَّ يَلْتُ وَالْإِسَاعَةُ مِنَ النَّهَ إِرِيَّتُ كَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْخَيَرَ الَّذِينَ كَذَّنُوا مِلْقَلُهِ اللَّهِ الْم وَمَا كَانُواْمُهُنَدِينَ ۞ وَإِمَّازُيِّنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِينَوَدُمُمْ ا أَوْنَنُوَيِّنَكَ فَإِلَيْنَامَ جِعُهُمُّ ثُمَّ أَلَقَهُ شَهِيدُ عَلَى مَايَفْعَلُونَ ۞ وَلِحُدُلِ أَمْوَرْسُولٌ فَإِذَاجَاءً رَسُولُمُ مُ فَضِيَ يَنْهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُدُلاَيُظَالَمُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَنْى هَنَا ٱلْوَعْدُ إِن حَيْمَةً صَدِيقِينَ ۞ قُل لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلِانَفْعًا إِلَّا مَاشَكَةُ ٱللَّهُ لِكُلِّى أَمْقَ لِبَلِّ إِنَا كِمَةَ لَجَلُمُ مُلَائِسٌ فَلَالِمَ مُنْ فَعَرُونَ سَلَقَهُ وَلَا الْأَ يَسْتَقْدِمُونَ ۞ قُلْ أَوَيْتُمْ إِنْ أَتَنكُمُ عَذَا لِمُسِكَّنا أَوْنَهَا ذَمَّاذَا بَسْتَعِلْمِينُهُ ٱلْخِيثُونَ ۞ أَثُمَّ إِنَّا مَا وَقَعَ السَنُّم بِيِنَّمَا أَفَنَ وَقَدْ كُثُمُّ مِينَّتَتَمَيِّلُونَ ۞ ثُمُّ قِلَ اللَّهِينَ طَامُوا دُوفُواً عَذَابَ أَعْلَهُ عَلَى الْمُ تُعْزَوْنَ أَلْاِمَا كُنتُهُ تَكْمِيبُونَ ﴿ • وَيَسْتَلْمُونَكَ أَحَقُّ هُوَّ قُلْ إِي وَرَبُهُ إِلَّهُ لَكَقُّ وَمَا أَنْتُم يُعْجِزِينَ ۞ CONTRACTOR DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE

لسخط الله، المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها.

﴿وشفاء لما في الصدور ﴿ وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترهيب، والوعد والوعيد، عما يوجب للعبد الرغبة والرهية.

وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، ونمتا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه.

وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرّفها الله غاية التصريف، وبيّنها أحسن بيان، عما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين.

وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، ﴿وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ فالهدى هو العلم بالحق والعمل به.

والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والشواب العاجل

والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين.

وإذا حصل الهدى وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح، والربح والنجاح، والفرح والسرور.

ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: ﴿قُلْ بِفَضِلَ اللهِ الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده ﴿ورحمه المدين والإيمان، وعبادة الله وعبته ومعرفته. ﴿فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون من مناع الدنيا ولذاتها.

فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب.

وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك نما يوجب انبساط النفس ونشاطها وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود، بخلاف الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم كما قال [تعالى عن] قوم قارون له: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾.

وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿ فلما جاءتهم رسلهم من بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾.

﴿ ٩٠ ـ ٠٠ ﴾ ﴿ قسل أرأيسه مسا أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراساً وحيلالاً قبل آلله أذن لكم أم على الله تفترون * وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون * يقول تعالى منكراً على المشركين الذين ابتدعوا

تحريسم ما أحل الله وتحليل ما حرم (١) _: ﴿قُلُ أَرَأَيْتُم مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُم مِن رَزِقَ ﴾ يعني أنواع الحيوانات المحللة، التي جعلها الله رزقاً لهم ورحمة في حقهم. قل لهم _موبخا على هذا القول الفاصد _: ﴿آللهُ أَذْنَ لَكُم أُم على الله تفترون﴾ ومن المعلوم أن الله لم يأذن لهم فعلم أنهم مفترون.

﴿ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ﴾ أن يفعل الله بهم من النكال، ويحل بهم من العقاب، قال تعالى: ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ .

﴿إِنَ اللهُ لَذُو فَضَلَ عَلَى النَّاسِ﴾ كثير، وذو إحسان جزيل، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، إما أن لا يقوموا بشكرها، وإما أن يستعينوا بها على معاصيه، وإما أن يُعرموا منها، ويردوا ما منَّ الله به على عباده، وقليل منهم الشاكر الذي يعترف بالنعمة، ويثني بها على الله ويستعين بها على طاعته.

ويستدل بهذه الآية على أن الأصل في جميع الأطعمة الحل، إلا ما ورد الشرع بتحريمه، لأن الله أنكر على من حرم الرزق الذي أنزله لعباده.

﴿ ١٦﴾ ﴿ وَمَا تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض وفي السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ يخبر تعالى أحوال العباد في حركاتهم وسكناتهم، وفي ضمن هذا الدعوة لمراقبته على وفي ضمن هذا الدعوة لمراقبته على الدوام فقال: ﴿ وما تكون في شأن﴾ والدنيوية. ﴿ وما تتلو منه من قرآن﴾ أي: وما تتلو من القرآن اللذي أوحاه الله إليك.

﴿ولا تعملون من عمل ﴾ صغير أو كبير ﴿إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ أي: وقت شروع كسم فيه واستمراركم على العمل به.

فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة والاجتهاد فيها، وإياكم وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بظواهركم وبواطنكم.

﴿وما يعزب عن ربك﴾ أي: ما يغيب (١) عن علمه وسمعه وبصره ومشاهدته ﴿من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين اي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه.

وهاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر، كثيراً ما يقرن الله بينهما، وهما: العلم المحيط بجميع الأشياء، وكتابته المحيطة بجميع الحوادث، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تعلم أَن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾.

(٢٣ - ٢٤ ﴿ الا إِنَّ أُولِياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم في يجبر تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم وشوابهم فقال: ﴿ الا إِن أُولِياء الله أمامهم من المخاوف والأهوال.

﴿ولا هم يحزنون ﴾ على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿الذين آمنوا﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله [تعالى] ولياً، و ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

أما البشارة في الدنيا، فهي الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين،

والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق وصرفه عنه مساوى، الأخلاق.

وأما في الآخرة فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾.

وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم.

وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأل

﴿لا تبديل لكلمات الله بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قيله، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه

﴿ذلك هو الفوز العظيم ﴾ لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز لغير أهل الإيمان والتقوى.

والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير وشواب، رتبه الله في الدنيا والآخرة على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك فلم يقيده.

(70) (ولا يحزنك قولهم إنّ العزة لله جيعاً هو السميع العليم أي: ولا يحزنك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدح فيك وفي دينك فإن أقوالهم لا تُعِزُهُم، ولا تضرك شيئاً. ﴿إِنَ العزة لله جميعاً »يؤتيها من يشاء ويمنعها عن يشاء.

قال تعالى: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ أي: فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾. ومن المعلوم أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولأتباعث من الله، ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

CHARLES SEEDING SEEDING وَلَوْأَنَّ لِحِكُلَّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَافِي ٱلْأَرْضِ لِآفْتَدَتْ بِيُّ وَأَسَّرُوا ٱلنَدَامَةَ لَنَارَأُواْ الْعَدَابُّ وَعَينِي بَنتهُ مِ الْقِسْطُ وَهُمْ لَا يُعْلَلُونَ ﴿ أَلاَّ إِنَّ بِلَهِ مَا فِي السَّمَا وَالْأَرْضُ أَلاَّ إِنَّ وَعُدَ اللَّهِ عَقُّ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَهُمُ لَا يَقَامُونَ ۞ هُوَيُحْ .. رَفُيتُ وَإِلَيْهِ أَيْفِعُونَ ۞ يَنَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ قَدْجَلَةٌ تَحْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن تَيْكُرُ وَشِفَآءُ لِلَافِ ٱلصُّدُودِ وَهُدَى وَرَحْمَةُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ قُلْ بِفَضْلُ اللَّهِ وَيِرَحْمَنِهِ وَ فِلْكَ فَلْيَ كُورُهُ وَهُوَ خَيْرٌ ثَمَّا يَسْكُتُونَ ﴿ قُلْ أَرْهَ يُشْدِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُ مِعْنِ رَزْقِ فَجَعَلْتُ مِنْهُ حَكَوْلُمَا وَحَلَاكُ قُلْءَ ٱللَّهُ أَذِبَ ٱلْكُوْ أَرْعَلَ لَقَهِ تَفْتَرُونَ ۞ وَمَاظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِينَ يَوْرَالْقِيَكُمَةُ إِنَّاللَّهَ لَذُوفَضْلِ عَلَى ٱلنَّكَ إِس وَلَٰكِكَنَّ أَحَتُ ثُرَحُمُ لَايَشَكُرُونَ ۞ وَمَا تَكُونُ فِي شَأَنِ وَمَا تَتُكُولُهِ مِنْ ثُولِينٍ وَلَاتَفَ مَلُونَ مِنْ عَمَل إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُونُهُودًا إِذْ تَقْيِضُونَ فِيهُ وَمَا يَعْزُبُ عَن زَّيِّكَ مِن مِّثْقَ الْ ذَرَّقِي ٱلْأَرْضِ وَلَافِ السَّمَلَةِ وَلَا أَصْغَرَمِن ذَلِكَ وَلَا أَحْمَرُ اللهِ فَكِلَمُ مُعِينِ ٥ DANGE TO LONG

وقوله: ﴿هو السميع العليم﴾ أي: سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفي عليه شيء منها.

وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلاً، فاكتف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله فهو حسه.

﴿٦٦ ـ ٦٧﴾ ﴿ألا إِنَّ للهُ مَسَنَ فَسِي السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يستسبحون إلا السطسن وإن هم إلا يخرصون * هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنَّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ يخبر تعالى أن له ما في السُماوات والأرض، خلقاً وملكاً وعبيداً، يتصرف فيهم بما شاء(٢) من أحكامه، فالجميع مماليك لله، مسخرون مدبرون، لا يستحقون شيئاً من العبادة، وليسوا شركاء لله بوجه من الوجوه، ولهذا قال: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن الله الذي لا يغني من الحق شيئاً ﴿وإن هم إلا بخرصون) في ذلك خرص كذب

ألآات أوليآة ألله لاخوف عليهد والالمذيخ زؤت ۞ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَمُمُٱلْمُثْمِرَىٰ فِ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْكِ الْمِفْ ٱلْآخِدَةُ لَانَّزِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَالْفَوْلِٱلْعَظِيمُ ۞ وَلَا يَحَدُّوْكَ وَلَهُمُ إِنَ الْمِزَّةِ يَقِوجَيعًا هُوَالسَّكِيعُ الْمُسَالِمُ ۞ الْإَلَيْ يقوس في التسكنون وَمَن فِ الأَرْضُ وَمَا يَتَكِيمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ أَلْوَشُرَكَاءً أِن يَتَ عُونَ إِلَّا ٱلظَّرَ وَإِنْ هُمُ إِلَّا يَغَدُّ مُهُونَ ۞ هُوَٱلَّذِي جَعَلَ لَكُ مُ الْيَلَ لِتَسْتُ نُوافِيهِ وَالنَّهَا رَبُعِ مِنَّ النَّافِ زَلِكَ لَآيُنَ لِقَوْمِ يَسْمَعُونَ ۞ قَالُواْ أَفَّفَ ذَلَتُهُ وَلِمُأْسُبُحُنَةُ مُوَالْفَوِيُّ لَهُ مَا فِ السَّمَوْتِ وَمَافِ ٱلأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِن سُلْطَلْن بِهَلَّا أَتَكُولُونَ عَلَ ٱللَّهِ مَا لَاتَصَالُونَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَ ٱللَّهِ ٱلكَذِبَ لَايُمْدِاحُونَ ۞ مَنَعُ فِي الثُّنْيَافُرُ إِلَيْنَا مَرْجِيمُهُمْ ثُمَّ نُدِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَاكَ الْوَا يَكْفُرُونَ ۞ AND SOM WILLIAM SOME SON

وإفك وبهتان.

فإن كانوا صادقين في أنها شركاء لله، فليظهروا من أوصافها ما تستحق به مثقال ذرة من العبادة، فلن يستطيعوا، فهل منهم أحد يخلق شيئاً أو يرزق، أو يملك شيئاً من المخلوقات، أو يدبر الليل والنهار الذي جعله الله قياماً للناس؟.

و ﴿ هُو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ في النوم والراحة بسبب الظلمة ، التي تغشى وجه الأرض ، فلو استمر الضياء لما قروا ولما سكنوا .

﴿ وَ لَهُ جَعلِ اللهُ ﴿ النهار مُبصراً ﴾ أي: مضيئاً، يبصر به الخلق، فيتصرفون في معايشهم، ومصالح دينهم ودنياهم.

وإن فسي ذلك لآيات لسقوم يسمعون عن الله سمع فهم وقبول واسترشاد، لا سمع تعنت وعناد، فإن في ذلك لآيات لقوم يسمعون، يستدلون بها على أنه وحده المعبود وأنه الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، وأنه الرؤوف الرحيم العليم الحكيم.

﴿ ٢٨ - ٧٠﴾ ﴿ قالوا اتَّخَذَ اللَّهُ ولداً سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بنذا أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل إذّ الذين يفترون على الله الكذب

لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقول تعالى خبراً عن بهت المشركين لرب العالمين ﴿قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ أي: تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقائص إليه علواً كبيراً، ثم برهن على ذلك بعدة براهين:

أحدها: قوله: ﴿هو الغني﴾ أي: الغنى منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرقة فيه، فهو الغني الذي له الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع الوجوه، فإذا كان غنياً من كل وجه، فلأي: شيء يتخذ الولد؟

ألحاجَةً منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولداً إلا لنقص في غناه.

البرهان الثاني، قوله: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد عماليك.

ومن المعلوم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقاً ولا مملوكاً. فملكيته لما في السماوات والأرض عموماً تنافى الولادة.

البرهان الثالث، قوله: ﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ أي: هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن لله ولداً، فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا قال: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ فإن هذا من أعظم المحرمات.

المرابع المناب المناب المترون على الله الكذب لا يفلحون أي: لا ينالون مطلوبهم، ولا يحصل لهم مقصودهم، وإنما يتمتعون في كفرهم وكذبهم في المدنيا قليلاً، ثم ينتقلون إلى الله ويرجعون إليه، فيذيقهم العذاب

الشديد بما كانوا يكفرون. ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴿ . ﴿٧١ _ ٧٧﴾ ﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون * فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين * فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ يقول تعالى لنبيه: واتل على قومك ﴿نَبُّا نوح﴾ في دعوته لقومه، حين دعاهم إلى الله مدة طويلة، فمكث فيهم ألف سنة إلا خسين عاماً، فلم يزدهم دعاؤه إياهم إلا طغياناً، فتمللوا منه وسنموا، وهوعليه الصلاة والسلام غير متكاسل، ولا متوان في دعوتهم، فقال لهم: ﴿ يَا قُومُ إِنْ كَأَنْ كَبِرَ عَلَيْكُمْ مقامي وتذكيري بآيات الله اي أي: إن كان مقامي عندكم وتذكيري إياكم ما

ينفعكم (١) ﴿بأياتُ أَلَّهُ ﴾ الأدلة

الواضحة البينة، قد شق عليكم وعظم

لديكم، وأردتم أن تنالوني بسوء أو

تردوا الحق. ﴿فعلى الله توكلُّت﴾ أي:

اعتمدت على الله في دفع كل شر يراد

بى، وبسما أدعو إليه، فهذا جندي

وعُدِّي. وأنتم فأتوا بما قدرتم عليه،

فروك احضروا ﴿شركاءكم﴾ الذي كنتم تعبدونهم وتوالونهم من دون الله رب العالمين.

﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ أي: مشتبها خفياً، بل ليكن ذلك ظاهراً علانية.

﴿ ثُم اَقَضُوا إِلَي ﴾ أي: اقضوا عليَّ بالعقوبة والسوء الذي في إمكانكم، ﴿ ولا تنظرون ﴾ أي: لا تمهلونِ ساعة

من نهار. فهذا برهان قاطع، وآية عظيمة على صحة رسالته، وصدق ما جاء به، حيث كان وحده لا عشيرة تحميه، ولا جنود تؤويه.

وقد بادأ(١) قومه بتسفيه آرائهم وفساد دينهم وعيب آلهتهم. وقد حملوا من بغضه وعداوته ما هو أعظم من الجبال الرواسي، وهم أهل القدرة والسطوة، وهو يقول لهم: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم ومن استطعتم، وأبدوا كلُّ ما تقدرون عليه من الكيد، فأوقعوا بي إن قدرتم على ذلك، فلم يقدروا على شيء من ذلك.

فعلم أنه الصادق حقاً، وهم الكاذبون فيما يدَّعون، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ تُولِيتُمَ ﴾ عن ما دعوتكم إليه، فلا موجب لتوليكم، لأنه تبين أنكم لا تولون عن باطل إلى حق، وإنما تولون عن حق قامت الأدلة على صحته، إلى باطل قامت الأدلة على

ومع هذا ﴿فما سألتكم من أجر﴾ على دعوتي وعلى إجابتكم، فتقولوا: هذا جاءنا ليأخذ أموالنا، فتمتنعون لأجل ذلك.

﴿إِن أُجِرِي إِلا عِلَى اللهِ أَي: لا أريد الشواب والجزاء إلا منه، ﴿و﴾ أيضاً فإني ما أمرتكم بأمر وأخالفكم إلى ضده، بل ﴿أمرت أن أكون من المسلمين ، فأنا أول داخل وأول فاعل لما أمرتكم به.

﴿فَكَذُبُوهُ بِعَدُمَا دَعَاهُمَ لِيلاً وَنَهَاراً سرأ وجهاراً، فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً، ﴿فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ الذي أمرناه أن يصنعه بأعينناً، وقلنا له إذا فار التنور: فـ ﴿ احمل فيها من كلّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن﴾ ففعل ذلك.

فأمر الله السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيوناً، فالتقى الماء على أمر قد قىدر: ﴿وحملناه على ذات ألمواح ودسر﴾ تجري بأعيننا، ﴿وجعلناهم

خلائف الأرض بعد إحلاك

ثم بارك الله في ذريته، وجعل ذريته هم الباقين، ونشرهم في أقطار الأرض، ﴿وأغرقنا الذين كنذبوا بآياتنا، بعد ذلك البيان، وإقامة البرهان، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، وهو: البهلاك المخزي، واللعنة المتتابعة عليهم في كل قرن يأتي بعدهم، لا تسمع فيهم إلا لوما، ولا ترى إلا قدحاً وذماً.

فليحذر هؤلاء المكذبون، أن يحل بهم ما حل بأولئك الأقوام المكذبين من الهلاك والخزى والنكال.

﴿ ٤٧٤ ﴿ ثُم بِعثنا مِن بِعده رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فماكانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين، أي: ﴿ثم بعثنا﴾ من بعد نوح عليه السلام ﴿رسلاً إلى قـومـهـم المكـذبـين، يدعونهم إلى الهدى، ويحذرونهم من أسباب الردي.

﴿فجاؤوهم بالبينات﴾ أي: كل نبي أيَّد دعوته بالآيات الدالة على صحة مَّا

﴿ فَمَا كَانُوا لِيؤُمِنُوا بِمَا كَذِّبُوا بِهُ مِنْ قبل﴾ يعنى: أن الله تعالى عاقبهم حيث جاءهم الرسول، فبادروا بتكذيبه، طبع الله على قلوبهم، وحال بينهم وبين الإيمان بعد أن كانوا متمكنين منه، كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول

ولهذا قال هنا: ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ أي: نختم عليهاً، فلا يدخلها خير، وما ظلمهم [الله]، ولكنهم ظلموا أنفسهم بردهم الحق لما جاءهم، وتكذيبهم الأول.

﴿٧٥﴾ ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون ﴾ إلى آخر القصة (٢). أي: ﴿ ثم بعثنا ﴾ من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إلى القوم المكذبين

CANCEL CENTRE TO • وَٱقْلُ عَلَيْهِ مُنَافُومِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءِ كَقَوْمِ لِذِ كَانَ كُثَرُ عَلَيْكُمُ اً مَقَامِي وَتَذْكِرِي مِنَائِتِ أَلَّهِ فَعَلَى أَلَلَهِ وَكُلْتُ فَأَجْمُواْ أَمْرُكُرُ الْ وَثُوكَا مَكُونَا لَا مَكُونَا لَوَكُو عَلَى كُوعَتَهُ فَتَا فُوْآ فَضُوا لِلَّهُ وَلِانْعَلَانِ ۞ فَان نَوْ لَنتُهُ فَمَاسَأَ لَنْكُمْ مِنْ أَجْرٌ إِنْ أَجْرِي إِلَّاعَا إِلَّهُ وَأَيْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ فَكُذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلُكِ وَجَعَلْنَهُمْ خَلَيْفَ وَأَعْرَقِنَا ٱلَّذِينَ كَذَّهُمُ إِنَا لِيَتِنَأَ فَأَنظُرُ كُيْفَكَانَ عَلِقِيَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ۞ ثُمُزَعَشْنَامِنُ بَعْدِ مِرْمُلًا اللَّهُ وَمُعِمِّدٌ فِيَآءُوهُمُ وَالْتَنْتُ فَأَكَانُوا لِنُومُواْعَا كُذَّيُواْ به مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبُعُ عَلَى تُلُوب ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَلَـرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْبَ وَمَلَائِدِهِمِ مَا لِيَتِهَا اً فَأَسْتَكُمْرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا تَجْرِيدِتَ ۞ فَلْتَاحِـَآ: هُرُ ٱلْمَتَّ مِنْ عِندِنَا قَالُوَّا لِكَ هَلْذَا لَيهُ مُّرَمِينَ ۞ قَالَمُوسَىٰ التَقُولُونَ لِلْحَقِ لِمَا مَنَا مَلَةَ كُوْآلِ مِثْرُهَا ذَا وَلَا يُشْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿ وَالْوَا لَجِنْتَ لِتَلْفِئْنَا عَمَّا وَجُدْنَاعَلَيْهِ وَالْكَوْنَا وَتَكُونَ أُ لَكُمَا ٱلْكِمْرِيَّآهُ فِ ٱلْأَرْضِ وَمَا غَنَّ ٱلكُمَّا بِمُؤْمِنِينَ ۞ DUBGEN WEEREER

المهلكين.

﴿موسى بن عمران كليم الرحمن، أحد أولى العزم من المرسلين، وأحد الكبار المقتدى بهم، المنزل عليهم الشرائع المعظمة الواسعة .

﴿وَ ﴾ جعلنا معه أخاه ﴿هارون﴾ وزيراً بعثناهما ﴿إلى فرعون وملته﴾ أى: كبار دولته ورؤسائهم، لأن عامتهم تبع للرؤساء.

﴿ بِأَياتِنا ﴾ الدالة على صدق ما جاءا به من توحيد الله، والنهى عن عبادة ما سوى الله تعالى، ﴿فاستكبروا ﴾ عنها ظلماً وعلواً، بعدما استيقنوها.

﴿ وكانوا قوماً محرمين ﴾ أي: وصفهم الإجرام والتكذيب.

﴿٧٦﴾ ﴿فُلُما جاءهم الحق من عندنا ﴾ الذي هو أكبر أنواع الحق وأعظمها، وهو من عند الله الذي خضعت لعظمته الرقاب، وهو رب العالمين المربي جميع خلقه بالنعم.

فلما جاءهم الحق من عند الله على يد موسى، ردّوه فلم يقبلوه، و﴿قالوا إنّ هذا لسحر مبين ﴾ لم يكفهم _ قبحهم الله -إعراضهم ولاردهم إياه، حتى جعلوه أبطل الباطل، وهو السحر: الذي حقيقته التمويه، بل جعلوه سحراً مبيناً ظاهراً، وهو الحق

في النسختين: باديء.

في ب أكمل الآيات إلى قوله تعالى: ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾. (٢)

TO THE STATE OF وَقَالَ فِيْهَوْدُ ٱلتَّوْنِ بِكُلْ سَهِ عَلِيدِ ۞ فَلَاتَجَادُ ٱلتَّعَوُّ قَالَ لَمْ يُوسَى الْفُواْمَ الْنَدِيمُ لَقُونَ ﴿ فَلَتَا الْقَوَاْقَالَ مُوسَىٰ مَاجِنتُ مِواليَهِ عُمُّ إِنَّ الْقَدَّسَكِيْظِلْمُ إِنَّ اللَّهُ لَايُصْلِحُ عَلَ ٱلْتَقْسِيدِينَ ۞ وَيُحِنُّ أَلَقَهُ أَنْحَقَ بِكُلِمَانِيهِ وَلَوْكُرَهُ ٱلْمُحْرِجُونَ @ فَكَآءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرُوبَ أَيْنِ قَرَمُوهُ عَلَى خُوفِينَ فِعُونَ وَمَلَايِهِمْ أَن يَفْيَنَهُمُ وَانَ فِرْعَوْنَ لَكَ الِهِ ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُ لِمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَكَوْمِ إِن كُمُتُمُّ ءَامَنتُد بِأَمَّةِ فَعَلَيْهِ وَوَحَالُوا إِن كُنتُدمُّسُ لِينَ ﴿ فَعَالُواْ عَلَ اللَّهِ وَكَلَّنَا رَبُّنَا لَاجَّعَلْنَا فِنْنَةً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِينَ ﴿ وَيَحِنَا رَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِينَ ۞ وَأَوْجَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَلَيْنِهِ أَن تَبَوَّءَا لِعَرْبِهُكُمَّا يَضِمَ يُتُوتُ اوَأَجْعَلُواْ يُوْبَكُونِتُلَةُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوَةُ وَيَشِيرُ لُلُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبُّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَمْ زِينَةَ وَأَمْوَ لَا فِي أَغْيَوْهِ ٱلدُّنْيَا رَبِّنَا لِيُعَيِدُ لُواعَن سَبِيلِكُ رَبِّنَ الْعُمِدَ عَكَا أَمْوَلِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَ مُلْوَمِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرُوا الْعَذَابُ الْأَلِمَ ٥ TOURSE IN LORSE OF

المبين. ولهذا ﴿قال﴾ لهم ﴿موسى﴾ _ موبخاً لهم عن ردهم الحق الذي لا يرده إلا أظلم الناس _: ﴿أتقولون للحق لما جاءكم﴾ أي: أتقولون إنه سحر مبين.

﴿أسحر هذا ﴾ أي: فانظروا وصفه وما اشتمل عليه، فبمجرد ذلك يجزم بأنه الحق. ﴿ولا يفلح الساحرون ﴾ لا في الآخرة، فانظروا لمن تكون له العاقبة، ولمن له الفلاح وعلى يديه النجاح. وقد علموا بعد ذلك وظهر لكل أحد أن موسى عليه السلام هو الذي أفلح وفاز بظفر الدنيا والآخرة.

وقبولهم (1): ﴿وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ أي: وجنتمونا لتكونوا أنتم الرؤساء، ولتخرجونا من أرضنا. وهذا تمويه منهم، وترويج على جهالهم، وتهييج لعوامهم على معاداة موسى وعدم الإيمان به.

وهذا لا يحتج به من عرف الحقائق وميز بين الأمور، فإن الحجج لا تدفع إلا بالحجج والبراهين.

وأما من جاء بالحق فرد قوله بأمثال هذه الأمور، فإنها تدل على عجز موردها عن الإتيان بما يرد القول الذي جاءه به خصمه، لأنه لو كان له حجة لأوردها، ولم يلجأ إلى قوله: قصدك كذا، أو مرادك كذا، سواء كان صادقاً في قوله وإخباره عن قصد خصمه أم كاذباً، مع أن موسى عليه الصلاة والسلام كل من عرف حاله وما يدعو أيه، عرف أنه ليس له قصد في العلو في الأرض، وإنما قصده كقصد إخوانه المرسلين، هداية الخلق وإرشادهم لما فيه نفعهم.

ولكن حقيقة الأمر كما نطقوا به بقولهم: ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ أي: تكبراً وعناداً، لا لبطلان ما جاء به موسى وهارون، ولا لاشتباه فيه، ولا لغير ذلك من المعاني، سوى الظلم والعدوان، وإرادة العلو الذي رموا به موسى وهارون.

و ٧٩ ﴿ وقال فرعون ﴿ معارضاً للحق الذي جاء به موسى ومغالطاً (٢٦ لملشه وقومه: ﴿ التوني بكل ساحر عليم ﴾ أي: ماهر بالسحر، متقن له.

فأرسل في مدائن مصر من أتاه بأنواع السحرة، على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم.

﴿فلما جاء السحرة ﴾ للمغالبة مع موسى (٣) ﴿قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون ﴾ أي: أي: شيء أردتم لا أحين لكم شيئاً، وذلك لأنه جازم بغلبته، غير مبال بهم وبما جاؤوا به .

﴿فلما ألقوا﴾ حبالهم وعصيهم، إذا هي كأنها حيات تسعى، ف ﴿قال موسى ما جثتم به السحر﴾ أي: هذا السحر الحقيقي العظيم، ولكن مع عظمته ﴿إن الله سيبطله، إن الله يصلح عمل المفسدين﴾ فإنهم يريدون بذلك نصر الباطل على الحق، وأي: فساد أعظم من هذا؟!!

وهكذا كل مفسد عمل عملاً، واحتال كيداً، أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن ماله الاضمحلال والمحق.

وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة مأمور بها، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام، فألقى موسى عصاه، فتلقف جميع ما صنعوا، فبطل سحرهم، واضمحل باطلهم.

﴿٨٢﴾ ﴿ويعق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ فألقي السحرة سُجّداً حين تبين لهم الحق. فتوعدهم فرعون بالصلب، وتقطيع الأيدي والأرجل، فلم يبالوا بذلك وثبتوا على إيمانهم.

وأماً فرعون وملؤه وأتباعهم، فلم يؤمن منهم أحد، بل استمروا في طغيانهم يعمهون.

ولهذا قال: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ أي: شباب من بني إسرائيل صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان.

وعلى خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم عن دينهم ﴿وإن فرعون لعال في الأرض ﴾ أي: له القهر والغلبة فيها، فحقيق بهم أن يخافوا من بطشه.

﴿و﴾ خصوصاً ﴿إنه ﴾ كان ﴿لن المسرفين ﴾ أي: المتجاوزين للحد في البغي والعدوان.

والحكمة _ والله أعلم _ بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قدمه، أن الذرية والشباب أقبل للحق، وأسرع له انقياداً، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم _ بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة _ أبعد من الحق من غيرهم.

﴿ ٨٤﴾ ﴿ وقالُ موسى ﴾ موصياً لقومه بالصبر، ومذكراً لهم ما يستعينون به على ذلك فقال: ﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله ﴾ فقوموا بوظيفة

الإيمان.

﴿ فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ أي: اعتمدوا عليه، والجؤوا إليه واستنصروه.

﴿ ٨٥﴾ ﴿ فقالوا ﴾ ممتثلين لذلك أعلى الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالين ﴾ أي: لا تسلطهم علينا فيفتنونا ، أو يغلبونا فيفتتنون بذلك ، ويقولون : لو كانوا على حق لما غلبوا .

﴿٨٦﴾ ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ لنسلم من شرهم، ولنقيم [على] ديننا على وجه نتمكن به من إقامة شرائعه، وإظهاره من غير معارض ولا منازع.

﴿٨٧﴾ ﴿وأوحسينا إلى مسوسسى وأخيه ﴾ حين اشتد الأمر على قومهما من فرعون وقومه، وحرصوا على فتنهم عن دينهم.

﴿أَنْ تَبُوا الْقُومَكُمَا بِمَصْرِ بِيُوتاً ﴾ أي: مروهم أن يجعلوا لهم بيوتاً يتمكنون [به] من الاستخفاء فيها.

﴿واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ أي: اجعلوها محلاً تصلون فيها، حيث عجزتم عن إقامة الصلاة في الكنائس والبع العامة.

وأتيموا الصلاة فإنها معونة على جيع الأمور، ﴿وبشر المؤمنين بالنصر والتأييد وإظهار دينهم، فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً، وحين اشتد الكرب وضاق الأمر، فرّجه الله ووسعه، فلما رأى موسى القسوة والإعراض من فرعون وملثه (١١)، دعا عليهم وأمّن هارون على دعائه، فقال:

﴿٨٨﴾ ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملاه زينة ﴾ يتزينون بها من أنواع الحلي والثياب، والبيوت المزخوفة، والمراكب الفاخرة، والحدام، ﴿وأموالاً﴾ عظيمة ﴿في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ أي: إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيلك، فيضلُون ويُضلُون.

﴿ ربنا اطمس على أموالهم ﴾ أي:

أتلفها عليهم: إما بالهلاك، وإما بجعلها حجارة غير منتفع بها.

﴿واشدد على قلوبهم﴾ أي: قسّها ﴿فلا يـومنوا حتى يروا المعذاب الأليم﴾.

قال ذلك غضباً عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، ولكمال معرفته بربه، بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم.

﴿٩٩﴾ ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿قد أجيبت دعوتكما ﴾ هذا دليل على أن موسى [كان] يدعو، وهارون يُؤمّنُ على دعائه، وأن الذي يؤمن يكون شريكاً للداعى في ذلك الدعاء.

﴿فاستقيما ﴾ على دينكما، واستمرا على دعوتكما، ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ أي: لا تتبعان سبيل الجهال الضلال، المنحرفين عن الصراط المستقيم، المتبعين لطرق المحيم، فأمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، وأخبره أنهم عاشرين يقولون: ﴿إِنْ هَوْلاً ﴾ أي: موسى وقومه: ﴿لشرذمة قليلون ﴾ وإنا لجميع موسى وقومه: ﴿لشرذمة قليلون ﴾ وإنا لجميع حاذرون ﴾ .

فجمع جنوده قاصيهم ودانيهم، فأتبعهم بجنوده، بغياً وعدواً، أي: خروجهم باغين على موسى وقومه، ومعتدين في الأرض، وإذا اشتد البغي واستحكم الذنب فانتظر العقوبة.

﴿ ٩٠﴾ ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ﴾ وذلك أن الله أوحى إلى موسى لما وصل البحر، أن يضربه بعصاه فضربه، فانفلق اثني عشر طريقاً، وساق فرعون وجنوده خلفه (٢) داخلين.

فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون وجنوده داخلين فيه، أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجنوده، فأغرقهم، وبنو

اللهِ قَالَ فَذَا أُحِيبَ ذَعُونُكُمَا فَأَسْتَقِيمًا وَلَا تَنْبَعَ أَنَّ سَكِيلَ الَّذِينَ لَامِعْ لَكُونَ ﴿ • وَجَوْزُوا بِبَنِّي اسْرَةٍ مِلْ أَلْعَرَ الْمَاتِيَا عَلَمْ وَعُونُ وَجُنُونُهُ أَبِعَيا وَعَدُوًّا حَقَّ إِذَا أَدْرَكَهُ إِلَّا ٱلْفَرَوْقُ قَالَ عَامَنتُ أَنَّهُ لِإِلَّا اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ عَامَنَتْ بِعِيبُوَّا إِسْرَعِيلَ وَأَنَافِنَ ٱلْتُسْلِمِينَ ۞ مَآلَتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ فَالْيَوْمَ أُنْدَجِيكَ بِهَدَيْكَ لِتَكُونَ لِنَ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَيْمُ لِأَمِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَ اِيْتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿ وَلَقَدْ يُوَأَنَّا مَنِي إِسْرَهِ بِلَ مُبَوَّأَصِدْقِ وَزَزَقْنَهُ مِينَ الطَّيِّبَتِ فَأَ احْتَكَفُواْحَقَّ جَلَّهُ هُو ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبِّكَ يَقْضِي كِينَهُ مُ يُوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ ۞ فَإِن كُنَّ فِي شَكٍّ يَّمَا أَنْزُلْنَا إِلَيْكَ مَسْفَلِ الَّذِيبَ يَعْرَهُ وِي ٱلْكِسَبِينَ مَبْلِكُ لَقَدْجَآءَكَ ٱلْحَقُّينِ زَيْكِ فَلَاتَكُونَأَينَ ٱلْمُنْقِينَ ۞ وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَالِتِ اللَّهِ مَتَكُونَ مِنَ أَتَحَلِّم بِنَ الله الله المعلقة عليه والمستحدث والمالي المعلمة والمستوات المُ وَلَوْجَاءَ تَهُمُ حَكُلَّ المَهِ حَنَّا يَدُوا الْمَدَابَ الألِيمَ ۞ ON TOP WE OF THE OWN إسرائيل ينظرون.

حتى إذا أدرك فرعون الخرق، وجزم بهلاكه ﴿قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ وهو الله الإله الحق الذي لا إله إلا هو ﴿وأنا

من المسلمين أي: المنقادين لدين الله، ولما جاء به موسى.

﴿ ٩١﴾ قال الله تعالى _ مبيناً أن هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع له اله الله عنه الحالة غير نافع برسول الله ﴿ وقد عصيت قبل ﴾ أي: ﴿ وكنت من المفسلين فلا ينفعك الإيمان كما جرت عادة الله، أن الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة الان إيمانهم صار إيماناً مشاهداً كإيمان من ورد القيامة، والذي ينفع إنما هو الإيمان بالغيب.

﴿٩٢﴾ ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما في قلوبهم من الرعب العظيم من فرعون، كأنهم لم يصدقوا بإغراقه، وشكوا في ذلك، فأمر الله البحر أن يلقيه على نجوة مرتفعة ببدنه، ليكون لهم عبرة وآية.

﴿ وإن كثيراً من الناس عن آياتنا

⁽١) في النسختين : وملئهم، ولعل الصواب ما أثبت.

⁽٢) في أ: وجنودهم خلفهم، وفي ب عدلت إلى: وجنوده خلفه.

CANAL CANAL فَلَةُ لَا كَانَتْ قَرْبَكُ مَامَنَتْ فَفَعَهِ }] إِنْكُمُا الْأَوْرَوُسُ لَتَآءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَنَابَ آيْرِي فِي ٱلْكَيْوَ ٱلدُّنْيَا وَمَنْقَنَاهُمْ إِلَىٰ حِينِ۞ وَلَوْشَكَةَ رَبُّكَ ٱلْأَمْنَ مَنْ فِٱلْأَوْنِ كُلُهُ وْجِيعًا أَفَأَتَ نُكُرُهُ النَّاسَ حَقَّ يَكُونُوا مُقْمِيدَ فَي وَ مَلَكَانَ لِنَفْيِنِ أَنْ قُوْمِنَ إِلَّا إِذْنِ أَفَّوْ فَهَعَكُ ٱلَّخِسَ عَلَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ قُلِ انْظُرُواْ مَاذَا فِ السَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضُ وَمَاتُنْفِي ٱلْآلِكَ وَالنُّدُرُعَن فَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فَعَلَىٰ مَنْظِيُونِ إِلَّا مِثْلَ أَيَامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاً مِن قَبْلِهِمْ ۗ قُلْ فَانْنَظِ رُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ ٱلْنَظِيرِينَ ۞ ثُرَتُنَعِينُ لِكَا وَالَّذِيرَ ءَامَنُوا كَنَاكِ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ يَنَالَيْهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكِي مِن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَإِكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ ٱلَّذِي يَتُوَفِّنكُمُّ وَأَيْرَتُ أَنْ أَحُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَنْ أَقِرُ وَجَعَكَ لِلدِّينِ حَيْفًا وَلَاتَكُونَنَّ مِنَ لَلْشَهِينَ ۞ وَلَاتَمْعُ مِن دُونِكُمَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكُ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا يُزَالُظُ لِينَ ﴿

كف (١٠٠٠) المنظمة الم

وأما من له عقل وقلب حاضر، فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبرت به الرسل.

﴿٩٣﴾ ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق﴾ أي: أنزلهم الله وأسكنهم في مساكن آل فرعون، وأرثهم أرضهم وديارهم.

﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ من المطاعم والمشارب وغيرهما ﴿ فما اختلفوا ﴾ في الحق ﴿ حتى جاءهم المعلم ﴾ الموجب لاجتماعهم على وائتلافهم، ولكن بغى بعضهم على بعض، وصار لكثير منهم أهوية وأغراض تخالف الحق، فحصل بينهم من الاختلاف شيء كثير.

﴿إِن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بحكمه العدل الناشىء عن علمه التام، وقدرته الشاملة، وهذا هو الداء الذي يعرض لأهل الدين الصحيح.

وهو: أن الشيطان إذا أعجزوه أن يطبعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما

هو موجب ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض، وعداوة بعضهم لبعض، ما هو قرة عين اللعين.

وإلا فسإذا كان ربهم واحداً، ورسولهم واحداً، ودينهم واحداً، ومصالحهم العامة متفقة، فلأي: شيء يختلفون اختلافاً يفرق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم، فيفوت من مصالحهم الدينية والدنيوية ما يفوت، ويموت من دينهم بسبب ذلك ما يموت؟

فنسألك اللهم لطفاً بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم ويرأب صدعهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿١٤ _ ٥٥ ﴾ ﴿ فَإِن كنت في شكُ مَا أَنزِلنا إليك فاسأَل الذين يقرؤون مما أنزلنا إليك فاسأَل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين في يقول تعالى لنبيه عمد عمد الله في شك مما أنزلنا إليك هل هو صحيح أم غير صحيح أم غير صحيح ؟

﴿ فَأَسَأُلُ الذَّينَ يَقْرَوْونَ الْكَتَابِ مِنْ قَبِلُك ﴾ أي: اسأل أهل الكتاب المنصفين، والعلماء الراسخين، فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبرت به، وموافقته لما معهم، فإن قيل: إن كثيراً من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا رسول الله وعاندوه، وردوا عليه دعوته.

والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهاناً على صدقه، فكيف يكون ذلك؟

فالجواب عن هذا من عدة أوجه: منها: أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول

الصادقين منهم .

وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كـ «عبد الله بن سلام» [وأصحابه وكثير عمن أسلم في وقت النبي على وخلفائه ومن بعده] (١٠) وغيرهما.

ومنها: أن شهادة أهل الكتاب للرسول ﷺ مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه.

فإذا كان موجوداً في التوراة ما يوافق القرآن ويصدقه، ويشهد له بالصحة، فلو اتفقوا من أولهم لآخرهم (٢) على إنكار ذلك لم يقدح بما جاء به الرسول.

ومنها: أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر ذلك وأعلنه على رؤوس الأشهاد.

ومن المعلوم أن كثيراً منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول عمد على أبطال دعوة الرسول عمد الله على عندهم ما يرد ما ذكره الله، لأبدوه وأظهروه وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك، كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه.

ومنها: أنه ليس أكثر أهل الكتاب رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها وانقاد طوعاً واختياراً، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب (٣).

فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر والعراق وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياساتهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسماً لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم

⁽١) زيادة من هامش ب، بخط المؤلف، وقد شطبت في ب الجملة التالية وهي قوله (وكعب الأحبار وغيرهما).

⁽٢) في النسختين: وآخرهم ولعل الصواب ما أثبت.

⁽٣) في ب: أهل الكتاب.

أنهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي ترويجاً لملكهم، وتمويهاً لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البينة الظاهرة.

وقوله: ﴿لقد جاءك الحق﴾ أي: الذي لا شك فيه بوجه من الوجوه ولهذا قال: ﴿من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ كقوله تعالى: ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه﴾.

﴿٩٥﴾ ﴿ولا تكونس من المذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ وحاصل هذا أن الله نهى عن شيئين: الشك في هذا القرآن والامتراء فيه.

وأشد من ذلك التكذيب به، وهو آيات الله البينات التي لا تقبل التكذيب بوجه، ورتب على هذا الخسار، وهو عدم الربح أصلاً، وذلك بفوات الشواب في الدنيا والآخرة، وحصول العقاب في الدنيا والآخرة، والنهي عن الشيء أمر بضده، فيكون أمراً بالتصديق التام بالقرآن، وطمأنينة القلب إليه، والإقبال عليه علماً

فبذلك يكون العبد من الرابحين الذين أدركوا أجل المطالب، وأفضل الرغائب وأتم المناقب، وانتفى عنهم الخسار.

﴿ ٩٦ - ٩٦ ﴾ ﴿إِنّ النّين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ يقول تعالى: ﴿إِن الذّين حقت عليه م كلمة ربك ﴾ أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات إلا طغياناً وغيًا إلى

وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله بأن طبع على قلوبهم

وأسماعهم وأبصارهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم الذي وعدوا به. فحينتل يعلمون حق اليقين أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت لا يجدي عليهم إيمانهم شيئاً، فيومئل لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون، وأما الآيات فإنها تنفع من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وكما قال تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عماده ﴾.

وقال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا﴾.

والحكمة في هذا ظاهرة، فإن الإيمان الاضطراري ليس بإيمان حقيقة، ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان، لرجع إلى الكفران.

وقوله: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا﴾ بعدما رأوا العذاب، ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ فهم مستثنون من العموم السابق، ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة لم تصل إلينا، ولم

تدركها أفهامنا.

قال الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ إلى قوله: ﴿فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم إلى حين ولعل الحكمة في ذلك أن غيرهم من المهلكين، لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

وأما قوم يونس فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر، [بل قد استمر فعلاً وثبتوا عليه](\) والله أعلم.

﴿ ٩٩ - ١٠٠ ﴿ وَلَوْ شَاء رَبِكَ لَا مَن مَن فِي الأَرْض كلهم جَيعاً أَفَانَت كره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس عَلى الذين لا يعقلون ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأَرْض كلهم جَيعاً ﴾ بأن يلهمهم الإيمان، ويوزع قلوبهم للتقوى، فقدرته صالحة لذلك، ولكنه اقتضت حكمته أن كان بعضهم مؤمنين وبعضهم كافرين.

﴿أَفَأَنتَ تَكُرُهُ النَّاسُ حَتَى يَكُونُوا مُؤْمَنينَ﴾ أي: لا تقدر على ذلك، وليس فني إمكسانك، ولا قدرة لغير الله (٢) [على](٣) شيء من ذلك.

﴿وماكان لنفس أن تومن إلا بإذن الله أي: بإرادته ومشيئته وإذنه القدري الشرعي، فمن كان من الخلق قابلاً لذلك، يزكو عنده الإيمان، وفقه وهداه.

﴿ويجعل الرجس﴾ أي: الشر والضلال ﴿على الذين لا يعقلون﴾ عن الله أوامره ونواهيه، ولا يلقون بالا لنصائحه ومواعظه.

﴿١٠١ ـ ١٠٩﴾ ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون * فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين * ثم ننجى رسلنا والذين

⁽۱) زیادة من هامش ب.

⁽٢) في النسختين: غير الله، وكان لا بد من زيادة اللام لتستقيم العبارة.

⁽٣) زيادة يقتضيها السياق.

آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين يدعو تعالى عباده إلى النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل، لما فيها وما تحتوي عليه، والاستبصار، فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، وعبراً لقوم يوقنون، تدل على أن الله وحده المعبود المحسمود، ذو الجللال والإكسرام، والأسماء والصفات العظام.

﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ فإنهم لا ينتفعون بالآيات لإعراضهم وعنادهم.

﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ أي: فهل ينتظر هؤلاء الذين لا يؤمنون بآيات الله بعد وضوحها، ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ أي: من الهلاك والعقاب، فإنهم صنعوا كصنيعهم، وسنة الله جارية في الأولين والآخرين.

﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين له المنتظرين له المعاقبة الحسنة، والنجاة في الدنيا والآخرة، وليست إلا لمسرسل وأتباعهم.

ولهذا قال: ﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾ من مكاره الدنيا والآخرة وشدائدهما.

﴿كذلك حقاً علينا﴾ أوجبناه على أنفسنا ﴿نبجي المؤمنين﴾ وهذا من دفعه عن المؤمنين فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإنه ـ بحسب ما مع العبد من الإيمان ـ تحصل له النجاة من المكاره.

أُوا - 10. ﴿ وَ لَيْ الْيَهَا الْيَهَا الْيَهَا الْيَهَا الْنَاسِ إِنْ كُنتم في شكّ من ديني فلا أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين * ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين * يقول تعالى لنبيه إذا من الظالمين * يقول تعالى لنبيه إذا من الظالمين * يقول تعالى لنبيه إذا من الظالمين * يقول تعالى لنبيه

عمد ﷺ سيد المرسلين، وإمام المتقين وخير الموقنين: ﴿قُلْ يَا أَيّهَا النّاسُ إِنْ كَنْتُم فِي شَكْ مِنْ دَيْنِ ﴾ أي: في ريب واشتباه، فإني لست في شك منه، بل لديَّ العلم اليقيني أنه الحق، وأن ما تدعون من دون الله باطل، ولي على الساطعة، ولهذا قال: ﴿فلا أعبد اللّهِ من الأنداد والأصنام وغيرها، لأنها لا تخلق وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضى عبادتها.

﴿وَلَكن أُعبد الله الذي يتوفاكم ﴾ أي: هو الله الذي خلقكم، وهو الذي يميتكم ثم يبعثكم ليجازيكم بأعمالكم، فهو الذي يستحق أن يعبد ويصلى له ويخضع ويسجد.

﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين **
وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ﴾ أي:
أخلص أعمالك الظاهرة والباطنة شه،
وأقم جميع شرائع الدين حنيفاً، أي:
مقبلاً على الله، معرضاً عما سواه،
﴿ولا تكونن من المشركين﴾ لا في
حالهم، ولا تكن معهم.

﴿١٠٦﴾ ﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك وهذا وصف لكل مخلوق، أنه لا ينفع ولا يضر، وإنما النافع الضارهو الله تعالى.

﴿ فَإِنْ فَعَلَتَ ﴾ بأن (١) دعوت من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ﴿ فَإِنْكَ إِذَا مِن الظّلَمِن ﴾ أي: الضارين أنفسهم بإهلاكها، وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى: ﴿ إِنْ الشرك لظلم عظيم ﴾ فإذا كان خير الخلق، لو دعامع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟!!

﴿١٠٧﴾ ﴿وإن يمسسك الله بضرَ فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق

للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذ مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها ﴿ فلا كاشف له إلا هو ﴾ لأن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحداً لم يقدروا على شيء من ضرره، إذا لم يردك بخير فلا راد لفضله أي: إلا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة، فلا ممل له من يعده ﴾ .

﴿يصيب به من يشاء من عباده﴾ أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، ﴿وهو الففور﴾ لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه كبارها وصغارها.

﴿الرحيم﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغني عن إحسانه طرفة عين، فإذا عرف العبد بالنعم، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف النقم، وإعطاء والكربات، وأن أحداً من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

ولهذا _ لما بين الدليل الواضح قال بعده: _

(۱۰۸ - ۱۰۹) ﴿ قـل يـا أيبا الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن المتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴿ واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ أي: ﴿قل﴾ يا أيها الرسول، لما تبين الميرهان ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الحق الميرهان ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الحق

من ربكم أي: الخبر الصادق المؤيد بالبراهين، الذي لا شك فيه بوجه من الوجوه، وهو واصل إليكم من ربكم الذي من أعظم تربيته لكم، أن أنزل إليكم هذا القرآن الذي فيه تبيان لكل شيء، وفيه من أنواع الأحكام والمطالب الإلهية والأخلاق المرضية، ما فيه أعظم تربية لكم، وإحسان منه إليكم، فقد تبين الرشد من الغي ولم يبق لأحد شبهة.

﴿فمن اهتدى ﴿بهدى الله بأن علم الحق وتفهمه، وآثره على غيره، فلنفسه والله تعالى غني عن عباده، وإنما ثمرة أعمالهم راجعة إليهم.

﴿ومن ضل ﴾ عن السدى بأن أعرض عن العلم بالحق، أو عن العمل به، ﴿فإنما يضل عليها ﴾ ولا يضر الله شيئاً، فلا يضر إلا نفسه.

﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ فأحفظ أعمالكم وأحاسبكم عليها، وإنما أنا لكم نذير مبين، والله عليكم وكيل. فانظروا لأنفسكم ما دمتم في مدة الإمهال.

﴿واتبع﴾ أيها الرسول ﴿ما يوحى الله علماً وعملاً وحالاً ، ودعوة الله ، ﴿واصبر﴾ على ذلك ، فإن هذا أعلى أنواع الصبر ، وإن عاقبته حميدة ، فلا تكسل ولا تضجر ، بل دم على ذلك واثبت ، ﴿حتى يحكم الله ﴾ بينك وبين من كذبك ﴿وهو خير الحاكمين ﴾ فإن حكمه مشتمل على العدل التام والقسط الذي يحمد عليه .

وقد امتثل الشامر ربه، وثبت على الصراط المستقيم، حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان، ونصره على أعدائه بالسيف والسنان، بعدما نصره [الله] عليهم بالحجة والبرهان، فلله الحمد، والشناء الحسن، كما ينبغي لجلاله وعظمته وكماله وسعة إحسانه.

تم تفسير سورة يونس والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام، [وهي] مكية

﴿ 1 - ٤ ﴾ ﴿ بسم الله السرحسن الرحيم * الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير * وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجَل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير * ونزل كريم ، ﴿ أحكمت آياته ﴾ أي: أتقنت وأحسنت، صادقة أي انجارها، عادلة أو امرها ونواهيها، فصيحة ألفاظه بهية معانيه .

وثم فصلت أي: ميزت وبينت بياناً في أعلى أنواع البيان، ومن للن حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، لا يأمر ولا ينهى إلا بما تقتضيه حكمته، وخبير مطلع على الظواهر والبواطن.

﴿٢﴾ فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير، فلا تسأل بعد هذا عن عظمته وجلالته واشتماله على كمال الحكمة وسعة الرحمة. وإنما أنزل الله كتابه ل ﴿الاَ تعبدوا إلا الله أي: لأجل إخلاص الدين كلّه لله، وأن لا يشرك به أحد من خلقه.

﴿إنني لكم ﴾ أيها الناس ﴿منه ﴾ أي : من الله ربكم ﴿نذير ﴾ لن تجرأ على المعاصي بعقاب الدنيا والآخرة ، ﴿وبشير ﴾ للمطيعين لله بثواب الدنيا والآخرة .

﴿٣﴾ ﴿وأن استغفروا ربكم﴾عن ما صدر منكم من الذنوب ﴿ثم توبوا إليه﴾فيما تستقبلون من أعماركم بالرجوع إليه، بالإنابة والرجوع عما يكرهه الله إلى ما يجبه ويرضاه.

ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال: ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ أي: يعظيكم من رزقه ما تتمتعون به

وَإِن يَسَسَكَ أَفَهُ بِضُرَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ رَا لَاهُو ۗ وَإِن رُدِكَ بِخَيْر فَلَا زَآدٌ لِفَصْلِهُ يُصِيبُ بِهِ عَن يَشَكَآءُ مِنْ عِبَ ادِمْ وَهُوَ ٱلْعَنْ عُورُالِيَحِيدُ ﴿ قُلْ يِنَاكُمُ ٱلنَّاسُ قَدْ جَلَّة كَوْرُالُوِّي مُنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ مِن زَيْكُمْ فَنَ أَهْ تَدَىٰ فَإِنَّ مَا يَهْتَدِى لِنَفْسِيِّهِ وَمَنْ هَلَّ فَإِنَّمَا يَضِدُّ عَلَيْهَا ۗ وَمَاۤ أَنَا عَلَيْكُم وَكِيلٍ۞ وَأَنِّعَ مَايُوٓ مَنَّ الِّنكَ وَأَصْبَرْحَقَّ يَعْكُمُ اللَّهُ وَهُوَخَيْرًا كُمَّا كِيمِينَ ۞ SHUE C مِلْقِهَالِ مُثَالِبَكِيْهِ الَّرْ كِلنَّهُ أُخْرِكَتْ مَائِنتُهُ أُرْفُصِّلَتْ مِن أَذُنْ حَكِيمٍ خَيرٍ ۞ ٱلَّاتَقَبُهُ وَالْاَاتَةُ إِنِّي لَكُمِ مِنْهُ مِّنَامٌ وَيَشِيرٌ ۞ وَأَنْ السَّغَفْهُ وَأ رَيَّكُونُونُونُولُ إِلَيْهِ يُمَنِعَكُم مَّنَاهًا حَسَنًا إِلَّهَ أَجَل مُسَتَّى وَيُؤْتِ كُلُّ ذِي فَسْلِ فَصْلَا لَهُ وَإِن تَوَلُّواْ فَإِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِكْ يِر ﴿ إِلَى اللَّهِ مَنْ حِيثُكُرُ وَهُوَ عَلَكُمِّ اللَّهِ عَلَيْرُ فَ اللَّهِ إِنَّهُ مُنْدُونَ مُنُودَهُمُ لِيَسْتَخَفُواْمِنْهُ ٱلَاحِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مُ الْمُيرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۖ إِنَّهُ مُعَلِيهُ إِنَّاتِ ٱلصَّهُ وُولِ ۞ OZOTOW WEDGEON

> وتنتفعون. ﴿ إِلَى أَجِلُ مُسَمِّىٰ ﴾ أي: إلى وقت مِفَاتِكِ إِلَى أَجِلُ مُسَمِّىٰ ﴾ أي: إلى وقت

وفاتكم ﴿ويؤت﴾ منكم ﴿كل ذي فضل فضله﴾ أي: يعطي أهل الإحسان والبر من فضله وبره، ما هو جزاء لإحسانهم، من حصول ما يجبون، ودفع ما يكرهون.

﴿ وَإِن تُولُوا ﴾ عن ما دعوتكم إليه ، بل أعرضتم عنه ، وربما كذبتم به ﴿ فَإِنِي أَخَافَ عليكم عذاب يوم كبير ﴾ وهو يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخريس ، في جازيهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شرأ

وفي قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير ﴾ كالدليل على إحياء الله الموتى، فإنه قدير على كل شيء (١١)، ومن جملة الأشياء إحياء الموتى، وقد أخبر بذلك وهو أصدق القائلين، فيجب وقوع ذلك عقلاً ونقلاً.

﴿ه﴾ ﴿ألا إنهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ يجبر تعالى عن جهل المشركين، وشدة ضلالهم، أنهم ﴿يشنون صدورهم ﴾ أي: يميلونها ﴿ليستخفوا ﴾ من الله، فتقع صدورهم

(60) 联联》 "现代 • وَمَامِن دَانَ يَهِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْفُهَا وَضَا أَمُسْتَقَهُمَا الْإِ وَمُسْتَوْدِعَهَا كُلُّ فِ كِنْكِ مُّيدِ ٥ وَهُوَالَّذِي خَلَقَ ٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِنَّةِ أَلِيَارٍ وَكَالَ عَرْشُهُ عَلَى لَكُمَّةِ لِسَلُوكُ مُ أَيُّكُو أَحْسَنُ عَلَا وَلَين قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْغُونُونِ مِنْ بَعْدِ لَلُوْتِ لَيَغُولَنَ ٱلَّذِيكَ كَفَّ رُوَّالُونَ هَانَا إِلَّاسِ حُرْثُهُ بِنُّ ۞ وَلَينَ أَخَرَيَا عَنْهُ وَالْعَنَابَ التَّأْتَ وَمَعْدُودَةِ لَيَتُولُزَ مَا يَغْبِسُهُ وَأَلَا يَوْمَ وَأَتِيهِمْ لِنْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِدِمَاكَ أَوْأَبِدِ يَسْتَهْ نِهُونَ ٥ وَلَيْنَ أَذَقَكَ ٱلْإِنسَانَ مِنَّارَعَكَ ثُرَّزُعَنَهَا مِنْدُ إِنَّهُ لَيْفِيلٌ كَفُورٌ ۞ وَلَهِنَ أَذَفَكُ لَعُمَاءَ بِعُدَفَ كُلُو مَسَنَتُهُ لَيَتُولَنَّ نَعَبَ ٱلسَّيْعَاتُ عَنِيَّ إِنَّهُ لَفَرَيْحٌ فَزُرُ۞ إِلَّا ٱلَّٰبِينَ صَبَرُواْ وَعَسَمِلُواْ الصَّلِاحَاتِ أُوْلَلِكَ لَمُسْرَمَّغُفِرَةٌ وَأَجْرُكِيرٌ ﴿ فَلَمَلُكَ تَادِكُ بَعْضَ مَايُوحَ ﴿ إِلَّنِكَ وَصَالَ إِنَّ إِدِهِ صَنْدُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزُأُوْجَآءُمَعَهُ مَلَكُ إِنَّمَا أَنَّ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَن وَكِيلٌ ٥

المناهب الله بأحوالهم، وبصره لهيئاتهم.

قال تعالى _مبيناً خطأهم في هذا الظن _ ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم ﴾ أي: يتغطون بها، يعلمهم في تلك الحال، التي هي من أخفى الأشياء.

بل ﴿ يعلم ما يسرون ﴾ من الأقوال والأفعال ﴿ وما يعلنون ﴾ منها، بل ما هو أبلغ من ذلك، وهو: ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي: بما فيها من الإرادات، والوساوس، والأفكار التي لم ينطقوا بها، سراً ولا جهراً، فكيف تخفى عليه حالكم، إذا ثنيتم صدوركم لتستخفوا منه.

ويحتمل أن المعنى في هذا أن الله يذكر إحراض المكذبين للرسول الغافلين عن دعوته، أنهم _من شدة إعراضهم _يثنون صدورهم، أي: يحدودبون حين يرون الرسول ﷺ لثلا يراهم ويسمعهم دعوته، ويعظهم بما ينفعهم، فهل فوق هذا الإعراض شرع!!!

ثم توعدهم بعلمه تعالى بجميع أحوالهم، وأنهم لا يخفون عليه، وسيجازيهم بصنيعهم.

﴿ ﴿ ﴾ ﴿ وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ أي:

جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها(۱) على الله.

﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها.

﴿كل﴾ من تفاصيل أحوالها ﴿في كتاب مبين﴾ أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علماً بذواتها، وصفاتها.

﴿٧-٨﴾ ﴿وهمو الذي خلس السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين * ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يجبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم أكانوا به يستهزئون﴾ يخبر تعالى أنه أيام﴾ أولها يوم الأحد وآخرها يوم البامعة ﴿و﴾ حين خلق السماوات والأرض ﴿كان عرشه على الماء﴾ فوق السماء السابعة.

فبعد أن خلق السماوات والأرض استوى عليه، يدبر الأمور، ويصرفها كيف شاء من الأحكام القدرية، والأحكام الشرعية. ولهذا قال: ﴿لِيبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ أي: ليمتحنكم، إذ خلق لكم ما فني السماوات والأرض بأمره ونهيه، فينظر أيكم أحسن عملاً.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله:

«أخلصه وأصوبه».

قيل يا أبا على: «ما أخلصه وأصوبه»؟.

فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل.

وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون متبعاً فيه الشرع والسنة، وهذا كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

وقال تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن، لتعلموا أن الله على كل شيء قلير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ فالله تعالى خلق الخلق لعبادته ومعرفته بأسمائه وصفاته، أمر به، فهو من المفلحين، ومن أعرض عن ذلك، فأولئك هم الخاسرون، ولا بد أن يجمعهم في دار يجازيهم فيها على ما أمرهم به ونهاهم.

ولهذا ذكر الله تكذيب المشركين بالجزاء، فقال: ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾.

أي: ولئن قلت لهؤلاء وأخبرتهم بالبعث بعد الموت، لم يصدقوك، بل كنبوك أشد التكذيب (٢)، وقد حوا فيما جئت به، وقالوا: ﴿إِن هذا إِلا سحر مين﴾ ألا وهو الحق المين.

ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة أي: إلى وقت مقدر فتباطؤوه، لقالوا من جهلهم وظلمهم أما يجسه ومضمون هذا تكذيبهم به، فإنهم يستدلون بعدم وقوعه بهم عاجلاً على كذب الرسول المخبر بوقوع العذاب، فما أبعد هذا الاستدلال!!

﴿ أَلَا يُومَ يُأْتِيهِمَ ﴾ العذاب ﴿ ليس مصروفاً عنهم ﴾ فيتمكنون من النظر في أم هم.

﴿وَحَاقَ بِهُمْ﴾ أي: نزل ﴿مَا كَانُوا

(١) في ب: فرزقهم.

به يستهزؤون ﴾ من العذاب، حيث يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه تهاونوا به، حتى جزموا بكذب من جاء ملك إنّما أنت نذير والله على كل شيء به.

4 - ١٠ ﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور * إلا الذيبن صبروا لفرح كبير ﴾ يخبر تعالى عن طبيعة وأجر كبير ﴾ يخبر تعالى عن طبيعة أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيراً منها عله.

وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير، ويقول: ﴿ذهب السيئات عني، إنه لفرح فخور﴾ أي: فرح (١) بما أوق مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم، وأي: عيب أشد من هذا؟!!

وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات.

﴿أُولئك لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. ﴿وأجر كبير ﴾ وهو: الفوز بجنات النعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعن.

﴿١٢ ــ ١٤﴾ ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك وضائق به صدرك أن

ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل * أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون، يقول تعالى _ مسلياً لنبيه محمد على عن تكذيب المكذبين _: ﴿فلعلك تارك بعض ما يسوحي إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لبولا أنزل عليه كنز الى: لا ينبغي هذا لمثلك، أن قولهم يؤثر فيك، ويصدك عما أنت عليه، فتترك بعض ما يوحى إليك، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم: ﴿لُولًا أَنْزُلُ عَلَيْهُ كُنُرُ أو جاء معه ملك ، فإن هذا القول ناشيء من تعنت، وظلم، وعناد، وضلال، وجهل بمواقع الحجج والأدلة، فامض على أمرك، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلا من سفيه ولا يضق لذلك

فهل أوردوا عليك حجة لا تستطيع حلها؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحاً، يؤثر فيه وينقص قدره، فيضيق صدرك لذلك؟!

أم عليك حسابهم، ومطالب بهدايتهم جبراً؟ ﴿إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ فهو الوكيل عليهم، يحفظ أعمالهم ويجازيهم بها أتم الجزاء.

﴿ أُم يقولون افتراه ﴾ أي: افترى عمد هذا القرآن؟

فأجابهم بقوله: ﴿قل﴾ لهم ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ أنه قد افتراه (۲۲) لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقاً، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال

دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات.

﴿ فإن لم يستجيبوا لكم ﴾ على شيء من ذلكم ﴿ فاعلموا أنسا أنزل بعلم الله ﴾ [من عند الله] (٢٠ لقيام الدليل والمقتضي، وانتفاء المعارض.

﴿وأن لا إلَّه إلا هسو﴾ أي: واعلموا أنه لا إله إلا هو أي: هو وحده المستحق للألوهية والعبادة، ﴿فَهُلُ أَنْتُم مسلمون﴾ أي: منقادون لألوهيته، مستسلمون لعبوديته، وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصده اعتراض المعرضين، ولا قدح القادحين.

خصوصاً إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدح فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضياً على أمره، مقبلاً على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب. وفيها أن هذا القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم على ذلك.

وفيها: أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فاعلموا أنسا أنزل بعلم الله وأن لا إلىه إلا هو﴾.

(١٥ - ١٦) ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون يقول تعالى: ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ أي: كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها

⁽١) في ب: يفرح.

⁽٢) في ب: أي: أنه قد افتراه.

⁽٣) في ب: ﴿فَاعَلُمُوا أَنْمَا أَنْزِلَ بِعَلَمُ اللَّهُ﴾ [من عند الله] والجملة الأخيرة قد شطبت في أ.

من النساء والبنين والقناطير المقنطرة، من النهب، والخيل المسومة، والخيل رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار إرادته الدار الآخرة.

ولكن هذا الشقي، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها فونوف إليهم أعمالهم فيها أي: نعطيهم ما قسم لهم في أم الكتاب من ثواب الدنيا.

﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ أي: لا ينقصون شيئاً مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم.

﴿أُولِئُكُ الذينُ لِيسَ لهم في الآخرة إلا النار﴾ خالدين فيها أبداً، لا يُفَتَّر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب.

وُوحبط ما صنعوا فيها الله : في الدنيا، أي: بطل واضمحل ما عملوه عماوه عماوة عماوة من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان.

ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى الماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون في يذكر تعالى من ورثته القائمين بدينه، وحججه من ورثته القائمين بدينه، وحججه الموقنين بذلك، وأنهم لا يوصف بهم غيرهم ولا يكون أحد مثلهم، فقال: ﴿ أَفْمِن كَانَ عَلَى بِينَة من ربه ﴾ بالوحي الذي أنزل(١) الله فيه المسائل المهمة، ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البينة.

﴿ويتلوه﴾ أي: يتلو هذه البينة والبرهان برهان آخر ﴿شاهد منه﴾ وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين شهد حقية ما

أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيماناً إلى إيمانه. ﴿وَهُ ثَمَّ شاهد ثالث وهو ﴿كتاب موسىٰ ﴾ التوراة التي جعلها الله ﴿إماما ﴾ للناس ﴿ورحمة ﴾ لهم، يشهد لهذا القرآن بالصدق، ويوافقه فيما جاء به من الحق.

أي: أفمن كان بهذا الوصف قد تواردت عليه شواهد الإيمان، وقامت لديه أدلة اليقين، كمن هو في الظلمات والجهالات ليس بخارج منها؟!

لا يستوون عند الله، ولا عند عباد الله، ﴿أُولئك﴾ أي: الذين وفقوا لقيام الأدلة عندهم، ﴿يؤمنون﴾ بالقرآن حقيقة، فيثمر لهم إيمانهم كل خير في الدنيا والآخرة.

﴿وَمِن يكفر به﴾ أي: القرآن ﴿من الأحزاب﴾ أي: سائر طوائف أهل الأرض، المتحزبة على رد الحق، ﴿فَالنَّار موعده﴾ لا بد من وروده إليها شك ﴿إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ إما جهلاً منهم وضلالاً، وإما ظلماً وعناداً وبغياً، وإلا فمن كان قصده حسناً وفهمه مستقيماً، فلا بدأن يؤمن به، لأنه يرى ما يدعوه إلى الإيمان من كل وجه.

﴿ ١٨ - ٢٧﴾ ﴿ وسن أظلم عمن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله كافرون * أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يفترون * أولئك الذين خسروا لنهسم وضل عنهم ما كانوا يفترون * لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون \$ يغبر تعالى أنه لا أحد ﴿ أَطْلَم عمن افترى على الله كذبا ﴾ الأخسرون على الله كذبا ﴾ الأخسرون على الله كذبا ﴾

ويدخيل في هذا كيل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله، فهؤلاء أعظم الناس ظلماً ﴿أولئك يعرضون على ربهم ليجازيهم بظلمهم، فعندما يحكم عليهم بالعقاب الشديد ﴿يقول الأشهاد﴾ أي: الذين شهدوا عليهم بافترائهم وكذبهم: ﴿هؤلاء الذين ليفترائهم وكذبهم! لا لعنة الله على الظالمين أي: لعنة لا تنقطع، لأن ظلمهم صار وصفاً لهم ملازماً،

ثم وصف ظلمهم فقال: ﴿الذين يصدوا عن سبيل الله فصدوا بأنفسهم عن سبيل الله، وهي سبيل الرسل التي دعوا الناس إليها، وصدوا غيرهم عنها، فصاروا أئمة يدعون إلى الناد.

ويبغونها أي: سبيل الله وعوجاً أي: سبيل الله وعوجاً أي: يجتهدون في ميلها، وتشيينها، وتصير عند الناس غير مستقيمة، فيحسنون الباطل ويقبحون الحق، قبحهم الله ﴿وهم بالآخرة هم كافرون ﴾.

﴿ أُولِئِكُ لَمْ يَكُونُوا مِعْجِزِينَ فِي الأُرضُ﴾ أي: ليسوا فائتين الله، لأنهم تحت قبضته وفي سلطانه.

﴿وما كُأَن لهم من دون الله من أولياء ﴾ فيدفعون عنهم المكروه، أو يحصلون لهم ما ينفعهم، بل تقطعت بهم الأسباب.

' ﴿يضاعف لهم العذاب ﴾ أي: يخلط ويزاد، لأنهم ضلوا بأنفسهم وأضلوا غيرهم.

وما كانوا يستطيعون السمع بأي: من بغضهم للحق ونفورهم عنه، ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا آيات الله سماعاً ينتفعون به وفما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة بالظرون نظر كانوا يبصرون باي: ينظرون نظر

اَ أَمْ كُولُوكَ ٱفْتَرَيْكُ قُلْ فَأَوْا بِعَشْرِ سُورِ مِثْلِهِ مُفْتَكَيْكَ وَأَتَّكُو مَن ٱستَطَعْتُ مِين دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَ إِلَّةِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعَلَمُوا أَثَّمَا أُزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لْآَ إِلَّهُ إِلَّاهُوَّ فَهُلْ أَنتُهُمُّ لِمُونَ ۞ مَن كَانَ بُويةُ اتخيؤة الدُّنيّا وَذِينَتَهَا نُوَقِ إِلَيْهِ وَأَعْلَلَهُ مِينَا وَهُدُونِيهَا لَا يُتَخَمُّونَ ۞ أَوْلَيِّكَ ٱلَّذِينَ لِتَسَكَّمُ فِي الْآخِرَة إِلَّا النَّارُّ وَحَيْظُ مَاصَنَعُوا فِيَاوَبُطِلُّ مَّاكَاثُواْ يَعْمَلُونَ ۞أَفَنَ كَانَ عَلَى يَنْكَةِ مِن زَيْدِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدُ مِنْدَهُ وَمِن مَّنِلِهِ كِنَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةٌ أَوْلَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِيِّمِوْنَ يَكُفُرُ بِعِينَ ٱلْأَحْمَزَابِ قَالْنَا زُمَقِي مُذَّ فَلَالَكُ فِي مِهْتِقِيِّنَهُ إِنَّهُ أَتْحَقُّ مِن زَّيِّكَ وَلَكِنَّ أَحْتُ زُالنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَرُعِينَ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَنِيبًا أَوْلَيْكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَفِهِ وَوَيَعُولُ الْأَشْهَادُ مَثَوْلًا وَالَّذِيكَ كَدَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَالَتُنَـُةُ اللَّهُ عَلَى الظَّلْلِيمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُمُّتُعِنَ عَن اسييلاً الله ويَبْغُونَهَا عِنَهُا وَهُم إِلْآخِدَوَهُ هُمْ كَفِرُونَ ٥

إليه بداهة العقول، وبمجرد ما يصل إلى أولى الألباب يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمور الخفية التي تحتاج إلى تأمل وفكر طويل.

ON OND IN WEST OF STATE

﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ أي: لستم أفضل منا فننقاد لكم، ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ وكذبوا في قولهم هذا، فإنهم رأوا من الآيات التي جعلها الله مؤيدة لنوح، ما يوجب لهم الجزم التام على صدقه.

وَلَهَذَا ﴿قَالَ﴾ لهم نوح مجاوباً ﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي الله أي: على يقين وجزم، يعني وهو الرسول الكامل القدوة، الذي ينقاد له أولو الألباب، ويضمحل في جنب عقله عقول الفحول من الرجال، وهو الصادق حقاً، فإذا قال: إن على بينة من ربى، فحسبك بهذا القول شهادة له وتصديقاً.

﴿ وآتاني رحمة من عسده ﴾ أي: أوحى إلي وأرسلني، ومن على بالهداية، ﴿فعميت عليكم ﴾أي: خفيت عليكم، وبها تثاقلتم.

﴿أَنْلُوْمُكُمُوهًا ﴾ أي: أَنْكُوهُكُمُ عَلَى ما تحققناه، وشككتم أنتم فيه؟ ﴿وَأَنتُم لها كارهون، حتى حرصتم على رد ما جئت به، ليس ذلك ضارنا، وليس بقادح من يقيننا فيه، ولا قولكم

مثلاً، بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف، ﴿أَفُّلا تُذَكُّرُونَ﴾ الأعمال التي تنفعكم فتفعلونها، والأعمال التي تضركم فتتركونها.

﴿ ٢٥ _ ٤٩﴾ ﴿ولْقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنّي لكم نذير مبين ﴾ إلى آخر القصة (١) أي: ولقد أرسلنا رسولنا نوحاً أول المرسلين ﴿ إِلَّى قُمُومِهِ ﴾ يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الشرك فقال لهم: ﴿إِنِّ لَكُمْ نَذَيْرُ مَبِينَ ﴾ أي: بينت لكم ما أنذرتكم به بياناً زال به الإشكال.

﴿أَن لا تعبدوا إلا الله اين أي: أخلصوا العبادة لله وحده، واتركوا كل ما يعبد من دون الله. ﴿إِنَّ أَخَافَ عليكم عذاب يوم أليم﴾ إن لم تقوموا بتوحيد الله وتطيعوني.

﴿٢٧﴾ ﴿فقال المَّلاُّ الذين كفروا من قومه اي: الأشراف والرؤساء، رادين لدعوة نوح عليه السلام، كما جرت العادة لأمثالهم، أنهم أول من رد

وهذا مانع إلا بشراً مثلنا ﴿ وهذا مانع بزعمهم عن اتباعه، مع أنه في نفس الأمر هو الصواب الذي لا ينبغى غيره، لأن البَشَر يتمكن البشر أن يتلقوا عنه، ويراجعوه في كل أمر، بخلاف الملائكة.

﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴾ أي: ما نرى اتبعك منا إلا الأراذل والسفلة بزعمهم.

وهم في الحقيقة الأشراف وأهل العقول الذين انقادوا للحق، ولم يكونوا كالأراذل الذين يقال لهم الملأ، الذين اتبعوا كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أرذل من هؤلاء وأخس؟

وقولهم: ﴿بادي الرأي﴾ أي: إنما اتبعوك من غير تفكر وروية، بل بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، يعنون بذلك أنهم ليسوا على بصيرة من ﴿هُلُّ يَسْتُويَانَ مِثْلاً﴾ لا يستوون أمرهم، ولم يعلموا أن الحق المبين تدعو

عبرة وتفكر، فيما ينفعهم، وإنما هم كالصم البكم الذين لا يعقلون.

﴿أُولِنُكُ الذينِ خسروا أنفسهم﴾ حيث فوتوها أعظم الثواب، واستحقوا أشد العذاب، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي: اضمحل دينهم الذي يدعون إليه ويحسنونه، ولم تغن عنهم آلهتهم التي يعبدون من دون الله لما جاء أمر ربك.

﴿لا جسرم﴾أي: حقاً وصدقاً ﴿أَنْهُمْ فِي الْآخِرَةُ هِمْ الْأَحْسِرُونَ﴾ حصر الخسار فيهم، بل جعل لهم منه أشده، لشدة حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة من العذاب، نستجير بالله من حالهم.

ولما ذكر حال الأشقياء، ذكر أوصاف السعداء وما لهم عند الله من الثواب، فقال:

﴿ ٢٣ _ ٢٤ ﴾ ﴿إِنَّ السَّذِيسَ آمستوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * مثل الفريقين كالأعمى دعوة المرسلين. والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلًا تذكرون﴾ يقولَ تعالى: ﴿إِن الذين آمنوا﴾ بقلوبهم، أي: صدقوا واعترفوا، لما أمر الله بالإيمان به من أصول الدين وقواعده.

وعملوا الصالحات) المشتملة على أعمال القلوب والجوارح وأقوال اللسان. ﴿وأخبتوا إلى ربهم أي: خضعوا له واستكانوا لعظمته، وذلوا لسلطانه، وأنابوا إليه بمحبته وخوفه ورجائه والتضرع إليه.

﴿أُولِسُكُ ﴾ الذين جمعوا تلك الصفات ﴿أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ لأنهم لم يتركوا من الخير مطلباً، إلا أدركوه، ولا خيراً، إلا سبقوا إليه .

﴿مثل الفريقين﴾أى: فريق الأشقياء وفريق السعداء، ﴿كَالْأَعْمَى والأصم﴾ هؤلاء الأشقياء، ﴿والبصير والسميع) مثل السعداء.

أُوْلَيْكَ لِرَيْكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَاكَانَ لَمُدَمِّنَ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيآ أَء يُضَلَّعَفُ لَمُدُالْعَذَابُ مَا كَافُواْيسْ عَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَاكَانُوا يُبْعِيرُونَ ۞ أُوَلَيْكَ ٱلَّذِنَ خَيرُوَا أَنفُكُوْ وَضَلَّ عَنهُ مِمَّاكَ أَوْأَيفَتْرُونَ ۞ لَاجَرَهُ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِدَ وَهُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ -َامْنُواُوعَيلُواْ الْإِ ٱلصَّلِيحَٰتِ وَأَخْتُوا إِلَى رَبِيعِمُ أُوْلَيْكَ أَصْحَبُ ٱنْجَنَّ وَّهُمُ فِهَاخَالِدُونَ۞ • مَثَلُ ٱلْفَرِيقَانِ كَٱلْأَعْمَى وَٱلْأَضَمَ وَٱلْبَعِيدِ وَٱلسَّمِيعُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَكَّا أَفَلَاتَذَكَّ رُفَاقَ وَلَقَدُ أَرْصَلُنَا نُوسًا إِلَى قَرْمِيمَ إِنِّ لَكُونَوْيرُ مُّيدِكُ ۞ أَن لَا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُوْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيرِ۞ فَعَالَ ٱلْمُلَأَ ٱلَّذِيبَ كَفَتَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا زَيْكَ إِلَّا بَشَكَرًا مِثْلَنَا وَمَازَرُكَ النَّبُعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُرَّارًا وَلَنَا بَادِي ٱلَّآلِي وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن ضَلْلِ مِلْ نَظُلُكُمُ كَالِيهِ مِنْ هَالَكُمُ مَكَالِيهِ مِنْ هَالَكُمُ يَكَفُومِ أَنَ يَسُمُ إِن كُلُتُ عَلَى يَيْنِ مُومِّن زَقٍ وَ السَّنِي رَحْمَةُ مِّنْ ﴿ عِندِهِ مَغَيْنَتْ عَلَيْكُمْ ٱلْكُرْمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَمَا كَرِهُونَ ١ ACCOMOS " BORSEO"

وافتراؤكم علينا صادًاً لنا عما كنا عليه.

وإنما غايته أن يكون صادًا لكم أنتم، وموجباً لعدم انقيادكم للحق، الذي تزعمون أنه باطل، فإذا وصلت الحال إلى هذه الغاية، فلا نقدر على ما أمر الله، ولا إلزامكم ما نفرتم عنه، ولسهذا قال: فإنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه أي: على دعوتي إياكم فمالا فتستثقلون الخرم.

وأن أجري إلا على الله وكأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم : ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا أي : ما ينبغي لي ولا يليق بي ذلك، بل أتلقاهم بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام ﴿إنهم ملاقوا ربهم ﴾ فمثيبهم على إيمانهم وتقواهم بجنات النعيم.

﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ حيث تأمرونني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني، وحيث رددتم الحق لأنهم أتباعه، وحيث استدللتم على بطلان الحق بقولكم إني بشر مثلكم وإنه ليس لنا عليكم من فضل.

﴿ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم ﴾ أي: من يمنعني من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال الذي لا يمنعه من دون الله مانع.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ما هو الأنفع لكم

والأصلح، وتدبرون الأمور.

﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ﴾ أي: غايتي أني رسول الله إليكم، أبشركم وأنذركم، وأما ما عدا ذلك فليس بيدي من الأمر شيء، فليست خزائن الله عندي أدبرها أنا، وأعطي من أشاء، ﴿ولا أعلم الغيب ﴾ فأخبركم بسرائركم وبواطنكم ﴿ولا أقول إني ملك ﴾ والمعنى: أني لا أدعي رتبة فوق رتبتي، ولا منزلة سوى المنزلة التي أنزلني الله بها، ولا أحكم على الناس بظنى.

﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم ﴾
أي: ضعفاء المؤمنين الذين يحتقرهم الله الذين كفروا ﴿لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم ﴾ فإن كانوا صادقين في إيمانهم فلهم الخير الكثير، وإن كانوا غير ذلك فحسابهم على الله.

﴿إِنِ إِذاَ ﴾ أي: إن قلت لكم شيئاً مما تقدم ﴿لن الظالمِن ﴾ وهذا تأييس منه عليه الصلاة والسلام لقومه، أن ينبذ فقراء المؤمنين أو يمقتهم، وتقنيع لقومه بالطرق المقنعة للمنصف.

فلما رأوه لا ينكف عما كان عليه من دعوتهم، ولم يدركوا منه مطلوبهم ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فما أجهلهم وأضلهم، حيث قالوا هذه المقالة لنبيهم الناصح.

فهلا قالوا إن كانوا صادقين: يا نوح قد نصحتنا وأشفقت علينا، ودعوتنا إلى أمر لم يتبين لنا فنريد منك أن تبينه لنا لننقاد لك، وإلا فأنت مشكور في نصحك. لكان هذا الجواب المنصف، الذي قد دعي إلى أمر خفي عليه، ولكنهم في قولهم كاذبون، وعلى نبيهم متجرؤون. ولم يردوا ما قاله بأدنى شبهة، فضلاً عن أن يردوه بحجة.

ولهذا عدلوا - من جهلهم وظلمهم - إلى الاستعجال بالعذاب، وتعجيز الله، ولهذا أجابهم نوح عليه

السلام بقوله: ﴿إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾ أي: إن اقتضت مشيئته وحكمته أن ينزله بكم، فعل ذلك. ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ لله، وأنا ليس بيدي من الأمر شيء.

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كمان الله يسريمد أن يغويكم أي: إن إرادة الله غالبة، فإنه إذا أراد أن يغويكم لردكم الحق، فلو حرصت غاية مجهودي، ونصحت لكم أتم النصح وهو قد فعل عليه السلام وفيس ذلك بنافع لكم شيئاً، وهو ربكم يفعل بكم ما يشاء، ويحكم فيكم بما يسريد (وإليه ترجعون) فيجازيكم بأعمالكم.

﴿أُم يقولون افتراه﴾ هذا الضمير عتمل أن يعود إلى نوح كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعني أن قومه يقولون: افترى على الله كذبا، وكذب بالوحي الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنْ افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون﴾ أي: كلّ عليه وزره ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

ويحتمل أن يكون عائداً إلى النبي محمد رضح و تكون هذه الآية معترضة في أثناء قصة نوح وقومه ، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء ، فلما شرع الله في قصها على رسوله ، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته ، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام ، فقال : ﴿أَم يقولون أَم القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه ، أي : فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها ، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يرحل عنهم لدراسة على أهل الكتب ، فجاء بهذا الكتاب الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله .

فإذا زعموا _مع هذا _ أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللائق في هذه الحال الإعراض عنهم، ولهذا قال: ﴿قُلُ إِنْ التربية فعلي إجرامي﴾ أي: ذنبي

ز. ومرساها﴾ أي: تجري على اسم الله،
 وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره
 ر. وأمره.

﴿إِن ربي لغفور رحيم ﴿ حيث غفر لنا ورحمنا، ونجانا من القوم الظالمين. ثم وصف جريانها كأنا نشاهدها

ثم وصف جريانها كأنا نشاهدها فقال: ﴿وهي تجري بهم﴾أي: بنوح ومن ركب معه ﴿في موج كالجبال﴾ والله حافظها وحافظ أهلها ﴿ونادى نوح ابنه ﴾ لما ركب، ليركب معه ﴿وكان ﴾ ابنه ﴿في معزل ﴾ عنهم حين ركبوا، أي: مبتعداً وأراد منه، أن يقرب ليركب، فقال له: ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ فيصيبك ما يصيبهم.

ف ﴿قال﴾ ابنه مكذباً لأبيه أنه لا ينجو إلا من ركب معه السفينة.

﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء أمتنع به من الماء في الماء في الماء في حاصم الماء في حاصر الله إلا من رحم فلا يعصم أحداً، جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب لما نجا إن لم ينجه الله. ﴿وحال بينهما الموج فكان الأبن ﴿من المغرقين ﴾ الموج فكان الأبن ﴿من المغرقين ﴾ الموج فكان الأبن ﴿من المغرقين ﴾ الموج فكان إلابن ﴿من المغرقين ﴾ الموج فكان إلى المناز المناز إلى المنا

فلما أغرقهم الله ونجى نوحاً ومن معه ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلعي الماء الذي على وجهك ﴿ويا سماء أقلعي﴾ فامتثلتا لأمر الله، فابتلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، فنضب الماء من الأرض، المونين.

﴿واستوت﴾السفينة ﴿على الجودي﴾أي: أرست على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل.

﴿وقيل بعداً للقوم الظالمِن﴾أي: أتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعداً وسحقاً لا يزال معهم.

﴿ ونادي نوح ربه فقال رب إن ابني

الناباليوالين التفايق الانابية الأنابية المن التفايق التفايق

من أهلي وإن وعدك الحق، أي: وقد قلت لي: فـ ﴿ احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ﴾ ولن تخلف ما وعدتني

يِّ وَوَجِينَا وَلَا تُعْلِينِي فِي الَّذِينَ ظَالَتُوَّ إِلَّهُم مُعْرَفُونَ ۞

لعله عليه الصلاة والسلام حملته الشفقة، وأن الله وعده بنجاة أهله، ظن أن الوعد لعمومهم، من آمن ومن لم يؤمن، فلذلك دعا ربه بذلك الدعاء، ومع هذا ففوض الأمر لحكمة الله البالغة.

ف ﴿قال﴾الله له: ﴿إنه ليس من أهلك﴾الذين وعدتك بإنجائهم ﴿إنه عمل غير صالح﴾أي: هذا الدعاء الذي دعوت (١) به، لنجاة كافر لا يؤمن بالله ولا رسوله.

﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ أي: مالا تعلم عاقبته ومآله، وهل يكون خيراً أو غير خير.

﴿إِنِي أَعَـظُـكُ أَن تَـكَـون مَـن الجاهلين﴾أي: أني أعظك وعظاً تكون به من الكاملين، وتنجو به من صفات الجاهلين.

فحينئذ ندم نوح عليه السلام ندامة شديدة على ما صدر منه و ﴿قال رب إِن أُعودُ بِكُ أَن أُسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾

وكذبي، ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ أي: فلم تستلجون في تكذيبي.

وقوله: ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن أي: قد قسوا، ﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أي: فلا تحزن ولا تبال بهم وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحق عليهم عذابه الذي لا يرد.

﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ أي: بحفظنا، ومرأى منا، وعلى مرضاتنا، ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ أي: لا تراجعني في إملاكهم، ﴿إنهم مغرقون﴾ أي: قد حق عليهم القول، ونفذ فيهم القدر.

فامتثل أمر ربه، وجعل يصنع الفلك ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه﴾ ورأوا ما يصنع ﴿سخروا منه قال إن تسخروا منا﴾ الآن ﴿فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ نحن أم أنتم. وقد علموا ذلك حين حل بهم العقاب.

وحتى إذا جاء أمرنا أي : قدرنا بوقت نزول العذاب بهم ووفار التنور أي : أنزل الله السماء بالماء المنهم ، وفجر الأرض كلها عيوناً حتى التناير التي هي محل النار في العادة، وأبعد ما يكون عن الماء، تفجرت، فالتقى الماء على أمر قد قدر.

﴿قلنا ﴾ لنوح: ﴿ احمل فيها من كل زوجين اثنين ﴾ أي: من كل صنف من أصناف المخلوقات، ذكر وأنثى، لتبقى مادة سائر الأجناس، وأما بقية الأصناف الزائدة عن الزوجين، فلأن السفينة لا تطيق حملها ﴿ وأهلك إلا من سبق عليه القول ﴾ عن كان كافراً، كابنه الذي غرق.

﴿وَمِنْ آمِنْ﴾ ﴿وَ﴾الحَالَ أَنَّهُ ﴿مَا آمن معه إلا قليل﴾

﴿وقال﴾نسوح لمن أمسره الله أن يحملهم: ﴿اركبوا فيها بسم الله مجريها

وَيَضِنَعُ ٱلْفُلُكَ وَحَكُمَّامَ عَلَيْهِ مَلَأَيْنِ قَوْمِهِ مِسَخِرُواْمِنْهُ قَالَ إِن تَسْتَخُرُواْ مِنَا فَإِنَّا لَسْخَرُ مِنكُمْ كُمَّا لَسْخُرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعَلَّمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَاكُ يُغْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَاكُ مُقِيدُ هُ حَتَّى إِذَا جَلَةَ أَمْنُ الْوَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا ٱخْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَفْحَيْنِ ٱثَّنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّامَنِ سَبَّقَ عَلَيْهِ ٱلْقُولُ وَمَنْ مَامَنَّ وَمَآمَامَنَ مَعَكُم وَالْإِفْلِيلُّ ﴿ • وَقَالَ أَرْكَ بُوا فِيهَا بِسْدِأَ لَقِهِ بَعْرِيهَا وَمُرْسَلُهُمَّ إِنَّ رَبِّي لَعَكُورٌ رَحِيدٌ ١ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَأَيْجِهِ إِلَى وَفَادَىٰ فُوحُ أَبْنَهُ وَكَالَ فِ مَعْ زِلْ بِنَدُنَيَّ أَرْكَب مِّمَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَفِينَ ٥ قَالَ سَنَاوِيَ إِلَى جَبُلِ يَعْصِمُ فِي مِنَ ٱلْكَيْهِ قَالَــــ لَاعَاصِمَ ٱلْيُوْمِينُ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن زَّحِمُّ وَحَالَ بِيَّنَهُمَ اللَّهُمُّ فَكَاتَ مِنَ لَلْغُوْمِينَ ۞ وَفِيلَ يَنَأَرْضُ ٱبْلَعِي مَلْهَ لِهِ وَيَسَمَلُهُ ٱلْلِعِ وَغِيضَ الْمُلَاءُ وَقَعِنِي ٱلْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيُّ وَقِيلَ بُعُ ذَا لِلْقُوْمِ الظَّلِينِ ﴿ وَنَادَىٰ ثُوحٌ زَيَّهُ مُفَعَالَ رَبِّ إِنَّ آبَنِي مِنْ أَهْلِ وَإِنْ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَعْكُوالْكَ كِومِينَ ۞ TORONO W MORNEON

فبالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين، ودل هذا على أن نوحاً عليه السلام لم يكن عنده علم بأن سؤاله لربه في نجاة ابنه محرم، داخل في قوله ﴿ولا تخاطبني في اللين ظلموا إنهم مغرقون﴾ بل تعارض عنده الأمران، وظن دخوله في قوله:

وبعد ذلك تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم والمراجعة فيهم.

﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم عن معك من الآدميين وغيرهم من الأزواج التي حملها معه، فبارك الله في الجميع، حتى ملأوا أقطار الأرض ونواحيها.

﴿وأمم سنمتعهم ﴾ في الدنيا ﴿ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ أي: هذا الإنجاء ليس بمانع لنا من أن من كفر بعد ذلك أحللنا به العقاب، وإن متعوا قليلاً، فسيؤخذون بعد ذلك.

قال الله لنبيه محمد على بعدما قص عليه هذه القصة المسوطة التي لا يعلمها إلا من من عليه برسالته.

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ فيقولوا: إنه كان يعلمها.

فاحمد الله واشكره، واصبر على ما أنت عليه من الدين القويم، والصراط المستقيم والدعوة إلى الله ﴿إِن العاقبة للمتقين﴾ الذين يتقون الشرك وسائر المعاقبة على قومك، كما كانت لنوح على قومه.

﴿ ٥ - ٢٠ ﴾ ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ إلى آخر القصة (١) . أي : ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى عاد ﴾ وهم القبيلة المعروفة في الأحقاف، من أرض اليمن، ﴿ أَخَاهِم ﴾ في النسب ﴿ هوداً ﴾ ليتمكنوا من الأخذ عنه والعلم بصدة.

ف ﴿قال﴾ لهم ﴿يا قوم اعبدوا الله على من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ أي: أمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عما هم عليه من عبادة غير الله، وأخبرهم أنهم قد افتروا على الله الكذب في عبادتهم لغيره، وتجويزهم لنذلك، ووضح لهم وجوب عبادة الله، وفساد عبادة ما سواه.

ثم ذكر عدم المانع لهم من الانقياد فقال: ﴿ يَا قُومُ لا أَسَالُكُم عَلَيْهُ أَجْراً ﴾ أي: غرامة من أموالكم على ما دعوتكم إليه، فتقولوا: هذا يريد أن يأخذ أموالنا، وإنما أدعوكم وأعلمكم عاناً.

﴿إِن أَجِرِي إِلاّ على الذي فطرني أفلا تعقلون﴾ ما أدعوكم إليه، وأنه موجب لقبوله، منتفِ المانع عن رده.

﴿ويا قوم استغفروا ربكم ﴾ عما مضى منكم ﴿ثم توبوا إليه فيما تستقبلونه بالتوبة النصوح والإنابة إلى الله تعالى.

فإنكم إذا فعلتم ذلك ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً بكثرة الأمطار التي تخصب بها الأرض، ويكثر خيرها.

﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ فإنهم كانوا من أقوى الناس، ولهذا قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾؟، فوعدهم أنهم

إن آمنوا زادهم قوة إلى قوتهم.

﴿ولا تتولوا﴾ عنه، أي: عن ربكم ﴿جرمين﴾ أي: مستكبرين عن عبادته، متجرئين على محارمه.

ف ﴿قالوا﴾ رادين لقوله: ﴿يا هود ما جئتنا ببينة﴾ إن كان قصدهم بالبينة البية التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه إلا وبعث الله على يديه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر.

ولو لم يكن له آية ، إلا دعوته إياهم المخلاص الدين لله وحده لا شريك له ، والأمر بكل عمل صالح وخلق جميل ، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله ، والفواحش والظلم ، وأنواع المنكرات ، مع ما هو مشتمل عليه هود عليه السلام من الصفات التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم ، لكفي بها آيات وأدلة على صدقه .

بل أهل العقول وأولو الألباب، يرون أن هذه الآية أكبر من مجرد الخوارق التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط. ومن آياته وبيناته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان، وهو يصرخ في قومه ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لهم : ﴿إِنِي تـوكـلـت عـلى الله ربي وربكم﴾.

﴿إِنِ أَشهد الله واشهدوا أَنِ بريء عا تشركون من دونه فكيدون جميعاً ثم لا تنظرون وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي: طريق كان وهو غير مكترث منهم، ولا مبال بهم، وهم عاجزون لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.

وقولهم: ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا

عن قولك أي: لا نترك عبادة آلهتنا لمجرد قولك الذي ما أقمت عليه بينة بزعمهم، ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ وهذا تأييس منهم لنبيهم هود عليه السلام في إيمانهم، وأنهم لا يزالون في كفرهم يعمهون.

﴿إِن نقول﴾ فيك ﴿إِلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ أي: أصابتك بخبال وجنون فصرت تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة التي يستحي العاقل من حكايتها عنهم لولا أن الله حكاها عنهم.

ولهذا بين هود عليه الصلاة والسلام أنه واثق غاية الوثوق أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذى فقال: ﴿إِنِّ أَشْهِدَ الله واشْهدوا أَنِ بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً﴾ أي: اطلبوالي الضرر كلكم، بكل طريق تتمكنون بها مني ﴿ثم لا تنظرون﴾ أي: لا تمهلوني.

﴿إِنِي تسوكسلست عسلى الله أي: اعتمدت في أمري كله على الله ﴿رِي وربكم﴾ أي: هو خالق الجميع، ومدبرنا وإياكم، وهو الذي ربانا.

﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه، فلو اجتمعتم جميعاً على الإيقاع بي، والله لم يسلطكم عليً، لم تقدروا على ذلك، فإن سلطكم، فلحكمة أرادها.

ف ﴿إِن ربي على صراط مستقيم ﴾ أي: على عدل، وقسط، وحكمة، وحمد في قضائه وقدره، في شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم، التي يحمد ويثنى عليه بها.

﴿فَإِن تُولُوا﴾ عما دعوتكم إليه ﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ فلم يبق عليَّ تبعة من شأنكم. ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾

يقومون بعبادته ولا يشركون به شيئاً ﴿ولا تضرونه شيئاً﴾ فإن ضرركم إنما يعود عليكم، فالله لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة المطيعين^(۱) ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ [﴿إنّ ربي على كل شيء حفيظ﴾].

﴿ولما جاء أمرنا ﴾ أي: عذابنا بإرسال الريح العقيم، التي ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾.

﴿ نُجِينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ أي: عطيم شديد، أحله الله بعاد، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

﴿وتلك عاد﴾ الذين أوقع الله بهم ما أوقع بظلم منهم لأنهم ﴿جحدوا بنيات ربهم﴾ ولهذا قالوا لهود: ﴿ما جثنا ببينة ﴾ فتبين بهذا أنهم متيقنون لدعوته، وإنما عاندوا وجحدوا رسله ﴾ لأن من عصى رسولاً فقد عصى جميع المرسلين، لأن دعوتهم واحدة.

﴿والتبعوا أمر كل جبار﴾ أي: متسلط على عباد الله بالجبروت، ﴿عنيد﴾ أي: معاند لآيات الله، فعصوا كل ناصح ومشفق عليهم، واتبعوا كل غاش لهم يريد إهلاكهم لا جرم أهلكهم الله.

﴿وَأَتِعُوا فَي هذه الدنيا لعنة ﴾ فكل وقت وجيل، إلا ولأنبائهم القبيحة وأخبارهم الشنيعة، ذكر يذكرون به، وذم يلحقهم ﴿ويوم القيامة ﴾ لهم أيضاً لعنة ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم ﴾ أي: جحدوا من خلقهم ورزقهم ورباهم. ﴿ألا بعداً لعاد قوم هود ﴾ أي: أبعدهم الله عن كل خير وقربهم من كل شر.

﴿ ٦١ ـ ٦٨ ﴾ ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ إلى آخر قصتهم (٢) ، أي : ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إلى ثمود ﴾ وهم : عاد الثانية ، المعروفون الذين يسكنون

WELL WAR 海湖湖 医草油 اللهِ عَالَ كَنُوحُ إِنَّهُ وَلِيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أِنَّهُ عِكَما أُغَيْرُ مَا لِيَّحِ فَلَا تَسْتَلْن الله النه الك بديمار أن أعظك أن تكوُنُ مِن أَتَحَامِل ٥ قَالَ رَبِ إِنَّ أَعُودُ بِكَ أَنْ أَمْنَكَ مَا لَيْسَ لِي بِمِيعَلَدُ وَالَّاتَغَيْرُ لِي وَيَرْحَمْنِيَّ أَكُن مِنَ ٱلْخَسَرِينَ ﴿ قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامِ مِنَّا وَبَرَكَاتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أَكْمِهِ اللهِ يَمَا نَعْمَكُ وَأَحَمُّ سَنُمَتُعُهُمْ أَنْ كَيْمُ مُعَلِّمُ اللَّهِ مِنَاعَذَاكُ أَلِيمٌ @ يَلْكَ مِنْ أَنْبَالَهِ أَلْفَيْبِ نُوجِهَا إِلَيْكُ مَا كُنتَ تَعْلَمُا أَنَّ وَلِاقَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَلَذاًّ فَأَصْبِرٌ إِنَّ ٱلْمَلَقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَإِلَّى عَادِ لَغَاهُمْ هُودًاْ قَالَ يَنْفَوْمِ أَعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمُ مِنْ إِلَاهِ عَيْرُهُ ۗ إِنْ أَسْتُمْ إِلَّا مُفَرِّرُونِ ٥ يَنَقَوْمِ لَا أَسْتَلَكُو عَلَيْهِ أَجُرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّاعَلَ ٱلَّذِى فَطَرَقُ أَفَلَا تَسْقِلُونَ ﴿ وَيَنفَوْمِ أَسْتَغَفِيرُوا رَبِّعَكُ مُثُمَّ ثُونُوا إِلَيْهِ يُرْمِيلِ النَّهُ عَلَيْتُ عُدِيِّهُ مَا يَا مُعَالِمُ عَلَيْتُ كُمُ مُعَوِّقًا إِلَىٰ فُوتَةِ كُمُّ اللهِ وَلَاتَ تَوَلُّوا مُجْرِمِين ۞ قَالُوا يَكُودُ مَلِحِثَتَ ابِيِّنَا قَوْمَا مُّ خَنْ بِسَارِكِ مَالِمَتِنَاعَن قَوْلِكَ وَمَا خَنْ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ OF SOM WEST OF

الحجر، ووادي القرى، ﴿أخاهم ﴾ في السنسب ﴿صالحاً ﴾ عبد الله ورسوله ﷺ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ف ﴿قال يا قوم اعبدوا الله أي: وحدوه، وأخلصوا له الدين ﴿ما لكم من إله غيره ﴾ لا من أهل السماء، ولا من أهل الأرض.

﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ أي:
خلقكم فيها ﴿واستعمركم فيها﴾ أي:
استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم
الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض
تبنون وتغرسون وتزرعون، وتحرثون
ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها،
وتستغلون مصالحها، فكما أنه
لا شريك له في جميع ذلك، فلا
تشركوا به في عبادته.

﴿فاستغفروه﴾ مما صدر منكم من الكفر والشرك والمعاصي، وأقلعوا عنها، ﴿ثم توبوا إليه﴾ أي: ارجعوا إليه بالتوبة النصوح والإنابة، ﴿إن ربي قريب محن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب، واعلم أن قربه تعالى نوعان: عام، وخاص، فالقرب العام: قربه بعلمه من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ونحن

⁽١) في ب: الطائعين.

⁽٢) في ب: ذكر الآيات كاملة إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَا بِعِداً لَتُمُودُ ﴾.

DE CHEEN إِن نَقُولُ إِلَّا أَعْتَرُكَ بَعْضُ وَالْهَيْنَا بِسُوَّ ۚ قَالَ إِنَّ أَشْهِدُ أَلَّهَ ا وَاشْهَدُواْ أَنِي بَرِيَّ مُعَاتُثُم كُونَ ﴿ مِن دُونِيٍّ عَلَيْهُ فِي جَيعًاثُدَّ لَانُظِرُونِ۞إِنِي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰلَةِ رَبِّي وَرَيْكُرُمَّا مِن دَآبَةِ إِلَّاهُوَ ءَلِيٰذُ كُبِنَاصِيَتِهَ أَإِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطِ مُسْتَقِيرِ ﴿ فَإِن تَوَلِّوا فَقَدْ أَبَلَغَتُكُم مَّا أَرْسِلْتُ بِعِيِّ إِلَيْكُو وَيَسْتَخَلِفُ رَبِي فَوْمًا غَيْرَكُرُ وَلَا تَصْمُرُ وَيُعُرِشَيْعًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۞ وَلَمَا مَا مَا أَمُوا جَيْنَ اهُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكُمُ بِرُمْ تَوْمِنَّا وَفَيَنَاهُ مِنْ عَذَابِ عَلِيظٍ ۞ وَبِلْكَ عَادُّ جَحَدُواْ بِعَايَنتِ رَبِّهِ مْ وَعَصَوْ أَرْسُلُهُ وَاتَبَعُواْ أَمْرَكُلُ جَسَارِعَنيهِ ۞ وَأَتَبِعُوا فِي هَا ذِوالدُّنْيَا لَعَنَةً وَيَوْمَ الْقِيكَةُ أَلَا إِنَّ عَلَاكَهُرُوا رَبِّهُمُّ أَلَاهُمُ مَالِمَادِ قَوْمِهُودِي • وَإِلَّا ثَكُودَ أَخَاهُمُ صَلِمًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَّهِ عَيْرُةٌ هُوَأَنْسَأَكُمْ مِنَ ٱلأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرُ كُرُونِهَا فَأَسْتَغْفِرُوهُ ثُرَّتُونُوا إِلَيْدُ إِنَّ يَتِي فَسَرِيبٌ تَجْيِبٌ ٥ قَالُولِيُصَالِحُ قَدَكُتَ فِينَا مَرْجُوا جَلَ هَذَّا أَنْهَنَا أَن نَعْبُدُ مَايَمْبُدُ ءَابَأَوْنَا وَإِنَّنَا لَنِي شَكِيمَا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ TORONO WE TO COLOR

أقرب إليه من حبل الوريد) والقرب الخاص: قربه من عابديه وسائليه وعبيه، وهو المذكور في قوله تعالى:

﴿واسجد واقترب﴾

وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع ﴾ وهذا النوع، قرب يقتضي إلطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه «القريب» اسمه «المجيب».

فلما أمرهم نبيهم صالح عليه السلام، ورغبهم في الإخلاص لله وحده، ردوا عليه دعوته، وقابلوه أشنع المقابلة.

﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ﴿ آي: قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم لنبيهم صالح أنه ما زال معروفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قدمه.

ولكنه لما جاءهم بهذا الأمر الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة التي مضمونها أنك [قد] كنت كاملاً، والآن أخلفت ظئنا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير.

وذنبه ما قالوه عنه، وهو قولهم: ﴿النهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾

وبزعمهم أن هذا من أعظم القدح في صالح، كيف قدح في عقولهم وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاهم عن عبادة من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئاً من الأحجار والأشجار ونحوها.

وأمرهم بإخلاص الدين لله ربهم الذي لم تزل نعمه عليهم تترى، وإحسانه عليهم دائماً ينزل، الذي ما بهم من نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم السيئات إلا هو.

﴿ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه

مريب أي: ما زلنا شاكين فيما دعوتنا اليه شكا مؤثراً في قلوبنا الريب. وبزعمهم أنهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه لاتبعوه، وهم كذبة في ذلك، ولهذا بين كذبهم في قوله: ﴿قَالُ يَا قُوم أَرْأَيْتُم إِنْ كُنْتُ عَلَى بِينَةُ مِن رَبِي أَي: برهان ويقين مني ﴿وَاتَانِي منه رهمة ﴾ أي: من على من برسالته ووحيه، أي: أفأتابعكم على ما أنتم عليه وما تدعونني إليه؟

﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ﴾ أي: غير خسار وتباب وضرر ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ لها شرب من البئر يوماً، ثم يشربون كلهم من ضرعها، ولهم شرب يوم معلوم.

﴿فلروها تأكل في أرض الله ﴾ أي: ليس عليكم من مؤنتها وعلفها شيء، ﴿ولا تمسوها بسوء ﴾ أي: بعقر ﴿فيأخذكم عذاب قريب، فعقروها فقال ﴾ لهم صالح: ﴿قتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ بل بد من وقوعه.

﴿فلما جاء أمرنا ﴾ بوقوع العذاب ﴿نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ﴾ أي: نجيناهم من العذاب والخزى والفضيحة.

﴿إِن رَبِكَ هُو اللَّهُوي الْعَزِيزِ ﴾ ومن قوته وعزته أن أهلك الأمم الطاغية، ونجَى الرسل وأتباعهم، ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ العظيمة فقطعت

قلوبهم، ﴿فأصبحوا في ديارهم جائمين﴾ أي: خامدين لا حراك

وكأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم لما جاءهم العذاب ما تمتعوا في ديارهم ولا أنسوا بها (١) ولا تنعموا بها يومأ من الدهر ، قد فارقهم النعيم ، وتناولهم العذاب السرمدي الذي لا ينقطع ، الذي كأنه لم يزل .

﴿ أَلَا إِن تُمود كفروا ربهم ﴾ أي: جحدوه بعد أن جاءتهم الآية المبصرة، ﴿ أَلَا بِعِداً لَشَمود ﴾ فيما أشقاهم وأذلهم، نستجير بالله من عذاب الدنيا وخزيها.

(۱۹ - ۱۹) (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشری) إلى آخر القصة (۲) أي: (ولقد جاءت رسلنا) من الملائكة الكرام، رسولنا (إبراهيم) الخليل (بالبشارة) أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه (قالوا سلاماً قال سلام) أي: سلموا عليه، ورد عليهم السلام.

ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كير كما هو معلوم في علم العربية.

﴿ فَمَا لَبُثُ إِبِرَاهِيمَ لَمَا دَخُلُوا عَلَيْهِ ﴿ أَنْ جَاء بِعَجُلُ حَنْيَلَ ﴾ أي: بادر لبيته، فاستحضر لأضيافه عجلاً مشوياً على الرضف سميناً، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟

﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ﴾ أي: إلى تلك الضيافة ﴿نكرهم وأوجس منهم خيفة ﴾ وظن أنهم أتوه بشر ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم.

⁽١) في ب: فيها.

⁽٢) في ب: أكمل الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾.

 فرقالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ أي: إنا رسل الله، أرسلنا الله إلى إهلاك قوم لوط.

وامرأة إبراهيم ﴿قائمة ﴾ تخدم أضيافه ﴿فضحكت ﴾ حين سمعت بحالهم وما أرسلوا به، تعجباً.

﴿ فَبِشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ فتعجبت من ذلك و ﴿ قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ﴾ فهذان مانعان من وجود الولد ﴿ إن هذا لشيء عجيب ﴾ .

﴿قالوا أتعجبين من أمر الله ﴾ فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته شيء، وخصوصاً فيما يدبره ويمضيه لأهل هذا البيت المبارك.

ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أي: لا تزال رحمته وإحسانه وبركاته، وهي: الزيادة من خيره وإحسانه، وحلول الخير الإلهي على العبد (عليكم أهل البيت إنه حميد مهات كمال، حميد الأفعال لأن أفعاله إحسان، وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط.

مجيد، والمجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها.

﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع ﴾ الذي أصابه من خيفة أضيافه ﴿ وجاءته البشرى ﴾ بالولد التفت حينتل إلى مجادلة الرسل في إهلاك قوم لوط، وقال لهم: ﴿ إِن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله إلا امرأته ﴾ .

﴿إن إبراهيم لحليم﴾ أي: ذو خلق حسن وسعة صدر وعدم غضب عند جهل الجاهلين.

﴿ أُواهِ أَي: متضرع إلى الله في جميع الأوقات، ﴿ منيب ﴾ أي: رجًاع إلى الله بمعرفته ومجبته، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، فلذلك كان يجادل عمن حتَّم الله بهلاكهم.

فقيل له: ﴿ يَا إِبراهِيم أَعرض عن

هذا ﴾ الجدال ﴿إنه قد جاء أمر ربك ﴾ بهلاكهم ﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ فلا فائدة في جدالك.

﴿ولما جاءت رسلنا﴾ أي: الملائكة الذين صدروا من إبراهيم لما أتوا ﴿لوطاً سيء بهم﴾ أي: شق عليه مجيئهم، ﴿وضاق بهم ذرعاً وقال هذا ينوم عصيب﴾ أي: شديد حرج، لأنه علم أن قومه لا يتركونهم، لأنهم في صور شباب جرد مرد، في غاية الكمال والجمال، ولهذا وقع ما خطر بباله.

ف ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ أي: يسرعون ويبادرون، يريدون أضيافه بالفاحشة، التي كانوا يعملونها، ولهذا قال: ﴿ومن قبل كانوا يعلمون السيئات﴾ أي: الفاحشة التي ما سبقهم عليها أحد من العالمين.

﴿قَالَ يَا قُومُ هؤلاء بِناتِي هن أَطهر لَكم ﴾ من أضيافي [وهذا كما عرض لسليمان ﷺ على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه لاستخراج الحبق ولعلمه أن بناته ممتنع منالهن ولا حق لهم فيهن والمقصود الأعظم دفع هذه الفاحشة الكبرى] (() ﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي ﴾ أي: إما أن تراعوا تقوى الله، وإما أن تراعوني في ضيفي، ولا تخزون عندهم.

﴿ أَلَيْسَ مَنكُم رَجِلَ رَشَيدَ﴾ فينهاكم ويزجركم، وهذا دليل على مروجهم وانحلالهم من الخير والمروءة.

ف ﴿قالُوا﴾ له: ﴿لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾ أي: لا نريد إلا الرجال، ولا لنا رغبة في النساء.

فاشتد قلق لوط عليه الصلاة والسلام، و ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ كقبيلة مانعة لنعتكم.

وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد، ولهذا لما بلغ الأمر منتهاه واشتد الكرب.

電源 | 展開語 | 「説表」 原題 قَالَ يَكَفُّومِ أَرْءَ يَنُّدُ إِن كُنتُ عَلَى يَيْتَ وَمِن زَّفَ وَوَالَّذِي مِنْهُ رَحْمَةً فَنَ يَنْصُرُ فِي رَاللَّهِ إِنْ عَصَيْدُ مُعْفَا الرَّبِدُونِي غَيْرَتَغْيِدِ ﴿ وَيَلِقُومِ هَلَذِهِ نَافَ أَاللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَسُوهَا بِمُوَّو فِأَخُذَكُرُ عَذَابٌ قِيبٌ ﴿ فَعَكَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِ دَالِكُرُ ثَلَنْتَةَ أَيَالِرَّ ذَالِكَ وَعُدُّعَنِي مَكْدُوبٍ ۞ فَلَمَاجِكَةَ أَمْرُهَا بَيِّنَا صَلِيمًا وَالَّذِيكَ مَامَنُوا مَعَكُهُ يِرَحُكَةِ مِنَّا وَمِنْ وَفِي يَوْمِبِ أَإِنَّ رَبِّكَ هُوَالْقُوتُ الْعَرْبِيرُ ۞ وَأَخَذَالَّذِينَ طَلَعُوا الصَّيْحَةِ فَأَصْبَحُوا فِي دِيكِ هِمْ جَكِيْمِينَ ۞ كَأَن لِّرَهِ مَنْ نَوَافِيهَا ۚ أَلَاإِنَّ كَمُورًا كَفَرُواٰ رَبُّهُمُّ أَلَابُعُمُا آيَتُهُودَ ۞ وَلَقَدْ جَلَةَتْ رُسُكُنّا إِزَعِيدِ مِ إِلْهُ مَرَىٰ قَالُوا سَلَتُأَ قَالَ سَلَدُ فَمَا لَيْكَ أَنْ جَآءَ بِعِجْلِ حَيْدُ ﴿ فَكَانَا ٓ أَنْدِتَهُمُّ لَانْفِيلُ الْسُونَكِرَهُمُّ وَأَفْحَسَ مِنْهُمُ حِفَّةٌ قَالُواْ لَا تَعَفْ إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَّ فَوْمِ لُوطٍ ۞ وَلَمْ إَنَّهُ فَآيَةُ الله فَصَحِكَتْ فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَزَّاء إِسْحَقَ يَمْ قُوبَ ۞ ODDANI BARRA

﴿قالوا﴾ له: ﴿إنا رسل ربك﴾ أي: أخبروه بحالهم ليطمئن قلبه، ﴿لن يصلوا إليك﴾ بسوء.

ثم قال جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، فانطلقوا يتوعدون لوطاً بمجيء الصبح، وأمر الملائكة لوطاً أن يسري بأهله ﴿بقطع من الليل ﴾ أي: بجانب منه قبل الفجر بكثير، ليتمكنوا من البعد عن قريتهم.

﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ أي: بادروا بالخروج، وليكن همكم النجاء ولا تلتفتوا إلى ما وراءكم.

﴿إلا امرأتك إنه مصيبها ﴾ من العذاب ﴿ما أصابهم ﴾ لأنها تشارك قومها في الإثم، فتدلهم على أضياف لوط إذا نزل به أضياف.

﴿إِن موعدهم الصبح ﴾ فكأن لوطاً استعجل ذلك، فقيل له: ﴿اليس الصبح بقريب ﴾ ﴿فلما جاء أمرنا ﴾ بنزول العذاب وإحلاله فيهم ﴿جعلنا ﴾ ديارهم ﴿عاليها سافلها ﴾ أي: قلبناها عليها حجارة من سجيل ﴾ أي: من حجارة النار الشديدة الحرارة ﴿منشود ﴾ أي: منتابعة تتبع من شذ عن القرية .

﴿مسومة عند ربك﴾ أي: معلمة، عليها علامة العذاب والغضب، ﴿وما هي من الظالمين﴾ الذين يشابهون لفعل

建筑 新原語 " 原原 قَالَتْ يَوَيْلَتَنَى عَأَلِهُ وَأَنَا عَجُورٌ وَهَلَا ابْعَىل شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيَّةً عَيِثُ ۞ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ّزَمْتُ اللَّهِ وَيَسَرَكُنْهُ عَلَيْكُ مُ أَهْلَ الْبَيْتُ إِنَّهُ رَحِيدٌ فِي مُلْقَادَهَ ﴿ فَلْقَادَهَ ا عَنْ إِزَهِهِ مَالَزَفَعُ وَيَمَاءَتُهُ ٱلْمُشْرَىٰ يُعَكِدِلْنَافِ فَوَرِلُولِ ﴿ إِنَّ إِزَّهِ مِدَاتَ مِلْ مُأْوَّةُ مُنِيبٌ ۞ يَنَا زَهِمِ مُأْعَرِضٍ مَنْ مَنْثَأَ إِنَّهُ وَلَا جَلَّةَ أَمْرُ زَيْكُ فَالْهُمْرَ وَالْتِيهِ مْ عَلَاكُ عَيْرُمُ فُودِ ۞ وَلَكَاجَآةَ قُرُسُكُنَا لُوطُاسِيَّ يَهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَيْعًا وَقَالَ هَنذَا يُؤْمُرُعَصِيبٌ ۞ وَيَلَتَمُونَوْمُهُ أَيْهُ رَجُونَ إِلَيْهِ وَمِن يَّتُلِكُافُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيْنَاتُ قَالَ يَكَوْمِ هَنَّوُلاَّةٍ بَنَاتِي هُنَّ أَلْهُرُلِكُمُّ فَاتَنْقُوا اللهُ وَلَا غَنْزُونِ فِي مَنْ فِي أَلْيَسَ مِن كُرْرَيُمُ لَ رَشِيدُهِ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَا لِكَ مِنْ حَقِّي وَإِنَّكَ لَتَمْ كَرُمَا نُرِيدُ @ قَالَ لَوْأَذَ لِي يَكُونُونَ أَوْ ءَاوِيَ إِلَى رُبِّ نِ شَدِيدٍ ۞ قَالُواْ يَكُوطُ إِنَّارُسُلُ رَبِّكَ لَن يَعِملُوا إِلَيْكٌ فَأَسْرٍ وَأَحْلِكَ بِيَعْلِع مِنَ ٱلَّيْلِ وَلَايَلْنَفِتْ مِنْكُمْ لَمَدُّ إِلَّا أَمْرَ إِلَّكَ إِنَّهُمُ مِيبُهَا مَا أَسَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُ وَالصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ بِفَرِيبٍ ٥ ASSESS TO LONGE OF

قوم لوط ﴿بِبعيد﴾ فليحذر العباد أن يفعلوا كفعلهم لئلا يصيبهم ما أصابهم.

﴿ ٨٤ _ ٩٥ ﴾ ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ إلى آخر القصة (١) أي: ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى مدين ﴾ القبيلة المعروفة اللين يسكنون مدين، في أدنى فلسطين ﴿ أخاهم ﴾ في النسب ﴿ شعيباً ﴾ لأنهم يعرفونه، وليتمكنوا من الأخذ عنه .

ف ﴿ قال ﴾ لهم: ﴿ يما قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، فإنهم كانوا يشركون به، وكانوا مع شركهم ميخسون المكيال والميزان، ولهذا نهاهم عن ذلك فقال: ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ بل أوفوا الكيل والميزان .

﴿إِنِي أُراكم بخير ﴾ أي: بنعمة كثيرة وصحة، وكثرة أموال وبنين، فاشكروا الله على ما أعطاكم، ولا تكفروا نعمة الله فيزيلها عنكم.

﴿وإِنِ أَخاف عليكم عذاب يـوم محيط﴾ أي: عذاباً يحيط بكم، ولا يبقى منكم باقية .

﴿ويها قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أي: بالعدل الذي ترضون أن تعطوه، ﴿ولا تبخسوا الناس

أشياءهم أي: لا تنقصوا من أشياء الناس، فتسرقوها بأخذها بنقص الكيال والميزان.

ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن الاستمرار على المعاصي، يفسد الأديان، والعقائد، والدين، والدنيا، ويهلك الحرث والنسل.

﴿بقيت الله خير لكم﴾ أي: يكفيكم ما أبقى الله لكم من الخير، وما هو لكم، فلا تطمعوا في أمر لكم عنه غنية، وهو ضار لكم جداً.

﴿إِن كنتم مؤمنين ﴾ فاعملوا بمقتضى الإيمان، ﴿وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ أي: لست بحافظ لأعمالكم ووكيل عليها، وإنما الذي يحفظها الله تعالى، وأما أنا فأبلغكم ما أرسلت به.

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ أي: قالوا ذلك على وجه التهكم بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له.

ومعنى كلامهم: أنه لا موجب لنهيك لنا، إلا أنك تصلي لله وتتعبد له، أفإن كنت كذلك، أفيوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل إلا أنه موافق لك، فكيف نتبعك ونترك آباءنا الأقدمين أولي العقول والألباب؟!

وكذلك لا يوجب قولك لنا: ﴿أَنْ نفعل في أموالنا﴾ ما قلت لنا من وفاء الكيل والميزان، وأداء الحقوق الواجبة فيها، بل لا نزال نفعل فيها ما شئنا لأنها أموالنا، فليس لك فيها تصرف.

ولهذا قالوا: في تهكمهم: ﴿إنك أنت الحليم الرشيد﴾ أي: أثنك أنت الخلم والوقار لك خلق، والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي، أي: ليس الأمر كذلك.

وقصدهم أنه موصوف بعكس هذين الوصفين: بالسفه والغواية. أي: أن المعنى: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، وآباؤنا هم السفهاء الغاوون؟!!

وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم، وأن الأمر بعكسه، ليس كما ظنوه، بل الأمر كما قالوه. إن صلاته تأمره أن ينهاهم عما كان يعبد آباؤهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأي: فحشاء ومنكر أكبر من عبادة غير الله، ومن منع حقوق عباد الله، أو سرقتها بالمكاييل والموازين، وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد.

﴿قال﴾ لهم شعيب: ﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أي: يقين وطمأنينة في صحة ما جئت به، ﴿ورزقني منه رزقاً حسناً ﴾ أي: أعطاني الله من أصناف المال ما أعطاني.

﴿و﴾ أنا لا ﴿أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ فلست أريد أن أنهاكم عن البخس في المكيال والميزان، وأفعله أنا، وحتى تتطرق إلى التهمة في ذلك. بل ما أنهاكم عن أمر إلا وأنا أول مبتدر لتركه.

﴿إِن أريد إلا الإصداح مسا استطعت﴾ أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي.

ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿وما توفيقي إلا بالله﴾ أي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي.

﴿عليه توكلت﴾ أي: اعتمدت في أموري ووثقت في كفايته، ﴿وإليه أنيب﴾ في أداء ما أمرني به من أنواع العبادات، وفي [هذا] التقرب إليه بسائر أفعال الخيرات.

وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ وقال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعن﴾.

عليهم العذاب.

رقيب ﴾ ما يحل بكم.

﴿ولما جاء أمرنا ﴾ بإهلاك قوم شعيب ونجينا شعيبأ والذين آمنوا معه فأصبحوا في ديارهم جاثمين، لا تسمع لهم صوتاً، ولا ترى منهم حركة ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، ولا تنعموا فيها حين أتاهم العذاب.

﴿ أَلَا بِعِداً لمُدِينَ ﴾ إذ أهلكها الله وأخزاها ﴿كما بعدت ثمود﴾ أي: قد اشتركت هاتان القبيلتان في السحق والبعد والهلاك.

وشعيب عليه السلام كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، وفي قصته من الفوائد والعبر شيء کثير .

منها: أن الكفار كما يعاقبون ويخاطبون بأصل الإسلام، فكذلك بشرائعه وفروعه، لأن شعيباً دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيضاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد مرتباً على مجموع ذلك.

ومنها: أن نقص المكاييل والموازين من كباتر الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان سرقتهم في المكاييل والموازين موجبة للوعيد، فسرقتهم ـعلى وجه القهر والغلبة _من باب أولى وأحرى.

ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك، وكان سبباً لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: ﴿إِن أَراكم بخير﴾ أي: فلا تسببوا إلى زواله بفعلكم.

ومنها: أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله ويقنع بالحلال عن الحرام وبالمكاسب الباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: البركة وزيادة الرزق ما ليس في

أنا أم أنتم، وقد علموا ذلك حين وقع ﴿وارتقبوا﴾ ما يحل بي﴿إني معكم

برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة

﴿بقية الله خير لكم ﴾ ففي ذلك من

فَلَمَّا حِسَآة أَمْرُنَا جَعَلْنَ عَلْيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَيْزًا عَلَيْهَا جَارَةً مِن سِجْمِل مَّنضُودٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبَكُّ وَمَا عِيِّ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدِ۞ • وَإِلَّى مَدِّينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبُ ۚ قَالَ يَنْغَوْمِ أَعْبُدُواْ اللَّهُ مَا لَكُم مِنْ اللَّهِ عَيْرُهُۥ وَلَانَقُهُوا ٱلْمُكَيّالَ وَٱلْمِزَاتُ إِنَّ أَرَيْكُ مِعَيْرِ وَإِنَّ لَغَافُ عَلَيْ كُمْ عَنَابَ يَوْمِ تُحِيطٍ ﴿ وَنَعَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمُصْكِيالَ وَٱلْمِيزَابَ بِٱلْقِسْطِّةَ وَلَا تَخْسُواْ النَّاسَ أَشْيَآةَ هُمُ وَلَاتَعْ فَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُغْسِدِيكَ ۞ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُدمُّ فَهِينِهُ وَمَا آَنَا عَلَيْكُم بِعَفِيظٍ ۞ قَالُواٰيَنشُعَيْبُ أَصِلَوْلُكَ تَأْمُرُكَ أَن تَنْرُكَ مَا يَصْبُدُ مَا إِلَا فَيَا أَوْ أَن نَفْعَكَ فِي أَمْوَ لِنَا مَا نَشَكُوُّ أَلِكَ لَأَنْتَ ٱلْخَلِيدُ مُ ٱلرَّشِيدُ ۞ قَالَ يَكَوْمِ أَزَةَ يَنْعُ إِن كُنْتُ

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE

everey " careco التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة.

عَلَىٰ يَيْنَةِ مِن رَّبِّ وَرَزَقَفِ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ

أَنْ أَخَالِفَكُمُ إِلَّا مَا أَنْهَكُوعَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَامُ

مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تُوْفِيقِ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكُلْتُ وَالْيُواللَّهِ ١

ومنها: أن ذلك من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به على وجود الإيمان، فدل على أنه إذا لم يوجد العمل فالإيمان ناقص أو معدوم.

ومنها: أن الصلاة لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشراتعه، فبإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها تختل أحواله الدينية .

ومنها: أن المال الذي يرزقه الله الإنسان ـ وإن كان الله قد خوله إياه ـ فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله، لا كما يزعمه الكفار ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاؤون ويختارون، سواء وافق حكم الله أو

ومنها: أن من تكملة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ

﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾ أي:

لا تحملنكم مخالفتي ومشاقتي﴿أن

يصيبكم من العقوبات (مثل ما

أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم

صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ لا

﴿واستغفروا ربكم﴾ عما اقترفتم

من الذنوب﴿ثم توبوا إليه﴾ فيما

يستقبل من أعماركم بالتوبة النصوح،

﴿إِن ربي رحيه ودود﴾ لمن تاب

وأناب، يرحمه فيغفر له، ويتقبل توبته

ويحبه، ومعنى الودود من أسمائه

تعالى، أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه،

فهو (فعول) بمعنى (فاعل) وبمعنى

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما

تقول ﴾ أي: تضجروا من نصائحه

ومواعظه لهم، فقالوا: ﴿مَا نَفْقُهُ كُثِّيرًا

ما تقول﴾ وذلك لبغضهم لما يقول،

﴿ وَإِنَّا لِنْرِاكُ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ أي: في

نفسك لست من الكبار والرؤساء بل

من المستضعفين، ﴿ولولا رهطك﴾

أي: جماعتك وقبيلتك ﴿ لرجمناك وما

أنت علينا بعزيز ﴾ أي: ليس لك قدر

في صدورنا، ولا احترام في أنفسنا،

ف ﴿قال﴾ لهم مترققاً لهم: ﴿يا

قوم أرهطى أعز عليكم من الله أي:

كيف تراعوني لأجل رهطي، ولا

تراعوني لله، فصار رهطي أعز عليكم

﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً ﴾ آي:

﴿إِنْ رِبِي بِسَا تَعْمَلُونَ مُعِيطًا

لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة

في الأرض ولا في السماء،

﴿وَ﴾ لما أعيوه وعجز عنهم قال:

﴿إِنْ عَامِلُ سُوفُ تَعَلَّمُونَ مِنْ يَأْتِيهُ

عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم

فسيجازيكم على ما عملتم أتم الجزاء.

﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم، أي:

نبذتم أمر الله وراء ظهوركم، ولم تبالوا

به ولا خفتم منه .

على حالتكم ودينكم .

وإنما احترمنا قبيلتك بتركنا إيّاك.

لامقعول).

ونفرتهم عنه .

والإنابة إليه بطاعته، وترك مخالفته.

في الدار ولا في الزمان.

SEE WILL I SEED TO وَلَكَةُوهِ لَا يَجْرِمَنَكُمْ مِنْقَاقَ أَنْ صُِلِكُمْ مِثْالُهُمَّا أَصَالَ قَوْرَفْج أَوْقَوْرَهُود أَوْقَوْرَصِكِلْ وَمَاقَةُ مُلُوط مِنصَيْد سَعِيدِ ۞ وَأَسْتَغَفُّواْ رَتَكَكُمْ ثُرَّةُ وُوَا الْتَدَّادِ ﴾ رَبِّي رَحَمْ وَدُودٌ ۞ قَالُوالِمَشْعَنْ مَاتَفْقَهُ كَمْ وَكُولُولُولُكُمُ الْمُثَالُقُولُ وَلِنَا لَذَيْكَ فِينَاضِعِهِ فَأَوْلُو لَارَهُ طُكَ لَيَجَمَّنَاكُ وَمَا أَنتَ عَلَيْكَ اِعَزِيزِ ۞ قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَهُ عِلَى أَعَرُّ عَلَيْكُ مِعْنَ الله وَأَتَّحَنَّ مُوهُ وَرَلَّهُ كُمْ ظِهْرِيًّا أَنَّ رَبِّي عَالَعُمَلُونَ مُحِيطُ ۞ وَبَنَقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَ كُمُ إِنَّ عَلَمْ أَتَّ سَوْفَ تَعْسَامُونَ مِن يَأْتِيهِ عَذَاتٌ يُخْرِيهِ وَمَنْ هُوَكَذِبُّ وَأَرْزَقِينُوا إِنَّ مَعَكُمْ رَقِيلٌ ﴿ وَلِمَّا جَلَّهُ أَمُّ فَا خَيْنَكُ شُعَيْبًا وَالَّذِيبَ الْمُوامَعَكُ رَحْمَةِ مِنْنَا وَإِنَّذَتِ الَّذِينَ طَلَعُوا الصَّيْحِيةُ فَأَصِّبَحُوافِ دِينرِهِرجَايْمِينَ ۞ كَأَن لِّرَيْفَتُوافِيقاً ٱلْاجْدُ الْدُيْنِ كَمَّابِعِدَتْ كَنُودُ ۞ وَلْقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَالِيِّنَا وَسُلْطَن مُّين ۞ إِلَافِيَعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ عَلَاَتُعُواْ أَمْرَ فِي رَعُونَ وَمَا أَمْرُ فِيرُ مَعُونَ بِرَشِيدِ ۞

تقولون ما لا تفعلون * كَبُرَ مَقْتَا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .

ومنها: أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم، إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان، فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها، أو بتحصيل ما يقدر عليه منها، وبدفع المفاسد وتقليلها، ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة.

وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد، وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية.

ومنها: أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح، لم يكن ملوماً ولا مذموماً في عدم فعله ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه.

ومنها: أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يزال مستعيناً بربه متوكلاً عليه، سائلاً له التوفيق، وإذا حصل له شيء من التوفيق، فلينسبه لموليه ومسديه، ولا يعجب بنفسه لقوله: ﴿وَمِا تَوفِيقِي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

ومنها: الترهيب بأخذات الأمم وما جرى عليهم، وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر.

كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى.

ومنها: أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه فإن الله تعلى يجبه ويوده، ولا عبرة بقول من يقول: "إن التائب إذا تاب، فحسبه أن يغفر له، ويعود عليه العفو، وأما عود الحب فإنه لا يعود». فإن الله قال: "واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود."

ومنها: أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون بعضها وقد بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين، لا بأس بالسعي فيها، بل رسما تعين ذلك، لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان.

فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية، لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية، وتحرص على إبادتها، وجعلهم عملةً وخَدَماً لهم.

نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين وهم الحكام، فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة، والله أعلم.

﴿ ١٠١ - ٢٠١ ﴾ وقول تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴾ إلى آخر القصة (١٠ . يقول تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا موسى ﴾ بن عمران ﴿ بآياتنا ﴾ الدالة على صدق ما جاء به ، كالعصا واليد ونحوهما من الآيات التي أجراها الله على يدي موسى عليه السلام .

﴿وسلطان مبين﴾ أي: حجة ظاهرة

بينة، ظهرت ظهور الشمس، ﴿إلَى فرعون وملئه﴾ أي: أشراف قومه لأنهم المتبوعون وغيرهم تبع لهم، فلم يتقادوا لما مع موسى من الآيات التي أراهم إياها كما تقدم بسطها في سورة الأعراف، ولكنهم ﴿فاتبعوا أمر فرعون برشيد﴾ بل هو ضرر فرعو، لا يأمر إلا بما هو ضرر عض، لا جرم - لما اتبعه قومه - أرداهم وأهلكهم.

﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود * وأتبعوا في هذه أي: في الدنيا ﴿لعنة ويوم القيامة أي: يلعنهم الله وملائكته والناس أجمعون في الدنيا والآخرة.

﴿بِئِسْ الرَّفَدُ الْمَرْفُودَ﴾ أي: بَئْس ما اجتمع لهم، وترادف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة.

ولما ذكر قصص هؤلاء الأمم مع رسلهم، قال الله تعالى لرسوله: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك﴾ لتنذر به، ويكون آية على رسالتك، وموعظة وذكرى للمؤمنين.

﴿منها قائم﴾ لم يتلف، بل بقي من آثار ديارهم ما يدل عليهم، ﴿وَ﴾ منها ﴿حصيد﴾ قد تهدمت مساكنهم، واضمحلت منازلهم، فلم يبق لها أثر، ﴿وما ظلمناهم ﴾ بأخذهم بأنواع العقوبات ﴿ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ بالشرك والكفر والعناد.

﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ وهكذا كل من التجأ إلى غير الله، لم ينفعه ذلك عند نزول الشدائد.

﴿ وما زادوهم غير تتبيب ﴾ أي: خسار ودمار، بالضد مما خطر ببالهم. ﴿ ١٠٢ ﴾ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أحند القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ أي: يقصمهم بالعذاب ويبيدهم، ولا ينفعهم ما كانوا يدعون من دون الله من شيء.

﴿إِن فِي ذَلَكَ﴾ المذكور من أخذه

١١ يَنْوَلُو الْمِثْنَ عَدُهُ وَمُدُوْمَ الْقِيكَ مَوْفَأَ وْيَدُهُمُ الْنَارُ وَيْسَالُوْرُهُ ٱلْمَوْرُودُ ۞ وَأَتَّبِهُوا فِي هَاذِهِ لَغَنَةٌ وَيَوْمَ الْقِيلَمَةُ بِفْسَ الزِفْدُ ٱلْمُزْفُودُ ۞ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْفُرَيٰ نَقُصُهُ مُ عَلَيْكٌ مِنْهَا فَآيِدُ وَحَصِيدٌ ۞ وَمَاظَلَمَنَاهُمْ وَلَا كِن ظَلَمُواْ أَنفُسهُ وَمُ أَغَنَتُ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَتْعُوكَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن مَّنَى مِلَّا جَلَةَ أَمْرُ رَبِّكُ وَمَازَادُوهُمْ غَيْرَ تَنِّيدٍ ۞ وَكَ نَالِكَ أَخْذُرَيْكَ إِنَّا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِي ظَالِمَتُّهُ إِنَّ لَغُذَهُ أَلِيدُ مُسَكِيدُ ﴿ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآئِكُ لِأَنِكُ لِمُنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةُ ذَٰلِكَ يَوْمُرُجَّنَهُ عُ لَٰذَالْنَاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشَّهُودٌ ۞ وَمَانُوْيَغِرُهُ إِلَّا لِأَجَلِ مَّعْدُودِ۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكُلُّمُ نَفْسُ إِلَّا بِإِذْ نِيرً فَيْنَهُ مُرْشَقِقٌ وَسَكِيدٌ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَعُوا فَيْ أَلْنَارِ لَمُتَمْ فِهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿ خَلِدِيرَ فِيهَا مَادَاسَتِ كُلُ السَّنَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلْمَاصًا مَرَيُّكُ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَّ لِلْآيُوبِ وُ ﴿ ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَيَ ٱلْجَنَّةِ وَخَلِدِينَ فِيهَامَادَامَتِ السَّمَوَتُ وَالْأَرْضُ إِلَّمَا مَا أَدَرُهُ قَا صَلَلَهُ عَيْرِيَجَ دُوذِ ۞

شك منه مريب * وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير * فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير * ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء شم لا تنصرون في يغبر تعالى أنه آتى موسى الكتاب الذي هو التوراة، الموجب للاتفاق على أوامره ونواهيه، والاجتماع، ولكن مع هذا فإن المنتسين إليه اختلفوا فيه اختلافاً أضر بعقائدهم وبجامعتهم الدينية.

DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخيرهم وعدم معاجلتهم بالعذاب ﴿لقضي بينهم ﴾ بإحلال العقوبة بالظالم ، ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن أخر القضاء بينهم إلى يوم القيامة ، وبقوا في شك منه مريب .

وإذا كانت هذه حالهم مع كتابهم فمع القرآن الذي أوحاه الله إليك غير مستغرب من طائفة اليهود، أن لا يكونوا في شك منه مد.

﴿ وإن كل لله اليوفسينهم ربسك أعمالهم ﴾ أي: لا بدأن الله يقضي بينهم (١) يوم القيامة بحكمه العدل فيجازي كلا بما يستحقه.

﴿إِن ربك فعال لما يريد ﴾ فكل ما أراد فعله واقتضته حكمته فعله تبارك وتعالى، لا يرده أحد عن مراده.

﴿وأما الذين سعدوا﴾ أي: حصلت لهم السعادة، والفلاح والفوز، ﴿فقي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ ثم أكد ذلك بقوله: ﴿عطاء غير مجلوذ﴾ أي: ما أعالمة، فإنه دائم مستمر، غير منقطع بوقت من الأوقات، نسأل الله الكريم من فضله.

﴿١٠٩﴾ ﴿فلاتك في مرية عايعبد هؤلاء ما يعبدون إلاً كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ يقول الله تعالى لرسوله عمد ﷺ: ﴿فلاتك في مرية عما يعبد هؤلاء﴾ المشركون، أي: لا تشك في حالهم، وأن ما هم عليه باطل، فليس لهم عليه دليل شرعي ولا عقلي، وإنما دليلم وشبهتهم أنهم ﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾.

ومن المعلوم أن هذا ليس بشبهة ، فضلاً عن أن يكون دليلاً ، لأن أقوال ما عدا الأنبياء يحتج بلها لا يحتج بها ، خصوصاً أمثال هؤلاء الضالين الذين كثر خطأهم وفساد أقوالهم في أصول الدين ، فإن أقوالهم وإن اتفقوا عليها ، فإنها خطأ وضلال .

﴿ورانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ أي: لا بد أن ينالهم نصيبهم من الدنيا، مما كتب لهم وإن كثر ذلك النصيب، أو راق في عينك، فإن الله يعطي الدنيا من يجب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين الصحيح إلا من يجب. والحاصل أنه لا يغتر باتفاق الضالين على قول الضالين من آبائهم الأقدمين، ولا على ما خولهم الله وأتاهم من الدنيا.

﴿ ١١٠ ـ ١١٣ ﴾ ﴿ ولـ قــد آتـينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفي للظالمين بأنواع العقوبات، ﴿لاَية لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ أي: لعبرة ودليلاً على أن أهل الظلم والإجرام لهم العقوبة الأخروية، ثم انتقل من هذا إلى وصف الآخرة، فقال: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ أي: حسعسوا لأجسل ذلسك اليوم وسلطانه وعدله العظيم ما به يعرفونه حق المعرفة.

﴿وذلك يسوم مسهود ﴾ أي: يشهده الله وملائكته وجميع المخلوقين، ﴿وما نؤخره ﴾ أي: إتيان يوم القيامة ﴿إلا لأجل معدود ﴾ إذا انقضى أجل الدنيا وما قدر الله فيها من الخلق، فحينتنذ ينقلهم إلى الدار الأخرى، ويجري عليهم أحكامه الجزائية، كما أجرى عليهم في الدنيا أحكامه الشرعية.

﴿يوم يأت﴾ ذلك اليوم، ويجتمع الخلق ﴿لا تكلم نفس إلا بإذنه كتى الأنبياء والملائكة الكرام، لا يشفعون إلا بإذنه، ﴿فصنهم أي: الخلق ﴿شقي وسعيد﴾ فالأشقياء هم الذين كفروا بالله وكذبوا رسله وعصوا أمره، والسعداء هم: المؤمنون المتقون.

وأما جزاؤهم ﴿فَأَما الذّين شقوا﴾ أي: حصلت لهم الشقاوة والخزي والفضيحة، ﴿فَفَي النار﴾ منغمسون في عذابها، مشتد عليهم عقابها، ﴿لهم فيها﴾ من شدة ما هم فيه ﴿زفير وشهيق﴾ وهو أشنع الأصوات وأتبحها.

﴿خالدين فيها﴾ أي: في النار التي هذا عذابها ﴿ما دامت السماوات والأرض إلا ما شماء ربك﴾ أي: خالدين فيها أبداً إلا المدة التي شاء الله أن لا يكونوا فيها، وذلك قبل دخولها، كما قاله جمهور المفسرين، فالاستثناء على هذا راجع إلى ما قبل دخولها، فهم خالدون فيها جميع الأزمان، سوى الزمن الذي قبل الدخول فيها.

فَلَانَكُ فِي مِرْبِيةٍ مِّمَانِقُ مُ هَوُّلًا مَا مَعُ دُونِ إِلَّا كَمَا مَعْمُ وُ ءَابَآؤُهُم مِن قِبُلُ وَإِنَّالُمُوفُوهُمْ ضِيبَهُمْ عَيْرَمَنَقُومِ ۞ وَلَقَدْ ءَالِيِّنَامُوسَى ٱلْكِنْبَ فَأَخْلُفَ فَهُ وَلَوْ لَا كَلَمَةً سَبَقَتْ مِن زَيِّكَ لَقُضِي بَيْنَهُمُّ وَلِأَهُمْ لِنَي شَكِيمِنَهُمُ مِي ٥ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُومِّينَ هُمْ رَدُّكِ أَعْمَالُهُمَّ أَنَّهُ مِمَامِعَمَلُهُ جَيرُ ۞ فَاسْتَقِعْ كُمَا أَمِنْ وَمَن تَابَمَعَكَ وَلَاتَظُغُوَّا إِنَّهُ بِمَا تَمْ عَلُونَ بَعِيدٌ ۞ وَلَا رَجَكُ وَالْمَ الَّذِينَ طَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُم مِن دُونِ أَهُومِنْ أَوْلِيَاتَهُ ثُمَّ لَانْصَرُونَ ۞ وَأَقِيهِ الصَّلَوْةِ طَرَقَ النَّهَادِ وَزُلْفًا مِنَ ٱلْيِثْلُ إِنَّ ٱلْحَسَنَتِ يُدُومِنَ ٱلسَّيْعَاتِ ذَلِكَ ذِحْرَيْ لِلدِّكِينَ ۞ وَأَصْبِرُ فَإِنَّ أَلْقَ لَا يُصِيعُ أَجْزَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُدُونِ مِن قَبَلِكُمْ أُولُوا فِيَتَقِيَّهُونَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِ ٱلْأَرْضِ إِلَاقِلِيلَامِتَنَ أَنِيْنَ المِنْهُ وَالْبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَّا أَرَّفُوا فِيهِ وَكَانُواْ مُجَّرِهِ يِنَ ۞ وَمَاكَانَ رَبُّكَ إِنَّهُ إِنَّ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْهِ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُ نَ اللَّهِ وَالْمُلْمَا مُصْلِحُ نَ aguagu " Egrapa

﴿إنه بما يعملون﴾ من خير وشر ﴿خبير﴾ فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم دقيقها وجليلها.

ثم لما أخبر بعدم استقامتهم التي أوجبت اختلافهم وافتراقهم، أمر نبيه محمداً على ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا ينغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة.

وقوله: ﴿إنه بما تعملون بصير﴾
أي: لا يخفى عليه من أعمالكم شيء،
وسيجازيكم عليها، ففيه ترغيب
لسلوك الاستقامة وترهيب من ضدها،
ولهذا حذرهم عن الميل إلى من تعدى
الاستقامة فقال: ﴿ولا تركنوا﴾ أي:
لا تميلوا ﴿إلى الذين ظلموا﴾ فإنكم إذا
ملتم إليهم وافقتموهم على ظلمهم، أو
رضيتم ما هم عليه من الطلم
فتمسكم النار﴾ إن فعلتم ذلك ﴿وما
لكم من دون الله من أولياء﴾ يمنعونكم
من عذاب الله، ولا يحصلون لكم شيئا

﴿ثم لا تنصرون﴾ أي: لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم.

وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الطلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟!! نسأل الله العافية من الظلم.

﴿ ١١٤ - ١١٤ ﴾ ﴿ وأقع المصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ يأمر تعالى بإقامة الصلاة كاملة ﴿ طرفي النهار ﴾ أي: أوله وآخره، ويدخل في هذا صلاة الفجر، وصلاتا الظهر والعصر، والغال ﴾ ويدخل في ذلك ﴿ وزلفاً من الليل ﴾ ويدخل في ذلك صلاة المغرب والعشاء، ويتناول ذلك قيام الليل، فإنها عما تزلف العبد وتقربه إلى الله تعالى.

(إن الحسنات يذهبن السيئات وما أي: فهذه الصلوات الخمس، وما ألحق بها من التطوعات من أكبر الحسنات، وهي: مع أنها حسنات تقرب إلى الله وتوجب الثواب، فإنها تذهب السيئات وتمحوها، والمراد بذلك الصغائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي همثل قوله: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى المصدوات الخمس، والجمعة إلى مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»، المحما قيدتها الآية التي في سورة بل كما قيدتها الآية التي في سورة بلئر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً ».

ذلك لعل الإشارة لكل ما تقدم من لزوم الاستقامة على الصراط المستقيم وعدم مجاوزته وتعديه، وعدم الركون إلى الذين ظلموا، والأمر بإقامة

الصلاة، وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، الجميع ﴿ذكرى للذاكرين﴾ يفهمون بها ما أمرهم الله به ونهاهم، ويمتثلون لتلك الأوامر الحسنة المشمرة للخيرات، الدافعة للشرور والسيئات، ولكن تلك الأمور تحتاج إلى مجاهدة النفس والصبر عليها، ولهذا قال:

﴿واصبر﴾ أي: احبس نفسك على طاعة الله، وعن معصيته، وإلزامها لذلك، واستمر ولا تضجر.

﴿ فَإِنَ الله لا يضيع أَجِر المحسنين ﴾ بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، وفي هذا ترغيب عظيم للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله كلما ونت وفترت.

﴿ ١٦٢﴾ ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً عمن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا المحدمين ﴾ لما ذكر تعالى إهلاك الأمم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل يدعون إلى ألهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جداً.

وغاية الأمر أنهم نجوا باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، وبكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بيئة (١٠).

﴿و﴾ لكن ﴿اتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلاً.

﴿وكانوا بجرمين﴾ أي: ظالمين باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب، واستأصلهم العذاب. وفي هذا حث لهذه الأمة أن يكون

جاء في هامش أ ما نصه: (والمعروف في تفسيرها غير هذا المعنى الذي ذكر هنا، وهو أن هذا بمعنى النفي، أي: إنه لم يكن في القرون السالفة أو لو بقية . . . الخ، ﴿إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ أي: لكن بقي قليل بهذه الصفة، وهو قريب من المعنى الذي ذكرنا لكن ما ذكرنا في الأصل . . .) ثم لم يتضح باقي الكلام لإصابته بالبلل، وهو يسير .

فيهم بقايا مصلحون لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذي، ويبصرونهم من العمي.

وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون إماماً في الدين، إذا جعل عمله خالصاً لربّ

﴿١١٧﴾ ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ أي: وما كان الله ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، والحال أنهم مصلحون، أي: مقيمون على الصلاح، مستمرون عليه، فما كان الله ليهلكهم إلا إذا ظلموا وقامت عليهم حجة الله.

ويحتمل أن المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم السابق، إذا رجعوا وأصلحوا عملهم، فإن الله يعفو عنهم، ويمحو ما تقدم من

﴿٨١١ـ١١٩﴾ ﴿وليو شياء ربيك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ يَجْبُر تَعَالَى أَنَّهُ لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالون مختلفين محالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق فيما قاله، والضلال في قول غيره.

﴿ إِلَّا مِن رحم ربك ﴾ فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق

وأما من عداهم فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم .

وقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي: اقتضت حكمته أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله،

والفريق الذين حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، وليقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان

﴿و﴾ لأنه ﴿عت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ فلا بد أن ييسر للنار أهلاً، يعملون بأعمالها الموصلة إليها.

﴿١٢٠ ـ ١٢٣﴾ ﴿وكلاً نسقيص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين * وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون * ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك أي: قلبك ليطمئن ويثبت، ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به.

﴿وجاءك في هذه السورة ﴿ الحق﴾ اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس.

﴿ وموعظة وذكري للمؤمنين ﴾ أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويستنذكرون الأمنور المحبوبة لله فيفعلونها.

وأما من ليس من أهل الإيمان فلا تنفعهم المواعظ وأنواع التذكير، ولهذا قال: ﴿وقل للذين لا يؤمنون ﴿ بعدما قامت عليهم الآيات، ﴿اعملوا على مكانتكم أي: حالتكم التي أنتم

THE REPORT OF THE PARTY OF THE وَلَوْ شَآةَ رَقُكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أَمَّةً وَعِيدَةً وَلَايِزَالُونَ مُعْنَلِفِينَ @ إِلَّامَن رَّجِهَ رَبُّكُ وَلِنَالِكَ خَلَقَهُمُّ وَتَمَنَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَا مَرِينَ أَيْحَنَةِ وَالنَّاسِ أَجْعَدِينَ ۞ وَكُلَّا تَقْتُسُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبُلَا ٱلرُّسُلِ مَا نُشَيِّتُ بِهِ وَفُوَادَكُ وَحَلَمَكَ فَي هَاذِهِ ٱنْحَقُّ وَمَوْعِظَةً وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقُلِ لَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ آغَلُواْعَلَىٰ مَكَانَيْكُمْ إِنَّا عَكِيلُونَ ۞ وَٱنْفِطْ وَالْأَصْلَالِيَّا مُنْفِطْرُونَ ۞ وَيَوْعَيْبُ ٱلسَّكُوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَالَّذِو يُرْجَعُ ٱلْأَرْمُثُكُّدُ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهُ وَمَارَبُّكَ بِعَلَفِل عَمَّاتَعْ مَلُونَ ٥ والمنظقة المنظقة المنظمة المنظمة المنظمة المنظقة المنظمة المنظ الَّهُ عَلْكَ ءَايَتُ ٱلْكِنْكِ ٱلْمِينِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَكُ مُرَّةً مَّنَّا عَرَبِيًّا لَعَلَقَ عُمِّقَ فَعُقِلُونَ ۞ غَنْ تَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الفَصَي بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَلْذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَين فَيْلِهِ لِنَ ٱلْعَلِينَ ۞ إِذْقَالَ يُوسُفُ لِأَيهِ يَنَابَتِ إِنِّي رَأَيْتُ المَاعَثَرَكَوْكَبَاوَالشَّنْسَوَالْقَمَرَ رَأَيْنُهُمْ لِي سَلَجِدِينَ ۞ 020002 110 20000

علما ﴿إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ على ما كنا عليه ﴿وانتظروا﴾ ما يحل بنا ﴿إنَّا منتظرون﴾ ما يحل بكم.

وقد فصل الله بين الفريقين، وأرى عباده نصره لعباده المؤمنين، وقمعه لأعداء الله المكذبين.

﴿ولله غيب السماوات والأرض﴾ أي: ما غاب فيهما من الخفايا، والأمور الغيبية .

﴿وإليه يسرجع الأمسر كسله ﴾ من الأعمال والعمال، فيميز الخبيث من الطيب ﴿فاعبده وتوكل عليه ﴾ أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك.

﴿وما ربك بغافل عما تعملُون﴾ من الخير والشر، بل قد أحاط علمه بذلك، وجرى به قلمه، وسيجري عليه حكمه وجزاؤه.

تم تفسير سورة هود والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وسلم [وكان الفراغ من نسخه في يوم السبت فی ۲۱ من شهر ربيع الآخر ١٣٤٧](١)

المجلد الرابع من تيسير الكريم الرحمن في تغسير كلام الرب المنان لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أمين

Carrier a قَالَ يَكُنُونَ لَاتَقْصُصْ رُوْمَاكُ عَلَيْهِ إِنَّ فَيَكُدُواْ لَكَ كَيْدًا الْمُ إِذَالشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوَّتُهُ بِينٌ ۞ وَكَذَالِكَ يَعْتَبِيكَ رَبُّكِ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْآخَادِيثِ وَيُسْتُمُ مِعَلَيْكَ وَعَلَىٰ الريعَ فُوبَكُما أَنَّمُها عَلَىٰ أَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِزْهِيمَ وَالْعُورُ إِذَ رَبَّكِ عَلَى مُرَكِكُ فِي • لَقَدْ كَانَ فِي وَسُفَ وَالْحَيَّةِ ءَايَتُ لِلسَّ آبِلِينَ ۞ إِذْ قَالُواْ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُ إِلَىَ لَيِنَامِنَا وَغَنُ عُصَبَةً إِنَّ أَبَانَا لَهِ صَلَالِ مُّدِيبٍ ۞ ٱقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِالْلَهُ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَتَعَالَمُ وَلَا اللَّهِ وَتَكُونُواْ مِنْ بَعْدِهِ مِقْوَمًا صَلِيحِينَ ۞ قَالَ قَلَابِلُ مِنْ لَهُمُ لَا نَقَنَّكُوا يؤيكفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيْبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْنَقِطُهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُم فَكِيلِينَ ۞ قَالُواْ يَتَأَبَّانَا مَالَكَ لَانَامُتُنَاعَلَى وُسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُوبَ ۞ أَرْسِلُهُ مَعَنَاعَنَا يَرْتِعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَمُلْحَنفِظُونَ ۞ قَالَ إِنَّ لِيَحْرُثُنَّ آَنَ نَذْ عَبُولُهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَةُ ٱلذِّنْ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَنِهُ وَكِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ أَكَلَهُ ٱلذِّقْبُ وَنَحْنُ عُمْسِكَةً إِنَّا إِذَا لَّحَلِيمُ ون ٥ TOWNSON IN MORE MADE

تفسير سورة يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام وهي مكيـــة

﴿١ - ٣﴾ ﴿بسم الله السرحسن الله السرحسن الرحيم الرتلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ يخبر تعالى أن آيات القرآن هي ﴿آيات الكتاب المبين﴾ أي: البين الواضحة ألفاظه ومعانيه، ومن بيانه وإيضاحه:

أنه أنزله باللسان العربي، أشرف الألسنة، وأبينها، [المين لكل ما يحتاجه الناس من الحقائق النافعة] (١) وكل هذا الإيضاح والتبيين ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي: لتعقلوا حدوده وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه.

فإذا عقلتم ذلك بإيقانكم، واتصفت قلوبكم بمعرفتها، أثمر ذلك عسمل الجوارح والانقياد إليه، و للعلكم تعقلون أي: تزداد عقولكم بتكرر المعاني الشريفة العالية، على أذهانكم، فتنتقلون من حال إلى أحوال أعلى منها وأكمل.

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص» وذلك لصدقها وسلاسة

عبارتها ورونق معانيها، ﴿بِما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ أي: بما اشتمل عليه هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، وفضلناك به على سائر الأنبياء، وذاك محضُ مُثّةٍ من الله وإحسان.

﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ أي: ما كنت من قبله لمن الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحي الله إليك، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا.

ولما مدح ما اشتمل عليه هذا القرآن من القصص، وأنها أحسن القصص على الإطلاق، فلا يوجد من القصص في شيء من الكتب مثل هذا القرآن، ذكر قصة يوسف، وأبيه وإخوته، القصة العجيبة الحسنة، فقال:

﴿٤ _ ٦ ﴾ ﴿إذ قبال يبوسف الأبيه يا أبت إن رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * قال یا بنی لا تقصص رؤیاك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم، واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة ، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحاً، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسيو، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير .

فعلى العبدأن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي على ينقل.

فَقُولُه تعالى: ﴿إِذْ قِالَ يُوسِف

لأبيه پعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام: ﴿يا أبت إن رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴿ فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة.

وهكذا إذا أراد الله أمراً من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلاً لأمره، واستعداداً لما يرد على العبد من المشاق، لطفاً بعبده، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والمقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاماً، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه له، وإقام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض.

وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاً له فيها، ولهذا قال:

﴿وكذلك بجتبيك ربك ﴾ أي: يصطفيك ويختارك بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة ، ويعلمك من تأويل الأحاديث أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تؤول إليه ونحوها، ﴿ويتم نعمته عليك ﴾ في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ﴾ حيث أنعم الله عليهما، بنعَم عظيمة واسعة، دينية، ودنوية.

﴿إِن ربك عليم حكيم ﴾ أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر العباد من البر وغيره، فيعطي كلاً ما تقتضيه حكمته وحمده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها.

ولما بان تعبيرها ليوسف، قال له أبوه:

﴿ يِا بِنِي لا تقصص رؤياكُ على

CAN CITYLE IN CENTRAL PROPERTY. فَلَمَا ذَهَبُواْبِهِ وَأَجْمُعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَلَبَ ٱلْحُبُّ وَأَوْجُنَّ الِّيُّولَتُنَبِّنَنَّهُمُ وَأَمْرِهُمُ هَاذَا وَهُمْ لَايَشْعُ وَي ٥ وَجَلَّاوُ أَبَاهُرْعِشَآءً يَنْكُونَ ۞ فَالْوَانِيَّأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْ انْسَتَبْقُ وَرَكَ نَايُوسُفَ عِندَ مَتَكِعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّنْبُ وَمَاأَتَ بِمُوْمِن لِّنَاوَلُوْكُنَّا صَلِيقِينَ ۞ وَجَمَّاءُوعَلَ فِيصِيهِ بِمَوِكَدِّبُ قَالَ بَلْ سَوَّلَتَ لَكُمْ أَنفُكُمْ أَمْرُ أُمَّا أَضَمَرُ عَيداً وَاللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ ۞ وَجَآةَتَ سَيَّارَةً كَأْرْسَكُواْ وَارِيَهُمْ مَ فَأَدْ لَنْ دَلْوَيْمُ قَالَ يَكِيشُرَىٰ هَا خَالَمُ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةٌ وَالْقَهُ عَلِيهُ مُ كِمَايَقُ مَكُونَ ۞ وَمُنْزَوْهُ بثكن بخس ذكاهد ممع محافرة وكاثوا فيدمن الزهدين ۞ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَنَّهُ مِن مِعْمَرُ لِأَثْرَ أَلِيرَ ٱلْحَرِي مَثْوَلَهُ عَسَىٰ أَن يَنفَضَا أَوْنَتَخِذَهُ وَلِدَأُ وَكَ ذَلِكَ مَكَنَّا إ يُوسُفَ فِ ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِمَهُ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ اللهُ عَالِبُ عَنَ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَحْمَرُ النَّاسِ لَا يَعْمَدُونَ ۞ وَلَمَّ بَلَغَ الشُدَّهُ وَمَا تَيْنَهُ مُحَكِّمًا وَعِلْماً وَكَنْ اللهِ بَيْنَ الْخُسِينِينَ ﴿

تذهبوا به اي: بجرد ذهابكم به يزنني ويشق عَلى، لأنني لا أقدر على فراقه، ولو مدة يسيرة، فهذا مانع من إرساله ﴿وَ هُ مانع ثان، وهو أني ﴿أَحَافُ أَنْ يَأْكُلُهُ الذَّئْبُ وأَنْتُم عنه عَافَلُونَ ﴾ أي: في حال غفلتكم عنه، لأنه صغير لا يمتنع من الذّئب.

﴿قالوالئن أكله الذئب ونحن عصبة ﴾ أي: جماعة، حريصون على حفظه، ﴿إِنا إِذَا لِخَاسِرون ﴾ أي: لا خير فينا ولا نفع يرجى منا إن أكله الذئب وغلبنا عليه.

فلما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حينتل بإرساله معهم لأجل أنسه.

﴿ ١٥ ـ ١٨ ﴾ ﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم يبكون * قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين * وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ أي: لما ذهب إخوة يوسف بيوسف بعد ما أذن له أبوه، وعزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب، كما قال قائلهم السابق ذكره، وكانوا قادرين على ما أجعوا عليه، فنفذوا فيه قدرتهم، وألقوه في عليه، فنفذوا فيه قدرتهم، وألقوه في

﴿١٠﴾ ﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ أي: ﴿قائل قائل﴾ من إخوة يوسف الذين يوسف﴾ فإن قتله أعظم إثماً وأشنع، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، ولكن توصلوا إلى تبعيده بأن تلقوه ﴿في غيابة الجب﴾ وتتوعدو، على أنه لا يخبر بشأنكم، بل على أنه عبد عملوك آبق منكم، لأجل أن عبد عملوك آبق منكم، لأجل أن مكاناً بعيداً، فيحتفظون فيه.

وهذا القائل أحسنهم رأياً في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل، فلما اتفقوا على هذا الرأى.

﴿١١ _ ١٤﴾ ﴿قالوًا يا أبانا ما لك لا تأمنا على بوسف وإناله لناصحون * أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون * قال إنى ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذنب وأنتم عنه خافلون * قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذأ لخاسرون﴾ أي: قال إخوة يوسف، متوصلين إلى مقصدهم لأبيهم: ﴿يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ أي: لأي: شيء يدخلك الخوف مناعلي يوسف، من غير سبب ولا مىوجىب؟ ﴿و﴾ الحال ﴿إنا له لناصحون﴾ أي: مشفقون عليه، نود له ما نود لأنفسنا، وهذا يدل على أن يعقوب عليه السلام لا يترك يوسف يذهب مع إخوته للبرية ونحوها.

فلما نفوا عن أنفسهم التهمة المانعة من عدم إرساله معهم، ذكروا له من مصلحة يوسف وأنسه الذي يحبه أبوه له، ما يقتضي أن يسمح بإرساله معهم، فقالوا:

﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ أي: يتنزه في البرية ويستأنس، ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي: سنراعيه، ونحفظه من أذى يريده.

فأجابهم بقوله: ﴿إِنِّ ليحزنني أن

إخوتك فيكيدوا لك كيداً ♦ أي: حسداً من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم.

﴿إِن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ لا يفتر عنه ليلاً ولا نهاراً، ولا سراً ولا جهاراً، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم.

♦ القد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين * إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين يقول تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات﴾ أي: عبر وأدلة على كثير من المطالب الحسنة، ﴿للسائلين﴾ أي: لكل من سأل عنها بلسان الحال أو يستفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا في القصص والبينات.

﴿إِذْ قَالُوا﴾ فيما بينهم: ﴿ليوسفُ وَأَحُوهُ بَنِيامِينَ، أَي: شقيقه، وإلا فكلهم إخوة، ﴿أحب إِلَى أَبِينَا مِنَا وَنَحَنْ عَصِبَةَ﴾ أَي: جماعة، فكيف يفضلهما علينا بالمحبة والشفقة، ﴿إِن أَبَانَا لَفِي ضَلَالُ مَبِينَ﴾ أي: لفي خطأ بين، حيث فضلهما علينا من غير بين، حيث فضلهما علينا من غير موجب نراه، ولا أمر نشاهده.

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً ﴾ أي: غيبوه عن أبيه في أرض بعيدة لا يتمكن من رؤيته فيها.

فإنكم إذا فعلتم أحد هذين الأمرين ﴿ يَحْلُ لَكُم وجه أبيكم ﴾ أي: يتفرغ لكم، ويقبل عليكم بالشفقة والمحبة، فإنه قد اشتغل قلبه بيوسف شغلاً لا يتفرغ لكم، ﴿ وتكونوا من بعده ﴾ أي: من بعد هذا الصنيع ﴿ قوماً صالحين ﴾ أي: تتوبون إلى الله، وتستغفرون من بعد ذبكم.

فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلاً لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطاً من بعضهم لبعض.

الجب، ثم إن الله لطف به بأن أوحى إليه وهو في تلك الحال الحرجة، خلتنبشنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون أي: سيكون منك معاتبة لهم، وإخبار عن أمرهم هذا، وهم لا يشعرون بذلك الأمر، ففيه بشارة له، بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض.

﴿وجاؤوا أباهم عشاء يبكون﴾ ليكون إتيانهم متأخراً عن عادتهم، وبكاؤهم دليلاً لهم، وقرينة على صدقهم، فقالوا متعذرين (١) يغذر كاذب من ﴿يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ توفيراً له وراحة، ﴿فاكله الذئب﴾ في حال غيبتنا عنه في استباقنا، ﴿وما أنت تعذرنا بهذا العذر، والظاهر أنك يوسف، والرقة الشديدة عليه.

ولكن عدم تصديقك إيانا، لا يمنعنا أن نعتذر بالعذر الحقيقي، وكل هذا تأكيد لعذرهم، ﴿وَ عَمَا أكدوا به قولهم، أنهم ﴿جاؤوا على قميصه بدم كذب وعموا أنه دم يوسف حين أكله الذئب، فلم يصدقهم

أبوهم بذلك، و ﴿قال﴾: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً ﴾ أي: زينت لكم أنفسكم أمراً قبيحاً في التفريق بيني وبينه، لأنه رأى من القرائن والأحوال [ومن رؤيا يوسف التي قصها عليه](٢) ما ذله على ما قال.

﴿فصبر جيل والله والمستعان على ما تصفون ﴾ أي: أما أنا فوظيفتي سأحرص على القيام بها، وهي أن أصبر على هذه المحنة صبراً جيلاً، سالماً من السخط والتَّشكي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوي، فوعد من نفسه هذا الأمر وشكى إلى خالقه في قوله: ﴿إنما الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل، لأن النبي إذا وعد وفي.

﴿۱۹ ـ ۲۰ ﴾ ﴿وجاءت سيسارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون * وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي: مكث يوسف في الجب ما مكث، حتى ﴿جاءت سيارة ﴾ أي: قافلة تريد مصر، ﴿ فَأُرسِلُوا وَارِدُهُم ﴾ أي: فرطهم ومقدمهم، الذي يعس لهم المياه، ويسبرها ويستعد لهم بتهيئة الحياض ونحو ذلك، ﴿فأدلى ذلك الوارد ﴿دلوه﴾ فتعلق فيه يوسف عليه السلام وخرج، ﴿قال يا بشرى هذا غلام﴾ أي: آستبشر وقال: هذا غلام نفيس، ﴿وأسروه بضاعة﴾ وكان إخوته قريباً منه، فاشتراه السيارة منهم، ﴿بِثمن بخس، أي: قليل جداً، فسره بقوله: ﴿دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾.

لأنه لم يكن لهم قصد إلا تغييبه وإبعاده عن أبيه، ولم يكن لهم قصد في أخذ ثمنه، والمعنى في هذا: أن السيارة لما وجدوه، عزموا أن يُسِرُوا أمره، ويجعلوه من جملة بضائعهم التي معهم، حتى جاءهم إخوته فزعموا أنه عبد أبق

منهم، فاشتروه منهم بذلك الثمن، واستوثقوا منهم فيه لثلا يهرب، والله أعلم.

﴿٢١﴾ ﴿وقال اللذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدأ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي: لما ذهب به السيارة إلى مصر وباعوه بها، فاشتراه عزيز مصر، فلما اشتراه، أعجب به، ووصى عليه امرأته وقال: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ أي: إما ينفعنا كنفع العبيد بأنواع الخدم، وإما أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا، ولعل ذلك أنه لم يكن لهما ولد، ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي: كما يسرنا أن يشتريه عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق.

ولنعلمه من تأويل الأحاديث اذا بقي لا شغل له ولا هَمْ له سوى العلم صار ذلك من أسباب تعلمه علما كثيراً، من علم الأحكام، وعلم التعبير، وغير ذلك، ﴿والله غالب على مبطل، ولا يغلبه مغالب، ﴿ولكن أَمْره للا يعلمون الناس لا يعلمون الخذلك يجري منهم ويصدر ما يصدر، في مغالبة أحكام الله القدرية، وهم أعجز وأضعف من ذلك.

﴿٢٢﴾ ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين أي: ﴿لما بلغ وسف ﴿أشده ﴾ أي: كمال قوته المعنوية والحسية ، وصلح لأن والرسالة ، ﴿آتيناه حكماً وعلماً ﴾ أي: جعلناه نبياً رسولاً ، وعالماً ربانياً ، ﴿وكذلك نجزي المحسنين ﴾ في عبادة الله ببذل الجهد والنصح فيها ، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم ، نوتيهم من جملة الجزاء على إحسانهم

علماً نافعاً.

ودل هذا، على أن يوسف وفَّ مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس، والعلم الكثير والنبوة.

﴿۲۳ ـ ۲۹﴾ ﴿وراودته السبي هيو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم * قال هي روادتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان تميضه قد من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قُدِّ من دُبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأيُّ قمیصه قد من دبر قال إنه من کیدکن إن كيدكن عظيم * يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين مذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملَّجاً إلا الصبر عليها، طائعاً أو كارهاً، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقى مكرماً في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن ﴿راودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر.

﴿و﴾ زادت المصيبة، بأن ﴿غلقت الأبوابِ وصار المحل خالياً، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعته إلى نفسها ﴿وقالت: هيت لك ﴾ أي: افعل الأمر المكروه وأقبِلْ إلي، ومع هذا، فهو

غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عزب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم.

فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه _ وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما وجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و ﴿قال: معاذ الله﴾ أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه عما يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي.

فلا يليق بي أن أقابله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظُّلم، والظآلم لا يفلح، والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضى منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه.

ولما امتنع من إجابة طلبها بعد المراودة الشديدة، ذهب ليهرب عنها ويبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص، ويهرب من الفتنة، فبادرته إليه، وتعلقت بثوبه، فشقت قميصه، فلما وصلا إلى الباب في تلك الحال، ألفيا سيدها، أي: زوجها لدى الباب، فرأى أمراً شق عليه، فبادرت إلى الكذب، أن المراودة قد كانت من

يوسف، وقالت: ﴿مَا جِزَاءَ مِن أَرَادُ

بأهلك سوءاً ولم تقبل «من فعل بأهلك سوءاً» تبرئة لها وتبرئة له أيضاً من الفعل.

وإنما النزاع عند الإرادة والمراودة، ﴿إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ أي: أو يعذب عذاباً أليماً.

فبرأ نفسه مما رمته به، وقال: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ فحينئذ احتملت الحال صدق كل واحد منهما ولم يعلم أيهما.

ولكن الله تعالى جعل للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في هذه القضية بمعرفة الصادق منهما، تبرئة لنبيه وصفيه يوسف عليه السلام، فانبعث شاهد من أهل بيتها، يشهد بقرينة من وجدت معه، فهو الصادق، فقال: ﴿إِن كَانَ مَعْمِهُ قَدْ مِن قَبِل فَصَدَقَت وهو من قبيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾ لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المراود لها المعالج، وأنها المقبل عليها، المراود لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب.

﴿وإن كان قميصه قد من دبر، فكذبت وهو من الصادقين ﴿ لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقت قميصه من هذا الجانب، ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر ﴾ عرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأنها هي الكاذبة.

فقال لها سيدها: ﴿إِنّه مِن كيدكن إِن كيدكن عظيم﴾ وهل أعظم من هذا الكيد، الذي برأت به نفسها مما أرادت وفعلت، ورمت به نبي الله يوسف عليه السلام، ثم إن سيدها لما تحقق الأمر، قال ليوسف: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ أي: اترك الكلام فيه وتناسه ولا تذكره لأحد، طلباً للستر على أهله، ﴿واستغفري﴾ أيتها المرأة ﴿لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ فأمر يوسف بالإعراض، وهي بالاستغفار والتوبة.

﴿٣٥ ــ ٣٥﴾ ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال

مبين * فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئأ وأتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلاّ ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين * قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وإلاَّ تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم * ثم بدا لهم من بعد مآ رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ان الخبر اشتهر وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلمنها، ويقلن: ﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً ﴾ أي: هذا أمر مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه، ومع هذا فإن حبه قد بلغ من قلبها مبلغاً عظيماً.

﴿قد شغفها حباً ﴾ أي: وصل حبه إلى شغاف قلبها، وهو باطنه وسويداؤه، وهذا أعظم ما يكون من الحب، ﴿إنا لنراها في ضلال مبين ﴾ حيث وجدت منها هذه الحالة التي وتضعه عند الناس، وكان هذا القول منهن مكراً، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الغزيز، وتربهن إياه ليعذرنها، ولهذا العزيز، وتربهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكراً، فقال: ﴿فلما سمعت منزلها للضيافة.

﴿وأعتدت لهن متكا ﴾ أي: محلاً مهياً بأنواع الفرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما أتت به وأحضرته في تلك الضيافة طعام يحتاج إلى سكين، إما أترج، أو غيره، ﴿واتت كل واحدة منهن سكينا ﴾ ليقطعن فيها ذلك الطعام

﴿وقالت﴾ ليوسف: ﴿اخرج عليهن﴾ في حالة جماله وبهائه.

﴿فلما رأينه أكبرنه ﴾ أي: أعظمنه في صدورهن، ورأين منظراً فائقاً لم يشاهدن مثله، ﴿وقطعن ﴾ من الدهش ﴿أيديهن ﴾ بتلك السكاكين اللاتي معهن، ﴿وقلن: حاش شه أي: تنزيها شه وما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ وذلك أن يوسف أعْطِيَ من الجمال الفائق والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين.

فلما تقرر عندهن جمال يوسف الظاهر، وأعجبهن غاية، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز، شيء كثير مارادت أن تريهن جماله الباطن بالعفة التامة فقالت معلنة لذلك ومبينة لحبه الشديد غير مبالية، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي: امتنع وهي مقيمة على مراودته، لم تزدها مرور الأوقات إلا قلقاً وعبة وشوقاً لوصاله وتوقاً.

ولهذا قالت له بحضرتهن: ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ لتلجئه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربه، واستعان به على كيدهن و ﴿قال رب السجن أحب إلي كما يدعونني إليه﴾ وهذا يدل على أن النسوة، جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيدته، وجعلن يكدنه في

فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، ﴿وَإِلاْ تَصَرفَ عَنِي كَيدهن أَصِب إليهن ، فإني أصب إليهن ، فإني ضعيف عاجز ، إن لم تدفع عني السوء ، ﴿وَأَكُن ﴾ إن صبوت إليهن ﴿من الجاهلين ﴾ فإن هذا جهل ، لأنه آثر لذة قليلة منغصة ، على لذات متتابعات ومن آثر هذا على هذا ، فمن أجهل منه؟!! فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين ، ويؤثر ما كان محمود العاقبة .

﴿فاستجاب له ربه ﴾ حين دعاه ﴿فصرف عنه كيدهن ﴾ فلم تزل تراوده وتستعين عليه بما تقدر عليه من الوسائل، حتى أيسها، وصرف الله عنه كيدها، ﴿إنه هو السميع ﴾ لدعاء الداعي ﴿العليم ﴾ بنيته الصالحة، وبُنيَتِهِ الضعيفة المقتضية لإمداده بمعونته ولطفه، فهذا ما نجى الله به يوسف من أسياده فإنه لما اشتهر الخبر وبان، وصار الناس فيها بين عاذر ولائم وقادح.

﴿بدالهم ﴾ أي: ظهر لهم ﴿من بعد ما رأوا الآيات ﴾ الدالة على براءته ، ﴿ليسجننه حتى حين ﴾ أي: لينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس ، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه ، فإذا عدمت أسبابه نُسِيّ ، فرأوا أن هذا مصلحة لهم ، فأدخلوه في السجن .

﴿٣٦ عَهُ ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إن أراني أعصر خراً وقال الآخر إن أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين # قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أي: ﴿وَ﴾ لما دخل يوسف السجن، كان في جملة من ﴿ دخل معه السجن فتيان ﴾ أي: شابان، فرأى كل واحد منهما رؤيا، فقصها على يوسف ليعبرها، فـ ﴿قال أحدهما: إن أران أعصر خمراً، وقال الآخر: إن أراني أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ وذلك الخبز ﴿تأكل الطير منه

نبئنا بتأويله ﴾ أي: بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما، وقولهما: ﴿إِنَّا نُرَاكُ مِنْ المحسنين﴾ أي: من أهل الإحسان إلى الخلق، فأحسن إلينا في تعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلى غيرنا، فتوسلا ليوسف بإحسانه.

ف ﴿قال ﴾ لهما محيباً لطلبتهما: ﴿ لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ أي: فلتطمئن قلوبكما، فإن سأبادر إلى تعبير رؤياكما، فلايأتيكما غداؤكما أو عشاؤكما، أول ما يجيء إليكما، إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما .

ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، لَيكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما.

ثم قال: ﴿ ذلكما ﴾ التعبير الذي سأعبره لكما ﴿ مما علمني ربي ﴾ أي: هذا من علم الله علمنيه وأحسن إلى به، وذلك ﴿إني تمركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون الترك كما يكون للداخل في شيء ثم ينتقل عنه، يكون لمن لم يدخل فيه أصلاً.

فلا يقال: إن يوسف كان من قبل، على غير ملة إبراهيم ﴿واتبعت ملَّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثم فسر تلك الملَّة بقوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا﴾ أَي: مَا ينبغى ولا يليقُ بنا ﴿أَن نَشْرِكُ بِاللهِ مِنْ شيع بل نفرد الله بالتوحيد، ونخلص له الدين والعبادة.

﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ أي: هذا من أفضل مِنَنِهِ وإحسانه وفضله علينا، وعلى من هداه الله كما هدانا، فإنه لا أفضل من مِنَّة الله على العباد بالإسلام والدين القويم، فمن قبله وانقاد له فهو حظه، وقد حصل له أكبر النعم وأجل الفضائل.

﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ فلذلك تأتيهم المنة والإحسان، فلا يقبلونها ولا يقومون لله بحقه، وفي هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتيين لما تقرر عنده

أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال،. وأنه محسن معلم _ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث مَنَّ عَلَّى بترك الشرك وباتباع ملة آبائه، فبهذا وصلت إلى ما رأيتماً، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت.

ثم صرح لهما بالدعوة، فقال: ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار، أي: أربابً عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر، ولا تعطى ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أتلك ﴿خيرٌ أم الله الذي له صفات الكمال، ﴿الواحد﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك.

﴿القهار﴾ الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرقة التي هي بجرد أسماء، لا كمال لها ولا أفعالُ لديها، ولهذا قال: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ .

أي: كسوتموها أسماء، وسميتموها آلهة، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهية شيء، ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ بل أنزل الله السلطان بالنهى عن عبادتها وبيان بطلانها، وإذا لم ينزل الله بها سلطاناً، لم يكن طريق ولا وسيلة ولا دليل لها.

لأن الحكم لله وحده، فهو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع ويسن الأحكام، وهو اللّذي أمركم ﴿أَنْ لا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم، أي: المستقيم الموصل إلى كل خير، وما سواه من الأديان، فإنها غير مستقيمة، بل معوجة توصل إلى كل شر.

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ حقائق الأشياء، وإلا فإن الفرق بين عبادة الله وحده لا شريك له، وبين الشرك به، أظهر الأشياء وأبينها.

TO CHARLE TO SERVE ا لَمْ لَا سَيِعَتْ بَكُرُونَ أَرْسَكَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَتَّكً رُّ وَءَاتَتَ كُلُّ وَيَحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِيكُنَّا وَقَالَتِ ٱخْرُجُ عَلَيْهِ فَأَعْلَا لَأَيْثُرُ أَحْيَرُيْهُ وَقِطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَشْرِيلُو مَاهَلَا ابْشَرَّ إِنْ هَلْأَ الاَّمَلَكُ كَيْمٌ ۞ قَالَتْ مَنَالِكُنَّ ٱلَّذِي لُتَتُنَفِي يَّرِّوَلَقَدْ زَوَدَتُّهُ عَن نَفْسِهِ عِنَّاسْ تَصْبَرُ وَلَيْن لَرْ يَفْعِلْ مَا ءَامُورُ لِيُسْجَنَك وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّلِعَ بِنَّ فَ قَالَ رَبِّ النِّيجُنُّ أَحَبُّ إِلَّ مِمَّا يَنْعُونَيْ إِلَيْهُ وَالَّانَصْرِفْ عَنِي كَيْدُهُنَّأَصْبُ إِلَيْهِنَ وَأَكُن مِّنَ لَجُنِهِ لِينَ ۞ فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَسَرَفَ عَنْهُ كَيْمَافُنَّ النَّهُ هُوَ ٱلسَّيِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ ثُرَّبَنَا لَحَدِينَ بَعْدِ مَا زُوَا ٱلْآيَاتِ ﴾ لِتَسَجُنُنَهُ رَحَيٌّ عِينِ ۞ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَيَالِّي قَالَ أَحَمُعُمَّآ ال إِنَّ أَرَىٰنِيٓ أَغْصِهُرُخَرًا ۗ وَقَالَ ٱلْآخَدُرُ إِنِّ أَرَىٰنِيٓ أَجْمُلُ فَقَ رَأْسِي خُيْزًا تأْكُلُ الطَّلِيرُ مِنْ أَنْ يَعْنَا بِتَأْوِيلُمْ الْأَلْفَ مِنْ المُحْسِنِينَ ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُنَا طَعَامُ ثُرْزَقَانِهِ ۗ إِلَّا زَبَّا ثُكُنَا إِ بِتَأْوِيلِهِ قِبَلَ أَن يَأْتِيكُمُّ أَوَّلِكُمَا عَلَيْ رَبِينَ إِنْ سَرَكْتُ اللهُ عَلَمْ قَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم إِلْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

ولكن لعدم العلم من أكثر الناس بذلك، حصل منهم ما حصل من الشرك، فيوسف عليه السلام دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا، فتمت عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزالا على شركهما، فقامت عليهما _بذلك _الحجة، ثم إنه عليه السلام شرع يعبر رؤياهما، بعد ما وعدهما ذلك، فقال:

﴿٤١﴾ ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما﴾ وهو الذي رأى أنه يعصر خراً، فإنه يخرج من السجن ﴿فيسقى ربه خراً ﴾ أي: يسقى سيده الذي كان يخدمه خمراً، وذلك مستلزم لخروجه من السجن، ﴿وأما الآخر﴾ وهو: الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه .

﴿ فيصلب فتأكل الطير من رأسه ﴾ فإنه عبر [عن] الخبز الذي تأكله الطير، بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويسترعن الطيور، بل يصلب ويجعل في محل، تتمكن الطيور من أكله، ثم أخبرهما بأن هذا التأويل الذي تأوله لهما، أنه لا بد من وقوعه فقال: ﴿قضى الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي: تسألان عن تعبيره و تفسيره .

﴿٤٢﴾ ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان

E ELECTIVE II وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَاكَآءِيٓ إِبْرُهِيهِ وَإِسْحَقَ وَيَعْفُوبُ مَأَكَانَ لَنَا أَن نُشٰرِكَ بِاللَّهِ مِن شَحْتُ : ذَٰلِكَ مِن فَسْبِلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَكِئَ أَحْفَرُ ٱلنَّاسِ لَا يَشْحَدُونَ ﴿ يَصَبْعِي ٱليتنجن وَأَرْبَابُ مُنَغَرَقُونَ خَيْرُ أَمِلْهُ ٱلْوَحِدُ ٱلْفَصَارُ ٥ مَاتَعْبُدُوكَ مِن دُونِهِ وَإِلَّا أَسْمَا مُسَتَيْتُمُومَا أَيْرُ وَ الرَّا وُكُ مِنَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانُ إِن ٱلْحُتُ مُ إِلَّا مِّنَّا أَمْنَ أَلَّا مُّشَبِّدُوا إِلَّا إِنَّاهُ ذَلِكَ الدِّيثُ ٱلْفَيْسَةُ وَلَٰكِئَ أُ أَحْثَرَ النَّاسِ لَايِمْ لَمُونَ ۞ يَصَوْجِيَ الْيَعْبِ أَمَّا لَعَنُكُمُّا فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فِيصَّلَبُ فَتَأْحُ لُٱلْطَيْرُ مِن زَلْمِيوْ فَيْنِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ مَّسْتَفْتِيكِنِ ۞ وَقَالَ لِلَّذِي ظُنَّ أَنَّهُ نَاجِ مِنْهُمَا أَذْكُرُنِي عِندَرَيِّكَ فَأَنسَنْهُ الشَيْطَانُ وْحُرَدَتِهِ وَلَيْتُ فِ السِّيْنِ بِضْعَ سِينِينَ ٥ وَقَالَ الْمَاكُ إِنَّ أَرَفُ سَبْعَ بَعَدُنَّتِ سِمَانِ يَأَكُمُهُنَّ سنعج عاف وسنع سنتكت خنرو أخركايست بكأيَّها ٱلْمَلَّا أَفْتُونِ فِي زُمَّ يَنَى إِن حَمُنْتُمُ الْرُوْءِ مَا تَعْبُرُونَ ۞ MOZOTOZ WETROED!

ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين أي: ﴿وقال ﴾ يوسف عليه السلام: ﴿للذي رأى أنه يعصر خراً: ﴿اذكرنِ عند ربك ﴾ أي: اذكر له شأني وقصتي، لعله يَرقَ لي، فيخرجني عما أنا فيه، ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ أي: فأنسى الشيطان ذلك الناجي ذكر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، وذلك ليتم الله أمره وقضاءه.

﴿فلبتُ في السّجن بضع سنين﴾ والبضع من الثلاث إلى التسع، ولهذا قيل: إنه لبث سبع سنين، ولما أراد الله أن يتم أمره، ويأذن بإخراج يوسف من السّجن، قدر لذلك سبباً، كان سبباً لإخراج يوسف وارتفاع شأنه وإعلاء قدره، وهو رؤيا الملك.

﴿ ٤٣ ـ ٤٩ ﴾ ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان بأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين * وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبتكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان

يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون * ثم يأت من بعد ذلك سبع شداد يأكلن مأ قدمتم لهن إلاَّ قليلاً ثما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون لأ أراد الله تعالى أن يخرج يوسف من السجن، أرى الله الملك هذه الرؤيا العجيبة، الذي تأويلها يتناول جميع الأمة، ليكون تأويلها على يديوسف، فيظهر من فضله، ويبين من علمه ما يكون له رفعة في الدارين، ومن التقادير المناسبة أن اللك الذي ترجع إليه أمور الرعية هو الذي رآها، لارتباط مصالحها به.

وذلك أنه رأى رؤيا هالته، فجمع لها علماء قومه وذوي الرأي: منهم وقال: ﴿إِنِي أَرَى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع﴾ أي: سبع من البقرات ﴿عجاف﴾ وهذا من العجب، أن السبع العجاف الهزيلات اللاتي سقطت قوتهن، يأكلن السبع السمان التي كُنَّ عنهاية في القوة.

﴿و﴾ رأيت ﴿سبع سنبلات خضر﴾ يأكلن سبع سنبلات خضر﴾ يأكلن سبع سنبلات ﴿يابسات﴾ ﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي﴾ لأن تعبير الجميع واحد، وأن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ فتحيروا، ولم يعرفوا لها وجهاً. و ﴿قالوا: أضغاث أحلام﴾ تأويل.

وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم، [بما ليس بعذر](١) ثم قالوا: ﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعلين﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإنا لا نعبرها.

فجمعوا بين الجهل والجزم، بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم

تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا، وهذا أيضاً من لطف الله بيوسف عليه السلام. فإنه لو عبرها ابتداء _قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها لليكن لهاذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتماً لها غاية، فعبرها يوسف _ وقعت عندهم موقعاً عظيماً، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل أدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد ﷺ في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعواً بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمداً ﷺ فيقول: ﴿أَنَا لَهَا أَنَا لَهَا ﴾ ، فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود الذِّي يغبطه به الأولون والآخرُون.

فسبحان من خفيت ألطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفياته وأولياته، ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من الفتيين، وهو: الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه ﴿وادّ كر بعد له في تعبيره لرؤياهما، وما وصاه به، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة من السنين، فقال: ﴿أَنَا أَنْ بَنْكُم بِتُولِيلُهُ فَأْرسلُونَ﴾ إلى يوسف لأسأله بتأويله فأرسلونَ﴾ إلى يوسف لأسأله

فأرسلوه، فجاء إليه، ولم يعنفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك، فقال: فيوسف أيها الصديق أي: كثير الصدق في أقواله وأفعاله، ﴿أَفْتَنَا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون فإنهم متشوقون لتعبيرها، وقد أهمتهم.

فعبر يوسف، السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف والسبع السنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدّبات، ولعل وجه ذلك _والله أعلم _أن الخصب والجدب لما كان الحرث مينياً عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجدب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقى عليها الحروث في الغالب، والسنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدون به من التدبير في سني الخبصب، إلى سنى الجدب فقال: ﴿تررعون سبع سنين دأباً ﴾ أي:

﴿فما حصدتم ﴾ من تلك الزروع ﴿ففي سنبله ﴾ ﴿فذروه ﴾ أي: اتركوه ﴿في سنبله ﴾ لأنه أبقى له وأبعد عن الالتفات إليه ﴿إلا قليلاً مما تأكلون ﴾ أي: دبروا أيضاً أكلكم في هذه السنين الخصبة ، وليكن قليلاً ، ليكثر ما تدخرون ويعظم نفعه ووقعه .

﴿ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ أي: بعد تلك السنين السبع المخصبات ، ﴿سبع شداد ﴾ أي: بجدبات جداً ﴿يأكلن ما قدمتم لهن ﴾ أي: يأكلن جميع ما ادخرتموه ولو كان كثيراً ، ﴿إلا قليلاً عما تحصنون ﴾ أي: تمنعونه من التقديم لهن .

وثم يأتي من بعد ذلك أي: بعد السبع الشداد وعام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون أي: فيه تكثر الأمطار والسيول، وتكثر الغلات، وتزيد على أقواتهم، حتى إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة على أكلهم، ولعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير (1) بالسبع المسبع المقدير (1) بالسبع المسبع المقدير (1) بالسبع المسبع المقدير (1) بالسبع المسبع ا

الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا يزول المجدب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام مخصب جداً، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح.

به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاي قطعن أيديهن إنّ ربي بكيدهن عليم * قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عسن نفسسه وإنه لمن الصادقين * ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأنّ الله لا يهدى كيد الخائنين * وما أبرىء تفسى إنَّ النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحمّ ربي إنّ ربي غفور رحيم * وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على خزائن الأرض إن حفيظ عليم * وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون، يقول تعالى: ﴿وقال الملك﴾ لمن عنده ﴿ائتونِ بِهِ أَي: بيوسف عليه السلام، بأن يخرجوه من السجن ويحضروه إليه، فلما جاء يوسف الرسول وأمره بالحضور عند الملك، امتنع عن المبادرة إلى الخروج، حتى تتبين براءته التامة، وهذا من صبره وعقله ورأيه التام.

ف ﴿قال﴾ للرسول: ﴿ارجع إلى ربك ﴾ يعني به الملك، ﴿فاسأله ما بال النسوة اللآي قطعن أيديهن ﴾ أي: اسأله ما شأنهن وقصتهن، فإن أمرهن ظاهر متضح ﴿إن ربي بكيدهن عليم ﴾ فأحضرهن الملك، وقال: ﴿ما خطبكن ﴾ أي: شأنكن ﴿إذ راودتن

يوسف عن نفسه الله فهل رأيتن منه ما يريب؟ .

فَبَرَّأَنَهُ و ﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوه﴾ أي: لا قليل ولا كثير، فحينئذ زال السبب الذي تنبني عليه التهمة، ولم يبق إلا ما عند امرأة العزيز، ف ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص العزيز، أي: تمحض وتبين، بعد ما كنا ندخل معه من السوه والتهمة، ما أوجب له السجر⁷⁷. ﴿أنا راوته عن نفسه، وإنه لمن الصادقين﴾ في أقواله ويراءته، ﴿ذلك﴾ الإقرار الذي أقررت [أي راودت يوسف]، ﴿لعلم أني لم أخته بالغيب﴾.

يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أن حين أقررت أني راودت يوسف، أني لم أخنه بالغيب، أي: لم يحر مني إلا مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك ذلك ليعلم يوسف حين أقررت أني أنا الذي راودته، وأنه صادق أني لم أخنه في حال غيبته عني، ﴿وأن الله لا يمدي كيد الخائنين﴾ فإن كل خائن، لا بد أن تعود خيانته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتين أمره.

ثم لما كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها، وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف، استدركت فقالت. ﴿وما أبسرى و نفسسي ﴾ أي: من المراودة والهمّ، والحرص الشديد، والكيد في ذلك، ﴿إن النفس الأمارة بالسوء ﴾ أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء ، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان ﴿إلا ما رحم ربي فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه معاصية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده.

﴿إن ربي غفور رحيم ﴾ أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي ، إذا تباب وأنباب ، ﴿رحيم ﴾ بقبول توبته ، وتوفيقه للأعمال الصالحة ، وهذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز ، لا من قول يوسف ، فإن السياق في كلامها ، ويوسف إذ ذاك في

السجن لم يحضر.

فلما تحقق الملك والناس براءة يوسف التامة، أرسل إليه الملك وقال: وانتوني به أستخلصه لنفسي أي: أجعله خصيصة لي ومقرباً لدي فأتوه به كلامه، وزاد موقعه عنده فقال له: وإنك اليوم لدينا أي: عندنا ومكن أمين على الأسرار، ف وقال يوسف طلباً للمصلحة العامة: واجعلني على للمصلحة العامة: واجعلني على خزائن جبايات الأرض وغلالها، وكيلاً حافظاً مدراً.

﴿إِنِ حفيظ عليم ﴾ أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه.

فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها، قال تعلى: ﴿وكذلك﴾ أي: بهذه الأسباب في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء في عيش رغد، ونعمة واسعة، وجاه عريض، ﴿نصيب برحمتنا من نشاء في الما وقدرها له، وليست مقصورة على نعمة الذيا.

﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ ويوسف عليه السلام من سادات المحسنين، فله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ولهذا قال: ﴿ولأجر الآخرة خير﴾ من أجر الدنيا ﴿للذين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال

الجوارح، من الواجبات والمستحبات.

﴿٥٨ ــ ٦٨﴾ ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون * ولما جهّزهم بجهازهم قال ائتون بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أن أوفى الكيل وأنا خير المنزلين * فإن لم تأتون به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون * وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون * فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون * قال هل آمنكم عليه إلاُّ كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحين * ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير * قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل * وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون * ولَّا دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴿ آي: لما تولى يوسف عليه السلام خزائن الأرض، دبرها أحسن تدبير، فزرع في أرض مصر جميعها في السنين المخصبة زروعاً هائلة، واتخذلها المحلات الكبار، وجبا من الأطعمة شيئاً كثيراً وحفظه، وضبطه ضبطاً تاماً، فلما دخلت السنون المجدبة، وسرى الجدب

﴿ولما جهزهم بجهازهم ﴾ أي: كال

حتى وصل إلى فلسطين، التي يقيم فيها

يعقوب وبنوه، فأرسل يعقوب بنيه

لأجل الميرة إلى مصر، ﴿وجاء إخوة

يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له

منكرون﴾ أي: لم يعرفوه.

لهم كما كان يكيل لغيرهم، وكان من تدبيره الحسن أنه لا يكيل لكل واحد أكثر من حمل بعير، وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخاً عند أبيه، وهو بنيامين.

ف ﴿قال﴾ لهم: ﴿انتونِ بأخ لكم من أبيكم﴾ ثم رغبهم في الإتيان به فقال: ﴿الا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾ في الضيافة والإكرام. ثم رهبهم بعدم الإتيان به، فقال: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ وذلك لعلمه باضطرارهم إلى الإتيان إليه، وأن ذلك يحملهم على الإتيان به.

ف ﴿قالوا سنراود عنه أباه ﴾ دل هذا على أن يعقوب عليه السلام كان مولعاً به لا يصبر عنه، وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم ﴿وإنا لفاعلون﴾ لما أمرتنا

﴿وقال﴾ يوسف ﴿لفتيانه﴾ الذين في خدمته: ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ أي: الثمن الذي اشتروا به من الميرة.

﴿ في رحالهم لعلهم يعرفونها ﴾ أي: بضاعتهم إذا رأوها بعد ذلك في رحالهم، ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ لأجل التحرج من أخذها على ما قيل، والظاهر أنه أراد أن يرغبهم في إحسانه إليهم بالكيل لهم كيلاً وافياً، ثم إعادة بضاعتهم إليهم على وجه لا يحسون بضاعتهم إليهم على وجه لا يحسون بها، ولا يسمعرون لما يأتي، فإن المحسن.

﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبنا منع منا الكيل أي: إن لم ترسل معنا أخانا، ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل ﴾ أي: ليكون ذلك سبباً لكيلنا، ثم التزموا له بحفظه، فقالوا: ﴿وإنا له ﴿قال لهم يعقوب عليه السلام: ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ﴾ أي: تقدم منكم التزام أكثر من هذا في حفظ يوسف، ومع هذا لم تفوا بما عقدتم من التأكيد، فلا أثن بالتزامكم وحفظكم، وإنما أثق

بالله تعالى .

﴿فَاللهُ خَيْرُ حَافِظاً وَهُو أُرْحَمُ الراحمين﴾ أي: يعلم حالي، وأرجو أنَّ يرحمني، فيحفظه ويرده عَلَى، وكأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم، ثم إنهم اللافتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم المذا دليل على أنه قد كان معلوماً عندهم أن يوسف قد ردها عليهم بالقصد، وأنه أراد أن يملكهم إياها، ف ﴿قالوا﴾ لأبيهم _ ترغيباً في إرسال أخيهم معهم _: ﴿يا أبانا ما نبغي اي: أي: شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وفي لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق؟.

﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ﴾ أي: إذا ذهبنا بأخينا صار سبباً لكيله لناً، فمرنا(١) أهلنا، وأتينا(٢) لهم، بما هم مضطرون إليه من القوت، ﴿ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ﴾ بإرساله معنا، فإنه يكيل لكل واحد حمل بعير، ﴿ذلك كيل يسير﴾ أي: سهل لا ينالك ضرر، لأن المدة الا تطول، والمصلحة قد تبينت.

ف ﴿قال﴾ لهم يعقوب: ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله الي: عهداً تقيلاً، وتحلفون بالله ﴿لتأتنني به إلا أن يحاط بكم ﴾ أي : إلا أن يأتيكم أمر لا قِبَل لكم به، ولا تقدرون دفعه، ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ على ما قال وأراد ﴿قال: الله على ما نقول وكيل اي: تكفينا شهادته علينا وحفظه وكفاءته، ثم لما أرسله معهم وصناهم إذا هم قندموا منصر، أنّ ﴿لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴿ وذلك أنه خاف عليهم العين، لكثرتهم وبهاء منظرهم، لكونهم أبناء(٢) رجل واحد، وهذا

﴿وَ﴾ إلا فَ ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنْ اللهِ من شيء ﴾ فالمقدر لا بدأن يكون، ﴿إِن الْحَكِمِ إِلَّا للهُ ﴾أي: القضاء

قضاؤه، والأمر أمره، فما قضاه وحكم به لا بدأن يقع، ﴿عليه توكلت﴾ أي: اعتمدت على الله، لا على ما وصيتكم به من السبب، ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون ﴿ فإن بالتوكل يحصل كل مطلوب، ويندفع کل مرهوب.

﴿ولما﴾ ذهبوا و ﴿دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان، ذلك الفعل ﴿يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمأنينة، وقضاء لما في خاطره .

وليس هذا قصوراً في علمه، فإنه من الرسل الكرام والعلماء الربانيين، ولهذا قال عنه: ﴿وإنه لذو علم﴾ أي: لصاحب علم عظيم ﴿لما علمناه ﴾ أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله وتعليمه، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون، عواقب الأمور ودقائق الأشياء وكذلك أهل العلم منهم، يخفي عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير .

﴿٦٩ ـ ٧٩ ﴿ وَلَمَّا دَحُسَلُوا عَسَلَى يوسف آوي إليه أخاه قال إن أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون * فلمَّا جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنَّكم لسارقون * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين * قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين * قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالين * فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع

n militaria ۚ قَالَةُ الْمَنْ عَنْكُ أَخَلَةً وَمَا غَنُ بَنَا فِيلِ ٱلْأَخْلَيرِ بِعَلِيدِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِي غَامِنْهُمَا وَادَّكَ رَبِّعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنِيَّتُكُمُ بِتَأْمِيلِهِ مَّأْرِسِلُونِ ۞ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّيِيقُ أَفْنِنَافِ سَبْعِ بَقَرَتِ يِمَان يَأْكُلُهُنَّ مَنْعُ عَافٌ وَسَنْعِ سُنُكُلَّتٍ خُضْرِ وَأُخْرَ إَلِيسُتِ لَعَلِمَ أَرْجِعُ إِلَى آلْنَاسِ لَعَلَّهُ مَيْعَ أَمُونَ ۞ قَالَ تَرْتَعُونَ سَيْعَ سِنِينَ دَأَبا فَاحْسَدَتْمَ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُاءِ الْأَقَلِيدَ لَا عَنَاتَأْكُلُونَ ۞ ثُرَّيَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَنَعٌ مِيْدَادُيَا كُلُنَ مَا فَذَ مُنْتُدُمُ لَمُنْ إِلَّا فَلِيلًا مَنَّا تَحْسِنُونَ ۞ ثُمَّ كَأَنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامِّ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۞ وَقَالَ ٱلْمَاكُ ٱلنَّىٰ بيِّهُ فَلَنَاجَاتُهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱلْحِيمُ إِلَّ رَبِّكِ مَسْئَلُهُ مَا بَالُ ٱلسِّنْوَةِ ٱلَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيدٌ۞ قَالَ مَاخَطْبُكُنَّ إِذْ زَوَدَ ثُنَّ يُوسُفَعَن نَفْسِيوْمُ قُلْب حَشَرِيقِهُ مَاعَلِمْنَاعَلَيْهِ مِن سُوَّةً قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَرِيزِ ٱلْنَ صَحْصَ ٱلْمَتَّةُ أَنَازُودَ ثُمُّيَ مَن تَشْدِيدً وَإِنْمُ لِمَن ٱلصَّهُ يُوقِينَ ﴿ ذَٰلِكَ إِينَهُ رَأَنَى لَوْ أَخُنَّهُ وَالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهُ لَا يَهْدِى كَلَّهُ الْغَلَّمِينَ ۞ OUS TOU THE REED!

يبدها لهم قال أنتم شرٌّ مكاناً والله أعلم بما تصفون * قالوا يا أيها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين * قال معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون الى: لما دخل إخوة يوسف على يوسف ﴿آوى إليه أخاه ﴾أى: شقيقه وهو «بنيامين» الذي أمرهم بالإتيان به [و] ضمه إليه، واختصه من بين إخوته، وأخبره بحقيقة الحال، و ﴿قال: إن أنا أخوك فلا تبتئس﴾ أي: لا تحزن ﴿بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فإن العاقبة خير لنا، ثم خبره بما يريد أن يصنع ويتحيل لبقائه عنده إلى أن ينتهي الأمر.

﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾أي: ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم * كان لكل واحد من إخوته، ومن جملتهم أخوه هذا، ﴿جعل السقاية﴾ وهو: الإناء الذي يشرب به، ويكال فيه ﴿في رحل أخيه ثم) أوعوا متاعهم، فلما انطلقوا ذاهبين، ﴿أَذَنَ مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ولعل هذا المؤذن لم يعلم بحقيقة الحال، ﴿قَالُوا﴾أَيْ: إِخُوةُ يُوسُفُ ﴿وَأَقْبِلُوا عليهم الإبعاد التهمة، فإن السارق درجات من نشاء وفوق كل ذي علم ليس له هَمُّ إلا البعد والانطلاق عمن عليم * قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له سرق منه، لتسلم لهم سرقته، وهؤلاء من قُبِل فأسرها يوسف في نفسه ولم جاءوا مقبلين إليهم، ليس لهم همٌّ إلا

CO CENTER CONTRACTOR * وَمَا أَيْرَيْ نَفِينَ إِنَّ النَّفْسَ لِأَمْنَارَةُ بِالسُّورَ وِ الْامَارِحَمَدَيَّ إِنَّ رَبِّي عَنُورٌ رَبِّيتُم ﴿ وَقَالَ الْمِلْكُ أَنْوُنِي بِهِ مِ أَسْتَخْلِمُهُ لِنَفِيقٌ فَلَمَا كَلَّمُ عَالَ إِنَّكَ الْوَمِ لَدَيْنَا مَكِنُ أَمِيتُ ۞ قَالَ الْجَعَلْفِي عَلَى حَزَّ إِن الْأَرْضُ إِنْ حَفِيظٌ عَلِيدٌ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكُفَّا لَوُسُفَ فِي ٱلأَرْضِ يَكَنَّبُوَّ أَمِنْهَا حَيْثُ يَثَكَأَ فُصِيبُ يَرْعَيْنَامَن نَشَاءً وَلَا نَضِيعُ أَخِرَلُهُ حَسِينِينَ ۞ وَلِأَجْرُ ٱلْآخِرَ وَخَيْرُ لِلَّذِينَ ، امَنُواْ وَكَانُواٰ يَنْغُونَ ۞ وَهَمَّةَ إِخُوةً وُسُفَ فَلَخُلُواعَلَيْهِ فَعَرَفِهُمْ وَهُمْ لَدُمُنِكُونَ ﴿ وَلَا جَهِّزَهُم بِهَ كَازِهِمْ قَالَ أَتَنُونَ بِأَخِ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ ٱلاَتَمُونَ أَنَّ أُوفِي ٱلْكَيْلُ وَأَنْا عَيْرُ لِلْمُرْلِينَ ﴿ وَإِن لَّرَ تَأْتُونِ بِي فَكَلا كَيْلَ لَكُرْعِندِي وَلَاتَقَدَّرُفُونِ۞ قَالُواْسَنُرُاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۞ وَقَالَ لِفِنْكِيْهِ أَجْعَلُواْ بِضَاعَتُهُمْ فِي يَّحِوُدَ ۞ مَّلَنَا رَجُعُولِ إِلَّهَ إِيهِمْ قَالُواٰ يَثَأَبُاكَ مُنعَ مِنَا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَ آلْغَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَكُونَطُونَ ۞

TONOMONI TORONO إزالة التهمة التي رموا بها عنهم، فقالوا في هذه الحالّ: ﴿ماذا تفقدون ﴾ ولم يقولوا: «ما الذي سرقنا» لجزمهم بأنهم براء من السرقة، ﴿قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير ﴾ أي : أجرة له على وجدانه ﴿وأنا به زعيم﴾ أى: كفيل، وهذا يقوله المؤذن المتفقد.

﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ بجميع أنواع المعاصي، ووما كنا سارقين فإنّ السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما أقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم سبروا من أحوالهم مأ يدلهم على عفتهم وورعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا: (تالله لم نفسد في الأرض ولم

﴿قالوا فما جزاؤه ﴾أي: جزاء هذا الفعل ﴿إِن كنتم كاذبين ﴾ بأن كان معكم؟ ﴿قالواجزاؤه من وجد في رحله فهو اي: الموجود في رحله ﴿جزاؤه﴾بأن يتملكه صاحب السرقة، وكان هذا في دينهم أن السارق إذا ثبتت عليه السرقة كان ملكاً لصاحب المال المسروق، ولهذا قالوا: ﴿كذلك نجزي الظالمين♦.

وعاء أخيه ﴿وذلك لتزول الريبة التي

يظن أنها فعلت بالقصد، فلما لم يجد في أوعيتهم شيئاً ﴿استخرجها من وعاء أخيه، ولم يقل «وجدها، أو سرقها أخوه» مراعاة للحقيقة الواقعة.

فحينثذ تم ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته، قال تعالى: ﴿كَذَلُّكُ كَدُنَّا ليوسف اى: يسرنا له هذا الكيد، الذي توصل به إلى أمر غير مذموم ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الأنه ليس من دينه أن يتملُّك السارق، وإنما له عندهم جزاء آخر، فلوردت الحكومة إلى دين اللك، لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه جعل الحكم منهم، ليتم له ما أراد.

قال تعالى: ﴿نرفع درجات من نشاء العلم النافع، ومعرفة الطرق الموصلة إلى مقصدها، كما رفعنا درجات یوسف، ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ فكل عالم، فوقه من هو أعلم منه حتى ينتهى العلم إلى عالم الغيب والشهادة، فلما رأى إخوة يوسف ما رأوا ﴿قالوا إن يسرق﴾ هذا الأخ، فليس هذا غريباً منه، ﴿فقد سرق أخَّ له من قبل € يعنون: يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم وأن هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا.

وفي هذا من الغض عليهما ما فيه، ولهذا: أسرها يوسف في نفسه ﴿ولم يبدها لهم الى: لم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسرَّ الأمر في نفسه، و ﴿قَالَ ﴿ فَيَالَ ﴿ فَيَالَ ﴿ فَيَالَ ﴾ في نفسه ﴿أنتم شر مكاناً﴾حيث ذممتموناً بما أنتم على أشر منه، ﴿والله أعلم بما تصفون منا، من وصفنا بالسرقة، يعلم الله أنا براء منها، ثم سلكوا معه مسلك التملق، لعله يسمح لهم بأخيهم.

شيخاً كبيراً أي الله وإنه لا يصبر عنه، وسيشق عليه فراقه، ﴿فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين افأحسن ﴿فبدأ ﴾ المفتش ﴿بأوعيتهم قبل إلينا وإلى أبينا بذلك، ف ﴿قال ﴾ يوسف ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من

وجدنا متاعنا عنده الله أي: هذا ظلم منا، لو أخذنا البريء بذنب من وجدناً متاعنا عنده، ولم يقل «من سرق» كل هذا تحوز من الكذب، ﴿إِنَّا إِذَا ﴾ أي: إن أخذنا غير من وجد في رحله ﴿لظالمون﴾ حيث وضعنا العقوبة في غير موضعها.

﴿٨٠ ـ ٨٣﴾ ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرَطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أن أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين * ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إنّ ابنك سرق وما شهدنًا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين * واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنّا لصّادقون * قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جيل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم، أي: فلما استياس إخوة يوسف من يوسف أن يسمح لهم بأخيهم ﴿خلصوا نجياً﴾ أي: اجتمعوا وحدهم، ليس معهم غيرهم، وجعلوا يتناجون فيما بينهم، ف ﴿قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم مُوثقاً من الله الله الله الله وأنكم تأتون به إلا أن يحاط بكم ﴿ومن قبل مَا فرطتم في يوسف، فاجتمع عليكم الأمران، تفريطكم في يوسف السابق، وعدم إتيانكم بأخيه باللاحق، فليس لي وجه أواجه به أبي .

﴿فلن أبرح الأرض *أي: سأقيم في هذه الأرض ولا أزال بها ﴿حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي الله أي: يقدر لي المجيء وحدي، أو مع أخي ﴿وهو خير الحاكمين، ثم وصاهم بما يقولون لأبيهم، فقال: ﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق اأى: وأخِذَ بسرقته، ولم يحصل لنا أن نأتيك ف ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبا به، مع ما بذلنا من الجهد في ذلك. والحال أنا ما شهدنا بشيء لم نعلمه، وإنما شهدنا بما علمناً، لأننا رأينا الصواع استخرج من رحله، ﴿وما كنا للغيب حافظين الى : لو كنا نعلم الغيب لما حرصنا وبذلنا المجهود في

ذهابه معنا، ولما أعطيناك عهودنا ومواثيقنا، فلم نظن أن الأمر سيبلغ ما بلغ، ﴿واسأل﴾ إن شككت في قولنا ﴿اللهِ اللهِ اللهِ أَجْلِنا للهِ أَجْلِنا للهِ اللهِ اللهِ أَجْلِناكُ به ﴿وَإِنَا لَصَادَقُونَ ﴾ لم نكذب ولم نغير ولم نبدل، بل هذا الواقع.

فلما رجعوا إلى أبيهم وأخبروه بهذا الخبر، اشتد حزنه وتضاعف كمده، واتهمهم أيضاً في هذه القضية، كما اتهمهم في الأولى، و ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل﴾ أي: ألجأ في ذلك إلى الصبر الجميل، الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوى للخلق، ثم لجأ إلى حصول الفرج لما رأى أن الأمر اشتد، والكربة انتهت فقال: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم التهائ) أي: يوسف و قبنيامين، وأخوهم الكبير الذي أقام في مصر.

﴿إنه هو العليم﴾ الذي يعلم حالي، واحتياجي إلى تضريجه ومِئته، واضطراري إلى إحسانه، ﴿الحكبم﴾ الذي جعل لكل شيء قدراً، ولكل أمر منتهى، بحسب ما اقتضته حكمته الربانية.

﴿فهو كظيم ﴾ أي: ممتلى القلب من الحزن الشديد، ﴿وقال يا أسفى على يوسف ﴾ أي: ظهر منه ما كمن من الهم القديم والشوق المقيم، وذكرته هذه المصيبة الخولى، فقال له أولاده متعجبين من حاله: ﴿تَاللَهُ تَفْتَأُ تَذْكُر يوسف ﴾ أي: لا تزال تذكر يوسف في جميع

أحوالك، ﴿حتى تكون حرضاً﴾ أي: فانياً لا حراك فيك ولا قدرة على الكلام.

﴿أُو تكون من الهالكين﴾أي: لا تترك ذكره مع قدرتك على ذكره أبداً، ﴿قال﴾ يعقوب ﴿إنما أشكو بشي﴾أي: ما أبث من الكلام ﴿وحزني﴾الذي في قلبي ﴿إلى الله وحده، لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق، فقولوا ما شئتم ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من أنه سيردهم على ويقر عيني بالاجتماع بهم.

﴿٨٨ ـ ٨٨﴾ ﴿يا بنت اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنَّه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون * فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إنّ الله يجزي المتصدقين﴾ أي: قال يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿ يِا بِنِيَّ اذْهِبُوا فِتَحْسُسُوا مِنْ يُوسُفُ وأخيه اعن احرصوا واجتهدوا على التفتيش عنهما ﴿ولا تيأسوا من روح الله فإن الرجاء يوجب للعبد السعى والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانيه ورحمتيه وروحيه، ﴿إنَّهُ لا يسيساس مسن روح الله إلا السقسوم الكافرون، فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين.

ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه ، فنحموا فخلما دخلوا عليه أي: على يوسف فقالوا متضرعين إليه: فيا العزيز مسنا وأهلنا الضر وجتنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا أي: قد اضطررنا نحن وأهلنا فوجئنا ببضاعة مزجاة » أي: مدفوعة مرغوب عنها لقلتها ، وعدم وقوعها الموقع ، فأوف لنا الكيل أي: مع عدم وفاء العرض، وتصدق علينا عدم وفاء العرض، وتصدق علينا بالزيادة عن الواجب. فإن الله يجزي بالزيادة عن الواجب. فإن الله يجزي

المتصدقين﴾ بثواب الدنيا والآخرة.

فلما انتهى الأمر، وبلغ أشده، رقَّ لهم يوسف رِقَّة شديدة، وعرَّفَهُم بنفسه، وعاتبهم.

﴿٨٩ _ ٩٢﴾ ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون * قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد منّ الله علينا إنّه من يتق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحين، ﴿قال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾ أما يوسف فظاهر فعلهم فيه، وأما أخوه، فلعله والله أعلم قولُهم: ﴿إِنْ يُسْرِقُ فقد سرق أخ له من قبل او أن الحادث الذي فرّق بينه وبين أبيه، هم السبب فيه، والأصل الموجب له، ﴿إِذْ أَنْتُمْ جاهلون، وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه لا ينبغي ولا يليق منهم.

فعرفوا أن الذي خاطبهم هو يوسف، فقالوا: ﴿أَإِنَكُ لأَنت يوسف؟ قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ﴾ بالإيمان والتقوى والتمكين في الدنيا، وذلك بسبب الصبر والتقوى، ﴿إنه من يتق ويصبر أي : يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامتثالها ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر عضب عملاً.

وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وي: فضلك علينا بمكارم الأخلاق وعاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى إليك، والتبعيد لك عن أبيك، فآثرك الله تعالى ومكنك عما تريد وإن كنا لخاطئين وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف.

ف ﴿قال﴾ لهم يوسف عليه السلام، كرماً وجوداً:

﴿لا تشريب عليكم اليوم، أي: لا أثرب عليكم ولا ألومكم ﴿يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين﴾ فسمح لهم سماحاً تاماً، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين.

﴿٩٣ ـ ٩٨﴾ ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتونى بأهلكم أجمعين * ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفنَّدون * قالوا تالله إنَّك لفي ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون * قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربي إنّه هو الغفور الرحيم، أي: قال يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً ﴾ لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص - لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم _ أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، ولله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر.

﴿وائتُونِ بِأَهلكم أجمعين ﴾ أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرزق.

﴿ولما فصلت العير﴾ عن أرض مصر مقبلة إلى أرض فلسطين، شَمَّ يعقوب ريح القميص، فقال: ﴿إِنِّ لأجد ريح يوسف لولًا أن تفندون ﴿ أي: تسخرون مني، وتزعمون أن هذا الكلام صدر منى من غير شعور، لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ما أوجب له هذا القول، فوقع ما ظنه بهم فقالوا:

﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم أى: لا تزال تائهاً في بحر الحب لا تدرى ما تقول.

﴿ فُلُّما أَنْ جَاء البشير ﴾ بقرب الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم، ﴿ أَلْقَاهِ ﴾ أي: القميص ﴿على وجهه فارتد بصيراً ﴾ أي: رجع على حاله الأولى بصيراً، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن، فقال لمن حضره من أولاده وأهله الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه منتصراً عليهم، متبجحاً بنعمة الله عليه: ﴿ أَلَمْ أَقُلُ لَكُمْ إِنِّ أَعْلَمُ من الله ما لا تعلمون الله ما لا تعلمون حيث كنت مترجياً للقاء يوسف، مترقباً لزوال الهم والغم والحزن.

فأقروا بذنبهم ونجعوا بذلك و ﴿قالوا: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ، حيث فعلنا معك ما

فعلنا .

ذ ﴿قال﴾ مجيباً لطلبتهم، ومسرعاً لإجابتهم: ﴿ سُوفُ أَسْتَغَفُّرُ لَكُمْ رَبِّي ، إنه هو الغفور الرحيم، أي: ورجائي به أن يغفر لكم ويرحكم، ويتغمدكم برحمته، وقد قيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل، ليكون أتمَّ للاستغفار، وأقرب للإجابة.

﴿ ٩٩٩ _ ١٠٠ ﴾ ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوي إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين # ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربى حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوق إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم، أي: ﴿فلما ، تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكناها، فلما وصلوا إليه، و ﴿دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ﴾ أي: ضمهما إليه، واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإكرام(١) والتبجيل والإعظام شيئاً

عظيماً، ﴿وقال﴾ لجميع أهله: ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة .

﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي: على سرير الملك، ومجلس العزيز، ﴿وخروا له سجداً ﴾ أي: أبوه، وأمه وإخوته، سجوداً على وجه التعظيم والتبجيل والإكرام، ﴿وقالُ لَمَّ ارأَى هذه الحال، ورأى سجودهم له: ﴿يا أبت هذا تأويل رُؤياي من قبل ، حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين، فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت ﴿قد جعلها ربي حقاً﴾ فلم يجعلها أضغاث أحلام.

'﴿وقد أحسن بي﴾ إحساناً جسيماً ﴿إِذْ أَخْرِجِنِي مِنِ السِّجِنِ وَجَاءً بِكُمِّ مِنْ البَدو﴾ وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلى.

فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: «أحسَنَ بكم» بل قال ﴿أحسن بي﴾ جعل الإحسان عائداً إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوت، فلم يقل «نزغ الشيطان إخوت، بل كأن الذُّنب والجهلُّ صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة.

﴿إِن رِبِ لطيف لما يشاء ﴾ يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، ﴿إنه هو العليم﴾ الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، ﴿الحكيم﴾ في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه

الإسلام:

الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها.

﴿١٠١﴾ ﴿ربِّ قد آتيتني من الملك

وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر

السسماوات والأرض أنست وليي في

الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني

بالصالحين﴾ لما أتم أله ليوسف ما أتم

من التمكين في الأرض والملك، وأقر

عينه بأبويه وإخوته، وبعد العلم

العظيم الذي أعطاه الله إياه، قال مقرأ

بنعمة الله شاكراً لها داعياً بالثبات على

﴿رب قد آتيتني من الملك، وذلك

أنه كان على خزائن الأرض وتدبيرها

ووزيراً كبيراً للملك ﴿وعلمتني من

تأويل الأحاديث﴾ أي: من تأويل

أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤيا

وغير ذلك من العلم ﴿فاطر السماوات

والأرض أنتّ وليي في الدنبا والآخرة

توفني مسلماً ﴾ أي: أدم عَلَى الإسلام

وثبتني عليه حتى توفاني عليه، ولم يكن

هذا دعاء باستعجال الموت، ﴿وأَلْحَقْنِي

بالصالحين من الأنبياء الأبرار

﴿١٠٢﴾ ﴿ ذلك من أنباء الغيب

القصة على محمد على الله له:

إلا الله تعالى، ولا يمكن أحداً أن يصل

والأصفياء الأخيار.

CONTRACTOR OF STREET الْ قَالَ هَلْ مَامَنُكُمْ عَلَيْهِ الَّاكِمَا أَمِنْكُمْ عَلَيْلَا خِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ مُنْدُحُنُو ظُلَّا وَهُوَ أَرْحَكُمُ ٱلْزَهِينَ ﴿ وَلَنَا فَعُوامَتَنَعَهُمْ وَيَهُوابِضَعْتَهُمْ رُدِّتْ إِلَيْهِمّْ قَالُوايَتَأَبَانَ مَانَتِغَ هَاذِهِ بِعَنَعَنُنَارُدُّتَ إِلَيْكَأُّوْغِيرُأَهُ لَمَنَا وَتَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُكَيْلُ بَعِيرُ ذَلِكَ كَيْلُ يَعِيرُ فَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ فَوْقُونِ مَوْقَالِمِنَ اللَّوَلَتَالْنَنِي بِيِّ الْآ أَن يُعَاطَ بِكُرْ فَكَنَّا مَا تَوْهُ مَوْقِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلُ ۞ وَقَالَ يَهَنِيَّ لَانَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدِ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبُوكِ مُّسَفَرِقَةً وَمَآ أُغَنِي عَنكُم مِنْ أَلْوُمِن شَيْءً إِن ٱلْحَكُمُ الْمِلْاِلْمَةِ عَلَيْهِ فَوَكَمَانُ وَعَلَيْهِ فَلِيْتُوكَلَ ٱلْتُوَكِّلُونَ ﴿ وَلِمَا تَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُ مِنْ اللَّهِ مِن مَّنَّ وِ إِلَّا حَاجَكَةً فِي نَفْيِر إِيَّعَ قُوبَ قَضَنَّهَا وَإِنَّهُ رَلَدُوعِلْمِ لِمُاعَلَّنَكُ وَلَكِنَّ أَكُمُ ثَرَّالنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَلَا دَخَالُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَكَ إِلَيْهِ أَخَالُهُ فَالَ مُ إِنَّ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَهِسَ بِمَا كَانُواْ يَشْمَلُونَ ۞

ON TO WITH MORE WAY

يمرون عليها وهم عنها معرضون * ومبا يسؤمسن أكسرههم بنالله إلأ وههم مشركون * أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون، يقول تعالى لنبيه عمد ﷺ: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت، على إيمانهم ﴿بمؤمنين﴾ فإن مداركهم ومقاصدهم قد أصبحت فاسدة، فلا ينفعهم حرص الناصحين عليهم ولو عدمت الموانع، بأن كانوا يعلمونهم ويدعونهم إلى ما فيه الخير لهم، ودفع الشرعنهم، من غير أجر ولاً عبوض، ولبو أقياموا ليهيم مين الشواهد والآيات الدالات على صدقهم ما أقاموا. ولهذا قال:

﴿وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين بتذكرون به ما ينفعهم ليفعلوه، وما يضرهم ليتركوه. ﴿وَكَأَيِّنَ﴾ أي: وكم ﴿من آية في السماوات والأرض يمرون عليهام

ومع هذا إن وجد منهم بعض الإيمان فلا ﴿يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون 🕈 فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفجأهم العقاب

الأفعال، المعرضون عن آيات الله ﴿أَنَّ تأتيهم خاشية من عذاب الله أي: عذاب يغشاهم ويعمهم ويستأصلهم، ﴿ أُو تأتيهم الساعة بغته ﴾ أي: فجأة ﴿وهم لا يُشعرون ﴾ أي: فإنهم قد استوجبوا لذلك، فليتوبوا إلى الله، ويتركوا ما يكون سبباً في عقابهم.

﴿۱۰۸ _ ۱۰۹﴾ ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتَّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين * وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى

وكأيّن من آية في السماوات والأرض

عليه من أجر إن هو إلاَّ ذكر للعالمين *

دالة لهم على توحيد الله ﴿وهم عنها معرضون﴾.

نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ لما قص الله هذه ﴿ ذلك ﴾ الأنباء الذي أخبرناك به ﴿ من أنباء الغيب الذي لولا إيحاؤنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل، فإنك لم تكن حاضراً لديهم ﴿إذ أجمعوا أمرهم أي: إخوة يوسف ﴿وهم وهم آمنون، ولهذا قال: يمكرون﴾ به حين تعاقدوا على التفريق بينه وبين أبيه، في حالة لا يطلع عليها ﴿أَفَأُمنُوا﴾ أي: الفاعلون لتلك

> إلى علمها، إلا بتعليم الله له إياها. كما قال تعالى لما قص قصة موسى وما جرى له، ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلى علمها إلا بوحيه ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر، وما كنت من الشاهدين، الآيات، فهذا أدل دليل على أن ما جاء به رسول الله حقاً.

> > ﴿١٠٧ _ ١٠٣﴾ ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وما تسألهم

إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون القيول تعالى لنبيه ىمد ﷺ: ﴿قُلُ لِلنَّاسِ ﴿هَذُهُ سبيلي﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصَّلة إلَّى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ أَي: أحُثُّ الخِلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغَّبُهُمْ في ذلك وأرهَّبُهم مما يبعدهم عنه.

ومع هذا فأنا ﴿على بصيرة﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية ، ﴿وَ﴾ كذلك ﴿من اتبعني﴾ يدعو إلى الله كما أدعو، على بصيرة من أمره ﴿وسبحان الله﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله .

﴿ وما أنا من المشركين ﴾ في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصاً له الدين.

ثم قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أي: لم نرسل ملائكة ولا غيرهم من أصناف الخلق، فلأي: شيء يستغرب قومك رسالتك، ويزعمون أنه ليس لك عليهم فضل، فلك فيمن قبلك من المرسلين أسوة حسنة ﴿نوحي إليهم من أهل القري﴾ أي: لا من البادية، بل من أهل القرى

THE PARTY OF THE P فَلْمَا جَهَزَهُم بِهَازِهِم جَكَلَ البَعَالِيَّةِ وَصَلَ أَخِيهِ ثُرَّ أَذَكَ مُؤَذِّنُ أَيْتُهَا ٱلْمِيرُ إِنَّكَ مُلَا لَيْ مُ الْوَا وَأَقْتَلُواْ عَلَيْهِ مِمَّاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُواْ نَفْقِ دُصُواعً ٱلْلَكِ وَلِمَنَ جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيدٍ وَأَنَا بِهِ رَعِيدٌ ۞ قَالُواْ تَالْعَولَقَدْ عَلِمْتُ مِ مَا حِثْنَا لِنُفِّسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَاكُنَّا سَرِقِينَ ۞ قَالُواْ فَمَاجَزَّ قُوْمُ إِن كُنتُرُكُفِينِ اللهُ أَجَزَوُهُمُ وَجِدَ فِي رَعِلِهِ عَهُوَجَرَوُّهُمُ لَكَ لِكَ يَجْزِي الظَّالِيونَ ۞ فَهَدَّأَ بِأَوْعِيَتِهِ مُرَّقِّلَ وِعَلِّهِ لَخِيو ثُمَّ أَسْتَخْرَجُهَا مِن وِعَلَهِ أَخِيهُ كَذَلِكَ كَ مَنَا لِيُوسُفَّ مَاكَانَ لِيَالْخُذَ لَغَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَكَّةَ ٱللَّهُ مُزْفِعُ دَرَجَتِ مِنْ فَشَكَآهُ وَفَقَ صَكُلِّ ذِي عِلْمِ عَلِيمٌ ٥ • قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخُ لَّهُ مِن مَبَثِلُ فَأَسَرَهَ الْوَسُفُ فِ تغييد وكزنب هالمكث قال أنت مترمك كأواقة أغار يَمَانَسِهُونَ۞ قَالُواٰيِنَاأَيُّهَاٱلْعَرِيزُانَ لَهُۥَأَاكُ صَيْخًاكِيرًا فَخُذُ أَهُ مَنَا مَكَانَهُ مِنَّا مُزَلِكَ مِنْ الْمُعْسِنِينَ @ NOVERDE III DE LE COMP

الذين هم أكمل عقولاً، وأصح آراء، وليتبين أمرهم ويتضح شأنهم.

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ إذا لم يصدقوا لقولك، ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ كيف أهلكهم الله بتكذيبهم، فاحذروا أن تقيموا على ما أقاموا عليه، فيصيبكم ما أصابهم، ﴿ولدار الآخرة﴾ أي: الجنة وما فيها من النميم المقيم، ﴿خير للذين نواهيه، فإن نعيم الدنيا منغص منكد، منقطع، ونعيم الآخرة تام كامل، لا يفنى أبداً، بل هو على الدوام في تزايد وتواصل، ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ ﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أفلا تكون لكم عقول تؤيرُ الذي هو خير على الأدنى.

﴿ ١١١ ـ ١١١﴾ ﴿ حسنى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كلّ شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ يخبر تعالى: أنه يرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون اللنام، وأن الله تعالى يمهلهم ليرجعوا إلى الحق، ولا يسزال الله يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية

الشدة منهم على الرسل.

حتى إن الرسل - على كمال يقينهم، وشدة تصديقهم بوعد الله ووعيده - ربما أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس، ونوع من ضعف العلم والتصديق، فإذا بلغ الأمر هذه الحال الرسل وأتباعهم، ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ أي: ولا يرد عذابنا، عمن اجترم، وتجرأ على الله ﴿فما لهم من قوة ولا ناصر﴾.

﴿لقد كان في قصصهم﴾ أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم، ﴿عبرة لأولي الألباب﴾ أي: يعتبرون بها، أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون بها أيضاً، ما ش من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له.

وقوله: ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي: ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من الأحاديث المفتراة المختلقة، ﴿ولكن ﴾ كان ﴿تصديق الذي بين يديه ﴾ من الكتب السابقة، يوافقها ويشهد لها بالصحة، ﴿وتفصيل كل شيء ﴾ يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأذلة والبراهين.

﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ فإنهم -بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق وإيثاره - يحصل لهم الهدى، وبما يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل تحصل لهم الرحمة.

فصــل

في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة التي قال الله في أولها ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ وقال ﴿لقد كان في يوسف وإخوت آيات للسائلين ﴾ وقال في آخرها ﴿لقد كان

في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد.

فمن ذلك، أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى عنة، ومن محنة إلى منحة ومِنَّة، ومن ذل إلى عز، ومن رق الى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع واثتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء، إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فاحسنها، ووضحها وبينها.

ومنها: أن فيها أصلاً لتعبير الرؤياء وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبني عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى أنّ الشمس والقمر، وأحد عشر كوكباً له ساجدين، وجه المناسبة فيها: أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجالها، وبها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدي بهذه الأنبوار، ولأن الأصبل أبسوه وأمسه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نوراً وجرماً، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته، ومن المناسبة أن الساجد معظم عترم للمسجود له، والمسجود له أن يوسف يكون معظماً عترماً عند أبويه وإخوته.

ومن لازم ذلك أن يكون مجتبى مفضلاً في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل

الأحاديث، ومن المناسبة في رؤيا الفتيين، أنه أول رؤيا، الذي رأى أنه يعصر خمراً، أن الذي يعصر في العادة، يكون خادماً لغيره، والعصر يقصد لغيره، فلذلك أوَّلهُ بِما يؤول إليه، أنه يسقى ربه، وذلك متضمن لخروجه من

وأوَّل اللَّذِلِي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، بأن جلدة رأسه ولحمه، وما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، وأنه سيبرز للطيور، بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل.

وأؤل رؤيسا الملسك لسلسيقسرات والسنبلات، بالسنين المخصبة، والسنين المجدبة، ووجه المناسبة أن الملك، به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنون بها صلاح أحوال الرعية، واستقامة أمرً المعاش أو عدمه .

وأما البقر فإنها تحرث الأرض عليها، ويستقى عليها الماء، وإذا أخصبت السنة سمنت، وإذا أجدبت صارت عجافاً، وكذلك السنابل في الخصب، تكثر وتخضر، وفي الجدب تقل وتيبس وهي أفضل غلال

ومنها: ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد ﷺ، حيث قص على قومه هذه القصة الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحداً.

يراه قومه بين أظهرهم صباحاً ومساءً، وهو أمِّي لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم

ومنها: أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى مضرته، لقول يعقوب ليوسف ﴿يا بُنيَّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً،

ومنها: أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله: ﴿فيكبدوا لك كيداً ﴿

ومنها: أن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسبيه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب، ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.

ومنها: أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه، حتى في معاملة الوالد لأولاده، في المحبة والإيثار وغيره، وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وآثره على إخوته، جرى منهم ما جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم.

ومنها: الحذر من شؤم الذنوب، وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوبأ متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبكون، ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أنَّ اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، والافستراء ما حبصل، وهذا شيؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة.

ومنها: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جري منهم ما جري في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE ا قَالَ مَعَاذَاللَّهُ أَن تَأْخُهُ ذَالَّامَن وَحَكْدُنَا مَتَلَعَنَا عِندَهُ رَالًّا الْ الْطَالِمُونِ ﴿ فَلَمَّا أَسْتَغِينُوا مِنْهُ خَلَصُوا غِيرًا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلْزَقَ لَمُوْإِ أَنَّ أَبَاكُمْ مِّقَدْ لَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْفِقًا مِنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَطْتُ مِنْ يُوسُفُ فَكَنَ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَىٰ يٰأَذَكَ لِيٓ أَنِ أَوْيَعَكُمُ اللَّهُ لِيُّ وَهُوَ خَيْرًا لَحَكِمِينَ ۞ ٱرْجِعُوٓا إِلَنَّ أَبِيكُمْ وَفَقُولُواْ يَثَأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَاشَهَدْنَآ إِلَّامِاعَلِمْنَ اوَمَاكُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ ﴿ وَيَسْتَلِ الْقَرْبَةَ ٱلِّي كُنَّا فِيهَا وَٱلْمِيرَالَٰتِيٓ أَقْبَلُنَافِيًّا وَإِنَّا لِمَهُ وَقُورَ ٥ قَالَ بَلْ مَوَّلَتَ لَكُمْ أَنفُكُرُ أَمْرُ أَ فَصَبُرُ يَجِيدُ لُ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِهِنِي بِهِمْ جَبِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْمَـٰكِيمُ الْمُحَكِيدُ ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنَأْسَفَىٰ هَلَ وُسُفُ وَأَبْيَضَتَ عَيْسَاهُ مِنَ أَنْحُ زِنِ فَهُوَكَ ظِيرٌ ۞ قَالُواْ تَاللَّهِ تَكْفَوُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَقَّ تَكُونَ حَرَضًا اً أَوْرَكُونَ مِنَ الْمُنَاسِكِينَ ﴿ وَالَمِ إِنَّا أَشَكُواْ يَقِي الله وَحُدْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَرُونِ اللَّهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ ۞ DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF

لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فالله خير الراحمين.

ولهذا _في أصح الأقوال _أنهم كانوا أنبياء لقوَّله تعالَى: ﴿وأوحينا إلىّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يدل على ذلك أن فى رؤيا يوسف، أنه رآهم كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة .

ومنها: ما مَنَّ الله به على يوسف عليه الصلاة والسلام من العلم والحلم، ومكارم الأخلاق، والدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفواً بادرهم به، وتمم ذلك بأنه لا يثرب عليهم ولا يعيرهم به.

ثم برُّهُ العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته، بل لعموم الخلق.

ومنها: أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضورين أولي من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقائه أرضاً، وقال قائل منهم: ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب﴾ كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

ومنها: أن الشيء إذا تداولته الأيدي وصار من جملَّة الأموال، ولم يعلم أنه كان على غير وجه الشرع، أنه

GENERAL MENERAL DESIGNATION OF THE PERSON OF يكنئ أذهبوا فتحسكوا من يوشف وأجيد ولا كأيتسوا مِن زَوْجِ اللَّهِ إِنَّهُ لِا يَأْتِنَسُ مِن زَوْجِ الْهَ إِلَّا الْفَوْمُ ٱلْكَنْفِرُونَ ٥ فَلَمَا دَخُلُوا عَلَيْهِ وَالْوَايِّنَا أَيْهُا ٱلْعَرِيْدُ مُسَتَّ نَاوَأَهْلَنَا ٱلفُّرُ وَيَحْنَنَا بِبِصَلِعَةِ مُّرْجَلَةِ فَأُوْفِ لَنَا ٱلْكِيْلُ وَتُصَدَّقُ عَلَيْنَ أَإِنَ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿ قَالَ هَلَ عَلِيْتُهُمْ مَافَعَ لَتُه بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذَ أَنتُهُ مَجَعَلُونَ ٥ قَالُواْ أَهِ نَكَ لَأَنتَ يُوسُفُّ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَىٰ ذَاۤ أَخِنَّ فَكُدُ مَنَ ٱللَّهُ عَلَيْنَ ۚ إِنَّهُ مِن يَتَّقِ وَيَصِّيرٌ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ لَجْدَالْلُحْسِنِينَ۞ قَالُواْ تَالِمَّهِ لَقَدْ ءَاثَرُكَ الْفُعَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَطِيرِ ﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْرِّيَّةُ فِرُالَةُ لَكُمُّ وَهُوَأَرْكُمُ الرَّحِينَ ۞ ٱذْهَبُوا بِقَصِيصِي هَا ذَا فَأَلْقُوهُ عَكَلَ رَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُولَ بِأَهْلِكُ مِّ أَجْعَينَ ۞ وَلِمَّا فَصَلَتِ ٱلْمِيرُقَالَ ٱبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِهُ رِيبَ يُوسُفَّ لَوْلَاۤ أَنَّ تُفَكِيْدُونِ ۞ قَالُواْ تَأَمَّهِ إِنَّكَ لَنِي مَسَلَلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۞ TO SO TO SO

لا إثم على من باشره ببيع أو شراء، أو خدمة أو انتفاع أو استعمال، فإن يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعاً حراماً، لا يجوز، ثم ذهبت به السيارة إلى مصر فباعوه بها، وبقي عند سيده غلاماً رقيقاً، وسماه الله شراءً(١٠)، وكان عندهم بمنزلة الغلام الرقيق الكرم.

ومنها: الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضاً من المحبة التي يخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى، بسبب توحدها بيوسف، وحبها الشديد له، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسجن بسببها مدة طويلة.

ومنها: أن الهمّ الذي همّ به يوسف بالمرأة، ثم تركه شه، عما يُقرّبه إلى الله زلفي، لأن الهمّ داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين عبة الله وخشيته، غلبت محبة الله وخشيته خاف مقام ربه ونهى النفس عن داعي النفس والهوى ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: "رجل دعته امرأة ذات

منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله ا وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير عزماً، ربما اقترن به الفعل.

ومنها: أن من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصاً لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأحلاصه لقوله: ﴿وهم بها لولا أن وأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه المخلصين﴾ على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص عمله لله أخلصه الله، وخلصه من السوء والفحشاء.

ومنها: أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلاً فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية ، لأن يو سف عليه السلام ـ لما راودته التي هو في بيتها ـ فر هارباً، يطلب الباب ليتخلص من شرها، ومنها: أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، فلو تخاصم رجل وامرأته في شيء من أواني الدار، فما يصلح للرجل فإنه للرجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة، وكذا لو تنازع نجار وحداد في آلة حرفتهما من غير بينة، والعمل بالقافة في الأشباه والأثر، من هذا الباب، فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قد القميص، واستدل بقد من دبره على صدق يوسف وكذبهاً.

ومما يدل على هذه القاعدة، أنه استدل بوجود الصواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسرقة، من غير بينة شهادة ولا إقرار، فعلى هذا إذا وجد المسروق في يد السارق، خصوصاً إذا كان معروفاً بالسرقة، فإنه يحكم عليه بالسرقة، وهذا أبلغ من الشهادة،

وكذلك وجود الرجل يتقيأ الخمر، أو وجود المرأة التي لا زوج لها ولا سيد حاملاً فإنه يقام بذلك الحد، ما لم يقم مانع منه، ولهذا سمى الله هذا الحاكم شاهداً فقال: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾.

ومنها: ما عليه يوسف من الجمال الظاهر والباطن، فإن جماله الظاهر، أوجب للمرأة التي هو في بيتها ما أنها على ذلك أن قطعن أيديهن وقلن فما هذا بشرأ إن هذا إلا ملك كريم وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة الكثيرة لوقوعها، وشهادة امرأة العزيز ولقد راودته عن نفسه والسعصم وقالت بعد ذلك: ﴿الآن عصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لن المصادقين وقالت النسوة: حواش لله ما علمنا عليه من سوء .

ومنها: أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين _إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية _ أن الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الذنيا والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجىء إلى الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته، لقول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾.

ومنها: أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس، وإن كان معصية ضاراً لصاحبه

⁽١) كذا في أ، وفي ب: سيداً، ويبدو والله أعلم أن مراد الشيخ ـ رحمه الله ـ أن الله قال: (وشروه) فسمى الله فعلهم شراء مع كونه

ومنها: أنه كما على العبد عبودية لله في الرخاء، فعليه عبودية في الشدة، ف «يوسف» عليه السلام لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن، استمر على ذلك، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك، ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته، حيث ظنا فيه الظن الحسن وقالا له: ﴿إِنَّا نُرَاكُ مِنَ الْمُحَسِّنِينَ ﴾ وأتياه لأن يعبر لهما رؤياهما، فرآهما متشوفين لتعبيرها عنده _رأى ذلك فرصة فانتهزها، فدعاهما إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولاً، أن الذي أوصله إلى الحال التي رأياه فيها من الكمال والعلم، إيمانُه وتوحيده، وتركه ملة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن

ومنها: أنه يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتى، وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف ـ لما سأله الفتيان عن الرؤيا ـ قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له.

ومنها: أن من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جري العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: ﴿ اذكرني عند ربك ﴾.

ومنها: أنه ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أولا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم، فإن

يوسف عليه السلام قد قال، ووصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتي، وجاءه سائلاً مستفتياً عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جواباً تاماً من كل وجه.

ومنها: أنه ينبغي للمسؤول أن يدل السائل على أمر ينفعه بما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه وفطنته، وحسن إرشاده، فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم مع ذلك على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته.

ومنها: أنه لا يلام الإنسان على السعى في دفع التهمَّة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يحمد على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاق قطعن أيديهن، ومنها: فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف _بسبب جماله _ حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في المدنيا والآخيرة من آثمار المعمليم وموجباته.

ومنها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير المراثي داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴿ وقال اللَّكِ: ﴿أَفْتُونِ فِي رؤيايِ﴾ وقال الفتي ليوسف: ﴿أَفْتَنَا فِي سَبِعِ بِقُراتِ﴾ الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

ومنها: أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في ذلك

ا فَلَمَا ٓ أَن حِيآءَ ٱلْمَشِيرُ ٱلْقَيْهُ عَلَى وَجِهِهِ عَاٰرْتِذَ بَصِيراً قَالَ أَلَّهُ أَقُلُ لِّكُمْ إِنَّ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَاتَقَالَمُونَ ۞ قَالُواْ يَنَأَبَانَا ٱسْتَغُفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّاكُنَّا خَطِينَ ۞ قَالَسَوْفَ أَسْتَغْفِرُلَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ ٱلْفَكُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ فَلَنَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ وُسُفَ ءَاوَكَىٰ إِلَيْهِ أَبُونِيْهُ وَقَالَ ٱدْخُـ لُواْ مِصْرَ إِن شَكَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبُونَهِ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَخَرُواْ لَهُ سُجَّكَا أَوَقَالَ يَنَا لَبَتِ هَلَذَا تَأْوِيلُ زُءَ يَلَى مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَارَتِي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَيَمّاءَ بِكُمِينَ ٱلْبَدْوِمِنُ بَعْدِ أَن نَزَعَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِي وَكَيْنَ إِخْوَقَتْ إِذَ رَبِي لَطِيفٌ لِمَايِثَ أَيْ أَنَّهُ أَمُوا الْعَلِيمُ الْعَكِيمُ ٥٠ رَبّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُثْلِي وَعَلَّتَنِي مِن تَأْوِيدِلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَلِيلَ ٱلسَّكَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيْءِ فِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ وَقَيْ مُسْلِكًا وَٱلْحِقْنِي إِلْصَلِحِينَ ۞ ذَٰلِكَ مِنْ ٱلْبُكَةِ ٱلْعَيْبِ نُوجِيهِ إِلَيْكُ وَمَاكُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرُهُمْ وَهُرْ يَمْكُرُونَ الله عَمَا أَكُثُرُ النَّامِ وَلَوْحَرَضَتَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ OND TO THE SERVED TO THE SERVE

مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب، لقول يوسف: ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم، وكذلك لا تذم الولاية، إذا كان التولى فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجوداً غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها.

ومنها: أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان: الإيمان والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخروي، وفضله العظيم لقوله تعالى: ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون.

ومنها: أن جباية الأرزاق _إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم ـ لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجدبة، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله،

C CONTRACTOR W وَمَاتَمَتُهُمُ مَلَيْهِ مِنْ أَجْرُ إِنْ هُوَ إِلَّا إِنَّ كُرِّ لِلْعَالِمِينَ ۞ وَكَأَيْنِ مِنْ مَايَةٍ فِٱلسَّنَوْيَةِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُرَ عَنْهَا مُعْرِجُنُونَ ۞ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرَكُونَ ۞ أَفَالَمِنُوَا أَن تَأْنِيَهُ مُعَنِيدٌ تُمِنْ عَذَابِ اللَّهُ أَوْيَالْيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَعْتَةً وَهُمْ لَايَشْمُهُونَ ۞ قُلْهَانِيهِ سكيل أذعُوَّا إِلَى اللَّهُ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا وَمَن ٱتَّبَعَنَّ وَسُبْحَزَّالِيَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْشُركِينَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا يجالًا فُرِحت إلَيْه مِينَ أَهْلِ ٱلْقُرَيَّ أَفَكَرْ يَسِيرُوالِ ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَكَانَ عَلَقِهَ ٱلَّذِيبَ مِن قَبْلِهِمُّ وَلَمَالُ الْكِيْرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِيكَ أَتَّقَوَّا أَفَلَا تَقْدَقِلُوكَ ۞ حَقَّ إِذَا ٱسْتَيْعَسَ الرُسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِيُواْ جَآةَ هُمْ نَصْرُكَ الَّهُمِّيِّ مَن نُشَكَآهُ وَلَا يُسَرُدُ بَأْتُ مَا عَنِ الْفَوْمِ ٱلْمُجْمِدِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي صَهِيهِ فِي عِبْرَةً لِأُولِي ٱلْأَلِيُّ مَا كَانَ حَدِيثَا يُفَتَّى وَلَهُ كِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْدِ وَتَغْمِيلَ كُلِّ مْنَى وَوَهُدَى وَرَحْمَةُ لِمَوْمِ وَيُوْمِنُونَ اللهِ

ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه.

A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

ومنها: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جداً حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كل بعير وحمله.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته ﴿ ألا ترون أني أوفى الكيل وأنا خير المنزلين ﴾ .

ومنها: أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم، فإن يعقوب قال لأولاده _ بعدما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً ﴾ وقال لهم في الأخر : ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم عليه إلا كما أمنتكم عليه إلا كما أحتبسه يوسف عنده، وجاء إخوته المتبسه يوسف عنده، وجاء إخوته أنفسكم أمراً ﴾ فهم في الأخيرة _ وإن أنفسكم أمراً ﴾ فهم في الأخيرة _ وإن أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير

إثم عليه ولا حرج.

ومنها: أن آستعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضاً من القضاء والقدر، لأمر يعقوب حيث قال لبنيه: ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ .

ومنها: جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل

ومنها: أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يحب أن يطلع عليه، أنْ يستعمل المعاريض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصُّواع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موهماً أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ ولم يقل «من سرق متاعنا؛ وكذلك لم يقل ﴿إنا وجدنا متاعنا عنده الله أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه (١)، وقد زال عن الأخ هذا الإيهام يوسف. بعد ما تبينت الحال.

> ومنها: أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به، وتطمئن إليه النفس لقولهم: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾.

ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويحزنه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه مدة طويلة، لا تقصر عن خسة عشر سنة،

ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ ثم ازداد به الأمر شدة ، حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف ، هذا وهو صابر لأمر الله ، عتسب الأجر من الله ، قد وعد من نفسه الصبر الجميل ، ولا شك أنه وفى بما وعد به ، ولا ينافي ذلك ، قوله : ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر ، وإنما الذي ينافيه ، الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر ، المخلوقين .

ومنها: أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسراً، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطراراً، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد _ بذلك _ إيمانهم ويقينهم وعرفانهم.

ومنها: جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر ونحوهما، على غير وجه التسخط، لأن إخوة يوسف قالوا: ﴿يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ ولم ينكر عليهم يدسف.

ومنها: فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلهما أحسن العواقب، لقوله: ﴿قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

ومنها: أنه ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال، أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن لا يزال ذاكراً حاله الأولى، ليحدث لذلك شكراً كلما ذكرها، لقول يوسف عليه السلام: ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾

ومنها: لطف الله العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال، وأوصل إليه الشدائد والمحن، ليوصله بها إلى أعلى الغايات ورفيع الدرجات.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائماً في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ربّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين﴾.

فهذا ما يسر الله من الفوائد والعبر في هذه القصة المباركة، ولابدأن يظهر للمتدبر المتفكر غير ذلك.

فنسأله تعالى علماً نافعاً وعملاً متقبلاً، إنه جواد كريم.

تم تفسير سورة يوسفُ وأبيه وإخوته عليهم الصلاة والسلام ، والحمد لله رب العالمين

تفسير سبورة السرعبد، وهي مدنية، وقيل: مكية

(١) وبسم الله الرحمن الرحيم المرتبلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون في يغبر تعالى أن هذا القرآن هو آيات الكتاب الدالة على كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، وأن الذي أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق المبين، لأن أخباره صدق، وأوامره ونواهيه عدل، مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة، فمن أقبل عليه وعلى علمه، كان من أهل العلم علمهم، الخق، الذي يوجب لهم علمهم، العمل بما أحب الله.

﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بهذا القرآن، إما جهلا وإعراضاً عنه وعدم اهتمام به، وإما عناداً وظلماً، فلذلك أكثر الناس غير منتفعين به، لعدم السبب الموجب للانتفاع.

﴿٢ - ٤ ﴾ ﴿الله السندي رفسع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل

يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلونَ ﴾ يخبر تعالى عن انفراده بالخلق والتدبير، والعظمة والسلطان الدال على أنه وحده المعبود، الذي لا تنبغى العبادة إلا له، فقال: ﴿الله الذي رفع السماوات، على عظمها واتساعها بقدرته العظيمة، ﴿بغير عمد ترونها﴾ أي: ليس لها عمد من تحتها، فإنه لو كان لها عمد، لرأيتموها، ﴿ثم) بعدما خلق السماوات والأرض ﴿استوى على العرش، العظيم الذي هو أعلى المخلوقات، استواء يليق بجلاله ويناسب كماله.

﴿وسخر الشمس والقمر ﴾ لمصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم، ﴿كُلُ مِن الشمس والقمر ﴿يُرِي﴾ بتدبير العزيز العليم، ﴿لأجل مسمى بسير منتظم، لا يفتران ولا ينيان، حتى يجيء الأجل المسمى وهو طَيُّ الله هذا العالم، ونقلهم إلى الدار الآخرة التي هي دار القرار، فعند ذلك يطوي الله السماوات، ويبدلها، ويغير المؤرض ويبدلها. فتكور الشمس والقمر، ويجمع بينهما، فيلقيان في والقمر، ويجمع بينهما، فيلقيان في النار، ليرى من عبدهما أنهما غير أهل للعبادة؛ فيتحسر بذلك أشد الحسرة، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

وقوله: ﴿يدبر الأمر يفصل الآيات﴾ هذا جمع بين الخلق والأمر، أي: قد استوى الله العظيم على سرير الملك، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويقيل العثرات، ويفرح الكربات، وينفذ

以 के होस्ताब्रह्म है। المَتَرُ عِلْكَ ءَايَنُ ٱلْكِتَالِ وَالَّذِيَّ أَنِلَ إِلَيْكَ مِن زَلِكَ ٱلْحَقُّ وَلَيْكِنَّ أَكُمْ أَلْنَاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ اللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعُ ٱلسَّمَوْتِ بِغَيْرِ عَمَّذِ تَرَوْنَهَ أَثْرَ أَسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشُ وَسَخَرًا لَشَعْسَ وَٱلْقَتْرَكُلُّ يَجْرِي لِأَجَلِ مُسَمِّى يُدَيِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاَّءِ رَبِكُوتُوفِونَ ۞ وَهُوَالَّذِي مَذَالْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَارَوَاتِينَ وَأَنْهَٰزَا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارُّ إِنَّ فِي ذَلِكَ ٱلَّذِينَةِ لِفَوْمِ يَنَفَكَّرُونَ ۞ وَفِٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُنَجَوِرَتُ وَيَحَنَّتُ مِنْ أَعْسَ وَزَرْعٌ وَنَحِيد لَّ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ مِينُوانِ يُسْقَىٰ مِمَآ وَرَحِدِ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضِ إِنْ الْأَكُولُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَنَتِ الْعَوْمِ يَعْقِلُونَ ۞ • وَان تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَاكُنَّا ثُرُيًّا أَءِنَّا لِنَ خَلْقِ جَدِيدٌ أُ أُوْلَيْكَ ٱلَّذِيرَ كَمَنُرُوا بِمِيْهِمِّ وَأُوْلَيْهِكَ ٱلْأَغْلَالُونَ أَعْنَاقِهِمُّ وَأُولَلِهِكَ أَصْحَتُ النَّارِهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ۞ CONSTRUCTION OF THE SECOND

الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره.

وينزل الكتب الإلهية على رسله، ويبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأوامر والنواهي، ويفصلها غاية التفصيل ببيانها وإيضاحها وتمييزها، ولعلكم بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية، والآيات القرآنية، وبلقاء ربكم توقنون فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصاً في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

وأيضاً فقد علم أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، ولا يتركهم عبثاً، فكما أنه أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيهم، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيهم جزاؤه، فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء، ويجازي السيئين بإساءتهم.

﴿وهو الني ملاً الأرض ﴾ أي: خلقها للعباد، ووسعها، وبارك فيها، ومهدها للعباد، وأودع فيها من مصالحهم ما أودع، ﴿وجعل فيها رواسي ﴾ أي: جبالاً عظاماً، لثلا تميد بالخلق، فإنه لولا الجبال لمادت بأهلها، لأنها على تيار ماء، لا ثبوت لها ولا اجعلها الله أوتاداً لها.

المنظالية المنظالية المنظالية وَيَسْتَعْجِلُونِكَ بِٱلسَّيَّعَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمُثَلَثُ وَإِنَّ رَبِّكَ لَذُومَغُ فِرَوَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمَهِ وَإِنَّ رَبُّكَ كَا لَشَكِيدُ ٱلْمِقَابِ ۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَعَرُوا لَوْ لَآ أَنسِ إِلَّهُ عَلَيْهِ ءَايَةً مِن زَيَةً إِنَّا أَنتَ مُنذِرٌّ وَإِكُلْ قَوْمِهَادِ ۞ ٱللَّهُ يُقِلَدُ مَا تَخْدِلُ كُلُّ أَنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَمْحَامُ وَمَالَوْدَادُّ وَكُنُّ ثَنَّى: عِندَهُ عِقْدَادِ ۞ عَلِيمُ ٱلْعَيْبِ وَٱلْشَهَا لَهِ ۗ الْكَ بِيرُ الْمُنْعَالِ ۞ سَوَّا "يَنكُم مِّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَيهِ وَمَنْ هُوَمُسْتَخْفِ بِالَّيلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ اللَّهِ ۞لَهُ مُعَقِّبَكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ مَيْحَفَظُويَهُ مِنْ أَمْرِاللهِ ۞٨معمينت مِن بين يديد وون خدي بعضونه ون أمراهه إڪ الله لائعيُر مَا بِقَوْمِ حَقَّ يُفَكِيرُوا مَا بِالْفُسِيومُ ۚ وَمَانَا ۚ [الْ أَرَادَ اللَّهُ يِ قَوْمِ مُوَّدًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَالِ ٩ هُوَالَّذِي يُرِيحُهُ ٱلْبَرْفَ خَوْفَ اوْطَلَمَا وَكُنيْنِي التَحَابَ الثِّفَالَ ۞ وَيُسَيِّحُ الزَّعَدُ بِحَسَّدِهِ وَٱلْكَالَيْكِ اللَّهُ مِنْ خِفَتِهِ وَوَرُسِلُ ٱلْضَوَعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا سَ يَشَكُّهُ وَهُمْ يُجَلِدُ لُونَ فِي اللَّهِ وَهُوسَكِيدُ الْحَالِ ٣ TO SOUTH OF THE OWNER.

﴿وَ﴾ جعل فيها﴿أنهاراً﴾ تسقى الأدميين وبهائمهم وحروثهم، فأخرج بها من الأشجار والزروع والثمار خيراً كثيراً، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ كُلِّ الثَّمْرَاتِ جعل فيها زوجين اثنين ﴾ أي: صنفين مما يحتاج إليه العباد.

﴿يغشى الليل النهار ﴾ فتظلم الآفاق، فيسكن كل حيوان إلى مأواه، ويستريحون من التعب والنصب في النهار، ثم إذا قضوا مأربهم من النوم، غشى النهار الليل، فإذا هم مصبحون منتشرون في مصالحهم وأعمالهم في النهار .

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون).

﴿إِن في ذلك لآيات ﴾ على المطالب الإلهية ولقوم يتفكرون، فيها، وينظرون فيها نظر اعتبار دالة على أن الذي خلقها ودبرها وصرفها، هو الله الذي لا إله إلا هو، ولا معبود سواه، وأنه عالم الغيب والشهادة، الرحن الرحيم، وأنه القادر على كل شيء، الحكيم في كل شيء، المحمود على ما خلقه وأمرُّ به تباركُ وتعالى.

ومن الآيات على كمال قدرته وبديع صنعته، أن جعل ﴿ في الأرض قطع متجاورات وجنات ﴿ فيها أنواع

الأشجار ﴿من أعناب وزرع ونخيل﴾ وغير ذلك، والنخيل التي بعضها ﴿صنوان﴾ أي: عدة أشجار في أصل واحد، ﴿وغير صنوانِ بأن كَان كل شجرة على حدتها، والجميع ﴿يسقى بماء واحدى وأرضه واحدة ونفضل بعضها على بعض في الأكل، لوناً، وطعماً، ونفعاً، ولَّذَة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكلأ والعشب الكثير، والأشبجار والزروع، وهذه أرض تلاصقها لا تنبت كلاً ولا تمسك ماء وهذه تمسك الماء، ولا تنبت الكلا، وهذه تنبت الزروع والأشجار، ولا تنبت الكلأ، وهذه الشمرة حلوة، وهذه مرة، وهذه بين ذلك.

فهل هذا التنوع في ذاتها وطبيعتها؟ أم ذلك تقدير العزيز الرحيم؟

﴿إِن فِي ذَلِكَ لآيات لقوم يعقلون﴾ أي: لقوم لهم عقول تهديهم إلى ما ينفعهم، وتقودهم إلى ما يرشدهم ويعقلون عن الله وصاياه وأوامره ونواهيه، وأما أهل الإعراض، وأهل البلادة فهم في ظلماتهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، لا يهتدون إلى ربهم سبيلاً ولا يعون له قيلاً.

﴿٥﴾ ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون، يحتمل أن معنى قوله ﴿وإن تعجب ﴾ من عظمة الله تعالى وكثرة أدلة توحيده، فإن العجب _مع هذا _ إنكار المكذبين، وتكذيبهم بالبعث، وقولهم ﴿أَإِذَا كِنَا تُرَابِاً أَإِنَا لَفِي خَلَقَ جديد الله أي: هذا بعيد في غاية ألامتناع بزعمهم، أنهم بعد ماً كانوا ترابأً، أن الله يعيدهم، فإنهم _من جهلهم _ قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق.

فلما رأوا هذا ممتنعاً في قدرة المخلوق، ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق، ونسوا أن الله خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئاً.

قولهم وتكذيبهم للبعث، فإن ذلك من العجائب، فإن الذي توضح له الآيات، ويرى من الأدلة القاطعة على البعث ما لا يقبل الشك والريب، ثم ينكر ذلك، فإن قوله من العجائب.

ولكن ذلك لا يستغرب على ﴿اللَّذِينَ كَفُرُوا بِرَجِمَ ﴾ وجحدوا وحدانيته، وهي أظهر الأشياء وأجلاها، ﴿وأولئكُ الأغلالِ المانعة لهم من الهدى ﴿في أعناقهم ﴾ حيث دعوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وعرض عليهم الهدى فلم يهتدوا، فقلبت قلوبهم وأفئدتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، لا يخرجون منها أبداً.

﴿٦﴾ ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ، يخبر تعالى عن جهل المكذبين لرسوله، المشركين به، الذين وعظوا فلم يتعظوا، وأقيمت عليهم الأدلة فلم ينقادوا لها، بل جاهروا بالإنكار، واستدلوا بحلم [الله] الواحد القهار عنهم، وعدم معاجلتهم بذنوبهم، أنهم على حق، وجعلوا يستعجلون الرسول بالعذاب، ويقول قائلهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اثننا بعذاب أليم.

﴿ وَ ﴾ الحال أنه ﴿ قد خلت من قبلهم المثلات) أي: وقائع الله وأيامه في الأمم المكذبين، أفلا يتفكرون في حالهم ويتركون جهلهم، ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي: لا يزال خيره إليهم، وإحسانه وبره وعفوه نازلاً إلى العباد، وهم لا يزال شرهم(١) وعصيانهم إليه صاعداً.

يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون، فلا يحرمهم خيره وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم، لأنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا ويحتمل أن معناه: وإن تعجب من فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب،

ليطهرهم من المعايب ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يخفر الذنوب جيعاً، إنه هو الغفور الرحيم ﴾.

﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ على من لم يزل مصراً على الذنوب، قد أبى التوبة والاستغفار والالتجاء إلى العزيز الغفار، فليحذر العباد من عقوباته بأهل الجرائم، فإن أخذه أليم شديد.

﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد أي: ويقترح الكفار عليك من الآيات، التي يعينونها ويقولون: ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ ويجعلون هذا القول منهم، عذراً لهم في عدم الإجابة إلى الرسول، والحال أنه منذر ليس له من الأمر شيء، والله هو الذي ينزل الآيات.

وقد أيده بالأدلة البينات التي لا تخفى على أولي الألباب، وبها يهتدي من قصده الحق، وأما الكافر الذي من ظلمه وجهله _يقترح على الله الآيات، فهذا اقتراح منه باطل وكذب وأفتراء (١).

فإنه لو جاءته أي: آية كانت لم يؤمن ولم ينقد، لأنه لم يمتنع من الإيمان، لعدم ما يدله على صحته، وإنما ذلك لهوى نفسه، واتباع شهوته، ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي: داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل وأتباعهم، ومعهم من الأدلة والبراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى.

﴿٨ ـ ١١﴾ ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار *عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد دونه من وال﴾ يخبر تعالى بعموم علمه،

وسعة اطلاعه، وإحاطته بكل شيء فقال: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ من بني آدم وغيرهم، ﴿وما تغيض الأرحام﴾ أي: تنقص مما فيها، إما أن يهلك الحمل، أو يتضاءل أو يضمحل، ﴿وما تزداد﴾ الأرحام وتكبر الأجنة التي فيها، ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ لا يتقدم عليه ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه.

يعسل إلا بما للعب والشهادة الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته ﴿المتعال﴾ على جميع خلقه، بذاته وقدره وقهره. ﴿سواءٌ منكم﴾ في علمه وسمعه،

﴿من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل أي: مستقر بمكان خفي فيه، ﴿وسارب بالنهار ﴾ أي: داخل سربه في النهار، والسرب هو ما يختفي فيه الإنسان، إما جوف بيته، أو غار، أو مغارة، أو نحو ذلك.

﴿ ١١﴾ ﴿ له ﴾ أي: لسلانسسان ﴿ معقبات ﴾ من الملائكة، يتعاقبون في الليل والنهار.

ومن بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائما، فكما أن علم الله محيط به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء، أعمالهم أن ينتقلوا من النعمة والإحسان ورغد العيش وحتى يغيروا ما بأنفسهم بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البيطر بها، فيسلبهم الله عند ذلك إياها.

وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة، ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ أي: عذاباً

لَهُوَعُوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِيكَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ وَلاَيْسَةَ جِيبُوبَ اللُّهُ مِنْ إِلَّا كَيْسِطِ كَنْيَهِ إِلَى ٱلْكَاهِ لِيَبَلُّهُ وَمَا هُوَ بَبِلِغِهِ عِنْهِ وَمَادُعَلَهُ ٱلْكَفِرِينَ إِلَّا فِي صَلَالٍ ۞ وَيَلْوَيَسَجُدُسَ فِي السَّكُوْتِ وَالْأَرْضِ لَمْوَعَا وَكُرُهَا وَظِلَالُهُمْ وَالْفُدُو وَالْأَصَالِ ﴿ * قُلْمَن زَّجُ المُتَمَوَّزِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ ٱلْمَاتَخَذَرُينَ دُونِ وِرَأُولِ كَمَّ لَا يَلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ فَفَا وَلَاضَرَّا قُلْ مَلْ يَسْوَعَ ٱلْأَصْلَ وَٱلْسِيرُ آمْ هَلْ مَنْ تَوِي الظُّلُكُ تُ وَالتُّورُ أَمْ جَعَلُوا بِقَوْمُ رَكَا آءَ خَلَقُوا كَنَلْقِهِ مِنْتَشَابَهَ أَنْخَلَقُ عَلَيْهِ رُقُلِ أَللَّهُ خَالِقُ كُلِّ مَنَى وَرَحُو ٱلْوَجِدُ ٱلْفَهَرُ أَرْلُ مِنَ السَّمَاءِ مَا أَ مُسَالَتَ أُودِيَةً مِقْتَدِهَا فَأَحْمَلَ ٱلسَّيَلُ زَبَهُ ٱلْمِياُ وَعَالُوفِهُ وَنَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْنِفَ ٱ حِلْيَةٍ أَوْمَتَنَّ وَزَيْدُ مِنْ لَمُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ أَكْفَى وَالْبَطِلَّ فَأَمَّا الزَّيَدُ إِنَّهُ إِنَّا هَبُ جُعَلَةً وَأَمَّا مَا يَنَعَمُ النَّاسَ فِيمَكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كُذَاكَ يَنْرِبُ الْفَدُّ الْأَمْثَالَ ۞ لِلَّذِينَ اَسْتَجَابُوا لِرَبِومُ الْحُسْنَ وَالَّذِيبَ لَرِّيَسْتَجِيبُوالْمُلُوَّأَنَّ لَمُمَّ مَافِي ٱلْأَرْضِ كِيمَا وَيِشْلَمُمَعُمُلَا فَنْدُوّا والمَّا إِدِينُ الْوَلَتِكَ لَمُرْسُونُ الْمُسَابِ وَمَأْوَلُهُمْ مَكَنَّرُونِ مُنْ لِلْهَادُ ۞ ON TON TO BE OF OUR OF

وشدة، وأمراً يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم.

﴿فَ الله ﴿لا مردله ﴾ ولا أحد يمنعهم منه ، ﴿وما لهم من دونه من وال ﴾ يتولى أمورهم ، فيجلب لهم المحبوب ، ويدفع عنهم المكروه ، فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله ، خشية أن يجل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين .

(17 – 17) وهو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشىء السحاب الشقال * ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق الله وهو شديد المحال > يقول تعالى: هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعا > أي: يخاف منه الصواعق والهدم، وأنواع الضرر، على بعض الشمار ونحوها، ويطمع في خيره ونفعه، وينشىء السحاب الثقال > بالمطر الغزير الذي به نفع العباد والبلاد.

﴿ويسبح الرعد بحمده ﴾ وهو الصوت، الذي يسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده، ﴿و﴾ تسبح ﴿الملائكة من خيفته ﴾ أي: خشعاً لربهم، خاتفين من سطوته، ﴿ويرسل الصواعق ﴾ وهي هذه النار التي تخرج من السحاب،

GO RELIEF. RESIDIES SO • أَفَنَ تَعَادُ أَنَّكَا أَزِلَ إِلَيْكَ مِن زَيْكَ أَنْحَةً كُنْ هُوَأَعْنَ إِنَّا لِنَكَ مِن زَيْكَ أَنْحَةً أَوْلُوا ٱلْأَلْيَكِ ۞ ٱلَّذِينَ وُفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ ٱلَّهِ ثُلَّ ٥ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمْرَ ٱللَّهُ مِهِ ٓ أَن يُوصَلَ وَيَغْشُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوَّا لَحُسَابِ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْنِعَآ وَجَهِ دِيْعِهُ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَأَنفَقُواْعَ ارْزَفْهُمْ سِرَّا وَعَلَانِيةٌ وَيَدْرَهُ وِنَ بِٱلْكَانَةِ الْكِينَةُ أُولَلِكَ كَرُعُقِي الدَّارِ جَنَّتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَا وَمَنْ صَلَمَ مِنْ الْبَآيِهِ مُ وَأَزْوَجِهِمْ وَذُرِّيَّنْهِمُّ وَٱلْلَلْكِكُ يُتَخُلُونَ عَلَيْهِ وَفَرْكُلْ بَابِ۞ سَلَنَزُ عَلَيْكُم بَاصَبْرَةُ فَيَعْدَعُغْبَى ٱلدَّادِ۞ وَٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَاللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِثْلَقِهِ ءُوَيَقَطَعُونَ مَّا أَمْرَالَتُهُ بِيرَ أَن يُوصَلَ وَيُغْمِيدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَيْكَ لَمْرُ ٱللَّفَتَ لَهُ وَلَمْرُ سُومُ الدَّارِ ۞ اللَّهُ يُبْسُطُ الرِّزْقَ لِنَ يَشَكَا مُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنِّهَ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَافِ ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَسَاعٌ ۞ وَيَعُولُ ٱلَّذِيرَ كَفَرُوا لَوْ لِآ أَنِلَ عَلَيْهِ عَلَيْهُ مِن زَيْمُ عَلَى أَنَّا لَقَدَ يُعِيدُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ أَسَابَ ۞ ٱلَّذِيبَ ءَامَنُوا وَتَطْمَعَ إِنَّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِنِكْرِ اللَّهِ تَطْمَعِنَّ ٱلْقُلُوبُ ۞ TO SECTION FOR SECTION

فيصيب بها من يشاء من عباده، بحسب ما شاءه وأراده فوهو شديد المحال أي: شديد الحول والقوة، فلا يريد شيئاً إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء، ولا يفوته هارب.

فإذا كان هو وحده، الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد، وهو شديد القوة _ فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، ولهذا قال:

(18) والم دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي: لله وحده ودعوة الحق وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف والرجاء، والحب، والرعبة، والإنبابة، لأن الوهيته هي الحق، وألوهية غيره الماطلة، ووالذين يدعون من دونه من الموشان والأنداد التي جعلوها شركاء لله.

﴿لا يستجيبون لهم﴾ أي: لن يدعوها ويعبدها، بشيء قليل ولا كثير، لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة، ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾

الذي لا تناله كفاه لبعده، ﴿ليبلغ﴾ ببسط كفيه إلى الماء ﴿فاه فإنه عطشان، ومن شدة عطشه يتناول بيده ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة، لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة، لأنهم فقراء، كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير.

وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر عال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به عال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء، كما قال تعالى: فإن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

وه ١٥ ﴿ ولله يستجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال أي: جيع ما احتوت عليه السماوات والأرض وكرها خاضعة لربها، تسجد له ﴿ وطوعا والخضوع اختياراً كالمؤمنين، والكره ونظرته تكذبه في ذلك، ﴿ وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ أي: ويسجد له وسجود كل شيء بحسب حاله، كما قال تعالى: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ .

فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد

لربها طوعاً وكرهاً، كان هو الإله حقاً، المعبود المحمود حقاً، وإلاهية غيره باطلة، ولهذا ذكر بطلانها وبرهن عليه بقوله:

﴿ ١٦﴾ ﴿ قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو المسركين به أوثاناً وأنداداً يجبونها كما يجبون الله، ويبذلون لها أنواع التقربات والعبادات: أفتاهت عقولكم حتى والعبادات: أولياء تتولونهم بالعبادة، وليسوا بأهل لذلك؟

فإنهم ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ﴾ وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات، المالك للأحياء والأموات، الذي بيده الخلق والتدبير والنفع والضر؟ فما تستوي عبادة الله وحده، وعبادة المشركين به، كما لا يستوي الأعمى والبصير، وكما لا تستوي الظلمات والنور.

فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم خلقوا كخلقه، وفعلوا كفعله، فأزل عنهم هذا الاشتباه واللبس، بالبرهان الدال على توحد الإله بالوحدانية، فقل لهم: ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ فإنه من المحال أن يخلق شيء من الأشياء نفسه.

ومن المحال أيضاً أن يوجد من دون خالق، فتعين أن لها إلها خالقاً لا شريك له في خلقه، لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة والقهر فوقه مخلوق يقهره، ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان، متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر، أن ما يُدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات، وبذلك كانت عبادته باطلة.

﴿١٧﴾ ﴿أنول من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ شبه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبّه القلوب آلحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فوادٍ كبير يسع ماء كثيراً، كقلب كبير يسع علماً كثيراً، ووَادِ صغير ياخِذ مآء قليلاً، كقلب صغير، يسع علماً قليلاً، و هكذا .

وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء، ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له، حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافى والحلية الخالصة.

كذلك الشبهات والشهوات، لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصاً صافياً، ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق وإن الباطل كان زهوقاً وقال هنا: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ ليتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال.

﴿١٨﴾ ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ لما بيّن تعالى الحق من الباطل، ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر

ثوابه، وغير مستجيب، فذكر عقابه فقال: ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ أي: انقادت قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم والثواب الحسن.

فلهم من الصفات أجلُها، ومن الناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والذين لم يستجيبوا له بعد ما ضرب لهم الأمثال، وبين لهم الحق، ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرها، ﴿ومثله معه لاقتدوا به من منهم، وأتى لهم ذلك؟!!

وأولتك لهم سوء الحساب وهو الحساب الذي يأتي على كل ما أسلفوه من عمل سيّىء، وما ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده قد كتب ذلك وسطر عليهم، وقالوا: ﴿يا ويلتنا مالهذا الكتاب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴿و وُ مُواهِم بعد هذا الحساب السيىء ﴿مأواهم بعد هذا الحساب السيىء ﴿مأواهم الحوع الشديد، والعطش الوجيع، الحوع الشديد، والزمم والزمهرير، والنصريع، وجميع ما ذكره الله من والشمن المهاد أي:

(19 - 37) ﴿ أَفُمن يعلم أَنما أَنزل إليك من ربك الحق كمن هو أَصمى إنما يتذكر أولوا الألباب * الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق * والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب * والذين صبروا ابتغاء وجه سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى المدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون

عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويقول تعالى: مفرقاً بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: ﴿ أَفْمَنْ يَعْلَمُ أَنْما أَنْزِلَ إِلَيْكُ مِنْ رَبِكُ الْحَقّ فَهُم ذَلِكُ وعمل به. ﴿ كَمَنْ هُو أَعْمَى ﴾ لا يعلم الحق ولا يعمل به، فبينهما من الفرق، كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر، أي الفريقين أحسن حالاً وخير مآلاً، فيؤثر طريقها، ولكن ما كل ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره.

﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لُبُ العالم، وصفوة بني آدم، فإن سألت عن وصفهم، فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله:

الذين يوفون بعهد الله الذي عهده إليهم، والذي عامدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها توفيتها حقها من التتميم لها، والنصح فيها، ﴿و ﴾ من تمام الوفاء بها أنهم ﴿لا ينقضون الميثاق﴾ أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في والنفور، التي يعقدها العباد، فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها.

﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ وهذا عام في كلّ ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، وعبته وعبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله.

ويصلون آباءهم وأمهاتهم، ببرهم بالقول والفعل، وعدم عقوقهم، ويسملون الأقسارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولاً وفعلاً. ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والماليك، بأداء حقهم كاملاً موفراً، من الحقوق الدينية والدنيوية.

والسبب الذي يجعل العبد واصلاً ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهذا قال: ﴿ويخشون ربهم﴾ أي: يخافونه،

فيمنعهم خوفهم منه، ومن القدوم عليه يوم الحساب، أن يتجرؤوا على معاصي الله، أو يقصروا في شيء مما أمر الله به، خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب.

﴿والذين صبروا﴾ على المأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها.

ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ﴿ابتغاء وجه ربهم ﴾ لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلباً لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد، ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة.

﴿وأقاموا الصلاة باركانها، وشروطها ومكملاتها، ظاهراً وباطناً، ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية خطل في ذلك النفقات الواجبة المستحبة، وأنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة، سراً وعلانية، ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة ﴾ أي: من أساء إليهم بقول أو فعل، لم يقابلوه بغله، بل قابلوه بالإحسان إليه.

فيعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، وإذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما ظنك بغير المسيء؟!

﴿ الله الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة ﴿ لهم عقبى المدار ﴾ فسرها بقوله: ﴿ جنات عدن ﴾ أي: إقامة لا يرولون عنها، ولا يبغون عنها حوّلاً، لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي إليه المطالب والغايات.

ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم، أنهم ﴿يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾ من

الذكور والإناث ﴿وأزواجهم﴾ أي: الزوج أو الزوجة وكذلك النظراء والأحباب، والأحباب، فإنهم من أزواجهم وذريباتهم، ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ يهنئونهم بالسلامة، وكرامة الله لهم ويقولون: ﴿سلام عليكم﴾ أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل عبوب.

﴿بما صبرتم ﴾ أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية ، والجنان الغالية ، ﴿فنعم عقبى الدار ﴾ . فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة ، أن يجاهدها ، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب ، لعلها تحظى بهذه الدار ، التي هي منية النفوس ، وسرور الأرواح الجامعة

لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون، وفيها فليتنافس المتنافسون.

﴿٢٥﴾ ﴿والذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار، لما ذكر حال أهل الجنة، ذكر أن أهل النار بعكس ما وصفهم به، فقال عنهم: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ أي: من بعد ما أكده عليهم على أيدي رسله، وغلظه عليهم، فلم يقابلوه بالانقياد والتسليم، بل قابلوه بالإعراض والنقض، ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، فلم يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام ولا أدوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي، والصدعن سبيل الله، وابتغائها عِوْجاً، ﴿أُولَئُكُ لهم اللعنة﴾ أي: البعد والذم، من الله وملائكته وعباده المؤمنين، ﴿وَلَهُمُ سُوءُ الدار، وهي: الجحيم، بما فيها من العذاب الأليم.

﴿٢٦﴾ ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة

اللنيا في الآخرة إلا متاع أي: هو وحده يوسع الرزق ويبسطه على من يشاء، ويقدره ويضيقه على من يشاء، فوفرحوا أي: الكفار فبالحياة الدنيا فوحاً، أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة، وذلك لنقصان عقولهم، فوما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع أي: شيء حقير، يتمتع به قليلاً، ويفارق أهله وأصحابه، ويعقبهم ويلاً طويلاً.

﴿٢٧ ــ ٢٩﴾ ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قبل إن الله يضل من يشاء ويهدى إليه من أناب * الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب * الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم طوبي وحسن مآب، يخبر تعالى أن الذين كفروا بآيات الله، يتعنتون على رسول الله، ويقترحون ويقولون: ﴿لُولَا أَنْزُلُ عَلَيْهُ آية من ربه ، وبزعمهم أنها لو جاءت لأمنوا، فأجابهم الله بقوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ أي: طلب رضوانه، فليست الهداية والضلال بأيديهم، حتى يجعلوا ذلك متوقفاً على الآيات، ومع ذلك فهم كاذبون، ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله، ولكن أكشرهم يجهلون).

ولا يلزم أن يأتي الرسول بالآية التي يعينونها ويقترحونها، بل إذا جاءهم بآية تبين ما جاء به من الحق، كفى ذلك، وحصل المقصود، وكان أنفع لهم من طلبهم الآيات التي يعينونها، فإنها لو جاءتهم طبق ما اقترحوا، فلم يؤمنوا بها لعاجلهم العذاب، ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال:

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أي: يرول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

﴿ أَلَا بِذَكِرِ اللهِ تَطْمِئْنِ القَلُوبِ ﴾ أي: حقيق بما، وحَرِيًّ أَنْ لا تَطْمِئْنِ لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ

للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة من قبلها أمم خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى فلست ببدع م قدر معرفتها له، يكون رسالتك، و ذكرها له، هذا على القول بأن نفسك، بل تا ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح أوحاها الله إلى وتكبير وغير ذلك.

الذي أنزله ذكري للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبمذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه، فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام. ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقاً عظيماً، ثم قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصألحات﴾ أي: آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها، ﴿طوبي لهم وحسن مآب، أي: لهم حالة طيبة، ومرجع حسن.

وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه

وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مثة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة.

﴿٣٠﴾ ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾ يقول تعالى لنبيه عمد ﷺ ﴿كذلك أرسلناك ﴾ إلى قومك تدعوهم إلى الهدى، ﴿قد خلت

من قبلها أمم أرسلنا فيهم رسلنا، فلست ببدع من الرسل حتى يستنكروا رسالتك، ولست تقول من تلقاء نفسك، بل تتلو عليهم آيات الله التي أوحاها الله إليك، التي تطهر القلوب وتزكى النفوس.

والحال أن قومك يكفرون بالرحن، فلم يقابلوا رحمته وإحسانه _ التي أعظمها أن أرسلناك إليهم رسولا، وأنزلنا عليك كتاباً _ بالقبول والشكر، بل قابلوها بالإنكار والرد، أفلا يعتبرون بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة، كيف أخذهم الله بذنوبهم، فقل هو ربي لا إله إلا هو وهذا متضمن للتوحيدين، توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية.

فهو ربي الذي رباني بنعمه منذ أوجدني، وهو إلهي الذي ﴿عليه توكلت﴾ في جميع أموري ﴿وإليه متاب﴾ أي: أرجع في جميع عباداتي وفي حاجاتي.

﴿٣١﴾ ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأت وعدالله إن الله لا يخلف الميعاد) يقول تعالى مبيناً فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة : ﴿ولو أن قرآناً ﴾ من الكتب الإلهية ﴿سيرت به الجبال ﴾ عن أماكنها ﴿أو قطعت به الأرض) جناناً وأنهاراً ﴿أُو كلم به الموتى الكان هذا القرآن. ﴿بل لله الأمر جميعاً ﴾ فيأتى بالآيات التي تقتضيها حكمته، قما بال المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟ .

وأفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً و فليعلموا أنه قادر على هدايتهم جميعاً، ولكنه لا يشاء ذلك، بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ على كفرهم، لا يعتبرون ولا يتعظون، والله تعالى يوالى عليهم

الأَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمَلُوا ٱلصَّالِحَاتِ طُونَ لِمُنْرُوحُ مِنْ مُعَابِ ۞ كَذَلِكَ أَرْسَلُنَكَ فَيَ أُمَّةِ فَدْخَلَتْ مِن قَيْلِهَا أَمَمُ لِنَنْكُواْ عَلَيْهِمُ اللَّهِيَ أَوْجَيْنَا ٓ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكُفُرُونَ بِالرَّحْنَ ثُلُ هُورَبِّ لَا إِلَّهُ إِلَّاهُو عَلَتْهِ وَكَفُّلْتُ وَ إِلَيْهِ مَنَابِ ۞ وَلَوْ أَنَّ فَوَالًا سُيَرَتْ بِهِ ٱلْجَبَالُ أَوْقُلِكُتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْكُلِمَ لِهُ الْوَنَّأُ بَل يَقِوَالْأَخُرُ عِيفًا أَفَالَمْ يَأْيُفِسِ الَّذِي وَامْنُوا أَن لَّوَيْتُ آوُالَةُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعَ أُولَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تَصِيبُهُم مَاصَنُواْ قَارِعَةً أَوْغَلُ مَرِيبًا مِن دَارِهِ مِرْحَتَى يَأْتِ وَعُدُاللَّهُ إِنَ اللَّهَ لَا يُتْلِفُ لَلْمِعَادَ ۞ وَلَعَدَ أَسْتُهْزِئَ رُسُلِ مِن قَبْكَ فَأَمْلَتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمُّ أَخَذَتُهُمُّ فَكَيْفَ كَأَنَ عِفَابِ ۞ أَفَتَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَاكُ لَنَفْسِ بَاكَسَبَتُ وَجَعَلُواْ لِنَوشُرُكَّاءَ قُلْسَتُوهُمُّ أَرْتُنِيَتُونَهُ مِمَّا لَايْفَ أَرُفِ أَلْأَرْضِ أَم يِظَلِهِ رِمْنَ ٱلْقَوَّلُ بَلْ رُبِّينَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكَ رُهُمْ وَصُدُّواْ عَن السَّبِيلُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَاللَّهُ مِن هَادِهِ لِمَّرَّعَذَاتُ فِي الْحَيْوَةِ اللُّهُ اللُّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا TO TOTAL TOTAL OF THE STATE OF

القوارع التي تصيبهم في ديارهم، أو تحل قريباً منها، وهم مصرون على كفرهم ﴿حتى يأتي وعد الله الذي وعدهم به، لنزول العذاب المتصل الذي لا يسمكن رفعه، ﴿إِن اللهُ لا يخلف الميعاد ﴾ وهذا تهديد لهم وتخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم وعنادهم وظلمهم.

﴿٣٢﴾ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب وسلياً _ ﴿ولقد لرسوله _ مثبتاً له ومسلياً _ ﴿ولقد رسول كُذُب وأوذِي ﴿فأمليت للذين رسول كُذُب وأوذِي ﴿فأمليت للذين حتى ظنوا أنهم غير معذبين. ﴿ثم أخذتهم ﴾ بأنواع العذاب ﴿فكيف كان عقاب كان عقاباً شديداً وعذاباً أليماً، فلا يغتر هؤلاء الذين كذبوك واستهزؤوا بك بإمهالنا، فلهم أسوة فيمن قبلهم من الأمم، فليحذروا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك.

﴿٣٣ _ ٣٤﴾ ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد * لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله

STATES OF STATES OF STATES • مَثَلُ آنِحِنَةِ اللَّهِ وُعِدَ الْمُنْقُونَّ عَبْرِي مِن غَيْمَا الْأَفَهُرُّ أَكُلُهَا دَآيِدُ وَظِلْهَا يَلْكَ عُقْنَ الَّذِينَ اتَّقَوّا أَوْعُقِي الْكَفِينَ الْكَارُ @ وَالَّذِينَ ءَا يَنْهُمُ الْكِتَابَ مِنْرَحُونَ مِنَا أَمْزِلَ إِلَيْكُ وَمِنَ ٱلْأَحْذَابِ مَن يُسْكِرُ مِسْتُهُ قُلْ إِنَّا أَيْرَتُ أَنْ أَعْبُ اللَّهَ وَلاَ أَشْرِكَ بِمِ الْمِنوادَ عُوا وَ إِلَيْهِ مَنَابِ ۞ وَكَذَاكِ أَرَلْنَهُ حُكْمًا عَرَبُيًّا وَلَين ٱبَّتَحْتَ أَهْوَآءَ هُمريَّعْدَ مَلْجَآةَ الْحَينَ ٱلْمِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيَ وَلَا وَلِهِ فِي وَلْقَدَ أَرْسَلْكَ ارْسُلُا مِن فَبَلِكَ وَحَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَكِنَا وَذُرِيَّةٌ وَمَاكَانَ لِمُول أَن يَأْتِي بِعَايَةِ الْإِبِاذِنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَل كِتَابُ ۞ يَنْحُوا اللَّهُ مَايِشَاءً وَيُثِيثُ وَعِنْدُهُ وَأُولُوكُ فَي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ وَلِن مَّانُهِ يَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُ هُرُ أَوْنَتُومَّيْنَكَ فَإِنَّا عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ وَعَلِيْنَا ٱلْحِسَابُ۞ أَوَلَيْرَوْا أَنَا مَأْتِ الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَعْلَ إِنْهَا وَأَلِدَ مَنْ عُدُدُ لَامْعَقِبَ لِحُكْمِيدُ وَهُو سَيِعُ أَيْسَابٍ۞ وَقَدْمَكُوالَّذِينَ مِن مَّلِهِمْ فَيْقُو ٱلْكُرُ جَيِعًا يَعْلَمُا تَكِيبُ كُلُّ مُفْسِ وَكِيتَعَلَّا الْمُقَالِ الْمُقَالِقُ عَفْمِ النَّارِ فَا TONO TO LONG TO LONG

من واق پقول تعالى: ﴿أَفَمَن هُو قَائَمَ على كل نفس بما كسبت ﴾ بالجزاء العاجل والآجل، بالعدل والقسط، وهو الله تبارك وتعالى كمن ليس كذلك؟

ولهذا قال: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ وهو الله الأحد الفرد الصمد، الذي لا شريك له، ولا يَد ولا نظير، ﴿قَالَ للهُ لهم إن كانوا صادقين: ﴿سعوهم للعلم حالهم، ﴿أَم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض فإنه إذا كان شريكاً، علم بذلك بطلان دعوى الشريك له، وأنكم بمنزلة الذي يعلمه لا يعلمه، وهذا أبطل ما يكون، ولهذا قال: ﴿أَم بِظَاهِر مِن القول لهُ أَي: غاية ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى، ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى، أنه بظاهر أقوالكم.

وأما في الحقيقة، فلا إله إلا الله، وليس أحد من الخلق يستحق شيئاً من العبادة، ولكن ﴿ زين للذين كفروا مكرهم الذي مكروه، وهو كفرهم وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله، ﴿ وصدوا عن السبيل ﴾ أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ لأنه ليس لأحد من الأمر شيء.

﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا

ولعذاب الآخرة أشق من عذاب الدنيا لشدته ودوامه، ﴿ومالهم من الله من واق ﴾ يقيهم من عذاب الله، فعذابه إذا وجهه إليهم لا مانع منه.

و٣٥﴾ ومثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النارك يقول تعالى: ومثل الجنة التي وعد المتقون الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، ولم يقصروا فيما أمرهم به، أي: صفتها وحقيقتها وتجري من الخمر، وأنهار اللبن، وأنهار الماء التي تجري في غير أخدود، فتسقي تلك البساتين والأشجار، فتحمل من جميع أنواع الثمار.

﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ دائم أيضاً ، ﴿ تلك عقبى الذين اتقوا ﴾ أي : عاقبتهم ومآلهم التي إليها يصيرون ﴿ وعقبى الكافرين النار ﴾ فكم بين الفريقين من الفرق المين؟!!

والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب الكتاب أي: منتئا عليهم به وبمعرفته، ويفرحون بما أنزل إليك فيؤمنون به ويصدقونه، ويفرحون بما أنزل إليك بموافقة الكتب بعضها لبعض، وهذه حال من وتصديق بعضها بعضا، وهذه حال من آمن من أهل الكتابين، وومن أمن من أهل الكتابين، وومن طوائف الكفار المنحرفين عن الحق، من ينكر بعضه أي ومن عن الحق، من ينكر بعض هذا القرآن ولا يصدة.

ونمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها إنما أنت يا محمد منذر تدعو إلى الله، وقل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به أي: بإخلاص الدين لله وحده، وإليه أدعو وإليه مآب أي: مرجعي الذي أرجع به إليه، فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه، والقيام بما أمرت به.

عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكماً عربياً، أي: عكماً متقناً، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لتلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من أهواء الذين لا يعلمون.

ولهذا توعد رسوله مع أنه معصوم اليمتن عليه بعصمته، ولتكون أمته أسوته في الأحكام، فقال: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، ﴿مالك من الله من ولي﴾ يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ﴿ولا واق﴾ يقيك من الأمر المكروه.

﴿٣٨ ـ ٣٩ ﴾ ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب * يمحو الله ما يشاء وعنده أم الكتاب ﴾ أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك ، ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً لك أزواج وذرية ، كما كان لإخوانك المرسلين ، فلأي : شيء يقدحون فيك المرسلين ، فلأي : شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك وأهوائهم ؟ ، وإن طلبوا منك آية وأهوائهم ، وإن طلبوا منك آية اقترحوها فليس لك من الأمر شيء .

وما كان لرسول أن يأق بأية إلا بإذن الله والله لا يأذن فيها إلا في وقتها الذي قدره وقضاه، «لكل أجل كتاب» لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فليس استعجالهم بالآيات أو بالعذاب موجباً لأن يقدم الله ما كتب أنه يؤخر، مم أنه تعلى فعال لما يريد.

﴿يمحو الله ما يشاء ﴾ من الأقدار ﴿ويثبت ﴾ ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، لأن ذلك محال على الله،

والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي

تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها

أسباباً، ولمحوها أسباباً، لا تتعدى

تلك الأسباب، ما رسم في اللوح

المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة

والإحسان من أسباب طول العمر

وسعة الرزق، وكما جعل المعاصى

سبباً لمحق بركة الرزق والعمر، وكما

جعل أسباب النجاة من المهالك

والمعاطب سبباً للسلامة. وجعل

التعرض لذلك، سبباً للعطب، فهو

الذى يدبر الأمور بحسب قدرته

﴿ ٤١ ــ ٤١) ﴿ وإن مِا نبريسنك

بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما

عليك البلاغ وعلينا الحساب * أولم

يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها

والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع

الحساب في يقول تعالى لنبيه محمد على الحساب

لا تعجل عليهم بإصابة ما يوعدون به

ما وعدوا به، ﴿إُمَّا نُرِينَكُ﴾ إياه في

المدنيا، فتقر بذلك عينك، ﴿أُوَّ

شغلاً لك ﴿ فإنما عليك البلاغ ﴾

﴿وعلينا الحساب﴾ فنحاسب الخلق

ثم قال متوعداً للمكذبين: ﴿أولم

يروا أنا نأى الأرض ننقصها من

أطرافها ﴾ قيل بإهلاك المكذبين

واستئصال الظالمين، وقيل: بفتح بلدان المشركين، ونقصهم في أموالهم

وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد

على ما قاموا به، مما عليهم، وضيعوه،

والتبيين للخلق.

ونثيبهم أو نعاقبهم.

قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي: اللوح المحمفوظ المذي تبرجع إليه سبائبر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له فالتغيير والتبديل يقع في الفروع

﴿ ٤٦ ــ ٤٣﴾ ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار * ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفي بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب، يقول تعالى: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم، برسلهم، وبالحق الذي جاءت به الرسل، فلم يغن عنهم مكرهم، ولم يصنعوا شيئاً، فإنهم يحاربون الله ويبارزونه ﴿فلله الكر جميعاً ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يمكر مكراً إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره، فإذا كانوا يمكرون بدينه، فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، فإن الله ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ أي: همومها وإراداتها وأعمالها الظاهرة

والمكر لا بدأن يكون من كسبها، فلا يخفى على الله مكرهم، فيمتنع أن يمكروا مكرأ يضر الحق وأهله، ويفيدهم شيئاً، ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدارا أي: ألهم أو لرسله؟ ومن المعلوم أن العاقبة للمتقين، لا للكفر وأعماله.

﴿ ويعقول الذين كفروا لست مرسلا ﴿ أَي: يَكْنُبُونُك، ويَكْنُبُونُ مَا أرسلت به، ﴿قل﴾ لهم _إن طلبوا

بذلك، أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويجتاحها، ويحل القوارع بأطرافها، تنبيهاً لهم قبل أن يجتاحهم النقص، ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرده أحد، ولهذا قال: ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه ويدخل في هذا حكمه الشرعي

والقدري والجزائي. فهذه الأحكام التي يحكم الله فيها، توجد في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية عيلى القسط والعيدل والحسد، فلا يتعقبها أحدولا سبيل إلى القدح فيها، بخلاف حكم غيره، فإنه قد يوافق الصواب، وقد لا يوافقه، ﴿وهـو سـريـع الحــسـاب) أي: فلا يستعجلوا بالعذاب، فإن كل ما هو آت، فهو قريب.

وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما من العذاب، فهم إن استمروا على طغيانهم وكفرهم، فلا بدأن يصيبهم نتوفينك﴾ قبل إصابتهم، فليس ذلك

وَيَقُولُ الَّذِيكَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَكَّدٌ قُلْ كَغَنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَيَنْكُو وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ١ الَّهِ ۚ كِنَابُ أَزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِتُغْرَجُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمُ لَتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِ مِ إِلَّى صِرَاطِ ٱلْعَسَ زِرْٱلْحَيْبِ وِ الله الذي لهُ مَا فِ السَّكَوْتِ وَمَا فِ الْأَرْضُ وَوَثِيلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ شَدِيدٍ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْمَيَّاةَ ٱلدُّنْيَاعَلَ ٱلْآخِرَةِ وَيَصَدُّدُونَ عَنْ سَهِيلاً لِلَّهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجَانًا أُوْلَيْكَ فِي صَلَالِ بَعِيدٍ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكَ اِمِنْ زَسُولِ إِلَّا بِلِسَكَانِ فَوْمِوْءِ لِيُسَكِيْنِ لَهُمَّةً فَيْضِلُّ اللَّهُ مَن يَتُكَأَّهُ وَيَهْدِي مَن يَشَكَّأَةُ وَهُوَ الْعَرْبِرُ

المنكير ولفذارسكنا مُوسَى بقايلتِكَاأَنْ

أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمُنَ إِلَى النُّورِ وَذَكِ رَهُم

إِنَّ اللَّهُ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَاكَ لَا يَنْتِ لِكُلِّي مَبْتَ إِنْكُورِ ۞

BENDER LENDER

CLOSEL TO BERREEN على ذلك شهيداً: ﴿ كَفِي بِاللَّهِ شَهِيداً بيني وبينكم، وشهادته بقوله وفعله وإقراره، أما قوله فيما أوحاه الله إلى أصدق خلقه، مما يثبت به رسالته.

وأما فعله فيلأن الله تعالى أيد رسوله، ونصره نصراً خارجاً عن قدرته وقدرة أصحابه وأتباعه، وهذا شهادة منه له بالفعل والتأييد.

وأما إقراره، فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله، وأنه أمر الناس باتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله وكرامته، ومن لم يتبعه فله النار والسخط، وحل له ماله ودمه، والله يقره على ذلك، فلو تقول عليه بعض الأقاويل لعاجله

﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول، من آمن، واتبع الحق، صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك، فإخبار الله عنه أن عنده شهادة، أبلغ من خبره، ولو لم یکن عنده شهادة، لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة.

وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب، لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله، ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأميين من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في

THE REPORT OF THE PARTY OF THE وَإِذْ قَالَ مُوسَولِ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُ وَأَنْفَكَةُ أَلِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنِحَاكُ مِينَ ءَالِ فِرْعَوْنِ يَسُومُونَكُو مُوءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآ كُمْ وَيَسْتَحْوُنِ نِسَآ الْحَمْ وَفِ ذَالِكُ مِلْاً مِن زَيْكُمْ عَظِيرٌ ۞ وَإِذْ نَأَذَنَ رَيْكُ مْ لَهِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَ نُكُرُّ وَلَهِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِ لَشَكِيدٌ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكُثُرُواْ أَنْمُ وَمَن فِي ٱلْأَصْ جَيعًا فَإِنَ اللَّهُ لَغَيْجُ مِيدٌ ۞ أَلَرَ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا ٱلَّذِينَ مِن قَبَلِكُمْ قَوْمِ نُوجٍ وَعَادٍ وَيَسْمُوذُ وَٱلَّذِيبَ مِنْ مَعْدِهِرْ لَايَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جُمَّاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبِيِّنَاتِ فَسَرَدُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَهِهِمْ وَقَالُوَّا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسِلْمُ بِدِ وَإِنَّا لِنَ شَكِي مِمَّاتَ لَنعُونَنَا إليَّهِ مُرِيبٍ ٥ وَالْتَ رُسُلُمُ أَفِ ٱللَّهِ شَكُّ فَأَمِلِي ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لِدَعُوكُرُ لِيَغْ فِرَ لَكُم مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَّلَ أَجَلِ مُسكَفُّ قَالُوا إِنْ أَنسُمْ إِلَّا بَسَرَّتِهَ لَلْهَا تَرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّاكَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانِ مِّيبِ A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم. والله أعلم.

> تم تفسير سورة الرعد، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهي مكية

﴿١ -٣﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم الركتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إنى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد * الذين يستحبون الحياة الدنياعلى الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد ﴾ يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي، إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، وقوله: ﴿بإذن ربهم ﴾ أي: لا يحصل منهم المراد المحسبوب لله، إلا بارادة من الله ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم.

ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا الكتاب، فقال: ﴿إِلَى صراط العزيز المحميد﴾ أي: الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر ﴿العزيز

الحميد، بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله، قوي، ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة.

وليدل ذلك على أن صراط الله، من

أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأنه مألوه معبود بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم، وأنه كما أنَّ له ملك السماوات والأرض خلقأ ورزقأ وتدبيراً، فله الحكم على عباده بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه، ولا يليق به أن يتركهم سدى، فلما بين الدليل والبرهان، توعد من لم ينقد لذلك، فقال: ﴿ وويل للكافرين من عذاب شديد الا يقدر قدره، ولا يوصف أمره، ثم وصفهم بأنهم ﴿الدِّينِ يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة > فرضوا بها واطمأنوا، وغفلوا عن الدار

﴿ويصدون﴾ المناس ﴿عن سبيل الله التي نصبها لعباده، وبينها في كتبه وعلى ألسنة رسله، فهؤلاء قد نابلدوا مولاهم بالمعاداة والمحاربة، ﴿ويبغونها أي: سبيل الله ﴿عوجاً﴾ أي: يحرصون على تهجينها وتقبيحها، للتنفير عنها، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

﴿أُولئك﴾ الذين ذكر وصفهم ﴿في ضلال بعيد﴾ لأنهم ضلوا وأضلوا، وشاقوا الله ورسوله وحاربوهما، فأي: ضلال أبعد من هذا؟!!، وأما أهل الإيمان فبعكس هؤلاء، يؤمنون بالله وآياته، ويستحبون الآخرة على الدنيا، ويدعون إلى سبيل الله ويحسنونها مهما أمكنهم، ويبينون استقامتها.

﴿٤﴾ ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ وهذا من لطفه بعباده، أنه ما أرسل رسولاً ﴿إلا بلسان قومه، ليبين لهم﴾ ما يحتاجون إليه، ويتمكنون من

تعلم ما أتى به، بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم، فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه، فإذا بين لهم الرسول ما أمروا به، ونهوا عنه، وقامت عليهم حجة الله ﴿فيضل الله من يشاء ممن لم ينقد للهدى، ويهدي من يشاء ممن اختصه برحمته.

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الذي _ من عزته _ أنه انفرد بالهداية والإضلال، وتقليب القلوب إلى ما شاء، ومن حكمته أنه لا يضع هدايته ولا إضلاله إلا بالمحل اللائق به .

ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة مجبوبة لله، لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها.

إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون اليها، وذلك إذا تمرنوا على العربية، ونشأ عليها صغيرهم، وصارت طبيعة لهم، فحينت قد اكتفوا المؤنة، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رسوله ابتداء، كما تلقى عنهم الصحابة رضى الله عنهم.

﴿٥ _ ٨﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور * وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد * وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد) تخبر تعالى: أنه أرسل موسى بآياته العظيمة الدالة على صدق ما جاء به وصحته، وأمره بما أمر الله به رسوله محمداً ﷺ ، بل ويما أمر به جميع الرسل قومهم، ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور ﴾ أي: ظلمات الجهل والكفر وفروعه، إلى نور العلم والإيمان وتوابعه، ﴿وذكرهم

بأيام الله أي: بنعمه عليهم، وإحسانه إليهم وبأيامه في الأمم المكذبين، ووقاتعه بالكافرين، ليشكروا نعمه، وليحذروا عقابه، ﴿إنّ في ذلك﴾ أي: في أيام الله على العباد ﴿لاّياتِ لكل صبار شكور﴾ أي: صبار في الضراء والعسر والضيق، شكور على السراء والعسر والضيق،

فإنه يستدل بأيامه على كمال قدرته وعميم إحسانه، وتمام عدله وحكمته، ولهذا امتثل موسى عليه السلام أمر ربه، فذكرهم نعم الله فقال: ﴿ اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ أي: بقلوبكم والسنتكم. ﴿ إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم ﴾ أي: يولونكم ﴿ سوء المغذاب أي: أشده، وفسر ذلك بقوله: ﴿ ويذبحون أبناء كم ويستحيون بناء كم أي: يبقونهن فلا يقتلونهن، وفوفي ذلكم ﴾ الإنجاء ﴿ بلاء من ربكم فليم العذاب الذي ابتلتم به من فرعون وملئه ابتلاء من الله عظيم فرعون وملئه ابتلاء من الله عظيم لكم، لينظر هل تصبرون أم لا؟

وقال لهم حاثاً على شكر نعم الله: ﴿وإذ تأذن ربكم ﴾ أي: أعلم ووعد، ﴿لتن شكرتم لأزيدنكم ﴾ من نعمي ﴿ولتن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم. والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله، والشناء على الله بها، وصرفها في مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك.

﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً ﴾ فلن تضروا الله شيئاً، ﴿فإن الله لغني حميه ﴾ فالطاعات لا تزيد في مسلكه، والمعاصسي لا تنقصه، وهو كامل الغني، حميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليس له من الصفات إلا كل صفة حمد وكمال، ولا من الأسماء إلا كل اسم حسن، ولا من الأفعال إلا كل فعل جميل.

﴿٩ _ ١٢ ﴾ ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاً الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في

أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن تأتيكم بسلطان إلاَّ بإذن الله وعلى الله فليتوكلُ المؤمنون * ومالنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون، يقول تعالى خوفاً عباده ما أحله بالأمم المكذبة حين جاءتهم الرسل، فكذبوهم، فعاقبهم بالعقاب العاجل الذي رآه الناس وسمعوه فقال: ﴿ أَلَمْ يَأْتُكُمْ نَبَّأُ الَّذِينَ من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود، وقد ذكر الله قصصهم في كتابه وبسطها، ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ﴿ من كثرتهم، وكون أخبارهم اندرست.

فهؤلاء كلهم خجاءتهم رسلهم بالبينات أي: بالأدلة الدالة على صدق ما جاؤوا به، فلم يرسل الله رسولاً إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، فحين أتتهم رسلهم بالبينات لم ينقادوا لها، بل استكبروا أي: لم يؤمنوا بما جاؤوا به، ولم يتفوهوا بشيء مما يدل على الإيمان كقوله خعلوا أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت الصواعق حذر الموت

ولهذا ﴿قالت﴾ لهم ﴿رسلهم أفي الله شك﴾ أي: فإنه أظهر الأشياء وأجلاها، فمن شك في الله ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ الذي وجود الأشياء مستند إلى وجوده، لم يكن عنده ثقة بشيء من المعلومات، حتى الأمور

SEASTING IN قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن عَنْ إِلَّا إِنْكُمْ مِنْكُ كُمْ وَلَٰكِنَ أَلَّهُ يْنُ عَلَامَ نَشَآهُ مِنْ عِسَادِيَّةً وَمَاكَانَ لَنَآأَنَ تَأْتِيكُم بِسُلْطَن إِلَّا إِذْ بِ اللَّهِ وَعَلَ اللَّهِ فَلِمُ تَوَكَّلَ لَلْوُمِنُونَ ۞ وَمَا لَنَآ أَلَانَتَوَكَلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَدُنْنَا مُسُلَكًا وَلَتَصْدِرَكَ عَلَىٰماً ءَاذَيْتُ وَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْنَوْكُلُ ٱلْمُؤْكُلُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَسَرُوا لِرُسُلِهِ مَرَلُخُورِ حَنَّكُم مِنْ أَرْضِكَ أَوْلَتَعُودُكَ فِي مِلْتِكَ فَأَوْضَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنْهُلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَشَّكِنَكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِ فُرِذَ لِكَ لِمَنْ خَافَ مَعَسَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۞ وَٱسْتَغْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَنَادِعَنِيدِ ۞ مِن وَدَالَهِهِ جَهَدُّ وَيُسْقَىٰ مِن مَّلَّو مَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُدُولَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَهَأَيِهِ ٱلْمُوتُ مِن كُلِّ مَكَانِ وَمَاهُو بَسَيَّتُ وَمِن وَرَآبِهِ عَذَابُ غَلِيظٌ ۞ مَّثَلُ ٱلَّذِيبَ كَفَتُرُوا بِرَتِهِمُّ أَغَالُهُمْ كَرَمَادٍ أَشْتَلَتْ بِوِ ٱلرِّيْحُ فِي يَوْمِ عَاصِفٌ ۖ لَا يَقْدِرُونَ ۚ مِنَاكَسَبُواعَلَ مَنْ وُدَّلِكَ هُوَالضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۞ DUSTON TON DEPON

المحسوسة، ولهذا خاطبتهم الرسل خطاب من لا يشك فيه ولا يصلح الريب فيه ﴿يدعوكم﴾ إلى منافعكم ومصالحكم ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أي: ليثيبكم على الاستجابة لدعوته بالثواب العاجل والآجل، فلم يدعكم لينتفع بعبادتكم، بل النفع عائد إليكم.

فردوا على رسلهم رد السفهاء الجاهلين ﴿وقالوا﴾ لهم: ﴿إِن أنتم إِلاَ بِسُر مثلنا﴾ أي: فكيف تفضلوننا بالنبوة والرسالة، ﴿تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ فكيف نترك رأي: الآباء وسيرتهم لرأيكم؟ وكيف نطيعكم وأنتم بشر مثلنا؟

﴿فائتونا بسلطان مبين﴾ أي: بحجة وبينة ظاهرة، ومرادهم بينة يقترحونها هم، وإلا فقد تقدم أن رسلهم جاءتهم بالبينات.

﴿قالت لهم رسلهم ﴾ بجيبين عن اقتراحهم واعتراضهم: ﴿إِن نحن إِلا بشر مثلكم ﴾ أي: صحيح وحقيقة، أنّا بشر مثلكم، ﴿ولكن ﴾ ليس في ذلك ما يدفع ما جثنا به من الحق، فإن ﴿الله على الله علينا بوحيه ورسالته، فذلك فضله وإحسانه، وليس لأحد أن يحجر على الله فضله ويمنعه من تفضله.

فانظروا ما جئناكم به، فإن كان حقاً فاقبلوه، وإن كان غير ذلك فردوه

ٱلْمَتَرَأَكَ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱللَّهَ كَوْتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ أَن يَشَأَ يُذْهِبْ كُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقِ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَرِيزٍ ۞ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَيِمًا فَقَالَ الضُّعَظَّوَّا لِلَّذِينَ اسْتَكَدَّرُوَّأَ إِنَّاكُنَّا لَكُ مُ بَنِّعًا فَهَلْ أَنتُهِ مُّغُنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَاب ٱللَّهِ مِن شَيْءً قَالُواْ فَوْهَدَ لَنَا ٱللَّهُ لَمَدَيْنَكُمُّ مِلْوَآءً عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالْنَا عِن تَجِيعِين ۚ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَّأَقْضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهُ وَعَلَكُمْ وَعَدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدَ الْحُ فَأَخْلَفْنُكُمُّ وَمَاكَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّنَ سُلْطَكُنْ إِلَّا أَن دَعَوْثُكُمْ فَأَسْتَجَبَّتُ مْ لِّي فَلَا لَلُومُونَ وَلُومُوۤ أَلَفُكُمُّ مَّا أَنَا بِمُصْرِحْكُمْ وَمَآ أَنتُ مِيصَرِحْنُ إِنِّ كَفَرْتُ عِنَّا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبَلُ إِنَّ ٱلظَّلِلِمِينَ لَمُتُرِّعَذَابُ أَلِيرٌ ۞ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَكِمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجَرِى مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهَا رُخَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمّْ يَّيَنَاهُمْ مِهَاسَلَتُهُ ﴿ أَلْرَتَرَكَيْفَ مَرَبَ أَلَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً لَيْبَةً كَشْجَرَةِ طِيِّبَةِ أَصْلُهَا ثَابِتُ وَفَيْعُهَا فِي السَّكَلِي السَّكَلِي TO SERVICE TO SERVICE

من الأمر شيء. ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله الله فهو الذي إن شاء جاءكم به، وإن شاء لم يأتكم به، وهو لا يفعل إلا ما هو مقتضي حكمته ورحمته، ﴿وعلى الله ﴾ لا على غيره ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فيعتمدون عليه في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، لعلمهم بتمام كفايته وكمال قدرته، وعميم إحسانه، ويثقون به في تيسير ذلك، وبحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم.

ولا تجعلوا حالنا حجة لكم على ردما

مبين ﴾ فإن هذا ليس بأيدينا، وليس لنا

فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان، ومن العبادات الكبار التي يحبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه، ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾.

أي: أي: شيء يمنعنا من التوكل على الله، والحيَّال أنسنا على الحيق والهدى، ومن كان على الحق والهدى، فإن هداه يوجب له تمام التوكل، وكذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي وكفايته، يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى، فإنه ليس ضامناً على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل.

وفى هذا كالإشارة من الرسل

عليهم الصلاة والسلام لقومهم، بآية عظيمة، وهو أن قومهم _ في الغالب _لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدتهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكركم، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون هذا كقول نوح لقومه: ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله، فعلى الله توكلُّت، فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقتضوا إلى ولا تنظرون﴾ الآيات.

أشهد الله واشهدوا أنى بريء مما جئناكم به، وقولكم: ﴿فَائْتُونَا بِسَلْطَانَ تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون﴾. ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا ﴿ أَي : ولنستمرن على دعوتكم ووعظكم وتذكيركم، ولا نبالي بما يأتينا منكم من الأذي، فإنا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذي، احتساباً للأجر، ونصحاً لكم، لعل الله أن يهديكم مع كثرة التذكير.

وقول هود عليه السلام قال: ﴿إِنِّي

﴿وعلَى الله ﴾ وحده لا على غيره ﴿فليتوكل المتوكلون﴾ فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير .

واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب، وهي التوكل على الله في إقامة دينه ونصره، وهداية عبيده، وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل.

﴿ ١٧ ـ ١٧ ﴾ ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين # ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد * واستفتحوا وخاب كُل جبار عنيد * من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هـو بميت ومن ورائه عذاب غليظ، لما ذكر دعوة الرسل لقومهم ودوامهم على

ذلك، وعدم مللهم، ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال مع قومهم فقال: ﴿وقال الذَّين كفروا لرسلهم متوعدين لهم _ ﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا، وهذا أبلغ ما يكون من الرد، وليس بعد هذا فيهم مطمع، لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن الهدى، بل توعدوهم بالإخراج من ديارهم ونسبوها إلى أنفسهم، وزعموا أن الرسل لا حقَّ لهم فيها، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض وأمرهم بعبادته، وسخر لهم الأرض وما عليها يستعينون بها على

فمن استعان بذلك على عبادة الله، حل له ذلك وخرج من التبعة، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي، لم يكن ذلك خالصاً له، ولم يحل له، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها. وإن رجعنا إلى مجرد العادة فإن الرسل من جملة أهل بلادهم، وأفراد منهم، فلأي: شيء يمنعونهم حقاً لهم صريحاً واضحاً؟ أ هل هذا إلا من عدم الدين

ولهذا لما انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال، ما بقى حينتذ إلا أن يمضى الله أمره، وينصر أولياءه، ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ بأنواع العقوبات.

والمروءة بالكلية؟

﴿ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك أي: العاقبة الحسنة التي جعلها الله للرسل ومن تبعهم جزاء ﴿لمن خاف مقامي﴾ عليه في الدنيا، وراقب الله مراقبة من يعلم أنه يراه، ﴿وخاف وعيد﴾ أي: ما توعدت به من عصاني، فأوجب له ذلك الانكفاف عما يكرهه الله، والمبادرة إلى ما يحبه الله.

﴿واستفتحوا﴾ أي: الكفار، أي: هم الذين طلبوا واستعجلوا فتح الله وفرقانه بين أوليائه وأعدائه، فجاءهم ما استفتحوابه، وإلا فالله حليم يسعون ويكدحون في ذلك، ومكرهم عائد عليهم، ولن يضروا الله ورسله وجنده وما معهم من الحق شيئاً. ﴿١٩﴾ ٢١_) ﴿ أَلَمْ تَرُ أَنْ اللَّهُ خُلِقَ

السماوات والأرض بالحق إن بشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز * وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) ينبه تعالى عباده بأنه ﴿خلق السماوات والأرض بالحق) أي: ليعبده الخلق ويعرفوه، ويأمرهم وينهاهم، وليستدلوا بهما وما فيهما على ماله من صفات الكمال، وليعلموا أن الذي خلق السماوات والأرض _ على عظمهما وسعتهما _قادر على أن يعيدهم خلقاً جديداً، ليجازيهم بإحسانهم وإساءتهم، وأن قدرته ومشيئته لا تقصر عن ذلك، ولهذا قال: ﴿إِن يَشَأُ يَذُهُبُكُمْ وَيَأْتُ بَخُلُقَ

يحتمل أن المعنى: إن يشأ يذهبكم ويآت بقوم غيركم، يكونون أطوع لله منكم، ويحتمل أن المراد أنه: إن يشأ يفنيكم ثم يعيدهم بالبعث خلقاً جديداً، ويدل على هذا الاحتمال ما ذكره بعده من أحوال القيامة.

﴿وما ذلك على الله بعزيز ﴾ أي: بممتنع بل هو سهل عليه جداً، ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة♦ ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾.

﴿ وبرزوا ﴾ أي: الخيلائيق ﴿ للهُ جميعاً ﴿ حين ينفخ في الصور، فيخرجون من الأجداث إلى رسم، فيقفون في أرض مستوية قاع صفصف، لا ترى فيها عِوَجَاً ولا أمْتاً، ويبرزون له لا يخفى [عليه] منهم خافية، فإذا برزوا صاروا يتحاجون، وكل يدفع عن نفسه، ويدافع ما يقدر عليه، ولكن أني لهم

الله والمنظمة المنافية المنافي النَّاسِ لَمَا لَمُ مُرِيَّا ذَكَّرُونَ ﴿ وَمَثُلُكَ لِمَ خَيدَةٍ كَتُحَجَزَةِ خَيِئَةٍ ٱخْتُثَّتْ مِن فَوْفِ ٱلْأَرْضِ مَا لَمَا مِن مَا لِهِ ۞ يُمَبُّ أَمَّةُ الَّذِيرَ مَامَنُوا بِالْفَوْلِ النَّابِينِ فِ الْحَيَّوٰوَ ٱلدُّنْيَ اوَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُ الدَّالِظُلِي بِيَّ وَيَضْعَلُ اللَّهُ الظَّلِي بِيِّ وَيَضْعَلُ اللَّهُ مَايَشَاتُهُ • أَلْرَتَمَالَ ٱلَّذِينَ بَدَلُوانِهُ مَنَ اللَّهُ لَمُنَا وَأَحَلُواْ فَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبُوَارِ ۞ جَهَكَّرِيَصْلَوْنَهَ أَوَيْسَ ٱلْلَالُ @ وَيَحَالُواْ يِلَوَ أَنْمَاذَا لِيُصِلُّواْ عَن سَبِيلُو عُلْ مَّنَتَعُواْ فَإِنَ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّادِي قُلِلِينَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَعِيمُوا الصَّلَوةَ وَهُفِ قُوامِمَّا رَزَقَنَهُمْ سِنَا وَعَلانِكَةً يِّن قَبِّلِ أَن يَأْقِ كَوْمٌ لَا بَيْمٌ فِيهِ وَلَاخِلَالُ ۞ اللَّهُ ٱلَّذِيخَافَ التسكؤن والأرض وأتنزل برب التسكله مآء كأخرتهم يرَ ٱلثَّمَرُتِ رِنْقَا لَّحُمُّ وَمَعْنَدَلَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ اَ فِي الْبَخْرِيانَ فِي وَسَخَرَاكُمُ اللَّهَ لَوَ ﴿ وَسَخَرَاكُمُ اللَّهَ لَا ﴿ وَسَخَرَاكُمُ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَا لَهُ اللَّهَا لَهِ اللَّهَا لَهِ اللَّهَا لَهِ اللَّهَا لَهِ اللَّهَا لَهِ اللَّهَا لَهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ الللَّاللَّهُ الللَّاللَّاللَّاللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّه DESCRIPTION TO LONG TO

والمقلدون ﴿للَّذِينِ اسْتَكْبِرُوا﴾ وهم: المتبوعون الذين هم قادة في الضلال: ﴿إِنَا كِنَا لَكُمْ تَبِعاً ﴾ أي: في الدنيا، أمرتمونا بالضلال، وزينتموه لنا فأغويتمونا، ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ﴾ أي: ولمو مثقال ذرة، ﴿قالسوا﴾ أي: الله بسوعسون والرؤساء ﴿أغويناكم كما غوينا﴾ و ﴿لُو هَدَانَا اللهِ لَهَدَيْنَاكُم﴾ فلا يغنى أحد أحداً، ﴿سواء علينا أجزعنا﴾ من العذاب ﴿ أُم صبرنا ﴾ عليه ، ﴿ ما لنا من محيص﴾ أي: من ملجأ نلجأ إليه، ولا مهرب لنا من عذاب الله.

﴿۲۲ _ ۲۲﴾ ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمرإن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إن كفرت بما أشركتمون من قبلً إنَّ الظالمين لهم عذاب أليم * وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام) أي: ﴿وقال الشيطان، الذي هو سبب لكل شريقع ووقع في العالم، مخاطباً لأهل النار ومتبرَّئاً منهم ﴿ لما قضى الأمر ﴾ ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ﴿إِن الله وعدكم وعد الحق ﴾ على ألسنة فيقول ﴿الضعفاء﴾ أي: التابعون رسله، فلم تطيعوه، فلو أطعتموه

لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ أي: خسر في الدنيا والآخرة من تجبر على الله وعلى الحق وعلى عباد الله، واستكبر في الأرض، وعاند الرسل وشاقهم.

﴿من وراثه جهنم ﴾ أي: جهنم لهذا الجبار العنيد بالمرصاد، فلا بدله من ورودها، فيذاق حينتذ العذاب الشديد، ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ في لونه وطعمه ورائحته الخبيثة، وهو في غاية الحرارة.

﴿ يتجرعه ﴾ من العطش الشديد ﴿ولا يكاد يسيغه ﴾ فإنه إذا قرب إلى وجهه شواه، وإذا وصل إلى بطنه قطع ما أتى عليه من الأمعاء، ﴿وِيأْتِيهِ المُوتَ من كل مكان وما هو بميت، أي: يأتيه العذاب الشديد من كل نوع من أنواع العذاب، وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت، ولـكـن الله قــضـــي أنّ لا يموتواكما قال تعالى: ﴿لا يُقْضى عليهم فيموتوا ولا يُخفُّفُ عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور ، وهم يصطرخون فيها، .

﴿ومن ورائه ﴾ أي: الجبار العنيد ﴿عذاب غليظ﴾ أي: قوى شديد، لا يعلم وصفه وشدته إلا الله تعالى.

﴿١٨﴾ ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد، يخبر تعالى عن أعمال الكفار التي عملوها: إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله، بأنها في ذهابها وبطلانها واضمحلالها كاضمحلال الرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت به الريح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئاً، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل، فكذلك أعمال الكفار ﴿لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ ولا على مثقال ذرة منه، لأنه مبنى على الكفر والتكذيب.

﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ حيث بطل سعيهم، واضمحل عملهم، وإما أن المراد بذلك أعمال الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق، فإنهم

وَءَاتَنَكُم مِن كُلِّ مَاسَأَلُمُوهُ وَإِن تَعَدُّواْ فَعَتَ ٱللَّهِ لَا يَحْصُوهَا أَنَّ ٱلْإِنسَانَ لَظَالُورٌكَمُ فَالُّ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ رَبِّ أَجْعَكُ هَلْذَا ٱلْبَلَدَ وَامِنًا وَأَجْبُنِي وَيَيَّ أَن نَعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۞ رَبِ إِنَّهُنَّ أَضْلَانَ كَيْمُ إِيِّنَ ٱلنَّايِسُ فَنَ تَبَعَى فَإِنَّدُ مِنَّ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَنُورً نَجِيدُ ۞ زَبَّنَآ إِنَّ أَسْكَتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِنِي ذَرْعَ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرِّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَوْةَ فَأَجْعَلْ أَفْهِلَةً مِنَ النَّامِن تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقُهُمْ مِنْ الثَّمَرُتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۞ رَبُّنَا إِنَّكَ تَعَلَّرُمَا غُنِي وَمَا فُمُّ إِنَّ وَمَا يَغْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءِ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا فِ السَّمَاءِ ﴿ ٱلْحَدُ يَقِو ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْعَنِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ زَيْ لَنَبِيمُ ٱلدُّعَآ ِ وَيَّا اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلْوَةِ وَمِن ذُرِيَّتِيَّ رَبِّنَا وَتَقَبَّلُ نُعَكَآءِ ۞ رَبِّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَى وَلِأَنْوَمِنِينَ يَوْعَ يَكُومُ ٱلْحِسَابُ ۞ وَلَا تَحْسَبَنَ الْقَدَعَلَىٰ لِاعَآلِقِمُ لُ ٱلظَّلِيمُونُ إِنَّمَا يُوَخِّرُهُ رِلِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ

لأدركتم الفوز العظيم، ﴿ووعدتكم﴾ الخير ﴿فاحلفتكم﴾ أي: لم يحصل ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأماني الباطلة.

﴿ وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي: من حجة على تأييد قولي، ﴿ إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴾ أي: هذا نهاية ما عندي، أن دعوتكم إلى مرادي وزينته لكم، فاستجبتم لي أتباعاً الحال بهذه الصورة ﴿ فلا تلوموني ولوهوا أنفسكم ﴾ فأنتم السبب، وعليكم المدار في موجب العقاب، ﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ أي: بمغيثكم من السدة التي أنتم بها ﴿ وما أنتم بمصرخي ﴾ كل له قسط من العذاب.

﴿إِنْ كَفُرت بِما أَشْرَكْتَمُونُ مِنْ قَبِلَ ﴾ أي: تبرأت من جعلكم لي شريكاً شه، شريكاً شه، ولا تجب طاعتي، ﴿إِن الظالمِن ﴾ لانفسهم بطاعة الشيطان ﴿لهم عذاب اليم ﴾ خالدين فيه أبداً.

وهذا من لطف الله بعباده، أن حنرهم من طاعة الشيطان، وأخبر بمداخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه (١)، أنه يتبرأ منهم هذه البراءة،

ويكفر بشركهم ﴿ولا ينبئك مثل خير ﴾.

واعلم أن الله ذكر في هذه الآية أنه ليس له سلطان، وقال في آية أخرى ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون﴾ فالسلطان الحجة الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلاً على ما يدعو إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على المعاصى.

وأما السلطان الذي أثبته، فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأولياته يؤرُهُمْ إلى المعاصي أزّاً، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بموالاته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

ولما ذكر عقاب الطالمين ذكر ثواب الطائعين فقال: ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: قاموا بالدين، قولاً، وعملاً، واعتقاداً، ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فيها من اللذات والشهوات، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿خالدين فيها بإذن ربهم﴾ أي: يُحيي وقوته ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ أي: يُحيي بعضهم بعضاً بالسلام، والتحية، والكلام الطيب.

في ٢٠ ـ ٢٠ ﴿ أَمْ تَسَرِ كَسِيفَ ضَرِبِ اللهُ مثلاً كَلَمةً طَيْبةً كَشْجَرةً طَيْبةً أَصُلها ثابت وفرعها في السماء * تَوْتِ الله الله كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من قوق الأرض ما لها من قرار ﴾ يقول تعالى: ﴿ أَمْ تَر كَيفَ ضَرِبِ اللهُ مثلاً كلمة طيبة ﴾ وهي شهادة أن لا إله وهي النخلة ﴿ أَصلها ثابت ﴾ في وهي النخلة ﴿ أصلها ثابت ﴾ في الأرض ﴿ وفرعها ﴾ منتشر ﴿ في السماء ﴾ وهي كثيرة النفع دائما ، السماء ﴾ وهي كثيرة النفع دائما ، كلمة وكل حين السماء ﴾ وهي كثيرة النفع دائما ،

بإذن ربها ﴿ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علماً واعتقاداً. وفرعها من الكلم الطيب، والعمل الصالح، والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة، في السماء دائماً، يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان، ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فلله أتم الحمد وأكمله وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن.

ثم ذكر ضدها وهي كلمة الكفر وفروعها، فقال: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيشة﴾ المأكل والمطعم، وهي: شجرة الحنظل ونحوها، ﴿اجتثت﴾ هذه الشجرة ﴿من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ أي: من ثبوت، فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة مرة، فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة في القلب، ولا تشمر إلا كل قول في القلب، ولا تشمر إلا كل قول ضاحبه ولا ينتفع، يستضر به منه عمل ضالح، ولا ينفع نفسه ولا ينتفع به غيره.

و ٢٧﴾ ﴿يشبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء في يجبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض بالهوات بالإرادة الجازمة، على تقديم ما يجبه الله على هوى النفس ومراداتها.

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح، بأن يقول المؤمن: «الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي».

﴿ويسضل الله السظالمين﴾ عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة وصفتها، ونعيم القبر وعذابه.

(٢٨ - ٣٠) ﴿ أَلَمْ تَسْرِ إِلَى الْسَدِّسِنَ بِذَلُوا نَعْمَةَ اللهُ كَفُراً وأُحلوا قومهم دار البوار * وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن القرار * وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصير كم إلى النار كيقول تعالى - مبيناً حال المكذبين لرسوله من كفار قريش، وما آل إليه أمرهم : ﴿ أَلْمُ تَسْرِ إِلَى النَّذِينَ بِعَدُلُوا عَنْهُ هِي إِرسال عَمْدَ اللهُ كَفْراً ﴾ ونعمة الله هي إرسال عمد ﷺ إليهم، يدعوهم إلى إدراك عمد النجاة من شرور الدنيا والآخرة، وإلى النجاة من شرور الدنيا والآخرة، وإلى فبدلوا هذه النعمة بردها، والكفر بها والصَّدُ عنها بأنفسهم.

﴿و﴾ صدهم غيرهم حتى ﴿أحلوا قومهم دار البوار﴾ وهي النار، حيث تسببوا لإضلالهم، فصاروا وبالاً على قومهم، من حيث يظن نفعهم، ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم «بدر» ليحاربوا الله ورسوله، فجرى عليهم ما جرى، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم في تلك الوقعة.

﴿جهنم يصلونها﴾ أي: يحيط بهم حرها من جميع جوانبهم ﴿وبنس القرار﴾.

﴿وجعلوا لله أنداداً ﴾ أي: نظراء وشركاء ﴿ليضلوا عن سبيله ﴾ أي: ليضلوا العباد عن سبيل الله، بسبب ما جعلوا لله من الأنداد، ودعوهم إلى عبادتها، ﴿قبل ﴾ لهم متوعداً:

﴿تمتعوا﴾ بكفركم وضلالكم قليلاً، فليس ذلك بنافعكم ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ أي: مآلكم ومقركم ومأواكم فيها وبئس المصير.

﴿٣١﴾ ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا لما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ أي: قل لعبادي المؤمنين أمراً لهم بما فيه غاية صلاحهم، وأن ينتهزوا الفرصة، قبل أن لا يمكنهم ذلك: ﴿يقيموا الصلاة﴾ ظاهراً وباطناً ﴿وينفقوا لما رزقناهم﴾ أي: من النعم التي أنعمنا بها عليهم، قليلاً أو كثيراً ﴿سراً وعلانية﴾ وهذا يشمل النفقة الواجبة، كالزكاة ونفقة من تجب [عليه]

﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ أي: لا ينفع فيه شيء، ولا سبيل إلى استدراك ثما فات، لا بمعاوضة بيع وشراء، ولا بهبة خليل وصديق، فكل امرىء له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغد، وليتفقد أعماله ويحاسب نفسه، قبل الحساب الأكبر.

﴿٣٤ ٣٤ ﴾ ﴿الله الله خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفار ، يخبر تعالى: أنه وحده ﴿اللَّذِي خلق السماوات والأرض، على اتساعهما وعظمهما، ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ وهو: المطر الذي ينزله الله من السحاب، ﴿فَأَخْرِجِ ﴾ بذلك الماء ﴿من الثمرات ﴾ المختلفة الأنواع ﴿رزقاً لكم﴾ ورزقاً لأنعامكم ﴿وسخر لكم الفلك﴾ أي: السفن والراكب، ﴿لتجري في البحر بأمره ﴾ فهو الذي يسّر لكم صنعتها، وأقدركم عليها، وحفظها على تيار الماء لتحملكم، وتحمل تجاراتكم وأمتعتكم

إلى بلد تقصدونه.

وسخر لكم الأنهار التسقي حروثكم وأشجاركم، وتشربوا منها. وسخر لكم الشمس والقمر دائين لا يفتران، ولا ينيان، يسعيان لمسالحكم، من حساب أزمنتكم ومصالح أبدانكم، وحيواناتكم، وزروعكم، وثماركم، ووسخر لكم الليل التسكنوا فيه والنهار مصراً، لتبتغوا من فضله.

﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ أي: أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانيكم وحاجتكم ، مما تسألونه إياه بلسان الحال ، أو بلسان المقال ، من أنعام ، وآلات ، وصناعات وغير ذلك ، ﴿ وإن قيامكم بشكرها ﴿ إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ أي: هذه طبيعة الإنسان من مقصر في حقوق ربه ، كفار لنعم الله ، لا يشكرها ولا يعترف بها ، إلا من هداه الله فشكر نعمه ، وعرف حق ربه وقام به .

فيفي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، بجمل ومفصل، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره، ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جمع الأوقات.

و٣٥﴾ ﴿وإذ قبال إسراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ أي: ﴿وَهُ اذكر إبراهيم عليه الصنلاة والسلام في هذه الحالة الجميلة، إذ قال: ﴿رب اجعل هذا البلد﴾ أي: الحرم ﴿آمناً﴾ فاستجاب الله دعاءه شرعاً وقدراً، فحرمه الله في الشرع، ويسر من أسباب حرمته قدراً ما هو معلوم، حتى إنه لم يُردُهُ ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم.

ولما دعاله بالأمن، دعاله ولبنيه بالأمن فقال: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ أي: اجعلني وإياهم، جانباً بعيداً عن عبادتها، والإلمام بها، ثم ذكر الموجب لخوفه عليه وعلى بنيه، بكثرة من افتتن وابتلى بعبادتها، فقال:

﴿٣٦﴾ ﴿ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ أي: ضلوا بسببها، ﴿فمن تبعني﴾ على ما جئت به من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين ﴿فإنه مني﴾ لتمام الموافقة، ومن أحب قوماً وتبعهم التحق بهم.

ومن عصاني فإنك غفور رحيم وهذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله، والله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده، لا يعذب إلا من تمرد عليه.

﴿٣٧﴾ ﴿ربنا إني أسكنت من
ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم﴾ وذلك أنه أتى بـ «هاجر» أم
إسماعيل وبابنها إسماعيل عليه الصلاة
والسلام، وهو في الرضاع، من الشام
حتى وضعهما في مكة، وهي _إذ
ذاك _ليس فيها سكن، ولا داع ولا
عيب، فلما وضعهما دعا ربه بهذا
الدعاء، فقال _متضرعاً متوكلاً على
ربه: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي
أي: لا كل ذريتي، لأن إسحاق في
ربه: ﴿بواقي بنيه كذلك، وإنما أسكن
في مكة إسماعيل وذريته، وقوله:
﴿بواد غير ذي زرع﴾ أي: لأن أرض
مكة لا تصلح للزراعة.

﴿ ربنا ليقيموا الصلاة ﴾ أي: اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة ، لأن إقامة الصلاة من أخص وأفضل العبادات الدينية ، فمن أقامها كان مقيماً لدينه ، ﴿ فَاجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم ﴾ أي: تحبهم وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه .

فأجاب الله دعاءه، فأخرج من ذرية إسماعيل محمداً على حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي، وإلى ملة أبيهم إبراهيم، فاستجابوا له وصاروا مقيمي الصلاة.

وافترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم، وجعل فيه سراً عجيباً جاذباً للقلوب، فهي تحجه، ولا تقضي منه وطراً على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه، وعظم ولعه وترقه، وهذا سر إضافته

تعالى إلى نفسه المقدسة .

﴿وارزقهم من الشمرات لعلهم يشكرون فأجاب الله دعاءه، فصار يجبى إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت، والشمار فيها متوفرة، والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب.

﴿٣٨﴾ ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ﴾ أي: أنت أعلم بنا منا ، فنسألك من تدبيرك وتربيتك لنا أن تيسر لنا من الأمور التي نعلمها والتي لا نعلمها ، ما هو مقتضى علمك ورحتك ، ﴿وما يخفى على الله من شي في الأرض ولا في السماء ﴾ ومن ذلك هذا الدعاء الذي لم يقصد به الخليل إلا الخير ، وكثرة الشكر لله رب العالمين .

﴿٣٩﴾ ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإياس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين، أجلُ وأفضل، ولإجابة عن دعاه، وقد دعوته، فلم يغيب رجائي، ثم دعا لنفسه ولذريته، فقال: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ولوالدي ولسلمومنين يوم يقوم ولوالدي ولسلمومنين يوم يقوم الحساب فاستجاب الله له في ذلك كله، إلا أن دعاء، لأبيه إنما كان عن موعدة وعده إياه، فلما تبين له أنه عوو الله تبرأ منه.

﴿ ٤٢ - ٤٢ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون و تمسخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ للمظلومين، يقول تعالى: ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون حيث أمهلهم وأذرً عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم، فإن الله يُملي للظالم ويمهله ليزداد إثماً، حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ

القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد والظلم _ هاهنا _ يشمل الظلم فيما بين العبد وربه، وظلمه لعباد الله، ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ أي: لا تَطُرُفُ من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل.

﴿مهطعین﴾ أي: مسرعین إلى إجابة الداعي حین یدعوهم إلى الحضور بین یدی الله للحساب، لا امتناع لهم ولا عیص ولا ملجاً، ﴿مقنعي رؤوسهم﴾ أي: رافعیها قد غُنلَت أیدیهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك رؤوسهم، الأذقان، فارتفعت لذلك رؤوسهم، قد ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم، قد صعدت إلى الحناجر، لكنها مملوءة من كل هم وغم وحزن وقلق.

﴿ ٤٤ _ ٤١ ﴾ ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال * وقد مكروا مكرهم وعند ألله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْذُرُ الناس يوم يأتيهم العذاب، أي: صِفْ لهم صفة تلك الحال، وحذَّرُهُمْ من الأعمال الموجبة للعذاب، الذي حين يأتي في شدائده وقلاقله، ﴿فيقول الذين ظلموا بالكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، نادمين على ما فعلوا، سائلين للرجعة في غير وقتها، ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب الى : رُدُّنا إلى الدنيا، فإنا قد أبصرنا، ﴿نجب دعوتك والله يدعو إلى دار السلام ﴿ونتبع الرسل﴾ وهذا كله لأجل التخلص من العذاب، وإلا فهم كَذَّبةً في هذا الوعد ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه

ولهذا يوبخون ويقال لهم: ﴿أُولُم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ عن الدنيا وانتقال إلى الآخرة، فها قد تبين حِنْثكمْ في إقسامكم،

وكذبكم فيما تدعون، ﴿و﴾ ليس عليكم قاصرٌ في الدنيا من أجل الآيات البينات، بل ﴿سكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا أحل الله بهم العقوبات، حين كذبوا بالآيات البينات، وضربنا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا أزالته، فلم تنفع فيكم تلك الآيات، بل أعرضتم ودمتم على باطلكم، حتى صار ما صار، ووصلتم باطلكم، حتى صار ما صار، ووصلتم من اعتذار بباطل.

﴿وقد مكروا﴾ أي: المكذبون للرسل ﴿مكرهم﴾ الذي وصلت إراداتهم، وقدر لهم عليه، ﴿وعند الله مكرهم﴾ أي: هو تحيط به علماً وقدرة، فإنه عاد مكرهم عليهم ﴿ولا عِينَ المكر السيِّيء إلا بأهله﴾.

﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ أي: ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسل بالحق، وبمن جاء به من عظمه _ لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها، أي: ﴿مكروا مكراً كُبَّاراً﴾ لا يقادر قدره ولكن الله رد كيدهم في نحورهم.

ويدخل في هذا كل مَنْ مكر من المخالفين للرسل، لينصر باطلا، أو يبطل حقاً، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئاً، ولم يضروا الله شيئاً، وإنما ضروا أنفسهم.

﴿٧٤ ـ ٢٥﴾ ﴿فلا تحسب أنه الله عزيز ذو خلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الأرض غير الأرض والسسماوات وبرزوا لله الواحد في الأصفاد * سرابيلهم من قطران في الأصفاد * سرابيلهم من قطران كل نفس ما كسبت إن الله سريع كل نفس ما كسبت إن الله سريع وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب يقول تعالى: ﴿فلا تحسبن الله عنما ونجاة أتباعهم وسعادتهم، وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا، وعقابهم في

الآخرة، فهذا لا بد من وقوعه، لأنه وعد به الصادق قولاً، على ألسنة أصدق خلقه، وهم الرسل، وهذا أعلى ما يكون من الأخبار، خصوصاً وهو مطابق للحكمة الإلهية، والسنن الربانية، وللعقول الصحيحة، والله تعلى لا يعجزه شيء، فإنه ﴿عزيز ذو انتقام﴾.

أي: إذا أراد أن ينتقم من أحد، فإنه لا يفوته ولا يعجزه، وذلك في يوم القيامة، ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ تبدل تبديل التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم، ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم، فتصير قاعاً صفصفاً، لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم، ثم يطويها الله شدة أهوال ذلك اليوم، ثم يطويها الله

﴿وبسرزوا﴾ أي: الخسلائسة مسن قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم في على لا. يُغفى منهم على الله شيء، ﴿لله الواحد القهار﴾ أي: المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم، فكلها تحت تصرفه وتدبيره، فلا يتحرك منها متحرك ولا يسكن ساكن إلا بإذنه.

تعالى بيمينه .

﴿وترى المجرمين﴾ أي: الذين وصفهم الإجرام، وكثرة الذنوب، في ذلك اليوم ﴿مقرنين في الأصفاد》 أي: يسلسل كل أهل عمل من المجرمين بسلاسل من نار، فيقادون إلى العذاب في أذل صورة وأشنعها.

وسرابيلهم أي: ثيابهم ومن قطران وذلك لشدة اشتعال النارفيهم وحرارتها، ونتن ريها، ووتغشى وجوههم التي هي أشرف ما في أبدانهم والنيار أي: تحيط بها، وتصلاها من كل جانب، وغير الوجوه من باب أولى وأحرى، وليس هذا ظلماً من الله لهم، وإنما هو جزاء لما قدموا وكسبوا، ولهذا قال تعمال:

﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ من

建筑的 مُقطِعِينَ مُقْنِي رُهُ وسِهِمْ لَايَزْتَ ذُالِيَهِمْ طَلْرَفُهُمَّ وَأَفْيَدَتُهُمُ مَوَلَا ١٠ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِ مُ ٱلْعَكَدَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبِّنَآ أَخِرْنَاۤ إِنَّ آجَلِ قَرِيبٍ نِجُتْ دَعْوَيْكَ وَمَقَيْعِ الرُّسُلُّ أُولَزْتَ كُونُوا أَفْسَعْتُ مِن قَتْلُ مَالَكُم مِنْ نَوَالِ ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِين الله الَّذِينَ طَلَقُوا الفُسَهُمْ وَتَبَّاقِتُ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بهدُ وَمَنْهَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَ الْ ﴿ وَقَدْمَكُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ أَقَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكُرُهُمْ لِلْأُولَ مِنْهُ آلِيكِ الْ ۞ فَلَا تَحْسَبَنَ ۚ أَلَّهَ تُخْلِفَ وَعْدِيدِ رُسُلَهُ رَّإِنَّ أَلَّهَ عَرِيرٌ ذُو ٱنفِقَامِ ﴿ يَوْمَ تُبَدِّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرًا لْأَرْضِ وَالسَّمَوَتُ وَبَرَزُواْ يَوَالْوَحِدِالْقَهَارِ۞ وَزَّى ٱلْتَجْمِعِ تَوْمَهِٰ مُقَرِّنِينَ فِٱلْأَمْهُ فَادِ ۞ سَرَابِلُهُ مُعْن قَطِلَانِ وَتَسْتَىٰ وُجُوهَهُ دُالنَّارُ ﴿ لِيَجْزِي اللَّهُ كُلِّ نَفْسِ مَا كَسَبُتْ إِذَا فَهَ سَوِيعُ أَيْحِسَانٍ ۞ هَاذَا بَلَاثًةً لِلنَّاسِ وَلِينُذَنُّولِيهِ وليَعْلَمُوا أَنْمَا هُوَ إِلَهُ وَعِدُ وَلِيذًا فَكُوا ٱلْأَلْبَ فِي DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF

خير وشر بالعدل والقسط، الذي لا جور فيه بوجه من الوجوه.

﴿إِنِ الله سريع الحساب﴾ كقوله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ ويحتمل أن معناه: سريع المحاسبة، فيحاسب الخلق في ساعة واحدة، كما يرزقهم ويدبرهم بأنواع التدابير في لحظة واحدة، لا يشغله شأن عن شأن، وليس ذلك بعسير عليه.

فلما بين البيان المبين في هذا القرآن، قال في مدحه:

﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ أي: يتبلغون به، ويتزودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات وأفضل الكرامات، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد.

وليندروا به لا فيه من الترهيب من أعمال الشر، وما أعد الله لأهلها من العقاب، ووليعلموا أنما هو إله واحد عيث صرف فيه من الأدلة والبراهين على ألوهيته ووحدانيته، ما صار ذلك حق اليقين، ووليذكر أولو الألباب أي: العقول الكاملة، ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر.

إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنورت أفكارهم لما أخذوه غضاً طرياً، فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى

الدُّن بِنْ مَا لِمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُلِلْمُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ ال

الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها.

وهذه القاعدة إذا تدرب بها العبد الذكي، لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة. والحمد لله رب العالمين.

تم تفسير سورة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

تفسير سورة الحجر وهي مكية

(١- ٥) ﴿بسم الله السرحسن الرحيم الرحيم الرتك آبات الكتاب وقرآن مبين * ربما يوذ الذين كفروا لو كانوا مسلمين * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون * وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم * ما تسبق من أمة أجلها وما مادحاً له: ﴿تلك آبات الكتاب أي الآيات الدالة على أحسن المعاني، وأفضل المطالب، ﴿وقرآن مبين﴾ للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود، وهذا مما يوجب على المقصود، وهذا مما يوجب على وتلقيه بالقبول والفرح والسرور.

فأماً من قابل هذه النعمة العظيمة بردها والكفر بها، فإنه من المكذبين الضالين، الذين سيأتي عليهم وقت

يتمنون أنهم مسلمون، أي: منقادون لأحكامه، وذلك حين ينكشف العطاء، وتظهر أوائل الآخرة، ومقدمات الموت، فإنهم في أحوال الآخرة كلها يتمنون أنهم مسلمون، وقد فات وقت الإمكان، ولكنهم في هذه الدنيا مغترون.

ف ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ بلذاتهم ﴿ ويلههم الأمل ﴾ أي : يؤملون البقاء في الدنيا، فيلهيهم عن الآخرة، ﴿ فسوف يعلمون ﴾ أن ما هم عليه باطل، وأن أعمالهم ذهبت خسراناً عليهم، ولا يغتروا بإمهال الله تعالى، فإن هذه سنته في الأمم.

﴿وما أهلكُّنا من قرية > كانت مستحقة للعذاب ﴿إلا ولها كتاب معلوم > مقدر لإهلاكها.

﴿ مَا تسبَقُ مِن أَمة أجلها وما يستأخرون ﴾ وإلا قالذنوب لا بد من وقوع أثرها، وإن تأخر.

﴿٦ - ٩﴾ ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون * لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين * ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين * إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظ ون﴾ أي: وقال المكذبون لحمد ﷺ استهزاء وسخرية: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ على زعمك ونترك ما وجدنا عليه آباءنا لمجرد وتلك.

﴿لو ما تأتينا بالملائكة ﴾ يشهدون لك بصحة ما جثت به ﴿إن كنت من الصادقين ﴾ فلما لم تأت بالملائكة فلست بصادق، وهذا من أعظم الظلم والجهل.

أما الظلم فظاهر، فإن هذا تجرؤ على الله وتعنت بتعيين الآيات التي لم يخترها، وحصل القصود والبرهان بدونها من الآيات الكثيرة، الدالة على صحة ما جاء به، وأما الجهل، فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم، فليس في إنزال الملائكة خير لهم، بل ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي

لا إمهال على من لم يتبعه وينقد له.

﴿ وما كانوا إذا ﴾ أي: حين تنزل الملائكة، إن لم يؤمنوا، ولن يؤمنوا به ﴿ منظرين ﴾ أي: بممهلين، فصار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلاً لأنفسهم بالهلاك والدمار، فإن الإيمان ليس في أيديهم، وإنما هو بيد الله، ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله، ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ ويكفيهم من الآيات إن كانوا صادقين، هذا القرآن العظيم ولهذا قال هنا:

﴿إِنَا نَحِنَ نَزَلْنَا الذَّكُرِ ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكري لكل شيء، من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر ، ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي: في حال إنزاله، وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه، إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدواً يجتاحهم .

(10 - 10) (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين * وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون * كذلك نسلكه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين يقول تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون الماضية: (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) أي: فرقهم وجماعتهم، رسلاً.

﴿وما يأتيهم من رسول ﴾ يدعوهم إلى الحق والهدى ﴿إلا كانوا به يستهزؤون ﴾ ﴿كذلك نسلكه ﴾ أي: ندخل التكذيب ﴿في قلوب المجرمين ﴾ أي: الذين وصفهم الظلم والبهت، عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر والتكذيب، تشابهت معاملتهم والتكذيب، تشابهت معاملتهم

لأنبيائهم ورسلهم بالاستهزاء والسخرية وعدم الإيمان، ولهذا قال: ﴿لا يومنون به وقد خلت سنة الأولين﴾ أي: عادة الله فيهم، بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله.

﴿١٤ ــ ١٥﴾ ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنّما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة، لم يؤمنوا وكابروا ﴿ولُو فَتَحِنا عليهم بأبأ من السماء ﴾ فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عياناً بأنفسهم، لقالوا من ظلمهم وعنادهم، منكرين لهذه الآية: ﴿إنَّمَا سَكُرَتُ أبصارنا ﴾ أي: أصابها سكر وغشاوة، حتى رأينا ما لم نر، ﴿بل نحن قوم مسحورون اي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء، ثم ذكر الآيات الدالآت على ما جاءت به الرسل من الحق فقال:

﴿١٦ ـ ٢٠﴾ ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ يقول تعالى _مبيناً كمال اقتداره ورحمته بخلقه _: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً ﴾ أي: نجوماً كالأبراج والأعلام العظام يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ﴿وزيناها للناظرين﴾ فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهى والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها، والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها.

﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ إذا استرق السمع، اتبعته الشهب الثواقب، فبقيت السماء، ظاهرها محملاً بالنجوم النيرات، وباطنها عروساً منوعاً من الآفات.

﴿ إلا من استرق السمع ﴾ أي: في بعض الأوقات، قد يسترق بعض الشياطين السمع بخفية واختلاس، ﴿ فَاتِبِعِهُ شَهَابِ مِينَ ﴾ أي: بين منير، يقتله أو يخله.

فربما أدركه الشهاب قبل أن يوصلها الشيطان إلى وليه، فينقطع خبر السماء عن الأرض، وربما القاها إلى وليه قبل أن يدركه الشهاب، فيضمُها ويكذب معها مئة كذبة، ويستدل بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

﴿والأرض مددناها﴾ أي: وسعناها سعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها، والتناول من أرزاقها، والسكون في نواحيها.

﴿وألقينا فيها رواسي﴾ أي: جبالاً عظاماً، تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد، وتثبتها أن تزول ﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ أي: نافع متقوم يضطر إليه العباد والبلاد، ما بين نخيل وأعناب، وأصناف الأشجار، وأنواع النات.

﴿وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ من الحرث، ومن الماشية، ومن أنواع المكاسب والحرف. ﴿ومن لستم له برازقين ﴾ أي: أنعمنا عليكم بعبيد وإماء وأنعام، لنفعكم ومصالحكم، وليس عليكم رزقها، بل خولكم الله إياها وتكفل بأرزاقها.

﴿٢١﴾ ﴿وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاّ بقدر معلوم﴾ أي: جميع الأرزاق وأصناف الأقدار، لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته الواسعة، ﴿وما ننزله﴾ أي: المقدر من كل شيء، من مطر وغيره، ﴿إلا بقدر معلوم﴾ فلا يزيد على ما قدره الله، ولا ينقص منه.

﴿٢٢﴾ ﴿وأرسلنا الرياح لواقع فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ أى: وسخرنا

EN ENDER MARINE ROLL وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِ ٱلسَّكَلَّةِ رُوْمِيَا وَزَيَّنَا النَّظِيدِي ٥ وَحَفِظْنَهَا مِن كُلِّ شَيْطُلْن تَجِيدٍ ۞ إِلَّا مِنَ أَسْتَرَقَ ٱلسَّمَعَ فَأَتِّعَهُ شِهَاتُ شَيِنَّ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَهَا وَٱلْقَتِكَ الْمِهَارَوْمِي وَأَنْبُتُكَ إِنْهِا مِنْ كُلِ فَيْءِ مَوْزُونِ ١ وَحَعَلْنَا لَكُرُفِهَا مَعَكِيشَ وَمَن لَّسُتُمْ لَهُ رُزَفِينَ ۞ وَالْمِيْن مَّى وِ إِلَّاعِندَنَا خَزَّانِنُهُ وَمَانَيْزَالُهُ إِلَّابِقَ مَرِمَّعْ لُومِ ۞ وَأَرْسَكُنَا ٱلِيَهَٰ كَوْفِهَ فَأَرْلَنَامِنَ ٱلْسَكَلَةِ مَلَّهُ فَأَسْقَيْنَكُوهُ وَمَآ أَنتُدُ لَهُ عِنْزِينَ۞ وَإِنَّا لَيَحَنُ ثَعْيء وَيُبِتُ وَغَنَّ ٱلْوَزِقُونَ ﴿ وَلَقَدْ عَلِينَا ٱلْكُنْدَ تَقْدِمِينَ مِن كُوْ وَلَقَدْ عَلِمُنَا ٱلْكُنْدَ يَعِرِينَ ۞ وَإِنَّ رَبُّكَ هُوَيَحْشُرُهُمُّ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيدٌ ۞ وَلَقَدُخَلَنَا ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَلِ مِنْ مَا مَسْتُونِوْ ﴿ وَٱلْجَمَانَ خَلَقْنَكُهُ مِن قِبَلُ مِن نَادِ ٱلسَّمُومِ ۞ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْكَلِّيكُوْ إِنْ خَلِقُ ا بَشَرُاعَ صَلْصَلِ مِنْ عَمَا تَسْنُونِ ﴿ فَإِذَا سَوَيْتُهُ وَفَفَتْ يَفِهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لِلْهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْمُلَيِّكُمُ كُلُّهُمْ المَعْونَ عَمَالَتَا عِلِينَ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ اللَّهُ عِلَيْكُ AND THE WAR DE COMMENT

الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما يلقح الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مدخراً لحاجاتهم وضروراتهم ما هو مقتضى قدرته ورحمته، ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ أي: لا قدرة لكم على خزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم، ويسلكه ينابيع في الأرض، رحمة بكم وإحساناً إليكم.

﴿٢٣ _ ٢٧﴾ ﴿وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وإنّ ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم اي: هو وحده لا شريك له، الذي يحيى الخلق من العدم، بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ويميتهم لآجالهم التي قدرها ﴿ونحن الوارثون كقوله: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون، وليس ذلك بعزيز ولا ممتنع على الله، فإنه تعالى يعلم المستقدمين من الخلق والمستأخرين منهم، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، وما تفرق من أجزائهم، وهو الذي قدرته لا يعجزها معجز، فيعيد عباده خلقأ جديدأ ويحشرهم

﴿إنه حكيم ﴾ يضع الأشياء

﴿والجمانِ وهو: أبو الجن أي:

﴿من نبار المسموم﴾ أي: من النبار

الشديدة الحرارة، فلما أراد الله خلق

آدم قال للملائكة:

قَالَ يَكَإِنِيسُ مَالُكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ لَمْ اللَّهِ إبليس، وفي ضمن ذلك التحذير لنا أَكُن لِأَسْجُدَلِكُ مَرِخَلَقْنَهُ مِن صَلْصَالِ مِنْ حَمَامَتْ وُنِ من شره وفتنته، فقال تعالى: ﴿ولقد ﴿ قَالَ فَلَخْرُجُ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَحِيدٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكُ ٱللَّفَ } خلقنا الإنسان ﴾ أي: آدم عليه السلام إِلَّا يَوْمِ ٱلِيِّنِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِ رَنِّ إِلَّا يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ ﴿من صلصال من حماً مسنون﴾ أي: قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْنُظَمِينَ ۞ إِلَّا يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْ لُومِ ۞ عَالَ رَبِّ بِمَا أَغُونِيتَنِي لَأَرْيَهِ نَنَّ لَمُمَّافِيٱلأَرْضِ وَلَأَغُوبِيَّهُمْ من طين قديبس، بعدما خر، حتى أَخْمِينَ ۞ إِلَّاعِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُتَّلَصِينَ ۞ وَالَ هَا نَا صارله صلصلة وصوت، كصوت صِرَطُ عَلَ مُسْتَقِيدُ ۞ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ رُسُلُطُنُّ الفخار، والحمأ المسنون: الطين المتغير إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْفَاهِينَ ۞ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَوْعِدُهُمْ أَجْمِعِينَ لونه وريحه من طول مكثه. @ لَمَا مَنْعَةُ أَوْكِ إِحْكُلْ مَاكِ مِنْهُمْ جُنْ مَفْسُومُ ٥ إِنَّ ٱلْمُنْقِينَ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ ۞ أَدْخُلُوهَا بِسَكُنْمِ ءَامِنِينَ ۞ وَرُنَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِرِ مِنْ عِلْ إِخْوَنَا عَلَى سُرُرِمُّ لَقَيْلِينَ إبليس ﴿خلقناه من قبل﴾ خلق آدم

> TOWNS THE WORLD مواضعها، وينزلها منازلها، ويجازي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قال ربك للملائكة إن خالق بشراً من

صلصال من حماً مسنون * فإذا سويته

ونفخت فيه من روحى فقعواله

ساجدين * فسجد الملائكة كلهم

أجمعون * إلا إبليس أبي أن يكون م

الساجدين * قال يا إبليس ما لك ألا

تكون مع الساجدين * قال لم أكن

لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ

مسنون * قال فاخرج منها فإنك

رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم

الدين * قال رب فانظرن إلى يوم

يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى

يوم الوقت المعلوم * قال رب بما

أخويستنى لأزيسن لهم في الأرض

ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم

المخلصين *قال هذا صراط على

مستقيم # إن عبادي ليس لك عليهم

سلطان إلا من اتبعك من الغاوين *

وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة

أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم،

يذكر تعالى نعمته وإحسانه على أبينا آدم

عليه السلام، وما جرى من عدوه

@لاَيَسُهُ مُفِيهَا نَصَبُ وَمَاهُم مِنْهَا بِمُخْرَبِينَ

نَقَ عِبَادِئَ أَنِّ أَنَا ٱلْمَعُورُ الْرَحِيدُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِى

هُوَالْمَذَابُ الزَّلِيدُ ۞ وَنَيْتَهُ مُعَنضَيْفِ إِبْرَهِيمَ ۞

CO CAMERO CERCITICA CONTRACTOR

﴿إِن خَالِق بِشْراً مِنْ صِلْصَالُ مِنْ حمأ مسنون فإذا سويته، جسداً تاماً ﴿ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فامتثلوا أمر ربهم . -﴿٢٦ _ ٤٤ ﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمون﴾ تأكيد بعد تأكيد، ليدل على أنه لم من صلصال من حماً مسنون * والجآن يتخلف منهم أحد، وذلك تعظيماً خلقناه من قبل من نار السموم * وإذا

يعلموا.

﴿ إِلا إِسليس أبي أن يحون مع الساجدين، وهذه أول عداوته لأدم وذريته، قال الله: ﴿يَا إِبْلَيْسُ مَالُكُ أَلَّا تكون مع الساجدين؟ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماً مسنون﴾ فاستكبر على أمر الله، وأبدى العداوة لآدم وذريته، وأعجب بعنصره، وقال: أنا خير من آدم. ﴿قَالُ ﴾ الله معاقباً له على كفره

لأمر الله، وإكراماً لآدم حيث علم منا لم

واستكباره ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾ أي: مطرود مبعد من كل خير، ﴿وَإِن عليك اللعنة ﴾ أي: الذم والعيب، والبعد عن رحمة الله ﴿إلى يوم الدين﴾ ففيها وما أشبهها، دليل على أنه سيستمر على كفره وبعده من الخير .

﴿قال رب فأنظرن ﴾ أي: أمهلني ﴿ إِلَى يُومُ يُبِعِثُونَ . قَالَ فَإِنَّكُ مِنْ المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه، وإنما

ذلك امتحان وابتلاء من الله له وللعباد، ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عـدوه ممـن ليس كـذلـك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا .

﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض) أي: أزين لهم الدنيا، وأدعوهم إلى إيثارها على الأخرى، حتى يكونوا منقادين لكل معصية.

﴿ولأغوب عمر أجمين ﴾ أي: أصدهم كلهم عن الصراط المستقيم، ﴿ إِلا عبادك منهم المخلصين ﴾ أي: الذين أخلصتهم واجتبيتهم، لإخلاصهم، وإيمانهم، وتوكلهم.

قال الله تعالى: ﴿ هذا صراط عِلَّى مستقيم ﴾ أي: معتدل موصل إلى، وإلى دار كرامتي .

﴿إِن عبادي ليس لك عليهم سلطان، تميلهم به إلى ما تشاء من أنواع الضلالات، بسبب عبوديتهم لربهم وانقيادهم لأوامره، أعانهم الله وعصمهم من الشيطان.

﴿إلا من اتبعك المن بولايتك وطاعتك، بدلاً من طاعة الرحمن، ومن النفاويين والنفاوي: ضد الراشد، فهو الذي عرف الحق وتركه، والضال: الذي تركه من غير علم منه

﴿ وَإِنْ جَهِنُمُ لِمُوعِدُهُمُ أَجْمِينَ ﴾ أي: إبليس وجنوده، ﴿لها سبعة أبواب﴾ كل باب أسفل من الآخر، ﴿ لكل باب منهم أي: من أتباع إبليس ﴿جزء مقسوم > بحسب أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿فَكَبَّكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ، وجنود إبليس أجمعون﴾ .

ولما ذكر تعالى ما أعد لأعدائه أتباع إبليس من النكال والعذاب الشديد، ذكر ما أعد لأوليائه من الفضل العظيم، والنعيم المقيم فقال:

﴿٤٥ _ ٠٠﴾ ﴿إِنَّ المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين * ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين * نبيء عبادى أنِّي أنا الغفور الرحيم * وأنَّ

244

عذابي هو العذاب الأليم » يقول تعالى: إن المتقين » الذين اتقواطاعة الشيطان، وما يدعوهم إليه من جميع الذنوب والعصيان في جنات وعيون » قد احتوت على جميع الأشجار، وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة في جميع الأوقات.

ويقال لهم حال دخولها: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ من الموت، والنوم والنصب، واللغوب، وانقطاع شيء من النعيم، الذي هم فيه أو نقصانه، ومن المرض، والحزن، والهم، وسائر المكدرات، ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل(١) وحسد، متصافية متحابة ﴿إخوانا على سرر متقابلين﴾.

دل ذلك على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له، متكثين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ لا ظاهر ولا باطن، وذلك لأن الله ينشئهم نشأة وحياة كاملة، لا تقبل شيئاً من الأفات، ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ على سائر الأوقات.

ولما ذكر ما يوجب الرغبة والرهبة من مفعولات الله من الجنة والنار، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى فقال:
﴿نِيء عبادي﴾ أي: أخبرهم خبراً جازماً مؤيداً بالأدلة، ﴿أَنِي أَنَا المَفْور الرحمة الرحيم﴾ فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته ومغضرته، سعوا في الأسباب (٢) الموصلة لهم إلى رحمته، وأقلعوا عن الذنوب وتابوا منها، لينالوا مغفرته.

ومع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم السرجاء إلى حال الأمن والإدلال، فنبئهم ﴿أَنْ عَذَابِي هُو الْعَذَبِ الأَلْيمِ ﴾ أي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله، الذي لا يقادر قدره، ولا يبلغ كنهه، نعوذ به من عذابه، فإنهم إذا عرفوا أنه ﴿لا يعذب عذابه، وأبعدوا لا يوثق وثاقه أحد ﴾ حذروا، وأبعدوا

عن كل سبب يوجب لهم العقاب، فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها.

﴿٥٦ ـ ٥٦﴾ ﴿ونبِّئهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنّا منكم وجلون * قالوا لا توجل إنّا نبشرك بغلام عليم * قال أبشرتموني على أن مسنى الكبر فيم تبشرون * قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم اي: عن تلك القصة العجيبة، فإن في قصك عليهم أنباء الرسل وما جرى لهم، مما يوجب لهم العبرة والاقتداء بهم، خصوصاً إبراهيم الخليل، الذي أمرنا الله أن نتبع ملته، وضيفه هم الملائكة الكرام، أكرمه الله بأن جعلهم أضيافه .

﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾
أي: سلموا عليه، فرد عليهم ﴿قال:
إنا منكم وجلون﴾ أي: خائفون، لأنه
لا دخلوا عليه وحسبهم ضيوفاً، ذهب
مسرعاً إلى بيته، فأحضر لهم
ضيافتهم، عجلاً حنيذاً فقدمه إليهم،
فلما رأى أيديهم لا تصل إليه، خاف
منهم أن يكونوا لصوصاً أو نحوهم.

ف ﴿قالُوا﴾ له: ﴿لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم﴾ وهو: إسحاق عليه الصلاة والسلام، تضمنت هذه البشارة، بأنه ذكر لا أنثى، عليم، أي: كثير العلم، وفي الآية الأخرى ﴿وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين﴾.

فقال لهم متعجباً من هذه البشارة: ﴿أَبشرتمونِ ﴾ بالولد ﴿على أن مسني الكبر ﴾ وصار نوع إياس منه ﴿فبم تبشرون ﴾ أي: على أي: وجه تبشرون

CONTRACTO CERCULAR SOCIETA إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُرْ وَجِلُونَ ۞ قَالُوا لَاتَوْجَلْ إِنَّا نَبُقَرُكُ مِعُلَى عِلْمَ عِلْمِ عِلْمَ عَلَّالُ مَّسَنِيَ ٱلْكِ مَرُفِ مَبُّنِيْمُ وَدُ ۞ قَالُوا بَشَرَيْكَ بِٱلْحَقّ ا فَلَا تَكُنُ مِّنَ ٱلْقَلْفِطِينَ ۞ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن زَّحْ وَرَقِية إِلَّا ٱلصَّبَآ الَّوِيَ ۞ قَالَ فَمَاخَطُبُكُو أَيُّهَا ٱلْرُصِلُونَ @ فَالْوَا إِنَّا أَرْسِلْنَ مَا إِلَّا فَوْرِ تُجْرِمِينَ ۞ إِلَّا ٓ اللَّهِ إِلَّا اللَّهِ إِلَّا إِنَّا لَنَجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا مُزَأَتَهُ فَذَرْنَا إِنَّهَا لَينَ ٱلْعَلِيمِينَ ۞ مَلْمَاجَآءَ وَالْلُوطِ ٱلْمُرْصِلُونَ۞قَالَ إِنَّكُرْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ۞ قَالُواْ بَلْ حِنْنَكَ يَاكَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ وَأَتَيْنَكَ بِٱلْحَقِ وَإِنَّا لَصَلَاقُونَ ﴾ فَأَسْرِياً هَلِكَ بِقِطْعِ مِنَ ٱلَّيْلِ وَانَّتِعْ أَدْبَلَوهُرُ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنكُوْ أَمَةٌ وَأَمْصُواْ حَيْثُ ثُوْمَهُ وِنَ ۞ وَقَصَيَيْنَ ۖ إِلَيْهِ ذَالِكَ ٱلأَمْرَأَنَّ دَابِرَهَا وَلَآءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ۞ وَيَمَاءَ أَهْلُلُلُوبِنَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ هَنْوُلَّاهِ صَيْغِي فَلَانَفْضَحُونِ ۞ وَٱلْقُواْ اللَّهَ وَلَا يَعْزُونِ ۞ قَالُواْ أَوْلَرُنَاهَكَ عَنِ الْعَالِمِينَ ۞ OF THE TOP OF THE PARTY OF THE

وقد عدمت الأسباب؟

﴿قالوابشرناك بالحق﴾ الذي لا شك فيه، لأن الله على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص _يا أهل هذا البيت _رحمة الله وبركاته عليكم، فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم.

﴿فلاتكن من القانطين﴾ الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزل راجياً لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، فأجابهم إبراهيم بقوله:

﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ الذين لا علم لهم بربم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل إلى القنوط إليه، لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئاً كثيراً، ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مُهم.

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنّا أرسلنا إلى قوم بحرمين * إلاّ آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين * إلاّ امرأته قدرنا إنها لمن الغابريسن * فلما جاء آل لوط المرسلون * قال إنكم قوم منكرون * قالوا بل جنناك بما كانوا فيه يمترون * قاسر وأتيناك با خق وإنّا لصادقون * فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبّع أدبارهم بأهلك بقطع من الليل واتبّع أدبارهم

قَالَ مَثَوُلِآءٍ بِنَانِيَ إِن كُنتُهُ فَلِيلِينَ ۞ لَعَمُرُكَ إِنَّهُمْ لِنَي سَكَيْهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فِتَعَلْنَا عَدَلِيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطُنَا عَلَيْهِ مُعِارَةً مِن سِجِيلٌ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَكَيْنَتِ لِلْمُتَوْمِينِ ﴿ وَإِنَّهَا لِيَسِيدِ إِمُّقِيدٍ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِن كَانَ أَصْعَبُ ٱلْأَيْكُولُظُلِينَ ۞ فَأَنفَقَمْنَا مِنْهُدُ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَا مِثْبِينِ۞ وَلَقَدُ كُذَّبَ أَصْحَبُ أَيْحِجْرِلْلُرْمِيكِينَ ۞ وَءَاتَهُ مُهُمَّ ءَايَدَيَّنَا فَكَانُواْ عَنْهَامُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُواْ يَنْجِنُونَ مِنَ آلِحِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۞ مَّلَّٰفَذَنْهُمُ ٱلمَّيْنِعَةُ مُصِّيعِينَ ﴿ فَمَا أَغْنَىٰعَنْهُمُ مَّا كَانُواْ يَكْيِبُونَ ﴿ وَمَا خَلَقَنَا ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَنْهُمَّا إِلَّا إِلَّهِ آتَى فَي وَلَأَلْسَكَعَةً | آلَيْنَةٌ فَأَسْفَحَ الصَّفْحَ ٱلْجَيِيلَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوۤ ٱلْمَالَّتُ ٱلْعَلِيمُ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَتَعَامِنَ ٱلْشَانِ وَٱلْقُدْرَءَانَ ٱلْمَعِلِيرَ ۞ -ين سدن والصرة ان المنظمة ﴿ لَهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الاَتَّمَدُّذَا عَنَيْكَ إِلَى مَا مَتَمَنَّ المِيتَأَلَّوْكِهَا مِنْهُمُ وَلَا تَحْتَرَنَ اللَّهُ اللَّهِ اللّ عَلَيْهِمْ وَلَخْفِفْ تَنَاسًا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَا تَحْتَرَنَ اللَّهِ اللَّهِ ال عَلَيْهِ مُوَلَّغُونِ مُتَالِمَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقُلْ إِنِّي أَنَّا ۖ ﴾ النَّيْعُ النِّينُ ﴿ كَنَّا أَزَلُ عَلَى الْقَنْسَدِيدَ ﴾ TORONO MINISTRA

ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون * وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وجاء أهل المدينة يستبشرون * قال إنّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخرون * قالوا أولم نستهاك عن العالمين * قال هؤلاء بناي إن كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون * فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل * إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين * وإنها لبسبيل مقيم * إنّ في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي: ﴿قال﴾ الخليل عليه السلام للملائكة: ﴿فما خطبكم أيها الرسلون﴾ أي: ما شأنكم، ولأي: شيء أرسلتم؟

﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْم عِرْمِينَ﴾
أي: كثر فسادهم، وعظم شرهم،
لنعذبهم ونعاقبهم، ﴿إِلا أَلَ لُوط﴾
أي: إلا لُوطاً، وأهله ﴿إلا امرأته قدرنا
إنها لمن الغابريين﴾ أي: الباقين
بالعذاب، وأما لوط فسنخرجنه
وأهله، وننجينهم منها، فجعل إبراهيم
عِادِل الرسل في إهلاكهم،
ويراجعهم، فقيل له: ﴿يا إبراهيم
أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك
وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ فذهبوا

﴿فلما جاء آل لوط المرسلون قال﴾

لهم لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ أي: لا أعرفكم ولا أدري من أنتم.

﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي: جئناك بعذابهم الذي كانوا يشكون فيه، ويكذبونك حين تعدهم به، ﴿وأتيناك بالحق﴾ الذي ليس بالهزل ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما قلنا لك.

﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي: في أثنائه حين تنام العيون، ولا يدري أحد عن مسراك، ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ أي: بل بادروا وأسرعوا، ﴿وامضوا حيث تؤمرون ﴾ كأن معهم دليلاً يدلهم إلى أين يتوجهون ﴿وقضينا إليه ذلك﴾ أي: أخبرناه خبراً لا مثنوية فيه ﴿أَن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ أي: سيصبحهم العذاب الذي يجتاحهم ريستأصلهم، ﴿وجاء أهل المدينة﴾ أي: المدينة التي فيها لوط ﴿يستبشرون ﴾ أي: يبشر بعضهم بعضاً، بأضياف لوط وصباحة وجوههم واقتدارهم عليهم، وذلك لقصدهم فعل الفاحشة فيهم، فجاؤوا حتى وصلوا إلى بيت لوط، فجعلوا يعالجون لوطأ على أضيافه، ولوط يستعيذ منهم ويقول:

﴿إِن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون أي: راقبوا الله أول ذلك، وإن كان ليس فيكم خوف من الله، فلا تفضحون في أضيافي، وتنتهكوا منهم الأمر الشنيع.

ف ﴿قالوا﴾ له جواباً عن قوله ولا تخزون فقط: ﴿أو لم نسهك عن العالمين﴾ أن تضيفهم، فنحن قد أندرناك، ومن أنذر فقد أصدر، ف ﴿قال﴾ لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه: ﴿هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ فلم يبالوا بقوله، ولهذا قال الله لرسوله عمد ﷺ ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ وهذه السكرة، هي سكرة عبة الفاحشة التي البالون معها بعذل ولا لوم.

فلما بينت له الرسل حالهم، زال عن لوط ما كان يجده من الضيق

والكرب، فامتثل أمر ربه وسرى بأهله ليلاً فنجوا، وأما أهل القرية ﴿فأخلتهم الصيحة مشرقين﴾ أي: وقت شروق الشمس، حين كانت العقوبة عليهم أشد، ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ أي: قلبنا عليهم مدينتهم، ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ تتبع فيها من شذ من البلد منهم.

﴿إِن فِي ذَلِك لاَية للمتوسمين﴾ أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكر وروية وفراسة، يفهمون بها ما أريد بذلك، من أن من تجرأ على معاصي الله، خصوصاً هذه الفاحشة العظيمة، وأن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرؤوا على أشنع السيئات.

﴿وإنها﴾ أي: مدينة قوم لوط ﴿لبسبيل مقيم﴾ للسالكين، يعرفه كل من تردد في تلك الديار ﴿إِنْ في ذلك لاَية للمؤمنين﴾ وفي هذه القصة من العبر: عنايته تعالى بخليله إبراهيم، فإن به فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر رسله أن يمروا على إبراهيم عليه السلام كي يبشروه بالولد ويخبروه بما بعثوا له، حتى إنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم، حتى أقنعوه، فطابت نفسه.

وكذلك لوط عليه السلام، لما كانوا أهل وطنه، فريما أخذته الرقة عليهم والرأفة بهم، قدّر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: ﴿إِن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية، [ازداد] شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى، أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه.

﴿٧٩ ـ ٧٩﴾ ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم وإنهما ليامام مبين﴾ وهؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا بها، بل جاءهم

﴿٨٠ ــ ٤٨﴾ ﴿ولـــقـــد كــــذب أصحاب الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون كيبر تعالى عن أهل الحجر، وهم قوم صالح الذين يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز، أنهم كذبوا الرسلين، أي: كذبوا صالحاً، ومن كذب رسولاً فقد كذب سائر الرسل، لاتفاق دعوتهم، وليس تكذيب بعضهم لشخصه، بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به، ﴿وَآتَيْنَاهُم آيَاتُنَا﴾ الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق، التي من جملتها تلك الناقة، التي هي من آيات الله العظيمة.

وفكانوا عنها معرضين كبراً وتجبراً على الله، ﴿وكانوا من كثرة وتجبراً على الله ، ﴿وكانوا من كثرة بنعام الله عليهم ﴿ينحتون من الجبال في ديارهم ، فلو شكروا النعمة وصدقوا نبيهم صالحاً عليه السلام ، لأذر الله عليهم الأرزاق ، ولأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل والآجل ، بأنواع من الثواب العاجل والآجل ، وعتوا عن أمر ربهم ، وقالوا: ﴿يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ .

﴿ فَأَخَذَتُهُمُ الصِيحةُ مَصِيحِينَ ﴾ فتقطعت قلوبهم في أجوافهم، وأصبحوا في دارهم جاثمين هَلْكَي،

مع ما يتبع ذلك من الخزي واللعنة المستمرة ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ لأن أمر الله إذا جاء، لا يرده كثرة جنود، ولا قوة أنصار، ولا غزارة أموال.

﴿٨٥ ــ ٨٦﴾ ﴿وما خــلـقـنـا السماوات والأرض وما بينهما إلآ بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل * إنّ ربك هو الخلاق العليم أي: ما خلقناهما عبثاً وباطلاً كما يظن ذلك أعداء الله، بل ما خلقناهما ﴿إلا بالحق، الذي منه، أن يكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما، واقتداره، وسعة رحمته وحكمته، وعلمه المحيط، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلاله، وحده لا شريك له، ﴿وإن الساعة لآتية﴾ لا ريب فيها ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس) ﴿فَاصِفُحِ الصِفْحِ الْجُمْيِلِ﴾ وهو الصفح الذي لا أذية فيه، بل يقابلُ إساءة المسيء بالإحسان، وذنب بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن بما ذکر ت هنا .

وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل، أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا يضفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.

﴿إن ربك هو الخلاق﴾ لكل مخلوق ﴿العليم﴾ بكل شيء، فلا يعجزه أحد من جميع ما أحاط به علمه، وجرى عليه خلقه، وذلك سائر الموجودات.

﴿٨٧ ـ ٩٣ ﴾ ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحرن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إني أنا النذير المبين * كما أنزلنا على المقتسمين * الذين جعلوا القرآن عضين * فوربك

الَّيْنَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْمَانَ عِضِينَ ۞ فَرَرَ بِكَ لَسْتَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ عَنَاكَانُوا مِنْ مَلُونَ ﴿ فَأَصْدَعْ مَا تُوْمَرُ وَأَعْضَ عَنِ ٱلْمُنْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُتَمْفِرُورَ ﴿ ۞ ٱلَّذِينَ يَجْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَاخَرَّ فَمَنُوفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلِقَدْ مُعَلَّمُ أَنَّكَ بَضِينً صُدُرُكَ عِايَقُولُونَ ﴿ فَسَيْمْ يَعَدُورَيُكَ وَكُنْ مِّنَ السَّنَجِدِينَ ۞ وَأَعْبُدُ رَبَّكِ حَقَّىٰ يَأْنِيكَ الْيَقِينُ ۞ الناق الناق المناق المن أَنَّ أَمُّ اللَّهِ فَلَا لَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَقَدَّا إِعَمَّا يُشْرِكُونَ ا ۞ يُنْزِلُ ٱلْمُلَدِّ حِينَ أَمْرُورِ عِنْ أَمْرُورِ عَلَى مَن يَشَكَّةُ عِنْ عِبَادِهِ ۚ أَنْ أَنْذِرُوٓا أَنَّهُ لِآ إِلَّهُ إِلَّا أَنَّا فَأَنَّقُونِ ۞ خَكَقَ السَمَوَّتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ مِلْكِاعَمَا أَيْشُرِكُونَ ۞ ا خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن نُطَفَعَ فَإِذَا هُوَ خَصِيبٌ ثُبِيثُ إ وَالْأَفْلَدَخَلَقَهَا لَكُرُونِهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْحُكُونَ اً ۞ وَلَكُوْفِهَا جَمَالُ عِينَ يُرْجُونَ وَعِينَ تَسْرَحُونَ ٥ THE THE PARTY OF T

لنسألتهم أجمعين "عما كانوا يعملون »
يقول تعالى مُعَنَّا على رسوله: ﴿ولقد
آتيناك سبعاً من المثاني » وهن _ على
«البقرة» و «آل عمران» و «النساء»
و «المائدة» و «الأنعام» و «الأعراف»
و «الأنفال» مع «التربة». أو أنها فاتحة
الكتاب لأنها سبع آيات، فيكون عطف
«القرآن العظيم» على ذلك، من باب
عطف العام على الخاص، لكثرة ما في
المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب،
والأحكام الجليلة، وتثنيتها فيها.

وعلى القول بأن «الفاتحة» هي السبع المثاني، معناه: أنها سبع آيات، تثنى في كل ركعة، وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني، كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، وقل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ولذلك قال بعده:

﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ أي: لا تعجب إعجاباً يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغتر بها الجاهلون، واستَغْن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، ﴿ولا تحزن عليهم﴾ فإنهم لا خير فيهم يُرْجَى، ولا نفع يُرْتَقَب.

فلك في المؤمنين عنهم أحسن

وتَغَمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَّا بِلَدِ لَّرْتَكُونُواْ بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنْفُينُ إِذَّ رَبِّكُمْ لَرُهُ وَتُ رَحِيمٌ ۞ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْفَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِلْرَّكَ بُوهَا وَزِينَةٌ وَيَغْلُقُ مَا لَاتَمَّ أَنُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ وَصَدُ السَّكِيلِ وَمِنْهَا جَآيَرٌ وَلَوْ شَاءً لَمَذَكُو أَجْمَعِينَ ۞ هُوَالَّذِي أَسْزَلَ مِنْ ٱلسَّمَآ عِمَآ يُلَّكُم مِنْهُ السَّا شَوَاتٌ وَمِنْهُ شَجَرُ فِيهِ تَيْسِيمُونَ ۞ يُنْبِتُ لُكُمُ بِهِ ٱلرَّرْعَ وَٱلزَّيْوْتَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَابَ وَمِن كُلِ ٱلثَّمَرَاتُ إِنَّ فِي ذَلِكَ ٱلْآيَةُ لِقَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ ٥ وَسَخَّرَلَكُمُ أَيُّلَ وَالنَّهَارَ وَالنَّبَ مَن وَالْقَدَرَ وَٱلنَّجُومُ مُسَخَّرَتُ مُأْمَرِيُّةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَّا لَكُمْ فِ ٱلْأَرْضِ عُنْكِلِقًا أَلْوَنَهُ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِفَوْمِ يَذَٰكَ مُونَ ﴿ وَهُو الَّذِي سَخَ زَالْبَحْ رَالْبَاحُ لَوَالْمِنْ لَهُ لَعْمَا لَمَ يَا وَتَسْتَخِيمُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْتِسُونَهَ كَاوَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِـ رَفِيهِ ولتنتغواين فضياء ولعكمت تشكرون ٥ ADDED THE SERVED

البدل، وأفضل العوض، ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أي: ألِنْ لهم جانبك، وحَسِّن لهم خلقك، عبة وإكراماً، وتوَدُّداً، ﴿وقل إِنِ أَنَا النذير المبين﴾ أي: قم بما عليك من النذارة، وأداء الرسالة، والتبليغ للقريب والبعيد، والعدو، والصديق، فإنك إذا فعلت ذلك، فليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من

وقوله: ﴿كسما أنزلسها على المقتسمين﴾ أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به، الساعين لصد الناس عن سبيل الله.

﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أي: أصنافاً وأعضاء وأجزاء، يصرفونه بحسب ما يهوونه، فمنهم من يقول: سحر، ومنهم من يقول: كهانة، ومنهم من يقول: مُفترى، إلى غير ذلك من أقوال الكفرة المكذبين به، الذين جعلوا قدحهم فيه ليصدوا الناس عن المدي

وفوربك لنسألنّهم أجمعين أي: جيع من قدح فيه وعابه، وحرّفه وبدّله وعما كانوا يعملون وفي هذا أعظم ترهيب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا عليه (١٠).

ثم أمر ١١١ رسوله أن لا يبالي بهم

ولا بغيرهم، وأن يصدع بما أمر الله، ويعلن بذلك لكل أحد ولا يُعَوِّقَنَّهُ عن أمره عائق ولا تَصُدَّه أقوال المتهوكين، ﴿وأعرض عن المشركين﴾ أي: لا تبال بهم، واترك مشاتمتهم ومسابتهم، مقبلاً على شأنك، ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ بك وبما جثت به، وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزؤون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة.

وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك يا رسول الله، فإنهم أيضاً يؤذون الله ويجعلون معه ﴿إلها آخر﴾ وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم ﴿فسوف يعلمون﴾ غِبٌ أفعالهم إذا وردوا القيامة، ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ لك من التكذيب والاستهزاء.

فنحن قادرون على استنصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم.

فأنت يا محمد ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة، فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه، ويعينك على أمورك.

﴿٩٩﴾ ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي: الموت، أي: استمر في جميع الأوقيات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائباً في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ، تسليماً كثيراً.

تم تفسير سورة الحجر

تفسير سورة النحل وهي مكية

﴿١ _ ٢﴾ ﴿ بسم الله السرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون * ينزل

الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون في يقول تعالى مقرباً لما وعد به فلا تستعجلوه فإنه آت، وما هو آت فلا تستعجلوه فإنه آت، وما هو آت في شركون في من نسبة الشريك والولد والصاحبة، والكفء، وغير ذلك مما نسبه إليه المشركون، مما لا يمليق بجلاله، أو ينافي كماله، ولما نزه نفسه بعما وصفه به أعداؤه، ذكر الوحي عما الذي ينزله على أنبيائه، مما يجب اتباعه في ذكر ما ينسب لله، من صفات الكمال فقال:

﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴾ أي: بالوحي الذي به حياة الأرواح ﴿على من يشاء من عباده ﴾ بمن يعلمه صالحاً، لتحمل رسالته.

وزبدة دعوة المرسلين كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنْ أَنْدُرُوا أَنْهُ لا إِلهُ إِلا أَنَا وَاتَمُونَ﴾ أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة، التي هي صفات الألوهية، وعبادتبه وحده لا شريك له، فهي التي أنزل الله بها كتبه، وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها وقام بضدها، ثم ذكر الأدلة والبراهين على ذلك. فقال:

﴿٣ - ٩﴾ ﴿خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون * خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين * والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * والحم أله للإلم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ هذه السورة تسمى سورة النعم، فإن الله ذكر في

أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق، ليستدل بها العباد على عظمة خالقهما، ويعلموا أنه خلقهما مسكناً لعباده الذين يعبدونه، بما يأمرهم به من الشرائع التي أنزلها على السنة رسله، ولهذا نزه نفسه عن شرك المشركين به فقال: ﴿تعالى عما سركهم، فإنه الإله حقاً، الذي يشركهم، فإنه الإله حقاً، الذي تعالى، ولما ذكر خلق السماوات تعالى، ولا ذكر خلق السماوات اوالأرض](١)، ذكر خلق ما فيهما.

وبدأ بأشرف ذلك وهو الإنسان فقال: ﴿خلق الإنسان من نطفة ﴾ لم يزل يدبرها، ويرقيها وينميها، حتى صارت بشراً تاماً، كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، قد غمره بنعمه الغزيرة، حتى إذا استتم فخر بنفسه وأعجب بها ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ يحتمل أن المراد: فإذا هو خصيم لربه، يكفر به، ويجادل رسله، ويكذب بآياته. ونسى خلقه الأول، وما أنعم الله عليه به ، من النعم ، فاستعان بها على معاصيه، ويحتمل أن المعنى: أن الله أنشأ الآدمي من نطفة، ثم لم يزل ينقله من طور إلى طور، حتى صار عاقلاً متكلماً، ذا ذهن ورأي: يخاصم ويجادل، فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال، التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها.

﴿والأنعام خلقها لكم ﴾أي: لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم، من جملة منافعها العظيمة أن لكم ﴿فيها دفء ﴾ ما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب، والفرش، والبوت.

﴿وَ اللَّهُ فَيهَا ﴿مَنَافَعَ ﴾غير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿وَلَكُمْ فَيهَا جَمَالُ حَينَ تَرْيُونَ وَحِينَ تَسْرِحُونَ ﴾أي: في

وقت راحتها وسكونها، ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء، فإنكم أنتم الذين تتجملون بثيابكم وأموالكم، وتعجبون بذلك، ﴿وَعَملُ أَثْقالُكُم مَن الأحمال الثقيلة، بل وتحملكم أنتم ﴿إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس ولكن الله ذللها لكم.

فمنها ما تركبونه، ومنها ما تحملون عليه ما تشاؤون من الأثقال إلى البلدان البعيدة والأقطار الشاسعة، ﴿إِن ربكم لرؤوف رحيم﴾إذ سخر لكم ما تضطرون إليه وتحتاجونه، فله الحمد، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وسعة جوده ويره.

﴿والخيل والبغال والحمير﴾ سخرناها لكم ﴿لتركبوها وزينة﴾أي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب، وتارة لأجل الجمال والزينة، ولم يذكر الأكل، لأن البغال والحمر عرم أكلها، والخيل لا تستعمل - في الغالب - للأكل، بل ينهى عن ذبحها لأجل الأكل، خوفاً من انقطاعها، وإلا فقد ثبت في الصحيحين، أن النبي ﷺ ذن في لحوم الخيل.

ويخلق ما لا تعلمون مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له يفهموا المزاد منه، فيذكر أصلاً جامعاً يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون، كما ذكر نعيم الجنة، وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره، كالنخل نعلم والرمان، وأجل ما والرمان، وأجل ما منكل فاكهة زوجان .

BENEFIT BEREIN المَأْلَةَ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَيِهِ كَأَن غَيدَ بكُمْ وَأَنْهَا رَاوَسُمُلًا المَّنَا الْمُعَالِمُ اللهِ اللهِ وَعَلَامُنَ وَبِالْفَيْرِ هُرْيَعَ مَدُونَ ا ﴿ أَفَنَ يَعْلُقُ كَ مَن لَّا يَغْلُقُ أَفَلَا تَنَكَّرُونَ الله وَإِن تَعَدُّوا نِعْهُ مَا لَقُولَا تُحْسُوهِما أَلِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿ وَٱللَّهُ مُعَلَّهُ مَاشُّهُ وَكَ وَمَا تُعْلِمُونَ ۞ وَٱلَّذِيكَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَعْلُقُونِ شَيِّنًا وَهُرْ يُغْلَقُونَ ۞ أَمُونَ عَيْرُأَفِي ۖ أَوْمَا يَشْعُرُونَ أَيَّاذَ يُبْعَثُونَ ۞ إِلَّهُ كُوْ إِلَهُ ۗ اللهِ اللهِ عَالَةِ مِن لَا تُوْمِنُونَ مِا لَآخِهِ رَوْفُلُومِهُ مُ مُنكِرَةً وَهُرِهُ سَتَكْبُرُونَ ۞ لَاجَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَالِيُرُّونَ ﴾ وَمَا يُعْلِنُونُ إِنَّهُ لَا يُحِبُ ٱلْمُسْتَكِّدِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ا مَاذَا أَرَلَ رَبُّ عُمْ مَا لُوَا أَسَطِيرُ الأَوْلِينَ ۞ لِتَحْمِلُوا إِنَّ الْوَزَارَهُرَكَامِلَةَ يَوْمَ الْقِينَامَةُ وَمِنْ أَوْزَارِالَّذِينَ يُعْيِدُونَهُم ﴿ إِنَّا رِيلُمْ أَلَاسَاءَ مَا يَزِدُونِ ۞ قَدْ مَكَرَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِ مُ فَأَقَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْكَ مَهُ مِينَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّعَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَنْهَمُ ٱلْعَدَابُ مِنْ حَثْ لَايَشْمُ وَنَ فَ all and meaning

فكذلك هنا، ذكر ما نعرفه من المراكب، كالخيل، والبغال، والحمير، والإبل، والسفن، وأجمل الباقي في قوله: ﴿وَيُخلُقُ مَا لا تعلمون﴾ ولما ذكر تعلى الطريق الحسي، وأن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من الإبل وغيرها، ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه فقال:

﴿وعلى الله قصد السبيل﴾أي: الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق وأخصرها، موصل إلى الله.

وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله، وهو كل ما خالف الصراط المستقيم، فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم بإذن ربهم، وضل الغاوون عنه، وسلكوا الطرق الجائرة، ولو شاء لهداكم أجمعين ولكنه هدى بعضاً كرماً وفضلاً، ولم يهد آخرين، حكمة منه وعدلاً.

﴿١٠ ـ ١١﴾ ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الشمرات إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ بذلك على كمال قدرة الله، الذي أنزل هذا الماء من السحاب الرقيق اللطيف، ورحمته حيث جعل فيه ماء

Lillian Markett ثُدَّ مَّوْمَ ٱلْقِيْكَمَةِ يُخْزِيهِ مِّ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآ إِيَّ ٱلَّذِينَ كُنتُهُ ثُنتُ قُوكَ فِيهِمُ قَالَ الَّذِيكَ أُوتُوا الْمِلْرَانَ ٱلْحِذِي ٱلْيَوْمَ وَٱللَّهِ ۚ عَلَى ٱلْكَانِينِ ۚ ۞ ٱلَّذِينَ نَتَوَفَّىٰ لِهُمُّ ٱلْمُلَيِّكَةُ ظَالِيٓ أَنْفُهِ عِنَّمُ فَأَلْقَوُ ٱلْسَكَرَمَاكُنَا فَعْسَلُ مِن سُوِّيٍّ بَلِّنَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُ عَاكُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ فَأَدْخُلُواْ أَوْلَ جَهَا نَرِخَ لِدِينَ فِيهَا فَلِينَ مَثْوَى ٱلْمُنْكَ بَرِينَ ۞ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مَاذَاۤ أَرْلَ رَبُّكُمٌّ قَالُواْ خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَاذِهِ الدُّنْيَ احَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَ وَخَيْرٌ وَلَيْعَمَ دَارُٱلْمُنْقِيرَ ۞ جَنَّتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا تَجْدِي مِن تَحْذِهَا ٱلْأَنْهَ أَرْكُمُ مُنِهَا مَايَشَآ وَأَنَّ كَذَلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْكَقِيبَ ۞ ٱلَّذِينَ تَنَوَفَّنَهُمُ ٱلْمُلَّتَكَدُّهُ طَيْبِينَ يَقُولُونَ سَلَمٌ عَلَيْكُمُ لُ آدَخُلُواْ آجْمَنَةَ عِاكُمُتُمْ مَعْمَلُونَ ۞ هَلْ يَظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْلِيَهُمُ ٱلْمُلَيِّكَةُ أَوْيَأْتِيَ أَمْرُرَيِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِيثَ مِن مَسْلِهِمْ وَمَاظَلَتَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَاثُواْ أَنفُسَهُ مُنظِلِمُونَ ۞ فَأَسَابَهُمْ سَيِّنَاتُ مَاعَيمُلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّاكَانُواْ بِدِيسَتَهْزِءُونَ ۞ OND TO THE PARTY OF THE PARTY O

غزيراً منه يشربون، وتشرب مواشيهم، ويسقون منه حروثهم، فتخرج لهم الثمرات الكثيرة والنعم الغزيرة.

﴿١٢﴾ ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ أي: سخر لكم هذه الأشياء لمنافعكم عنها أبداً، فبالليل تسكنون وتنامون وتستريحون، وبالنهار تنتشرون في معايشكم ومنافع دينكم ودنياكم، والنور، والإشراق، وإصلاح الأشجار والشمار، والسبات، وتجفيف والشران، والخاجيات، وتجفيف للأرض وللأبدان، وغير ذلك من الضرويات والحاجيات، التابعة لوجود الشمس والقمر.

وفيهما وفي النجوم، من الزينة للسماء والهداية، في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات، وحساب الأزمنة، ما تتنوع دلالاتها، وتتصرف آياتها، ولهذا جمعها في قوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي: لمن لهم عقول يستعملونها في التدبر والتفكر، فيما هي مهيأة له مستعدة، تعقل ما تراه وتسمعه، لا كنظر الغافلين الذين حظهم من النظر حظ البهائم التي لا عقل لها.

(١٣) ﴿ وما ذراً لكم في الأرض ختلفاً الوانه إنّ في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ أي: فيما ذرا الله ونشر للعباد، من كل ما على وجه الأرض، من حيوان، وأشجار، ونبات، وغير ذلك، مما تختلف ألوانه، وتختلف منافعه، آية على كمال قدرة الله، وعميم إحسانه، وسعة بره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك لستحضرون في ذاكرتهم ما ينفعهم من العلم النافع، ويتأملون ما دعاهم الله التأمل فيه، حتى يتذكروا بذلك ما هو دليل عليه.

﴿ ١٤﴾ ﴿ وهو الذي سخَّر البحر لتأكلوا منه لحمأ طريأ وتستخرجوا منه حلبة تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾أي: هو وحده لا شريك له ﴿الذي سخر البحر﴾ وهيأه لمنافعكم المتنوعة، ﴿لِتأكِلُوا مِنه لِحَمَّا طَرِيًّا﴾ وهو السمك والحوت الذي يصطادونه منه، ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ فتزيدكم جمالاً وحسناً إلى حسنكم، ﴿وترى الفلك﴾ أي: السفن والمراكب ﴿مواخر فيه﴾ أي: تمخر البحر العجاج الهائل بمقدمها، حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي يطلبون بها الأرزاق وفضل الله

﴿ولعلكم تشكرون﴾الذي يسر لكم هذه الأشياء وهيأها، وتثنون على الله الذي مَنَّ بها، فلله تعالى الحمد والشكر والثناء، حيث أعطى العباد من مصالحهم ومنافعهم فوق ما يطلبون، وأعلى مما يتمنون، وآتاهم من كل ما سألوه، لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

﴿١٦ - ١٦﴾ ﴿وألقى في الأرضِ رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلاً لعلكم تهتدون * وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون أي: ﴿وألقى الله تعالى لأجل عباده ﴿في الأرض رواسي ﴾ وهي: الجبال العظام لئلا تميد بهم

وتضطرب بالخلق، فيتمكنون من حرث الأرض والبناء والسير عليها، ومن رحمته تعالى أن جعل فيها أنهاراً، يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وسقى مواشيهم وحروثهم، أنهاراً على وجه الأرض، وأنهاراً في بطنها يستخرجونها بحفرها، حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخر الله لهم من الدوالي والآلات ونحوها، ومن رحمته أن جعل في الأرض سبلاً، أي: طرقاً توصل إلى الديار المتنائية، ﴿لعلكم تهتدون﴾ السبيل إليها، حتى إنك تجد أرضاً مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها، وقد جعل الله فيما بينها منافذ ومسالك للسالكين.

﴿ ١٧ _ ٢٣﴾ ﴿أَفْمِن يَخْلُق كَمِنَ لا يخلق أفلا تذكرون * وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إنَّ الله لغفور رحيم * والله يعلم ما تسرون وما تعلنون * والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيّان يبعثون * إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخيرة قبلبوبهم مستكبرة وهمم مستكبرون * لا جرم أنّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين لله لذكر تعالى ما خلقه من المخلوقات العظيمة، وما أنعم به من النعم العميمة، ذكر أنه لا يشبهه أحد ولا كف اله ولا تدله ، فقال: ﴿أَفُمن يُخِلُّ ﴾ جميع المخلوقات، وهو الفعال لما يريد ﴿كُمِّن لا يُخلق﴾ شيئاً، لا قليلاً ولا كثيراً، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون أن المنفرد بالخلق أحق بالعبادة كلها، فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره، فإنه واحد في إلهيته وتوحيده وعبادته .

وكما أنه ليس له مشارك إذ أنشأكم وأنشأ غيركم، فلا تجعلوا له أنداداً في عبادته، بل أخلصوا له الدين، ﴿وإن تعدوا نعمة الله عدداً عرداً عن الشكر ﴿لا تحصوها ﴾ فضلاً عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، BENES CERTIFIE الله والله الله المركوا لوشآة القدماعة ذاين دونيرين لُّ التِّيْءِ غَنْ وَلِآءَ ابتَ أَوْنَا وَلِاحْتَنْ عَامِن دُونِهِ مِن مَنْ وَكَذَلِكَ الْعَلَىٰ ٱلَّذِبِ مِن قَبِلِهِ فَعَلَ عَلَى ٱلْأَيْسُ إِلَّا ٱلْبِلَامُ ٱلَّذِيثُ ا ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِ كُلِّ أَمَّةِ زَسُولًا أَبِ اعْبُ وُواللَّهَ وَآجْتَنِبُوا الطَّلَعُوتُ فِينَهُ مِنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُ مَنْ حَتَّ / عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَي يُرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْبَةُ ٱلْمُكَيِّمِينَ۞ إِن تَعْرِضْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّالَةَ الَايَةَ دِى مَن يُعِيدُ لُ وَمَا لَمُدَيِّن نَفِيرِينَ ۞ وَأَفْسَعُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْنَ إِهِذْ لَا يَهْتُ اللَّهُ مَن يَعُوثُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْدِ حَشَّا وَلَكِنَّ أَكْثُرُ النَّاسِ لَابَعْ لَمُونَ ۞ لِبُنَيِّنَ لَمُدُ ٱلَّذِي يَخْتَلِغُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَدُوٓا أَنَّهُمُ كَانُواْ كَنْبِينَ ۞ إِنَّمَا قُوْلُنَا لِتَنَّى إِذَّا أَرَدُنَكُ أَنْ ثُلُّولُ لُهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ وَالَّذِينَ عَاجِمَهُ وَا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا طُلِمُوا لَنْبَرِّيَّتَهُمْ فِالدُّنْيَاحَسَنَةً وَلِأَجْرُا لَآخِرَوا أَحَبَرُوا أَحَبَرُ وَأَحَبُرُ وَكَانُوا أُ يَمْ لَكُونَ ۞ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّ لُونَ ۞

الوزر المثقل لظهورهم، من وزرهم ووزر من أضلوه.

﴿قد مكر الذين من قبلهم ﴾ برسلهم ، واحتالوا بأنواع الحيل على رد ما جاؤوهم به ، وبنوا من مكرهم ، قصوراً هائلة ، ﴿فَاتَى الله بنيانهم من السقواعد ﴾ أي : جاءها الأمر من السقف من فوقهم ﴾ فصار ما بنوه عذاباً عذبوا به ، ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ وذلك أنهم ظنوا أن هذا البنيان سينفعهم ويقيهم العذاب ، فصار عذابم فيما بنوه وأصلوه .

وهذا من أحسين الأمشال في إبطال الله مكر أعدائه. فإنهم فكروا وقدروا فيهما جاءت به الرسل لما كنبوهم، وجعلوا لهم أصولاً وقواعد من الباطل يرجعون إليها، ويردون بها علم إيقاع المكروه والضرر بالرسل ومن تبعهم، فصار تدبيرهم فيه تدميرهم، وذلك لأن مكرهم سيّى، ﴿ولا يحيق المكر ولعذاب الآخرة أخزى، ولهذا قال: ولعذاب الآخرة أخزى، ولهذا قال: فيضحهم على رؤوس الخلائق، ويبين يفضحهم على رؤوس الخلائق، ويبين لهم كذبهم وافتراءهم على الله.

﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تـشاقـون فـيـهـم﴾ أي: تحـاربـون ﴿أَنَّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ من الأعمال القبيحة ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم من جنس عملهم ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

﴿ ٢٤ _ ٢٩﴾ ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين * ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون * قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إنّ الخزي اليوم والسوء على الكافرين * الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ماكنا نعمل من سوء بلي إنّ الله عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين، يقول تعالى _ خبراً عن شدة تكذيب المشركين بآيات الله: ﴿ وَإِذَا قَيْلُ لَهُمُ ماذا أنزل ربكم اي: إذا سئلوا عن القرآن والوحى الذي هو أكبر نعمة أنعم الله بها على العباد، فماذا قولكم به؟ وهل تشكرون هذه النعمة وتعترفون بها، أم تكفرون وتعاندون؟

فيكون جوابهم أقبح جواب وأسمجه، فيقولون عنه: إنه ﴿أساطير الأولين﴾ أي: كذب اختلقه محمد على الله، وما هو إلا قصص الأولين التي يتناقلها الناس جيلاً بعد جيل، منها الصدق ومنها الكذب، فقالوا هذه وزرهم ووزر من انقاد لهم إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿وسن أوزار السذين يضلونهم بغير علم ﴾ أي: من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم إلا ما دعوهم إليه، فيحملون إثم ما دعوهم إليه، وأما الذين يعلمون، فكلً مستقِلً بجرمه، لأنه عرف ما عرفوا ﴿ألاساء ما يزرون﴾ أي: بئس ما حملوا من

من جميع أصناف النعم، مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى، ﴿إِنْ اللهُ لَغَفُور رحيم﴾ يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير.

وكما أن رحمته واسعة، وجوده عميم، ومغفرته شاملة للعباد، فعلمه عيط بهم، ﴿يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ بخلاف من عُبد من دونه، فإنهم ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ قليلاً ولا كثيراً ﴿وهم يُخلقون في إيجادهم إلى الله تعالى؟!!

ومع هذا، ليس فيهم من أوصاف الكمال شيء، لا علم، ولا غيره، ﴿ أموات غير أحياء ﴾ فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل شيئاً، أفتتَّخذ هذه آلهة من دون رب العالمين، فتبّاً لعقول المشركين ما أضلها وأفسدها، حيث ضلت في أظهر الأشياء فساداً، وسووا بين الناقص من جميع الوجوه، فلا أوصاف كمال، ولا شيء من الأفعال، وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فله العلم المحيط بكل الأشياء، والقدرة العامة، والرحمة الواسعة التى ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة، التي لا يقدر أحد من الخلق أن يحيط ببعض أوصافه، ولهذا قال:

﴿ إِلْهِكُم إِلَّه وَاحَدَ﴾ وهو الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

فأهل الإيمان والعقول، أجلته قلوبهم وعظمته، وأحبته حباً عظيماً، وصرفوا له كل ما استطاعوا من القربات البدنية والمالية، وأعمال الجوارح، وأثنوا عليه بأسمائه الحسنى، وصفاته وأفعاله المقدسة، ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ لهذا الأمر العظيم الذي وعناداً، وهو توحيد الله ﴿وهم مستكبرون﴾ عن عبادته.

﴿لا جـرم﴾أي: حـقـاً لا بـد

وَمَّا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا فُرِجَ إِلَيْهِ فُوضَتَ كُوَا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لَاتَعْ لَمُونَ ۞ بِالْبَيْنَةِ وَالزُّبُرُ وَأَنْلِنَا إِلَيْكَ ٱلدِّكَرَ لِنُبَيِنَ لِلنَّاسِ مَانُزِلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنَفَكُرُونَ ﴿ أَفَا مِنَ الَّذِيبَ مَكُرُوا السَّيِّعَاتِ أَن يَغْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْيَأْنِيَهُ مُوَالْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ أَوْيَأُخُذَهُمْ فِى تَقَلِّمِهِمْ فَأَهُم مِمُعْجِزِينَ ۞ أَوْيَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفِ فَإِنَّ رَبِّكُوْ لَرَءُ وَفُّ رَبِّحِيكُم ۞ أَوَلَزْيَرَوْأَ إِلَىٰ مَاخَلَقَٱلْفَهُمِن شَيْءٍ يَتَفَيَّوُا ظِلَلْهُ عَنِ ٱلْمِينِ وَٱلشَّكَآبِلِ سُجَّدُ الِّنَوَ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۞ وَيَنْهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَةِ والمُلْتِحَةُ وَمُ لَايَسْتَكُمُونَ ﴿ عَالَمُونَ نَشِهُمْ إِنَاقَتِهِمْ الْفَيْمِ وَيَفْعَلُونَ مَانُؤُمِّرُونَ ﴿ • وَقَالَ أَمَّةُ لَانتَّخِذُوا إِلَّهَ يَنِ ٱشْتَيْنَ إِنَّا هُوَ إِلَهٌ وَكِيدٌ فَإِنِّلَى فَأَرْهَبُونِ ۞ وَلَهُمَافِ ٱلسَّوَاتِ إِنَّا وَالْأَرْضِ وَلَهُ النِّهُ وَلِيسًا أَفَهَ لِللَّهِ اللَّهِ مَنْ وَكَا كُمُونَ اللَّهِ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ اللَّ إِذَا كَشَفَ ٱلفُّرَّعَنَكُمُ إِذَا فَيِقٌ مِّنكُمْ رِبِّهِ مُنْشِرُ فُونَ ﴿ TOWNSON WESTERN

وتعادون الله وحزبه الأجلهم، وتزعمون أنهم شركاء لله، فإذا سألهم هذا السؤال، لم يكن لهم جواب إلا الإقرار بضلالهم، والاعتراف بعنادهم فيقولون ﴿ضلوا عنا وشهدوا على أنهم كانوا كافرين﴾ ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ أي: العلماء الربانيون ﴿إن الحزي اليوم﴾ أي: يوم القيامة ﴿والسوء﴾ أي: العذاب ﴿على الكافرين﴾

وفي هذا فضيلة أهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه، ثم ذكر ما يفعل بهم عند الوفاة وفي القيامة فقال:

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ أي: تتوفاهم في هذه الحال التي كثر فيها ظلمهم وغيهم، وقد علم ما يلقى الظلمة في ذلك المقام، من أنواع العذاب والخزي والإهانة.

﴿فألقوا السلم﴾ أي: استسلموا، وأنكروا ما كانوا يعبدونهم من دون الله وقالوا: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ فيقال لهم: ﴿بِلُ ﴾ كنتم تعملون السوء، ف إن الله عليم بما كنتم تعملون السوء فلا يفيدكم الجحود شيئا، وهذا في بعض مواقف القيامة، ينكرون ما كانوا عليه في الدنيا ظنا أنه ينفعهم، فإذا شهدت عليهم جوارحهم، وتبين ما كانوا عليه أقروا واعترفوا، ولهذا

لا يدخلون النار حتى يعترفوا بذنوبهم.

﴿فادخلوا أبواب جهنم ﴾ كلُّ أهل عمل يدخلون من الباب اللاتق بحالهم، ﴿فلبنس مثوى المتكبرين ﴾ نار جهنم، فإنها مثوى الحسرة والندم، ومنزل الشقاء والألم، ومحل الهموم ومنزل الشقاء والألم، ومحل الهموم القيوم، لا يُفَتِّرُ عنهم من عذابها، ولا يرفع عنهم يوماً من أليم عقابها، وقد أعرض عنهم الرب الرحيم، وأذاقهم العذاب العظيم.

﴿٣٠ _ ٣٧﴾ ﴿وقيل للذين اتّقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين * جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ لما ذكر الله قيل المكذبين بمأ أنزل الله، ذكر ما قاله المتقون، وأنهم اعترفوا وأقروا بأن ما أنزله الله نعمة عظيمة، وخير عظيم امتن الله به على العباد، فقبلوا تلك النعمة، وتلقوها بالقبول والانقياد، وشكروا الله عليها، فعلمؤها، وعملوا لها ﴿للَّذِينِ أُحسنوا﴾ في عبادة الله تعالى، وأحسنوا إلى عباد الله، فلهم ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ رزق واسع، وعيشة هنية، وطمأنينة قلب، وأمن

﴿ولدار الآخرة خير﴾ من هذه الدار، وما فيها من أنواع اللذات والمشتهيات، فإن هذه نعيمها قليل، عشو بالآفات منقطع، بخلاف نعيم الآخرة، ولهذا قال: ﴿ولنعم دار المتين﴾

﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون أي: مهما تمنته أنفسهم، وتعلقت به إرادتهم، حصل لهم على أكمل الوجوه وأتمها، فلا يمكن أن يطلبوا نوعاً من أنواع النعيم الذي فيه لذة القلوب وسرور الأرواح، إلا وهو حاضر

لديهم، ولهذا يعطي الله أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يُذَكِّرُهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.

فتبارك الذي لا نهاية لكرمه، ولا حد لجوده، الذي ليس كمثله شيء في صفات ذاته، وصفات أفعاله، وآثار تلك النعوت، وعظمة الملك والملكوت، في كذلك يجزي الله المتقين لسخط الله وعذابه، بأداء ما أوجبه عليهم من الفروض والواجبات، المتعلقة بالقلب والبدن واللسان، من حقه وحق عباده، وترك ما نهاهم الله عنه.

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ مستمرين على تقواهم ﴿طببين ﴾ أي: طاهرين مطهرين من كل نقص ودنس يتطرق إليهم، ويخل في إيمانهم، فطابت قلوبهم بمعرفة الله ومجبته، وألسنتهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه، ﴿يقولون سلام عليكم ﴾ أي: التحية الكاملة حاصلة لكم، والسلامة من كل آفة.

وقد سلمتم من كل ما تكرهون ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴿ من الإيمان بالله والانقياد لأمره، فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته عليهم، لا بحولهم وقوتهم.

وهل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كالنوا أنفسهم يظلمون * فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما ينتظر هؤلاء الذين جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا، وذُكُرُوا فلم يتذكروا، ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي أمر ربك ﴾ بالعذاب الذي سيحل بهم، فإنهم قد استحقوا لوقوعه فيهم، وكذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ كذبوا وكفروا، ثم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب.

﴿وما ظلمهم الله ﴾ إذ عذبهم، ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ فإنها

غلوقة لعبادة الله، ليكون مآلها إلى كرامة الله، فظلموها وتركوا ما خلقت له، وعرضوها للإهانة الدائمة والشقاء الملازم.

﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ أي: عقوبات أعمالهم وآثارها، ﴿وحاق بهم أي: نـزل ﴿ما كمانـوا بـه يستهزؤون﴾ فإنهم كانوا إذا أخبرتهم رسلهم بالعذاب استهزؤوا به، وسخروا عن أخبر به، فحل بهم ذلك الأمر الذي سخروا منه.

﴿٣٥﴾ ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ أي: احتبج المشركبون عيلى شركيهم بمشيئة الله، وأن الله لو شاء ما أشركوا، ولا حرموا شيئاً من [الأنعام] التي أحلها كالبحيرة والوصيلة والحام، ونحوها، من دونه، وهذه حجة باطلة، فإنها لو كانت حقاً ما عاقب الله الذين من قبلهم حيث أشركوا به، فعاقبهم أشد العقاب. فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم، وليس قصدهم بذلك إلا رد الحق الذي جاءت به الرسل، وإلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله.

فإن الله أمرهم ونهاهم، ومكنهم من (١) القيام بما كلفهم، وجعل لهم قوة ومشيئة تصدر عنها أفعالهم. فاحتجاجهم بالفضاء والقدر من أبطل الباطل، هذا وكل أحد يعلم بالحس، غير أن ينازعه منازع، فجمعوا بين غير أن ينازعه منازع، فجمعوا بين الأمور العقلية والحسية، ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ أي: البين الظاهر، الذي يصل إلى القلوب، ولا يبقى لأحد على الله حجة، فإذا بلغتهم الرسل أمر رجم ونهيه، واحتجوا عليهم بالقدر، فليس للرسل

من الأمر شيء، وإنما حسابهم على الله عز وجل.

﴿٣٦ ــ ٣٧﴾ ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * إن تحرص على هداهم فإنَّ الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين﴾ يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحمد، وهمو عميمادة الله وحمده لا شريك له ﴿أَن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل وعدمها قسمين، ﴿فمنهم من هدى الله﴾ فاتبعوا المرسلين علماً وعملاً، ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ فاتبع سبيل

﴿فسيروا في الأرض﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ فإنكم سترون من ذلك العجائب، فلا تجدون مكذباً إلا كان عاقبته الهلاك.

﴿إِن تحرص على هداهم ﴾ وتبذل جهدك في ذلك ﴿فإن الله لا يهدي من يضل ﴾ ولو فعل كلَّ سبب لم يهده إلا الله ، ﴿وما لهم من ناصرين ﴾ ينصرونهم من عذاب الله ويقونهم بأسه.

﴿٣٨ - ٤٤ ﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون * ليبنّ لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كانبين * إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ يخبر تعالى عن المسركين المكذبين لرسوله، أنهم المسركين المكذبين لرسوله، أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ أي:

لَكُفُرُواْ عَمَا ءَاتِينَا مُؤْوَنَسَنَّهُ أَفْسَوْنَ تَعْامُونَ ﴿ وَيَحْعَلُونَ لَّا لَا يَعْ لَمُونَ نَصِيبًا مِّنَا رَزَقْنَاهُمُّ تَأَلَّوَ لَشِّنَانُ عَنَاكُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۞ وَتَجْعَلُونَ لِنَّوَ ٱلْبَنَّاتِ شُبْحَنَهُ وَلَكُمْ مَا لِيَشْتَهُونَ ٥ وَإِنَّا أَيْشَرَ لِمَدَّهُمْ بِإِلْأَتَىٰ ظَلَ وَجْهُمُ مُسُودًا وَهُوكَظِيمٌ ﴿ يَوَزَّىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوَّةٍ مَا أُشِرَبِهِ ۖ أَيْسِكُهُ عَلَى هُونِ أَمْ يَدُسُهُ فِ ٱلثُّرَابُ أَلَاسَلَةَ مَا يَخَكُمُونَ ۞ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْةِ وَلِنَوالْنَكُ ٱلْأَعْلَ وَهُوَالْعَرِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ الدَّاسَ بِظُلْمِهِ مِمَّازُكَ عَلَيْهَا مِن دَآتِ مِ وَلَكِنْ يُوَخِرُهُمُ إِلَىٰٓ أَجَلِ مُسكِّنَّ فَإِذَاجَلَهُ أَجَلُهُمْ لَا يَشْنَفِخِرُونَ سَاعَةً وَلَايَسُتُفَايِمُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ إِنَّهُ مَا يَكُرَهُونَ وَتَصِفُ ٱلْمِسْنَتُهُ وُٱلْكَذِبَ أَنَّ لَمُواْنُحُسْنَى لَاجَوَالْ لَمُتُوَالنَّادَ وَأَنْهُم مُّفْرَهُونِ ۞ تَاسَّوَلَقَدْ أَرْسَكْنَآ إِلَيَّالْمَرِ ۚ إِنَّ مِن مَبْلِكَ فَرَيْنَ لَمُعُرَّالْ يَطَانُ أَعْلَلْهُ مِفْوَوَلِيْهُ مُرَّالْكُورَ وَلَمُدْعَنَابُ أَلِيدُ ۞ وَمَا أَنَزُكَ عَلَيْكَ ٱلْكِنَبَ إِلَّا لِنُبَيِّنَ الله المُدُالُّذِي أَخْتَالَفُوالِيهِ وَهُدًى وَرَجْمَةً لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴿ OLIDA W KOREKO!

حلفوا أيماناً مؤكدة مغلظة على تكذيب الله، وأن الله لا يبعث الأموات، ولا يقدر على إحيائهم بعد أن كانوا تراباً، قال تعالى مكذباً لهم: ﴿ لِي سيبعثهم ويجمعهم، ليوم لا يخلفه ولا يغيره ﴿ ولكن أكثر الناس لا يخلفه ولا يغيره ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ومن جهلهم العظيم لا يعلمون ﴾ ومن جهلهم العظيم الكمة في الجزاء والبعث، فقال: الحكمة في الجزاء والبعث، فقال: إلسائل الكبار والصغار، فيبين حقائقها ويوضحها.

وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين حين يرون أعمالهم حسرات عليهم، وما نفعتهم آلهتهم التي يدعون مع الله من شيء لما جاء أمر ربك، وحين يرون ما يعبدون حطباً لجهنم، وتكور الشمس والقمر، وتتناثر النجوم، ويتضح لمن يعبدها أنها عبيد مسخرات، وأنهن مفتقرات إلى الله في جميع الحالات، وليس ذلك على الله بصعب ولا شديد، فإنه إذا أراد شيئا ولا امتناع، بل يكون على طبق ما أراده وشاءه.

﴿٤١ ـ ٤٢﴾ ﴿واللَّذِينَ هَاجِرُوا

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE وَاللَّهُ أَزَلَ مِنَ ٱلسَّكَمَّاءِ مَلَّهُ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآيَةً لِٰقَوْمِ يَسْمَعُونَ ۞ وَإِنَّ لَكُرُ فِي ٱلْأَغْلَمِ لَمِيْرَةً نُسْقِيكُ مِنْ أَنِ بُعُلُونِهِ مِنْ يَيْنِ فَرْثِ وَدَمِ لِكُنَّا خَالِمُ اسَآبِخًا لِلشِّرِينَ ۞ وَمِن ثَمَّرَتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْتَبُ تَنَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرَا وَرِنْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِفَوْمِ يَعْقِلُونَ ﴿ وَأُوحَىٰ رَبُكَ إِلَى ٱلفَيْلِ أَنِ ٱتَّفِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُوْتَا وَمِنَ ٱلنَّجِرَوَهَا يَعْرِهُونَ ﴿ ثُوَكُو مِن كُلِ الشِّمَرَتِ فَاسْلُوى سُبُلَ دَيِّكِ ذُلُلَّ يَخَرُجُ مِنْ مِلْونِهَا شَرَاثُ غُنِّكِفُ ٱلْوَنْهُ فِيهِ شِفَآةً لِلنَّاسِ لِنَّ فِ ذَٰلِكَ لَآكِةً لِفَوْمِ يَنَفَكَّرُونَ ۞ وَالْفَهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتُوفَ مُكُرٌّ وَمِنكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَّا أَرْدَلِ ٱلْمُشُرِلِكُنُ لَا يَعْلَرَ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئًا إِنَّ ٱلْعَدَ عَلِيدٌ وَقِيرٌ ۞ وَاللَّهُ فَضَلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضِ فِي الرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُعَيْسَلُواْ بِرَآدَى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمُنَهُمْ وَهُمَّرْفِيوسَوَآةً أَفِيْعْمَةً ٱلْقِيجَنَدُونَ ۞ وَالْقَدُجَعَلَ لَحَكُم مِّنَ أَنفُسِكُمْ أَزْفِيكَا وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجِكُر بَيْنِ وَحَفَدَةً وَزَزَقَكُومِنَ ٱلطِّيِّنَتِ أَفِيَ ٱلْظِيلِ يُؤْمِنُونَ وَينِعْمَتِ ٱللَّهِ هُرْيَكُفُرُونَ ۞ TO TOTAL THE PORT OF THE

في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون كخبر تعالى بفضل المؤمنين الممتحنين ﴿اللَّهِن هَاجِرُوا ني اله ﴾ أي: في سبيله وابتغاء مرضاته ﴿من بعد ما ظلموا ﴾ بالأذية والمحنة من قومهم، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك، فتركوا الأوطان والخلان، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن، فذكر لهم ثوابين، ثواباً عاجلاً في الدنيا من الرزق الواسع والعيش الهنيء، الذي رأوه عياناً، بعدما هاجروا، وانشصرواعلى أعدائهم، وافتتحوا البلدان، وغنموا منها الغنائم العظيمة، فتمولوا، وآتاهم الله في الدنيا حسنة.

﴿ولأجسر الآخسرة﴾ السدي وعدهم الله على لسان رسوله ﴿اكبر﴾ من أجر الدنيا، كما قال تعالى: ﴿الذين الله منوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم﴾ وقوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي: لو كان لهم علم ويقين يعلمون﴾ أي: لو كان لهم علم ويقين

بما عند الله من الأجر والثواب لمن آمن به وهاجر في سبيله، لم يتخلف عن ذلك أحد.

ثم ذكر وصف أوليائه فقال: ﴿الذين صبروا﴾ على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحسن ﴿وعلى رجم تنفيذ محابّه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح أمورهم، وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحداً شيء من الخير إلا لعدم صبره، وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله.

﴿ ٤٤ _ ٤٤) ﴿ وَمِا أُرْسِلْنَا مِنْ قبلك إلأ رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلَّمون * بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون، يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملآئكة، بل رجالاً كاملين لا نساء، ﴿نُوحِي إليهم﴾ من الشراثع والأحكام ما هو من فضله وإحسانه على العبيد، من غير أن يأتوا بشيء من قِبَلِ أنفسهم، ﴿فاسألوا أهلِ الذَّكر﴾ أي: الكتب السابقة ﴿إِنْ كَنْتُمْ لا تعلمون﴾نبأ الأولين، وشككتم هل بعث الله رجالاً؟

فاسألوا أهل العلم بذلك، الذين نزلت عليهم الزبر والبينات، فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم، أن الله ما بعث إلا رجالاً يوحي إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل.

فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل

من التبعة، فدل على أن الله التمنهم على وجيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال.

وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد والباطنة، ﴿لتين للناس ما نزل إليهم﴾ وهذا شامل لتبيين ألفاظه، وتبيين معانيه، ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ فيه، فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم، وإقبالهم عليه.

﴿ ٤٥ ــ ٤٧ ﴾ ﴿ أَفَأَمِنَ الذِّينَ مَكُرُوا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العلااب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإنّ ربكم لرؤوف رحيم المذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غِرَّة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تَقَلُّبهم وشغلهم، وعدم خطور العذاب ببالهم، وإما في حال تخوُّفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله، في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده.

ولكنه رؤوف رحيم، لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم وهم يؤذونه ويؤذون أولياءه، ومع هذا يفتح لهم (١) أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي تضرهم، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فَلَيْستَح المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات (٢)، ومعاصيه نازلة في جميع اللحظات (٢)، ومعاصيه

الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده .

ولكن كثيراً من الناس، يظلمون أنفسهم، ويجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة فصاروا في حالً الرخاء، أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة، ولهذا قال:

﴿ليكفروا بما آتيناهم ﴾ أي: أعطيناهم، حيث نجيناهم من الشدة، وخلصناهم من المشقة، ﴿فتمتعوا﴾ في دنياكم قليلاً ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة كفركم.

﴿٥٦ ـ ٢٠﴾ ﴿ويجــعــلــون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون * ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وإذ بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يكسه في التسراب ألا سياء ما يحكمون * للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم الخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر _نصيباً بما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا به إلى أصنام منحوتة، كما قال تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم

ما له من صفات الكمال، وهذا عام لكل مخلوق، من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، وحيوان ناطق وغيره، وسجود اختيار يختص بأوليائه وعباده المؤمنين، من الملائكة وغيرهم [من المخلو قات].

﴿١٥ ــ ٥٥﴾ ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون * وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبأ أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون *ليكفروابما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون، يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ويستدل على ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية فقال: و ﴿لا تتخذوا إِلَهِينِ اثنينِ﴾ أي: تجعلون له شريكاً في إلهيته، وهو ﴿إنما هو إله واحد) متوحد في الأوصاف العظيمة، متفرد بالأفعال

فكما أنه الواحد في ذاته، وأسمائه ونعوته وأفعاله، فَلْتُوخِّدوه في عبادته، ولهذا قال: ﴿فإياى فارهبون ﴾ أي: خافونى، وامتثلوا أمرى، واجتنبوا نهيى، من غير أن تشركوا بي شيئاً من المخلوقات، فإنها كلها لله تعالى عملو كة .

﴿ وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصباً أي: الدين، والعبادة، والذل في جميع الأوقات، لله وحده، على الخلق أن يُخلصوه لله، وينصبغوا بعبوديته.

﴿ أَفْغَيْرُ اللهُ تَتَقُونَ ﴾ مِن أهل الأرض أو أهل السماوات، فإنهم لا يملكون لكم ضراً ولا نفعاً، والله المنفرد بالعطاء وألإحسان، ﴿وما بكم من نعمة﴾ ظاهرة وباطنة ﴿فمن الله﴾ لا أحد يشركه فيها، ﴿ثم إذا مسكم الضر، من فقر ومرض وشدة ﴿فإليه تجأرون اى: تضجون بالدعاء والتضرع، لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو ، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو

صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وَلْيَعلَمْ أَن الله يمهلُ ولا يهمل، وأنه إذا أخذ العاصى أخذه أخذ عزيز مقتدر، فَلْيَتُبْ إلَّيه وَلْيَرْجِعْ في جميع أموره إليه، فإنه رؤوف رحيم.

فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة ويره العميم، وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يجبه ويرضاه .

﴿٤٨ ـ ٠ ٥﴾ ﴿أولم يسروا إلى مسا خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والمّلائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، يقول تعالى: ﴿ ﴿ أُولُم يروا ﴾ أي: الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله، ﴿إِلَّى مَّا خلق الله من شيء ﴾ أي: إلى جميع مخلوقاته، وكيف تتفيأ أظلتها، ﴿عن اليمين، وعن ﴿الشمائل سجداً للهُ ﴾ أي: كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته وجلاله، ﴿وهم داخرون﴾ أي: ذليلون تحت التسخير والتدبير والقهر، ما منهم أحد إلا وناصيته بيد الله، وتدبيره عنده.

﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة ﴾ من الحيوانات الناطقة والصامتة، ﴿والملاتكة﴾ الكرام، خصهم بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم، ولهذا قال: أ ﴿وهم لا يستكبرون اي: عن عبادته، على كثرتهم، وعظمة أخلاقهم وقوتهم، كما قال تعالى: ﴿لنَّ يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون.

﴿يَحَافُونَ رَبُّهُمْ مِنْ فُوقِهُمْ ﴾ لما مدحهم بكثرة الطاعة والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره.

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي: مهمّا أمرهم الله تعالى امتثلوا لأمره، طوعاً واختياراً، وسجود المخلوقات لله تعالى قسمان: سجود اضطرار، ودلالة على

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُوتِكُمْ سَكَنَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِن جُلُودِ ٱلْأَنْفَكِيهُ بُونَا لَنْتَ خِنْوْنَهَا يَوْمَ ظَلْفِيكُمْ وَيُوْمَ إِقَامَيْكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأُوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهِكَ أَثَنَا وَمَنَكَا إِلَّ حِين ۞ وَأُلَّهُ جَعَلَ لَكُ مِثَمَّا خَلَقَ ظِلَّالًا وَجَعَلَ لَكُم مِنَ أَيْمِهَالِ أَكْنَانَا وَجَعَلَ لَكُمْ مَرَاسِلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَمَرَائِلَ تَقِيكُمُ أَلْسَكُمْ كُلُّاكَ يُتِمُّدُ نِسْسَتُهُ عَلَيْهِ كُمُ مُّسَلِّكُمُ تُسْلِمُونَ ﴿ فَإِن تَوْلُوْاْ فَإِنَّا عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ ٱلْبُينُ۞ يَصْرِفُونَ يَصْمَتَ ٱللَّهِ ثُرَّيُنِكُرُونَهَا وَأَحْتُرُهُمُ مُالْكُهِرُونَ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلَّ أُمَّةِ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤَذِّتُ لِلَّذِيكَ كَفَرُواْ وَلَا هُرَيْتُ مَّنْبُونَ @وَإِذَا رَوَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْمَنَابُ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَاهُمْ مُنظَرُونَ ﴿ وَلِمَا رَمَا ٱلَّذِيكَ أَشْرَكُوا ثُمُّ كَأَمُّهُمْ عَالُواْرَبُّنَا هَا وُلاَّةٍ شُرَكَا وَمَا الَّذِينَ كُنَا مَنْ عُولِين دُونِكُّ مَا لَقَوَا إِلَيْهِمُ الْعَوَلَ إِنَّكُو لَكَ نِوْتَ ﴿ وَٱلْعَوَا إِلَ اللَّهِ يَوْمَ إِلَا السَّكُرُّ وَصَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَغْمُّرُونَ ٥ A DE LES MESTES

وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله الآية، ﴿لتسألن عما كنتم تفترون ﴾ ويقال: ﴿آلله أذن لكم أم على الله تفترون * وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ﴾ فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

﴿ويجعلون شه البنات ﴾ حيث قالوا عن الملائكة العباد المقربين: إنهم بنات الله، ﴿ولهم ما يشتهون ﴾ أي: لأنفسهم الذكور، حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة، فكان أحدهم من الغم الذي أصابه ﴿وهو كظيم ﴾ أي: كاظم على الحزن والأسف إذ بشر بأنشى، وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه، ويتوارى منهم من سوء ما بشر به.

ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التي بشر بها فأيمسكه على هون أي: يتركها من غير قتل على إهانة وذل أم يدسه في التراب أي: يدفنها وهي حية، وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين، ألا ساء ما يحكمون إذ وصفوا الله بما لا يليق بجلاله، من نسبة الولد إليه.

ثم لم يكفهم هذا، حتى نسبوا له أزداً القسمين، وهو الإناث، اللاي يأنفون بأنفسهم عنها ويكرهونها، فكيف ينسبونها لله تعالى؟! فبئس الحكم حكمهم.

ولما كان هذا من أمثال السوء التي نسبها إليه أعداؤه المشركون، قال تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أي: المثل الناقص والعيب التام، ﴿ولله المثل الأعلى﴾ وهو كل صفة كمال، وكل كمال في الوجود، فالله أحق به، من غير أن يستلزم ذلك نقصاً بوجه، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه، وهو التعظيم والإجلال والمحرفة.

﴿وهو العزيز﴾ الذي قهر جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات بأسرها، ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يأمر ولا يفعل، إلا ما يحمد عليه ويُثني على كماله فيه.

﴿ ٢١﴾ ﴿ ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يوخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون كل ذكر تعالى ما افتراه الظالمون عليه، ذكر كمال حلمه وصبره فقال: ﴿ ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ﴾ من غير زيادة ولا نقص، بظلمهم ﴾ من غير زيادة ولا نقص، الماشرين للمعصية وغيرهم، من أنواع الدواب والحيوانات، فإن شوم المعاصي يهلك به الحرث والنسل.

﴿ولكن يؤخرهم ﴾ عن تعجيل العقوبة عليهم إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ﴾ لا يستقدمون الميحذروا ما داموا في وقت الإمهال، قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال

﴿ ٢٣ _ ٣٣ ﴾ ﴿ ويج على ون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الخار وأنهم مفرطون * تالله لقد أرسلنا إلى أيم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم البوم ولهم عذاب أليم ﴾ يخبر تعالى أن المشركين ﴿ يعملون لله ما يكرهون ﴾ من البنات، ومن الأوصاف القبيحة، وهو الشرك، بصرف شيء من العبادات إلى بعض المخلوقات التي هي عبيد لله، فكما أنهم يكرهون، ولا

يرضون أن يكون عبيدهم ـ وهم خلوقون من جنسهم ـ شركاء لهم فيما رزقهم الله، فكيف يجعلون له شركاء من عبيده؟!!

﴿و﴾ هم مع هذه الإساءة العظيمة ﴿تصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ أي: أن لهم الحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، رد عليهم بقوله: ﴿لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ مقدمون إليها، ماكثون فيها، غير خارجين منها أبداً.

بين تعالى لرسوله على أنه ليس هو أول رسول كُذّب فقال [نعالى]: ﴿تَاللهُ لِعَدْ أَرسَلنا إِلَى أَمْم مِن قبلك﴾ رسلاً يدعونهم إلى التوحيد، ﴿فَرَينَ لَهُمُ الشيطان أعمالهم﴾ فكذبوا الرسل، وزعموا أن ما هم عليه، هو الحق النجي من كل مكروه، وأن ما دعت إليه الرسل فهو بخلاف ذلك، فلما زين لهم الشيطان أعمالهم، صار وليهم في الدنيا، فأطاعوه واتبعوه،

﴿ اَفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ وله معذاب أليم ﴿ في الآخرة ، حيث تولوا عن ولاية الرحمن ، ورضوا بولاية الشيطان ، فاستحقوا لذلك عذاب الهوان .

﴿ 10 ﴾ ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ عن الله مواعظه وحده المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، لأنه المنعم بإنزال المطر وإنبات جميع أصناف النبات، وعلى أنه الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات، وأن الذي أحياء لأموات، وأن الذي نشر هذا الإحسان لذو رحمة واسعة، وجود عظيم.

﴿٦٦ – ٦٦﴾ ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خمالصاً سائغاً للشاربين * ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾

أي: ﴿إِن لَكُم فِي الأنعام﴾ التي سخرها الله لمنافعكم ﴿لعبرة﴾ تستدلون بها على كمال قدرة الله وسعة إحسانه، حيث أسقاكم من بطونها المشتملة على الفرث والدم، فأخرج من بين ذلك لبناً خالصاً من الكدر سائغاً للشاربين، للذته، ولأنه يسقي ويغذي، فهل هذه إلا قدرة إلهية لا أمرر طبيعية.

فأي: شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة، والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح، لبناً خالصاً سائغاً للشاربين؟

وجعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد ومصالح، من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد، طريّا ونضيجاً، وحاضراً ومدخراً، وطعاماً، وشراباً يتخذ من عصيرها ونبيذها، ومن السكر الذي كان حلالاً قبل ذلك، ثم إن الله نسخ حِلَّ المسكرات، وأعاض عنها بالطيبات من الأنبذة، وأنواع الأشربة اللذيذة المباحة.

﴿إِنْ فِي ذَلْكَ لَآية لقوم يعقلون﴾ عن الله كمال اقتداره، حيث أخرجها من أشجار شبيهة بالحطب، فصارت ثمرة لذيذة وفاكهة طيبة، وعلى شمول رحمته، حيث عم (١) بها عباده ويسرها لهم، وأنه الإله المعبود وحده، حيث إنه المنفرد بذلك.

يه المعرد بدلك.

(17 - 18) (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وعما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يُخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون في خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية المحببة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها وهدايته لها، ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ، مختلف من بطونها هذا العسل اللذيذ، ختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها

ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يجب غيره ويدعى سواه.

﴿٧٠) ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير ﴾ يخبر تعالى أنه الذي خلق العباد ونقلهم في الخلقة، طوراً بعد طور، ثم بعد أن يستكملوا آجالهم، يتوفاهم، ومنهم من يعمره حتى ﴿يرد إلى أرذُل العمر ♦ أي: أخسه الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة والباطنة، حتى العقل الذي هو جوهر الإنسان، يزيد ضعفه حتى إنه ينسى ما كان يعلمه، ويصير عقله كعقل الصبي، ولهذا قال: ﴿لَكِيلًا يَعْلُمُ بِعَدْ علم شيئاً، إن الله عليم قدير ﴾ أي: قد أحاط علمه وقدرته بجميع الأشياء، ومن ذلك ما ينقل به الآدمي من أطوار الخلقة، خلقاً بعد خلق، كما قال تعالى: ﴿اللهِ الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير،

﴿٧١﴾ ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون وهذًا من أدلة توحيده، وقبح الشرك به، يقول تعالى: كما أنكم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون، إلا أنه تعالى ﴿فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ فجعل منكم أحراراً لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم، لا يملكون شيئاً من الدنيا، فكما أن سادتهم الذين فضلهم الله عليهم بالرزق ليسوا ﴿برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء﴾ ويرون هذا من الأمور المتنعة، فكذلك من أشركتم بها مع الله، فإنها عبيد ليس لها من الملك مَثْقَالَ ذَرة، فكيف تجعلونها شركاء لله

تعالى؟!

هل هذا إلا من أعظم الظلم، والجحود لنعم الله؟!! ولهذا قال: ﴿أَفِينَعِمةَ اللهُ يُجحدون﴾ فلو أقروا بالنعمة ونسبوها إلى من أولاها، لما أشركوا به أحداً.

﴿٧٧﴾ ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجاً وجعل لكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ يخبر تعلى عن مِنتِه العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجاً ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولاداً تقرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، ويقضون حوائجهم، ورزقهم من الطيبات، من جميع المآكل والمشارب، والنعم الظاهرة التي والمقدر العباد أن يحصوها.

﴿أَفْبِالْبِاطُلُ يُؤْمِنُونُ وَبِنَعِمَةُ اللهُ هُمُ يَكْفُرُونُ﴾ أي: أيؤمنونُ بالباطل الذي لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم أوجده الله، وليس له من وجوده سوى العدم، فلا تخلق، ولا ترزق، ولا تدبر من الأمر شيئاً، وهذا عام لكل ما عبد من دون الله، فإنها باطلة، فكيف يتخذها المشركون من دون الله؟!!

﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ يجحدونها، ويستعينون بها على معاصي الله والكفر به، هل هذا إلا من أظلم الظلم، وأفجر الفجور، وأسفه السفه؟!!

(۷۳-۷۳) ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السمعاوات والأرض شييئاً ولا يستطيعون * فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون * ضرب الله مثلاً عبداً عملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه

لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم في غير تعالى عن جهل المشركين وظلمهم، أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله ، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقاً من السماوات والأرض، فلا ينزلون مطراً ولا رزقاً ، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئاً ، ولا يملكون مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به ، وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون .

فهذه صفة آلهتهم، كيف جعلوها مع الله، وشبهوها بمالك الأرض والسماوات، الذي له الملك كله، والحمد كله، والقوة كلها؟!!

ولهذا قال: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ التضمنة للتسوية بينه وبين خلق ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ فعلينا أن لا نقول عليه بلا علم، وأن نسمع ما ضربه العليم من الأمثال، فلهذا ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه، أحدهما عبد مملوك، أي: المال والدنيا شيئاً، والثاني حُرَّ غَيْق قدر رقه الله منه رزقاً حسناً، من جميع رزقه الله منه رزقاً حسناً، من جميع للإحسان، فهو ينفق منه سراً وجهراً، هل يستويان مع أنهما غلوقان، غير محال استواؤها.

فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة، ولا استطاعة، بل هو فقير من جميع الوجوه، بالرب الخالق المالك لجميع الممالك، القادر على كل شيء؟!!.

ولهذا حمد نفسه، واختص بالحمد بأنواعه، فقال: ﴿الحمد شُ فكأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك قَلِمَ سوَّى المشركون آلهتهم بالله؟ قال: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فلو علموا حقيقة

العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم. والمثل الثاني مثل ﴿ رجلين أحدهما أبكم ﴾ لا يسمع ولا ينطق ولا ينطق كثير ﴿ وهو كلّ على مولاه ﴾ أي: يخدمه مولاه ، ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه ، فهو ناقص من كل وجه ، فهل يستوي هذا ومن كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، فأقواله عدل ، وأفعاله مستقيمة ، فكما أنهما لا يستويان ، فلا

قيام الله بها لم يستطع شيئاً منها، لا يكون كفواً ونداً لمن لا يقول إلا الحق، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه.

﴿٧٧﴾ ﴿ولله غيب السماوات

يستوي من عُبدَ من دون الله وهو لا

يقدر على شيء من مصالحه، فلولا

والأرض وما أمر الساعة إلا كلمع البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير أي: هو تعالى المنفرد بغيب السماوات والأرض، فلا يعلم الخفايا والبواطن والأسرار إلا هو، ومن ذلك علم الساعة، فلا يدري أحد متى تأتي إلا الله، فإذا جاءت وتجلت، لم تكن ﴿إلا كلمح البصر أو هو أقرب أو من ذلك، فيقوم الناس من قبورهم إلى يوم بعثهم ونشورهم، وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال، وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال، يستغرب على قدرته الشاملة إحياؤه

للموتي.

﴿٨٧﴾ ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفشدة لعلكم تشكرون أي: هو المنفرد بهذه النعم حيث ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم شيء ثم إنه ﴿جعل لكم السمع والأبصار والأفشدة ﴾ خص هذه الأعضاء الثلاثة لشرفها وفضلها، للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الظاهرة والإفسانة الأعضاء والقوى الظاهرة والإفسانة ، هو الذي أعطاهم الظاهرة والباطنة ، هو الذي أعطاهم الظاهرة والباطنة ، هو الذي أعطاهم

إياها، وجعل ينميها فيهم شيئاً فشيئاً لل أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه، وقابل النعمة بأقبح المقابلة.

﴿٧٩﴾ ﴿ألم يسروا إلى السطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا ألله إن في ذلك لآيات لقوم يومنون أي: لأنهم المنتفعون بآيات الله، المتفكرون فيما جعلت آية عليه، وأما غيرهم فإن نظرهم نظر لهو وغفلة، ووجه الآية فيها أن الله تعالى خلقها بخلقة تصلح للطيران، ثم سخر قوة الحركة وما قدرت به على ذلك، وذلك دليل على كمال حكمته وعلمه ووخالته الربانية بجميع مخلوقاته الواسع وعنايته الربانية بجميع مخلوقاته وكمال اقتداره، تبارك الله رب العالمين.

﴿٨٠ ــ ٨٣﴾ ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتأ تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين * والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون * فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين * يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون، يُذكّر تعالى عباده نعمه ، ويستدعى منهم شكرها والاعتراف بها فقال: ﴿واللهُ جعل لكم من بيوتكم سكناً ﴿ في الدور والقصور ونحوها، تُكِنُّكُمْ مَن الحر والبرد وتستركم، أنتم وأولادكم وأمتعتكم، وتتخذُون فيها الغرف^{(١١} والبيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكم، وفيها حفظ لأموالكم وحرمكم، وغير ذلك من الفوائد المشاهدة، ﴿وجعل لكم من جلود

المُسَاءُ وَيَهْدِي مَن يَسَاءُ وَلَهُ عَالَمُن مُسَاءُ وَهُو اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ا المُسَاءُ وَيَهْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ا

مِنْ بِعَدِ وَقُوْدَ أَنْكُنَا لَنَّخِنُونَ أَيْلَنَكُو دَخَكُلُ بِيَنْكُمُ

أَن تَكُونَ أَمَّةُ فِي أَرْهَا مِنْ أَمَّةً إِنَّا يَبْ لُوكُمُ ٱللَّهُ مِيهُ

وَلِيُنِينَ لَكُمْ مِنْ مَا لَقِينَ مَوْمَاكُ سُمُونِهِ وَغُنْ لِفُور

﴿ وَلَوْشَاءَ اللَّهُ لُجَعَلَكُمْ أَمَّةً وَلِيدَةً وَلَكِن يُعِيدُ لِمَن

شركاءهم) يوم القيامة وعلموا بطلانها، ولم يمكنهم الإنكار.

﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك للله ليس عندها نفع ولا شفع، فنو هوا بأنفسهم ببطلانها، وكفروا بها، وبدت البغضاء والعداوة أي: ردت عليهم شركاؤهم قولهم، فقالت لهم: ﴿إِنكم لكاذبون حيث فقالت لهم: ﴿إِنكم لكاذبون حيث فلم نأمركم بذلك، ولا زعمنا أن فينا استحقاقاً للألوهية، فاللوم عليكم.

فحينئذ استسلموا لله، وخضعوا لحكمه، وعلموا أنهم مستحقون للعذاب.

﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ فدخلوا النار، وقد امتلأت قلوبهم من مقت أنفسهم، ومن حمد ربهم، وأنه لم يعاقبهم إلا بما كسبوا.

﴿٨٨﴾ ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾ حيث كفروا بأنفسهم، وكذبوا بآيات الله، وحاربوا رسله، وصدوا الناس عن سبيل الله، وصاروا دعاة إلى الضلال، فاستحقوا مضاعفة العذاب، كما تضاعف جرمهم، وكما أفسدوا في أرض الله.

﴿٨٩﴾ ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك ولهذا قال الله عنهم: ﴿ فِإِن تولوا﴾ عن الله وعن طاعته بعد ما ذُكُروا بنعمه وآياته، ﴿ فَإِنما عليك البلاغ المبين﴾ أي: ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير والإنذار والتحذير، فإذا أديت ما عليك، فحسابهم على الله، فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويجحدونها، ولكنهم الكافرون﴾ لا خير فيهم، وما ينفعهم توالي الآيات، لفساد مشاعرهم وسوء قصودهم، وسيرون متمرد على الله وعلى رسله.

﴿٨٤ ــ ٨٧﴾ ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون * وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون * وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون * وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يخبر تعالى عن حال الذين كفروا في يوم القيامة، وأنه لا يقبل لهم عذر، ولا يرفع عنهم العقاب، وأن شركاءهم تتبرأ منهم، ويقرون على أنفسهم بالكفر والافتراء على الله، فقال: ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾ يشهد عليها بأعمالهم، وماذا أجابوا به الداعي إلى الهدي، وذلك الشهيد الذي يبعثه الله أزكى الشهداء وأعدلهم، وهم الرسل الذين إذا شهدوا تم عليهم الحكم.

ف ﴿لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار، لأن اعتذارهم بعد ما علم يهناً بطلان ما هم عليه، اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئاً، وإن طلبوا أيضاً الرجوع إلى الدنيا، ليستدركوا لم يجابوا ولم يعتبوا، بل يبادرهم العذاب الشديد الذي لا يخفف عنهم من غير إنظار ولا إمهال من حين يرونه، لأنهم لا حساب عليهم لأنهم لا حساب تعد أعمالهم وتحصى، ويوقفون عليها ويقررون بها ويفتضحون.

الأنعام﴾ إما من الجلد نفسه، أو بما نبت عليه، من صوف وشعر ووبر.

﴿بيوتا تستخفونها ﴾ أي: خفيفة المحمل، تكون لكم في السفر والمنازل التي لا قصد لكم في استيطانها، فتقيكم من الحر والبرد والمطر، وتقي متاعكم من المطر، ﴿وَ ﴿ جعل لكم ﴿وَ أُوبِارِها وأشعارِها أثاثاً ﴾ وهذا شامل لكل ما يتخذ منها، من الآنية والأوعية والفرش والألبسة والأجلة،

﴿ومتاعاً إلى حين﴾ أي: تتمتعون بذلك في هذه الدنيا، وتنتفعون بها، فهذا مما سخر الله العباد لصنعته وعمله.

﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ أي: من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها ﴿ طُلالا ﴾ وذلك، كأظلة الأشجار والجبال، والآكام ونحوها، ﴿ وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾ أي: مغارات، تكنكم من الحر والبرد والأمطار والأعداء.

﴿وجعل لكم سرابيل﴾ أي: ألبسة وثياباً ﴿تقيكم الحر﴾ ولم يذكر الله البرد، لأنه قد تقدم أن هذه السورة أولها في أصول النعم، وآخرها في مكملاتها ومتمماتها، ووقاية البرد من أصول النعم، فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله ﴿لكم فيها دف، ومنافع﴾.

﴿وتقيكم بأسكم ﴾ أي: وثياباً تقيكم وقت البأس والحرب، من ولسلاح، وذلك، كالدروع والزرد، ويحدث أسبغ عليكم من نعمه ما كذلك يتم نعمته عليكم لا يدخل تحت الحصر ﴿لعلكم ﴾ إذا لكم من كل وجه ﴿تسلمون ﴾ لعظمته لكم من كل وجه ﴿تسلمون ﴾ لعظمته موليها ومسديها، فكثرة النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى، ولكن أبي الظالون إلا تمرداً وعناداً.

である。 「新聞報報」 n 報酬に思り を表する。 وَلَانَتَخِذُواْ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَلَزَلَّ قَدَمُّ لَمَى مُونِهَا وَمَذُوقُواْ اللَّوَءَ بِمَاصَدَدَتْ مُعَن سَكِيل اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيرٌ ۞ وَلَاتَشْ تَرُواْ مِهُدِ ٱللَّهِ ثَمَنَا قَلَىلًا إِنَّا عِندَ ٱللَّهِ هُوَخَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُهُ تَعْلَمُونَ ۞ مَاعِندَكُمْ يَفَدُّ وَمَاعِندَالْتُوبَاقِ وَلَنَجْنِينَ ٱلَّذِينَ صَبَرُواً أَجْرَهُمُ بِأَحْسَ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ مَنْ عَمِلُ صَلِيحًا مِن ذَكَرِ أَوْأَنْنَى وَهُو مُؤْمِنٌ فَلَنْحِينَنَهُ حَيْوَةً طَلِيَةً وَلَيَجِرِينَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَ الْوَايَعْمَلُونَ ۞ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرُّءَانَ فَأَسْتَعِذْبِالْقُومِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيدِ ۞ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانُ عَلَى الَّذِيبَ وَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِ مْ يَتَوْحَكُمُ لُونَ ۞ إِنَّمَا سُلُطَنُهُ عَلَى ٱلَّذِيبَ يَتَوَكُّونَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ = مُشْرِكُونَ ۞ وَإِذَابِدُّ أَنَا ٓ اَيَةً مِّكَانَ ۗ الْيَةِّ وَالْقَاأَعَ لَمُرْمِنَا يُنَزِّلُ فَالْوَا إِنْكَا آلْتَ مُفْ يَزِّيبَلُ آحَتُ ثُرُهُمُ إِ لَايِعً لَمُونَ ۞ قُلْ زَلَهُ رُوعُ ٱلْقُدُسِ مِن زَيِكَ بِٱلْفِيَّ لِيُثَيِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدَى وَلَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۞ TO TO THE TOTAL OF THE TOTAL OF

شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين لل ذكر فيما تقدم أنه يبعث ففي كل أمة شهيداً لله ذكر ذلك أيضا هنا، وخص منهم هذا الرسول الكريم فقال: ﴿وجئنا بك شهيداً على هؤلاء أي: على أمتك، تشهد عليهم بالخير والشر، وهذا من كمال عدل الله تعالى، أن كل رسول يشهد على أمته، لأنه أعظم اطلاعاً من غيره على أعمال أمته، وأعدل وأشفق من أن يشهد عليهم إلا بما يستحقون.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الىرسول عليكم شهيداً﴾.

وقال تعالى: ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً * يومئن بك على هؤلاء وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ﴾ وقوله: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين، بألفاظ واضحة، ومعان جلية، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ غتلفة وأدلة متنوعة، لتستقر في القلوب فتثمر من

وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة، يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية، وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء، صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدي لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع، وعمل صالح، والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه، التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع، والنصر على الأعداء بالقول والفعل، ونيل رضا الله تعالى، وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم.

﴿ • • • ﴿ إِن الله يسأمر بسال عدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ فالعدل الذي أمر الله به، يسمل العدل في حقه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك، أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والمركبة منهما، في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات، أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقاً، ولا تغشهم، ولا تخدعهم وتظلمهم.

الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، مستحب، وذلك كنفع الناس بالمال وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع الواضح معاني كثيرة، يكون اللفظ لها النفع، حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية الحيوان البهيم المأكول وغيره.

وخص الله إيتاء ذي القرس _ وإن كان داخلاً في العموم _ لتأكد حقهم، وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك.

ويدخل في ذلك جميع الأقارب، قريبهم وبعيدهم، لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر.

وقوله: ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر، كالشرك بالله، والقتل بغير حق، والزنا، والسرقة، والعجب، والكبر، واحتقار الخلق، وغير ذلك من الفواحش.

ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالى.

وبالبغي كل عدوان على الخلق، في الدماء والأموال والأعراض.

فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى، فهي عما أمر الله به.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي، فهي عما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه، الهدى، والشفاء، والنور، والفرقان بين جميع الأشياء.

ولهذا قال: ﴿يعظكم ﴾ به أي: بما ينه لكم في كتابه، بأمركم بما فيه غاية صلاحكم، ونهيكم عما فيه مضرتكم. ﴿لعلكم تذكرون ﴾ ما يعظكم به، فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكر تموه وعقلتموه، عملتم بمقتضاه، فسعدتم سعادة لا شقاوة معها.

فلما أمر بما هو واجب في أصل الشرع، أمر بوفاء ما أوجبه العبد على نفسه فقال: وَلَقَدَ مَسَارُ أَنَّهُ مُرِيعُولُوكِ إِنَّمَايُكُومُهُ مِثَمِّ لِلسَّانُ اً الَّذِي يُلْجِد دُونَ إِلَيْهِ أَعْجَدِيٌّ وَهَلَذَا لِسَانُ عَرَقًى مُّبِينٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايِلَتِ ٱللَّهِ لَا يَهْ بِيهِ مُأَلِّنَهُ وَلِمُ مُ عَنَابُ أَلِيدُ ۞ إِنَّمَا يَغْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِعَالِمَتِ ٱللَّهِ وَأُولَيْكَ هُ مُأَلِّكَ إِذِبُونَ ۞ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْد إِعَلِيْنِ إِلَّامَنْ أُحْدِهَ وَقَلْتُ مُمُطْمَعِتُ بِأَلْإِيمَانِ وَلَحِينَمَّن شَرَعَ بِٱلْكُفْرِصَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَا مِن اللَّهِ وَلَمُتُوعَذَابُ عَظِيمٌ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ مُ اسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَاعَلَ ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْرَ ٱلْكَفِرِينَ ﴿ أَوْلَا إِلَى الَّذِينَ طَبَّعَ اللَّهُ عَلَى قُدُوبِهِ مُو وَسَنْعِهِمْ وَأَبْسَارِهِمَّ وَأُوْلَلْهِاكَ هُوَّالْفَاغِلُونَ ۞ لَاجَرَرَ ﴿ النَّهُمْ فِي ٱلْآخِدَ رَوَهُمُ ٱلْحَكِيرُونِ ٢٠٥٠ مُ ثُمَّ إِنَّ رَبِّكَ لِلَّذِينَ هَاجَكُرُواْ مِنْ بَعْدِمَا فَيْنُواْ ثُمِّجُكُهَ دُواْ الله وصَارَرُوا إِن رَبِّك مِنْ بَعْدِهَ الْعَفُورُ رُجِيدٌ ۞

﴿٩٥ _ ٩٧﴾ ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد ومأ عندالله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يحذر تعالى عباده من نقض العهود والأيمان، لأجل متاع الدنيا وحطامها، فقال:

DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا﴾ تنالونه بالنقض وعدم الوفاء ﴿إنما عند الله من الثواب العاجل والأجل لمن آثـر رضاه، وأوفى بـمـا عـاهـد عليه الله ﴿ هو خير لكم ﴾ من حطام الدنيا الزائلة ﴿إن كنتم تعلمون ﴾.

فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الذي عندكم ولو كثر جداً، لا بدأن ﴿ينفد﴾ ويفني، ﴿وما عند الله باق﴾ ببقائه، لا يفني ولا يزول، فليس بعاقل من آثر الفان الخسيس على الباقى النفيس، وهذا كقوله تعالى: ﴿بلَّ تؤثرون الحياة الدنيا * والأخرة خير وأبقى﴾ ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وفي هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا. خصوصاً الزهد المتعين، وهو الزهد فيما يكون ضرراً على العبد، ويوجب له الاشتغال عما أوجب الله عليه، وتقديمه على

أي: لا تنبغي هذه الحالة منكم، تعقدون الأيمان المؤكدة، وتنتظرون فيها الفرص، فإذا كان العاقد لها ضعيفاً غير قادر على الآخر، أتمها، لا لتعظيم العقد واليمين، بل لعجزه. وإن كان قوياً، يرى مصلحته الدنيوية في نقضها، نقضها غير مبال بعهد الله

كل ذلك دوراناً مع أهوية النفوس، وتقديماً لها على مراد الله منكم، وعلى المروءة الإنسانية، والأخلاق المرضية، لأُجل أن تكون أمة أكثر عدداً وقوة من الأخرى.

وهذا ابتلاء من الله وامتحان يبتليكم الله به حيث قيض من أسباب المحن الذي يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقى .

﴿ وليبيننَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ فيجازي كلا بما عمل، ويخزي الغادر .

﴿ ٩٣﴾ ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعلمون﴾ أي: ﴿ لُو شاء الله ﴾ لجمع الناس على الهدى وجعلهم ﴿أُمَّةُ وَاحِدَةٍ﴾ ولكنه تعالى المنفرد بالهداية والإضلال، وهدايته وإضلاله من أفعاله التابعة لعلمه وحكمته، يعطى الهداية من يستحقها فضلاً، ويمنعها من لا يستحقها عدلاً. ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ من خير وشر، فيجازيكم عليها أتم الجزاء

﴿٩٤﴾ ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ أي: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم﴾ وعهودكم ومواثيقكم تبعاً لأهوائكم، متى شئتم وفيتم بها، ومتى شئتم نقضتموها، فإنكم إذا فعلتم ذلك، تزل أقدامكم بعد ثبوتها على الصراط المستقيم. ﴿وتذوقوا السوء﴾ أي: العذاب الذي يسوءكم ويحزنكم ﴿بِما صددتم عن سبيل الله حيث وقوله: ﴿تتخذون أيمانكم دخلا ضللتم وأضللتم غيركم ﴿ولكم عذاب

﴿٩١ ـ ٩٢﴾ ﴿وأوقوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه

وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه، من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها، إذا كان الوفاء بها براً، ويشمّل أيضاً ما تعاقد عليه هو وغيره، كالعهودبين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره، ويؤكده على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، بعقدها على اسم الله تعالى: ﴿وقد جعلتم الله عليكم ﴾ أيها المتعاقدان ﴿كفيلا﴾ فلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلاً، فيكون ذلك ترك تعظيم لِله واستهانة به، وقد رضى الآخر منك باليمين، والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلاً. فكما التمنك وأحسن ظنه فيك، فلتف له بما قلت و أكدته .

﴿إِن الله يعلم ما تفعلون ﴾ يجازي كل عامل بعمله، على حسب نيته ومقصده.

﴿ولا تكونوا﴾ في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على سفه متعاطيها، وذلك ﴿كالتي﴾ تغزل غزلا قوياً، فإذا استحكم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته ﴿أَنكَاثاً ﴾ فتعبت على الغزل، ثم على النقض، ولم تستفد سوى الخيبة والعناء، وسفاهة العقل، ونقص الرأي، فكذلك من نقض ما عاهد عليه، فهو ظالم جاهل سفيه، ناقص الدين والمروءة.

بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ عظيم ﴾ مضاعف.

SUBER SEEDE * يُوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسِ تُحَلِّد لُعَ: فَفْسِهَا وَتُوَّ أَكُ نَفْسِ مَاعَمِلَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ ١ وَضَرَبُ اللَّهُ مُثَلًا قَرْبَةً كَانَتْ ءَامِنَةُ مُطْمَبِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا فِنكُلْ مَكَانِ فَكَنَارَتْ بِأَنْعُرِاللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِهَاسَ أَجْمُعُ وَأَغَوْفِ عَاكَانُواْ فِصَنْعُونَ ۞ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَمُولُ مِّنْهُمْ وَنَكُنَّهُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُرْطَالِمُونَ 👚 🏐 فَكُنُواْ مِمَّا رَزَقِكُمُ ٱللَّهُ مَلَالاَطْيَبَا وَٱشْكُرُ وَأَيْعَمَتَ الله إن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿ إِنَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمِيْنَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْمِيْزِيرِ وَمَاۤ أَجِلَ لِفَسَيْرِ اللَّهِ بِقِدْ فَمَنْ ۗ أَضْعُلْمَ غَيْرَبَاغِ وَلَاعَادِ فَإِنَ أَلِلَّهَ عَفُورٌ رَجِبُ فَ وَلِانَتُولُولِ لِللَّهِ مِن ٱلْسِنَتُكُرُ ٱلْكَدْبَ هَذَا حَلَالً وَهَذَا حَمَرَامٌ لِتَغَنَّرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَوْبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُعْلِحُونَ ۞ مَنْتُعْ فَلِيلٌ وَلَمْ مُواَتُ أَلِيمٌ @ وَعَلَىٰ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا فَصَحَمْنَا عَلَيْكُ مِن قَبْلُ * وَمَاظَلَمْنَاهُمْ وَلَلِكِن كَاثُوا أَنفُسَهُمْ دِينظامُون ٥ TONOTON TANKER OF THE

حق الله، فإن هذا الزهد واجب.

ومن الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا وشهواتها بخيرات الآخرة، فإنه يجد من الفرق والتفاوت ما يدعوه إلى إيثار أعلى الأمرين [وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات القاصرة كالصلاة والصيام والذكر، ونحوها، بل لا يكون العبد زاهدا زهداً صحيحاً حتى يقوم بما يقدر عليه من الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة، ومن الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل، فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما لا ينفع في الدين والدنيا، والرغبة والسعي في كل ما ينفع أن.)

ولنجزين الذين صبروا على طاعة الله، وعن معصيته، وفطموا نفوسهم عن الشهوات الدنيوية المضرة بدينهم وأجرهم بأحسن ما كانوا يعملون الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولهذا ذكر جزاء العاملين في الدنيا والآخرة، فقال:

ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالاً صالحة، إلا بالإيمان، والإيمان مقتض لها، فإنه

التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿ فلتحيينه حياة طيبة ﴾ وذلك بطمأنينة قلبه، عليه قلبه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقاً حلالاً طيباً، من حيث لا يحتسب. ﴿ ولنجزينهم ﴾ في الآخرة ﴿ أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ من أصناف بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ من أصناف سمعت، ولا خطر على قلب بشر. في الذنيا حسنة، وفي الدنيا حسنة، وفي

﴿٩٨ - ١٠٠ ﴾ ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذبالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ أي: فإذا أردت القراءة لكتاب الله، الذي هو أشرف الكتب وأجلها، وفيه صلاح القلوب، والعلوم الكثيرة، فإن الشيطان أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة، فيسعى في صرفه عن مقاصدها ومعانيها.

فالطريق إلى السلامة من شره الالتجاء إلى الله، والاستعادة به من شره، فيقول القارىء: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» متدبراً لمعناها، معتمداً بقلبه على الله في صرفه عنه، مجتهداً في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة، مجتهداً على السبب الأقوى في دفعه، وهو التّحليّ بحلية الإيمان والتوكل.

فإن الشيطان ﴿ليس له سلطان﴾ أي: تسلط ﴿على الذين آمنوا وعلى ربسم﴾ وحده لا شريك له ﴿يتوكلون﴾ فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان، ولا يبقى له عليهم سبيل.

و ﴿إنما سلطانه﴾ أي: تسلطه ﴿على الذين يتولونه﴾ أي: يجعلونه لهم ولياً، وذلك بتخليهم عن

ولاية الله، ودخولهم في طاعة الشيطان وانضمامهم لحزبه، فهم الذين جعلوا له ولاية على أنفسهم، فأزهم إلى المعاصى أزاً، وقادهم إلى النار قوداً.

﴿١٠١ _ ١٠١﴾ ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشرى للمسلمين يذكر تعالى أن المكذبين سذا القرآن، يتتبعون ما يرونه حجة لهم، وهو أن الله تعالى هو الحاكم الحكيم، الذي يشرع الأحكام، ويبدل حكماً مكان آخر، لحكمته ورحمته، فإذا رأوه كذلك، قدحوا في الرسول وبما جاء به، و ﴿قالوا إنما أنت مفتر﴾ قال الله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فهم جهال لا علم لهم بربهم ولا بشرعه، ومن المعلوم أن قدح الجاهل بلا علم لا عبرة به، فإن القدح في الشيء فرع عن العلم به، وما يشتمل عليه مما يوجب المدح أو القدح.

ولهذا ذكر تعالى حكمته في ذلك فقال: ﴿قل نزله روح القدس﴾ وهو جبريل الرسول المقدس المنزه عن كل عيب وخيانة وآفة.

﴿بِالْحَقِ أَي: نزوله بالحق، وهو مشتمل على الحق في أخباره، وأوامره ونواهيه، فلا سبيل لأحد أن يقدح فيه قدحاً صحيحاً، لأنه إذا علم أنه الحق، علم أن ما عارضه وناقضه باطل.

وليثبت الذين آمنوا عند نزول آياته وتواردها عليهم، وقتاً بعد وقت، فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئاً فسيئاً، حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي، وأيضاً فإنهم يعلمون أنه الحق، وإذا شرع حكماً [من الأحكام] ثم نسخه، علموا أنه أبدله بما هو مثله، أو خير منه لهم، وأن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية، والمناسة العقلية.

﴿وهدى وبشرى للمسلمين﴾ أي: يهديهم إلى حقائق الأشياء، ويبين لهم

الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ويبشرهم أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً. وأيضاً فإنه كلما نزل شيئاً فشيئاً، كان أعظم هداية وبشارة لهم مما لو أتاهم جملة واحدة، وتمرق الفكر فيه، بل ينزل الله حكماً وعرفوا المراد منه، وترووا منه، أنزل نظيره وهكلها. ولذلك بلغ الصحابة رضي الله عنهم به مبلغاً عظيماً، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم، وانتقلوا وعوائد وأعمال، فاقوا بها الأولين والآخرين.

وكان أعلى وأولى لمن بعدهم، أن يتربوا بعلومه، ويتخلقوا بأخلاقه، ويستضيؤوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات، ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات، فبذلك تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية.

﴿١٠٣ _ ١٠٣﴾ ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم * إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ يخبر تعالى عن قيل المشركين المكذبين لرسوله ﴿أَنِّهُم يقولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ ۗ هَذَا الْكُتَابِ الذي جاء به ﴿بشر ﴾ وذلك البشر، الذي يشيرون إليه أعجمي اللسان ﴿وهذا﴾ القرآن﴿لسان عربي مبين﴾ هل هذا القول ممكن؟ أو له حظ من الاحتمال؟ ولكن الكاذب يكذب ولا يفكر فيما يؤول إليه كذبه، فيكون في قوله من التناقض والفساد ما يوجب رده بمجرد تصوره.

﴿إِن الذين لا يؤمنون بآيات الله الدالة دلالة صريحة على الحق المبين، في ردونها ولا يسقب للونها. ﴿لا يهديهم الله حيث جاءهم الهدى، فردوه، فعوقبوا بحرمانه، وخذلان الله لهم. ﴿ولهم في الآخرة ﴿عذاب أليم ﴾.

﴿إنما يفتري الكذب﴾ أي: إنما يصدر افتراء الكذب من ﴿الذين

لا يؤمنون بآيات الله كالمعاندين لرسوله من بعد ما جاءتهم البينات. ﴿وَاوَلئك هم الكاذبون ﴾ أي: الكذب من عيرهم. وأما محمد ﷺ المؤمن من غيرهم. وأما محمد ﷺ المؤمن بآيات الله، الخاضع لربه، فمحال أن يكذب على الله، ويتقول عليه ما لم يقل، فأعداؤه رموه بالكذب الذي هو وصفهم، فأظهر الله خزيهم وبين فضائحهم، فله تعالى الحمد.

﴿١٠٦ ـ ١٠٩﴾ ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرافعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبواً الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين * أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون * لا جسرم أنهم في الآخسرة هم الخاسرون﴾ يخبر تعالى عن شناعة حال ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾ فعمى بعد ما أبصر، ورجع إلى الضلال بعد ما اهتدى، وشرح صدره بالكفر، راضياً به مطمئناً، أن لهم الغضب الشديد من الرب الرحيم، الذي إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وغضب عليهم كل شيء. ﴿ولُّهم عـذاب عظيم﴾ أي: في غاية الشدة، مع أنه دائم أبداً .

﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وحيث ارتدوا على أدبارهم، طمعاً في شيء من حطام الدنيا، ورغبة فيه، وزهداً في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر على الإيمان، منعهم الله الهداية، فلم يعدهم، لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم، ويصل إلى قلوبهم. فشملتهم الخفلة، وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها أتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها.

﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم

الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة، وفاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على العذاب الأليم..

وهذا بخلاف من أكره على الكفر وأجبر عليه، وقلبه مطمئن بالإيمان، راغب فيه، فإنه لا حرج عليه ولا إثم، ويجوز له النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها.

ودل ذلك، على أن كلام المكره على الطلاق، أو البيع، أو المعتاق، أو البيع، أو الشراء، أو سائر العقود، أنه لا عبرة به، ولا يترتب عليه حكم شرعي، لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر إذا أكره عليها، فغيرها من باب أؤلى وأحرى.

اللذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم * يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوق كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون أي: ثم ما عملت وهم لا يظلمون أي: ثم بلطفه وإحسانه لغفور رحيم لمن هاجر في سبيله، وخلي دياره وأمواله، طلبا لمرضاة الله، وفيّنَ على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان، وتخلص ما ليدخلهم في دين الله، بلسانه ويده، وصبر على هذه العبادات الشاقة، على أكثر الناس.

فهذه أكبر الأسباب التي تنال بها أعظم العطايا، وأفضل المواهب، وهي مغفرة الله للذنوب صغارها وكبارها، المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه، ورحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم واستقامت أمور دينهم ودنياهم، فلهم الرحمة من الله في يوم القيامة حين (تأتي كل نفس تجادل عن نفسها كل يقول نفسي نفسي لا يهمه سوى نفسه، ففي ذلك اليوم يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرة من الخير.

﴿وتوقى كل نفس ما عملت ، من خير وشر ﴿وهم لا يظلمون ﴾ فلا يزاد في سيئاتهم ، ولا ينقص من حسناتهم . ﴿ فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون

إلا ما كنتم تعملون﴾.

﴿ ١١٣ ـ ١١٣﴾ ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم التي كانت آمنة مطمئنة ، لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه ، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم والنعرة العربية ، فحصل لها من الأمن التام ما للواسع .

كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، والبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

﴿١١٤ ـ ١١٨﴾ ﴿فَـكَـلُـوا مِياً رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم * ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن النين يفترون على الله الكند لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم * وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يأمر تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله من الحيوانات والحبوب والثمار، وغيرها. ﴿حلالاً طساً ﴾ أي: حالة كونها متصفة

بهذين الوصفين، بحيث لا تكون مما حرم الله، أو أثراً عن غصب ونحوه. خرم الله، أو أثراً عن غصب ونحوه. فتمتعوا بما خلق الله لكم من غير إسراف ولا تَعَسدُ. ﴿واشكروا نعمة الله بالاعتراف بها بالقلب، والثناء على الله بها، وصرفها في طاعة الله. ﴿إن كنتم إياه تعبدون أي: إن كنتم مخلصين له العبادة، فلا تشكروا إلا إياه، ولا تنسوا المنعم.

﴿ إنما حرَّم عليكم ﴾ الأشياء المضرة تنزيماً لكم، وذلك: كـ ﴿ الميتة ﴾ ويدخل في ذلك كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة، ويستثنى من ذلك، مية الجراد والسمك.

﴿والدم﴾ المسفوح، وأما ما يبقى في العروق واللحم فلا يضر. ﴿ولحم الخنزير﴾ لقذارته وخبثه، وذلك شامل للحمه وشحمه وجميع أجزائه. ﴿وما أهل لغير الله به ﴾ كالذي يذبح للأصنام والقبور وتحوها، لأنه مقصود به الشرك.

﴿ ف من اضطر﴾ إلى شيء من المحرمات _ بأن حملته الضرورة، وخاف إن لم يأكل أن يهلك _ فلا جناح عليه إذا لم يكن باغياً أو عادياً، أي: إذا لم يرد أكل المحرم، وهو غير مضطر، ولا متعد الحلال إلى الحرام، أو متجاوز لما زاد على قدر المباحات.

﴿١١٦﴾ ﴿ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذباً وافتراء على الله وتقوّلاً عليه.

﴿لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيهم وإن تمتعوا في الدنيا، فإنه ﴿متاع قليل ﴾ ومصيرهم إلى النار ﴿ولهم عذاب أليم ﴾ .

فالله تعالى ما حرم علينا إلا

الخبيثات، تفضلاً منه، وصيانة عن كل مستقدر.

وأما الذين هادوا فحرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم عقوبة لهم، كما قصه في سورة الأنعام في قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾.

﴿١٩٩﴾ ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها على التوبة، ودعوة لهم إلى الإنابة، فأخبر أن من عمل سوءاً بجهالة، بعاقبة ما تجني عليه، ولو كان متعمداً للذب، فإنه لا بدأن ينقص ما في قلبه من العلم وقت مقارفة الذنب. فإذا تاب وأصلح، بأن ترك الذنب وندم عليه (أوأصلح أعماله، فإن الله يغفر له ويرحمه، ويتقبل توبته ويعيده إلى حالته الأولى، أو أعلى منها.

﴿ ١٢٠ – ١٢٠ ﴾ ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً للّه حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة فقال:

﴿إِنَّ إِبراهيم كان أمة ﴾ أي: إماماً جامعاً لخصال الخير، هادياً مهتدياً. ﴿قانتاً شَهُ أَي: مديماً لطاعة ربه، خلصاً له الدين. ﴿حنيفاً ﴾: مقبلاً على الله بالمحبة، والإنابة، والعبودية، معرضاً عمن سواه. ﴿ولم يك من المسركين ﴾ في قوله وعمله، وجميع أحواله، لأنه إمام الموحدين الحنفاء.

﴿ شَاكُراً لأَنْعُمِهُ أَي: آنَاهُ اللهُ في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة

وباطنة، فقام بشكرها، فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن (اجتباه) ربه، واختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين.

﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ في علمه وعمله، فعلم بالحق وآثره على غيره.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾ رزقاً واسعاً، وزوجة حسناه، وذرية صالحين، وأخلاقاً مرضية ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ الذين لهم المنازل العالية، والقرب العظيم من الله تعالى.

ومن أعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق وأكملهم، أن يتبع ملّة إبراهيم، ويقتدى به هو وأمته.

﴿ ١٢٤﴾ ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه ختلفون ﴾.

يقول تعالى: ﴿إنما جعل السبت﴾ أي: فرضاً ﴿على الذين اختلفوا فيه ﴾ حين ضلوا عن يوم الجمعة، وهم اليهود، فصار اختلافهم سبباً لأن يجب عليهم في السبت احترامه وتعظيمه، وإلا فالفضيلة الحقيقية ليوم الجمعة، الذي هدى الله هذه الأمة إليه.

﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيبين لهم المحق من البطل، والمستحق للثواب عن استحق العقاب(١).

﴿ ١٢٥﴾ ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم، إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع، والعمل الصالح ﴿ بالحكمة ﴾ أي: كل أحد على الصالح ﴿ بالحكمة ﴾ أي: كل أحد على

حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده. ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو، الأمر والنهي القرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الشواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى المغالبة ونحوها.

وقوله: ﴿إِن ربكُ هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ علم السبب الذي أداه إلى الضلال، وعلم أعماله المترتبة على ضلالته، وسيجازيه عليها.

﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ علم أنهم يصلحون للهداية؛ فهداهم، ثم مَنّ عليهم فاجتباهم.

﴿ ١٢٦ - ١٢٦﴾ ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق تما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ يقول تعالى حميحاً للعدل، ونادباً للفضل والإحسان ﴿ وإن عاقبتم ﴾ من أساء إليكم بالقول والفعل ﴿ فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ من غير زيادة منكم، على

ثُمَّ إِنَّ رَقِّكَ لِلَّذِيكَ عَمِلُواْ ٱلسُّوَءَ بِعَمَالَةَ ثُمَّ مَّا لُواْ مِنْ بَعْبِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَكَ فُورٌ نَحِيمُ إِذَّ إِبْرُهِ بِرَكَاتُ أَمَّةً فَانِتَ الِمَوْحَيْفَا وَلَرْبَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِزًا لِأَنْفُمِ وَلَجْنَبَاهُ وَهَدَىٰهُ إِلَى مِرَاطِ مُّسْتَقِيم ٥ وَءَالَيْنَكُهُ فِي الدُّنْسِ احْسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِنَّ ٱلصَّالِعِينَ۞ ثُوَّ أَوْحَيْنَاۤ إِلَيْكَ أِن آتَبَةً مِلَّةَ إِبْرُهِ مِرَحَنِفَاً وَمَاكَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ آخَتَلَفُولِفِيهِ وَإِنَّ رَبُّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْفِيكَمَةِ فِيمَاكَافُواْ فِيهِ يَغْتَلِقُونَ ۞ أَدْعُ إِلَىٰ سَكِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمُوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةُ وَيَحَادِ لَلْمِ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكِ هُوَأَعْلَرُ مِنَ صَلَّ عَن سَيِيلِيِّهِ وَهُوَأَعْلَرُ بِٱللَّهُ تَدِيثَ ٥ وَإِنْ عَافِينَ مُ فَكَافِهُ أَيِشْلِ مَا عُوفِينَ مُربِيِّهِ وَلَيْن صَبَرْتُهُ لَهُوَخَيْرٌلِلْصَنِينِ ۞ وَأَصْبِرُ وَمَاصَبُرُكَ إِلَّابِالْفَإِ وَلَا غَدَرَتْ عَلَيْهِمْ وَلَا للَّهُ فِي صَيْقِ مَمَّا يَمْحُرُونَ هِ إِذَا لَمْ مَعَ الَّذِيكَ اتَّعُوا وَالَّذِيكَ مُرتَحُسِنُونَ ٥ PARTIE IN MORE WAY

﴿ولئن صبرتم ﴾ عن المعاقبة ، وعفوتم عن جرمهم ، ﴿لهو خير للمسابرين ﴾ من الاستيفاء ، وما عند الله خير لكم ، وأحسن عاقبة ، كما قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله ، والاستعانة بالله على ذلك ، وعدم الاتكال على النفس ، فقال:

ما أجراه معكم.

﴿واصبر وما صبرك إلا بالله هو الذي يعينك عليه ويثبتك. ﴿ولا تحزن عليه م عليه م عليه عليه عليه عليه م عليه م المام تر منهم قبولا لدعوتك، فإن الحزن لا يجدي عليك شيئاً. ﴿ولا تك في ضيق اي: شدة وحرج، ﴿مَا يمكرون ﴾ فإن مكرهم عائد إليهم، وأنت من المتقين المحسين.

والله مع المتقين المحسنين، بعونه، وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه.

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المحسنين.

تم تفسير سورة النحل والحمد لله

سُنْ فَالْاَثْنَا الْمَالِمُ اللَّهُ الْمَالِمُ اللَّهُ اللَّمِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّمِيلُ الْمُلْمِلُولُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعِلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعِلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ

تفسير سورة بني إسرائيل وهي مكية

﴿ ا ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو المسميع البصير ﴾ ينزه تعالى نفسه المقدسة ويعظمها، لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة، التي من جملتها أن ﴿ أسرى بعبده ﴾ ورسوله عمد ﷺ ، ﴿ من المسجد الحرام ﴾ الذي هو أجل المساجد على الإطلاق ﴿ إلى المساجد الأقصى ﴾ الذي هو من المساجد الماضلة، وهو محل الأنبياء.

فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا، ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته، ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتاً وفرقاناً، وهذا من اعتناثه تعالى به ولطفه، حيث يسره لليسرى في جميع والآخرين، وظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل، وأنه من نفس المسجد الحرام، لكن ثبت في الصحيح، أنه أسري به من بيت أم هانىء، فعلى هذا، تكون الفضيلة في المسجد الحرام لسائر الحرم، فكله المسجد الحرام لسائر الحرم، فكله تتضاعف فيه العبادة كتضاعفها في

نفس المسجد، وأن الإسراء بروحه وجسده معاً، وإلا لم يكن في ذلك آية كبرى، ومنقبة عظيمة.

وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي على في الإسراء، وذكر تفاصيل ما رأى، وأنه أسري به إلى بيت المقدس، ثم عرج به من هناك، إلى السماوات، حتى وصل إلى ما فوق السماوات العلى، ورأى الجنة والنار، والأنبياء على مراتبهم، وفرض الله عليه الصلوات خسين، ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم، حتى صارت بإشارة موسى الكليم، حتى صارت الليلة، هو وأمته، مالا يعلم مقداره الليلة، هو وأمته، مالا يعلم مقداره إلا الله عز وجل.

وذكره هنا وفي مقام الإنزال للقرآن، ومقام التحدي بصفة العبودية، لأنه نال هذه المقامات الكبار، بتكميله لعبودية ربه.

وقوله: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي: بكثرة الأشجار والأنهار، والخصب الدائم.

ومن بركته، تفضيله على غيره من

المساجد، سوى المسجد الحرام،

ومسجد المدينة، وأنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة والصلاة فيه، وأن الله اختصه محلاً لكثير من أنبيائه وأصفيائه. ﴿٢ _ ٨) ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً * ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً * وقضينا إلَّى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادأ لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً *

عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً كثيراً ما يقرن الباري بين نبوة محمد على ونبوة موسى على وبين كتابيهما أفضل الكتب، وشريعتيهما أكمل الشرائع، ونبوتيهما أعلى النبوات، وأتباعهما أكثر المؤمنين، ولهذا قال هنا: ﴿وَآتِبنا موسى الكتاب﴾ الذي هو التوراة موسى الكتاب﴾ الذي هو التوراة موسى ظلمات الجهل إلى العلم بالحق.

﴿ ألا تتخذوا من دوني وكيلا ﴾ أي: وقلنا لهم ذلك، وأنزلنا إليهم الكتاب لذلك، ليعبدوا الله وحده، وينيبوا إليه، ويتخذوه وحده وكيلاً ومدبراً لهم، في أمر دينهم ودنياهم، ولا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئاً، ولا ينفعونهم بشيء.

﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ أي: يا ذرية من مننا عليهم، وحملناهم مع نوح ، ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ففيه التنويه بالثناء على نوح عليه السلام، بقيامه بشكر الله، واتصافه بذلك، والحث لذريته أن يقتدوا به في شكره ويتابعوه عليه، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم، إذ (١) أبقاهم واستخلفهم في الأرض، وأغرق غيرهم.

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ أي: تقدمنا وعهدنا إليهم، وأخبرناهم في كتابهم، أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي، والبطر لنعم الله، والعلو في الأرض منهما، وأنه إذا وقع واحدة وانتقم منهم، وهذا تخذير لهم وإنذار، لعلهم يرجعون فيتذكرون.

﴿فَإِذَا جَاءُ وَحَدُ أُولِا هُمَا ﴾ أي: أولى المرتين اللتين يفسدون فيهما. أي: إذا وقع منهم ذلك الفساد ﴿بعثنا عليكم ﴾ بعثاً قدرياً، وسلطنا عليكم تسليطاً كونياً جزائياً ﴿عباداً لنا أولى بأس شديد ﴾ أي: ذوي شجاعة وعدد وعدة

فنصرهم الله عليكم، فقتلوكم وسبوا أولادكم، ونهبوا أموالكم، وجاسوا خلال دياركم فهتكوا الدور، ودخلوا المسجد الحرام وأفسدوه. ﴿وكان وعداً مفعولا﴾ لا بدمن وقوعه، لوجود سببه منهم.

واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين، إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار.

إما من أهل العراق، أو الجزيرة، أو غيرها، سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي، وتركوا كثيراً من شريعتهم، وطغوا في الأرض.

﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾ أي : على هؤلاء الذين سلطوا عليكم، فأجليتموهم من دياركم. ﴿وأمددناكم بأموال وبنين ﴾ أي : أكثرنا أرزاقكم، وكشرناكم عليهم، ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾ منهم، وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله.

﴿إِنَّ أحسنتم أحسنتم الأنفسكم ﴾ الأن النفع عائد إليكم، حتى في الدنيا كما شاهدتم من انتصاركم على أعدائكم. ﴿وإِن أَسأتم فلها ﴾ أي: فلأنفسكم يعود الضرر، كما أراكم الله من تسليط الأعداء.

﴿ فَإِذَا جِاء وعد الآخرة ﴾ أي: المرة الآخرة (١) التي تفسدون فيها في الآخرة (١) التي تفسدون فيها في الأرض، سلطنا أيضاً عليكم الأعداء.

﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾ بانتصارهم عليكم وسبيكم وليدخلوا المسجد الحرام كما دخلوه أول مرة، والمراد بالمسجد، مسجد بيت المقدس.

﴿وليتبروا﴾ أي: يخربوا ويدمروا ﴿ما علوا﴾ عليه ﴿تتبيرا﴾ فيخربوا بيوتكم ومساجدكم وحروثكم.

﴿عسى ربكم أن يرحمكم ﴿ فيديل لكم الكرة عليهم ، فرحمهم وجعل لهم الدولة .

وتوعدهم على المعاصي فقال: ﴿وإن عدتم﴾ إلى الإفساد في الأرض ﴿عدنا﴾ إلى عقوبتكم، فعادوا لذلك، فسلط الله عليهم رسوله محمداً ﷺ،

فانتقم الله به منهم، فهذا جزاء الدنيا، وما عند الله من النكال أعظم وأشنع، ولهذا قال: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ يصلونها ويلازمونها، لا يخرجون منها أبداً. وفي هذه الآمة من العمل الكيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تغير.

ومن نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين والظلمة، عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم، عقوبة لهم، وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله، مكن لهم في الأرض، ونصرهم على أعدائهم.

﴿٩ - ١٠ ﴾ ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين المتعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته ، وأنه ﴿يهدي للتي هي أقوم ﴾ أي: أعدل وأعلى ، من العقائد والأعمال والأخلاق ، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن ، كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره .

ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الواجبات والسنن، فأن لهم أجراً كبيراً أعده الله لهم في دار كرامته، لا يعلم وصفه إلا

وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً فالقرآن مشتمل على البشارة والنذارة، وذكر الأسباب التي تنال بها البشارة، وهو الإيمان، والعمل الصالح، والتي تستحق بها النذارة وهو ضد ذلك.

﴿ ١١﴾ ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً وهذا من جهل الإنسان وعجلته، حيث يدعو على نفسه وأولاده وماله بالشر عند الغضب، ويبادر بذلك الدعاء، كما يبادر بالدعاء في الخير،

عَسَىٰ رَبُّكُو أَن يَرْحَكُمُ وَإِنْ عُدَثُّ مُعُدُّاً وَحَمُلْنَا جَمَّةً الكيفين حصيران إنَّ هَانَا ٱلْقُرَّانَ يَهْدِي الَّهِ هِيَ أَقَيُّ وَمُشَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَتِ أَنَّ لَمَعْ أَجُرُا كَبُرُا ۞ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِيرَةِ أَعْتَدُمَّا لَمُتُمِّعَذَابًا أَلَيهَا ۞ وَيَدْعُ ٱلإِنسَانُ بَالشَّرَدُعَآءَمُ إِلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ عَجُولًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنَّ فَمَحْوَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِمُبْصِرَةَ لِتَبْتَغُواْ فَضَلَامِن ذَبِيكُوْ وَلِتَعَلَّوُاْ عَدَدَ البِّمِنِينَ وَأَنْحِسَابٌ وَحَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلْنَهُ تَفْصِيلًا ۞ وَكُلَّ إِنسَانِ ٱلْزَمَنَا لُهُ طَلَيْمَ اللَّهِ عَنْقِيدٌ وَنُحْدِجُ لَهُ يُوْمَ ٱلْقِيلَمَةِ كِنْنَا يَلْقَدُهُ مَنْشُورًا ۞ أَقُرْأَ كِنَبَكَ كَنَ بَنْفِيكَ أَيْوَمُ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ مِّن أَهْدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْ تَدى لِنَفْسِيِّهِ وَمَن ضَكَّلَ فَإِنَّا يَضِلُ عَلَيْهَا وَلِاتَ زِرُ وَانِرَةٌ وِنْرَأُ خُرَيٌّ وَمَاكُفًا مُعَدِّينَ حَقَّا بَنْفَ رَسُولًا ۞ وَإِذَا أَرْدُنَّا أَن نُقْلِكَ فَيْدٌّ أَمْرَنَا مُتْرَفِيهَا مَنْسَعُوافِيَا غَنَّ عَلَيْهَا ٱلْعُولُ مَنْتَرَبُّهَا تَنْمِيرًا ۞ وَكُو أَمْلُكُنَّا مُ الْقُرُهُ نِومِ المَعْدِ فُوجٌ وَكَنَ رِرَبِكَ بِنُنُوبِ عِبَادِهِ - خَيِرُ الْعَيِيرَا ۞ DESCRIPTION TATE OF THE PROPERTY OF THE PROPER

ولكن الله _ بلطفه (٢) _ يستجيب له في الخير، ولا يستجيب له بالشر. ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم ﴾.

والنهار المالي والنهار والنهار التين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً يقول تعالى: فصلناه تفصيلاً يمال قدرة الله وسعة رحته، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿فمحونا آية الليل اي: جعلناه مظلماً، للسكون فيه والراحة، مضيئة، ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم في معايشكم وصنائعكم وتجاراتكم وأسفاركم.

﴿ولتعلموا﴾ بتوالي الليل والنهار واختلاف القمر ﴿عدد السنين والحساب﴾ فتبنون عليها ما تشاؤون من مصالحكم.

وكل شيء فصلناه تفصيلاً أي: بينا الآيات وصرفناه، لتتميز الأشياء، ويستبين الحق من الباطل، كما قال تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَمْ عَ ﴾.

THE PERSON NEWSFIRM NEWSFIRM مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْمَاجِلَةَ عَجَلْنَالَهُ فِيهَا مَانَشَكَاءُ لِمَن زُّمِيدُ ثُمَّةً جَعَلْنَالَهُ جَهَا مِنْ يَصْلَلْهَا مَنْمُومًا مَّذَّحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْكَخِدَةَ وَسَعَىٰ لِمَاسَعِيهَا وَهُوَمُوْمِنُ فَأُولَيْكَ كَانَ سَعْيَهُم مَّشْكُورًا ۞ كُلَّانِّيدُ مَّؤُلَّا و وَهَلَّوُلاَّةٍ مِنْ عَطَلَهِ رَيِكَ وَمَا كَانَ عَطَلَهُ رَيِكَ مَعْظُورًا ۞ ٱنْظُرُكَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضُ وَلَلْآخِ رَهُ أَحْكَرُ دُرَحَكِ وَأَحْكِرُ مَّنْ يِنِيلًا ۞ لَا جَنَعُلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَا مَا خَسَرَ فَتَقَعُّ دَمَّذْ مُومًا غَنْدُولَا ۞ • وَتَضَارَتُكِ أَلَّا مَّبُدُوۤ إِلَّا إِيَّاهُ وَمِٱلْوَلَايَنِ إِحْسَنَاۚ إِمَّا يَبُّلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِعَبْرَأَحَدُهُمَّاۤ أَوْكِلَاهُمَافَلَا تَقُل لَمُكُنَّا أَنِّي وَلَا نَنْهَ فِهُمَا وَقُل لَمُكَا قَوْلا كَينَا ۞ وَآخِيضَ لَمُمَّاجَنَاحَ الذُّلِّي مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل زَّبِ ٱرْحَمْهُمَ أَكُمَّا رَبِّيَانِي صَيغِيرًا ۞ زَنْكُمُ أَعْلَرُ بِمَافِ نُفُوسِكُمْ إِن تَسَكُونُواْ صَلِيعِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَقَلِينَ عَفُورًا ﴿ وَمَاتِ ذَا ٱلْقُرْفَ حَقَّهُ وَلِلْسَكِينَ وَأَنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا لَبُنَوْتِنْ ذِيلًا ۗ إِنَّ الْمُتِّقِينَ كَافُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَطِينَ وَكَانَ ٱلشَّيْطِانُ لِرَيْمِ حَفُورًا ۞

(۱۳ – ۱۶) ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ وهذا إخبار عن كمال عدله، أن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر، يجعله الله ملازماً له، لا يتعداه إلى غيره، فلا يحاسب بعمل غيره، ولا يحاسب عمل

TAE TAE

﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴾ فيه ما عمله من الخير والشر حاضراً، صغيره وكبيره، ويقال له: ﴿اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

وهذا من أعظم العدل والإنصاف، أن يقال للعبد: حاسب نفسك، ليعترف بما عليه من الحق الموجب للعقاب.

(١٥) (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أي: هداية كل أحد وضلاله لنفسه، لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يدفع عنه مثقال ذرة من الشر، والله تعالى أعدل العادلين، لا يعذب أحداً حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة، ثم يعاند الحجة.

وأما من انقاد للحجة، أو لم تبلغه حجة الله تعالى، فإن الله تعالى لا يعذبه.

واستدل بهذه الآية على أن أهل المفترات، وأطفال المشركين، لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولاً، لأنه منزه عن الظلم.

وَ ١٦ ــ ١٧ ﴾ ﴿ وَإِذَا أُردنا أَن بَهلك عَلَيْهِ أَمِرنا مِترفيها ففسقوا فيها فحق

قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً * وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً * يخبر من تما المقروب عباده خبيراً بصيراً * يخبر من المقروب عباده في المقروب المقروب عباده في المقروب عباده في المقروب عباده في المقروب عباده

بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً في يخبر و تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة، ويستأصلها بالعذاب، الأمر مترفيها أمراً قدرياً، ففسقوا فيها، و واشتد طغيانهم، ﴿فحق عليها القول﴾ وإ أي: كلمة العذاب التي لا مرد لها بر ﴿فدمرناها تدميراً ﴾ .

وهولاء أمم كثيرة أبادهم الله بالعذاب، من بعد قوم نوح، كعاد، وثمود، وقوم لوط، وغيرهم عن عاقبهم الله لما كثر بغيهم، واشتد كفرهم، أنزل [الله] بهم عقابه العظيم.

بصيراً فلا يخافوا منه ظلماً، وأنه يعاقبهم على ما عملوه. (١٨ - ١٨ ﴿ ﴿ صن كان يسريك العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً

مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك عظوراً * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفليد فضلنا بعضهم تفضيلاً في خبر تعالى أن ﴿من كان يريد﴾ الدنيا ﴿العاجلة﴾ المنقضية المبتدأ والمنتهى، أن الله يُعجل له من الزائلة، فعمل لها وسعى، ونسي حطامها ومتاعها ما يشاؤه ويريده، مما كتب [الله] له في اللوح المحفوظ، ولكنه متاع غير نافع ولا دائم له.

ثم يجعل له في الآخرة ﴿جهنم يصلاها﴾ أي: يباشر عذابها، ﴿مذموماً مدحوراً﴾ أي: في حالة الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله، فيجمع له بين العذاب والفضيحة.

﴿ ومن أراد الآخرة ﴾ فرضيها وآثرها على الدنيا ﴿ وسعى لها سعيها ﴾ الذي دعت إليه الكتب السماوية ، والآثار النبوية ، فعمل بذلك على قدر إمكانه ﴿ وهو مؤمن ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وفاولتك كان سعيهم مشكوراً اي: مقبولاً مُنتى، مدخراً لهم أجرهم وثوابهم عند ربهم.

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الدنيا، بسعة الأرزاق وقلتها، واليسر والعسر، والعلم والجهل، والعقل والسفه، وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها.

فكم بين من هو في الغرف العاليات، واللذات المتنوعات، والسلذات المتنوعات، والسرور والخيرات والأفراح، عن هو يتقلب في الجحيم، ويعذب بالعذاب الأليم، وقد حل عليه سخط الرب الرحيم، وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت مالا يمكن أحداً عده.

﴿٢٢﴾ ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ أي: لا تعتقد أن أحداً من المخلوقين يستحق شيئاً من العبادة، ولا تشرك بالله أحداً منهم، فإن ذلك داع للذم والخذلان، فالله وملائكته ورسله، قد نهوا عن الشرك، وذموا من عمله أشد الذم، ورتبوا عليه من الأسماء المذمومة، والأوصاف المقبوحة، ما كان به متعاطيه، أشنع الخلق وصفاً، وأقبحهم نعتاً.

وله من الخذلان في أمر دينه ودنياه، بحسب ما تركه من التعلق بربه، فمن تعلق بغيره فهو مخذول، قد وكل إلى من تعلق به، ولا أحد من الخلق ينفع

أحداً إلا بإذن الله، وكما أن من جعل مع الله إلىها آخر له الذم والخذلان، فمن وحده، وأخلص دينه لله، وتعلق به دون غيره، فإنه محمود معان في جميع أحواله.

﴿٣٧ - ٤٢﴾ ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحهما كما ربياني صغيراً﴾ لما نهى تعالى عن الشرك به، أمر بالتوحيد، فقال: ﴿وقضى ربك﴾ قضاء دينياً، وأمر أمراً شرعياً والسماوات الأحياء والأموات.

﴿ إلا إيداه ﴾ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعظمها، على وجه لا يشبهه أحد من خلقه، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الدافع لجميع النقم، الخالق، الرازق، المدبر لجميع الأمور، فهو المتفرد بذلك كلّه، وغيره ليس له من ذلك شيء.

ثم ذكر بعد حقه القيام بحق السوالدين، فقال: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان، القولي والفعلي، لأنهما سبب وجود العبد، ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه، والقرب، ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر.

﴿إِما يبلغن عندك الكبر أحدها أو كلاهما ﴾ أي: إذا وصلا إلى هذا السن، الذي تضعف فيه قواهما، ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف. ﴿فلا تقل لهما أف ﴾ وهذا أدنى مراتب الأذى، نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذها أدنى أذية.

﴿ولا تنهرهما ﴾ أي: تزجرهما ، وتتكلم لهما كلاماً خشناً ، ﴿وقل لهما قولاً كريماً ﴾ بلفظ يجبانه ، وتأدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما ، وتطمئن به نفوسهما ، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان .

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ أي: تواضع لهما، ذلاً لهما ورحمة، واحتساباً للأجر، لا لأجل الخوف منهما، أو الرجاء لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر

ونحو دلك مز عليها العبد.

﴿وقل رب ارحمهما﴾ أي: ادع لهما بالرحمة أحياء وأمواتاً، جزاء على تربيتهما إياك صغيراً.

وفهم من هذا، أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه، تربية صالحة غير الأبوين، فإن له على من رباه حق التربية.

(٧٥) (ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً أي: ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم من خير وشر، وهو لا ينظر إلى أعمالكم وأبدانكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وما فيها من الخير والشر.

﴿ إِنْ تَكُونُوا صَالَحِينَ ﴾ بأن تكون إراداتكم ومقاصدكم دائرة على مرضاة الله، ورغبتكم فيما يقربكم إليه، وليس في قلوبكم إرادات مستقرة لغير الله.

فيانه كان للأوابين أي: الرجاعين إليه في جميع الأوقات فقوراً فمن اطلع الله على قلبه، وعلم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه وعبته ما يقرب إليه، فإنه، وإن جرى منه في بعض الأوقات ما هو مقتضى الطبائع البشرية، فإن الله يعفو عنه، ويغفر له الأمور العارضة غير المستقرة.

ويعمر له الامور العارصة غير المستمرة.

(٢٦ - ٣٠ ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً * إن المبذريين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً * وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً * ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً عسوراً * إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً في يقول تعالى: ﴿ وَالْ عَلَمُ مِن البر

والإكرام، الواجب والمسنون، وذلك الحق، يتفاوت بتفاوت الأحوال، والأقارب، والحاجة وعدمها، والأزمنة.

﴿والمسكين﴾ آته حقه من الزكاة ومن غيرها، لتزول مسكنته، ﴿وابن السبيل﴾ وهو الغريب المنقطع به عن بلده، فيعطى الجميع من المال، على وجه لا يضر المعطي، ولا يكون زائداً على المقدار اللائق، فإن ذلك تبذير، وقد نهى الله عنه وأخبر:

﴿إِن المسلوب كسانسوا إخسوان الشياطين لأن الشيطان لا يدعو إلا الشياطين كل خصلة ذميمة ، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك ، فإذا عصاه ، دعاه إلى الإسراف والتبذير . والله تعالى ، إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه ، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم

وقال هنا: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ كناية عن شدة الإمساك والبخل. ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ فتنفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي.

﴿ فتقعد ﴾ إن فعلت ذلك ﴿ ملوماً ﴾ أي: تلام على ما فعلت ﴿ محسوراً ﴾ أي: حاسر اليد فارغها، فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء.

وهذا الأفر بإيتاء ذي القربى، مع القدرة والغنى، فأخا مع العدم، أو تعسر النفقة الحاضرة، فأمر تعالى أن يُرَدُّوا ردَّا جيلاً فقال: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها في: تعرض عن إعطائهم إلى وقت آخر، ترجو فيه من الله تيسير الأمر.

﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي: لطيفاً برفق، ووعد بالجميل، عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر، لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم، كما قال تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾.

وهذا أيضاً من لطف الله تعالى

بالعباد، أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه، لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وَعُدُهُمْ بالصدقة والمعروف عشد التيسر، عبادة حاضرة، لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير، وينوي فعل ما لم يقدر عليه، ليثاب على ذلك، ولعل الله ييسره له [بسبب رجائه](١).

ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن

يشاء من عباده، ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ فيجزيهم على ما يعلمه صالحاً لهم، ويدبرهم، بلطفه وكرمه. ﴿٣١﴾ ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴾ وهذا من رحمته بعباده، حيث كان أرحم بهم من والديم، فنهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفاً من الفقر والإملاق، وتكفل برزق الجميع.

وأخبر أن قتلهم كان خِطأ كبيراً، أي: من أعظم كبائر الذنوب، لزوال الرحمة من القلب، والعقوق العظيم والتجرُّؤ على قتل الأطفال، الذين لم يجر منهم ذنب ولا معصية.

رسم الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً والنهي عن قربانه فاحشة وساء سبيلاً والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله، لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإن: «من حام حول الحمي يوشك أن يقع فيه»، خصوصاً هذا الأمر، الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه.

وقوله: ﴿وساء سبيلا﴾ أي: بشس السبيل، مسيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم.

﴿٣٣﴾ ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾ وهذا شامل لكل نفس ﴿حرَّم الله ﴾ قتلها من صغير وكبير، وذكر وأنثى، وحر وعبد، ومسلم وكافر له عهد.

﴿ إِلاَ بِالحق ﴾ كالنفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة، والباغي في حال بغيه إذا لم يندفع إلا بالقتل.

ومن قتل مظلوماً في : بغير حق فقد جعلنا لوليه في وهو أقرب عصباته وورثته إليه فسلطاناً في : حجة ظاهرة على القصاص من القاتل، وجعلنا له أيضاً تسلطاً قدرياً على ذلك، وذلك حين تجتمع الشروط الموجبة للقصاص، كالعمد العدوان، والمكافأة.

﴿ فلا يسرف ﴾ الولي ﴿ في القتل إنه كان منصوراً ﴾ والإسراف مجاوزة الحد، إما أن يمثل بالقاتل، أو يقتله بغير ما قتل به، أو يقتل غير القاتل.

وفي هذه الآية دليل إلى أن الحق في القتل للوَلي، فلا يقتص إلا بإذنه، وإن عفا سقط القصاص.

وأن وَلَّى المقتول، يعينه الله على القاتل ومن أعانه حتى يتمكن من قتله . ﴿٣٤﴾ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعُهد إن العهد كان مسؤولاً وهذا من لطفه ورحمته تعالى باليتيم، الذي فقد والده وهو صغير، غير عارف بمصلحة نفسه، ولا قائم بها، أن أمر أولياءه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه، وأن لا يقربوه ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ من التجارة فيه، وعدم تعريضه للأخطار، والحرص على تنميته، وذلك ممتد إلى أن ﴿يبلغ ﴾ اليتيم ﴿أشده ﴾ أي: بلوغه، وعقله، ورشده، فإذا بلغ أشده، زالت عنه الولاية، وصار ولي نفسه، ودفع إليه ماله.

كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ آنستم منهم

رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ الذي عاهدتم الله عليه ، والذي عاهدتم الخلق عليه . ﴿ إِن العهد كان مسؤولا ﴾ أي : مسؤولين عن الوفاء به وعدمه ، فإن وفيتم ، فلكم الشواب الجنوبل ، وإن لم تنفوا (٢) ، فعليكم الإثم العظيم .

ورنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكاييل والموازين بالقسط، من غير بخس ولا نقص، ويؤخذ من عموم المعنى، النهي عن كل غش في ثمن أو مثمن أو معقود عليه، والأمر بالنصح والصدق في المعاملة

﴿ وَلَكَ خير ﴾ من عدمه ﴿ وأحسن تأويلاً ﴾ أي: أحسن عاقبة، به يسلم العبد من التبعات، وبه تنزل البركة.

﴿٣٦﴾ ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تُئبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً وحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسؤول عما قاله وفعله، وعما لعبادته، أن يُعِدّ للسؤال جواباً، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله، وإخلاص الدين له، وكفها عما يكرهه الله تعالى.

﴿ ٣٧ - ٣٩ ﴿ ولا تمسش فسي الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض سيئه عند ربك مكروها * ذلك كان أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ يقول تعالى: ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ أي: كبراً وتبهاً وبطراً ، متكبراً على الحق.

﴿إنك﴾ في فعلك ذلك ﴿لن تخرق

عنه فيما تقدم من قوله: ﴿لا تجعل

مع الله إلها آخر، والنهى عن عقوق

الوالدين، وما عطف على ذلك، ﴿كان

سیئه عند ربك مكروهاً ای: كل

ذلك يسوء العاملين ويضرهم، والله

هذه الأحكام الجليلة، ﴿ مَا أُوحِي إليك

ربك من الحكمة﴾ فإن الحكمة، الأمر

بمحاسن الأعمال، ومكارم الأخلاق،

والنهى عن أراذل الأخلاق، وأسوأ

وهذه الأعمال المذكورة في هذه

الآيات، من الحكمة العالية، التي

أوحاها رب العالمين لسيد المرسلين في

أشرف الكتب، ليأمر بها أفضل الأمم،

فهي من الحكمة التي من أوتيها فقد

ثم ختمها بالنهى عن عبادة

غير الله، كما افتتحها بذلك فقال: ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في

جهنم الله أي: خالداً مخلداً، فإنه من

يشرك بالله، فقد حرّم الله عليه الجنة

﴿ملوماً مدحوراً﴾ أي: قد لحقتك

اللائمة واللعنة والذم من الله وملائكته

﴿ ٤٠ ﴾ ﴿ أَفَأَصِفَاكُم رَبِكُم بِالْبِنِينَ

واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون

قولاً عظيماً ﴾ وهذا إنكار شديد على

من زعم أن الله اتخذ من خلقه بنات

فقال: ﴿أَفَأَصِفَاكُم رَبِكُمْ بِالبَيْنِ﴾ أي: اختار لكم الصفوة والقسم(١) الكامل،

واتخذ لنفسه من الملائكة إناثاً، حيث

﴿إِنكم لتقولون قولاً عظيماً، فيه

أعظم الجرأة على الله، حيث نسبتم له

زعموا أن الملائكة بنات الله.

﴿ذَلُكُ ﴾ الذي بيناه ووضحناه من

تعالى يكرهه ويأباه.

أوتي خيراً كثيراً.

ومأواه النار .

والناس أجمعين.

الجزء الخامس عشر كم

الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً في تكبرك بل تكون حقيراً عندَ الله ومحتقراً عند الخلق، مبغوضاً ممقوتاً، قد اكتسبت أشر الأخلاق، واكتسيت أرذلها، من غير إدراك لبعض ما تروم. ﴿كُلُّ ذَلَكُ﴾ المذكور الذي نهي ألله

﴿٤١ ـ ٤٤﴾ ﴿ولقد صرفنا في فيدعوه .

ولكن أبي أكثر الناس إلا نفوراً عن أيات الله، لبغضهم للحق، ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل، حتى تعصبوا لباطلهم، ولم يعيروا آيات الله لهم

ومن أعظم ما صرف فيه الآيات والأدلة، التوحيد الذي هو أصل الأصول، فأمر به، ونهى عن ضده، وأقام عليه من الحجج العقلية والنقلية

ومن الأدلة على ذلك هذا الدليل العقلي الذي ذكره هنا، فقال: ﴿قل﴾ للمشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر: ﴿ لُو كَانَ مِعِهُ آلِهِةٌ كُمَا يَقُولُونَ ﴾ أي: على موجب زعمهم وافترائهم، ﴿إِذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ أى: لاتخذوا سبيلاً إلى الله بعبادته والإنابة إليه، والتقرب وابتغاء الوسيلة، فكيف يجعل العبد الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه،

الولد المتضمن لحاجته، واستغناء بعض المخلوقات عنه، وحكموا له بأردأ القسمين، وهنّ الإناث، وهو الذي خلقكم، واصطفاكم بالذكور، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا کسر آ .

هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً * قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً * سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً * تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ يخبر تعالى أنه صرّف لعباده في هذا القرآن، أي: نوَّع الأحكام ووضحها، وأكشر من الأدلة والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكّر، لأجل أنه يتذكّروا ما ينفعهم فيسلكوه، ومايضرهم

سمعاً، ولا ألقوا لها بالاً.

شيئاً كثيراً، بحيث من أصغى إلى بعضها، لا تدع في قلبه شكاً ولا ريباً.

وَامَّا تُعْضَنَّ عَنْهُمُ أَيْتِغَاَّءَ رَحْمَةٍ مِن زَّبَكَ تَرْحُوهَا فَقُل إِلَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿ وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا بَشْطُهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقَعُدُ مَلُومًا تَحْسُورًا ۞ إِنَّ زَبِّكَ يَبْسُطُ ٱلرَّبْفَ لِنَ يَشَآهُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِيهَادِهِ خَيرًا يَصِيرًا ۞ وَلَا تَقْتُلُواْ أَوَلَدَكُونَ خَشْيَةَ إِمْلَقَ غَنَّ زَزُّوقُهُمْ وَإِيَّاكُمُّ إِنَّ قَنْلَهُمْ كَانَ خِطْنَاكَبِيرًا ۞ وَلَائَقُرُبُواْ الزِّنَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةُ وَسَلَّهَ سَبِيلًا ۞ وَلَاتَقْنُلُوا ٱلنَّفْسَ الَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقَّ وَمَن قُيْلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَ الْوَلِيِّي سُلْطَانَا فَلَا يُسْرِف فِي ٱلْمَتَلُّ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿ وَلَا نَقْرَهُما مَالَ الْيُتِيدِ إِلَّا بِأَلَّقِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى بِبُلْغَ أَشُدَّهُ وَأُوفُواْ بِٱلْمَهِيِّةِ إِنَّ ٱلْعَهْدَكَانَ مَسْتُولًا ۞ وَأُوفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْمُ وَنِفُواْ بِالْقِسْطَاسِ ٱلْسُتَقِيمُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِدِي عِلْوُأَنَّ السَمْعُ وَٱلْمَصْرُ وَٱلْفُؤَادَكُ لُ أُولَيْكَ كَابَ عَنْهُ مَسْعُولًا ﴿ وَلَا تَيْنُ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا إِنَّكَ لَن تَغْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ آئِمِ الْمُولَا ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيْنَكُمُ عِندَرَيْكِ مَكُوهُا ﴿ DADADAYAO DEREKAN

إلها مع الله؟! هل هذا إلا من أظلم الظلم وأسفه السفه؟!!.

فعلى هذا المعنى، تكون هذه الآية كقوله تعالى: ﴿أُولِتُكُ الَّذِينِ يَدْعُونَ يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، .

وكقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ﴿ .

ويحتمل أن المعنى في قوله: ﴿قُلُّ لُو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) أي: لطلبوا السبيل، وسعوا في مغالبة الله تعالى، فإما أن يعلو عليه فيكون من علا وقهر هو الرب الإله، فأما وقد علموا أنهم يقرون أن آلهتهم التي يعبدون (٢) من دون الله مقهورة مغلوبة، ليس لها من الأمر شيء، فلم اتخذوها وهي بهذه الحال؟ فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض).

﴿سبحانه وتعالى اي: تقدس وتنزه وعلت أوصافه ﴿عما يقولون﴾ من الشرك به، واتخاذ الأنداد معه ﴿علواً كبيراً ﴾ فَعَلا قدره وعظم، وجلّت كبرياؤه، التي لا تقادر أن

في ب: النصيب.

CO INDUCTOR DESCRIPTION ذَلِكَ عَأَ أَوْحَى الَّتِكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةُ وَلَا تَخْعَاْ. مَعَ أَفَهِ الْهَا مَاخَرَ فَكُاقَ فِ جَهَنَّمَ تُلُومًا مَّذْحُورًا ۞ أَفَأَضْفَنَكُ رَثُكُم اللَّيْانَ وَأَغْنَدُونَ ٱلْكَتِكَةِ إِنْنَا إِنَّكُولَتَعُولُونَ قَوْلاعظِمًا ۞ وَلَقَدْ صَمَّ فَنَا فِي هَلِنَا ٱلْقُدُومَانِ لِيَذَّكُونُ وَمَانَ مِدُهُو الَّانْفُورُا ۞ قُل لَوْكَانَ مَعَكُمْ وَالِمَةُ كُلِيَقُولُونَ إِذَا لَآتِنَعُوا إِلَىٰ ذِي ٱلْعَيْ سَيلًا ٤ مُنْ حَنْهُ وَقَعَلا عَمَا تَقُولُونَ عُلُوّا كِمْ إِن مُنْتِعُ لَهُ النَّهُ وَتُ ٱلسَّبُّهُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ قَان مِن شَيَّ وِ الْأَيْسَيِّمُ بِحَسِّدِهِ وَلَكِنَ لَانْفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمُ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿ وَإِذَا قَرَأَتَ ٱلْقُرُوانَ جَعَلْنَا يَسْنَكَ وَمَنَ ٱلَّذِينَ لَا وَمِنُونَ بِٱلْآلِخِيرَةِ جَالًا مَّسْتُورًا ۞ وَجَعَلْنَا عَلَ قُلُوبِهِ مُرْأَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي مَاذَانِهِ مُرَوَقُرُكُ فَلِنَا نَكُنِ رَيِّكَ فِي أَلْتُرْمَ إِن وَحْدَدُ وَلَّوْاعَلَىٰ أَدْبَرُهِمْ نْفُورَانَ غَنْ أَعْلَرُ مَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ يَإِذْ يَسْيَمُونَ إِلَيْكَ وَاذْهُرٌ جَوْيَ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّلِلُونَ إِن تَلْيَعُونَ إِلَّارَجُلَاتَ مَحُرًا ۞ ٱنظُّرَ كَيْفَ مَنْمَ يُوا لَكَ ٱلْأَثَالَ فَعَنَكُوا فَلَايَنَظِيمُونَ سَبِيلًا ۞ وَقَالُوا الْهِ ذَا كُنَّا عِظْلَمًا وَرُفَلْنًا أَهِ نَا لَبُعُونُونَ خَلْقَا عِدِيدًا ١ TORONO IN LONG POR

يكون معه آلهة، فقد ضل من قال ذلك ضلالاً مبيناً، وظلم ظلماً كبيراً.

لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة، وصغرت لدى كبريائه السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه.

وافتقر إليه العالم العلوي والسفلي، فقراً ذاتياً، لا ينفك عن أحد منهم في وقت من الأوقات.

هذا الفقر بجميع وجوهه، فقر من جهة الخلق والرزق والتدبير، وفقر من جهة الاضطرار، إلى أن يكون معبودهم ومحبوبهم، الذي إليه يتقربون، وإليه في كل حال يفزعون، ولهذا قال:

والأرض ومن فيهن وإن من شي، همن والأرض ومن فيهن وإن من شي، همن حيوان ناطق وغير ناطق، ومن أشجار ونبات وجامد وحيَّ وميت ﴿إلا يسبح حمد، هبلسان الحال، ولسان المقال. ولكن لا تفقهون تسبيحهم هأي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب.

﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولاً تكاد السماوات والأرض تتفطر منه وتخر له الجبال ولكنه أمهلهم، وأنعم عليهم،

وعافاهم، ورزقهم، ودعاهم إلى بابه ليتوبوا من هذا الذنب العظيم، ليعطيهم الثواب الجزيل، ويغفر لهم ذنبهم، فلولا حلمه ومغفرته، لسقطت السماوات على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة.

﴿ ٤٥ ـ ٤٥ ﴾ ﴿ وإذا قرأت القرآن هم نجوى ﴾ أي جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون الظالمون ﴾ في م الآخرة حجاباً مستوراً * وجعلنا على إلا رجلاً مسحو قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً مناجاتهم الظالمة وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أنه مسحو على أدبارهم نفوراً * نحن أعلم بما غير معتبرين أن يحوي إذ يقول الظالمون إليك وإذ هم يدري ما يقول رجلاً مسحوراً * انظر كيف ضربوا ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون الأمثال وأب سبيلاً ﴾ يخبر تعالى عن عقوبته فضلوا أفي والمكذبين بالحق الذين ردوه وأعرضوا لضلالهم ، لأغ عنه أنه يحول بينهم وبين الإيمان ، والبني على فاسا فقال:

﴿وَإِذَا قَرِأْتِ النَّرِآنِ ﴾ الذي فيه الوعظ والتذكير، والهدى والإيمان، والخير والعلم الكثير.

﴿ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ يسترهم عن فهمه حقيقة، وعن التحقق بحقائقه والانقياد لما يدعو إليه من الخير.

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أي: أغطية وأغشية، لا يفقهون معها القرآن، بل يسمعونه سماعاً تقوم به عليهم الحجة، ﴿وفي آذانهم وقرآ ﴾ أي: صمما عن سماعه، ﴿وإذا ذكرت عن الشرك به. ﴿ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾ من الباطل، كما قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده السمأزت قلوب الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾.

﴿نحن أعلم بما يستمعون به ﴿أي: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن، لأننا نعلم أن مقاصدهم سيئة،

يريدون أن يعشروا على أقل شيء ليقدحوا به، وليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق، وإنما هم معتمدون على عدم اتباعه، ومن كان جلاه الحالة، لم يفده الاستماع شيئاً، هم نجوى أي: متناجين ﴿إذ يقول الظالمون في مناجاتهم: ﴿إن تتبعون اللارجلاً مسحوراً وفإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم، وقد بنوها على أنه مسحور، فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال، وأنه يهذي، لا يدري ما يقول.

قال تعالى: ﴿انظر﴾ متعجباً ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ التي هي أضل الأمثال، وأبعدها عن الصواب ﴿فضلوا﴾ في ذلك، أو فصارت سبباً لضلالهم، لأنهم بنوا عليها أمرهم، والمبنى على فاسد أفسد منه.

﴿ فلا يستطيعون سبيلا () أي: لا يهتدون أيّ اهتداء، فنصيبهم الضلال المحض، والظلم الصّرف.

﴿ ٤٩ ـ ٢٥ ﴾ ﴿ وقالوا أإذا كسا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً * قبل كونوا حجارة أو حديداً * أو خلقاً ما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قلَّ. الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً كير تعالى عن قول المنكرين للبعث، وتكذيبهم به، واستبعادهم بقولهم ﴿ أَإِذَا كِنَا عَظَاماً وِرِفَاتاً ﴾ أي: أحساداً بالية، ﴿ أَإِنَا لَمِعُوثُونَ خَلَقًا جَدِيداً ﴾ أي: لا يكون ذلك، وهو محال بزعمهم، فجهلوا أشد الجهل، حيث كذبوا رَسُلُ الله، وجحدوا آيات الله، وقاسوا قدرة خالق السماوات والأرض بقدرتهم الضعيفة العاجزة، فلما رأوا أن هذا تمتنع عليهم لا يقدرون عليه، جعلوا قدرة الله كذلك.

فسبحان من جعل خلقاً من خلقه،

يزعمون أنهم أولو العقول والألباب، مثالاً في جهل أظهر الأشياء وأجلاها، وأوضحها براهين وأعلاها، ليرى عباده أنه ما ثُمَّ إلا توفيقه وإعانته، أو الهلاك والضلال.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب).

ولهذا أمر رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء المنكرين للبعث استبعاداً:

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةَ أُو حِدِيداً * أُو خلقاً ما يكبر ﴾ أي: يعظم ﴿في صدوركم التسلموا بذلك على زعمكم، من أن تنالكم قدرة الله، أو تنفذ فيكم مشيئته، فإنكم غير معجزي الله، في أي: حالة تكونون، وعلى أي: وصف تتحولون، وليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة وبعد المات.

فدعوا التدبير والتصريف لمن هو على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط. ﴿فسيقولون﴾ حين تقيم عليهم الحجة في البعث: ﴿من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾ فكما فطركم، ولم تكونوا شيئاً مذكوراً، فإنه سيعيدكم خلقاً جديداً ﴿كما بدأنا أول خلق

﴿فسينغضون إليك رؤوسهم أي: يهزونها، إنكاراً وتعجباً مما قلتٰ، ﴿ويقولون متى هو﴾ أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقراراً منهم لأصل البعث، بل ذلك سَفَّةً منهم، وتعجيز. ﴿قل عسى أن يكون قريباً ﴾ فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره والإقرار به وإثباته، وإلا فكل ما هو آت فإنه قريب .

﴿ يوم يدعوكم ﴾ للبعث والنشور، وينفخ في الصور، ﴿فتستجيبون بحمده أي: تنقادون الأمره، والا تستعصون عليه. وقوله: ﴿بحمده﴾ أي: هو المحمود تعالى على ما يفعله ويجزي به العباد، إذا جمعهم ليوم

﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ﴿ من

سرعة وقوعه، وأن الذي مر عليكم من النعيم كأنه ما كان.

فهذا الذي يقول عنه المنكرون: ﴿متى هو﴾؟ يندمون غاية الندم عند وروده، ويقال لهم: ﴿ هذا الذي كنتم

به تكذبون).

﴿٣٥ _ ٥٥﴾ ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم إنَّ الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً * ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يسأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلاً * وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً ﴾ وهذا من لطفه بعباده، حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، الموجبة للسعادة في الدنيا والأخرة،

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن، وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله، من قراءة، وذكر، وعملم، وأمر بمعروف، ونهى عن منكر، وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين، فإنه يؤمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع

والقول الحسن داع لكل خلق جميل، وعمل صالح، فإن من ملك لسانه، ملك جميع أمره.

وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانُ يَنْزُغُ بِينَهُمُ ﴾ أي: يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم.

فدواء هذا، أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلينوا فيما بينهم، لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم، فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه، فإنه يدعوهم ﴿ليكونوا من أصحاب السعير�.

وأما إخوانهم، فإنهم وإن نزغ الشيطان فيما بينهم، وسعى في العداوة، فإن الحزم كل الحزم، السعى في ضد عدوهم، وأن يقمعوا أنفسهم الأمارة بالسوء، التي يدخل الشيطان

من قِبَلِها، فبذلك يطيعون ربهم، ويستقيم أمرهم، ويهدون لرشدهم.

﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ من أنفسكم، فلذلك لا يريد لكم إلا ما هو الخير، ولا يأمركم إلا بما فيه مصلحة لكم، وقد تريدون شيئاً الخير في عكسه.

﴿إِن يَـشَأُ يَـرِحُـكَـم أَو إِن يَشَأُ يعذبكم فيوفق من شاء لأسباب الرحمة، ويخذل من شاء، فيضل عنها، فيستحق العذاب.

﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ تدبر أمرهم، وتقوم بمجازاتهم، وإنما الله هو الوكيل، وأنت مبلغ هاد إلى صراط

﴿وربك أعلم بمن في السماوات والأرض) من جميع أصناف الخلائق، فيعطى كلاً منهم ما يستحقه تقتضيه حكمته، ويفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال، الحسية والمعنوية، كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل والخصائص الراجعة إلى ما مَنَّ به عليهم، من الأوصاف المدوحة، والأخلاق المرضية، والأعمال الصالحة، وكثرة الأتباع، ونزول الكتب على بعضهم، المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داود زبوراً، وهو الكتاب المعروف.

فإذا كان تعالى قد فضل بعضهم على بعض، وآتي بعضهم كتبأ، فلم ينكر المكذبون لمحمد على ما أنزله الله عليه وما فضله به من النبوة والكتاب.

﴿٥٦ _٧٥﴾ ﴿قبل ادعبوا البذيبن زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلاً * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً الله يقول تعالى: ﴿قُلِ﴾ للمشركين بالله الذين اتخذوا من دونه أنداداً يعبدونهم كما يعبدون الله، ويدعونهم كما يدعونه، ملزماً لهم بتصحيح ما زعموه واعتقدوه إن كانوأ صادقين :

﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ آلهة من دون الله فانظروا هل ينفعونكم، أو

يدفعون عنكم الضر، فإنهم ﴿يملكون كشف الضرعنكم ﴾ من مرض، أو فقر، أو شدة، ونحو ذلك، فلا يدفعونه بالكلية، ﴿ولا ﴾ يملكون أيضاً تحويله من شخص إلى آخر، ومن شدة إلى ما دونها.

فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي: شيء تدعونهم من دون الله؟ فإنهم لا كمال لهم، ولا فعال نافعة، فاتخاذهم نقص في الدين والعقل، وسفه في الرأي.

ومن العجب، أن السفه عند الاعتياد والممارسة، وتلقيه عن الآباء الضالين بالقبول، يراه صاحبه هو الرأى: السديد، والعقل المفيد.

ويرى إخلاص الدين لله الواحد الأحد، الكامل المنعم بجميع النعم الظاهرة والباطنة، هو السفه، والأمر المتعجب منه، كما قال المشركون: ﴿ أَجِعلُ الآلَهةُ إِلَها وَاحداً إِنْ هذا لشيء عجاب﴾.

ثم أخبر أيضاً، أن الذين يعبدونهم من دون الله، في شغل شاغل عنهم، باهتمامهم بالافتقار إلى الله، وابتغاء الوسيلة إليه، فقال:

﴿أُولئك الذين يدعون ﴾ من الأنبياء والصالحين والملائكة ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ أي: يتنافسون في القرب من ربهم، ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه، فيجتنبون كل ما يوصل إلى الغذاب.

﴿إِن عذاب ربك كان محذوراً﴾ أي : هو الذي ينبغي شدة الحذر منه والتوقي من أسبابه .

وهذه الأمور الشلائة، الخوف والرجاء والمحبة، التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده، هي الأصل والمادة في كل خير.

فمن تمت له، تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها، ترحلت عنه الخيرات، وأحاطت به الشرور.

وعلامة المحبة ما ذكره الله، أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله وينافس في قربه بإخلاص الأعمال

كلها لله، والنصح فيها، وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يجب الله بغير ذلك، فهو كاذب.

﴿ ٥ - ٠٠ ﴾ ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً * وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملمونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ يذكر تعالى رحمته بعدم إنزاله الآيات التي يقترح بها للكذبون، وأنه ما منعه أن يرسلها إلا خوف من تكذيبهم لها، فإذا كذبوا بها، عاجلهم العقاب، وحل بهم من غير تأخير، كما فعل بالأولين الذين كذبوا الحائية الخير، كما فعل بالأولين الذين كذبوا

ومن أعظم الآيات، الآية التي أرسلها الله إلى ثمود، وهي الناقة العظيمة الباهرة، التي كانت تصدر عنها جميع القبيلة بأجمعها، ومع ذلك كنبوا بها، فأصابهم ما قص الله علينا الآيات الكبار لم يؤمنوا، فإنه ما منعهم من الإيمان خفاء ما جاء به الرسول قد جاء من البراهين الكثيرة، ما دل على طلب الهداية، فغيرها مثلها، فلا بد أن طلب الهداية، فغيرها مثلها، فلا بد أن يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها، فترك إنزالها والحالة هذه، خير لهم وأنفع.

وقوله: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان، الذي

لا يحصل إلا بها، بل القصود منها التخويف والترهيب، ليرتدعوا عن ما هم عليه.

﴿ وَإِذْ قَلَمُنَا لَكَ إِنْ رَبِكُ أَحِاطُ بالناس ﴾ علماً وقدرة، فليس لهم ملجاً يلجؤون إليه، ولا ملاذ يلوذون به عنه، وهذا كاف لمن له عقل في الانكفاف عما يكرهه الله الذي أحاط بالناس.

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة﴾ أكثر المفسرين على أنها في ليلة الإسراء.

﴿والشجرة الملعونة﴾ التي ذكرت ﴿في القرآن﴾ وهي شجرة الزقوم، التي تنبت في أصل الجحيم.

والمعنى، إذا كان هذان الأمران، قد صارا فتنة للناس حتى استلج الكفار بكفرهم، وازداد شرهم، وبعض من كان إيمانه ضعيفاً، رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء، ومن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كان خارقاً للعادة.

والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضاً، من الخوارق، فهذا الذي أوجب لهم التكذيب، فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة؟!!

أيس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟! فلذلك رحهم الله وصرفها عنهم، ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في الكتاب والسنة، بذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة التأخرة، أولى وأحسن، لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيراً، ربما لا تقبلها عقولهم لو أخبروا بها قبل وقوعها، فيكون ذلك ريباً في قلوب بعض المؤمنين، ومانعاً يمنع من لم يدخل الإسلام، ومنفراً عنه. بل ذكر الله ألفاظاً عامة، تتناول جميع ما يكون.

﴿ونخوفهم بالآيات ﴿فما يزيدهم التخويف ﴿إلاطغياناً كبيراً ﴾ وهذا أبلغ ما يكون في التملي بالشر وعبته، وبغض الخير وعدم

الانقياد له.

﴿٦١ ــ ٦٥ ﴿ وَإِذْ قَلْنَا لِلْمُلاتِكَةَ اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً * قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنِكنَّ ذرّيته إلاّ قليلاً * قال اذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً * إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلاكه ينبه تبارك وتعالى عباده على شدة عداوة الشيطان، وحرصه على إضلالهم، وأنه لما خلق الله آدم، استكبر عن السجود له، و﴿قال﴾ متكبراً: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ أي: من طين، وبزعمه أنه خير منه، لأنه خلق من نار . وقد تقدم فساد هذا القياس الباطل من عدة أوجه.

فقال الله له: ﴿ اذهب فمن تبعك منهم ﴾ واختارك على ربه ووليه الحق، ﴿ فَإِنْ جَهِنَم جَزَاء موفوراً ﴾ أي: مدخراً لكم، موفراً جزاء على أعمالكم.

ثم أمره الله أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم، فقال: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية.

﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله، فهو من خيل الشيطان ورجله.

والمقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين، الداعي لهم إلى معصية الله، بأقواله وأفعاله.

﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم، من منع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة، وعدم تأديب الأولاد وتربيتهم على الخير وتسرك الشر، وأخذ الأموال بغير حقها، أو وضعها بغير حقها، أو استعمال المكاسب الردية.

بل ذكر كثير من الفسرين، أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد، ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك، شارك فيه الشيطان، كما ورد فيه الحديث.

﴿وعدهم ﴾ الوعود (١١) المزخرفة التي لا حقيقة لها، ولهذا قال: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ أي: باطلاً مضمحلاً، كأن يزين لهم المعاصي والعقائد الفاسدة، ويعدهم عليها الأجر، لأنهم يظنون أنهم على الحق، وقال تعلى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ﴾.

ولما أخبر عما يريد الشيطان أن يفعل بالعباد، وذكر ما يعتصم به من فتنته، وهو عبودية الله، والقيام بالإيمان والتوكل، فقال:

و إن عبادي ليس لك عليه مسلطان أي : تسلط وإغواء، بل الله يدفع عنهم بقيامهم بعبوديته كل شر، ويحفظهم من الشيطان الرجيم، ويقوم بكفايتهم. ﴿وكفى بربك وكبلا﴾ لمن توكل عليه، وأدى ما أمر به به المدادة المدا

﴿٦٦ - ٦٦﴾ ﴿ربّكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنّه كان بكم رحيماً * وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً * أفأمنتم أن يخسف

قَالَكُوْلِ هَانَ أَوْسِيدًا ۞ أَوْسَلَمُ الْكِيْلُ صُدُورِكُونَ مُسَكِنُو مُسُورِكُونَ مِسْكِهُ وَمُسْكِنُو مِسْكُونِ مُسْكُونِ مُسْكُونِ مُسْكُونِ مُسْكُونِ مُسْكُونِ مُسْكُونِ مُسْكُونِ مُسْكَالًا اللّهِ مَا مَسْكُونُ مِسْكُونِ مُسْكَالًا اللّهِ مِنْ المَسْكُونِ وَمَا اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ ا

TO THE TAY BONDED

بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلا * أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم تعلى نعمته على العباد، بما سخر لهم من الفلك، والسفن والمراكب، والسفن والمراكب، والمهمم كيفية صنعتها، وسخر لها البحر الملتطم، يحملها على ظهره، لينتفع العباد بها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة. وهذا من رحمته بعباده، فإنه لم يزل بهم رحيماً رؤوفاً، يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم.

ومن رحمته الدالة على أنه وحده المعبود دون ما سواه، أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج، ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من الأحياء والأموات، فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات كشف الضر، وصرخوا بدعوة فاطر الأرض والسماوات الذي تستغيث به وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه وأخلل.

فلماكشف الله عنهم الضر،

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرِسِلَ الْآنِكِ الْآنَ كَذَبَ بِهَا الْوَّلُونُ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ الْآنِكِ الْآنَ كَذَبَ بِهَا الْوَّلُونُ وَمَا مُرْسِلُ الْآنِكِ الْآنَ كَذَبَ بِهَا الْوَلُونُ اللّهِ الْمَنْكِ اللّهَ اللّهَ الْمَنْكَ الْآنَ مَنَكَ الْمَاكِ اللّهِ الْمَنْكَ الْآنَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا فُرَسِكُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا فُرِسُكُ اللّهُ ا

ونجاهم إلى البر، نسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل وأشركوا به، من لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع، وأعرضوا عن الإخلاص لربهم ومليكهم، وهذا من جهل الإنسان وكفره، فإن الإنسان كفور للنعم، إلا من هدى الله، فمن عليه بالعقل السليم، واهتدى إلى الصراط المستقيم، فإنه يعلم، أن الذي يكشف الشدائد، وينجي من الأهوال، هو الذي يستحق أن يفرد وتخلص له سائر الأعمال، في الشدة والرخاء، واليسر والعسر.

TORONO IN MORRED

وأما من خذل، ووكل إلى عقله الضعيف، فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة، وإنجاءه في تلك الحال.

فلما حصلت له النجاة، وزالت عنه المشقة، ظن بجهله أنه قد أعجز الله، ولم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنوية، فضلاً عن أمور الآخرة.

ولهذا ذكرهم الله ذلك بقوله: ﴿أَفَامَنتُم أَن يُحسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً﴾ أي: فهو على كل شيء قدير، إن شاء أنزل عليكم عذاباً، من أسفل منكم بالخسف، أو من فوقكم بالحاصب، وهو العذاب الذي يحصبهم، فيصبحوا هالكين، فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في

ابيعر. وإن ظننتم ذلك، فأنتم آمنون (١) من ﴿أن يعيدكم﴾ في البحر ﴿تارة أخرى فيرسل عليم قاصفاً من الريح﴾ أي: ريحاً شديدة جداً تقصف ما أتت عليه.

وفيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً أي: تبعة ومطالبة، فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة.

﴿٧٠﴾ ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً وهذا من كرمه عليهم وإحسانه، الذي لا يقادر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

وحملناهم في البرك على الركاب، من الإبل، والبخال، والحمير، والمراكب البرية. ﴿وَ فِي ﴿البحر ﴾ في السفن والمراكب ﴿ورزقناهم من الملكيل والمشارب، والمناكح. فما من طيب تتعلق به حواتجهم، إلا وقد أكرمهم الله به، ويسره لهم غاية التسير.

﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ بما خصهم به من المناقب، وفضلهم به من الفضائل، التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات.

أفلا يقومون بشكر من أولى النعم ودفع النقم، ولا تحجبهم النعم عن المنعم فيشتغلوا بها عن عبادة ربهم، بل ربما استعانوا بها على معاصيه.

﴿٧١ ـ ٧٧﴾ ﴿يبوم نبدعبوا كبل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون

فتيلاً * ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا كيبر تعلى عن حال الخلق يوم القيامة، وأنه يدعو كل أناس، معهم إمامهم وهاديهم إلى الرشد، وهم الرسل ونوابهم، فتعرض كل أمة، ويحضرها رسولهم الذي دعاهم، وتعرض أعمالهم على الكتاب الذي يدعو إليه الرسول، هل هي موافقة له أم لا؟ فينقسمون بهذا قسمين:

﴿ فمن أوي كتابه بيمينه ﴾ لكونه اتبع إمامه ، الهادي إلى صراط مستقيم ، واهتدى بكتابه ، فكثرت حسناته ، وقلت سيئاته ﴿ فأولئك يقرأون كتابهم ﴾ قراءة سرور وبهجة ، على ما يرون فيها عما يفرحهم ويسرهم .

﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾ مما عملوه من الحسنات.

﴿ومن كنان في هنده ﴾ الدنيا ﴿أعمى ﴾ عن الحق فلم يقبله، ولم ينقد له، بل اتبع الضلال. ﴿فهو في الآخرة أعمى ﴾ عن سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا، ﴿وأضل سبيلا ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان.

وفي هذه الآية دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها وكتابها، وهل عملت به أم لا؟

وأنهم لا يؤخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه، وأن الله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

وأن أهل الخير، يعطون كتبهم بأيمانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وأن أهل الشر بعكس ذلك، وأنهم لا يقدرون على قراءة كتبهم، من شدة غمهم وحزنهم وثبورهم.

٤٦٤`

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿وإن كــــــادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري عـلينـا غـيـره وإذاً لاتخـذوك خـليلاً * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجدلك علينا نصيراً * وإن كادوا ليستفرونك من الأرض ليخرجوك منها وإذأ لا يلبثون خلافك إلا قليلاً * سنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً﴾ يذكر تعالى منته على رسوله محمد ﷺ وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا) أي: قد كادوا لك أمراً لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله

﴿وإذا ﴾ لبو فعملت ما يهبوون ﴿لاتخذوك خليلا ﴾ أي: حبيباً صفياً ، أعز عليهم من أحبابهم ، لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأداب ، المحببة للقريب والبعيد، والصديق والعدو .

ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذوك العداوة، إلا للحق الذي جشت به، لا لذاتك، كما قال الله تعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾.

﴿و﴾ مع هذا ف ﴿لولا أن ثبتناك﴾ على الحق، وامتنا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا﴾ من كثرة المعالجة، ومحبتك لهدايتهم.

﴿إِذَا ﴾ لو ركنت إليهم بما يهوون ﴿لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أي: لأصبناك بعذاب مضاعف، في الدنيا والآخرة، وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال

معرفتك .

﴿ثم لا تجدلك علينا نصيراً ﴾ ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر، فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة.

﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ أي: من بغضهم لمقامك بين أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها.

ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلاً، حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة.

ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلاً، حتى أوقع الله بهم بـ «بدر» وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد.

وفي هذه الآيات، دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقاً لربه، أن يثبته على الإيمان، ساعياً في كل سبب موصل إلى ذلك، لأن النبي على وهو أكمل الخلق، قال الله له:

﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً فكيف بغيره؟!! وفيها تذكير الله لرسوله مِنْته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يجب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم عند وجود أسباب الشر بالعصمة منه، والثبات على الإيمان.

وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل ـ وحاشاه من ذلك _ بقوله:

وَإِذَا سَنَكُو ٱلصُّرُ فِي ٱلْبَحْرِضَلَ مَن يَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَا يَعَلَّمُ إِلَى ٱلْبَرِ أَعْضَتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ كَعُورًا ۞ أَفَأَمِنتُ مَأَن يَخْسِفَ بِكُرْجَانِ ٱلْبَرِ أَوْيُرْسِلَ عَلَيْكُ مْحَاصِ الْعُرَّ لَا غَيدُواْ الْكُرُورَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيوِتَارَةُ أُخْرَىٰ فَيْرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ ٱلرِّبِحِ فَيُغْرِقِكُمْ عَا كَفَرْتُذُنُّ لَا يَحِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِعِينَيْعًا ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرُواَ لَبَحْرِوَ وَوَفَعْهُمُونَ ٱلطَّيَبَاتِ وَفَضَّلْنَا ثُمُّ عَلَى كَثِيرِ مُنَ خَلَقْنَا ٱلقَّصِيلَا ۞ تَوْمَ نَدْعُواكُلُ أَنَاسِ بِإِمَامِيمَ لَمَنْ أُونِيَ كِلْلَهُ بِيَمِيمِ فَأَوْلَكَ يَقْرَءُونَ كِتَلِكُمُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَيْلًا ۞ وَمَن كَانَ فِي هَلنِويَةَ أَعْمَافَهُوفِ ٱلْآخِرَ وَأَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿ وَلِنَّامُوا لَيْفَيْنُونِكَ عَنِ ٱلَّذِيَّ أَوْحَيْنَ إِلَيْكَ لِنَفْتَرِي عَلَيْنَ اغْيَرَةً وَلِذَا لَآخَمَنُ وَلِوَ خَلِيهُ لَا ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَنْنَكَ لَقَدْ كِنتَ رَحَنُ إِلَيْهِ رَشَيْنَا قَلِيلًا ﴿ إِذَا لَّأَذَ قُتُكَ مِنعَفَ ٱلْحَيَوْةِ وَضِعْفَ لَلْمَاتِ ثُرَّلَا يَجَدُلُكَ عَلَيْنَ انْصِيرًا ۞ TO THE TOTAL OF THE PARTY OF TH

﴿إِذَا لأَذْقِناكُ ضَعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾.

وفيها: أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله، فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم.

﴿٨٧ ـ ١٨﴾ ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر كان مشهوداً * ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً عموداً * وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني غرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً * كان زهوقاً ﴾ يأمر تعالى نبيه عمداً كلي بإقامة الصلاة تامة ، ظاهراً وباطناً ، في أوقاتها إلى الأفق الغربي بعد الزوال ، ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال ، في فيدخل في ذلك صلاة الظهر وصلاة العص .

﴿ إلى غسق الليل ﴾ أي: ظلمته، فدخل في ذلك صلاة المغرب وصلاة العشاء. ﴿ وقرآن الفجر ﴾ أي: صلاة الفجر، وسميت قرآناً، لمشروعية إطالة القراءة فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة حيث يشهدها الله، وملائكة

وَإِن كَادُواْ لِتَسْتَغِزُونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُولِكَ مِنْهَا وَلِذَا لَا يَلْبَتُونَ خِلَفَكَ إِلَّاقِلِيلًا ۞ شُنَّةً مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَتَلَكَ مِن دُسُلِنَ أَوَلَا تَحِدُ لِسُنَيْنَا تَخِرِيلًا ۞ أَوْالْسَاؤَةَ الْإِ لِدُلُولِكِ الشَّمَيْنِ إِلَى عَسَى الَّيْلِ وَقُرْوَاتِ الْفَحِرُّ إِنَّ مُّوَالَ ٱلْفَجْرِكَانَ مَشْهُودًا ﴿ وَمِنَ الْيَلَ فَنَهَجَدْ بِهِ مَا فِلَةً لِّكَ عَسَى آن يَبْعَثَكَ رَبُّكِ مَقَامًا تَحْمُودًا ۞ وَقُل زَبِ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقِ وَأَخْرِخِي مُخْزَعَ صِدْقِ وَلْجَعَل لِيُ مِن لَدُنكَ سُلُطُكُنَا نَصِيرًا ۞ وَقُلْ حِكَآةِ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْنَطِلُ إِنَّ ٱلْنَطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿ وَتُنَزِّلُ مِنَ الْعُرَّةِ إِن مَاهُوَشِفَآةً وَدَوْمَةً لِلْتُؤْمِنِينُ وَلَا يَزِيدُ الظَّلِلِينَ إِلَّاخَسَارًا ٥ وَإِذَا أَنْعَنْنَاعَلَ ٱلْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَعَايِعَائِيقِيعَ إِنْ اَمَنَتُهُ الشَّرِّكَ انْ يَعُوسًا ﴿ قُلْكُلُ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَاهِ وَوَلَكُمُ أَعْلَرْ بِمَنْ هُوَأَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَيِ ٱلرُّوحِ عَلَم ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِدَ فِي وَمَّا أُوتِيتُ مِينَ ٱلْمِلْدِ إِلْاَفِلِ كَلا وَلَيْنَ شِعْنَا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِيَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُرُّلا يَعِدُلْكَ بِدِي عَلَيْنَا وَكِيلًا ۞ TOWNS IN LONGED

الليل وملائكة النهار .

ففي هذه الآية، ذكر الأوقات الخمسة، للصلوات المكتوبات، وأن الصلوات الموقعة فيها فرائض، لتخصيصها بالأمر.

وفيها: أن الوقت شرط لصحة الصلاة، وأنه سبب لوجوبها، لأن الله أمر بإقامتها لهذه الأوقات.

وأن الظهر والعصر يجمعان، والمغرب والعشاء كذلك، للعذر، لأن الله جمع وقتهما جمعاً.

وفيه: فضيلة صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القراءة فيها وأن القراءة فيها ركن، لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها، دل على فرضية ذلك.

وقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ أي: صل به في سائر أوقاته. ﴿نافلة لك أي: لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر، ورفع الدرجات، بخلاف غيرك، فإنها تكون كفارة لسئاته.

ويحتمل أن يكون المعنى: أن الصلوات الخمس فرض عليك وعلى المؤمنين، بخلاف صلاة الليل، فإنها فرض عليك بالخصوص، لكرامتك على الله، أن جعل وظيفتك أكثر من

غيرك، وليكثر ثوابك، وتنال بذلك المقام المحمود، وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، مقام الشفاعة العظمى، حين يستشفع الخلائق بآدم، عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم، ليريحهم الله من هم الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيمه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الخلق.

وقوله: ﴿وقل رَبِ أَدْخَلْنِي مَدْخُلُ صدق وأخرجني مخرج صدق﴾ أي: اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقة الأمر. ﴿وراجعل لي من للذلك سلطاناً

روبعس ي من منات معمل نصيراً ﴾ أي: حجة ظاهرة، وبرهاناً قاطعاً على جميع ما آتيه وأذره.

وهذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها خيراً، ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له على كل حالة من أحواله دليلاً ظاهراً، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، للعلم بالمسائل والدلائل.

وقوله: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ والحق هو ما أوحاه الله إلى رسوله محمدﷺ ، فأمره الله أن يقول ويعلن، قد جاء الحق الذي لا يقوم له شيء، وزهق الباطل أي: أضمحل وتلاث

﴿إِنَّ الباطل كان زهوقاً﴾ أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا لم يقابله الحق، فعند بجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى

ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيناته.

﴿ ٨٢﴾ وقوله: ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل

أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المسدقين بآياته، العالمين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارا، إذ به تقوم عليهم الججة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيتىء، والقصود السيئة(١).

فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من الامها وأسقامها.

وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل.

﴿ ٨٣﴾ ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشركان يووساً ﴾ هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من هذاه الله، فإن الإنسان عند إنعام الله عليه _يفرح بالنعم ويبطر بها، ويعرض وينأى بجانبه عن ربه، فلا يشكره ولا يذكره.

﴿وَإِذَا مِسهُ الشر﴾ كالمرض ونحوه ﴿كَانَ يُؤْساً﴾ من الخير، قد قطع عن ربه رجاءه، وظن أن ما هو فيه دائم أبداً.

وأما من هداه الله، فإنه عناد النعم يخضع لربه، ويشكر نعمته وعند الضراء يتضرع، ويرجو من الله عافيته، وإزالة ما وقع فيه، وبذلك يخف عليه البلاء.

﴿ ٤٤﴾ ﴿ قل كلَّ يعمل على شاكلته فربَكم أعلم بمن هو أهدى سلبيلا﴾ أي: ﴿ قل كل ﴾ من الناس ﴿ يعمل على شاكلته ﴾ أي: على ما يليق به من الأحوال، إن كان من الصفوة الأبرار، لم يشاكلهم إلا عملهم لرب العالمين. ومن كان من غيرهم من المخذولين، لم يناسبهم إلا العمل للمخلوقين، ولم

يوافقهم إلا ما وافق أغراضهم.

﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ فيعلم من يصلح للهداية، فيهديه، ومن لا يصلح لها فيخذله ولا يهديه.

﴿ ٨٥﴾ ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴿ وهذا متضمن لردع من يسأل المسائل، التي لا يقصد بها إلا التعنت والتعجيز، ويدع السؤال عن المهم، فيسألون عن الروح التي هي من الأمور الخفية، التي لا يتقن وصفها وكيفيتها كل أحد، وهم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد.

ولهذا أمر الله رسوله أن يجيب سؤالهم بقوله: ﴿قُلُ الروح من أمر ربي ﴾ أي: من جملة مخلوقاته، التي أمرها أن تكون فكانت، فليس في السؤال عنها كبير فائدة، مع عدم علمكم بغيرها.

وفي هذه الآية دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر، الأولى بالسائل غيره أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

﴿ ٨٦ - ٨٩ ﴿ وَلَنْ شَنْنَا لَنَدْهَبِنَ بِالذِي أُوحِينَا إليك ثم لا تجدلك به علينا وكيلاً * إلا رحمةً من ربك إنّ فضله كان عليك كبيراً ﴾ يخبر تعالى أن القرآن والوحي الذي أوحاه إلى رسوله، رحمة منه عليه وعلى عباده، وهو أكبر النعم على الإطلاق على رسوله، فإن فضل الله عليه كبير، لا يقادر قدره.

فالذي تفضل به عليك، قادر على أن يذهب به، ثم لا تجد راداً يرده، ولا وكيلاً يتوجه عند الله فيه.

فَلْتَغْتبِطْ به، وتقرَّ به عينك، ولا يحزنك تكذيب المكذبين، واستهزاء الضالين، فإنهم عرضت عليهم أجلُ النعم، فردوها لهوانهم على الله وخذلانه لهم.

﴿٨٨﴾ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿ وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه.

ووقع كما أخبر الله، فإن دواعي أعدائه المكذبين به، متوفرة على رد ما جاء به بأي: وجه كان، وهم أهل اللسان والفصاحة، فلو كان عندهم أدنى تأهل وتمكن من ذلك لفعلوه.

فعلم بذلك، أنهم أذعنوا غاية الإذعان، طوعاً وكرهاً، وعجزوا عن معارضته.

وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الذي ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يسعسارض كسلام رب الأرض والسماوات، المطلع على سائر الخفيات، الذي له الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي له أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مداداً، والأشجار كلها أقلام، لنفد المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلمات الله.

فكما أنه ليس أحد من المخلوقين عائلاً لله في أوصافه فكلامه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد، فليس كمشله شيء، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله تبارك وتعالى.

فتباً لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق، وزعم أن محمداً ﷺ افتراه على الله واختلقه من نفسه.

اً الَّادَمْةُ مِن زَمَكُ إِنَ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۞ إِلَّا قُل لَّين ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَآنِينُ عَلَىٓ أَن يَأْتُواْ بِعْلِ هَٰذَا ٱلْقُرَانِ لَا يَأْتُونَ عِثْلِهِ وَلَوْكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا ۞ وَلَقَدْ صَرِّفَالِلْنَاسِ فِ هَلَا ٱلْفُرْءَانِ مِن كُلِّمَثَلِ فَأَيْرَأَ حِينَ ٱلنَّايِنِ إِلَّاكِ عُفُورًا ۞ وَقَالُواْ لَن نُوْمِنَ لَكَّ حَتَّىٰ مَفْجُرٌ لَنَامِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعًا ۞ أَوْتَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَخِيلِ عَينَبٍ فَفُخِرَالْأَنْهَارَخِلَالَهَانَفْجِيرًا ۞ أَوْتُشْقِطَ السَّمَّآةَ حَكَمًا زَعَمْتَ عَلَيْنَاكِسَفًا أَوْتَأْتِي ۚ إِلَّهُ وَٱلْلَيْ كَالْكَيْكَ فِبَيلًا ۞ أَوْيَكُونَ لَكَ يَشْتُ مِن ذُخْرُفِ أَوْتَرْقَ فِي الْمَسَمَّآءِ وَلَن نَوْيرِ ﴾ (وَيْكَ حَتَىٰ تُزَلِّ عَلَيْكَ الْحِيِّنْ الْفَرْوُهُ وَلَا سَجْمَانَ رَبِّ هَلْ حَكُنتُ إِلَّا بَشَرًا رُسُولًا ﴿ وَمَا مَنْعَ أَلْنَا مَنَانًا يُؤْمِنُوا إِذْ جَلَة مُواْلُهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُواْ أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا التَّسُولَا ﴿ قُلْزُوكَا اللهِ الْأَرْضِ مَلَيْكُمُ المَشُونَ مُطْلَبِينِينَ النَّزَلْنَاعَلَيْهِمِينَ السَّئِلَةِ مَلَكَازَسُولًا ۞ قُلْكَوَٰ إِلَّةٍ م المَهِيدُائِينِي وَيَسْكُمُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَ لِدِيدِ خِيرًا بَصِيرًا ۞ AND AND THE STREET

﴿٨٩ ـ ٩٦ ﴾ ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبي أكثر النَّاسِ إلاَّ كفوراً * وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفحر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ۞ قل كفي بالله شهيداً بيني وبينكم إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ يقول تعالى: ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل > أي: نوعنا فيه المواعظ والأمثال، وثنينا فيه المعاني التي يضطر إليها العباد، لأجل أن يتذكّروا ويتقوا، فلم يتذكر إلا القليل منهم، الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة، وأعانهم الله بتوفيقه، وأما أكثر الناس فأبوا إلا كفوراً لهذه النعمة التي هي أكبر من

جميع النعم، وجعلوا يتعنتون عليه [باقتراح](١) آيات غير آياته، يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة.

فيقولون لرسول الله ﷺ الذي أتى بهذا القرآن المستمل على كل برهان وآية: ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ أي: أنهاراً جارية.

﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب﴾ فتستغني بها عن المشي في الأسواق والذهاب والمجيء.

﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ﴾ أي: قطعاً من العذاب، ﴿ أَو تَأْنُ بِاللهُ والملائكة قبيلاً ﴾ أي: جيعاً، أو مقابلة ومعاينة، يشهدون لك بما جئت به.

﴿أُو يكون لك بيت من زخرف ﴾ أي: مزخرف بالذهب وغيره ﴿أُو ترقى في السماء ﴾ رقياً حسياً، ﴿و﴾ مع هذا فرلن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴾.

ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات، وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول رهم هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزهه فقال: ﴿قل سبحان ربي عما تقولون علواً كبيراً، وسبحانه أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة.

﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ ليس بيدي شيء من الأمر .

وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشراً.

وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشراً منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة .

فلو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين يثبتون على رؤية الملائكة والتلقي عنهم، ولنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ليمكنهم التلقى عنه.

﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ فمن شهادته لرسوله ما أيده به من المعجزات، وما أنزله عليه من الآيات، ونصره على من عاداه وناوأه.

فلو تقوَّل عليه بعض الأقاويل، لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين، فإنه خبير بصير، لا تخفى عليه من أحوال العباد خافية.

﴿ ٩٧ ـ ١٠٠ ﴾ ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميأ وبكمأ وصمأ مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاماً ورُفاتاً أإنّا لمبعوثون خلقاً جديداً * أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبي الظالمون إلا كفوراً * قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً﴾ يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده، فييسره لليسري ويجنبه العسري، فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله، فيخذله، ويكله إلى نفسه، فلا هادي له من دون الله، وليس له ولي ينصبره من عذاب الله، حين يحشرهم الله على وجوههم خزياً وإهانة، عمياً وبكماً،

لا يبصرون ولا ينطقون.

﴿مأواهم﴾ أي: مقرهم ودارهم ﴿جهنم﴾ التي جمعت كل هم وغم وعذاب.

﴿كلماخبت﴾ أي تهيأت للانطفاء ﴿ وزدناهم سعيراً ﴾ أي: سعرناها بهم لا يُفتَّر عنهم العذاب، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولم يظلمهم الله تعالى، بل جازاهم بما كفروا بآياته وأنكروا البعث الذي أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب وعجزوا ربهم وأنكروا تمام قدرته.

﴿وقالوا أإذا كنا عظاماً ورُفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ أي: لا يكون هذا لأنه في غاية البعد عند عقولهم الفارية

﴿أُولَمْ يَسَرُوا أَنَّ اللهُ السَّذِي خَسَلَتَ السماوات والأرض﴾ وهي أكبر من خلق الناس. ﴿قادر على أَن يَخَلَقَ مثلهم﴾ بلى، إنه على ذلك قدير.

﴿و﴾ لكنه قد ﴿جعل﴾ لذلك ﴿أجلاً لا ريب فيه﴾ ولا شك، وإلا فلو شاء لجاءهم به بغتة، ومع إقامته الحجج والأدلة على البعث.

﴿فَأْبِي الظَّالُونَ إِلَّا كَفُورَاَ﴾ ظلماً منهم وافتراء.

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد ولا تبيد. ﴿إِذَا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ أي: خشية أن ينفد ما تنفقون منه، مع أنه من المحال أن تنفد خزائن الله، ولكن الإنسان مطبوع على الشع والبخل.

﴿ ١٠١ _ ١٠١﴾ ﴿ ولقد آسينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذا جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً * قال لقد عسمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك با فرعون مثبوراً * فأراد أن يستفزهم با فرعون مثبوراً * فأراد أن يستفزهم

من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً * وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً أي: لست أيها الرسول المؤيد بالآيات، أول رسول كذبه الناس، فلقد أرسلنا قبلك موسى بن عمران الكليم، إلى فرعون وقومه، وآتيناه لاتسع آيات بينات كل واحدة منها تكفي لمن قصده اتباع الحق، كالحية، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والرجز، واللم، والرجز،

فإن شككت في شيء من ذلك ﴿فاسأُل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون﴾ مع هذه الآيات ﴿إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ .

ذ ﴿قال﴾ له موسى ﴿لقد علمت﴾ يا فرعون ﴿ما أنزل هؤلاء﴾ الآيات ﴿الآرض بصائر﴾ منه لعباده، فليس قولك هذا بالحقيقة، وإنما قلت ذلك ترويجاً على قومك، واستخفافاً لهم.

﴿وإِنِ لأَظْنك يا فرعون مثبوراً﴾ أي: ممقوتاً، ملقى في العذاب، لك الويل والذم واللعنة.

﴿فأراد﴾ فرعون ﴿أن يستفزهم من الأرض﴾ أن: يجليهم ويخرجهم منها. ﴿فأغرقناه ومن معه جيعاً﴾ وأورثنا بني إسرائيل أرضهم وديارهم.

ولهذا قال: ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جثنا بكم لفيفاً﴾ أي: جميعاً، ليجازي كل عامل بعمله.

﴿ ١٠٥﴾ ﴿ وبالحق أنزلناه بالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ أي: وبالحق أنزلنا هذا القرآن الكريم، لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم، ﴿ وبالحق نزل ﴾ أي: بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم ﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ﴾ من أطاع الله

بالثواب العاجل والآجل ﴿ونذيراً﴾ عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ويلزم من ذلك بيان ما بشر به وأنذر.

﴿١٠٩ ـ ١٠٩﴾ ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً * قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم غيرون للأدقان سجداً * لفعولاً * ويخرون للأدقان يبكون ويتولدهم خشوعاً﴾ أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقاً، فارقاً بين الهدى والضلال، والحق والباطل. ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه.

﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ أي: شيئاً فشيئاً، مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة.

﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ فإذ تبين أنه الحق، الذي لا شك فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه فه:

﴿قـل﴾: لمن كـنببه وأعرض عنه: ﴿آمنوابه أو لا تومنوا﴾ فليس شحاجة فيكم، ولستم بضاريه شيئاً، وإنما ضرر ذلك عليكم، فإن شعباداً غيركم، وهم الذين آتاهم الله العلم النافع: ﴿إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ أي: يتأثرون به غاية التأثر، ويخضعون له.

﴿ ويقولون سبحان ربنا ﴾ عما لا يليق بجلاله، عما نسبه إليه المشركون. ﴿ إِن كان وعد ربنا ﴾ بالبعث والجزاء بالأعمال ﴿ لمفعولا ﴾ لا خُلف فيه ولا شك.

﴿ويخـرون لــلأذقــان﴾ أي: عــلى وجوههم ﴿يبكون ويزيدهم﴾ القرآن ﴿خشوعاً﴾ .

وهؤلاء كالذين مَنَّ الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره، بمن آمن (۱) في وقت النبي ﷺ، وبعد ذلك.

CONTROL NEW TOWN وَيَاكُونَ أَوْلُكُهُ وَمَا تَحَقَّ زَلُ وَمَا أَنْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَيْشِرًا وَيَذِيرًا ۞ وَقُرْءَانَا فَوَقِنَهُ لِنَقْرَأُهُ عِلَى النَّاسِ عَلَى مُكُبِ وَزَّلْتُهُ تَرِيلًا ۞ قُلْ عَلِينُوا بِهِ يَأْوَلَا نُوْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُونُوا ٱلْمِلْرَينِ فَيْلِيمِ إِذَا يُسْلَى عَلَيْهِ مْ يَغِرُونَ لِلْأَذْقَانِ مُعَدًا ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِنَا إِن كَانَ وَعَدُرْمَنَا لَمُفْعُولًا ۞ وَيَغِرُونَ لِلأَذْفَاسِ بَهِكُونَ وَرَبِيدُهُرُ خُشُوعًا ﴿ فُل ادْعُوا اللّهَ أَوادْعُوا الرَّحْنَّ أَيّا مَا نَدْعُوا فَلَهُ ٱلأَسْمَاآةُ ٱلْحُسْنَةُ وَلَا تَعْمَرُ بِصِلَالِكَ وَلا تُعَافِتُهِ وَأَنْفِعُ بَيْرَ ذَاكَ سَبِيلًا ۞ وَقُل ٱلْحَمْدُ لِمَهِ ٱلَّذِى لَرَيَّكَ فِذَ وَلَمَا وَلَرْ يَكُلُ لَهُ سَمِكُ فَالْكُلُكِ وَلَوْ يَكُونَ لَهُ وَلَيْ مِنَ الذُّلُّ وَكَيْرُهُ مَكْمِلًا ١ الْحَمْدُ يَعِوالَّذِي أَنْلَ عَلَى عَبْدِوالْكِتْبُ وَلَيْجُعُلِلْهُ عِيمًا ٥ لل قِتَا لِنُذِرَ بَأْسًا شَكِيمًا مِن لَدُنْهُ وَيُسِقِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ المَّنْ المَنْ المُنْ المَنْ المُنْ المَنْ المُنْ الْمُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ الْمُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ الْمُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ الْمُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ الْمُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ الْمُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ المُنْ الْمُنْ المُنْ المُنْ المُنْ الْمُنْ الْمُ إلى فِيهِ أَبِنَا ۞ وَيُنذِ زَالَّذِينَ قَالُوا أَخَّذَ ٱللَّهُ وَلَـمًا ۞ TO DE TOTAL TIL DE COMO DE COM

(۱۱۰ – ۱۱۱) ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الله أو ادعوا الرّحن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك الملك ولم يكن له وي من الذل وكبره الملك ولم يحراً ﴾ يقول تعالى لعباده: تكبيراً ﴾ يقول تعالى لعباده: أيما الله أو ادعوا الرحن ﴾ أي: أيما التعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ أي: ليس له اسم غير أين اسم دعو تموه به، حصل به حسن، حتى ينهى عن دعائه به، بل المقصود، والذي ينبغي أن يدعى في كل مطلوب، بما يناسب ذلك الاسم.

﴿ولا تجهر بسصلاتك أي: قراءتك ﴿ولا تخافت بها ﴾ فإن في كل من الأمرين عذوراً. أما الجهر، فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبوه، وسبوا من جاء به.

وأما المخافتة، فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء. ﴿وَالِمِعْمُ بِينَ الْحِهْرِ وَالْإِخْفَاتَ ﴿سِيلا﴾ أي: توسط فيما سنهما.

﴿ وقل الحمد لله الذي ﴾ له الكمال والشناء والحمد والمجدمن جميع الوجوه، المنزه عن كل أفة ونقص.

مَّا لَمُدِيدِ مِنْ عِلْمِ وَلَا لِآبَ آبِهُ مْ كَبُرَتْ كَيْرَةُ مَا لَمَّةً تَخْدُمُ مِنْ أَفْوَهِهِمُّ إِن يَقُولُونَ إِلَّاكَذِبًا ۞ فَلَعَلَّكَ بَنْخِمُّ فَفَسكَ عَلَنَّ النَّزِهِمُ إِن لِّرَقُومِنُوا بِهَا ذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۞ إنَّا بحكنا ماعلى الأنض ذبكة لمكا لتشاكحه وأفع أفعر أخساء عَمَلًا ۞ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَاعَلَتَهَاصَعِيدًا جُرُولَ۞ أَمْرِ حَسِيْتَ أَنَّ أَصْحَكَ ٱلْكُفِفِ وَٱلَّقِيمِ كَاذُامِزْ وَٱلنَّا عَبًّا ۞ إِذْ أَنِي ٱلْمِنْيَةُ إِلَّ ٱلْكُمْفِ فَقَالُواْرَيْنَا ءَايْنَا مِن أَدُنكَ رَحْمَةً وَهَيَّ لَتَامِنْ أَمْرِيَا رَشَكَا ۞ فَضَرَيْنَاعَلَرُ ءَاذَانِهِدَفِ ٱلْكُهْفِ سِينِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَشْتُهُمُ لِنَعْلَمَ أَيُّ آنِيزِيزِ أَحْصَىٰ لِمَا لِيَثُوا أَمَدًا ۞ غَنُ نَقُصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِأَنْحَقُّ إِنَّهُمْ فِينَيُّ عَامَنُواْ يَرْبَهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدَى ﴿ وَزَمَّلْنَا عَلَ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَسَامُواْ فَقِسَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَنعُوَاٰ مِن دُونِهِ إِلَهُما لَقَدْ قُلْنَ ٓ إِذَا شَطَطًا ۞ عَلَوُلَآ ۗ قَوْمُنَا ٱثَّخَـٰذُواْمِن دُونِيةٍ وَالْهِكُّةُ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانِ بَيْنِ فَمَنْ أَظْلَرُمِ مِنَ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبا ١

﴿الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك بل الملك كله شه الواحد القهار، فالعالم العلوي والسفلي، كلهم عملوكون ش، ليس لأحد من الملك شيء.

﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ أي:

لا يتولى أحداً من خلقه ليتعزز به
ويعاونه، فإنه الغني الحميد، الذي
لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات، في
الأرض ولا في السماوات، ولكنه
يتخذ أولياء إحساناً منه إليهم ورحة بهم

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

﴿وكبره تكبيراً ﴾ أي: عظمه وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه، بأسمائه الحسنى، وبتمجيده بأفعاله المقدسة، وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

تم تفسير سورة الإسراء ولله الحمد والمنة والثناء الحسن على يد جامعه عبد الرحن ابن نـاصر بن عبد الله بن سعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على عمد وسلم تسليماً وذلك في ٧ جمادي الأولى ١٣٤٤.

المجلد الخامس من تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المشان لجامعه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر المعلي(".

تفسير سورة الكهف وهي مكيسة

(١ - ٢) ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً * قيماً لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً * ماكثين فيه أبداً * وينذر

الذين قالوا اتخذ الله ولداً * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا * فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ الحمد لله هو الثناء عليه بصفاته، التي هي كلها صفات كمال، وينعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وأجل نعمه على الإطلاق، إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله، محمد ﷺ فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم، ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيمٌ مستقيم، فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة يقتضى أنه لا يخبر ولا يأمر إلا بأجل الإخبارات، وهي الأخبار،

التي تملأ القلوب معرفة وإيماناً وعقلاً،

كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله،

ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن

أوامره ونواهيه تنزكى النفوس،

(١) كان الشيخ - رحمه الله - قد طلب في ٢٩١ / ١٣٧٤ من الشيخ محمد نصيف - رحمه الله - أن يختار من يتولى طباعة خمسة الآف نسخة من المجلد الخامس من التفسير، وذكر محب الدين الخطيب والشيخ حامد الفقي - رحمهما الله - فبعث الشيخ محمد نصيف - رحمه الله - بالكتاب إلى الأستاذ: محب الدين الخطيب لطباعته، وطبع بالفعل عام ١٣٧٥ه، وقد جعل الشيخ - رحمه الله - لهذا الجزء مقدمة، واتبعه بخاتمة فيها أصول وكليات من أصول وكليات التفسير، وهذه هي مقدمة الشيخ لهذا الجزء، وأما الخاتمة فقد جعلتها في آخر التفسير، قال - رحمه الله -:

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وأصلي وأسلم على محمد وآله وصحبه. أما بعد فلما كان علم التفسير للقرآن أشرف العلوم على الإطلاق وأهمها وأحقها بتحقيق معانيه وفهم مبانيه، لكونه تنزيلاً من حكيم حميد أنزله هدى ورحمة للعباد وتبياناً لكل شيء وتفصيلاً لكل ما يحتاجونه في دينهم ودنياهم وأخراهم، وكان من خاصة علم القرآن أن فهم بعضه وطائفة منه يعين على فهم جميعه، لأن القرآن من أوله إلى آخره يدور على تقرير الأصول النافعة والحقائق والشرائع الكبار والأحكام الحسنة والعقائد الصحيحة، ويوجه العباد إلى كل خير ويحذرهم من كل شر، ويعيد تقرير هذه الأمور ويبديها بأساليب متنوعة وتصاريف مناسبة في غاية اليسر والسهولة والإحكام والحسن الذي لا مزيد عليه. وقد تكرر علي السؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه وألحوا لما يرونه من الفائدة الكبيرة، فاعتذرت بأن ذلك يصعب جداً لأنه مبسوط، وأيضاً في هذه الأوقات قلت رغبات الناس في الكتب المطولة، لذلك أحببت إجابتهم لنشر بعض ما طلبوا وهو الاقتصار على جزء واحد من أجزاء هذا التفسير، ووقع الاختيار على الجزء الأوسط من سورة الكهف إلى آخر النمل، فما لا يحصل جميعه لا يترك جميعه. وأرجو الله وأسأله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه، نافعاً لن ولإخواننا، وأن يمدنا بعونه وعنايته وتوفيقه إنه جواد كريم رءوف رحيم. وأتبعته بكليات وأصول من كليات التفسير لاستدراك ما لعله يفوت القارىء في غير هذا الجزء، فإن الأصول والكليات تبنى عليها الفروع والجزئيات، ويحصل بها من النفع والفائدة على اختصارها ما لا يحصل في الكلام الطويل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وتطهرها وتنميها وتكملها، لاشتمالها

على كمال العدل والقسط،

والإخلاص، والعبودية لله رب

العالمين وحده لا شريك له. وحقيق

بكتاب موصوف بما ذكر، أن يحمد الله

نفسه على إنزاله، وأن يتمدح إلى عباده

وقوله: ﴿لينذر بأساً شديداً من

لدنه ﴾ أي: لينذر جذا القرآن الكريم،

عقابه الذي عنده، أي: قدره وقضاه،

على من خالف أمره، وهذا يشمل

عقاب الدنيا وعقاب الآخرة، وهذا

أيضاً من نعمه، أن خوف عباده،

كما قال تعالى ـ لما ذكر في هذا

القرآن وصف النار _قال: ﴿ ذلك

يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون﴾.

فمن رحمته بعباده، أن قيض العقوبات

الغليظة على من خالف أمره، وبينها

لهم، وبين لهم الأسباب الموصلة

ويبشر المؤمنين الذين يعملون

الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ أي:

وأنزل الله على عبده الكتاب، ليبشر

المؤمنين به، وبرسله، وكتبه، الذين

كمل إيمانهم، فأوجب لهم عمل

الصالحات، وهي الأعمال الصالحة،

من واجب ومستحب، التي جمعت

الإخلاص والمتابعة، ﴿أَنْ لَهُم أَجِواً

حسناً ﴾ وهو الثواب الذي رتبه الله على

الإيمان والعمل الصالح، وأعظمه

وأجله، الفوز برضا الله ودخول

الجنة، التي فيها ما لا عين رأت،

ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

بشر. وفي وصفه بالحسن، دلالة على

أنه لا مكدر فيه ولا منغص بوجه من

النوجوه، إذ لنو وجد فيه شيء من

ذلك، لم يكن حسنه تاماً، ومع ذلك

فهذا الأجر الحسن ﴿ماكثين فيه أبداً﴾

لا يزول عنهم، ولا يزولون عنه، بل

نعیمهم فی کل وقت متزاید، وفی ذکر

التبشير ما يقتضى ذكر الأعمال الموجبة

وأنذرهم ما يضرهم ويهلكهم.

للمبشربه، وهو أن هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل صالح، موصل لما تستبشر به النفوس، وتفرح به الأرواح. ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾

من اليهود والنصاري والمشركين، الذين قالوا هذه المقالة الشنيعة، فإنهم لم يقولوها عن علم و[لا] يقين، لا علم منهم، ولا علم من آباتهم الذين قلدوهم واتبعوهم، بل إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم اي: عظمت شناعتها واشتدت عقوبتها، وأي: شناعة أعظم من وصفه بالاتخاذ للولد(١) الذي يقتضى نقصه، ومشاركة غيره له في خصائص الربوبية والإلهية، والكذب عليه؟!! ﴿فمن أظلم بمن افترى على الله كذبا﴾ ولهذا قال هنا: ﴿إِن يقولُونَ إِلَّا كَذَبا ﴾ أي: كذباً محضاً ما فيه من الصدق شيء، وتأمل كيف أبطل هذا القول بالتدريج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولاً: أنه ﴿ما لهم به من علم ولا لأبائهم ﴾ والـقــول عــلَّى اللهُ بلا علم، لا شك في منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانياً، أنه قول قبيح شنيع فقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم) ثم ذكر ثالثاً مرتبته من

القبح، وأهو الكذب المنافي للصدق. ولماكان النبى على حريصاً على هداية الخلق، سأعياً في ذلك أعظم السعى، فكان على يفرح ويسر جداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لعلك باخع نفسكَ أن لا يمكونوا مؤمنين ﴿ وقال: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وهنا قال ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ أي: مهلكها غماً وأسفاً عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو

CONTRACTOR OF STREET المُ وَلِذَا عَتَرَ لَتُمُوهُمْ وَمَا تَعْمُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْ اللَّهَ الْحَهْفِ المُنْ الْكُورَةُ وَمُ مِن زَحْمَةِ مِن وَعُمَةِ فَالْكُومِ مِنْ أَمْرِكُم المِينَفَقَالَ • وَرَّبَي الشَّنسَ إِذَا طَلَّقت تَّزَّ وَرُعَن كَفِيهِمْ المَّا وَاتَ ٱلْمَدِينِ وَإِذَا عَرَبَتِ فَشْرِضُهُم ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَمُرْفِ خَوْرَ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَلِنْتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ اللَّهُ مَدَّ وَمَن يُضِلِلْ اللهُ عَلَى يَجِدَلَهُ وَلِنَامُ مِنْ دُا ۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْفَاظُا وَمُرْدُقُودٌ * وَثُعَلِبُهُ مُذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِّ وَكَلْبُهُ مَلِيطً الإراعيه بالوصية لواظلفت عليه م لوليت منهم فِمَالَا وَلَمُلِنْتَ مِنْهُمْ رَعْبًا ۞ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمُ إلى يَسْتَ الْمُانِينَةُ مُ قَالَ قَابِلُ مِنْهُ مُحَمَّمُ الشُّرُّةُ الْمُالِكُنَا ﴾ يَوْمًا أَوْيَةَ ضَرَيْوَمُ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعَلَرُمِنَا لِشَنَّهُ فَابْعَثُواْ التَكُم بَرَرِقِكُمُ مَا ذِوة إِلَّى ٱلْدِينَ فِي فَلْنَظُرَأَيُّهُمَّا المُنْ الْمُعَامَا مُلْكَأَيْكُم بِرِزْفِ مِنْهُ وَلَيْتَ كَثَلْفَ المُ وَلا يُشْمِرَكَ بِكُمْ أَحَدًا ﴿ إِنَّهُمُ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمُ يَنْ جُمُوكُمُ أَوْيُمِيدُ وَكُرُ فِي لِيَتِعِدُ وَلَنْ تُغْلِحُوا إِذَا أَبِدًا ۞

A DESCRIPTION OF THE PROPERTY علم الله فيهم خيراً لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غماً وأسفاً عليهم، ليس فيه فائدة لك. وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعى بكل سبب يوصل إلى السداية، وسدطرق البضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونِعْمَتْ، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مُضْعِفُ للنفس، هادم للقوى، ليس له فيه فائدة، بل يمضى على فعله الذي كُلُفَ به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبى على يقير يقول الله له: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ﴾ وموسى عليه السلام يقول: ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ الآية، فمن عداهم، من باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿فَذَكِّر إِنَّمَا أَنْتَ مَذَكِّر * لَسَتَ عَلَيْهُمْ بمسيطرا.

(٧-٧) ﴿إِنَاجِعِلْنَامَا عَلَى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً * وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ﴾ يخبر تعالى: أنه جعل جميع ما على وجه الأرض، من مآكل لذيذة، ومشارب، ومساكن (۲) طيبة،

كذا في ب، وفي أ: الولد.

CONTROL A BENEFICE إِلَى وَكَنَاكِ أَعَنُنَا عَلَيْهِ مِلْيَعْ لَهُوا أَنَّ وَعْدَاللَّهُ مَدُّ وَإِلَّا السَّاعَةُ لَازْبَ فِيهَا إِذْ يُتَنَّازَعُونَ بِمُنْتَهُمْ أَمْرَهُمُّ فَقَالُواْ أَبْوَاعَلَيْهِ مُنْكِنَّا زَبْهُمُ أَعَلَمُهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَيْهُ اعْلَا أَمْ هِيرَ لَنَتَعِذَكَ عَلَيْهِ مَسْجِدًا ۞ سَكَقُولُونَ ثَلَاثَةً وَابِعُهُ ذَكَانُهُ مُ وَتَقُولُونَ خَسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْهُمُ رَجْمًا بِٱلْفَيْبُ وَيَقُولُونَ سَبِعَةً وَأَلِمِنُهُمْ كَلَهُمْ قُل نَهُ أَعَلَرُهِ مِنْ تِعِدِ مَا يَعْلَمُهُ ذِلَّا فَلِيلٌ فَلَاتُ مَا رِفِيهِ دِ إِلَّا مِنَّهُ طَلِهِ رَا وَلَاتَتَ تَفْتِ فِيهِ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿ وَلَا نَقُولُ لَيْسَاءُهُ إِنِّ فَاعِلُّ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَن يَشَآهُ اللَّهُ وَاذَكُم زَّنَاكَ إِذَا نَسِيتُ وَقُلْ عَسَى آَن يَهْدِينِ رَبِي لِأَفْرَبَ مِنْ هَلَذَا رَشَكُ ا ٥ وَلَيْتُواْفِ كَمْفِوْمِرْ ثَلَكَ مِأْتُوْسِنِينَ وَأَزْدَادُواْتِمْعًا ٥ قُرِالْمَتَ أَعْلَمُ عَالِمَ قُولَا لَهُ عَنْبَ السَّنَوَتِ وَالْأَصْ أَبْصِرْ بِهِ، وَأَسْمِعْ مَالَهُ مِين دُونِيهِ ، مِن وَلِيُ وَلَا يُشْرِكُ في حُصِّيوة أَحَدًا ۞ وَأَتَلُ مَا أُوحِي إِلَيْكَ مِن كِمَاب المَيْكُ لَامْبَدِلَ لِكِمْدَيْنِهِ وَلَنْ يَعْدَين دُونِهِ مُلْتَحَدًا ١ TO DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، الجميع جعله الله زينة لهذه الدار، فتنة واختباراً. ﴿لنبلوهم أيهم أحسن عُملاً﴾ أي: اخلصه وأصوبه، ومع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات، فانية مضمحلة، وزائلة منقضية، وستعود الأرض صعيداً جرزاً قد ذهبت لذاتها، وانقطعت أنهارها، واندرست آثارها، وزال نعيمها، هذه حِقيقة الدنيا، قد جلاها الله لنا كأنها رأي عين، وحذرنا من الاغترار سا، ورغبنا في داريدوم نعيمها، ويسعد مقيمها، كل ذلك رحمة بنا، فاغترً بزخرف الدنيا وزينتها، من نظر إلى ظاهر الدنيا، دون باطنها، فصحبوا الدنيا صحبة البهائم، وتمتعوا بها تَمتُع السوائم، لا ينظرون في حق ربهم، ولا يهتمون لمعرفته، بل همهم تناول الشهوات، من أيّ وجه حصلت، وعلى أيِّ حالة اتفقت، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، وفوات لذاته، لا لما قدمت يداه من التفريط والسيئات.

وأما من نظر إلى باطن الدنيا، وعلم المقصود منها ومنه، فإنه تناول منها، ما يستعين به على ما خلق له، وانتهز الفرصة في عمره الشريف، فجعل

الدنيا منزل عبور، لا محل حبور، وشقة سفر، لا منزل إقامة، فبذل جهده في معرفة ربه، وتنفيذ أوامره، وإحسان العمل، فهذا بأحسن المنازل عند الله، وهو حقيق منه بكل كرامة ونعيم، وسرور وتكريم، فنظر إلى باطن الدنيا، حين نظر المختر إلى ظاهرها، وعمل لآخرته، حين عمل البطال لدنياه، فشتان ما بين الفريقين، وما أبعد الفرق بين الطائفتين!!

﴿٩ - ١٢ ﴾ ﴿أم حـــــــت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً * إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهييء لنا من أمرنا رشداً * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ وهذا الاستفهام بمعنى النفي والنهي. أي: لا تنظن أن قيصة أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها، فلم يزَّل الله يُري عباده من الآيات في الآفاق وفي انفسهم، ما يتبين به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وليس المراد بهذا النفي عن أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هي من أيات الله العجيبة، وإنما المراد، أن جنسها كثير جداً، فالوقوف معها وحدها، في مقام العبيب والاستغراب، نقص في العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلى التفكر فيها، فإنها مفتاح الإيمان، وطريق العلم والإيقان. وأضافهم إلى الكهف، الذي هو الغار في الجبل، والرقيم، أي: الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماؤهم وقصتهم، لملازمتهم له دهراً طويلاً، ثم ذكر قصتهم مجملة، وفصلها بعد ذلك فقال: ﴿إِذْ أُوى الفتية ﴾ أي: الشباب، ﴿إلى الكهف﴾ يريدون بذلك التحصن والتحرز من

فتنة قومهم لهم، ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ أي: تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير ﴿وهييء لنا من أمرنا رشداً ﴾ أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعى والفرار من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم، قال: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف♦ أي: أنمناهم ﴿سنين علداً) وهي ثلاث مئة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم، وليكون آية بينة، ﴿ثم

بعثناهم أي: من نومهم ﴿لنعلم الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً أي: الحزبين أحصى لمقدار مدتهم، كما النعلم أيهم أحصى لمقدار مدتهم ليساءلوا بينهم الآية، وفي العلم بمقدار لبثهم، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، فلو استمروا على نومهم، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك من قصتهم.

﴿ ١٤ ـ ١٤﴾ ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى * وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوأت والأرض لن ندعو من دونه إلْهاً لقد قلنا إذا شططاً ﴿ هذا شروع في تفصيل قصتهم، وأن الله يقصها على نبيه بالحق والصدق، الذي ما فيه شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ وهذا من جموع القلة، يدل ذلك على أنهم دون العشرة، ﴿آمنوا﴾ بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾.

﴿وربطناعلى قلوبهم﴾ أي: صبرناهم وتبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة، وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات، والطمأنينة.

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا فَأُووا رَبِنَا رَبُّ السموات والأرض﴾ أي: الذي خلقنا ورزقنا، ودبرنا وربانا، هو خالق السموات والأرض، المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة، لا تلك الأوثان والأصنام، التي لا تخلق ولا ترزق، ولا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية، ولهذا قالوا: ﴿ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهَا ﴾ أي: من سائر المخلوقات ﴿لقد قلنا إذاً ﴾ أي: إن دعونا معه آلهة، بعد ما علمنا أنه الرب الإله، الذي لا تجوز ولا تنبغي العبادة إلاله ﴿ شططاً ﴾ أي: ميلاً عظيماً عن الحق، وطريقاً بعيدة عن الصواب، فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والتزام ذلك، وبيان أنه الحق وما سواه باطل، وهذا دليل على كمال معرفتهم بربهم، وزيادة الهدى من الله

وه اله فهولاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم عمن افترى على الله كذباً لا كذروا ما من الله به عليهم من الإيمان ذكروا ما من الله به عليهم من الإيمان قومهم، من اتخاذ الآلهة من دون الله فمقتوهم، وبينوا أنهم ليسوا على يقين من أمرهم، بل هم في غاية الجهل والضلال فقالوا: فولولا يأتون عليهم بسلطان بين أي: بحجة وبرهان، ولا يستطيعون سبيلاً إلى ذلك، وإنما فلك افتراء منهم على الله وكذب عليه، وهذا أعظم الظلم، ولهذا قال: ففمن أطلم عن افترى على الله كذباً في .

﴿١٦﴾ ﴿وإذاعتزلتموهم وما

يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً ﴾ أي: قال بعضهم لبعض، إذ حصل لكم اعتزال قومكم في أجسامكم وأديانكم، فلم يبق إلا النجاء من شرهم، والتسبب بالأسباب المفضية لذلك، لأنهم لا سبيل لهم إلى قتالهم، ولا بقائهم (٢) بين أظهرهم، وهم على غير دينهم، ﴿فأووا إلى الكهف أي: انضموا إليه واختفوا فيه ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً ﴾ وفيما تقدم، أخبر أنهم دعوه بقولهم: ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهييء لنا من أمرنا رشداً ﴾ فجمعوا بين التبري من حولهم وقوتهم، والالتجاء إلى الله في صلاح أمرهم، ودعائه بذلك، وبين الثقة بالله أنه سيفعل ذلك، لا جرم أن الله نشر لهم من رحمته، وهيأ لهم من أمرهم مرفقاً، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من آياته على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن، ما هو من رحمته بهم، ويسر لهم كل سبب، حتى المحل الذي ناموا فيه، كان على غاية ما يمكن من الصيانة، ولهذا قال:

﴿۱۷ ـ ۱۸﴾ ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات ألشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً * وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ أي: حفظهم الله من الشمس فيسر لهم غاراً إذا طلعت الشمس تميل عنه يميناً، وعند غروبها تميل عنه شمالاً، فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها، ﴿وهم في فجوة منه ای: من الکهف أي: مكان متسع، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصاً مع طول

الكث، وذلك من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بهم، وإجابة دعائهم وهدايتهم حتى في هذه الأمور، ولهذا قال: ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ أي: لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله، فهو الهادي المرشد لمصالح الدارين، ﴿ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ في حسلاحه، ولا يرشده إلى الخير والفلاح، لأن الله قد حكم عله بالضلال، ولا راد لحكمه.

﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ أي: تحسبهم أيها الناظر إليهم [كأنهم](") أيسقناظ، والحيال أنهم نسيام، قيال المفسرون: وذلك لأن أعينهم منفتحة، لئلا تفسد، فالناظر إليهم يحسبهم أيقاظاً، وهم رقود، ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وهذا أيضاً من حفظه لأبدائهم، لأن الأرض من طبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدر الله، أنْ قَلَّبَهم على جنوبهم يميناً وشمالاً، بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، والله تعالى قادر على حفظهم من الأرض، من غير تقليب، ولكنه تعالى حكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بمسبباتها.

﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ أي: الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراسته، فكان باسطاً دراعيه بالوصيد، أي: الباب، أو فنائه، هذا حفظهم من الأرض. وأما حفظهم من الآدميين، فأخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره الله عليهم، فلو اطلع عليهم أحد، لامتلا قلبه رعباً، وولى منهم فراراً، وهذا الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة، وهم لم يعثر عليهم أحد، مع قربهم من المدينة جداً، والدليل على قربهم، أنهم لما استيقظوا، أرسلوا أحدهم يشتري لهم طعاماً من المدينة، وبقوا في انتظاره، فدل ذلك على شدة قربهم منها.

⁽١) في ب: والتقوى وهو تصحيف. (٢) في النسختين: ولا بقاؤهم.

﴿ ١٩ - ٢٠ ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائلٌ منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً ﴿ إنّهم إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن يضلحوا إذا أبداً ﴾ يقول تعالى: ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ أي: من نومهم الطويل ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ أي: الطويل ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ أي: لبنهم.

﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ وهذا مبني على ظن القائل، وكأنهم وقع عندهم أشتباه في طول مدتهم، فلهذاً ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم). فردوا العلم إلى المحيط علمه بكل شيء، جملة وتفصيلاً، ولعل الله تعالى _ بعد ذلك _ أطلعهم على مدة لبثهم، لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم، وأخبر أنهم تساءلوا، وتكلموا بمبلغ ما عندهم، وصار آخر أمرهم الاشتباه، فلا بدأن يكون قد أخبرهم يقيناً، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم، وأنه لا يفعل ذلك عبثاً. ومنّ رحمته بمن طلب علم الحقيقة فيع الأمور المطلوب علمها، وسعى لذلك ما أمكنه، فإن الله يوضح له ذلك، وبما ذكر فيما بعده من قوله: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴿ فلولا أنه حصل العلم بحالهم، لم يكونوا دليلاً على ما ذكر، ثم إنهم لما تساءلوا بينهم، وجرى منهم ما أخبر الله به، أرسلوا أحدهم بورقهم، أي: بالدراهم، التي كانت معهم، ليشتري لهم طعاماً يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها، وأمروه أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه وألذه، وأن يتلطف في ذهابه رشرائه وإيابه، وأن يختفي في ذلك، ويخفي حال إخوانه، ولا يستعرن بهم أحداً. وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم بين أمرين، إما

الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبداً، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم، وقد دلت هاتان الآيتان على عدة فوائد:

منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده.

ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.

ومنها: جواز أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله: ﴿فلينظر وخصوصاً إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك، لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بناولها.

ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين.

ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة، في دينهم، وتركهم أوطانهم في الله.

ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين والمتأخرين، لقولهم: ﴿ وَلَنْ تَفْلُحُوا إِذَا أَبِداً﴾

﴿٢١﴾ ﴿وكذلك أعشرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأنّ الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ يخبر الله تعالى، أنه

أطلع الناس على حال أهل الكهف، وذلكَ _ والله أعلم _ بعدما استيقظوا، وبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً، وأمروه بالاستخفاء والإخفاء، فأراد الله أمراً فيه صلاح للناس، وزيادة أجر لهم، وهو أنَّ الناس رأوا منهم آية من آيات الله، المشاهدة بالعيان، على أن وعد الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا بُعْد، بعدما كانوا يتنازعون بينهم أمرهم، فمن مثبت للوعد والجزاء، ومن ناف لذلك، فجعل قصتهم زيادة بصيرة ويقين للمؤمنين، وحجة على الجاحدين، وصار لهم أجر هذه القضية، وشهر الله أمرهم، ورفع قدرهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم.

و ﴿قالوا ابنوا عليهم بنياناً﴾ الله أعلم بحالهم ومآلهم، وقال من غلب على أمرهم، وهم الذين لهم الأمر:

ولنتخذن عليهم مسجداً أي: نعبد الله تعالى فيه، ونتذكر به أحوالهم، وما جرى لهم، وهذه الحالة عظورة، نهى عنها النبي على وذم فاعليها، ولا يدل ذكرها هنا على عدم ذمها، فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف والثناء عليهم، وأن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: ابنوا الكهف الشديد من قومهم، وحذرهم من الاطلاع عليهم، فوصلت الحال إلى ما ترى.

وفي هذه القصة، دليل على أن من فرَّ بدينه من الفتن سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله ومن أوى إلى الله، آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدّتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً

ولا تستفت فيهم منهم أحداً في يجبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف، اختلافاً صادراً عن رجمهم بالغيب، وتَقوُّلهم بما لا يعلمون، وأنهم فيهم على ثلاثة أقدال:

منهم: من يقول: ثلاثة، رابعهم كلبهم، وملهم من يقول: خسة، سادسهم كلبهم. وهذان القولان، ذكر الله بعدهما، أن هذا رجم منهم بالغيب، فدل على بطلانهما.

ومنهم من يقول: سبعة، وثامنهم كلبهم، وهذا _ والله أعلم _ الصواب، لأن الله أبطل الأولين ولم يبطله، فدل على صحته، وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته، ولا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس، دينية ولا دنيوية، ولهذا قال تعالى:

﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الاقليل وهم الذين أصابوا الصواب وعلموا إصابتهم. ﴿فلا تمار ﴾ أي: تجادل وتحاج ﴿فيهم إلا مراء ظاهرا ﴾ أي: مبنياً على العلم واليقين، ويكون أيضاً فيه فائدة، وأما المماراة المبنية على الجهل والرجم بالغيب، أو التي معانداً، أو تكن المسألة لا أهمية فيها، ولا تحصل فائدة دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإن في كثرة المناقشات فيها، والبحوث المتسلسلة، تضييعاً للزمان، وتأثيراً في مودة القلوب بغير فائدة.

﴿ولا تستفت فيهم ﴾ أي: في شأن أهل الكهف ﴿منهم ﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿أحداً ﴾ وذلك لأن مبنى كلامهم فيهم على الرجم بالغيب والظن، الذي لا يغني من الحق شيئاً، ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالى

بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه، وإذا نهي عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هـو عـن المفتوى، مـن بـاب أولى وأحرى.

وفي الآية أيضاً، دليل على أن الشخص، قد يكون منهياً عن استفتائه في شيء دون آخر. فيستفتى فيما هو أهل له، بخلاف غيره، لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقاً، إنما نهى عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها.

﴿ ٢٣ _ ٢٤ ﴾ ﴿ ولا تقولنَّ لشيء إني فاعل ذلك غداً * إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً ﴾ هذا النهى كغيره، وإن كان لسبب خاص وموجهاً للرسول ﷺ ، فإن الخطاب عام للمكلفين، فنهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلة: «إن فاعل ذلك» من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور، وهو: الكلام على الغيب المستقبل، الذي لا يدري هل يفعله أم لا؟ وهل يكون أم لا؟ وفيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالاً، وذلك محذور محظور، لأن المشيئة كلها لله ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين، ولما في ذكر مشيئة الله، من تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه، ولما كان العبد بشراً، لا بد أن يسهو(١) فيترك ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثنى بعد ذلك، إذا ذكر، ليحصل المطلوب، ويندفع المحذور، ويؤخذ من عموم قوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت ﴿ الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويُذَكِّر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكونن من الغافلين، ولما كان العبد مفتقراً إلى الله في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، أمره الله أن يقول: ﴿عسى أن يهدين ربي الأقرب من هذا رشداً ﴾

﴾ وَاصْدِنَفُكَ مَعَ الَّذِيكَ يَدْعُونَ رَبِّهُمْ بِالْفَدَوْ وَالْعَثِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَاتَعَدُ عَيْنَ الدَّعَنْهُ مُرَّبِدُ زِينَةَ ٱلْحِيَوْةِ ٱلدُّنْيَأُ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكِرِنَا وَأَبَّعَ هَوَلهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُهُا ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن زَنِكُمْ فَنَ شَاءَ فَلْيُوْمِن وَمَن شَاآة فَلْيَكُ فُرُّ إِنَّا أَغْتَدُنَا لِلظَّلِلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُعَاثُواْ بِمَآءِ كَالْهُلُ يَشْوِي ٱلْوُجُوةُ بِشْرَالثَّرَابُ وَسَآدَتْ مُرْتَفَقًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِيبَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِيحَتِ إِنَّا لَانْضِيعُ أَجْرَمَنْ أَحْسَنَ مَثَلًا ۞ أُوْلَتِهِكَ لَمُنْ جَنَّكُ عَدْنِ تَجْرِي مِن تَحْيِهِمُ ٱلْأَنْهَاكُ يُعَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِدَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَاسْتَبْرَقِ مُتَكِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَزَّ بِكِ يَعْمُ الْفَوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۞ وَأَضْرِبْ لَمُم مَّشَلَاتَحْلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّيْنِ مِنْ أَعْنَبِ وَحَفَفْنَا فَمَا يَخُلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۞ كِلْنَا ٱلْجَنَّفَيْنِ وَانْتُ أَكُلُهَا وَلَرْ تَظْلِرُونَهُ شَيْئاً وَجَنَوْا خِلَاهُمَانَهُوا ۞ وَكَانَلُهُ مُثَرُّهُ اللَّهِ اللَّهِ مَا أَنَّهُ مُثَرُّهُ اللَّهُ اللّ الصَيْحِيدِ وَهُوَيُحَاوِرُهُ مِأَنَا أَكْثَرُمِنكَ مَالًا وَأَعَرُ بَفَكُوا ۞

فأمره أن يدعو الله ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد. وحَرِيٌ بعبد تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد، أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدده في جميع أموره.

﴿٢٥ ـ ٢٦﴾ ﴿ولبنوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً * قل الله أعلم بمالبثواله غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ لما نهاه الله عن استفتاء أهل الكتاب، في شأن أهل الكهف، لعدم علمهم بذَّلك، وكان الله عالم الغيب والشهادة، العالم بكل شيء، أخبره بمدة لبثهم، وأن علم ذلك عنده وحده، فإنه من غيب السماوات والأرض، وغَيبها مختص به، فما أخبر به عنها على ألسنة رسله، فهو الحق اليقين، الذي لا يشك فيه، وما لا يطلع رسله عليه، فإن أحداً من الخلق لا يعلمه.

وقوله: ﴿أبصرَ به وأسمع﴾ تعجب من كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات، بعدما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات. ثم أخبر عن

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَظَالِرُ لِتَفْسِيهِ قَالَ مَاۤ أَظُنُّ أَن بَيدَ هَاذِية أَبِدُا ۞ وَمَآ أَظُنُ السَّاعَةَ قَايَمَةً وَلَيْن زُودِتُ إِلَى رَبِّ لَأَجِدَةً الْجَدَةَ خَيْرُ المِنْهَا مُنْفَلَا ۞ قَالَ لَهُ مِلْحِبُهُ وَهُوَيُعَاوِرُوهُ وَأَكْثَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطُفَةٍ ثُمَّ سَوَّنكَ رَجُلًا ۞ لَّكِنَا هُوَاللَّهُ رَبِي وَلَآ أَشْرِكُ بِيَ أَحَدًا ۞ وَلَوْلا إِذْ مَنْلَتَ جَنَّنَكَ قُلْتَ مَاشَأَةَ اللَّهُ لَا فَوَةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَن تَرَنِ أَنَا أَقَلَ مِنكَ مَا لَا وَوَلَداً ۞ فَعَسَىٰ رَبِيَ أَن يُؤْتِينَ خَيْرُايِن جَنَّيْكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانَا مِنْ السَّمَآءِ فَصَّبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۞ أَوْيُصْبِحَ مَا وُهُمَا غَوْزَا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَمُطْلَبًا ۞ وَأُحِيطُ بِشَمَرِهِ، فَأَصْبَتَمُ يُقَلِّبُ كَفَيَّةِ عَلَىٰ مَاۤ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِمَ خَاوِيكُ عَلَىٰ الْكُ عُرُونِهَا وَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَ أَشْرِكَ رَقِيٓ أَحَدًا ۞ وَلَرْتَكُن لَهُ فِعَةٌ يَعَمُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۞ هُذَا إِلَكَ ٱلْوَلَنِيةُ ۖ ﴿ لِنَّهِ ٱلْكُنَّ هُوَ خَيْرٌ ثُوَّا بَا وَخَيْرُعُقْبًا ۞ وَٱصْرِبْ لَمُرَمَّثُلَ ٱلْحَيَّوٰةِ ٱلدُّنْيَاكُمَاءِ أَرْلُنَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِورِبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَسْبَعَ هَيْسِمَا لَذْرُوهُ ٱلرِيَاحُ وَكَاتِ اللّهُ عَلَىكُ لِ مَنْ وَمُقْلَدِ رُا كَا إِلَّهُ TO SECULO TIME DE CONTRE D

انفراده بالولاية العامة والخاصة، فهو الولي الذي يتولى تدبير جميع الكون، الولي لعباده المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور وييسرهم لليسري، ويجنبهم العسري، ولهذا قال: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ . أي: هو الذي تولى أصحاب الكهف، بلطفه وكرمه، ولم يكلهم إلى أحد من الخلق.

﴿ولا يسرك في حكمه أحداً ﴾ وهذا يشمل الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحاكم فى خلَّقه، قضاء وقدراً، وخلقاً وتدبيراً، والحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه. ولما أخبر أنه تعالى له غيب السماوات والأرض، فليس لمخلوق إليها طريق، إلا من الطريق التي يخبر بها عباده، وكان هذا القرآن، قد اشتمل على كثير من الغيوب، أمر تعالى بالإقبال عليه فقال:

﴿٢٧﴾ ﴿واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبذل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ التلاوة: هي الاتباع، أي: اتبع ما أوحى الله إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي: لا تغير ولا تبدل لصدقها وعدلها، وبلوغها من الحسن فوق كل غاية ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً فلتمامها، استحال عليها

التغير والتبديل، فلو كانت ناقصة، لعرض لها ذلك أو شيء منه، وفي هذا تعظيم للقرآن، في ضمنه الترغيب على الإقبال عليه.

﴿ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ أي: لن تجد من دون ربك ملجأ تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذيه، فإذا تعين أنه وحده الملجأ في كل الأمور، تعين أن يكون هو المألوه المعبود المرغوب إليه، في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسؤول في جميع المطالب.

﴿٢٨﴾ ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعدعيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطأ، يأمر تعالى نبيه عمداً ﷺ ، وغيره أسوته في الأوامر والنواهي _أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي: أول النهار وأخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى.

﴿ ولا تعدعيناك عنهم ﴾ أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك.

﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ فإن هذا ضار غير نافع، قاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويُـقْبِل عـلى الـلـذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمَره، فيخسر الخسارة الأبدية، والندامة السرمدية، ولهذا قال: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن

لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلْهه هواه، كما قال تعالى: ﴿أَفْرَأَيْتُ مِنَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هُواهُ وأضله الله على علم﴾ الآية .

﴿وكان أمره ﴾ أي: مصالح دينه

﴿ فرطاً ﴾ أي: ضائعة معطلة. فهذا قدنهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية على أن الذي ينبغى أن يطاع، ويكون إماماً للناس، من امتلاً قلَّبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضى ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما منَّ الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماماً، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تسم باقي الأقسام. وفي الآية، استحباب الذكر والدعاء والعبادة طَرَفي النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه.

﴿٢٩ ــ ٣١﴾ ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارأ أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً * إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً * أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾ أي: قل للنَّاس يا محمد: هذا الحق من ربكم، أي: قد تبين الهدى من الضلال، والرشد من الغي، وصفات أهل السعادة، وصفات أهل الشقاوة، وذلك بما بينه الله على لسان رسوله، ﴿ واتبع هواه ﴾ أي: صار تبعاً فإذا بان واتضح، ولم يبق فيه شبهة

﴿ فَمِن شَاء فِلْيُؤْمِن ، ومِن شَاء فليكفر﴾ أي: لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين، بحسب توفيق العبد، وعدم توفيقه، وقد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان والكفر، والخير والشر، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، وليس بمكره على الإيمان، كما قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبيُّ الرشد من الغي﴾ وليس في قوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الإذن في كلا الأمرين، وإنما ذلك تهديد ووعيد لمن اختار الكفر بعد البيان التام، كما ليس فيها ترك قتال الكافرين. ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقال: ﴿إِنَّا أَعتدنا للظالمين بالكفر والفسوق والعصيان ﴿نَاراً أَحَاطُ بِهِم سَرادَقَهَا﴾ أي: سورها المحيط بها، فليس لهم منفذ ولا طريق ولا مخلص منها، تصلاهم النار الحامية .

﴿وإن يستغيثوا﴾ أي: يطلبوا الشراب، ليطفى، ما نزل بهم من العطش الشديد.

﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ أي: كالرصاص المذاب، أو كعكر الزيت، من شدة حرارته.

﴿يشوي الوجوه ﴾ أي: فكيف بالأمعاء والبطون، كما قال تعالى ﴿يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد ﴾.

﴿بئس الشراب﴾ الذي يراد ليطفىء العطش، ويدفع بعض العذاب، فيكون زيادة في عذابهم، وشدة عقابهم.

وهذا النار، أنها ساءت المحل، الذي يرتفق به، فإنها ليس فيها ارتفاق، يرتفق به، فإنها ليس فيها ارتفاق، وإنما فيها العذاب العظيم الشاق، الذي لا يُفَتَّر عنهم ساعة، وهم فيه مبلسون، قد أيسوا من كل خير، ونسيهم الرحيم في العذاب كما نسوه شم ذكر الفريق الثاني فقال: ﴿إِنَّ المنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: هعوا بين الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والوم الآخر والقدر خير،

وشره، وعمل الصالحات من الواجبات والمستحبات ﴿إِنَّا لَا نَضِيع أَجر من أحسن عملاً ﴾ وإحسان العمل: أن يريد العبد العمل لوجه الله، متبعاً في ذلك شرع الله. فهذا العمل لا يضيعه الله، ولا شيئاً منه، بل يحفظه للعاملين، ويوفيهم من الأجر، بحسب عملهم وفضله وإحسانه، وذكر أجرهم بقوله:

﴿ أُولِمُنكُ لِهِم جِناتِ عِدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك). أي: أولئك الموصوفون بالإيمان والعمل الصالح، لهم الجنات العاليات التي قد كثرت أشجارها، فأجَنَّت من فيهاً، وكثرت أنهارها، فصارت تجري من تحت تلك الأشجار الأنيقة، والمنازل الرفيعة، وحليتهم فيها الذهب، ولباسهم فيها الحرير الأخضر من السندس، وهو الغليظ من الديباج، والإستبرق، وهو ما رق منه. متكئين فيها على الأرائك، وهي السرر المزينة ، المجملة بالثياب الفاخرة ، فإنها لا تسمى أربكة حتى تكون كذلك، وفي اتكائهم على الأرائك، ما يدل على كـمال الـراحـة، وزوال الـنـصـب والتعب، وكون الخدم يسعون عليهم بما يشتهون، وتمام ذلك الخلود الدائم والإقامة الأبدية، فهذه الدار الجليلة ﴿نعم الثوابِ للعاملين ﴿وحسنت مرتفقاً ﴾ يرتفقون بها، ويتمتعون بما فيها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، من الحبرة والسرور، والفرح الدائم، واللذات المتواترة، والنعم المتوافرة، وأي: مرتفق أحسن من دار، أدني أهلها يسير في ملكه ونعيمه وقصوره وبساتينه ألْفَيّ سنة، ولا يرى فوق ما هو فيه من النعيم، قد أعطى جميع أمانيه ومطالبه، وزيدمن المطالب، ما قبصرت عنه الأماني، ومع ذلك، فنعيمهم على الدوام متزايد في أوصافه وحسنه، فنسأل الله الكريم، أن لا يحرمنا خير ما عنده من الإحسان، بشَرٌّ ما عندنا من التقصير والعصيان.

ودلت الآية الكريمة وما أشبهها، على أن الحلية عامة للذكور والإناث، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لأنه أطلقها في قوله ﴿يحلون﴾ وكذلك الحرير ونحوه.

﴿٣٤_٣٤﴾ ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً * وكان له ثمر ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما، وليس معرفة أعيان الرجلين، وفي أي: زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة ، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف. فأحد هذين الرجلين الكافر لنعمة الله الجليلة، جعل الله له جنتين، أي: بستانين حسنين، من أعناب.

﴿ وحففناهما بنخل﴾ أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصاً أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، التي تكمل بها الثمار، وتنضج وتتجوهر، ومع ذلك جعل بين تلك آلأشجار زرعاً، فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف ثمار هاتين الجنتين؟ وهل لهما ماء يكفيهما؟ فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أى: ثمرها وزرعها ضعفين، أي: متضاعفاً ﴿و﴾ أنها ﴿لم تظلم منه شيئاً﴾ أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء، ومع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة.

﴿وكان له﴾ أي: لذلك الرجل ﴿ثمر﴾ أي: عظيم كما يفيده التنكير، أي: قد استكملت جنتاه ثمارهما،

وازجَعنَت أشجارهما، ولم تعرض لهما آفة أو نقص، فهذا غاية منتهى زينة الدنيا في الحرث، ولهذا اغتر هذا الرجل بهما، وتبجح وافتخر، ونسي آخرته.

* ٣٦ _ ٣٤ ﴿ فقال لصاحبه وهو يعاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن، وهما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماجريات المعتادة، مفتخراً عليه:

﴿أَنَا أَكِثْرُ مِنْكُ مِالاً وأَعِزُ نَفْراً ﴾ فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأي: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأماني، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم بجهله وظلمه، وظن لما دخل جنته، ف ﴿قال ما أظن أن تبيد ﴾ أي: تنقطع وتضمحل ﴿هذه أبداً﴾ فاطمأن إلى هذه الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث، فقال: ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى على ضرب المثل ﴿لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ أي: ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين، وهذا لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم حظاً من العقل، فأي: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعْطِيَ في الدنيا أعطى في الآخرة، بل الغالب أن الله تعالى بَرُوى الدنيا عن أوليائه وأصفياته، ويوسعها على أعدائه، الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه

قال هذا الكلام على وجه التهكم والاستهزاء، بدليل قوله: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده.

﴿٣٧ ـ ٣٩﴾ ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ﴿ لَكِنَا ﴿ هُو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً ﴿ لَكِنَا وَلَوْلا إِذْ دَخِلَت جَنتِكُ قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله أي: قال له صاحبه المؤمن، ناصحاً له، ومذكراً له حاله الأولى، التي أوجده الله فيها في الدنيا رجلاً ﴾ فهو الذي أنعم عليك بنعمة ربيك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى

سواك رجلاً، كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهيأ لك ما هيأ من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك، فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وتجحد^(۱) نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيراً من جنتك؟! هذا مما لا ينبغى ولا يليق. ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبراً عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، عند ورود المجادلات والشبه: ﴿لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً ﴾ فأقرّ بربوبيته لربه، وانفراده فيها، والتزم (٢) طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحداً من

﴿٣٩ ـ ٤٤﴾ ﴿إِن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً * فعسى ربِّي أن يؤتين خيراً

المخلوقين، ثم أخبره أن نعمة الله عليه

بالإيمان والإسلام، ولو مع قلة ماله

وولده، أنها هي النعمة الحقيقية، وأن

ما عداها مُعَرَّضٌ للزوال والعقوبة عليه

من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً * أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً * وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً * هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً .

أي: قال للكافر صاحبُه المؤمن: أنت _ وإن فخرت علي بكثرة مالك وولدك، ورأيتني أقل منك مالاً وولدأ _ فإن ما عند الله، خير وأبقى، وما يرجى من خيره وإحسانه، أفضل من جميع الدنيا، التي يتنافس فيها المتنافسون.

﴿ فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها، أي: على جنتك التي طغيت بها وغرتك ﴿حسباناً من السماء﴾ أي: عذاباً، بمطر عظيم أو غيره، ﴿فتصبح﴾ بسبب ذلك ﴿صعيداً زلقاً ﴾ أي: قد اقتلعت أشجارها، وتلفت ثمارها، وغرق زرعها، وزال نفعها، ﴿أُو يصبح ماؤها، الذي مادتها منه ﴿غُوراً﴾ أي: غائراً في الأرض ﴿فلن تستطيع له طلباً ﴾ أي: غائراً لا يستطاع الوصول إليه بالمعاول ولا بغيرها، وإنما دعا على جنته المؤمنُ غضباً لربه، لكونها غرته وأطغته، واطمأن إليها، لعله ينيب، ويراجع رشده، ويبصر في أمره.

فاستجاب الله دعاء ﴿وأحيط بشمره ﴾ أي: أصابه عذاب أحاط به، واستهلكه، فلم يبق منه شيء، والإحاطة بالشمر يستلزم تلف جميع أشجاره، وثمارها، وزرعه، فندم كل الندامة، واشتد لذلك أسفه، ﴿فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها ﴾ أي: على كثرة نفقاته الدنيوية عليها، حيث اضمحلت وتلاشت، فلم يبق لها عوض، وندم أيضاً على شركه،

والنكال، فقال:

أشرك بري أحداً ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ﴾ أى: لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ماً كان يفتخر به من قوله لصاحبه: ﴿أَنَّا أَكِثْرُ مِنْكُ مَالاً وَأَعَزُ نَفْراً ﴾ فلم يدفعوا عنه من هذا العذاب شيئاً، أشد ما كان إليهم حاجة، وما كان بنفسه منتصراً، وكيف ينتصر، أي: يكون له أنصار على قضاء الله وقدره الذي إذا أمضاه وقدره، لو اجتمع أهل السماء والأرض عبلي إزالة شبيء منه، لم

ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه، أن صاحب هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب عنه ما يطغيه، وعاقبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيراً عجّل له العقوبة في الدنيا. وفضل الله لا تحييط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول.

﴿ هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً ﴾ أي: في تلك الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى، وآثر الحياة الدنيا، والكرامة لمن آمن، وعمل صالحاً، وشكر الله، ودعا غيره لذلك، تبين وتوضح أن الولاية لله الحق، فمن كان مؤمناً به تقياً، كان له ولياً، فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور والمثلات، ومن لم يؤمن بربه ويتولاه، خسر دينه ودنياه، فثوابه الدنيوي والأخروي، خير(١) ثواب يرجى ويؤمل، ففي هذه القصة العظيمة، اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعما دنيوية، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها، أن مآلها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلاً، فإنه يحرمها طويلاً، وأن العبد

وشره، ولهذا قال: ﴿ويقول يا ليتني لم ينبغي له _إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده _ أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها، وأن يقول: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله اليكون شاكراً لله متسبياً لبقاء نعمته عليه، لقوله:

﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قبوة إلا بالله ﴾ وفيها: الإرشاد إلى التسلى عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير

﴿إِن تُرِن أَنَا أَقُلَ مِنْكُ مَالاً وَوَلَداً * فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾ وفيها أن المال والولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى: ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعماً, صالحاً ﴾ وفيه الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصاً إن فضّل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم، وفيها أن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلي الغبار وحق الجزآء، ووجد العاملون أجرهم فر ﴿هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً ﴾ أي: عاقبة ومآلاً.

﴿ وَهِ ٤٦ ﴾ ﴿ وَاصْرِبِ لَهُم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كُلُّ شيء مقتدراً * المآل والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عندربك ثواباً وخير أملاً﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ أصلاً، ولمن قام بوراثته بعده تبعاً: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار، وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمشل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ

الْمَالُ وَالْسَدُوبِ: نَعُمُ الْعُنَادَ وَالدُّنْيَّا وَالْمَعَاثُ الصَّلَاكِينُ خَيْرُعِندَدَيْكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلًا ۞ وَيَوْعَ مُسَيْرُ أَيْجَالَ وَثَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرَنَهُ مُ فَلَرَنْعَ لِورْمِنْهُ مُ أَحَدًا ﴿ وَعُيهُ وَا عَلَى زَبِكَ صَفًا لَقَدْ جِعْتُمُونَاكُمَا خَلَقْنَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةً بَلْ زَعْمَتُمْ أَلِّن خَعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿ وَقُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْجَسْمِينَ مُشْفِقِينَ عَمَافِيهِ وَيَقُولُونَ يَكُولُكُ نَامَالِ هَلَا ٱلْكِتَب لَايُفَادِرُصَفِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَهَا وَقَجَدُواْ مَاعِلُواْ حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَدُّكَ أَسَاكُ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَيْكُوْ أَسْجُمُواْ لِآدَمَ مُسَجَدُوا إِلَّآ إِبْلِيسَكَانَ مِنَ آلِمِنْ فَفَسَوْعَنْ أَمْرِيَايَةً أَفَنَتَهَ فِذُونَهُ وَذُرِيَّتَهُ وَأَوْلِيَّا مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُونًا إِنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلَا ۞ مَنَّا أَشْهَدَ تُلْهُمْ خَلْقَ السَّكَوْتِ وَالْأَرْضِ وَلِاخَلْقَ أَنْفُيسِهِ رُومَاكُتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُشِٰلِينَ عَشُدًا ۞ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِى ٱلَّذِينَ زَعَتُ مُ فَدَعَوْمُرُ فَلْمَ يَسْتَجِيبُوا لَمُمْ وَكَعَلْنَايِنَهُم مَّوْيِقًا ﴿ وَلَهَ اللَّهُ مُونَ النَّارَفَظَنُوا أَنْهُمُ مُواقِعُوهَا وَلَرْيَحِهُ وَاعَنْهَا مَصْرِفَا ٥ CONTRACTOR MANAGEMENT

بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيماً تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، وآلزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء تراباً، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لًا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته، وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله، وانفرد بصالح أو سيىء أعماله، هنالك يعض الظالم على يديه، حين يعلم حقيقة ما هو عليه، ويتمنى العود إلى الدنيا، لا ليستكمل الشهوات، بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات، بالتوبة والأعمال الصالحات، فالعاقل الحازم الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدري أنك قد مِتُ، ولا بدأن تموت، فأي: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما

في الجملة إشكال دفع إلى جعلها في بعض الطبعات (شر ثواب) وهي في النسختين (خير ثواب) وظاهر أن المقصود بذلك من كان مؤمناً تقياً، فهو الذي ثوابه خير ثواب.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْةَ إِنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّهِ مَثَلٌ وَكَانَ الْمُثَا ٱلْإِنسَانُ أَحْفَرُ مَني وِجَدَلًا ۞ وَمَامَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن وُوْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْمُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْنِيَهُمْ سُنَّةً ٱلْأَوْلِينَ أَوْيَأْنِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿ وَمَا زُمِيلًا لِلْمُسَانَ إِلَّامُبَيْشِينَ وَمُنذِينِتُ وَيُجَلُولُ ٱلَّذِينَ كَعَمُولِ ٱلْبَطِلِ أ لِيُدْحِضُواْ بِهِ أَنْحَقُّ وَأَنَّفَ ذُوَاءً إِيَّتِي وَمَاۤ أَنْذِرُواْ هُـ زُوا ٥ وَمَنْ أَظْلَرُمِتَن دُمِي مَا يَنْ وَيَعِينَا لَيْنِ رَبِّهِ فَأَعْضَ عَنْهَا وَلَيْسَ مَاقَدَّمَتَ يَدَاهُ إِنَّاجَعَلْنَاعَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةُ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي اَذَانِهِ مُ وَقِّلَ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْمُدَىٰ فَلَن يَهْمَدُواْ إِذَا أَبَدًا ۞ وَرَثُلِكَ ٱلْعَنْفُورُدُو الرَّحْدَةُ لَوْيُوكُونِهُ مُعَمَّا لَأَ حَسَبُوا لَتَجَلَ لَمُهُ الْمُنَابُ بَلِ لَمُهُ مَوْعِدُ لَنَ عِدُوا مِن دُونِهِ مَوْمِلًا ﴿ وَمَلْكَ ٱلْقُرَيٰ أَهْلَسَتَ نَعْمَ لِٱظْلَهُ إِلَّا ين دونيه تنويا ﴿ وَمَلَكَ الصّرَىٰ الْفَلَصُّ الْخَلَامُورُ الْفَالِدُونِ الْمُنْفَقِلُ الْمُؤْلِقُونَ الْمُؤْ وَحَمَّلُنَا الْمُفْلِكِ فِي مَوْمِنَا ۞ وَاذْ قَالَ مُوسِىٰ لِلْفَنَادُ لَا أَزْنَعُ حَمَّنَا الْمُفْعِ مَجْمَعُ الْمُجْرِينُ أُوا أَمْسِينَ كُشُكُ ۞ فَلَمَّا بَلْفَكُ الْمَالِّينَ الْمُعْلِكُ الْ تَعْمَعَ بَيْنِهِ مَا نَسِيَا حُوتَهُ مَا فَاتَخَذَ سَبِيلَهُ فِي أَلْمِ سَرَيًا ۞ PROTEIN ENTREE

تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسرانه، ولهذا أخبر تعالى أن المال والبنين، زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره، الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة، والمستحبة من حقوق الله، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزوجات، والمماليك، والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كل هذا من الباقيات الصالحات، فهذه خير عند الله ثواباً وخير أملاً، فثوابها يبقى، ويتضاعف على الآباد، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها عند الحاجة، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستبق إليها العاملون، ويجدُّ في تحصيلها المجتهدون، وتأمل كيف لما ضرب الله مشل المدنيا وحالها واضمحلالها، ذكر أن الذي فيها نوعان: نوع من زينتها، يتمتع به قليلاً، ثم يرول بلا فائدة تعود لصاحبه، بل ربما لحقته مضرته، وهو

المال والبنون ونوع يبقى وينفع صاحبه على الدوام، وهي الباقيات الصالحات. ﴿٤٧ ــ ٤٩ ﴾ ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً * وعرضوا على ربك صفاً لقد جنتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً * ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحداً ﴾ يخبر تعالى عن حال يوم القيامة، وما فيه من الأهوال المقلقة، والشدائد المزعجة فقال:

﴿ويوم نسير الجبال ﴾ أي: يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيباً، ثم يجعلها كالعهن المنفوش، ثم تضمحل وتتلاشى، وتكون هباء منبثاً، وتبرز الأرض فتصير قاعاً صفصفاً، لا عوج فيه ولا أمتاً، ويحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحداً، بل يجمع الأولين والآخرين من بطون الفلوآت، وقعور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعدما تمزقوا، خلقاً جديداً، فيعرضون عليه صفأ ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جور فيه ولا ظلم، ويقول لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ أي: بلا مال، ولا أهل، ولا عشيرة، ما معهم إلا الأعمال، التي عملوها، والمكاسب في الخير والشر، التي كسبوها كما قال تعالى: ﴿ولقد جنتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ومانري معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴾ وقال هنا، مخاطباً للمنكرين للبعث، وقد شاهدوه عياناً: ﴿بِل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴾ أي: أنكرتم الجزاء على الأعمال، ووعد الله ووعيده، فها قد رأيتموه وذقتموه، فحينئذ تحضر كُتُبُ الأعمال التي كتبتها الملائكة

الكرام(١١)، فتطير لها القلوب، وتعظم من وقعها الكروب، وتكاد لها الصم الصلاب تذوب، ويشفق منها المجرمون، فإذا رأوها مسطرة عليهم أعمالهم، مُحصى عليهم أقوالهم وأفعالهم، قالوا: ﴿ يَا وَيُلْتُنَا مَالُ هَذَا الكتاب لأيغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ أي: لا يترك خطيئة صغيرة ولا كبيرة، إلا وهي مكتوبة فيه، محفوظة لم ينس منها عمل سر ولا علانية، ولا ليل ولا نهار، ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ لا يقدرون على إنكاره ﴿ولا يظلم ربك أحداً ﴿ فحينتُ لَهُ عِارُونَ بِهَا ، ويقررون بها، ويخزون، ويحق عليهم العذاب، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد، بل هم غير خارجين عن عدله وفضله.

﴿ ٥٠ ﴿ وَإِذْ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةُ اسْحِدُوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دون وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً يخبر تعالى، عن عداوة إبــليس لآدم وذريــتــه، وأن الله أمــر الملائكة بالسجود لآدم، إكراماً وتعظيماً، وامتثالاً لأمر الله، فامتثلوا ذلك ﴿ إلا إبليس كان من الجن، ففسق عن أمر ربه ﴾ وقال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً ﴾ وقال: ﴿أَنَا خِيرِ مِنه ﴾ فتبين بهذا عداوته لله ولأبيكم ولكم، فكيف تتخذونه وذريته، أي. الشياطين ﴿أُولِياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً أي: بئس ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان، الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء والمنكر عن ولاية الرحمن، الذي كل السعادة والفلاح والسرور في ولايته. وفي هذه الآية، الحث على اتخَّاذ الشيطان عُدواً، والإغراء بذلك، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنه لا يفعل ذلك إلا ظالم، وأي: ظلم أعظم من ظلم من اتخذ عدوه الحقيقي ولياً، وترك الولى الحميد؟!!

قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾.

وقال تعالى: ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ .

﴿٥١ ـ ٥٢) ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولاخلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً * ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً ﴾ يقول تعالى: ما أشهدت الشيأطين [وهؤلاء المضلين]، ﴿خلق السسماوات والأرض ولا خسلق أنفسهم أي: ما أحضرتهم ذلك، ولا شاورتهم عليه، فكيف يكونون خالقين لشيء من ذلك؟! بل المنفرد بالخلق والتدبير، والحكمة والتقدير، هو الله، خالق الأشياء كلها، المتصرف فيها بحكمته، فكيف يجعل له شركاء من الشياطين، يوالون ويطاعون، كما يطاع الله، وهم لم يخلقوا ولم يشهدوا خلقاً، ولم يعاونوا الله تعالى؟! ولهذا قال: ﴿وماكنت متخذ المضلين عضداً ﴾ أي: معاونين، مظاهرين لله على شأن من الشؤون، أي: ما ينبغي ولا يليق بالله، أن يجعل لهم قسطاً من التدبير، لأنهم ساعون في إضلال الخلق والعداوة لرجم، فاللاثق أن يقصيهم ولا يدنيهم.

ولما ذكر حال من أشرك به في الدنيا، وأبطل هذا الشرك غاية الإبطال، وحكم بجهل صاحبه وسفهه، أخبر عن حالهم مع شركائهم يوم القيامة، وأن الله يقول لهم: فادوا شركائي بزعمكم أي: على موجب زعمكم الفاسد، وإلا فبالحقيقة ليس لله شريك في الأرض، ولا في السماء، أي: نادوهم، لينفعوكم، فينفعوكم، فينفوكم، فينفعوكم،

﴿وجعلنا بينهم﴾ أي: بين المشركين وشركائهم ﴿موبقاً﴾ أي: مهلكاً،

يفرق بينهم وبينهم، ويبعد بعضهم من بعض، ويتبين حينئذ عداوة الشركاء لشركائهم، وكفرهم بهم، وتبريهم منهم، كما قال تعالى: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ أي: لما كان يوم القيامة وحصل من الحساب ما حصل، وتميز كل فريق من الخلق بأعمالهم، وحقت كلمة العذاب على المجرمين، فرأوا جهنم قبل دخولها، فانزعجوا واشتد قلقهم لظنهم أنهم مواقعوها، وهذا الظن قال المفسرون: إنه بمعنى اليقين، فأيقنوا أنهم داخلوها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ أي: معدلاً يعدلون إليه، ولا شافع لهم من دون إذنه، وفي هذا من التخويف والترهيب، ما ترعد له الأفئدة والقلوب.

﴿٤٥﴾ ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً خبر الله تعالى عن عظمة القرآن، وجلالته، وعمومه، وأنه صَرّف فيه من كل مَثَل، أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقاداً، وطمأنينة، ونوراً، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور، ومع ذلك، كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل ﴿ليدحضوا به الحق﴾ ولهذا قال: ﴿وكان الإنسان أكشر شيء جدلاً﴾ أي: مجادلة ومنازعة فيه، مع أن ذلك غير لائق بهم، ولا عدل منهم، والذي أوجب له ذلك وعدمَ الإيمان بالله، إنما هو الظلم والعناد، لا لقصور في بيانه وحجته وبرهانه، وإلا فلو جاءهم العذاب، وجاءهم ما جاء قبلهم، لم تكن هذه حالهم، ولهذا

قال:

﴿٥٥﴾ ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدي ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً أي: ما منع الناس من الإيمان، والحال أن الهدى الذي يحصل به الفرق، بين الهندي والضلال، والحق والباطل، قد وصل إليهم، وقامت عليهم حجة الله، فلم يمنعهم عدم البيان، بل منعهم الظلم والعدوان عن الإيمان، فلم يبق إلا أن تأتيهم سنة الله، وعادته في الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب، أو يرون العذاب قد أقبل عليهم، ورأوه مقابلة ومعاينة، أي: فَلْيَحَافُوا من ذلك، ولْيَتُوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الذي لا مردله.

﴿٥٦﴾ ﴿وما نبرسيل المرسيلين إلاَّ مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ﴿ أي: لم نرسل الرسلُ عبثاً، ولا ليتخذهم الناس أرباباً، ولا ليدعوا إلى أنفسهم، بل أرسلناهم يدعون الناس إلى كل خير، وينهون عن كل شر، ويبشرونهم على امتثال ذلك بالثواب العاجل والآجل، وينذرونهم على معصية ذلك بالعقاب العاجل والآجل، فقامت بذلك حجة الله على العباد، ومع ذلك يأبى الظالمون الكافرون، إلا المجادلة بالباطل، ليدحضوا به الحق، فسعوا في نصر الباطل مهما أمكنهم، وفي دحض الحق وإبطاله، واستهزؤوا برسل الله وآياته، وفرحوا بما عندهم من العلم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ويظهر الحق على الباطل ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هـو زاهـق﴾ ومـن حـكــمــة الله ورحمته، أن تقييضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل، من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق وتبين شواهده وأدلته، وتبين الباطل وفساده، فبضدها تتبين الأشياء.

﴿٥٧ ــ ٩٩﴾ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربّه فأعرض عنها ونسي ما

قدمت يداه إنّا جعلنا على قلوبهم أكِنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرأ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا * وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً * وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً ﴾ يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلماً، ولا أكبر جرماً، من عبد ذُكِّر بآيات الله وبُيِّن له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخُوِّف ورُهِّب ورُغِّب، فأعرض عنها، فلم يتذكر بما ذُكِّر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسى ما قىدمت يىداه من الذنوب، ولم يراقب علام الغيوب، فهذا أعظم ظلماً من المعرض الذي لم تأته آیات الله ولم یذکر بها، وإن کان ظالمًا، فإنه أخف (١) ظلماً من هذا، لكون العاصى على بصيرة وعلم، أعظم ممن ليس كذلك، ولكن الله تعالى عاقبه بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه، حالة الشر مع علمه بها، أن سد عليه أبواب الهداية بأن جعل على قلبه أكنة ، أي: أغطية محكمة تمنعه أن يفقه الآيات وإن سمعتها، فليس في إمكانها الفقه الذي يصل إلى القلب، ﴿ وَفِي آذَانِهِم وقرأُ ﴾ أي: صمماً يمنعهم من وصول الآيات، ومن سماعها على وجه الانتفاع وإذا كانوا بهذه الحالة، فليس لهدايتهم سبيل، ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً لأن الذي يرجى أن يجيب الداعى للهدى من ليس عالماً، وأما هؤلاء اللَّذِينِ أبصروا ثم عموا، ورأوا طريق الحق حقاً فتركوه، وطريق الضلال ضلالاً فسلكوه، وعاقبهم الله بإقفال القلوب والطبع عليها، فليس في هدايتهم حيلة

ثم أخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته، وأنه يغفر الذنوب، ويتوب الله على من يتوب، فيتغمده برحته، ويشمله بإحسانه، وأنه لو آخذ (۲) العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب، لعجل لهم العذاب، ولكنه تعلى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل، والذنوب لا بد من وقوع آثارها، وإن تأخر عنها مدة طويلة، ولهذا قال:

ذلك .

﴿بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً أي: لهم موعد، يجازون فيه بأعمالهم، لا بدلهم منه، ولا مندوحة لهم عنه، ولا ملجأ، ولا محيد عنه، وهذه سنته في الأولين والآخرين، أن لا يعاجلهم بالعقاب، بل يستدعيهم إلى التوبة والإنابة، فإن تابوا وأنابوا، غفر لهم ورحمهم، وأزال عنهم العقاب، وإلا، فإن استمروا على ظلمهم وعنادهم، وجاء الوقت الذي جعله موعداً لهم، أنزل بهم بأسه، ولهذا قال: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا اي: بظلمهم، لا بظلم منا ﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ أي: وقتاً مقدراً، لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون.

﴿ ١٠ - ٢٨﴾ ﴿ وإذ مال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً * فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً * قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً * قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً * فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه من لدنا علماً * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم

تحط به خبراً * قال ستجدن إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً * قال فإن اتبعتني فلا تسألّني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ﴿ إِلَى قوله: ﴿ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه _ أي: خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو «يوشع بن نون» الذي نبأه الله بعد ذلك: ﴿ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أي: لا أزال مسافراً وإن طالت على الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحى إليه أنك ستجد فيه عبداً من عباد الله العالمين، عنده من العلم ما ليس عندك، ﴿أُو أمضى حقبا ﴾ أي: مسافة طويلة ، المعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه.

﴿فلما بلغا﴾ أي: هو وفتاه ﴿مجمع بينهما نسيا حوتهما ﴾ وكان معهما حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وعد أنه متى فقد الحوت فَثَمَّ ذلك العبد الذي قصدته، فاتخذ ذلك الحوت سبيله، أي: طريقه في البحر سرباً وهذا من الأيات.

قال المفسرون: إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حياً.

فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل الذي وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدا مس التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات الدالة لموسى على وجود مطلبه، وأيضاً فإن

ولا طريق. وفي هذه الآية من

التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن

يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد

ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن

⁽١) في ب: فإنه أشد، والسياق يدل على ما أثبته.

⁽٢) في الأصل واخذ.

الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق، فلما تجاوزا عايتهما وجدا مس التعب، فلما قال موسى لفتاه هذه المقالة، قال له فتاه: ﴿ أَرْأَيْتَ إِذْ أُويِنَا إِلَى الصخرة فَإِنِي نسيت الحوت﴾ أي: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما الشيطان﴾ لأنه السبب في ذلك ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجباً ﴾ أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه، كان ذلك من العجائب.

قال الفسرون: كان ذلك السلك للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً، فلما قال له الفتى هذا القول، وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر، فقال موسى: ﴿ وَلَكُ مَا كَنَا نَبِعُ ﴾ أي: نطلب ﴿ وَلَكُ مَا كَنَا نَبِعُ ﴾ أي: نطلب قصصاً ﴾ أي: رجعا فصان أثرهما، إلى قصصاً ﴾ أي: رجعا يقصان أثرهما، إلى المكان الذي نبيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبداً من عبادنا، وهو الصحيح،

آتیناه [رحمه مسن عسندنا أی: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله ﴿وعلمناه﴾](١)﴿من لدنا﴾ [أي: من عندنا] علماً، وكان قد أعطى من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية والأصولية، لأنَّه من أولى العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمساورة، والإخبار عن مطلبه: ﴿ هِلْ أَتْبِعِكُ عَلَى أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به استرشد واهندی، واعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر، قد أعطَّاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير

من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام، فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: فوكيف تصبر على امر، ما أحطت بباطنه وظاهره، وعلمت المقصود منه ومآله؟

فقال موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ﴾ وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء المتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر، فحينئذ قال له الخضر: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ أي: لا تبتدتني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة الأمر.

﴿ فَانْطُلُقًا حَتَّى إِذَا رَكِبًا فِي السَّفِينَةُ خرقها﴾ أي: اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك سيبينه، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ أي: عظيماً شنيعاً، وهذا من عدم صبره عليه السلام، فقال له الخضر: ﴿ أَلَّمُ أَقُلُ إِنْكُ لَنْ تَسْتَطِّيعُ مَعَى ا صبراً ﴾ أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى نسياناً فقال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً ﴾ أي: لا تعسر على الأمر واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذن في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَلَهُ ءَاتِنَاغَدَّآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرَاهَانَا نَصَبًا ۞ قَالَ أَرَءَ يْنَ إِذْ أَوَيْنَ ٓ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِي نَسِيتُ ٱلْحُونَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرُهُ وَأَتَّخَذَ سَهِيلَهُ فِ ٱلْفِيغَيَا ۞ قَالَ ذَلِكَ مَاكُنَّا بَيْغُ فَأَرْبَدُا عَلَىٰٓ ءَاثَادِهِمَا قَصَصَا ۞ فَوَجَكَ اعَبْدُا مِنْ عِبَادِنَا ٓءَاتَيْنُكُ رُحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ قَالَ لَهُ مُوسَكِ هَلْ أَيَّعُكَ عَلَيْ أَن تُعَالِمَن مِمَّا عُلِمْتَ رُشْدًا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَقِ صَبْرًا ﴿ وَكَيْفَ تَصْبُرُ عَلَى مَالَزَ يُحِظ بِهِ خُبْرًا ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِ إِن شَكَآءَ أَلَقَهُ صَابِرًا وَلَاّ أَعْصِي لَكَ أَمْرَ ۞ قَالَ فَإِنِ ٱبَّغَتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَن شَى وحَقَّ ٱلْحَدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكُّ ا ۞ فَانطَلْقَا حَقَّ إِذَا رَسِيجَبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ مَرْقَهَا قَالَ أَخَرَقُنَهَا لِنُعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْحِثَتَ شَيْعًا إِمْرًا ۞ قَالَ أَثَرَأَقُلُ إِنَّكَ لَنَ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ قَالَ لَا ثُوَّا خِذْنِي مِمَّا نَسِيتُ وَلَا زُهِفَيْ مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿ فَأَنطَلَقَاحَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَمًا فَقَتَلَهُ قَالَ المَّنَاتَ نَفْسًا رَكِيَةً بِعَيْرِ نَفْسِ لَقَدْجِنْتَ شَيْعًا لَكُولُ CLOSED WILLIAM CONTRACTOR

﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً أي:
صغيراً ﴿فقتله ﴾ الخضر، فاشتد
بموسى الغضب، وأخذته الحمية
الدينية، حين قتل غلاماً صغيراً لم
يذنب ﴿قال أقتلت نفساً زكية بغير
نفس لقد جئت شيئاً نكراً ﴾ وأي: نكر
مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه
ذنب، ولم يقتل أحداً ؟! وكانت الأولى
من موسى نسياناً، وهذه غير نسيان،
ولكن عدم صبر، فقال له الخضر معاتباً
معى صبراً ﴾

ققال [له] موسى: ﴿إِن سألتك عن شيء ﴾ بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني ﴾ أي: فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي ﴿قد بلغت من لدني عذراً ﴾ أي: أعذرت منى، ولم تقصر.

﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ﴾ أي: استضافاهم، فلم يضيفوهما ﴿ فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ﴾ أي: قد عاب واستهدم ﴿ فأقامه ﴾ الخضر أي: بناه وأعاده جديداً. فقال له موسى: ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ أي: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجرة، وأنت تقدر عليها؟. فحينتذ لم يف موسى عليه السلام بما قال، واستعذر موسى عليه السلام بما قال، واستعذر

• قَالَ أَلَوْ أَقُلِ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَيْرًا ۞ قَالَ إِن سَأَلَتُكَ عَن مَّني عِبْعُدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتِ مِن لَّدُنِ عُذُرًا ۞ فَأَنطَلُقا حَتَّ إِذَا أَتُيَّا أَهْلَ فَرْيَةِ أَسْتُطْمُ أَهْلَهَا فَأَيُّواْ أَن يُصَمِّعُوهُمَا فَوَجَدَا فِهَاجِدَارَا رُبِدُأَن نَقَضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْشِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَاذَا فِسَرَاقُ بَيْنِي وَيَيْنِكُ سَأَنْيَنُكَ بِمَأْمِيلِ مَالَرْتَسْتَطِعِ عَلَيْهِ صَبَرًا۞أَمَّا ٱلسَّعَينَةُ فَكَانَتْ لِسُبِكِينَ عِسْمَلُونَ فِي ٱلْغِرِ فَأَرَدَتُ أَنْ أَعِيبَهَا وكان وَزَآءَ هُرَمَاكُ يَأْخُذُكُلُ سَفِينَةٍ غَصْبُ ا وَأَمَا ٱلْفُلَادُولَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَتَشِينَآ أَن يُرْهِقَعُهُمَا كُلِيْكَا وَكُفُولُ ۞ فَأَرَدُنَّا أَن يُبْدِ لِمُتَارَبُّهُمَّا خَيْرًا مِنْهُ زَكُوهَ وَأَفْتَ رُحُمَا ۞ وَأَمَّا ٱلْجِمَارُونُكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَسْمِيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ غَنْهُ مُنَازِيقًا مُنَا وَكَاتَ أَبُوهُ مَاصَلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكِ أَن يتلفنا أشكافكا ويستغرياك نزهما رفسكة ين زيك وَمَافَعَلْتُهُ وَعَنْ أَمْنِي ذَالِكَ تَأْوِيلُ مَا لَرَّ نَسْطِع عَلَيْهِ صَبْرًا ۞ وَيَسْتَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرَّيْنِ قُلْ سَأَلْلُواْ عَلَيْكُمْ مِنْهُ وْكُولْ ۞ TOWN TOWN TO THE OWN T

الخضر منه، فقال له:

﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة، ﴿سأنبثك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ أي: سأخبرك بما أنكرت علي، وأنبئك بما لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر.

﴿أما السفينة ﴾ التي خرقتها ﴿فكانت لمساكين يعملون في البحر ﴾ يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم. ﴿فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ أي: كان سفينة صالحة تمر عليه ما فيها عيب غصبها وأخذها ظلماً، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم.

﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلته ﴿فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ وكان ذلك الغلام قد قدر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، أي: لحملهما على الطغيان والكفر، إما لأجل عبتهما إياه، أو للحاجة إليه أو يحدهما على ذلك، أي: فقتلته، لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي: فائدة أعظم من هذه المفائدة الجليلة؟!! وهو وإن كان فيه

إساءة إليهما، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية ما هو خير منه، ولهذا قال: ﴿فأردنا أن يبدلهما رجما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً﴾ أي: ولداً صالحاً، زكياً، واصلاً لرحمه، فإن الغلام الذي قتل لو بلغ لعقهما أشد العقوق بحملهما على الكفر والطغيان.

﴿وأما الجدار﴾ الذي أقمته ﴿فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً﴾ أي: حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحتهما، لكونهما صغيرين عدما أباهما، وحفظهما الله أيضاً بصلاح والدهما.

﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما أي: فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجاناً.

﴿ رحمة من ربك ﴾ أي: هذا الذي فعلته رحمة من الله ، آتاها الله عبده الخضر ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ أي: أتيت (١) شيئاً من قبل نفسي، ومجرد إرادتي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره.

﴿ذلك﴾ الذي فسرته لك ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾

وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه على بعضه بعون الله. فمنها فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل.

ومنها: جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤنة وطلب الراحة، كما فعل موسى.

ومنها: أن المسافر لطلب علم أو جهاد أو نحوه، إذا اقتضت المسلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريده، فإنه أكمل من كتمه، فإن في إظهاره فوائد من الاستعداد له عدته، وإتبان الأمر على بصيرة، وإظهاراً لشرف هذه العبادة الجليلة، كما قال موسى: ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقباً﴾

وكما أخبر النبي ﷺ أصحابه حين غزا تبوك بوجهه، مع أن عادته التورية، وذلك تبع للمصلحة.

ومنها: إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره، لقول فتى موسى: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ .

ومنها: جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصب أو جوع أو عطش، إذا لم يكن على وجه التسخط وكان صدقاً، لقول موسى: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا في الماكمة

ومنها: استحباب كون خادم الإنسان، ذكياً فطناً كيساً، ليتم له أمره الذي يريده.

ومنها: استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعاً، لأن ظاهر قوله: ﴿آتنا غداءنا﴾ إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو جميعاً.

ومنها: أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله، يعان ما لا يعان غيره لقوله: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ والإشارة إلى السفر المجاوز، لمجمع البحرين، وأما الأول، فلم يشتك منه التعب مع طوله، لأنه هو فالظاهر أنه بعض يوم، لأنهم فقدوا الحوت حين أووا إلى الصخرة، فالظاهر أنه ماروا من الغد، أنهم باتوا عندها، ثم ساروا من الغد، حتى إذا جاء وقت الغداء قال موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا﴾ فحينئذ تذكر أنه

نسيه في الموضع الذي إليه منتهى. قصده.

ومنها: أن ذلك العبد الذي لقياه، ليس نبياً، بل عبداً صالحاً، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر مِنَّة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبياً، لذكر ذلك كما ذكر غهه.

وأما قوله في آخر القصة: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ فإنه لا يدل على أنه نبي، وإنسا يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾.

ومنها: أن العلم الذي يُعَلِّمُه الله علمك الله تعالى. [لعباده](۱) نوعان:

علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده. ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يمن عباده لقوله:
ووعلمناه من لدنا علماً

ومنها: التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عليه السلام:

موسى طيه السعرم.

﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ فأخرج الكلام بصورة في ذلك أم لا ، وإقراره بأنه يتعلم منه ، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر ، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه ، بل يدعي أنه يتعاون هو وإياه ، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه ، وهو جاهل جداً ، فالذل للمعلم ، وإظهار الحاجة إلى تعليمه ، من أنفع شيء للمتعلم .

ومنها: تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى _بلا شك _أفضل من الخضر.

ومنها: تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة.

فإن موسى عليه السلام من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه.

فعلى هذا، لا ينبغي للفقيه المحدث، إذا كان قاصراً في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه من العلوم، أن لا يتعلمه عن مهر فيه، وإن لم يكن محدثاً ولا فقيهاً.

ومنها: إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله:

﴿تعلمن مما علمت﴾ أي: مما لمك الله تعالى.

ومنها: أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق (٢) الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضاراً، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أن تعلمن عما علمت رشداً﴾

ومنها: أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم^(٣)، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر _ يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى من الأخذ عنه _ إنه لا يصبر معه.

ومنها: أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علماً وخبرة بذلك الأمر الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدريه، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾. فجعل الموجب لعدم صبره، عدم إحاطته خبراً بالأمر.

ومنها: الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء، حتى يعرف ما يراد منه، وما هو المقصود.

ومنها: تعليق الأمور المستقبلة التي من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشيء: إني فاعل ذلك في المستقبل، إلا أن يقول: «إن شاء الله»، ومنها: أن العزم على فعل الشيء، ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ فوطن نفسه على الصبر ولم يفعل.

ومنها: أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالًا، لا يتعلق في موضوع البحث.

ومنها: جواز ركوب البحر، في غير الحالة التي يخاف منها.

ومنها: أن الناسي غير مؤاخذ بنسيانه، لا في حق الله، ولا في حقوق العباد، لقوله: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم، العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر.

بن ... ومنها: أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها، فإن موسى عليه السلام أنكر على الخضر خرقه السفينة، وقتل الغلام، وأن هذه الأمور ظاهرها أنها من المنكر، وموسى عليه السلام لا يسعه

⁽١) زيادة من هامش: ب.

⁽٢) في ب: لطريق.

⁽٣) بدلاً من الجملة: (أنه يفوته . . . كثير من العلم) جاء في ب: (أنه ليس بأهلِ لتلقي العلم) وجاءت هذه الجملة في: أ مشطوبة .

السكوت عنها، في غير هذه الحال التي صحب عليها الخضر، فاستعجل عليه السلام وبادر إلى الحكم في حالتها العامة، ولم يلتفت إلى هذا العارض، الذي يوجب عليه الصبر، وعدم المبادرة إلى الإنكار.

ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه: «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» ويراعي أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه وإيمانهما خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا.

ومنها: القاعدة الكبيرة أيضاً وهي أن: «عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن، حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير» كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم. فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار فيه سلامة للباقي جاز للإنسان، بل شرع له ذلك، حفظاً لمال الغير، وكذلك لو لنسان بعض المال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن.

ومنها: أن العمل يجوز في البحر، كما يجوز في البر لقوله: ﴿يعملون في البحر﴾ ولم ينكر عليهم عملهم.

ومنها: أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين لهم سفينة.

ومنها: أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام: ﴿لقد جنت شيئاً نكراً﴾.

ومنها: أن القتل قصاصاً غير منكرٍ لقوله: ﴿بغير نفس﴾.

ومنها: أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه، وفي ذريته.

ومنها: أن خدمة الصالحين، أو من يتعلق بهم، أفضل من غيرها، لأنه علل استخراج كنزهما، وإقامة جدارهما، أنّ أباهما صالح.

ومنها: استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه، بقوله: ﴿فأردت أن أعيبها﴾. وأما الخير، فأضافه إلى الله تعالى، لقوله: ﴿فأراد كنوهما رحة من ربك﴾ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ وقالت الجن: ﴿وأنّا لا ندري رجم رشداً﴾ مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

ومنها: أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى.

ومنها: أن موافقة الصاحب لصاحبه، في غير الأمور المحذورة، مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكدها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة.

ومنها: أن هذه القضايا التي أجراها الله الخضر هي قدر محض أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح، أقضيته، وأنه يقدر على العبد أموراً يكرهها جداً، وهي صلاح دينه، كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجاً من لطفه وكرمه، ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة.

﴿ ٨٣ ـ ٨٨﴾ ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً * إنّا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً * حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمثة ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تُعذّب وإمّا أن تتخذ فيهم حسناً * قال أمّا من ظلم فسوف

نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً * وأمّا من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً > كان أهل الكتاب أو المشركون، سألوا رسول الله على عن قصة ذي القرنين، فأمره الله أن يقول: ﴿سأتلو عليكم منه ذكراً > فيه نبأ مفيد، وخطاب عجيب.

أي: سأتلو عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة، وأما ما سوى ذلك من أحواله، فلم يتله عليهم. ﴿إِنَّا مُكِّنَّا لَهُ فَي الأَرْضِ ﴾ أي: ملكه الله تعالى، ومكّنه من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. ﴿ وَآتيناه من كل شيء سبباً * فأتبع سبباً * أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل.

وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عدَدٍ وعُدَدٍ ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها وأنحائها، فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمشة، أي: سوداء، وهذا المعتاد بن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب فى نفس الماء وإن كانت فى غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوماً ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن

تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴾ أي: إما أن تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخُيِّرَ بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم إما كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق، لم يُرخص له في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: ﴿أَمَا مِنْ ظلم ﴾ بالكفر ﴿ فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً الله أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة، ﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسني أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاءيوم القيامة، ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين والأولياء العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله .

﴿٨٩_٨٩﴾ ﴿ثم أتبع سبباً * حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً * كذلك وقد أحطناً بما لديه خبراً * ثم أتبع سبباً * حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً * قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون ني الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أنّ تجعل بيننا وبينهم سداً * قال ما مكنى فيه رق خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما * آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قِطراً * فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً * قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعدري جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً ﴾ أي: لما وصل إلى مغرب الشمس كَرَّ راجعاً، قاصداً مطلعها، متبعاً للأسباب التي أعطاه الله، فوصل إلى مطلع الشمس ف ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم

من دونها ستراً في: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر، كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلاً عن وصولهم علم أهل الأرض، فضلاً عن وصولهم بتقدير الله له، وعلمه به، ولهذا قال إلى المحلك وقد أحطنا بما لديه خبراً وإلا سباب العظيمة وعِلمنا معه، حيثما والأسباب العظيمة وعِلمنا معه، حيثما وجه وسار.

وثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصداً للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سداً بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة واستعجام أذهانهم وقلوبهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقه هم، وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما: أمتان عظيمتان من بني آدم، فقالوا:

﴿إِن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك.

﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾ أي: جُعلاً ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سباً﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، ذلك، وذكروا له السبب الداعي، فو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركاً لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر

TO LEASING IN CHEMICAL ال إِنَّا مَكُنَّالُهُ فِي ٱلأَرْضِ وَمَالَيِّنَهُ مِن كُلِّ فَنِي وسَبِّنًا ﴿ فَأَنْتُمَ سَبًّا ٥ حَقَّ لِهَا بِلَغَ مَغْمِ الشَّمْسِ وَجَدَهَ الْغُرُهُ فِي عَيْنٍ مِنْ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنا يَكُنَا ٱلْقَرْنِي إِمَّا أَن تُعَيِّب وَإِمَّا أَن لَتَعْذِ فِيهِمْ حُسنا @ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَلَدْ بُمُثُمَّ فَيْرَدُ إِلَى رَيْدِهِ فَعُدَيْهُمُ عَنَا إِنْكُوا ﴿ وَأَمَّا مَنْ عَامَنَ وَعَيلَ صَلِيحًا ظَلَهُ جَنَاءً آفتني وسَنَعُولُ لَدُين أَفِيَّا يُشرُكُ فَرَأَتُمُ سَبَبًا ﴿ خُرَالِهَا بَلَغَ مَطَلِعَ ٱلشَّمُينِ وَجَدَهَا تَطَلُّعُ عَلَى قَوْمِ لِّرَجْعَلَ لَهُ مِيْن دُولِهَا سِنْزُ ۞ كَذَالِكَ وَقَدْ أَحَظْنَا بِمَالَتَنِهِ خَبْرُ ۞ ثُمَّ أَنْعَ سَبَبًا۞ حَقَّ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدِّينِ وَجَدَمِن دُونِهِمَا فَوْمًا ٱلْاِيحَادُونَ يَفْفَهُونَ قَوْلًا ﴿ قَالُواْ لَذَا ٱلْغَنَيْنِ إِنَّ يَأْجُحُ ۖ وَمَلْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ بَحْسَلُ لَكَ حَيِّعًا عَلَيْ أَن تَجْعَلَ يَيْسَنَا وَيِّنَهُمُ مَنَدًا ﴾ قَالَ مَا مَكِّني فِيورَقِ خَيْرٌ قَأْعِنُونِي تُوْوَ أَجْعَلُ بَيْنَكُرُ وَيَنْتُهُمْ رَدْمًا ۞ ، اتُونِ زُيَرًا ْ عَدِيدٌ حَقَّ إِذَاسًا وَكَ بَيْنَ السَدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَقّ إِذَاجَعَكُمُ ذَارًا قَالَ مَا تُونِ أَفْرَعُ عَلَيْهِ وَلَا ١٥ فَمَا أَسْطَعُوا أَن يَظْهُرُهُ وَمَا أَسْطَعُوا أَلْهُمَّا ١٥ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿ما مكني فيه ربي خير﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أجعل بيتكم وبينهم ردماً﴾ أي: مانعاً من عبورهم عليكم.

﴿آتوني زبر الحديد ﴾ أي: قطع الحديد. فأعطوه ذلك.

﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد ﴿قال انفخوا﴾ النار أي: أوقدوها إيقاداً عظيماً، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ أي: نحاساً مذاباً، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكاماً هاثلاً، فاستعكاماً هاثلاً، فامر يأجوج ومأجوج.

﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴾ أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿ هذا رحمة من ربي ﴾ أي: من فضله وإحسانه على، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا مَنَّ الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله، كما

LESSING IN قَالَ هَلْنَارَهُمَّةٌ مِن زَنِّي فَإِذَاجَاءَ وَعُدُرَتِي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِي حَقَّا ﴿ وَرَّكُا بَعْضَاهُمْ وَمْرِدِ يُوجُ فِي بَعْضٌ وَنَفِحَ فِي ٱلصُّورِ فَيَنْعَنَاهُ مِنْعَاٰ۞ وَعَيْضِنَا جَعَنْدَ وَّمِيذِ لَلْكُلُغِينَ عَضًا ۞ الَّذِينَ كَانْتَ أَغَيْنُهُمْ فِي غِطَلْهِ عَن ذَكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِعُونَ سَمْعًا ۞ أَخَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُهُمْ أَن يَتَّخِذُواعِبَادِيمِن دُونِ أَوْلِيَةً ۗ إِنَّا أَغْتَدْنَاجَهَنَّمُ لِلْكُفِينَ ثُرُلًا ۞ قُلْهَلْ مُنْتَكُدُ بِٱلْأَخْسَ إِنَّ أَعْلَلًا ۞ الَّذِينَ صَلَّ سَعْيُعُمْ فِي ٱلْخَيَّوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ يُحْسِبُونَ مُنْعًا ۞ أُولَيِّكَ ٱلَّذِنَّ كَفَرُوا بِعَالِتَ رَبْعِهُ وَلِقَالَهِ عَنِيطَتْ أَعَلَمُهُمْ فَلَانْتِيمُ لَمُنْرُونَ ٱلْقِيلَةِ وَزُنَّا ٥ ذَلِكَ جَزَا وَهُمُ جَمَّدُ مِمَا كَفَرُواْ وَأَتَّخَذُواْ مَالِقَي وَرُسُلِ هُرُوا ۞ إِنَّ الَّذِينَ وَاسْتُوا وَعَيِلُوا الصَّالِحَتِ كَانَتْ هَلَيْرَجَنَّكُ الْفِرْةِ وْسِ نُزلًّا ٥ خَلِينَ فِهَا لَا يَتُغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۞ قُلُ أَوْكَانَ ٱلْمِتْمِمَا وَالْكَلِيَاتِ رَبِي لَنَهَدَا أُخْرُجُ لَأَن نَعَدَ كُلِلتُ رَبِّي وَلَوْحِثْنَا عِثْلِهِ مَدَدًا ﴿ قُلَّ الْهُ إِنَّا آَثَا بَشَرُونَاكُونِ وَخَذَ إِنَّ أَنَّا إِلَيْهُ لَالَّهُ وَلِيدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِكُ لِقَاءَ رَبِيهِ فَلْيَعْمَلُ عَلَا سَلِلُ اللَّهِ اللَّهِ مِيلَا وَرَبِي الْمَنَّا ١ TONOTON TONOTON

قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشراً وبطراً.

كما قال قارون _ لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة _ قال: ﴿إنما أوتيته على على عندي﴾.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءُ وَعَدَّ رَبِي ﴾ أي: خروج يأجوج ومأجوج ﴿جعله ﴾ أي: ذلك السد المحكم المتقن ﴿دكاء ﴾ أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض ﴿وكان وعدري حقاً ﴾.

و ۱۹۹ (و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض في يحتمل أن الضمير، يعود إلى يأجوج ومأجوج، وأنهم إذا واستيعابهم للأرض كلها _ يموج بعضهم ببعض، كما قال تعالى: وهم من كل حدب ينسلون في ويحتمل القيامة، وأنهم يجتمعون فيه فيكثرون والزلال العظام، بدليل قوله: ﴿وتفخ والذكر والذكر العظام، بدليل قوله: ﴿وتفخ والذلال العظام، بدليل قوله: ﴿وتفخ والذكر العظام، بدليل قوله: ﴿وتفخ

في الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى نفخ إسرافيل في الصور، أعاد الله الأرواح إلى الأجساد، ثم حشرهم وجمعهم لموقف القيامة، الأولين منهم والآخرين، والكافرين والمؤمنين، ليسألوا ويحاسبوا ويجزون بأعمالهم، فأما الكافرون _على اختلافهم _ فإن جهنم جزاؤهم، خالدين فيها أبداً.

﴿١٠١﴾ ولهذا قال: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ﴾ كما قال تعالى: ﴿وبرِّزت الجحيم للغاويو: ﴾(١) أي: عرضت لهم لتكون مأواهم ومنزلهم، وليتمتعوا بأغلالها وسعيرها، وحيمها، وزمهريرها، وليذوقوا من العقاب، ما تبكم له القلوب، وتصم الآذان، وهذا آثار أعمالهم، وجزاء أفعالهم، فإنهم في الدنيا ﴿كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى الذكر معرضين عن الذكر الحكيم، والقرآن الكريم، وقالوا: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ وفي أعينهم أغطّية تمنعهم من رؤية آيات الله النافعة، كما قال تعالى: ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة).

﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾
أي: لا يقدرون على سمع آيات الله الموصلة إلى الإيمان، لبغضهم القرآن والرسول، فإن البغض لا يستطيع أن يلقي سمعه إلى كلام من أبغضه، فإذا انحجبت عنهم طرق العلم والخير، فليس لهم (٢) سمع ولا بصر، ولا غقل نافع، فقد كفروا بالله وجحدوا آياته، وكذبوا رسله، فاستحقوا جهنم، وساءت مصيراً.

﴿۱۰۲﴾ ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً وهذا برهان وبيان، لبطلان دعوى المشركين الكافرين، الذين اتخذوا بعض الأنبياء

والأولياء شركاء لله يسعبدونهم، ويزعمون أنهم يكونون لهم أولياء، ينجونهم من عذاب الله، وينيلونهم ثوابه، وهم قد كفروا بالله وبرسله.

يقول الله لهم على وجه الاستفهام الإنكاري المتقرر بطلانه في العقول: ﴿أَفْحَسَبُ اللّٰذِينَ كَفُرُوا أَنْ يَتَخَلُوا عَبِادِي مِن دُونِي أُولِياء ﴾ أي: لا يكون ذلك ولا يوالي ولي الله معادياً لله أبداً، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابهاً لقوله تعالى: ﴿ويوم يحسرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ﴾.

فمن زعم أنه يتخذولي الله ولياً له، وهو معاد لله، فهو كاذب، ويحتمل ــ وهو الظاهر _أن المعنى: أفحسب الكفار بالله، المنابذون لرسله، أن يتخذوا من دون الله أولياء ينصرونهم، وينفعونهم من دون الله، ويدفعون عنهم الأذي؟ هذا حسبان باطل، وظن فاسد، فإن جميع المخلوقين، ليس بيدهم من النفع والضر، شيء، ويكون هذا كقوله تعالى: ﴿قُلُّ ادْعُوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ونحو ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها، أن المتخذ من دونه ولياً ينصره ويواليه، ضال خائب الرجاء، غير نائل لبعض مقصوده.

﴿إِنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ أي: ضيافة وقرى، فبئس النزل نزلهم، وبئست جهنم ضيافتهم.

﴿ ١٠٣ - ١٠٣﴾ ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا

⁽١) في النسختين: (وإذا الجحيم برزت) وهو سبق قلم.

⁽۲) في النسختين: له.

واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾ أي: قل يا: المفردوس نـزلاً * خـالـديـن فـيـهـا محمد، للناس _على وجه التحذير والإنذار _: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالاً على الإطلاق؟ ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا♦ أي: بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل، يحسبون أنهم محسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، وأنها محادة لله ورسله ومعاداة؟!! فمن هم هؤلاء الذين خسرت أعمالهم، فرخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؟ ألا ذلك هو الخسران المبين،

> ﴿أُولِئِكُ الَّذِينِ كَفُرُوا بِآيَاتِ رَجِمَ ولقائه﴾ أي: جحدوا الآيات القرآنية والآيات العيانية، الدالة على وجوب الإيمان به وبملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر .

> وُلْحِبِطْتُ ﴾ بسبب ذلك ﴿أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ لأنَّ الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رؤوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها، ولهذا قال: ﴿ذلك جزاؤهم ﴾ أي: حبوط أعمالهم، وأنه لا يقام لهم يوم القيامة، ﴿وزنا ﴾ لحقارتهم وخستهم، بكفرهم بآيات الله، واتخاذهم آياته ورسله، هزواً يستهزئون بها، ويسخرون^(١) منها، مع أن الواجب في آيات الله ورسله، الإيمان التام بها، والتعظيم لها، والقيام بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم، وتعسوا، وانتكسوا في العذاب. ولما بين مآل الكافرين وأعمالهم، بيَّن أعمال المؤمنين ومآلهم فقال:

﴿١٠٧ ـ ١٠٨﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمِنُوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات

لا يبغون عنها حولاً أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأعماله، أصوله، وفروعه الظاهرة والباطنة، فهؤلاء _ على اختلاف طبقاتهم من الإيمان والعمل الصالح، لهم جنات الفردوس.

يحتمل أن المراد بجنات الفردوس، أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، وأن هذا الثواب لمن كمّل الإيمان والعمل الصالح، وهم الأنبياء والمقربون.

ويحتمل أن يراد بها، جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدين، كلّ بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، ولأن الفردوس يطلق على البستان، المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفة، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نُزُلُ، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي: ضيافة أجل وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسى والمعنوي، والنعمة الدائمة، وأعلى ذَّلك وأفضَّله وأجله، التنعم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرؤوف الرحيم، فلله تلك الضيافة، ما أجلها وأجملها وأدومها وأكملها!!، وهي أعظم من أن يحيط ما وصف أحد من الخلائق، أو تخطر

كَهِيمَة ٥ ذِكْرُومَت رَبِكَ عَبْدَهُ زَكَرِيكَ ٥ إِذْنَادَىٰ رَبَّهُ نِدَآهُ خَفِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ إِ مِنْ وَاشْتَعَلَ الرَّأْمُ شَكِيبًا وَلَرْ أَحُنْ بِدُعَا إِلَّ رَبِّ شَيَقِيًّا ۞ وَ لِنَي خِفْتُ ٱلْمُوْلِيَ مِن وَدَآءِى وَكَانَتِ آصَرَأَق عَافِيزًا فَهَبْ لِي مِن أَدُنكَ وَلِيُّنا ۞ يَرْتَى وَرَثُ مِنْ ءَالِ يَعْفُوبَ وَأَجْعَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا ۞ يَنزَكَريَّا إِنَّا نُهَضِّدُكَ بِعُلَادِ آسَـُهُ بَعِينَ لَرْجَعَكَ لَهُ عِن قَبَلُ سَيَتًا ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّا يَكُونُ لِي غُلَادٌ وَكَامَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِدًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْحِيكِ بَرِعِتِكًا ۞ قَالَ كَذَٰ إِلَكَ الرَّبُكَ هُوَعَلَيَّ هَيْتُ وَقَدْخَلَقْنُكَ مِن قَبْلُ وَلَرْتَكُ المَسْيَعًا ۞ قَالَ رَبْ الْجَعَلِ إِنْ تَاكِيَّةً قَالَ مَالِثُكَ أَلَّا تُكْلِمَ النَّاسَ ثَلَكَ لَيَ الْمِسُونِيَّا ۞ خَنَرَجَ عَلَ قَوْمِهِ مِنَ الله حَرَابِ فَأَوْحَنَ إِلَيْهِ مَ أَنْ سَيْحُوا بُحْتَرَةً وَعَيْنَيًا ۞

على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علماً حقيقياً يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحداناً، ولم يؤثروا عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يفوتوا أوقاتاً تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة نفذت(٢)، فكان ما كانْ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ هذا هو تمام النعيم، إن فيها النعيم الكامل، ومن تمامه أنه لا ينقطع ﴿لا يُبغُون عِنها حوَّلاً﴾ أي: تحولاً ولا انتقالاً، لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيماً فوق ما هم فيه .

﴿١٠٩﴾ ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴿ أَي : قل لهم مخبراً عن عظمة الباري، وسعة صفاته، وأنها لا يحيط العباد بشيء منها: ﴿لُوكَانُ البِحَرِ ﴾ أي: هذه الأبحر الموجبودة في العالم ﴿ملاداً

⁽١) في النسختين: ويستخرون.

يَبَخَىٰ فَدُ الْكَنِّبَ بِفُوْقُرَ وَ الْبَنَّهُ الْكَحْمَ مَيَنَا ۞

وَمَنَا عَنِيْ الْمَكْ وَمَنْ فَوْقُوْ وَ الْمَنْ الْمُكَامِ مَنْ عَلَيْوَالِدَ وَوَرَ الْمَنْ الْمُكَامِّ مَنْ الْمَالِمُ اللّهُ عَلَيْهِ وَوَرُ وَلِدَ وَوَرَ مَعُونُ ﴾

وَمَنْ مَنْ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ وَمَ لَهُ اللّهِ عَلَيْهِ وَوَرُ وَلِدَ وَقِرَ مَعُونُ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ وَمِنْ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ وَمَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ

الكلمات ربي أي: وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار أقلام، (لنفد البحر) وتكسرت الأقلام (قبل أن تنفد كلمات ربي) وهذا شيء عظيم، لا يحيط به أحد.

فَنَادَنَهَا مِن تَعْنِيهَا أَلَّا تَعْدَزِنِي قَدْجَعَلَ رَبُّكِ تَعْنَكِ سَرِيًّا ۞

وَهُنِينَ إِلَيْكِ بِجِنْعِ ٱلْغَنْلَةِ تُسَلِقِطَ عَلَيْكِ رُطَبَاجَيْنًا ۞

وفي الآية الأخرى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم). وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان، لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات منقضية منتهية، وأما كلام الله فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى، فأئي سعة وعظمة تصورتها القلوب فالله فوق ذلك، وهكذا سائر صفات الله تعالى، كعلمه، وحكمته، وقدرته، ورحمته، فلوجمع علم الخلائق من الأولين والأخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، لكان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة عصفور وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلى ربك المنتهى.

﴿١١٠﴾ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ أي:

﴿ وَلَى ﴾ يا محمد للكفار وغيرهم: ﴿ إِنها أَنَا بِشَر مثلكم ﴾ أي: لست بإله، ولا ي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، و ﴿ إِنها أَنَا بِشَر مثلكم ﴾ عبد من عبيد ربي، أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه الله إلى، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إله كم إله واحد، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره، وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال:

فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ﴾ وهو الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، ﴿ولا يشرك بعبيادة ربه أحداً ﴾ أي: لا يرائي بعمله، بل يعمله خالصاً لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه ونيل رضاه.

آخر تفسير سورة الكهف، ولله الحمد

تفسیر سورة مریم وهی مدنیة

﴿١ - ٦﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفياً * قال رب إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً * وإن خفت الموالي من ورائي وكانت امرأي عاقراً فهب لى من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ﴾ أي: هذا ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا كاستقصه عليك، ونفصله تفصيلا يعرف به حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة، فإن في قصها عبرة للمعتبرين، وأسوة للمقتدين، ولأن في تفصيل رحمته الأوليائه، وبأي: سبب حصلت لهم، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره

ومعرفته، والسبب الموصل إليه. وذلك أن الله تعالى اجتبى واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفياً، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصاً، فقال: ﴿رب إني وهن العظم مني ﴿ أَي : وَهَى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، ﴿واشتعل الرأس شيباً ﴾ لأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التَّبرِّي من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.

﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً أي: لم تكن يا رب تردني خائباً ولا محروماً من الإجابة، بل لم تزل بي حفياً ولدعائي مجيباً، ولم تزل الطافك تتوالى علي، وإحسانك واصلاً إلى، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقاً، أن يتمم إحسانه لاحقاً.

﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾
أي: وإني خفت من يتولى على بني
إسرائيل من بعد موتي، أن لا يقوموا
بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك
إليك، وظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحداً
فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه
شفقة زكريا عليه السلام ونصحه، وأن
طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده
عرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده
مصلحة الدين، والخوف من ضياعه،
ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان
بيته من البيوت المشهورة في الدين،
ومعدن الرسالة، ومظنة للخير،
فدعا الله أن يرزقه ولداً، يقوم بالدين

ال فَكُل وَأَشْرَف وَقَرَى عَنْ أَوْلَمَا زَيْنَ مِنَ ٱلْمِشَرِلَحَدُ افْغُولَ إِن نَذَرْتُ لِلرَّحَلَن صَوْمًا فَأَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمِ إِنسِيًّا ۞ فَأَتَتَ الم بدوقومة المخدمة أو الوائمة م المنافريك الله يَنْأُخْتَ هَـُدُونَ مَاكِنَ أَوْلِهِ أَمْرَأَ سَوْءٍ وَمَاكَانَ فِ ٱلْمَهْدِ صَبَيًّا ۞ قَالَ إِنْ عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىنِيٓ ٱلْكِنْبَ وَجَعَلَى نَيًّا ۞ وَجَعَلَني مُبَارِكًا أَيْنَ مَاكُنتُ وَأَوْصَنِي الْصَلَوْةِ وَالرَّيِكُوْةِ مَادُمْتُ حَيَّانَ وَيَرَّأُ مِلَاتِي وَلَرْيَعْكُلْنِي جَبَّالًا شَيْدَيًا ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيًّا ۞ ذَالِكَ عِيسَى أَنْ مُنْهَ مِنْ قُولَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتُرُونَ ۞ مَاكَانَ يَعُوأَن يَتَعِذُ مِن وَلَدِّسُبْ كَنَهُ وَإِذَا قَصْفَ أَمْرًا فَإِغَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ وَإِنَّ أَلَةً رَبِّ وَنَبُّكُمْ الْ فَأَعْبُدُوهُ هَا ذَاصِرُكُ مُسْتَقِيمٌ ۞ فَأَخْتَلَفَ ٱلْأَعْزَابُونَ السِيعِدُ فَيْلُ لِلْذِينَ كَفَرُوا مِن مَشْهَدِ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿ أَسِّمْ بِعِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَّا لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالِمُ مِينِ ﴿

بوالديه ولم يكن جباراً عصياً * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً﴾ دل الكلام السابق على ولادة يحيى، وشبابه، وتربيته، فلما وصل إلى حالة يفهم فيها الخطاب أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامتثل أمر ربه، وأقبل على الكتاب، فحفظه وفهمه، وجعل الله فيه من الذكاء والفطنة، ما لا يوجد في غيره، ولهذا قال: ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ أي: معرفة أحكام الله والحكم بها، وهو في حال صغره وصباه، ﴿و﴾ آتيناه أيضًا ﴿حناناً من لدنا﴾ أي: رحمة ورأفة، تيسرت بها أموره، وصلحت ما أحواله، واستقامت مها أفعاله.

﴿وِرْكَاةِ إِي: طهارة من الآفات والذنوب، فطهر قلبه وتزكى عقله، وذلك يستضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديثة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة، ولهذا قال: ﴿وكان تقيأُ﴾ أي: فاعلاً للمأمور، تاركاً للمحظور، ومن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، وكان من أهل الجنة التي أعدت للمتقين، وحصل له من الشواب الدنيوي والأخروي، ما رتبه الله على التقوى. ﴿وَ كَانَ أَيضاً ﴿ بِوَ أَبُو الدِّيهِ ﴾ أي:

وجود الولد، موجود بي وبزوجتي؟ وكأنه وقت دعائه، لم يستحضر هذا المانع لقوة الوارد في قلبه، وشدة الحرص العظيم على الولد، وفي هذه الحال، حين قبلت دعوته، تعجب من ذلك، فأجابه الله بقوله: ﴿كذلك قال ربك هنو على هنين الأمر مستغرب في العادة، وفي سنة الله في الخليقة، ولكن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاد الأشياء بدون أسبابها فذلك هين عليه، ليس بأصعب من إيجاده قبلُ ولم یکن شیئاً.

﴿قَالُ رَبِ اجْعَلُ لِي آيَـة ﴾ أي: يطمئن بها قلبي، وليس هذا شكاً في خبر الله، وإنما هو، كما قال الخليل عليه السلام: ﴿رب أرنى كيف تحيى الموتىي قال أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي فطلب زيادة العلم، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين، فأجابه الله إلى طلبته رحمة به، ف ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ وفي الآية الأخرى ﴿أَلاَّ تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً والمعنى واحد، لأنه تارة يعبر بالليالي، وتارة بالأيام ومؤداها واحد، وهذا من الآيات العجيبة، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام، وعجزه عنه من غير خرس ولا آفة ، بل كان سوياً ، لا نقص فيه، من الأدلة على قدرة الله الخارقة للعوائد، ومع هذا، ممنوع من الكلام الذي يتعلق بالأدميين وخطابهم، وأما التسبيح والتهليل، والذكر ونحوه، فغير ممنوع منه، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿ واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار ﴾ فاطمأن قلبه، واستبشر بهذه البشارة العظيمة، وامتثل لأمر الله له بالشكر بعبادته وذكره، فعكف في محرابه، وخرج على قومه منه فأوحى إليهم، أي: بالإشارة والرمز ﴿أَنْ سَبِحُوا بِكُرةً وعشياً ﴾ لأن البشارة به (يحيى) في حق الجميع، مصلحة

﴿١٥ ــ ١٥﴾ ﴿يا بحسي خلدُ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً * وحئاناً من لدنا وزكاة وكان تَقْياً * وبراً

من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر، أي: ليست تلد أصلاً، وأنه قد بلغ من الكبر عتياً، أي: عمراً يندر معه وجود الشهوة والولد، ﴿فهب لي من لدنك وليأ ﴾ وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ﴾ أي: عبداً صالحاً ترضاه وتحبيه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولداً، ذكراً، صالحاً، يبقى بعدموته، ويكون ولياً من بعده، ويكون نبيأ مرضياً عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده أن يرزقه ولدأ صالحاً، جامعاً لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم، فرحمه ربه، واستجاب دعوته، فقال:

﴿٧ ـ ١١﴾ ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيئ لم نجعل له من قبل سميّاً * قال ربّ أنّي يكون لي غلامٌ وكانت امرأق عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً * قال كذلك قال ربّك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً * قال ربّ اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث لبال سوياً * فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرة وعشياً ﴾ أي : بشره الله تعالى على يدالملائكة به «يحيي» وسماه الله له «يحيي»، وكان اسماً موافقاً لمسماه: يحيا حياة حسية، فتتم به المنة، ويحيا حياة معنوية، وهي حياة القلب والروح، بالوحى والعلم والدين، ﴿ لَمْ نَجِعُلُّ لَهُ مِنْ قَبِلُ سَمِياً ﴾ أي: لم يسم هذا الاسم قبله أحد، ويحتمل أن المعنى: لم نجعل له من قبل مثيلاً ومسامياً، فيكون ذلك بشارة بكماله، واتصافه بالصفات الحميدة، وأنه فاق من قبله، ولكن على هذا الاحتمال، هذا العموم لا بدأن يكون مخصوصاً بإبراهيم، وموسى، ونوح عليهم السلام، ونحوهم، ممن هو أفضل من يحيى قطعاً، فحينئذ لما جاءته البشارة بهذا المولود الذي طلبه، استغرب وتعجب وقال: ﴿رب أني يكون لي غلام﴾ والحال أن المانع من

وَأَنذِوهُمْ مَوْمَ ٱلْحَسْرَ وَإِذْ قَصِنِيَ ٱلْأَفْرَ كُوهُمْ فِي غَفْلَةِ وَهُوَ لَا يُؤْمِنُونَ ا إِنَّا غَنْ رَبِّكُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَ إِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۞ وَإِذَكُّرُ فِ ٱلْكِنْكِ إِنْرُهِيمُ إِنْدُكَانَ صِدِيقًا أَيْنًا ۞ إِذْ قَالَ لِأَيْدِ يَنَأَبُتِ لِرَقَبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُتِصِرُ وَلَا يُنْغِيمَنكَ شَيْعًا ۞ يَتَأْبَتِ إِنْ قَدْجَاْءَنِ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمَ يَأْلِكَ فَانَّهِ عِنَ أَهْدِكَ مِرَاطًا سَوَيًا ۞ يَنَأَبُ لِاتَقَبُدِ ٱلشَّيْعَانَ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ الرَّمْنَ عَصِينًا ۞ يَنَأَبُ إِنَّ أَخَافُ أَن يَمْسَكَ عَنَابُ مِ كَالْوَفَنَ مَنْكُونَ لِلشِّيطُانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاعِبُ أَسَتَ عَنْ مَالِلَهَ فِي يَكَارَنُونِيمٌ لَهِن لَرْمُنتَه لَازْهُمَنَكُ وَأَجْدُن مِليًا @ قَالَ سَلَامُ عَلَيْكٌ مَا أَسْتَغْفِرُ إِلَّهَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيتًا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَاتَدَّعُونَ مِن دُونِ أَهَّدِ وَأَدْعُواْ رَقِي عَلَيْ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَكَ وَيِ شَقِيًّا ۞ فَلَا أَعَرَ لَكُمْ وَمَا يَعْبَدُونَ ين دُونِ الْمَوْوَمَبْنَا لَهُ مِاسْحَقَ وَيَشْعُوبٌ وَكُلَّاجَسَلَنَا بَيْنَا ۞ الْكَلْ وَوَهَبْنَا لَمُدُمِّنَ يَعْلِنَا وَحَعَلْنَا كَمْمُ لِسَكَانَ صِدْقٍ عَلِيتًا ۞ وَاذَكُرُ فِي ٱلْكِنْبِ مُوسَفَّ إِنَّهُ كَانَ عُنْلَصًّا وَكَانَ رَسُولًا بِّنِيًّا ۞ TO DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

لم يكن عاقاً، ولا مسيئاً إلى أبويه، بل كان محسناً إليهما بالقول والفعل.

﴿ ولم يكن جباراً عصياً ﴾ أي: لم يكن متجبراً متكبراً عن عبادة الله، ولا مترفعاً على عباد الله، ولا على والديه، بل كان متواضعاً، متذللاً، مطيعاً، أواباً لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خُلقه، ولهذا حصلتُ له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها، فلهذا قال: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً الله وذلك يقتضى سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها، وأنه سالم من النار والأهوال، ومن أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى والده وعلى سائر المرسلين، وجعلنا الله من أتباعهم، إنه جواد كريم.

﴿١٦ - ٢١﴾ ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرأ سوياً * قالت إنّ أعوذ بالرّحن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربّك لأهب لك غلاماً زكياً * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغِياً * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرأ مقضياً ﴾ لما ذكر قصة زكريا ويحيى، وكانت من الآيات العجيبة،

انتقل منها إلى ما هو أعجب منها، تدريجاً من الأدني إلى الأعلى فقال: ﴿واذكر في الكتابِ﴾ الكريم ﴿مريم﴾ عليها السلام، وهذا من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل، وسعيها الكامل، أي: واذكر في الكتاب مريم، في حالها الحسنة، حين ﴿انتبذت﴾ أي: تباعدت عن أهلها ﴿مكاناً شرقياً ﴾ أي: مما يلي الشرق عنهم، ﴿فَاتَّخَذَتُ مِنْ دُونِهُمْ حجاباً أي: ستراً ومانعاً، وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب، لتعتزل، وتنفرد بعبادة ربها، وتقنت له فى حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتى لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ وقوله: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ وهو: جبريل عليه السلام ﴿فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ أي: كاملاً من الرجال، في صورة جميّلة، وهيئة حسنة، لا عيب فيه ولا نقص، لكونها

لا تحتمل رؤيته على ما هو عليه، فلما رأته في هذه الحال، وهي معتزلة عن أهلها، منفردة عن الناس، قد اتخذت به، وبوالدته، وبالناس. الحجاب عن أعز الناس عليها وهم أهلها، خافت أن يكون رجلاً قد تعرض لها بسوء، وطمع فيها، فاعتصمت بربها، واستعاذت منه فقالت له:﴿إنِي أعوذ بالرحمن منك﴾ أي: ألتجيء به وأعتصم برحمته، أن تنالني بسوء، ﴿إن كنت تقياً ﴾ أي: إن كنت تخاف الله، وتعمل بتقواه، فاترك التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه، وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء، أو عليه السلام في جيبها. يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها،

وهذا أبلغ ما يكون من العفة، والبعد عن الشر وأسبابه. وهذه العفة ـ خصوصاً مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع _ من أفضل الأعمال.

ولذلك أثنى الله عليها فقال: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ فأعاضها الله بعفتها، ولدأ من آيات الله، ورسولاً من رسله، فلما رأى جبريل منها الروع والخيفة، قال: ﴿إنما أنا رسول ربك) أي: إنما وظيفتي وشغلى تنفيذ رسالة ربي فيك ﴿لأهب لك غلاماً زكياً﴾ وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة، فتعجبت من وجود الولد من غير أب، فقالت: ﴿أَنِّي يَكُونَ لِي غَلامَ وَلَمْ يَمْسَسَنِي بِشُرِّ ولم أك بغيام والولد لا يوجد إلا بذلك؟!!﴿قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس، تدل على كتمال قدرة الله تحالى، وعلى أن الأسباب جميعها، لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية، لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها ﴿ورحمة منا﴾ أي: ولنجعله رحمة منا

أمارحمة الله به، فلما خصه الله بوحيه ومَنَّ عليه بما منَّ به على أولى العزم، وأما رحمته بوالدته، فلما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة. وأما رحمته بالناس، فإن أكبر نعمه عليهم، أن بعث فيهم رسولاً، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فيؤمنون به، ويطيعونه، وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، ﴿وكان﴾ أي: وجود عيسى عليه السلام على هذه الحالة﴿أمراً مقضياً ﴾ قضاء سابقاً، فلا بد من نفوذ هذا التقدير والقضاء، فنفخ جبريل

﴿۲۲ _ ۲۲﴾ ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً * قناداها من تحتها ألاتحزن قدجعل ربك تحتك سرياً * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطباً جنياً * فكلي واشرى وقرّى عيناً فإمّا ترينَ من البشرّ أحداً فقولي إنّ نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ أي: لما حملت بعيسي عليه السلام، خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس ﴿مكاناً قصياً﴾ فلما قرب ولادها، ألجأها المخاض إلى جذع نخلة، فلما آلمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من قالةً الناس، وخافت عدم صبرها، تمنت أنها ماتت قبل هذا الحادث، وكانت نسياً منسياً فلا تذكر، وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل، فحيننذ سكن الملك روعها وثبت جأشها وناداها من تحتها، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزن، أي: لا تجزعي ولا تهتمي، ف ﴿ قُدُ جَعلُ رَبِكُ تَحْتُكُ سُرِياً ﴾ أي: نهراً تشربين منه ، ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ أي: طرياً لذيداً نافعاً ﴿فكلي ﴿ من التمر، ﴿واشربي﴾ من النهر ﴿وقري عيناً﴾ بعيسى، فهذا طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب والهني.

وأما من جهة قالة الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحداً من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: ﴿إِنِ نَذُرت للرَّمْن صوماً﴾ أي: سكوتاً ﴿فَلْنَ أَكُلُم اليوم إنسياً﴾ أي: لا تخاطبيهم بكلام لتستريحي من قولهم وكلامهم. وكان معروفاً عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفى ذلك عن نفسها لأن

الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها، فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، من أكبر الدعاوى، التي لو أقيم عدة من الشهود، لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمراً من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جداً، ولهذا قال تعالى:

﴿۲۷ _ ۲۳﴾ ﴿فأتت به قومها تحمله قالوايا مريم لقد جئت شيئأ فريّاً * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمَّك بغيًّا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إن عبد الله آتاني الكّتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدي ولم يجعلني جبّاراً شقياً * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾ أي: فلما تعلت مريم من نفاسها، أتت بعيسي قومها تحمله، وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأتت غير مبالية ولا مكترثة، فقالوا: ﴿لقد جئت شيئاً فرياً ﴿ أَي : عظيماً وخيماً ، وأرادوا بذلك البغاء(١١)، حاشاها من ذلك، ﴿يا أخت هارون ﴾ الظاهر، أنه أخ لها حقيقي، فنسبوها إليه، وكانوا يسمّون بأسماء الأنبياء، وليس هو هارون بن عمران أخا موسى، لأن بينهما قروناً كثيرة، ﴿مَا كَانَ أَبُوكُ امراً سوء وما كانت أمك بغياً ﴾ أي: لم يكن أبواك إلا صالحين سالمين من الشر، وخصوصاً هذا الشر، الذي يشيرون إليه، وقصدهم: فكيف كنت على غير وصفهما؟ وأتيت بما لم يأتيا به؟، وذلك أن الذرية _ في الغالب _ بعضها من بعض، في الصلاح وضده، فتعجبوا _ بحسب ما قام بقلوبهم _ كيف وقع منها، فأشارت لهم إليه، أي: كلموه، وإنما أشارت لذلك، لأنها أمرت عند مخاطبة الناس لها، أن

تقول: ﴿إِنِ نَذِرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ فلما أشارت إليهم بتكليمه، تعجبوا من ذلك وقالوا: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾ لأن ذلك لم تجربه عادة، ولا حصل من أحد في ذلك السن، فحينئذ قال عيسى عليه السلام، وهو في المهد صبي: ﴿إِنِ عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ فخاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون نبياً وابناً للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله ﴿إِنْ عبد الله ﴾ ومدعون موافقته.

﴿آتاني الكتاب﴾ أي: قضى أن يؤتيني الكتب ﴿وجعلني نبياً﴾ فأخبرهم بأنه عبد لله، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه، فهذا فقال: ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ فقال: ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ فالبركة جعلها الله فيّ من تعليم الخير والدّعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، والدّعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه.

﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً أي: أوصاني بالقيام بحقوقه، التي من أعظمها الصلاة، وحقوق عباده، التي أجلُها الزكاة، مدة حياتي، أي: فأنا ممتثل لوصية ربي، عامل عليها، منفذ لها، ووصاني أيضاً، أن أبر والدتي فأحسن إليها غاية الإحسان، وأقوم بما ينبغي لها، لشرفها وفضلها، ولكونها والحدة لها حق الولادة ووابعها.

ولم يجعلني جباراً أي: متكبراً على الله، مترفعاً على عباده ﴿ شقياً ﴾ في دنياي أو أخراي، فلم يجعلني كذلك بل جعلني مطيعاً له خاضعاً خاشعاً متذللاً، متواضعاً لعباد الله، سعيداً في الدنيا والآخرة، أنا ومن اتبعني، فلما تم له الكمال، وعامد الخصال قال: ﴿ والسلام على يوم

⁽١) كذا في ب، وفي أ: البغي، وما في ب يبدو أنه معدل من البغي فصار (البغاء) هو الأقرب المتوافق مع القصة.

ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ أى: من فضل ربي وكرمه، حصلت لي السلامة يوم ولادتي، ويوم موتي، ويوم بعثى، من الشر والشيطان والعقوبة، وذلك يقتضي سلامته من الأهوال، ودار النفسجيار، وأنبه مين أهيل دار السلام، فهذه معجزة عظيمة، وبرهان باهر، على أنه رسول الله، وعبد الله

﴿۲۱_۳٤﴾ ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم الله أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات، عيسى ابن مريم، من غير شك ولا مرية، بل قبول الحت وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلاً، ولا أحسن منه حديثاً، فهذا الخبر اليقيني عن عيسى عليه السلام، وما قيل فيه تما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكاً من قائلُه لا علم له به، ولهذا قال: ﴿الذي فيه يسترون اي: يشكون فيسارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قَائِلُ عَنْهُ: إِنَّهُ اللهُ، أَوَ ابْسُ اللهُ، أَو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقوُّلهم علواً كبيراً، فـ ﴿مَا كَانَ للهُ أَنَّ يتخذمن ولد) أي: ما ينبغي ولا يليق، لأن ذلك من الأمور المستحيلة، لأنه الغنى الحميد، المالك لجميع المالك، فكيف يتخذ من عباده ومماليكه ولداً؟! ﴿سبحانه﴾ أي: تنزه وتقدس عن الولد والنقص، ﴿إذا قضى أمراً ﴾ أي: من الأمور الصغار والكبار، لم يمتنع عليه ولم يستصعب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنَّ فَيَكُونَ﴾ فإذا كان قدره ومشيئته نافذاً في العالم العلوي والسفلى، فكيف يكون له ولد؟! وإذا كان إذا أراد شيشاً قال له: ﴿ كُن َ فيكون فكيف يستبعد إيجاده عيسي من غير أب؟! ولهذا أخبر عيسي أنه عبد مربوب كغيره، فقال: ﴿وإن الله

ربى وربكم الذي خلقنا، وصورنا، ونفذ فينا تدبيره، وصرفنا تقديره.

﴿فاعبدوه أي: أخلصواله العبادة، واجتهدوا في الإنابة، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهبة، والاستدلال بالأول على الشانى، وليهذا قيال: ﴿هذا صراط مستقيم أي: طريق معتدل، موصل إلى الله، لكونه طريق الرسل وأتباعهم، وما عدا هذا، فإنه من طرق الغتي والضلال.

و ٣٧ ـ ٣٧) ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم * أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ لما بين تعالى حال عيسى ابن مريم الذي لا يُشَكُّ فيها ولا يمتري، أخسير أن الأحسزاب، أي: فسرق النضلال، من اليهود والنصاري وغيرهم، على اختلاف طبقاتهم اختلفوا في عيسي عليه السلام، فمن غال فيه وجاف، فمنهم من قال: إنه الله، ومنهم من قال: إنه أبن الله ومنهم من قال: إنه ثالث ثلاثة ومنهم من لم يجعله رسولاً، بل رماه بأنه ولد بغي كاليهود. وكل هؤلاء أقوالهم باطلة، وآراؤهم فاسدة، مبنية على الشك والعناد، والأدلة الفاسدة، والشبه الكاسدة، وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿فُويِلِ لِلْذِينِ كَفُرُوا﴾ بِاللهِ ورسله وكتبه، ويدخل فيهم اليهود والنصاري، القائلون بعيسى قول الكفر ﴿من مشهد يوم عظيم ﴾ أي: مشهد يوم القيامة، الذي يشهده الأولون والأخرون، أهل السماوات وأهل الأرض، الخالق والمخلوق، الممتلىء بالنزلازل والأهوال، المستمل على الجزاء بالأعمال، فحينئذ يتبين ما كانوا يخفون ويبدون، وما كانوا يكتمون.

﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ أي: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم! فيقرون بكفرهم وشركهم

وأقوالهم، ويقولون: ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحأ إنا موقنون ففي القيامة، يستيقنون حقيقة ما هم عليه.

﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين، وليس لهم عذر في هذا الضلال، لأنهم بين معاند ضال على بصيرة، عارف بالحق صادف عنه، وبين ضال عن طريق الحق، متمكن من معرفة الحق والصواب، ولكنه راض بضلاله وما هو عليه من سوء أعماله، غير ساع في معرفة الحق من الباطل، وتأمل كيف قال: ﴿فويل للذين كفروا﴾ بعد قوله ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم) ولم يقل «فويل لهم» ليعود النصمير إلى الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين، طائفة أصابت الصواب، ووافقت الحق، فقالت في عيسى: «إنه عبد الله ورسوله» فآمنوا به، واتبعوه، فهؤلاء مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد، فلهذا خص الله بالوعيد الكافرين.

﴿٣٩ ـ ٤٠) ﴿وأنسذرهسم يسوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون * إنا نحن نرث الأرض ومن عليهاوإلينا يرجعون، الإنذار هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر، فيجمع الأولون والآخرون في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله، واتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شَقِي شقاوةً لا سعادة(١) بعدها، وخسر نفسه وأهله، فحينئذ يتحسر، ويندم ندامة تتقطع منها القلوب، وتنصدع منها الأفئدة، وأي: حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه والنار، على وجه لا يتمكن من الرجوع ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟! فهذا قدامهم، والحال أنهم في الدنيا في

وَنَكَدَيْنَهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَقَرَّيْنَهُ جَيَّا ۞ وَوَحَيْنَا لَهُ مِن زِّحَيْنَآ أَخَاهُ مَدُرُونَ بَيَّنا ﴿ وَأَذَكُّرُ عِنْ ٱلْكِتْبِ إِسْمَعِيلُ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولُا نَّبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بَالصَّلَوْةِ وَالزَّكَوْةِ وَكَانَ عِندَ رَبِهِ مِنْهِنَّا ﴿ وَاذْكُرُ فِي ٱلْكِنْكِ إِذْرِينُ إِنْفُكَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا ۞ وَرَفَعْنَهُ مُكَافَاعَلِتًا ۞ أُوَلَّيْكَ ٱلَّذِينَ ٱنْفَعَرَالَقُهُ عَلَيْهِ مِقِنَ النِّينِينَ مِن دُرِّيَّةِ عَادَمَ وَيَنْ حَمْلَنَامَعَ نُوج وَمِن دُرِيَّةِ إِبْرَهِيمِ وَإِسْرَةِ مِلَ وَيَنَّ هَدَيْنَا وَلَجَنَيْنَا إِذَا ثُنَالَ عَلَيْهِ ذِهَ إِنِتُ ٱلرَّفَانِ خَرُوا شَبِّكَ آوَيُكِيّا ۞ ﴿ فَلْكَ مِنْ بَعْدِهِ خَلْفُ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوَةَ وَٱنْبَعُواْ ٱلشَّهَوَتُ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعِيرَ صَلِيحًا فَأُولَٰلِكَ يَمْخُلُونَ ٱلْجُنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْعًا ۞ جَنَّتِ عَدْنِ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْلَ عُيَادَهُ بِٱلْغَيْبُ إِنَّهُكَانَ وَعْدُمُمَأْنِيًّا ۞ لَّايَسْمَعُونَ فِيهَالَغُوالِلَاسَلَنَّا وَلَمُ مَرِدُوْقُهُمْ فِيهَا بُحَكَرَةً وَعَشِيًّا ۞ يَلْكَ أَنْجَنَةُ ٱلَّتِي فُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ قِينًا ﴿ وَمَا نَتَكُزُلُ إِلَّا إِلَّهِ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَالَّهُ مَابِيْنَ أَيْدِينَا وَمَاخَلْفَنَا وَمَابِيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۞

عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما يعطك، والمقصود من هذا قوله: فاتبعني أهدك صراطاً سوياً هاي : مستقيماً معتدلاً، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال، وفي هذا من لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى، فإنه لم يقل: قيا أبت أنا عالم، وأنت جاهل أو: «ليس عندك من العلم شيء»، وإنما أتى عندك عن العلم شيء»، وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علماً، وأن الذي وصل إلى لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد

ONE TO LEAD TO

﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان لأن من عبد غير الله فقد عبد الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمُ أَعِهدَ إِلَيكُم يَا بِنِي آدم أَنْ لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مين .

﴿إِن الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾
فمن اتبع خطواته، فقد اتخذه ولياً وكان
عاصياً لله بمنزلة الشيطان. وفي ذكر
إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة
إلى أن المعاصي تمنع العبد من
رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن
الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته،
ولهذا قال: ﴿يا أبت إِنَي أخاف أن
يمسك عذاب من الرحمن ﴾ أي: بسبب
إصرارك على الكفر، وتماديك في
الطغيان ﴿فتكون للشيطان وليا ﴾ أي:
في الدنيا والآخرة، فتنزل بمنازله

ورفع قدرهم، وأعلى أمرهم، بسبب ما قاموا به، من عبادة الله ومحبته، والإنابة إليه، والقيام بحقوقه، وحقوق على ذلك، والمقامات الفاخرة، والمنازل العالية، فذكر الله في هذه السورة جملة من الأنبياء، يأمر الله رسوله أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم وعبتهم، والاقتداء بهم، فقال: وحبيتهم، والاقتداء بهم، فقال: صديقاً نبياً جمع الله له بين الصديقية والنبوة.

فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما أمر بالتصديق به، وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل، وإبراهيم عليه السلام، هو أفضل الأنبياء كلهم بعد محمد ﷺ ، وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دُعا الخلق إلى الله، وصبر على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لأبيه ﴾ مهجناً له عبادة الأوثان: ﴿ يَا أَبِتَ لَمْ تَعْبِدُ مَا لَا يَسْمِعُ ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً♦ أي: لم تعبد أصناماً، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعابدها نفعاً ولا ضراً، بل لا تملك لأنفسها شيئاً من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلِّي دال علَّى أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلاً وشرعاً. ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو ، وهو الله تعالى .

﴿ يَا أَبِتَ إِنِي قَدْ جَاءَنِ مِنْ الْعَلَمُ مَا لَمُ لَمِّ الْبِتَ لَا تَحْقَرْنِ وَلَقَالُكُ ﴾ أي: يا أبت لا تحقرني وتقول: إن ابنك، وإن عندك ما ليس

غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم العفلة، وشملتهم السكرة، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألهتهم دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية، فالدنيا وما فيها، من أولها إلى عنها، وسيرث الله الأرض ومن عنها، ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو ربحوا، فمن فعل خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا

﴿٤١ ـ ٥٠) ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً * يا أبت إن أخاف أن يمسك عذاب من الرحن فتكون للشيطان ولياً * قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهبرن ملياً * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً * فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً * ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ أجل الكتب وأفضلها وأعلاها، هذا الكتاب المبين، والذكر الحكيم، فإن ذُكِرَ فيه الأخسار، كانت أصدق الأخسار وأحقها، وإن ذُكِرَ فيه الأمر والنهي، كانت أجل الأوامر والنواهي، وأعدَّلها وأقسطها، وإن ذكر فيه الجزاء والوعد والوعيد، كان أصدق الأنباء وأحقها وأدلها على الحكمة والعدل والفضل، وإن ذكر فيه الأنبياء والمرسلون، كان المذكور فيه أكمل من غيره وأفضل، ولهذا كثيراً ما يبدىء ويعيد في قصص الأنبياء، الذين فضلهم على غيرهم،

CENTRAL CENTRAL CONTRACTOR زَّتُ ٱلسَّيَّةَ تِهِ وَٱلْإِنْ وَمَامَنَهُمَا فَأَغْدُهُ وَٱسْطَوْ لِعِيدَةً هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِنًا ۞ وَكَقُولُ ٱلْانسُدُ أَهُ فَامَامِتُ لَسَهُ فَا أُخْرَجُونًا ۞ أَوْلَا يَذْكُوا الْإِنْكُ أَتَاخَلَقْنَاهُ مِنْ قَالُ وَلَوْيَكُ شَيْعًا ۞ فَوَزَيْكِ لَنَحْشُرَفَهُ وَالشِّيطِينَ ثُوَكَتُسَدِّيُّهُمْ عَلَجَهُمُ حِنْنًا ۞ ثُرُلُنزَعَ أَين كُلْ شِعَةِ أَنْهُمْ أَسَدُعَ النَّهُ عِنا ٥ ثُولَتِهُ أَعَدُ اللَّهِ الدَّن هُوَ أَوْلَهُ بِعَاصِلِنًا ۞ وَلَان مِنْ حُمْم إِلَّا وَارِدُهُ مَّا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَنْمًا مَنْضِيًا ۞ ثُرَّنُيَعَ الَّذِينَ الْقَوَا وَنَكَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِيًّا ۞ مَلِوَا تُتَلَى عَلَيْهِمْ مَا يَنْتُنَا بَيْنَتِ قَالَ ٱلَّذِيكَ كَفَرُوا لِلَّذِيكَ مَامَنُوا أَيُّ الْفَرِهِ مِن خَيْرُمُقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۞ وَكُوْ أَهْلَكُ مَا قِبَلَهُم مِن قَرْن هُمْ أَحْسَنُ أَثَثُا وَرِهْ يَا ٨ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلصَّلَاقِ فَلْيَمَنُدُنَّهُ ٱلزِّخَرُ مُنَّا حَقَيْلِنَا رَأَوْل مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ مُسَيِّعَكُونَ مَنْ هُوَشَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۞ وَيَزِيدُ اللَّهُ ٱلَّذِيرَ الْفَتَدَوْا هُدَّيُّ وَالْمِنْقِينُ الْعَبْلِحَتُ غَيْرُعِنَدُ رَبِكَ فَوَابُ اوَخَيْرُمُ رَدًّا ١ TONO TONO TONO EST

الذميمة، وترتع في مراتعه الوخيمة، فتدرج الخليل عليه السلام يدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياى، وأنك إن أطعتني، اهتديت إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون ولياً للشيطان، فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي، وأجاب بجواب جاهل وقال: ﴿أَرَاغِبِ أَنت عن آلهتي يا إبراهيم التبجح بالهته [التي هي](١) من الحجر والأصنام، ولام إبراهيم عن رغبته عنها، وهذا من الجهل المفرط، والكفر الوخيم، يتمدح بعبادة الأوثان، ويدعو إليها.

﴿لَثُن لَم تنته﴾ أي: عن شتم آلهتي، ودعوتي إلى عبادة الله ﴿لأرجنك﴾ أي: قتلاً بالحجارة ﴿واهجرتي ملياً﴾ أي: لا تكلمني زماناً طويلاً، فأجابه الخليل جواب عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين، ولم يشتمه، بل صبر، ولم يقابل أباه بما يكره، وقال: ﴿سلام عليك﴾ أي: ستسلم من خطابي إياك بالشتم والسب وبما تكره، ﴿سأستغفر بالشري إنه كان بي حقياً﴾ أي: لا أزال لك ربي إنه كان بي حقياً﴾ أي: لا أزال

أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، بأن يهديك للإسلام، الذي تحصل به المغفرة، في ﴿إِنه كَانَ بِي حَفْياً ﴾ أي: رحيماً رؤوفاً بحالي، معتنياً بي، فلم يزل يستغفر الله له رجاء أن يهديه الله، فلما تبين له أنه عدو الله، وأنه لا يفيد فيه شيئاً، ترك الاستغفار له، وتبرأ منه.

وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة (٢)، والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولى والفعل.

فلما أيس من قومه وأبيه قال: ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ﴾ أي: أنتم وأصنامكم ﴿وأدعو ربـ) وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة ﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً ﴾ أي: عسى الله أن يسعدن بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من أيس عن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزَّل الشر وأهله، ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمور كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً من إسحق ويعقوب ﴿جعلنا نبياً﴾ فحصل له هبة هؤلاء الصالحين (٢) المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين.

﴿ ووهبنا لهم ﴾ أي: لإبراهيم وابنيه ﴿مِنْ رَحْمَتُنا﴾ وهذا يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة، من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون، ﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ وهذا أيضاً من الرحمة التي وهبها لهم، لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقاً بحسب إحسانه، وهؤلاء من أثمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالى غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومجبتهم، امتلأت سا القلوب، وفاضت به الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

﴿١٥ _ ٥٣) ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً * ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾ أي: واذكر في هذا القرآن العظيم موسى بن عمران، على وجه التبجيل له والتعظيم، والتعريف بمقامه الكريم، وأخلاقه الكاملة، ﴿إِنه كَان مُخلصاً ﴾ قرىء بفتح اللام، على معنى أن الله تعالى آختاره واستخلصه، واصطفاه على العالمين. وقرىء بكسرها، على معنى أنه مخلص شتعالى، في جميع أعماله، وأقواله، ونياته، فوصفه الإخلاص في جميع أحواله، والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه موجب لاستخلاصه، وأجل حالة يوصف بها العبد، الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه، ﴿وكان رسولاً نبياً ﴾ أي: جمع الله له بين الرسالة والنبوة، فالرسالة تقتضى تبليغ كلام المرسل، وتبليغ جميع ما جاء به من

⁽۱) زیادة من هامش ب.

⁽۲) في ب: من رتبة إلى رتبة.

⁽٣) في ب: فحصل له ولهؤلاء الصالحين.

الشرع، دقه وجله. والنبوة تقتضي إيحاء آلله إليه وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق، بل خصه الله من أنواع الوحي، بأجل أنواعه وأفضلها، وهو: تكليمه تعالى وتقريبه مناجياً لله تعالى، وبهذا اختص من بين الأنبياء، بأنه كليم الرحمن، ولهذا قال: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أي: الأيمن من موسى في وقت مسيره، أو الأيمن: أي: الأبرك من الْيُمُن والبركة. ويدل على هذا المعنى قولهُ تعالى: ﴿أَنْ بُورِكُ مِنْ فِي النَّارِ ومن حولها﴾ ﴿وقربناه نجياً﴾ والفرق بين النداء والنجاء، أن النداء هـو الصوت الرفيع، والنجاء ما دون ذلك، وفى هذه إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه، من النداء، والنجاء، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً لمن أنكر ذلك، من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم.

وقوله: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ هذا من أكبر فضائل موسى وإحسانه، ونصحه لأخيه هارون، أنه سأل ربه أن يشركه في أمره، وأن يجعله رسولاً مشله، فاستجاب الله له ذلك، ووهب له من رحمته أخاه هارون نبياً. فنبوة هارون نبياً. فنبوة هارون فساعده على أمره، وأعانه عليه.

﴿ ٤٥ _ ٥٥﴾ ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ أي: واذكر في القرآن الكريم، هذا النبي العظيم، الذي خرج منه الشعب العربي، أفضل الشعوب وأجلها، الذي منه ميد ولد آدم.

﴿إِنَّهُ كَانَ صَادَقَ الْوَصَدَ ﴾ أي: لا يعد وعداً إلا وفي به، وهذا شامل

للوعد الذي يعقده مع الله أو مع العباد، ولهذا لما وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه [له] (١) وقال: ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ وفي بذلك ومكن أباه من الذبح، الذي هو أكبر مصيبة تصيب الإنسان، ثم وصفه بالرسالة والنبوة، التي [هي] أكبر منن الله على عبده، وأهلها (١) من الطبقة العليا من الخلق.

وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ أي: كان مقيماً لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصاً أخص الناس عنده وهم أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم.

﴿وكان عندربه مرضياً ﴾ وذلك بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، ارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، فرضي الله عنه، ورضي [هو]عن ربه.

(₹٥ – ٧٥) ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ أي: اذكر في الكتب (٣) على وجه التعظيم والإجلال، والوصف بصفات الكمال ﴿ إدريس إنه كان صديقاً نبياً ﴾ جع الله له بين الصديقية ، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه ، واختياره لرسالته ، ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ أي: رفع الله ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي المنزلة.

﴿٥٥﴾ ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وعمن هدينا واجتبينا إذا تتلي عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً لا ذكر هؤلاء الأنبياء المكرمين،

وخواص المرسلين، وذكر فضائلهم ومراتبهم قال: ﴿أُولِئِكُ الذِّينِ أَنْعُمُ اللَّهِ عليهم من النبيين). أي: أنعم الله عليهم نُعمة لا تلحق، ومِنَّة لا تسبق، من النبوة والرسالة، وهم الذين أمرنا أن ندعو الله أن يهدينا صراط الذين أنعمت عليهم، وأن من أطاع الله، كان ﴿مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين﴾ الآية. وأن بعضهم ﴿من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح، أي: من ذريته ﴿ وَمِن ذرية إبر آهيم وإسرائيل ﴾ فهذه خير بيوت العالم، اصطفاهم الله، واختارهم، واجتباهم، وكان حالهم عند تلاوة آيات الرحمن عليهم، المتضمنة للإخبار بالغيوب وصفات علام الغيوب، والإخبار باليوم الآخر، والوعد والوعيد.

﴿خروا سجداً وبكياً ﴾ أي: خضعوا لآيات الله، وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة، ما أوجب لهم البكاء والإنابة، والسجود لربهم، ولم يكونوا من الذين إذا سمعوا آيات الله خروا عليها صماً وعمياناً.

وفي إضافة الآيات إلى اسمه والرحن دلالة على أن آياته، من رحته بعباده وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة.

﴿ ٥ - ٣٣ ﴾ ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً * إلاً من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً * جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً * لا يسمعون فيها لغواً إلاً سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً * تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾ لما ذكر تعالى هؤلاء الأنبياء

⁽۱) زیادة من هامش ب.

⁽٢) في ب: وجعله.

⁽٣) في ب: في الكتاب.

المخلصون^(١) المتبعون لمراضي ربهم، المنيبون إليه، ذكر من أتى بعدهم، وبدُّلوا ما أمرُوا به، وأنه خلف من بعدهم خلف، رجعوا إلى الخلف والوراء، فأضاعوا الصلاة التي أمروا بالمحافظة عليها وإقامتها، فتهاونوا بها وضيعوها، وإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين، وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين، التي هي آكد الأعمال، وأفضل الخصال، كانوا لما سواها من دينهم أضيع، وله أرفض، والسبب الداعي لذلك، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت همهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله، فنشأ من ذلك التضييع لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم حصلوها، وعلى أي: وجه اتفقت تناولوها.

﴿ فُسُوفُ يُلْقُونُ غَيَّا ﴾ أي: عذاباً مضاعفاً شديداً، ثم استثنى تعالى فقال: ﴿إلامن تاب﴾ عن الشرك والبدع والمعاصي، فأقلع عنها وندم عليها، وعزم عزماً جازماً أنَّ لا يعاودها، ﴿وَآمن ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ﴿وعمل صالحاً ﴾ وهو العمل الذي شرعه الله على ألسنة رسله، إذا قصد به وجهه، ﴿فأولئك﴾ الذين جمعوا بين التوبة والإيسمان، والعسمل السالح، ﴿يدخلون الجنة ﴾ المشتملة على النعيم المقيم، والعيش السليم، وجوار الرب الكريم، ﴿ولا يظلمون شيئاً ﴾ من أعمالهم، بل يجدونها كاملة، موفرة أجورها، مضاعفاً عددها.

شم ذكر أن الجنة التي وعدهم بدخولها، ليست كسائر الجنات، وإنما هي جنات اقامة، لا ظعن فيها، ولا حِول ولا زوال، وذلك لسعتها، وكثرة ما فيها من الخيرات والسرور، والبهجة والحبور. والتي وعد الرحمن عباده بالغيب أي: التي وعدها الرحمن، أضافها إلى

اسمه ﴿الرحن﴾ لأنها فيها من الرحمة والإحسان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب [بشر]. وسماها تعالى رحمته، فقال: ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون). وأيضاً ففي إضافتها إلى رحمته، ما يدل على استمرار سرورها، وأنها باقية ببقاء رحمته، التي هي أثرها وموجبها، والعباد في هذه الآية، المراد: عباد إلهيته، الذين عبدوه، والتزموا شرائعه، فصارت العبودية وصفاً لهم كقوله: ﴿وعباد الرحمن ونحوه، بخلاف عباده الماليك فقط، الذين لم يعبدوه، فهؤلاء وإن كانوا عبيداً لربوبيته، لأنه خلقهم ورزقهم ودبرهم، فليسوا داخلين في عبيد إلهيته العبودية الاختيارية، التي يمدح صاحبها، وإنما عبوديتهم عبودية اضطرار، لا مدح لهم فيها .

وقوله: ﴿بالغيب﴾ يحتمل أن تكون متعلقة بـ ﴿وعد الرحن﴾ فيكون المعنى على هذا، أن الله وعدهم إياها وعدا غائباً، لم يشاهدوه ولم يروه، فآمنوا بها، وصدقوا غيبها، وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها، فكيف لو رأوها، لكانوا أشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، وأكثر لها سعياً، ويكون في هو الإيمان النافع. ويحتمل أن تكون متعلقة بعباده، أي: الذين عبدوه في عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه، لكانوا أشد له عبادة، وأعظم إنابة، وأكثر حباً، وأجل شوقاً، ويحتمل أيضاً، أن ألعنى: هذه الجنات التي وعدها الرحن المعنى: هذه الجنات التي وعدها الرحن المعنى: هذه الجنات التي وعدها الرحن

حان عيبهم وعدم رؤيتهم إياه، فهده عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه، لكانوا أشد له عبادة، وأعظم إنابة، وأكثر حباً، وأجل شوقاً، ويحتمل أيضاً، أن المعنى: هذه الجنات التي وعدها الرحن عباده، من الأمور التي لا تدركها الأوصاف، ولا يعلمها أحد إلا الله، ففيه من التشويق لها، والوصف المجمل، ما يهيج النفوس، ويزعج الساكن إلى طلبها، فيكون هذا مثل

من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون والمعاني كلها صحيحة ثابتة، ولكن الاحتمال الأول أولى، بدليل قوله: ﴿إنه كان وعده مأتيا ﴾ لا بدمن وقوعه، فإنه لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين.

﴿لا يسمعون فيها لغواً ﴾ أي: كلاماً لاغياً لا فائدة فيه، ولا ما يؤثم، فلا يسمعون فيها شتماً، ولا عيباً، ولا قولاً فيه معصية لله، أو قولاً مكدراً، ﴿إلا سلاماً﴾ أي: إلاّ الأقوال السالمة من كل عيب، من ذكر الله، وتحية، وكلام سرور، وبشارة، ومطارحة الأحاديث الحسنة بين الإخوان، وسماع خطاب الرحمن، والأصوات السجية، من الحور والملائكة والولدان، والنغمات المطربة، والألفاظ الرخيمة، لأن الدار دار السلام، فليس فيها إلا السلام التام من جميع الوجوه، ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾ أي: أرزاقهم من المآكل والمشارب، وأنواع اللذات، مستمرة حيثما طلبوا، وفي أي: وقت رغبوا، ومن تمامها ولذتها وحسنها، أن تكون في أوقات معلومة .

﴿بكرة وعشيا ﴾ ليعظم وقعها ويتم نفعها، فتلك الجنة التي وصفناها بما ذكر ﴿التي نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ أي: نورثها المتقين، ونجعلها منزلهم الدائم، الذي لا يظعنون عنه، ولا يبغون عنه حِولاً، كما قال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾.

﴿ ٢٤ _ ٣٥ ﴾ ﴿ وما نتنزل إلاً بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً * رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ استبطأ النبي ﷺ جبريل عليه السلام مرة في نزوله إليه فقال له: «لو تأتينا أكثر مما تأتينا» _ تشوقاً إليه، وتوحشاً

قوله: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم

⁽١) جعل الشيخ هذه الكلمات بالرفع، وجعل فوق كلمة (المخلصون) بخط صغير كلمة (قطع) وفي هذا إشارة إلى أنه من باب القطع

لفراقه، وليطمئن قلبه بنزوله __ فأنزل الله تعالى على لسان جبريل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ أي: ليس لنا من الأمر شيء، إن أمرنا، ابتدرنا أمره، ولم نعص له أمراً، كما قال عنهم: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون النحن عبيد مأمورون، ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك اى: له الأمور الماضية والمستقبلة والحاضرة، في الزمان والمكان، فإذا تبين أن الأمر كله لله، وأننا عبيد مدبرون، فيبقى الأمر دائراً بين: «هل تقتضيه الحكمة الإلهية فينفذه؟ أم لا تقتضيه فيؤخره ١٩ ولهذا قال: ﴿وماكان ربك نسياً ﴾ أي: لم يكن الله لينساك ويهملك، كما قال تعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ بل لم يزل معتنياً بأمورك، مجرياً لك على أحسن عوائده الجميلة، وتدابيره

أي: فإذا تأخر نزولنا عن الوقت المعتاد، فلا يحزنك ذلك ولا يهمك، واعلم أن الله هو الذي أراد ذلك، لما له من الحكمة فيه، ثم علل إحاطة علمه، وعدم نسيانه، بأنه ﴿رِب السماوات والأرض فربوبيته للسماوات والأرض، وكونهما على أحسن نظام وأكمله، ليس فيه غفلة ولا إهمال، ولا سُدى، ولا باطل، برهان قاطع على علمه الشامل، فلا تشغل نفسك بذلك، بل اشغلها بما ينفعك ويعود عليك طائله، وهو: عبادته وحده لا شريك له، ﴿واصطبر لعبادته أي: اصبر نفسك عليها وجاهدها، وقم عليها أتم القيام وأكملها بحسب قدرتك، وفي الاشتغال بعبادة الله تسلية للعابد عن جميع التعلقات والمشتهيات، كما قال تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ إلى أن قال: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، الآية. ﴿ هِلَ تعلم له سمياً ﴾ أي: هل تعلم شه مسامياً ومشابهاً ومماثلاً من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النَّفي، المعلوم

بالعقل. أي: لا تعلم له مسامياً ولا مشابهاً، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالَى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء

﴿ ٦٦ _ ٦٦ ﴾ ﴿ ويقول الإنسان أوذا

مامت لسوف أخرج حياً * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ المراد بالإنسان هاهنا، كل منكر للبعث، مستبعد لوقوعه، فيقول _ مستفهما على وجه النفى والعناد والكفر _ ﴿ أَإِذَا مَا مِنْ لِسُوفِ أَخْرِجِ حياً ﴾. أي: كيف يعيدني الله حياً بعد الموت، وبعدما كنت رميماً؟!! هذا لا يكون ولا يتصور، وهذا بحسب عقله الفاسد ومقصده السيء، وعناده لرسل الله وكتبه، فلو نظر أدنى نظر، وتأمل أدنى تأمل، لرأى استبعاده للبعث، في غاية السخافة، ولهذا ذكر تعالى برهاناً قاطعاً، ودليلاً واضحاً، يعرفه كل أحد على إمكان البعث فقال: ﴿أُولًا يَذُكُرِ الإنسانِ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبِلِ ولم يكُ شيئاً ﴾ أي: أو لا يلفت نظره، ويستذكر حالته الأولى، وأن الله خلقه أول مرة، ولم يك شيئاً، فمن قدر على خلقه من العدم، ولم يكن شيئاً، مذكوراً، أليس بقادر على إنشائه بعد ما تمزق، وجمعه بعدما تفرق؟ وهذا كقوله: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾.

وفي قوله: ﴿أُولا يذكر الإنسان﴾ دعوة للنظر، بالدليل العقلي، بألطف خطاب، وأن إنكار من أنكر ذلك، مبنى على غفلة منه عن حاله الأولى، وإلاّ فلو تذكرها وأحضرها في ذهنه، لم ينكر ذلك.

والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً * ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً * ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً القسم الله تعالى وهو أصدق القائلين _بربوبيته، ليحشرن هؤلاء المنكرين للبعث، هم وشياطينهم فيجمعهم لميقات يوم معلوم، ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جِثْياً﴾ أي: جاثين على ركبهم من شدة الأهوال، وكثرة الزلزال، وفظاعة الأحوال، منتظرين لحكم الكبير المتعال، ولهذا ذكر حكمه فيهم فقال: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ أي: ثم لننزعن من كل طائفة وفرقة من الظالمين المشتركين في الظلم والكفر والعُتُوّ أشدهم عتواً، وأعظمهم ظلماً، وأكبرهم كفراً، فيقدمهم إلى العذاب، ثم هكذا يقدم إلى العداب، الأغلظ إثماً، فالأغلظ، وهم في تلك الحال متلاعنون، يلعن بعضهم بعضاً، ويقول أخراهم لأولاهم: ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكلِّ ضعفٌ ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهم لأخراهم فماكان لكم علينا من فضل﴾ وكل هذا تابع لعدله وحكمته وعلمه الواسع، ولهذا قال: ﴿ثم لنحن أعلم بالذِّين هم أولي بها صلياً ﴾ أي: علمنا محيط بمن هو أولى صلياً بالنار، قد علمناهم، وعلمنا أعمالهم واستحقاقها وقسطها من العذاب.

﴿٧١ ـ ٧٧﴾ ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً * ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جُثْياً ﴾ وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه.

واختلف في معنى الورود، فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بَعْدُ، ينجى الله المتقين. وقيل: ﴿ ٢٨ _ ٧٠﴾ ﴿فوربك لنحشرنهم ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين

برداً وسلاماً. وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيأ، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كُلِّ بحسب تقواه، ولهذا قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ الله تعالى بفعل المأمور، واجتناب المحظور ﴿ونذر الظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فيها جثياً﴾ وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم" الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب.

﴿٧٣ ـ ٧٤) ﴿وإذا تـتـلي عـليهـم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً * وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً ﴾ أي: وإذا تتلي على هؤلاء الكفار آياتنا بينات، أي: واضحات الدلالة على وحدانية الله وصدق رسله، توجب لمن سمعها صدق الإيمان وشدة الإيقان، قابلوها بضد ما يجب لها، واستهزؤوا بها وبمن آمن بها، واستدلوا بحسن حالهم في الدنيا، على أنهم خير من المؤمنين، فقالوا معارضين للحق: ﴿أَي الفريقين، أي: نحن والمؤمنون ﴿خير مقاماً ﴾ أي: في الدنيا، من كثرة الأموال والأولاد، وتوفر الشهوات ﴿وأحسن ندياً ﴾ أي: مجلساً. أي: فاستنتجوا من هذه المقدمة الفاسدة، أنهم أكثر مالاً وأولاداً، وقد حصلت لهم أكثر مطالبهم من الدنيا، ومجالسهم وأنديتهم مزخرفة مزوقة .

والمؤمنون بخلاف هذه الحال، فهم خير من المؤمنين، وهذا دليل في غايةً الفساد، وهو من باب قلب الحقائق، وإلا فكثرة الأموال والأولاد، وحسن المنظر، كثيراً ما يكون سبباً لهلاك صاحبه، وشقائه، وشره، ولهذا قال

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً﴾ أي: مناعاً، من أوان وفرش، وبيوت، وزخارف، وأحسن رئياً، أي: أحسن مرأي ومنظراً، من غضارة العيش، وسرور اللذات، وحسن الصور، فإذا كنان هؤلاء المهلكون أحسن منهم أثاثاً ورئياً، ولم يمنعهم ذلك من حلول العقاب بهم، فكيف يكون هؤلاء، وهم أقل منهم وأذل، معتصمين من العذاب ﴿أَكْفَارِكُمْ خَيْرُ مِنْ أُولِئُكُمْ أَمْ لَكُمْ بِرَاءَةً في الزبر﴾؟ وعبلم من هذا، أن الاستدلال على خير الآخرة بخير الدنيا من أفسد الأدلة، وأنه من طرق الكفار .

﴿٥٧﴾ ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً﴾ لما ذكر دليلهم الباطل، الدال على شدة عنادهم، وقوة ضلالهم، أخبر هنا، أن من كان في الضلالة، بأن رضيها لنفسه وسعى فيها، فإن الله يمده منها، ويزيده فيها حباً، عقوبة له على اختيارها على الهدى، قال تعالى: ﴿فُلُمُا زَاغُوا أَزَاعُ اللهِ قُلُوبِمِ﴾ ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿ حتى إذا رأوا ﴾ أي: القائلون: ﴿أَي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴿ مِا يَوْعُدُونَ إِمَا العذاب ، بقتل أو غيره ﴿ وإما الساعة ﴾ التي هي باب الجزاء على الأعمال ﴿فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴾ أي: فحينئذ يتبين لهم بطلان دعواهم، وأنها دعوى مضمحلة، ويتيقنون أنهم أهل الشر، ﴿وأضعف جنداً ﴾ ولكن لا يفيدهم هذا العلم شيئاً، لأنه لا يمكنهم الرجوع إلى

الدنيا، فيعملون غير عملهم الأول. ﴿٧٦﴾ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا

هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرٌ مرداً ﴾ لما ذكر أنه يمد للظالمين في ضلالهم، ذكر أنه يزيد المهتدين هداية من فضله عليهم ورحمته، والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح، فكل من سلك طريقاً في العلم والآيمان والعمل الصالح، زاده الله منه، وسهله عليه ويسره له، ووهب له أموراً أخر، لا تدخل تحت كسبه، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لِيزِداد اللَّذِينِ آمنوا إيماناً ﴾ ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾.

ويدل عليه أيضاً الواقع، فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور، أعظم تفاوت، ثم قال: ﴿والباقيات الصالحات أي: الأعمال الباقية، التي لا تنقطع إذا انقطع غيرها، ولا تضمحل، هي الصالحات منها، من صلاة وزكاة، وصوم، وحج، وعمرة، وقراءة، وتسبيح، وتكبير، وتحسميد، وتهليل، وإحسان إلى المخلوقين، وأعمال قلبية وبدنية، فهذه الأعمال وخير عند ربك ثوابأ وخير مرداً ﴾ أي: خير عند الله، ثوابها وأجرها، وكثير للعاملين نفعها وردها، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه، فإنه ما ثُمَّ غير الباقيات الصالحات، عمل ينفع، ولا يبقى لصاحبه ثوابه ولا ينجع، ومناسبة ذكر الباقيات الصالحآت _ والله أعلم _أنه لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله ويرضاه.

﴿٧٧ _ ٨٠) ﴿أَفِرأَيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً * أطلع

الغيب أم اتخذ عند الرحن عهداً * كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا * ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً أي: أفلا تتعجب من حالة هذا الكافر، الذي جمع بين كفره بآيات الله ودعواه الكبيرة، أنه سيؤتَى في الآخرة مالاً وولداً، أي: يكون من أهل الجنة، هذا من أعجب الأمور، فلو كان مؤمناً بالله وادعى هذه الدعوى، لسهل الأمر.

وهذه الآية _ وإن كانت نازلة في کافر معین _فإنها تشمل کل کافر ، زعم أنه على الحق، وأنه من أهل الجنة، قال الله توبيخاً له وتكذيباً: ﴿أَطلع الغيب♦ أي: أحاط علمه بالغيب، حتى علم ما يكون، وأن من جملة ما يكون، أنه يؤتى يوم القيامة مالاً وولداً؟ ﴿ أَمُ اتَّخَذُ عَنْدُ الرَّحْمَنُ عَهِداً ﴾ أنه نائل ما قاله، أي: لم يكن شيء من ذلك، فعلم أنه مُتَقوّلٌ، قائل ما لا علم له به أوهذا التقسيم والترديد، في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة؛ فإن الذي يزعم أنه حاصل له خير عند الله في الآخرة، لا يخلو: إما أن يكون قوله صادراً عن علم بالغيوب المستقبلة، وقد علم أن هذا لله وحده، فلا أحد يعلم شيئاً من الستقبلات الغيبية، إلا ما أطلعه الله إليه من رسله.

وإما أن يكون متخذاً عهداً عند الله، بالإيمان به، واتباع رسله، الذي عهد الله لأهله، وأوزع أنهم أهل الآخرة، الناجون الفائزون. فإذا انتفى هذان الأمران، علم بذلك بطلان الدعوى، ولهذا قال تعالى: ﴿كلا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم، فليس للقائل اطلاع على الغيب، لأنه كافر، ليس عنده من علم الرسل شيء، ولا اتخذ عند الرحمن عهداً، لكفره وعدم إيمانه، ولكنه يستحق ضد ما تَقَوَّلُه، وأن قوله مكتوب محفوظ، ليجازى عليه ويعاقب، ولهذا قال: مداً في أي : نزيده من أنواع العقوبات، مداً في العذاب،

كما ازداد من الغي والضلال، ﴿ونرثه ما يقولُ ﴾ أي: نرثه ماله وولده، فينتقل من الدنيا فرداً، بلا مال ولا أهل ولا أنسسار ولا أعوان ﴿ويأتينا فرداً ﴾ فيرى من وخيم العذاب وأليم العقاب، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين.

﴿ ٨٤ .. ٨٨﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أُرْسَلْنَا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً * فلا تعجل عليهم إنما نعدّ لهم عداً ﴾ وهذا من عقوبة الكافرين أنهم ــ لما لم يعتصموا بالله، ولم يتمسكوا بحبل الله، بل أشركوا به ووالوا أعداءه، من الشياطين -سلطهم عليهم، وقيضهم لهم، فجعلت الشياطين تؤزهم إلى المعاصى أزأ، وتزعجهم إلى الكفر إزعاجاً، فيوسوسون لهم، ويوحون إليهم، ويزينون لهم الباطل، ويقبحون لهم الحق، فيدخل حب الباطل في قلوبهم ويتشربها، فيسعى فيه سعى المحق في حقه، فينصره بجهده ويحارب عنه، ويجاهد أهل الحق في سبيل الباطل، وهذا كله، جزاء له على توليه من وليه وتوليه لعدوه، جعل له عليه سلطان، وإلا فلو آمن بالله، وتوكل عليه، لم يكن له عليه سلطان، كما قال تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون،

وفلا تعجل عليهم أي: على هؤلاء الكفار المستعجلين بالعذاب وإنما نعد لهم عداً أي: أن لهم أياماً معدودة لا يتقدمون عنهم ولا يتأخرون، نمهلهم ونحلم عنهم مدة ليراجعوا أمر الله، فإذا لم ينجع فهم ذلك أخذناهم أخذ عزيز مقتدر. وهم _ ٧٨ ويمو نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً * ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً * لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً غير تعالى عن تفاوت الفريقين المتقين،

CANADA INC. الْوَيْمَانَ الَّذِي كَفَرِيَالِيْنَا وَقَالَ لَأُونِّمَنَ مَالْا وَوَلَمَا اللهِ أَطَلَةَ الْغَيْبَ أَمِ الْتَخَذَيْنَ مَا الْآخَلَ عَهُمَا ۞ كُلاً سَنَكُنُبُ مَايَغُولُ وَنَهُدُّلُهُ مِنَ ٱلْعَكَابِ مَدًّا ﴿ وَزَرِثُهُ مَاكِعُولُ وَمَاْتِيكَ افْزُوا ﴿ وَاتَّحَا وَالْمِن دُونِ اللَّهِ وَاللَّهُ لِلْكُونُوا لَمُدَّر عِزًا ۞ حَلَّا سَيَكُفُرُونَ بِيهَادَتِهِهْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِهْ ضِدًّا ۞ أَلْرَثَرَأَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى ٱلْكَعْيِنَ تَوُرُّهُمُ مَا أَزَا ۞ فَلَا تَعْجَلُ عَلَيْهِمُ ۚ إِنَّا لَمُ لُمُ مُكَا ۞ يَوْمَ نَعْشُرُ لَلْنَقِيدَ إِلَى ٱلرَّحْنَنِ وَفْ مَا ۞ وَنَسُوقُ ٱلْمُحْرِمِينَ إِلَجَهَكُمُّ وِرْدًا ۞ لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مِن ٱلَّخَذَ عِندَالرَّغَنَ عَهْدًا ۞ وَقَالُوا الْغَيْدُ الرَّغَنُ وَلَدًا ۞ أَفَتَدُ خِنْتُمْ شَيْنًا إِذَا ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَوَاتُ يَنَّفَظُنْ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرْضُ وَتَحِدُوا بِجِبَ الْحَدَدًا ۞ أَن دَعَوْا لِلرَّحِنِ وَلَمَا ۞ وَمَايَنُبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَشَخِذَ وَلَدًا ۞ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَّتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا مَاقِي ٱلرَّخَلِيْعَبَدَا ۞ لَعَدْ أَحْسَعُمُ إِنَّمُ اللَّهُ مُعَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ ءَايِهِ يَوْمَ ٱلْقِيكَةِ فَنَوًّا ۞ CONTRACTOR OF THE SECOND

والمجرمين، وأن المتقين له _باتقاء الشرك والبدع والمعاصي _ عشرهم إلى موقف القيامة مكرمين، مبجلين معظمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفوداً إليه، والوافد لا بد أن يكون في قلبه من الرجاء، معلوم، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، معلوم، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، واتباع مراضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الشواب على ألسمة رسله، وثقين بذلك،

وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم ورداً، أي: عطاشاً، وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سوقهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظماهم ونصبهم يستغيشون فلا يغاثون، ويدعون فلا يستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم، ولهذا قال: ﴿لا يملكون الشفاعة في الست الشفاعة ملكهم، ولا لهم وقل شها شيء، وإنما هي شة تعالى منها شيء، وإنما هي شة تعالى فقل شه الشفاعة جيعاً ﴾. وقد أخبر أنه لا تنفعهم شفاعة الشافعين، لأنهم



لم يتخذوا عنده عهداً بالإيمان به وبرسله، وإلا فمن اتخذ عنده عهداً فامن به وبرسله واتبعهم، فإنه ممن ارتضاه الله، وتحصل له الشفاعة كما قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وسمى الله الإيمان به واتباع رسله عهداً، لأنه عهد في كتبه وعلى ألسنة رسله، بالجزاء الجميل لمن اتبعهم.

ولداً * لقد جنتم شيئاً إداً * تكاد ولداً * لقد جنتم شيئاً إداً * تكاد وغر الجبال هذا * أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السسماوات والأرض إلا آي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً وهذا تقبيح وتشنيع يوم القيامة فرداً وهذا تقبيح وتشنيع زعموا أن الرحمن اتخذ ولداً، كقول النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزير ابن الله، والمشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً

﴿لقد جنتم شيئاً إداً﴾ أي: عظيماً وخيماً، من عظيماً وخيماً، من عظيم أمره أنه ﴿تكاد السماوات﴾ على عظمتها وصلابتها ﴿يتَفَطُرُنَ منه﴾ أي: من هذا القول

﴿ وتنشق الأرض ﴾ منه، أي: تتصدع وتنفطر ﴿وتخر الجبال هذاً ﴾ أي: تندك الجبال، ﴿أَن دعوا للرحن ﴾ أي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكادهذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر. والحال أنه: ﴿ما ينبغي﴾ أي: لا يليق ولا يكون ﴿للرحن أن يتخذ ولداً﴾ وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضاً، من جنس والده، والله تعالى لا شبيه له ولا مثل ولا سَمِيّ. ﴿إِن كل من في السماوات والأرض، إلا آتي الرحمن عبداً ﴾ أي: ذليلاً منقاداً، غير متعاص ولا ممتنع، الملائكة، والإنس، والجن وغيرهم، الجميع مماليك، متصوف فيهم، ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء، فكيف يكون له ولد، وهذا شأنه وعظمة ملكه؟!!

ولقد أحصاهم وعدهم عداً ♦ أي: لقد أحاط علمه بالخلائق كلهم، أهل السماوات والأرض، وأحصاهم وأحصى أعمالهم، فلا يضل ولا ينسى، ولا تخفى عليه خافية.

﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ أي: لا أولاد، ولا مسسال، ولا أنصار، ليس معه إلا عمله، فيجازيه الله ويوفيه حسابه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كما قال تعالى: ﴿ولقد جنتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾.

﴿٩٦﴾ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم وداً، أي: عبة ووداداً في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: ﴿إن الله إذا أحب عبداً، نادى جبريل: إن أحب

فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع لمه القبول في الأرض». وإنما جعل الله لهم وداً، لأنهم (١) ودوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبابه.

﴿٩٨ ـ ٩٨﴾ ﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً * وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحدِ أو تسمع لهم ركزاً ﴾ يخبر تعالى عن نعمته تعالى، وأن الله يسر هذا القرآن الكريم بلسان الرسول محمد على، يسر ألفاظه ومعانيه، ليحصل القصودمنه والانتفاع به، ﴿لتبشر به المتقين﴾ بالترغيب في المبشر به من الثواب العاجل والآجل، وذكر الأسباب الموجبة للبشارة، ﴿وتنذر به قوماً لداً﴾ أي: شديدين في باطلهم، أقوياء في كفرهم، فتنذرهم، فتقوم عليهم الحجة، وتتبين لهم المحجة، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة. ثم توعدهم بإهلاك المكذبين قبلهم، فقال: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ من قبوم نبوح، وعباد، وتبصود، وفرعون، وغيرهم من المعاندين المكذبين، لما استمروا في طغيانهم، أهلكهم الله فليس لهم من باقية .

﴿ هَلَ تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾ والركز: الصوت الخفي، أي: لم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسمارهم عظة للمتعظين.

تم تفسير سورة مريم، ولله الحمد والشكر

تفسیر سورة طه وهی مکیة

﴿١ _ ٨﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم طه *ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلاَّ تذكرة لمن يخشى * تنزيلاً عن خلق الأرض والسماوات العلى * الرحمن على العرش استوى * له ما في

السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى * الله لا إله إلاَّ هو له الأسماء الحسني ﴿ طه ﴾ من جملة الحروف المقطعة، المفتتح بها كثير من السور، وليست اسماً للنبي ﷺ، ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ أي: ليس المقصود بالوحى، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين. وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحن، وجعله موصلاً للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿إِلَّا تَذُّكُوهُ لِمَنْ يُخْشَى﴾ إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيرهب منه، ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المصلة، التي كان مستقراً في عقله حسنها مجملاً، فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سماه الله ﴿تُلْكِيرِةُ وَالْتُلْكِيرِةُ لِيسِيءَ كِيانَ موجوداً، إلا أن صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وخص بالتذكرة ﴿من يخشى ﴾ لأن غيره لا ينتفع به، وكيف ينتفع به من لم يؤمن بجنة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مشقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، ﴿سيذكرمن يخشى * ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى ﴾ ثم ذكر جلالة هذا القرآن العظيم، وأنه تنزيل خالق الأرض والسماوات، المدبر لجميع المخلوقات، أي: فاقبلوا تنزيله بغاية الإذعان والمحبة والتسليم، وعظموه نهاية التعظيم .

وكثيراً ما يقرن بين الخلق والأمر،

كما في هذه الآية، وكما في قوله: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ ﴾ وفي قوله: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾ وذلك أنه الخالق الآمر الناهي، فكما أنه لا خالق سواه، فليس على الخلق إلزام ولا أمر ولا نهى إلا من خالقهم، وأيضأ فإن خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكونى، وأمره فيه التدبير الشرعى الديني، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكَّمة، فلم يخلق شيئاً عبثاً، فكذلك لا يأمر ولا ينهي إلا بما هو عدل وحكمة وإحسان. فلما بين أنه الخالق المدبر، الآمر الناهي، أخبر عن عظمته وكبريائه، فقال: ﴿الرحمن على العرش، الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها وأوسعها، ﴿استوى﴾ استواء يليق بجلاله، ويناسب عظمته وجماله، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ﴾ من مَلَكِ وإنسى وجنى، وحيوان، وجماد، ونبات، ﴿وما تحت الشرى ﴿ أي: الأرض، فالجميع ملك لله تعالى، عبيد مدبرون، مسخرون تحت قضائه وتدبيره، ليس لهم من الملك شيء، ولا يتملكون لأنفسهم نفعاً ولآ ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

﴿ وَإِن تَجِهِرِ بِالْقُولِ فَإِنَّهُ يَعِلُّمُ السَّرِ ﴾ الكلام الخفي ﴿وأخفى ﴾ من السر، الذي في القلب، ولم ينطق به. أو السر: ما خطر على القلب. ﴿وَأَخْفِي﴾ ما لم يخطر . يعلم تعالى أنه يخطر في وقته، وعلى صفته، المعنى: أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء، دقيقها، وجليلها، خفيها، وظاهرها، فسواء جهرت بقولك أو أسررته، فالكل سواء، بالنسبة لعلمه تعالى.

فلما قرر كماله المطلق، بعموم خلقه، وعموم أمره ونهيه، وعموم رحمته، وسعة عظمته، وعلوه على عرشه، وعموم ملكه، وعموم علمه، نتج من ذلك، أنه المستحق للعبادة، وأنَّ عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره

THE CHARLES SECTION AS A SECTIO وَأَنَا لَنَتَرُكُ فَأَسْتَمَعْلِمَا وُخَلَّ ۞ إِنَّىٰ آَثَا اللَّهُ لَآ إِلَّهُ إِلَّا أَثَا فَأَعَبُدُنِي وَأَقِيمِ ٱلْعَبَكُوٰةَ لِذِحْرِيَّ ۞ إِنَّ ٱلسَّاحَةَ ءَاتِيَةً أَكَادُ أُخْفِيهَا لِلْتَرَى حُلُ تَفْيِنِ بَالْتَنعَلَ ۞ فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا مَنَ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَأَتَّبَعَ هَوَنِهُ فَكَرْدَىٰ ۞ وَمَا يَلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ۞ قَالَ هِيَ عَصَاىَ أَتُوَكَّوُ أُعَلَيْهَا وَأَهُشُ بِهَاعَلَ عَنْكِي وَلِي فِهَا مَنَارِبُ أَخْرَىٰ ۞ قَالَ أَلْفِهَا يَلْمُوسَىٰ ﴿ فَٱلْقَنْهَا فَإِذَاهِنَ خَيَنَّةً ثَنْتَعَلَ ۞ قَالَ خُذْهَ كَاوَلَا تَخَفُّ سَنُعِيدُهَا سِيرَتُهَا ٱلْأُولَى ۞ وَأَضْمُتُ يَدَكَ إِلَّ جَنَامِكَ تَخْرُجْ بِيَضَكَآةَ مِنْ غَيْرِسُوٓ مِ وَاسِيَّةً أُخْدَىٰ ۞ لِزُرِيكَ مِنْ مَالِنَتِنَا ٱلْكُبْرَى ۞ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ مِلْعَىٰ ۞ قَالَ رَبِ اَشْرَحْ لِي صَدَدْرِى ﴿ وَيَيْرَلْ أَمْرِي ۞ وَلَيْمُلُّ عُفَّدَةً يِّن لِسَانِ ۞ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ۞ وَلَجْمَل لِي وَذِيرَا مِنْ أَعْلِي ۞ هَرُونَ أَخِي ۞ أَشَدُ دُبِهِ يَ أَرْبِي ۞ وَأَشْرِكُهُ وَالْتِي ۞ فَنْ الْمَيْحَاتَ ا كَبِيرُ ﴿ وَتَذَكُّوا تُكِيرًا ﴿ إِنَّكَ كُتَ بِنَاسِيرًا ﴿ قَالَ قَدْ إِنَّ أُوتِيتَ سُؤَلَكَ يَنْمُوسَى ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أَخْرَكَمْ ﴿ CARROLL III CORRECTOR

باطلة، فقال: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ أى: لا معبود بحق، ولا مألوه بالحب والذل، والخوف والرجاء، والمحبة والإنابة والدعاء، إلا هو.

﴿له الأسماء الحسني﴾ أي: له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسني، من حسنها أنها كلها أسماء دالة على المدح، فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد، ومن حسنها أنها ليست أعلاماً محضة ، وإنما هي أسماء وأوصاف، ومن حسنها أنها دالة على الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها، ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة مقربة إليه يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبدله بها، قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسني فادعوه بها♦.

﴿٩ ... ١٢ ﴾ ﴿وهل أتاك حديث موسى * إذرأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودي يا موسى * إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد القدس طوى كه يقول تعالى لنبيه محمد على على وجه الاستفهام التقريري والتعظيم لهذه القصة والتفخيم لها: ﴿هِل أَتَاكُ حديث موسي، في حاله التي هي مبدأ سعادته، ومنشأ نبوَّته، أنه رأى ناراً من بعيد، وكان قد ضل الطريق، وأصابه

海 医原则 医眼间隔 إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْ أَمِكَ مَا يُوحَى ﴿ أَنِ أَقَدْ فِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقَدْ فِيهِ فِ الْيَدِ فَلَيُلْقِهِ الْيَرِّ بِالسَّاحِلِ بَلْخُذْهُ عَدُوٌّ لِ وَعَدُوُّلَةً وْالْقَيْتُ عَلَيْكَ تَحَتَّقُ مِنِي وَلِنْصُنَعَ عَلَىٰعَيْنِي ۞ إِذْ تَيْثِي أَخْلُكَ فَتَعُولُ هَلْ أَدُلُكُمْ عَلَىٰ مَن يَكُفُلُهُ فَيَجَعَنَكَ إِلَىٰٓ أَيْكَ كَنَفَرَ غِينُهَا وَلَا غَنَهُ ۚ وَقَدَلْتَ نَفْسَا فَنَجَيْنَكَ مِنَ ٱلْفَيْرِ وَفَنَنَاكَ فَثُونَا مَلَيِثْتَ سِنِينَ فِ أَهْلِ مَدْيَنَ فُرَّحِثْتَ عَلَىٰ فَدَرِيْهُوسَىٰ ۞ وَأَصْطَنَعْنُكَ لِنَفْسِي ۞ ٱذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِنَائِتِي وَلَانِيْنَا فِ ذِكْرِي ۞ آذْهَبَآ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ مَلَغَىٰ ۞ مَنَعُولَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لِّتَ الْمَلَدُيِّنَدَكُرُ أَوْخَفَىٰ ۞ قَالَارَبُّنَا إِنَّنَاغَافُ أَن يَفْهُ عَلَيْنَا أَوْأَن يَظْفَىٰ ۞ قَالَ لَا تَخَافًا إِنِّي مَعَكُمًا أَسْمَمُ وَأَرْىٰ ۞ فَأَيْنَاهُ فَقُولًا إِنَّارَيسُولَارَيْكِ فَأَرْسِيلْ مَعَنَابَغِي إِسْرَاْهِ بِلَ وَلَاتُعَاذِّبُهُمُّ قَدْحِثْنِكَ بِعَايَةٍ مِّن زَيِكٌ وَٱلسَّلَاعَلَى مَنِ ٱلبُّعَ ٱلْمُدَىٰ ۞ إِنَّا مَدْ أُوحِى إِلَيْنَا ۚ أَنَّ ٱلْمَدَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ قَالَ فَنَرَزَّتُكُمَّا يَسُوسَىٰ ۞ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيَّ أَعْمَلَىٰ كُلُّ مَّنَّ وَخَلْقَهُ وَرُعَدَىٰ ۞ قَالَ فَا رَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلأَوْلَىٰ ۞ ACTUACH THE FOREST

البرد، ولم يكن عنده ما يتدفأ به في سفره، ﴿فقال لأهله إني آنست﴾ أي: أبصرت ﴿فاراً ﴾ وكان ذلك في جانب الطور الأيمن، ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ تصطلون به ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أي: من يهديني الطريق. وكان فوجد ثمّ النور الحسي والهداية الحسية، فوجد ثمّ النور المعنوي، نور الوحي، والهداية الحقيقية، هداية الصراط المستقيم، الموصلة إلى جنات النعيم، فحصل له أمر لم يكن في حسابه، ولا خطر بباله.

﴿١١﴾ ﴿فلما أتاها﴾ أي: النار التي آنسها من بعيد، وكانت ـ في الحقيقة _ نوراً، وهي نبار تحرق وتشرق، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «حجابه النور أو النبار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره»، فلما وصل إليها نودي منها، أي: ناداه الله، كما قال: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾ إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد أن يستعد ويتهيأ لمناجاته، ويستم لذلك، ويلقي نعليه، لأنه بالوادي تقديسه، إلا أن الله اختاره لمناجاته تقديسه، إلا أن الله اختاره لمناجاته

كليمه موسى لكفى، وقد قال كثير من المفسرين: «إن الله أمره أن يلقي نعليه، لأنهما من جلد حمار»، فالله أعلم بذلك.

﴿وأنا اخترتك اي: تخيرتك واصطفيتك من الناس، وهذه أكبر نعمة ومنة أنعم الله بها عليه، تقتضى من الشكر ما يليق بها، ولهذا قال: ّ ﴿فاستمع لما يوحي﴾ أي: ألق سمعك للذي أوحى إليك، فإنه حقيق بذلك، لأنه أصل الدين ومبدأه، وعماد الدعوة الإسلامية، ثم بين الذي يوحيه إليه بقوله: ﴿إِنْنَى أَنَا اللهِ لَا إِلَّهُ إِلَّا أَنَّا﴾ أى: الله المستحق الألوهية المتصف بها، لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المنفرد بأفعاله، الذّي لا شريك له ولا مثيل ولا كفو ولا سَمِيّ، ﴿فاعبدن ﴾ بجميع أنواع العبادة، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادة، لفضلها وشرفها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح.

وقوله: ﴿لذكري﴾ اللام للتعليل أي: أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقيد خيرب كيل الخيراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة.

قال الله تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر أي: ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده.

﴿إِن الساعة آتية ﴾ أي: لا بد من وقوعها ﴿أكاد أخفيها ﴾ أي: عن نفسي كما في بعض القراءات، كقوله تعالى: ﴿يسالك الناس عن الساعة قل

إنما علمها عند الله وقال: ﴿وعنده علم الساعة في فعلمها قد أخفاه عن الخلائق كلهم، فلا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والحكمة في إتيان الساعة ﴿لتجزى كل نفس بما لدار الجزاء ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي اللذين أحسنوا بالحسني .

﴿١٦﴾ ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ أي: فلا يصدك ويشغلك عن الإيمان بالساعة، والجزاء، والعمل لذلك، من كافراً بها، غير معتقد لوقوعها.

يسعى في الشك فيها والتشكيك، ويجادل فيها بالباطل، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعاً في ذلك هواه، ليس قصده الوصول إلى الحق، وإنما قصاراه اتباع هواه، فإياك أن تصغى إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئاً من أقواله وأعماله الصادة عن الإيمان بها والسعى لها سعيها، وإنما حذر الله تعالى عمن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله (١١)، وكون النفوس مجبولة على التشبه، والاقتداء بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كلّ داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكُّتب المشتمَّلة على ذلك، وذكر في هذا الإيمان به، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، لأن هذه الأمور الثلاثة أصول الإيمان، وركن الدين، وإذا تحت تم أمر الدين، ونقصه أو فقده بنقصها، أو نقص شيء منها.

وهذه نظير قوله تعالى في الإخبار عن ميزان سعادة الفرق، الذين أوتوا الكتاب وشقاوتهم: ﴿إِنَّ الذين آمنوا والنين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يجزنون ﴾.

وقبوله: ﴿فتردى﴾ أي: تهلك وتشقى، إن اتبعت طريق من يصد

(1)

عنها، وقوله تعالى:

(۱۷ - ۲۷) ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى * قال ألقها يا موسى * قال فألقاها فإذا هي حية تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى * واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى * لنريك من آياتنا الكبرى *.

لما بيّن الله لموسى أصل الإيـمـان، أراد أن يبين له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه، وتقر به عينه، ويقوى إيمانه، بتأييد الله له على عدوه فقال: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ هذا، مع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام في هذا الموضع، أخرج الكلام بطريق الاستفهام، فقال موسى: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ﴿ ذكر فيها هاتين المنفعتين، منفعةً لجنس الآدمي، وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه، فيحصل فيها معونة، ومنفعة للبهائم، وهو أنه كان يرعى الغنم، فإذا رعاها في شجر الخبط ونحوه، هش بها، أي: ضرب الشجر، ليتساقط ورقه، فيرعاه الغنم. هذا الخلق الحسن من موسى عليه

تقتضيه رحمة الله وحكمته. ﴿ولِي فيها مآرب﴾ أي: مقاصد ﴿أخرى﴾ غير هذين الأمرين.

السلام، الذي من آثاره، حسن رعاية

الحيوان البهيم، والإحسان إليه دل على

عناية من الله له واصطفاء، وتخصيص

ومن أدب موسى عليه السلام، ومن أدب موسى عليه السلام، أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال عتملاً عن السؤال عن عينها، ومنفعتها أجابه بعينها، ومنفعتها فقال الله له: ﴿القها يا موسى * فألقاها فإذا هي حية تسعى ﴾ انقلبت بإذن الله ثعباناً عظيماً، فولى موسى هارباً خاتفاً، ولم يعقب، وفي وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل

لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم.

على الله المهاباس المهاباس المهاباس وسنعيدها سيرتها الأولى أي: هيئتها وصفتها، إذ كانت عصا، فامتثل موسى أمر الله إيماناً به وتسليماً، فعادت عصاه التي كان يعرفها هذه -آية، ثم ذكر الآية جاحك أي: أدخل يدك في جيبك، وضم عليك عضدك، الذي هو جناح وضم عليك عضدك، الذي هو جناح الإنسان ﴿ تُمرِح بيضاء من غير سوء ﴾ أي: بياضاً ساطعاً، من غير عيب ولا برص ﴿ آية أخرى ﴾ .

قال الله: ﴿فذانك برهانان من ربك إلى فرعون ومَلَيْه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾.

ولنريك من آياتنا الكبرى أي: فعلنا ما ذكرنا، من انقلاب العصاحية تسعى، ومن خروج اليد بيضاء للناظرين، لأجل أن نريك من آياتنا الكبرى، الدالة على صحة رسالتك وحقيقة ما جئت به، فيطمئن قلبك ويزداد علمك، وتثق بوعد الله لك بالحفظ والنصرة، ولتكون حجة وبرهاناً لمن أرسلت إليهم.

﴿ ٢٤ _ ٣٦ ﴾ ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طبغي * قيال رب اشرح لي صدري # ويسرلي أمري # واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخى * اشدد به أزرى * وأشركه فى أمري * كى نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً * إنك كنت بنا بصيراً * قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ لما أوحى الله إلى موسى، ونبأه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغي، أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية _

قبحه الله أي: وطغيانه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحداً، إلا بعد قيام الحجة بالرسل، فحيئنذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملاً عظيماً، حيث أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه، وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي [هي](١) من تمام الدعوة، فقال: ﴿ربِّ اشرح لي صدری ای: وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذي القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدرى، فإنّ الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم.

قال الله لنبيه محمد على: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشراحه عليهم.

ويسر لي أمري أي: سهل علي كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك، وهو ت علي ما أمامي من الشدائد، ومن تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله.

﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام، كما قاله المفسرون، كما قال الله عنه أنه قال: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فسأل الله أن يحل منه عقدة، يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني.

واجعل لي وزيرا من اهلي اي: معينا(٢) يعاونني، ويوازرن، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب

البر، وأحق ببر الإنسان قرابته، ثم عينه بسؤاله فقال: ﴿هارون أخي * اشدد به أزري ﴾ أي: قوني به، وشد به ظهري، قال الله: ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً ﴾ ﴿وأشركه في أمري ﴾ أي: في النبوة، بأن تجعله نبياً رسولاً، كما جعلتني.

ثم ذكر الفائدة في ذلك فقال:
﴿ كَي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ﴾ علم عليه الصلاة والسلام، أن مدار العبادات كلها والدين، على ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل، وغيره من أنواع العبادات.

﴿إِنْكَ كنتُ بِنا بصيراً ﴿ تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور، وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم، فمنَّ علينا بما سألناك، وأجب لنا فيما دعوناك.

فقال الله: ﴿قد أوتيت سُؤلك يا موسى﴾ أي: أعطيت جميع ما طلبت، فسنشرح صدرك، ونيسر أمرك، ونحل عقدة من لسانك، يفقهوا قولك، ونشد عضدك بأخيك هارون، ﴿ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إيكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالون﴾.

وهذا السؤال من موسى عليه السلام، يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور، وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصاً إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان (١)، يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يصيبه من الأذى، عن ما يريده ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام، من ألزم ما يكون، لكشرة المراجعات والمراوضات، ولحاجته لتحسين الحق، وتزيينه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى تقبيح الباطل وتهجينه، النفوس، وإلى تقبيح الباطل وتهجينه،

لينفر عنه، ويحتاج مع ذلك أيضاً، أن يتيسر له أمره، فيأتى البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يعامل الناس كلاً بحسب حاله، وتمام ذلك، أن يكون لمن هذه صفته، أعوان ووزراء، يساعدونه على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كشرت، لا بدأن تؤثر، فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيها . وإذا نظرت إلى حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق، رأيتهم بهذه الحال، بحسب أحوالهم خصوصاً، خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ، فإنه في الذروة العليا من كل صفة كمال، وله من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وفصاحة

بعدهم، ما ليس لغيره.

﴿٣٧ ـ ١٤﴾ ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى * إذ أوحينا إلى أمسك ما يوحى * أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في التابوت يأخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك عبة مني ولتصنع على عيني * إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا وفتناك فتوناً فلبث سنين في أهل مدين واصطنعتك لنفسي * لاذكر منته على واصطنعتك لنفسي * لما ذكر منته على عيده ورسوله، موسى بن عمران، في

اللسان، وحسن التعبير والبيان،

والأعوان على الحق من الصحابة، فمن

واصطنعتك لنفسي لا ذكر منته على عبده ورسوله، موسى بن عمران، في الدين، والوحي، والرسالة، وإجابة سؤاله، ذكر نعمته عليه، وقت التربية، مننا عليك مرة أخرى حيث ألهمنا أمك أن تقذفك في التابوت وقت الرضاع، خوفاً من فرعون، لأنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، فأخفته أمه، وخافت عليه خوفاً شديداً فقذفته في اليم، أي: شط التابوت، ثم قذفته في اليم، أي: شط

نيل مصر، فأمر الله اليم، أن يلقيه في

الساحل، وقيض أن يأخذه، أعدى

الأعداء لله ولموسى، ويتربى فى أولاده، ويحكون قرة عين لمن رآه، ولهذا قال: ﴿وألقيت عليك محبة مني الله فكل من رآه أحبه الولتصنع على عيني﴾ ولتتربي على نظري وفي حفظي وكلاء ق، وأى: نظر وكفالة، أجلّ وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة ، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع في يدعدوه، قلقت أمه قلقاً شديداً، وأصبح فؤادها فارغاً، وكادت تخبر به، لولاآن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثدياً، فجاءت أخت موسى، فقالت لهم: ﴿ هِلْ أَدْلُكُمْ عَلَى ا أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، 🕽 .

﴿ فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً ﴾ وهو القبطي، لا دخل المدينة وقت غفلة من أهلها، وجد رجلين يقتتلان، واحد من شيعة موسى، والآخر من عدوه قبطي ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ﴾ فدعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر هارباً لما سسمع أن الملا طلبوه، يريدون قتله.

فنجاه الله من الغم من عقوبة الذنب، ومن القتل، ﴿وفتناك فتونا﴾ أي: اختبرناك، وبلوناك، فوجدناك أحوالك، وتعلناك في أحوالك، وتعلن أو نقلناك في ما وصلت إليه، ﴿فلبثت سنين في أهل مدين حين فر هارباً من فرعون وملئه، حين أرادوا قتله، فتوجه إلى مدين، ووصل إليها، وتزوج هناك، ومكث عشر سنين، أو ثمان سنين،

﴿ثم جنت على قدريا موسى، أي: جئت مجيئاً قد مضى به القدر، وعلمه الله وأراده في هذا الوقت وهذا الزمان وهذا المكان، ليس مجيئك اتفاقاً من غير قصد ولا تدبير منا، وهذا يدل على كمال اعتناء الله بكليمه موسى عليه السلام، ولهذا قال: ﴿واصطنعتك لنفسى ﴿ أَي: أجريت عليك صنائعي ونعمى، وحسن عوائدي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيباً تختصاً، وتبلغ في ذلك مبلغاً لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم، وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أراده لنفسه، واصطفاه من

﴿٤٦ ـ ٤٦﴾ ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى * اذهبا إلى فرعون إنه طغي * فقولًا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى * قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغي * قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى، لما امتن الله على موسى بما امتن به، من النعم الدينية والدنيوية قال له:

﴿ ادْهـب أنـت وأخـوك ﴾ هـارون ﴿بآياتِ﴾ أي: الآيات التي مني، الدالة على الحق وحسنه، وقبح الباطل، كاليد، والعصا ونحوها، في تسع آيات إلى فرعون ومَلَئِه، ﴿ولا تنيُّا في ذُكري﴾ أي: لا تفترا، ولا تكسلا عن مداومة ذكرى بل استمرا عليه، والزماه كما وعدتما بذلك ﴿كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ﴾ فإن ذكر الله فيه معونة على جميع الأمور، يسهلها، ويخفف حملها.

﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغي ١٠ أي : جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه.

﴿فقولاله قولاً ليناً ﴾ أي: سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في

المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿لعله﴾ بسبب القول اللين ﴿يتذكر ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أُو يُحْشَى﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿فقل هل لك إلى أن تـزكـي * وأهـديـك إلى ربـك فتخشى فإن في هذا الكلام، من لطف القول وسهولته، وعدم بشاعته، ما لا يخفى على المتأمل، فإنه أتى به «هل» الدالة على العرض والمشاورة، التي لا يشمئز منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس، التي أصلها التطهر عن الشرك، الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل «أزكيك» بل قال: «تزكى» أنت بنفسك، ثم دعاه إلى سبيل ربه، الذي رباه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، التي ينبغي مقابلتها بشكرها، وذكرهاً فقال ً ﴿وأهديك إلى ربك فتحشى﴾ فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب، علم أنه لا ينجع فيه تذكير، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي: يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا، قبل أن تبلغه رسالاتك، ونقيم عليه الحبَّة ﴿أُو أَن يطغى﴾ أي: يتمرد عن الحق، ويطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعوانه، ﴿قال لاتخافا﴾ أن يفرط عليكما ﴿إنني معكما أسمع وأرى اي: أنتما بحفظي ورعايتي، أسمع أقوالكما، وأرى جميع أحوالكما، فلا تخافا منه، فزال الخوف عنهما، واطمأنت قلوبهما بوعد

﴿٤٧ ـ ٤٨﴾ ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآيةً من ربك والسلام على من اتبع الهدى * إنا قد أوحى إلينا أن العذآب على من كذب وتولى اي: فأتياه بهذين الأمرين، دعوته إلى الإسلام، وتخليص هذا الشعب الشريف بني إسرائيل _ من قيده وتعبيده لهم، ليتحرروا ويملكوا أمرهم، ويقيم فيهم موسى شرع الله

CANADA DEPORT اً ۚ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَرَقِ فِي كِتَابُّ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَسْسَ ۞ الله عَمَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّكَآءِ مَآءَ فَأَخْرَحْنَا بِهِ ۚ أَزْوَجَامِن نَبَاتِ شَقَّا۞ كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَنْكُمَكُمُّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآئِكَ لِأَنْ لِي ٱلنُّعَىٰ ٠ مِنْهَاخَلَقْنَكُمْ وَفِيهَافِيكُ كُووَمِنْهَانُحْتَرِجُكُو الدَّهُ أُخْرَىٰ۞ وَلَقَدْ أَرَيْكَهُ ءَايَلِتِنَاكُمَّا فَكَذَّبَ وَأَبَا۞ قَالَ أَجِعْتَنَا لِلُغْجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِمِجْرِكَ يَكُومَنِي ۞ فَلَنَأْتِينَكَ ببخر مِثْلِهِ وَأَجْعَلْ يَنْنَا وَبَسْنَكَ مَوْعِدًا لَّا خُنْلِفُهُ خَنَّ وَلَا أَنَّ مَكَانَا سُوِّي ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُعْشَرَ ٱلنَّاسُ مِنْهُ مَنْ فَ فَتُولِّي فِيغَوْنُ فِيتَمَكِّيدَهُ مُرْزَأَتَنَ ۞ قَسَالَ لَمُمُوسَىٰ وَيْلَكُمُ لَا نَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ حَدْبَا فَيُسْحِتَكُمُ بِعَذَابٌ وَقَدْخَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۞ فَلْنَازَعُوٓ أَمْرَهُر يَيْنَهُمْ وَأَمْرُوا ٱلنَّجَوَيٰ ۞ قَالُوٓا إِنَّ هَاذَٰنِ لَسَحَرَٰنِيُرِيدَانِ أَن يُغْيَجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِمِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا لِطَرِيقَيْكُمُ ٱلْثُلُّ ۞ المَجْعُول كَيْدَكُرُ ثُرَّانَنُوا صَفَّا وَقَدْ أَفْلَوَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ۞

﴿قد جئناك بآية ﴾ تدل على صدقنا ﴿فَأَلْقِي مُوسِي عَصِاهِ فَإِذَا هِي تُعبِانَ مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ إلى آخر ما ذكر الله عنهما. ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ أي: من اتبع الصراط الستقيم، واهتدى بالشرع المبين، حصلت له السلامة في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَا قَدَ أُوحِي إِلَيْنَا﴾ أي: خبرٌ من عند الله، لا من عند أنفسنا ﴿أن العذاب على من كذب وتولى أي: كذب بأخبار الله، وأخبار رسله، وتولى عن الانقياد لهم واتباعهم، وهذا فيه الترغيب لفرعون بالإيمان والتصديق واتباعهما، والترهيب من ضد ذلك، ولكن لم يفد فيه هذا الوعظ والتذكير، فأنكر ربه وكفر، وجادل في ذلك ظلماً وعناداً.

﴿٤٩ ـ ٥٥﴾ ﴿قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى * قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى * الذي جعل لكم الأرض مهدأ وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى * كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولى النهي * منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)

Carried Carried قَالُواْيِنُمُومِينَ إِمَّا أَنْتُلِقِي وَإِمَّا أَنْتُكُونَ أَوَّلُ مَنْ أَلَوْ ﴿ وَالَّهِ اللَّهِ بَلْ ٱلْقُولُ فَإِذَا حِمَالُكُمْ وَعِصِيتُهُمْ يُغَيِّلُ الَّيْهِ مِن مِنْ مِزَانَهُ الْمَتَى ۞ فَأَوْجَسَ فِ نَفْسِ وِخِفَةً مُوسَىٰ ۞ مُّلْنَا لَا تَخَفَ إِنْكَأَتَ ٱلْأَغْلَىٰ ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَاصَنَعُوٓ ۚ إِنَّاصَنَعُواْكَ لُهُ سَيِحِ وَلَا يُعْلِحُ ٱلسَّا يَرُحَنْتُ أَنَّ ۞ فَٱلْقِي َ السَّحَرَةُ مُجَدًّا قَالْوَأَ ءَامَنَا إِرَبِ هَلُرُونَ وَمُوسَىٰ ۞ قَالَ ءَامَنتُ مِلْدُقِ لَأَنْ ءَاذَنَ لَكُمُّ إِنَّهُ لَكَيِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّتَكُمُ ٱلْيَعْ مَلَكُمُ الْيَعْ مَلَا تُعَلِّمَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِنْ خِلَفِ وَلَأَصَلَتُكُو فِيحُدُوعِ الْغَيْل وَلَتَعَلَّمُزَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَا لِمَ أَبْغَلَ ۞ قَالُوا لَن نُوْثِرَكَ عَلَى مَا يَاءَنَا مِنَ الْبِيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَآاً فَاقْضِ مَآ أَنتَ فَاضَّ إِنَّمَا تَقْضِي هَاذِهِ ٱلْمَيْوَةُ الدُّنْيَا ﴿ إِنَّا مَامِنَا رَبِّنَا لِيغْفِرَكِا خَعَلَيْنَا وَمَا أَكُوهَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْسِيْحِ وَالْمَهُ مَنْرُ وَأَنْفَى ۞ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْسِمًا فَإِنَّاكَهُ بَحَهَا مَّرَلَا يَتُوتُ فِيهَا وَلَا يَعْنِي ﴿ وَمَن يَأْنِهِ مُؤْمِنًا قَدْعِلَ المَيْلِحَاتِ مَأْوَلَتِكَ لَمُعُ الدَّرَحَتُ الْعُلَىٰ حَيْثُ عَدَن تَجْرِى مِن تَعِيْهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِينًا وَدَلِكَ جَنَزَاهُ مَن تَذَكِّلُ ۞

أي: قال فرعون لموسى على وجه الإنكار: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ فأجاب موسى بجواب شاف كاف واضح، فقال: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدي، أي: ربنا الذي خلَّق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، ﴿ثُمَّ هدى) كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة(١) المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجدُّه يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن(٢) به على ذلك .

وهذا كقوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على وجوداً، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور المعلومة ما أنكر، كان ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا

الدليل القاطع، عدل إلى المساغبة، وحاد عن المقصود فقال لموسى: ﴿فما بِاللهُ القرون الأولى ﴾ أي: ما شأنهم، وما خبرهم؟ وكيف وصلت بهم الحال، وقد سبقونا إلى الإنكار والكفر، والظلم، والعناد، ولنا فيهم أسوة؟ فقال موسى: ﴿علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ أي: قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتاب، وهو اللوح وشر، وأحاط به علماً وخبراً، فلا يضل عن شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها.

ومضمون ذلك، أنهم قدموا إلى ما قدموا، ولاقوا أعمالهم، وسيجازون عليها، فلا معنى لسؤالك واستفهامك يا فرعون عنهم، فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، فإن كان الدليل الذي أوردناه عليك، والآيات التي أريناكها، قد تحققت صدقها ووع عنك الكفر والظلم، وكثرة ودع عنك الكفر والظلم، وكثرة فيها أو رأيتها غير مستقيمة، فالطريق المدليل بالدليل، والبرهان بالبرهان، ولن تجد لذلك سبيلا، ما دام الملوان.

كيف وقد أخبر الله عنه، أنه جحدها مع استيقانها، كما قال تعالى: ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً ﴾ وقال موسى: ﴿ لقد علمت ما أنزل هو لا رب السماوات والأرض بصائر ﴾ فعلم أنه ظالم في جداله، قصده العلو في الأرض.

ثم استطرد في هذا الدليل القاطع، بذكر كشير من نعمه وإحسانه الضروري، فقال: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي: فراشناً بحالة والبناء، والغراس، وإثارتها للازدراع وغيره، وذللها لذلك، ولم يجعلها ممتنعة عن مصلحة من مصالحكم.

﴿وسلك لكم فيها سُبلا﴾ أي: نفذ لكم الطرق الموصلة، من أرض إلى أرض، ومن قطر إلى قطر، حتى كان الآدميون يتمكنون من الوصول إلى جميع الأرض بأسهل ما يكون، وينتفعون بأسفارهم، أكثر مما ينتفعون بإقامتهم.

﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴾ أي: أنزل المطر ﴿ فَأَحِيا بِهِ الأَرْضِ بعد موتها ﴾ وأنبت بذلك جميع أصناف النوابت على اختلاف أنواعها، وتشتت أشكالها، ويسره، رزقاً لنا ولانعامنا، ولولا ذلك لهلك من عليها من آدمي وحيوان، ولهذا قال: ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ وسياقها على وجه الامتنان، ليدل ذلك على أن الأصل في جميع النوابت مضراً، كالسموم ونحوه.

﴿إِن في ذلك لآيات لأولي النهي﴾ أي: لذوي العقول الرزينة، والأفكار ورحمته، وسعة جوده، وتمام عنايته، وعلى أنه السرب المعبود، المالك المحمود، الذي لا يستحق العبادة سواه، ولا الحمد والمدح والثناء، إلا من امتن بهذه النعم، وعلى أنه على كل شيء قدير، فكما أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيى الموتى.

وخص الله أولي النهى بذلك، لأنهم المنتفعون بها، الناظرون إليها نظر اعتبار، وأما من عداهم، فإنهم بمنزلة البهائم السائمة، لا البهائم السائمة، لا ينظرون إليها نظر اعتبار، ولا تنفذ بصائرهم إلى المقصود منها، بل حظهم حظ البهائم، يأكلون ويشربون، وقلوبهم لاهية، وأجسامهم معرضة. وأجسامهم معرضة. والأرض يمرون عليها وهم عنها ولارض.

ولما ذكر كرم الأرض، وحسن

⁽١) في ب: الكاملة.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: ما تتمكن.

(۵۰۸ البجزء السادس عشر)

شكرها لما ينزله الله عليها من الطر، وأنها بإذن ربها، تخرج النبات المختلف الأنواع، أخبر أنه خلقنا منها، وفيها يعيدنا إذا متنا فدفنا فيها، ومنها يخرجنا تارة أخرى، فكما أوجدنا منها من العدم، وقد علمنا ذلك وتحققناه، فسيعيدنا بالبعث منها بعد موتنا، ليجازينا بأعمالنا التي عملناها عليها.

وهذان دليلان على الإعادة عقليان واضحان: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم.

﴿٥٦ - ٦١﴾ ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى * قال أجتننا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى * فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى * قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى * فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى * قال لهم موسى ويلكم لا تفترواً على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتری € یخبر تعالی، أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع، جميع أنواعها العيانية، والأفقية والنفسية، فما استقام ولا ارعوى، وإنما كذب وتولى، كذب الخبر، وتولى عن الأمر والنهي، وجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، وجادل بالباطل ليضل الناس، فقال: ﴿أَجِنْتُنَا لِتَخْرِجُنَا مِنْ أرضنا بسحرك (عم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى، سحر وتمويه، المقصود منها إخراجهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، ليكون كلامه مؤثراً في قلوب قومه، فإن الطباع تميل إلى أوطانها، ويصعب عليها الخروج منها ومفارقتها.

فأخبرهم أن موسى هذا قصده، ليبغضوه، ويسعوا في محاربته، فلنأتينك بسحر مثل سحرك فأمهلنا، واجعل لنا ﴿موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾ أي: مستو علمنا وعلمك به، أو مكاناً مستوياً معتدلاً ليتمكن من رؤية ما فيه.

فقال موسى: ﴿موعدكم يوم

الزينة وهو عيدهم، الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم، ﴿وَأَن يُحْشُر الناس ضحى ﴾ أي: يجمعون كلهم في وقت الضحى، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره، ﴿فتولى فرعون فجمع يحيد به موسى، فأرسل في مدائنه من يكيد به موسى، فأرسل في مدائنه من وكان السحرة الماهرين في سحرهم، علماً مرغوباً فيه، فجمع خلقاً كثيراً من السحرة، ثم أتى كل منهما للموعد، واجتمع الناس للموعد.

فكان الجمع حافلاً، حضره الرجال والسنساء، والملأ، والأشراف، والعوام، والصغار، والكبار، وحضوا الناس على الاجتماع، وقالوا للناس: ﴿ هِلَ أَنتِم مِحتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴿ فحين اجتمعوا من جميع البلدان، وعظهم موسى عليه السلام، وأقام عليهم الحجة، وقال لهم: ﴿وَيَلَّكُمُ لَا تَفْتُرُواْ على الله كذباً فيسحتكم بعذاب أي: لا تنصروا ما أنتم عليه من الباطل بسحركم وتغالبون الحق، وتفترون على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب من عنده، ويخيب سعيكم وافتراؤكم، فلا تدركون ما تطلبون من النصر والجاه عند فرعون ومَليِّه، ولا تسلمون من عذاب الله، وكلام الحق لا بدأن يؤثر في القلوب، لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة لما سمعوا كلام موسى، وارتبكوا، ولعل من جملة نزاعهم، الاشتباه في موسى، هل هو على الحق أم لا؟ ولكن هم إلى الآن، ما تم أمرهم، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، ﴿ليهلك منَّ هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ﴾ فحيئنذ أسروا فيما بينهم النجوي، وأنهم يتفقون على مقالة واحدة، لينجحوا في مقالهم وفعالهم، وليتمسك الناس بدينهم، والنجوي التي أسروها فسرها بقوله: ﴿قالوا إن هذَّان لساحران يريدان أن

يخرجاكم من أرضكم بسحرهما) كمقالة فرعون السابقة، فإما أن يكون ذلك توافقاً من فرعون والسحرة على هذه المقالة من غير قصد، وإما أن يكون تلقيناً منه لهم مقالته، التي صمم عليها وأظهرها للناس، وزادوا على قول فرعون أن قالوا: ﴿ويلْهِبِا بطريقتكم المثلى أي: طريقة السحر حسدكم عليها، وأراد أن يظهر عليكم، ليكون له الفخر والصيت والشهرة، ويكون هو القصود بهذا العلم، الذي أشغلتم زمانكم فيه، ويذهب عنكم ما كنتم تأكلون بسببه، وما يتبع ذلك من الرياسة، وهذا حض من بعضهم على بعض على الاجتهاد في مغالبته، ولهذا قالوا: ﴿فَأَجْمُوا كيدكم أي: أظهروه دفعة واحدة متظاهرين متساعدين فيه، متناصرين، متفقاً رأيكم وكلمتكم، ﴿ثم ائتوا صفاً ليكون أمكن لعملكم، وأهيب لكم في القلوب، ولئلا يترك بعضكم بعض مقدوره من العمل، واعلموا أنَّ من أفلح اليوم ونجح وغلب غيره، فإنه المفلح الفائز، فهذا يوم له ما بعده من الأيام، فلله درُّهم ما أصلبهم في باطلهم، وأشدهم فيه، حيث أتوا بكل سبب ووسيلة وممكن، ومكيدة يكيدون بها الحق، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر الحق على الباطل، فلما تمت مكيدتهم، وانحصر مقصدهم، ولم يبق إلا العمل ﴿قالوا يَا مُوسَى إما أَن تلقى﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون أول من ألقي ﴾ خيروه، موهمين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي: حالة كانت، فقال لهم موسى: ﴿بِلِ أَلْقُوا﴾ فألقوا حبالهم وعصيهم، ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه اي: إلى موسى ﴿من سحرهم البليغ ﴿أنها تسعى ﴾ أي: أنها حياتُ تسعى فلما خيل إلى موسى ذلك، ﴿أُوجِس في نفسه خيفة موسى، كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره، ﴿قلنا﴾ له تثبيتاً وتطميناً: ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى * عليهم ، أي: ستعلو عليهم وتقهرهم، ويذلوا

لك ويخضعوا.

﴿وألق ما في يمينك ﴾ أي: عصاك ﴿تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ أي: كيدهم ومكرهم، ليس بمثمر لهم ولا ناجح، فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، ويلبسون الباطل، ويخيلون أنهم على الحق، فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا كله وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع، فعلم السحرة علماً يقيناً أن هذا ليس بسحر، وأنه من الله، فبادروا للايمان.

﴿فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون فوقع الحق وظهر وسطع، وبطل السحر والمكر والكيد، في ذلك المجمع العظيم.

فصارت بينة ورحمة للمؤمنين، وحجة على المعاندين في الحالفين في وحجة على المعاندين في اللسحرة: ﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم ﴾ أي: كيف أقدمتم على الإيمان من دون مراجعة منى ولا إذن؟

استغرب ذلك منهم، لأدبهم معه، وذلهم، وانقيادهم له في كل أمر من أمورهم، وجعل هذا من ذاك.

ثم استلج فرعون في كفره وطغيانه بعد هذا البرهان، واستخف عقول قومه، وأظهر لهم أن هذه الغلبة من موسى للسحرة، ليس لأن الذي معه الحق، بل لأنه تمالاً هو والسحرة، ومكروا، ودبروا أن يخرجوا فرعون وقومه من بلادهم، فقبل قومه هذا المكر منه، وظنوه صدقاً ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ مع أن هذه المقالة التي قالها، لاتدخل عقل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة بالواقع، فإن موسى أتى من مدين وحيداً، وحين أتى لم يجتمع بأحد من السحرة ولا غيرهم، بل بادر إلى دعوة فرعون وقومه، وأراهم الآيات، فأراد فرعون أن يعارض ما جاء به موسى فسعى ما أمكنه، وأرسل في مدائنه من يجمع له كل ساحر عليم.

فبجازوا إليه، ووعدهم الأجر

والمنزلة عند الغلبة، وهم حرصوا غاية الحرص، وكادوا أشد الكيد، على غلبتهم لموسى، وكان منهم ما كان، فهل يمكن أن يتصور مع هذا أن يكونوا دبروا هم وموسى واتفقوا على ما صدر؟ هذا من أمل المحال، ثم توعد فرعون السحرة فقال: ﴿ فَلَأَقُطُعُنَ أَيْدِيكُمُ وَأُرْجِلُكُمُ مِنْ خلاف ﴾ كما يفعل بالمحارب الساعى بالفساد، يقطع يده اليمني، ورجله اليسرى، ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل اي: الأجل أن تستهروا وتختزوا، ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى ﴾ يعني بزعمه هو أو الله، وأنه أشد عذاباً من الله وأبقى، قلباً للحقائق، وترهيباً لمن لا عقل له.

ولهذا لما عرف السحرة الحق، ورزقهم الله من العقل ما يدركون به الحقائق، أجابوه بقولهم:

﴿لن نـوثـرك عـلى مـا جـاءنـا مـن البينات﴾ أي: لن نختارك وما وعدتنا به من الأجر والتقريب، على ما أرانا الله من الآيات البينات الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده، المعظم المبجل وحده، وأن ما سواه باطل، ونؤثرك على الذي فطرنا وخلقنا، هذا لا يكون ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ مما أوعدتنا به من القطع، والصلب، والعذاب.

﴿إِنَّمَا تَقْضَى هَذَهُ الْحِياةُ الدنيا﴾ أي: إنما توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا، ينقضي ويزول ولا يضرنا، بخلاف عذاب الله، لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظيم.

وهذا كأنه جواب منهم، لقوله: ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾ وفي هذا الكلام، من السحرة، دليل على أنه ينبغي للعاقل، أن يوازن بين لذات الدنيا، ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة،

﴿إِنَا آمنا بربنا لَيَغَفُر لنا خطايانا﴾ أي: كفرنا ومعاصينا، فإن الإيمان مكفر للسيئات، والتوبة تَجبُّ ما قبلها، وقولهم، ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ الذي عارضنا به الحق، هذا دليل على أنهم غير مختارين في عملهم

المتقدم، وإنما أكرههم فرعون إكراهاً.

والظاهر ــوالله أعلم ــأن موسى لما وعظهم كما تقدم في قوله: ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب﴾ أثّر معهم، ووقع منهم موقعاً كبيراً، ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام والموعظة، ثم إن فرعون ألزمهم ذلك، وأكرههم على المكر الذي أجروه، ولهذا تكلموا بكلامه السابق قبل إتبانهم، حيث قالوا: ﴿إِن هذان لساحران يريدان أن بخرجاكم من أرضكم بسحرهما، فجروا على ما سَنَّهُ لهم، وأكرههم عليه، ولعل هذه النكتة التي قامت بقلوبهم من كراهتهم لعارضة الحق بالباطل وفعلهم، ما فعلوا على وجه الإغماض، هي التي أثرت معهم، ورحمهم الله بسببها، ووفقهم للإيمان والتوبة، ﴿والله خير﴾ ما وعدتنا من الأجر والمنزلة والجاه، وأبقى ثوابأ وإحسانا لاما يقول فرعون: ﴿ولتعلمن أينا أشدعذاباً وأبقى ﴾ يريد أنه أشد عذاباً وأبقى. وجميع ما أتى من قصص موسى مع فرعون، يذكر الله فيه إذا أتى على قصة السحرة، أن فرعون توعدهم بالقطع والصلب، ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأت في ذلك حديث صحيح، والجرم بوقوعه أو عدمه، يتوقف على الدليل، والله أعلم بذلك وغيره، ولكن توعده إياهم بذلك مع اقتداره، دليل على وقوعه، ولأنه لو لم يقع لذكره الله، ولاتفاق الناقلين على ذلك.

﴿١٤ - ٧٤﴾ ﴿إنه من يأت ربه عرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا * ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى يغبر تعالى أن من أتاه، وقدم عليه بحرماً _ أي: وصفه الجرم من كل وجه، وذلك يستلزم الكفر _ واستمر على ذلك حتى مات، فإن له نار جهنم، الشديد نكالها، العظيمة أغلالها، البعيد قعرها، الأليم حرها وقرها، التي فيها من العقاب ما يذيب

الأكباد والقلوب، ومن شدة ذلك أن المعذب فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت ولا يحيا، لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة عشوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر، ولا يفتر عنه ساعة، يستغيث فلا يغاث، ويدعو فلا يستجاب له.

نعم، إذا استغاث، أغيث بماء كالمهل يشوي الوجوه، وإن دعا، أجيب ب ﴿ آخسو أو أفيها ولا تكلمون ﴾. ومن يأت ربه مؤمناً به مصدقاً لرسله، متبعاً لكتبه ﴿ قد عمل ﴿ فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾ أي: المنازل السعاليات، وفي الغرف المزخرفات، واللذات المتواصلات، والأنهار السارحات، والخلود الدائم، والسرور العظيم، فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ودلك الشواب، وجزاء من تزكى أي: تطهر من الشرك والكفر والكفر والفسوق والعصيان، إما أن لا يفعلها بالكلية، أو يتوب عما فعله منها، وزكى أيضاً نفسه، ونماها بالإيمان والعمل الصالح، فإن للتزكية معنيين، التنقية، وإزالة الخبث، والزيادة بحصول الخير، وسميت الزكاة زكاة، لهذين الأمرين.

المريس. والله المريس المريس الله المرسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشيهم ه فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم * وأضل فرعون قومه وما هدى لا الخهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام، ويسعى في تخليص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله علينا

في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدرون أن يظهروا إيمانهم ويعلنوه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهراً، ويقيموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى(١)، أن سِر أو سيروا أول الليل، ليتمادوا(٢) في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، والله غالب على أمره، فتكاملت جنود فرعون فسار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من ورائهم، قد امتلأ عليهم غيظاً وحنقاً، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعد ربه، فقال: ﴿كلا إن معى ربي سيهدين﴾ فأوحى الله إليه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه، فانفرق اثنى عشر طريقاً، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأيبس الله طرقهم التي انفرق عنها الماء، وأمرهم الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الغرق في البحر، فسلكوا في تلك الطرق، فجاء فرعون وجنوده، فسلكوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيهم من اليم ما غشيهم، وغرقوا كلهم، ولم ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل

ينظرون إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم

ملاكه (٣). وهذا عاقبة الكفر

المُ وَلَقَدُ الْوَحِيْثَ إِلَى مُومَنَى أَنْ أَسْرِيبَ الدِي فَاضْرِبْ لَمُعْظِيقًا فِي المُخرِبَبِياً لَا تَعَلَقُ دَرَكَا وَلَا عَنْتَمَ اللهِ عَلَيْهُ فِي فَأَنْتُمُهُ فِي فَانْ المُجنُودِهِ وَمَنْشِيَهُ مِنَ ٱلْسَيِّمَاغَشِيَهُ مُنْ وَأَصَلَّ فِيرَعَوْنُ الله وَمَمُومَاهَدَىٰ ﴿ يَبَنِيَ إِنْكُوْ بِلَ قَدْ أَجَيْنَكُمُ مِنْ عَدُورِكُمْ وَوَاعَدْ نَكُرُ مَانِ اللَّورِ ٱلْأَيْسَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُرُ لُلْنَّ وَالسَّلُوكِ ۞ كُوُامِنَ مَلِيَبُتِ مَارَزَقَنَكُمْ وَلَانْطُغَوَافِيهِ فَيَلَ عَلَيْكُمْ عَنَبَيُّ وَمَن يَمْ لِلْ عَلَيْهِ غَضَمَى فَقَدْ هُوَىٰ ﴿ وَإِنِّى لَغَنْ فَارَّ لِمَن تَابَ وَوَامَنَ وَعِلْمَ لِلِمُا أُورُ أَهْتَدَىٰ ٥ وَمَا أَعِمَلُ عَن مِّهِكَ بَنَمُوسَىٰ ﴿ قَالَهُمْ أُولَاهِ عَلَىٰ أَثْرَى وَعَلِمْتُ إِلَيْكَ رَبِ لِتَرْضَىٰ ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَنَنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِلْكَ وَأَصَلَكُمُ النَّامِيُّ ﴿ فَرَحَعَ مُومَنَى إِلَىٰ فَوْمِدِ غَمَّ إِنَّ أَمِهُ فَأَلَّالًا وللم المُعَلِينَ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللَّهُ مَا مُعَلَّا خَسَنًّا أَضَلَالَ عَلَيْكُمُ وَعَدّا حَسَنًا أَضَلَالَ عَلَيْكُمُ كُلُ الْعَهْدُ أَمْ أَرُدِقُ مُ أَن يَعِلَ عَلَيْكُمْ عَضَبُ عِن زَيْحُوكًا خَلَفْتُمْ ا تَوْعِدِي ﴿ قَالُواْمَا لَنَافَنَا مَوْعِدُكَ مَلْكِا وَلَاكِنَا مُعْلَنَا أَوْلَالِمَ نِينَةِ الْقُومِ فَقَدَ فَنَهَا وَكَذَالِكَ أَلْوَالسَّاحِيُّهُ ۞ DURAN IN MARKED

والضلال، وعدم الاهتداء بهدي الله، وله أنه ولهذا قال تعالى: ﴿واْضل فرعون قومه بما زين لهم من الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هداهم في وقت من الأوقات، فأوردهم موارد الغي والضلال، ثم أوردهم مورد العذاب والنكال.

﴿٨٠ ـ ٨٠﴾ ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب البطور الأيسمين وتبزلننا عبليكتم المن والسلوى * كىلوامن طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هـوي * وإني لـغـفـار لمن تـاب وآمـن وعمل صالحاً ثم اهتدي اللهُ يُذَكِّر تعالى بنى إسرائيل مِنْتَهُ العظيمة عليهم بإهلاك عدوهم، ومواعدته لموسى عليه السلام بجانب الطور الأيمن، لينزل عليه الكتاب، الذي فيه الأحكام الجليلة، والأخبار الجميلة، فتتم عليهم النعمة الدينية، بعد النعمة الدنيوية، ويذكر منته أيضاً عليهم في التيه، بإنزال المن والسلوى، والرزق الرغد الهني الذي يحصل لهم بلا مشقة، وأنه قال لهم: ﴿كلوا من طيبات ما رزقساكم أي: واشكروه على ما

⁽١) هنا زيادة في ب: أن يواعد بني إسرائيل ويبدو أنها مشطوبة في أ.

⁽۲) كذا في ب، وفي أ: الكلمة غير واضحة.

⁽٣) كذا في ب، وفي أ: بهلاكهم.

A CARLON CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE PART فَأَخْرَجَ لَمُدْعِجْ لَاجَسَدُا لَمُخُوَارٌ فَقَ الْواْهَا ذَاۤ إِلَهُكُمْ وَلَهُ مُوسَىٰ فَنَيْنَ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِمُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَلِكُ لَمُتُوضَرًّا وَلَانَفْعًا ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَمُتُمْ هَلَرُونُ مِن قَبْلُ لَقَوْمِ إِمَّا فُتِنتُه بِقِهِ وَإِنَّ رَبِّكُمُ ٱلرَّخَلُ فَاتَّبِعُونِ وَأَطِيعُوٓا أَمْرِي ۞ قَالُواْ لَنَ نَهُمَّ عَلَيْهِ عَلَكِهِ بِي حَقَّارَتُهِمُ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ يَنهَدُونُ مَامَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمُ مِنكُوًّا ۞ أَلَائتَيْمَنَّ أَمْسَيْتَ أَمْرِي ۞ قَالَ يَبْنَوُمُ لَا لَلْتُدْ يَلِيْتِي وَلَا رَأْمِيٌّ إِنِّ خَشِيتُ أَن تَعُولُ فَرَقْتَ بَيْنَ يَنْ إِسْرَاْ عِلْ وَلَمْ رَقْبُ قَوْلِي ۞ قَالَ فَا خَفَابُكَ يَسَكِيرِيُّ ۞ قَالَ بَصُرِّتُ عَالَمَ يَبْصُرُوا بِدِ مُفَبَعَثْتُ قِصْتَ مَنْ أَشَرِ الرَّسُولِ فَنَهَا ثُمَّا وَكَذَٰلِكَ مَنَوَلَتْ لِي نَفْيِي ۞ قَالَ فَأَذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَكِيوةِ أَن تَغُولَ لَامِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدَا لَنْ تُخْلَفَ أَرُوَانُظُرُ إِلَى إِلَهِ الْعَالَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِفَنَ مُثُرُّلَنَ سِفَنَهُ فِالْلِيهِ نَسَفًا ۞ إِنْمَا إِلَهُكُرُ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَّهَ إِلَّا هُو وَسِعَ كُلِّ نَتَى وِيلْمًا ۞ TO THE TIME OF THE PARTY OF THE

أسدى إليكم من النعم ولا تطغوا فيه أي: في رزقه، فتستعملونه في فيه أي: معاصيه، وتبطرون النعمة، فإنكم إن فعلتم ذلك، حل عليكم غضبي أي: غضبت عليكم، ثم عذبتكم، وومن يحلل عليه غضبي فقد هوى أي: ردى وهلك، وخاب وخسر، لأنه عدم الرضا والإحسان، وحل عليه الغضب والخسران.

ومع هذا، فالتوبة معروضة ، ولو عمل العبد ما عمل من المعاصي ، فلهذا قال : ﴿وَإِنِي لَغْفَار ﴾ أي : كثير المغفرة والرحمة ، لمن تاب من الكفر والبدعة والفسوق ، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً من أعمال القلب والبدن ، وأقوال اللسان .

﴿ثم اهتدى ﴾ أي: سلك الصراط الستقيم، وتابع الرسول الكريم، واقتدى بالدين القويم، فهذا يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره، لأنه أتى بالسبب الأكبر، للمغفرة والرحمة، بل الأسباب كلها منحصرة في هذه الأشياء فإن التوبة تُجبُ ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل الصالح الذي هو الحسنات، يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها، من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي به، ودعوة

إلى دين الحق، ورد بدعة أو كفر أو ضلالة، وجهاد، وهجرة، وغير ذلك من جزئيات الهداية، كلها مكفرات للذنوب محصلات لغاية المطلوب.

قومك يا موسى * قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى * قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري * فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفأ قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدأ حسنأ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي، كان الله تعالى، قد واعد موسى أن يأتيه لينزل عليه التوراة ثلاثين ليلة، فأتمها بعشر، فلما تم الميقات، بادر موسى عليه السلام إلى الحضور للموعد شوقاً لربه، وحرصاً على موعوده، فقال الله له: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ أي: ما الذي قدمك عليهم؟ ولم لمّ تصبر حتى تقدم أنت وهم؟ قال: ﴿هُمُ أولاء على أثرى ﴿ أي: قريباً منى أ وسيصلون في أثري والذي عجلني إليك يا رب طلباً لقربك ومسارعة في رضاك، وشوقاً إليك، فقال الله له:

﴿فَإِنَّا قَدْ فَتِنَا قُومِكُ مِنْ بِعِدْكُ﴾ أي:

بعبادتهم للعجل، ابتليناهم،

واختبرناهم، فلم يصبروا، وحين

وصلت إليهم المحنة، كفروا﴿وأضلهم

السامري)

﴿فَاخْرِج لهم عجلاً جسداً﴾ وصاغه فصار ﴿له خوار فقالوا﴾ لهم ﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾ فنسيه موسى، فافتتن به بنو إسرائيل، فعبدوه، ونهاهم هارون فلم ينتهوا، فلما رجع موسى إلى قومه وهو غضبان أسف، أي: عتلىء غيظاً وحنقاً وغماً، قال لهم موبخاً ومقبحاً لفعلهم: ﴿يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ وذلك بإنزال التوراة، ﴿أفطال عليكم وهي مدة قصيرة؟ هذا قول كثير من المفسرين، ويحتمل أن معناه: أفطال عليكم عهد النبوة والرسالة، فلم يكن لكم بالنبوة علم ولا أثر، واندرست

آثارها، فلم تقفوا منها على خبر، فانمحت آثارها لبعد العهد بها، فعبدتم غير الله، لغلبة الجهل، وعدم العلم بآثار الرسالة؟ أي: ليس الأمر كذلك، بل النبوة بين أظهركم، والعلم قائم، والعذر غير مقبول؟ أم أردتم بفعلكم، أن يحل عليكم غضب من ربكم؟ أي: فتعرضتم لأسبابه واقتحمتم موجب عذابه، وهذا هو الواقع، فأخلفتم موحدي حين أمرتكم بالاستقامة، ووصيت بكم هارون، فلم ترقبوا غائباً، ولم تحترموا حاضراً.

﴿٨٧ ـ ٨٩﴾ ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي * أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً أي: قالوا له: ما فعلنا الذي فعلنا عن تعمد منا، وملك منا لأنفسنا، ولكن السبب الداعي لذلك، أننا تأثمنا من زينة القوم التي عندنا، وكانوا فيما يذكرون استعاروا حلياً كثيراً من يذكرون استعاروا حلياً كثيراً من وجعوه حين ذهب موسى ليراجعوه فيه إذا رجم.

وكان السامري قد بَصُرَ يوم الغرق بأثر الرسول، فسولت له نفسه أن يأخذ قبضة من أثره، وأنه إذا ألقاها على شيء حَيي، فتنة وامتحاناً، فألقاها على ذلك العجل الذي صاغه بصورة عجل، فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت، وقالوا: إن موسى ذهب يطلب ربه، وهو هاهنا فنسيه، وهذا يطلب ربه، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار، بعد أن كان جماداً، فظنوه إله الأرض والسماوات.

﴿أفلا يرون﴾ أن العجل ﴿لا يرجع إليهم قولاً﴾ أي: لا يتكلم ويراجعهم ويراجعونه، ولا يملك لهم ضرأ ولا نفعاً، فالعادم للكمال والكلام والفعال لا يستحق أن يعبد وهو أنقص من عابديه، فإنهم يتكلمون ويقدرون

على بعض الأشياء، من النفع والدفع، بإقدار الله لهم.

﴿ ٩٠ ـ ٩٤ ﴾ ﴿ ولقد قبال ليهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴿ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن أفعصيت أمرى * قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي أي: إن اتخاذهم العجل، ليسوا معذورين فيه، فإنه وإن كانت عرضت لهم الشبهة في أصل عبادته، فإن هارون قد نهاهم عنه، وأخبرهم أنه فتنة، وأن ربهم الرحمن، الذي منه النعم الظاهرة والباطنة، الدافع للنقم وأنه أمرهم أن يتبعوه ويعتزلوا العجل، فأبوا وقالوا: ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى،

فأقبل موسى على أخيه لائماً له، وقال: ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن و فتخبرني لأبادر للرجوع إليهم؟ ﴿أفعصيت أمري في قولي ﴿ اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ .

فأخذ موسى برأس هارون ولحيته، يجره من الغضب والعتب عليه، فقال هارون: ﴿يا ابن أم ﴾ ترقيق له، وإلا فهو شقيقه ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولى ﴾

بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي أمرتني أن أخلفك فيهم، فلو تبعتك، لتركت ما أمرتني بلزومه وخشيت لائمتك، و ﴿أن تقول فرقت بين بني عندهم راع ولا خليفة، فإن هذا يفرقهم ويشتت شملهم، فلا تجعلني مع القوم الظالمين، ولا تشمت فينا بأخيه، وهو غير مستحق لذلك بأخيه، وهو غير مستحق لذلك في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ثم أقبل على السامرى.

﴿٩٥ ـ ٩٧﴾ ف ﴿قال فما خطبك

ولا يُخَافُ، ولا يُذعَى إلا هو، لأنه الكامل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، المحيط علمه بجميع الأشياء، الذي ما من نعمة بالعباد إلا منه، ولا يدفع السوء إلا هو، فلا إله إلا هو، ولا معبود سواه.

عليك من أنباء ما قد سبق وقد أتيناك من لدنا ذكراً * من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً * خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً بمتر الله تعالى على نبيه على من قصه عليه من أنباء السابقين، وأخبار السالفين، كهذه القصة العظيمة، وما فيها من الأحكام وغيرها، التي لا ينكرها أحد من أهل الكتاب، فأنت لم تدرس أخبار الأولين، ولم تستحمله محمن دراهما، فإخبارك بالحق اليقين من أخبارهم، دليل على أنك رسول الله حقاً، وما جئت به صدق، ولهذا قال: ﴿وقد آتيناك من لدنا﴾ أي: عطية نفيسة، ومنحة جزيلة من عندنا. ﴿ذَكُواَ﴾ وهو هذا القرآن الكريم، ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، وهذا تما يدل على أنَّ القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام، التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها، ويذكر هذا القرآن ما أودع الله فيها، وإذا كان القرآن ذكراً للرسول ولأمته، فيجب تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يهتدي بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم.

وأما مقابلته بالإعراض، أو ما هو أعظم منه من الإنكار، فإنه كفر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة، ولهذا قال: ﴿من أعرض عنه كلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، ﴿خالدين فيه أي:

يا سامري * قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي * قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴾. أي: ما شأنك يا سامري، حيث فعلت ما فعلت؟، فقال: ﴿بصرت بمالم يبصروا به ﴾ وهو جبريل عليه السلام، على فرس رآه وقت خروجهم من البحر، وغرق فرعون وجنوده على ما قاله المفسرون، فقبضت قبضة من أثر حافر فرسه، فنبذتها على العجل، ﴿وكـذلـك سولت لي نـفـسـي أن أقبضها، ثم أنبذها، فكان ما كان، فقال له موسى: ﴿فاذهب ﴾ أي: تباعد عنى واستأخر منى ﴿فإن لك في الحياة أن تُقول لا مساس ﴾ أي: تعاقب في الحياة عقوبة، لا يدنو منك أحد، ولا يمسك أحد، حتى إن من أراد القرب منك، قلت له: لا تمسنى، ولا تقرب منى، عقوبة على ذلك، جيث مس ما لم يمسه غيره، وأجرى ما لم يُجرو أحد، ﴿وإن لَكَ مُوعِداً لَنَّ تخلفه الله فتجازي بعملك، من خير وشر، ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً ﴾ أي: العجل ﴿لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴿ ففعل موسى ذلك، فلوكان إلهاً، لامتنع بمن يريده بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشربَ العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونَسْفه، ليزول ما في قلوبهم من حبه، كما زال شخصه، وَلَأَنْ فِي إَبْقَائِهِ مُحْنَةً، لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل، فلما تبين لهم بطلانه، أخبرهم بمن يستحق العبادة وحده لا شريك له،

﴿٩٨﴾ ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الكريم، فلا يؤله، ولا يُعبُ، ولا يُرجى

في وزرهم، لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذاباً على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها.

﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ أي: بئس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة، ثم استطرد، فذكر أحوال يوم القيامة وأهواله فقال:

﴿ ١٠٢ - ١٠٤﴾ ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومثذ زرقاً * يتخافتون بينهم إن لبثتم إلاَّ عشراً * نحن أعلم بما يفولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلاَّ يوماً ﴾

أي: إذا نفّخ في الصور وخرج الناس من قبورهم، كُلَّ على حسب حاله، فالمتقون يحشرون إلى الرحمن وفداً، والمجرمون يحشرون زُرْقاً ألوانهم من الخوف والقلق والعطش، يتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، ويسمع ما يقولون ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير ﴿إن

والمقصود من هذا، الندم العظيم،

كيف ضيعوا الأوقات القصيرة،

وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور. كما قال تعالى: ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * قال إن لبتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون . لبتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون . ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً * لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً * يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع من أذن له الرحمن ورضى له قولاً *

يعلم ما بين أيديهم ومأخلفهم ولا

يحيطون به علماً * وعنت الوجوه

للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً * ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا بخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلاقل، فقال: ﴿ويسألونكَ عن الجبال أي: ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ ﴿فقل ينسفها ربي نسفاً ﴾ أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن وكالرمل، ثم يدكها فيجعلها هباء منبثاً، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجمعل الأرض قماعماً صفصفاً، مستوياً لا ترى فيه أيها الناظر عوجاً، هذا من تمام استوائها ﴿ولا أمساً ﴾ أي: أودية وأماكن منحفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مدّ الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، و لهذا قال:

«يومئذ يتبعون الداعي وذلك حين يبعثون من قبورهم ويقومون منها، يدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرجون يمنة ولا يسرة، وقوله: ﴿لا عوج لله وأي: لا عوج للعوة الداعي، بل تكون دعوته حقاً وصدقاً، لجميع تكون دعوته حقاً وصدقاً، لجميع بهم أجعين، فيحضرون لموقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحن، ﴿فلا تسمع خاشعة أصواتهم للرحن، ﴿فلا تسمع خاسمة أكان من المراحن، ﴿فلا تسمع خاسمة أكان من المراحن، ﴿فلا تسمع خاسمة أكان من المراحن، ﴿فلا تسمع ألمان من المراحن، ﴿فلا تسمع ألمان من المراحن، ﴿فلا تسمع ألمان من المراحن، إلى المراحن، ﴿فلا تسمع ألمان من المراحن، إلى المراحن إلى المرا

إلا همساً في: إلا وطء الأقدام، أو المخافتة سراً بتحريك الشفتين فقط، يسملكهم الخشوع والسكون والإنصات، انتظاراً لحكم الرحمن فيهم، وتعنو وجوههم، أي: تذل وتخضع، فترى في ذلك الموقف العظيم، الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ساكتين منصتين، خاشعة

أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين على الدوام، في جميع أ-ركبهم، عانية وجوههم، لا يدرون لهم عنه طرفة عين. ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا وقوله: ﴿يومئذ

يفعل به، قد اشتغل كُلَّ بنفسه وشأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فحينتن يحكم فيهم الحاكم العدل الديان، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسىء بالحرمان.

والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يري الخلائق منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار، ويتطلع لرحمته إذ ذاك جميع الخلق لما يشاهدونه [فيختص المؤمنون به ورسله بالرحمة](١)، فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم لكم هذا العلم بما ذكر؟

فلنا: لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن سعة جوده، الذي عم جيع البرايا، ومما نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا، من النعم المتواترة في هذه فإن قوله: ﴿وخشعت الأصوات فإلا من أذن له الرحن﴾ مع قوله ﴿اللك يومئذ الحق للرحن﴾ مع لعباده رحمة، بها يتراحون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها للودعة في قلبها، فإذا كان يوم القيامة، ضم هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العبادة.

مع قوله ﷺ: الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها"، فقل ما شئت عن رحته، فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وعم كرمه وسعت رحمته كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجَلَّ من غَنِيٌ عن عباده، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عن.

وقوله: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا

أي: لا يشفع أحد عنده من الخلق، إلا إذا أذن في الشفاعة (١)، ولا يأذن الأنبياء والمرسلين، وعباده المقربين، الأنبياء والمرسلين، وعباده المقربين، فيمن ارتضى قوله وعمله، وهو المؤمن المخلص، فإذا اختل واحد من هذه الأمور، فلا سبيل لأحد إلى شفاعة من أحد.

وينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين:

ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب الأليم في جهنم، وسخط الديان.

والقسم الثاني: من آمن الإيمان المأمور به، وعمل صالحاً من واجب ومسنون ﴿فلا يُخاف ظلماً ﴾ أي: زيادة في سيئاته ﴿ولا هضماً ﴾ أي: نقصاً من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، لذنه أجراً عظيماً ﴾.

﴿ ١١٣﴾ ﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ﴾ أي: وكذلك أنزلنا هذا الكتاب، باللسان الفاضل العربي، الذي تفهمونه وتفقهونه، ولا يخفى عليكم لفظه، ولا معناه.

وصرفنا فيه من الوعيد أي:
نَوْعُناها أنواعاً كثيرة، تارة بذكر أسمائه
الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر
المثلات التي أحلها بالأمم السابقة،
وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة
بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من
العيوب، وتارة بذكر أهوال القيامة،
وما فيها من المزعجات والمقلقات،
وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنواع
وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنواع
العقاب وأصناف العذاب، كل هذا
رحة بالعباد، لعلهم يتقون الله فيتركون
من المشر والمعاصى ما يضرهم،
من المشر والمعاصى ما يضرهم،
أو يحدث لهم ذكراً
فيعملون من

الطاعات والخير ما ينفعهم، فكونه عربياً، وكونه مصرفاً فيه [من] الوعيد، أكبر سبب، وأعظم داع للتقوى والعمل الصالح، فلو كان غير عربي، أو غير مصرف فيه، لم يكن له هذا

﴿ ١١٤﴾ ﴿ فنتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً ﴾ لما ذكر تعالى حكمه الجزائي في عباده، وحكمه الأمري الديني، الذي أنزله في كتابه، وكان هذا من آثار ملكه قال: ﴿ فنتعالى الله ﴾ أي: جَلَّ وارتفع وتقدس عن كل نقص وآفة، ﴿ الملك ﴾ الذي الملك وصفه، والخلق كلهم عاليك له، وأحكام الملك القدرية والشرعية، نافذة فيهم.

﴿الحق﴾ أي: وجوده وملكه وكماله حق، فصفات الكمال، ومن لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال، ومن ذلك: الملك، فإن غيره من الخلق، وإن كان له ملك في بعض الأوقات، على بعض الأشياء، فإنه ملك قاصر باطل يزول، وأما الرب، فلا يزال ولا يزول مَلِكاً حياً قَيْوماً جليلاً.

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه ﴾ أي: لا تبادر بتلَقُّفِ القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا فرغ منه فاقرأه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقراءتك إياه، كما قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾ ولما كانت عجلته ﷺ، على تَلقُف الوحي ومبادرته إليه، تدل(٢) على محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، وهسي من الله، والسطريق إليها الاجتمهاد، والسوق للعلم، وسؤال الله، والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت.

THE COURSE SERVICE كَذَٰلِكَ نَفُضُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْكَ أَعِ مَا فَذَ سَبَقٌ وَقَدْ ءَاتَدَنَاكَ مِن لَّذَنَّا ذِحْرًا ۞ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْسِمِلُ مَّوْمَ ٱلْقِيكَ مَقِ وِذُرًّا ۞ خَلِدِينَ فِيدُّومَ سَأَةَ لَمُنْهُ يُؤْمَ ٱلْقِينَ مَدْجِمَا لَا ۞ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورُ وَغَشُرُ الْمُحْمِينَ يَوْمَدِ ذُرُّوقًا ﴿ يَعْلَقُلُونَ يَنْهُمْ إِن لِّنْهُمْ إِلَّاعَشْرَا ﴿ غَنَّ أَعْلَمُ مَا يَعُولُونَ إِذْ يَكُولُ أَمْثَلُهُ مُطِيعَتَةً إِن لِّبَيْتُ لَمُ لَا يَوْمًا ۞ وَيَسْتَلُونَكَ عَن ٱلْجِمَالِ فَتُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿ فَيَذَرُهَا فَسَاعًا صَفْعَهُا اللَّهِ لَأَوْ فِيهَاعِوَهَا وَلَا أَمْتُ ا ۞ يَوْمَهِ ذِيَنَّيْهُونَ ٱلذَّاعِيَ لَاعِقَ عَلَاَّمُ وَخَشَعَتِ ٱلْأَضْوَاتُ لِلرَّحْنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا حَسَا ۞ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَالَمُ مَا اللَّهُ عَلَيْهُ إِلَّا مَنْ أَذِبَ لَهُ ٱلرَّحَانُ وَرَسِي لَهُ المَّا اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ مَا يَتِنَ أَيْدِيهِ مُو وَمَلْظَفَهُ مُو لَا يُحْمِطُونَ بِهِ اللهُ اللهُ عَلَمُ وَلَا يَحْمِطُونَ بِهِ اللهُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عِلَمُ عَلَمُ عَل عَلَمُ عَلَم عَلَمُ عَلَمُ عَلِمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلِمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلِمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَم عِلْمًا ۞ • وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْتِي الْقِيَّوِيِّ وَقَدْخَابَ مَنْحَمَلَ ظُلْمًا ١٥ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الْصَالِحَتِ وَهُوَمُوْمِنٌ فَلَا يَغَافُ طُلْمَا وَلَاهَضَهُمَا ۞ وَكَذَاكِ أَنزَأْنَكُ فُرُوَاتًا عَرَبُّ 📓 وَمَثَرَفَنَافِهِ وِينَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ رَبَّعُونَ أَوْيُمُيثُ لَمُمْ وَكُولُ 🗬 O CONTROL OF THE PROPERTY OF T

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة، الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنّى ويصبر حتى يفرغ المهلي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام مُلقِي العلم، فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسؤول، ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب.

سبب مصببه الصواب .

﴿ ١١٥﴾ ﴿ وُلقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ ، أي: ولقد وصّينا آدم وأمرناه ، وعهدنا إليه عهداً ليقوم به ، فالتزمه ، وأذعن له وانقاد ، وعزم على القيام به ، ومع ذلك المحكمة ، فجرى عليه ما جرى ، فصار عبرة لذريته ، وصارت طبائعهم مثل طبيعته ، نسي آدم فنسيت ذريته ، وخطىء فخطئوا ، ولم يثبت على العزم وخطيته ، وأقرّ بها واعترف ، فغفرت له ، ومن يشابه أباه فما ظلم .

ثم ذكر تفصيل ما أجمله فقال:
﴿ ١١٦ ـ ١٢٢﴾ ﴿ وإذ قسلسنا للملائكة اسجدوا الآدم فسجدوا إلا إليس أبى * فقلنا يا آدم إن هذا عدو

⁽١) في ب: إلا من أذن له في الشفاعة.

٢) في النسختين: يدل.

فَعْلَوْالْمَهُ الْلِكُ الْمُعْلَقُ وَالْمَعْبُ وَالْمُعْبُ وَالْمُعْبُ وَالْمَعْبُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ ا

لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى * فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوآنهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى

TONE TONE OF THE PROPERTY OF T

أي: لما أكسل خلق آدم بيده، وعلمه الأسماء، وفضله، وكرمه، أمر الملائكة بالسجود له، إكراماً وتعظيماً وكان بينهم إبليس، فاستكبر عن أمر ربه، وامتنع من السجود لآدم وقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فتبينت حينئذ عداوته البليغة لآدم وزوجه، لما كان عدواً لله، وظهر من حسده، ما كان سبب العداوة، فحرجت منها، فإن لك فيها الرزق خرجت منها، فإن لك فيها الرزق الهني، والراحة التامة.

إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي: تصيبك الشمس بحرها، فضمن له استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم

التعب والنصب، ولكنه نهاه عن أكل شجرة معينة فقال: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين المعالم يزل الشيطان يسول لهما، ويزين أكل الشجرة، ويقول: ﴿ هِلْ أَدَلْكُ عِلَى شجرة الخلد الى: الشجرة التي من أكل منها خُلُد في الجنة. ﴿وَمُلِكُ لا يبلى أي: لا ينقطع إن أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتربه أدم، وأكلا من الشجرة فَسُقِطَ في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا لكل منهما سوأة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به

﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ فبادرا إلى التوبة والإنابة، وقالا: ﴿ رَبُّنَا ظُلُّمُنَّا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرينَ﴾ فاجتباه ربه، واختاره، ويسر له التوبة ﴿فتاب عليه وهدى﴾ فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها، ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمت النعمة عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها والاعتراف، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرابط الملازم لهم، ليلاً ونهاراً ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.

﴿ ١٢٣ ـ ١٢٣ ﴾ ﴿ قال اهبطا منها جيعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشذ وأبقى ﴾

غبر تعالى، أنه أمر آدم وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأن يستخفوا [آدم وبنوه] الشيطان عدواً لهم، فيأخذوا الحذر منه، ويُجدُوا له عُدَّته ويحاربوه، وأنه سينزل عليهم كتباً، ويرسل إليهم رسلاً يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، ويحذرونهم من جاءهم ذلك الهدى، الذي هو الكتب والرسل، فإن من اتبعه اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهي عنه، فإنه لا يضل في واجتنب ما نهي عنه، فإنه لا يضل في واجتنب ما بل قد هديي إلى صراط في مستقيم، في الدنيا والأمن في الآخرة، ولا يشقى مستقيم، في الدنيا والآخرة، ولا السعادة والأمن في الآخرة.

وقد نفى عنه الخوف والحزن في آية أخرى، لقوله: ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يجزنون﴾. واتباع الهدى، بتصديق الخبر، وعدم معارضته بالشبه، وامتثال الأمر بأن لا يعارضه بشهوة.

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿فَإِن له معيشة ضنكاً﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذاباً.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر، والثانية قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ الآية، والثائثة قوله: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأكبر ﴾. والرابعة قوله عن آل فرعون: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ الآية.

والذي أوجب لمن فسرها بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على ذلك _ والله أعلم _ آخر الآية،

وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم

وبعض المفسرين، يرى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها.

﴿ونحسره أي: هذا المعرض عن ذكر ربه ﴿يوم القيامة أعمى ﴾ البصر على الصحيح، كما قال تعالى: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً﴾.

قال على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: ﴿ربِ لمُ حشرتني أعمى وقد كنت، في دار الدنيا ﴿بصيراً﴾ فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة، ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، بإعراضك عنها ﴿وكذلك اليوم تنسى ﴿ أَي : تترك في العذاب، فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت عن ذكر ربك، وعشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه، أعسمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، ونسيك في العذاب، ﴿وكذلك﴾ أي: هذا الجزآء ﴿نجزيه ﴾ ﴿من أسرف ﴾ بأن تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوز ما أذن له ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ الدالة على جميع مطالب الإيمان دلالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها، وإنما السبب إسرافه وعدم إيمانه.

﴿ ولعذابِ الآخرة أشد ﴾ من عذاب الدنيا أضعافاً مضاعفة ﴿وأبقي﴾ لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب الخوف والحذر من عذاب الآخرة.

﴿١٢٨﴾ ﴿ أَفَلَمْ يَهِدُ لَهُمْ كُمْ أَهَلَكُنَّا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآياتٍ لأولى النهي، أي: ` أفلم يهد هؤلاء المكذبين المعرضين،

ويدلهم على سلوك طريق الرشاد، وتجنب طريق الغيي والفساد، ما أحل الله بالمكذبين قبلهم، من القرون الخالية، والأمم المتتابعة، الذين يعرفون قصصهم، ويتناقلون أسمارهم، وينظرون بأعينهم مساكنهم من بعدهم، كقوم هود وصالح ولوط وغيرهم، وأنهم لما كذبوا رسلنا، وأعرضوا عن كتبنا، أصبناهم بالعذاب الأليم؟

فما الذي يُؤمِّن هؤلاء، أن يحل بهم، ما حل بأولئك؟ ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ لا شيء من هذا كله، فليس هؤلاء الكفار، خيراً من أولئك، حتى يدفع عنهم العذاب بخيرهم، بل هم شر منهم، لأنهم كفروا بأشرف الرسل وخير الكتب، وليس لهم براءة مزبورة وعهد عند الله، وليسوا كما يقولون أن جمعهم ينفعهم ويدفع عنهم، بل هم أذل وأحقر من ذلك، فإهلاك القرون الماضية بذنوبهم، من أسباب الهداية، لكونها من الآيات الدالة على صحة رسالة الرسل الذين جاؤوهم، وبطلان ما هم عليه، ولكن ما كل أحد ينتفع بالآيات، إنما ينتفع بها أولو النهي، أي: العقول السليمة، والفطر الستقيمة، والألباب التي تزجر أصحابها عما لا ينبغي.

﴿١٣٩ _ ١٣٩﴾ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى * فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى اهذا تسلية للرسول، وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صائح لحلول العذاب بهم، ولزومه لهم، لأن الله جعل العقوبات سبباً وناشئاً عن الذنوب، ملازماً لها، وهؤلاء قد أتوا بالسبب، ولكن الذي أخره عنهم كلمة ربك، المتضمنة لإمهالهم وتأخيرهم، وضرب الأجل المسمى، فالأجل المسمى ونفوذ

١٠ سوي ظلما قَالَ كَذَٰ لِكَ أَنْتُكَ ءَائِكُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰ لِكَ ٱلْيَوْمِ تُسْيَا ۞ وَكَذَاكِ خَرْى مَنْ أَسْرَفَ وَلَرَيْوْمِنْ مَالِيَتِ رَبِّيهِ وَلَعَذَابُ ٱلْاَخِرَةِ أَشَدُ وَأَبْقَلَ ۞ أَفَلَةِيمْدِ هَاءُكُواْ فَلَكَ نَاقَبَلَهُمِينَ ٱلْقُرُونِ يَشُونَ فِي مَسَاكِيهِمُ إِنَّ فِي ذَاكِ لَآئِكَ إِلَّهُ الْأَفْلِ النَّهُلَ @ وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِن زَيِكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلُّ مُسَمِّى ۞ فَأَصْبِرْعَلَ مَا يَقُولُونَ وَسَيِّعْ بِعَمْدِرَيْكَ قَبْلُطُلُوعِ ٱلشَّمْيِ وَقِبْلَغُرُهُ بِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَيْحَ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَ وَلَعَمَّكَ تَرْضَىٰ ۞ وَلَا مَّدُّنَّ عَيْنَتِكَ إِلَىٰ مَامَتَّ مُنَابِهِ ۚ أَزْوَجَامِنْهُمْ زَحْرَةَ ٱخْيَزَةِ ٱلدُّنْيَا لِتَغْنِنَهُ وَيِنْقُ رَيْكَ خَيْرٌ وَأَبْعَلَى ۞ وَأَمْ أَهَلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَيرِ عَلَيْهَا ۖ لَانَسَتَلُكَ رِزْقًا نَحْرُ بَرْفُكُنَّ وَالْمَلِقِيَةُ لِلنَّقُوعَ ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِيكَ إِنَا يَعَيِّنَ زَيْبِيَّ أَوْلَوَأَلْهِم يَنَاتُ مَافِ الشُّحْفِ ٱلأُولَىٰ ﴿ وَلَوْأَنَّا أَهْلَكَ نَالْمُ مِعَدَّابِ ا مِن مَبْلِهِ مِلْمَا لُواْرَبِّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَيِّعَ مَالِئِكَ ﴾ ين قَبَلِ أَن نَكِذِلَ وَغَنْزَىٰ ۞ قُلْكُلُّ مُّتَكَوِّمُ وَتَرَقِّمُوا أُ مُسَتَعَلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ الْمُتَدَىٰ ﴿ ON TON WINDS

كلمة الله، هو الذي أخر عنهم العقوبة إلى إبان وقتها، ولعلهم يراجعون أمر الله، فيتوب عليهم، ويرفع عنهم العقوبة، إذا لم تحق عليهم الكلمة.

ولهذا أمر الله رسوله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته، لعلك إن فعلت ذلك، ترضى بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر.

﴿١٣١﴾ ﴿ولا تمسدن عسينسك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرً وأبقى ﴾ أي: لا تمد عينيك معجباً، ولا تكرر النظر مستحسناً إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجاباً بأبصار المعرضين، ويتمتع بها _بقطع النظر عن الآخرة _القوم الظالمون، ثم تذهب سريعاً، وتمضى جميعاً، وتقتل

النالية المنتالة الم

عبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختباراً، ليعلم من يقف عندها ويغتربها، ومن هو أحسن عملاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً * وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ﴾.

﴿ورزق ربك ﴾ العاجل من العلم والإيمان، وحقائق الأعمال الصالحة ، والأجل من النعيم المقيم، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم ﴿خير ﴾ عامتعنا به أزواجاً ، في ذاته وصفاته ﴿وأبقى ﴾ لكونه لا ينقطع ، أكلها دائم وظلها ، كما قال تعالى : ﴿بل تؤثرون الحياة الذنيا * والآخرة خير وأبقى ﴾ .

وفي هذه الآية، إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا، وإقبالاً عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا.

﴿ ١٣٢﴾ ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ أي: حث أهلك على الصلاة، وأزعجهم إليها من فرض ونفل. والأمر بالشيء، أمر بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمراً

بتعليمهم، ما يصلح الصلاة ويفسدها ويكملها.

﴿واصطبر عليها ﴾ أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مشق على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائماً، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة ونه، فقال:

ونحن نرزقك أي: رزقك علينا قد تكفلنا بأرزاق الم تكفلنا به كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واستغل بذكرنا إ ورزق الله عام للمتقي وغيره، فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية، وهو: التقوى، والآخرة والمنقوى التي هي فعل والآخرة والمنقوى التي هي فعل المأمور وترك المنهي، فمن قام بها، كان له العاقبة، كما قال تعالى: ووالعاقبة للمتقين .

(۱۳۳ – ۱۳۳) ﴿ وقالوا لولا المكناهم يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى * ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل فستعلمون من أصحاب الصراط فستعلمون من أصحاب الصراط المكذبون للرسول ﷺ: هلا يأتينا بآية من ربه؟ يعنون آيات الاقتراح كقولهم: ﴿ ووقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون خلالها تفجراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قلك

وهذا تعنت منهم وعناد وظلم،

فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله.

ولأن (١) قولهم: ﴿لولا أنزل عليه ايات من ربه ﴾ يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب وافتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرات، ما يحصل ببعضه المقصود، ولهذا قال: ﴿وَلَهُم تَأْتُهُم ﴾ إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليله، ﴿بِينة ما في الصحف الأولى ﴾ أي: هذا القرآن العظيم، المصدق لما في الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله وعالى:

﴿أُولَمُ يَكُفُّهُمُ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُ الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون، فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعرضون عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، ﴿إِنَ اللَّهِنِ حَقَّتِ عَلَيْهِمَ كُلُّمَةً رَبُّكُ لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب﴾ وإنما الفائدة في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: ﴿لُولًا أُرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي، بالعقوبة، فها قد جاءكم رسولي ومعه آیاتی وبراهینی، فإن کنتم کما تقولون، فصدقوه.

قل يا محمد خاطباً للمكذبين لك الذين يقولون تربصوا به ريب المنون ﴿قُلْ كُلُ مَرْبِصُ ﴾ فتربصوا بي الموت، وأنا أتربص بكم العذاب ﴿قُلْ هُلُ تَرْبِصُونَ بِنَا إِلَا إحدى الحسنين ﴾ أي: الظفر أو الشهادة ﴿ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو

بأيدينا . ﴿ فتربصوا فستعلمون من أيدينا ﴾ . ﴿ فتربصوا السوي ﴾ أي : المستقيم ، ﴿ ومن اهتدى ﴾ بسلوكه ، أنا أم أنتم ؟ فإن صاحبه هو الفائز الراشد ، الناجي المفلح ، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب ، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة ، وأعداؤه ، والله أعلم .

تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام، وهي مكية

﴿١ ــ ٤﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون * قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم﴾ هذا تعجب من حالة الناس، وأنه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يرعوون إلى نكير، وأنهم قد قرب حسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الصالحة والطالحة، والحال أنهم في غفلة معرضون، أي: غفلة عما خلقوًا له، وإعراض عما زجروا به. كأنهم للدنيا خلقوا، وللتمتع بها ولدوا، وأن الله تعالى لا يزال يجدد لهم التذكير والوعظ، ولا يزالون في غفلتهم وإعراضهم، ولهذا قال: ﴿مَا يَأْتِيهُمُ من ذكر من ربهم محدث الله يذكرهم ما ينفعهم ويحثهم عليه وما يضرهم، ويرهبهم منه ﴿إِلَّا استمعوهُ سماعاً، تقوم عليهم به الحجة، ﴿وهم يلعبون * لاهية قلوبهم أي: قلوبهم غافلة معرضة لاهية بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم لاعبة، قد اشتغلوا بتناول الشهوات والعمل بالباطل، والأقوال الردية، مع أن الذي ينبغي لهم أن يكونوا بغير هذه الصفة، تقبل قلوبهم على أمر الله ونهيه، وتستمعه استماعاً، تفقه المراد منه، وتسعى جوارحهم في عبادة ربهم، التي خلقوا لأجلها،

ويجعلون القيامة والحساب والجزاء منهم على بال، فبذلك يتم لهم أمرهم، وتستقيم أحوالهم، وتزكوا أعمالهم، وفي معنى قوله: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ قولان: أحدهما أن هذه الأمة هي آخر الأمم، ورسولها آخر الرسل، وعلى أمته تقوم الساعة، فقد قرب الحساب منها بالنسبة لما قبلها من الأمم، لقوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين إصبعيه، السبابة والتي تليها.

والقول الشاني: أن المراد بقرب الحساب الموت، وأن من مات، قامت قيامته، ودخل في دار الجزاء على الأعمال، وأن هذا تعجب من كل غافل معرض، لا يدري متى يفجؤه الموت، صباحاً أو مساء، فهذه حالة الناس كلهم، إلا من أدركته العناية الربانية، فاستعد للموت وما بعده.

ثم ذكر ما يتناجى به الكافرون الظالمون على وجه العناد، ومقابلة الحق بالباطل، وأنهم تناجوا، وتواطؤوا فيما بينهم، أن يقولوا في الرسول على إنه بشر مثلكم، فما الذي فضله عليكم، وخصه من بينكم، فلو ادعى أحد منكم مثل دعواه، لكان قوله من جنس قوله، ولكنه يريد أن يتفضل عليكم، ويرأس فيكم، فلا تطيعوه، ولا تصدقوه، وأنه ساحر، وما جاء به من القرآن سحر، فانفروا عنه، ونفروا الناس، وقولوا: ﴿أَفْتَأْتُونَ السَّحَرِ وأنتم تبصرون﴾ هذا وهم يعلمون أنه رسول الله حقاً بما شاهدوا(١٦ من الآيات الباهرة ما لم يشاهد غيرهم، ولكن حملهم على ذلك الشقاء والظلم والعناد، والله تعالى قد أحاط علماً بما تناجوا به، وسيجازيهم عليه، ولهذا قال: ﴿قال ربي يعلم القول﴾ أي: الخفي والجلي ﴿في السماء والأرض﴾ أي: في جميع ما احتوت عليه أقطارهما ﴿وهو السميع﴾ لسائر الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات ﴿العليم﴾ بما في الضمائر، وأكنته

وَهُ فَصَهَنَا مِن قَنِيةٍ كَانَتْ طَلِلَةً وَأَنشَأَنَا بَعْهَ هَا فَرَيًّا ءَاخَدِينَ ۞ فَكُنَّا أَحَمُّوا بَأْسَنَا إِذَاهُم مِنْهَا يَرَكُفُونَ ۞ لاتتكفنوا وأزجنوا لآيما أترفثه فيه ومسكيك كمر لعملكمة تُتَنَالُونَ۞ قَالُوايَوَتِلَنَآ إِنَّاكُنَّاطَالِيينَ۞ فَأَوَالْتَ تِلْكَ رَعْوَيْهُ وْحَقَّ جَعَلْنَهُ وْحَصِيدًا خَلِيدِينَ ﴿ وَمَاخَلَقْنَا ٱلسَّكَأَةَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَنْتَهُمَّا لَعِينَ ۞ لَوَأَرَدُنَّا أَن تُتَحِدُ لَهُوَا لَآتَغَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَلِيلِينَ ۞ بَلْ نَفْذِفُ بِٱلْكِقِّ عَلَ ٱلْبَطِلِ قِيدُ مَغُمُ وَإِذَا هُوزَاهِ فَي وَلَحَدُ ٱلْوَيْلُ مَا تَصِيغُونَ ﴿ وَلَهُ كُنَ فِي ٱلسَّنَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَ مَنْ عِندَمُ لَا يَسْتَكُيرُونَ عَنْ عِبَالَوَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَيِّحُونَ ٱلْيَلَ وَالنَّهَارَ لَا يَعْتُرُونَ ۞ أَمِ أَغَنَدُوا عَالِهَةً مِنَ ٱلأَرْضِ مُعَرَّيُنِ مُونَ ۞ لَوْكَانَ فِيهِمَا عَالِهَةُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَنَّا فَسُبِّحَزَّا لَقُورَيَّا لَعَيْ عَمَّا يَسِيغُونَ ۞ لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ۞ أَمِر المَّنَدُوا مِن دُونِيةِ ءَالِهَةً قُلْ هَا تُوابُرُهَا نَكُرُهَا ذَكُرُ مَن مَّعَ وَذَكْرُ مَن مَّنِيلٌ بَلْ أَحْتُرُونُولَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَعُر مُعْرِضُونَ ۞ eres messes

و - 7 و إبل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون * ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون في يذكر تعالى ائتفاك المكذبين بمحمد التها مفهوه (٢٠)، وقالوا فيه الأقاويل الباطلة المختلفة، فتارة يقولون: ﴿أضغاث أحلام بمنزلة كلام النائم الهاذي، الذي لا يحس بما يقول، وتارة يقولون: إنه شاعر يقولون: إنه شاعر وما جاء به شعر.

وكل من له أدنى معرفة بالواقع، من حالة الرسول، ونظر في هذا الذي جاء به، جزم جزماً لا يقبل الشك، أنه أحل الكلام وأعلاه، وأنه من عند الله، وأن أحداً من البشر لا يقدر على الإتيان بمثل بعضه، كما تحدى الله أعداءه بذلك، ليعارضوا مع توفر يقدروا على شيء من معارضته، وهم يقدروا على شيء من معارضته، وهم وأقص مضاجعهم وبلبل يقوم له ألسنتهم إلا الحق الذي لا يقوم له شيء، وإنما يقولون هذه الأقوال فيه شيء، وإنما يقولون هذه الأقوال فيه شيء، وإنما يقولون هذه الأقوال فيه حيث لم يؤمنوا به _ تنفيراً عنه لمن لم

مَّ الْسَلْنَا مِنْ فَعِلَى مِنْ مَسُولِ الْمُوْتِ الْمِهِ الْمُلْكِلَا الْمُنْ مِنْ الْمِهْ مِنْ الْمُهْ الْمُلْكِلَا الْمُنْ مُنْ الْمُنْ مِنْ الْمُهْ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ

الْمُوْتُ وَيَبْلُوكُم إِلَاَّمْ وَأَتْحَيْرِ فِينَانَةً وَالَّيْنَا أَتُوْحَعُونَ ۞

TONE HOLD III EN LES

يعرفه، وهو أكبر الآيات المستمرة، الدالة على صحة ما جاء به الرسول ﷺ وصدقه، وهو كاف شاف، فمن طلب دليلاً غيره، أو اقترح آية من الآيات سواه، فهو جاهل ظالم مشبه لهؤلاء المعاندين الذين كذبوه وطلبوا من آيات الاقتراح ما هو أضر شيء عليهم، وليس لهم فيها مصلحة، لأنهم إن كان(١١) قصدهم معرفة الحق إذا تبين دليله، فقد تبين دليله بدونها، وإن كان قصدهم التعجيز وإقامة العذر لأنفسهم، إن لم يأت بما طلبوا فإنهم بهذه الحالة _على فرض إتيان ما طلبواً من الآيات ـ لا يؤمنون قطعاً، فلو جاءتهم كل آية، لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

ولهذا قال الله عنهم: ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ أي: كناقة قال الله: ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾ أي: بهذه الآيات المقترحة، وإنما سنته تقتضي أن من طلبها، ثم حصلت له، فلم يؤمن أن يعاجله بالعقوبة. فالأولون ما آمنوا بها، أولئك، وما الخير الذي فيهم، يقتضي الإيمان عند وجودها؟ وهذا الاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يكون ذلك منهم بمعنى النفي، أي: لا يكون ذلك منهم بمعنى النفي، أي: لا يكون ذلك منهم

أبداً. ﴿٧-٩﴾ ﴿وما أرسلنا قبلك إلا

رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوأ خالدين * ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين، هذا جواب لشبه المكذبين للرسول القائلين: هلا كان مَلَكا، لا يحتاج إلى طعام وشراب، وتصرُّف في الأسواق، وهلاً كان خالداً؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول. ٰ وهذه الشبه ما زالت في قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبه لهؤلاء المكذبين للرسول، المقرين بإثبات الرسل قبله_ ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته _بأن الرسل قبل محمد ﷺ ، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وتطرأ عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأعهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، وأن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم.

فما بال محمد ﷺ، تقام الشبه الباطلة على إنكار رسالته، وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين يُورُ بهم المكذبون لمحمد؟ فهذا إلزام لهم في غاية الوضوح، وأنهم إن أقروا برسول من البشر، إن شبههم باطلة، قد أبطلوها هم بإقرارهم بفسادها، وتناقضهم بها، فلو قدر انتقالهم من هذا إلى إنكار نبوة البشر رأساً، وأنه لا يكون نبي إن لم يكن ملكاً مُخلداً، لا يأكل الطعام، فقد أجاب [الله] تعالى عن هذه الشبهة بقوله: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى

الأمر ثم لا ينظرون * ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾.

وأن البشر لا طاقة لهم بتلقي الوحي من الملائكة ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ فإن حصل معكم شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين ﴿فاسألوا أهل الذكر ﴾ من الكتب السالفة ، كأهل التوراة والإنجيل ، يخبرونكم بما عندهم من العلم ، وأنهم كلهم بشر من جنس المرسل إليهم .

وهذه الآية وإن كان سببها خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر (٢)، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما

وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهيٌ عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهيٌ له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبية، لا مريم ولا غيرها، لقوله ﴿إلا رجالا﴾.

﴿ ١٠ ﴾ ﴿ القد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾ لقد أنزلنا إليكم - أيها المرسل إليهم، محمد بن عبد المطلب - كتاباً عبد الله بن عبد المطلب - كتاباً أي: شرفكم وفخركم وارتفاعكم، إن تذكرتم به ما فيه من الأخبار الصادقة الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم، وعظم أمركم، ﴿ أفلا لا ترضون ولا تعملون على ما فيه كذكركم وشرفكم في الدنيا والآخرة، فلو كان لكم عقل، لسلكتم هذا فلو كان لكم عقل، لسلكتم هذا

السبيل، فلما لم تسلكوه، وسلكتم غيره من الطرق، التي فيها ضَعَتُكُم وخِشتُكُم في الدنيا والأخرة وشقاوتكم فيهما، علم أنه ليس لكم معقول صحيح، ولا رأي: رجيع.

وهذه الآية، مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول، الذين تذكروا بالقرآن، من الصحابة فمن بعدهم، والصيت العظيم، والسرف على الملوك، ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل، لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسا، ولم يهتد به ويتزك به، والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب.

﴿١١ _ ١٥﴾ ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين * فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون * قالوايا ويلنا إناكنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين، يقول تعالى _ محذراً لهؤلاء الظالمين، المكذبين للرسول، بما فعل بالأمم المكذبة لغيره من الرسل _ ﴿ وكم قصمنا ﴾ أي: أهلكنا بعذاب مستأصل ﴿من قرية﴾ تلفت عن آخرها ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين الله وأن هولاء المهلكين، لما أحسوا بعذاب الله وعقابه، وباشرهم نزوله، لم يمكن لهم الرجوع، ولا طريق لهم إلى النزوع، وإنما ضربوا الأرض بأرجلهم، ندماً وقلقاً، وتحسراً على ما فعلوا وهروباً من وقوعه، فقيل لهم على وجه التهكم بهم: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم به ومساكنكم لعلكم تسألون اي: لا يفيدكم الركض والندم، ولكن إن كان لكم اقتدار، فارجعوا إلى ما أترفتم فيه، من اللذات والمستهيات، ومساكنكم المزخرفات، ودنياكم التي غرتكم وألهتكم، حتى جاءكم أمر الله، فكونوا فيها متمكنين، وللذاتها جانين، وفي منازلكم مطمئنين

معظمين، لعلكم أن تكونوا مقصودين في أموركم كما كنتم سابقاً، مسؤولين من مطالب الدنيا كحالتكم الأولى، وهيهات، أين الوصول إلى هذا؟ وقد فات الوقت، وحل بهم العقاب والمقت، وذهب عنهم عزهم وشرفهم ودنياهم، وحضرهم ندمهم

ولهذا ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم ﴾ أي: الدعاء بالويل والثبور والندم، والإقرار على أنفسهم بالظلم، وأن الله عادل فيما أحل بهم، ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ أي: بمنزلة النبات الذي قد حصد وأنيم، قد خمدت منهم الحركات، وسكنت منهم الأصوات، فاحذروا -أيها المخاطبون -أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل، فيحل بكم كما حل بأولئك.

﴿١٦ ـ ١٧ ﴾ ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا السماوات والأرض عبثاً ولا لعباً من غير فائدة، بل خلقها بالحق وللحق، ليستدل بها العباد على أنه الخالق العظيم، المدبر الحكيم، الرحن كله، والحمد الرحيم، الذي له الكمال كله، والحمد كله، والعزة كلها، الصادق في قيله، الصادقة رسله فيما تخبر عنه، وأن القادر على خلقهما مع سعتهما وعظمهما، قادر على إعادة الأجساد بلسيء بإساءته.

﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً ﴾ على الفرض والتقدير المحال ﴿لاتخذناه من لدنا ﴾ أي: من عندنا ﴿إن كنا فاعلين ﴾ ولم نظلعكم على ما فيه عبث ولهو، لأن ذلك نقص ومثل سوء، لا نحب أن نريه إياكم، فالسماوات والأرض اللذان بمرأى منكم على الدوام، لا يمكن أن يكون القصد منهما العبث واللهو، كل هذا تَنَزُلُ مع العقول الصغيرة وإقناعها بجميع الوجوه المقنعة، فسبحان الحليم الرحيم،

الحكيم في تنزيله الأشياء منازلها.

﴿١٨ ــ ٢٠﴾ ﴿بِل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون * وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون المجير تعالى، أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإن كل باطل قيل وجودل به، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان، ما يدمغه فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه ﴿ فَإِذَا هُو زَاهِ قُ أِي: مضمحل فان، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولا نقلية ، في إحقاق باطل، أو ردحق، إلا وفي أدلة الله، من القواطع العقلية والنقلية. ما يُذْهِبُ ذلك القولَ الباطل ويقمعه، فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد.

وهذا يتبين باستقراء المسائل، مسألة مسألة، فإنك تجدها كذلك ثم قال: ﴿ولكم﴾ أيها الواصفون الله، بما لا يليق به، من اتخاذ الولد والصاحبة، ومن الأنداد والشركاء، حظكم من ذلك، ونصيبكم الذي تدركون ﴿الويل﴾ والندامة والخسران.

ليس لكم مما قلتم فائدة، ولا يرجع عليكم بعائدة تؤملونها، وتعملون لأجلها، وتسعون في الوصول إليها، إلا عكس مقصودكم، وهو الخيبة والحرمان، ثم أخبر أنه له ملك السماوات والأرض وما بينهما، فالكل عبيده ومماليكه، فليس لأحد منهم ملك ولا قسط من الملك، ولا معاونة عليه، ولا يشفع إلا بإذن الله، فكيف يتخذ من هؤلاء آلهة، وكيف يجعل لله منها ولد؟! فتعالى وتقدس المالك العظيم، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الصعاب، وخشعت له الملائكة المقربون، وأذعنوا له بالعبادة الدائمة المستمرة أجمعون، ولهذا قال: ﴿ ومن عنده ﴾ أي: من الملائكة ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، أى: لا يملون ولا يسأمونها، لشدة رغبتهم، وكمال محبتهم، وقوة

أبدانهم. ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ أي: مستغرقين في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم، فليس في أوقاتهم وقتُ فارغ منها ولا خال منها، وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمته وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته، ما يوجب أن لا يعبد إلا هو، ولا تُصرَف العبادة لغيره.

﴿٢١ ـ ٢٥﴾ ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون * لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون * أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون * وماً أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴿ لما بينَ تعالى كمال اقتداره وعظمته، وخضوع كل شيء له، أنكر على المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة من الأرض، في غاية العجز وعدم القدرة ﴿هم ينشّرون﴾ استفهام بمعنى النفى ، أي : ُ لا يقدرون على نشرهم وحشرهم، يفسرها قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن دُونُهُ آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، ﴿ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نـشـوراً) ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون، فالمشرك يعبد المخلوق الذي لا ينفع ولا يضر، ويدع الإخلاص لله، الذي له الكمال كله وبيده الأمر والنفع والضر، وهذا من عدم توفيقه، وسوء حظه، وتوَفّر جهله، وشدة ظلمه، فإنه لا يصلح الوجود، إلا على إله واحد، كما أنه لم يوجد إلا برب واحد.

ولهذا قال: ﴿لُو كَانَ فَيهِما﴾ أي: في السماوات والأرض ﴿الَهَ إِلَا اللهِ لفسدتا﴾ في ذاتهما، وفسد من فيهما، من المخلوقات.

وبيان ذلك: أن العالم العلوي

والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة ولا معارضة، فدل ذلك على أن مدبره واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه، فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد عدم، فإنه عال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر وعدم اقتداره، واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير محكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع

ولا مدافع، هو الله الواحد القهار،

ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله:

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدُ وَمَا كَانَ مِعِهُ مِنْ

إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا

بعضهم على بعض سبحان الله عما

يصفون،

ومنه _على أحد التأويلين _قوله تعالى: ﴿قُلْ لُو كَانَ مِعِهُ ٱلْهُمَّ كُمَّا يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً * سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ ولهذا قال هنا: ﴿فسبحان الله أي: تنزه وتقدس عن كل نقص لكماله وحده، ﴿رب العرش﴾ الذي هو سقف المخلوقات وأوسعها وأعظمها، فربوبية(١) ما دونه من باب أولى، ﴿عما يصفون﴾ أي: الجاحدون الكافرون، من اتخاذ الولد والصاحبة، وأن يكون له شريك بوجه من الوجوه. ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ لعظمته وعزته، وكمال قدرته، لا يقدر أحد أن يمانعه أو يعارضه، لا بقول، ولا بفعل، ولكمال حكمته ووضعه الأشياء مواضعها وإتقانها، أحسن شيء يقدره العقل، فلا يتوجه إليه سؤال، لأن خلقه ليس فيه خلل ولا إخلال.

لعجزهم وفقرهم، ولكونهم عبيداً، قد استحقت أفعالهم وحركاتهم، فليس لهم من التصرف والتدبير في أنفسهم، ولا في غيرهم مثقال ذرة.

ثم رجع إلى تهجين حال المشركين، وأنهم اتخذوا من دونه آلهة فقل لهم موبخاً ومقرعاً: ﴿أُم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه، ولن يجدوا لذلك سبيلاً، بل قد قامت الأدلة القطعية على بطلانه، ولهذا قال: ﴿هذا دُكُر من معي وذكر من قبلي ﴾ أي: قد انفقت الكتب والشرائع على صحة ما قلت لكم، من إبطال الشرك، فهذا كتاب الله الذي فيه ذكر كل شيء، بأدلته العقلية والنقلية، وهذه الكتب السابقة كلها، برهان وأدلة لما قلت.

ولما علم أنهم قامت عليهم الحجة والبرهان على بطلان ما ذهبوا إليه علم أنه لا برهان لهم، لأن البرهان القاطع، يجزم أنه لا معارض له، وإلا لم يكن قطعياً، وإن وجد معارضات، فإنها شبه لا تغنى من الحق شيئاً.

وقوله: ﴿بلّ أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليداً لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم الحق لخفائه وغموضه، وإنما ذلك لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، تبين لهم الحق من الباطل تبيناً واضحاً جلياً، ولهذا قال: ﴿فهم معرضون﴾.

ولما حول تعالى على ذكر المتقدمين، وأمر بالرجوع إليها في بيان هذه المسألة، بينها أتم تبيين في قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فكل الرسل، الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة.

﴿٢٦_٢٩﴾ ﴿قالوا اتخذ الرحمن

77

ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون # يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايشفعون إلالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴿ يُحْبِرُ تعالى عن سفاهة المشركين المكذبين لسلسرسسول، وأنهسم زعسمسوا ــ قبحهم الله ــ أن الله اتخذُ ولداً فقالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم، وأخبر عن وصف الملائكة، بأنهم(١) عبيد مربوبون مدبرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم الله، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره.

ف ﴿لايسبقونه بالقول﴾ أي: لا يقولون قولاً مما يتعلق بتدبير المملكة، حتى يقول الله، لكمال أدبهم، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه.

﴿وهم بأمره يعملون﴾ أي: مهما مرهم، امتثلوا لأمره، ومهما دبرهم عليه، فعلوه، فلا يعصونه طرفة عين، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله، ومع هذا، فالله قد أحاط بهم علمه، فعلم ﴿ما بين أيذيهم وما خلفهم﴾ أي: أمورهم الماضية والمستقبلة، فلا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن علمه،

ومن جزئيات وصفهم بأنهم لا يشفعون لا يسبقونه بالقول، أنهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ورضاه، فإذا أذن لهم وارتضى من يشفعون فيه، شفعوا فيه، ولكنه تعالى لا يرضى من القول والعمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، متبعاً فيه الرسول. وهذه الآية من أدلة إثبات الشفاعة، وأن الملائكة يشفعون.

﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ أي: خاتفون وَجِلُون، قد خضعوا لجلاله،

وعنت وجوههم لعزه وجاله، فلما بين أنه لا حق لهم في الألوهية، ولا يستحقون شيئاً من العبودية بما وصفهم به من الصقات المقتضية لذلك، ذكر أيضاً أنه لا حظ لهم، ولا بمجرد الدعوى، وأن من قال منهم: ﴿إِنِي إِلٰهُ على سبيل الفرض والتنزل ﴿فَذَلْكُ نَجِزِيهُ جَهِنُم كَذَلْكُ مِن اللهِ عَلَى النَّافِيم عَلَى الفَرض تجزيه جهنم كذلك من احجاء المخلوق الناقص، الفقير أيل الله من جميع الوجوه، مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوية؟!

﴿٣٠﴾ ﴿أُولَمْ يَارُ اللَّذِينَ كَفُرُوا أَنْ

السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ أي: أو لم ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم، وجحدوا الإخلاص له في العبودية، ما يدلهم دلالة مشاهدة، على أنه الرب المحمود، الكريم المعبود، فيشاهدون النسماء والأرض، فيجدونهما رتقاً، هذه ليس فيها سحاب ولا مطر، وهذه هامدة ميتة لا نبات فيها، ففتقناهما: السماء بالمطر، والأرض بالنبات، أليس الذي أوجد في السماء السحاب، بعد أن كان الجو صافياً لا قزعة فيه، وأودع فيه الماء الغزير، ثم ساقه إلى بلد ميت؟ قد اغبرَّت أرجاؤه، وقحط عنه ماؤه، فأمطره فيها، فاهتزت وتحركت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، مختلف الأنواع، متعدد المنافع، [أليس ذلك](٢) دليلاً على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيي الموتى، وأنه الرحمن الرحيم؟ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يَوْمُنُونَ﴾ أي: إيماناً صحيحاً، ما فيه شك ولا

ثم عدد تعالى الأدلة الأفقية فقال:

(٣٦ - ٣٣) ﴿وجعلنا في الأرض
رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً
سبلاً لعلهم يهتدون * وجعلنا السماء
سقفاً محفوظاً وهم عسن آياتها
معرضون * وهو الذي خلق الليل
والنهار والشمس والقمر كل في فلك

اللهِ وَإِذَا رَوَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَتُرُوٓا إِن يَتَخِذُونَكَ إِلَّاهُ زُوا آهَنَا اللَّذِي يَذْكُرُ مُالِمَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّهُلِ هُمْ كَيْفُرُونِ ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلِ سَأُوْرِيكُمْ اللهِ عَلَيْنِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۞ وَيَتَعُولُونَ مَقَىٰ هَلَذَا الْوَعْدُ الله المُستَّمْ مَهُوفِينَ ﴿ لَوْيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْحِينَ لَا يَكُفُونَ عَن وُجُوهِهِ مُالنَّادَ وَلَاعَن ظُهُورِهِمْ وَلَاهُمْ يُصَرُونَ ۞ بَلْ تَكَأْتِيهِ مِبَغْتَ أَفَنَهَ مُثَرُفَكُو الله المُعْرِينَ وَهُمَا وَلَاهُمُ يُظَرُونَ ﴿ وَلَمْهُ السُّمُونَ اللَّهُ السُّمُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ برُسُل مِن قَبَلِكَ غَاقَ بِالَّذِينَ سَخِدُوا مِنْهُ مِمَّاكُ أَوْا الله بديشَّتَهْ فِي وَكَ ۞ قُلْ مَن يَكُلُوُكُم مِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّمَّانُ بَلْ هُمْ عَن ذِكْ رِبَيْهِ وَمُعْدِينُونَ ۞ أَمْرِ لَكُمْ ءَالِحَاتُهُ مَّنَاعُهُم مِنْ وُونِكًا لَا يَسْتَطِيعُونَ فَصَرَّ الفيهة ولاهم ينكايف حبوت ﴿ بَلْ مَتَعْنَا هَلَوْلَاهِ وَءَابَآءَ هُمْ حَقَّ طَالَ عَلَيْهِ مُالْمُ مُرُّافَلَا يَرَوْبَ أَنَّا مَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَمْلًا فِهِكُمُّ أَفَهُمُو ٱلْفَكِيرُونَ ۞ DECEMBENT TO BERNER

يسبحون، ٨

أي: ومن الأدلة على قدرته وكماله ووحدانيته ورحمته، أنه لما كانت الأرض لا تستقر إلا بالجبال، أرساها لئلا تضطرب، فلا يتمكن العباد من لئلا تضطرب، فلا يتمكن العباد من السكون فيها، ولاحرثها، ولا الستقرار بها، فأرساها بالجبال، فحصل بسبب ذلك من المصالح والمنافع ما حصل، ولما كانت الجبال المتصل بعض، قد تتصل التصل بعض، قد تتصل التصل بعض، قد تتصل حبالاً شانخات، وقُللاً باذخات، وتعطل الاتصال بين كثير من البلدان.

فمن حكمة الله ورحمته، أن جعل بين تلك الجبال فجاجاً سبلاً، أي: طرقاً سهلة لا حَزنَةً، لعلهم يهتدون إلى الوصول إلى مطالبهم من البلدان، ولعلهم يهتدون بالاستدلال بذلك على وحدانية المنان.

﴿وجعلنا السماء سقفاً ﴾ للأرض التي أنتم عليها ﴿عفوظاً ﴾ من السقوط ﴿إِن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ﴾ محفوظاً أيضاً من استراق الشياطين للسمع.

ووهم عن أياتها معرضون، أي: غافلون لاهون، وهذا عام في جميع آيات السماء، من علوها، وسعتها،

قُلْ إِنَّمَا أَنْذِرُكُم بِالْوَحِي وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَلَة إِذَامَا يُسْذَرُونَ ۞ وَأَمِن مَّسَلَّهُ مُنْفَحَةً مِّنْ عَذَابٍ رَبِّكَ لَيَقُولَ يَوَيَلُنَا إِنَّاكُنَّا ظَلِمِينَ ۞ وَنَضَعُ ٱلْوَرُدِينَ ٱلْقِسْطَ لِوَوِ ٱلْقِيلَمَةِ فَلَا لُظْلَرُفُكُ مُنْسُ شَيِّنًا وَإِن كَانَ مِثْقَ الْ حَبَيْةِ مِنْ خَرْدُلِ أَيْلَنَابِهَأُ وَكَفَلْ بِنَا حَيِسِينَ ﴿ وَلَقَدْ النَّيْنَامُومَىٰ وَهَلَرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيكَاءُ وَذِكْرًا لْلَمُنَقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُ رِالْعَيْبِ وَهُرِينَ ٱلسَّلَعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿ وَهَاذَا وَحَدُّومُ مِلَاكُ أَزَلَنَهُ أَقَالَتُولَدُ مُنكِرُونَ ۞ • وَلَقَدْ مَالَيَّانَ ۖ إِبْرُهِيكُرُوشُكُمُونَ قَبْلُ وَكُنَّا بِدِعَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَانِهِ وَالنَّمَا إِيْلُ الِّيَّ أَشُرُ لِمَا عَكِمُونَ ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَا ءَابَّاءَ نَالْمُا عَلَيدِينَ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمُ أَنْتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ فِي صَلَالٍ مُبِيرٍ ۞ قَالُواْ أَحِمْنَنَا بِٱلْمَعِيَّ أَمَّأَتَ مِنَ اللَّهِينَ ﴿ قَالَ بَلُ زَبُّكُورُ رَبُّ ٱلسَّنَوَتِ وَٱلْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَعُنَ وَأَنَاعَلَ ذَلِكُم عِنَ الشَّهِدِينَ ﴿ وَتَأْتُمُو لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامُكُمْ بَعْدَأَن تُولُّوا مُدْيِينَ ﴿

وعظمتها، ولونها الحسن، وإتقانها العجيب، وغير ذلك من المشاهد فيها، من الكواكب الثوابت والسيارات، وشمسها وقمرها النيرات، المتولد عنهما الليل والنهار، وكونهما دائماً في فلكهما سابحين، وكذلك النجوم، فتقوم بسبب ذلك منافع العباد من الحر والبرد، والفصول، ويعرفون حساب عباداتهم ومعاملاتهم، ويستريحون في ليلهم، ويهدؤون ويسكنون، وينتشرون في نهارهم، ويسعون في معايشهم، كلُّ هذه الأمور إذا تدبرها اللبيب، وأمعن فيها النظر، جزم جزماً لا شك فيه، أن الله جعلها مؤقتة في وقت معلوم، إلى أجل محتوم، يقضى العباد منها مارجم، وتقوم بها منافعهم، وليستمتعوا وينتفعوا، ثم بعد هذا، ستزول وتضمحل، ويفنيها الذي أوجدها، ويسكنها الذي حركُها، وينتقل المكلفون إلى دار غير هذه الدار، يجدون فيها جزاء أعمالهم، كاملاً موفراً، ويعلم أن القصود من هذه الدار أن تكون مزرعة لدار القرار، وأنها منزل سفر، لا محل إقامة.

﴿٣٤ ـ ٣٥﴾ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشرّ

والخير فتنة وإلينا ترجعون لل كان أعداء الرسول يقولون (١) تربصوا به ريب المنون. قال الله تعالى: هذا طريق مسلوك، ومعبد منهوك، فلم نجعل لبشر (من قبلك) يا محمد (الخلد) في الدنيا، فإذا مت، فسبيل أمثالك، من الرسل والأنبياء والأولياء، وغيرهم.

﴿ أَفَإِنْ مِنْ فَهِمِ الْخَالَدُونِ ﴾ أي: فهل إذا مت خُلُدُوا بعدك، فلْيَهْنهمُ الخسلسود إذاً إن كسان، وليس الأمسر كذلك، بل كل من عليها فان، ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفُسُ ذَائِقَةُ المُوتُ﴾ وهذا يشمل سائر نفوس الخلائق، وإن هذا كأس لا بد من شربه وإن طال بالعبد المدى، وعمر سنين، ولكن الله تعالى أوجد عباده في الدنيا، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالخير والشر، بالغنى والفقر، والعز والذل، والحياة والموت، فتنة منه تعالى ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ومن يفتتن عند مواقع الفتن ومن ينجو، ﴿وإلينا ترجعون﴾ فنجازيكم بأعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شيراً فيشير ﴿ومنا دبيك بيظيلام للعبيد﴾ وهذه الآية، تدل على بطلان قول من يقول ببقاء الخضر، وأنه مخلد في الدنيا، فهو قول لا دليل عليه، ومناقض للأدلة الشرعية.

﴿٣٦ - ١٤﴾ ﴿وإذا رآك السذيسن كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر المهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون *خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * لو يعلم الذين كفروا حين طهورهم ولا هم ينصرون * بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا بمن قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون * وهذا من شدة كفره م ، فإن المشركين إذا رأوا

هذا استهزاؤهم واحتقارهم له، بما هو من كماله، فإنه الأكمل الأفضل، الذي من فضائله ومكارمه، إخلاص العبادة لله، وذم كل ما يعبد من دونه وتنقصه، وذكر محله ومكانته، ولكن محمل الازدراء والاسمتمهراء همؤلاء الكفار، الذين جمعوا كل خلق ذميم، ولولم يكن إلا كفرهم بالرب وجحدهم لرسله، فصاروا بذلك من أخس الخلق وأرذلهم، ومع هذا، فذكرهم للرحمن، الذي هو أعلى حالاتهم، كافرون بها، لأنه لا يذكرونه، ولا يؤمنون به إلا وهم مشركون، فذكرهم كفر وشرك، فكيف بأحوالهم بعد ذلك؟ ولهذا قال: ﴿وهم بذكر الرحن هم كافرون﴾ وفي ذكر اسمه ﴿الرحمن ﴾ هنا، بيان لقباحة حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن ـ مسدي النعم كلها، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا إياه - بالكفر والشرك.

﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ أي: خلق عجولاً، يسادر الأشياء، ويستعجل بوقوعها، فالمؤمنون يستعجلون عقوبة الله للكافرين، ويتباطؤونها، والكافرون يتولون^(٢) ويستعجلون بالعذاب، تكذيباً وعناداً، ويقولون: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، والله تعالى يمهل ولا يهمل، ويحلم، ويجعل لهم أجلاً مؤقتاً ﴿إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون الهذاقال: ﴿سأريكم آيات، أي: في انتقامي ممن كفر بي وعصان ﴿فلا تستعجلون ﴿ ذلك، وكذلك الذين كفروا يقولون: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿ قالوا هذا القول، اغتراراً، ولما يحق عليهم

⁽١) في النسختين: يقولون قل تربصوا.

⁽٢) في أ الكلمة أقرب إلى أن تكون يقولون وفي ب غير واضحة وكلمة (يتولون) أقرب مناسبة للسياق.

العقاب، وينزل بهم العذاب.

ف ﴿ لو يعلم الذين كفروا ﴾ حالهم الشنيعة حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم، إذ قد أحاط بهم من كل جانب، وغشيهم من كل مكان ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ أي: لا ينصروا ، ﴿ ول تأتيهم ﴾ النار ﴿ بغتة فتبهتهم هن الانزعاج والذعر والخوف العظيم ، ﴿ فلا يستطيعون رده ﴾ إذ هم أذل وأضعف من ذلك .

﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فلو علموا هذه الحالة حق المعرفة، لما استعجلوا بالعذاب، ولخافوه أشد الخوف، ولكن قالوا، ولما ذكر استهزاءهم برسوله بقولهم: ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ سلاً بأن هذا دأب الامم السالفة مع برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا يستهزؤون﴾ أي: نزل بهم ﴿ما كانوا به وتقطعت عنهم الأسباب، فليحذر هؤلاء، أن يصيبهم ما أصاب أولئك المكذبين.

﴿٤٤ ــ ٤٤﴾ ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون * أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون * بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون، يقول تعالى _ذاكراً عجز هؤلاء، الذين اتخذوا من دونه آلهة، وأنهم محتاجون مضطرون إلى ربهم الرحمن، الذي رحمته، شملت البرِّ والفاجر، في ليلهم ونهارهم فقال: ﴿قُلُ مِنْ يكلؤكم أي: يحرسكم ويحفظكم ﴿بالليل﴾ إذ كنتم نائمين على فرشكم، وذهبت حواسكم ﴿وبالنهار ﴾ وقت انتشاركم وغفلتكم ﴿من الرحمن ﴾ أي: بدله غيره، أي: هل يحفظكم أحد غيره؟ لا حافظ إلا هو.

﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ فلهذا أشركوا به، وإلا فلو أقبلوا على ذكر ربهم، وتلقوا نصائحه، لهدوا لرشدهم، ووُفَقُوا في أمرهم.

﴿أَم لَهُم آلَهَة تمنعهم من دوننا﴾ أي: إذا أردناهم بسوء، هل من آلهتهم من يقدر على منعهم من ذلك السوء، والشر النازل بهم؟؟

﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ أي: لا يعانون على أمورهم من جهتنا، وإذا لم يعانوا من الله، فهم مخذولون في أمورهم، لا يستطيعون جلب منفعة، ولا دفع مضرة، والذي أوجب لهم استمرارهم على كفرهم، وشركهم قوله: ﴿بلَّ متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ﴾ أي: أمددناهم بالأموال والبنين، وأطلنا أعمارهم، فاشتغلوا بالتمتع بها، ولهَوا بها عما له خلقوا، وطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وعسا طغيانهم، وتغلظ كفرانهم، فلو ألفتوا أنظارهم إلى مَنْ عن يمينهم وعن يسسارهم من الأرض، لم يجدوا إلا هالكأ، ولم يسمعوا إلا صوت ناعية، ولم يحسوا إلا بقرون متتابعة على الهلاك، وقد نصب الموت في كل طريق لاقتناص النفوس الأشراك، ولهذا قال: ﴿ أَفَلَا يُرُونَ أَنَا نَأْتِي الأَرْضُ ننقصها من أطرافها، أي: بموت أهلها وفنائهم، شيئاً فشيئاً، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فلو رأوا هذه الحالة لم يغتروا ويستمروا على ما هم عليه .

﴿أَنْهِمُ الْفَالِونَ﴾ الذين بوسعهم الحُروج عن قدر الله؟ وبطاقتهم الامتناع عن الموت؟ فهل هذا وصفهم حتى يغتروا بطول البقاء؟ أم إذا جاءهم رسول ربهم لقبض أرواحهم أذعنوا وذلوا، ولم يظهر منهم أدنى عانعة؟

﴿ 2 ـ 23 ﴾ ﴿ قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصمّ الدعاء إذا ما يُنذرون * ولئن مستهم نفحة من عذاب ربّك ليقولنّ يا ويلنا إنّا كنا ظالمِن ﴾ أي: ﴿ قل ﴾ يا محمد للناس كلهم: ﴿ إنما أنذركم بالوحي ﴾ أي: إنما أنا رسول، لا أتيكم بشيء من عندي، ولا عندي خزائن الله، ولا

فِعَلَهُ مُهَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَمُتَوْلَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـكَذَابِعَالِمُنِكَ ٓ إِنَّكُمُلِكَ ٱلظَّالِمِينَ۞ قَالُواْ سَمِعْنَافَقَ يَذْكُرُهُرُيْقَالُ لَهُ وَإِبْرَهِيمُ ۞ قَالُواْفَأْتُواْ بِهِ عَلَىٓ أَعْيُنِ ٱلْكَ إِس لَعَلَّهُ مُرِيشَهَدُونَ ۞ قَالُوَاءَ أَنَ فَعَلْتَ هَاذَا بِنَالِمُيِّنَ النَّإِبْرُهِ يِرُ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمُ هَذَا فَتَنَالُوهُمْ إِن كَانُواْ يَطِعُونَ ۞ فَرَجَعُواْ إِلَّا أَهْشِيهِ مْ فَقَالُواْ إِنْكُمْ أَنتُهُ ٱلظَّالِمُونَ ۞ ثُرَّتُكِسُواْ عَلَىٰرُهُ وسِيمِرُ لَقَدْ عَلِمْتَ مَاهَٰٓ وُلَآهُ يَنطِ عُونَ ۞ فَالَ أَفَكَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنَفَعُ حُمُّمْ شَيْتًا وَلَا يَشُرُّكُمُ ۞ أَفِ لَّكُمُ وَلِمَاتَعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّوِ أَفَلَا تَعَقِلُوكَ ۞ قَالُواْحَرَقُوهُ وَانصُرُواْءَ الِمُتَكَّرُ إِن كُنُتُمْ فَعِلِينَ ۞ قُلْنَايَنَارُكُونِي بَرْدَا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَهِيرَ۞ وَأَرَادُواْ بِدِ كَيْمَا فِعَلَنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۞ وَنَجَيْنَكَهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَنَرَكَنَا فِيهَا لِلْعَلَمِينَ ۞ وَوَهَبْنَا مُ اللهُ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلَّا جَعَلْنَا صَلِيعِينَ ا DE SOUTH BORRED

أعلم الغيب، ولا أقول إني ملك، وإنما أنذركم بما أوحاه الله لي، فإن استجبتم، فقد استجبتم لله، وسيثيبكم على ذلك، وإن أعرضتم وعارضتم، فليس بيدي من الأمر شيء، وإنما الأمر لله، والتقدير كله لله.

﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ أي: الأصم لا يسمع صوتاً، لأن سمعه قد فسد وتعطل، وشرط السماع مع الصوت، أن يوجد عل قابل لذلك، كذلك الوحي سبب لحياة القلوب والأرواح، وللفقه عن الله، ولكن إذا كان القلب غير قابل لسماع الهدى، كان بالنسبة إلى للهدى والإيمان بمنزلة الأصم بالنسبة إلى الأصوات، فهؤلاء المشركون، صم عن الهدى، فلا يستغرب عدم اهتدائهم، خصوصاً في هذه الحالة التي لم يأتهم العذاب، ولا مشهم أله.

فلو مسهم ﴿ نفحة من عذاب ربك ﴾ أي: ولو جزء يسيراً ولا يسير من عذابه ، ﴿ ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾ أي: لم يكن قولهم إلا الدعاء بالويل والثبور والندم ، والاعتراف بظلمهم وكفرهم واستحقاقهم للعذاب .

﴿٤٧﴾ ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الـذر، الـذي تـوزن بهـا الحسنات

100mm | 100mm وَجَعَلْتَكُمُ أَسِمَةً نَهْدُونَ مَأْمَنَا وَأَوْحَنَّا الْتُعْدِ فِعَا ٱلْحَدَانَ وَإِقَامَ الصَّلَوْةِ وَإِينَآءَ الزَّكَوْةُ وَكَانُوا لَنَاعَلِينَ @وَلُوطًا مَالِّنَكُ مُحَكِمًا وَعِلْمًا وَغِلْنَا مُعِنَ الْعَرَكِةِ ٱلِّي كَانَّت تَغْمَلُ ٱلْخَبِّلَيثُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَوْمَ سَدٍّ ، فَلِيقِينَ ۞ وَأَنْخَلْنَهُ فِي رَخْيَنَا أَلِنَهُ مِنَ الصَّالِعِيرِ بَ @ وَنُوسًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَتْلُ فَأَسْتَحَيِّنَ الْمُفْبَحَيْنَا مُ وَأَهْلَدُ مِنَ ٱلْكَوْرِ ٱلْعَظِيرِ۞ وَنَصَرَّنِكُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَنَّهُ إِنَّا لِلنِّنَّ إِنَّهُمْ كَانُوا فَوْمَ سَوْءٍ وَأَغَى قُنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمُنَ إِذْ يُعْكُمَانِ فِي أنحزن إذ فقشت فيوغكم القرر وكنا ليثكم ورشاهدين ٥ فَفَهُمْنَا اللَّهُ مَنْ وَحَكُلُّا مَالَّيْنَا مُكُمَّا وَعِلْمًا وَمَغَلَّا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِهِكَ لَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَلِيلِيرِ ﴾ وَعَلَّنْكَهُ صَنْعَةَ لَوُسِ لَكُمْ لِتُحْمِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُ دُهُ كُرُكُونَ ۞ وَلِسُلَيْمَنَ ٱلرَيْحَ عَاصِفَةً تَحْرِي بِأَمْرِهِ ۚ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَلَرَحُنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ ثَنَّ عِكلِمِينَ ﴿

والسيئات، ﴿فلا تظلم نفس﴾ مسلمة أو كافرة ﴿شيئا﴾ بأن تنقص من حسناتها، أو يزاد في سيئاتها.

﴿وإن كان مثقال حبة من خردل﴾ التي أصغر الأشياء وأحقرها، من خير أو شر ﴿أتينا بها﴾ وأحضرناها، ليجازى بها صاحبها، كقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾.

وقالوا ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾.

و كفى بنا حاسبين يعنى بذلك نفسه الكريمة، فكفى به حاسباً، أي: عالماً بأعمال العباد، حافظاً لها، مثبتاً لها في الكتاب، عالماً بمقاديرها ومقادير ثوابها وعقابها واستحقاقها، موصلاً للعمال جزاءها.

﴿ ٤٨ - ٥٠ ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين * الذين يخشون ربّم بالغيب وهم من الساعة مشفقون * وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون كثيراً ما يجمع تعالى بين هذين الكتابين الجليلين، اللذين لم يطرق العالم أفضل منهما، ولا أعظم ذكراً، ولا أبرك، ولا أعظم هدى وبياناً [وهما التوراة

والقرآن](١)، فأخبر أنه آتي موسى أصلاً، وهارون تبعاً ﴿اللهِ قان﴾ وهو التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأنها ﴿ ضياء ﴾ أي: نور بهتدي به المهتدون، ويأتم به السالكون، وتعرف به الأحكام، ويمنز به بين الحلال والحرام، وينير في ظلمةً الجهل والبدع والغواية، ﴿وَذِكِ أَ للمتقين﴾ يتذكرون به ما ينفعهم وما يضرهم، ويتذكر به الخير والشر، وخص ﴿ المتقين ﴾ بالذكر، إلأنهم المنتفعون بذلك، علماً وعملاً، ثم فسر المتقين فقال: ﴿الذين يُحْسُون رَجِم بالغيب، أي: يخشونه في حال غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع الشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما ألزم، ﴿وهم من الساعة مشفقون، أي: خائفون وجلون، لكمال معرفتهم بريهم، فجمعوا بين الإحسان والخوف، والعطف هنا من باب عطف الصفات المتغايرات، الواردة على شيء واحد وموصوف واحد.

﴿ وهذا ﴾ أي: القرآن ﴿ ذكر مبارك أنزلناه الله فوصفه بوصفين جليلين، كونه ذكراً يتذكر به جميع المطالب، من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومسن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم، ومن أحكام الشرع من العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار، فيتذكر به المسائل والدلائل العقلية والنقلية، وسماه ذكراً، لأنه يذكر ما ركزه الله في العقول والفطر، من التصديق بالأخبار الصادقة، والأمر بالحسن عقلاً، والنهي عن القبيح عقلاً، وكونه ﴿مباركاً﴾ يقتضى كثرة خيراته(٢) ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكراً مباركاً، وجب تلقيه بالقبول

والانقياد والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلم ألفاظه ومعانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة، من الإعراض عنه، والإضراب عنه صفحاً، وإنكاره، وعدم الإيمان به، فهذا من أعظم الكفر وأشد الجهل والظلم، ولهذا أنكر تعالى على من أنكره، فقال: ﴿أَفَانَتُم له منكرون﴾

﴿٥١ - ٧٣﴾ ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إلى آخر هذه القصة، وهو قوله: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكأة وكانوا لنا عابدين ﴿ لما ذكر تعالى موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وكتابيهما، قال: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل اي: من قبل إرسال موسى ومحمد ونزول كتابيهما، فأراه الله ملكوت السماوات والأرض، وأعطاه من الرشد، الذي كمل به نفسه، ودعا الناس إليه، ما لم يؤته أحداً من العالمين غير محمد، وأضاف الرشد إليه، لكونه رشداً بحسب حاله وعلو مرتبته، وإلا فكل مؤمن له من الرشد بحسب ما معه من الإيمان. ﴿وكنا به عالمن ﴾ أي: أعطيناه رشده، واختصصناه بالرسالة والخلة، واصبط فيناه في الدنيا والآخرة، لعلمنا أنه أهل لذلك، وكفء له، لزكائه وذكائه، ولهذا ذكر محاجته لقومه، ونهيهم عن الشرك، وتكسير الأصنام، وإلزامهم بالحجة، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وقومه ما هذه التماثيل، التي مثلتموها، نحتُموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ مقيمون على عبادتها، ملازمون لذلك، فما هي؟ وأي: فضيلة ثبتت لها؟ وأبن عقولكم التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تنحتون.

⁽١) زيادة من هامش ب.

 ⁽٢) في النسختين خيره، وغيرتُ الكلمة لتتوافق مع الضمائر التي بعدها.

فأجابوا بغير حجة، جواب العاجز، الذي ليس بيده أدنى شبهة، فقالوا: ﴿وجدنا آباءنا ﴾ كذلك يفعلون، فسلكنا سبيلهم، وتبعناهم على عبادتها، ومن المعلوم أن فعل أحد من الخلق سوى الرسل ليس بحجة، ولا تجوز به القدوة، خصوصاً في أصل الدين، وتوحيد رب العالمين، ولهذا قال لهم إبراهيم مضللاً للجميع: ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ أي: ضلال بين واضح، وأي: ضلال أبلغ من ضلالهم في الشرك، وترك التوحيد؟!! أي: فليس ما قلتم، يصلح للتمسك به، وقد اشتركتم وإياهم في الضلال الواضح، البينُ لكل أحد، ﴿قالوا﴾ على وجه الاستغراب لقوله، والاستعظام لما قال، وكيف بادأهم بتسفيههم وتسفيه آبائهم: ﴿ أَجِنْتِنا بِالحِق أَم أَنت من اللاعبين﴾ أي: هذا القول الذي قلته، والذي جئتنا به، هل هو حق وجد؟ أم كلامك لنا، كلام لاعب مستهزىء، لا يدري ما يقول؟ وهذا الذي أرادوا، وإنما رددوا الكلام بين الأمرين، لأنهم نزلوه منزلة المتقرر المعلوم عندكل أحد، أن الكلام الذي جاء به إبراهيم كلام سفيه لا يعقل ما يقول، فرد عليهم إبراهيم رداً بين به وجه سفههم وقلة عقولهم فقال: ﴿بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين، فجمع لهم بين الدليل العقلي والدليل السمعي.

أما الدليل العقلي، فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم، أن الله وحده الخالق لجميع المخلوقات، من بني آدم، والملائكة، والجن، والبهائم، والسماوات، المدبر لهن بجميع أنواع التدبير، فيكون كل مخلوق مفطوراً مدبَّراً مُتَصرفاً فيه، ودخل في ذلك جميع ما عبد من دون الله.

أفيليق عند مَن له أدنى مسكة من عقل وتمييز، أن يعبد مخلوقاً متصرفاً فيه، لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ويدع

عبادة الخالق الرازق المدبر؟
وأما الدليل السمعي، فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن ما جاؤوا به معصوم، لا يغلط ولا يخبر بغير الحق، ومن أنواع هذا القسم، شهادة أحد من الرسل على ذلك، فلهذا قال إبراهيم: ﴿وأنا على خادة ما سواه باطل ﴿من الشاهدين﴾ وأي: شهادة الرسل؟ خصوصاً أولي العزم منهم، خصوصاً خليل الرحن.

ولما بين أن أصنامهم ليس لها من التدبير شيء أراد أن يريهم بالفعل عجزها وعدم انتصارها وليكيد كيدأ يحصل به إقرارهم بذلك فلهذا قال: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم أى: أكسرها على وجه الكيد ﴿بعد أن تولُّوا مدبرين اعنها إلى عيد من أعيادهم، فلما تولوا مدبرين، ذهب إليها بخفية ﴿ فَجِعِلْهُمْ جِذَاذًا ﴾ أي: كِسَراً وقِطَعاً، وكانت مجموعة في بيت واحد، فكسرها كلها، ﴿إلا كبيراً لهم﴾ أي: إلا صنمهم الكبير، فإنه تركه لقصد سيبينه، وتأمل هذا الاحتراز العجيب، فإن كل محقوت عند الله، لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي ﷺ إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول: «إلى عظيم الفرس» «إلى عظيم الروم» ونحو ذلك، ولم يقل «إلى العظيم»، وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيراً لهم ﴾ ولم يقل: «كبيراً من أصنامهم». فهذا ينبغي التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه .

وقوله: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي: ترك إبراهيم تكسير صنمهم هذا لأجل أن يرجعوا إليه، ويستملوا حجته، ويلتفتوا إليها، ولا يعرضوا عنها، ولهذا قال في آخرها: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾

فحين رأوا ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لن الظالمن﴾ فرموا إبراهيم

بالظلم الذي هم أولى به حيث كسرها ولم يدروا أن تكسيره لها من أفضل مناقبه ومن عدله وتوحيده، وإنما الظالم من اتخذها آلهة، وقد رأى ما يفعل بها ﴿قالوا سمعنا فتي يذكرهم اي: يعيبهم ويذمهم، ومن هذا شأنه لا بد أن يكون هو الذي كسرها أو أن بعضهم سمعه يذكر أنه سيكيدها ﴿يقال له إبراهيم الله عققوا أنه إبراهيم ﴿قالوا فأتوا به ﴾ أي: بإبراهيم ﴿على أُعين الناس﴾ أي: بمرأى منهم ومسمع ﴿لعلهم يشهدون﴾ أي: يحضرون ما يصنع بمن كسر آلهتهم، وهذا الذي أراد إبراهيم وقصد أن يكون بيان الحق بمشهد من الناس ليشاهدوا الحق وتقوم عليهم الحجة، كما قال موسى حين واعد فرعون: ﴿موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحي، فحين حضر الناس وأحضر إبراهيم قالوا له: ﴿أَنْتُ فَعَلْتُ هَذَا﴾ أي: التكسير ﴿بآلهتنا يا إبراهيم﴾ وهذا استفهام تقرير، أي: فما الذي جرأك، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟

فقال إبراهيم والناس شاهدون: ﴿ بِل فعله كبيرهم هذا ﴾ أي: كسرها غضباً عليها، لما عبدت معه، وأراد أن تكون العبادة منكم لصنمكم الكبير وحده، وهذا الكلام من إبراهيم، القصد منه إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه، ولهذا قال: ﴿ فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ وأراد الأصنام المكسرة، اسألوها لم كسرت؟ والصنم الذي لم يكسر، اسألوه لأي: شيء فسيجيبونكم إلى ذلك، وأنا وأنتم، ولا تنكلم، ولا تنفع ولا تضر، بل ولا تنصر نفسها عن يريدها بأذى.

﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي: ثابت عليهم عقولهم، ورجعت إليهم أحلامهم، وعلموا أنهم ضالون في عبادتها، وأقروا على أنفسهم بالظلم والشرك، ﴿فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾ فحصل بذلك المقصود، ولزمتهم

الحجة بإقرارهم أن ما هم عليه باطل، وأن فعلهم كفر وظلم، ولكن لم يستمروا على هذه الحالة، ولكن لم فنكسوا على رؤوسهم أي: انقلب الأمر عليهم، وانتكست عقولهم، وضلت أحلامهم، فقالوا لإبراهيم: فلقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تحكم بنا وتستهزىء بنا وتأمرنا أن نسألها وأنت تعلم أنها لا تنطق؟

فقال إبراهيم - موبخاً لهم ومعلناً بشركهم على رؤوس الأشهاد، ومبيناً عدم استحقاق آلهتهم للعبادة -: ﴿ أَفْتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴾ فلا نفع ولا دفع، ﴿ أَفْ لَكُم ولما تعبدون من دون الله أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسكم، أنتم وما عبدتم من أخال، فلما عدمتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم أحسن حالاً منكم.

فحينئذ لما أفحمهم، ولم يبينوا حجة، استعملوا قوتهم في معاقبته، ف ﴿قالوا حرُقوه وانصروا آلهتكم إن المتلات، بالإحراق، غضباً لآلهتكم، ونصرة لها. فتعساً لهم تعساً، حيث عبدوا من أقروا أنه يحتاج إلى نصرهم، واتخذوه إلها، فانتصر الله لخليله لما ألقوه في النار وقال لها: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت عليه برداً وسلاماً، لم ينله فيها أذى، ولا أحس مكروه.

﴿وأرادوا به كيداً حيث عزموا على إحراقه ، ﴿فجعلناهم الأخسرين ﴾ أي: في الدنيا والآخرة ، كما جعل الله خليله وأتباعه هم الرابحين المفلحين .

﴿ونجيناه ولوطاً﴾ وذلك أنه لم يؤمن به من قومه إلا لوط عليه السلام، قيل: إنه ابن أخيه، فنجاه الله، وهاجر ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ أي: الشام، فغادر قومه في «بابل» من أرض العراق، ﴿وقال إني مهاجرٌ إلى ربي إنه

هو العزيز الحكيم﴾ ومن بركة الشام، أن كثيراً من الأنبياء كانوا فيها، وأن الله اختارها مهاجراً لخليله، وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدسة، وهو بيت القدس. ﴿ ووهبنا له ﴾ حين اعتزل قومه ﴿إسحاق ويعقوب﴾ ابن إسحق ﴿نافلة﴾ بعدما كبر، وكانت زوجته عاقراً، فبشرته الملائكة بإسحاق، ﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ ويعقوب هو إسرائيل، الذي كانت منه الأمة العظيمة، وإسماعيل بن إبراهيم، الذي كانت منه الأمة الفاضلة العربية، ومن ذريته سيد الأولين والأخرين. ﴿وكلا﴾ من إبراهيم وإسحق ويعقوب ﴿جعلنا صالحين﴾ أي: قائمين بحقوقه وحقوق عباده، ومن صلاحهم، أنه جعلهم أثمة يهدون بأمره، وهذا من أكبر نعم الله على عبده أن يكون إماماً يهتدي به المهتدون، ويمشى خلفه السالكون، وذلك لما صبروا، وكانوا بآيات الله يوقنون.

وقوله: ﴿ يهدون بامرنا ﴾ أي: يهدون المرنا ﴾ أي: يهدون الناس بدينا، لا يأمرون بأهواء أنفسهم، بل بأمر الله ودينه، واتباع مرضاته، ولا يكون العبد إماماً حتى يدعو إلى أمر الله.

﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات، من حقوق الله وحقوق العباد.

﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿ هذا من باب عطف الخاص على العام ، لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ، ولأن من كملهما كما أمر ، كان قائماً بدينه ، ومن ضيعهما ، كان لما سواهما أضيع ، ولأن الصلاة أفضل الأعمال ، التي فيها حقه ، والزكاة أفضل الأعمال ، التي فيها الإحسان لخلقه .

﴿وكانوالنا﴾ أي: لا لغيرنا ﴿عابدين﴾ أي: مديمين على العبادات القلبية والقولية والبدنية في أكثر أوقاتهم، فاستحقوا أن تكون العبادة وصفهم، فاتصفوا بما أمر الله به الخلق، وخلقهم لأجله.

﴿٧٤ _ ٧٧﴾ ﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجّيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين * وأدخلناه في رحمننا إنّه من الصالحين، هذا ثناء من "الله على رسوله" (لوط) عليه السلام بالعلم الشرعي، والحكم بين الناس، بالصواب والسداد، وأن الله أرسله إلى قومه، يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عما هم عليه من الفواحش، فلبث يدعوهم، فلم يستجيبوا له، فقلب الله عليهم ديارهم وعذبهم عن آخرهم، لأبهم ﴿قوم سوء فاسقن كذبوا الداعي، وتوعَّدُوه بالإخراج، ونجى الله لوطأ وأهله، فأمره أنَّ يسري بهم ليلاً، ليبعدوا عن القرية، فسروا ونجوا، من فضل الله عليهم ومِنَّته.

﴿وأدخلناه في رحمتنا التي من دخلها، كان من الآمنين، من جميع المخاوف، النائلين كل خير وسعادة وبر وسسرور وثناء، وذلك لأنه من الصالحين، الذين صلحت أعمالهم، وأصلح الله فاسدهم والصلاح هو السبب لدخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد سبب طرمانه الرحمة والخير، وأعظم الناس صلاحاً الأنبياء عليهم السلام، ولهذا يصفهم بالصلاح، وقال سليمان عليه السلام: ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحن﴾.

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم * ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمين أي: واذكر عبدنا مادحاً، حين أرسله الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خسين عاماً، يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الشرك به، ويُبْدِي فيهم ويعيدُ، ويدعوهم سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، فلما راهم لا ينجع فيهم الوعظ، ولا يفيد لديهم الزجر، نادى ربه وقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً * إنك إن تذرهم

يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴿ . فاستجاب الله له ، فأغرقهم ، ولم يُبق منهم أحداً ، ونجّى الله نوحاً وأهله ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون ، وجعل ذريته هم الباقين ، ونصره الله على قومه المستهزئين .

﴿٧٨ ــ ٨٧ ﴿ وداود وسليمان إذ

يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ا ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكمأ وعلماً وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين * وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون * ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيءِ عالمين * ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين أي: واذكر هذين النبيين الكريمين «داود» و «سليمان» مثنياً مبجلاً، إذ آتاهما الله العلم الواسع، والحكم بين العباد، بدليل قوله: ﴿إِذْ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ أي: إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، نفشت فيه غنم القوم الآخرين، أي: رعت ليلاً، فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضي فيه داود عليه السلام، بأن الغتم تكون لصاحب الحرث، نظراً إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدَرِّها وصوفها، ويقومون على بستان صاحب الحرث حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادًا ورجع كل منهما بماله، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام، ولهذا قال: ﴿فَهُمِنَاهَا سَلِّيمَانَ﴾ أي: فهمناه هذه القضية، ولا يدل ذلك أن داود لم يفهمه الله في غيرها، ولهذا خصها بالذكر بدليل قوله: ﴿وكلا﴾ من داود وسليمان ﴿آتينا حكماً وعلماً ﴿ وهذا دليل على أن الحاكم قد يصيب الحق والصواب، وقد يخطىء ذلك، وليس

بملوم إذا أخطأ مع بذل اجتهاده .

ثم ذكر ما خص به كلاً منهما فقال: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ وذلك أنه كان من أعبد الناس وأكثرهم شه ذكراً وتسبيحاً وتمجيداً، وكان قد أعطاه [الله] من حسن الصوت ورقته ورخامته، ما لم يؤته أحداً من الخلق، فكان إذا سبح وأثنى على الله، جاوبته الجبال الصم والطيور البُهْم، وهذا فضل الله عليه وإحسانه، فلهذا قال: ﴿وكنا فاعلين﴾

﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ أي: علم الله داود عليه السلام، صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلمها، وسرت صناعت إلى من بعده، فألان الله له الحديد، وعلمه كيف يسردها، والفائدة فيها كبيرة، ولتحصنكم من بأسكم﴾ أي: هي وقاية لكم، وحفظ عند الحرب والشداد البأس.

﴿فهل أنتم شاكرون﴾ نعمة الله عليكم، حيث أجراها على يد عبده داود، كما قال تعالى: ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾.

يحتمل أن تعليم الله لداود صنعة الدروع وإلانتها أمر خارق للعادة، وأن يكون -كما قاله المفسرون -: إن الله ألانً له الحديد، حتى كان يعمله كالعجين والطين، من دون إذابة له على النار، ويحتمل أن تعليم الله له، على جاري العادة، وأن إلانة الحديد له، بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن لإذابتها، وهذا هو الظاهر، لأن الله امتنز بذلك على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن صنعته من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد، لم يمتن عليهم بذلك، ويذكر فائدتها، لأن الدروع التي صنع داود عليه السلام، متعذر أن يكون الراد أعيانها، وإنما الِمَّةُ بِالْجِنسِ، والاحتمال الذي ذكره المفسرون، لا دليل عليه إلا قوله: ﴿وألنا له الحديد﴾ وليس فيه أن الإلانة

من دون سبب، والله أعلم بذلك.

TENNER CHEMINA وَيِرِ ﴾ ٱلشَّيَطِينِ مَن يَغُومُهُونَ ٱلْدُويَةِ عَلَونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُ رَكَفِظِينَ ﴿ وَأَوْبَ إِذْ كَادَىٰ رَيَّهُ بِأَنِّي مَسَّنِيَ ٱلفُّهُ رُّوَأَنتَ أَرْحَهُ ٱلرَّحِينَ ۞ فَٱسْتَجَنَّا لَمُفَكَ شَفْنَا مَا بِيرِمِن صُرٌّ وَءَالَيِّنَ لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَوَكَرَكِ لِلْعَلَيدِينَ ﴿ وَإِسْمَعِيلَ وَإِدْرِينَ وَذَا ٱلْكِفَلِّكُ لِّينَ ٱلصَّبِيهِ نَ @وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْيَنَكُمُ إِنَّهُمْ مِنْ الصَّالِحِينَ ۞ وَذَا ٱلنُّونِ إِذِ ذَّهَبَ مُغَلِينِهَا فَظَرِ ﴾ أَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ مَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لَا إَلَهَ إِلَّا أَتَ سُبْحَانَاتَ إِنِّ كُنْتُ مِنَ الظَّلِلِمِينَ ۞ فَأَسْتَجَبْنَالَمُوَخَيِّنَاتُهُ مِنَ ٱلْعَيَةُ وَكَذَٰ لِكَ نُعْمِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلَكِينَآ إِذْ مَنَادَىٰ رَبُّ مُرَبِّ لَاتَكَذْنِي فَدُوا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَرِثِينَ الله المنتجن اله ووكان اله يخول وأضلعن اللَّهُ زَوْجَهُ وَإِنَّهُ مُركَانُوا يُسَكِرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَةِ وَيَدْعُونَكَ ارْغَبُ وَرَهِكُ أُوسِكَانُواْ لَنَا خَلِيْمِينَ ۞ DECEMBER IN LONGED

﴿ولسليمان الربح﴾ أي: سخرناها ﴿عاصفة﴾ أي: سبرناها ﴿عاصفة﴾ أي: سريعة في مرورها، ﴿تجري بأمره، خدوها شهر ورواحها شهر ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي أرض الشام، حيث كان مقره، فيذهب على الربح شرقاً وغرباً، ويكون مأواها ورجوعها إلى الأرض المباركة، ﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ قد أحاط علمنا بحل شيء عالمين وعلمنا من داود وسليمان ما أوصلناها به إلى ما ذكرنا.

ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وهذا أيضاً من خصائص سليمان عليه السلام، أن الله سخر له الشياطين والعفاريت، وسلطه على تسخيرهم في الأعمال، التي لا يقدر على كثير منها غيرهم، فكان منهم من يغوص له في البحر، ويستخرج الدر واللؤلؤ وغير ذلك، ومنهم من يعمل له ﴿عاريب وتماثيل وحفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ وسخر طائفة منهم لبناء بيت المقدس ومات، وهم على عمله، وبقوا بعده سنة، حتى علموا موته، كما سيأي إن شاء الله تعالى.

﴿وكنالهم حافظين اي: لا يقدرون على الامتناع منه وعصيانه، بل حفظهم الله له، بقوته وعزته، وسلطانه.

﴿۸۲ ـ ۸۲﴾ ﴿وأيــوب إذ نــادى

وَالَّيْرَ أَحْسَلَتْ فَرْجَكُوا فَنَفَخْسَ إِفِهِكَ مِن زُوجِنَا وَجَعَلْنَهَا وَٱبْنَهَا مَالِيَةً لِلْعَلَمِينِ ﴿ الْكَهَادِيةِ أَمَّتُكُمْ أَمَّدُ وَحِدُهُ وَأَنَا رَبُّكُمْ وَأَخْدُونِ ۞ وَتَقَطِّعُوا أَمْرُهُ مِنْكُونِ كُلُّ النَّا زَحِعُونِ ٥ فكن تعمل مرك الصلاحك وهُو مُوْمِنُ فَلاكُمْرانَ لِسَعْدِ، وَإِنَّالَهُ كَلِيُّونَ ۞ وَحَدَرُهُ عَلَى قَرْبَةِ أَهْلَكَ عَنْهَا أَنَّهُ مُرْلَا يَرْجِعُونَ ﴿ حَقَّىٰ إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم قِي كَلْحَدَب يَنسِلُونَ ۞ وَافْتَرَبُ الْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَّ شَاخِصَةٌ أَبْصَهُ ٱلَّذِيكِ كَفَرُوا لِنَوَ لَكَ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ عَفْلَةٍ مِّنْ هَا ذَا بَلْكُنَّا ظَلِلِمِينَ ۞ إِنَّكُمْ وَمَاتَتَ بُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَسَبُ جَهَا لَمُ أَنتُهُ لَمَا وَرِهُ وَن ﴿ لَوْكَ انَ هَنْوَلْآءِ مَالِهَكُ مَّاوَرَدُوهِكَأُوكُلُّ فِيهَاخَلِدُونَ ۞ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرً وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُ مِينَا أَكُمُ مِنَا أَكُمُ مِنَا أَكُمُ مِنَا أَوْلَدُ عَنَا مُعَدُونَ ٥

TOWN TO VICE OF SECOND ربه أن مسنى الضرّ وأنت أرحم الراحين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرِّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري للعابدين﴾، أي: واذكر عبدنا ورسولنا أيوب مثنياً معظماً له، رافعاً لقدره _حين ابتلاه ببلاء شديد، فوجده صابراً راضياً عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاء من الله وامتحاناً، فنفخ في جسده، فتقرح قروحاً عظيمة، ومكث مدة طويلة، واشتد به اليلاء، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب ﴿أَن مسنى النضر وأنت أرحم الراحمين التوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب الله له، وقال له: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله، فخرجت من ركضته عين ماء باردة، فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله ما به من الأذى، ﴿وآتيناه أهله﴾ أي: رددنا عليه أهله وماله.

﴿ ومثلهم معهم ﴾ بأن منحه الله مع العافية من الأهل والمال شيئاً كثيراً، ﴿رحمة من عندنا ﴾ به، حيث صبر ورضى، فأثابه الله ثواباً عاجلاً قبل ثواب الآخرة.

عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله: ﴿إِنَا وَجِدْنَاهُ صَابِراً نَعِمُ الْعَبِدُ إنه أو اب و فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر.

﴿٨٥ ـ ٨٦﴾ ﴿وإسـماعـيـل وإدريسس وذا السكفل كل من الصابرين * وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين ﴾ أي: واذَّكر عبادنا المصطفين وأنبياءنا المرسلين بأحسن الذكر، وأثن عليهم أبلغ الثناء، إسماعيل بن إبراهيم، وإدريس، وذا الكفل، نبيين من أنبياء بني إسرائيل ﴿كُلُّ مِن هِوَلاء المذكورين ﴿من الصابرين﴾ والصبر: هو حبس النفس ومنعها، مما تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفى هذه الثلاثة حقها. فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضاً بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلوب، بمعرفة الله ومحبته، والإنبابة إليه كل وقبت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطباً من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكَفِّها عن المعاصى، فبصبرهم وصلاحهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم الثواب العاجل والآجل. ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نَوَّهَ بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفي بذلك شرفاً وفضلاً.

﴿٨٧ ـ ٨٨﴾ ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادي في الظلمات أن لا إله إلاّ أنت سبحانك ﴿وذكرى للعابدين﴾ أي: جعلناه إنّ كنت من الظالمين * فاستجبنا له

ونتجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين أي: واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون، وهو: يونس، أي: صاحب النون، وهي الحوت، بالذكر الجميل، والثناء الحسن، فإن الله تعالى أرسله إلى قومه، فدعاهم، فلم يؤمنوا، فوعدهم بنزول العذاب بأمد سماه لهم.

[فجاءهم العذاب]، ورأوه عياناً، فعجُوا إلى الله، وضحوا وتبابوا، فرفع الله عنهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿فلولا كأنت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾. وقال: ﴿ وأرسلناه إلى منة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين ، وهذه الأمة العظيمة، الذين آمنوا بدعوة يونس، من أكبر فضائله، ولكنه عليه الصلاة والسلام ذهب مغاضباً، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجةً لناً إلى تعيينها [لقوله: ﴿إِذَ أَبِقَ إِلَى الفلك . . . وهو مليم، أي : فاعلٌ ما يلام عليه](١) والظاهر أن(١) عجلته ومغاضبته لقومه وخروجه من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، وظن أن الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بسطن الحبوت، أو ظن أنبه سيفوت الله تعالى، ولا مانع من عروض هذا الظن للكمل من آلخلق على وجه لا يستقر ولا يستمر عليه، فركب في السفينة مع أناس، فاقترعوا، مَنْ يلقون منهم في البحر؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم، فأصابت القرعة يونس، فالتقمه الحوت، وذهب به إلى ظلمات البحار، فنادى في تلك الظلمات: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته، قال الله تعالى: ﴿ فَلُولًا أَنَّهُ كان من المسبحين، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون الهذا قال هنا:

﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ أي: الشدة التي وقع فيها.

﴿وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه كما فعل ب «يونس» عليه السلام.

﴿۸۹ ـ ۹۰ ﴾ ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تنذرني فردا وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ أي: واذكر عبدنا ورسولنا زكريا، منوهاً بذكره، ناشراً لمناقبه وفضائله، التي من جملتها هذه المنقبة العظيمة المتضمنة لنصحه للخلق، ورحمة الله إياه، وأنه ﴿نادى ربه رب لا تذرني فردا ﴾ أي: ﴿قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً * ولم أكن بدعائك رب شقياً * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنكُ ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً 🗲 .

من هذه الآيات علمنا أن قوله ﴿ رب لا تذري فرداً ﴾ أنه لا تقارب أجله، خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله ، والنصح لعباد الله ، وأن يكون في وقته فرداً ، ولا يخلف من يشفعه ويعينه ، على ما قام به ، ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ أي : خير الباقين ، وخير من خلفني بخير ، وأنت أرحم بعبادك مني ، ولكني أريد ما يطمئن به قلبي ، وتسكن له نفسي ، ويجري في موازيني ثوابه ، ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾ النبي الكريم ، الذي لم يجعل الله له من قبل سمياً .

﴿وأصلحنا له زوجه ﴾ بعدما كانت عاقراً ، لا يصلح رحمها للولادة ، فأصلح الله رحمها للجمل لأجل نبيه زكريا ، وهذا من فوائد الجليس والقرين الصالح ، أنه مبارك على قرينه ، فصار يحيى مشتركاً بين الوالدين .

ولما ذكر هؤلاء الأنبياء والرسلين،

كُلا على انفراده، أثنى عليهم عموماً فقال: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي، ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها إلا انتهزوا أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار للا خافلون، لاهبون ولا مدلون، لا خافلون، لاهبون ولا مدلون، لا خاضعين أي: خاضعين

متذللين متضرعين، وهذا لكمال

معرفتهم بربهم.

﴿ ٩٤ - ٩٤﴾ ﴿ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين * إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون * وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون * فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له كاتبون ﴾ أي: واذكر مريم عليها السلام مثنياً عليها مبيناً لقدرها، شاهراً لشرفها فقال: ﴿ والتي أحصنت فرجها ﴾ أي: حفظته من الحرام وقربانه، بل ومن الحلال، فلم تتزوج لاشتغالها بالعبادة، واستغراق وقتها بالخدمة لربها.

وحين جاءها جبريل في صورة بشر سَوِيِّ تامُّ الخلق والحسن ﴿قالت إني أعوذ بالرحن منك إن كنت تقياً﴾ فجازاها الله من جنس عملها، ورزقها ولداً من غير أب، بل نفخ فيها جبريل عليه السلام، فحملت بإذن الله.

﴿وجعلناها وابنها آیة للعالمین﴾ حیث حملت به، ووضعته من دون مسیس أحد، وحیث تکلم في المهد، ویراها عما ظن بها المتهمون، وأخبر عن نفسه في تلك الحالة، وأجرى الله على يديه من الخوارق والمعجزات ما هو معلوم، فكانت وابنها آیة للعالمین، يتحدث بها جيلاً بعد جيل، ويعتبر بها

المعتبرون.

ولما ذكر الأنبياء عليهم السلام، قال خاطباً للناس: و ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة أي: هـؤلاء السرسل المذكورون، هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتمون، كلهم على ديس واحد، وصراط واحد، والرب أيضاً واحد.

ولهذا قال: ﴿وأَتَا رَبِكُم ﴾ الذي خلقتكم، وربيتكم بنعمتي، في الدين والدنيا، فإذا كان الرب واحداً، والنبي واحداً، والدين واحداً، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، بجميع أنواع العبادة كان وظيفتكم والواجب عليكم القيام بها، ولهذا قال: ﴿فاعبدون﴾ فرتب العبادة على ما سبق بالفاء ترتيب المسبب على سببه.

وكان اللائق، الاجتماع على هذا الأمر وعدم التفرق فيه، ولكن البغي والاعتداء، أبيا إلا الافتراق والتقطع. ولهذا قال: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي: تفرق الأحزاب المنتسبون لاتباع الأنبياء فِرَقاً، وتشتتوا، كُلُّ يدَّعي أن الحق معه، والباطل مع الفريق الأخر و كل حزب بما لديهم فرحون﴾.

وقد علم أن المصيب منهم، من كان سالكاً للدين القويم والصراط المستقيم، مؤتماً بالأنبياء، وسيظهر هذا إذا انكشف الغطاء، وبرح الخفاء، وحشر الله الناس لفصل القضاء، فحينئذ يتبين الصادق من الكاذب، ولهذا قال: ﴿كل﴾ من الفرق المتفرقة وغيرهم ﴿إلينا راجعون﴾ أي: فنجازيم أتم الجزاء.

ثم فصل جزاءه فيهم، منطوقاً ومفهوماً، فقال: ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾ أي: الأعمال التي شرعتها الرسل، وحثت عليها الكتب ﴿وهو مؤمن﴾ بالله وبرسله، وما جاؤوا به ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي: لا نضيع سعيه ولا نبطله، بل نضاعفه له أضعافاً كثيرة.

﴿ وإنا له كاتبون ﴾ أي: مثبتون له في اللوح المحفوظ، وفي الصحف

التي مع الحفظة. أي: ومن لم يعمل من الصالحات، أو عملها وهو ليس بمؤمن، فإنه محروم خاسر في دينه ودناه.

﴿90 ﴾ ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ أي: يمتنع على القرى المهلكة المعذبة الرجوع إلى الدنيا ليستدركوا ما فرطوا فيه، فلا سبيل إلى الرجوع لمن أهلك وعذب، فليحذر المخاطبون، أن يستمروا على ما يوجب الإهلاك فيقع بهم، فلا يمكن رفعه، وليقلعوا وقت الإمكان والإدراك.

﴿٩٦ ـ ٩٧﴾ ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين، هذا تحدُّير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شُكِي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله، من كل مكان مرتفع، وهو الحدب، ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بـذواتهـم، وإما بـمـا خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في المدنيا، وأنه لا يدان لأحد بقتالهم.

﴿واقترب الوعد الحق﴾ أي: يوم القيامة الذي وعد الله بإتيانه، ووعده حق وصدق، ففي ذلك اليوم ترى أبصار الكفار شاخصة من شدة الأفزاع والأهوال المزعجة والقلاقل المفظعة، وما كانوا يعرفون من جناياتهم وذنوبهم، وأنهم يدعون بالويل والثبور والحسرة على ما فات، ويقولون لهذا اليوم العظيم، فلم نزل فيها مستغرقين، وفي

لهو الدنيا متمتعين، حتى أتانا اليقين، ووردنا القيامة، فلو كان يموت أحد من الندم والحسرة، لماتوا. ﴿بل كنا ظالمين﴾ اعترفوا بظلمهم وعدل الله فيهم، فحينئذ يؤمر بهم إلى النار، هم وما كانوا يعبدون، ولهذا قال:

﴿٩٨ ـ ٩٨ ﴾ ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * ليو كان هـ وُلاء آلـهـ قما وردوها وكل فيها خالدون * لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون * إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها ممعدون * لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون * لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم توعدون * أي: إنكم أيها العابدون مع الله آلهة غيره ﴿حصب جهنم واردون * وأصنامكم .

والحكمة في دخول الأصنام النار، وهي جماد لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم، فلهذا قال: ﴿لو كان تعالى: ﴿ليبن لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين وكل من العابدين والمعبودين فيها خالدون، لا يخرجون منها،

ولهم فيها زفير من شدة العذاب وهم فيها لا يسمعون صم بكم عمي، أو لا يسمعون من الأصوات غير صوتها، لشدة غليانها واشتداد زفيرها وتغيظها.

ودخول آلهة المشركين النار، إنما هو الأصنام، أو من عُبِدَ وهو راض بعبادته، وأما المسيح، وعزير، والملائكة ونحوهم، عمن عبد من الأولياء، فإنهم لا يعذبون فيها، ويدخلون في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا للسرى والأعمال الصالحة.

﴿ أُولِئِكُ عِنْهَا ﴾ أي: عن النار ﴿مبعدون﴾ فلا بدخلونها، ولا يكونون قريباً منها، بل يبعدون عنها غاية البعد، حتى لا يسمعوا حسيسها، ولا يروا شخصها، ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، من المآكل، والمشارب، والمناكح والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مستمر لهم ذلك، يزداد حسنه على الأحقاب، ﴿ لا يحرنهم الفرع الأكبر ﴾ أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه، وأن الله قد أمنهم بما يخافون، ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ إذا بعشوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفداً لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ فلْيَهْنِكُم ما وعدكُم الله، وليعظم استبشاركم بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره.

السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين * ولقد كتبنا في الزبور من بعد السخاون * يغبر تعالى أنه يوم القيامة يطوي السماوات على عظمها واتساعها - كما يطوي الكاتب للسجل أي: الورقة المكتوب فيها، فتنتثر وتزول عن أماكنها * كما بدأنا أول وتزول عن أماكنها * كما بدأنا أول ابتدائنا خلقهم، فكما ابتدأنا خلقهم ولم يكونوا شيئا، كذلك نعيدهم بعد موتهم.

﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ ننفذ ما وعدنا، لكمال قدرته، وأنه لا تمتنع منه الأشياء.

﴿ولقد كتبنا في الزبور؛ وهو الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة، كالتوراة ونحوها ﴿من بعد

الذكر ﴾ أي: كتبناه في الكتب المنزلة، بعد ما كتبنا في الكتاب السابق، الذي هو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه والمكتوب في ذلك: ﴿أَنِ الأَرْضِ﴾ أي: أرض الجنة ﴿يرثها عبادي الصالحون، الذين قاموا بالمأمورات، واجتنبوا المنهيات، فهم الذين يورثهم الله الجنات، كقول أهل الجنة: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ .

ويحتمل أن المراد: الاستخلاف في الأرض، وأن الصالحين يمكن الله لهم في الأرض، ويوليهم عليها كقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ . . . الآية .

لبلاغاً لقوم عابدين * وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين * قل إنَّما يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون * فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون * إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون * وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين * قال رب احكم بالحقُّ وربناً الرحمن المستعان على ما تصفون، يثنى الله تعالى على كتابه العزبز «القرآن» ويبين كفايته التامة عن كل شيء، وأنه لا يستغنى عنه فقال: ﴿إِنْ فِي هِذَا لبلاغاً لقوم عابدين ﴿ أي: يتبلغُون به في السوصول إلى ربهم، وإلى دار كرامته، فيوصلهم إلى أجل المطالب، وأفضل الرغائب. وليس للعابدين، الذين هم أشرف الخلق، وراءه غاية، لأنه الكفيل بمعرفة ربهم، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبالإخبار بالغيوب الصادقة، وبالدعوة لحقائق الإيمان، وشواهد الإيقان، المبين للمأمورات كلها، والنهيات جميعها، العرف بعيوب النفس والعمل، والطرق التي ينبغي سلوكها في دقيق الدين وجليله، والتحذير من طرق الشيطان وبيان مداخله على الإنسان، فمن لم يغنه

القرآن فلا أغناه الله، ومن لا يكفيه فلا كفاه الله.

ثم أثني على رسوله الذي جاء بالقرآن، فقال: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فهو رحمته المهداة لعباده، فالمؤمنون به قبلوا هذه الرحمة وشكروها وقاموا بها، وغيرهم كفرها، وبدلوا نعمة الله كفراً، وأبوارحمة الله و نعمته .

﴿قُلُ لَا مُحمد ﴿إنما يوحي إلى أنما الهكم اله واجد الذي لا يستحق العبادة إلا هو، ولهذا قال: ﴿فهل أنتم مسلمون اي: منقادون لعبوديته مستسلمون لألوهيته، فإن فعلوا فليحمدوا ربهم على ما منَّ عليهم بهذه النعمة التي فاقت المنن.

﴿ فَإِن تُولُوا ﴾ عن الانقياد لعبودية ربهم، فحذرهم حلول المثلات، ونزول العقوبة.

﴿ فقل آذنتكم ﴾ أي: أعلمتكم بالعقوبة ﴿على سواء ﴾ أي: علمي وعلمكم بذلك مستو، فلا تقولوا ــ إذا نزل بكم العذاب: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ بل الآن، استوى علمي وعلمكم لما أنذرتكم وحذرتكم، وأعلمتكم بمآل الكفر، ولم أكتم عنكم شيئاً.

﴿ وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون، أي: من العذاب، لأن علمه عند الله، وهو بيده، ليس لي من الأمر

﴿ وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴿ أَي: لعل تأخير العذاب آلذي استعجلتموه شر لكم، وأن تتمتعوا في الدنيا إلى حين، ثم يكون أعظم لعقوبتكم.

﴿قال رب احكم بالحق﴾ أي: بيننا وبين القوم الكافرين، فاستجاب الله هذا الدعاء، وحكم بينهم في الدنيا قبل الآخرة، بما عاقب الله به الكافرين من وقعة «بدر» وغيرها.

﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي: نسأل ربنا الرحمن،

لايتسمعون حسيسة أقفرني ماأشتهت أنفسغر خَلِدُونَ ۞ لَا يَعَزُّنُهُ مُالْفَزَعُ ٱلْأَخْبَرُ وَتَسَلَقَ الْهُرُ ٱلْكَلَيْكَ تُعَلَنَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُرَ تُوْعَدُونَ ﴿ يَوْمِ نَطْوِي السَّمَّةَ كُلِّنَ السِّحِلَ الْكُتُبُكَمَا بَدَأْنَا ۚ أَوْلَ خَلْق نُهِيدُكُمُ وَعَدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَكِيلِينَ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَافِ الزَّيُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَاعِبَادِىٓٱلصَّالِمِحُونَ۞ إِنَّــغِ هَلَاَ الْبَلَغَا لِقَوْمٍ عَلَيِينَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّارَحْسَةُ لِلْعَالَمِينَ ۞ قُلُ إِنَّمَا يُوحَلَّ إِلَىٰ أَنْمَا إِلَهُ كُمْ إِلَهُ وَكِيدٌ فَهَلَ أَنتُ مِنْسَالُونَ ﴿ فَإِن تُولُواْ فَقُلْ مَاذَنكُ مُعَلَى سَوَآءً وَلِنَ أَدْرِي أَوْرِبُ أَرْبِعِيدُ مَّا تُوَعَدُونَ ۞ إِنَّهُ يَمْ لَدُالْجَهْ رَمِي ٱلْقَوْلِ وَيَعْ لَرُمَا تَحْتُمُونَ ۞ وَانْ أَدْرِي لَعَلَمُونَتُ لَكُمْ وَمَتَلَعُ إِلَىٰ حِينِ ۞ قَلَ ا رَبِ اَحْكُم بِالْتَعَقُّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ ١

ونستعين به على ما تصفون، من قولكم سنظهر عليكم، وسيضمحل دينكم، فنحن في هذا، لا نعجب بأنفسنا، ولا نتكل على حولنا وقوتنا، وإنما نستعين بالرحمن، الذي ناصية كل مخلوق بيده، ونرجوه أن يتم ما استعناه به من رحمته، وقد فعل، ولله الحمد.

تفسير سورة الحج قيل: مكية، وقيل: مدنية

﴿ ١ - ٢ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النّاس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها وترى النّاس سكّاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد ﴾ يخاطب الله الناس كافة، بأن يتقوا ربهم، الذي رباهم بالنعم الظاهرة والباطنة، فحقيق بهم أن يتقوه، بترك الشرك والفسوق والعصيان، ويمتثلوا أوامره مهما استطاعوا.

ثم ذكر ما يعينهم على التقوي، ويحذرهم من تركها، وهو الإخبار بأهوال القيامة، فقال:

﴿إِن زِلزِلة الساعة شيء عظيم﴾ لا يقدر قدره، ولا يبلغ كنهه، ذلك بأنها إذا وقعت الساعة، رجفت الأرض وارتجت، وزلزلت زلزالها،

وهناك ﴿يعض الظالم على يديه، يفقدوا منها نقيراً ولا قطمبراً.

هذا، والمتقون في روضات الجنات يحبرون، وفي أنواع اللذات يتفكهون، وفيما اشتهت أنفسهم خالدون، فحقيق بالعاقل الذي يعرف أن كل هذا أمامه، أن يُعدُّ له عُدَّتَهُ، وأن لا يلهيه الأمل، فيترك العمل، وأن تكون تقوى الله شعاره، وخوفه دثاره،

﴿٣ _ ٤ ﴾ ﴿ومن الناس من يجادل

منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿(١).

يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتي ليتني لمَّ أتخذ فلاناً خليلاً وتسود حيننذ وجوه وتبيض وجوه، وتنصب الموازين التي يوزن بها مثاقيل الذر، من الخير والشر، وتنشر صحائف الأعمال وما فيها من جميع الأعمال والأقوال والنيات، من صغير وكبير، وينصب الصراط على متن جهنم، وتزلف الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين. ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوالها تغيظاً وزفيراً * وإذا ألقوا منها مكانأ ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً﴾ ويقال لهم: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعواً ثبوراً كثيراً﴾ وإذا نادوا ربهم ليخرجهم منها، قال: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾. قد غضب عليهم الرب الرحيم، وحضرهم العذاب الأليم، وأيسوا من كل خير، ووجدوا أعمالهم كلها، لم

ومحبة الله وذكره، روح أعماله.

فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد * كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ أي: ومن الناس طائفة وفرقة، سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يجادلون بالباطل الحق، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق، والحال أنهم في غاية الجهل ما عندهم من العلم شيء، وغاية ما عندهم، تقليد أئمة الضلال، من كل شيطان مريد، متمرد على الله وعلى رسله، معاندلهم، قد شاق الله ورسوله، وصار من الأئمة الذين

ال لِيْرَاوَ اللَّهِ } _ مِأَفَعَالَ مُثَرَّالَ يَحْدِي يَنَاتُهُا النَّاسُ اَتَّعُوارَيَّكُمُّ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ مَوْسٍ } عَظِيرٌ ۞ يُوْمَتَرَوْنَهَاتَذْهَلُكُأُمُ ضِعَةِ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ مَمْلُ حَمْلُهَا وَتَدَرِي ٱلنَّاسَ سُكُرِي وَمَاهُم بِسُكَنَّ فَ لَكِي أَعَدَابَ اللَّهِ سَدِيدٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَلِدِلُ فِي اللَّهِ مِعَايِرِ عِلْمِ وَيَشَيَّعُ كُلَّ شَيْطَان مَهِيدِ ۞ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُن تَوَّلًا ۗ فَأَنَّهُ مُضِلَّهُ وَيَعْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَنَافُهُا النَّاسُ إِن كُنتُمْ في رَبِي مِّن ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكَ مُعِن ثُوَابِ ثُمَّيَن تُطْفَعَ ثُدَّةً مِنْ عَلَقَ مَرْ ثُمَّ مِن مُصْعَى وَخُخَلَقَ وَعَيْرِ مُحَلِّقَ وَ لِنَهُيْنَ لَحَمُّ مَّ وَثُقِرُ فِي ٱلْأَرْحَ الِمِ مَانْتَ آمُ إِلَّ أَجَالُتُمَّى ثُمَّ أَخْيَةُ كُرْطِفًا لَا ثُمَّ لِلْبَلْغُوَّا أَشُدَّكُمْ فَمِنكُمْ مَن يُتَوَفُّ وَمِنكُم مَّن يُمَرُّهُ إِلَىٰٓ أَرْدَلِ ٱلْمُمُرلِكَيْمَارَ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَدِيماً وَتَرَى ٱلأَرْضِ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَفِج بَعِيجٍ ۞

وتصدعت الجبال واندكت، وكانت كثيباً مهيلاً، ثم كانت هباء منبثاً، ثم انقسم الناس ثلاثة أزواج.

فهناك تنفطر السماء، وتكور

TO SO TO SO THE SO TO SO

الشمس والقمر، وتنتثر النجوم، ويكون من القلاقل والبلابل ما تنصدع له القلوب، وتَجِلُ منه الأفئدة، وتشيب منه الولدان، وتذوب له الصم الصلاب، ولهذا قال: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، مع أنها مجبولة على شدة محبتها لولدها، خصوصاً في هذه الحيال، التي لا يعيش إلا بها.

﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ من شدة الفزع والهول، ﴿وترى الناس سكاري وما هم بسكاري، أي: تحسبهم _ أيها الرأئي لهم _ سكارى من الخمر، وليسوا سكاري.

﴿ولكن عـذاب الله شديد ﴾: فلذلك أذهب عقولهم، وفرغ قلوبهم، وملأها من الفزع، وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار، وفي ذلك اليوم، لا يجزي والدعن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.

ويومئذ ﴿يفر المرء من أخيه ۞ وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء

يدعون إلى النار.

﴿ كُتِبَ عليه ﴾ أي: قدر على هذا الشيطان المريد ﴿أنه من تولاه ﴾ أي: اتبعه ﴿فأنه يضله ﴾ عن الحق، ويجنبه الصراط المستقيم ﴿ويهديه إلى عذاب السعير، وهذا نائب إبليس حقاً، فإن الله قال عنه: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، فهذا الذي يجادل في الله، قد جمع بين ضلاله بنفسه، وتصديه إلى إضلال الناس، وهو متبع، ومقلد لكل شيطان مريد، ظلمات بعضها فوق بعض، ويدخل في هذا، جمهور أهل الكفر والبدع، فإن أكثرهم مقلدة، يجادلون بغير علم.

﴿ ٥ _ ٧﴾ ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشذكم ومنكم من يتوفي ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأنَّ الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كَنْتُمْ فَي ريب من البعث﴾ أي: شك واشتباه، وعدم علم بوقوعه، مع أن الواجب عليكم أن تصدقوا ربكم، وتصدقوا رسله في ذلك، ولكن إذا أبيتم إلا الريب، فهاكم دليلين عقليين تشاهدونهما، كل واحد منهما، يدل دلالة قطعية على ما شككتم فيه، ويزيل عن قلوبكم

أحدهما: الاستدلال بابتداء خلق الإنسان، وأن الذي ابتدأه سيعيده، فقال فيه: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ وذلك بخلق أبي البشر آدم عليه السلام، ﴿ ثم من نطفة ﴾ أي: منى،

وهذا ابتداء أول التخليق، ﴿ثم من علقة ﴾ أي: تنقلب تلك النطفة، بإذن الله دما أحمر، ﴿ثم من مضغة﴾ أي: ينتقل الدم مضغة، أي: قطعة لحم، بقدر ما يمضغ، وتلك المضغة تارة تكون ﴿ محلقة ﴾ أي: مصور منها خلق الأدمى، ﴿وغير مخلقة ﴾ تارة، بأن تقذفها الأرحام قبل تخليقها، ﴿لنبين لكم﴾ أصل نشأتكم، مع قدرته تعالى على تكميل خلقه في لحظة واحدة، ولكن ليبين لنا كمال حكمته، وعظيم قدرته، وسعة رحمته.

﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى أي: ونقر، أي: نبقى في الأرحام من الحمل، الذي لم تقذفه الأرحام، ما نشاء إبقاء إلى أجل مسمى، وهو مدة الحمل. ﴿ثم نخرجكم، من بطون أمهاتكم ﴿طفلا﴾ لا تعلمون شيئاً، وليس لكم قدرة، وسخرنا لكم الأمهات، وأجرينا لكم في ثديها الرزق، ثم تنتقلون طوراً بعد طور، حتى تبلغوا أشدكم، وهو كمال القوة والعقل.

﴿ومنكم من يتوفى من قبل أن يبلغ سن الأشُدّ، ومنكم من يتجاوزه فيرد إلى أرذل العمر، أي: أخسه وأرذله، وهو سن الهرم والتخريف، الذي به يزول العقل ويضمحل، كما زالت باقى القوى، وضعفت.

﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ أي: لأجل أن لا يعلم هذا المعمر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك، وذلك لضعف عقله، فقوة الآدمي محفوفة بضعفين، ضعف الطفولية ونقصها، وضعف الهرم ونقصه، كما قال تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ والدليل الثاني، إحياء الأرض بعدموتها، فقال الله فيه: ﴿وترى الأرض هامدة ﴾ أي: خاشعة مغبرة لا نبات فيها، ولا خضر، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عليها الماء اهتزت اي: تحركت بالنبات ﴿وربت﴾ أي: ارتفعت بعد خشوعها وذلك لزيادة نباتها، ﴿وأنبتت

من كل زوج﴾ أي: صنف من أصناف النبات ﴿ بَمِيجِ ﴾ أي: يبهج الناظرين، ويسسر المتأملين، فهذان الدليلان القاطعان، يدلان على هذه المطالب الخمسة، وهي هذه.

﴿ ذلك ﴾ الذي أنشأ الآدمي من ما وصف لكم، وأحيا الأرض بعد موتها، ﴿بأن الله هو الحق﴾ أي: الرب المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وعبادته هي الحق، وعبادة غيره باطلة، ﴿ وأنه يحيى الموتى ﴾ كما ابتدأ الخلق، وكما أحيا الأرض بعد موتها، ﴿وأنه على كل شيء قدير، كما أشهدكم من بديع قدرته وعظيم صنعته ما أشهدكم .

﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها، فلا وجه لاستبعادها، ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ فيجازيكم بأعمالكم حسنها وسيئها.

﴿ ٨ ــ ٩ ﴾ ﴿ ومن الناس من يجادل

في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * ثاني عطفه ليضلُّ عن سبيل الله له في الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عـذاب الحريـق) المجـادلـة المتـقـدمـة للمقلد، وهذه المجادلة للشيطان المريد، الداعى إلى البدع، فأخبر أنه ﴿ يَجَادِلُ فَي اللهِ ﴾ أي: يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق، ﴿بغير علم﴾ صحيح ﴿ولا هدى﴾ أي: غير متبع في جداله هذا من يهديه، لا عقل مرشد، ولا متبوع مهتد، ﴿ولا كتاب منير ﴾ أي: واضح بين، أي: فلاله حجة عقلية ولا نقلية، إن هي إلا شبهات، يوحيها إليه الشيطان ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أوليائهم ليجادلوكم﴾ ومع هذا ﴿ثاني عطفه﴾ أي: لأوي جانبه وعنقه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، واحتقاره للخلق، فقد فرح بما معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق وما معهم من الحقّ، ﴿ليضل﴾ الناس، أي: ليكون من دعاة الضلال، ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال، ثم ذكر عقوبتهم الدنيوية والأخروية فقال: ﴿له في الدنيا خزى﴾ أي: يفتضح هذا في الدنيا قبل الآخرة، وهذا من

東京 「新作」 「社会知識」 どう ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ مُنْ ٱلْمُونَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلُّ مَنْ وَقِيرٌ ۞ وَأَنَّ ٱلمَّناعَةَ عَلِينَةً لَّارَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ِ ٱلْقُبُورِ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَلَاهُدَى وَلَاكِنَا مُنِيرٍ ۞ ثَانِيَ عِطْفِيهِ لِيُضِلِّ عَن سَبِيل أَلَّهُ لَهُ فِي الدُّنْيَاخِرِيُّ وَهُذِيقُهُ مِنْ الْقِيلَمَةِ عَذَابَ أَلْحَيْقِ ۞ ذَٰلِكَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّهِ لِلْعَبِيدِ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَسْبُدُ ٱللَّهَ عَلَ مَنْ فَإِنْ أَصَابَهُ وَغَيْرُا طَمَأَنَّ بِدِّيوَانْ أَصَابَتُهُ فِنْنَةُ ٱلْقَلَبَ عَلَى وَجْهِدٍ خَيدَ كَالَّذُنْيَا وَٱلْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَآلُكُتُ رَانُ ٱلْيُهِينُ ۞ يَذَعُواْ مِن دُورِبِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّمُهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَالضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۞ يَدْعُوا لَنَ ضَرُّوهُ أَقْرَبُ مِن نَفْعِهِ مِلَمُ مُلَالُولِكِ وَلَمِنْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿ إِنَّ أَفَّةً يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِلُواْ ٱلصَّالِحَتِ جَنَّتْتِ تَجْدِي مِن تَمْتِيَّهَا ٱلْأَنْهَا أَلَّ أَلْلَهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۞ مَن كَانَ يَظُنُّ أَنَ لَّن يَصُرَهُ اللَّهُ فِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدُ بِسَبَبِ مُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ أَيْقَطَعَ فَلْيَنظُرُ هِلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ۞ POURSE WESTERN

آيات الله العجيبة، فإنك لا تجد داعياً من دعاة الكفر والضلال، إلا وله من المقت بين العالمين، واللعنة، والبغض، والذم، ما هو حقيق به، وكلُّ بحسب حاله

﴿وننديقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي: نذيقه حرَّها الشديد، وسعيرها البليغ، وذلك بما قدمت يداه، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾

﴿ ١١ ـ ١٣٤ ﴾ ﴿ ومن السَّاسَ من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد * يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير، أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفاً، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن، ﴿فإن أصابه خير اطمأن به ﴾ أي: إن استمر رزقه رغداً، ولم يحصل له من المكاره شيء، اطمأن بذلك الخير، لا بإيمانه. فهذا، ربما أن الله يعافيه، ولا يقيض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه، ﴿وإن أصابته فتنة ﴾ من حصول مكروه، أو زوال محبوب ﴿انقلب على وجهه ﴾ أي: ارتد عن دينه، ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ أما في

وكَ ذَالِكَ أَنْزَلْنَاهُ مَا يَلْتِ يَتَنَاتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن رُمدُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّاحِينَ وَالْصَّلَّرَي وَٱلْمَجُوسَ وَالَّذِنَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَنْهُمْ وَقْعَ ٱلْفِيَـٰمَةُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰكُ لَ شَيْءِ شَهِيدٌ ۞ ٱلْرَتَرَ أَكَ ٱللَّهَ بَسَجُدُكَةُ مِن فِي السَّمَوَتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالثَّمْدُ وَالْفَيْرُ وَالنَّجُومُ وَآنِيَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَّآبُ وَكَثْرُونَ ٱلنَّاسِ رِّكَ يُرْحَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُّ وَمَن بُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَنْ مُحَدِّمُ إِنَّ أَلَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَكَّ أَنَّ ۞ ﴿ ﴿ هَٰ نَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصِمُوا فِ رَبِعِمٌّ فَالَّذِيكَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَمُعْرِينَاتِ مِن كَارِ يُصَبُّ مِن فَوَقِ رُهُ وُسِهِمُ ٱلْمُحَيِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِعِيمَا فِي بْطُونِهِ مْ وَأَجُلُودُ ۞ وَلَمْ مُفَكِيعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ حَكُمًّا أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوامِنْهَا مِنْ عَمِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُواْعَنَابَ ٱلْحَيْنِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ المَثُوا وَعَيْلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتُ تَجْدِي مِن تَمِينَهَا ٱلْأَنْهَ لَهُ كُلِّونَ فِيهَ الِمِنْ أَسَاوِرَمِن ذَهَبِ وَلُوْلُوا وَلِهَاسُهُ وَمِهَا حَرَيرٌ ۞ TO STORY THE CONTRACTOR

الدنيا، فإنه لا يحصل له بالردة ما أمله الذي جعل الردة رأساً لماله، وعوضاً عما يظن إدراكه، فخاب سعيه، ولم يحصل له إلا ما قسم له، وأما الآخرة، فظاهر، حرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، واستحق النار، فذلك هو الخسران المبين أي: الواضح البين.

﴿يدعو﴾ هذا الراجع على وجهه ﴿من دون الله منا لا ينضره ومنا لا ينفعه ﴾ وهذا صفة كل مدعو ومعبود من دون الله، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، ﴿ ذَلَكُ هُو الضلال البعيد﴾ الذي قد بلغ في البعد إلى حد النهاية، حيث أعرض عن عبادة النافع الضار، الغنى المغنى، وأقبل على عبادة مخلوق مثله أو دونه، ليس بيده من الأمر شيء، بل هو إلى حصول ضد مقصوده أقرب، ولهذا قال: ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ﴾ فإن ضرره في العقل والبدن والدنيا والأخرة معلوم ﴿لبئس المولى﴾ أي: هذا المعبود ﴿ولبئس العشير﴾ أي: ا القرين الملازم على صحبته، فإن المقصود من المولى والعشير، حصول النفع، ودفع الضرر، فإذا لم يحصل شيء من هذاً، فإنه مذموم ملوم.

﴿ ١٤﴾ ﴿إِن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد ﴾ لما ذكر تعالى المجادل بالباطل، وأنه على قسمين، مقلد، وداع، ذكر أن المتسمى بالإيمان أيضاً على قسمين، قسم لم يدخل الإيمان قلبه كما تقدم، والقسم الثاني: المؤمن حقيقة، صدق ما معه من الإيمان بالأعمال الصالحة، فأخبر تعالى أنه (١) يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وسميت الجنة جنة، لاشتمالها على المنبازل والبقيصور والأشبجار والنوابت التي تَجِنُّ مَنْ فيها، ويستتر بها من كثرتها، ﴿ إِنَّ الله يفعل ما يريد ﴾ فما أراده تعالى فعله من غير ممانع ولا معارض، ومن ذلك، إيصال أهل الجنة إليها، جعلنا الله منهم بمنه

(١٥) ﴿ من كان ينظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ أي: من كان ينظن أن الله لا ينصر رسوله، وأن دينه سيضمحل، فإن النصر من الله ينزل من السماء ﴿ فليمدد ﴾ ذلك الظان وليرقى إليها ﴿ ثم ليقطع ﴾ النصر النازل عليه من السماء ("").

﴿فلينظر هل يذهبن كيده ﴾ أي: ما يكيد به الرسول، ويعمله من محاربته، والحرص على إبطال دينه، ما يغيظه من ظهور دينه، وهذا استفهام بمعنى النفي [وأنه]، لا يقدر على شفاء غيظه بما يعمله من الأسباب.

ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد الله الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله، أن سعيه سيفيده شيئاً، اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي

تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول ـ إن كان ممكناً ـ ائت الأمر مع بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علَّفة في السماء، ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسُدها وأغلقها واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها الخلق، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق.

وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم.

(17) أوكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد أي: وكذلك لما فصلنا في هذا القرآن ما في حلناه آيات بينات واضحات، دالات على جميع المطالب والمسائل النافعة، ولكن الهداية بيد الله، فمن أراد الله هدايته، اهتدى واستضاء بنوره، ومن لم يرد الله هدايته، فلو جاءته كل آية ما آمن، ولم ينفعه القرآن شيئاً، بل يكون حجة عليه.

(۱۷ - ۲۶) ﴿إن الله المناس آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد * ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء * هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ إلى قوله:

⁽١) في النسختين: أنهم.

⁽٢) في هامش ب (﴿فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع﴾ النصر عن الرسول).

۲۳٥

﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعهم بيحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ ثم فصل هذا الفصل بينهم بقوله: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ كل يدعى أنه المحق.

﴿فالذين كفروا﴾ يشمل كل كافر، من اليهود، والنصاري، والمجوس، والصابئين، والمشركين.

﴿قطعت لهم ثياب من نار﴾ أي: يجعل لهم ثياب من قطران، وتشعل فيها النار، ليعمهم العذاب من جميع جوانهم.

﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ الماء الحار جداً، يصهر به ما في بطونهم من اللحم والشحم والأمعاء، من شدة حره، وعظيم أمره، ﴿ولهم مقامع من حديد اللائكة الغلاظ الشداد، تضربهم فيها وتقمعهم، ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها، فلا يُفَتِّرُ عنهم العنداب، ولا هم ينظرون، ويقال لهم توبيخاً: ﴿ ذُوقُواْ عذاب الحريق) أي: المحرق للقلوب والأبدان، ﴿إِن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، ومعلوم أن هذا الوصف لا يصدق على غير السلمين، الذين أمنوا بجميع الكتب، وجميع الرسل، ﴿ يُحلُونَ فيها مِن أساور مِن ذهبِ ﴾ أي: يُسَوَّرون في أيديهم، رجالهم ونساؤهم أساور الذهب.

﴿ولباسهم فيها حرير ﴾ فتم نعيمهم بمذكر أنواع المأكولات المذيدات المستمل عليها، لفظ الجنات، وذكر الأنهار السارحات، أنهار الماء واللبن والعسل والخمر، وأنواع اللباس، والحلي الفاخر، وذلك بسبب أنهم

﴿ هدوا إلى الطيب من القول ﴾ الذي أفضله وأطيبه كلمة الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة التي فيها ذكر الله، أو إحسان إلى عباد الله، ﴿وهدوا إلى صراط الحميد الصراط المحمود، وذلك، لأن جميع الشرع كله محتوعلي الحكمة والحمد، وحسن المأمور به، وقبح المنهى عنه، وهو الدين الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح. أو: وهدوا إلى صراط الله الحميد، لأن الله كثيراً ما يضيف الصراط إليه، لأنه يوصل صاحبه إلى الله، وفي ذكر ﴿الحميد ﴾ هنا، ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة: ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، واعترض تعالى بين هذه الآيات بذكر سجود المخلوقات له، جميع من في السماوات والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، الذي يشمل الحيوانات كلها، وكثير من الناس، وهم المؤمنون، ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ أي: وجب وكتب، لكفره وعدم إيمانه، فلم يوفقه الله للإيمان، لأن الله أهانه، ﴿ومن يهن الله فما له مـــن مـــكـــرم﴾ ولا رادٌ لما أراد، ولا معارض لمشيئته، فإذا كانت المخلوقات كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته، مستكينة لعزته، عانية لسلطانه، دل على أنه وحده، الرب المعبود، والملك المحمود، وأن من عدل عنه إلى عبادة سواه، فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد

خسراناً مبيناً.

CHARLE II | 「本語の記述 | 「本語の記述 | وَهُدُوا إِلَى ٱلطَّيْبِ مِنَ ٱلْقُوْلِ وَهُدُوا إِلَّى صِرَاطِ ٱلْحَيْدِ ا إِنَّ الَّذِيكَ كَفَنْرُوا وَيَصُدُّونَ عَنسَبِيلَ اللَّهِ وَالْسَيْحِدِ الْحُدَامِ الَّذِي جَعَلْنَكُ لِلنَّاسِ سَوَّاءً الْعَكِفُ فِيدِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدُ فِيهِ بِإِلْحَادِ بِظُلْمِ نُذِقَهُ مِنْ عَذَابِ ألِيهِ ۞ فَإِذْ بَوَأْتَ الإِبْرُهِ بِمِمَّكَاتَ ٱلْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكَ بي شَيْنًا وَطَهِرْ يَبْتِيَ لِلطَّلَّا بِفِينَ وَٱلْقَابِمِينَ وَالرُّكِّ عِ السُّجُودِ ۞ وَأَذِن فِي النَّاسِ بِالْحَجْ يَأْتُوكَ رِجَالَاوَعَلَىكُ لِرَضَامِرِ يَأْتِينَ مِن كُلِّ خَيْقٍ ۞ لِيَشْهَدُواْ مَنْفِعَ لَمُكُرِّو يَذْكُرُواْ اَسْمَالَتِهِ فِي أَيَامِ مَعْلُومَتِ عَلَىٰمَارَزَقَهُ مِنْ بَهِ بَمَةِ ٱلْأَنْعَلِيرٌ فَكُ لُواٰمِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَابِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿ ثُمَّ لِتَقْضُواْ تَفَتَهُمْ وَلْيُوفُواْنُدُورَهُمْ وَلْيَطْلُونُواْ بِالْبَيْتِ ٱلْعَكِيْقِ ۞ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمُ حُرُمُتِ ٱللَّهِ فَهُوَحَيْرٌ لَّهُ عِندَ زَيِّدٍ وَأُعِلَّتْ لَكُمُ ٱلأَفْكُ إِلَّامَا يُسْتَلِ عَلَيْكُ مُ مِّ فَكَاجُ تَنِيبُوا الرِّخسَ مِنَ ٱلْأَوْلَانِ وَأَجْلَيْهُ وَأَوْلَ الزُّودِ ۞ TO TO THE TWO IS A LO

عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لآبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارىء إليه، بل صدوا عنه أفضل الخلق محمداً وأصحابه، والحال أن هذا المسجد الحرام، من حرمته واحترامه وعظمته، أن من يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم.

فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم، موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب ألعبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، من الكفر والشرك، والصدعن سبيله، ومنع من يريده بزيارة، فما ظنكم (١) أن يفعل الله بهم؟!!

وفي هذه الآية الكريمة، وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها.

﴿٢٦ ـ ٢٩﴾ ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فع عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا

مستقلاً بنفسه.

ولعله _والله أعلم أيضاً _لفائدة

أخرى، وهو: أن الطواف مشروع كل

وقت، وسواء كان تابعاً لنسك، أم

تشوش على المتعبديين، بالصلاة والبطواف، وقدم البطواف على الاعتكاف والصلاة، لاختصاصه بهذا

﴿وأذن في الناس بالحبج ﴾ أي: أعلمهم به، وأدعهم إليه، وبَلُّغُ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجاً وعُمَّاراً، رجالاً، أي: مشاة على أرجلهم من الشوق، ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي: ناقة ضامر، تقطع المهامه والمفاوز، وتواصل السير، حتى تأتي إلى أشرف الأماكن، ﴿من كل فج عميق﴾ أي: من كل بلد بعيد، وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد ﷺ، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا فى ذلك وأعاداً، وقد حصل ما وعُد الله به، أتاه الناس رجالاً وركباناً من مشارق الأرض ومغاربها، ثم ذكر فوائد زيارة بيت الله الحرام، مرغباً فيه فقال: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من

العبادات الفاضلة، والعبادات التي لا

تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من

التكسب، وحصول الأرباح الدنيوية،

وكل هذا أمر مشاهد كُلُّ يعرفه،

﴿وِيذُكروا اسم الله في أيام معلومات

على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) وهذا

من المنافع الدينية والدنيوية، أي:

ليذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا،

شكراً لله على ما رزقهم منها، ويسرها

لهم، فإذا ذبحتموها ﴿فكلوا منها

وأطعموا البائس الفقير ﴾ أي: شديد

الفقر، ﴿ثم ليقضوا تفثهم ﴾ أي:

يقضوا نسكهم، ويزيلوا الوسخ

والأذي، الذي لحقهم في حال

الإحرام، ﴿وليوفوا ندورهم التي

أوجبوها على أنفسهم، من الحج،

والعمرة والهدايا، ﴿وليطوفوا بالبيت

العتيق﴾ أي: القديم، أفضل المساجد

على الإطلاق، المعتق: من تسلط

الجبابرة عليه. وهذا أمر بالطواف،

خصوصاً بعد الأمر بالمناسك عموماً،

لفضله، وشرفه، ولكونه المقصود، وما

اسم الله. ﴿وطهر بيتي اي: من الشرك والمعاصى، ومن الأنجاس والأدناس وأضافه الرحن إلى نفسه، لمشرفه، وفضله، ولتعظم محبته في القلوب، وتنصب إليه الأفتدة من كل جانب، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه، لكونه بيت الرب للطائفين به والعاكفين عنده، المقيمين لعبادة من العبادات من ذكر، وقراءة، وتعلم علم وتعليمه، وغير ذلك من أنواع القرب، ﴿والركع السجود ﴾ أي: المصلين، أي: طهره لهؤلاء الفضلاء، الذين همهم طاعة مولاهم وخدمته، والتقرب إليه عند بيته، فهؤلاء لهم الحق، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت لأجلهم، ويدخل في تطهيره، تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة التي

CO CHEEN CONTRACTOR

حُنفَآ أَهِ يَعْفِرُ مُشْرِكِ بِنَ بِهُ وَمَن مُشْرِكِ بِلَقِهِ فَكَأَمَّا

حَرِّمِنَ ٱلسَّمَآ فِي فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّلْرُ أَوْتَهُوى بِوَالْيَحُ فِي مِّكَانِ

سَحِيق ۞ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّرُ شَعَيْرَأَلَهِ فَإِنَّهَا مِن تَغْتِى ٱلْقُلُوب

۞ لَكُهُ فِهَا سَنْفِهُ إِنَّ أَجَالِمُسَتَّى زُرَّعِكُمَّ آلِكَ الْبَيْتِ

ٱلْمَيْقِ ۞ وَلِكُلُ أُمَّةً جَعَلْنَا مَنْكُا لَيَذْكُرُواْ

أَسْمَالُلَّهُ عَلَىٰ مَا رَدَّقَهُ مِينَ بِهِ مَهِ ٱلْأَنْمَاتُمْ فَالْهُكُمُ مَا لَا وَلِيدٌ فَلَهُ وَأَسْلِمُوا وَيَشْرِ الْخَيْسَينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا دُكُورَ

أللةُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُ مُ وَالصَّابِينَ عَلَىٰمَاۤ أَصَابَهُمْ وَٱلْقَيعِي

ٱلصَّلَوْةِ وَمِمَّارَزَقَتُهُمُّ سُفِقُونَ ۞ وَٱلْدُنْجَعَلَتُهَالَكُمُّ

مِّن شَعَلِيراً لِلَهِ لَكُوْفِهَا خَيُّرٌ قَاذُكُرُواْ أَنْمَ اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَافَّ

فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوامِنْهَا وَأَطْبِعِمُوا ٱلْقَانِعُ وَلَلْفُتُرُّكُ إِلَّ

سَخَّتِهَا لَكُمْ لَعَلَّكُو تَشَكُّرُونَ ۞ لَيْنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا

وَلَادِمَا وُهُمَا وَلَٰكِن يَنالُهُ النَّقُوىٰ مِنكُرُّكَ ذَالِكَ مَعْتَهَا

لَكُرُ لِنُكَيْرُوا اللَّهُ عَلَى مَاهَدَ لَكُرُّ وَيَشْرِ الْخَسِينَ ٥٠ إِنَّاقَةَ

يُدَفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّخَوَانِكَ فُورِ ٨

TONOMON IN LESSED

منها وأطعموا البائس الفقير * ثم

ليقضبوا تنفشهم وليوفوا تنذورهم

وليطوّ فوا بالبيت العتيق، يذكر تعالىٰ

عظمة البيت الحرام وجلالته وعظمة

بانيه، وهو خليل الرَّحن، فقال: ﴿وَإِذَ

بوأنا لإبراهيم مكان البيت، أي:

هيأناه له، وأنزلناه إياه، وجعل قسماً

من ذريته من سكانه، وأمره الله

ببنیانه، فبناه على تقوى الله، وأسسه

على طاعية الله، ويناه هيو وابنه

إسماعيل، وأمره أن لا يشرك به شيئاً،

بأن يخلص لله أعماله، ويبنيه على

قبله وسائل إليه. البيت، ثم الاعتكاف، لاختصاصه بجنس المسأجد.

﴿٣٠ _ ٣١﴾ ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عندريه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور * حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنَّما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الربح في مكان سحيق﴾ ﴿ذلكُ ﴾ الذي ذكرنا لكم من تلكم الأحكام، وما فيها من تعظيم حرمات الله وإجلالها وتكريمها، لأن تعظيم حرمات الله، من الأمور المحبوبة لله، المقربة إليه، التي من عظِّمها وأجلِّها، أثابه الله ثواباً جزيلاً، وكانت خيراً له في دينه، ودنياه وأخراه عند ربه.

وحرمات الله: كل ماله حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام ما، فتعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل، ثم ذكر منته وإحسانه بما أحله لعباده، من جيمة الأنعام، من إبل وبقر وغنم، وشرعها من جملة المناسك، التي يتقرب بها إليه، فعظمت منته فيها من الوجهين، ﴿إلا ما يتلي عليكم﴾ في القرآن تحريمه من قوله: ﴿حرمتُ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، الآية، ولكن الذي من رحمته بعباده، أن حرمه عليهم، ومنعهم منه، تزكية لهم، وتطهيراً من الشرك به وقول الزور، ولهذا قال: ﴿فاحتنبوا الرجس أي: الخبث القذر ﴿من الأوثان) أي: الأنداد، التي جعلتموها

آلهة مع الله، فإنها أكبر أنواع الرجس،

والظاهر أن ﴿من﴾ هنا ليست لبيان

الجنس، كما قاله كثير من المفسرين،

وإنما هي للتبعيض، وأن الرجس عام في جميع المنهيات المحرمات، فيكون

منهياً عنها عموماً، وعن الأوثان التي هي بعضها خصوصاً، ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ أي: جميع الأقوال المحرمات، فإنها من قول الزور الذي هو الكذب، ومن ذلك شهادة الزور فلما نهاهم عن الشرك والرجس وقول الزور.

أمرهم أن يكونوا ﴿حنفاء ش﴾ أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه.

﴿غير مشركين به ومن يشرك بالله ﴾ فمثله ﴿فكأنما خر من السماء ﴾ أي: سقط منها ﴿فتخطفه الطير ﴾ بسرعة ﴿أو تهوي به الربح في مكان سحيق ﴾ أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة.

ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المسرك إذا تمرك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه.

﴿٣٢ ـ ٣٣﴾ ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب * لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ أي: ذلك الذي ذكرنا لكم من تعظيم حرماته وشعائره، والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تسعمالي: ﴿إِنَّ السَّصَّفَ اللَّهُ وَالمُّروةُ مَسَنَّ شعائر الله ومنها الهدايا والقربان للبيت، وتقدم أن معنى تعظيمها، إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكملة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله.

﴿لكم فيها﴾ أي: [في] في الهدايا ﴿منافع إلى أجل مسمى﴾ هذا في الهدايا المسوقة، من البدن ونحوها، ينتفع بها أربابها، بالركوب، والحلب ونحو ذلك، مما لا يضرها ﴿إلى أجل

مسمى الله معدر، موقت وهو ذبحها إذا وصلت محلها وهو البيت العتيق، أي: الحرم كله «مني» وغيرها، فإذا ذبحت، أكلوا منها وأهدوا، وأطعموا البائس الفقير.

(۳٤ – ۳۵) ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكاً، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملاً، والحكمة في جعل الله لكل أمة منسكاً، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد، وإن اختلفت أجناس الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: ﴿فله أسلموا﴾ أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام. ﴿وبشر المخبتين﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده.

ثم ذكر صفات المخبتين فقال: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ أي: خوفاً وتعظيماً ، فتركوا لذلك وحده ، ﴿والصابرين على ما أصابهم » من البأساء والضراء وأنواع الأذى ، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك ، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم ، محتسبين بل صبروا ابتغاء وجه ربهم ، محتسبين الصلاة ﴾ أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة ، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب ، وعبوديتها الظاهرة والباطنة ، ﴿وعا رزقناهم ينفقون ﴾ وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة ، كالزكاة ، والكفارة ، والنفقة على كالزكاة ، والكفارة ، والنفقة على

الزوجات والماليك، والأقارب،

والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع

وجوهها، وأتى به أمن الفيدة للتبعيض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فيا أيها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.

﴿٣٦ _ ٣٦﴾ ﴿والبُدنَ جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوي منكم كذلك سخّرها لكم لتكبّروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين، هذا دليل أن الشعائر عام في جميع أعلام الدين الظاهرة. وتقدم أن الله أخبر أن من عظم شعائره، فإن ذلك من تقوى القلوب، وهنا أخبر أن من جملة شعائره، البُذْن، أي: الإبل، والبقر، على أحد القولين، فتعظم وتستسمن، وتستحسن، ﴿لكم فيها خير ﴾ أي: المُهدي وغيره، من الأكل، والصدقة، والانتفاع، والشواب، والأجر، ﴿فَاذْكُرُوا اسم الله عليها﴾ أي: عند ذبحها قولوا (بسم الله) واذبحوها، ﴿صُوافُ﴾ أي: قائمات، بأن تقام على قوائمها الأربع، ثم تعقل يدها اليسرى، ثم تنحر.

﴿فإذا وجبت جنوبها ﴾ أي: سقطت في الأرض جنوبها ، حين تسلخ ، ثم يسقط الجزار جنوبها على الأرض ، فحينئذ قد استعدت لأن يؤكل منها ، ﴿فكلوا منها ﴾ وهذا خطاب للمهدي ، فيجوز له الأكل من هديه ، ﴿وأطعموا القانع والمعتر ﴾ أي: الفقير الذي لا يسأل ، تقنعا ، وتعففا ، والفقير الذي يسأل ، فكل منهما له حق فيهما .

﴿كذلك سخرناها لكم ﴾ أي: البدن ﴿لعلكم تشكرون ﴾ الله على تسخيرها، فإنه لولا تسخيره لها، لم يكن لكم بها طاقة، ولكنه ذللها لكم وسخرها، رحمة بكم وإحساناً إليكم،

فاحمدوه .

وقوله: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط. ولا ينال الله من لحومها ولا دمائها شيء، لكونه الغني الحميد، وإنسما يناله الإخلاص فيها قال: ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ ففي قال: ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ ففي المنحر، وأن يكون القصد وجه الله سمعة، ولا مجرد عادة، وهكذا سائر وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا روح فيه.

﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله﴾ أي: تعظموه وتجلوه، ﴿على ما هداكم أي: مقابلة لهدايته إياكم، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد، وأعلى التعظيم، ﴿وبشر المحسنين﴾ بعبادة الله بأن يعبدوا الله، كأنهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة فليعبدوه، معتقدين وقت عبادتهم اطُلاعه عليهم، ورؤيته إياهم، والمحسنين لعباد الله، بجميع وجوه الإحسان من نفع مال، أو علم، أو جاه، أو نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو كلمة طيبة ونحو ذلك، فالمحسنون لهم البشارة من الله، بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن الله إليهم، كما أحسنوا في عبادته ولعباده ﴿مل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿للذين أحسنوا الحسني وزيادة﴾.

وللدين الحسور الحسمى وريده. وهم و الذين وهم الذين الله لا يحب كل خوان كفور الله مذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل للدين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل السر بسبب إيمانهم من شر الكفار، وشر وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر.

﴿إِن الله لا يحب كل خوان﴾ أي: خائن في أمانته التي حمله الله إياها، فيبخس حقوق الله عليه، ويخونها، ويخون الخلق.

﴿ كفور ﴾ لنعم الله ، يوالي عليه الإحسان ، ويتوالى منه الكفر والعصيان ، فهذا لا يحبه الله ، بل يبغضه ويمقته ، وسيجازيه على كفره وخيانته ، ومفهوم الآية ، أن الله يحب كل أمين قائم بأمانته ، شكور لمولاه .

﴿٣٩ ... ٤١ ﴾ ﴿أَذِن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاَّ أن يقولوا ربنا الله ولولاً دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها أسم آلله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إنَّ الله لقوى عزيز * الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) كان المسلمون في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار، ومأمورين بالصبر عليهم، لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة، وأوذوا، وحصل لهم منعة وقوة، أذن لهم بالقتال، قال تعالى: ﴿أَذَنَ لَلَّذِينَ يقاتلون المهم منه أنهم كانوا قبل ممنوعين، فأذن الله لهم بقتال الذين يُقاتِلُونَ، وإنما أذن لهم، لأنهم ظلموا، بمنعهم من دينهم، وأذيتهم عليه، وإخراجهم من ديارهم.

﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ فليستنصروه، وليستعينوا به، ثم ذكر صفة ظلمهم فقال: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ أي: ألجؤوا إلى الخروج بالأذية والفتنة ﴿بغير حق إلا﴾ أن يقولوا ربنا الله أي: إلا أنه وعبدوه مخلصين له وحدوا الله، وعبدوه مخلصين له كقوله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن على حكمة الجهاد، وأن المقصود منه على حكمة الجهاد، وأن المقصود منه إلى المؤمنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن اللمؤمنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن

ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة، ولهذا قال: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم بيعض، فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين، ﴿لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد أي: لهدمت هذه المعابد الكبار، لطوائف أهل الكتاب، معابد اليهود والنصارى، والمساجد للمسلمين، ﴿يذكر فيها﴾ أي: في هذه المعابد ﴿اسم الله كثيراً ﴾ تقام فيها الصلوات، وتتلى فيها كتب الله، ويذكر فيها اسم الله بأنواع الذكر، فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لاستولى الكفار على المسلمين، فخربوا معابدهم، وفتنوهم عن دينهم، فدل هذا، أن الجهاد مشروع، لأجل دفع الصائل والمؤذى، ومقصود لغيره، ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها شعائر الدين كلها، من فضائل المجاهدين وببركتهم، دفع الله عنها الكافرين، قال الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴿ .

فإن قلت: نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرب، مع أنها كثير منها إمارة صغيرة، وحكومة غير منظمة، مع أنهم لا يدان لهم بقتال من جاورهم من الإفرنج، بل نرى المساجد التي تحت ولايتهم وسيطرتهم عامرة، وأهلها آمنون مطمئنون، مع قدرة أخبر أنه لولا دفع الله الناس بعضهم بعض، لهدمت هذه المعابد، ونحن لا نشاهد دفعاً.

أجيب بأن هذا السوال والاستشكال، داخل في عموم هذه الآية وفرد من أفرادها، فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل أمة وجنس تحت ولايتها، وداخل في حكمها، تعتبره عضواً من أعضاء المملكة، وجزء من أجزاء الحكومة، سواء كانت تلك الأمة

وتراعي تلك الدول الحكومات المستقلة، نظراً لخواطر رعاياهم المسلمين، مع وجود التحاسد والتباغض بين دول النصارى، الذي أخبر الله أنه لا يزال إلى يوم القيامة، فتبقى الحكومة المسلمة، التي لا تقدر تدافع عن نفسها، سالة من [كثير] (١) ضررهم، لقيام الحسد عندهم، فلا يقدر أحدهم أن يمد يده عليها، خوفاً من احتمائها بالآخر، مع أن الله تعالى لا بد أن يُري عباده من نصر الإسلام والمسلمين، ما قد وعد به في كتابه.

وقد ظهرت ولله الحمد أسبابه

[بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم والشعور مبدأ العمل](٢)، فنحمده ونسأله أن يتم نعمته، ولهذا قال في وعده الصادق الطابق للواقع: ﴿ولينصرن الله من ينصره ﴾ أي: يقوم بنصر دينه، مخلصاً له في ذلك، يقاتل في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا. ﴿إِن الله لقوي عزيز ﴾ أي: كامل القوة، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق، وأخذ بنواصيهم، فأبشروا، يا معشر المسلمين، فإنكم وإن ضعف عَددُكُمْ وعُلدَدُكُم، وقلويَ عبدد عبدوكم وعدتهم^(٣)، فإن ركنّكم القوي العزيز، ومعتمدكم على من خلقكم وخلق ما تعملون، فاعملوا بالأسباب المأمور بها، ثم اطلبوا منه نصركم، فلا بد أن ينصر کم .

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وقوموا،

أيها المسلمون، بحق الإيمان والعمل الصالح، فقد ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾.

ثم ذكر علامة من ينصره، وبها يعرف، أن من ادعى أنه ينصر الله وينصر دينه، ولم يتصف بهذا الوصف، فهو كاذب فقال: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ أي: ملكناهم إياها، وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض، ﴿أقاموا الصلاة﴾ في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات.

﴿ وَأَتُّوا السرِّكَاةِ ﴾ الستى عليهم خصوصاً، وعلى رعيتهم عموماً، آتوها أهلها، الذين هم أهلها، ﴿وأمروا بالمعروف، وهذا يشمل كل معروف حسنه شرعاً وعقلاً، من حقوق الله، وحقوق الآدميين، ﴿ونهوا عن المنكر﴾ كل منكر شرعاً وعقلاً، معروف قبحه، والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به، فإذًا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم، أجبروا الناس على التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعاً، أو غير مقدر، كأنواع التعزير، قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدين له، لزم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به.

ولل عاقبة الأمور اي: جميع الأمور، ترجع إلى الله، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى، فمن سلطه الله على العباد من الملوك، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة، ومن تسلط عليهم اللجروت، وأقام فيهم هوى نفسه،

اً الْإِنْ لِلَّذِينَ يُقَانِنُهُ وَكَ بِأَنَّهُمْ طُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ اً لَقَكِيرُ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوامِن دِيكِيهِ بِغَيْرِحَقِ إِلَّا أَن يَقُولُوا ﴿ رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُ مِبَعْضِ لَكُنِّمَتْ صَوَّمِعُ وَسِيَعٌ وَصَلَوَتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا أَسُمُ اللَّهِ كَيْمِرُأُ وَلِيَنْصُرَبَ اللّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللّهَ لَقَوَى عَزِيدُ ﴾ ۞ الَّذِينَ إِن مَّكَنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَفَ امُوا ٱلصَّلَوْةَ وَمَاتُواْ الزَّحَيْدة وَأَمَرُوا بِالْقَدْرُونِ وَنَهَوْا عَنِ الْنُحَرُّو وَيَعْجَدُهُ ٱلْمُورِ ۞ وَإِن يُكَذِبُوكَ فَقَدْكَذَّبَتْ قَبَلَهُمْ فَوْمُ نُوجٍ وَعَادُ وَنَهُودُ ۞ وَقَوْمُ إِنْرَهِدِ بِرَوَقَوْمُ لُوطٍ ۞ وَأَصْعَبُ مَدْيَنَ ۗ وَكُذِبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَيْمِ مِن ثُمَّ أَخَذْتُهُمُّ فَكَيْفَكَا لَ نَكِيرِ ۞ فَكَأَيْنِ مِن قَرْبَ يَهِ أَهْلَكَ نَهَا ۫ۅؘۿێڟؘٳڶڐٞۛڣؘۿۣؽڂؘٳۅؚڝڎؙۧۼٙڵۼۯۅۺۿٵۅۜۑۣڹٝڕؿؖۼڟؘڬۄٙۅٙڞؠ ﴾ مَشِيدِ، أَنَكَ يَسِيرُوا فِ ٱلْأَرْضِ فَكُونَ لَهُمُ قُلُوبٌ يَمْ قِلُونَ بِهَا أَوْءَ اذَاتُ يَسَمَعُونَ بِمُّا فَإِنَّهَا لَمُّ لَانَغَمَى ٱلْأَبْصَلُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلِّي فِالسُّدُورِ ﴿

فإنه وإن حصل له ملك موقت، فإن عاقبته غير حميدة، فولايته مشؤومة، وعاقبته مذمومة.

﴿ ٤٦ _ ٤٦﴾ ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير * فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، يقول تعالى لنبيه محمد عَيْن: وإذ يكذبك هؤلاء المشركون فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوج وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين﴾ أي: قوم شعيب .

وكسذب مسوسسى فسأمسليت للكافرين الكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلتهم، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم

⁽۱) ریادة من هامش ب.

⁽٢) ريادة من هامش ب.

⁽٣) في أ: وعدتكم، وهو سبق قلم ـ والله أعلم ـ.

وشرهم يزدادون، ﴿ثم أَخَذَتُهُ ﴾ بالعذاب أخذ عزيز مقتدر ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهْلِكَ بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومشهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيراً منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كشير، ولهذا قال: ﴿ فَكَأَيْنَ مِن قرية ﴾ أي: وكم من قرية ﴿أهلكناها ﴾ بالعذاب الشديد، والخنزي المدنسيوي، ﴿وهمي ظالمة﴾ بكفرها بالله وتكذيبها لرسله، لم يكن عقوبتنا لها ظلماً منا، ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ أي: فديارهم متهدمة، قصورها، وجدرانها، قدسقطت عروشها، فأصبحت خراباً بعد أن كانت عامرة، وموحشة بعد أن كانت آهلة بأهلها آنسة، ﴿وبِسُر معطلة وقصر مشيد الله أي: وكم من بشر، قد كان

يزدحم عليه الخلق، لشربهم وشرب مواشيهم، ففقد أهله، وعدم منه الوارد والصادر، وكم من قصر، تعب عليه أهله، فشيدوه، ورفعوه، وحصنوه، وزخرفوه، فحين جاءهم أمر الله، لم يغن عنهم شيئاً، وأصبح خالياً من أهله، قد صاروا عبرة لمن اعتبر، ومثالاً لمن فكر ونظر.

ولهذا دعا الله عباده إلى السير في الأرض، لينظروا، ويعتبروا فقال: ﴿أَفِلُم يسيروا في الأرض ﴾ بأبدانهم وقلوبهم ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ آيات الله ويتأملون بها مواقع عبره، ﴿أُو آذان يسمعون بها ﴾ أخبار الأمم الماضين، وأنباء القرون المعذبين، وإلا فمجرد نظر العين، وسماع الأذن، وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار، غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرثيات، وأما عمى البصر، فغايته بلغة، ومنفعة دنيوية.

﴿٤٧ ـ ٤٨﴾ ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة مما تعدون * وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير ﴾ أي: يستعجلك هؤلاء المكذبون بالعذاب، لجهلهم، وظلمهم، وعنادهم، وتعجيزاً لله، وتكذيباً لرسله، ولن يخلف الله وعده، فما وعدهم به من العذاب، لا بد من وقوعه، ولا يمنعهم منه مانع، وأما عجلته، والمبادرة فيه، فليس ذلك إليك يا محمد، ولا يستفزنك عجلتهم وتعجيزهم إيانا. فإن أمامهم يوم القيامة، الذي يجمع فيه أولهم وآخرهم، ويجازون بأعمالهم، ويقع بهم العذاب الدائم الأليم، ولهذا قال:

﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ من طوله، وشدته، وهوله، فسواء أصابهم عذاب في الدنيا، أم تأخر عنهم العذاب، فإن هذا اليوم، لا بد أن يدركهم.

ويحتمل أن المراد: أن الله حليم، ولو استعجلوا العذاب، فإن يوماً عنده كألف سنة مما تعدون، فالمدة، وإن تطاولتموها، واستبطأتم فيها نزول العذاب، فإن الله يمهل المدد الطويلة ولا يهمل، حتى إذا أخذ الظالمين بعذابه لم يفلتهم.

وكأين من قرية أمليت لها أي: أمهلتها مدة طويلة ﴿وهي ظالم ﴾ أي: مع ظلمهم، فلم يكن مبادرتهم بالظلم، موجباً لمبادرتنا بالعقوبة، ﴿ثم أخذتها ﴾ بالعذاب ﴿وإلى المصير ﴾ أي: مع عذابها في الدنيا، سترجع إلى الله، فيعذبها بذنوبها، فليُخذر هؤلاء الطالمون من حلول عقاب الله، ولا يغتروا بالإمهال.

﴿٤٩ ـ ٥١ ﴾ ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الححيم (١٠٠٠) يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ أن يخاطب الناس جميعاً، بأنه رسول الله حقاً، مبشراً للمؤمنين بثواب الله، منذراً للكافرين والظالمين من عقابه، وقوله: ﴿مبين﴾ أي: بين الإنذار، وهو التخويف مع الإعلام بالمخوف، وذلك لأنه أقام البراهين الساطعة على صدق ما أنذرهم به، ثم ذكر تفصيل النذارة والبشارة فقال: ﴿فالذين آمنوا﴾ بقلوبهم إيماناً صحيحاً صادقاً ﴿وعملوا الصالحات﴾ بجوارحهم ﴿ في جنات النعيم ﴾ أي: الجنات التي يتنعم بها بأنواع النعيم من المآكل والمشارب والمناكح والصور والأصوات والتنعم برؤية الرب الكريم وسماع

⁽١) سبق قلم الشيخ _ رحمه الله _ إلى الآية رقم (٥٦) من هذه السورة فجمع بينها وبين هذه الآية فكتب (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك أصحاب الجحيم) ثم فسرها بما يوافق الذي كتب، فعدلت الآية وصوبتها، وأبقيت التفسير كما هو.

كلامه ﴿والذين كفروا﴾ أي: جحدوا نعمة ربهم وكذبوا رسله وآياته فأولئك أصحاب الجحيم أي: الملازمون لها، المصاحبون لها في كل أوقاتهم، فلا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم لحظة من عقابها.

﴿٥٢ ـ ٧٧﴾ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاَّ إذا تمنّي ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم *ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإنّ الظَّالَمِن لفي شقاق بعيد * وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإنّ الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم * ولا ينزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أوياتيهم عذاب يوم عقيم * الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين، يخبر تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأن الله منا أرسيل قبيل محمد ﴿من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى اي: قرأ قراءته، التي يذَّكر بها الناس، ويأمرهم وينهاهم، ﴿ أَلْقِي الشيطان فِي أَمنيته ﴾ أي: في قراءته، من طرقه ومكايده، ما هو مناقض لتلك القراءة، مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله، وحفظ وحيه أن يشتبه، أو يختلط بغيره. ولكن هذا الإلقاء من الشيطان، غير مستقر ولا مستمر، وإنما هو عارض يعرض، ثم يزول، وللعوارض أحكام، ولهذا قال: ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ﴾ أي: يزيله ويذهبه ويبطله، ويبين أنه ليس من آياته، و ﴿يحكم الله آياته﴾ أي: يتقنها، ويحررها، ويحفظها، فتبقى خالصة من نخالطة إلقاء الشيطان، ﴿والله عمزير ﴾ أي: كمامل القوة

والاقتدار، فبكمال قوته، يحفظ وحيه، ويزيل ما تلقيه الشياطين، ﴿حكيم﴾ يضع الأشياء مواضعها، فمن كمال المذكور، ليحصل ما ذكره بقوله: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ لطائفتين من الناس، لا يبالي الله بهم، وهم الذين ﴿في قلوبهم مرض﴾ أي: ضعف وعدم إيمان تام وتصديق خطراً عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب والشك، فصار فتنة لهم.

﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ أي: الغليظة، التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقسوتها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، جعلوه حجة لهم على باطلهم، وجادلوا به وشاقوا الله ورسوله، ولهذا قال: ﴿وإن الظالمِن لفى شقاق بعيد﴾ أي: مشاقة شه، ومعاندة للحق، ومخالفة له، بعيد من الصواب، فما يلقيه الشيطان، يكون فتنة لهؤلاء الطائفتين، فيظهر به ما في قلوبهم، من الخبث الكامن فيها، وأمَّا الطائفة الثالثة، فإنه يكون رحمة في حقها، وهم المذكورون بقوله: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أن الله حكيم، يقيض بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كمائن النفوس الخيرة والشريرة، ﴿فيؤمنوا به ﴾ بسبب ذلك، وينزداد إيمانهم عند دفع المعارض والشبه.

﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أي: تخشع وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، ﴿وإن الله لهادي الذين

ٱلْمُنَاكُ وَمَهِدِ لِلَّهِ يَعْكُمُ مِنْنَهُمْ فَالَّذِي ءَامْنُوا وَعَهِلُوا ٱلعَمَالِحَٰتِ فِحَنَّتِ ٱلنَّعِيدِ۞ وَٱلَّذِينَ كَعَرُوا وَكَ نَبُواْ بِعَايَنَتِنَا فَأُوْلَتِهِكَ لَهُمْ عَذَابٌ ثُهِينً ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَجِيلَ اللَّهِ ثُمَّ أَيُّ أَوَّا أَوْمَا تُوا لَيْرُوْتُهُمُ اللَّهُ رِزْقَاحَسَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَجَيْرُ الرَّزِقِينَ @ أَيُذَخِلَنَا عُمِمُنَا حَكَايِّرَهَمَ وَتَكُوْمَ الْتَالَقَةَ لَعَيَلِيدُ حَلِيهُ ﴿ ۞ • ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَاعُوقِبَ بِهِ وَثُمَّ بُغِي عَلَيْهِ لِيَنصُرَكَ ٱللَّهُ إِن اللَّهَ لَكَ فُولُ عَنُورٌ ۞ ذَالِكَ بِأَنَ ٱللَّهَ يُولِحُ الْيَلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِمُ النَّهَ ادَفِ الَّيْلِ وَأَنَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٠ ذَالِكَ إِلَى اللَّهُ هُوَ أَنْكُمُ وَأَنْكُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِيهِ مُوَالْبَطِلُ وَأَنَ اللَّهُ هُوَالْكِلُّ الْكَبِيرُ ۞ الْزَنْدَأَكَ الْقَةَ أَنْزَلَ مِنَ الْمَنْكَاءِ مَا ۚ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُعْنَدَةً إِنَ اللَّهُ لَطِيفُ خَيدُ ۞ لَهُمَافِي السَّكَوْتِ إلى وَمَافِ الأَرْضُ وَإِنَ اللَّهُ الْمُوَالْفَيْنُ الْمُحَمِيدُ ۞ OVERON WEST VERY

آمنوا بسبب إيمانهم ﴿إلى صراط مستقيم علم بالحق، وعمل بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعبده.

وهذه الآيسات، فسيها بيان أن للرسول هي أسوة بإخوانه المرسلين، لما وقدع منه عند قراءته هي: والنجم فلما بلغ ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في قراءته: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن (١) لترتجى»، فحصل بذلك للرسول حزن وللناس فتنة، كما ذكر الله، فأنزل الله هذه الآرات.

﴿ ٥٥ _ ٥٥ ﴾ ﴿ ولا يـزال الـذيـن كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بعتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم * الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهن كيبر تعالى عن حالة الكفار، وأنهم لا يزالون في شك عا جئتهم به يا عمد، لعنادهم، وإعراضهم، وأنهم الا يبرحون مستمرين على هذه الحال ﴿حتى تأتيهم على المستمرين على على المستمرين على على المستمرين على على المستمرين على على المسلم المستمرين على على المسلم ال

⁽١) كذا في ب، وفي أ: شفاعتهم.

⁽٢) في النسختين: وأنه.

عليه وظُلِمَ، فإنه يجوز له مقابلة الجاني

بمثل جنايته، فإن فعل ذلك، فليس

عليه سبيل، وليس بملوم، فإن بُغِيَ

عليه بعد هذا، فإن الله ينصره، لأنَّه

مظلوم، فلا يجوز أن يُبْغَى عليه،

بسبب أنه استوفى حقه، وإذا كان

المجازى غيره، بإساءته إذا ظلم بعد

ذلك، نصره الله، فالذي بالأصل لم

يعاقب أحداً إذا ظُلِمَ وَجُني عليه،

فالنصر إليه أقرس.

ٱلْرِّتْرَأَنَّ ٱللَّهُ سَخَّرَلَكُم مَّافِ ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكِ تَحْدَى فَي الْمُثَّ ٱلْمَرْيَأَمْهِ. وَتُمْسِكُ ٱلسَّكَأَةِ أَن تَقَمَّعَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْ يُورَّأُ إِنَ اللَّهَ بَالْنَايِنِ لَرَءُ وَقُ رَجِيدُ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَخَيَاكُمُ ثُمَّيْمُ ثُدُّتُمُ مُعَالِّمُ الْإِنْكَ لَكَ عُورُهُ لِكُلَ أَمْنَةِ جَعَلْنَا مَنْكُمَّا هُمْ نَايِيكُومٌ فَلَائْنَازِعُنَّكَ فِ ٱلْأَمْنِ وَآدَعُ إِلَى رَبِكُ إِنَّكَ لَعَلَا مُدَّى مُسْتَقَدِي وَإِن جَلَدُلُوكَ فَقُل اللَّهُ أَغَلَرُ مِمَا لَقَتْ كُلُوبَ ۞ اللَّهُ يَغَكُمُ اللَّهِ بَيْنَكُونِهُمْ الْقِيكَ وَيُعَاكِنُنَا مُنْ اللَّهِ عَلَيْهُ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ ا ٱلْرَقْعَلَةُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّكَمَلِيهِ وَالْأَرْضُ إِنَّ ذَلِكَ فِ كِنَابًا إِنَّ ذَلِكَ عَلَ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَرُيُزِّلْ بِدِرسُلُطَانُنَا وَمَا لَيْسَ لَحُدُ بِدِيعِلْمُ وَمَا لِلظَّالِلِينَ مِن نَصِيرِ ۞ وَإِذَا تُتَا لَيْ عَلَيْهِمْ ءَالِنَاتُنَا بَيِّنَتُ تَعْيِفُ فِي وُجُوراَلَّذِي كَنْمُوا النَّكِيِّ يَكَادُونَ يَسَطُّرُنَ وَالَّذِي يَتْلُونَ عَلَيْمِ النِيثَّاقُوا الْأَيْمِيْكِ مِيْسِيِّةِ بِٱلَّذِيكَ يَسْلُوكَ عَلَيْهِمْ ءَالِيَتَّأُقُلُ ٱلْأَيْتُكُ مِيشَرِقِن الله والمستركة النَّارُوعَدَهَا اللَّهُ الَّذِيكَ لَقَرُّوا وَيَسْرَ الْمِيرُ اللَّهِ اللَّاللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ الللَّهِ MOLEGO MIL EQUIPED

الساعة بغتة ﴾ أي: مفاجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الى: لا خير فيه، وهو يوم القيامة، فإذا جاءتهم الساعة، أو أتاهم ذلك اليوم، علم الذين كفروا أنهم كأنوا كاذبين، وندموا حيث لا ينفعهم الندم، وأبلسوا وأيسوا من كل خير، وودوا لو آمنوا بالرسول واتخذوا معه سبيلاً، ففي هذا تحذيرهم من إقامتهم على مريتهم وفريتهم.

﴿اللَّكُ يُومِئُذُ أَي: يُومِ القيامة ﴿ شُهُ تعالى، لا لغيره، ﴿ يُحكم بينهم بحكمه العدل، وقضائه الفصل، ﴿فالذين آمنوا﴾ بالله ورسله، وما جاؤوا به ﴿وعملوا الصالحات، ليصدقوا بذلك إيمانهم ﴿ فِي جِناتِ النعيم ﴾ نعيم القلب والروح والبيدن، عما لا يتصف الواصفون، ولا تدركه العقول.

﴿واللَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسله وكذبوا بآياته الهادية للحق والصواب فأعرضوا عنها، أو عاندوها، ﴿فأولئك لهم عذاب مهين، لهم، من شدته، وألمه، وبلوغه للأفئدة كما استهانوا برسله وآياته، أهانهم الله بالعذاب.

﴿٥٨ ـ ٥٩﴾ ﴿والذين هاجروا في سبيل الله نم قتلوا أو ماتوا ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً وإنّ الله لهو

خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم، هذه بشارة كبرى، لن هاجر في سبيل الله، فخرج من داره ووطنه وأولاده وماله،

﴿إِن الله لعفو غفور﴾ أي: يعفو عن المذنبين، فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم فيزيلها، ويزيل آثارها عنهم، فالله هذا وصفه المستقر اللازم الذات، ومعاملته لعباده في جميع الأوقات بالعفو والمغفرة، فينبغي لكم أيها المظلومون المجنى عليهم، أنَّ تعفواً وتصفحوا وتغفروا ليعاملكم الله كما تعاملون عباده ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾.

﴿ ٦١ _ ٦٢ ﴾ ﴿ ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأنّ الله سميع بصير * ذلك بأنّ الله هو الحق وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير ﴾ ذلك الذي شرع لكم تلك الأحكام الحسنة العادلة، هو حسن التصرف، في تقديره وتدبيره، الذي ﴿يُولَجِ اللَّيلِ فَيُّ النهار﴾ أي: يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، فيأتى بالليل بعد النهار، وبالنهار بعد الليل، ويزيد في أحدهما ما ينقصه في الآخر، ثم بالعكس، فيترتب على ذلك، قيام الفصول، ومصالح الليل والنهار، والشمس والقمر، آلتي هي من أجل نعمه على العباد، وهي من الضروريات لهم. ﴿وأن الله سميع ﴾ يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، ﴿بصير﴾ يرى دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾.

التغاء وجه الله، ونصرة لدين الله، فهذا قد وجب أجره على الله، سواء مات على فراشه، أو قتل مجاهداً في سبيل الله، ﴿ليرزقنَّهُم الله رزقاًّ حسناً ﴾ في البرزخ، وفي يوم القيامة بدخول الجنة الجامعة للروح والريحان، والحسن والإحسان، ونعيم القلب والبدن، ويحتمل أن المعنى (١): أن المهاجر في سبيل الله، قد تكفل برزقه في الدنيا، رزقاً واسعاً حسناً، سواء علَّم الله منه أنه يموت على فراشه، أو يقتل شهيداً، فكلهم مضمون له الرزق، فلا يتوهم أنه إذا خرج من دياره وأمواله، سيفتقر ويحتاج، فإن رازقه هو خير الرازقين، وقد وقع كما أخبر، فإن المهاجرين السابقين، تركوا ديارهم وأبناءهم وأموالهم، نصرة لدين الله، فلم يلبثوا إلا يسيراً، حتى فتح الله عليهم البلاد، ومكنهم من العباد فاجتبوا من أموالها، ما كانوا به من أغنى الناس، ويكون على هذا القول، قوله: ﴿ليدخلنهم مدخلاً يرضونه اما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصاً فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المرادبه رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين، رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع من إرادة الجميع ﴿وإن الله لعليم﴾ بالأمور، ظاهرها، وباطنها، متقدمها، ومتأخرها، ﴿حليم﴾ يعصيه الخلائق، ويبارزونه بالعظائم، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله.

﴿٦٠﴾ ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنَه الله إن الله لعفو غفور﴾ ذلك بأن من جُنِيَ

﴿ذلك﴾ صاحب الحكم والأحكام ﴿بأن الله هو الحق﴾ أي: الشابت، الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس بعده شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد، الذي وعده حق ولقاؤه حق، ودينه حق، وعبادته هي الحق، النافعة الباقية على الدوام.

﴿وأن ما يلعلون من دونه ﴾ من الأصنام والأنداد، من الحيوانات والجمادات، ﴿هو الباطل﴾ الذي، هو باطل في نفسه، وعبادته باطلة، لأنها متعلقة بمضمحل فاني، فتبطل تبعاً لغايتها ومقصودها، ﴿وأن الله هو العلى الكبير، العلى في ذاته، فهو عال على جميع المخلوقات وفي قدره، فهو كامل الصفات، وفي قهره لجميع المخلوقات، الكبير في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، الذّي من عظمتُه وكبريائه، أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، ومن كبريائه، أن كرسيه وسع السماوات والأرض، ومن عظمته وكبريائه، أن نواصى العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته.

وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها إلا هو، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، أنها كل صفة كمال وجلال وكبرياء وعظمة، فهي ثابتة له، وله من تلك الصفة أجلها وأكملها، ومن كبريائه، أن العبادات كلها، الصادرة من أهل السماوات والأرض، كلها وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعاراً للعبادات الكبار، كالصلاة وغيرها.

﴿٣٣ ـ ٢٤﴾ ﴿ألم تسر أن الله أنول من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إنّ الله لطيف خبير * له ما في السماوات وما في الأرض وإنّ الله لهو المغني الحميد﴾ هذا حث منه تعالى، وترغيب في النظر بآياته الدالات على

وحدانيته، وكماله فقال: ﴿أَلُمْ تَر﴾ أي: أَلُمْ تَسَاهِد ببصرك وبصيرتك ﴿أَنَّ الله أَنزل مِن السماء ماء ﴾ وهو: المطر، فينزل على أرض خاشعة بجدبة، قد اغبرت أرجاؤها، ويبس ما فيها، من شجر ونبات، فتصبح مخضرة قد اكتست من كل زوج كريم، وصار لها بذلك منظر بهيج، إن الذي أحياها بعد موتها وهمودها لمحيي الموتى بعد أن كانوا رميماً.

إن الله لطيف خبير اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر(۱۱)، بطرق يري عبده، عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك، ومن لطفه، أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في باطنها، فيسوق ذلك الماء الخلائق فينبت منه أنواع النبات، الخلائق فينبت منه أنواع النبات، الصدور، وخفايا الأمور،

﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً وعبيداً، يتصرف فيهم بملكه وحكمته وكمال اقتداره، ليس لأحد غيره من الأمر شيء.

وإن الله لهو الغني باذاته الذي له الغنى المطلق التام، من جميع الوجوه، ومن غناه، أنه لا يحتاج إلى أحد من ولا يتكثر بهم من قلة، ومن غناه، أنه ما اتخذ صاحبة ولا ولداً، ومن غناه، أنه صحد، لا يأكل ولا يشرب، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلق بوجه من الوجوه، فهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ، من الوجوه، فهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ، ومن غناه، أن الخلق كلهم مفتقرون إليه، فسي إيجادهم، وإعدادهم، ومن في السماوات ومن في الأرض، الأحياء منهم ومن في السماوات ومن في الأرض، الأحياء منهم

والأموات، في صعيد واحد، فسأل كل منهم ما بلغت أمنيته، فأعطاهم فوق أمانيهم، ما نقص ذلك من ملكه شيء، ومن غناه، أنَّ يده سخّاء بالخير والبركات، الليل والنهار، لم يزل إفضاله على الأنفاس، ومن غناه وكرمه، ما أودعه في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿ الحميد ﴾ أي: المحمود في ذاته، وفي أسمائه، لكونها حسني، وفي صفّاته، لكونها كلها صفات كمال، وفي أفعاله، لكونها دائرة بين العدل والإحسان والرحمة والحكمة، وفي شرعه، لكونه لا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهي إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة، الذي له الحمد، الذي يملأ ما في السماوات والأرض، وما بينهما، وما شاء بعدها، الذي لا يحصى العباد ثناء على حمده، بل هو كما أثني على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، وهو المحمود على توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله، وهو الغني في حمده، الحميد في غناه.

﴿ ٦٥ _ ٦٦﴾ ﴿ أَلُم تَو أَنَّ الله سخَّر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه إنّ الله بالناس لرَّؤُوف رحيم * وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إنَّ الإنسان لكفور ﴾ أي: ألم تشاهد ببصرك وقلبك نعمة ربك السابغة، وأياديه الواسعة، و ﴿أَنَّ اللَّهُ سخر لكم ما في الأرض) من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في الأرض، مسخر لبني آدم، حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقتاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، يستخرجها، وينتفع بها، ﴿والفلك﴾ أي: وسخر لكم الفّلك، وهي السفن

⁽١) في ب: (عباده الخير ويدفع عنهم الشر).

﴿تجري في البحر بأمره ﴾ تحملكم، وتحمل تجاراتكم، وتوصلكم من محل إلى محل، وتستخرجون من البحر حلية تلبسونها، ومن رحمته بكم أنه ﴿يمسك السماء أن تقع على الأرض، فلولا رحمته وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلف ما عليها، وهلك من فيها ﴿إِنَّ الله يمسك السماوات والأرض أن تسزولا ولسنسن زالستسا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً ﴾ .

﴿إِنْ الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ أرحم بهم من والديهم، ومن أنفسهم، ولهذا يريد لهم الخير، ويريدون لها الشر والضر، ومن رحمته، أن سخر لهم ما سخر من هذه الأشياء.

﴿وهو الذي أحياكم﴾ أوجدكم من العدم ﴿ثم يميتكم ﴾ بعد أن أحياكم، ﴿ثم يحييكم﴾ بعد موتكم، ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ﴿إِن الإنسان﴾ أي: جنسه، إلا من عصمه الله ﴿لكفور﴾ لنعم الله، كفور بالله، لا يعترف بإحسانه، بل ربما كفر بالبعث وقدرة ربه.

﴿٧٠ ـ ٧٠﴾ ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربىك إنّىك لىعلى هدى مستقيم * وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون * الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون * ألم تعلم أنّ الله يعلم ما في السماء والأرض إنَّ ذلك في كتابٌ إنَّ ذلك على الله يسير ﴾ يخبر تعالى أنه جعل لكل أمة ﴿منسكا ﴾ أي: معبداً وعبادة، قد تختلف في بعض الأمور، مع اتفاقها على العدلُّ والحكمة، كما قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) الآية، ﴿هم ناسكوه﴾ أي: عاملون عليه، بحسب أحوالهم، فلا اعتراض على شريعة من الشرائع، خصوصاً من الأميين أهل الشرك وآلجهل المبين، فإنه إذا ثبتت رسالة الرسول بأدلتها، وجب أن يتلقى جميع ما جاء به بالقبول

والتسليم، وترك الاعتراض، ولهذا قال: ﴿فلا ينازعنك في الأمر ﴾ أي: لا ينازعك المكذبون لك، ويعترضون على بعض ما جئتهم به، بعقولهم

﴿إِن ذَلَكُ عَلَى الله يسير ﴾ وإن كان تصوره عندكم لا يحاط به، فالله تعالى يسير عليه أن يحيط علماً بجميع الأشياء، وأن يكتب ذلك في كتاب مطابق للواقع.

أي: هو عالم بمقاصدكم ونياتكم،

فمجازيكم عليها في يوم القيامة الذي

يحكم الله بينكم فيما كنتم فيه تختلفون،

فمن وافق الصراط المستقيم، فهو من

أهل النعيم، ومن زاغ عنه، فهو من

أهل الجحيم، ومن تمام حكمه، أن

يكون حكماً بعلم، فلذلك ذكر إحاطة

علمه، وإحاطة كتابه فقال: ﴿ أَلَّم تَعْلَمُ

أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾

لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر

الأمور وبواطنها، خفيها وجليها،

متقدمها ومتأخرها، أن ذلك العلم

المحيط بما في السماء والأرض قد

أثبته الله في كتاب، وهو اللوح

المحفوظ، حين خلق الله القلم، قال

له: «اكتب» قال: ما أكتب؟ قال:

«اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة».

﴿۷۱ _ ۷۲﴾ ﴿ويسعسبدون مسن دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير * وإذا تتلي عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبتكم بشرّ من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير، يذكر تعالى حالة المشركين به، العادلين به غيره، وأن حالهم أقبح الحالات، وأنه لا مستندلهم على ما فعلوه، فليس لهم به علم، وإنما هو تقليد تلقوه عن آبائهم الضالين، وقد يكون الإنسان لا علم عنده بما فعله، وهو _ في نفس الأمر _له حجة ما علمها، فأخبر هنا، أن الله لم ينزل في ذلك سلطاناً، أي: حجة تدل عليه وتجوزه، بل قد أنزل البراهين القاطعة على فساده وبطلانه، ثم توعد الظالمين منهم المعاندين للحق فقال: ﴿ وما للظالمينَ من نصير ﴾ ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم وحل. وهل هؤلاء الذين لا علم لهم بما هم عليه قصد في اتباع

الفاسدة، مثل منازعتهم في حل الميتة، بقياسهم الفاسد، يقولون: «تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله»، وكقولهم «إنما البيع مثل الربا» ونحو ذلك من اعتراضاتهم، التي لا يلزم الجواب عن أعيانها، وهم منكرون لأصل الرسالة، وليس فيها مجادلة ومحاجة بانفرادها، بل لكل مقام مقال، فصاحب هذا الاعتراض، المنكر لرسالة الرسول، إذا زعم أنه يجادل ليسترشد، يقال له: الكلام معك في إثبات الرسالة وعدمها، وإلا فالاقتصار على هذه، دليل أن مقصوده التعنت والتعجيز، ولهذا أمر الله رسوله أن يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويمضى على ذلك، سواء اعترض المعترضون أم لا، وأنه لا ينبغي أن يثنيك عن الدعوة شيء، لأنك ﴿على حدى مستقيم﴾ أي: معتدل موصل للمقصود، متضمن علم الحق والعمل به، فأنت على ثقة من أمرك، ويقين من دينك، فيوجب ذلك لك الصلابة والمضى لما أمرك به ربك، ولست على أمر مشكوك فيه، أو حديث مفتري، فتقف مع الناس ومع أهوائهم، وآرائهم، ويوقفك اعتراضهم، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ فتوكل على الله إنك على الحق المبين، مع أن في قوله: ﴿إنك لعلى هدى مستقيم ارشاد لأجوبة المعترضين على جزئيات الشرع، بالعقل الصحيح، فإن الهدى وصف لكل ما جاء به الرسول، والهدى: ما تحصل به الهداية، من مسائل الأصول والفروع، وهي المسائل التي يعرف حسنها وعدلها وحكمتها بالعقل والفطرة السليمة، وهذا يعرف بتدبر تفاصيل المأمورات والمنهيات. ولهذا أمره الله بالعدول عن

جدالهم في هذه الحالة، فقال: ﴿وإن

جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون،

الأيات والهدى إذا جاءهم؟ أم هم راضون بما هم عليه من الباطل؟ ذكر ذلك بقوله: ﴿وإذا تتلي عليهم آياتنا﴾ التي هي آيات الله الجليلة، المستلزمة لبيان الحق من الباطل، لم يلتفتوا إليها، ولم يرفعوا سها رأساً، بل ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر، من بغضها وكراهتها، ترى وجوههم مُعَبِّسة، وأبشارهم مكفهرة، ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا، أي: يكادون يوقعون بهم القتل والضرب البليغ، من شدة بغضهم وبغض الحق وعداوته، فهذه الحالة من الكفار بئس الحالة، وشرها بئس الشر، ولكن ثُمَّ ما هو شر منها، حالتهم التي يؤولون إليها، فلهذا قال: ﴿قل أَفْأَنْبِتُكُم بِشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس الصير، فهذه شرها طويل عريض، ومكروهها وآلامها تزداد على الدوام.

﴿٧٤ - ٧٤﴾ ﴿يا أيها السناس ضرب مثل فاستمعوا له إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره إنَّ الله لقوى عزيز ﴾ حذا مشل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع، فقال: ﴿يا أيها الناس﴾ هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علماً وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة، ﴿ضرب مثل فاستمعواله أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوباً لاهية، وأسماعاً معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع، وهو هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تدعون من دون الله شمل كل ما يُدْعَى من دون الله، ﴿لن يُخلقوا دْبَاباً﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب

أولى، ﴿ولو اجتمعوا له﴾ بل أبلغ من ذلك لو ﴿يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه﴾ وهذا غاية ما يصير من العجز. ﴿ضعف الطالب﴾ الذي هو المعبود من دون الله ﴿والمطلوب﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمن.

فهذا ما قدر ﴿الله حق قدره ﴾ حيث سوّى الفقير العاجز من جميع الوجوه، سوّى بالغني القوي من جميع الوجوه، سوّى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة المعلي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف.

﴿إِنَّ اللهُ لقوي عزيز﴾ أي: كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ومن كمال قوته، وأنه يبعث الخلق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسير، وسوط من عذاه.

(٧٩ ـ ٧٩ ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور ﴾ لما بين تعالى كماله وضعف الأصنام، وأنه المعبود حقاً، بين حالة الرسل، المعبود حقاً، بين حالة الرسل، المفائل فقال: ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ أي: يختار رسلاً، يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا

文章 **经**的证据 医原 تَنَاتُهُا النَّالِي شُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُ الْهُ إِنَّ الَّذِبَ تَدْعُونَ مِن دُوْرِي ٱللَّهِ لَن يَغْلُقُوا دُبُ إِلَا وَلَو ٱجْتَمَعُواْ لَمُوَان يَسْلُكُمُ ٱلذُّبَاكُ شَيِّعًا لَآيِسَتَنقِذُوهُ مِثْنَةٌ ضَعُفَ ٱلطَّالِكُ ٰ وَٱلْطَلُوبُ ۞ مَافَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِومَ إِنَ اللّهَ لَقُويُّ عَنِيرٌ ۞ ٱللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ ٱلْمُلَّذِكَةِ رُمُسُلًا وَمِنَ ٱلْتَايِنُ إِنَّ ٱلْقَدْسَمِيعُ بَصِيرٌ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ ٱلدِّيعِيمُ وَمَاخَلُقَهُمُّ وَالْ المُوتَرَجَعَ عُ ٱلْأَمُورُ ﴿ يَنَالُهُمَا ٱلَّذِينَ المَوْا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْدُدُوا رَيَّكُمْ وَافْعَلُوا ٱلْخَيْرَلْعَلِّكُمْ تُقْلِحُونَ ۞ • وَحَهِدُواْفِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِيَّ وَهُوَالْحِتَبَاكُمْ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلِينِ مِنْ حَرَةً مِنَاةً إِيكُمْ إِبْرُهِ مِنْ مُوسَمَّ لَكُمُ ٱلْسُلِينَ مِن مَّبِّلُ وَفِي هَلَدَالِيَكُونَ الْرَسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُو وَيَكُونُواْ واعْتَصِمُوا باللَّهِ هُوَمَوْلَ لَكُونُوعُمَ الْوُلِّل وَيَعْمَ الْفَيلِ وَيَعْمَ النَّصِيرُ ١ THE PERSONNEL OF THE PE a least my land to the

صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم (1)، ليس جاهلا بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئاً دون شيء، وإنما المصطفي لهم، السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى:

﴿وإلى الله ترجع الأمور ﴾ أي: هو يرسل الرسل، يدعون الناس إلى الله، فمنهم المجيب، ومنهم الراد لدعوتهم، ومنهم الناكل، فهذا وظيفة الرسل، وأما الجزاء على تلك الأعمال، فمصيرها إلى الله، فلا تعدم منه فضلاً أو عدلاً.

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأتيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالسكرة، وخص منها الركوع بالصلاة، وخص منها الركوع بالمحلوة وأخير منها الركوع بالمحلة وأخير منها الركوع بالحديد وخير منها الركوع بالمحلة وأخير المحلة وأخير منها الركوع بالمحلة وأخير المحلة والمحلة وأخير المحلة وأخير المحلة وأخير المحلة وأخير المحلة والمحلة والم

تم تفسير سورة الحج، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة المؤمنون^(۱) وهي مكية

﴿١١١﴾ ﴿بِسِم اللهِ السرحسن الرحيم قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم الأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، هذا تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي: شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك، الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فَلْيَزِنِ العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، زيادة ونقصاً، كثرة وقلة، فقوله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ أى: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام. المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين الذين من صفاتهم الكاملة أنهم ﴿في صلاتهم خاشعون،

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدباً بين يدي ربه، مستحضراً جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت عيرتة مثاباً عليها، فإن الثواب على

ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف ما لا يطاق، أو تكليف ما عليق، احترز منه بقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: مشقة بعلية السهولة، فأولا ما أمر وألزم إلا بها هو سهل على النفوس، لا يثقلها ولا يؤودها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط شرعية وهي أن «المشقة تجلب التيسير» و «الضرورات تبيح المحظورات»، فيدخل في ذلك من الأحكام الفرعية، شيء كثير معروف في كتب الأحكام.

﴿ملة أبيكم إبراهيم ﴾ أي: هذه الملة المذكورة، ملة أبيكم إبراهيم، التي ما زال عليها، فالزموها واستمسكوا بها.

﴿هو سماكم المسلمين من قبل أي: في الكتب السابقة، مذكورون ومشهورون، ﴿وفي هذا﴾ أي: هذا الكتاب، وهذا الشّرع. أي: ما زال هذا الاسم لكم قديماً وحديثاً، ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ بأعمالكم خيرها وشرها ﴿وتكونوا شهداء على الناس الكونكم خير أمة أخرجت للناس، أمة وسطاً عدلاً خياراً، تشهدون للرسل أنهم بلغوا أممهم، وتشهدون على الأمم أن رسلهم بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، ﴿فأقيموا الصلاة ﴾ بأركانها وشروطها وحدودها، وجميع لوازمها، ﴿وآتوا الزكاة﴾ المفروضة لمستحقيها شكراً لله على ما أولاكم، ﴿واعتصموا بالله﴾ أي: امتنعوا به وتوكلوا عليه في ذلك، ولا تتكلوا على حولكم وقوتكم، ﴿ هو مولاكم ﴾ الذي يتولى أموركم، فيدبركم بحسن تدبيره، ويصرفكم على أحسن تقديره، ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ أي: نعم المولى لمن تولاه، فحصل له مطلوبه ﴿ونعم النصير﴾ لمن استنصره فدفع عنه المكروه.

الفائلة النوائد في المنافلة ا

والسجود، لفضلهما وركنيتهما، وعبادته التي هي قرة العيون، وسلوة القلب المحزون، وأن ربوبيته وإحسانه على العباد، يقتضي منهم أن يخلصوا له العبادة، ويأمرهم بفعل الخير عموماً.

وعلق تعالى الفلاح على هذه الأمور فقال: ﴿لعلكم تفلحون﴾. أي: تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وفق لذلك، فله القدح المعلى، من السعادة والنجاح والفلاح.

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ والجهاد بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ، وغير ذاك.

﴿هو اجتباكم ﴾ أي: اختاركم _يا معشر المسلمين _ من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة، بالقيام بالجهاد فيه حق القيام، ولما كان قوله: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾

حسب ما يعقل القلب منها.

﴿والذين هم عن اللغو﴾ وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، ومعرضون وغبة عنه، وتنزيها لا نفسهم، وترفعاً عنه، وإذا مروا باللغو مروا كراماً، وإذا كانوا معرضين باللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه - إلا في الخير - كان مالكاً لأمره، كما قال النبي علا نبي المعاذ بن جبل حين وصاه بوصايا قال: الميا بلي يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: «كُفّ عليك هذا»، فالمؤمنون من صفاتهم الحميدة، كَفُ السنتهم عن اللغو والمحرمات.

والذين هم للزكاة فاعلون أي: مؤدون لزكاة أموالهم، على اختلاف أجناس الأموال، مزكين لأنفسهم من أدناس الأخلاق ومساوىء الإعمال التي تزكو النفس بتركها وتجنبها، فأحسنوا في عبادة الخالق، في الخشوع في الصلاة، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة.

﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ عن الزنا، ومن تمام حفظها تَجنّب ما يدعو إلى ذلك، كالنظر واللمس ونحوهما. فحفظوا فروجهم من كل أحد ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ من الإماء الملوكات ﴿فَإنهم غير ملومين﴾ بقربهما، لأن الله تعالى أحلهما.

وفمن ابتغى وراء ذلك فيسر الزوجة والسرية وفأولشك هم النوجة والسرية وفأولشك هم العادون الذين تعدوا ما أحل الله إلى ما حرمه، المتجرؤون على محارم الله. وعموم هذه الآية، يدل على تحريم نكاح المتعة، فإنها ليست زوجة حقيقة مقصوداً بقاؤها، ولا مملوكة، وتحريم نكاح المحلل لذلك.

ويدل قوله: ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ أنه يشترط في حل المملوكة،

أن تكون كلها في ملكه، فلو كان له بعضها لم تحل، لأنها(١) ليست مما ملكت يمينه، بل هي ملك له ولغيره، فكما أنه لا يجوز أن يشترك في المرأة الحرة زوجان، فلا يجوز أن يشترك في الأمة المملوكة سيدان.

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم

راعون﴾ أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: ﴿إِنَا عَرْضَنَا ٱلأَمَانَةُ على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمريس، وأداء الأمانسين ﴿إِنَّ اللهُ يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وكذلك العهد، يشمل العهد الذي بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها، ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ أي: يداومون عليها في أوقاتها وحمدودها وأشراطها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص. ﴿ أُولِتُ لِكُ ﴾ الموصوفون بسلك

﴿أُولْسُكُ﴾ الموصوفون بسلك الصفات ﴿هم الوارثون * الله ين يرثون الفردوس﴾ الذي هو أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، لأنهم حلوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، أو المراد بذلك جميع الجنة، ليدخل بذلك عموم المؤمنين، على درجاتهم و(٢٠مراتبهم، كل بحسب حاله، ﴿هم فيها

THE PROPERTY OF THE PROPERTY O | | وَأَنَوْلُنَا مِنَ السَّكَاْءِ مَآءَ بُقِكَدِهَا أَسَكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضُ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَاب إلى بدِء لَقَائِدُونَ ﴿ فَأَنْشَأُنَا لَكُم بِدِء جَنَّلْتِ مِن نَجْدِ لَ ا وَأَعَنْكِ لَكُوفِهَا فَوَاكِهُ كَتِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ ا وَشَعَرَةً تَغَرُجُ مِن طُورِسَيْنَآءَ تَنْبُتُ بِٱلدُّهُنِ وَصِبْعِ لِلْأَكِلِينَ ۞ وَإِنَّ لَكُرُونِ ٱلْأَنْعَلِمِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّانِ بُطُونِهَا وَلَكُوهُ فِهَا مَنْفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلُكِ تُعْلُونَ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلُنَا نُوحًا إِلَىٰ قَدْمِه مِ فَقَالَ لَكَقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرَةُ ﴿ أَفَلَا تَتَّغُونَ ۞ فَقَالَ ٱلْمُؤَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَاۤ إِلَّا بَشَرْ مِثْلُكُوْ يُرِيدُ أَن يَنْفَضَ لَعَلَيْهُ وَلَوْشَآهُ ٱللَّهُ لَأَنْزُلُ مَلَيْهِ كُنَّ مَّاسِّمِعْنَ إِيهَذَا فِي مَالَّإِينَا الْلَوْلِينَ۞ إِنْ هُوَ إِلَّارَجُلُ إِبِهِ جِنَّةٌ فَتَرْيَضُوالِهِ حَقَّاجِينِ رُّ وَالَ رَبِّ الصُّرْنِي بِمَا كَنَّهُونِ ۞ فَأَوْحَيْنَ ٓ إِلَيْهِ أَنِ المُسْنَعِ الْفُلُكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَجِينَا فَإِذَاجَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَالْنَّهُورُ فَأَمْثُكَ فِهَا مِن حُنِّ زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّامَن سَبَقَعَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْ عُمُّ وَلَا تَخْلِلْنِي فِي الَّذِينَ طَلَمَتُوَّ إِنَّهُ مُغْدَرَقُونَ ۞ CAROLITY MARCHA

خالدون لا يظعنون عنها، ولا يبغون عنها حِوَلاً، لاشتمالها على أكمل النعيم وأفضله وأتمه، من غير مكدر ولا منغص.

﴿١٦ _ ١٦﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه ﴿من سلالة من طين﴾ أي: قد سلت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث، وبين ذلك، والسهل والحَزْنُ، وبين ذلك.

وثم جعلناه أي: جنس الآدميين ونطقة تخرج من بين الصلب والتراثب، فتستقر وفي قرار مكين وهو الرحم، محفوظة من الفساد والربح وغير ذلك.

وَثُم خلقنا النطفة ﴾ التي قد استقرت قبل ﴿ علقة ﴾ أي: دما أحر،

⁽١) في أ: لأنه، وفي ب: لأن، ولعل الصواب ما أثبت.

⁽٢) في ب: في مراتبهم.

CHEMINA CHEMINA و فَل زَبّ أَن الْقَوْرِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ وَقُل زَبّ أَن لِني مُنزَلا مُبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُٱلْمُزِلِينَ ۞ إِذَ فِي ذَلِكَ لَآئِنَتِ وَإِن كُمَّا لَبُتَكِلِينَ رَسُولَامِّنْهُ مُ أَنِ ٱعْدُواْ اللَّهَ مَا لَكُرُمِّنْ إِلَّهِ عَيْرُةُ مِ الْلَائَتَ تُونَ ` ﴿ وَقَالَ ٱلۡكَأُمِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَتَرُوا وَكَذَّبُواْ بِلِقَلَهِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرُوْنَهُمْ فِي ٱلْمَيْوَةِ ٱلدُّنْيَامَا هَنَا ٓ إِلَّا بَشَرُ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ عَاَتَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَا تَشْرَبُونَ ۞ وَلَمِنَ أَطَعَتْمُ بَشَرًا مِثْلَكُو إِنَّكُرُ إِذَا لَخَيْرُونَ ۞ أَيَعِدُكُو ٱلْكُرُ إِذَا مِشْمَ وَكُتُدُرُّزُابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُعْرَجُونَ ۞ • هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ۞ إِنْ هِمَ إِلَّاحْمَا أَنَا ٱلدُّنِّيا مَثُونُ وَغَيَا وَمَا غَقُرُ يِمَبْعُوثِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُّ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذَبَّ اوَمَا خَنُّ لَهُ بِمُوْمِنِينَ ۞ قَالَ رَبِ ٱلصُّرْفِ بِمَا كُنَّبُونِ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِيعُنَّ نَكِيمِينَ ۞ فَأَخَذَنَّهُمُ الصَّيْحَةُ بِٱلْتَقِ فَعَلَّتَهُمْ عُنَا أَفْهُمُ عَنَا أَفْهُمْ مَا م القَقَوم الظَّالِمِينَ ۞ ثُرُ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِ هِمْ تُرُونًا عَاخَرِينَ ۞ A DESIGNATION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

بعد مضى أربعين يوماً من النطفة، ﴿ثُم خلقنا العلقة ﴾ بعد أربعين يوماً ﴿مضغة ﴾ أي: قطعة لحم صغيرة، بقدر ما يمضغ من صغرها، ﴿فخلقنا المضغة ﴾ اللينة ﴿عظاماً ﴾ صلبة ، قد تخللت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها، ﴿ فكسونا العظام لحماً ﴾ أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عماداً للحم، وذلك في الأربعين الثالثة، ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ نفح فيه الروح، فانتقل من كونه جاداً، إلى أن صار حيواناً، ﴿فتبارك الله أي: تعالى وتعاظم وكثر خيره ﴿أحسن الخالقين ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نشله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون فَخَلْقُهُ كله حَسَنٌ ، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها.

﴿ثم إنكم بعد ذلك﴾ الخلق، ونفخ الروح ﴿لميتون﴾ في أحد أطواركم وتنقلاتكم، ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ فتجازون بأعمالكم، حسنها

وسيئها. قال تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ (١٧ - ٢٠) ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين * وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات من

نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة

ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين ﴾ لما ذكر تعالى خلق الآدمي، ذكر سكنه، وتَوَفِّر النعم عليه من كل وجه فقال: ﴿ولقد خلقنا فوقكم﴾ سقفاً للبلاد، ومصلحة للعباد ﴿سبع طرائق﴾ أي: سبع سماوات طباقاً، كل طبقة فوق الأخرى، قد زينت بالنجوم والشمس والقمر، وأودع فيها من مصالح الخلق ما أودع، ﴿وَمَا كِنَا عِنِ الْحُلِقِ غَافِلِينِ﴾ فكما أن خلقنا عام لكل مخلوق، فعلمنا أيضاً محيط بما خلقنا، فلا نغفل مخلوقاً ولا ننساه، ولا نخلق خلقاً فنضيعه، ولا نغفل عن السماء فتقع على الأرض، ولا ننسسى ذرة في لجبج البحار وجوانب الفلوات، ولا دابة إلَّا سقنا إليها رزقها ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، وكثيراً ما يقرن تعالى بين خلقه وعلمه كقوله: ﴿أَلَا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، ﴿بلي وهو الخلاق العليم ﴾ لأن خلق المخلوقات، من أقوى الأدلة العقلية،

﴿وأنزلنا من السماء ماء ﴾ يكون رزقاً لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه القصود، ولا يزيده زيادة لا تحتمل، بحيث يتلف الساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله، ثم صرفه عند التضرر من

على علم خالقها وحكمته.

دوامه، ﴿فأسكناه في الأرض﴾أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضاً معداً في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا، حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، ﴿وإنا على ذهاب ننزله، فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، لا يوجد عدمها، ماذا يحصل به من ويقدروا عدمها، ماذا يحصل به من الضرر، كقوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن معين﴾.

﴿فأنشأنا لكم به﴾ أي: بذلك الماء ﴿جنات﴾ أي: بساتين ﴿من نخيل وأعناب﴾ خص تعالى هذين النوعين، مع أنه ينشىء منه غيرهما من الأشجار، لفضلهما ومنافعهما، التي فاقت بها الأشجار، ولهذا ذكر العام في قوله: ﴿لَكُمْ فَيِهَا﴾ أي: في تلك الجنات ﴿ فُواكُهُ كَثِيرةً ومنها تأكُّلُونَ ﴾ من تين، وأترج، ورمان، وتفاح وغيرها، ﴿وشَجرة تخرج من طور سيناء ﴾ وهي شجرة الزيتون، أي: جنسها، خصت بالذكر، لأن مكانها خاص في أرض الشام، ولمنافعها، التي ذكر بعضها في قوله: ﴿تنبت بالدهن وصبغ للأكلين﴾ أي: فيها الزيت، الذي هو دهن، يستعمل(١) استعماله من الاستصباح به، واصطباغ الآكلين، أي: يجعل إداماً للآكلين، وغير ذلك من المنافع.

(17 - 77) ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم عما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ أي: ومن نعمه عليكم، أن سخر لكم الأنعام، الإبل والبقر، والغنم، فيها عبرة للمعتبرين، ومنافع للمنتفعين ﴿ نسقيكم عما في بطونها ﴾ من لبن، يخرج من بين فرث ودم، خالص سائغ لدثاربين، ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وجعل لكم من

جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ﴿ومنها تأكلون﴾ أفضلِ المآكل من لحم وشحم.

﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ أي: جعلها سفناً لكم في البر، تحملون عليها أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، كما جعل لكم السفن في البحر تحملكم، وتحمل متاعكم، قليلاً [كان] أو كثيراً، فالذي أنعم بهذه النعم، وصنف أنواع الإحسان، وأدر علينا من خيره الشكر، وكمال الثناء، والاجتهاد في عبوديته، وأن لا يستعان بنعمه على معاصه.

﴿٣٠ ــ ٣٠﴾ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ إلى آخر القصة وهي قوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآياتٍ وَإِن كِنَّا لمبتلين اللكر تعالى رسالة عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول رسول أرسله لأهل الأرض، فأرسله إلى قومه، وهم يعبدون الأصنام، فأمرهم بعبادة الله وحده، فقال: ﴿ يا قوم اعبدوا الله أي: أخلصوا له العبادة، لأن العبادة لا تصح إلا بإخلاصها. ﴿مالكم من إله غيره ﴾ فيه إبطال ألوهية غير الله، وإثبات الإلهية لله تعالى، لأنه الخالق الرازق، الذي له الكمال كله، وغيره بخلاف ذلك. ﴿أَفَلا تتقون ﴾ ما أنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام، التي صورت على صور قوم صالحين، فعبدوها مع الله، فاستمر على ذلك، يدعوهم سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، ألف سنة إلا خمسين عــامــأ، وهــم لا يــزدادون إلا عــتــوأ ونفوراً.

﴿فقال الملا﴾ من قومه الأشراف والسادة المتبوعون ـعلى وجه المعارضة لنبهم نوح، والتحذير من اتباعه ـ:

﴿مَا هَذَا إِلَا بِشِيرِ مِثْلَكُم يَرِيدُ أَنَّ يتفضل عليكم﴾ أي: ما هذا إلا بشر مثلكم، قصده حين ادعى النبوة أن

يزيد عليكم فضيلة، ليكون متبوعاً، وإلا فما الذي يفضله عليكم، وهو من جنسكم؟ وهذه المعارضة ما زالت موجودة في مكذبي الرسل، وقد أجاب الله عنها بجواب شاف، على ألسنة رسله كما في قوله: ﴿قالوا﴾ تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم، ولكن الله يمن على من يشاء من ومنته، فليس لكم أن تحجروا على الله ومنته، فليس لكم أن تحجروا على الله، وتمنعوه من إيصال فضله علينا.

وقالوا هنا: ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ وهذه أيضاً معارضة بالمشيئة باطلة، فإنه وإن كان لو شاء لأنزل ملائكة، فإنه حكيم رحيم، حكمته ورحمته تقتضي أن يكون الرسول من جنس الآدميين، لأن المَلَكَ لا قدرة لهم على مخاطبته، ولا يمكن أن يكون اللبس عليهم كما كان.

وقولهم: ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي: بإرسال رسول ﴿في آباتنا الأولين﴾ وأيُ حجة في عدم سماعهم إرسال رسول في آبائهم الأولين؟ الأنهم لم يحيطوا علماً بما تقدم، فلا يجعلوا جهلهم حجة لهم، وعلى تقدير أنه لم يرسل فيهم رسولاً، فإما أن يكونوا على الرسول إذ ذاك، وإما أن يكونوا على غيره، فليحمدوا ربهم ويشكروه أن غيره، فليحمدوا ربهم ويشكروه أن خصهم بنعمة لم تأت آباءهم، ولا شعروا بها، ولا يجعلوا عدم الإحسان على غيرهم سبباً لكفرهم للإحسان إليهم.

﴿إِن هـو إِلا رجـل بـه جـنـة ﴾ أي: مجنون ﴿فتربصوا به ﴾ أي: انتظروا به ﴿حتى حين ﴾ إلى أن يأتيه الموت.

وهذه الشُّبَهُ التي أوردوها (۱۱) معارضة لنبوة نبيهم، دالة على شدة كفرهم وعنادهم، وعلى أنهم في غاية

الجهل والضلال، فإنها لا تصلح للمعارضة بوجه من الوجوه، كما ذكرنا، بل هي في نفسها متناقضة متعارضة. فقوله: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ أثبتوا أن له عقلاً يكيدهم به، ليعلوهم ويحتاج _مع هذا _أن قولهم: ﴿إِن هو إلا رجل به جنة وهل هذا إلا من مشبه ضال، منقلب عليه الأمر، قصده الدفع بأي: طريق اتفق له، غير عالم بما يقول؟!! وعادى رسله.

فلما رأى نوح أنه لا يفيدهم دعاؤه إلا فراراً ﴿قال رب انسسرني بسما كذبون ﴿ فاستنصر ربه عليهم ، غضباً لله ، حيث ضيعوا أمره ، وكذبوا رسوله وقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ قال تعالى : ﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ﴾ .

﴿ فأوحينا إليه ﴾ عند استجابتنا له ، سبباً ووسيلة للنجاة ، قبل وقوع أسبابه ، ﴿ أَن اصنع الفلك ﴾ أي : السفينة ﴿ بأعيننا ووحينا ﴾ أي : بأمرنا لك ومعونتنا ، وأنت في حفظنا وكلاءتنا بحيث نراك ونسمعك .

﴿ فَإِذَا جِاء أُمِرنا ﴾ بإرسال الطوفان الذي عذبوا به ﴿ وَفَارِ التَّنور ﴾ أي: فارت الأرض، وتفجرت عيونا، حتى على النار، الذي لم تجر العادة إلا ببعده عن الماء، ﴿ فَاسلك فيها من كل زوجين جنس من الحيوانات، ذكراً وأنشى، تبقى مادة النسل لسائر الحيوانات، التي اقتضت الحكمة الربانية إيجادها في الأرض، ﴿ وَأَهلك ﴾ أي: أدخلهم الأرض، ﴿ وَأَهلك ﴾ أي: أدخلهم ﴿ وَلا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ كابنه، ﴿ والقدر، قد حتم أنهم مغرقون.

﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ﴾ أي: علوتم عليها، واستقلت بكم في تيار الأمواج، ولجج اليم، فاحمدوا الله على النجاة والسلامة. فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، وهذا تعليم منه له ولمن معه، أن يقولوا هذا شكراً له وحمداً على نجاتهم، من القوم الظالمين في عملهم وعذا هم.

﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين أي: وبقيت عليكم نعمة أخرى، فادعوا الله فيها، وهي أن ييسر الله لكم منزلاً مباركاً، فاستجاب الله دعاءه، قبال الله: ﴿وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين إلى أن قال: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم عن معك الآية.

﴿إِن في ذلك ﴾ أي: في هذه القصة ﴿لاَيات ﴾ تبدل على أن الله وحده المعبود، وعلى أن رسوله نوحاً صادق، وأن قومه كاذبون، وعلى رحمة الله بعباده، حيث حملهم في صلب أبيهم نوح، في الفلك لما غرق أهل الأرض.

والفلك أيضاً من آيات الله، قال تعالى: ﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾ ولهذا جمعها هنا لأنها تدل على عدة آيات ومطالب، ﴿وإن كنا لمبتلين﴾

بعدهم قرنا آخرين * فأرسلنا فيهم بعدهم قرنا آخرين * فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من وقومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا عا تشربون * ولئن أطعتم بشراً مثلكم يأكل مما أعلون منه ويشرب إنكم إذا لخاسرون * أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم غرجون * هيهات هيهات لما توعدون * إن هي إلاً حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن

بمبعوثين * إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين (۱) * قال رب انصري بما كذبون * قال عما قليل ليصبحن نادمين * فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين لل لذكر نوحاً وقومه، وكيف أهلكهم قال: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام، لأن هذه القصة تشبه قصتهم.

﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم ﴾ من جنسهم ، يعرفون نسبه وحسبه وصدقه ، ليكون ذلك أسرع لانقيادهم ، إذا كان منهم ، وأبعد عن اشمئزازهم ، فدعا إلى ما دعت إليه الرسل أعهم ﴿أن اعبدوا الله ما لكم النعوة ، وهي أول دعوة يدعون بها أعهم ، الأمر بعبادة الله ، والإخبار أنه سواه ، والإخبار ببطلان ذلك وفساده ، والإخبار ببطلان ذلك وفساده ، وليخبار ببطلان ذلك وفساده ، والمهذا قال : ﴿أنلا تتقون ﴾ ربكم ، وليجتنبوا هذه الأوثان والأصنام .

﴿وقال الملاً من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة، وأترفناهم في الحياة الدنيا ﴾ أي: قال الرؤساء الذين جمعوا بين الكفر والمعاندة، وأطغاهم ترفهم في الحياة الدنيا، معارضة لنبيهم، وتكذيباً وتحذيراً منه: ﴿مَا هَذَا إلا بشر مثلكم اي: من جنسكم ﴿ يِأْكُلُ مِمَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وِيشْرِبِ مِمَا تشربون الذي يفضله عليكم؟ فهلا كان ملكاً لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب، ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون، أي: إن تبعتموه وجعلتموه لكم رئيساً، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقدله. والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله

بوحيه، وفضله برسالته، وابتلي بعبادة الشجر والحجر.

وهذا نظير قولهم: ﴿قالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر * أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر﴾ فلما أنكروا رسالته وردوها، أنكروا ما جاء به من البعث بعد الموت، والمجازاة على الأعمال فقالوا: ﴿ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم نخرجون * هيهات هيهات لما توعدون، أي: بعيد بعيد ما يعدكم به، من البعث، بعد أن تمزقتم وكنتم ترابأ وعظاماً، فنظروا نظراً قاصراً، ورأوا هذا بالنسبة إلى قدرهم غير بمكن، فقاسوا قدرة الخالق بقدرهم، تعالى الله. فأنكروا قدرته على إحياء الموتى، وعجزوه غاية التعجيز، ونسوا خلقهم أول مرة، وأن الذي أنشأهم من العدم، فإعادته لهم بعد البلي أهون عليه، وكلاهما هين لديه، فلم لا ينكرون أول خلقهم، ويكابرون المحسوسات، ويقولون: إننا لم نزل موجودين، حتى يسلم لهم إنكارهم للبعث، وينتقلوا معهم إلى الاحتجاج على إثبات وجود الخالق العظيم؟ .

وهنا دليل آخر، وهو: أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير، وثم دليل آخر، وهو ما أجاب به المنكرين للبعث في قوله: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب * أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد فقال في جوابهم: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم أي: في البل، ﴿وعندنا كتاب حفيظ ﴾.

﴿إِن هِي إِلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ أي: يموت أناس، ويحيا أناس ﴿وما نحن بمبعوثين﴾

﴿إِنْ هُو إِلاَ رَجَلِ بِهُ جِنْهُ ﴾(٢) فلهذا أتى بِما أتى بِه، مِن توحيد الله،

⁽١) كتب الشيخ هذه الآية فقال: (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) وهذا سبق قلم منه _ رحمه الله _، وسيفسرها فيما يلي على نحو مما أثبت وقد تركت تفسيره للآيات كما هو.

⁽٢) ينظر التعليق السابق.

وإثبات المعاد ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي: ارفعوا عنه العقوبة بالقتل وغيره، احتراماً له، ولأنه مجنون غير مؤاخذ بما يتكلم به، أي: فلم يبق بزعمهم الباطل مجادلة معه، لصحة ما جاء يه، فإنهم قد عرفوا^(١) بطلانه، وإنما بقي الكلام، هل يوقعون به أم لا؟، فبزعمهم أن عقولهم الرزينة، اقتضت الإبقاء عليه، وترك الإيقاع به، مع قيام الموجب، فهل فوق هذا العناد والكفر غاية؟!! ولهذا لما اشتد كفرهم، ولم ينفع فيهم الإنذار، دعا عليهم نبيهم فقال: ﴿رب انصرني بما كذبون﴾ أي: بإهلاكهم، وخزيهم الدنيوي، قبل الآخرة. ﴿قَالَ ﴾ الله مجيباً لدعوته: ﴿عما قليل ليصبحن نادمين * فأخذتهم الصيحة بالحق الا بالظلم والجور، بل بالعدل وظلمهم، أخذتهم الصيحة، فأهلكتهم عن آخرهم.

﴿ فَجِعَلْنَاهُمْ غَثَاءُ ﴾ أي: هشيماً يبسأ بمنزلة غثاء السيل الملقى في جنبات الوادي، وقال في الآية الأخرى ﴿إِنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ .

﴿ فبعداً للقوم الظالمين ﴾ أي: أتبعوا مع عذابهم، البعد واللعنة والذم من العالمين ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾.

﴿٤٢ ـ ٤٤﴾ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون * ثم أرسلنا رسلنا تتراكل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضأ وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون ﴿ أي: ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين المعاندين قروناً آخرين، كل أمة في وقت مسمى، وأجل محدود، لا تتقدم عنه ولا تتأخر، وأرسلنا إليهم رسلاً متتابعة، لعلهم يؤمنون وينيبون، فلم يزل الكفر والتكذيب دأب الأمم العصاة، والكفرة البغاة، كلما جاء أمة رسولها كذبوه، مع أن كل رسول يأتي

من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، بل مجرد دعوة الرسل وشرعهم، يدل على حقيه ما جاؤوا به، ﴿فأتبعنا بعضهم بعضاً ﴾ بالهلاك، فلم يبق منهم باقية، وتعطلت مساكنهم من بعدهم ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ يتحدث بهم من بعدهم، ويكونون عبرة للمتقين، ونكالاً للمكذبين، وخْزياً عليهم مقروناً بعذابهم.

﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون ﴾ ما أشقاهم!!. وتعساً لهم، ما أخسر صفقتهم!!

﴿ ٤٥ ــ ٤٩ ﴾ ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين * فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لناعابدون * فكذبوهما فكانوا من المهلكين * ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون، مرعَلَى منذ زمان طويل كالام لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العداب عن الأمم، أي: عداب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أمّا حذه الأيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا، إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص، فهي صريحة جداً، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدي ورحمة لعلهم يتذكرون، فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمتم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدي ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة «يونس» من قوله:

CHARLES TO SEED TO SEE المَا مَنْ مُعْ أَمَة أَجَلُها وَمَا يَسْتَعْجُونَ ۞ ثُعَرَّ أَرْسُلْنَا رُسُلْنَا الله الله المنابعة عَمَّة رَّسُولُمَا كَنَّهُوهُ فَأَنْبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْ وَجَعَلْنَاهُمُ لَمَادِيثُ فَهُعُدًا لِقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ ثُرَّأُرْسَكُنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَذَرُونَ بِعَايَنَيْنَا وَسُلْطَانِ مُّبِينِ ۞ إِلَىٰ فِرْيَوْنَ مُّ وَمَلَدِيْهِ عَنَاسُمَتُكُمِّرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُواْ أَنْوُمِنُ لِتَنْكِينَ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَاعَبِدُونَ ۞ فَكُنَّهُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْهُلَكِينَ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنَبَ لَعَلَّهُمْ يَهْ تَدُونَ ١ وَحَعَلْنَا أَبْنَ مَرْيَمَ وَأَمَّهُ مِ اللَّهُ وَالرَّيْنَاهُمَّا إِلَّى رَقُوَةِ ذَاتِ قَرَادٍ وَمَعِينِ ۞ يَنَأَيُّهَا الرُّسُلُكُلُواٰمِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُواْ سَلِيمًا إِنِّ عِمَاتَتَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ وَإِنَّ هَلَاهِ مَ أَنَّكُمُ أَمَّةً وَحِدَةً وَأَنَارُكُمُ فَأَنَّقُونِ۞ فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمَ بِيَّنَهُمُ نُفَّرًا كُلُّحِرْبٍ يَالْدَيْهِ مِّرْخُونَ ۞ فَذَرْهُمْ فِي غَرَيْهِمْ حَقَّى حِينٍ ۞ أَيَحْسَبُونَ أَمَّا يَمْدُهُم بِهِ مِن مَالِ وَيَزِينَ ﴿ نُسَارِعُ لَمُمْ فِ ٱلْحَيْرَاتُ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ مُ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّيمٍ مُّشْفِقُونَ۞ وَٱلَّذِينَ الله عَمْدِ عَلِيَتِ رَبِيْهِ مَرْقُومُونَ ﴿ وَالَّذِينَ مُمْ بِرَبِهِ مُ لَا يَشْرِكُونَ ۞ DESCRIPTION OF THE PARTY OF THE

﴿ثُم بِعثنا من بعده﴾ أي: من بعد نوح ﴿رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين * ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون، الآيات والله أعلم.

فقوله: ﴿ثم أرسلنا موسى﴾ بن عمران، كليم الرحمن ﴿وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ حين سأل ربه أن يشركه في أمره فأجاب سؤله .

﴿بآياتنا﴾ الدالة على صدقهما وصحة ما جاءا به ﴿وسلطان مبين﴾ أي: حجة بينة، من قوتها، أن تقهر القلوب، وتتسلط عليها لقوتها فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة البينة على المعاندين، وهذا كقولُه ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات، ولهذا رئيس المعاندين عرف الحق وعاند ﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم اي: بتلك الآيات البينات ﴿فقال﴾ له ﴿فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾ ف ﴿قال﴾ موسى ﴿قال لقد علمت ما أنسزل هسؤلاء إلارب السسمساوات والأرض بصائر، وإنى لأظنك يا فرعون مشبوراً ﴾ وقال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ وقال هنا: ﴿ثم أرسلنا موسى

一個の一個の一個の وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا مَا مَا وَا وَقُلُومُهُمْ وَجِلَةً أَنَّهُمْ إِلَّى زَيْهِمْ زَلِحِتُونَ أُوْلَيْكَ يُسَكِرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَمُرْلَحَ السَيْقُونَ ۞ وَلَاثُكُلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسُعَهَا ۚ وَلَدَيْنَا كِنَبُّ يَنِطِقُ بِالْخَيِّ وَهُرَ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ بَلُ قُلُوبُهُمْ فِي عَمَرَةِ مِنْ هَاذَا وَلَهُمَ أَعْسَلُ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَمَاعَلِمِلُونَ۞حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِيهِم وِالْعَذَابِ إِذَاهُمْ يَجْنَرُونَ ۞ لَاجَنتُوا ٱلْيَوْرَّ إِنَّكُمُونَنَا لَاثْتَصَرُونَ ۞ فَكَذْ كَاتَ ءَايْتِي تُتُلَاعَلَيْكُوفَكُتُ مُعَلَّأَعَقَلِكُوتَنكِصُور : 3 مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ. سَنِيرًا تَهْجُرُونَ ۞ أَفَلَةَ يَتَّبَرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْجَلَاهُمُ مَّا لَرَيَاتِ ءَاجَآءَ مُرْأَ لَأَمِّلِنَ ۞ أَمْرَلَرَيْمَ فِحُوْارَسُولِهُ وَفَهُمْ لَكُهُ مُنكِرُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ بِدِرجِنَّةُ كُالْ جَآدَهُ مُ إِلَّحَقَّ وَأَكْرُمُ لِلْحَقِّ كَيْرِهُونَ ۞ وَلَوِ النَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهَوَآءَ هُمُ لَفَسَدَتِ السَّمَوَتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن مِنِهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِنِكْ مِهْرَفَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْ مِنْونَ ۞ أَمْ تَسْتَلْهُمْ خَرْمِنَا فَخَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَّ خَيْرًا لِرَيْقِينَ ۞ وَإِنَّكَ لَتَنْعُوهُمْ إِلَّا مِرَطِ مُّسْتَقِيمٍ ۞ ولَيْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِأَلْكِغِرَةِ عَنِ السِّرَطِ لَنَكِبُونَ عَنَ

وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين *
إلى فرعون ومَلْبِهِ ك «هامان» وغيره
من رؤسائهم، ﴿فاستكبروا﴾ أي:
تكبروا عن الإيمان بالله، واستكبروا
على أنبيائه، ﴿وكانوا قوماً عالين﴾
أي: وصفهم العلو، والقهر، والفساد
في الأرض، فله غير مستكثر منهم.

TO THE STORES

﴿فقالوا﴾ كبراً وتيهاً، وتحذيراً لضعفاء العقول، وتمويهاً: ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ كما قاله من قبلهم سواء بسواء، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم وأفعالهم، وجحدوا منة الله عليهما بالرسالة.

ووقومهما أي: بنو إسرائيل ولنا عابدون أي: معبدون بالأعمال والأشغال الشاقة، كما قال تعالى: ووإذ نسجيناكم من آل فرعون ليسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فكيف نكون تابعين بعد أن كنا متبوعين ؟! وكيف يكون هؤلاء رؤساء علينا؟! ونظير واتبعك الأرذلون وما نراك اتبعك واتبعك الأرذلون وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي . من المعلوم أن هذا لا يصلح لدفع الحق، وأنه تكذيب ومعاندة.

ولهذا قال: ﴿فكذبوهما فكانوا من

المهلكين﴾ في الغرق في البحر، وبنو إسرائيل ينظرون.

﴿ولقد آتينا موسى بعدما أهلك الله فرعون، وخلص الشعب الإسرائيلي مع موسى، وتمكن حينئذ من إقامة أمر الله فيهم، وإظهار شعائره، وعده الله أن ينزل عليه التوراة أربعين ليلة، فذهب لميقات ربه، قال الله تعالى ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ﴾. ولهذا قال هنا: ﴿لعلهم يهتدون ﴾ أي: بمعرفة تفاصيل الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ويعرفون ربهم بأسمائه وصفاته.

﴿٥٠﴾ ﴿وجعلنا ابن مريم وأمَّه آيةً وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين، أي: وامْتنَنَّا على عيسى ابن مريم، وجعلناه وأمه من آيات الله العجيبة، حيث حملته وولدته من غير أب، وتكلم في المهد صبياً، وأجرى الله على يديه من الآيات ما أجرى، ﴿وآويناهما إلى ربوة ﴾ أي: مكان مرتفع، وهذا _ والله أعلم _وقت وضعها، ﴿ ذات قرار، أي: مستقر وراحة ﴿ومعين﴾ أي: ماء جار، بدليل قوله: ﴿قد جعل ربك تحتك ♦ أي: تحت المكان الذي أنت فيه، لارتفاعه، ﴿سرياً ﴾ أي: نهراً وهو المعين ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً * فكلى واشربي وقري عيناً﴾.

﴿ ١٥ - ٥٥ ﴿ ﴿ إِنَّا أَيَّهَا الرَّسِلُ كَلُوا مِن الطيبات واعملوا صالحاً إِنِي بِمَا وَاحدَة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون * فنرهم في غمرتهم حتى حين * أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ هذا أمر منه تعالى لرسله بأكل الطيبات، التي هي الرزق الطيب بأكل الطيبات، التي هي الرزق الطيب الخلال، وشكر الله، بالعمل الصالح، والذي به يصلح القلب والبدن، والدنيا والآخرة. ويخبرهم أنه بما يعملون عليم، فكل عمل عملوه، وكل سعى

اكتسبوه، فإن الله يعلمه، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء وأفضله، فدل هذا على أن الرسل كلهم، متفقون على إباحة الطيبات من المآكل، وتحريم الخبائث منها، وأنهم متفقون على كل عمل صالح وإن تنوعت بعض أجناس المأمورات، واختلفت بها الشرائع، فإنها كلها عمل صالح، ولكن تتفاوت بتفاوت الأزمنة.

ولهذا، الأعمال الصالحة، التي هي صلاح في جميع الأزمنة، قد اتفقت عليها الأنبياء والشرائع، كالأمر بتوحيد الله، وإخلاص الدين له، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والبر، والصدق، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين واليتامي، والحُنُوُّ والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، ولهذا كان أهل العلم، والكتب السابقة، والعقل، حين بعث الله محمداً ﷺ، يستدلون على نبوته بأجناس ما يأمر به، وينهى عنه، كما جرى لهرقل وغيره، فإنه إذا أمر بما أمر به الأنبياء، الذين من قبله، ونهى عما نهوا عنه، دل على أنه من جنسهم، بخلاف الكذاب، فلا بدأن يأمر بالشر، وينهى عن الخير.

ولهذا قال تعالى للرسل: ﴿وإن هذه أمتكم أمة﴾ أي: جماعتكم _يا معشر الرسل _جماعة ﴿واحدة﴾ متفقة على دين واحد، وربكم واحد.

﴿ فاتقون بامتثال أوامري ، واجتناب زواجري . وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين ، لأنهم بهم يقتدون ، وخلفهم يسلكون ، فقال : ﴿ يَا أَيّها الذّين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون فالواجب من كل المنتسبين إلى الأنبياء وغيرهم ، أن يمتثلوا هذا ، ويعملوا به ، ولكن أبى الظالمون ويعملوا به ، ولكن أبى الظالمون المفترقون إلا عصيانا ، ولهذا قال : ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً ﴾ أي : تقطع المنتسبون إلى اتباع الأنبياء ﴿ وأمرهم ﴾ أي : دينهم ﴿ بينهم زبراً ﴾ أي : قطعاً ﴿ كل حزب بما لديم ﴾

أي: بما عندهم من العلم والدين فرحون يزعمون أنهم المحقون، وغيرهم على غير الحق، مع أن المحق منهم، من كان على طريق الرسل، من أكل الطيبات، والعمل الصالح، وما عداهم فإنهم مبطلون.

﴿فلرهم في غمرتهم ﴾ أي: في وسط جهلهم بالحق، ودعواهم أنهم هم (١) المحقون. ﴿حتى حين ﴾ أي: للى أن ينزل العذاب بهم، فإنهم لا ينفع فيهم وعظ، ولا يفيدهم زجر، وكيف يفيد من يزعم أنه على الحق، ويطمع في دعوة غيره إلى ما هو عليه ؟

وبنين *نسارع لهم في الخيرات وبنين *نسارع لهم في الخيرات أي: أيظنون أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة؟ وهذا مقدم لهم، ليس الأمر كذلك.

﴿بل لا يشعرون﴾ أنما نملي لهم ونمهلهم ونمدهم بالنعم، ليزدادوا إثماً، وليتوفر عقابهم في الآخرة، وليغتبطوا بما أوتوا ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾.

﴿٥٧ ـ ٦٢ ﴾ ﴿إن الذين هـم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون * ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتابٌ ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ لما ذكر تعالى الذين جمعوا بين الإساءة والأمن، الذين يزعمون أن عطاء الله إياهم في الدنيا دليل على خيرهم وفضلهم، ذكر الذين جمعوا بين الإحسان والخوف، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةً رَبُّهُمْ مشفقون﴾ أي: وجلون، مشفقة قلوبهم كل ذلك من خشية ربهم، خوفاً

أن يضع عليهم عدله، فلا يبقى لهم حسنة، وسوء ظن بأنفسهم، أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله تعالى، وخوفاً على إيمانهم من الزوال، ومعرفة منهم بربهم، وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب، والتقصير في الواجبات.

والذين هم بآيات ربهم يؤمنون اي: إذا تليت عليهم آيات وادتهم إيماناً، ويتفكرون أيضاً في الآيات القرآنية ويتدبرونها، فيبين لهم من معاني القرآن وجلالته واتفاقه، وعدم اختلافه وتناقضه، وما يدعو إليه من معرفة الله وخوفه ورجائه، وأحوال الجزاء، فيحدث لهم بذلك من تفاصيل الإيمان، ما لا يعبر،عنه اللسان.

ويتفكرون أيضاً في الآيات الأفقية، كما في قوله: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والسهار لآيات لأولي الألباب إلى آخر الآيات.

﴿والذين هم بربهم لا يشركون أي: لا شركاً جلياً، كاتخاذ غير الله معبوداً، يدعوه ويرجوه ولا شركاً خفياً، كالرياء ونحوه، بل هم خلصون لله، في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم.

﴿والذين يوتون ما آتوا أي: يعطون من أنفسهم مما أمروا به، ما آتوا من كل ما يقدرون عليه، من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة، وغير ذلك، ﴿وَ هُ مِع هذا ﴿قلوبهم وجلة ﴾ أي: خائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين يديه، أن تكون أعمالهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العادات.

﴿ أُولِنُكُ يسارعون في الخيرات ﴾ أي: في ميدان التسارع في أفعال

الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه، قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفي عند ربهم، فنافسوهم. ولما كان المسابق لغيره المسارع قد يسبق لجده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين فقال:

﴿وهم لها﴾ أي: للخيرات ﴿سابقون﴾ قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون. ولما ذكر مسارعتهم إلى الخيرات وسبقهم إليها، ربما وهم واهم أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور أو متعسر، أخبر تعالى أنه لا يكلف ﴿نفساً إلا وسعها﴾ أي: بقدر ما تسعه، ويفضل من قوتها عنه، ليس مما يستوعب قوتها، رحمة منه وحكمة، لتيسير طريق الوصول إليه، ولتعمر جادة السالكين في كل وقت إليه. ﴿ولدينا كتاب ينطق بآلحق﴾ وهو الكتاب الأول، الذي فيه كل شيء، وهو يطابق كل واقع يكون، فلذلك كان حقاً، ﴿وهم لا يظلمون﴾ ينقص من إحسانهم، أو يزداد في عقوبتهم وعصيانهم.

﴿ ٣٣ - ٣٧ ﴾ ﴿ بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون * حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون * لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون * قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامراً تهجرون * يجبر تعالى أن قلوب الكذبين في غمرة من هذا، أي: وسط غمرة من الجهل والظلم، والغفلة والإعراض، تمنعهم من الوصول إلى هذا القرآن، فلا يهتدون به، ولا يصل

إلى قلوبهم منه شيء. ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً * وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي غمرة منه، عملوا بحسب هذا الحال، من الأعمال الكفرية، والمعاندة للشرع، ما هو موجب لعقابهم، ﴿و﴾ لكن هم لها عاملون﴾ أي: فلا يستغربوا عدم وقوع العذاب فيهم، فإن الله يمهلهم ليعملوا هذه الأعمال، التي يمهلهم ليعملوا هذه الأعمال، التي عملوها واستوفوها، انتقلوا بشر حالة على غضب الله وعقابه.

وحتى إذا أخذنا مترفيهم أي: متنعميهم، الذين ما اعتادوا إلا الترف والرفاهية والنعيم، ولم تحصل لهم المكاره، فإذا أخذناهم وبالعذاب ووجدوا مَسّه وإذا هم يجأرون يصرخون ويتوجعون، لأنه أصابهم أمر خالف ما هم عليه، ويستغيثون، فيقال لهم: ولا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون وإذا لم تأتهم النصرة من الله، وانقطع عنهم (١) الغوث من جانبه، لم يستطيعوا نصر أنفسهم، ولم ينصرهم أحد.

فكأنه قيل: ما السبب الذي أوصلهم إلى هذا الحال؟ قال: ﴿قد كانت آيات تتلي عليكم التؤمنوا بها وتقبلوا عليها، فلم تفعلوا ذلك، بل ﴿كنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي : راجعين القهقري إلى الخلف، وذلك لأن باتباعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون وينزلون إلى أسفل سافلين. ﴿مستكبرين به سامراً تهجرون، قال المفسرون معناه: مستكبرين به، الضمير يعود إلى البيت، المعهود عند المخاطبين، أو الحرم، أي: متكبرين على الناس بسببه، تقولون: نحن أهل الحرم، فنحن أفضل من غيرنا وأعلى، ﴿سامراً ﴾أي: جماعة يتحدثون بالليل حبول البيت

﴿تهجرون﴾ [أي: تقولون الكلام الهجر الذي هو القبيحُ في آ^(۲) هذا القرآن. فالمكذبون كانت طريقتهم في القرآن، الإعراض عنه، ويوصي بعضهم بعضاً بذلك ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ وقال الله عنهم: فيه لعلكم تغلبون﴾ وقال الله عنهم: وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون﴾ ﴿أم يقولون تقوله﴾.

فلما كانوا جامعين لهذه الرذائل، لا جرم حقت عليهم العقوبة، ولما وقعوا فيها، لم يكن لهم ناصر ينصرهم، ولا مغيث ينقذهم، ويوبخون عند ذلك بهذه الأعمال الساقطة ﴿أفلم يدبروا القول﴾أي: أفلا يتفكرون في القرآن ويتأملونه أي: فإنهم لو تدبروه، لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه، ودل هذا على أن تدبر القرآن، يدعو إلى كل خير، ويعصم من كل شر، والذي منعهم من ويعصم من كل شر، والذي منعهم من تدبره أن على قلوبهم أقفالها.

﴿أُم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ﴾ أي: أو منعهم من الإيمان ، أنه جاءهم رسول وكتاب ، ما جاء آباءهم الأولين ، فرضوا بسلوك طريق آبائهم الضالين ، وعارضوا كل ما خالف ذلك ، ولهذا قالوا ، هم ومن اشكفار ، ما أخبر الله عنهم : ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا مقتدون ﴾ فأجابهم بقوله : ﴿قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ مقتدون إن كان قصدكم الحق ، فاجابوا بحقيقة أمرهم ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ .

وقوله: ﴿أَم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾أي: أو منعهم من اتباع الحق، أن رسولهم محمداً ﷺ، غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟

يقولون: لا نعرفه، ولا نعرف صدقه، دعونا حتى ننظر حاله ونسأل عنه من له به خبرة، أي: لم يكن الأمر كذلك، فإنهم يعرفون الرسول معرفة تامة، صغيرهم وكبيرهم يعرفون منه كل خلق جميل، ويعرفون صدقه وأمانته، حتى كانوا يسمونه قبل البعثة جاءهم بالحق العظيم، والصدق المبن؟.

﴿أُم يقولون به جنة ﴾ أي: جنون، فلهذا قال ما قال، والمجنون غير مسموع منه، ولا عبرة بكلامه، لأنه يهذي بالباطل والكلام السخيف.

قال الله في الرد عليهم في هذه المقالة: ﴿ بِلِّ جاءهم بالحقِّ أي: بالأمر الشابت، الذي هو صدق وعدل، لا اختلاف فيه ولا تناقض، فكيف يكون من جاء به، به جنة؟! وهلا يكون إلا في أعلى درج الكمال، من العلم والعقل ومكارم الأخلاق، وأيضاً فإنَّ في هذا الانتقالُ مما تقدم، أى: بل الحقيقة التي منعتهم من الإيمان أنه جاءهم بالحق ﴿وأكثرهم للحق كارهون) وأعظم الحق الذي جاءهم به إخلاص العبادة لله وحده، وترك ما يعبد من دون الله، وقد علم كراهتهم لهذا الأمر وتعجبهم منه، فكون الرسول أتى بالحق، وكونهم كارهين للحق بالأصل، هو الذي أوجب لهم التكذيب بالحق لا شكأ ولا تكذيباً للرسول، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمُ لَا يَكَذَّبُونَكُ وَلَكُنَّ الظَّالَمِينَ بآيات الله يحجدون الله فيل: لم لم يكن الحق موافقاً لأهوائهم لأجل أن يؤمنوا ويسرعوا الانقياد؟ أجاب تعالى بقوله: ﴿ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض الهووجه ذلك أنّ أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو تبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، لفساد التصرف والتدبير المبنى على الطلم وعدم العدل،

فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل فربل أتيناهم بذكرهم أي: بهذا القرآن المذكر لهم بكل خير، الذي به فخرهم وشرفهم، حين يقومون به، ويكونون به سادة الناس.

﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ شقاوة منهم، وعدم توفيق ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ فالقرآن ومن جاء به، أعظم نعمة ساقها الله إليهم، فلم يقابلوها إلا بالرد والإعراض، فهل بعد هذا الحرمان حرمان؟ وهل يكون وراءه إلا نهاية الحسران؟.

﴿٧٧﴾ ﴿أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خيرٌ وهو خيرُ الرازقين﴾ أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد، أنك تسألهم على الإجابة أجراً ﴿فهم من مغرم مثقلون من اتباعك، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ليس الأمر كذلك ﴿فخراج ربك خير وهو خير الرازقين، وهذا كما قال الأنبياء لأممهم: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الله﴾ أي: ليسوا يدعون الخلق طمعاً فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنما يدعون نصحاً لهم، وتحصيلاً لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال.

ي (٧٧ - ٤٧) ﴿ وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم * وإن النيس وسراط مستقيم * وإن النيس لا يؤمنون بالآخرة عن المصراط لناكبون ﴿ ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات، كل سبب موجب للإيمان، وذكر الموانع، وبين فسادها، واحد، فذكر من الموانع أن المقول، وأنهم أي يدبروا القول، وأنهم اقتدوا بآبائهم، وأنهم عالوا: برسولهم جنة، كما تقدم الكلام عليها، وذكر من الأمور الموجبة عليها، وذكر من الأمور الموجبة نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال

الرسول محمد ﷺ، وكمال صدقه وأمانته، وأنه لا يسألهم عليه أجرأ، وإنما سعيه لنفعهم ومصلحتهم، وأن الذي يدعوهم إليه صراط مستقيم، سهل على العاملين لاستقامته، موصل إلى المقصود، من قرب حنيفية سمحة، حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، فدعوتك إياهم إلى الصراط المستقيم، موجبٌ لمن يريد الحق أن يتبعك، لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتابعوك؟ فإنهم ليس عندهم مايغنيهم ويكفيهم عن متابعتك، لأنهم ﴿عن الصراط لناكبون، متجنبون منحرفون، عن الـطــريــق الموصــل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات.

وهكذا كل من خالف الحق، لا بد أن يكون منحرفاً في جميع أموره، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِكُ فَاعِلْمُ أَنْمَا يَتَبِعُونَ أَهُواءُهُمْ ومن أَصْلُ مَن الله ﴾ .

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون * ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون * حتى إذا فتحنا عليهم باباً هذا بيان لشدة تمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف عنهم لحوا، أو ابتلاهم بذلك ليرجعوا إليه. إن الله إذا كشف الضر عنهم لحوا، أي: استمروا في طغيانهم يعمهون، أي: يجولون في كفرهم، حائرين مترددين.

كماذكر الله حاله م عندركوب الفلك، وأنهم يدعونه مخلصين لهالدين، وينسون مايشركون به، فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بالشرك وغيره.

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب ﴿قال المُفسرون: المراد بذلك: الجوع الذي أصابهم سبع سنين، وأن الله ابتلاهم

TO SECURITY OF THE PARTY OF THE • وَلَوْرَجَهُنَاهُمُ وَكُنَّفُنَا مَا بِهِ مِينَ ضُرِّ لَّلَجُوا فِ مُلْغَيِّنَاهِمُ إِلَّا يَعْمَهُونَ ۞ وَلَقَدْ أَعَذْنَهُم إِلْمَكَاٰبِ فَمَا أَسْتَكَانُولُ ﴾ لِرَبُهِمْ وَمَا يَضَمَّرُعُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا فَغَنَا عَلَيْهِمِ بَابَاذَا عَذَابٍ ﴾ شَدِيدٍ إِذَاهُ مُرفِيهِ مُثْلِسُونَ ۞ وَهُوَالَّذِيَّ أَنشَأَلَكُمُ السَّنْمُ وَالْأَبْصَلَرَ وَالْأَفْدَةُ قَلِيلًا مَّاتَشْكُرُونَ ٥ وَهُوَٱلَّذِي ذَرَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تَحْتَشُرُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي يُتِيء وَيُمِتُ وَلَهُ ٱخْتِلَفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَ ٱلْإِلَا تَعْقِلُونَ ﴿ بَنْ قَالُواْمِثْلُ مَاقَالَ ٱلْأَوْلُونَ ﴿ قَالُواْ لَهِ ذَامِتُنَا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَءِ نَا لَبَعُوثُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا نَعَنُ وَءَ ابَا أَوْيَا هَلَا مِن قَبْلُ إِنْ هَلَذَاۤ إِلَّاۤ أَسَلِيلُ ٱلْأَوَّلِينَ الله المُرْوَفُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُوتَ عَلَوْن اللهُ الله سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَتِ السَّبْعِ وَزَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيرِ ۞ سَيَقُولُونَ يَدِّهِ قُلْ أَفَلَا نَشَّقُونَ ا ﴿ قُلْ مَنْ بِيدِهِ مَلَكُونَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَيُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ اللهُ اللَّهُ اللَّ AND THE PROPERTY

والاستسلام، فلم ينجع فيهم، ولا نجح منهم أحد، ﴿فَمَا استكانوا لربهم) أي: خضعوا وذلوا ﴿وما يتضرعون﴾ إليه ويفتقرون، بل مَرَّ عليهم ذلك ثم زال، كأنه لم يصبهم، لم يزالوا في غيهم وكفرهم، ولكن وراءهم العذاب الذي لا يرد، وهو قوله: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد كالقتل يوم بدر وغيره، ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ آيسون من كل خير، قد حضرهم الشر وأسبابه، فَلْيَحْدُدُوا قبل نَزول عنذاب الله الشديد، الذي لا يرد، بخلاف مجرد العذاب؛ فإنه ربما أقلع عنهم، كالعقوبات الدنيوية، التي يؤدب الله بها عباده. قال تعالى فيها: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون).

﴿٨٧ ـ ٠٨﴾ ﴿وهو اللذي أنسأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون * وهو الذي يبي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾ يجبر تعنل بمننه على عباده الداعية (١٠) لهم إلى شكره، والقيام بحقه فقال: ﴿وهو الذي أنشأ لكم بحقه فقال: ﴿وهو الذي أنشأ لكم

CONTRACTOR SECURITY نَا أَتَنْكُمُ مَا ثَخَةً وَالْمُنْ لَكِنْدُونِ ﴾ مَا أَتَّخَذَا أَمُّون وَلَدُ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ اللَّهُ إِنَّا لَيْهَ كُلُّ اللَّهُ عَاضَاقًا وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضُ سُبَحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِهُونَ ۞ عَلَمُ الْغَنْفُ وَالشَّهَا لَهُ وَتَعَكَّلُ عَمَّا اللَّهِ كُونَ ۞ قُل رَّبِ إِمَّا تُرِيَقِ مَا يُوَعَدُونَ ۞ رَبِّ فَلَا تَجْعَلُنِ فِي أَلْقَهُ ٱلفَّاللهنَ ۞ وَإِنَّا عَلَيْ أَن زُّرَكِ مَانِعَهُ ثُوُّ لَقَادِرُونَ ﴿ آدْ فَعَرِ بِالَّتِي مِنَ أَحْسَنُ السَّيْنَةَ غَنُ أَعَلَرُ بَمَا يَصِعُونَ ﴿ وَقُل زَّبَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَكَزَتِ ٱلشَّيْطِين ﴿ وَأَعُودُ بِكَ رَبِّ أَن يَعْفُرُونِ ﴿ حَتَّى إِذَاجَاءَ أَحَدَهُمُ الْقُوتُ قَالَ رَبُ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلَ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكَتُ كُلَّا إِنَّهَاكِلِمَةً هُوَقَا لِلْمَأْوَمِن وَزَابِهِ دِبْرُزَخُ إِلَّى تَوْمِرُبُكُونَ ﴿ فَإِذَا نُعِنَمَ فِي ٱلصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ يَلِنَهُ يَوْمَ ذِوَلَا يَتُسَآَّهُ لُونَ ﴿ فَنَ تَقُلَتْ مَوْزِينُهُ مَأْوَلِينَ مُمُ الْقُلِحُونَ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ مَا أُولَلَيْكَ الَّذِينَ خَيدُرُوٓ أَلْفُسَكُمْ فِيجَهَ لَمْرَ إلى خَلِدُونَ ۞ تَلْفَتُ وُجُوهَهُ مُ النَّارُوهُ مِنهَا كَلِحُونَ ۞

السمع في لتدركوا به السموعات، فتنتفعوا في دينكم ودنياكم، (والأبصار) لتدركوا بها المصرات، فتنفعوا بها(١) في مصالحكم.

﴿والأفشدة ﴾ أي: العقول التي تدركون بها الأشياء، وتتميزون بها عن البهائم، فلو عدمتم السمع، والأبصار، والعقول، بأن كنتم صماً عمياً بكماً ماذا تكون حالكم؟ وماذا تفقدون من ضرورياتكم وكمالكم؟ أفلا تشكرون الذي مَنْ عليكم بهذه النعم، فتقومون بتوحيده وطاعته؟. ولكنكم، مع توالي النعم عليكم.

﴿وهو﴾ تعالى ﴿الذي ذراكم في الأرض﴾ أي: بشّكم في أقطارها، وجهاتها، وسلطكم على استخراج مصالحها وجعلها كافية تحشرون﴾ بعد موتكم، فيجازيكم بما عملتم في الأرض، من خير وشر، وتحدث الأرض التي كنتم فيها بأخبارها، ﴿وهو﴾ تعالى وحده ﴿الذي يعيى ويميت﴾ أي: المتصرف في الحياة والموت، هـو الله وحده، ﴿ولسه اختلاف الليل والنهار﴾ أي: تعاقبهما

وتناويهما، فلو شاء أن يجعل النهار سرمداً، من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟ ولو شاء أن يجعل الليل سرمداً، مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تبصرون؟. ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾.

ولهذا قال هنا: ﴿أفلا تعقلون﴾ فتعرفون أن الذي وهب لكم من النعم، السمع، والأبصار، والأفتدة، والذي نشركم في الأرض وحده، والذي يحيي ويميت وحده، والذي يتصرف بالليل والنهار وحده، أن ذلك موجب لكم، أن تخلصوا له العبادة من وحده لا شريك له، وتتركوا عبادة من لا ينفع ولا ينضر، ولا يتصرف بشيء، بل هو عاجز من كل وجه، فلو كان لكم عقل لم تفعلوا ذلك.

﴿ ٨١ _ ٣٨ ﴾ ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أعِذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون * لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إنْ هذا إلاَّ أساطير الأولين ﴾ أي: بـل سـلـك هـؤلاء المكذبون مسلك الأولين من المكذبين بالبعث، واستبعدوه غاية الاستبعاد وقالوا: ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ﴾ أي: هذا لا يتصور، ولا يدخل العقل، بزعمهم.

﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ﴾ أي: ما زلنا نوعد بأن البعث كائن، نحن وآباؤنا، ولم نره، ولم يأت بعد، ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ أي: قصصهم وأسمارهم، التي يتحدث بها وتُلهى، وإلا فليس لها حقيقة، وكذبوا - قبحهم الله فإن الله أراهم، من آياته أكبر من البعث، ومثله، ﴿للق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾.

﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ الآيات ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها

الماء اهتزت وربت ﴾ الآبات.

﴿٨٤ _ ٨٩﴾ ﴿قـــل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قبل أفيلا تذكرون * قبل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قُل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنت تعلمون * سيقولون لله قل فأتَّى تسحرون الى: قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجاً عليهم بما أثبتوه، وأقروا به من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، ويما أثبتوه من خلق ألمخلوقات العظيمة، على ما أنكروه من إعادة الموتى، الذي هو أسهل من ذلك.

﴿ لَمْ الأرض ومن فيها ﴾ أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات، وجماد، وبحار، وأنهار، وجبال، المالك لذلك، المدبر له؟ فإنك إذا سألتهم (٢) عن ذلك، لا بدأن يقولوا: لله وحده، فقل لهم إذا أقروا بذلك: ﴿أَفَلَا تَذَكُّرُونَ﴾ أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عندكم، مستقر في فطركم، قد يغيبه الإعراض في بعض الأوقات، والحقيقة أنكم إن رجعتم إلى ذاكرتكم، بمجرد التأمل، علمتم أن مالك ذلك، هو المعبود وحده، وأن إلهية من هو عملوك، أبطل الباطل، ثم انتقل إلى ما هو أعظم من ذلك، فقال: ﴿قل من رب السماوات السبع، وما فيها من النيرات، والكواكب السيارات، والثوابت ﴿وربِ العرش العظيم﴾ الذي هو أعلى المخلوقات وأوسعها وأعظمها، فمن الذي خلق ذلك ودبسره، وصبرفه بأنبواع المتدبير؟ ﴿سيقولون شه أي: سيقرون بأن الله رب ذلك كله.

قل لهم حين يقرون بذلك: ﴿أَفْلا تتقون﴾ عبادة المخلوقات العاجزة،

⁽١) كذا في ب، وفي أ: لتدركوا به المبصرات، فتنتفعون به.

⁽٢) في أ: سألتم.

وتتقون الرب العظيم، كامل القدرة، عظيم السلطان؟ وفي هذا من لطف الخطاب، من قوله: ﴿أَفلا تَذْكرون﴾ ﴿أَفلا تَتْقرنُ وَالوعظ بأداة العرض الجاذبة للقلوب، ما لا يخفى. ثم انتقل لي إقرارهم بما هو أعم من ذلك كله فقال: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ أي: ملك كل شيء، من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نبصره، وما لا نبصره؟.

و «الملكوت»: صيغة مبالغة، بمعنى الملك. ﴿وهو يجير﴾ عباده من الشر، ويدفع عنهم المكاره، ويحفظهم مما يضرهم، ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: لا يقدر أحد أن يجير على الله، ولا يدفع الشر الذي قدره الله. بل ولا يستفع أحد عنده إلا بإذنه، يشفع أحد عنده إلا بإذنه، المالك لكل شيء، المجير، الذي لا يجار عليه.

﴿قل﴾ لهم حين يقرون بذلك، ملزماً لهم، ﴿فأنى تسحرون﴾ أي: فأين تذهب عقولكم، حيث عبدتم من علمتم أنهم لا ملك لهم، ولا قسط من الملك، وأنهم عاجزون من جيع الوجوه، وتركتم الإخلاص للمالك فالعقول التي دلتكم على هذا، لا تكون فالعقول التي دلتكم على هذا، لا تكون يحرها الشيطان، بما زين لهم، وحسن لهم، وقلب الحقائق لهم، فسحر عقولهم، كما سحرت السحرة أعين الناس.

﴿ ٩٠ - ٩٢﴾ ﴿ بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله سبحان الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ يقول تعالى: بل أتينا هؤلاء المكذبين بالحق، المتضمن للصدق في الأخبار، العدل في الأمر والنهي، فما بالهم لا يعترفون به، وهو أحق أن يتبع؟ وليس عندهم

ما يعوضهم عنه، إلا الكذب والظلم، ولهذا قال: ﴿وإنهم لكاذبون﴾.

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ كذب يعرف بخبر الله، وخبر رسله، ويعرف بالعقل الصحيح، ولهذا نبه تعالى على الدليل العقلي، على امتناع إلهين فقال: ﴿إِذَا ﴾ أي: لو كان معه آلهة كما يقولون ﴿لذهب كل إلٰه مما خلق، أي: لانفرد كل واحد من الإلهين بمخلوقاته واستقل بها، ولحرص على ممانعة الآخر ومغالبته، ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ فالغالب يكون هو الإله، وإلا فمع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا يتصور أنَّ ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول، واعتبر ذلك بالشمس والقمر، والكواكب الثابتة، والسيارة، فإنها منذ خلقت، وهي تجري على نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة على مصلحة أحد دون أحد، ولن ترى فيها خللاً ولا تناقضاً، ولا معارضة في أدنى تصرف، فهل يتصور أن يكون ذلك، تقدير إلهين رَبِّيْن!!

﴿سبحان الله عما يصفون ﴾ قد نطقت بلسان حالها، وأفهمت ببديع أشكالها، أن المدبر لها إله واحد، كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلْهَيَّتُهُ لَهَا ، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة، ولهذا نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: ﴿عالم الغيب﴾ أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات والمستحيلات والممكنات، ﴿ والشهادة ﴾ وهو ما نشاهد من ذلك ﴿فتعالى أي: ارتفع وعظم، ﴿عما يشركون، به، من لأعلم عنده، إلا ما علمه الله(١)

﴿۹۳ _ ۹۰﴾ ﴿قل رب إما ترينى

ما يوعدون * رب فلا تجعلني في القوم الظالمين * وإنّا على أن نريك ما نعدهم لقادرون، لما أقام تعالى على المكذبينُ أدلته العظيمة، فلم يلتفتوا لها، ولم يذعنوا لها، حق عليهم العذاب، ووعدوا بنزوله، وأرشد الله رسوله أن يقول: ﴿قبل رب إما تريني ما بوعدون اي : أي وقت أريتني عذابهم، وأحضرتني ذلك، ﴿ربِ فلا تجعلني في القوم الظالمين، أي: اعصمني واحمني، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنقم، واحمني أيضاً من العذاب الذي ينزل بهم، لأن العقوبة العامة تعم ـعند نزولها ـ العاصى وغيره، قال الله في تقريب عذابهم: ﴿وإناعلى أن نريك ما نعدهم لقادرون، ولكن إنَّ أخرناه فلحكمة، وإلا، فقدرتنا صالحة لإيقاعه فيهم.

﴿٩٦ ــ ٩٨﴾ ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقبل ربّ أعبوذ بك من همزات السسياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون، هذا من مكارم الأخلاق، التي أمر الله رسوله بها فقال: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة) أي: إذا أساء إليك أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، أنه تخف الإساءة عنك، في الحال، وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب، قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ وقال تعالى: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها ، أي: ما يوفق لهذا الخلق الجميل ﴿إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ

عظيم﴾.

وقوله: ﴿نحن أعلم بِما يصفون﴾ أى: بما يقولون من الأقوال المتضمنة للكفر والتكذيب بالجق، قد أحاط علمنا بذلك، وقد حلمنا عنهم، وأمهلناهم، وصبرنا عليهم، والحق لنا، وتكذيبهم لنا، فأنت _يا محمد _ ينبغي لك أن تصبر على ما يقولون، وتقابلهم بالإحسان، هذه(١) وظيفة العبد في مقابلة المسيء من البشر، وأما المسيء من الشياطين، فإنه لا يفيد فيه الإحسان، ولا يدعو حزبه إلا ليكونوا من أصحاب السعير ، فالوظيفة في مقابلته، أن يسترشد ما أرشد الله إليه رسوله فقال: ﴿وقل رب أعوذ بك﴾ أي: اعتصم بحولك وقوتك متبرئاً من حولي وقوق ﴿من همزات الشياطين * وأعوذ بـك رب أن يحـضـرون﴾ أي: أعوذ بك من الشر الذي يصيبني بسبب مباشرتهم وهمزهم ومسّهم، ومن الشر الذي بسبب حضورهم ووسوستهم، وهذه (٢) استعاذة من مادة الشركله وأصله، ويدخل فيها، الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان، ومن مسه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر، وأجاب دعاءه، سلم من كل شر، ووفق لكل خير.

﴿ ٩٩ - ٩٠٠ ﴾ ﴿ حستسى إذا جساء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة يبعثون ﴾ يخبر تعالى عن حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، وإنما ذلك يقول:

﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ من العمل، وفرطت في جنب الله. ﴿كلا﴾ أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون،

﴿إنها﴾ أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿كلمة هو قائلها﴾ أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضاً غير صادق في ذلك، فإنه لو رُدَّ لعاد لما نُهى عنه.

﴿ومسن ورائسهم بسرزخ إلى يسوم يبعثون﴾ أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليُعدوا له عُدِّته، وليأخذوا له أهبته.

﴿١٠١﴾ ١١٤﴾ ﴿ فَإِذَا نَفَحَ فَى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولآ يتساءلون * فبمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون * تلفح وجوههم النَّار وهم فيها كالحون * أَلَّم تكن آياتٍ ا تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومأ ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون * إنّه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون * إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون * قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أوبعض يوم فأسأل العادين * قال إن لبثتم إلاّ قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون، يخبر تعالى عن هول يوم القيامة، وما في ذلك اليوم، من المزعجات والمقلقات، وأنه إذا نفخ في الصور نفخة البعث، فحشر الناس أجمعون، لميقات يوم معلوم، أنه يصيبهم من الهول ما ينسيهم أنسابهم، التي هي أقوى الأسباب، فغير

الأنساب من باب أولى، وأنه لا يسأل أحد أحداً عن حاله، لاشتغاله بنفسه، فلا يدري هل ينجو نجاة لا شقاوة بعدها؟ أو يشقى شقاوة لا سعادة بعدها؟ قال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنهه (٣).

وفي القيامة مواضع، يشتد كربها، ويعظم وقعها، كالميزآن الذي يميز به أعمال العبد، وينظر فيه بالعدل ما له وما عليه، وتبين فيه مثاقيل الذر، من الخير والشر، ﴿فمن ثقلتُ موازينه﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ لنجاتهم من النار، واستحقاقهم الجنة، وفوزهم بالثناء الجميل، ﴿وَمَنْ خَفَّتُ مُوازِّينَهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته، وأحاطت بها خطيئاته ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ كل خسارة، غير هذه الخسارة، فإنها _ بالنسبة إليها _ سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، لا يجبر مصابها، ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة، التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوَّتها هذا النعيم المقيم، في جوار الرب الكريم.

وفي جهنم خالدون لا يخرجون منها أبد الآبدين، وهذا الوعيد، إنما هو كما ذكرنا، لمن أحاطت خطيئاته بحسناته، ولا يكون ذلك إلا كافراً، فعلى هذا، لا يحاسب محاسبة من توزن لهم، ولكن تُعَدُّ أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون فيوقفوت عليها، ويقررون بها، ويخزون بها، وأما من معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته، فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار، لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

ثم ذكر تعالى، سوء مصير الكافرين

⁽١) في الموضعين في النسختين: هذا.

⁽٢) في الموضعين في النسختين: هذا.

⁽٣) في النسختين وقع تداخل بين آيات سورة عبس وآيات سورة المعارج فكانت أقرب إلى آيات سورة عبس فأثبتها منها.

فقال: ﴿تلفح وجوههم النار﴾ أي: تغشاهم من جميع جوانبهم، حتى تصيب أعضاءهم الشريفة، ويتقطع لهبها عن وجوههم، ﴿وهم فيها كالحون و قدعبست وجوههم، وقلصت شفاههم، من شدة ما هم فيه، وعظيم ما يلقونه، فيقال لهم _ توبيخاً ولوماً _: ﴿أَلَمْ تَكُنُّ آيَاتِي تَتَّلَّى عليكم الدعون بها، لتؤمنوا، وتعرض عليكم لتنظروا، ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ ظلماً منكم وعناداً، وهي آيسات بسينسات، دالات عسلي الحسق والباطل، مبينات للمحق والبطل، فحينتذ أقروا بظلمهم، حيث لا ينفع الإقرار ﴿قالوا ربنا خلبت علينا شقوتنا﴾ أي: غلبت علينا الشقاوة الناشئة عن الظلم والإعراض عن الحق، والإقبال على ما يضر، وترك ما ينفع ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ في عملهم، وإنَّ كانوا يدرون أنهم ظالمُون، أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه، كما قالوا في الآية الأخرى: ﴿وقالوا لوكنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير♦ .

﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ وهم كاذبون في وعدهم هذا، فإنهم كما قال تعالى: ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾ ولم يُبْق الله لهم حجة، بل قطع أعذارهم، وعمَّرهم في الدنيا، ما يتذكر فيه [من] المتذكر، ويرتدع فيه المجرم، فقال الله جواباً لسؤالهم: ﴿ احسؤوا فيها ولا تكلمون القول _نسأله تعالى العافية - أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون في التخييب، والتوبيخ، والذل، والخسار، والتأييس من كل خير، والبشرى بكل شر، وهذا الكلام والغضب من الرب الرحيم، أشد عليهم وأبلغ في نكايتهم من عذاب الجحيم، ثم ذكر الحال التي أوصلتهم إلى العذاب، وقطعت عنهم الرحمة فقال: ﴿إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت

خير الراحمين فجمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة، والتوسل إليه بربوبيته، ومنته عليهم بالإيمان، والإخبار بسعة رحمته، وعموم إحسانه، وفي ضمنه، ما يدل على خضوعهم وخشوعهم، وانكسارهم لربهم، وخوفهم ورجائهم.

فهؤلاء سادات الناس وفضلاؤهم، ﴿فاتخذتموهم﴾ أيها الكفرة الأنذال ناقصو العقول والأحلام ﴿سخرياً﴾ تهزؤون بهم وتحتقرونهم، حتى اشتغلتم بذلك السفه.

﴿حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون﴾ وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر، اشتغالهم بالاستهزاء بهم، كما أن نسيانهم للذكر، يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟!

﴿إِنِ جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على طاعتي، وعلى أذاكم، حتى وصلوا إلى.

﴿أنهم هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم، والنجاة من الجحيم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ الآيات.

﴿قال﴾ لهم على وجه اللوم، وأنهم سفهاء الأحلام، حيث اكتسبوا في هذه المدة اليسيرة كل شر أوصلهم إلى غضبه وعقوبته، ولم يكتسبوا ما اكتسبه المؤمنون [من] الخير، الذي يوصلهم إلى السعادة الدائمة ورضوان ربهم.

كم لبثتم في الأرض عدد سنين *
قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم كلامهم
هذا، مبنيً على استقصارهم جداً، لمدة
مكثهم في الدنيا وأفاد ذلك، لكنه لا
يفيد مقداره، ولا يعينه، فلهذا قالوا:
فأسأل العادين أي: الضابطين
ليعدده، وأما هم، فضي شعفل
شاغل(١)، وعذاب مذهل، عن معرفة
عدده، فقال لهم: ﴿إن لبشتم إلا

CHANGE IT DESCRIBE الَّمْ تَكُنْ ءَائِنِي تُتَّالَ عَلَيْكُمْ فَكُتُ مِنِهَا تُكَذِيهُونَ ۞ قَالُواْرَيِّنَاعَلَيْتُ عَلَيْنَا شِغُوتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِينَ ۞ رَبِّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۞ قَالَ أَخْسَعُواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۞ إِنَّهُكَا كَ فِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَـ تُولُونَ رَبُّنَا ءَامَنَا فَأَغْ فِرَلْنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلزَّحِيدِ فَ فَأَتَّخَاذَ نُتُوهُمْ مِنْ يِنَّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُوفِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنَّ جَزَّتُهُ مُوالْيُومَ بِمَاصَبُرُوۤا أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآ إِزُونَ ۞ قَالَكَ مْرَاِّثْ تُرْفِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ @ قَالُواْ لِيَثْنَايُومًا أَوْبَعْضَ يَوْمِ فَسَنَالِ لَعَآدِينَ ۞ قَلَ إِن لِيثَمُّ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُرُ كُنُّهُ تَعَالَمُونَ ۞ أَغْتِيبَتُمُ أَنَّا خَلَفْنَكُمْ عَنَا وَأَنَّكُمُ إِلَيْنَا لَازُّجَعُونَ ۞ فَعَلَى اللَّهُ ٱلْلَافُ ٱلْخُلَّ لَآإِلَة إِلَّاهُورَبُّ الْعَرْشِ ٱلْكَيرِيمِ ۞ وَمَن يَنْعُ مَعَ أَنَّولِهُمَّا الخراك برهان للهيد فإنما وسابة عندرية والمدالة للايفاخ ا ٱلكَيْمُونَ ﴿ وَقُلِ زَبِّ اغْيِرُ وَٱرْجَرُ وَأَنتَ خَيْرًا لِرَّهِمِينَ ۞ DUSTOU IN LETTER

قليلاً﴾ سواء عينتم عدده، أم لا ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾.

﴿١١٥ ـ ١١٦﴾ ﴿أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبشأ وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلاَّ هو ربُّ العرش الكريم﴾ أي: ﴿ أَفْحَسَبِتُم ﴾ أيها الخلق ﴿ أَنْمَا خلقناكم عبثاً أي: سدى وباطلاً، تأكلون وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، و[لا] ننهاكم ولا نثيبكم، ونعاقبكم؟ ولهدذا قسال: ﴿وأنسكه إلينها لا ترجعون﴾ لا يخطر هذا ببالكم، ﴿فتعالى الله أي: تعاظم وارتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدح في حكمته. ﴿الملك الحق لآ إله إلا هو رب العرش الكريم، فكونه مَلِكاً للخلق كلهم حقاً، في صدقه، ووعده، ووعيده، مألوهاً معبوداً، لما له من الكمال ﴿ربِ العرش الكريم﴾ فما دونه من باب أولى، يمنع أن يخلقكم عبثاً.

﴿١١٧ - ١١٨﴾ ﴿ومسن يسدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون * وقل ربّ اغفر وارحم وأنت خير الراحمن أي: ومن دعا

حِلْفَوَالِّغَالِاَعِزَالِيَّغِيمِ سُورَةُ أَنزَلْنَهَا وَفَحَهُنَهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَالِنَةِ بِيِّنَتِ لِمَنَّكُمُ مُنَكُّمُ وَنَ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَمِعِدِمِنْهُمَامِأَنَّةَ جَلَدَةٍ وَلَا فَأَخُذَكُمُ بهمارَأْفَدُّ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيُؤْمِ ٱلْأَخِرُّ وَلَيْشَهَدْ عَذَابَهُمَاطَآبِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ۞ ٱلزَّانِ لَايَنَكِحُ إِلَّازَانِيَةً أَوْمُشْرِكَةُ وَٱلزَّانِيَةُ لَايَنكِحُهُمَّا إِلَّازَانِ أَوْمُشْرِكُ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى ٱلْمُوْمِينِ ﴿ وَالَّذِينَ يُرُونَ ٱلْخُصَنَاتِ ثُرَّكَرَ يَأْتُوا بِأَرْبَعَ وَشَهَاكَةَ فَأَجْلِدُوهُمْ ثَلَيْنِنَ جَلْدَةً وَلَا نَقْبَلُوا لَمُمْ شَهَدَةً أَبَدُأُ وَأُولَيْكَ هُرُ ٱلْفَئيسِعُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِذَا لَلَّهَ عَفُوثُونَجِيمٌ۞ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَجَهُمْ وَلَرْيَكُنْ لَّهُمُ شُهَدَّا ۗ: إِلَّا أَنَفُ مُ هُمُّ هَلَهُ أَضَاهِمُ أَرْبَعُ شَهَالَاتٍ بِأَنَّهُ إِنَّهُ لِلَّهِ الصَّادِقِينَ ۞ وَٱغْخِيسَةُ أَنَّ لَتَنتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَذِينَ ۞ وَيَدْرَقُهُ عَنْهَا الْمَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَاذَتِ إِلَّهِ إِنَّهُ لِلْنَ ٱلْكَانِينَ ٥ وَٱلْخَلِسَةَ أَنَّ خَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّلِوقِينَ ٥ وَلَوْلَافَضْ لُواللَّهِ عَلَيْكُو وَرَحْتُهُ وَأَنَّاللَّهُ تَوَّابُ حَكِيدُ

مع الله آلهة غيره، بلا بينة من أمره ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلماً وعناداً، فهذا سيقدم على ربه، فيجازيه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئاً، لأنه كافر، ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ فكفرهم منعهم من الفلاح.

﴿وقل﴾ داعياً لربك مخلصاً له الدين ﴿رب اغفر﴾ لنا حتى تنجينا من المكروه، وارحمنا، لتوصلنا برحمتك إلى كل خير.

﴿وأنت خير الراحمين﴾ فكل راحم للعبد، فالله خير له منه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأرحم به من نفسه.

> تم تفسير سورة المؤمنين، من فضل الله وإحسانــه

تفسير سورة النور وهي مدنية

﴿ ١﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بيناتٍ لعلكم تذكرون ﴾ أي: هذه ﴿سورة ﴾ عظيمة القدر ﴿ أنزلناها ﴾

رحمة منا بالعباد، وحفظناها من كل شيطان ﴿وفرضناها﴾ أي: قدرنا فيها ما قدرنا، من الحدود والشهادات وغيرها، ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أي: أحكاماً جليلة، وأوامر وزواجر، وحكماً عظيمة ﴿لعلكم تذكرون﴾ حين نبين لكم، ونعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

ثم شرع في بيان تلك الأحكام المشار إليها، فقال:

٣ _ ٣ > ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا
 كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم
 بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون
 بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما
 طائفة من المؤمنين ﴾ .

هذا الحكم في الزاني والزانية البكرين، أنهما يجلد كل منهما مئة جلدة، وأما الثّيب، فقد دلت السنة الصحيحة المشهورة، أن حده الرجم، ونهانا تعالى أن تأخذنا رأفة [بهما] في دين الله، تمنعنا من إقامة الحد عليهم، سواء رأفة طبيعية، أو لأجل قرابة أو صداقة أو غير ذلك، وأن الإيمان موجب لانتفاء هذه الرأفة المانعة من إقامة أمر الله، فرحمته حقيقة، بإقامة حدّ الله عليه، فنحن وإن رحمناه لجريان القدر عليه، فلا نرحمه من هذا الجانب، وأمر تعالى أن يحضر عذاب الزانيين طائفة، أي: جماعة من المؤمنين، ليشتهر ويحصل بذلك الخزى والارتداع، وليشاهدوا الحد فعلاً، فإن مشاهدة أحكام الشرع بالفعل، مما يقوى بها العلم، ويستقر بها الفهم، ويكون أقرب لإصابة الصواب، فلا يزاد فيه ولا ينقص، والله أعلم.

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴿ هذا بيان لرذيلة الزنا، وأنه يدنس عرض

صاحبه، وعرض من قارنه ومازجه، ما لا يفعله بقية الذنوب، فأخبر أن الزاني لا يقدم على نكاحه من النساء، إلا أنثى زانية، تناسب حاله حالها، أو مشركة بالله، لا تؤمن ببعث ولا جزاء، ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك، لا ينكحها إلا زان أو مشرك عليهم أن يُنكحوا زانياً، أو ينكحوا زانياً، أو ينكحوا زانياً، أو ينكحوا زانياً،

ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يتب من ذلك، أن المقدم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما أن لا يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركاً، وإما أن يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمناً بالله حقاً، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزّان حتى يتوب، فإن مقارنة الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، أشد الاقترانات والازدواجات، وقد قال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أى: قرناءهم، فحرم الله ذلك، لما فيه من الشر العظيم، وفيه من قلة الغيرة، وإلحاق الأولاد، الـذيـن ليسـوا مـن الزوج، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها، مما بعضه كاف للتحريم (1) وفي هذا دليل أن الزاني ليس مؤمناً، كما قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، فهو وإن لم يكن مشركاً، فلا يطلق عليه اسم المدح، الذي هو الإيمان المطلق.

﴿ السذيسن يسرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم لل عظم تعالى أمر

﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً أي :
لهم عقوبة أخرى، وهو أن شهادة
القاذف غير مقبولة، ولو حُدَّ على
القذف، حتى يتوب كما يأي،
﴿وأولشك هم الفاسقون أي :
الخارجون عن طاعة الله، الذين قد كثر
شرهم، وذلك لانتهاك ما حرم الله،
وانتهاك عرض أخيه، وتسليط الناس
على الكلام بما تكلم به، وإزّالة الأخوة
التي عقدها الله بين أهل الإيمان،
وعبة أن تشيع الفاحشة في الذين
آمنوا، وهذا دليل على أن القذف من
كبائر الذنوب.

وقوله: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ فالتوبة في هذا الموضع، أن يُكذُب القاذف نفسه، ويقر أنه كاذب فيما قال، وهو واجب عليه، أن يكذب نفسه ولو تيقن وقوعه، حيث لم يأت بأربعة شهداء، فإذا تاب القاذف وأصلح عمله بدل إساءته إحساناً، زال عنه الفسق، وكذلك تقبل شهادته على الصحيح، فإن الله غفور رحيم يغفر

الذنوب جميعاً، لمن تاب وأناب، وإنما يجلد القاذف، إذا لم يأت بأربعة شهداء إذا لم يكن زوجاً، فإن كان زوجاً، فقد ذكر بقوله:

﴿٦٠- ١٠ ﴾ ﴿والـذيـن يـرمـون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنّه لمن الصادقين * والخامسة أنّ فيدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنّه لمن الكاذبين * والخامسة أنّ غضب الله عليها إن كان من الـصادقين * ولـولا فـضـل الله عليكم ورحمته وأنّ الله تواب حكيم ﴾

وإنما كانت شهادات الزوج على زوجته، دارئة عنه الحد، لأن الغالب، أن الزوج لا يقدم على رَمي زوجته، التي يدنسه ما يدنسها إلا إذا كان صادقاً، ولأن له في ذلك حقاً، وخوفاً من إلحاق أولاد ليسوا منه به، ولغير ذلك من الحكم المفقودة في غيره فقال: ﴿وَالَـذِينَ يَـرِمُونَ أَزُواجِهُمُ ﴾ أي: الحرائر (٢) لا المملوكات.

ولم يكن لهم على رميهم بذلك شهداء إلا أنفسهم بأن لم يقيموا شهداء، على مارموهم به وفشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين سماها شهادة، لأنها نائبة مناب الشهود، بأن يقول: «أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتها به».

﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين أي: يزيد في الخامسة مع الشهادة المذكورة، مؤكداً تلك الشهادات، بأن يدعو على نفسه، باللعنة إن كان كاذباً، فإذا تم لعانه، سقط عنه حد القذف، ظاهر الآيات، ولو سمى الرجل الذي رماها به، فإنه يسقط حقه تبعاً لها. وهل يقام عليها الحد، بمجرد لعان الرجل ونكولها أم تحبس؟ فيه قولان للعلماء، الذي يدل عليها الحليل، أنه يقام عليها الحد، بدليل قوله: ﴿ويدرا عنها العذاب أن بدليل قوله: ﴿ويدرا عنها العذاب أن بدليل قوله: ﴿ويدرا عنها العذاب أن بدليل قوله: ﴿

إِذَالَّذِينَ عِنَا وَمَا لَإِفَاكِ عُصْبَتُهُ مِن كُونًا تَحْسَبُوهُ مَثَرًا لَكُونِيُّلُ هُوَ خَيْرًا لِكُمْ أَكُمُ أَمْرِي مِنْهُم مَّا أَكُنْسَبَ مِنَ ٱلْإِنْدُ وَٱلَّذِي وَلَّ كِيْرُهُ مِنْهُ مُ لَمُعَنَّاتُ عَظِيرٌ ۞ لَّوْ لَا إِذْ سَيَعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَتُ بِأَنفُسِهِ رَخَيْرًا وَقَالُواْ هَـكَنَّا إِفْكُ مُّينَّ ۞ أَوْلَاجَآءُوعَلَيْهِ بِأَرْبَكَةِ شُهَدَّآءٌ فَإِذْ لَرَيْأَوُا إِللَّهُ مَدَّا فَأُوْلَيْكَ عِندَاللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا ضَمْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْتُهُ فِي الدُّنْيَاوَأُ لَآخِزَةِ لَسَّكُرُ فِي مَا أَفَضُمُ فِي عِمَالُ عَظِيمُ ۗ اذْنَلَقَوْنَهُ إِلْسِنَتِكُرُ وَتَقُولُونَ إِلْفَرَاهِكُمْ مَالَيْسَ لَكُم بِهِ، عِلْرُ وَتَحْسَبُونَهُ مَيْنَا وَهُوَعِندَ أَلَّهِ عَظِيرٌ ۞ وَلُوْلاَ إِذْ سَيَعْتُهُ هُ مُّلْتُمُ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن تَتَكُلِّرِ بِهَذَا سُبْحَنْكَ هَذَا بُهُ تَنْ عَظِيمٌ ۞ يَعِظُكُرُ اللَّهُ أَن تَعُودُ وَالْمِشْلِهِ وَأَبْدًا إِن كُنتُدمُّ قَوْمِنِينَ ۞ وَيُتِينُ اللَّهُ لَحَكُمُ الْآيَتُ وَاللَّهُ عَلِيهُ وَكِيدُ ۞ إِنَ الَّذِينَ يُجِيُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِثَةُ فِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَمُرْعَذَاكُ إَلِيمٌ فَالدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ وَاللهِ يُعْلَمُ وَأَسْتُمْ لاَتَعَامُونَ ۞ وَلَوْلا الفَشْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنْ اللَّهُ زَهُ وَفُرْزِيمٌ ۞ TO DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

تشهد الله آخره، فلولا أن العذاب وهو الحد قد وجب بلعانه، لم يكن لعانها درائاً له.

ويدرأ عنها، أي: يدفع عنها العذاب، إذ قابلت شهادات الزوج، بشهادات من جنسها.

﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ وتزيد في الخامسة، مؤكدة لذلك، أن تدعو على نفسها بالغضب، فإذا تم اللعان بينهما، فرق بينهما إلى الأبد، وانتفى الولد الملاعن عليه، وظاهر الآيات يدل على اشتراط هذه الألفاظ عند اللعان، منه ومنها، واشتراط الترتيب فيها، وأن لا ينقص منها شيء، ولا يبدل شيء بشيء، وأن اللعان مختص بالزوج إذا رمى امرأته، اللعان لا عبرة به، كما لا يعتبر مع الفراش، وإنما يعتبر الشبه حيث لا مرجع إلا هو.

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم وجواب الشرط عنوف، يدل عليه سياق الكلام أي: لأخل بأحد المتلاعنين الكاذب منهما، ما دعا به على نفسه، ومن رحمته وفضله، ثبوت هذا الحكم الخاص بالزوجين، لشدة الحاجة إليه، وأن بين

⁽١) في أ: الزنا، وفي ب: الكلمة مشطوبة.

⁽٢) في النسختين: الأحرار ولعل الصواب ما أثبت.

• تَنَاتُهَا الَّذِينَ عَامَنُهُ الْائتَكِيهُ اخْطُهُ مِنَ الشَّيْطِكُ، وَمَن مَثَّبَعُ خُطُونَ الشَّيْطِانِ فَاتَّهُمَا مُنْ مَا لَهَحْتُنَاء وَالْذِيكُ وَتُولَا فَضَارُ الله عَلَيْكُ: وَرَحْمَتُهُ مَازَكُ مِنكُمِينَ أَحَدِ أَمَنًا وَلَكِنَّ ٱللَّهُ يُعِزَّلُ مَن مَشَاءُ وَاللَّهُ سَجِيعُ عَلِيمٌ ۞ وَلَا يَأْلُلُ أُولُوا الْفَضَّا مِنكُمُ وَالسَّعَةِ أَن وَوَا أُولِي الشَّرِيِّ وَالْسَكِينَ وَالْمُهَجِينَ فِي سَبِيا اللَّهُ وَلَيْعِفُواْ وَلْصَفَحُواْ أَلَا يَجْنُونَ أَن يَغْفِرَالَهُ لَكُوْ وَالْقَدَعَنُورُ تُرْجَعِهُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ رَمُونَ الْقُصَنَّتِ الْغَفِلَّتِ ٱلمُوْمِنَاتِ أُمِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَمُتُرْعَذَابُ عَظِيرٌ ﴿ وترتشه تتلته والسنته وأيدبه وأدجله ماكافا يَعْمَلُونَ ۞ يَوْمَهِدْ يُوَفِّهِمُ أَلَّهُ دِينَهُمُ أَكْنَى وَيَعْمَلُونَ أَذَاللَّهَ هُوَالْكُونُ ۞ الْخَيِشَاتُ الْحَجِيثِينَ وَٱلْخَيِمِثُونَ المخيشات والقلينات القلتمان والغلتيوس القلينت أوكيك مُبَرَّهُ وِنْ مِمَّا يَقُولُونَّ فَكُرُمَّ فَهُمَّ قُورُونَ قُكِيٌّ ﴿ يَنَأَيُّهُمَا ٱلَّذِي ءَامَنُواْ لَانْدَخُلُواْ يُتُوتًّا غَمْرَ يُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْنَأْ إِنْهُواْ وَتُسَلِّمُوا عَلَا أَهْلِهَا ذَاكِدُ مِنْ تَرْكُمُ لَمَلَكُمُ تَذَكُّمُونَ ٥ TO TOTAL TOTAL OF THE OWNER.

لكم شدة الزنا وفظاعته، وفظاعة القذف به، وأن شرع التوبة من هذه الكبائر وغيرها.

﴿ السنين جاؤوا النين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم إلى آخر الآيات وهو قوله: ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم لا ذكر فيما تقدم، تعظيم الرَّمْي بالزنا عموماً، صار ذلك كأنه مقدمة لهذه القصة، التي وقعت على أشرف النساء، أم المؤمنين رضي الله عنها، وهذه الآيات، نزلت في قصة الإفك المشهورة، الثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد.

وحاصلها أن النبي على، في بعض غزواته، ومعه زوجته عائشة الصديقة بنت الصديقة فانقطع عقدها فانحبست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها، فلم يفقدوها، ثم استقل الجيش راحلاً، وجاءت مكانهم، فاستمروا في مسيرهم، وكان فاستمروا في مسيرهم، وكان أفاضل الصحابة رضي الله عنه، قد عرس في أخريات القوم ونام، فرأى عائشة رضي الله عنها فعرفها، فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعد ما نزل

الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي على في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول على

وبلغ الخبر عاتشة بعد ذلك بمدة، فحزنت حزناً شديداً، فأنزل الله تعالى براء هما في هذه الآيات، ووعَظ الله المؤمنين، وأعظم ذلك، ووصاهم بالوصايا النافعة. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُدْبِ اللّهِ عَلَى الْكَذَبِ الشَّنِع، وهو رَمِّي أم المؤمنين ﴿عصبة منكم﴾ أي: الكذب منكم﴾ أي: جماعة منتسبون إليكم يا الشافقين الومنين، منهم المؤمن الصادق المنافقين إسمانه ولكنه اغتر بترويج المنافقين الله ومنهم المنافق.

﴿لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ﴾ لما تضمن ذلك تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها، والتنويه بذكرها، حتى تناول عموم المدح سائس زوجات النبي على ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد، التي ما زال العمل بها إلى يوم القيامة، فكل هذا خير عظيم، لولا مقالة أهل الافك لم يحصل ذلك، وإذا أراد الله أمراً جعا, له سبباً، ولذلك جعل الخطاب عامناً مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قدح بعضهم ببعض كقدح في أنفسهم، فقيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه، فليكره من كل أحد، أن يقدح في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، ومالم يصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه وعدم

﴿لَكُلُ امْرِيءَ مَنْهُمُ مَا اكتسبُ مِنْ الإِثْمَ﴾ وهـذا وعيد للذين جاؤوا بالإفك، وأنهم سيعاقبون على ما قالوا

من ذلك، وقد حد النبي على منهم جماعة، ﴿والذي تولى كبره ﴾ أي: معظم الإفك، وهو المنافق الخبيث، عسب الله بسن أي بسن سلول _ لعنه الله _ ﴿له عذاب عظيم ﴾ ألا وهو الخلود في الدرك الأسفل من الناد.

ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال: ﴿لُولا إِذْ سمعتموه طن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ وي ظن المؤمنون بعضه عبيم ببعض خيراً، وهو السلامة عارموا به، وأن قبل فيهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما بسبب ذلك الظن ﴿سبحانك ﴾ أي: تنزيها لك عن كل سوء، وعن أن تبتلي مبين ﴾ أي: كذب وبهت، من أعظم الواجب، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن، مثل هذا الكلام، وأن يبرئه بلسانه، ويكذب القائل لذلك.

﴿ لُولاً جاؤوا عليه بأربعة شهداء ﴾
أي: هلا جاء الرامون على ما رموا به ،
بأربعة شهداء أي: عدول مرضيين .
﴿ فَإِذَ لَمْ يَأْتُوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك ، فإنهم كاذبون في بذلك ، من دون أربعة شهود ، ولهذا قال : ﴿ فَأُولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ وهذا كله ، من تعظيم حرمة عرض ولم يقل : ﴿ فَأُولئك هم الكاذبون ﴾ وهذا كله ، من تعظيم حرمة عرض وهذا كله ، من تعظيم حرمة عرض رميه ، من دون نصاب الشهادة بالصدق .

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في اللنيا والآخرة بحيث شملكم إحسانه في أمر دينكم ودنياكم، ﴿لسكم فيما أفضتم ﴾ أي: خضتم ﴿فيه من شأن الإفك ﴿عذاب عظيم ﴾ لاستحقاقكم ذلك بما قلتم، ولكن من فضل الله عليكم ورحمته، أن

شرع لكم التوبة، وجعل العقوبة مطهرة للذنوب.

﴿إذ تلقونه بالسنتكم ﴾ أي: تلقفونه، ويلقيه بعضكم إلى بعض، وتستوشون حديثه، وهو قول باطل. ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به بالباطل، والقول بلا علم، ﴿وتحسبونه هينا﴾ فلذلك أقدم عليه من أقدم من ذلك، ﴿وهو عند الله عظيم ﴾ وهذا المذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيده حسبانه شيئاً، ولا يخفف الذنب، ويسهل عليه مواقعته مرة أخرى.

﴿ولولا إذ سمعتموه أي: وهلا إذ سمعتم ـ أيها المؤمنون ـ كلام أهل الإفك ﴿قلتم المنكرين لذلك، معظمين لأمره: ' ﴿ما يكون لنا أن نتكلم جذا﴾ أي: ما ينبغي لنا، وما يليق بنا الكلام، بهذا الإفك المبين، لأن المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح ﴿هذا بهتان﴾ أي: كذب عظيه. ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله ﴾ أي: لنظيره، من رَمَّى المؤمنين بالفجور، فالله يعظكم وينصحكم عن ذلك، ونعم المواعظ والنصائح من ربنا فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان، والتسليم والشكر له، على ما بيَّن لنا «إن الله نعما يعظكم به». ﴿إِن كنتم مؤمنين ول دلك على أن الإيمان الصادق، يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات. ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ المشتملة على بيان الأحكام، والوعظ، والزجر، والترغيب، والترهيب، يوضحها لكم توضيحاً جلياً. ﴿والله عليم اي: كامل العلم عام الحكمة، فمن علمه وحكمته، أن علمكم من علمه، وإن كان ذلك راجعاً لمصالحُكم في كل وقت.

﴿إِن السنيس يحبون أن تسيع الفاحشة ﴾ أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة ، فيحبون أن تشتهر الفاحشة ﴿في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾ أي: موجع للقلب والبدن ، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين ، وعبة الشرلهم ، وجراءته على أعراضهم ، قإذا كان هذا الوعيد ، لجرد عبة أن تشيع الفاحشة ، واستحلاء ذلك بالقلب ، فكيف بما هو ونقله؟!! وسواء كانت الفاحشة ، ونقله؟!! وسواء كانت الفاحشة ، صادرة أو غير صادرة .

وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. فوالله يعلم وأنتم لا تعلمون فلذلك علمكم، وبيّن لكم ما تجهلونه.

﴿ولولا فضل الله عليكم ﴾ قد أحاط بكم من كل جانب ﴿ورحمه ﴾ عليكم ﴿وأن الله رؤوف رحيم ﴾ لما بين لكم هذه الأحكام والمواعظ، والحكم الجليلة، ولما أمهل من خالف أمره، ولكن فضله ورحمته، وأن ذلك وصفه اللازم أثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه.

ولما نهى عن هذا الذنب بخصوصه، نهى عن الذنوب عموماً فقال: ﴿يا أيها النين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان وخطوات الثين عن اتباع خطوات الشيطان . والحكمة وهو بيان ما في الشيطان . والحكمة وهو بيان ما في المنيع عنه، من الشر المقتضي، والمداعي لتركه فقال: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه ﴾ أي: الشيطان فإنه أي: الشيطان فإنه أي: الشيطان المعقول والشرائع، من الذيوب ﴿يامر بالفحشاء ﴾ أي: الشيطان المعقول والشرائع، من المعقول والمعقول والمعارات من المنوب

العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه. ﴿والمنكر﴾ : هو ما تنكره العقول ولا تعرفه. فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان، لا تخرج عن ذلك، فنهى الله عنها للعباد، نعمة منه عليهم أن يشكروه ويذكروه، لأن ذلك صيانة لهم عن التدنس بالرذائل والقبائح، فمن إحسانه عليهم، أن نهاهم عنها، كما نهاهم عن أكل السموم القاتلة ونحوها، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً﴾ أي: ما تطهر من أتباع خطوات الشيطان، لأن الشيطان يسعى هو وجنده، في الدعوة إليها وتحسينها، والنفس ميالة إلى السوء أمارة به، والنقص مُسْتَوْل على العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، فلو خَلَي وهذه الدواعي، ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب والسيئات والنماء بفعل الحسنات، فإن الزكاء يتضمن الطهارة والنماء، ولكن فضله ورحمته أوجبا أن يتزكى منكم من تزكى.

وكان من دعاء النبي على: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»، ولهذا قال: ﴿ولكن الله يزكي من يشاء ﴾ من يعلم منه أن يزكى بالتزكية، ولهذا قال: ﴿والله سميع عليم ﴾.

ولا يأتل أي: لا يحلف وأولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا كان من جملة الخائضين في الإفك «مسطح بن أثاثة» وهو قريب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان مسطح فقيراً من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، لقوله الذي

فنزلت هذه الآية، ينهاهم (١) عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه، ويحثه على العفو والصفح، ويعده بمغفرة الله إن غفر له، فقال:

﴿ أَلا تحبون أَن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ إذا عاملتم عبيده، بالعفو والصفح، عاملكم بذلك، فقال أبو بكر لا سمع هذه الآية _: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع النفقة إلى مسطح، وفي هذه الآية دليل على النفقة على القريب، وأنه لا تترك النفقة والإحسان بمعصية الإنسان، والحث على العفو والصفح، ولو جرى على الجار على الجار المرابع على العفو والصفح، ولو جرى على أهل الجرائم.

ثم ذكر الوعيد الشديد على رمي المحصنات فقال: ﴿إِنَّ النَّيْنَ يَرْمُونَ المحصنات﴾ أي: العفائف عن الفجور ﴿الغافلات﴾ التي لم يخطر ذلك بقلوبهن ﴿المؤمنات﴾ ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ واللعنة لا تكون إلا على ذنب كبير.

وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين (ولهم عذاب عظيم) وهذا زيادة على اللعنة، أبعدهم عن رحمته، وأحل بهم شدة نقمته.

وذلك العذاب يوم القيامة ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فكل جارحة تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد، من جعل شهودهم من أنفسهم، ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أي: جزاءهم على أعمالهم، الجزاء الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفراً، لم يفقدوا منها شيئاً، ﴿ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرأ ولا يظلم ربك أحداً ﴿ ويعلمون في ذلك الموقف العظيم، أن الله هو الحق المبين، فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى.

فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، ويقاؤه حق، الحق، ولقاؤه حق، ووعده ووعيده، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق، فلا تُمَّم حق، إلا في الله وما من الله.

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون

للخبيثات في أي: كل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبيث، وموافق له، وكل طبب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للطيب، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه

والأفعال، مناسب للطيب، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء، من أعظم مفرداته، أن الأنبياء _ خصوصاً أولي العزم منهم، خصوصاً سيدهم محمد على الإطلاق أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء،

لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر قدح في النبي على من قد مد المقصود بهذا الإفك، من قصد المنافقين، في مدود كونها زوجة

للرسول ﷺ ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح .

فكيف وهي هي؟!! صِدِّيقةُ النساء وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك،

بحيث لا يبقى لمبطل مقالاً، ولا لشك وشبهة مجالاً، فقال: ﴿أُولئك مبرؤون مما يقولون﴾ والإشارة إلى عائشة رضي الله عنها أصلاً، وللمؤمنات المحصنات الغافلات تبعاً ﴿لهم مغفرة﴾ تستغرق الذنوب ﴿ورزق كريم﴾ في الجنة صادر من الرب

الكريم .

﴿٢٧ ـ ٢٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ويرشد الباري عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتاً غير عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتاً غير

بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة

مفاسد: منها ما ذكره الرسول ﷺ،

حيث قال "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"، فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي: يستأذنوا. سمي الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة، ﴿وتسلموا على أهلها﴾ وصفة ذلك، ما جاء في الحديث: «السلام عليكم، أأدخل،؟

وذلكم أي: الاستئذان المذكور وخير لكم لعلكم تذكرون الاستماله على عدة مصالح، وهو من مكارم الأخلاق الواجبة، فإن أذن، دخل الستأذن.

﴿ فِيانِ لَم تَجِدُوا فِيهِا أَحِداً فِيلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا الله أي: فلا تمتنعوا من الرجوع، ولا تغضبوا منه، فإن صاحب المنزل، لم يمنعكم حقاً واجباً لكم، وإنما هو متبرع، فإن شاء أذن أو منع، فأنتم لا يأخذ أحدكم الكبر والآشمئزاز من هذه الحال، ﴿هُو أَزْكِي لكم اى: أشدلتطهيركم من السيئات، وتنميتكم بالحسنات. ﴿وَاللَّهُ بما تعملون عليم، فيجازي كل عامل بعمله، من كثرة وقلة، وحسن وعدمه، هذا الحكم في البيوت المسكونة، سواء كان فيها متاع للإنسان أم لا، وفي البيوت غير المسكّونة، التي لا متاع فيها للإنسان، وأما البيوت التي ليس فيها أهلها، وفيها متاع الإنسان المحتاج للدخول إليه، وليس فيها أحد يتمكن من استئذانه، وذلك كبيوت الكراء وغيرها، فقد ذكرها بقوله:

﴿ليس عليكم جناح﴾ أي: حرج وإثم، دل على أن الدخول من غير استئذان في البيوت السابقة، أنه محرم،

وفيه حرج ﴿أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ﴾ وهذا من احترازات القرآن العجيبة ، فإن قوله : ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ﴾ لفظ عام في كل بيت ليس ملكاً للإنسان ، أخرج منه تعالى البيوت التي ليست ملكه ، وفيها متاعه ، وليس فيها ساكن ، فأسقط الحرج في الدخول اليها ، ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ أحوالكم الظاهرة والخفية ، وعلم مصالحكم ، فلذلك شرع لكم ما تحتاجون إليه وتضطرون ، من الأحكام

الشرعة. ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ قُلُ للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنَّ الله خبيرٌ بما يصنعون ﴾ أي: أرشِدِ المؤمنين، وقل لهم: الذين معهم بالإيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل بالإيمان: ﴿ يغضوا من أبصارهم ﴾ عن النيطر إلى المعورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور.

﴿ويحفظوا فروجهم الوطء الحرام، في قُبُل أو دُبُر، أو ما دون ذلك، وعن التمكّين من مسها، والنظر إليها. ﴿ ذلك ﴾ الحفظ للأبصار والنفروج ﴿أَزْكِي لِنَهِمَ﴾: أطبهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي(١) تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه، ومن غض بمصره عن المحرم، أنبار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظاً، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في

بلايا وعن، وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقاً، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: في بأداة همن الدالة على التبعيض، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، للجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات.

﴿٣١﴾ ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسأتهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أبها المؤمنون لعلكم تفلحون، لما أمر المؤمنين بغض الأبصار وحفظ الفروج، أمر المؤمنات بذلك، فقال: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن النظر إلى العورات والرجال، بشهوة ونحو ذلك من النظر المنوع، ﴿ويحفظن فروجهن﴾ من التمكين من جماعها، أو مسها، أو النظر المحرم إليها. ﴿ولا يبدين زينتهن كالثياب الجميلة والحلي، وجميع البدن كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة، لا بدلها منها، قال: ﴿إِلا ما ظهر منها﴾ أي: الثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ وهذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أن الزينة التي يحرم إبداؤها، يدخل فيها جميع البدن، كما ذكرنا. ثم كرر النهي عن إبداء زينتهن، ليستثني منه قوله: ﴿إِلَّا لِبِعُولِتِهِنَ﴾ أي: أزواجهن ﴿أُو

إِ فَانِ لَرْتَعَهُ وَافِيهَآ أَحَدُا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى ثُوْذَنَ لَكُوَّ وَإِن قِيلَ لَكُمُ أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُواً هُوَ أَزْكُ لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ عَلِيدٌ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُ مُجُنَاحُ أَن مَذْخُلُوا يُوتًا عَيْرَ مَسْكُونَةٍ إِنِيهَامَتَتْمُ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعَلَمُ مَاتَبُدُونَ وَمَاتَكُمْتُمُونَ ۞ قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمُّ ذَاكِ أَنَّكُ لَهُمُّ أِنَّ أَلَة تَجَيِّرُ مِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَلِصَّرُونَ وَيَحْفَظُنَ فُرُوجَهُ ۖ وَلَا يَبْدِينَ إِن اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَا ظَهُ رَمِنْهَا وَلْيَصْرِينَ وَخُرُونَ عَلَى جُنُوبِيُّنَّ وَلَايُبُدِينَ زِينَنَاهُ ۚ إِلَّا لِيُعُولَئِهِ ۚ أَوْمَابَآيِهِ ۚ أَوْ ءَابَآء بُعُولَيْهِ ﴾ أوْأَبْنَآبِهِ ﴾ أَوْأَبْنَآبِهِ ﴾ أَوْأَبْنَآء بُعُولَيْهِ ﴾ أَوْ إِخْوَنِهِ ﴾ أُوْرِينَ إِخْوَنِهِ ﴾ أُورِينَ أَخَوَتِهِ ﴾ أَخَوَتِهِ ﴾ أَوْرِينَ أَخَوَتِهِ ﴾ أُورِسَا بِهِنَ وُ أَوْمَا مَلَكَتُ أَيْنَاهُنَّ أَوِالنَّهِينِ عَيْرِأُولِي ٱلْإِرْبَةِينَ الرِّجَالِ أَوَالِطَفَلِ الَّذِيبَ لَرَيْظُهُ رُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَكَةِ وَلَا يَضْرِينَ بِأَنْجُلِهِنَّ لِمُعْلَمُ مَا يُعْفِينَ مِن زِينَتِهِتُ اللُّهُ اللَّهُ وَقُولُوا إِلَّهُ اللَّهِ وَهِيمًا أَيُّهُ الْتُوْمِنُونَ لَعَلَّكُونُفُولِهُونَ ۞ DAMAGE TOT LONG OF

آبائهن أو آباء بعولتهن پيشمل الأب بنفسه، والجد وإن علا، ﴿ أَو أَبِنائهن أَو أَبِناء بعولتهن ﴾ ويدخل فيه الأبناء وأبناء البعولة مهما نزلوا ﴿ أَو إِخوانهن أَو بني إِخوانهن أَو نسائهن ﴾ أي : يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقاً، ويحتمل أن الإضافة بعض مطلقاً، ويحتمل أن الإضافة السلمات، اللاي من جنسكم، ففيه دليل لمن قال: إن المسلمة لا يجوز أن تنظر إليها الذمية.

﴿أُو ما ملكت أيمانهن﴾ فيجوز للملوك إذا كان كله للأنثى، أن ينظر لسيدته، ما دامت مالكة له كله، فإن زال الملك أو بعضه، لم يجز النظر.

﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي: أو الذين يتبعونكم، ويتعلقون بكم، من الرجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة، كالمعتوه الذي لا يدري ما هنالك، وكالعنين الذي لم يبق له شهوة، لا في فرجه، ولا في قلبه، فإن هذا لا محذور من نظره.

﴿أُو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ أي: الأطفال الذين دون التمييز، فإنه يجوز نظرهم للنساء

وَأَنكِحُوا ٱلْأَيْلَمَىٰ مِنكُرُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَا َإِكُرُّ إِن يَكُونُواْ فَقَدَراتَ يُغَيْهِمُ اللَّهُ مِن فَضْيِلَةٍ وَاللَّهُ وَاسِحُ عَلِيدٌ ۞ وَلْسَتَعْفِفِ ٱلَّذِيكَ لَا يُجِدُونَ نِكَاحًا حَنَّى يُغْنِيهُمُ اللَّهُ مِن فَضْيِلةً ۚ وَالَّذِينَ يَتِنَعُونَ ٱلْكِنْكِ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنْكُوفَكَ الْبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُدُوفِهِ مُرْخَيْراً وَءَاتُوهُ مِينِ مَالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي ٓ ءَالَـٰكُمُّ وَلَاثُكُرِهُوا فَيَنَاتِكُوعَلَى الْبِعَلَهِ إِنْ أَرَدُنَ تَعَصَّنَا لِتَبْتَغُوا عَهَنَ ٱلْمَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكَرِه لَهُنَّ فَإِنَ ٱللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَهِ فِيَ عَفُورُتَكِيدُ ٥ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ مَالِكِ مُبَيِّنَاتٍ وَمُثَلًا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوَا مِن قَبِلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُنَّقِينَ ۞ • ٱللَّهُ فُورُ السَّمَوُنِ وَالْأَرْضُ مَثَلُ فُورِهِ كَيْشَكُوْدِيهَا مِصْبَاحُ ٱلْمُصَبَّاحُ ٱلْمُصَبّاحُ فِ نُجَاجَةً الزُّعَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْسَكَبُ دُرِّقٌ يُوفَدُ مِن ثَجَرَةٍ مُّهَارَكَةٍ زَيْتُونَةِ لَّاشَرْقِيَةِ وَلَاغَرْبِيَةِ يَكَادُنَيْتُهَا يُغِينَ أُولَوْلَةٍ مَّسَسَهُ نَازُنُورُ عَلَى فُورِ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مِن يَشَكَّهُ وَيَعْرِبُ الدَّالْ أَمْثَالَ لِلنَّالِسُّ وَالْقَهُ يُكُلِّ مَنَّ وَعَلِيمٌ ﴿ فِي يُوتِ أَذِنَ الْقَهُ أَن تُسْرَفَعَ وَيُدْكَرَفِهَا أَسْمُتُولُسَيْحُ لَمُغِهَا إِلَيْدُو وَالْكُمَالِ ۞ TO STATE OF THE ST

الأجانب، وعلل تعالى ذلك، بأنهم لم يظهروا على عورات النساء، أي: ليس لهم علم بذلك، ولا وجدت فيهم الشهوة بعد ودلّ هذا، أن المميز تستتر منه المرأة، لأنه يظهر على عورات النساء.

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن أي: لا يضربن الأرض بأرجلهن، ليُصوَّت ما عليهن من حُلي، كخلاخل وغيرها، فتعلم زينتها بسببه، فيكون وسيلة إلى الفتنة.

ويؤخذ من هذا ونحوه، قاعدة سد الوسائل، وأن الأمر إذا كان مباحاً، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض، الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة، منع

ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك، أمر الله تعالى بالتوبة، فقال:

﴿وتوبوا إلى الله جمسيعاً أيها المؤمنون﴾ لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: ﴿لعلكم تفلحون﴾ فلا سبيل إلى

الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهراً وباطناً، إلى: ما يجبه ظاهراً وباطناً، ودل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعاً، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: ﴿وتوبوا إلى الله أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة.

﴿٣٢ ـ ٣٣﴾ ﴿وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم * وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب ممأ ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله المذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفورٌ رحيم ﴾ يأمر تعالى الأولياء والأسياد، بإنكاح من تحت ولايتهم من الأيامي وهم: من لا أزواج لهم، من رجال، ونساء ثيب، وأبكار، فيجب على القريب وولى اليتيم، أن يزوج من يحتاج للزواج، ممن تجب نفقته عليه، وإذا كانوا مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرهم بالنكاح بأنفسهم من باب أولى.

﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾
يحتمل أن المراد بالصالح من العبيد صلاح الدين، وأن الصالح من العبيد والإماء وهو الذي لا يكون فاجرأ زانياً مأمور سيده بإنكاحه، جزاء له على صلاحه، وترغيباً له فيه، ولأن الفاسد بالزنا، منهيًّ عن تزوجه، فيكون مؤيداً للمذكور في أول السورة، أن نكاح الزاني والزانية محرم حتى يتوب، ويكون التخصيص بالصلاح في العبيد والإماء دون الأحرار، لكثرة وجود ذلك في العبيد الع

عادة، ويحتمل أن المراد بالصالحين الصالحون للتزوج المحتاجون إليه (۱۰) من العبيد والإماء، يؤيد هذا المعنى، أن السيد غير مأمور بتزويج مملوكه، قبل حاجته إلى الزواج. ولا يبعد إرادة المعنين كليهما، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِن يكونوا فقراء ﴾ أي: الأزواج والمتزوجين ﴿يغنهم الله من فضله ﴾ فلا يمنعكم ما تتوهمون، من أنه إذا تزوج، افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه، وفيه حث على التزوج، ووعد للمتزوج بالغنى بعد الفقر.

﴿والله واسع ﴾ كثير الخير عظيم الفضل ﴿عليم بمن يستحق فضله الديني والدنيوي أو أحدهما، ممن لا يستحق، فيعطي كُلاً ما علمه واقتضاه حكمه.

وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله هذا حكم العاجز عن النكاح، أمره الله أن يستعفف، أن يكف عن المحرم، ويفعل الأسباب التي تكفه عنه، من صرف دواعي قلبه بالأفكار التي تخطر بإيقاعه فيه، ويفعل أيضاً، كما قال النبي على الماءة فليتزوج، ومن لم استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

وقوله: ﴿الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي: لا يقدرون نكاحاً، إما لفقرهم أو فقر أوليائهم وأسيادهم، أو امتناعهم من تزويجهم [وليس لهم] (٢)، من قدرة على إجبارهم على ذلك، وهذا التقدير، أحسن من تقدير «لا يجدون مهر نكاح»، وجعلوا المضاف إليه نائباً منساب المضاف، فإن في ذلك عدورين: أحدهما: الحذف في الكلام، والأصل عدم الحذف.

والثاني: كون المعنى قاصراً على من له حالان، حالة غنى بماله، وحالة عدم، فيخرج العبيد والإماء ومن إنكاحه على وليه، كما ذكرنا.

﴿حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ وعد

⁽١) في النسختين: الصالحين للتزوج المحتاجين إليه.

⁽٢) زيادة من ب بخط مغاير، وقد حذف بعدها حرف (من).

للمستعفف أن الله سيغنيه وييسر له أمره، وأمرٌ له بانتظار الفرج، لثلا يشق عليه ما هو فيه.

وقوله ﴿والذين يبتغون الكتاب بما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ أي: من ابتغي وطلب منكم الكتابة، وأن يشتري نفسه، من عبيد وإماء، فأجيبوه إلى ما طلب، وكاتبوه، ﴿إن علمتم فيهم﴾ أي: في الطالبين للكتابة ﴿خيراً﴾ أي: قدرة على التكسب، وصلاحاً في دينه، لأن في الكتابة تحصيل المصلحتين، مصلحة العتق والحرية، ومصلحة العوض الذي يبذله في فداء نفسه. وربما جد واجتهد، وأدرك لسيده في مدة الكتابة من المال ما لا يحمل في رقه، فلا يكون ضرر على السيد في كتابته، مع حصول عظيم المنفعة للعبد، فلذلك أمر الله بالكتابة على هذا الوجه أمر إيجاب، كما هو الظاهر، أو أمر استحباب على القول الآخر، وأمر بمعاونتهم على كتابتهم، لكونهم محتاجين لذلك، بسبب أنهم لا مال لهم، فقال: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم الله يدخل في ذلك أمر سيده الذي كاتبه، أن يعطيه من كتابته أو يسقط عنه منها، وأمر الناس بمعونتهم.

ولهذا جعل الله للمكاتبين قسطاً من الزكاة، ورغب في إعطائه بقوله: ﴿من مال الله الذي أتاكم ﴾ أي: فكما أن المال الله، وإنما الذي بأيديكم عطية من الله لكم ومحض منة، فأحسنوا لعباد الله، كما أحسن الله الكم.

ومفهوم الآية الكريمة، أن العبد إذا لم يطلب الكتابة، لا يؤمر سيده أن يبتدى بكتابته، وأنه إذا لم يعلم منه خبراً، بأن علم منه عكسه، إما أنه يعلم أنه لا كسب له، فيكون بسبب ذلك كَلاً على الناس، ضائعاً، وإما أن يغاف إذا عتق، وصار في حرية نفسه، أن يتمكن من الفساد، فهذا لا يؤمر

بكتابته، بل ينهى عن ذلك لما فيه من المحذور المذكور.

ثم قال تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ أي: إماءكم ﴿على البغاء﴾ أي: أن تكون زانية ﴿إن أردن تحصناً﴾ لأنه لا يتصور إكراهها إلا بهذه الحال، وأما إذا لم ترد تحصناً فإنها تكون بغياً، عب على سيدها منعها من ذلك، وإنما الجاهلية، من كون السيد يجبر أمته على البغاء، ليأخذ منها أجرة ذلك، ولهذا قال: ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ منكم، وأعف عن الزنا، وأنتم تفعلون بهن ذلك، لأجل عرض الحياة، متاع منكم، وغير عرض الحياة، متاع قليل يعرض ثم يزول.

فَكسبكم النزاهة، والنظافة، والمروءة - بقطع النظر عن ثواب الآخرة وعقابها - أفضل من كسبكم الوذالة الحرض القليل، الذي يكسبكم الرذالة والحسة.

ثم دعا من جرى منه الإكراه إلى التوبة، فقال: ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ فَلْيَتُبُ إلى الله، ولْيقْلِغ عما صدر منه مما يخضبه، فإذا فعل ذلك، غفر الله ذنوبه، ورحمه كما رحم نفسه بفكاكها من العذاب، وكما رحم أمته بعدم إكراهها على ما يضرها.

(٣٤%) ﴿ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ﴾ هذا تعظيم وتفخيم لهذه الآيات، التي تلاها على عباده، ويقوموا بحقها فقال: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات أي: واضحات الدلالة، على كل أمر بحيث لا يبقى فيها إشكال ولا شبهة، بحيث لا يبقى فيها إشكال ولا شبهة، بحيث لا يبقى فيها إشكال ولا شبهة، وفي أنزلنا إليكم أيضاً ﴿ مثلاً من الأولين، الصالح منهم والطالح، وصفة أعمالهم، وما جرى لهم وجرى عليهم تعتبرونه مثالاً ومعتبراً، لمن فعل

مثل أفعالهم أن يجازى مثل ما جوزوا. ﴿وموعظة للمتقين﴾ أي: وأنزلنا إليكم موعظة للمتقين، من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، يتعظ بها المتقون، فينكفون عما يكره الله إلى ما يجه الله.

﴿٣٥﴾ ﴿الله نبور السبماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار نور على نور يهدي آلله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمشال للناس والله بكل شيء عليم، ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ الحسى والمعنوي، وذلك نه تعالى بذاته نور، وحجابه - الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه _نورٌ، وبه استنار العرش، والكرسى، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك النور المعنوى يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى، لتراكمت الظلمات، ولهذا، كل محل يفقد نوره فَثَمَّ الظلمة والحصر، ﴿مثل نوره ﴿ الذي يهدي إليه، وهو نور الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين، ﴿ كمشكاة ﴾ أي: كوة ﴿ فيها مصباح ﴾ لأن الكوة تجمع نور المصباح بحيث لا يتفرق ذلك ﴿المصباح في زجاجة الزجاجة ، من صفائها وبهائها ﴿ كأنها كسوكب درى اي: مضىء إضاءة الدر. ﴿ يوقد ﴾ ذلك المصبآح، الذي في تلك الزجاجة الدرية ﴿من شجرة مباركة زيتونة الى: يوقد من زيت الزيتون الذي ناره من أنور ما يكون، ﴿لا شرقية﴾ فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ﴿ولا غربية﴾ فقط، فلا تصيبها الشمس [أول](١) النهار، وإذا انتفى عنها الأمران، كانت متوسطة من الأرض، كزيتون الشام،

تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فتحسن وتطيب، ويكون أصفى لزيتها، ولهذا قال: ﴿يكاد زيتها﴾ من صفائه ﴿يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ فإذا' مسته النار، أضاء إضاءة بليغة ﴿نور على نور﴾ أي: نور النار، ونور الزيت.

ووجه هذا المثل الذي ضربه الله ، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المسروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القهم عن الله، إذا القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على

ولما كان هذا من نور الله تعالى، وليس كل أحد يصلح له ذلك، قال: ﴿ يهدى الله لنوره من يشاء ﴾ ممن يعلم زكاءه وطهارته، وأنه يزكى معه ويستمو. ﴿ويسطرب الله الأمشال للناس﴾ ليعقلوا عنه ويفهموا، لطفاً منه بهم، وإحساناً إليهم، وليتضح الحق من الباطل، فإن الأمثال تقرب المعاني المعقولة من المحسوسة، فيعلمها العباد علماً واضحاً، ﴿والله بكل شيء عليم الأشياء، فَلْتَعْلَمُوا أَن ضَرْبِهِ الأمثال، ضرْبُ من يعلم حقائق الأشياء وتفاصيلها، وأنها مصلحة للعباد، فَلْيَكُن اشتغالكم بتدَبُّرها وتعقُّلها، لا بالاعتراض عليهاً، ولا بمعارضتها، فإنه يعلم وأنتم لا تعلمون.

ولما كان نور الإيمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد، ذكرها منوهاً بها فقال:

﴿٣٦ ـ ٣٨﴾ ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها

بالغدو والآصال *رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه الصلوب والأبصار *ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب .

أي: يتعبد لله ﴿في بيوت﴾ عظيمة فاضلة، هي أحب البقاع إليه، وهي المساجد. ﴿أَذَنَ اللهُ أَي: أَمْرُ وُوصِى ﴿أَنْ تَرفع ويذكر فيها اسمه﴾ هذان جموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها عن المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله.

﴿ويذكر فيها اسمه ﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعَلُّم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من المصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد، وجوباً عند أكثر العلماء، أو استحباباً عند آخرين. ثم مدح تعالى عُمَّارَهَا بالعبادة فقال: ﴿يسبح له﴾ إخلاصاً ﴿بالغدو﴾ أول النهار ﴿والآصال﴾ آخره ﴿رجال﴾ . خص هذين الوقتين لشرفهما ولتيسر السير فيهما إلى الله وسهولته. ويدخل في ذلك، التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء. أي: يسبح فيها لله، رجال، وأي: رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، ﴿لا تلهيهم

تجارة﴾ وهذا يشمل كل تكسُّب يقصد

به العوض، فيكون قوله: ﴿ولا بيع﴾

من باب عطف الخاص على العام،

لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه.

ولما كان ترك الدنيا شديداً على أكثر النفوس، وحب المكاسب بأنواع التجارات محبوباً لها، ويشق عليها تركه في الغالب، وتتكلف من تقديم حق الله على ذلك، ذكر ما يدعوها إلى ذلك _ ترغيباً وترهيباً _فقال: ﴿يُخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ من شدة هوله وإزعاجه للقلوب والأبدان، فلذلك خافوا ذلك اليوم، فسهل عليهم العمل، وترك ما يشغل عنه، ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا﴾ والمراد بأحسن ما عملوا: أعمالهم الحسنة الصالحة، لأنها أحسن ما عملوا، لأنهم يعملون المباحات وغيرها، فالثواب لا يكون إلا على العمل الحسن، كقوله تعالى: ﴿لِيكِفُرِ اللهِ عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون، ﴿ويزيدهم من فضله ﴾ زيادة كثيرة عن الجزاء القابل لأعمالهم، ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ بل يعطيه من الأجر ما لا يبلغه عمله، بل ولا تبلغه أمنيته، ويعطيه من الأجر بلا عَدُولا كيل، وهذا كناية عن كثرته جداً.

﴿٣٩ ـ ٤٠ ﴾ ﴿والـذيـن كـفروا أعمالهم كسراب بقيعة بحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوقًاه حسبابه والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور ﴾ هذان مثلان، ضربهما الله لأعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها

فقال: ﴿والذين كفروا﴾ بربهم وكذبوا رسله ﴿أعمالهم كسراب بقيعة﴾ أي: بقاع، لا شجر فيه ولا نبت.

﴿ يحسبه الظمآن ماء ﴾ شديد العطش، الذي يتوهم ما لا يتوهم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حسبان باطل، فيقصده ليزيل ظمأه، ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ فندم ندماً شديداً، وإزداد ما به من الظمأ، بسبب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، تُرَى ويظنها الجاهل الذي لا يدري الأمور، أعمالاً نافعة، فيغره صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضاً أعمالاً نافعة لهواه، وهو أيضاً محتاج إليها بل مضطرٌ إليها، كاحتياج الظمآن للماء، حتى إذا قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئاً، والحال إنه لم ﴿وجد الله عنده فوفاه حسابه ﴾. لم يَخُفَ عليه من عمله نقير ولا قطمير، ولن يعدم منه قليلاً ولا كثيراً، ﴿والله سريع الحساب فلا يستبطىء الجاهلون ذلك الوعد، فإنه لا بدمن إتيانه، ومَثِّلها الله بالسراب الذي بقيعة، أي: لا شجر فيه ولا نبات، وهذا مثال لقلوبهم، لا خير فيها ولا بر، فتزكو فيها الأعمال وذلك للسبب المانع، وهو الكفر.

والمثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار وكظلمات في بحر لجي بعيد قعره، طويل مداه ويغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدت الظلمة جداً، بحيث إن الكائن في تلك الحال وإذا أخرج يده لم يكد يراها مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكمت على قلوجهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير

فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذاً لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطاها مولاها، ومنحها ربها. يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال جميع الكفار، كل منهما، منطبق علَّيها، وعَدَّدَهُما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبوعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم.

﴿ ٤١ ــ ٤٢ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَ اللهُ يَسَبِّحُ له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون * ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير ﴾ ينبه تعالى عباده على عظمته، وكمال سلطانه، وافتقار جميع المخلوقات له في ربوبيتها، وعبادتها فقال: ﴿ أَلَمْ تُو أن الله يسبح له من في السماوات والأرض، من حيوان وجماد ﴿والطير صافات الله أي: صافات أجنحتها، في جو السماء، تسبح ربها. ﴿كُلُ♦من هذه المخلوقات ﴿قدعلم صلاته وتسبيحه اي: كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللائقة به، وقد ألهمه الله تلك الصلاة والتسبيح، إما بواسطة الرسل، كالجن والإنس والملائكة، وإما بإلهام منه تعالى، كساثر المخلوقات غير ذلك، وهذا الاحتمال أرجح، بدليل قوله: ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي: علم جميع أفعالها، فلم يخف عليه منها(١) شيء، وسيجازيهم بذلك، فیکون علی هذا، قد جمع بین علمه^(۲) بأعمالها، وذلك بتعليمه، وبين علمه بأعمالهم المتضمن للجزاء.

البَيَالُ لَانْلُهِ هُرِيِّحَكَرَةً وَلَابَيْتُمْ عَن ذِكْرَاللَّهِ وَاقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِسَّالَ الرَّكَوْةِ يَعَافُونَ وَمَالَنَقَلُّ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَضْرُ لِعَزِيَهُ مُالِنَةُ أَحْسَنَ مَاعِيلُواْ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِلُّهُ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِحِسَابِ ۞ وَٱلَّذِينَ كُفَرُوا أَعْمَالُهُمُ مُكَسَرَابٍ بقيعية يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْعَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَلَّهُ لَا يَجِدُهُ مُثَيِّنًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ وَوَفَّنْهُ حِسَابَةُ وَاللَّهُ سَرِيعُ أَنْحَسَابِ ﴿ أَوْكُمُ أَمُّنَتِ في بَغَرِلُجِيَّ يَعُشَلُهُ مَوْجٌ مِّن فَرَقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوَقِهِ وسَحَالًا طَلُكُتُ بِعَضُهَا فَوْقَ بَعْضِ إِنَّا أَخْرَجَ يِنَدُ لَرْيَكَ لَهُ يَكُولُونَ لَّهُ يَجْعَل اللَّهُ المُثُورًا فَالْمُونُ فُورِ ﴿ أَلْوَتَدَأَنَّ اللَّهَ يُسْبَعُ لَهُ مَن فِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ مَنْقَلْتِ حُكُلٌّ قَدْ عَلِرْ مَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَايِفَعَلُونَ ۞ وَلِقُومُلُكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضُ مَالَى اللَّهِ الْمُصِيرُ فِ أَلْرَسَرَأَتِ الْقَدَيْرِي مَعَالِالْرُ يُوَلِّفُ بِيَّنَهُ وَثُرِيَجُعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْفَ يَغْرُجُ مِنْ خِلْلِهِ وَيُزَلُّ مِنَ السَّمَاءُ مِن جِهَالٍ فِيهَامِنُ بَرَعِ فَيُصِيبُ بِهِ مِن يَشَاَّهُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَكَّهُ يَكَادُ سَنَا رَقِيهِ يَذْ هَبُ إِلَّا بَصَلِ ۞ 700 00000

ويحتمل أن الضمير في قوله: ﴿قَدَ علم صلاته وتسبيحه ﴾ يعود إلى الله ، وأن الله تعلى قد علم عباداتهم ، وإن لم تعلموا - أيها العباد - منها ، إلا ما أطلعكم الله عليه . وهذه الآية كقوله تعلى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ .

فلما بين عبوديتهم وافتقارهم إليه من جهة العبادة والتوحيد - بين افتقارهم، من جهة الملك والتربية والتدبير فقال:

وله ملك السماوات والأرض خالقهما (٣) ورازقهما، والمتصرف فيسهما، في حكمه الشرعي [والقدري] (٤)، في هذه الدار، وفي حكمه الجزائي، بدار القرار، بدليل قوله: ﴿وإلى الله المصير ﴾أي: مرجع الخلق ومآلهم، ليجازيهم بأعمالهم.

﴿٢٤ ـ ٤٤ ﴾ ﴿ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لاولي

⁽١) في النسختين (منه).

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: علمها.

⁾ في النسختين: خالقها، ولعل (٤) زيادة من هامش: ب.

الصواب ما أثبته.

يُقِلُهُ اللَّهُ الَّذِلَ وَالنَّهَارُ إِذَ فِي ذَلِكَ لَمِيزَةً لِأُولِ الْأَبْصَرِ فِي وَأَقَدُ خَلَقَكُلُ دَآبَةٍ مِن مَّلْوَ فِينَهُ مِنْ يَنْشِي عَلَىٰ بَطْنِور وَمِنْهُم مَّن يَيْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُ رَمِّن يَكِيْشِي عَلَىٰٓ أَذِيَوْ يَعْلَقُواْلَكُ مَا يَشَآ أَوْ إِنَّالَةَ عَلَىكُ إِنَّهُ وَقَدِيرٌ ۞ أَقَدَ أَنْزُلْنَا ٓ الَّذِنِّ مُبَايِنَاتٍ وَٱلْقَهُ يَهَ دِى مَن يَشَكَّهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيدٍ ۞ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيِالْرَسُولِ وَأَطَعْنَا ثُعَّ يَنُونَّى فَيِقُّ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَكِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَلِمَادُعُولَ إِلْلَاللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحَكُّرِيَّيْنَعُمُ إِذَا فَهِ فِي قَمْنَهُ مِثْعَ فِهُونَ ۞ وَإِن كِنْ لَمُعُرَّا كُونُ يَاتُوا إِلَيْهِ مُنْعِينِينَ ۞ أَنِي قُلُوبِهِ مِرْضُ أَمِ ٱرْتَكَابُوا أَمْرَيَكَا فُونَ أَن يَمِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ مِنْ أُوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ إِمَّا كَانَ قَوْلُ ٱلْمُتَوْمِينِ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ يَتَنْهُمُ أَن يَقُولُواْ مَيْمُنَا وَأَمَلَمُنَا وَأُولَلِكَ مُولِلْفَلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِع الله وَرَسُولُهُ وَيَغَمَلُ اللَّهُ وَيَتَّقُو فَأُولَكِكَ هُمُ الْفَآيِرُونَ ٥ • وَأَمْسَعُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْلَزِهِ لَهِنْ أَمْرَتَهُ مُرْكِحُ فَي قُل لَّا نَقْسِمُوا مَا عَدُّ مَعُوفَ أَ إِنَّا لَهُ خِيرٌ عِالَقَتَ عَلَونَ ٥

الأبصار أي: ألم تشاهد ببصرك، عظيم قدرة الله، وكيف (يزجي) أي: يسوق (سحاباً) قطعاً متفرقة (ثم يؤلف) بين تلك القطع، فيجعله سحاباً متراكماً، مثل الجبال.

﴿ فستسرى السودق﴾ أي: السوابسل والمطر، يخرج من خلال السحاب، نقطاً متفرقة، ليحصل بها الانتفاع من دون ضرر، فتمتلىء بذلك الغدران، وتسيل الأودية، وتنبت الأرض من كل زوج كريم، وتارة ينزل الله من ذلك السحاب بَرَداً يُتْلِفُ ما يصيبه.

﴿ فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ويصرفه عن من يشاء بحسب ما اقتضاه حكمه القدري، وحكمته التي يحمد عليها، فيكاد سنا برقه أي: يكاد ضوء برق ذلك السحاب، من شدته ﴿ يذهب بالأبصار ﴾ أليس الذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجه يحصل به النفع وينتفي به الضرر، كامل القدرة، نافذ المشيئة، واسع الرحمة؟.

﴿يقلب الله الليل والنهار ﴾ من حر إلى برد، ومن برد إلى حر، من ليل إلى نهار، ونهار إلى ليل، ويُدِيلُ الأيام بين عباده، ﴿إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾ أي: لذوي البصائر، والعقول النافذة للأمور المطلوبة منها، كما تنفذ الأبصار إلى الأمور المشاهدة الحسية. فالبصير ينظر إلى هذه

المخلوقات نظر اعتبار وتفكر وتَدبُّر لما أريد بها ومنها، والمعرض الجاهل نظره إليها نظر غفلة، بمنزلة نظر البهائم.

﴿ 23 ﴾ ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ ينبه عباده على ما يشاهدونه، أنه خلق جميع الدواب التي على وجه الأرض، ﴿ من ماء ﴾ أي: مادتها كلها الماء، كما قال تعانى: ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

فالحيوانات التي تتوالد، مادتها ماء النطفة، حين يلقح الذكر الأنثى. والحيوانات التي تتولد من الأرض، لا تتولد إلا من الرطوبات الماثية، كالحشرات لا يوجد منها شيء، يتولد من غير ماء أبداً، فالمادة واحدة، ولكن الخلقة مختلفة من وجوه كثيرة، ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحية ونحوها، ﴿ومِنهم من يمشي على رجلين﴾ كالآدميين، وكثير من الطيور، ﴿ومنهم من يمشى على أربع > كبهيمة الأنعام ونحوها. فاختلافها ممع أن الأصل واحد _ يدل على نفوذ مشيئة الله، وعموم قدرته، ولهذا قال: ﴿ يَخْلَقُ اللهُ ما يشاء ﴾ أي: من المخلوقات، على ما يشاؤه من الصفات، ﴿إِن الله على كل شيء قدير الكلما أنبزل المطرعلي الأرض، وهو لقاح واحد، والأم واحسدة، وهسى الأرض، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلونَ ﴿ .

﴿٤٦﴾ ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يسساء إلى صراط مستقيم﴾ أي: لقد رحمنا عبادنا، وأنزلنا إليهم آيات بينات، أي: واضحات الدلالة، على جميع المقاصد السرعية، والآداب المحمودة، والمعارف الرشيدة، فاتضحت بذلك السبل، وتبين الرشد من الخي،

والهدى من الضلال، فلم يبق أدنى شبهة لمبطل يتعلق بها، ولا أدنى إشكال لمريد الصواب، لأنها تنزيل مَنْ كُمُلُ علمه، وكملت رحمته، وكمل بيانه، فليس بعد بيانه بيان ﴿ليهلك﴾ بعد ذلك ﴿من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ﴾، ﴿والله يهدي من يشاء ﴾ من سبقت لهم سابقة الحسني، وقدم الصدق، ﴿إلى صراط مستقيم﴾ أي: طريق واضح مختصر، موصل إليه، وإلى دار كرامته، متضمن العلم بالحق وإيثاره والعمل به. عمم البيان التام لجميع الخلق، وخصص بالهداية من يشاء، فهذا فضله وإحسانه، وما فضل الكريم بممنون وذاك عدله، وقطع الحجة للمحتج، والله أعلم حيث يجعل مواقع إحسانه.

﴿٤٧ ـ ٥٠ ﴾ ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين * وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون، يخبر تعالى عن حالة الظالمين، ممن في قلبه مرض وضعف إيمان، أو نفاق وريب وضعف علم، أنهم يقولون بألسنتهم، ويلتزمون الإيمان بالله والطاعة، ثم لا يقومون بما قالوا، ويتولى فريق منهم عن الطاعة تَوَلَياً عظيماً، بدليل قوله: ﴿وهم معرضون﴾ فإن المتولى، قد يكون له نيةً عود ورجوع إلى ما تولى عنه، وهذا المتولي معرض، لا التفات له، ولا نظر لما تولى عنه، وتجد هذه الحالة مطابقة لحال كثير من يدُّعِي الإيمان والطاعة لله وهو ضعيف الإيمان، تجده لا يقوم بكثير من العبادات، خصوصاً: العبادات التي تشق على كثير من النفوس، كالزكوات، والنفقات الواجبة والمستحبة، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك.

﴿ وَإِذَا دَعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولُهُ لِيحِكُمُ بِينَهُم ﴾ أي: إذا صار بينهم وبين أحد

حكومة، ودعوا إلى حكم الله ورسوله ﴿إِذَا فُرِيقَ مِنْهُمُ مِعْرِضُونَ ﴾ يريدون أحكام الجاهلية، ويفضلون أحكام القوانين غير الشرعية على الأحكام الشرعية، لعلمهم أن الحق عليهم، وأن الشرع لا يحكم إلا بما يطابق الواقع، ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه ﴾ أي: إلى حكم الشرع ﴿مذعنين﴾ وليس ذلك لأجل أنه حكم شرعي، وإنما ذلك لأجل موافقة أهواتهم، فليسوا ممدوحين في هذه الحال، ولو أتوا إليه مذعنين، لأن العبد حقيقة، من يتبع الحق فيما يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه، وينبذه عند مخالفته، ويقدم الهوى على الشرع، فليس بعبد على الحقيقة، قال الله في لومهم على الإعراض عن الحكم الشّرعي: ﴿أَفِي قلوبهم مرض اي: علة، أخرجت القلب عن صحته وأزالت حاسته، فصار بمنزلة المريض، الذي يعرض عما ينفعه، ويقبل على ما يضره، ﴿أُم ارتابوا ﴾ أي: شكوا، وقلقت قلوبهم من حكم الله ورسوله، واتهموه أنه لا يحكم بالحق، ﴿أُم يَحَافُونَ أَنْ يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ أي: يحكم عليهم حكماً ظالماً جائراً، وإنما هذا وصفهم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾

وأما حكم الله ورسوله، ففي غاية العدالة والقسط، وموافقة الحكمة. فومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون أو . وفي هذه الآيات، دليل على أن الإيمان، ليس هو مجرد القول حتى يقترن به العمل، ولهذا نفى الإيمان عمن تبولى عن البطاعة، ووجوب الانقياد لحكم الله ورسوله في كل حال، وأن من ينقذ له دل على مرض في قلبه، وريب في إيمانه، وأنه يحرم إساءة الظن بأحكام الشريعة، وأن يظن باخلاف العدل والحكمة.

ولما ذكر حالة المعرضين عن الحكم الشرعي، ذكر حالة المؤمنين المدوحين، فقال:

﴿ ٥ - ٢ ٥ ﴾ ﴿إنسما كان قول المؤسنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾.

أي: ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ حقيقة، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج.

﴿وأولئك هم المفلحون ﴾ حصر الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله.

ولما ذكر فضل الطاعة في الحكم خصوصاً، ذكر فضلها عموماً، في جميع الأحوال، فقال: ﴿وَمِنْ يَطْعُ اللهُ ورسوله المنصدق خبرهما ويمتثل أمرهما، ﴿ويخش الله ﴾ أي: يخاف خوفاً مقروناً بمعرفة، فيترك ما نهي عنه، ويكف نفسه عما تهوى، ولهذا قال: ﴿ويتقه ﴾ بترك المحظور، لأن التقوى _عند الإطلاق _يدخل فيها، فعل المأمور، وترك المنهى عنه، وعند اقترانها بالبر أو الطاعة -كما في هذا الموضع - تفسر بتوقّي عذاب الله، بترك معاصيه، ﴿فأولئك﴾ الذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة رسوّله، وخشية الله وتقواه، ﴿ هم الفائزون ﴾ بنجاتهم من العذاب، لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب، لفعلهم أسبابه، فالفوز محصور فيهم، وأما من لم يتصف بوصفهم، فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قبصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة، واشتملت هذه الآية، على الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق

المختص بالله، وهو الخشية والتقوى،

وبقي الحق الثالث المختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، كما جمع بين الحقوق الثلاثة في سورة الفتح في قوله: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾.

﴿٥٣ _ ٤٥٠ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون * قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين﴾ يخبر تعالى عن حالة المتخلفين عن الرسول على في الجهاد من المنافقين، ومن في قلوبهم مرض وضعف إيمان أنهم يقسمون بالله، ﴿لَئِن أَمْرَتُهُم ﴾ فيما يستقبل، أو لئن نصصت عليهم حين خرجت ﴿ليخرجن ﴾ والمعنى الأول أولى. قال الله _راداً عليهم _: ﴿قُلْ لا تقسموا الى: لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم، فإن الله قد نبأنا من أخباركم، وطاعتكم معروفة، لا تخفى علينا، قد كنا نعرف منكم التثاقل والكسل من غير عذر، فلا وجه لعذركم وقسمكم، إنما يحتاج إلى ذلك، من كان أمره محتملاً، وحاله مشتبهة، فهذا ربما يفيده العذر براءة، وأما أنتم فكلا ولما، وإنما ينتظر بكم ويخاف عليكم حلول بأس الله ونقمته، ولهذا توعدهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهُ خبير بما تعملون، فيجازيكم عليها أتم الجزاء، هذه حالهم في نفس الأمر، وأما الرسول عليه الصلاة والسلام، فوظيفته أن يأمركم وينهاكم، ولهذا

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن استشلوا، كان حظكم وسعادتكم (١) ، وإن ﴿تولوا فإنما عليه ما حمل من الرسالة ، وقد أداها . ﴿وعليكم ما حملتم و من الطاعة ، وقد بانت حالكم وظهرت ، فبان ضلالكم وغيكم واستحقاقكم العذاب . ﴿وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ إلى الصراط المستقيم ،

قولاً وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال.

﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ أي: تبليغكم البين الذي لا يُبقي لأحد شكاً ولا شبهة، وقد فعل ﷺ، بلغ البلاغ المبين، وإنما الذي يحاسبكم ويجازيكم هو الله تعالى، فالرسول ليس له من الأمر شيء، وقد قام بوظيفته.

و٥٥) ﴿وَعد الله الله عن آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوقهم أمنأ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلكٌ فأولتك هم الفاسقون﴾ هذا من أو عاده (١) الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وَعَدُّ من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يُمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديانُ وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذي كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جداً بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغواً لهم الغوائل.

فوعدهم الله هذه الأمور وقت نسزول الآية ، وهي لم تسساهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها ، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي ، والأمن التام ، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً ، ولا يخافون أحداً إلا الله ، فقام صدر هذه

الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض وصغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فيلا بدأن يوجد ما الكفار والمنافقين، ويُديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح.

﴿ ومن كفر بعد ذلك ﴾ التمكين والسلطنة التامة لكم، يا معشر المسلمين، ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الندين خرجوا عن طاعة الله، وفسدوا، فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره، وعدم وجود الأسياب المانعة منه، يدل على فسادنيته، وخبث طويته، لأنه لا داعى له لترك الدين إلا ذلك. ودلت هذه الآية، أن الله قد مكن من قبلنا، واستخلفهم في الأرض، كما قال موسى لقومه: ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون، وقالً تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في

﴿٥٥ - ٥٥﴾ ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبشس المصير﴾ يأمر تعالى بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وآدابها، ظاهراً وباطناً، وبإيتاء الزكاة من الأموال التي استخلف الله عليها الغيد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهم، ممن ذكرهم الله لصرف الزكاة، فهذان أكبر الطاعات وأجلهما، جامعتان لحقه وحق خلقه، وللإحسان إلى للمعبود، وللإحسان إلى

العبيد، ثم عطف عليهما الأمر العام، فقال: ﴿وَاطْيِعُوا الرسول﴾ وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿من يبطع السرسول فقد أطباع الله ﴿لعلكم ﴾ حين تقومون بذلك ﴿ترحون ﴾ فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو مُتمنً كاذب، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة.

﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض﴾ فلا يغررك ما مُتعوا به في الحياة الدنيا، فإن الله، وإن أمهلهم فإنه لا يهملهم ﴿نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾.

ولهذا قال هنا: ﴿ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ أي: بئس المآل، مآل الكافرين، مآل الشر والحسرة والعقوبة الأبدية.

﴿٥٨﴾ ﴿يا أيها السذيس آمسوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم أمر المؤمنين أن يستأذنهم ماليكهم، والذين لم يبلغوا الحلم منهم. قد ذكر الله حكمته وأنه ثلاث عورات للمستأذن عليهم، وقت نومهم بالليل بعد العشاء، وعند انتباههم قبل صلاة الفجر، فهذا _ في الغالب _ أن النائم يستعمل للنوم في الليل ثوباً غير ثوبه المعتاد، وأما نوم النهار، فلمَّا كان في الغالب قليلاً، قد ينام فيه العبد بثيابه المعتادة، قيده بقوله: ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴿ أَي : للقائلة، وسط النهار.

ففي ثلاثة هذه الأحوال، يكون المماليك والأولاد الصغار كغيرهم، لا يُمكنون من الدخول إلا بإذن، وأما

ما عدا هذه الأحوال الثلاثة فقال: ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ أي: ليسوا كغيرهم، فإنهم يحتاج إليهم دائماً، فيشق الاستئذان منهم في كل وقت، ولهذا قال: ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ أي: يترددون عليكم في قضاء أشغالكم وحوائجكم.

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ بياناً مقروناً بحكمته، ليتأكد ويتقوى ويعرف به رحمة شارعه وحكمته، ولهذا قال: ﴿والله عليم حكيم﴾ له العلم المحيط بالواجبات والمستحيلات فيء موضعه، فأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، وأعطى كل حكم شرعي حكمه اللاثق به، ومنه هذه الأحكام التي بيّنها وبيّن مآخذها وحسنها.

و و و فراذا بلغ الأطفال منكم الحلم وهو إنزال المني يقظة أو مناماً، فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم أي: في سائر الأوقات، والذين من قبلهم، هم الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية.

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ ويوضحها، ويفصل أحكامها ﴿والله عليم حكيم﴾.

وفي هاتين الآيتين فوائد، منها: أن السيد وولي الصغير، مخاطبان بتعليم عبيدهم ومن تحت ولايتهم من الأولاد، العلم والآداب الشرعية، لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: فيا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم الآية، ولا يمكن ذلك، إلا بالتعليم والتاديب، ولقوله: ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾.

ومنها: الأمر بحفظ العورات، والاحتياط لذلك من كل وجه، وأن

المحل والمكان، الذي مظنة لرؤية عورة الإنسان فيه، أنه منهيًّ عن الاغتسال فيه والاستنجاء، ونحو ذلك.

ومنها: جواز كشف العورة لحاجة، كالحاجة عند النوم، وعند البول والغائط، ونحو ذلك.

ومنها: أن المسلمين كانوا معتادين للقيلولة وسط النهار، كما اعتادوا نوم الليل، لأن الله خاطبهم ببيان حالهم الموجودة.

ومنها: أن الصغير الذي دون البلوغ، لا يجوز أن يُمكن من رؤية العورة، ولا يجوز أن تُرى عورته، لأن الله لم يأمر باستئذانهم، إلا عن أمر ما عوز.

ومنها: أن المملوك أيضاً، لا يجوز أن يرى عورة سيده، كما أن سيده لا يجوز أن يرى عورته، كما ذكرنا في الصغير.

ومنها: أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهم، عن يتكلم في مسائل العلم الشرعي، أن يقرن بالحكم، بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجرداً عن الدليل والتعليل، لأن الله _ لما بين الحكم المذكور _ علله بقوله: ﴿ثلاث عورات لكم﴾.

ومنها: أن الصغير والعبد، خاطبان، كما أن وليهما نخاطب لقوله: لا عليكم ولا عليهم جناح بعدهن .

ومنها: أن ريق الصبي طاهر، ولو كان بعد نجاسة، كالقيء، لقوله تعالى: ﴿طوافون عليكم ﴾ مع قول النبي ﷺ حين سئل عن الهرة: ﴿إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات».

ومنها: جواز استخدام الإنسان مَنْ تحت يده، من الأطفال على وجه

المُن أَلِمُ اللَّهُ وَأَلِمِهُ أَالرَّسُولُ فَإِن وَكَّوْا فَإِنَّا عَلَيْهِ مَاحُمِّلًا الم وَعَلَيْكُ مِنَا مُثَلِّدُ وَإِن تُطِيعُهُ وَمَعْ تَدُواْ وَمَاعَ الْرَسُول إِلَّا ٱلْبَلَعُ ٱللَّهِ مِنْ ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ مَامَوُ إِينَكُمْ وعمله اللصلكحك لتستخلفتهم في الأزمين كمّا استخلف ٱلْذِينِ مِن قَبُلُهِ مُولَيْهُ كُنَّ لَكُمْ دِينَهُ مُٱلَّذِي ٱلْصَحَالَةُ مَا ﴾ وَلِيْبَ وَلَنْهَ وَمَنْ مِعْدِ خَفِهِ مْ أَمَّنَّا يَجُدُ وَنَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيَّتًا وَمِن كَفَرَيَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَلَهِكَ هُمُ الْفَلِيقُونَ @ وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزُّكُوهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمُ زُحَوَلَ ۞ لَا تَعْسَبَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِنِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَهُمُ ٱلنَّارُّ وَلَيْنُو ٱلْمَصِيرُ ﴿ يَتَأَلِّهَا ٱلَّذِينَ مَامَوُ الْمِسْلَعَذِنكُو ٱلَّذِنَ مَلَكُتُ آعَنَتُكُو وَالَّذِنَ لَهُ سَيِلُوا ٱلْحُلُّمُ مِنكُوثَكَ مَرَاتُونَ قَيْل صَلَا وْٱلْفَجْرِ وَبِينَ تَعْسَعُونَ ثِيَّا بَكُرُ مِّى ٱلظَّهِ بِرَوْوَمِنْ بَعْدِ صَلَوْةِ ٱلْعِشَاءُ ثَلَثُ عَوْرَتِ لَّكُمُّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَاعَلَيْهِ رَجُنَا مُّاتِعً لَهُ أَنَّ مُلَوَّقُونَ عَلَيْكُرْ بَعْثُ كُوعَلَا يَعْفِنْ كَذَاكِ يُبَيِّنُ اللهُ لَعَكُمُ الْآلِكَةِ وَاللهُ عَلِيدُ حَكِيدً DE TOVE OF SECTION

معتاد، لا يشق على الطفل لقوله: ﴿طوافون عليكم﴾.

ومنها: أن الحكم المذكور المفصل، إنما هو لما دون البلوغ، فأما ما بعد البلوغ، فليس إلا الاستئذان.

ومنها: أن البلوغ يحصل بالإنزال، فكل حكم شرعي رتب على البلوغ، حصل بالإنزال، وهذا مجمع عليه، وإنما الخلاف، هل يحصل البلوغ بالسن، أو الإنبات للعانة، والله أعلم.

﴿١٠ ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابهنّ غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهنّ والله سميعٌ عليمٌ والقواعد من النساء أي: اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً ﴾ أي: لا يطمعن في النكاح، ولا يُطمعُ فيهن، وذلك لكونها عجوزاً لا تُشتهى، أو دميمة الخلقة لا تَشْتَهي ولا تُشْتَهَىٰ (١٠) وإثم ﴿أن يضعن ثيابهن ﴾ أي: الثياب وإثم ﴿أن يضعن ثيابهن ﴾ أي: الثياب الظاهرة، كالخمار ونحوه، الذي والى الله فيه للنساء: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾. فهؤلاء، بخمرهن على جيوبهن ﴾. فهؤلاء،

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْمُثْلَمَ فَلْتَسْتَنْفِوْلُكُمَّا ٱسْتَغَذَّنَّ الَّذِيكِ مِن قَبْلِهِ مُركَدُ لِلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ مَا يَسَيُّهِ وَاللَّهُ اللَّهِ عَلِيهُ حَكِيمٌ ۞ وَٱلْقَوْعِهُ مُن ٱلنِّسَآ وَٱلَّتِي لَايَرْجُونَ يْكَامُا فَلِسَ عَلَيْهِ ﴿ جُنَاءُ أَنْ يَضَعْ لِيَاتَهُ أَنْ يَضَعْ لِيَاتَهُ أَنْ يَضَعْ لِيَاتَهُ وَعَيْرَ مُتَكِرِّحَكَ بِزِيكَةٌ وَأَن يَسَتَعْفِفْ خَيْرُهُمُ أَنَّ وَأَلْمَهُ سَعِيعُ عَلِيمُ ۞ أَيْسَ عَلَالْغَمَن حَدَثُ وَلَاعَكَ الْأَغْرَج حَنَيٌّ وَلَاعَكَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَاعَكَنَّ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنْ يُورِكُمْ أَوْيُرُونِ ءَابَآيِكُمْ أَوْيُرُونِ أَمَّهُ لِيْكُمْ أَوْيُونِ إِخْوَانِكُمْ أَوْيُونِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْبُونِ أَعْلَمِكُمْ أَوْبُونِ عَمَّايَكُمْ أَوْبُونِ أَخْوَالِكُمْ أُوبُونِ خَلَايْكُمْ أَوْمَامَلَكُمْ مُفَاتِحَةً أَوْصَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن سَاحُكُوا جَيِعًا أَوْأَشَانَا أَفَا ذَخَلَتُهُ بِيُورِيَا فَسَلِمُواعَلَ الْ أَنفُسِكُمْ غِيَّةً مِنْ عِندِ اللَّهُ مُبَالِكَةُ طَيِّبَةً كَذَاكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَكِ لَمَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ TO DE TON ESTA ESTA

يجوز لهن أن يكشفن وجوههن لأمن المحذور منها وعليها، ولما كان نَفْيُ الحرج عنهن في وضع الثياب، ربما توهم منه جواز استعمالها لكل شيء، دفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿غير متبرجات بزينة ﴾ أي: غير مظهرات للناس زينة، من تجمل بثياب ظاهرة، وتستر وجهها، ومن ضرب الأرض برجلها، ليعلم ما تخفي من زينتها، لأن مجرد الزينة على الأنشى، ولو مع تسترها، ولوكانت لا تشتهي يفتن فيها، ويوقع الناظر إليها في الحرج ﴿وأن يستعففن خير لهن ﴿ . والاستعفاف: طلب العفة، بفعل الأسباب المقتضية لذلك، من تزوج وتَرْكِ لما يُحشى منه الفتنة، ﴿واللهُ سميع الأصوات (عليم) بالنيات والمقاصد، فلْيَحْذُرْنَ من كُلِّ قول وقصد فاسد، ويعلمن أن الله يجازى على ذلك.

﴿ ٦١﴾ ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت

أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت ضلاتكم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جيعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون في يُغبر تعالى عن مِئتِهِ على عباده، وأنه لم يجعل عليهم في الدين من حرج بل يسّره غاية التيسير، فقال:

﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولاعلى المريض حرج) أي: ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور الواجبة، التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر للأعمى، أو سلامة للأعرج، أو صحة للمريض، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه، أطلق الكلام فى ذلك، ولم يقيد، كما قيد قوله: ﴿ولا على أنفسكم ﴾ أي: حرج ﴿أن تأكلوا من بيوتكم، أي: بيوت أولادكم، وهذا موافق للحديث الشابت: «أنت ومالك لأبيك»، والحديث الآخر: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم، وليس المراد من قوله: ﴿من بيوتكم له بيت الإنسان نفسه، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، الذي ينزه عنه كلام الله، ولأنه نفي الحرج عما يظن أو يتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه فليس فيه أدنى توهم .

﴿أو بسيوت آبائكم أو بسيوت أمهاتكم ، أو ببيوت إخوانكم ، أو ببيوت أخوانكم ، أو ببيوت أخوانكم ، أو ببيوت عماتكم ، أو ببيوت عماتكم ، أو ببيوت أخوالكم ، أو ببيوت خالاتكم ﴾ وهؤلاء معروفون ، بيوت خالاتكم هفاتحه ﴾ أي: البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة ، أو ولاية ونحو ذلك ، وأما تفسيرها

بالمملوك، فليس بوجيه، لوجهين:

أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه «ملكت مفاتحه» بل يقال: «ما ملكتموه» أو «ما ملكت أيمانكم» لأنهم مالكون له جملة، لا لمفاتحه فقط.

والثاني: أن بيوت المماليك، غير خارجة عن بيت الإنسان نفسه، لأن المملوك وما ملكه لسيده، فلا وجه لتفي الحرج عنه.

﴿أو صديقكم ﴾ وهذا الحرج المنفي عن الأكل (١)، من هذه البيوت كل ذلك، إذا كان بدون إذن، والحكمة فيه معلومة من السياق، فإن هؤلاء المسمين (٢)، قد جرت العادة والعرف، بالمساعة في الأكل منها، لأجل القرابة القريبة، أو التصرف التام، أو الصداقة، فلو قُدر في أحد من هؤلاء عدم المساعة والشمع في الأكل المذكور، لم يجز الأكل، ولم يرتفع الحرج، نظراً للحكمة والمعنى.

وقوله: ﴿لِيس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ﴾ فكل ذلك جائز، أكل أهل البيت الواحد جميعاً، أو أكل كل واحد منهم وحده، وهذا نفي للحرج، لا نَفي للفضيلة وإلا فالأفضل الاجتماع على الطعام.

﴿فإذا دخلتم بيوتا﴾ نكرة في سياق الشرط، يشمل بيت الإنسان وبيت غيره، سواء كان في البيت ساكن أم لا، فإذا دخلها الإنسان ﴿فسلموا على أنفسكم﴾ أي: فليُسلَم بعضكم على بعض، لأن المسلمين كأنهم شخص واحد، من تواددهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق بين بيت والاستئذان تقدم أن فيه تفصيلاً في أحكامه، شم مدح هذا السلام فقال: ﴿تحية من عند الله مباركة

⁽١) في ب: من.

 ⁽٢) مراد الشيخ _ رحمه الله _ فإن بيوت هؤلاء المسمين، كما يبدو _ والله أعلم _.

طيبة ﴾ أي: سلامكم بقولكم: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» أو «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» إذ تدخلون البيوت، ﴿تحية من عند الله أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم، ﴿مباركة﴾ لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة والبركة والنماء والزيادة، ﴿طيبة﴾ لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيب نفس للمحيا، ومحبة وجلب مودة.

لما بين لنا هذه الأحكام الجليلة قال: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ الدالات على أحكامه الشرعية وحكمها، ﴿لعلكم تعقلون﴾ عنه فتفهمونها، وتعقلونها بقلوبكم، ولتكونوا من أهل العقول والألباب الرزينة، فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد به العقل، وينمو به اللب، لكون معانيها أجل المعاني، وآدابها أجل الآداب، ولأن الجزاء من جنس العمل، فكما استعمل عقله للعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي دعاه إليها، زاده من ذلك.

وفي هذه الآيات دليل على قاعدة عامة كُلية وهي: «أن العرف والعادة مخصص للألفاظ، كتخصيص اللفظ للفظ». فإن الأصل، أن الإنسان ممنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هؤلاءً، للعرف والعادة، فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف، جاز الإقدام عليه.

وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتاً للإنسان.

وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام السائل

وفيها دليل، على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو

متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض.

﴿ ٦٢ _ ٦٤ ﴾ ﴿إنما المؤمنون الذين

آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إنّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إنّ الله غمفور رحيم * لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قديعلم الله الذين يتسللون منكم لواذأ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم * ألا إنَّ لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بمأ عملوا والله بكل شيء عليم المذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعاً، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضى اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن بالله ورسوله حقاً، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولا يذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، فقال: ﴿إِن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴾ ولكن هل يأذن لهم أم لا؟ ذكر لإذنه لهم

أحدها: أن يكون لشأن من شؤونهم، وشغل من أشغالهم، فأما من يستأذن من غير عذر، فلا يؤذن له.

والثاني: أن يشاء الإذن له فتقتضيه المصلحة، من دون مضرة بالأذن،

﴿ فَإِذَا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الله فإذا كان له عذر

高温 印度制度元 () 医特别性 | 多点 الِمَّا ٱلْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَاكَ انُوا لَمُعَدُ عَلَىٰٓ أَمْرِ جَامِعٍ لَرْيَدْ هَسَبُواْ حَتَىٰ يَسْتَغَذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِيبَ اليَّمْ تَعَذِيْوَنَكَ أَوْلَتِهِ كَالَّذِي يَرُّمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهُ عَإِذَا أشتتذذؤك لتعض شأنه ذفأذن لتن شنت ينهم واستغفز المُمُوْلَةُ إِنَّ لِلَهُ عَنُوْرُ تَجِيبٌ ۞ لَا تَجْتَلُوا مُعَدِّ الرَّسُولِ إِيِّنَاكُمْ عَلَى يَعْضِكُمْ بَعْضَأً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْ لَوَاذاً فَلْيَحْدَرِ الَّذِيبَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِوهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِنَةُ أَوْيُصِيبَهُ مُعَذَابُ أَلِيمُ ۞ أَلَّا إِنَ يَعِمَانِ ٱلسَّنَوْتِ وَٱلْأَرْضِّ مَّذَيَعِلَمُمَّا أَنشُهُ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَيِّنَهُ مُرِيمًا عَكِمُلُواْ وَٱللَّهُ يِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْوَانَ عَلَى عَبْدِهِ مِلِيكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَكِذِيرًا ٥ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَالَوْنِ وَالْأَرْضِ وَلَرْبَتَّخِذُ وَلَكَ اوَلَرْ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنَّ الْمُلْكِ وَخَلَقَكُ لَّ اللَّهُ عِنْ فَقَدَّ زَمُّ قَلْدِيرًا ۞ 701 202 701

ذهابه مصلحة برأيه، أو شجاعته، ونحو ذلك، لم يأذن له، ومع هذا إذا استأذن، وأذن له بشرطيه، أمر الله رسوله أن يستغفر له، لما عسى أن يكون مقصراً في الاستئذان، ولهذا قال: ﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ يغفر لهم الذنوب ويرحمهم، بأن جوز لهم الاستئذان مع العذر.

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ أي: لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم ودعائكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً، فإذا دعاكم فأجيبوه وجوباً، حتى إنه تجب إجابة الرسول ﷺ في حال الصلاة، وليس أحد إذا قال قولاً يجب على الأمة قبول قوله والعمل به، إلا الرسول، لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهُ وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا: «يا محمد عند ندائكم، أو ايا محمد بن عبد الله كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه على عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله.

﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً ﴾ لما مدح المؤمنين بالله ورسوله، الذين إذا كانوا معه على أمر جامع لم واستأذن، فإن كان في قعوده وعدم يذهبوا حتى يستأذنوه، توعد من لم

وَأَتَّخِيذُواْ مِن دُو نِهِ يَوَالْهَةً لَّا يَخْلُقُونِ مِسْتَعَا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَبْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلا تَلْكُونَ مَوْتًا وَلاحَيْوَةُ وَلانْشُورًا ۞ وَقَالُ الَّذِيكَ كَفَرُوا إِنْ هَا ذَالَّا إِنْكُ أَفَرِّيَا لَهُ وَأَعَالُهُ عَلَيْهِ فَوْمُ ءَاحَدُونَ فَقَدْ عَلَيْهُ طُلْمًا وَنُودًا ۞ وَقَالُواْ أَسَاطِمُ ٱلْأَوْلِينِ ٱلْحُتِّنَيَّا فَعِي تُمَّالَ عَلَيْهِ بُصْحُرَةً وَأَصِيلًا ۞ قُلْ أَنزَلُهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلمِسَدّ فِي ٱلسَّمَا يُونِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّجِيمًا ٥ وَقَالُواْ مَالِ هَلَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَاءَ وَيُعْيِّي فِ ٱلْأَمْنُوا فِي لَوْ لَا أَمْدُلَ إِلَيْهِ مَلَكُ فَيَكُونَ مَعَكُمُ يَذِيرًا ۞ أَوْيُاقِيَ إِلَيْهِ كَنْزُأُوْتِكُونُ لَمُجَنَّةً يَأْكُولُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونِ إِن تَتَيِّعُونِ إِلَّارَجُ لَا مَسْحُورًا ۞ انظر كيف ضمي والك الأمشال فضكوا فلانستطيعان سَبِيلًا ۞ تَبَارَكُ ٱلَّذِي إِن شَاآة جَعَلَ لَكَ خَمْلِينَ ذَلِكَ جَنَّتِ تَعْدِي مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۞ بَلْ اللُّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ السَّاعَةُ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ السَّاعَةِ سَعِيرًا ۞ OUSSOUN BERNESS

يفعل ذلك وذهب من غير استئذان، فهو وإن خفي عليكم بذهابه على وجه خفي، وهو المراد بقوله: ﴿يتسللون منكم لواذاً﴾ أي: يلوذون وقت تسللهم وانطلاقهم بشيء يحجبهم عن العيون، فالله يعلمهم، وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء، ولهذا توعدهم بقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله ورسوله، فكيف بمن لم يذهب إلى شأن من شؤونه؟!! وإنما يذهب إلى شأن من شؤونه؟!! وإنما ترك أمر الله من دون شغل له.

﴿ أَنَّ تصيبهم فَتَنَةَ ﴾ أي: شرك وشر ﴿ أو يصيبهم عذاب اليم ﴾ .

والا إن لله ما في السماوات والأرض ملكاً وعبيداً، يتصرف فيهم بحكمه القدري، وحكمه الشرعي. وقد مما أنتم عليه أي: قد أحاط علمه بما أنتم عليه، من خير وشر، وعلم جميع أعمالكم، أحصاها علمه، وجرى بها قلمه، وكتبتها عليكم الحفظة الكرام الكاتبون.

﴿وربوم يرجمون إليه في يوم القيامة ﴿ونبنتهم بما عملوا ﴾ يجبرهم بجميع أعمالهم، دقيقها وجليلها، إخباراً مطابقاً لما وقع منهم، ويستشهد عليهم أعضاءهم، فلا يعدمون منه فضلاً أو عدلاً.

ولما قيد علمه بأعمالهم، ذكر العموم بعد الخصوص، فقال: ﴿والله بكل شيء عليم﴾

تفسير سورة الفرقان وهي مكية عند الجمهور

﴿١ - ٢﴾ ﴿ سِم الله السرحسن الرحيم تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً * الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدأ ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديراً ﴾ هذا بيان لعظمته الكَّاملة، وتفرده [بالوحدانية](١) من كل وجه، وكثرة خيراته وإحسانه، فقال: ﴿تبارك أي: تعاظم، وكملت أوصافه، وكثرت خيراته، الذي من أعظم خيراته ونعمه، أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، ﴿على عبده ﴾ محمد ﷺ الذي كمل مراتب العبودية ، وفاق جميع المرسلين، ﴿ليكون﴾ ذلك الإنزال للفرقان على عبده ﴿للعالمِن نَدْيِراً﴾ ينذرهم بأس الله ونقمه، ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها، كان من الناجين في الدنيا والآخرة، الذين حصلت لهم السعادة الأبدية، والملك السرمدي، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته.

﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ أي: له التصرف فيها وحده، وجميع من فيها عاليك وعبيد له، مذعنون لعظمته، خاضعون لبربوبيته، فقراء إلى رحمته، الذي ﴿ لم يكن له شريك في الملك﴾ وكيف يكون له ولد أو شريك، وهو المالك، وغيره مملوك، وهو القاهر، وغيره مقهور، وهو والمخلوقون مفتقوون إله، فقرأ ذاتياً

من جميع الوجوه؟!!

وكيف يكون له شريك في الملك، ونواصى العباد كلهم بيديه، فلا بتحركون أو يسكنون، ولا يتصرفون إلا بإذنه، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلم يقدره حق قدره من قال فيه ذلك، ولهذا قال: ﴿وخلق كل شيء﴾ شمل العالم العلوى، والعالم السفلي، من حيواناته، ونباتاته، وجماداته، ﴿ فقدّره تقديراً ﴾ أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به، ويناسبه من الخلق، وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته الشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد، لا يناسبه غير عله الذي هو فيه. قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدي وقال تعالى: ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدي، ولما بين كماله وعظمته، وكثرة إحسانه، كان ذلك مقتضياً لأن يكون وحده المحبوب المألوه المعظم، المفسرد بالإخلاص وحده، لا شريك له ناسب أن يذكر

بطلان عبادة ما سواه، فقال:

(٣) ﴿واتخفوا من دونه آلهة
لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا
يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا
يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾.

أي: من أعجب العجائب، وأدل الدليل على سفههم، ونقص عقولهم، بل أدل على ظلمهم وجراءتهم على ربهم، أن اتخذوا آلهة بهذه الصفة، في كمال العجز، أنها لا تقدر على خلق شيء، بل هم مخلوقون، بل بعضهم مما عملته أيديهم. ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ﴾ أي: لا قليلاً ولا كثيراً، لأنه نكرة في سياق النفي.

ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً أولا حياة ولا نشوراً أي: بعثاً بعد الموت، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها، وفسادها وفساد عقل من اتخذها آلهة وشركاء

٥٥ يُرِوَ الْمُؤَيِّانِ } إِذَا رَأَتُهُ مِنَ مَّكَانِ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَمَا تَغَيُّظًا وَزَفِيزًا ۞ وَإِذَآ ٱلۡقُواۡمِنَهَامَكَانَاضَيَقَامُقَرَّنِينَ دَعَوَاٰهُنَاكِ ثُبُولًا ﴿ لَانَتَعُوا الَّهُ مَ نُبُورًا وَحِما وَادْعُوا ثُبُورًا كَيْمِرًا ۞ قُرُّ أَذَٰلِكَ خَـٰ رُّأَمْ جَنَـٰ أَانْخُلُدِ اللِّي وُعِدَ اَلْمُنْقُوبُ كَانَتْ هَنْ رَجَزَلَةُ وَمَصِيرًا ۞ لَمَنْ فِيهَا مَا يَشَكَأَةُ ولَ خَلِلِينَّ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعَدًا مَّسْتُولًا ۞ وَيَوْمَ يَحَشُّرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونِ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَتَقُولُ ءَأَسَدُ أَضَٰ لَلْتُدُعِبَ ادِي هَنْوَلَآهِ أَمْهُمُ مُصَلُّوا ٱلسَّهِيلَ۞ قَالُوا شُبْحَنَكَ مَا كَاتَ يَنْبَغِى لَنَآ أَنْ نَتَخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيكَ ۖ وَلَكِن مَّتَّعْنَاهُمُ وَءَاكِآءَ هُرَحَتَّىٰ نَسُوا الذِّحْرَوَكَانُوا فَوَمَّا بُورًا ١ فَقَدَكَذَبُوكُم بِمَا تَتَقُولُونَ فَأَنْسَتَطِيعُونَ صَرَفَا وَلَانَصَرَّا وَمَن يَظْلِر مِنكُمْ نُدُفُّ ءُ عَذَابُ اكَيِيرًا @ وَمَاۤ أَرْسَلۡنَا قَبُلُك مِنَ ٱلۡمُرْسِلِينِ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَارَ وَيَتَشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقُّ وَجَعَلْنَا إِنَّ الْمُصَكِّرُ لِتَعْضِ فِنْتَةً أَتَصْبِرُوتُ وَكَاتَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۞

وهي الرجوع عن معاصيه والتوبة منها. ﴿رحيماً ﴾ بهم، حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، وقد فعلوا مقتضاها، وحيث قبل توبتهم بعد المعاصى، وحيث محاما سلف من سيناتهم، وحيث قبل حسناتهم، وحيث أعاد الراجع إليه بعد شروده، والمقبل عليه بعد إعراضه، إلى حالة المطيعين المنيبين إليه.

A CONTRACTOR OF THE PROPERTY O

﴿٧ _ ١٤﴾ ﴿وقالوا ما لِهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً * تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً * إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً * وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً * لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً * هذا من مقالة المكذبين للرسول، التي قدحوا بها في رسالته، وهو أنهم اعترضوا بأنه: هلا كان مَلَكاً أو مَلِكاً، أو يساعده مَلَك، فقالوا: ﴿ما لهذا الرسول ﴾ أي: ما لهذا الذي ادعى الرسالة؟ تهكماً منهم ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن ـ الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله ـ بأنه كذب وافتراء.

ومنها: أن في ضمن ذلك، أنهم قادرون أن يأتوا بمثله، وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه، للخالق الكامل من كل وجه، بصفة من صفاته، وهي الكلام.

ومنها: أن الرسول قد علمت حالته، وهم أشد الناس علماً بها، أنه لا يكتب، ولا يجتمع بمن يكتب له، وهم قد زعموا ذلك.

فلذلك رد عليهم ذلك بقوله: ﴿قل أنزله الذي يعلم السرفي السماوات والأرض﴾ أي: أنزله من أحاط علمه بما في السماوات وما في الأرض، من الغيب والشهادة، والجهر والسر، كقوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمنين *على قلبك لتكون من المنذرين﴾.

ووجه إقامة الحجة عليهم، أن الذي أنزله، هو المحيط علمه بكل شيء، فيستحيل ويمتنع أن يقول مخلوق ويتقول عليه هذا القرآن، ويقول: هو من عند الله، وما هو من عنده، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم، ويزعم أن الله قال له ذلك، والله يعلم كل شيء، ومع ذلك فهو يؤيده وينصره على أعدائه، ويمكنه من رقابهم وبلادهم، فلا يمكن أحداً أن ينكر هذا القرآن، إلا بعد إنكار علم الله، وهذا لا تقول به طائفة من بني آدم، سوى الفلاسفة الدهرية.

وأيضاً، فإن ذكر علمه تعالى العام، ينبههم ويحضهم على تدبر القرآن، وأنهم لو تدبروا، لرأوا فيه من علمه وأحكامه، ما يدل دلالة قاطعة على أنه لا يكون إلا من عالم الغيب والشهادة، ومع إنكارهم للتوحيد والرسالة من لطفُّ الله بهم، أنه لم يَدَعْهُم وظلمهم، بل دعاهم إلى التوبة والإنابة إليه، ووعدهم بالمغفرة والرحمة، إن هم تابوا ورجعوا، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً﴾ أي: وصفه المغفرة، لأهل الجرائم والذنوب، إذا فعلوا أسباب المغفرة،

للخالق لسائر المخلوقات، من غير مشارك له في ذلك، الذي بيديه النفع والضر، والعطاء والمنع، الذي يحيي ويميت، ويبعث من في القبور، ويجمعهم ليوم النشور، وقد جعل لهم دارين، دار الشقاء والخزي والنكال، لمن اتخذ معه آلهة أخرى، ودار الفوز والسعادة والنعيم المقيم، لمن اتخذه وحده معبو دأ.

ولما قرر بالدليل القاطع الواضح صحة التوحيد وبطلان ضده، قرر صحة الرسالة، وبطلان قول من عارضها واعترضها، فقال:

﴿٤ _ ٦ ﴾ ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلاً * قل أنزله آلذي يعلم السرّ في السماوات والأرض إنّه كان غفوراً رحيماً ﴾.

أي: وقال الكافرون بالله، الذي أوجب لهم كفرهم، أن قالوا في القرآن والرسول: إن هذا القرآن كذب، كذبه محمد، وإفك افتراه على الله، وأعانه على ذلك قوم آخرون.

فرد الله عليهم ذلك، بأن هذا مكابرة منهم، وأقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد، وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول ﷺ، وكمال صدقه، وأمانته، وبره التام، وأنه لا يمكنه، لا حوولا سائر الخلق أن يأتوا بهذا القرآن، الذي هو أجل الكلام وأعلاه، وأنه لم يجتمع بأحد يعينه على ذلك، فقد جاؤوا بهذا القول ظلماً وزوراً.

ومن جملة أقاويلهم فيه، أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد ﴿أساطير الأولين اكتتبها ﴾ أي: هذا قصص الأولين وأساطيرهم، التي تتلقاها الأفواه، وينقلها كل أحد، استنسخها محمد ﴿فهي تملي عليه بكرة وأصيلاً﴾ وهذا القول منهم فيه عدة عظائم:

منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب، والجرأة العظيمة .

مسحوراً.

٥٥ كنوالفيان المراقبة

قالوا أقوالاً متناقضة، كلها جهل وضلال وسفه، ليس في شيء منها هداية، بل ولا في شيَّء منها أدني شبهة تقدح في الرسالة، فبمجرد النظر إليها وتصورها، يجزم العاقل ببطلانها، ويكفيه عن ردها، ولهذا أمر تعالى بالنظر إليها وتديرها، والنظر: هل توجب التوقف عن الجزم للرسول بالرسالة والصدق؟ ولهذا أخبر أنه قادر على أن يعطيك خيراً كثيراً في الدنيا فقال: ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ أي: خيراً عما قالوا، ثم فسره بقوله: ﴿جُناتِ تجري مِن تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴿ مرتفعة مزخرفة، فقدرته ومشبئته، لا تقصر عن ذلك، ولكنه تعالى ـ لما كانت الدنيا عنده في غاية البعد والحقارة _ أعطى منها أولياءه ورسله، ما اقتضته حكمته منها، واقتراح أعدائهم بأنهم، هلا رزقوا منها رزقاً كثيراً جداً، ظلم و جراءة .

> الأسواقَ. ♦. ﴿لُولا أَنْزُلُ إِلَيْهُ مِلْكُ ﴾ أي: هلا أنزل معه ملك يساعده ويعاونه، ﴿فيكون معه نذيراً ﴾ وبزعمهم أنه غير كاف للرسالة، ولا بطوقه وقدرته القيام

• وَ مَا لَا أَذِهِ لَا حُدِرِ لِمَا يَعَالُولُوا أَذِلَ عَلَى ٱلْلَكِكَةُ

أَوْنَدَىٰ رَبَّنا لَقَدِ اَسْتَكُمْرُولِ فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْعُتُوا كَبِيرًا

﴿ يَنْ مَيْرُونَ ٱلْمُلَتِكُهُ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَهِ ذِلْكُمْ مِينَ وَيَقُولُونَ

جِتَزَاتَحْجُورًا ۞ وَقَدِمْنَآ إِلَى مَاعَكِلُوا مِنْ عَمَل فَعَمَلْنَهُ

هَيَآهُ مَّنْهُولُا ۞ أَصَّلُ الْجُنَّةِ يَوْمَبِذِ حَبِيرٌ مُسْتَقَدِّكُ

وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۞ وَيَوْعَ لَشَغَّقُ السَّمَآءُ إِلْغَمَلِمِ وَنُزِلَ

ٱلْكَتِيكُةُ لَهُزِيلًا ۞ ٱلْكُلُّهُ يَوْمَ ذِٱلْحَوُّ لِلرَّحَنِّ وَكَالَ يَوْمًا

عَلَى ٱلْكَفِينَ عَيِيرًا ۞ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِرُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ

يَكَتَنَى أَفُّنَاتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَوَيْلَقَ إِنَّنَى لَرَأَتَّيْدُ

فُلاَنَا خَلِيلًا ۞ لَقَدُ أَضَلِّنِ عَنِ ٱلذِّكْرِيَعَـدَ إِذْ جَـَآهَ نِيُّ

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَدُولًا ۞ وَقَالَ الرَّسُولَ يَرَبُّ

إِنَّ فَنِي ٱلَّغَنَّدُوا هَلَذَا ٱلْقُرْرَاتِ مَهْجُورًا ۞ وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَا لِكُلِّ نِيَ عَدُوَّا مِنَ الْجُرِمِينُ وَكُفَارِيِّكَ هَادِيًا

وَنَصِيرًا ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَانُزَلَ عَلَيْهِ ٱلْأَبْوَالُهُمُّ لَلَّهُ

وَحِيدُهُ كُذَالِكَ لِنُكَيْتَ بِهِ عَفُوا َدَاكٌّ وَرَثَّ كُنَّهُ تَرْتِي لَا ۞

واستهزاء. ﴿ يِأْكُلُ الطَّعَامِ ﴾ وهذا من

خصائص البشر، فهلاكان مَلَكاً

لا يأكل الطعام، ولا يحتاج إلى ما يحتاج

إليه البشر، ﴿ ويمشي نَي الأسواقَ ﴾

للبيع والشراء، وهذا "_بزعمهم _لا

يليق بمن يكون رسولاً، مع أن الله

قال: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين

إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في

﴿أُو يِلْقِي إِلَيْهُ كُنْرُ ﴾ أي: مال مجموع من غير تعب، ﴿أُو تكون له جنة يأكل منها ﴿ فيستغنى بذلك عن مشيه في الأسواق لطلب الرزق.

﴿وقال الظالمون﴾ حملهم على القول، ظلمهم لا اشتباه منهم، ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ هذا، وقد علموا كمال عقله، وحسن حديثه، وسلامته من جميع المطاعن. ولما كانت هذه الأقوال منهم، عجيبة جداً، قال تعالى: ﴿انظر كيف ضربوالك الأمثال﴾ وهي: أنه هلا كان مَلَكاً، وزالت عنه خصائص البشر؟ أو معه ملك، لأنه غير قادر على ما قال، أو أنزل عليه كنز، أو جعلت له جنة تغنيه عن المشي في الأسواق، أو أنه كان

﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾

ولما كانت تلك الأقوال التي قالوها معلومة الفساد، أخبر تعالى أنها لم تصدر منهم لطلب الحق، ولا لاتباع البرهان، وإنما صدرت منهم تعنتاً وظلماً، وتكذيباً بالحق، فقالوا ما بقلوبهم من ذلك، ولهذا قال: ﴿بل كذبوا بالساعة ﴾ والمكذب المتعنت، الذي ليس له قصد في اتباع الحق، لا سبيل إلى هدايته، ولا حيلة في مجادلته، وإنما له حيلة واحدة، وهي نزول العذاب به، فلهذا قال: ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾ أي: ناراً عظيمة، قد اشتد سعيرها، وتغيظت على أهلها، واشتد زفيرها. ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ أي: قبل وصولهم ووصولها إليهم، ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ عليهم ﴿وزفيراً﴾ تقلق منه الأفئدة، وتتصدع القلوب، ويكاد الواحد منهم يموت خوفاً منها وذعراً، قد غضبت عليهم لغضب خالقها، وقد زاد لهبها لزيادة كفرهم وشرهم.

﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً

مقرنين، أي: عذابه، وهم في وسطها، جمع في مكان بين ضيق المكان، وتزاحم السكان، وتقرينهم بالسلاسل والأغلال، فإذا وصلواً لذلك المكان النحس، وحيسوا في أشر حبس ﴿دعوا هنالك ثبوراً ﴾ دعوا على أنفسهم بالثبور والخزى والفضيحة، وعلموا أنهم ظالمون معتدون، قد عدل فيهم الخالق، حيث أنزلهم بأعمالهم هــذا المنــزل، وليس ذلــك الــدعــاء والاستغاثة بنافعة لهم، ولا مغنية من عذاب الله، بل يقال لهم: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ﴾ أي : لو زاد ما قلتم أضعاف أضعافه، ما أفادكم إلا الهم والغم والحزن.

لما بين جنزاء الظالمين، ناسب أن يذكر جزاء المتقين فقال:

﴿١٦ _ ١٦﴾ ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً * لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدأ مسة و لا 🌣 .

أى: قل لهم _ مبيناً لسفاهة رأيهم، واختيارهم الضارعلي النافع -: ﴿أَذَٰلِكُ ﴾ اللَّذِي وصفت لكم من العذاب ﴿خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون التي زادها تقوى الله، فمن قام بالتقوي، فالله قد وعده إياها، ﴿كَانِت لِهِم جِزاء ﴾ على تقواهم ﴿ومصيراً﴾ موثلاً يرجعون إليها، ويستقرون فيها، ويخلدون دائماً أبداً.

﴿ لهم فيها ما يشاؤون ﴾ أي: يطلبون، وتتعلق بهم أمانيهم ومشيئتهم، من المطاعم، والمشارب اللذيدة، والملابس الفاخرة، والنساء الجميلات، والقصور العاليات، والجنات، والحداثق المرجحنة، والفواكه التي تسر ناظريها وآكليها، من حسنها وتنوعها، وكثرة أصنافها، والأنهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها، حيث شاؤوا يصرفونها، ويفجرونها أنهاراً من ماء غير آسن، وأنهاراً من لبن لم يتغير طعمه، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين، وأنهاراً من عسل مصفى، وروائح طيبة، ومساكن

مزخرفة، وأصوات شجية، تأخذ من حسنها بالقلوب، ومزاورة الإخوان، والتمتع بلقاء الأحباب، وأعلى من ذلك كله، التمتع بالنظر إلى وجه الرب الرحيم، وسماع كلامه، والحظوة بقربه، والسعادة برضاه، والأمن من سخطه، واستمرار هذا النعيم ودوامه، وزيادته على ممر الأوقات، وتعاقب الآنات ﴿كَانَ﴾ دخولها والوصول إليها ﴿على ربك وعداً مسؤولاً عساله إياها، عباده المتقون بلسان حالهم، ولسان مقالهم، فأي: الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأي: العاملين، عمال دار الشقاء، أو عمال دار السعادة، أولى بالفضل والعقل والفخر، يا أولى الألباب؟

لقد وضح ألحق، واستنار السبيل، فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل، فنرجوك يا من قضيت على أقوام بالسعادة، أن تجعلنا من كتبت لهم الحسنى وزيادة، ونستغيث بك اللهم من حالة الأشقياء، ونسألك المعافاة منها.

﴿١٧ ــ ٢٠﴾ ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلواً السبيل * قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكنُّ متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً * فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفأ ولانصرأ ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً * وما أرسلناً قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴾ يخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم يوم القيامة، وتبريهم منهم، وبطلان سعيهم، فقال: ﴿ ويوم يحشرهم ﴾ أي: المكذبين المشركين ﴿وما يعبدون من دون الله فيقول﴾ الله مخاطباً للمعبودين على وجه التقريع لمن عبدهم: ﴿أَأَنْتُمُ أضللتم عبآدي هؤلاء أم هم ضلواً

السبيل﴾ هل أمرتموهم بعبادتكم، وزينتم لهم ذلك، أم ذلك من تلقاء أنفسهم؟

﴿قالوا سبحانك ﴿ نزهوا الله عن شرك المشركين به، وبرؤوا أنفسهم من ذلك، ﴿ما كان ينبغى لنا﴾ أي: لا يليق بنا، ولا يحسن منا، أن نتخذ من دونيك من أولياء نستولاهم، ونعبدهم وندعوهم، فإذا كنا محتاجين ومفتقرين إلى عبادتك، متبرئين من عبادة غيرك، فكيف نأمر أحداً بعبادتنا؟ هذا لا يكون. أو، سبحانك عن ﴿أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ وهذا كقول المسيح عيسي ابن مريم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عَيْسَيُ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميى إليهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ الآية .

وقال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين، فلما نزهوا أنفسهم، أن يدعوا لعبادة غير الله، أو يكونوا أضلوهم، ذكروا السبب الموجب لإضلال المشركين فقالوا: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ في لذات الدنيا وشهواتها، ومطالبها النفسية، ﴿حتى نسوا الذكر﴾ اشتغالاً في لذات الدنيا، واكباباً على شهواتها، فحافظوا على دنياهم، وضيعوا دينهم ﴿ وكانوا قوماً بوراً ﴾ أي: باثرين لا خير فيهم، ولا يصلحون لصالح، لا يصلحون إلا للهلاك والبوآر، فذكروا المانع من اتباعهم الهدي، وهو التمتع في الدنيا، الذي صرفهم عن الهدى، وعدم المقتضى للهدى، وهو:

أنهم لا خير فيهم، فإذا عدم المقتضي، ووجد المانع، فيلا تبشاء من شر وهلاك، إلا وجدته فيهم، فلما تبرؤوا منهم، قال الله تبوييخاً وتقريعاً للعابدين (۱): ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ إنهم أمروكم بعبادتهم، ورضوا فعلكم، وأنهم شفعاء لكم عند وصاروا من أكبر أعدائكم، فحق عليكم العذاب، ﴿فما تستطيعون عبكم العذاب، ﴿فما تستطيعون عبد ذلك، ﴿ولا نصراً﴾ للعذاب عنكم بفعلكم، أو عجزكم، وعدم ناصركم. هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين، كما الضاين، أسوأ حكم، وأشر مصير.

وأما المعاند منهم، الذي عرف الحق وصدف عنه، فقال في حقه: ﴿ومن يظلم منكم﴾ بترك الحق ظلماً وعناداً ﴿نَلْقَهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾ لا يقادر قدره، ولا يبلغ أمره.

ثم قال تعالى جواباً لقول المكذبين: ﴿مَا لَهَذَا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق، ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) فما جعلناهم جسداً لا يَمأكلون الطعام، وما جعلناهم ملائكة، فلك فيهم أسوة. وأما الغني والفقر، فهو فتنة، وحكمة من الله تعالى، كما قال: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الرسول فتنة للمرسل إليهم، واختبار للمطيعين من العاصين(٢)، والرسل فتناهم بدعوة الخلق، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار، دار الفتن والابتلاء والاختبار.

والقصد من تبلك الفتنة أتصبرون فتقومون بما هو وظيفتكم اللازمة الراتبة، فيثيبكم مولاكم (٣)، أم لا تصبرون فتستحقون المعاقدة ؟

﴿وكان ربك بصيراً ﴾ يعلم أحوالكم، ويصطفي من يعلمه يصلح

⁽١) في ب: للمعاندين.

لرسالته، ويختصه بتفضيله، ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿ ٢٦ _ ٣٣﴾ ﴿ وقال الدنيسان لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعنوا عنواً كبيراً * يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً * وقدمنا إلى منثوراً ﴾ أي: قال المكذبون للرسول، المكذبون بوعد الله ووعيده، الذين ليس في قلوبهم خوف الوعيد، ولا رجاء لقاء الخالق.

﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أي : هلا نزلت الملائكة، تشهد لك بالرسالة، وتؤيدك عليها، أو تنزل رسلاً مستقلين، أو نرى ربنا فيكلمنا، ويقول: هذا رسولي فاتبعوه؟ وهذا معارضة للرسول بما ليس بمعارض، بل بالتكبر والعلو والعتو.

﴿لقد استكبروا في أنفسهم > حيث اقترحوا هذا الاقتراح، وتجرؤوا هذه الجرأة، فصن أنتم يا فقراء، ويما مساكين، حتى تطلبوا رؤية الله، وتزعموا أن الرسالة متوقف ثبوتها على ذلك؟ وأي: كبر أعظم من هذا؟.

وعتوا عتواً كبيراً أي: قسوا وصلبوا عن الحق قساوة عظيمة، فقلوبهم أشد من الأحجار، وأصلب من الحديد، لا تلين للحق، ولا تصغي للناصحين، فلذلك لم ينجع فيهم وعظ ولا تذكير، ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم، وآيات الله البينات، فأي: عتو أكبر من هذا العتو؟!! فلذك، بطلت أعمالهم واضمحلت، وخسروا أشد الخسران، وحرموا غاية الحرمان.

﴿يوم يرون الملائكة ﴾ التي اقترحوا نزولها ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ وذلك أنهم لا يرونها، مع استمرارهم على جرمهم وعنادهم، إلا لعقوبتهم، وحلول البأس بهم، فأول ذلك عند

الموت، إذا تنزلت عليهم الملائكة، قال الله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون

أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون في القبر، حين يأتيهم منكر ونكير، فيسألهم عن ربهم ونبيهم ودينهم، فلا يجيبون جواباً ينجيهم، فيحلون بهم النقمة، وتزول عنهم بهم الرحمة، ثم يوم القيامة، حين تسوقهم الملائكة إلى النار، ثم يسلمونهم لخزنة جهنم، الذين يتولون عذابهم، ويباشرون الذي طلبوه، إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه ويلقوه، وحينئذ يتعوذون من الملائكة، ويفرون، ولكن لا مفر لهم.

ويقولون حجراً محجوراً هويا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان .

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ﴾
أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيراً
وتعبوا فيها، ﴿فجعلناه هباء منثوراً ﴾
أي: باطلاً مضمحلاً، قد خسروه
وحرموا أجره، وعوقبوا عليه، وذلك
لفقده الإيمان، وصدوره عن
مكذب لله ورسله، فالعمل الذي
يقبله الله، ما صدر عن المؤمن
المخلص، المصدق للرسل، المتبع لهم

و ٢٤﴾ وأصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً أي: في ذلك اليوم الهائل، كثير البلابل وأصحاب الجنة الذين آمنوا بالله، وعملوا صالحاً، واتقوا ربهم وخير مستقراً من أهل النار ووأحسن مقيلاً أي: مستقرهم في الجنة، وراحتهم التي هي القيلولة، هو المستقر النافع، والراحة النامة، لاشتمال ذلك على تمام النعيم، الذي لا يشوبه كدر، بخلاف أصحاب النار، فإن جهنم ساءت مستقراً ومقيلاً وهذا من بناب استعمال أفعل

التفضيل، فيما ليس في الطرف الآخر

منه شيء، لأنه لا خير في مقيل أهل النار ومستقرهم، كقوله: ﴿الله خير أما يشركون﴾.

﴿ ٢٥ _ ٢٩﴾ ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً * الملك يومئذ الحق للرحن وكان يومأعلى الكافرين عسيراً * ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتيُّ ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً پخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة، وما فيه من الشدة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام، وذلك الغمام الذي ينزل الله فيه، ينزل من فوق السماوات، فتنفطر له السماوات وتشقق، وتنزل الملائكة كل سماء فيقفون صفاً صفاً، إما صفاً واحداً محيطاً بالخلائق، وإما كل سماء، يكونون صفاً، ثم السماء التي تليها صفاً، وهكذا.

القصد أن الملائكة _ على كثرتهم وقوتهم _ ينزلون محيطين بالخلق، مذعنين لأمر ربهم، لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالآدمي الضعيف، خصوصاً الذي بارز مالكه بالعظائم، وأقدم على مساخطه، ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي لا يجور، ولا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً لصعوبته الشديدة، وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن، فإنه يسير عليه، خفيف الحمل.

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً * ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾.

وقوله: ﴿الملك يومئذ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الحق للرحمن﴾ لا يبقى لأحد من المخلوقين، مُلكٌ ولا صورة مُلكِ، كما كانوا في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم، والأحرار والعبيد، والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس، وينشرح له

البصدر، أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه ﴿الرحن﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمت كل حي، وملأت الكاثنات، وعمرت بها الدّنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص، وزال بها كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب، وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرَّفه وكرَّمه، ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه، ينتظرون ما يحكم فيهم، وما يجري عليهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك، ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة، وحقت عليه كلمة العذاب.

﴿ويوم يعض الظالم بشركه وكفره، وتكذيبه للرسل ﴿على يديه﴾ تأسفاً، وتحسراً، وحزناً، وأسفاً. ﴿ يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً أي: طريقاً بالإيمان به، وتصديقه واتباعه.

﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً﴾ وهو الشيطان الإنسي او الجني، ﴿خليلا﴾ أى: حبيباً مصافياً، عاديت أنصح الناس لي، وأبرهم بي، وأرفقهم بي، وواليت أعدى عدو لي، الذي لم تفدني ولايته، إلا الشقاء والخسار والخزي والبوار . ﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءن، حيث زين له ما هو عليه من الضلال، بخدعه وتسويله. ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً پزين له الباطل، ويقبح له الحق، ويعده الأماني، ثم يتخلى عنه، ويتبرأ منه، كما قال لجميع أتباعه، حين قضى الأمر، وفرغ الله من حساب الخلق، ﴿وقال الشيطان لَما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كأن لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما

أشركتمون من قبل الآية. فلينظر العبد لنفسه وقت الإمكان، ولْيَتدارك الممكن قبل أن لا يمكن، ولْيُوالِ مَن ولايته فيها سعادته، ويعادي من تنفعه عداوته، وتضره صداقته. والله الموفق.

﴿ ٣٠ _ ٣١﴾ ﴿ وقسال السرسسول يا رب إن قومني اتخذوا هذا القرآن مهجوراً "* وكذلك جعلنا لكل نبئ عدواً من المجرمين وكفي بربّك هادياً ونصيراً ﴿ وقال الرسول ﴾ منادياً لربه، وشاكياً عليه إعراض قومه عما جاء به، ومتأسفاً على ذلك منهم: ﴿يا رب إن قبومي، الذين أرسلتني لهدايتهم وتبليغهم، ﴿ اتخذوا هذا القرآن مهجوراً أي: قد أعرضوا عنه، وهجروه، وتركوه، مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه، والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه، قال الله مسلياً لرسوله، وعُبراً، أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم، فقال: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين، أي: من الذين لا يصلحون للخير، ولا يزكون عليه، يعارضونهم ويردون عليهم، ويجادلونهم بالباطل.

من بعض فوائد ذلك، أن يعلو الحق على الباطل، وأن يتبين الحق، ويتضح اتضاحاً عظيماً، لأن معارضة الباطل للحق، مما تزيده وضوحاً وبياناً وكمال استدلال، وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة، وبأهل الباطل من العقوبة، فلا تحزن عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وكفي بربك ھاديىأ﴾ يہديىك، فيحصل لك المطلوب، ومصالح دينك ودنياك. ﴿ونصيراً ﴾ ينصرك على أعدائك، ويدفع عنك كل مكروه، في أمر الدين والدنيًّا، فاكتَفِ به، وتوكل عليه.

﴿٣٢ ـ ٣٣﴾ ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً * ولايأتونك بمثل إلاجئناك بالحق وأحسن تفسيرأكه هذا من جملة مقترحات الكفار، الذي توحيه إليهم

STATE OF THE STATE الله وَلا يَأْفُونَكَ بَمْنَل إِلَّا حِشْنَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۞ الَّذِنَ يُعَشِّهُ وَتُعَالُ وُجُوهِ عِنْ اللَّهِ جَلَّا أُولَٰلِكَ مَنَّ مَّكَانَا وَأَضَرُّ سَهِيلًا ۞ وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَلَغَاهُ هَلَرُونَ وَذِيرًا ۞ فَقُلْنَا أَذْهَبَآ إِلَ ٱلْقَوْرِ ٱلَّذِينَ كُذَّبُوا مِنَالِيِّنَا فَدَقَرَنَكُمُّهُ تَدْمِيرًا ۞ وَقَسُومَ نُوعٍ لِمَّاكَذَّبُوا ٱلزُّهُ لَ أَغْتَانَهُمْ وَجَعَلَنَاهُمُ لِلنَّاسِ َّالِيَةً وَأَعْتَدُنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيكُمَّا ۞ وَعَسَادَا وَتُعُومًا وَأَضْعَكَ الرِّين وَقُدُونَا يَيْنَ ذَلِكَ كَيْيِرَا ۞ وَكُلَّا صَرَيْنَ الْهُ ٱلْأَمْثَ لِرَّوَكُ لَا تَبَرْنَا الشِّيرًا ۞ وَلَقَدُ أَتَوْأَ عَلَى ٱلْقَرْبَةِ ٱلِّي أُمْطِيَةَ مَطَرَ السَّوَّةِ أَفَكَرَيَكُونُواْ يَرَوْنُهَا يَلْكَ الْوَالْكِيْرَجُونَ ثَنْفُولًا ۞ وَإِذَا رَأُولُكَ إِن يَغِّنُونَكَ إِلَّاهُ زُوا أَهَالَنَا ٱلَّذِي بَعَثَ أَقَدُ رَسُولًا ۞ إن كَادَ لِيُضِلُّنَاعَنْ وَالِهَيِّنَا لَوْلَا أَنْ صَبَّرْفَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَحِينَ يَرَفَنَ ٱلْعَذَابَةَنَ أَضَلُّ سِكِيلًا ۞ أَرْدَيْتَ الله مَن التَّخَذ إِلَهَهُ مَوَالهُ أَفَأَت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا اللهِ TO SO THE BOOK OF

أنفسهم، فقالوا: ﴿لولانزِّل عليه القرآن جملة واحدة) أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي: محذور من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال: ﴿كذلك﴾ أنزلناه متفرقاً ﴿لنثيت به فؤادك لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن، ازداد طمأنينة وثباتاً، وخصوصاً عند ورود أسباب القلق، فإن نزول القرآن عند حدوثه، يكون له موقع عظيم، وتثبيت كثير، أبلغ مما لو كان نازلاً قبل ذلك، ثم تذكره عند حلول سببه.

﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾ أي: مهلناه، ودرجناك فيه تدريجاً. وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن، وبرسوله محمد ﷺ ، حيث جعل إنزال كتابه جارياً على أحوال الرسول ومصالحه الدينية، ولهذا قال: ﴿ولا يأتونك ىمثل، يعارضون به الحق، ويدفعون به رسالتك، ﴿إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ أي: أنزلنا عليك قرآناً جامعاً للحق في معانيه، والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق، لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظاً، وأحسن تفسيراً، مبين للمعانى بياناً كاملاً.

وفي هذه الآية، دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم، من محدث،

SECTION OF THE PROPERTY OF THE أَزْ تَغْسَتُ أَنَّ أَكُثَّرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْيَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ أُ الَّاكَ الْأَمْدُ مَا أَضَلُّ سَكِيلًا ۞ أَلْوَتَ وَالْوَرَاكِ رَبُّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلِّ وَلَوْشَاءَ لَجَعْلَهُ سَاكِنَا ثُرَّجَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَنهِ دَلِلًا ۞ ثُرَّ قِتَضْنَهُ إِلَيْنَا قَصَالِيبِيرًا ۞ وَمُوَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْعَ سُبَانًا وَجَعَلَ النَّهَ رَفْشُواً @وَهُوَ الَّذِي أَرْسِلَ الرِّيكَ بَشْرًا يَيْنَ يَدَى رَحْمَتُهُ وَأَرْلَنَا مِنَ السَّمَلَةِ مَلَهُ طَهُورًا ۞ أَيُخِيَّ بِدِ ـ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيكُ مِمَّا خَلَقَنَآ أَنْعَكُمُا وَأَنَّاسِيَّ كَيْرِيرُا ۞ وَلَقَدْصَرَّفَنَّهُ يَيْنَهُمْ لِتَذْكَرُوا فَأَنَ آكَ ثُرُ النّاسِ إِلَّاكُ فُورًا ۞ وَلَوْشِئْنًا لِتَعَنَّا فِ كُلِّ قَرْيَةِ نَّذِيرًا ۞ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَفْرِينَ وَجَهِدُهُم بِدِيجِهَادَاكَيِيرًا ۞ • وَهُوَالَّذِي مَرَّجَ ٱلْجَرِّينِ هَلَنَاعَلْبُ فُرَاتٌ وَهَاذَا مِلْحُ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُ مَا بَرْزَخَا وَجَدَرًا غَجُورًا ۞ وَهُوَالَّذِي خَلَقَ مِنَ لَكُمَّا يَشَرُ الْجَعَلَهُ مُسَبَّا وَصِهُ لِ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيدًا ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَالَايَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمُّ وَكَالَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ عَلْهِيرًا ﴿ TO SO THE SO SEE

ومعلم، وواعظ، أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم، يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب، أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمواعظ الموافقة لذلك.

وفيه رد على المتكلفين، من الجهمية ونحوهم، ممن يري أن كثيراً من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها، ولها معان غير ما يفهم منها، فإذاً -على قولهم - لا يكون القرآن أحسن تفسيراً من غيره، وإنما التفسير الأحسن _على زعمهم _تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفاً.

﴿٣٤﴾ ﴿اللَّذِيسَ يحسسرون عملي وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانأ وأضل سبيلاً بخبر تعالى عن حال المشركين الذين كذبوا رسوله، وسوء مآلهم، وأنهم ﴿ يُحسِّرون على وجوههم﴾ أشنع مرأى، وأفظع منظر، تسحبهم ملاتكة العذاب وتجرونهم ﴿إلى جهنم الجامعة لكل عذاب وعقوبة ، ﴿أُولِئك ﴾ الذين بهذه الحالة ﴿ شر مكاناً ﴾ من آمن بالله وصدق حسن مكانهم ومستقرهم، واهتدوا في أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم

الدنيا إلى الصراط المستقيم، وفي الآخرة إلى الوصول إلى جنات النعيم. ﴿٣٥ ـ ٤٠) ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً * فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً * وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمن عذاباً أليماً * وعاداً وثمود وأصحاب الرَّس وقروناً بين ذلك كثيراً * وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيراً * ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً أشار تعالى إلى هذه القصص، وقد بسطها في آيات أخر، لِيُحذُر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم، فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم،

ويعرفون قصصهم بما استفاض

واشتهر عنهم.

ومنهم من يرون آثارهم عياناً، كِقُوم صالح في الحِجْر، وكالقرية التي أُمْطِرتُ مطر السَّوْءَ، بحجارة من سجيل، يمرون عليهم مصبحين، وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شراً منهم، ورسلهم ليسوا خيراً من رسول هؤلاء ﴿أَكْفَارِكُمْ خَيْرِ من أولئكم أم لكم براءة في الزبر﴾ ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان _ مع ما شاهدوا من الآيات _ أنهم كانوا لاً يرجون بعثاً ولا نشوراً، فلا يرجون لقاء ربهم، ولا يخشون نكاله، فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات، ما لا يبقى معه شك ولا شبهة، ولا إشكال، ولا ارتياب.

﴿ ٤١ ــ ٤٤ ﴾ ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلاً هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً * إن كاد ليضلنا عن ألهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين رسله، ﴿وأَصْلُ سَبِيلاً ﴾ وهذا من باب يرون العذاب من أَصْلُ سَبِيلاً * أَرأيت استعمال أفعل التفضيل، فيما ليس في من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه الطرف الآخر منه شيء، فإن المؤمنين وكيلاً * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون

أضل سبيلاً ﴾ أي: وإذا رآك يا محمد، هـؤلاء المكـذبـون لـك، المعاندون لآيات [الله](١)، المستكبرون في الأرض، استهزؤوا بك واحتقروك، وقالوا على وجه الاحتقار والاستصغار ..: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً أي: غير مناسب ولا لائق، أن يبعث الله هذا الرجل، وهذا من شدة ظلمهم وعنادهم، وقلبهم الحقائق، فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول _حاشاه _في غاية الخسة والحقارة، وأنه لو كانت الرسالة لغيره، لكان أنسب.

﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الهذا الكلام، لا يصدر إلا من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عناداً، وهو متجاهل، قصده ترويج ما معه من الباطل بالقدح بالحق وبمن جاء به، وإلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله على ، وجده رجل العالم وهمامهم، ومقدمهم في العقل، والعلم، واللب، والرزانة، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، والعفة، والشجاعة، والكرم، وكل خُلُق فاضل، وأن المحتقر له، والشانيء له، قد جمُّع من السفه والجهل، والضلال، والتناقض، والظلم، والعدوان، ما لا يجمعه غيره، وحسبه جهلاً وضلالاً، أن يقدح بهذا الرسول العظيم، والهمام الكريم.

والقصد من قدحهم فيه واستهزائهم به، تصلُّبهُم على باطلهم، وغرورا لضعفاء العقول(٢)، ولهذا قالوا: ﴿إن كادى هذا الرجل (ليضلنا عن آلهتنا) بأن يجعل الآلهة إلها واحداً ﴿لولا أن صبرناعليها لأضلنا، زعموا ـ قبحهم الله _ أن الضلال هو التوحيد، وأن الهدي ما هم عليه من الشرك، فلهذا تواصوا بالصبر عليه. ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾.

وهنا قالوا: ﴿لُولا أَنْ صِيرِنا

عليها والصبر يحمد في المواضع كلها، إلا في هذا الموضع، فإنه صبر على أسباب الغضب، وعلى الاستكثار من حطب جهنم. وأما المؤمنون، فهم كما قال الله عنهم: ﴿وتواصوا بالحما منهم، بأنهم المهتدون والرسول ضال، وقد تقرر أنهم لا حيلة فيهم، توعدهم بالعذاب، وأخبر أنهم في ذلك الوقت بالعذاب، وأخبر أنهم في ذلك الوقت حقيقياً ﴿من هو ﴿أَضِل سبيلا وَيَعِمُ مِنْ عَلَمُ لِيَعِمُ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا كليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا

وهل فوق ضلال من جعل إلهه معبوده [هواه](١)، فما هويه فعله، فلهذا قال: ﴿أَرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ ألا تعجب من حاله، وتنظر ما هو فيه من الضلال؟ وهو يحكم لنفسه بالمنازل الرفعة؟

﴿أَفَأَنْتَ تَكُونَ عَلَيْهُ وَكِيلاً﴾ أي: لست عليه بمسيطر مسلط، بل إنما أنت منذر، وقد قمت بوظيفتك، وحسابه على الله.

ثم سجل تعالى على ضلالهم البليغ ، بأن سلبهم العقول والأسماع ، وشبههم في ضلالهم بالأنعام السائمة ، التي لا تسمع إلا دعاء ونداء ، صم يكم عمي فهم لا يعقلون ، بل هم أضل من الأنعام ، لأن الأنعام يهديها فتهتدي ، وتعرف طريق هلاكها فتجتنبه ، وهي أيضا أسلم عاقبة من هؤلاء ، فتبين بهذا ، أن الرامي للرسول بالضلال أحق بهذا ، الوصف ، وأن كل حيوان بهيم فهو أهدى منه .

(24 - 23) ﴿ أَلَمْ تَسْرُ إِلَى رَبِكَ كَيفَ مِدَ الظَّلُ وَلَوْ شَاءَ لِجَعْلَهُ سَاكِناً ثَمْ جَعْلَنا الشمس عليه دليلاً * ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾ أي: ألم تشاهد ببصرك وبصيرتك، كمال قدرة ربك، وسعة رحمته، أنه مدَّ على العباد الظل، وذلك قبل طلوع الشمس ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه ﴾ أي: على الطل

﴿ دليلا﴾ فلولا وجود الشمس، لما عرف الظل، فإن الضد يعرف بضده. ﴿ ثُمْ قَبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾ فكلما ارتفعت الشمس، تقلص الظل شيئاً ، حتى يذهب بالكلية، فتوالي النظل والشمس على الخلق، الذي يشاهدونه عياناً ، وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما ، وحصول المصالح وعنايته بعباده، وأنه وحده المعبود وعنايته بعباده، وأنه وحده المعبود المحبوب المعظم، ذو الجلال والاكرام.

﴿٤٧﴾ ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً﴾ أي: من رحمته بكم ولطفه، أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم، حتى تستقروا فيه، وتهدؤوا بالنوم، وتسبت حركاتكم، أي: تنقطع عند النوم، فلولا الليل، لما تصرفهم، فضرهم ذلك غاية الضرر، ولو استمر أيضاً الظلام، لتعطلت عليهم معايشهم ومصالحهم، ولكنه جعل النهار نشوراً ينتشرون فيه، لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم، فيقوم بنلك ما يقوم من المصالح.

﴿ ٤٨ - ٥ ﴾ ﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً * لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً * ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبي أكثر الناس إلا كفوراً ﴾ أي: هو وحده الذي رحم عباده، وأدرَّ عليهم رزقه، بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته، وهو: المطر، فشار بها السحاب وتألف، وصار كسفاً، وألقحته، وأدرته بإذن آمرها والمتصرف فيها، ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله، وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة.

﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾

وَمَا أَرْسَلْنَكَ الْأَمْمَةُ وَمَدْسِرًا ۞ قُلْ مَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِلَّا مَن شَكَّاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ عَسَبِيلًا ﴿ وَقَوْتَكُلُ عَلَى ٱلْمَعَ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْ بِحَمْدِةً وَكَفَّ بِهِ و بِذُنُوبِ عَادِه عَنِيرًا ۞ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَنْهُمَا فِي سِنَّةِ أَيَّا مِرْثُرٌ أَسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرَيْنُ ٱلرَّحْمَنُ فَسَسَلَ بِيدِ خَيِيرًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَمُكُو ٱسْجُدُواۤ لِلرَّحْيَنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْنَلُ أَنْشَجُهُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ مُفُورًا ۞ ﴿ نَبَارَكُ ٱلَّذِي جَمَلَ فِالنَّكَالَةِ بُرُوجًا وَيَعَكُلُ فِيهَا سِرَجًا وَكَمَرُا مُنْعِدًا ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّتِلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَ ثَدُّ لِمَنْ أَزَادَ أَن يَذَّ حَجَرَ أَوْأَرَادَ شُكُورًا ۞ وَعِهَادُ ٱلرَّخَلِنِ ٱلَّذِينَ يَنشُوبَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنَا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ أَلِحُكِ فِلُونَ قَالُواْسَلَمَا اللهِ وَٱلَّذِينَ بَيِبِتُوبَ لِرَبِّهِ مُعَجَّدًا وَقِلْمًا ۞ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَيْنَا أَصْرَفْ عَنَا عَذَابَ جَهَنَّرَ أَنَّ عَذَابَهَا كَانْ عَنَامًا ۞ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَعَرًّا وَمُقَامًا ۞ وَالَّذِنَ إِنَّا أَنْفَقُوا لَرَيْسَهُ وَأُولَوْمَ مُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۞ TO LORD LOVE

يطهر من الحدث والخبث، ويطهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته، أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتاً، فتختلف أصناف النوابت والأشجار فيها، مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً أي: نسقيكموه، أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات، وجعلها متنوعات، وأنزل من السماء طهوراً مباركاً، فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك معه غيره؟

ولما ذكر تعالى هذه الآيات العيانية المشاهدة، وصرفها للعباد ليعرفوه ويشكروه ويذكروه، مع ذلك أبى أكثر الخلق إلا كفوراً، لفساد أخلاقهم وطبائعهم.

(١٥ - ٢٥) (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً * فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً غير تعالى عن نفوذ مشيئته، وأنه لو شاء لبعث في كل قرية نذيراً، أي: رسولاً ينذرهم ويحذرهم، فمشيئته غير قاصرة عن ذلك، ولكن اقتضت حكمته ورحمته بك وبالعباد _ يا محمد _ أن أرسلك إلى جميعهم، أحرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، إنسهم وجهنم، (فلا تطع وعجميهم، إنسهم وجهنم، ﴿فلا تطع الكافرين﴾ في ترك شيء مما أرسلت المحمد عما أرسلت

زيادة مني يقتضيها السياق مع العلم أن كلمة هواه كتبت في ب بدلاً عن معبوده ثم شطبت.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ أَلَّهِ إِلَهًا مَا خَرَوَ لَا يَفْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِيحَـرَّمَ اللَّهُ إِلَّا إِلْكُتِّقَ وَلَا يَرْنُونَ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ يَنْقَ أَثَامًا ۞ يُضَعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمِ ٱلْقِيكَمَةِ وَيَخَلُدُ فِيهِ عِمْهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَوَءَامَزَ وَجَمَلَ عَمَلًا صَلِحًا فَأُوْلَلَهِكَ يُبِدِّلُ ٱللَّهُ سَيْعًا تِهِمْ حَسَنَاتًا وَكَابَ ٱللَّهُ عَنَفُوزًا زَجِهِمًا ﴿ وَمَن تَابَ وَعَهِما صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللَّهِ مَنَابًا ۞ وَالَّذِينَ لَا يَشْعَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغُورَرُواْكِرَامًا ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِعَايَتِ رَيِّهِ مَلْنَهِ عِنُواْعَلِيَهَا صُمَّا وَعُنيَ أَنَا ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَاهَبْ لَنَامِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّلِيْنَا قُرَّةً أَعْيُرِ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينِ إِمَامًا ۞ أُوَلَيِّهِ الْمُثَنِّقِينِ ٱلْمُثَوِّنَةُ مِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْكَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَمًا ۞ خَلِيبِ فِيهَاْ حَسُنَتُ مُسْتَقِتًا وَمُقَامًا ۞ قُلْ مَايَعْبَوُأُبِكُمْ رَقِ لَوْلَا دُعَآ وَكُمْ مَفَقَدُكُذَ بَعُهُ وَمَسُوفَ يَكُونُ لِزَامًا ۞ المنطق المنظمة والمنطقة والمنطقة

به، بل ابذل جهدك في تبليغ ما أرسلت به. ﴿وجاهدهم بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً ﴾ أي: لا تبق من بجهودك في نصر الحق وقمع الباطل، إلا بذلته، ولو رأيت منهم من التكذيب والجراءة ما رأيت، فابذل جهدك، واستفرغ وسعك، ولا تيأس من لأهوائهم.

﴿٣٥﴾ ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ﴾ وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ﴾ البحر العذب، وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض، والبحر الملح، وجعل منفعة كل واحد منهما الملح، وجعل بينهما مصلحة للعباد، ﴿وجعل بينهما مرزخاً﴾ أي: حاجزاً يحجز من اختلاط أحدها بنالآخر، فتذهب المنفعة المقصودة منهما ﴿وحجراً محجوراً﴾

﴿ ٤٥ ﴾ ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ﴾ أي: وهو الله وحده لا شريك له، الذي خلق الآدمي، من ماء مهين، ثم نشر منه ذرية كثيرة، وجعلهم أنساباً وأصهاراً، متفرقين ومجتمعين، والمادة كلها من ذلك الماء المهين، فهذا يدل على كمال اقتداره، لقوله: ﴿ وكان ربك قديراً ﴾ ويدل على أن عبادته هي

الحق، وعبادة غيره باطلة، لقوله: ﴿ ٥٥﴾ ﴿ ويــعـبـدون مــن دون الله

ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر مل لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً أي: يعبدون أصناماً وأمواتاً، لا تضر ولا تنفع، ويجعلونها أنداداً لمالك النفع والضر والعطاء والمنع، مع أن الواجب عليهم، أن يكونوا مقتدين بإرشادات ربهم، ذابين عن دينه، ولكنهم عكسوا القضية.

وكان الكافر على ربه ظهيراً فالباطل الذي هو الأوثان والأنداد، أعداء لله، فالكافر عاونها وظاهرها على ربها، وصار عدواً لربه، مبارزاً له في العداوة والحرب، هذا، وهو الذي خلقه ورزقه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وليس يخرج عن ملكه وسلطانه وقبضته، والله لم يقطع عنه إحسانه وبره، وهو _ بجهله _ مستمر على هذه المعاداة والمبارزة.

﴿٥٦ ـ ٢٠﴾ ﴿وما أرسلناك إلاّ مبشراً ونذيراً * قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً * وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً * الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً * وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهنم نفوراً﴾ يخبر تعالى: أنه ما أرسل رسوله محمداً ﷺ، مسيطراً على الخلق، ولا جعله ملكاً، ولا عنده خزائن الأشياء، وإنما أرسله ﴿مبشراً ﴾ يبشر من أطاع الله، بالثواب العاجل والأجل ﴿ونذيراً ﴾ ينذر من عصى الله، بالعقاب العاجل والآجل، وذلك مستلزم لتبيين ما به البشارة، وما تحصل به النذارة، من الأوامر والسواهي، وإنك يا محمد م لا تسألهم على إبلاغهم القرآن والهدي أجراً، حتى يمنعهم ذلك من اتباعك، ويتكلفون من الغرامة. ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً أي: إلا من شاء، أن ينفق نفقة في مرضاة ربه وسبيله، فهذا وإن رغبتكم فيه، فلست

أجبركم عليه، وليس أيضاً أجراً لي عليكم، وإنما هو راجع لمصلحتكم، وسلوككم للسبيل الموصلة إلى ربكم، ثم أمره أن يتوكل عليه ويستعين به، فقال: ﴿وتوكل على الحي﴾ الذي له الحياة الكاملة المطلقة ﴿الذِّي لا يموت وسبح بحمده ﴾ أي: اعبده وتوكل عليه في الأمور المتعلقة بك والمتعلقة بالخلق. ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴾ يعلمها، ويجازي عليها، فأنت ليس عليك من هداهم شيء، وليس عليك حفظ أعمالهم، وإنما ذلك كله، بيد الله ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى، بعد ذلك ﴿على العرش﴾ الذي هو سقف المخلوقات، وأعلاها، وأوسعها، وأجملها. ﴿الرحن ﴾ استوى على عرشه، الذي وسع السماوات والأرض باسمه الرحمن، الذي وسعت رحمته كل شيء فاستوى على أوسع المخلوقات، بأوسع الصفات. فأثبت بهذه الآية، خلقه للمخلوقات، واطلاعه على ظاهرهم وباطنهم، وعلوه فوق العرش،

﴿فاسأل به خبيراً ﴾ يعني بذلك نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم أوصافه وعظمته وجلاله، وقد أخبركم بذلك، وأبان لكم من عظمته، ما تسعدون به من معرفته، فعرفه البعارفون، وخضعوا لجلاله، واستكبر عن عبادته الكافرون، واستنكفوا عن ذلك، ولهذا قال: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن اي: وحده، الذي أنعم عليكم بسائر النعم، ودفع عنكم جميع النقم. ﴿قالوا﴾ جحداً وكفراً: ﴿ومَّا الرحمن بزعمهم الفاسد، أنهم لا يعرفون الرحمن، وجعلوا من جملة قوادحهم في الرسول، أن قالوا: ينهانا عن اتخاذ آلهة مع الله، وهو يدعو معه إلْها أخر، يقول: «يارحمن» ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿قُلِّ ادْعُوا اللهُ أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسني الأسماؤه تعالى كثيرة، لكثرة أوصافه، وتعدد كماله،

ومباينته إياهم .

فكل واحد منها، دل على صفة كمال. ﴿أنسجد لما تأمرنا ﴾ أي: لمجرد أمرك إيانا. وهذا مبني منهم على التكذيب بالرسول، واستكبارهم عن طاعته، ﴿وزادهم ﴿ دعوتهم إلى السجود للرجن ﴿نفوراً ﴾ هرباً من الحق إلى الباطل، وزيادة كفر وشقاء.

﴿ ٦٦ _ ٦٢ ﴾ ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴾ كرر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿تبارك﴾ ثلاث مرات، لأن معناها كما تقدم، أنها تدل على عظمة الباري، وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة، فيها من الاستدلال على عظمته، وسعة سلطانه، ونفوذ مشيئته، وعموم علمه وقدرته، وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته. وفيها، مايدل على سعة رحمته، وواسع جوده، وكثرة خيراته، الدينية والدنيوية، ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن، فقال: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ﴾ وهي: النجوم عمومها، أو منازل الشمس والقمر التي تنزلها منزلة منزلة، وهي بمنزلة البروج والقلاع للمدن في حفظها، كذلك النجوم بمنزلة البروج المجعولة للحراسة، فإنها رجوم للشياطين.

﴿وجعل فيه سراجاً ﴾ فيه النور والحرارة، وهو: الشمس. ﴿وقمراً منيراً ﴾ فيه النور، لا الحرارة، وهذا من أدلة عظمته، وكثرة إحسانه، فإن ما فيها من الخلق الباهر، والتدبير المنتظم، والجمال العظيم، دال على عظمة خالقها في أوصافه كلها، وما فيها من المصالح للخلق والمنافع، دليل على كثرة خيراته.

﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خِلفة ﴾ أي: يذهب أحدهما، فيخلفه الآخر، هكذا أبداً، لا يجتمعان، ولا يرتفعان، ﴿لن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ أي: لن أراد أن يتذكر بهما

ويعتبر، ويستدل سماعلي كثير من المطالب الإلهية، ويشكر الله على ذلك، ولمن أراد أن يذكر الله ويشكره، وله وردٌ من الليل أو النهار، فمن فاته ورْدُه من أحدهما، أدركه في الآخر، وأيضاً فإن القلوب تتقلب وتنتقل في ساعات الليل والنهار، فيحدث لهاً النشاط والكسل، والذكر والغفلة، والقبيض والبسط، والإقبال والإعراض، فجعل الله الليل والنهار، يتوالي على العباد ويتكرران، ليحدث لهم الذكر والنشاط، والشكر لله في وقت آخر، ولأن أوراد العبادات، تتكرر بتكرر الليل والنهار، فكلما تكررت الأوقات، أحدث للعبد همة غير همته التي كسلت في الوقت المتقدم، فزاد في تذكرها وشكرها، فوظائف الطاعات بمنزلة سقى الإيمان الذي يمده، فلولا ذلك لذوى غرس الإيمان ويبس. فلله أتم حمد وأكمله على ذلك .

ثم ذكر من جملة كثرة خيره، منته على عباده الصالحين، وتوفيقهم للأعمال الصالحات، التي أكسبتهم المنازل العاليات، في غرف الجنات

(77 - ٧٧) ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إنّ عذابها كان غراماً * إنها ساءت مستقراً ومقاماً ﴾ إلى آخر السورة الكريمة.

العبودية لله نوعان: عبودية لربوبيته، فهذه يشترك فيها سائر الخلق، مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، فكلهم عبيد الله مربوبون مدبرون ﴿إِنْ كَلَّ مِنْ فِي السماوات والأرض إلا آي الرحن عبداً ﴾ وعبودية لألوهيته، وعبادته، ورحمته، وهي عبودية أنبيائه، وأوليائه، وهي المراد هنا، ولهذا أضافها إلى اسمه «الرحن» إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل

النعوت، فوصفهم بأنهم ﴿يمشون على الأرض هـونا﴾ أي: ساكسنين الأرض هـونا﴾ أي: ساكسنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار، والسكينة، والتواضع لله ولعباده. ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ أي: خطاب جهل، بدليل إضافة الفعل، وإسناده لهذا الوصف، ﴿قالوا فيه من الإثم، ويسلمون من مقابلة المحلم الكثير، وهذا مدح لهم، بالإحسان، والعفو عن الجاهل، ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال.

﴿والله بين يبيتون لربهم سجداً وقياماً أي: يكثرون من صلاة الليل، خلصين فيها لربهم، متذللين له، كما قال تعلى: ﴿تتجاف جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون .

﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم أي: ادفعه عنا، بالعصمة من أسبابه، ومغفرة ما وقع منا، عا هو مقتض للعذاب. ﴿إِن عذابها كان ضراماً ﴾ أي: ملازماً لأهلها، بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه. ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً ﴾ وهذا

وإم ساءت مستفرا ومقاعا و وعدا منهم، على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه، وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وليتذكروا مِنَّة الله عليهم، فإن صرف الشدة، بحسب شدتها وفظاعتها، يعظم وقعها ويشتد الفرح بصرفها.

والذين إذا أنفقوا النفقات الواجبة والمستحبة فل يسرفوا بأن يزيدوا على الحد، فيدخلوا في قسم التبذير، وإهمال الحقوق الواجبة، فولم يقتروا في باب البخل والشح فوكان إنفاقهم فربين ذلك بين الإسراف والتقتير فقواما يبذلون في الواجبات من الزكوات، والكفارات، والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، من

غير ضرر ولا ضرار، وهذا من عدلهم واقتصادهم.

﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ﴾ بل يعبدونه وحده، مخلصين له الدين، حنفاء، مقبلين عليه، معرضين عما سواه.

﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله وهي نفس المسلم، والكافر المعاهد، ﴿ إلا بالحق > كقتل النفس بالنفس، وقتل الزاني المحصن، والكافر الذي يحل قتله. ﴿ ولا يزنون > بل يحفظون فروجهم ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾ .

ومن يفعل ذلك اي: الشرك بالله، أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق، أو الزنا، فسوف ويلق أثاماً ثم شمره بقوله: ويضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه أي: في العذاب كلها، ثابت لا شك فيه، وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد، على كل واحد من هذه الشلاثة، لكونها إما شرك، وإما من أكبر الكنائر.

وأما خلود القاتل والزاني في العذاب، فإنه لا يتناوله الخلود، لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية، أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار، ولا يخلد فيها مؤمن، ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص تعالى على هذه الثلاثة، لأنها أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض.

﴿ إِلا من تاب ﴾ عن هذه المعاصي وغيرها، بأن أقلع عنها في الحال، وندم على ما مضى له من فعلها، وعزم عزماً جازماً أن لا يعود، ﴿ وآمن ﴾ بالله إيماناً صحيحاً، يقتضي ترك المعاصي وفعل الطاعات، ﴿ وعمل عملاً صالحاً ﴾ مما أمر به الشارع، إذا قصد به وجه الله.

﴿ فَأُولَتُكُ يَبِدُلُ اللهُ سَيِنَاتُهُم

حسنات أي: تتبدل أفعالهم وأقوالهم، التي كانت مستعدة لعمل السيئات، تتبدل حسنات، فيتبدل شركهم إيمانا، ومعصيتهم طاعة، وتتبدل نفس السيئات التي عملوها، ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة تبدل حسنات، كما هو ظاهر الآية.

وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه، فعدَّدها عليه، ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: "يا رب، إن لي سيئات لا أراها هاهنا، والله أعلم.

وومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً هاي: فليُعلم أن توبته في غاية الكمال، لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله، الذي هو عين سعادة العبد وفلاحه، فليُخلِص فيها، وليُحَلَّصها من شوائب الأغراض الفاسدة، فالمقصود من هذا، الحث على تكميل التوبة، وايقاعها على أفضل الوجوه وأجلها، ليقدم على من تاب إليه فيوفيه (١) أجره، بحسب كمالها.

والذين لا يشهدون الزور في: القول المحسرون الزور، أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس، المستملة على الأقوال المحرمة، أو الأفعال المحرمة، الماطل، والجدال الباطل، والغيبة، والنميمة، والسب، والمقذف، والاستهزاء، والغناء المحرم، وشرب الخميم، وفرش المحرم، وألمور، ونحو ذلك، وإذا الحرير، والصور، ونحو ذلك، وإذا ولل يشهدون الزور، فمن باب أولى وأحرى، أن لا يقولوه ويفعلوه.

وشهادة الزور داخلة في قول الزور، تدخل في هذه الآية بالأولوية، ﴿وإذا مروا باللغو﴾ وهو الكلام الذي

لا خير فيه، ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية، ككلام السفهاء ونحوهم أمروا كراماً أي: نزهوا أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه، ورأوا الخوض فيه، ورأوا الخوض فيها، وإن كان لا إثم فيه، فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة، فربؤوا بأنفسهم عنه.

وفي قوله: ﴿وإذا مروا باللغو﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد، يكرمون أنفسهم عنه.

﴿والذين إذا ذكروا بآيات رسم التي أمرهم باستماعها والاهتداء سأء ﴿ لَمْ يَخِرُوا عليها صماً وعمياناً ﴾ أي: لم يقابلوها بالإعراض عنها، والصمم عن سماعها، وصرف النظم والقلوب عنها، كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها، كما قال تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسيبحبوا بتحتميد ربهتم وهيم لا يستكبرون القابلونها بالقبول والافتقار إليها، والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذاناً سامعة، وقلوباً واعية، فيزداد بها إيمانهم، ويتم بها إيقانهم، وتحدث لهم نشاطاً، ويفرحون بها سروراً واغتباطاً.

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا﴾ أي: قرنائنا من أصحاب وأقران وزوجات، ﴿وذرياتنا قرة أعينها.

وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم، عرفنا من هممهم وعلو مرتبتهم، أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم، عالمين عاملين، وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم، فإنه دعاء لأنفسهم، لأن نفعه يعود عليهم، ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم، فقالوا: ﴿هب لنا﴾ بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين، لأن بصلاح من ذكر، يكون سبباً لصلاح كثير ممن يتعلق بهم، وينتفع لصلاح كثير ممن يتعلق بهم، وينتفع

﴿واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية ، درجة الصديقين والكمل من عباد الله الصالحين ، وهي درجة الإمامة في الدين ، وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم ، يقتدى بأفعالهم ، ويسير أهل الخير خلفهم ، فيهدون ويهتدون .

ومن المعلوم، أن الدعاء ببلوغ شيء، دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدّرجة _ درجة الإمامة في الدين _ لا تتم إلا بالصبر واليقين، كما قال تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾. فهذا الدعاء، يستلزم من الأعمال، والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة، ومن العلم التام، الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيراً كثيراً، وعطاء جزيلاً، وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل. ولهذا، لما كانت هممهم ومطالبهم عالية، كان الجزاء من جنس العمل، فجازاهم بالمنازل العاليات فقال: ﴿أُولِئِكَ يُجِرُونِ الغرفة بِما صبروا﴾ أي: المنازل الرفيعة، والمساكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشتهي وتلذه الأعين، وذلك بسبب صبرهم، نالوا ما نالوا، كما قال تعالى: ﴿والْمَلائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار، ولهذا قال هنا: ﴿ويلقون فيها تحية وسلاماً﴾ من ربهم، ومن ملائكته الكرام، ومن بعض على بعض، ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات.

والحاصل: أن الله وصفهم بالوقار والسكينة، والتواضع له ولعباده، وحسس الأدب، والحلم، وسعة الخلق، والعفو عن الجاهلين، والإعراض عنهم، ومقابلة إساءتهم بالإحسان، وقيام الليل، والإخلاص فيه، والخوف من النار، والتضرع لربهم أن ينجيهم منها، وإخراج الواجب والمستحب في النفقات، والاقتصاد في ذلك _ وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق، الذي جرت

العادة بالتفريط فيه أو الإفراط، فاقتصادهم وتوسطهم في غيره من باب أولى _ والسلامة من كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته، والعفة عن الدماء والأعراض، والتوبة عند صدور شيء من ذلك، وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية، ولا يفعلونها بأنفسهم، وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها، وذلك يستلزم مروءتهم وإنسانيتهم وكمالهم، ورفعة أنفسهم عن كل خسيس، قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها، والتفهم لمعانيها، والعمل بها، والاجتهاد في تنفيذ أحكامها، وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينثفع به من يتعلق بهم، وينتفع به المسلمون، من صلاح أزواجهم وذريتهم، ومن لوازم ذلك، سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم، لأن من حرص على شيء ودعما الله فيه، لا بدأن يكون متسبّباً فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات المكنة لهم، وهي درجة

فلله، ما أعلى هذه الصفات، وأرفع هذه الهمم، وأجل هذه الطالب، وأزكى تلك النفوس، وأطهر تيك القلوب، وأصفى هؤلاء الصفوة، وأتقى هؤلاء السادة!!

الإمامة والصديقية.

ولله، فضل الله عليهم ونعمته، ورحمته التي جللتهم، ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل.

ولله ، منة الله على عباده ، أن بين لهم أوصافهم ، ونعت لهم هيئاتهم ، وبين لهم هممهم ، وأوضح لهم أجورهم ، ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم ، ويبذلوا جهدهم في ذلك ، ويسألوا الذي مَنَّ عليهم وأكرمهم ، الذي فضله في كل زمان ومكان ، وفي كل وقت وأوان ، أن يهديهم كما هداهم ، ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم .

فاللهم لك الحمد، وإليك

٦٦ يُنْوَقُوْ الْفِيْجُولُهُ ٢٦ حافقا لتغزا لتخزا لتخير طَسَدَ ۞ نِلْكَ ءَايَتُ ٱلْكِنْبِ ٱلْدِين ۞ لَعَلُّكَ بَاخِعٌ مُّفْسَكَ ﴾ ٱلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ إِن نَشَأْ نُنَزِلْ عَلَيْهِ مِنَى ٱلْسَمَآءِ مَايَةً فَظَلَّتُ أَغَنَّهُ مُهُمَّ لِمَا خَلِضِهِ نَ ۞ وَمَايَأْنِهِ مِينَ ذِكْرِيِّنَ الرَّحَنَ مُعْدَثِ إِلَّا كَانُواْعَنْهُ مُعْضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَبُواْ فَسَيَأْنِيهِمْ أَنْتُواْ مَا كَانُوا بِهِ مِينَةَ فَعْ وَنَ ۞ أَوَلَيْكِرُواْ إِلَى ٱلأَرْضِكَمْ ٱنْبُنْنَا فِيهَامِنُكُلِ زَوْجٍ كَرْبِرِ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآتِيَةٌ وَمَاكَانَٱلْكُوهُمُ مُوْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَالْعَرِيزُ ٱلْرَحِيمُ ۞ وإِذْ نَادَىٰ تَلِكَ مُوْتَىٰ أَنَ انْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِلِمِينَ۞ قَوْمَ فِرْجَوْنَ أَلَايَتَقُونَ۞قَالَ رَبِّ ﴾ إنّ آخافُ أن يُكِذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدِّرِى وَلَا يَنَطَلِقُ لِسَكَانِي فَأْرْسِلْ إِلَىٰ هَنَرُونَ ۞ وَلَمُتَعَلَّ ذَنْتُ فَأَخَافُ أَن يَقْنُلُونِ ۞ ﴾ وَعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّارَسُولُ رَبِّ الْعَلَمِينَ ۞ أَنْ أَرْسِيلُ مَعَنَا بَنِيَ السنن على قال ألونوك فيناوليدا وليث فينام عُرُك مينين TO TO THE TOWN THE THE TANK OF THE TANK OF

المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإنا ضعفاء عاجزون من كل

نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين، وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا، وأنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة والباطنة، وصرفت عنا من النقم، فارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك، فلا خاب من سألك ورجاك.

ولما كان الله تعالى، قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته، واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم، ربما توهم متوهم، أنه وأيضاً غيرهم، فلم لا يدخل في العبودية؟

فأخبر تعالى، أنه لا يبالي ولا يعبأ بغير هؤلاء، وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ما عبأ بكم ولا أحبكم فقال: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً﴾ أي: عذاباً يلزمكم، لزوم الغريم لغريمه، وسوف يحكم الله بينكم وبين عباده المؤمنين.

> تم تفسير سورة الفرقان، فلله الحمد والثناء والشكر أبداً

WHITE PARTY OF THE قَالَ فَعَنْلُهُمَّا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّا إِلَينَ ۞ فَفَرَفْتُ مِنكُو لَمَا خِفْتُكُورُ فَوَهَا لِي رَبِّي حُكَّمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْتُرْسِلِينَ ۞ وَتِلْكَ نِعْسَمَةً ﴿ مُّنُّهَا عَلَىٓ أَنْ عَبَدَتَ بَنِيٓ إِسْرَةِ بِلَ ۞ قَالَ فِيْغَوْثُ وَمَارَبُّ ٱلْعَالِمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَا وَالْأَرْضِ وَمَامَّنُهُمَّ أَن كُنْهُ مُّوقِينَ ۞ قَالَ لِنْ خَوْلَهُ إِلَا لَسَنتَمِعُونَ ۞ قَالَ رَبُّكُمُ وَرَبُّ ءَاجَا يِكُو ٱلْأَوْلِينَ ۞ قَالَ إِنَّ رَسُولُكُو ٱلَّذِيَّ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجَنُونُ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلْمُثْرِقِ وَٱلْغَيْرِ، وَمَالِيَنَهُمَّ أَإِن كُنُمُ تَعْقِلُونَ ۞ قَالَ لِينَ أَتَّخَذْتُ إِلَامًا عَيْرِعِ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْشَجُونِينَ ۞ قَالَ أَوَلَوْجِنْنُكَ بِثَنِّي وَشِّينِ ۞ قَالَ فَأْتِ بِية إنكُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَأَلْقَ عَصَاهُ فَإِذَاهِيَ تُعْبَانُّ مُّبِينٌ ﴿ وَنَزَعَ يَدُمُواْ فَاهِنَ بَيْضَاكُ النَّافِلِينَ ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِحَوْلَهُ وَإِنَّ هَلَذَا لَسَلِحِرُ عَلِيدٌ ۞ يُويدُ أَن يُغْرِجَكُم يِّنَ أَرْضِيكُ مِيسِحْرِهِ وَلَمَا نَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُواْ أَيِّهِ وَلَغَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمُنَّابِنِ كَشِينَ ۞ يَأْتُوكَ يُكِلِّ مَعََّادِ عَلِيهِ ۞ خَمْيَعَ ٱلتَّحَرَةُ لِلمَّلْتِ يَوْمِ مَّعَلُومِ ۞ وَفِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْمُ مُجْتَفِعُونَ۞ TOUR TWEEN SERVICE

تفسير سورة الشعراء وهي مكية عند الجمهور

﴿١ ـ ٩ ﴾ ﴿بـــم الله السرحــن الرحيم طسم # تلك آيات الكتاب المبين * لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين * إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين * وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاّ كانوا عنه معرضين * فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون * أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم) يشير الباري تعالى إشارة تدل على التعظيم لأيات الكتاب المبين البين الواضح، الدال على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، بحيث لا يبقى عند الناظر فيه شك ولا شبهة فيما أخبر به أو حكم به، لوضوحه ودلالته على أشرف المعاني، وارتباط الأحكام بحكمها، وتعليقها بمناسبها، فكانُ رسول الله ﷺ ينذر به الناس، ويهدي به الصراط المستقيم، فيهتدى بذلك عباد الله المتقون، ويعرض عنه من كتب عليه الشقاء، فكان يجزن حزناً شديداً على عدم إيمانهم، حرصاً منه على الخير، ونصحاً لهم.

فلهذا قال تعالى عنه : ﴿لملك باخع نفسك﴾ أي: مهلكها وشاق عليها،

﴿ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنَينَ ﴾ أي: فلا تفعل، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الهداية بيد الله، وقد أديت ما عليك من التبليغ، وليس فوق هذا القرآن المبين آية حتى ننزلها ليؤمنوا [جا]، فإنه كاف شاف، لمن يريد الهداية، ولهذا قال: ﴿إِن نَشَأُ نَنْزُلُ عليهم من السماء آية ﴾ أي: من آيات الاقتراح، ﴿فظلت أعناقهم﴾ أي: أعناق الكذبين ﴿لها خاضعين﴾ ولكن لا حاجة إلى ذلك، ولا مصلحة فيه، فإنه إذ ذاك الوقت، يكون الإيمان غير نافع، وإنما الإيمان النافع، الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿ هِلْ ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ﴾ الآية .

وما يأتيهم من ذكر من الرحن محدث﴾ يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم ما ينفعهم ويضرهم. ﴿إلا كانواعنه معرضين بقلوبهم وأبدانهم، هذا إعراضهم عن الذكر المحدث، الذي جرت العادة، أنه يكون موقعه أبلغ من غيره، فكيف بإعراضهم عن غيره، وهذا، لأنهم لا خير فيهم، ولا تنجع فيهم المواعظ، ولهذا قال: ﴿فقد كذبوا الله أي: بالحق، وصار التكذيب لهم سجية، لا تتغير ولا تتبدل، ﴿ فسيأتيهم أنباء ما كانوابه يستهزؤون أي: سيقع بهم العذاب، ويحل بهم ما كذبوا به، فإنهم قد حقت عليهم كلمة العذاب. قال الله منبهاً على التفكر الذي ينفع صاحبه: ﴿أُو لَمْ يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كسريسم المسناف المستناف النباتات، حسنة المنظر، كريمة في نفعها، ﴿إِن فِي ذَلَكَ لآية ﴾ على إحياء الله الموتى بعد موتهم، كما أحيا الأرض بعد موتها ﴿وماكان أكثرهم مؤمنين﴾ كما قال تعالى: ﴿وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين).

﴿وإن ربك لهو العزيز ﴾ الذي قد قهر كل مخلوق، ودان له العالم العلوي والسفلي، ﴿الرحيم﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى كل

حي، العزيز الذي أهلك الأشقياء بأنواع العقوبات، الرحيم بالسعداء، حيث أنجاهم من كل شر وبلاء.

﴿١٠ - ٢٦﴾ ﴿وإذ نسادى ربك موسى أن اثت القوم الظالمين ﴾ إلى آخر القصة قوله: ﴿إِنَّ فِي ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أعاد الباري تعالى قصة موسى وثناها في القرآن ما لم يشن غيرها، لكونها مشتملة على حكم عظيمة وعبر، وفيها نبأه مع الظالمين وهو صاحب الشريعة الكبرى، وصاحب التوراة أفضل الكتب بعد القرآن، فقال: واذكر حالة موسى الفاضلة، وقت نداء الله إياه، حين كلمه ونبأه وأرسله، فقال:

﴿أَنُ الْمُتَ الْقُومُ الْطَّالَمِنِ الْدَيْنُ الْدَيْنُ تَكْبِرُوا فِي الأَرْضُ، وعلوا على أهلها، وادعى كبيرهم الربوبية، ﴿قُومُ فرعونُ الله يتقون الله الذي ولله عبارة ﴿أَلَا تَتَقُون الله الذي خلقكم ورزقكم، فتتركون ما أنتم عليه من الكفر.

فقال موسى عليه السلام، معتذراً من ربه، ومبيناً لعذره، وسائلاً له المعونة على هذا الحمل الثقيل: ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني .

فقال: ﴿ رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحمل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي ﴾ ﴿ فأرسل إلى هارون ﴾ فأجاب الله طلبته، ونبأ أخاه هارون كما نبأه ﴿ فأرسله معي ردءاً ﴾ أي: معاوناً لي على أمري أن يصدقوني.

﴿ولهم علي ذنب﴾ أي: في قتل القبطى ﴿فأخاف أن يقتلون﴾.

﴿قال كلا﴾ أي: لا يتمكنون من قتلك، فإنا سنجعل لكما سلطاناً، فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الخالبون. ولهذا لم يتمكن فرعون من قتل موسى، مع منابذته له غاية المنابذة، وتسفيه رأيه، وتضليله وقومه، ﴿فاذهبا بآياتنا﴾ الدالة على

صدقكما، وصحة ما جئتما به، ﴿إِنَّا معكم مستمعون أحفظكما وأكلؤكما، ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين اي: أرسلنا إليك، لتؤمن به وبنا، وتنقاد لعبادته، وتذعن لِتوحيده، ﴿أَنْ أَرْسُلُ مَعْنَا بِنِي إسرائيل، فكف عنهم عذابك، وارفع عنهم يدك ليعبدوا ربهم ويقيموا أمر دينهم .

فلما جاءا فرعون وقالاله ما قال الله لهما، لم يؤمن فرعون ولم يلن، وجعل يعارض موسى، فـ ﴿قال الم نربك فينا وليداً ﴾ أي: ألم ننعم عليك، ونقُم بتربيتك، منذ كنت وليدا في مهدك، ولم تزل كذلك.

﴿ولبثت فينا من عمرك سنين * وفعلت فعلتك التي فعلت، وهي قتل موسى للقبطي، حين استغاثه الذي من شيعته على ألذي من عدوه ﴿فُوكِزُهُ موسى فقضى عليه ﴾ الآية .

﴿وأنت من الكافرين ﴾ أي: وأنت إذ ذاك طريقك طريقنا، وسبيلك سبيلنا، في الكفر، فأقر على نفسه بالكفر من حيث لا يدري.

فقال موسى: ﴿فعلتها إِذاً وأنا من الضالين الله أي: عن غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه، فاستغفرت ربي فغفر لي، ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ حين تراجعتم بقتلى، فهربت إلى مدين، ومكثت سنين، ثم جئتكم. ﴿فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾.

فالحاصل أن اعتراض فرعون على موسى، اعتراض جاهل أو متجاهل، فإنه جعل المانع من كونه رسولاً، أن جرى منه القتل، فبين له موسى، أن قتله على وجه الضلال والخطأ، الذي لم يقصد نفس القتل، وأن فضل الله تعالى غير ممنوع منه أحد، فلم منعتم ما منحنى الله، من الحكم والرسالة؟ بقى عليك يا فرعون إدلاؤك بقولك: ﴿ أَلَّمُ نربك فينا وليداً ﴾ وعند التحقيق، يتبين أن لا منة لك فيها، ولهذا قال موسى: ﴿وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل اي: تدلى على بهذه المنة

لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها على نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبتهم، وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما مذه المنة التي تبت بها وتدلى بها؟ .

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ وهذا إنكار منه لربه، ظلماً وعلواً، مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى، قال: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي: الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية. ومن جملة ذلك، أنتم أيها المخاطبون، فكيف تنكرون خالق المخملوقات، وفاطمر الأرض والسماوات، ﴿إِنْ كُنتُم مُوقَّنِينَ﴾ فقال فرعون متجرهماً، ومعجباً لقومه: ﴿الا تستمعون﴾ ما يقول هذا الرجل، فقال موسي

﴿ربِكم ورب آبائكم الأولين﴾ تعجبتم أم لا، استكبرتم أم أذعنتم. فقال فرعون معانداً للحق، قادحاً بمن جاء به: ﴿إِنْ رَسُولُكُمُ اللَّهِي أَرْسُلُ إليكم لمجنون محيث قال خلاف ما نحن عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يخلقوا، أو أن السماوات والأرض ما زالتا موجودتين من غير موجد، وأنهم بأنفسهم خلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يعبد المخلوق الناقص من جميع الوجوه، والجنون عنده، أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول، وكانوا سفهاء الأحلام، خفيفي العقول ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ فقال موسى عليه السلام، مجيباً لإنكار فرعون وتعطيله لرب العالمين: ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ من سائر المخلوقات ﴿إِنْ كَنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فقد

أديت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه

لَمَلَّنَانَتَهِمُ السَّخْرَةِ إِن كَانُواْ مُرَالْفَلِينَ ۞ فَلَا جَلَّهُ السَّخَرَّةُ قَالُوا لِيزِيْقُونَ أَيْنَ لَنَا لَأَجْزَ إِن كُنَّا غَمْ الْفَلِينَ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُتُواذَا لِّيزَلْلُقُرِّينَ ۞ قَالَ لَمَدُمُّوسَيَّ أَلْقُوا مَّا أَنَّمُ مُّلْقُونَ ۞ فَٱلْقُوَّا حِبَالْمُكُمِّ وَعِصِيَّا كُمْرُ وَقَالُواْ بِعِرِّوْ فِيغُونَ إِنَّا أَيْحُنُّ ٱلْفَالِيُونِ ﴿ فَأَلْقَ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا فِي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ الله المَّا لَمُ الْمُعَرَّةُ سَلِينَ ﴿ فَالْوَا مَا مَنَا بِرَبِ الْمَالِمِينَ ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَلَرُونَ ﴿ قَالَ ءَامَن تُرَلَّهُ قِبَلَ أَنْ مَاذَنَ لَكُورًا نَكُ الْكِيرُ كُوالَّذِي عَلْمَتُكُوالْيَةِ مَرَفَلْسَوْفِ تَقَلُّونَ لَأَفْطَعَنَّ أَيْدِيكُو وَأَنْتِلَكُمُ مِنْ خِلْفِ وَلَأَمْتِلِنَكُمُ أَهْمَعِينَ ۞ فَالُواْ لَامْتَيْلَالًا اللهُ رَبِّنَا مُعَلِيُونَ ۞ إِنَّا صَلْمَتُمُ أَن يَعْفِرَ لِنَارِبُّنَا خَطَلِيْنَا أَنْكُنَّا ﴾ آفَلَ ٱلْمُوْمِنِينَ ۞ • وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِيعِبَادِىٓ إِلَّكُمُ مُنْبَعُونَ ۞ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمُنَآيِنِ كُشِينَ ۞ إِنَّ هَلُوٓلَآءِ الله مَنْ وَمَدُّ فَلِيلُونَ ﴿ وَالْتُهُمْ لَنَا لَغَالِطُونَ ۞ وَالَّالِّحِيمُ عَلِيْكُونَ ا ﴿ فَأَخْرَمْتُهُ مِن جَنَّتِ وَعُيُونِ ۞ وَكُنُوزِ وَمَقَامِكَ مِعِيدٍ ۞ مُّ اللَّهِ وَأُوْزَفُنْهَا بَنِي إِسْرَةَ بِلَ ۞ فَالْبَعُومُ مُّشْرِقِينَ ۞ DUSTON IN CONTRACT

كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أخاطبكم به؟ وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أزكى الخلق عقلاً، وأكملهم علماً، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجـــودات، خـــالــــق الأرض والسماوات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأي: شيء تثبتون؟ وإذا جهلتموه، فأي: شيء تعلمون؟ وإذا لم تؤمنوا به وبآیاته، فبأی: شیء _ بعد الله وآياته _تؤمنون؟ تالله، إن المجانين الذين بمنزلة البهائم، أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة، أهدى منکم .

فلما خنقت فرعون الحجة، وعجزت قدرته وبيانه عن المعارضة ﴿قَالُ﴾ مِتوعداً لموسى بسلطانه ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ زعم _قبحه الله _أنه قد طمع في إضلال موسى، وأن لا يتخذ إلها غيره، وإلا فقد تقرر أنه هو ومن معه، على بصيرة من أمرهم.

فقال له موسى: ﴿أُو لُو جِئْتُكُ بشيء مبين﴾ أي: آية ظاهرة جلية، على صحة ما جئت به، من خوارق العادات .

﴿قسال فسأت به إن كسنست مسن الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي

A STATE OF THE PARTY OF THE PAR العظيم، فيظهر الحق على الباطل، ويقر أهل العلم وأهل الصناعة بصحة ما جاء به موسى، وأنه ليس بسحر، فعمل فرعون برأيهم، فأرسل في المدائن من يجمع السحرة، واجتهد في ذلك ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ قد واعدهم إياه موسى، وهو

﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ أي: نودي بعموم الناس بالاجتماع في ذلك اليوم الموعود ﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴿ أَيِّ: قالموا للناس: اجتمعوا لتنظروا غلبة السحرة لموسى، وأنهم ماهرون في صناعتهم، فنتبعهم ونعظمهم، ونعرف فضيلة علم السحر، فلو وفقوا للحق، لقالوا: لعلنا نتبع المحق منهم، ولنعرف الصواب، فلذلك ما أفاد فيهم ذلك،

يوم الزينة، الذي يتفرغون فيه من

إلا قيام الحجة عليهم. ﴿فلما جاء السحرة ﴾ ووصلوا لفرعون قالوا له: ﴿أَإِنْ لِنَا لَأَجِراً إِنْ كُنَا نحن الغالبين لموسى؟ ﴿قال نعم ﴾ لكم أجر وثواب ﴿وإنكم إِذاً لَمْن المقربين، عندي، وعدهم الأجر والقربة منه، ليزداد نشاطهم، ويأتوا بكل مقدورهم في معارضة ما جاء به

فلما اجتمعوا للموعد، هم وموسى، وأهل مصر، وعظهم موسى وذكرهم، وقال: ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتری افتری انتازعوا وتخاصموا، ثم شجعهم فرعون، وشجع بعضهم

فر ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ أي: ألقواكل ما في خواطركم إلقاؤه، ولم يقيده بشيء دون شيء، لجَزمه ببطلان ما جاؤوا به من معارضة الحق.

﴿ فَأَلْقُوا حِبَالُهُمْ وَعَصِيهُم ﴾ فإذا هي حيات تسعى، وسحروا بذلك أعين الناس، ﴿وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾ فاستعانوا بعزة عبدٍ

ضعيف، عاجز من كل وجه، إلا أنه قد تجبر، وحصل له صورة ملك وجنود، فغرتهم تلك الأسمة، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر، أو أن هذا قَسَمٌ منهم بعزة فرعون، والمقسم عليه أنهم غالبون.

﴿ فِأَلْقِي مُوسِي عَصِاهُ فِإِذَا هِي تلقف﴾ تبتلع وتأخذ ﴿ما يأفكون﴾ فالتّفت جميع ما ألقوا من الحبال والعصي، لأنها إفك وكذب وزور، وذلك كله باطل، لا يقوم للحق

فلما رأى السحرة هذه الآية العظيمة، تيقنوا _لعلمهم _أن هذا ليس بـــحـر، وإنـمـا هــو آيــة مــن آيات الله، ومعجزة تنبيء بصدق موسى، وصحة ما جاء به.

ولا يقاومه.

﴿فَأَلْقِي السحرة ساجدين﴾ لربهم. ﴿قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون﴾ . وانقمع الباطل في ذلك المجمع، وأقر رؤساؤه ببطلانه، ووضح الحق وظهر، حتى رأى ذلك الناظرون بأبصارهم، ولكن أبي فرعون إلا عتواً وضلالاً، وتمادياً في غيه وعناداً، فقال للسحرة: ﴿آمنتم لهُ قبل أن آذن لكم المتعجب، ويعجب قومه من جراءتهم عليه، وإقدامهم على الإيمان من غير إذنه ومؤامراته. ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، هذا، وهو الذي جمع السحرة وملاه، الذين أشاروا عليه بجمعهم من مدائنهم، وقد علموا أنهم ما اجتمعوا بموسى ولا رأوه قبل ذلك، وأنهم جاؤوا من السحر بما يحير الناظرين ويهيلهم، ومع ذلك، فراج عليهم هذا القول، الذي هم بأنفسهم وقفوا على بطلانه، فلا يستنكر على أهل هذه العقول، أن لا يؤمنوا بالحق الواضح والآيات الباهرة، لأنهم لو قال لهم فرعون عن أي: شسىء كان، إنه على خلاف

حقيقته، صدقوه. ثم توعد السحرة فقال: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، أي: اليد اليمني والرجل اليسري، كما يفعل بالمسدفي الأرض،

فَلْمَاتَدَاتَهَ الْكِتْمُعَانِ قَالَ أَضَعَتُ مُوسَةٍ إِنَّا لَيُدْرَكُونَ ﴿ قَالَ كُلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ فَأُوْحِيْنَاۤ إِلَى مُوسَىٰٓ أَن ٱضْرِب بَعَصَاكَ ٱلْمِيَّةُ الْفَلَقَ مَكَانَكُلُّ فِي كَالطَّوْدِ الْمَظِيرِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَرَّ ٱلْاَخْيَوْنَ ۞ وَأَنْجِنَامُوسَىٰ وَمَن مَّعَمُواْ خَيْعِينَ۞ ثُوَّأَعُّرُفَا ٱلْآخَوِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآتِيَةً وَمَاكَانَ أَكُثَرُهُمُ مُّؤْمِنِينَ @ مَاذَ رَبِّكَ لَمُوَالْمَرِيزُ الرَّحِيدُ ۞ وَاتَّلْ عَلَيْهِ مَنَا أَيْزِيدُ ۞ إِذْ قَالَ لِإَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعَبُدُونَ ۞ قَالُواْ نَعَدُدُ أَصْنَامًا فَظَلُ لَمَاعَكِمِينَ ۞ قَالَ مَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَنْعُونَ ۞ أَوْيَنَفَعُونَكُمْ أَوْيَمُرُونَ ۞ فَالْوَاتِلْ وَجَدْنَا عَالِيَاتَ فَاكْدَاكِ يَهْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَوَيَتُمُ مَّاكُنتُمُ تَعَبُدُونَ ۞ أَنتُرُ

وَءَابَا وَحُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِيَ إِلَّارَبُ ٱلْعَلِينَ

۞ٱلَّذِى خَلَقَنِي فَهُوَيَعْدِينِ ۞ وَٱلَّذِى هُوَيُطْعِمْنِي وَيَسْقِينِ

قَالَمَا مَنْ مُنْ مُنْفَوْمَتُ فَعُورَ اللّهِ مِنْ وَاللّهِ عَلَيْتُ فِي اللّهِ عَلَيْهُ وَاللّهِ مَنْ ا مُجَدِينِ اللّهِ وَاللّهِ مَنْ أَطْلَمُ أَنْ يَشْفِرُ لِلصِّلِيقِينَ وَوَاللّهِ فَلَيْ اللّهِ عَلَيْهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهِ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَلَّا لَمُؤْمِنَا لَمُلّمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ و

TOWN TO WITH THE PARTY OF THE P ثعبان أي: ذكر الحيات، ﴿مبين ظاهر لكل أحد، لا خيال ولا تشبيه.

﴿ونزع يده ﴾ من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين، أي: لها نور عظيم، لا نقص فيه لمن نظر إليها. ﴿قال﴾ فرعون ﴿للملاُّ حوله﴾ معارضاً للحق ومن جاء به: ﴿إنَّ هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم، موَّهَ عليهم، لعلمه بضعف عقولهم، أن هذا من جنس ما يأتي به السحرة ، لأنه من المتقرر عندهم، أن السحرة يأتون من العجائب بما لا يقدر عليه الناس، وخَوَّفَهُم أن قصده بهذا السحر، التوصل إلى إخراجهم من وطنهم، ليجدوا ويجتهدوا في معاداة من يريد إجلاءهم عن أولادهم وديارهم، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أن نفعل به؟

﴿قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ ۚ أَي : أَخْرُهُمَا ﴿وابعث في المدائن حاشرين﴾ جامعين للناس ﴿يَأْتُوكُ ﴾ أولئك الحاشرون ﴿بِكُلُّ سِحَارُ عَلَيْمٍ ﴾ أي: ابعث في جميع مدنك، التي هي مقر العلم ومعدن السحر، من يجمع لك كل ساحر ماهر، عليم في سحره، فإن الساحر يُقابلَ بسحر من جنس سحره.

وهذا من لطف الله أن يرى العباد بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال المضل، أن ما جاء به موسى سحر، قيضهم أن جمعوا أهل المهارة بالسحر، لينعقد المجلس عن حضرة الخلق

﴿ولأصلبنكم أجمعين التختزوا، وتذلوا. فقال السحرة ـ حين وجدوا حلاوة الإيمان وذاقوا لمذته .: ﴿لا ضير﴾ أي: لا نبالي بما توعدتنا به ﴿إِنَا إِلَى رَبُّنَا مِنْقُلُبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ من الكفر والسحر وغيرهما ﴿أَنْ كُنَّا أُولُ المؤمنين﴾ بموسى، من هؤلاء الجنود، فثبتهم الله وصبَّرهم.

فيحتمل أن فرعون فعل بهم ما توعدهم به، لسلطانه واقتداره إذ ذاك، ويحتمل أن الله منعه منهم، ثم لم يزل فرعون وقومه مستمرين على كفرهم، يأتيهم موسى بالآيات البيناث، وكلما جاءتهم آية، وبلغت منهم كل مبلغ، وعمدوا موسى وعاهدوه، لئن كشف الله عنهم، ليؤمنن به، وليرسلن معه بني إسرائيل، فيكشفه الله، ثم ينكثون، فلما يئس موسى من إيمانهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وآن لبني إسرائيل أن ينجيهم من أسرهم، ويمكن لهم في الأرض، أوحى الله إلى موسى: ﴿ أَنَّ أُسر بِعَبادي ﴾ أي: اخرج ببنى إسرائيل أول الليل، ليتمادوا ويتمهلوا في ذهابهم. ﴿إنكم متبعون اي: سيتبعكم فرعون

ووقع كما أخبر، فإنهم لما أصبحوا، وإذا بنو إسرائيل قد سروا كلهم مع

﴿ فَارْسِيلَ فِسْرِعِيونَ فِي المُدَاتِينَ حاشرين، يجمعون الناس، ليوقع ببني إسرائيل، ويقول مشجعاً لقومه: ﴿إِنَّ هؤلاء ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون، ونريد أن ننفذ غيظنا في هؤلاء العبيد، الذين أبقُوا منا .

﴿وَإِنَّا لَجْمَيْعُ حَاذَرُونَ﴾ أي: الحذر على الجسميع منهم، وهم أعداء للجميع، والمصلحة مشتركة، فخرج فرعون وجنوده في جيش عظيم، ونفير عام، لم يتخلف منهم سوى أهل الأعذار، الذين منعهم العجز.

قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرِجِنَاهُم مِنْ جنات وعيون﴾ أي: بساتين مصر

وجنانها الفائقة، وعيونها المتدفقة، وزروع قد ملأت أراضيهم، وعمرت بها حاًضرتهم وبواديهم.

﴿ومقام كريم﴾ يعجب الناظرين، ويلهي المتأملين، تمتعوا به دهراً طويلاً، وقضوا بلذاته وشهواته عمراً مديداً، على الكفر والعناد، والتكبر على العباد والتيه العظيم .

﴿ كَذَلَكُ وأُورِثْنَاهِ ﴾ أي: هذه البساتين والعيون، والزروع، والمقام الكريم، ﴿بني إسرائيلَ الذينَ جعلوهم من قبل عبيدهم، وسخروا في أعمالهم الشاقة، فسبحان من يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته.

﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ أي: اتبع قوم فرعون قوم موسى، وقت شروق الشمس، وساقوا خلفهم محثين، على غيظ وحنق قادرين.

﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ أي: رأي كل منهما صاحبه، ﴿قال أصحاب موسى﴾ شاكين لموسى وحزنين: ﴿إِنَّا لمدركون، ف ﴿قال﴾ موسى مثبتاً لهم، ومخبراً لهم بوعد ربه الصادق: ﴿كلا﴾ أي: ليس الأمر كما ذكرتم، أنكم مدركون، ﴿إن معى ربي سيهدين﴾ لما فيه نجاتي ونجاتكم، ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه ﴿فانفلق﴾ اثنى عشر طريقاً ﴿ فكان كل فرق كالطود ﴾ أي: الجبل ﴿العظيم﴾ فدخله موسى وقومه .

﴿ وَأَزْلَفْنَا ثُمْ ﴾ في ذلك المكان ﴿الآخرين﴾ أي: فرعون وقومه، قربناهم، وأدخلناهم في ذلك الطريق، الذي سلك منه موسى وقومه.

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ استكملوا خارجين، لم يتخلف منهم أحد.

﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ لم يتخلف منهم عن الغرق أحد، ﴿إِنْ فِي ذَلْكُ لآية ﴾ عظيمة على صدق ما جاء به موسى عليه السلام، وبطلان ما عليه فرعون وقومه، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين المع هذه الآيات المقتضية

وَإِجْعَلِ لِي لِيسَانَ صِدْقِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۞ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةَ وَ جَنَّةِ ٱلنَّعِيدِ ۞ وَٱغْفِرْ لِأَيِّ ٓ إِنَّهُكَانَ مِنَ ٱلضَّالَيْنَ ۞ وَلَا تُعْنِفِ يَوْمَيُبَعَثُونَ ۞ يَوْمَ لَايْنَفَعُمَالُّ وَلَابَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَنَّ ٱللَّهَ بقَلْب سَلِيمِ ۞ وَأَزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ الْمُنْقِينَ ۞ وَيُوَنَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۞ وَقِيلَ لَمُتَ أَيْنَ مَا كُتُتُمْ تَعَبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمُّ أَوْيِنَنْصِرُونَ ۞ فَكُبْكِبُوافِيهَاهُمْ وَٱلْغَاوُدَنَ۞ وَجُنُودُ إِلَيْهِ رَأَجْمَعُونَ ۞قَالُواْ وَهُرْفِيهَا يَخْفَصِمُونَ ۞ ثَالَقُواِن كُنَّا لَىٰ صَلَالِمُ بِينِ ﴿ إِذْ نُسَتِي كُرُينِ ٱلْعَلَمِينَ ۞ وَمَاۤ أَصَلَنَاۤ إِلَّا ٱلْجُهُونَ ﴿ فَمَا لَنَامِن شَلْفِعِينَ ۞ وَلَاصَابِيقٍ جَمِيمِ۞ فَلَوْ النَّالْتَاكَرَةَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعْمِينِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآئِيةً وَمَأَكَاتَ الْتَ تَرُعُم مُتَوْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبِّكَ لَمُوَّالُعَ بِرِزُ الرَّجِيمُ۞ كَذَّبَّتْ قَوْمُ نُحِ ٱلْزُسِلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَمَدْ أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَائَتَتْ فُونَ ۞ إِنِّ ٱلْكُرْرَسُولُ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۞ وَمَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ۞ فَأَتَّقُوا أَلَهَ وَ وَأَطِيعُونِ ١٠٠ وَ قَالُوا أَنْوَيْنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ ٱلْأَزَلُونَ ١٠ ON MORE OF THE PROPERTY OF THE

للإيمان، لفساد قلوبكم، ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم، بعزته أهلك الكافرين المكذبين، وبرحمته نجي موسى ومن معه أجمعين.

﴿ ٦٩ _ ١٠٤ ﴾ ﴿ واتبل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾ إلى آخر هذه القصة ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم، أي: واتل يا محمد على المناس، نبأ إبراهيم الخليل، وخبره الجليل، في هذه الحالة بخصوصها، وإلا فله أنباء كثيرة، ولكن من أعجب أنبائه وأفضلها، هذا النبأ المتضمن لرسالته ودعوته قومه، ومحاجته إياهم، وإبطاله ما هم عليه، ولذلك قيده بالظرف، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا﴾ متبجحين بعبادتهم: ﴿نعبد أصناماً﴾ ننحتها ونعملها بأيدينا. ﴿فنظل لها عاكفين اي: مقيمين على عبادتها في كثير من أوقاتنا، فقال لهم إبراهيم، مبيناً لعدم استحقاقها للعبادة: ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون الستجيبون دعاءكم، ويفرجون كربكم، ويزيلون عنكم كُل مكروه؟

﴿أُو ينفعونكم أو يضرون ﴿ فأقروا أن ذلك كله غير موجود فيها، فلا تسمع دعاء، ولا تنفع، ولا تضر، ولهذًا لما كسرها وقالَ: ﴿بِل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون الواله: ﴿لقد علمت ما

قَالَ وَمَاعِلِي بَاكَافُوا مِنْ مَلُونَ ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ لِلْاَعْلِيٰ رَقِّ لَو تَشْمُونَ ۞ وَمَا أَنَابِطَارِهِ لَلْوَمِينَ ۞ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ ثُمِّينٌ ا قَالُوالِينَ لِّرِتَنتَهِ يَننُوحُ لَتَكُونَزَ مِنَ الْمُرْجُومِينَ فَ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ۞ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَتَعَا وَبَعْنِي وَمَن مِّينَ مِنَ ٱلْكُوْمِنِينَ ۞ فَأَنِيَنْكُهُ وَمَن مَّعَدُ فِي ٱلْفُلُكِ ٱلْمُشْحُونِ ۞ ثُمَّ أَغُهَّنَا بَعَدُ ٱلْبَاقِينَ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآتِيةٌ وَمَاكَانَ أَكْتُرُهُم مُوْمِنِينَ ۞ مَاذَ رَبِّكَ لَمُوَالْعَرِيزُ الرَّجِيمُ۞ كَذَّبْتُ عَادُّ ٱلتُسَلِينَ ۞ إِذْقَالَ لَمُتَوَّالَحُوْمُومُورُ ٱلاَنْتَقُونَ ۞ إِنِي لَكُوْ رَسُولُ أَمِينٌ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْتَلَكُوعَلَيْهِ مِنْ أَجْرٌ أِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَلَى مِنْ أَجْرُ إِن الْمَتَوْرَتَ يُكُلِّ رِبِيع ءَايَةَ تَعَبَعُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَالِعَ لَعَلَّكُو تَغَلْدُونَ ۞ وَإِذَا بَعَلَمْ مُرْبَطَمْ مُرْجَدًا وِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهُ وَأَطِيعُونِ ۞ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِى ٓ أَمَدَّكُمُ عَاتَمْا مُونَ ﴿ أَمَدُّكُمُ بِأَمْدَهِ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّتِ وَعُيُونِ ۞ إِنَّ أَلَنَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يُومِ عَظِيمِ ا الله الله الله المراجعة المركز المراجعة المراج

هؤلاء ينطقون أي: هذا أمر متقرر من حالها، لا يقبل الإشكال والشك، فلجؤوا إلى تقليد آبائهم الضالين، فقالنوا: ﴿بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون في نتبعناهم على ذلك، وسلكنا سبيلهم، وحافظنا على عاداتهم، فقال لهم إبراهيم: أنتم وآباؤكم، كلكم خصوم في هذا الأمر، والكلام مع الجميع واحد.

﴿أَفُرأُيتُم مَا كُنتُم تَعْبِدُونَ * أَنتُم

TO TO TO THE MEDICAL TO THE PARTY OF THE PAR

وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي فليضروني بأدنى شيء من الضرر، وليكيدوني فلا يقدرون. ﴿ إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * هو المنفرد بنعمة الحلق ونعمة الهداية، للمصالح الدينية والدنيوية، ثم خصص منها بعض الضروريات فقال: ﴿ والذي هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو

يشفين * والذي يميتني ثم يحيين *

والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم

فهذا هو وحده المنفرد بذلك، فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة، وتترك هذه الأصنام، التي لا تخلق، ولا تهدي، ولا تمرض، ولا تشفي، ولا تطعم، ولا تسقي، ولا تميت، ولا تحيي، ولا تنفع عابديها بكشف الكروب، ولا مغفرة الذنوب.

فهذا دليل قاطع، وحجة باهرة،

لا تقدرون أنتم وآباؤكم على معارضتها، فدل على اشتراككم في الضلال، وترككم طريق الهدى والرشد. قال الله تعالى: ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدانِ﴾ الآيات.

اديات. ثم دعا عليه السلام ربه فقال: ﴿رب هب لي حكماً ﴾ أي: علماً كثيراً، أعرف به الأحكام، والحلال والحرام، وأحكم به بين الأنام، ﴿وألحقني بالصالحين ﴾ من إخوانه الأنبياء والمرسلين.

﴿واجعل في لسان صدق في الآخرين﴾ اي: اجعل في ثناء صدق، مستمر إلى آخر الدهر. فاستجاب الله دعاء، فوهب له من العلم والحكم، ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانه المرسلين، وجعله محبوباً مقبولاً، معظماً مثنى عليه، في جميع الملل، في كل الأوقات.

قال تعالى: ﴿وتركنا عليه في الآخرين *سلام على إبراهيم * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين *.

﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي: من أهل الجنة، التي يورثهم الله إياها، فأجاب الله دعاءه، فرفع منزلته في جنات النعيم.

واغفر لأبي إنه كان من الضالين وهذا الدعاء، بسبب الوعد الذي قال لأبيه: ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا قال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواة حليم ﴿ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ أي: بالتوبيخ على بعض الذنوب، والعقوبة عليها والفضيحة، بل أسعدني في ذلك اليوم الذي بل أسعدني في ذلك اليوم الذي من أتى الله بقلب سليم ﴾ فهذا الذي ينجو به من العقاب، ويستحق جزيل الثواب.

والقلب السليم، معناه الذي سلم من الشرك والسك ومحبة الشر والإصرار على البدعة والذنوب، ويلزم

من سلامته مما ذكر، اتصافه بأضدادها، من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته جاء عن الله، ثم ذكر من صفات ذلك اليوم العظيم، وما فيه من الثواب والعقاب فقال: ﴿وأزلفت الجنة﴾ أي: قربت ﴿للمتقين﴾ ربهم، الذين امتثلوا أوامره، واجتنبوا زواجره، واتقوا سخطه وعقابه.

﴿ وبرزت الجحيم ﴾ أي: برزت واستعدت بجميع ما فيها من العذاب، ﴿للغاويسُ ٱلذين أوضعوا في معاصى الله، وتجرؤوا على محارمه، وكذبوا رسله، وردوا ما جاؤوهم به من الحق ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ﴿ بأنفسهم أي: فلم يكن من ذلك من شيء، وظهر كذبهم. وخزيهم، ولاحت خسارتهم وفضيحتهم، وبان ندمهم، وضل سعيهم. ﴿فَكَبِكِبُوا فِيها﴾ أي: ألقوا في النار ﴿هُمُ أَي : مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، ﴿والغاوون﴾ العابدون لها، ﴿وجنود إبليس أجمعون من الإنس والحن، الذين أزَّهم إلى المعاصي أزَّأ، وتسلط عليهم بشركهم وعدم إيمانهم، فصاروا من دعاته، والساعين في مرضاته، وهم ما بين داع لطاعته، ومجيب لهم، ومقلد لهم على شركهم.

﴿قالوا﴾ أي: جنود إبليس الغاوون، لأصنامهم وأوثانهم التي عبدوها: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين﴾ في العبادة والمحبة، والخوف والرجاء، وندعوكم كما ندعوه، فتبين لهم حينئذ: ضلالهم، وأقروا بعدل الله في عقوبتهم، وأنها في محلها، وهم لم يسووهم برب العالمين، إلا في العبادة، يسووهم برب العالمين، إلا في العبادة، الحمالمين﴾ إنهم مقرون أن الله رب العالمين كلهم، الذين من جملتهم العالمين من جملتهم أوثانهم.

﴿وما أَضلَّنا﴾ عن طريق الهدى والرشد، ودعانا إلى طريق الخي

والفسق، ﴿إلا المجرمون﴾ وهم الأئمة الذين يدعون إلى النار، ﴿فما لنا﴾ حينتذ ﴿من شافعين﴾ يشفعون لنا، لينقذونا(١) من عذابه، ﴿ولا صديق حميم﴾ أي: قريب مصاف، ينفعنا بأدنى نفع، كما جرت العادة بذلك في الدنيا، فأيسوا من كل خير، وأبلسوا بما كسبوا، وتمنوا العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً.

﴿ فلو أن لنا كرة ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا، وإعادة إليها ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ لنسلم من العقاب، ونستحق الثواب، هيهات هيهات، قد حيل بينهم وبين ما يشتهون، وقد غلقت منهم الرهون.

﴿إِنْ فِي ذَلْكَ﴾ الذي ذكرنا لكم ووصفنا ﴿لآية﴾ لكم ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ مع نزول الآيات.

﴿٥٠١ ــ ١٠٢﴾ ﴿كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ إلى آخر القصة. يذكر تعالى، تكذيب قوم نوح لرسولهم نوح، وما رد عليهم وردوا عليه، وعاقبة الجميع، فقال: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين€ جميعهم، وجعل تكذّيب نوح كتكذيب جميع المرسلين، لأنهم كلهم اتفقوا على دعوة واحدة، وأخبار واحدة، فتكذيب أحدهم، تكذيب بجميع ما جاؤوا به من الحق، كذبوه ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَحُوهُمْ ﴿ فِي النسب ﴿نوح ﴾ وإنما ابتعث الله الرسل من نسب من أرسل إليهم، لئلا يشمئزوا من الانقيادله، ولأنهم يعرفون حقيقته، فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه، فقال لهم مخاطباً بألطف خطاب - كما هي طريقة الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم _ ﴿ أَلا تتقون، الله تعالى، فتتركون ما أنتم مقيمون عليه من عبادة الأوثان، وتخلصون العبادة لله وحده، ﴿إنَّى لَكُمُّ رسول أمين ﴿ فكونه رسولاً إليهم بالخصوص، يوجب لهم تلقي ما أرسل به إليهم، والإيمان به، وأن يشكروا الله تعالى على أن خصهم بهذا

الرسول الكريم، وكونه أميناً، يقتضي أنه لا يتقول على الله، ولا يزيد في وحيه ولا ينقص، وهذا يوجب لهم التصديق بخبره والطاعة لأمره.

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه، فإن هذا هو الذي يترتب على كونه رسولاً إليهم، أميناً، فلذلك رتبه بالفاء الدالة على السبب، فذكر السبب الموجب، ثم ذكر انتفاء المانع، فقال: ﴿وما أَسْأَلَكُم عليه من أجر﴾ فتتكلفون من المغرم الثقيل، ﴿إن أجري إلا على رب العالمين﴾ أرجو وأما أنتم فمنيتي، ومنتهى إرادتي منكم، النصح لكم وسلوككم الصراط المستقيم.

﴿فاتقوا الله وأطيعون ﴾ كرر ذلك عليه السلام لتكريره دعوة قومه، وطول مكثه في ذلك، كما قال تعالى: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ وقال: ﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً﴾ الآيات. فقالوا رداً لدعوته، ومعارضة له بماليس يصلح للمعارضة: ﴿أَنؤمن لِكُ واتبعكَ الأرذلون﴾ أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا أسافل الناس وأراذلهم وسقطهم. بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم بالحقائق، فإنهم لو كان قصدهم الحق، لقالوا ـ إن كان عندهم إشكال وشك في دعوته _بيُّنْ لناً صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك، ولو تأملوا حق التأمل، لعلموا أن أتباعه، هم الأعلون، خيار الخلق، أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأن الأرذل، من سلب خاصية عقله، فاستحسن عبادة الأحجار، ورضي أن يسجد لها ويدعوها، وأبي الانقياد لدعوة الرسل الكمل. وبمجردما يتكلم أحد الخصمين في الكلام الباطل، يعرف فساد ما عنده، بقطع

انْ هَانَا ٱلاَّنْكُونَ ٱلأَوْلِينَ ﴿ وَمَا نَحْنُ مُعَدَّبِينَ ﴿ وَكَالْمُوا ا فَأَعْلَكُ مُنْ اللَّهِ عَلَيْكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُوْمِنِينَ @ وَإِذْ رَبَّكَ لِمُوَّالْمِيرُ الرَّحِيدُ \$ كَذَّبْ ثَمُولُ الْوَسِلِينَ @ إِذْ قَالَ لَمُدَّ أَخُوهُمْ مَالِمُ أَلَا تَتَقُونَ ۞ إِنِّ ٱكْثُرَيْسُولُ أَمِينٌ ۞ ا فَاتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيمُونِ ﴿ وَمَا أَسْنَاكُ عُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرَانَ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۞ أَتُتَّرِّكُونَ فِي مَا هَلِهُنَّا ٓ الْمِذِينَ @ فِي جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴿ وَزُرُوعٍ وَفَعْلِ مَلْفَهُا هَفِ بِرُّ ۞ وَتَنْحِتُونَ مِنَ أَيْجِهَالِ مُيُوثًا فَلرِهِينَ ۞ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ وَلَا تُقِلِيمُوا أَمْرَ لَكُنْهِ فِينَ ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَايُصْلِحُونَ ﴿ وَالْوَالِمُ أَلَا الْمُ الْسَاعَةِ مِن الْسُتَخِيرَ ﴿ مَا أَنَّ إِلَّا بَشَرِّ مَثَلُتًا فَأْتِ بِعَايَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ۞ قَالَ هَنهِومَنَاقَةً لَمَّنَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ تَعْلُومِ ۞ وَلَا تَسْتُوهَا بِسُوَّو فَيَلَّفُنَكُمْ عَذَابُ يَوْمِ عَظِيرٍ ۞ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا النومين ﴿ مَّأَخَذَ مُرُالْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآتِيَّةً وَمَاكَانَ أَحَثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿ وَلِمَّ رَبِّكَ لِمُوَّالْمَنِيرُ ٱلرَّحِيمُ ﴿ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

النظر عن صحة دعوى خصمه ، فقوم نوح لما سمعنا عنهم ، أنهم قالوا في ردهم دعوة نوح : ﴿أَنُومَنَ لِكُ واتبعكُ الأَرذَلُونَ ﴾ فبنوا على هذا الأصل ، الذي كل أحد يعرف فساده رد دعوته ـ عرفنا أنهم ضالون مخطؤون ، ولو لم نشاهد من آيات نوح ودعوته العظيمة ، ما يفيد الجزم واليقين بصدقه وصحة ما جاء به .

فقال نوح عليه السلام: ﴿وما علمي بما كانوا يعملون * إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ أي: أعمالهم وحسابهم على الله، إنما عَلَيَّ التبليغ، وأنتم دعوهم عنكم، إن كان ما جئتكم به الحق، فائقادوا له، وكُلُّ له عمله.

﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ كأنهم _ قبحهم الله _ طلبوا منه أن يطردهم عنه، تكبراً وتجبراً، ليؤمنوا، فقال: ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ فإنهم لا يستحقون الطرد والإهانة، وإنما يستحقون الإكرام القولي والفعلي، كما قال تعالى: ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ .

﴿إِن أَنَا إِلاَ نَدْيِر مَبِينَ ﴾ أي: ما أنا إلا منذر ومبلغ عن الله، ومجتهد في نصح العباد، وليس لي من الأمر شيء، إن الأمر إلا لله.

كَذَّبْتُ فَقُ لُولِ ٱلْتُرْسِلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَمَنْ آخُوْمُرُلُولًا ٱلاَئْسَتُعُونَ ﴿ إِنَّ لَكُورَسُولُ أَمِينٌ ﴿ فَاتَغُوا الْمَدَوَأَطِيعُونِ ﴿ وَمَا آ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِكُ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَلَمِينَ ۞ أَتَأْوُنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلِمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَاخَلَقَ لَكُوَّرَدُّكُمُ مِّنَ أَزْوَجِكُمْ ثِلَ أَسَّمُ قَوَّعُ عَلَا وُرِكَ ۞ قَالُواْ أَمِن أَرْتَنْسَهِ يَالُومُكُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْهِونَ ﴿ قَالَ إِنِّ لِمَنْلِكُمْ مِنَ الْعَالِينَ ۞ رَبَ نَجِنِي وَأَهْلِي مَا يَعْمَلُونَ ۞ فَنَيَّنَاهُ وَأَهْلَهُ وَأَخْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْعَبَدِينَ ۞ ثُرَّدَتَمْ مَا ٱلْآخَرِينَ ۞ وَأَمْعَلُمُ مَا عَلَيْهِم مَّعَلِ ۖ فَسَاتَةٍ مَعَكُ ٱلْمُنْذَدِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَاكِكَ لَآدِيَةٌ وَمَاكَانَ ٱلْكُرُحُرُ مُوْمِنِينَ ۞ وَلِذَ رَبُّكَ لِمَوْ أَلْعَتِيزُ الرَّجِيدُ ۞ كَذَّبَ أَمْسَبُ لْتَكُو لَلْرُسِلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَمُتُرْشُعَيْبُ أَلَائِتُقُونَ ۞ إِنَّ لَكُورَسُولُ أَمِينٌ ﴿ فَأَنَّقُوا اللَّهَ وَأَلِيعُونِ ﴿ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخِيِّ إِنَّ أَخِرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَلَمِينَ ۞ • أَوْفُوا الْحَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْخُيْرِينَ ﴿ وَزِقُوا بِالْقِسْطَايِرِ ٱلنَّسْتَقِيمِ ﴿ وَلاتَغَنَّمُوا النَّاسَ أَشَيَلَةُ مُرْوَلِاتَنْفُوا فِي الْأَرْضِ مُغْسِدِينَ ۞ ADDESON WEDDERO

فاستمر نوح عليه الصلاة والسلام على دعوتهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، فلم يزدادوا إلا نفوراً، و ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ من دعوتك إيانا، إلى الله وحده ﴿لتكونن من المرجومين﴾ أي: لنقتلك شر قتلة، بالرمى بالحجارة، كما يقتل الكلب. فتباً لهم، ما أقبح هذه المقابلة، يقابلون الناصح الأمين الذي هو أشفق عليهم من أنفسهم، بشر مقابلة. لا جرم لما انتهى ظلمهم، واشتد كفرهم، دعا عليهم نبيهم بدعوة أحاطت بهم، فقال: ﴿ رب لا تذرعلي الأرض من الكافرين دياراً﴾ الآيات. وهنا ﴿قال رب إن قومي كذبون * فافتح بيني وبينهم فتحاً ﴿ أَي: أهلك الباغي منا، وهو يعلم أنهم البغاة الظلمة، ولهذا قال: ﴿ونجني ومن معى من المؤمنين ﴿ فَأَنْجِينَاهُ وَمِنْ معه في المفلك) أي: السفينة ﴿الشحون﴾ من الخلق والحيوانات، ﴿ثم أغرقنا بعد﴾ أي: بعد نوح، ومن معه من المؤمنين ﴿الباقين﴾ أي: جميع

﴿إِن في ذلك ﴾ أي: نجاة نوح وأتباعه، وإهلاك من كذبه ﴿لآية ﴾ دالة على صدق رسلنا، وصحة ما جاؤوا به، وبطلان ما عليه أعداؤهم المكذبون

﴿ ﴿ وَإِنْ رَبُّكُ لَهُو الْعَزِيزِ ﴾ الذي قهر

بعزه أعداءه، فأغرقهم بالطوفان ﴿الرحيم﴾ بأوليائه، حيث نجى نوحاً ومن معه، من أهل الإيمان.

(1۲۳ ـ ۱٤٠) (كذبت عادً المرسلين) إلى آخر القصة. أي: كذبت القبيلة المسماة عاداً، رسولهم هوداً، وتكذيبهم له تكذيب لغيره، لاتفاق الدعوة.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ في النسب ﴿هود﴾ بلطف وحسن خطاب: ﴿أَلا تتقون الله، فتتركون الشرك وعبادة غيره، ﴿إِنِّ لَكُمْ رَسُولُ أُمِينَ ﴾ أي: أرسلني الله إليكم، رحمة بكم، واعتناء بكم، وأنا أمين، تعرفون ذلك مني، رتب على ذلك قوله: ﴿فَاتَقُوا اللهُ وأطيعون، أي: أدوا حق الله تعالى، وهو التقوى، وأدوا حقى، بطاعتي فيما آمركم به وأنهاكم عنه، فهذا موجب لأن تتبعوني وتطيعوني، وليس ثمَّ مانع يمنعكم من الإيمان، فلست أسألكم على تبليغي إياكم ونصحى لكم أجراً، حتى تستثقلوا ذلك المغرم. ﴿إِنَّ أجري إلا على رب العالمين الذي رباهم بنعمه، وأدرَّ عليهم فضله وكرمه، خصوصاً ما ربّى به أولياءه

﴿أَتَبِنُونَ بِكُلِ رَبِعِ﴾ أي: مدخل بين الجبال ﴿آية﴾ أي: علامة ﴿تعبثون﴾ أي: تفعلون ذلك عبثاً لغير فائدة تعود بمصالح دينكم ودنياكم.

﴿وتتخذون مصانع ﴾ أي: بركاً وعجابي للمياه ﴿لعلكم تخلدون ﴾ والحال أنه لا سبيل إلى الخلود لأحد.

﴿وإذا بطشتم ﴾ بالخلق ﴿بطشتم جبارین ﴾ قتلاً وضرباً، وأخذ أموال. وكان الله تعالى قد أعطاهم قوة عظيمة، وكان الواجب عليهم أن يستعينوا بقوتهم على طاعة الله، ولكنهم فخروا واستكبروا، وقالوا: ﴿من أشد منا قوة ﴾ واستعملوا قوتهم في معاصي الله، وفي العبث والسفه، فلذلك نهاهم نبيهم عن ذلك.

﴿فاتقوا الله ﴾ واتركوا شرككم وبطركم ﴿وأطيعون ﴾ حيث علمتم أني رسول الله إليكم، أمين ناصح،

﴿واتقوا الذي أمدكم﴾ أي: أعطاكم ﴿بما تعلمون﴾ أي: أمدكم بما لا يجهل ولا ينكر من الإنعام، ﴿أمدكم بأنعام﴾ من إبل وبقر وغنم ﴿وبنين﴾ أي: وكثرة نسل، كثر أموالكم، وكثر أولادكم، خصوصاً الذكور، أفضل القسمين.

هذا تذكيرهم بالنعم، ثم ذكرهم حلول عذاب الله، فقال: ﴿إِنِ أَخَافَ عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أي: إني -من شفقتي عليكم وبري بكم - أخاف أن ينزل بكم عذاب عظيم، إذا نزل لا يرد، إن استمريتم على كفركم وبغيكم.

فقالوا معاندين للحق مكذبين لنبيهم: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ أي: الجميع على حد سواء، وهذا غاية العتو، فإن قوماً بلغت بهم الحال إلى أن صارت مواعظ الله، التي تذيب الجبال الصم الصلاب، وتتصدع لها أفئدة أولي الألباب، وجودها وعدمها _عندهم _ على حد سواء، لقوم انتهى ظلمهم، واشتد شقاؤهم، وانقطع الرجاء من هدايتهم، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خلق الأولين) أي: هذه الأحوال والنعم، ونحو ذلك، عادة الأولين، تارة يستغنون، وتارة يفتقرون، وهذه أحوال الدهر، لا أن هذه محن ومنح من الله تعالى، وابتلاء لعباده ﴿ومَّا نحن بمعذبين، وهذا إنكار منهم للبعث، أو تنزل مع نبيهم وتهكم به، إننا على فرض أننا نبعث، فإننا كما أدرَّت علينا النعم في الدنيا، كذلك لا تزال مستمرة علينا إذا بعثنا.

﴿فكذبوه ﴾ أي: صار التكذيب سجية لهم وخلقاً، لا يردعهم عنه رادع. ﴿فأهلكناهم ﴾ ﴿بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾.

﴿إِن في ذلك لآية ﴾ على صدق نبينا هود عليه السلام، وصحة ما جاء به، وبطلان ما عليه قومه، من الشرك والجبروت، ﴿وما كان أكشرهم

مؤمنين، مع وجود الآيات المقتضية للإيمان.

﴿وإن ربك لهو العزيز ﴾ الذي أهلك بقوته قوم هود، على قوتهم وبطشهم. ﴿الرحيم﴾ بنبيه هود، حيث نجاه ومن معه من المؤمنين.

﴿۱٤۱﴾ و١٤١﴾ ﴿كنابِت تُنمود المرسلين﴾ إلى آخر القصة ﴿كذبت ثمود﴾ القبيلة المعروفة في مدائن الحجر ﴿المرسلين﴾ كـذبوا صالحاً عليه السلام، الذي جاء بالتوحيد، الذي دعت إليه المرسلون، فكان تكذيبهم له تكذيباً للجميع .

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٍ﴾ في النسب، برفق ولين: ﴿ أَلَا تَتَقُونَ ﴾ الله تعالى، وتدعون الشرك والمعاصي ﴿إنِ لكم رسول﴾ من الله ربكم، أرسلني إليكم، لطفأ بكم ورحمة، فتلقوا رحمته بالقبول، وقابلوها بالإذعان، ﴿أُمِينُ﴾ تعرفون ذلك مني، وذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي وبما جنت به .

﴿وَمَا أَسَأَلُكُمْ عَلَيْهُ مِنْ أَجِرِ﴾ فتقولون: يمنعنا من اتباعك، أنك تريد أخذ أموالنا، ﴿إِن أَجِرِي إِلَّا عَلَى رب العالمين﴾ أي: لا أطلب الثواب

﴿أُتْتُرَكُونَ فَي مَا هَاهُنَا آمَنِينَ * فَي جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ أي: نضيد كثير. أي: أتحسبون أنكم تتركون في هذه الخيرات والنعم سُدي، تتنعمون وتمتعون كما تتمتع الأنعام وتتركون سدى، لا تؤمرون، ولا تنهون، وتستعينون بهذه النعم على معاصى الله، ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ أي: بلغت بكم الفراهة والحذق إلى أن اتخذتم بيوتاً من الجبال الصم الصلاب. ﴿ فِاتِ قِيوا الله وأطيعون *

ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين تجاوزوا الحد، ﴿الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون اي: الذين وصفهم ودأبهم الإفساد في الأرض، بعمل المعاصي، والدعوة إليها، إفساداً

لا إصلاح فيه، وهذا أضر ما يكون، لأنه شر محض، وكأن أناساً عندهم مستعدون لمعارضة نبيهم، موضعون في الدعوة لسبيل الغي، فنهاهم صالح عن الاغترار بهم، ولعلهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَانَ فِي الْمُدْيِنَةِ تُسْعَةً رهسط يسفسسدون فسي الأرض ولا يصلحون﴾ فلم يفد فيهم هذا النهى والوعظ شيئاً، فقالوا لصالح: ﴿إِنَّمَا أَنْتُ مِنِ المُسحِرِينِ ﴾ أي: قد سحرت، فأنت تهذي بما لا معني له. ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا ﴾ فأى:

فضيلة فقتنا بها، حتى تدعونا إلى اتباعك؟ ﴿فأت باآية إن كنت من الصادقين﴾ هذا، مع أن مجرد اعتبار حالته وحالة ما دعاً إليه، من أكبر الآيات البينات على صحة ما جاء به وصدقه، ولكنهم (١) من قسوتهم، سألوا آيات الاقتراح، التي في الغالب لا يفلح من طلبهاً، لكون طّلبه مبنياً على التعنت لا على الاسترشاد.

فقال صالح: ﴿هذه ناقة﴾ تخرج من

صخرة صماء ملساء ترونها وتشاهدونها

بأجمعكم، ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، أي: تشرب ماء البير يوماً، وأنتم تشربون لبنها، ثم تصدر عنكم اليوم الآخر، وتشربون أنتم ماء البئر. ﴿ولا تمسوها بسوء ﴾ بعقر أو غيره ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم فخرجت واستمرت عندهم بتلك الحال، فلم يؤمنوا، واستمروا على طغيانهم ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين * فأخذهم العذاب، وهي صيحة نزلت عليهم، فدمرتهم أجمعين، ﴿إنَّ في ذلك لآية ﴾ على صدق ما جاءت به

لهو العزيز الرحيم، ﴿١٦٠ ــ ١٧٠﴾ ﴿كذبت قوم لوط المرسلين، إلى آخر القصة قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا ــمع شركهم ــيأتون فاحشة لم

رسلنا، وبطلان قول معارضيهم،

﴿وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك

وَاتَّغُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَّةَ ٱلْأَوْلِينَ ﴿ وَالْوَالِمَّا أَنَّ الْتَ مِنَ ٱلْمُسَخِّدِة ﴿ وَمَا أَنْ إِلَّا بِشَرَّة مُثْلُنًا وَإِن نَظَنُكُ لِنَ ٱلْكَنِينِينَ ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَ كَيْسَفَّا مِنَ ٱلسَّمَآ عِلْ كُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ۞ قَالَ رَبَّ أَعَلَّرُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ فَكَ نَبُوهُ فَلْنَدَهُرْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ رُكَانَ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿ إِنَّ فِ ذَاكِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَحْتَرُهُم مُتَوْمِنِينَ ۞ وَلِأَ رَبُّكَ لَمُو ٱلْمَزِيْزُالْزَحِيمُ ۞ وَلِلْمُلْتَنِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ زَلَسَهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ۞ عَلَى تَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِينَ ۞ بِلِيكَانِ عَنَوْ يُبِينِ ﴿ وَإِنَّهُ لَنِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ أُولَمْ يَكُن لَهُمْ مَايَةً أَن يَعْ أَمَّتُ مُ عَلَمْتُواْ بَنِي إِسْرَاهِ مِنْ ۞ وَلَوْزَلْنَهُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْجِينَ @ فَقَرَأَهُ مَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِدِيمُ وْمِنِينَ ۞ كَذَّ لِكَ سَلَحَنَهُ فِي قُلُوبِ الْجُرِّمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَقَّا يَسَرُواْ الْعَذَابَ ٱلْأَلِيدَ ۞ يَالْيَهُمُ بَعْنَةَ وَهُرَلَا يَشْعُرُونَ ۞ فَيَقُولُواْ عَلَ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۞ أَفِعَذَابِنَايَتُ تَعْبِيلُونَ ۞ أَفَرَةَ يْتَإِن رُ مَنَّعَنَاهُرْسِينِينَ۞ ثَرَّبَاتُهُ هُرِمَاكَ افْرُافُوعَدُونَ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

يسبقهم إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم، لإسرافهم وعدوانهم، فلم يزل ينهاهم حتى ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿لئن لَمْ تنته يا لوطُّ لتكونن من المخرجين﴾ أي: من البلد، فلما رأي استمرارهم عليه ﴿قال إني لعملكم من القالين ﴾ أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين.

﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ من فعله وعقوبته، فأستجاب الله له، ﴿فنجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزاً في الغابرين ﴿ أي: الباقين في العذاب، وهي امرأته.

﴿ ثُم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطرأ أي: حجارة من سجيل ﴿ فَسَاء مطر المنذرين ﴾ أهلكهم عن اخرهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيِةً وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُمُ مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم

﴿ ١٧١ _ ١٩١﴾ ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ أصحاب الأيكة: أى: البساتين الملتفة أشجارها(٢)، وهم أصحاب مدين، فكذبوا نبيهم شعيباً، الذي جاء بما جاء به المرسلون، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبِ أَلا تتقون، الله تعالى، فتتركون ما يسخطه

تا أَغَنَ عَنْهُمْ تَا كَانَا لِمُنْتُونُ ۞ وَمَا أَهْلَكَ تَانِ وَقَيْهُ الْمُعْتَانِ وَقَيْهُ الْمُعْتَانِ وَقَيْهُ الْمُعْتَانِ وَقَيْهُ الْمُعْتَانِ وَقَيْهُ الْمُعْتَانِ وَمَا كَانَا فَلِيمِنَ ۞ وَمَا أَمْتَانِهِ مَا الشّيطِينُ ۞ وَمَا تُمْتَانِهُ مَعَ اللّهِ اللّهِ اللّهُ وَمَا لَمُعَنِينَ ۞ وَالْمَعْتَى مَعَ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَمَا لَمُعْتَى اللّهُ وَمِنْتُ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمُنْ اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ

TO STORY WILLIAM SER

ويغضبه، من الكفر والمعاصي، ﴿إِنَّ لكم رسول أمين﴾ يترتب على ذلك، أن تتقوا الله وتطيعون، وكانوا مع شركهم _ يبخسون المكاييل والموازين، فلذلك قال لهم: ﴿ أُوفُوا الْكِيلِ ﴾ أي: أتموه وأكملوه ﴿ولا تكونوا من المخسرين، الذين ينقصون الناس أموالهم ويسلبونها ببخس المكيال والميزان، ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم اى: بالميزان العادل، الذي لا يميل، ﴿واتقوا الذي خلقكم والجسبسلسة الأولين) أي: الخسليقسة الأولين، فكما انفرد بخلقكم، وخلق من قبلكم من غير مشارك له في ذلك، فأفردوه بالعبادة والتوحيد، وكما أنعم عليكم بالإيجاد والإمداد بالنعم، فقابلوه بشكره.

قالوا له، مكذبين له، رادين لقوله: ﴿إنما أنت من المسحرين ﴾ فأنت تهذي وتتكلم كلام المسحور، الذي غايته أن لا يؤاخذ به.

﴿وما أنت إلا بشر مثلنا ﴾ فليس فيك فضيلة اختصصت بها علينا، حتى تدعونا إلى اتباعك، وهذا مثل قول من قبلهم ومن بعدهم، عمن عارضوا الرسل بهذه الشبهة، التي لم يزالوا يدلون بها ويصولون، ويتفقون عليها، لاتفاقهم على الكفر، وتشابه قلوبهم.

وقد أجابت عنها الرسل بقولهم: ﴿إِن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾.

﴿وإن نظنك لمن الكاذبين وهذا جراءة منهم وظلم وقول زور، قد الطووا على خلافه، فإنه ما من رسول من الرسل، واجه قومه ودعاهم، وجادلهم وجادلوه، إلا وقد أظهر الله على يديه من الآيات، ما به يتيقنون صدقه وأمانته، خصوصاً شعيباً عليه السلام، الذي يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، فإن قومه قد تيقنوا صدقه، وأن ما جاء به حق، ولكن إخبارهم عن ظن كذبه كذب منهم.

﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء ﴾
أي: قطع عذاب تستأصلنا. ﴿إِن كنت من الصادقين ﴾ كقول إخوانهم ﴿وإِذ قالوا اللهم إِن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ أو أنهم طلبوا بعض آيات الاقتراح، التي لا يلزم تتميم مطلوب من سألها.

﴿قَالَ﴾ شعيب عليه السلام: ﴿ربي أعلم بما تعملونَ أي: نزول العذاب، ووقوع آيات الاقتراح، لست أنا الذي آتي بها وأنزلها بكم، وليس على إلا تبليغكم ونصحكم وقد فعلت، وإنما الذي يأتي بها ربي، العالم بأعمالكم وأحوالكم، الذي يجازيكم ويحاسبكم.

﴿ فَكَذَبُوه ﴾ أي: صار التكذيب لهم وصفاً، والكفر لهم ديدناً، بحيث لا تفيدهم الآيات، وليس جم حيلة إلا نزول العذاب.

وفاخذهم عذاب يوم الظلة اظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها مستلذين، لظلها غير الظليل، فأحرقتهم بالعذاب، فظلوا تحتها خامدين، ولديارهم مفارقين، ولدار الشقاء والعذاب نازلين.

﴿إِنه كان عذاب يوم عظيم > لا كرة لهم إلى الدنيا، فيستأنفوا

العمل، ولا يُفَتَّر عنهم العذاب ساعة، ولا هم ينظرون.

﴿إِنْ فِي ذَلْكَ لَآية﴾ دالة على صدق شعيب، وصحة ما دعا إليه، وبطلان رد قومه عليه، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ مع رؤيتهم الآيات، لأنهم لا زكاء فيهم، ولا خير لديهم ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾.

﴿ وَإِن رَبِكُ لِهُ العَزِيرَ ﴾ الذي امتنع بقوته عن إدراك أحد، وقَهَرَ كل خلوق. ﴿ الرحيم ﴾ الذي الرحمة وصفه، ومن آثارها، جميع الخيرات في الدنيا والآخرة، من حين أوجد الله العالم إلى ما تهاية له. ومن عزته، أن أهلك أعداءه حين كذبوا رسله، ومن رحته، أن نجّى أولياءه ومن اتبعهم من المؤمنين.

(۱۹۲ – ۲۰۳) ﴿ وَإِنه لتنزيل رَبَ العالمِين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل * ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى بروا العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة وهم العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة وهم منظرون * لما ذكر قصص الأنبياء مع أعهم، وكيف دعوهم، و [ما] مداهم، وصارت لهم العاقبة.

ذكر هذا الرسول الكريم، والنبي المصطفى العظيم، وما جاء به من الكتاب، الذي فيه هداية لأولي الألباب، فقال: ﴿وَإِنه لتنزيل رب العالمين﴾ فالذي أنزله، فاطر الأرض والسماوات، المربيّ جميع العالم، العلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم وأبدائهم، فإنه وأخراهم، ومن أعظم ما رباهم به، إنزال هذا الكتاب الكريم، الذي

اشتمل على الخير الكثير، والبر الغزير، وفيه من الهداية لمصالح الدارين، والأخلاق الفاضلة، ما ليس في غيره، وفي قوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ من تعظيمه وشدة الاهتمام فيه، من كونه نزل من الله، لا من غيره، مقصوداً فيه نفعكم وهدايتكم، ﴿نزل به الروح الأمين﴾ وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم، ﴿الأمين﴾ الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص.

﴿على قلبك﴾ يا محمد ﴿لتكون من المنذرين﴾ تهدي به إلى طريق الرشاد، وتنذر به عن طريق الغي.

﴿بلسان عربي﴾ وهو أفضل الألسنة، بلغة من بُعثَ إليهم، وباشر دعوتهم أصلاً، اللسان البينُ الواضع. وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها، وهو اللسان العربي المين.

﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ أي: قد بشرت به كتب الأولين وصدقته، وهو لما نزل طِبْقَ ما أخبرت به، صدقها، بل جاء بالحق وصدق المرسلين.

﴿أُولُم يكن لهم آية﴾ على صحته، وأنه من الله ﴿أَنْ يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ الذي قد انتهى إليهم العلم، وصاروا أعلم الناس، وهم أهل الصنف، فإن كل شيء يحصل به اشتباه، يرجع فيه إلى أهل الخبرة والدراية، فيكون قولهم حجة على عبرهم، كما عرف السحرة الذين مهروا في علم السحر، صدق معجزة موسى، وأنه ليس بسحر، فقول الجاهلين بعد هذا لا يؤبه به.

﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾
الذين لا يفقهون لسانهم، ولا يقدرون
على التعبير لهم كما ينبغي ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ يقولون: ما نفقه ما يقول، ولا ندري ما يدعو إليه، فليحمدوا ربهم، أن جاءهم على لسان

أفصح الخلق، وأقدرهم على التعبير عن القاصد، بالعبارات الواضحة وأنصحهم، وليبادروا إلى التصديق به، وتلقيه بالتسليم والقبول، ولكن تكذيبهم له عن غير شبهة، إن هو إلا محض الكفر والعناد، وأمر قد توارتثه الأمم المكذبة، فلهذا قال: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين اي: أدخلنا التكذّيب، وأنظمناه في قلوب أهل الإجرام، كما يدخل السلك في الإبرة، فتشربته، وصار وصفاً لها، وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم، فلذلك ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ على تكذيبهم، ﴿فَيَأْتِيهِم بِغَتَّةً وَهُمَ لا يَشْعُرُونَ﴾ أي: يأتيهم على حين غفلة ، وعدم إحساس منهم، ولا استشعار بنزوله، ليكون أبلغ في عقوبتهم والنكال بهم.

وفيقولوا إذ ذاك: وهل نحن منظرون أي يُنظروا ويمهلوا، والحال إنه قد فات الوقت، وحل يهم العذاب الذي لا يرفع عنهم، ولا يفتر ساعة.

﴿ ٢٠٤ - ٢٠٤ ﴿ أَفْرِيْتُ إِنْ مَتَعَنَاهُمْ سَنِينَ * أَمْرِأَيْتَ إِنْ مَتَعَنَاهُمْ سَنِينَ * أَمْرَأَيْتَ إِنْ مَتَعَنَاهُمْ يَوْعُدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتُعُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا الذي هُو العَذَابِ الأليم العظيم، الذي لا يستهان به ولا يحتقر، لا يستعجلون * فما الذي غرهم؟ هل فيهم قوة وطاقة للصبر عليه؟ أم عندهم قوة يقدرون على دفعه أو رفعه إذا نزل؟ أم يُعْجُرُوننا ويظنون أننا لا نقدر على ذلك؟

﴿أفرأيت إن متعناهم سنين أي: أفرأيت إذا لم نستعجل عليهم بإنزال العذاب، وأمهلناهم عدة سنين يتمتعون في الدنيا ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴾ من العذاب.

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون من اللذات والشهوات، أي: أي: شيء تغني عنهم وتفيدهم، وقد مضت، وبطلت، وأحقبت تبعاتها، وضوعف لهم العذاب عند

طول المدة. المقصد أن الحذر، من وقوع العذاب، واستحقاقهم له. وأما تعجيله أو تأخيره، فلا أهمية تحته، ولا جدوى عنده.

قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين * وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون > يغبر تعالى عن كمال عدله في إهلاك المكذبين، وأنه ما أوقع بقرية هلاكاً وعذاباً، إلا بعد أن يعذر منهم، ويبعث فيهم النذر بالآيات البينات، ويدعونهم إلى الهدى، وينهونهم عن الردى، ويذكرونهم بآيات الله، وينبهونهم على أيامه في نعمه ونقمه.

﴿ذكرى ﴾ ليهم وإقيامة حجة عليهم. ﴿وما كنا ظالمين ﴾ فنهلك القرى قبل أن ننذرهم، ونأخذهم وهم غافلون عن النذر، كما قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ .

ولما بين تعالى كسمال القرآن وجلالته، نزهه عن كل صفة نقص، وحاه _وقت نزوله، وبعد نزوله _ من شياطين الجن والإنس، فقال: ﴿وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم ﴿وما يستطيعون ﴿ذلك. ﴿إنهم عن السمع لمعزولون ﴿ قد أبعدوا عنه، وأعدت لهم الرجوم لحفظه، ونزل به جبريل أقوى الملائكة، الذي لا يقدر ساحته، وهذا كقوله: ﴿إنا نحن نزلنا ساحته، وهذا كقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾.

﴿ ٢١٣ ـ ٢١٣﴾ ﴿ فلا تدع مع الله الله أخر فتكون من المعذبين * وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ ينهى تعالى رسوله أصلا، وأمته أسوة له في ذلك، عن دعاء غير الله، من جميع المخلوقين، وأن ذلك موجب للعذاب السرمدي، لكونه

شركاً، ﴿ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وممأواه النار﴾ والنهي عن الشيء أمرٌ بضده، فالنهى عن الشرك، أمير بإخلاص العبادة اله وحده لا شريك له، محبة، وخوفاً، ورجاء، وذلاً، وإنابة إليه في جميع الأوقات. ولما أمره بما فيه كمال نفسه، أمره بتكميل غيره، فقال: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين الذين هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي، وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس، كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له «أحسن إلى قرابتك»، فيكون هذا خصوصاً^(١) دالاً على التأكيد وزيادة الحق، فامتثل ﷺ هذا الأمر الإلهي، فدعى سائر بطون قريش، فعمم وخصص، وذكرهم ورعظهم، ولم يُبنق على من مقدوره شيئاً، من نصحهم وهدايتهم إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض، ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك وتحببك إليهم، وحسن خلفك والإحسان التام بهم، وقد فعل ﷺ ذلك، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم نى الأمر﴾ فهذه أخلاقه ﷺ، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة ودفع المضار ما هو مشاهد. فهل يليق بمؤمّن بالله ورسوله، ويدّعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلاً على المسلمين، شرسَ الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظَّ القول، فظيعه؟ [و] إن رأى منهم معصية أو سوء أدب، هجرهم ومقتهم وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقراً لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، قد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمّل نفسه

ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿فَإِنَّ عصوك﴾ في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم، ولا تترك معاملتهم، بخفض الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه وتوبتهم منه، وهذا لدفع، احتراز وهم من يتوهم، أن قوله: ﴿واخفض بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا، والله أعلم.

«۲۱۷ ـ ۲۲۰» (وتسوكسل عسلي العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم اعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به، الاعتماد على ربه، والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور، فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه، فقال: ﴿وتوكل على العزيز الرحيم) والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به يفعل ذلك. ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله، والنزول في منزل الإحسان فقال: ﴿الذي يراكُ حين تقوم * وتقلبك في الساجدين، أي: يراك في هذه العبّادة العظيمة، التي هي الصلاة، وقت قيامك وتقلبك راكعاً وساجداً خصها بالذكر، لفضلها وشرفها، ولأن من استحضر فيها قرب ربه، خشع وذل، وأكملها، وبتكميلها يكمل سآئر عمله، ويستعين بها على جميع أموره .

﴿إِنه هو السميع السائر الأصوات، على اختلافها وتشتتها وتنوعها، ﴿العليم الذي أحاط بالظواهر والبواطن، والغيب

والشهادة. فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله، وسمعه لكل ما ينطق به، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه، من الهم والعزم والنيات، مما يعينه على منزلة الإحسان.

﴿۲۲١ _ ۲۲۷﴾ ﴿مل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفَاكِ أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، هذا جواب لمن قال من مكذبي الرسول: إن محمداً ينزل عليه شيطان. وقول من قال: إنه شاعر، فقال: ﴿ هِلْ أَنبِتُكُم ﴾ أى: أخبركم الخبر الحقيقي الذي لا شك فيه ولا شبهة، على من تنزل الشياطين، أي: بصفة الأشخاص، الذين تنزل عليهم الشياطين. ﴿تنزل على كل أفاك أي: كذاب، كثير القول للزور، والإفك بالباطل، ﴿أَثْيِمِ ﴾ في فعله، كثير المعاصى، هذا الذي تنزل عليه الشياطين، وتناسب حاله حالهم؟

﴿يلقون﴾ عليه ﴿السمع﴾ الذي يسترقونه من السماء، ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ أي: أكثر ما يلقون إليه كذب (٢)، فيصدق واحدة، ويكذب معها مئة، فيختلط الحق بالباطل، ويضمحل الحق بسبب قلته، وعدم علمه. فهذه (٣) صفة الأشخاص الذين وحيم له.

وأما محمد ﷺ، فحاله مباينة لهذه الأحوال أعظم مباينة، لأنه الصادق الأمين، البار الراشد، الذي جمع بين بر القلب وصدق اللهجة ونزاهة الأفعال

من المحرم.

والوحي الذي ينزل عليه من عند الله، ينزل محروساً محفوظاً، مستملاً على الصدق العظيم، الذي لا شك فيه ولاريب، فهل يستوي _ يا أهل العقول _ هذا وأولئك؟ وهل يشتبهان إلا على مجنون لا يميز ولا يفرق بين الأشياء؟

فلما نزهه عن نزول الشياطين عليه، برأه أيضاً من الشعر فقال: ﴿والشعراء﴾ أي: هل أنبتكم أيضاً عن حالة الشعراء، ووصفهم الثابت، فإنهم ﴿يتبعهم الغاوون﴾ عن طريق الهدى، المقبلون على طريق الغي والردى، فهم في أنفسهم غاوون، وتجد أتباعهم كل غاو ضال فاسد.

﴿ أَلُمْ تَرَ ﴾ غوايتهم وشدة ضلالهم ﴿ أَنْهِم في كل واد ﴾ من أودية الشعر، ﴿ يَهْمِمُون ﴾ فتارة في مدح، وتارة في قدح، وتارة في كذب، وتارة في كذب، وتارة يتغزلون، وأخرى يسخرون، وآونة يمرحون، وآونة يجزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يشتون على حال من الأحوال.

﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم، فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غراماً، وقلبه فارغ من ذاك، صدق، وهو كذب، وتبارة يتمدح بأفعال لم يفعلها، وتروك لم يتركها، وكرم لم يحم حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان، وتراه أجبن من كل جبان، هذا وصفهم.

فانظر، هل يطابق حالة الرسول محمد على الراشد البار، الذي يتبعه كل راشد ومهتد، الذي قد استقام على الهدى، وجانب الردى، ولم تتناقض أفعاله، ولم تخالف أقواله أفعاله؟ الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، ولا أخبر بشيء إلا صدق، ولا أمر بشيء إلا كان أول الفاعلن له،

ولا نهى عن شيء إلا كان أول التاركين له.

فهل تناسب حاله حالة الشعراء، أو يقاربهم؟ أم هو مخالف لهم من جميع الوجوه؟ فصلوات الله وسلامه على هذا الرسول الأكمل، والهمام الأفضل، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، الذي ليس بشاعر، ولا ساحر، ولا مجنون، ولا يليق به إلا

ولما وصف الشعراء بما وصفهم به، استثنى منهم من آمن بالله ورسوله، وعمل صالحاً، وأكثر من ذكر الله، وانتصر من أعدائه المشركين من بعد ما ظلموهم.

فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة وآثار إيمانهم، لاشتماله على مدح أهل الإيمان، والانتصار من أهل الشرك والكفر، والذّب عن دين الله، وتبيين المعلوم النافعة، والحث على الأخلاق الفاضلة، فقال:

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ ينقلبون إلى موقف وحساب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولا حقاً إلا استوفاه. والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة النصل وهي مكية

﴿١-٢﴾ ﴿بسم الله السرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين *هدى وبشرى للمؤمنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون * إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون * أولئك الذين لهم سوء المخسرون * وإنك لتلقى القرآن من المن حكيم عليم ينبه تعلى عباده على عظمة القرآن، ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم، فقال: ﴿تلك آيات على القرآن وكتاب مبين أي: هي أعلى المية القرآن وكتاب مبين أي: هي أعلى المية من المية ا

الايات، وأقوى البينات، وأوضح

धिन्नीइन्नि १४ حاقوالتغزالتخيم طَسَّ يَلْكَ مَالِنتُ ٱلْقُرْمَانِ وَكَابِمُينِ ۞ هُدَى وَلُشْرَيٰ لِلْمُؤْمِنِينَ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَفَوْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ مُرْبُوقِتُونَ ۞ إِذَا أَلِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زُنَّنَا لَمُهُرّ وَهُرَفِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۞ وَإِنَّكَ لَتَكَةً الْقُرْءَ إِنَّ مِن لَّدُنَّ حَكِيمِ عَلِيمِ ۞ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِورَ إِنَّ ءَانَسَتُ نَازَاسَفَاتِيكُمُ مِنْهَا يِعْبَرِ أَوْمَاتِهِ كُمْ بِيْهَابِ فَبْسِ لِْقَلِّكُو فَصَطَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَآهَ هَا نُودِيَ أَنْ وُرِكِ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلِمَ أَوسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبّ ٱلْعَلِمِينَ۞ يَعُونَنَيْ إِنَّهُۥ أَنَا اللَّهُ ٱلْعَيْرُ ٱلْعَكِيدُ۞ وَٱلْعِتَصَالُهُ فَلَا رَءَاهَاتَهُ مُزُكَأَنَّهُ إِنَّا وَلَى مُدْيِرًا وَلَرْ يُعَقِّبُ يَمُوسَىٰ لِانْخَفَ إِنِّ لَا يَعَافُ لَدَى ٱلْمُرْسِلُونَ ۞ إِلَّا مَن ظَلَرَثُوَّ بَدَّلَ حُسَّنَا بَعَدَ سُوَّوَ ۗ فَإِنِّ عَفُورٌ رُبِّحِيمٌ ۞ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِ جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَآ مِنْ غَيْرِ سُوَّةً فِي يَسْعِ ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ الْمَهُمُ كَانُواْ قَوْمًا فَلْسِقِينَ ﴿ فَلَمَا جَآءَتْهُمْ ءَالِئَتُنَا مُبْعِيرَةً قَالُواْ هَاذَا سِحْرَبُهِ بِنَّ ۞ ONE TOUR WEST PERSON

الدلالات، وأبينها على أجل المطالب، وأفضل المقاصد، وخير الأعمال، وأزكم الأخلاق، آيات تبدل عبلي الأخبار الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهى عن كل عمل وخيم، وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة، مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان، ودعت للوصول إلى الإيقان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، على طِبْق ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم، بأسمائه الحسني وصفاته العليا وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه، ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين، وكم يهتد بها جميع المعاندين، صوناً لها عن من لا خير فيه ولا صلاح، ولا زكاء فى قلبه، وإنما اهتدى بها، من خصهم الله بالإيمان، واستنارت بذلك قلوبهم، وصفت سرائرهم.

فله ذا قال: ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي: تهديم إلى سلوك الصراط المستقيم، وتبين لهم ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركؤه، وتبشرهم بثواب الله المرتب على الهداية لهذا الطريق.

ربما قيل: لعله يكثر مدعو الإيمان، فهل يقبل من كل أحد ادَّعي

وَيَحَدُ وَابِهَا وَأَسْتَنْقَنَنْهَا أَفْسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا فَانْظُرَكُفَ كَانَ عَقِيَةُ لَلْفُسِدِينَ ۞ وَلَقَدْءَ الَّيْنَا وَاوُدَ وَسُلِّيمَنَ عِلْمَأْوَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهُ الَّذِي فَضَلَنَا عَلَى كَثِيرِ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْنَ مُنَاوِدٌ وَقَالَ مِثَانِيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِمْنَا مَنطِةَ ٱلطَّلَر وَأُوتِينَا مِن كُلِّ مَنْ إِنَّ هَلَا الْحُوَّ الْفَضْلُ لِكُينُ ۞ وَحُمِيْرَ لِسُلَيْنَ جُوُدُهُ مِنَ أَيْمِينَ وَأَلْإِنِينَ وَٱلطَّيْرِفَهُمْ يُوزَعُونَ ٥ حَقِّرَانَا أَتُوا عَلَى وَادِ النَّمُلُ فَالْتَ مَلَةً يُنَالُهُ النَّمَلُ انتَحُلُوا مُسْكِنَتُ مُ لا يَعْطِمُنَّكُمْ سُلِنَكُنْ وَجُوْدُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُونَ ٥ فَتَبَسَدَ ضَاحِكَا مِن فَوَلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِغِينَ أَنْ أَشْكُرَ يَعْمَتُكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَ وَعَلَى وَلِدَى وَأَنْ أَعْمَلُ مَبْلِعًا تَرْضَالُهُ وَأَدْخِلِنِي رِبَعْتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّلِيعِينَ ۞ وَتَفَقَّدَ الطَّايْرَ فَقَ الْ مَالِي لَآ أَرَى الْهُدُهُ دَأَمْكَاتَ وَقَفَةَ الطَّيْرَ فَعَالَ مَا لِهِ لَآلَى الْفُدْهُ مَا أَمِكَانَ مِنَّالْمَتَآيِمِ فَ لَأَقْذِبَنَّهُ مَعَلَىٰ شَيِّمِا أَوْلَا أَيْفَقَتُهُ أَوْلَتَأْيِمِ فَهِ الْمُطَلِّنِ شُومِ ۞ فَكَتَ غَيْرَ عِسِيدٍ فَقَالَ أَحَمَلَتُ بِمَالَةِ يُحِمُّ بِهِ وَحِثْنُكَ مِن سَبَرَ إِبْنَا يَقِينِ ۞ COLORED IN MERCES

أنه مؤمن ذلك؟ أم لا بدلذلك من دليل؟ وهو الحق، فلذلك بيَّن تعالى صفة المؤمنين، فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ فرضها ونفلها، فيأتون بأفعالها الظاهرة، من أركانها، وسروطها، وواجباتها، بل ومستحباتها، وأفعالها الباطنة، وهو الخشوع الذي روحها ولبها، باستحضار قرب الله، وتدبر ما يقول المصلى ويفعله.

﴿ويسؤتون السزكاة المفروضة لمستحقيها. ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون أي: قد بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الواصل إلى القلب، الداعي إلى العمل. ويقينهم بالآخرة، يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب وموجبات العقاب، وهذا أصل كل خير.

﴿إِن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ ويكذبون بها، ويكذبون من جاء بإثباتها، ﴿زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾ حائرين مترددين، مؤثرين سخط الله على رضاه، قد انقلبت عليهم الحقائق، فرأوا الباطل حقاً، والحق باطلاً.

﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي: أشده وأسوأه وأعظمه، ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون > حصر الخسار فيهم، لكونهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وخسروا الإيمان الذي دعتهم إليه الرسل.

﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أي: وإن هذا القرآن الذي ينزل عليك وتتلقفه وتتلقنه، ينزل من عند ﴿حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. ﴿عليم السرار الأمور (١) وبواطنها، كظواهرها. وإذا كان من عند ﴿حكيم عليم ﴾ (٢) علم أنه كله حكمة ومصالح للعباد، من الذي [هو] أعلم بمصالحهم منهم ؟

﴿إذ قال موسى الأهله إني آنست ناراً ﴾ إلى آخر قصته، يعني: اذكر هذه الحالة الفاضلة الشريفة من أحوال موسى بن عمران، ابتداء الوحي إليه، واصطفائه برسالته، وتكليم الله إياه، وذلك أنه لما مكث في مدين متوجها إلى مصر، فلما كان في أثناء الطريق ضل، وكان في ليلة مظلمة باردة، فقال لهم: ﴿إِنِي آنست ناراً ﴾ أي: بخبر ﴾ عن الطريق، ﴿أو آتيكم منها بخبر ﴾ عن الطريق، ﴿أو آتيكم منها تستدفؤون، وهذا دليل على أنه تائه، ومشتد برده، هو وأهله.

﴿ فَلُمَا جَاءَهَا نُودِي أَنْ بُورِكُ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حُولِهَا ﴾ أي: ناداه الله تعالى وأخبره، أن هذا محل مقدس مبارك، ومن بركته، أن جعله الله موضعاً لتكليم الله لموسى وندائه وإرساله.

﴿ وُسبحان الله رب العالمين ﴾ عن أن يُظن به نقص أو سوء، بل هو الكامل في وصفه وفعله.

﴿ يَا مُوسى إنه أنا الله العزيز الحكيم أي: أخبره الله أنه الله المستحق للعبادة وحده لا شريك له، كما في الآية الأخرى ﴿ إنني أنا الله لا

إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴿ العزيز ﴾ الذي قهر جميع الأشياء، وأذعنت له كل المخلوقات، ﴿ الحكيم ﴾ في أمره وخلقه. ومن حكمته، أن أرسل عبده موسى بن لرسالته ووحيه وتكليمه. ومن عزته، أن تعتمد عليه، ولا تستوحش من انفرادك وكثرة أعدائك وجبروتهم، فإن نواصيهم بيد الله، وحركاتهم وسكونهم بتديره.

﴿وألق عصاك ﴾ فألقاها ﴿فلما رآها مهتر كأنها جان ﴾ وهو ذكر الحيات ، سريع الحركة ، ﴿ولى مدبراً ولم يعقب ﴾ ذعراً من الحية التي رأى ، على مقتضى الطبائع البشرية ، فقال الله له : ﴿يا موسى لا تخف وقال في الآية الأحرى : ﴿أقبل ولا تخف إنك من المرسلون ﴾ لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره ، فالذين اختصهم الله بسرسالته ، واصطفاهم لوحيه ، لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله ، خصوصاً عند زيادة القرب منه ، والحظوة بتكليمه .

﴿ إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء﴾ أي: فهذا الذي هو محل الخوف والوحشة بسبب ما أسدى من الظلم، وما تقدم له من الجرم، وأما المرسلون، من ظلم نفسه بمعاصي الله، ثم تاب وأناب، فبدل سيئاته حسنات، ومعاصيه طاعات، فإن الله غفور ومغفرته، فإنه يغفر الذنوب جميعا، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء لا برص ولا نقص، بل بياض يبهر الناظرين شعاعه. ﴿في تسع آيات إلى فرعون وقومه أي: هاتان الآيتان، انقلاب العصاحية تسعى، وإخراج اليد من

⁽١) في ب: الأحوال.

⁽٢) سبق قلم الشيخ ـ رحمه الله ـ فكتب: (حكيم خبير) فصححتها، وأبقيت التفسير كما هو.

(V) \(\tilde{\text{2}}\) إِنَّى وَجَدَتُّ أَمْرَأَةٌ تَيْلِكُهُمْ وَأُونِيَتْ مِن كُلَّ شَيْءٍ وَلَمُاعَرْشُ عَظِيرٌ ۞ وَجَدَثُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْ مِن دُونِ الله وَزَيِّ لَهُ وُالشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُ مُوصَدَّهُ مَرْعَنِ السَّيلِ فَهُمْ لَايَهُ مَلُونَ ۞ أَلْآيِسَجُدُ وَأَيِّوالَّذِي يَخْعُ أَكْتَبُهُ فِ ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَقَاكُمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعَلِّمُونَ ۞ التَهُ لاَ إِلَهُ إِلَّاهُ وَرَبُّ الْمَرْشِ الْمَظِيرِ ﴿ • قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمَرُكُتَ مِنَ ٱلْكَذِبِينَ ۞ ٱذْ مَسَ يَكِنِي هَذَا فَٱلْقِهُ إِلَيْهِ رَثُرَتُوَلَّ عَنْهُمْ فَانظَرْمَاذَا يَرْجِعُونَ ۞ قَالَتْ يَتَأَيُّهُا الْكَوْأُ إِنَّ أَلِيَّ إِلَّ كِنَاتُ كَرِيمٌ ۞ إِنَّهُ مِن سُلَمِّنَنَ مَانَهُ مِنْ عِلْمُوالرَّحْيَنِ ٱلرَّحِيدِ۞ أَلَّا تَعَلُّواْ عَلَى وَأَتُونِ مُسْلِمِينَ ۞ قَالَتْ يَتَأَيُّهَا ٱلْكَوَّا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَاكُنتُ قَاطِعَةً أَمَّرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۞ قَالُوا غَفَنُ أَوْلُوا فَوْ وَوَأُولُوا بَالْمِن شَكِيدِ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَاضْلِي الله عَلَا تَأْمُرِينَ ﴿ قَالَتْ إِنَّ لَلْكُوكَ إِذَا دَحَلُواْ قَيْمَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ مَإِنِّي المُسْلِلةُ إِلَيْهِ مِيعَدِيكَةِ فَنَاظِرَةُ لِيمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞

أحداً من الآدميين، ولهذا دعا ربه فقال: ﴿وهب (٢٠) لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فسخر الله له الشياطين، يعملون له كل ما شاء، من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم، وسخر له الريح، غدوها شهر ورواحها شهر.

DIEGO WEGO WOOD

﴿إِن هذا﴾ الذي أعطانا الله وفضلنا واختصنا به ﴿لهو الفضل المبين﴾ الواضح الجلي، فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى.

ورحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون أي: جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة، من بني آدم، ومن الجن والشياطين، ومن الطيور فهم يوزعون، يدبرون، علية التنظيم في سيرهم ونزولهم، غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم، وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك، وأعد له عدته، وكل هذه الجنود مؤتمرة تتمرد عنه، قال تعالى: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك أي: أعط بغير حساب، فسار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره (٢٠).

﴿حتى إذا أتواعلى وادي النمل

وكلا آتينا حكماً وعلماً﴾ الآية .

﴿وقالا﴾ شاكرين لربهما منته الكبرى بتعليمهما: ﴿الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ، فحمدا الله على جعلهما من المؤمنين ، أهل السعادة ، وأنهم كانوا من خواصهم .

ولا شك أن المؤمنين أربع درجات:

الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون، ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان، من خواص الرسل، وإن كانوا دون درجة أولي العزم [الخمسة]، لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام، الذين نوه الله بذكرهم، ومدحهم في كتابه مدحاً عظيماً، فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد، أن يكون شاكراً لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً، فلما مدحهما مشتركين، خص سليمان بما خصه به، لكون الله أعطاه ملكاً عظيماً، وصار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه، صلى الله عليهما وسلم، فقال: ﴿وورث سليمان داود﴾ أي: ورث علمه ونبوته، فانضم علم أبيه إلى علمه، فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم، مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه، كما تقدم من قوله ففهمناها سليمان، وقال شكراً لله، وتبجحاً بإحسانه، وتحدثاً بنعمته: ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير ﴾ فكان عليه الصلاة [والسلام] يفقه ما تقول وتتكلم به، كما راجع الهدهد وراجعه، وكما فهم قول النملة للنمل كما يأتي، وهذا لم يكن لأحد غير سليمان عليه الصلاة والسلام.

﴿واُوتينا من كل شيء ﴾ أي: أعطانا الله من النعم، ومن أسباب الملك، ومن السلطنة والقهر، ما لم يؤته

الجيب، فتخرج بيضاء في جملة تسع آيات، تذهب بها وتدعو فرعون وقومه، ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ فسقوا بشركهم وعتوهم وعلوهم على عباد الله، واستكبارهم في الأرض بغير الحق.

فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وملثه، ودعاهم إلى الله تعالى، وأراهم إلايات. ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة مضيئة، تدل على الحق، ويبصر بها كما تبصر الأبصار بالشمس. ﴿قالوا هذا سحر مبين ﴾ لم يكفهم مجرد القول بأنه سحر، بل قالوا: ﴿مبين ﴿ ظاهر لكل أحد. وهذا من أعجب العجائب، الآيات المبصرات، والأنوار الساطعات، تجعل من أبين الخزعبلات وأظهر السحر! هل هذا إلا من أعظم المكابرة، وأوقح السفسطة.

﴿وجحدوا بها﴾ أي: كفروا بسآيسات الله، جاحديين ليها، ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ أي: ليس جحدهم مستنداً إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم (١) بصحتها ﴿فلماً ﴾ منهم لحق ربهم ولانفسهم، ﴿وعلواً ﴾ على الحق وعلى العباد، وعلى الانقياد للرسل، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ أسوأ عاقبة، دمرهم الله وغرقهم في البحر، وأحرث مساكنهم

(١٥٤ - ٤٤) ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين * وورث سليمان داود ﴾ إلى آخر القصة. يذكر في هذا القرآن، وينوه بمنته على داود وسليمان ابنه، بالعلم الواسع الكثير، بدليل التنكير، كما قال تعالى: ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا حكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان

⁽١) في ب: تيقنهم.

⁽٢) في النسختين: فقال: (رب هب) وهو خطأ.

⁽٣) قي أ: في بعض في.

المنابقة من المنابقة المنابقة

قالت نملة به منبهة لرفقتها وبني جنسها: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون به فنصحت هذه النملة، وأسمعت النمل، إما بنفسها، خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل، الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة، من أعجب العجائب. وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل، ثم سرى الجميع، وأمرتهن بالحذر، والطريق في الجميع، وأمرتهن بالحذر، والطريق في ذلك، وهو دخول مساكنهن.

وعرفت حالة سليمان وجنوده، وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم، أنهم إن حطموكم، فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها وفهمه، ﴿فتبسم بفصاحتها() ونصحها، وحسن بفصاحتها() ونصحها، وحسن العبيرها. وهذا حال الأنبياء عليهم العبرة والسلام، الأدب الكامل، والتعجب في موضعه، وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول ﷺ جُل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب عا يشعجب منه، يدل على شراسة الخلق ينعجب منه، يدل على شراسة الخلق

والجبروت. والرسل منزهون عن ذلك.

وقال شاكراً لله الذي أوصله إلى هـذه الحال: ﴿رب أوزعـنـي أي: ألهمني ووفقني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى ﴿ فإن النعمة على الوالدّين نعمة على الولد. فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته، الدينية والدنيوية، عليه وعلى والديه، ﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ أي: ووفقني أن أعمل صالحاً ترضاه، لكونه موافقاً لأمرك، مخلصاً فيه، سالماً من المفسدات والمنقصات، ﴿وادخلني برحمتك﴾ التي منها الجنة ﴿في﴾ جملة ﴿عبادكُ الصالحين فإن الرحمة بجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم. فهذا نموذج ذكره الله من حالة سليمان عند سماع خطاب النملة ونداءها .

ثم ذكر نموذجاً آخر من مخاطبته للطير، فقال: ﴿وتفقد الطير﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه، وحسن تنظيمه لجنوده، وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر، وهو تفقد الطيور، والنظر: هل هي موجودة كلها، أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقد الطير، لينظر أين الهدهد منها^(٢)، ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد، أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيغة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل، بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه، أما العقلى، فإنه قدعرف بالعادة والتجارب والمشاهدات، أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولوكان كذلك، لذكره الله، لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي، فلو أريد هذا المعنى، لقال: «وطلب الهدهد لينظر له الماء، فلما فقده قال ما قال» أو «فتش عن الهدهد»، أو: «بحث عنه» ونحو

ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير، لينظر الحاضر منها والغائب، ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضاً فإن سليمان عليه السلام، لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء، بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت، ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف مع ذلك _ يحتاج إلى الهدهد؟!!

وهذه التفاسير التي توجد، وتشتهر بها أقوال، لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة، وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل، وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم، حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن، يعرف أن هذا القرآن الكريم، العربي المبين، الذي خاطب الله به الخلق كلهم، عالهم وجاهلهم، وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني، التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله ﷺ، ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها، لكون اللفظ دالاً عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنى، أو لنفيظاً أو معنى، ردها وجزم ببطلانها، لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها، وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

والشاهد، أن تفقد سليمان عليه السلام للطير، وفقده الهدهد، يدل على كمال حزمه وتدبيره الملك بنفسه، وكمال فطنته، حتى فقد هذا الطائر الصغير (فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائين أي: هل عدم رؤيتي إياه، لقلة فطنتي به، لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها، بأن كان غائباً من غير إذني ولا أمري؟.

فحينئذ تغيظ عليه وتوعده، فقال:

﴿ لأعذبنه عذاباً شديداً ﴾ دون القتل، ﴿ أُو لأذبحنه أُو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه، أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل، لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح، فلذلك استثناه، لورعه وفطنته.

﴿ فمكث غير بعيد ﴾ ثم جاء، وهذا يدل على هيبة (١) جنوده منه، وشدة التمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد، الذي خلفه العذر الواضح، لم يقدر على التخلف زمناً كثيراً، ﴿ فقال ﴾ لسليمان: ﴿ أحطت بما لم تحط به أي: عندي من العلم علم ما أحطت به، على علمك الواسع، وعلو درجتك به، على علمك الواسع، وعلو درجتك فيه، ﴿ وجئتك من سباً ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ بنباً يقين ﴾ أي: خبر متيقن.

ثم فسر هذا النبأ فقال: ﴿إِنَّ وَجِدْتُ امرأَةً مُلكهم﴾ أي: تملك قبيلة سبأ، وهي امرأة، ﴿وأوتيت من كل شيء ﴾ يؤتاه الملوك، من الأموال، والحسون، والحسون، والحبرد، والحصون، والقلاع، ونحو ذلك. ﴿ولها عرش عظيم ﴾ أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه، عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى.

وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله أي: هم مشركون يعبدون الشمس. وزين لهم الشيطان أعمالهم فرأوا ما هم عليه هو الحق، وفهم لا يهتدون لأن الذي يرى أن الذي عليه حق، لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته.

أسم قسال: ﴿اللهُ أي: هسلا ﴿يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض﴾ أي: يعلم الخفي الخبيء، في أقطار السماوات، وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات، وبذور النباتات، وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء، بإنزال

المطر، وإنبات النبات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض، ليجازيهم بأعمالهم ﴿ويعلم ما تخفون وما تعلنه: ﴾.

والله لا إله إلا هو أي: لا تنبغي العبادة، والإنابة، والذل، والحب، إلا له، لأنه المألوه، لما له من الصفات الكاملة، والنعم الموجبة لذلك. ورب العرش العظيم الذي هو سقف المخسلوقات، ووسع الأرض والسماوات، فهذا الملك عظيم السلطان، كبير الشأن، هو الذي يذل له ويخضع، ويسجد له ويركع، فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم، وتعجب سليمان كيف خفي عليه

وقال متثبتاً لكمال عقله ورزانته: ﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا ﴾ وسيأتي نصه ﴿فألقه إليهم ثم تول عنهم ﴾ أي: استأخر غير بعيد ﴿فانظر ماذا يرجعون ﴾ إليك وما يتراجعون به.

فذهب به فألقاه عليها، فقالت لقومها: ﴿إِنِّ ٱلقي إِلَى كتاب كريم﴾ أي: جليل المقدار، من أكبر ملوك الأرض.

ثم بينت مضمونه فقالت: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله السرحمن السرحمن السرحميم * ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين أي: لا تكونوا فوقي، بل اخضعوا تحت سلطاني، وانقادوا لأوامري، وأقبلوا إلى مسلمين.

وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام، فإنه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها، والانقياد لأمره، والدخول تحت طاعته، وبحيثهم إليه، ودعوتهم إلى الإسلام، وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة، وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب، فمن حزمها وعقلها، أن جمعت كبار دولتها ورجال علكتها، وقالت: ﴿ وَا أَيّا الملا أفتونى علكتها، وقالت: ﴿ وَا أَيّا الملا أفتونى

GENERAL CONTRACTOR وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ تَعُودَ أَخَاهُمْ صَلِيحًا أَنِ أَعْبُدُ وَأَلَفَ فَإِذَا هُدْ فَرِيقَ إِن يَخْنَصِهُ وَ فَ قَالَ يَكَفُّوهِ لِرُتَسْتَعْجِلُونَ إَلَاسَيَنَةِ قَتَلَ ٱلْحَسَنَةً لَوَلَاتَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَكُمُونَ ۞ قَالُواْ أَظَيِّرُنَا بِكَ وَيَمْنِ مَّعَكَّ قَالَ طَلْبَرْكُمْ عِندَاللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُشْدَنُونَ ۞ وَكَانَ فِي ٱلْدِينَةِ يَتَعَةُ رَهِطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُواْقَنَاكُواْ بِاللَّهِ لَنَبِّيَّ تَنَّمُواْهَا لَهُ ثُمَّ لَنَقُولَتَ لِوَلِيهِ مَاشَهَدْنَامَهْلِكَ أَهْلِهِ،وَإِنَّا لَصَلِيقُونَ ۞ وَمَكَّرُواْ مَكَ رًا وَمَكُونًا مَكَ رًا وَهُدُ لَا يَشْفُرُونَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَكَابَ عَلِقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّ زِنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ ﴾ أَجْيَعِينَ ۞ فَيَلْكَ يُتُوثُ فَرْخَاوِبَ أَبِمَا ظَلَمُواً إنَ فِي ذَلِكَ لَآتِكَ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَجْيَنَا ٱلَّذِينَ ﴾ اَمَنُوا وَكَ الْوَانِيَّةُ قُونَ ۞ وَلُوطًا إِذْ فَ الْ لِقَوْمِية التَأْوَنَ الْفَنْحِثَ وَأَنْتُوتُهُمِرُونَ ۞ أَبِنَّكُولَا أُوْدَ رُ الرِّيَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّسَاءُ بَلْ أَنتُهُ فَوْمٌ مِّغَهُلُونَ ﴿ QUE TO TAIL OF THE BEAT

في أمري أي: أخبروني، ماذا نجيبه به وهل ندخل تحت طاعته وننقاد؟ أم ماذا نفعل؟ ﴿ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون أي: ما كنت مستبدة بأمر دون رأيكم ومشورتكم.

ف ﴿ قَالُوا نحن أُولُو قوة وأُولُو بأس شديد ﴾ أي: إن رددتِ عليه قوله ، ولم تدخلي في طاعته ، فإنا أقوياء على القتال ، فكأنهم مالوا إلى هذا الرأي ، الذي لو تم لكان فيه دمارهم ، ولكنهم أيضاً لم يستقروا عليه ، بل قالوا: أيضاً لم يستقروا عليه ، بل قالوا: ﴿ الأمر إليك ﴾ أي: الرأي: ما رأيت ، لعلمهم بعقلها وحزمها ، ونصحها لهم ﴿ فانظري ﴾ نظر فكر وتدبر ﴿ ماذا تأمرين ﴾ .

فقالت لهم - مقنعة لهم عن رأيهم، ومبينة سوء مغبة القتال - ﴿إِن الملوك إِذَا دَخُلُوا قَرِية أَفْسَدُوها ﴾ قتلا، وتخريباً لأموالها، وتخريباً لديارها، ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ أي: جعلوا الرؤساء السادة أشراف الناس من الأذلين، أي: فهذا رأي: غير سديد، وأيضاً، فلست بمطيعة له قبل الاختبار وإرسال من يكشف عن أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون همنه. هل يستمر على رأيه المرسلون همنه. هل يستمر على رأيه المرسلون همنه. هل يستمر على رأيه

DEPOSITOR OF THE PROPERTY OF T • فَمَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ٓ إِلَّا أَنْ قَالُوَّا أَخْرِهُوٓ أَوَالُوَا مِنْ فَرْيَتِكُمْ أَنَّاسٌ يَتَطَلَّقُهُونَ ۞ فَأَبْعَيْنَكُهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتُهُ فَذَرْنَهَا مِنَ ٱلْخَارِينَ ۞ وَأَمْطَانَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَكَ آءَ مَطَرُ ٱلْمُنذِينَ ۞ قُلِ ٱلْحَعْدُلِلَّهِ وَسَلَامُ عَلَيْعِبَ ادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيَّ ءَاللَّهُ خَيْرُأُمَّا يُشْرِكُونَ ا أَمَنْ خَلَقَ ٱلسَّكَمَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُ مِينَ ٱلسَّكَاَّةِ مَآءُ فَأَنْشَ بِهِ حَدَآيِقَ ذَاتَ بَهْجَةِ مَّا كَابَ لَكُمْ أَن تُنْبَتُوا شَجَرَهَا أَءَكَهُ مَعَ اللَّهُ مِلْهُمْ قَوْرُيَعُدِلُوك ۞ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْلُهَا أَنْهُلُزًا وَجَعَلَ لَمَا رَوَيِيهِ وَجَعَلَ بَيْنِ ٱلْبَحْرَيْنِ حَسَاجِزًّا أَهَ لَلَهُمَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَحْتَرُهُمْ لَايَعْ لَمُونَ ۞ أَمَّن يُحِيبُ ٱلْمُضْطَلَّوْا دَعَاهُ وَيَكُيْفُ الشُّوءَ وَتَغِعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ أَ أَوْلَهُ مَّعَ اللَّهُ قِلِيلًا مَّالَّذَكَّرُونَ ۞ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظَلْمُلَتِ ٱلْبَرِّوَٱلْبَحْرِوَمَن رُسِلُ ٱلْيِمَاحَ مُشَرَّا يَعْرَبَ يَلَى الله الله عَمْدَ اللهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا اللَّهِ عَمَّا اللَّهِ عَمَّا اللَّهِ عَمُونَ TOWN TOWN TO RESERVE

وقوله؟ أم تخدعه الهدية، وتبدل فكرته، وكيف أحواله وجنوده؟

فأرسلت له هدية مع رسل من عقلاء قومها، وذوي الرأي: منهم، فلما جاء سليمان أي: جاءه الرسل بالهدية فقال منكراً عليهم ومتغيظاً على عدم إجابتهم: فأقدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم فليست تقع عندي موقعاً، ولا أفرح بها، قد أغناني الله عنها، وأكثر على النعم، أغناني الله عنها، وأكثر على النعم، للدنيا، وقلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله.

ثم أوصى الرسول من غير كتاب، لم أوصى الرسول من غير كتاب، لما رأى من عقله، وأنه سينقل كلامه على وجهه، فقال: ﴿ارجع إليهم اي: لا طاقة لهم صاغرون للهم النخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون لوجع إليهم، وأبلغهم ما قال سليمان، وعلم سليمان أنهم لا بد أن يسيروا إليه، فقال لمن حضره من الجن والإنس: فقال لمن حضره من الجن والإنس: مسلمين أي: لأجل أن نتصرف فيه قبل أن يسلموا، فتكون أموالهم عترمة، ﴿قال عفريت من الجن والعفريت: هو القوي النشيط جداً:

﴿أَنَا آتيك بِه قبل أَن تقوم من مقامك وإن عليه لقوى أمين، والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام، فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر، شهران ذهاباً، وشهران إياباً، ومع ذلك، يقول هذا العفريت: أنا ألتزم بالمجيء به، على كِبَره وثقله ويُعْده، قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه. والمعتاد من المجالس الطويلة، أن تكون معظم الضحى، نحو ثلث يوم، هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك، أو أكثر، وهذا الملك العظيم، الذي عند آحاد رعيته هذه القوة والقدرة، وأبلغ من ذلك أن ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب، قال المفسرون: هو رجل عالم صالح، عند سليمان يقال له: «آصف بن برخيا» كان يعرف اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

﴿أَنَا آتَيكُ بِهُ قَبِلُ أَنْ يَرِتَدُ إِلَيكُ طرفك ﴾ بأن يدعو الله بذلك الاسم، فيحضر حالاً، وأنه دعا الله فحضر. فالله أعلم [هل هذا المراد أم أن عنده علماً من الكتاب يقتدر به على جلب البعيد وتحصيل الشديد](١).

﴿فلما رآه ﴾سليمان ﴿مستقراً عنده الله تعالى على إقداره وملكه، وتيسير الأمور له، و ﴿قال هذا من فضل رى ليبلون أأشكر أم أكفر ﴾ أي: ليختبرني بذلك ً. فلم يغتر أ عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته، كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختبار من ربه، فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بيَّن أن الشكر لا ينتفع الله به، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه، فقال: ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم، غني عن أعماله، كريم، كثير الخير ، يعم به الشاكر والكافر ، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها، ثم قال لمن عنده: ﴿نكروا لها عرشها﴾ أي: غيروه بزيادة ونقص، ونحو ذلك ﴿ننظر ﴾ مختبرين

لعقلها ﴿أَمْتِدِي﴾للصواب، ويكون عندها ذكاء وفطنة تليق بملكها ﴿أَم تكون من الذين لا يهتدون﴾.

﴿فلما جاءت ﴿قادمة على سليمان، عرض عليها عرشها، وكان عهدها به، قد خلفته في بلدها، و ﴿قيا لِها أهكذا عرشك الله أي: أنه استقر عندنا أن لك عرشاً عظيماً، فهل هو كهذا العرش الذي أحضرناه لك؟ ﴿قالت كأنه هم كورهذا من ذكائها وفطنتها، لم تقل «هو» لوجود التغيير فيه والتنكير ، ولم تنف أنه هو، لأنها عرفته، فأتت بلفظ محتمل للأمرين، صادق على الحالين، فقال سليمان متعجباً من هدايتها وعقلها، وشاكراً لله أن أعطاه أعظم منها: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ أي: الهداية، والعقل، والحزم، من قبل هذه الملكة، ﴿وكنا مسلمين﴾ وهي الهداية النافعة الأصلية .

ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ: «وأوتينا العلم عن ملك سليمان وسلطانه، وزيادة اقتداره، من قبل هذه الحالة التي رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة، فأذعنا له، وجئنا مسلمين له، خاضعين لسلطانه».

قال الله تعالى: ﴿وصدَهَا ما كانت تعبد من دون الله أي: عن الإسلام، وإلا، فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل، ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿إنها كانت من قوم كافرين ﴾ فاستمرت على كانت، والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم، من أندر ما يكون، فلهذا لا يستغرب بقاؤها على سلطانه ما يبهر العقول، فأمرها أن الكفر، ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول، فأمرها أن تدخل الصرح، وهي المجلس المرتفع تدخل الصرح، وهي المجلس المرتفع المنهار.

ف ﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسته لجة﴾ ماء، لأن القوارير شفافة،

يرى الماء الذي تحتها، كأنه بذاته يجري، ليس دونه شيء، ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ للخياضة، وهذا أيضاً من عقلها وأدبها، فإنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله، لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام، وأن ملك سليمان وتنظيمه، قد بناه على الحكمة، ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء، بعد ما رأت ما رأت.

فلما استعدت للخوض قيل لها: ﴿إنه صرح ممرد﴾ أي: مملس ﴿من قوارير﴾ فلا حاجة منك لكشف الساقين. فحينتذ لما وصلت إلى سليمان، وشاهدت ما شاهدت، وعلمت نبوته ورسالته، تابت ورجعت عن كفرها، و ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾

فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ، وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة، والقصص الإسرائيلية، فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله، وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم المحصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها، أو أكثرها، ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها، وعدم إدخالها في التفاسير، والله أعلم.

(24 _ 80) ولقد أرسلنا إلى شمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان مختصمون إلى آخر القصة. مخبر تعالى أنه أرسل إلى ثمود القبيلة المعروفة، أخاهم في النسب صالحاً، وأنه أمرهم أن يعبدوا الله وحده، ويتركوا الأنداد والأوثان، ﴿فإذا هم فريقان مختصمون منهم المؤمن، ومنهم الكافر، وهم معظمهم.

﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ أي: لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها، قبل فعل الحسنات، التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب

لفعل السيشات؟. ﴿ لولا تستغفرون الله ﴾ بأن تتوبوا من شرككم وعصيانكم، وتدعوه أن يغفر لكم، ﴿ لعلكم تُرحون ﴾ فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين، والتائب من المخسنين.

﴿قالوا﴾ لنبيهم صالح، مكذبين ومعارضين: ﴿اطيرنا بك وبمن معك﴾ زعموا _ قبحهم الله _ أنهم لم يروا على وجه صالح خيراً، وأنه هو ومن معه من المؤمنين، صاروا سبباً لمنع بعض مطالبهم الدنيوية، فقال لهم صالح: ﴿طائركم عند الله﴾ أي: ما أسابكم إلا بذنوبكم، ﴿بل أنتم قوم والشر، لينظر هل تقلعون وتتوبون، أم والمؤوبه.

﴿وكان في المدينة ﴾ التي فيها صالح، الجامعة لمعظم قومه ﴿تسعة رهـط يسفسسدون في الأرض ولا يصلحون أي: وصفهم الإفساد في الأرض، ولا لهم قصد ولا فعل بالإصلاح، قد استعدوا لمعاداة صالح والطعن في دينه، ودعوة قومهم إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿فاتقوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون *.

فلم يزالوا بهذه الحال الشنيعة، حتى إنهم من عداوتهم ﴿تقاسموا﴾ فيما بينهم، كل واحد أقسم للآخر: ﴿لَنبِيتُهُ وَاهَلهُ أَي: نأتيه (١) ليلاً، هو وأهله، فلنقتلنهم، ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ إذا قام علينا، وادّعى علينا أنا قتلناه، ننكر ذلك، وننفيه ونحلف ﴿إنا لصادقون﴾ فتواطؤوا على ذلك، صالح وأهله، على وجه الخفية، حتى طومكرنا مكراً﴾ بنصر نبينا صالح عليه ﴿ومكرنا مكراً﴾ بنصر نبينا صالح عليه السلام، وتيسير أمره، وإهلاك قومه الكذبين ﴿وهم لا يشعرون﴾

أَمَّنَ سَلَقًا ٱلْغَلْقَ ثُرَّعُيهِ مُمُومَنَ زَنُكُكُمْ مِنَ السَّمَلَوَ وَٱلْأَضِ أَوِلَةً مَّمَّ أَقُو قُلْ هَاتُوا يُوكنَكُم إِن كُتُم صَادِيْنِ ۞ قُلُ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّكَوْتِ وَالْأَرْضِ الْفَيْتِ إِلَّاللَّهُ وَمَايَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبِعَثُونَ ۞ بَلِ أَذَٰزَلُهُ عِلْهُمُ فِي ٱلْخِزَةُ اللهُ مُم فِي شَاقِي مِنْهَا أَبُلُ هُم مِنْهَا عَسُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَنْرُواْ لَهِ ذَاكُنَّا ثُرُيَا وَءَالْبَاقُوَّا أَلِنَا لَمُعْرَجُونَ ۞ لَعَدْ وُعِدْنَا حَدُنَا غَنُ وَءَابَ أَفْنَا مِن جَدِلُ إِنْ حَذَاۤ إِلَّا أَسَعِلِيرُ ٱلْأَوْلِينَ @ أَنْ سِيرُواْ فِ الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلَقِتَ ٱلْجَيْمِينَ۞وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ مْ وَلَا تَكُنْ فِ صَيْقِ مِمَّا يَكُرُونَ ﴿ وَيَعُولُونَ مَتَىٰ هَلِنَا ٱلْوَعْدُ إِن كُفَّتُ مَسَادِقِينَ ﴿ قُلْ عَسَيْ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُر بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ۞ وَالْأَرْبَكِ لَنُومَشِلِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَحْفَرُونُ لَا يَتَكُرُونَ ٥ وَاذَّرَيَّكَ لَيْعَلَّمُ مَا ثَكُنُّ صُدُورُكُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَمَا مِنْ عَلَيْهِ فِي السَّمَلَةِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنْبِ مُّبِينٍ ۞ إِنَّ هَلْمَا ٱلْعُرَّانَ وَ يَعْضُ عَلَى بَنِيَ إِسْنَ مِنَ أَحْدُرُا أَذِي هُرَفِيهِ يَخْتَكِلْفُونَ ۞ TO SOUTH THE PROPERTY OF THE P

﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر مطلوبهم، أم انتقض عليهم الأمر، ولهذا قال: ﴿أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ أهلكناهم، واستأصلنا شأفتهم، فجاءتهم صيحة عذاب، فأهلكوا عن آخرهم.

﴿ فتلك بيوتهم خاوية ﴾ قد تهدمت جدرانها على سقوفها، وأوحشت من ساكنيها، وعطلت من نازليها، ﴿ بما ظلموا ﴾ أي: هذا عاقبة ظلمهم وشركهم بالله، ويغيهم في الأرض. ﴿ إِن في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾ الحقائق، ويتدبرون وقائع الله، في أوليائه وأعدائه، فيعتبرون بذلك، ويعلمون أن عاقبة الإيمان والعدل النجاة والفوز.

ولهذا قال: ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أي: أنجينا المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وكانوا يتقون الشرك بالله والمعاصي، ويعملون بطاعة وسله.

﴿ ٥٤ - ٥٨ ﴾ ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴾ إلى آخر القصة . أي : واذكر عبدنا ورسولنا لوطاً ، ونبأه الفاضل ، حين قال

THE PARTY OF THE P

لقومه داعياً لهم إلى الله وناصحاً ... ﴿ أَتِأْتُونَ الْفَاحِشَةِ ﴾ أي: الفعلة الشنعاء، التي تستفحشها العقول والفطر، وتستقبحها الشرائع ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ ذلك، وتعلمون قبحه، فعاندتم، وارتكبتم ذلك، ظلماً منكم وجرأة على الله.

TO STATE OF THE ST

ثم فسر تلك الفاحشة، فقال:

﴿ أَإِنكُم لِتأتُونِ الرجال شهوة من دون
النساء ﴾ أي: كيف توصلتم إلى هذه
الحال، صارت شهوتكم للرجال،
وأدبارهم محل الغائط والنّجو والخبث،
وتركتم ما خلق الله لكم من النساء،
من المحال الطيبة، التي جبلت النفوس
إلى الميل إليها وأنتم انقلب عليكم
الأمر، فاستحسنتم القبيح، واستقبحتم
الحسن، ﴿ بل أنتم قوم تجهلون ﴾ (المحارة ون لحدود الله، متجرؤون على عارمه.

﴿فما كان جواب قومه ﴾ قبول ولا انزجار، ولا تذكر وادكار، إنما كان جوابهم المعارضة والمناقضة، والتوعد لنبيهم الناصح ورسولهم الأمين، بالإجلاء عن وطنه، والتشريد عن بلده. فما كان جواب قومه ﴿إلا أن قسالوا أخسر جسوا آل لسوط مسن قريتكم ﴾

فكأنه قيل: ما نقمتم منهم، وما ذبهم الذي أوجب لهم الإخراج، فقالوا: ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ أي: يتنزهون عن اللواط وأدبار الذكور. فقبحهم الله، جعلوا أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات، ولم يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم به، حتى وصلوا إلى إخراجه، والبلاء موكل بالمنطق، فهم قالوا: ﴿وَرَاحِهُمُ إِنَّهُمُ أَنَاسُ مُوكِلُ بِالمُنْطَقَى فَهُمْ قَالُوا:

يتطهرون ﴾.

ومفهوم هذا الكلام: «وأنتم
متلوثون بالخبث والقذر، المقتضي
لنزول العقوبة بقريتكم، ونجاة من
خرج منها».
ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنْجِينَاهُ وأهله

إلا امرأته قدرناها من الغابرين، وذلك

لا جاءته الملائكة في صورة أضياف، وسمع بهم قومه، فجاؤوا إليه يريدونهم بالشر، وأغلق الباب دونهم، واشتد الأمر عليه، ثم أخبرته الملائكة عن جلية الحال، وأنهم جاؤوا لاستنقاذه وإخراجه من بين أظهرهم، وأنه موعدهم الصبح، وأمروه أن يسري بأهله ليلا، الا امرأته فإنه سيصيبها ما أصابهم، العذاب، فقلب الله عليهم ديارهم، وجعل أعلاها أسفلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، مسومة

عند ربك.
ولهذا قال هنا: ﴿وأمطرنا عليهم
مطراً فساء مطر المنذرين﴾ أي: بئس
المطر مطرهم، وبئس العذاب عذابهم،
لأنهم أنذروا وخوفوا، فلم ينزجروا ولم
يرتدعوا، فأحل الله بهم عقابه
الشديد.

بسبيد. ﴿٥٩﴾ ﴿قل الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى آلله خيرٌ أم ما يشركون﴾ أي: قل «الحمد لله» الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء، لكمال أوصافه، وجميل معروفه،

وهباته وعدله، وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب الظالمين، وسلم أيضاً على عباده، الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين، من الأنبياء والمرسلين، وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكرهم، وتنويها بقدرهم، وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربهم من النقائص والعيوب.

﴿آلله خير أما يشركون﴾ وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: آلله الرب العظيم، كامل الأوصاف، عظيم الألطاف، خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر، ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال ذرة من الخير، فالله خير عما يشركون.

ثم ذكر تفاصيل ما به يعرف ويتعين أنه الإله المعبود، وأن عبادته هي الحق، وعبادة [ما] سواه هي الباطل، فقال:

﴿٦٠﴾ ﴿أمَّن خَلَق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾.

أي: من خلق السماوات وما فيها، من الشمس والقمر والنجوم والملائكة، والأرض وما فيها، من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك؟

﴿ وأنزل لكم ﴾ أي: لأجلكم ﴿ من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ﴾ أي: بساتين ﴿ ذات بهجة ﴾ أي: حسن منظر، من كثرة أشجارها وتنوعها، وحسن ثمارها، ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ لولا مِنّة الله عليكم بإنزال المطر. ﴿ أَإِلَه مع الله ﴾ فعمل هذه الأفعال، حتى يعبد معه ويشرك به؟ ، ويسوون به سواه، مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ، ومنزل الرزق.

﴿٦١﴾ ﴿أَمْن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي

 ⁽١) سبق قلم الشيخ ـ رحمه الله ـ فذهب إلى آية الأعراف فكتب: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ وفسرها على هذا، فصححت الآية،
 وأبقيتُ التفسير كما هو.

وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أي: هل الأصنام والأوثان، الناقصة من كل وجه، التي لا فعل منها ولا رزق ولا نفع، خير؟ أم الله الذي ﴿جعل الأرض قراراً بستقر عليها العباد ويتمكنون من السكني، والحرث، والبناء، واللها أنهاراً في : جعل في خلال الأرض، أنهاراً ينتفع بها العباد، في زروعهم وأشجارهم، وشربهم وشربم،

وجعل لها رواسي اي: جبالاً ترسيها وتثبتها، لئلا تميد، وتكون أوتاداً لها، لئلا تضطرب. وجعل بين البحرين البحر المالح والبحر المحدث العند وحاجزاً يسمنع من العند وحاجزاً يسمنع من كل منهما، بل جعل بينهما حاجزاً من كل منهما، بل جعل بينهما حاجزاً الأرض، جعل محرى الأنهار في من الأرض مبعدة عن البحار، فيحصل منها مقاصدها ومصالحها، وأإله منها مقاصدها ومصالحها، وإله ويشرك به معه. وبل أكشرهم ويشرك به معه. وبل أكشرهم لرؤسائهم، وإلا فلو علمواحق العلم، لم يشركوا به شيئاً.

﴿ ٢٢﴾ ﴿ أَمِّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ أي: هل يجيب المضطر، الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه، إلا الله وحده؟ . ومن يكشف السوء، أي : البلاء والشر والنقمة، إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض، يمكنكم منها، ويمدلكم بالرزق، ويوصل إليكم نعمه، وتكونون خلفاء من قبلكم، كما أنه سيميتكم، ويأتي بقوم بعدكم، أإله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئاً من ذلك، حتى بإقراركم أيَّها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر، دعوا الله مخلصين له الدين، لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته، ﴿قليلاً ما

تذكرون أي: قليل تذكركم وتدبركم للأمور، التي إذا تذكرتموها ادكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم، فلذلك ما أرعويتم ولا اهتديتم.

﴿ ٣٣﴾ ﴿ أَمَن يهديكم في ظلمات البز والبحر ومن يرسل الرياح بشرأ بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عمّا يشركون﴾ أي: من هو الذي يهديكم حين تكونون في ظلمات البر والبحر، حيث لا دليل، ولا معلم يرى، ولا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم، وتيسيره الطريق، وجعل ما جعل لكم من الأسباب التي تهتدون بها، ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ أي: بين يدي المطر، فيرسلها، فتثير السحاب، ثم تؤلفه، ثم تجمعه، ثم تلقحه، ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد، قبل نزول المطر. ﴿ أَإِلَّهُ مع الله ﴾ فعل ذلك؟ أم هو وحده، الذِّي انفرد به؟ فلم أشركتم معه غيره، وعبدتم سواه؟ ﴿تعالى الله عما يشركون، تعاظم وتنزه وتقدس عن شركهم وتسويتهم به غيره.

﴿ ٢٤﴾ ﴿ أَمِّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن مرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ أي: من هو الذي يبدأ الخلق، وينشىء المخلوقات، ويبتدىء خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض، بالمطر والنبات؟ ﴿ أَإِلَّهُ مع الله الله يفعل ذلك، ويقدر عليه؟ ﴿ قُل هاتوابرهانكم ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على ما قلتم ﴿إن كنتم صادقين﴾ وإلا، فبتقدير أنكم تقولون: إن الأصنام لها مشاركة له، في شيء من ذلك، فذلك مجرد دعوى، صدِّقوها بالبرهان، وإلا، فاعرفوا أنكم مبطلون، لا حجة لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات، وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات.

﴿٦٥ ـ ٦٨﴾ ﴿قل لا يعلم من في

السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيّان يبعثون * بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شكِّ منها بل هم منها عمون ﴿ وقال الَّذِينَ كَفُرُوا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون * لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ يخبر تعالى أنه المنقرد بعلم غيب السماوات والأرض، كقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وكقوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ إلى آخر السورة.

فهذه الغيوب ونحوها، اختص الله بعلمها، فلم يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك، المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا، فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له، شم أخبر تعالى عن ضعف علم المكذبين بالآخرة، منتقلاً من شيء إلى ما هو أبلغ منه، فقال:

﴿وما يسسعرون ﴾ أي: وما يدرون ﴿أيان يبعثون ﴾ أي: متى البعث والنشور، والقيام من القبور، أي: فلذلك لم يستعدوا، ﴿بل ادَّارِكُ علمهم في الآخرة﴾ أي: بل ضعف، وقُلُّ ولم يكن يقيناً، ولا علماً واصلاً إلى القلب، وهذا أقل وأدنى درجة للعلم، ضعفه ووهاؤه، بل ليس عندهم علم، ولا ضعيف، وإنما ﴿هم في شك منها، أي: من الآخرة، والشك زال به العلم، لأن العلم بجميع مراتبه، لا يجامع الشك، ﴿بل هم منها﴾ أي: من الآخرة ﴿عمون﴾ قد عميت عنها بصائرهم، ولم يكن في قلوبهم من وقوعها ولا احتمال، بل أنكروها واستبعدوها، ولهذا قال: ﴿وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابأ وآباؤنا أإنا لمخرجون، أي: هذا بعيد غير ممكن، قاسوا قدرة كامل القدرة بقدرهم الضعيفة، ﴿لقد وعدنا هذا﴾ أي: البعث ﴿نحن وآباؤنا من قبل ﴾ أي:

فلم يجئنا، ولا رأينا منه شيئاً. ﴿إِن هَلَمَ اللهُ اللهُ أَلِينَ ﴿ إِن هَلَا اللهُ اللهُ أَي : قصصهم وأخبارهم، التي تقطع بها الأوقات، وليس لها أصل، ولا صدق فيها.

فانتقل في الإخبار عن أحوال هؤلاء المكذبين بالإخبار أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة، ثم الإخبار بضعف علمهم فيها، ثم الإخبار بأنه شك، ثم الإخبار بأنه شك، ثم بإنكارهم لذلك واستبعادهم وقوعه. أي: وبسبب هذه الأحوال ترخل خوف الآخرة من قلوبهم، فأقدموا على معاصي الله، وسهل عليهم تكذيب الحق، والتصديق بالباطل، واستحلوا الشهوات على القيام بالعبادات، فخسروا دنياهم وأخراهم.

﴿ ٢٩﴾ ثم نبههم على صدق ما أخبرت به الرسل، فقال: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ فلا تجدون بجرماً قد استمر على إجرامه، إلا وعاقبته شرُ عاقبة، وقد أحل الله به من الشر والعقوبة ما يليق بحاله.

﴿٧٠ ـ ٧٢﴾ ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون♦ أي: لا تحزن يا محمد على هؤلاء المكذبين، وعدم إيمانهم، فإنك لو علمت ما فيهم من الشر، وأنهم لا يصلحون للخير، لم تأس ولم تحزن، ولا يضق صدرك، ولا تقلق نفسك بمكرهم، فإن مكرهم سيعود عاقبته عليهم، ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، ويقول المكذبون بالمعاد، وبالحق الذي جاء به الرسول، مستعجلين للعذَّاب: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ وهذا من سفاهة رأيهم وجهلهم، فإن وقوعه ووقته، قد أجله الله بأجله، وقدره بقدر، فلا يدل عدم استعجاله على بعض مطلوبهم.

ولكن -مع هذا -قال تعالى محذراً المقبلين على تدبره، المتفكرين في

لهم وقوع ما استعجلوه: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم ﴾ أي: قرب منكم، وأوشك أن يقع بكم ﴿بعض الذي تستعجلون﴾ من العذاب.

(٧٣ - ٧٧) ﴿ وَإِن رَبِكُ لَلْوَ فَضَلَ عَلَى النَّهِ الْسَاسُ وَلَكُسِنَ أَكُسُرِهُ مِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّةُ اللّهُ اللّه

﴿ وَإِنْ رَبِكُ لِيعِلْمُ مَا تَكُنَ ﴾ أي: تنطوي عليه ﴿ صدورهم وما يعلنون ﴾ فليحذروا من عالم السرائر والظواهر، وليراقبوه.

﴿وما من غائبة في السماء والأرض﴾ أي: خفية، وسر من أسرار العالم العلوي والسفلي، ﴿إلا في كتاب مين﴾ قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، فكل حادث يحدث جَلِّ أو خفيً، إلا وهو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ.

﴿٧٧ _ ٧٧﴾ ﴿إِن هـذا الـقـر آن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون * وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين، وهذا خبر عن هيمنة القرآن، على الكتب السابقة، وتفصيله وتوضيحه، لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه واختلاف عند بني إسرائيل، فقصّه حذا القرآن قيصاً زال به الإشكال، وبين الصواب من المسائل المختلف فيها. وإذا كان بهذه المثابة، من الجلالة والوضوح، وإزالة كل خلاف، وفصل كل مشكل، كان أعظم نعم الله على العباد، ولكن ما كل أحد يقابل النعمة بالشكر. ولهذا بين أن نفسعه ونبوره وهداه، مختص بالمؤمنين، فقال: ﴿وإنه لهدى ﴾ من الضلالة والغيّ والشُّبه ﴿ورحمة﴾ تنثلج له صدورهم، وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية ﴿للمؤمنين ﴾ به، المصدقين له، المتلقين له بالقبول،

معانيه، فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم، والرحمة المتضمنة للسعادة والفوز والفلاح.

﴿٧٨﴾ ﴿إنَّ ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم﴾ أي: إن الله تعالى سيفصل بين المختصمين، وسيحكم بين المختلفين، بحكمه العدل، وقضائه القسط، فالأمور وإن حصل فيها اشتباه في الدنيا بين المختلفين، لخفاء الدليل، أو لبعض المقاصد، فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع، حين يحكم الله فيها، ﴿وهو العليم﴾ العزيز﴾ الذي قهر الخلائق فأذعنوا له، ﴿العليم﴾ بجميع الأشياء ﴿العليم﴾ بأقوال المختلفين، وعن ماذا صدرت، وعن غاياتها ومقاصدها، وسيجازي كلاً بما علمه فيه.

﴿٧٩ ــ ٨١ ﴾ ﴿فتوكيل عيلى الله إنَّك على الحق المبين * إنَّك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولُوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار، وفي تبليغ الرسالة، وإقامة الدين، وجهاد الأعداء. ﴿إنك على الحق المبين﴾ الواضح، والذي على الحق، يدعو إليه، ويقوم بنصرته، أحق من غيره بالتوكل، فإنه يسعى في أمر مجزوم به، معلوم صدقه، لا شك فيه ولا مرية. وأيضاً، فهو حق في غاية البيان، لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حملت، وتوكلت على الله في ذلك، فلا يضرك ضلال من ضل، وليس عليك هداهم، فلهذا قال: ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء ﴾ أي: حين تدعوهم وتناديهم، وخصوصاً ﴿إذا ولوا مدبرين ﴾ فإنه يكون أبلغ في عدم إسماعهم.

﴿وما أنت بهادي المعمي عن ضلالتهم ﴾ كما قال تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾. ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ أي: هؤلاء الذين يؤمنون

بآيات الله، وينقادون لها بأعمالهم واستسلامهم، كما قال تعالى: ﴿إِنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾.

﴿٨٢﴾ ﴿وإذا وقع القول عليهم أن أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتّمه الله خارجة ﴿من الأرض ﴾ أو دابة من خارجة ﴿من الأرض ﴾ أو دابة من وهذه الدابة ﴿تكلمهم ﴾ أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا كانوا بآيات الله ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله فأظهر الله هذه الدابة ، من آيات الله العجيبة ، ليبين للناس ما كانوا فيه معت ون .

وهذه الدابة، هي الدابة المشهورة، التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحماديث، [ولم يأت دليل يدل على كيفيتها، ولا من أي: نوع هي، وإنّما دلت الآية الكريمة على أنّ الله يخرجها للناس، وأن هذا التكليم منها خارقٌ للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه، والله أعلماً (١٠).

﴿حتى إذا جاؤوا ﴾ وحضروا، قال لهم موبخاً ومقرعاً: ﴿اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها ﴾ العلم، أي: الواجب عليكم التوقف حتى ينكشف لكم الحق، وأن لا تتكلموا إلا بعلم، فكيف كذبتم بأمر لم تحيطوا به علما؟ ﴿ أم ماذا كنتم تعملون ﴾ أي: يسألهم عن علمهم، وعن عملهم، فيجد علمهم تكذيباً بالحق، وعملهم لغير الله، أو على غير سنة رسولهم.

﴿ ووقع القول عليهم بما ظلموا ﴾ أي: حقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم الذي استمروا عليه، وتوجهت عليهم الحجة، ﴿ فهم لا ينطقون ﴾ لأنه لا حجة لهم.

﴿٨٦﴾ ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ في ذلك لايات لقوم يؤمنون﴾ أي: ألم يشاهدوا هذه الآية العظيمة، والنعمة الجسيمة، وهو تسخير الله لهم الليل والنهار، هذا بظلمته، ليسكنوا فيه ويستريحوا من التعب، ويستعدوا للعمل، وهذا بضيائه، لينتشروا فيه في معاشهم وتصرفاتهم. ﴿إن في ذلك لايات لقوم يومنون﴾ على كمال وحدانية الله وسبوغ نعمته.

﴿ ٨٧ - ٩٠﴾ ﴿ ويروم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتدو داخرين * وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون * من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلا فكبّت وجوههم من يوم القيامة، وما فيه من ما أمامهم من يوم القيامة، وما فيه من المحدن والكروب، ومرعبات المقلوب، فقال: ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع ﴾ بسبب النفخ فيه ﴿ من المصور ففزع ﴾ المسبب النفخ فيه ﴿ من المصور فوزع المصور فو

AT ELECTIVE IA الله منهَلَة بِالْحَسَنَةِ فَلَمُغَيِّرُة تَهَا وَهُرِ مِن فَزَع يَوْمَ بِذِ عَلَيْكُ وَمَن عِلْهُ مَالسَّتَهُ وَكُلِّتَ وُجُهُهُمُ وَالنَّارِهِ لَ يُحَرِّفُ إِلَّا ﴿ مَا كُنتُ مُقَعَمُلُونَ ۞ إِنَّمَآ أُمِنتُ أَنْ أَعَيُدُ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُكُلُّ مَنَيَّ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْشَهِمِينَ ﴿ وَأَنْ أَتَكُوا ٱلْفُرُوا أَنَّ فَنَن الْمُسَدَّىٰ فَإِمَّا يَهْمَدِي لِنَفْسِدِّهُ وَمَن ضَلَّ فَقُلُ إِنَّمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُنْفِيدَ ۞ وَقُلِ ٱلْحَمَدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُرُ ءَايَنتِهِ مَنَعَ فُونَهَا وَمَارَثُكَ بِعَلِفِل عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ संस्थाविक संस्था है । حاققالة تزالتخنع المستر في تِلْكَ مَلِكُ الْكِسَبِ الْبُينِ فِي نَتَكُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَا مُوسَوْل وَفِرْعَوْنَ إِلْكِيَّ لِفَوْمِ يُؤْمِ مُونَ ۞ إِنَّ فيتقون علافي الأرض وكتعكل أشاكها شيكايت تنشيث طَلَهِنَةً يَنْهُ عُرِيدًا يَهُ أَبْسَاتُهُ مُرُ وَيَسْسَتَنِي دِيْسَكَهُ مُثْرُ إِلْدُكُانَ ينَ الْمُعْسِدِينَ ۞ وَزُيدُ أَن ثَنَّ عَلَى الَّذِينَ آسَتُصْعِفُوا الأرض وَخَعَلَهُمْ أَيِمَةٌ وَجَعَكُمُ الْوَرِينِ ﴾ TAN TO SOLUTION

في السماوات ومن في الأرض﴾ أي: انزعجوا وارتاعوا، وماج بعضهم ببعض، خوفاً عما هو مقدمة له. ﴿إِلا من شاء الله عن أكرمه الله وثبته، وحفظه من الفزع، ﴿وكل﴾ من الخلق عند النفخ في الصور ﴿أَتُوه داخرين﴾ صاغرين ذليلين، كما قال تعالى: ﴿إِن كل من في السماوات والأرض إلا آتي السحاوى الرؤساء والمرؤوسون، في يتساوى الرؤساء والمرؤوسون، في الذل والخضوع لمالك الملك.

ومن هَوْلِه أنك ﴿ ترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ لا تفقد [شيئا] منها، وتظنها باقية على الحال المعهودة، وهي قد بلغت منها الشدائد والأهوال كل مبلغ، وقد تفتت، ثم تضمحل، وتكون هباء منبئاً. ولهذا قال: ﴿ وهي تمر مر السحاب ﴾ من خفتها، وشدة ذلك الخوف وذلك ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

ثم بين كيفية جزائه فقال: ﴿من جاء بالحسنة﴾ اسم جنس يشمل كل حسنةٍ، قولية أو فعلية أو قلبية ﴿فله خير منها﴾ هذا أقل التفضيل (٢٠).

⁽١) ما بين القوسين المركنين زيادة من هامش أ بخط الشيخ _ رحمه الله _ وفي ب زيادة أخرى، يبدو أنها بخطه _ رحمه الله _ هي: (لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من آبات الله تكلم الناس كلاماً خارقاً للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهاناً للمؤمين وحجة على المعاندين).

 ⁽٢) سبق قلم الشيخ إلى آية الأنعام ﴿فله عشر أمثالها﴾ وعليه فسرها.

CO LEGISLA COLLEGE وَقُلُحِكِنَ لَمُنَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلُوكَ فِي عَنَّابَ وَهَلِكِنَ وَحُفَّوْهُمَّا مِنْهُمَّاكَافُا يَعَنَّدُونَ ۞ وَأَوْحَيْنَ ۚ إِلَّهُ أَيْمُومِنَ أذأت ضمية فإذا خفت عَلَيْهِ فَأَلْقِسهِ فِي الْمِيدَ وَلَا عَنِيافِ وَلَا تَعْسَرُنْ ۚ إِنَّا رَأَدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِرَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ قَالْفَقَلَهُ: وَالْهِ فِعَوْنَ لِيَكُونَ لِمُنْفَقَدُ قَا وَحَنَوْالِكَ فِرْعَوْنَ وَهَلَكُنَّ وَجُنُودَهُ مَاكَانُواْ خَيْلِينَ وَقَالَتِ أَمْ لَكُ يُوْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِ لِي وَلَكَّ لَاعْتُتُ لُوهُ عَسَيَّ أَن يَنفَكَنَآ أَوۡتَتَغِنَفُولَكَا وَهُمۡ لِايَشۡمُرُوبَ ۞ وَأَصْبَعَ فُوَّادُ أَيْرُمُومُولِ فَرِغًا إِن كَادَتْ لَنْهُ بِي بِمِلْوَ لِآ أَن رَبِعَلْنَا عَلَىٰ تَلْبِهَا لِنَكُوبَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَتَ لِأُخْفِيهِ مُؤْسِدٌ فَمُهُونَ إِدِهِ عَن جُنُهِ وَهُ مُ لَا يَشْ مُؤُونَ • وَحَرَّمُنَاعَلَيْهِ الْمَرَاضِهَ مِن فَيْلُ فَعَالَتْ هَلُ أَدُّلُكُمْ عَلَيْهِ أَمْلِ مِنْتِ يَكُمُنُ لُونَهُ لِلسَّحْدِ وَمُعْمَ لَهُ تَصِيحُونَ ۞ فَرَدُدُنَاهُ إِلَىٰ أَيْهِ كَاتَفَ رَعَيْنُهَا وَلَا عَنَزَنَ وَانْعَلَمُ أَنَّ وَعْدَالْقُوحَ وَلَاكِنَّ أَحْدَرُهُمْ لايعًكُونَ ٥ TO NOTE OF THE OWNER OF THE OWNER OF THE OWNER OF THE OWNER OWNER

﴿وهِم من فزع يومئذ آمنون﴾ أي: من الأمر الذي فزع الخلق لأجله آمنون، وإن كانوا يفزُّعون معهم.

﴿ومن جاء بالسيئة ﴾ اسم جنس، يشمل كل سيئة ﴿فكبت وجوههم في النبارَ ﴾ أي: القوافي النبارعلي وجوههم، ويقال لهم: ﴿ هِل تجزون إلا ما كنتم تعملون)

﴿٩١ - ٩٣﴾ ﴿إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين * وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنامن المنذرين * وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وماربك بغافل عمأ تعملون ﴾ أي: قل لهم يا محمد ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ﴾ أي: مكة المكرمة التي حرمها وأنعم على أهلها، فيجب أن يقابلوا ذلك بالشكر والقبول. ﴿وله كيل شيء﴾ مين العلويات والسفليات، أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده. ﴿وأمسرت أن أكسون مسن المسلمين (١٠) أي: أبادر إلى الإسلام، وقد فعل على، فإنه أول هذه الأمة إسلاماً، وأعظمها استسلاماً، ﴿و﴾ أمرت أيضاً ﴿أَنْ أَتَّهُو ﴾ عليكم ﴿القرآن﴾ لتهتدوا به وتقتدوا وتعلموا

ألفاظه ومعانيه، فهذا الذي على وقد أديته، ﴿فمن اهتدى فإنَّما بَهتدى لنفسه الفعه يعود عليه، وثمرته عائدة إليه ﴿ومن ضل فقل إنسا أنا من المنذريين وليس بيدي من الهداية

﴿وقل الحمد شـ الذي له الحمد في الأولى والآخرة، ومن جميع الخلق، خصوصا أهل الاختصاص والصفوة من عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على رسم، أعظم ممايقع من غيرهم لرفعة درجاتهم، وكمال قربهم منه، وكثرة خيراته عليهم.

﴿سيريكم آياته فتعرفونها ﴾ معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بدأن يريكم من آياته ما تستنيرون به في الظلمات. ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيٌّ عن بينة﴾.

﴿وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال، وعلم مقدار جزاء تلك الأبهمال، وسيحكم بينكم حكماً تحمدونه عليه، ولا يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه .

تم تفسير سورة النمل بفضل الله وإعانته وتيسيره

ونسأله تعالى أن لا تزال ألطافه ومعونته مستمرة علينا، وواصلة منه إلينا، فهو أكرم الأكرمين، وخير الراحمين، وموصل المنقطعين، ومجيب السائلين، ميسر الأمور العسيرة، وفاتح أبواب بركاته، ومجزل في جميع الأوقّات حباته، ميسر القرآن للمتذكرين، ومسهل طرقه وأبوابه للمقبلين، وممد مائدة خيراته ومبراته للمتفكرين، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآلمه وصحبه

عملي يسد جمامسعمه ومممليه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله

السعدى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في ٢٢ رمضان سنة

المجلد السادس من تفسير الكريم الرحمن في تقسير كلام المنان، من منن الله على الفقير إلى المعيد المبدي: عبده وابن عبده وابن أمته: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي عقر الله له أمين.

تفسير سورة القصص وهي مكية

﴿١ ـ ١٥﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرجيم طسم * تلك أيات الكتاب المبين * نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ إلى آخر القصة. ﴿تلك﴾ الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم ﴿آيات الكتاب المين الكل أمر يحتاج إليه العباد، من معرفة ربهم، ومعرفة حقوقه، ومعرفة أوليائه وأعدائه، ومعرفة وقائعه وأيامه، ومعرفة ثواب الأعمال، وجزاء العمال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، وجلاها للعباد ووضحها.

من جملة ما أبان، قصة موسى وفرعون، فإنه أبداها، وأعادها في عدة مواضع، وبسطها في هذا الموضع فقال: ﴿ نَتِلُو عِلَيْكُ مِنْ نِبِأُ مُوسِيَ وفرعون بالحق. فإن نبأهما غريب، وخبرهما عجيب.

﴿لقوم يومنون﴾ فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان ما يقبلون به على تدبر ذلك، وتلقيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون إيماناً ويقيناً، وخيراً إلى خيبرهم، وأما من عداهم، فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجاباً أن يفقهوه، فأول هذه القبصة ﴿إن فرعبون عبلا في الأرض﴾ في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار من أهل العلو فيها، لا من الأعلين فيها. ﴿وجعل أهلها UESING IA اللُّهُ وَلِمَّا لِلَّهُ أَشُدُهُ وَأَسْتَوَى ٓ الَّيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكُذَاكِكَ نَحَزِي اللهُ عَينِينَ ﴿ وَدَخَلَ اللَّهِ يِنَةَ عَلَى بِينِ عَفَلَة مِنْ أَهْلِهَا وَيَدَدُونِهَا رَجُلَانِ يَقْنَتِلَانِ هَانَامِن شِيعَتِهِ، وَهَاذَامِنْ عَدُومً فَاسْتَغَثْثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَحَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰعَلَيْهُ قَالَ هَلَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَالِّي إِنَّا مُعَكُدًّا مُّضِلُّ تُبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنْ طَلَتْتُ مَنْسِي فَاغْفِرَلِي فَغَفَرَ أَدُّو إِنَّهُ عُوَالْمَعُورُ الرَّحِيدُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَّا أَنْعُمْتَ عَلَّ فَازَا كُونَ خَهِيرًا لِلْتُجْمِعِينَ ۞ فَأَصْبَعَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآمِهَا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي أَسْتَصَرَهُ إِلْأَمْسِ يَسْتَصْرِجُهُمَّ قَالَ لَهُمُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ ثُبِينً ﴿ فَكُنَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِلْسَ بِالَّذِي هُوَعَدُوًّ فَكُمَّا قَالَ يَسُونَنَي أَرْبِيدُأَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتْلَتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن رُّبِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَنَازًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ لَلْحُيلِمِينَ ا ﴿ وَبَهَ رَجُلُ مِنْ أَصْمَا لَلْدِينَةِ يَسْعَى قَالَ بِمُوسَىٰ إِلَّا لَلْكُولَٰ أَيْرُونَ

من سنته الجارية، أن جعل الأمور تمشى على التدريج شيئاً فشيئاً، ولا تأتى دفعة واحدة.

إِنَّ لِكُنْ اللَّهُ مِنْ إِنَّ السَّدِينَ النَّهِ مِنْهَا فَيْحَ مِنْهَا

الله خَلَهِمُ اللَّهُ مَنَّ قَالَ رَبِّ يَجِن مِن الْفَرْمُ الظَّل لِمِينَ ۞

POWERDE WEDDER

وقبوليه: ﴿إِن فيرعبون وهباميان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ أي: فأردنا أن نعاقبهم على خطئهم(١) ونكيدهم جزاءً على مكرهم وكيدهم.

فلما التقطه آل فرعون، حنَّن الله عليه امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة «آسية» بنت مزاحم ﴿وقالت﴾ هـذا الـولـد ﴿قرة عـين لي ولـك لا تقتلوه أى: أبقه لنا، ليقربه أعيننا، ونستر به في حياتنا.

﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ أى: لا يخلو، إما أن يكون بمنزلة الخدم، الذين يسعون في نفعنا وخدمتنا، أو نرقيه منزلة أعلى من ذلك، نجعله ولداً لنا، ونكرمه، ونجله.

فقدّر الله تعالى، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حباً شديداً، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبأه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضى الله عنها وأرضاها.

قال الله تعالى عن هذه المراجعات

موسى، الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه وبسببه، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، أوحي إلى أمه أن ترضعه، ويمكث عندها.

﴿فَإِذَا خَفْتَ عَلَيه ﴾ بأن أحسست أحداً تخافين عليه منه أن يوصله إليهم، ﴿ فألقيه في اليم ﴾ أي: نيل مصر، في وسط تابوت مغلق، ﴿ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، فبشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولا.

وهذا من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشائر لأم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها، فإنها خافت عليه، وفعلت ما أمرت به، ألقته في اليم، فساقه الله تعالى حتى ﴿التقطه آلُ فرعون ﴾ فصار من لقطهم، وهم الذين باشروا وجدانه، ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ أي: لتكون العاقبة والمآل من هذا الالتقاط، أن يكون عدواً لهم وحزناً يحزنهم، بسبب أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن الذي خافوا منه من بني إسرائيل، قيض الله أن يكون زعيمهم، يتربى تحست أيديهم، وعلى نظرهم، وبكفالتهم.

وعند التدبر والتأمل، تجد في طي ذلك من المصالح لبني إسرائيل، ودفع كثير من الأمور الفادحة بهم، ومنع كثير من التعديات قبل رسالته، بحيث إنه صار من كبار الملكة.

وبالطبع، إنه لا بدأنه يحصل منه مدافعة عن حقوق شعبه هذا، وهو هو ذو الهمة العالية والغيرة المتوقدة، ولهذا وصبلت الحيال ببذليك السعب المستضعف -الذي بلغ بهم الذل والإهانة إلى ما قص الله علَّينا بعضه ــ أن صار بعض أفراده، ينازع ذلك الشعب القاهر العالي في الأرض، كما سيأتي بيانه .

وهذا مقدمة للظهور، فإن الله تعالى

شيعاً﴾ أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره وسطوته.

﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم الله على العالمين، الذين له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم عما أراده فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى أنه ﴿يذبِح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ خوفاً من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك.

﴿إنه كان من المفسدين﴾ الذين لا قصدلهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض.

﴿ ونسريد أن نسمسن عسلي السذيسن استضعفوا في الأرض ﴾ بأن نزيل عنهم مواد الاستنضاف، ونهلك من قاومىهم، ونىخىذل مَنْ ناوأهم. ﴿ونجعلهم أئمة ﴾ في الدين، وذلك لا يحصل مع الاستضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة، ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة. ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ فهذه الأمور كلها، قد تعلّقت بها إرادة الله، وجرت بها مشيئته، ﴿و﴾ كذلك نريد أن ﴿ نرى فرعون وهامان ﴾ وزيره ﴿وجنودهما﴾ التي بها صالوا وجالوا، وعلوا وبغوا﴿منَّهم﴾ أي: من هذه الطائفة المستضعفة. ﴿ما كانوا يحذرون، من إخراجهم من ديارهم، ولذلك كانوا يسعون في قمعهم، وكسر شوكتهم، وتقتيل أبنائهم، الذين هم محل ذلك، فكل هذا قد أراده الله، وإذا أراد أمراً سهل أسبابه، ونهج طرقه، وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب -التي لم يشعربها لا أولياؤه ولا أعداؤه مما هو سبب موصل إلى هذا القصود، فأول ذلك، لما أوجه الله رسوله

المُ وَلَمَّا فَوَجَكُمْ يَلْقَأَتُهُ مَدِّينَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّ أَن يَهْدِينِ سَوَّلَةٍ السَّبِيل ۞ وَلَمَّا وَبَهُ مَآةِ مَذْ يَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمْسَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَكَمِن دُونِهِ مُرَاَّدَيَّنِ تَكَذُودَاَّنِّ قَالَ مَاخَطْبُكُمُّ أَقَالَتَ الْاسْتِي حَقَى يُصِيدِ وَالرَّيِّ أَوَّ وَأَوْنَا شَيْعٌ حَيِرٌ ۞ مَسَقَىٰ لَمُمَاثُمَّ وَلَيْ إِلَى الظِّلَ فَعَالَ رَبِ إِنْ لِمَآ أَنَالَتَ إِلَىٰٓ مِنْ خَيْرِفَقِيدٌ ۞ فَحَآ مَتُهُ إِحْدَاهُمَا تَنْهِى عَلَى ٱسْتِحْيكَاءِ قَالَتْ إِنَّ أِي يَدْعُولِكَ لِيَجْزِيكَ أُجْرَمَا سَقَيْتَ لَتَأْفَلَمَا حِكَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَغَفُّ غَوَّتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يُنْأَبِنِ ٱلسَّغَيْرَةُ إِنَّ خَيْرَمَنِ ٱلسَّعَجَرَتَ ٱلْقَوِيُ ٱلْأَمِينُ ٥ قَالَ إِنَّ أُرِيدُ أَنْ أُنْكِ حَكَ إِخْدَى ٱبْنَتَنَّ هَكَنِّينِ عَلَيْ أَن تَأْجُ وَفِي ثَمَنِيَ حِيَجُ فَإِنْ أَعْمَتَ عَشْرًا فَيِنْ عِندِكُ وَمَا أَدِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكُ سُتَجِدُنِ إِن شَالَةَ أَقَدُمِن ﴿ ٱلمَسْلِعِينَ ۞ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَيَيْنَكُ أَيُّمَا ٱلْأَحِكَيْنِ إِلَّمْ السَّمْتُ مَّلاعُدُوكَ عَلَيٌّ وَاللَّهُ عَلَى مَانَ عُولُ وكيلٌ ۞ TORONO WE OR SER

THE PROPERTY OF THE PROPERTY O

[والمقاولات] في شأن موسى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ ما جرى به القلم، ومضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه، وهذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم وله شأن آخر.

ولما فقدت موسى أمه، حزنت حزناً شديداً، وأصبح فؤادها فارغاً من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن والخوف، ووعدها برده.

﴿إِن كادت لتبدي به ﴾ أي: بما في قلبها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ فثبتناها ، فصبرت ، ولم تبد به . ﴿لتكون ﴾ بذلك الصبر والثبات ﴿من المؤمنين ﴾ فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت ، ازداد بذلك إيمانه ، ودل ذلك على أن استمرار الجزع مع العبد ، دلل على ضعف إيمانه .

﴿وقالت ﴾ أم موسى ﴿لأخته قصيه ﴾ أي: اذهبي [فقصي الأثر عن أخيك وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك فذهبت تقصه] ﴿فبصرت به عن جنبٍ وهم لا يشعرون ﴾ أي: أبصرته على وجه، كأنها مارة لا قصد لها فيه.

وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله.

ومن لطف الله بموسى وأمه، أن

منعه من قبول ثدي امرأة، فأخرجوه إلى السوق رحمة به، ولعل أحداً يطلبه، فجاءت أخته، وهو بتلك الحال ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾

وهذا جُلُ غرضهم، فإنهم أحبوه حباً شديداً، وقد منعه الله من المراضع فخافوا أن يموت، فلما قالت لهم أخته تلك المقالة، المشتملة على الترغيب في أهل هذا البيت، بتمام حفظه وكفالته والنصح له، بادروا إلى إجابتها، فأعلمتهم ودلتهم على أهل هذا البيت.

﴿ فرددناه إلى أمه ﴾ كما وعدناها بذلك ﴿كي تقرعينها ولا تحزن﴾ بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه آمنة مطمئنة، تفرح به، وتأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك، ﴿ ولتعلم أن وعد الله حق) فأريناها بعض ما وعدناها به عياناً، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون الإذا رأوا السبب متشوشاً، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل، أن الله تعالى يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة، بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر موسى عليه الصلاة والسلام عند آل فرعون، يتربي في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوها عليه.

وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر، الذي صاربه التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أمّاً، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله صدقاً وحقاً.

﴿ولما بلغ أشده به من القوة والعقل واللب، وذلك نحو أربعين سنة في الغالب، ﴿واستوى كملت فيه تلك الأمور، ﴿آتيناه حكماً وعلماً ﴾ أي: حكماً يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، وعلماً كثيراً.

﴿وكذلك نجزي المحسنين ﴾ في عبادة الله ، المحسنين خلق الله ، نعطيهم علماً وحكماً بحسب إحسانهم ، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام .

﴿ودخُل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ إما وقت القائلة ، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار . ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان ﴾ أي : يتخاصمان ويتضاربان ﴿هذا من شيعته ﴾ أي : من بني إسرائيل ﴿وهذا من عدوه ﴾ القبط .

﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغاً يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان.

﴿فوكزه موسى ﴾ أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستخاثة الإسرائيلي، ﴿فقضى عليه ﴾ أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى.

فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه، و ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ أي: من تزيينه ووسوسته، ﴿إنه عدو مضل مبين﴾ فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال.

ثم استغفر ربه فر ﴿قال ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ خصوصاً للمخبتين، البادرين للإنابة والتوبة، كما جرى من موسى عليه السلام.

ف ﴿قال﴾ موسى ﴿ربّ بما أنعمت عليّ ﴾ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة ، ﴿فللن أكبون ظهيراً ﴾ أي: معيناً أحداً على معصية ، وهذا وعد من موسى عليه السلام ، بسبب منة الله عليه ، أن لا يعين بجرماً ، كما فعل في قتل القبطي . وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير وترك الشر .

﴿فَ﴾ لما جرى منه قتل الذي هو من عـدوه ﴿أصبِع في المدينة خيائـفاً

يترقب مل يشعر به آل فرعون أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قدعلم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال

سوى موسى من بنى إسرائيل.

فبينما هو على تلك الحال ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس﴾ على عدوه ﴿يستصرخه على قبطى آخر. ﴿قال له موسى، موبخاً له على حاله ﴿إنك لغوي مبين أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة، ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾ موسى ﴿بالذي هو عدو لهما﴾ أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطى، ﴿قال﴾ له القبطي زاجراً له عن قتله: ﴿أَتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق.

﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ وإلا، فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فأنكف موسى عن قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين، حتى تراود ملاً فرعون وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك، وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رأي ملئِهم، فقال: ﴿وجاء رجّل من أقصى المدينة يسمى﴾ أي: ركضاً على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به قبل أن يشعر، ف ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون أي: يتشاورون فيك ﴿لِيقتلوكُ فِأَخْرِجِ﴾ عن المدينة ﴿إِنِّ لك من الناصحين المنثل نصحه، ﴿فخرج منها خائفاً يترقب ﴿ أَنْ يُوقِعُ به القتل، ودعا الله، و ﴿قال ربُّ نجنى من القوم الظالمين ﴿ فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضباً من غير قصد منه للقتل، فتوعُّدُهم له ظلم منهم وجراءة .

﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي: قاصداً بوجهه مدين، وهو جنوبي

فلسطين، حيث لا ملك لفرعون، ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي: وسط الطريق المختصر، الموصل إليها بسهولة ورفق، فهداه الله سواء السبيل، فوصل إلى مدين.

﴿ وَلَمَّا وَرِدُ مَاءُ مَدِينَ وَجِدُ عَلَيْهُ أُمَّةً من الناس يسقون﴾ مواشيهم، وكانوا أهل ماشية كثيرة ﴿ووجِد من دونهم﴾ أى: من دون تلك الأمة ﴿ اصرأتين تذودان الناس، عن حياض الناس، لعجزهما عن مزاحة الرجال وبخلهم، وعدم مروءتهم عن السقى لهما.

﴿قَالَ ﴾ لهما موسى ﴿مَا خَطْبِكُما ﴾ أي: ما شأنكما بهذه الحالة، ﴿قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ♦ أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقى حتى يصدر الرعاء مواشيهم، فإذا خلا لنا الحو سقينا، ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ أي: لا قوة له على السقى، قليس فينا قوة نقتدر بها، ولا لنا رجال يزاحمون الرعاء. فرَقّ لهما موسى عليه السلام ورحمهما ﴿فسقى لهما﴾ غير طالب منهما الأجرة، ولاله قصد غير وجه الله تعالى، فلما سقى لهما، وكان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار، بدليل قوله: ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ مستريحاً لذلك الظلال بعد التعب.

﴿فقال﴾ في تلك الحالة، مسترزقاً ربه ﴿ربِّ إِني لَمَا أَنْزَلْتَ إِلَّى مِن خير فقير﴾ أي: إن مفتقر للخير الذي تسوقه إلى وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعياً ربه متملقاً.

وأما المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما، وأخبرتاه بماجري، فأرسل أبوهما إحداهما إلى موسى، فجاءته ﴿تمشي على استحياء﴾ وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصاً في

ويدل على أن موسى عليه السلام، لم يكن فيما فعله من السقى لهما بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يستحي منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من

RESIDER LY CANALIST فَأَلْتَ اللَّهَ مَوْسَى ٱلْأَجْلَ وَسَارَ بِأَهْ لِهِ مَا لَسَرَى مِن جَانِبٱلطُّورِ نَازًا قَالَ لِأَمْهِ إِدَامْكُثُواْ إِنِّ ءَانَسْتُ الرالمان اليك منها عَبَر أنك وقان التاركماني تَصْطَلُونَ ۞ مَلْتَا أَلْنَهَا ثُودِكِ مِن شَلِطِي ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنَ فِي ٱلْمُقْعَدَةِ ٱلْمُبْكَرِيكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَكُمُّوسَى إِنِّ أَنَّا التَّذَرَةُ ٱلْعَكَلِيدِي ۞ وَأَنْ ٱلْقِ عَصَالَةٌ فَلَمَّا رَءَاهَا تَعْتَرُ كَانَّهَا جَأَذُّ وَلَا مُدْبِرًا وَلَرْ مُعَيِّبٌ يَدُوسَيَّ أَقِيلٌ وَلَا تُحْفَقُّ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ۞ ٱسْلُكَ يَدَكَ فِيجَيْبِكَ تَخَدُّحُ بيضكة مِنْ غَيْرِمُونَ وَأَضِمُمْ إِلَيْكَ جَنَالِكُ مِنَ الرَّهْبُّ فَلَنِكَ بُرُهَلَنَانِ مِن زَيِكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَا نِوْمَ إِنَّهُ مُرَّكَانُولُ قَوْمَا فَلَيبِقِينَ۞ قَالَ رَبِ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَلَنَافُ أَن يَعْتُلُونِ ۞ وَأَينِ هَلرُونِتُ هُوَأَفْسَهُ مِنْ لِسَانًا فَأَرْمِيلَهُ مَعَى رِدْءَ ايُصَدِقِي إِنَّ أَخَافُ أَنْ يُحَكِّذِ بُونِ ا ٥ قَالَ سَنَشُدُ عَصَٰدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعَلُ لَحَكَمَا سُلْطَنَا المُ فَلَا يَعِيلُونَ إِلَيْكُمُنا يِعَالِنِنَا أَسْمَا وَمِن أَتَبَعَكُمَا ٱلْغَلِبُونَ ۞ DECEMBER IN LORS FOR

حسين خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه، ف ﴿قالت ﴾ له: ﴿إِن أَن يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ أي: لا ليمنّ عليك، بيل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك، فأجاسا

﴿فلما جاءه وقصَّ عليه القصص﴾ من ابتداء السبب الموجب لهربه، إلى أن وصل إليه ﴿قال﴾ له مسكناً روعه، جابراً قليه: ﴿لا تخف نجوت من القوم الطالمين﴾ أي: ليذهب خوفك وروعك، فإن الله نجاك منهم، حيث وصلت إلى هذا المحل، الذي ليس لهم عليه سلطان.

﴿قَالَتُ إِحدَاهُما ﴾ أي: إحدى ابنتيه ﴿ بِاأَبِتِ استأجره ﴾ أي: اجعله أجيراً عندك، يرعى الغنم ويسقيها، ﴿إِنَّ خير من استأجرت القوي الأمين، أي: إن موسى أولى من استؤجر فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل مَنْ يتولى للإنسان عملاً، بإجارة أو غيرها.

فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما اجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند

CO CENTRE N SECTION إِ فَلْتَاجَآهَهُم مُوسَى بِعَالَيْنَا يَتِنَاتِ قَالُواْ مَاهَذَاۤ إِلَّا مِيحَرَّمُ فَكَى اً وَمَاسَمِعْنَابِهِكَأَافِ ٓءَابَآبِنَا ٱلْأَوْلِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ نَيْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَلَّهُ بِأَفْلُ مَكَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَلْقِكَةُ ٱلدَّارِّ إِنَّهُ لِلْأَيْفُ لِمُ الظَّلِامُونِ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْثُ يَثَاثِهُمَا ٱلْمَلَأُ مَاعَلِتُ لَكُم مِنْ إِلَاهِ عَيْرِكَ فَأَوْقِدْ لَى يَلْهَا مَنْ عَكَ ٱلطِّينِ فَأَجْعَكُ لِي صَرْحَا لَعَلِيَّ أَظَلِمُ إِلَّ إِلَّهِ مُومَى وَالْيِ لَأَظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَانِينَ ۞ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَوَجُهُ وُدُمُ فِ الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنْوا أَنَهُمُ إِلَيْنَا لَازْجَعُونَ ۞ فَأَخَالْنَهُ وَجُنُودَهُ مُقْبَالْنَهُ مِنْ ٱلْمِيرِّةُ فَانْظُرْكَيْفَ كَانَ عَلِقِبَةُ ٱلظَّلِلِينِ ٥ وَجَعَلْنَاهُمُ أَبِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّكَأَرِّ وَيَوْمَ الْقِيكَ مَيْ لَايْنَصَرُونَ ۞ وَأَنْبَعْنَاهُمْ فِي هَلَاهِ مَالَةُ يُسَالَقُنَ ۖ لَعُنَ ۖ فَكُ وَيُوْمِ ٱلْفِيكَ مَةِ مُرِينَ ٱلْمَقْبُومِينَ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى لَلْكِنْكِ مِنْ بَعْدِمَا أَهْلَكَ نَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَ بَصَ آبِرَ النَّاسِ وَهُدَى وَرَحْدَةً لِّعَلَّهُمْ رَتَذَكَّرُونَ ﴿ TO TOTAL TO LEGISLE

السقى لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده [بذلك] وجه الله تعالى، ﴿قال﴾ صاحب مدين لموسى: ﴿إِنِ أُرِيدُ أَنْ أَنْكُمِكُ إِحْدَى ابْنُتِي هاتين على أن تأجرن ﴾ أي: تصير أجيراً عندى ﴿ثماني حجج ﴾ أي: ثماني سنين. ﴿ فَإِن أَتَّمْت عَشَراً فَمَن عندك تبرع منك، لا شيء واجب عبليك . ﴿ وَمَا أُريد أَن أَشْقُ عليك ﴾ فأحتم عشر السنين، أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالاً شاقة، وإنما أستأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه ﴿ستجدن إن شاء الله من الصالحين ، فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأنّ الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.

فرقال موسى عليه السلام - عيباً له فيما طلب منه _: ﴿ ذَلْكُ بِينِي وَبِينَكُ ﴾ أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك. ﴿ أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي ﴾ سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ والله الواجبة ، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ والله المواجبة ، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ والله الواجبة ، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ والله المواجبة ، أم تبرعت بالرائد عليها ﴿ والله المواجبة ، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿ والله المواجبة ، أم تبرعت بالمواجبة ، أم تبرعت بالرائد عليها ﴿ والله المواجبة ، أم تبرعت بالمواجبة ، أ

على ما نقول وكيل﴾ حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه.

وهذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيباً عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين.

وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟!! ولوكان ذلك الرجل شعيباً، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضاً فإن شعيباً عليه الصلاة والسلام، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا مَنْ آمن به، وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقى ماشيتهما، وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادماً له، وهو أفضل منه وأعملي درجمة، والله أعمله [، إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب

فلما قضى موسى الأجل ك يحتمل أنه قضى الأجل الواجب، أو الزائد عليه، كما هو الظن بموسى ووفائه، اشتاق إلى الوصول إلى أهله ووالدته وعشيرته ووطنه، وعلم من طول المدة، أنهم قد تناسوا ما صدر منه. ﴿سار بأهله﴾ قاصداً مصر، ﴿آنس﴾ أي: أبصر ﴿من جانب الطور ناراً، قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي اتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴾ وكان قد أصابهم البرد، وتاهوا الطريق.

﴿٣٠﴾ فَلَمَا أَتَاهَا نُودِي﴿يَا مُوسَى إِنِ أَنَـا الله رب الـعـالمين﴾ فـأخـبـره بالوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن

يأمره بعبادته وتألهه، كما صرح به في الآية الأخرى ﴿فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ . ﴿وأن ألق عصاك وألقاها ﴿فلما رآها تهتز ﴾ تسعى سعياً شديداً ، ولها صورة مُهيلة ﴿كأنها جان ﴾ ذَكرُ الحيات العظيم ، ﴿ولَى مدبراً ولم يعقب ﴾ أي : يرجع لاستيلاء الروع يعقب أي : يرجع لاستيلاء الروع على قلبه ، فقال الله له : ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾ وهذا أبلغ ما يكون في التأمين وعدم الخوف .

فإن قوله: ﴿أَقْبِلِ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم يزل الأمر المخوف، فقال: ﴿ولا تخف﴾ أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قديقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: ﴿إنك من الآمنين﴾ فحينتذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى عليه السلام غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئناً، واثقاً بخبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه، فهذه آية أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون، ليكون على يقين تام، فیکون (۲) أجرأ له وأقوى وأصلب، ثم أراه الآية الأخرى فقال: ﴿اسلك يدك ان أدخلها ﴿ في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ فسلكها وأخرجها، كما ذكره الله تعالى.

﴿واضعم إليك جناحك من الرهب أي: ضم جناحك وهو عضدك إلى جنبك يزول عنك الرهب والخوف. ﴿فَذَانَك ﴾ انقلاب العصاحية، وخروج اليد بيضاء من غير سوء ﴿برهانان من ربك ﴾ أي: حجتان قاطعتان من الله، ﴿إلى فرعون وملته إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ فلا يكفيهم برد الإنذار وأمر الرسول إياهم، بل لا بد من الآيات الباهرة، إن نفعت.

فرقال موسى عليه السلام،

⁽١) زيادة من هامش: ب.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: ليكون.

معتذراً من ربه، وسائلاً له المعونة على ما حمله، وذاكراً له الموانع التي فيه، ليزيل ربه ما يحذره منها. ﴿رَبِّ إِنِي قَتْلَتَ منهم نفساً﴾ أي: ﴿فأخاف أن يقتلون * وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً﴾ أي: معاوناً ومساعداً ﴿يصدقني﴾ فإنه مع تضافر الأخبار يقوى الحق فأجابه الله إلى سؤاله، فقال: ﴿سنشد عضدك سؤاله، فقال: ﴿سنشد عضدك

ثم أزال عنه محذور القتل، فقال: ﴿ وَنَجِعَلَ لَكُمَا سَلَطَانًا ﴾ أي: تسلطاً، وَمَكُناً من الدعوة بالحجة، والهيبة الألهية من عدوهما لهما، ﴿ فلا يصلون إليكما ﴾ وذلك بسبب آياتنا، وما دلت عليه من الحق، وما أزعجت به مَنْ باشرها ونظر إليها، فهي التي بها حصل لكما السلطان، واندفع بها عنكم كيد عدوكم (١)، وصارت لكم عنكم كيد عدوكم (١)، وصارت لكم أبلغ من الجنود، أولى العَددِ والعُدَدِ.

﴿أنتما ومَن اتبعكما الغالبون﴾ وهذا وعد لموسى في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى بلده، بعد ما كان شريداً، فلم تزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه الغلبة والظهور.

وصار له ولا بباعه العلبه والطهور. فذهب موسى برسالة ربه ﴿فلما واضحات الدلالة على ما قاله لهم، على وجه الظلم والعلو والعناد: ﴿ما هذا إلا سحر مفترى﴾ كما قال فرعون في تلك الحالة التي ظهر فيها الحق، واستعلى على الباطل، واضمحل الباطل، وخضع له الرؤساء العارفون حقائق الأمور. ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ هذا، وهو الذكي غير والكيدما قصه الله علينا، وقد علم والكيدما قصه الله علينا، وقد علم والأرض﴾ ولكن الشقاء غالب.

﴿وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ وقد كذبوا في ذلك، فإن الله أرسل يوسف عليه السلام قبل موسى، كما قال تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضل الله من هو مسرف كذاب﴾.

﴿وقال موسى ﴿ حين زعموا أن الذي جاءهم به سحر وضلال، وأن ما هم عليه هو الهدى: ﴿ ربي أعلم بمن عالم بمن عاقبة المدار ﴾ أي: إذا لم تفد المقابلة معكم، وتبين الآيات البينات، وأبيتم إلا التمادي في غيكم واللجاج على كفركم، فالله تعالى العالم بالمهتدي وغيره، ومَنْ تكون له عاقبة المدار، نحن أم أنتم ﴿إنه لا يفلح الظالمون ﴿ والفوز، وصار لأولئك، والفوز، وصار لأولئك،

﴿ وقال فرعون ﴾ متجرئاً على ربه ، وعموهاً على قومه السفهاء ، أخفاء العقول: ﴿ إِيا أَيّا اللا ما علمت لكم من إله غيري ﴾ أي: أنا وحدي إلهكم ومعبودكم ، ولو كان ثمّ إله غيري لعلمته ، فانظر إلى هذا الورع التام من أله غيري ، بل تورع وقال: «ما علمت لكم من إله غيري » بل تورع وقال: «ما علمت لكم من إله غيري» . وهذا ، لأنه عندهم العالم الفاضل ، الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه .

فلما قال هذه المقالة ، التي قد تحتمل أن ثَمَّ إلٰها غيره ، أراد أن يحقق النفي ، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال ، فقال لد «هامان»: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين ﴾ ليجعل له لبناً من فخار . ﴿فاجعل لي صرحاً ﴾ أي: بناء ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ ولكن سنحقق هذا الظن ، ونريكم كذب موسى . فانظر هذه

الجراءة العظيمة على الله، التي ما بلغها

THE HEADER IN SECTION وَمَا كُنتَ بِمَانِ ٱلْمُرَدِيِّ إِذْ قَضَيْنَ ۖ إِلَّى مُوسَى ٱلْأَثْرُ وَمَاكُتُ مِنَ الشُّهِدِينَ ﴿ وَلَكِنَّا أَنْ أَنَا فَأُوا فَعَلَالَ عَلَّهُمُ المُن وُمَّا كُنتَ تَاوِيانَ أَهْلِ مَدْيَنَ تَلُواْ عَلَيْهِ وَالْكِنَا اً وَلَكِنَّاكُنَّامُرْمِيلِينَ ۞ وَمَاكُنتَ بِحَالِبِ التكوراذ ماديث ولكون رخمة من زيك النسدر وقا اللهُ مَّا أَتَنهُ مِن كَنيرِ مِن مَبلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَلُوۡلآ أَن تُصِيبَهُم مُصِيبَ أَيمَا فَدَّمَتَ أَيْدِيهِمْ فَقُولُواْرَبَّنَا الولا أزسك إلى المركا فَتَهُم الله وتكوب ون ٱلتُوْمِيْنِ ۞ مَلْمَاجَاةَ مُوَّالَحَقُ مِنْ عِندِنَاقَ الْوَالَوْلَ أُونِيَ مِثْلَ مَا أُونِكَ مُومِينَ أَوَلَرْيَكَ مُرُوا مِمَا أُونِي مُومَوْ مِن قَتِلُ قَالُواْ مِيخَرَانِ تَطَلَهَزًا وَقَ الْوَاْ إِنَّا يِكُلِّ كَلِيمُونَ ﴾ قُلْ فَأَقُواْ بِكِنْكِ مِنْ عِندِ اللَّهِ هُوَأَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ ا إن كُنتُدْ مَكِيقِينَ ۞ فَإِن أَرْيَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمْ اللَّهُ اللَّهُ يَشَيْعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَصَلُّومَ مِنَ أَثَمَّ هَوَنَهُ بِغَيْرِ هُدُك مِنَ القَوْإِت اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْرَ القَالِيدِ ٠

آدمي، كذب موسى، وادّعي أنه إله، ونفي أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا ترويج، ولكن العجب من هؤلاء الملأ، الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشؤونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، وهذا لفسقهم والذي صار صفة راسخة فيهم.

فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

قال تعالى: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾ استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاؤوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل.

﴿وَظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ فلذلك (٢) تجرَّ قوا، وإلا فلو علموا، أو ظنوا أنهم يرجعون إلى الله، لما كان منهم ما كان .

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجِنُودُهُ عَنْدُمَا استمر عنادهم وبغيهم ﴿فَنْبَذْنَاهُمْ فِي اليّمُ

⁽١) كذا في ب، وفي أ: عنكم كيد عدوهم.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: فكذلك.

GENERALY SENIOR DE وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَمُهُ الْقَوْلَ لَعَلَمْمُ تَنَدَّونَ ﴿ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا مُعَلَّمُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا مُعَلَّمُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَا مُعَلَّمُ مُنْ اللَّمْ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّ مُعْمِمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّ ءَاتَيْنَكُمُ الْكِنْكِ مِن قَبْلِمِهُم بِمِينَةُمِنُونَ ﴿ وَإِنَّانَا عَلَيْمِهُ وَالْوَاءَ امَنَّا بِمِنَ إِنَّهُ أَكُونُ مِن زَّيْنَا إِنَّا كِنَّا مِنْ قَتْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿ أَوْلَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّنَّ مَيْنَ مَاصَيَرُوا وَيَدْرُهُ وَنَ بَاعْسَنَة ٱلسَّيِّعَةَ وَمِمَّارَزَقَنَاهُ مُنْفِقُونَ ﴿ وَلِذَاسِمُ وَاللَّهُ أَعْتُمُوا عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَقُ عَلَىٰكُمْ لَا نَبَيِّنِي ٱلْجَلِهِ لِينَ ﴾ إِنَّكَ لَانَهْ ذِي مَنْ أَحْبَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَالَهُ وَهُوٓ أَعْلَمُ بِالْمُهْنَدِينَ ﴿ وَقَالُوا إِن تَنْهِم الملدى ممك تتخطف من أزيناً أولز مُحين لَهُمْ حَرَمًا الهَدَا الْجُنِي إِلَيْهِ فَمَرَتُ كُلِ شَيْءٍ رِّزْقَا مِن لَّهُ نَاوَلْكِنَّ أَحْتَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَكُواْ هَلَكَ عَامِن قَرْكَةِ بَعِلَةَ مَوِيشَنَّهُ أَفِيلُكَ مَسَكِينَهُمْ لَرَثَتُكَن مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قِلِيلًا وَكَنَّا غَنَّ ٱلْوَارِثِينَ ﴿ وَمَاكَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْشَرَىٰ حَقَّىٰ يَنْعَتَ فِت أَيِّهَا رَبُولًا يَسْلُوا عَلَنَهِ ءَايَتِنَأُومَا كُنَّا مُهْلِي ٱلْقُرِيِّ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُ وَنَ ٨

العقوبة الدنيوية المستمرة، التصلة بالعقوبة الأخروية. ﴿وجعلناهم أثمة يدعون إلى النار﴾ أي: جعلنا فرعون وملأه من الأثمة الذين يقتدي بهم ويمشى خلفهم إلى دار الخزي والشقاء. ﴿ ويوم القيامة لا ينصرون، من عذاب الله، فهم

أضعف شيء، عن دفعه عن أنفسهم،

فانظر كيف كان عاقبة الظالمين كانت

أشر العواقب وأخسرها عاقبة أعقبتها

[﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ أي:] وأتبعناهم زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أثمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم، ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين، المبعدين، المستقذرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ وهو التوراة ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام، فرعون وجنوده. وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار

﴿بصائر للناس﴾ أي: كتاب الله،

الذي أنزله على موسى، فيه بصائر للناس، أي: أمور يبصرون ساما ينفعهم وما يضرهم، فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن، فتكون رحمة في حقه، وهداية له إلى الصراط المستقيم، ولهذا قال: ﴿وهدي ورحمة لعلهم يتذكرون، ولما قص الله على رسوله ما قص،

من هذه الأخبار الغيبية، نبه العباد على أن هذا خبر إلهي محض، ليس للرسول طريق إلى علمه إلا من جهة الوحي، ولهذا قال: ﴿وما كنت بحانب الغرب أي: بجانب الطور الغربي وقت قضائنا لموسى الأمر، ﴿وما كنتُ من الشاهدين﴾ على ذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا البطريق، ﴿ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر ﴾ فاندرس العلم ونسيت آياته، ا فبعثناك في وقت اشتدت الحاجة إليك وإلى ما علَّمناك وأوحينا إليك. ﴿وما كنت ثاوياً أي: مقيماً ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا الله أي: تعلمهم وتتعلم منهم، حتى أخبرت بما أخبرت من شأن موسى في مدين، ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ أي: ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى، أثر وليس لـهــم مــن دون الله مــن ولي وُلا من آثار إرسالنا إياك، ووَحْيٌ لا سبيل لك إلى علمه بدون إرسالنا.

﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ موسى، وأمرناه أن يأتي القوم الظالمين، ويبلغهم رسالتنا، ويريهم من آياتنا وعجائبنا ما قصصنا عليك. والمقصود: أن الماجريات التي جرت لموسى عليه الصلاة والسلام في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا يخلو من أحد

إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالَها فتعلمتها من أهلها، فحينتذ قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد عُلِمَ وتيقِّن أنه ما كان وما صار، فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك.

فتعين الأمر الثاني، وهو: أن هذا جاءك من قبل الله ووحيه وإرساله، فثبت بالدليل القطعي صحة رسالتك، ورحمة الله بك للعباد، ولهذا قال: ﴿ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك اى: العرب وقريش، فإن الرسالة [عندهم] لا تعرف وقت إرسال الرسول وقبله بأزمان متطاولة، ﴿لعلهم يتذكرون﴾ تفصيل الخير فيفعلونه، والشر فيتركونه، فإذا كنت مذه المنزلة، كان الواجب عليهم، المبادرة إلى الإيمان بك، وشكر هذه النعمة، التي لا يقادر قدرها، ولا يدرك شكرها.

وإنذاره للعرب لا ينفى أن يكون مرسلاً لغيرهم، فإنه عربي، والقرآن الذي أنزل عليه عربي، وأول مَنْ باشر بدعوته العرب، فكانت رسالته إليهم أصلاً، ولغيرهم تبعاً، كما قال تعالى: أ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجِبًا أَنْ أُوحِينًا إِلَى رَجِلَ منهم أن أنذر الناس ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾.

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ أي: فأرسلناك يا محمد، لدفع حجتهم، وقطع مقالتهم.

﴿فلما جاءهم الحق﴾ الذي لا شك فيه ﴿من عندنا﴾ وهو القرآن، الذي أوحيناه إليك ﴿قالوا﴾ مكذبين له، ومعترضين بما ليس يعترض به: ﴿لُولَا أوق مثل ما أوق موسى اي أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة. أي: فأما ما دام ينزل متفرقاً، فإنه ليس من عند الله. وأي: دليل في هذا؟ وأي: شبهة أنه ليس من عند الله حين نزل مفرقاً؟

بل من كسمال هذا القرآن، واعتناء الله بمن أنزل عليه، أن نزل متفرقاً، ليثبت الله به فؤاد رسوله، ويحصل زيادة الإيمان للمؤمنين ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾. وأيضاً، فإن قياسهم على كتاب موسى، قياس قد نقضوه،

فكيف يقيسونه على كتاب كفروا به ولم يؤمنوا؟ ولهذا قال: ﴿أُولَم يكفروا بما أُولِي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا﴾ أي: القرآن والتوراة، تعاونا في سحرهما وإضلال الناس ﴿وقالوا إنا يريدون إبطال الحق بما ليس ببرهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون وينقضونه بما لا ينقض، وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرّح أنهم كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفرهم بهما طلباً للحق، واتباعاً لأمر عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟

قال تعالى ملزماً لهم بذلك: ﴿فَأَتُوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ﴾ أى: من التوراة والقرآن ﴿ أتبعه إن كنتم صادقين﴾ ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما، فإنه ما طرق العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علماً، وهدى، وبياناً، ورحمة للخلق، وهذا من كمال الإنصاف من الداعي أن قال: أنما مقصودي الحق والهدي والرشد، وقد جئتكم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعاً الإذعان لهما واتباعهما، من حيث كونهما هدى وحقاً، فإن جئتمون بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعته، وإلا فلا أترك هدي وحقاً قد علمته لغير هدى وحق^(۱).

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك بحرد اتباع لأهوائهم. ﴿وَمِن أَصْل مُن الله فهذا من أصل الناس، حيث عرض عليه الهدى والصراط المستقيم، الموصل إلى الله والى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء (٢) فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أصل فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أصل

عمن هذا وصفه؟!! ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له: أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فلهذا قال: ﴿إِنَّ اللهُ لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: الذين صار الظلم لهم وصفاً والعناد لهم نعتاً، جاءهم الهدى فرفضوه، وعرض لهم الهوى فتبعوه، سدوا على أنفسهم أبواب الهداية وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم يعمهون، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون.

وفي قوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم للله دليل على أن كل مَنْ لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم ينذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى.

﴿ولقد وصَّلْنا لهم القول﴾ أي: تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئاً فشيئاً، رحمة بهم ولطفاً ﴿لعلهم يتذكرون﴾ حين تتكرر عليهم آياته، وتنزل عليهم بيئاته وقت الحاجة إليها. فصار نزوله متفرقاً رحمة بهم، فلم اعترضوا بما هو من مصالحهم؟

فصل في ذكر بعض الفوائد] والعِبَر في هذه القصة العجيبة

فمنها أن آيات الله تعالى وعبره، وأيامه في الأمم السابقة، إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص لأجلهم، وأما غيرهم، فلا يعبأ الله بهم، وليس لهم منها نور وهدى.

ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أمراً هيّا أسبابه، وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج، لا دفعة واحدة.

ومنها: أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها، ولا الإياس من ارتقائها إلى أعلى

الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.

ومنها: أن الأُمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها، [ولا دنياها] (٣) ولا يكون لها إمامة فيه.

ومنها: لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة، بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.

ومنها: أن الله يقدِّر على عبده بعض المشاق، لينيله سروراً أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شراً أكثر منه، كما قدَّر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسروراً.

ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى ولموسى من تلك المخاوف.

ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبيت من الله عند المقلقات، كما قال تعالى: ﴿لُولًا أَن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ أي: ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها.

ومنها: أن من أعظم نِعَم الله على عبده، و [أعظم] معونة للعبد على أموره، تثبيت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر قلقه وروعه وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

ومنها: أن العبد_ ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذ لا بد منه _فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي

أمر بها، ولا يكون ذلك منافياً لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك، اجتهدت على رده، وأرسلت أخته لتقصه

ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال من غير محذور، كما جبري لأخت موسى وابنتي صاحب مدين.

ومنها: جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على مَنْ يفعل ذلك.

ومنها: أن الله من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آیاته، ویشهده من بیناته، ما یزید به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد الله حق.

ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عُرف لا يجوز، فإن موسى عليه السلام عدُّ قتله القبطي الكافر ذنباً، واستغفر الله منه.

ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يُعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

ومنها: أن مَنْ قتل النفوس بغير حق، وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهييب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد كما حكى الله قول القبطي: ﴿إِن تريد إلا دأب الأمم السابقين. أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين على وجه التقرر له، لا الإنكار.

> ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شر يقع فيه، لا يكون ذلك نميمة _ بل قد يكون واجباً _كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحاً له ومحذراً.

> ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، لا يلقى بيده إلى التهلكة، ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى.

> ومنها: أنه عند تزاحم المفسدتين، إذا كان لا بد من ارتكاب إحداهما، أنه

ترتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن موسى، لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يقتل، أو يذهب(١) إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل [يد] له غير ربه، ولكن هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.

ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدى ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال: ﴿عسى رب أن يهديني سواء السبيل.

ومنها: أن الرحمة بالخلق، والإحسان على مَنْ يعرف ومَنْ لا يعرف، من أخلاق الأنبياء، وأن من الإحسان سقى الماشية الماء، وإعانة العاجز .

ومنها: استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولوكان الله عالماً بها، لأنه تعالى، يحب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكنته، كما قال موسى: ﴿رَبِّ إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ٠٠.

ومنها: أن الحياء _ خصوصاً من الكرام _ من الأخلاق المدوحة.

ومنها: المكافأة على الإحسان لم يزل

ومنها: أن العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنَّه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض.

ومنها: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، مما لا يقدر العمل، وإنما مرده العُرف.

ومنها: أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، ولو كانت المنفعة بضعاً.

ومنها: أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخيره لا يلام عليه. ومنها: أن خير أجير وعامل

[يعمل] للإنسان، أن يكون قوياً أميناً. ومنها: أن من مكارم الأخلاق، أن يُحسِّن خلقه لأجيره وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل، لقوله: ﴿وما أريد أن أشق عليك ستجدن إن شاء الله من الصالحين.

ومنها: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إشهاد، لقوله: ﴿والله على ما نقول وكيل﴾.

ومنها: ما أجرى الله على يد موسى من الآيات البينات، والمعجزات الظاهرة، من الحية، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون، من فرعون، ومن الغرق.

ومنها: أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماماً في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إماماً في الخير هادياً مهدياً.

ومنها: ما فيها من الدلالة على رسالة محمد على حيث أخبر بذلك تفصيلاً مطابقاً، وتأصيلاً موافقاً، قصه قصاً، صدَّق به المرسلين، وأيَّد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، ولا مشاهدة لموضّع واحد من تلك المواضع، ولا تلاوة درس فيها شيئاً من هذه الأمور، ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحيم الرحمن، ووحى أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوماً جاهلين، وعن النذر والرسل غافلين.

فصلوات الله وسلامه، على مَنْ مجرد خبره ينبيء أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيرة، أنه من عند الله، كيف وقد تطابق على صحة ا جماء به وصدقه خبر الأولين والآخرين، والشرع الذي جاء به من رب العالمين، ومآ جُسِلُ عليه من الأخلاق الفاضلة التي لا تناسب ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، والنصر المبين لدينه وأمته، حتى بلغ دينه مبلغ

الليل والنهار، وفتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، وقلوبهم بالعلم والإيمان.

ولم تزل الأمم المعاندة، والملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة، وتكيد له المكايد، وتمكر لإطفائه وإخفائه، وإخاده من الأرض، وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نموا، ولا آياته وبراهينه إلا ظهوراً، وكل وقت من الأوقات، يظهر من آياته ما هو عبرة للمايين، وهداية لِلْعَالَمِين، ووبور وبصيرة للمتوسمين. والحمد شه وحده.

﴿٥٢ ـ ٥٥﴾ ﴿المذبن آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمناً به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * وإذا سمعوا اللغو أعرضواً عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين، يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنه الحق، فقال: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ وهم أهل التوراة، والإنجيل، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا ﴿ هم به ﴾ أي: بهذا القرآن ومَنْ جاء به ﴿يؤمنون﴾.

﴿وإذا يتلى عليهم ﴾ استمعوا له وأذعنوا و ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا ﴾ لموافقته ما جاءت به الرسل ، ومطابقته لما ذكر في الكتب، واشتماله على الأخبار الصادقة ، والأواسر والنواهي الموافقة لغاية الحكمة .

وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم، لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم ويصيرة، لأنهم أهل الصنف^(۱)، وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلاً عن الحجة، لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق.

قال تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ الآيات.

وقوله: ﴿إِنَا كِنَا مِن قبِلَهُ مَسَلَمِينَ﴾ فلذلك ثبتنا على ما مَنَّ الله به علينا من الإيمان، فصدقنا بهذا القرآن، آمنا بالكتاب الأول والكتاب الآخر، وغيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب، إيمانه بالكتاب الأول.

﴿أولئك﴾ الذين آمنوا بالكتابين ﴿يؤتون أجرهم مرتين﴾ أجراً على الإيمان الأول، وأجراً على الإيمان الثاني، ﴿بما صبروا﴾ على الإيمان وثبتوا على العمل، فلم تزعزعهم (٢٠) عن ذلك شبهة، ولا ثناهم عن الإيمان رياسة ولا شهوة.

وو من خصالهم الفاضلة ، التي من آثار إيمانهم الصحيح ، أنهم ويدروون بالحسنة السيئة ﴾ أي : دأبهم وطريقتهم الإحسان لكل أحد ، حتى للمسيء إليهم بالقول والفعل ، يقابلونه بالقول الحميد والفعل الجميل ، لعلمهم بفضيلة هذا الخلق العظيم ، وأنه لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم .

﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ من جاهل خاطبهم به، ﴿قالوا﴾ مقالة عباد الرحمن أولي الألباب: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أي: كُلُّ سيُجازى بعمله الذي عمله وحده، ليس عليه من وزر غيره شيء. ولزم من ذلك، أنهم يتبرؤون عما عليه الجاهلون، من اللغو والباطل، والكلام الذي لا فائدة فعه

﴿سلام عليكم﴾ أي: لا تسمعون منا إلا الخير، ولا نخاطبكم بمقتضى جهلكم، فإنكم وإن رضيتم لأنفسكم هذا المرتع اللتيم، فإنا ننزه أنفسنا عنه، ونصونها عن الخوض فيه، ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ من كل وجه.

﴿٥٦﴾ ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم

٢٨ يُولُوُ الصِّيطَانَا ﴿ الْكِيْلُونُ الصَّيْلُونُ الصَّلِيدُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَمَآ أُوتِيتُهِ مِن مَنَى وَ فَتَنكُمُ الْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَ اوَزِينَنُهُ أَوْمَاعِندَ اللّهِ خَرُّ وَأَتَكَانُ أَفَلَاتَعَقَلُونَ ۞ أَفَنَ وَعَذَنَهُ وَغِدًا حَسَنًا فَهُوَلِيْقِيهِ كُنَ مَّقَّضَنَهُ مَسَّمَ ٱلْحَيَّوْةِ ٱلدُّنْيَا أَرُّهُويَوْرَ ٱلْفِيكَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَيِحَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَعُولُ أَيْنَ شُرَكَلِّهِ يَ ٱلَّذِينَ كُنتُهُ رِّزْعُمُوكِ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْفَوْلُ رَتَنَا هَنُوْلَا ، الَّذِينَ أَغُونِينَا أَغُونِنَا مُرْكَمَا غَوَيْناً تَكُرَّأْنَا إِلَيْكٌ مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۞ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَ لَهَ كُو فَنَعَوْهُمْ فَلَرْيَسْتَجِيبُوا لَمَنْهُ وَرَأُوا ٱلْعَنَابُ لُوَأَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذًا أَجَتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ المُعَتِيتُ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنْبَآءُ يُوْمِينُوفَهُمْ لَايَتَسَآةً لُونَ اللَّهُ الْمُعَالِمُ الْمُعَالِمُ الْمُ فأمَّا مَن تَابَ وَءَامَ وَعَمِلَ صَلِيحًا فَعَمَنَيْ أَن يَحُونَ مِنَ ٱلْمُنْإِحِينَ ۞ وَرَبُّكَ يَعْلُقُ مَايَشَآ وَيَغْتَارُمَاكَ انَ لَمَهُ آنجنيرَةُ شُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَلَلُ عَمَّا لِنُسْرِكُونَ ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنَّ صُدُورُهُمْ وَمَالِعُدِلُونَ ۞ وَهُوَ اللَّهُ ۗ إِلَّهَ إِلَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَدُّفِ ٱلْأُولَ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْمُكْمُ وَالْآعِدُونَ اللَّهِ وَتُجَمُّونَ ٥ TO SEE THE SEE SEE

بالمهتدين بخبر تعالى أنك يا محمد - وغيرك من باب أولى - لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي مَنْ يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، عن لا يصلح لها فييقيه على ضلاله.

وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبيّن الصراط المستقيم، ويرغّب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا.

ولهذا، لو كان قادراً عليها، لهدى مَنْ وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد الله تعالى.

﴿٥٧ ـ ٩٠﴾ ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون * وكم أهلكنا من قرية

قُلْ أَرَةَ يَتُمُونِ جَعَلَ أَمَّهُ عَلَيْكُمُ أَلَّتَا سَرْمَمَّا إِلَى وَمِ الْقَلْمَةِ مَنْ إِلَاهُ عَيْرًا لَقِهِ مِأْنِيكُ مِيضِينَا أَهِ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرْءَ يَشْمُ إِن جَعَلَ أَلَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَ ارْسَرْمِنَا إِلَى تَوْمِ اَلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَا عَيْرَالَةِ يَأْتِيكُم بِلَيْلِ تَسْتُ مُونَ فِيةً أَفَلَا تَبْعِيرُونَ ۞ وَمِن زَحْمَيَهِ حِحَمَلَ أَكُمُ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَنْكُنُولِفِهِ وَلِنَبْتَغُولِين فَضْيلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَيُؤْمَرُيْنَادِ بِهِمْ فَيَتَقُولُ أَنَّ شُرَكَلَهِ يَ ٱلَّذِينَ كَنتُرُ تَزْعُمُونَ ۞ وَزَعْنَامِن كُلِ أَمْتَوْسَهِ بِمَا تَصَلَّقُلْنَاهَا تُواْ رُّهُ لَنَكُوْ فَعَ الْمُوَّا أَنَ ٱلْمُقَّى لِلْهِ وَضَلَ عَنْهُم مَّا حَاثُوْ أَيْفَرُونَ مِنَالَكُنُوزِمَا إِنَ مَغَاتِحَ لَمُلَدُنُوا بِالْمُصَدِّ أَوْلِ الْعُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ فَوْمُهُ لَانْفَاحَ إِنَّ اللَّهُ لَا يُعِبُّ الْفَرِيدِي ٥ وَآتِنَعُ فِيكَآءَ الْمَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِدَ كُوَّ وَلَا تَسْنَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّيْدَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكُ وَلَا تَبْعُ الْفَسَادَ فِ ٱلْأَرْضِيُّ إِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَيدِينَ ۞ AND AND THE SECOND

بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاً قليلاً وكنا نحن الوارثين * وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظلمون في غبر تعالى أن المكذبين من قدريش وأهل مكة، يقولون للرسول على ﴿ إِن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال، فإن الناس قد عادوك وخالفوك، فلو تابعناك لتعرضنا لمعاداة ولناس كلهم، ولم يكن لنا بهم طاقة .

وهذا الكلام منهم، يدل على سوء الظن بالله تعالى، وأنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، بل يمكن الناس من أهل دينه، فيسومونهم سوء العذاب، وظنوا أن الباطل سيعلو على الحق.

قال الله مبيناً لهم حالة هم بها دون الناس وأن الله اختصهم بها، فقال: ﴿ أَوْ لَمْ نَمَكُنْ لَهُمْ حَرِماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ﴾ أي: أولم نجعلهم متمكنين [عكنين] في حرم يكثره المنتابون، ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصونه بقليل [ولا

والحال أن كل ما حولهم من

الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غيير آمنين ولا مطمئين، فَلَيْحُمْدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون.

ولَيَتَبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرغد، وإياهم وتكذيبه، والبطر بنعمة الله، فيبدلوا من بعد أمنهم خوفاً، وبعد عزهم ذلاً، وبعد غناهم فقراً، ولهذا توعدهم بما فعل بالأمم قبلهم، فقال:

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي: فخرت بها وألهتها، واشتغلت بها عن الإيمان بالرسل، فأهلكهم الله، وأزال عنهم النعمة، وأحل بهم النقمة. ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا والتلف عليهم، وإيحاشها من بعدهم.

﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ للعباد، نميتهم، ثم ترجع إلينا جميع ما متعناهم به من النِعَم، ثم نعيدهم (١٦) إلينا فتجازيهم بأعمالهم.

ومن حكمته ورحمته أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم، ولهذا قال: ﴿وما كان ربك مُهْلِكَ القرى﴾ أي: بكفرهم وظلمهم ﴿حتى يبعث في أمها﴾ أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون، ونحوها يترددون، وكل ما حولها ينتجعها، ولا تخفى عليه أخبارها.

مي بحبولية. ﴿رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾ الدالة على صحة ما جناء به، وصدق ما دعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، بخلاف بعث الرسل في القرى البعيدة، والأطراف النائية، فإن ذلك مظنة الخفاء والجفاء، والمدن الأمهات مظنة الظهور والانتشار، وفي الغالب أنهم أقل جفاء من غيرهم.

﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ بالكفر والمعاصي، مستحقون للعقوبة. والحاصل: أن الله لا يعذب أحداً إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه.

﴿٦١ _ ٦١﴾ ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ومأ عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون * أفمن وعدناه وعدأ حسنأ فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين المخذا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات، والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة [الدنيا] وزينتها، أي: يتمتع به وقتاً قصيراً، متاعاً قاصراً، محشواً بالمنغصات، ممزوجاً بالغصص.

ويزين به زماناً يسيراً، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعاً، وينقضي جميعاً، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان.

﴿وماعند الله من النعيم المقيم، والعيش السليم ﴿خير وأبقى ﴾أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبداً، مستمر سرمداً.

﴿ أَفُلا تَعَقَلُونَ ﴾ أي: أَفُلا يَكُونُ لَكُم عقول، بها تزنون أي: الأمور (٢٠) أول بالإيشار، وأي: الدارين أحق للعمل لها، فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله، ولهذا نبه العقول على الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا ومؤثر الآخرة، فقال: ﴿ أَفَمَن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه ﴾ أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من

⁽١) كذا في ب، وفي أ: ثم تفيدهم إلينا فنجا فنجازيهم، وهو خطأ ظاهر من الناسخ.

⁽٢) في ب: الأمرين.

غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته وجانب سخطه، لأحكن متعناه متاع الحياة الدنيا فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدى الله رأساً، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيراً لنفسه، وإنما قدّم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين

﴿٦٢ ـ ٦٦﴾ ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون * قال الذين حتى عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون * وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العداب لو أنهم كانوا يهتدون * ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم الرسلين * فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لايتساءلون، هذا إخبار من الله تعالى، عمّا يسأل عنه إلخلائق يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، وعن عبادة الله وإجابة رسله، فقال: ﴿ويوم يناديهم﴾ أي: ينادي مَنْ أشركوا به شركاء يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضرر عنهم، فيناديهم، ليبين لهم عجزها وضلالهم، ﴿فيقول أين شركائي السركاني وليس لله شريك، ولكن ذلك بحسب زعمهم وافترائهم، ولهذا قال: ﴿الذين كنتم تزعمون فأين هم، بذواتهم، وأين نفعهم وأين دفعهم؟

ومن المعلوم أنه (١) يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبدوه ورجوه باطل، مضمحل في ذاته، وما رجوا

منه، فيقررون على أنفسهم بالضلالة والخواية، ولهذا ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: ﴿ربنا هؤلاء﴾ التابعون ﴿الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا﴾ أي: كلنا قد اشترك في الغواية، وحق عليه كلمة العذاب.

﴿تبرأنا إليك﴾ من عبادتهم، أي: نحن برآء منهم ومن عملهم. ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

﴿وقيلُهُ لهم : ﴿ادعوا شركاءكم﴾ على ما أملتم فيهم من النفع فأمروا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى مَنْ

﴿فدعوهم﴾ لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء. ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة، ﴿ورأوا العذاب﴾ الذي سيحل بهم عياناً، بأبصارهم بعدما كانوا مكذبين به منكرين له.

﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ أي: لما حصل عليهم ما حصل، ولهدوا إلى صراط الجنة، كما اهتدوا في الدنيا، ولكن لم يهتدوا.

ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين همل صدقت موهم، [واتبعت موهم] أم كذبت موهم وخالفتموهم؟

﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾ أي: لم يحيروا عن هذا السسؤال جواباً، ولم يهتدوا إلى الصواب.

ومن المعلوم أنه لا ينجي في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح، المطابق لأحوالهم، من أننا أجبناهم بالإيمان والانقياد، ولكن لما علموا تكذيبهم لهم وعنادهم لأمرهم، لم ينطقوا بشيء، ولا يمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم في ماذا

يجيبون به، ولو كان كذباً.

﴿٧٧﴾ ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين للا ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصي، وآمن بالله فعبده، وآمن برسله فصدقهم، وعمل صالحاً متبعاً فيه للرسل، ﴿فعسى أن يكون ﴾ من جمع هذه الخصال ﴿من المفلحين من الناجين من المروب، فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور.

﴿ ٦٨ _ ٧٠) ﴿ وربيك يخسلس منا يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون * وربّك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون * وهو الله لا إله إلا هوله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجّعون﴾ هذه الآيات، فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار مَنْ يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأواسر، [والأزمان] والأماكن، وأن أحداً (٢) ليس له من الأمر والاختيار شيء، وأنه تعالى منزه عن كل ما يشركونه به، من الشريك، والطهير، والعوين، والولد، والصاحبة، ونحو ذلك، مما أشرك به المشركون، وأنه العالم بما أكنته الصدور وما أعلنوه، وأنه وحده المعبود المحمود في الدنيا والآخرة، على ما له من صفات الجلال والجمال، وعلى ما أسداه إلى خلقه من الإحسان والإفضال.

وأنه هو الحاكم في الدارين، في الدنيا، بالحكم القدري، الذي أثره جميع ما خلق وذرأ، والحكم الديني، الذي أثره جميع الشرائع، والأوامر والنواهي.

وفي الآخرة يحكم بحكمه القدري والجيزائسي، وليهذا قيال: ﴿وَإِلِيهُ

ترجعون، فيجازي كلاً منكم بعمله، من خير وشر.

﴿٧١ ـ ٧٧﴾ ﴿قـل أرأيــتــم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه، والليل ليهدؤوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده.

فهل أحد يقدر على شيء من ذلك؟ فلو جعل ﴿عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ مواعظ الله وآياته سماع فهم وقبول وانقياد، ولو جعل ﴿عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة فيد أفلا تبصرون﴾ مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائركم، وتسلكون الطريق المستقيم.

وسلحون الطريق السعيم.
وقال في الليل: ﴿أفلا تسمعون﴾ لأن وفي النهار ﴿أفلا تبصرون﴾ لأن سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي أن يتدبر نِعَم الله عليه، ويتبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف مَنْ جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمراً، ولا يزال. وعمي قلبُه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا العد يحدث له فكرة شكراً ولا ذكراً.

﴿٧٤ ــ ٥٧﴾ ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون * ونزعنا من كُل أمّة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي: ويوم ينادي الله المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له شركاء، يستحقون أن يعبدوا، وينفعون وينضرون، فإذا كان يوم القيامة، أراد الله أن يظهر جراءتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم (١١ لأنفسهم ف ﴿ يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر، كما قال: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إنّ يستبعون إلا السظن وإن هم إلا يخرصون♦.

فإذا حضروا وإياهم، نزع ﴿من كل أمة﴾ من الأمم المكذبة ﴿شهيداً﴾ يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المتخبين.

أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين مَنْ يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، ومن هم وإياهم على طريق واحد، فإذا برزوا للمحاكمة ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلي؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبي؟ هل فيهم أحد يستحق شيئاً من الإلهية؟ هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم من عذاب الله أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذاً [إن] كان فيهم أهلية (٢)، وليروكم إن كان لهم قدرة، ﴿فعلموا﴾ حينتذ بطلان قبولهم وفساده، و ﴿أَنَّ الحق شه تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون من الكذب والإفك، اضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمَن استحقها واستأهلها.

﴿٧٦ ـ ٨٧ ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قوم موسى فبغي عليهم) إلى آخر القصة. يخبر تعالى عن حالة قارون وما [فعل] وفُعِلَ به ونُصِحَ ووُعِظَ، فقال: ﴿إِن قارون كان من قُوم موسى﴾ أي : من بني إسرائيل، الذين فُضَّلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتنَّ الله عليهم بما امتنَّ به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغي على قومه وطغي، بما أوتيه من الأموال العظيمة المطغية. ﴿ وَآتيناه من الكنوز﴾ أي: كنوز الأموال شيئاً كثيراً، ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة [أولى القوة) والعصبة] من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى إن مفاتح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ ﴿إِذْ قَالَ له قومه الصحين له محذرين له عن الطغيان: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المكبين على محبتها.

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ماعند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، ﴿ولا تنسَ نصيبك من الدنيا﴾ أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، ﴿وأحسن ﴾ إلى عباد الله ﴿كما أحسن الله عليك بهذه الأموال، ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ بالتكبر والعمل بمعاصى الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، ﴿إِنْ الله لا يحب المفسدين﴾ بل يعاقبهم على ذلك أشد العقوبة .

ف_ ﴿قَالَ ﴾ قارون راداً لنصيحتهم، كافراً لنعمة ربه : ﴿إِنَما

⁽١) كذا في ب، وفي أ: وتكذيب.

أوتيته على علم عندي﴾ أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالى، يعلم أني أهل لذلك، فلم تنصحون على ما أعطاني الله تعالى؟ قال تعالى مبيناً أن عطاءه ليس دليلاً على حسن حالة المعطى: ﴿ أُولُم يعلم أَن الله قد أهلك من قبلُه من القرون مَنْ هو أشد منه قوة وأكشر جمعاً ﴾ فما المانع من إهلاك قارون، مع مُضِيِّ عادتنا وسنتنا بإهلاك مَنْ هو مثلَّه وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟

﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على ما يعلمه منهم، فهم، وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولاً، وليس ذلك دافعاً عنهم من العذاب شيئاً، لأن ذنوبهم غير خفية، فإنكارهم لا محل له، فلم يزل قارون مستمراً على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحاً بطراً قد أعجبته نفسه، وغره ما أوتيه من الأموال، ﴿فخرج﴾ ذات يـوم ﴿في زينته اي: بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه، قد كان له من الأموال ما كان، وقد استعد وتجمّل بأعظم ما يمكنه، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة، جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها وغضارتها وفخرها، فرمقته في تلك الحالة العيون، وملأت بزَّتُهُ القُلوب، واختلبت زينته النفوس، فانقسم فيه الناظرون قسمين، كل تكلُّم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة.

ف ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ أي: الذين تعلقت إرادتهم فيها، وصارت منتهى رغبتهم، ليس لهم إرادة في سواها، ﴿ياليت لنا مثل ما أوتي قارون الدنيا ومتاعها وزهرتها ﴿إنه لذو حظ عظيم وصدقوا إنه لذو حظ عظيم، لو كان الأمر منتهياً إلى رغباتهم، وأنه ليس

وراء الدنيا، دار أخرى، فإنه قد أعطى منها ما به غاية التنعم^(١) بنعيم الدنيا، واقتدر بذلك على جميع مطالبه، فصار هذا الحظ العظيم، يحسب همتهم، وإن همة جعلت هذا غاية مرادها ومنتهى مطلبها، لَنْ أدني الهمم وأسفلها وأدناها، وليس لها أدني صعود إلى المرادات العالية والمطالب الغالية.

﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ الذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا، حين نظر (٢) أولئك إلى ظاهرها: ﴿ويلكم﴾ متوجعين مما تمنوا لأنفسهم، راثين لحالهم، منكرين لمقالهم: ﴿ثُوابِ اللهِ العاجل، من لذة العبادة ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه. والآجل من الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿خير﴾ من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذا حقيقة الأمر، ولكن ما كل مَنْ يعلم ذلك يؤثر الأعلى على الأدنى، فما يُلَقَّى ذلك ويوفق له ﴿إلا الصابرون، الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها، أن تشغلهم عن ربهم، وأن تحول بينهم وبين ما خلقوا له، فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية .

فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر، وأزَّيَّنَت الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه، بغته العذاب ﴿فَحْسَفُنَا بِهُ وبداره الأرض) جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثاثه ومتاعه.

﴿ فِمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئْةً ﴾ أي: جماعة، وعصبة، وخدم، وجنود ﴿ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ أي: جاءه البعيذات، فيما نيصر

اللهِ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَيْهِ لِيهِ عِنْدِيٌّ أَوَلَّمْ مَنْ لَمِّ أَنْ كَالْفَةَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبِيلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَأَمْتُ دُينَهُ قُوَّةً وَأَحْتُرُ مُعَالًا وَلَايُسْتَلُعَن دُنُوبِهِمُ الْمُتَغِرِمُون ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ وَفِي زِينَتِهُ ۚ قَالَ الَّذِيبَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْبَ ايَلَيْتَ لَنَامِثُلَ مَآ أُونِهَ قَارُونُ إِنَّمُلَدُوحَظِ عَظِيرٍ ۞ وَقَالَ ٱلَِّينَ أُوثُواُ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنَّ ءَامَزَ وَعَيْمِ لَصَلِحاً وَلَا يُلَقَّىٰ لِهَا إِلَّا ٱلصَّا يُرُونِ ﴿ فَنَسَفْنَا بِورِ وَيِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَأَكَانَ لَهُ مِن فِئَةِ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَاكَانَ مِنَ ٱلتُنقِيرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَتَوَّامَكَانَهُ إِلَّامْشِ يَعُولُونَ وَيُكَأَنَّ أَنَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِنَ يَشَكَّهُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِدُّ لَٰ وَلَآ أَن مِّكِ اللّهُ عَلَيْنَا لَحَسَفَ بِنَّا وَيُكَافَّلُا يُغْلِمُ و الْكَافِرُونَ ﴿ وَالْنَا الْأَازُ الْآخِرَةُ تَغَمُّ لَهَا الَّذِينَ } للاً لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا مُسَادًاْ وَٱلْعَقِبَةُ الشَّقِينَ ﴿ ۞ مَن جَآةَ بِالْحَسَدَةِ فَلَهُ خَيْرَةُ ثُمَّا وَمَن جَآةً بِالسَّيِنَةِ فَلَاعِجَةِ الِّذِيكَ عَمِلُوا السَّيِّعَاتِ إِلَّامَاكَ اثْوَا يَعْمَلُونَ ﴿ ON THE THE PARTY OF THE PARTY O

﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس اي: الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين قالوا: ﴿ يَا لَيْتُ لَنَا مِثْلُ ما أوتي قارون﴾ ﴿يقولون﴾ متوجعين ومعتبرين، وخائفين من وقوع العذاب بهم: ﴿ويكأن الله يبسط آلرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي: يضيق الرزق على مَنْ يشاء، فعلمنا حينئذ أن بسطه لقارون، ليس دليلاً على خير فيه، وأننا غالطون في قولنا: ﴿إنَّهُ لَذُو حظ عظيم ﴾ و ﴿لولا أن منَ الله علينا﴾ فلم يعاقبنا على ما قلنا، فلولا فضله ومنته ﴿لحسف بنا﴾ فصار هلاك قارون عقوبة له، وعبرة وموعظة لغيره، حتى إن الذين غبطوه، سمعت كيف ندموا، وتغير فكرهم الأول. ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿٨٣﴾ ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين لله ذكر تعالى قارون وما أوتيه من الدنيا، وما صارت إليه عاقبة أمره، وأن أهل العلم قالوا: ﴿ تُوابِ اللهِ حَيْرِ لَمْنِ امْنِ وَعَمْلُ صالحاً ﴾ رغّب تعالى في الدار الآخرة، وأخبر بالسبب الموصل إليها فقال: ﴿تلك الدار الآخرة﴾ التي أخبر الله بها

إِذَالَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَاكِ لَآذُكُ إِلَىٰ مَعَادُقًا رَقَ أَعْلَمُ مَن جَآءً بِالْمُدَى وَمَنْ هُوَسِيغٌ ضَلَا مُبِين ﴿ وَمَاكُنُتَ تَبْعَوْ أَنْ يُلُوِّزُ النِّكَ ٱلْكِنَّدُ الْارْضَعَةُ مِنْ زَبِّكُ فَلَا تَكُونَ الله عَمْرُ اللَّهِ كَالْمِينَ ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ اللَّهِ اللَّهِ مَعْ مَاإِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكُ وَأَدْعُ إِلَّا رَبِّكُ وَلَا تَكُونَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ۞ وَلَاتَدْعُ مَمُ اللَّهِ إِلَهًا ءَاحُرُلاۤ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ أَلَّهُ أَلَّهُ إِلَّهُ إِلّٰ إِلَّا أَلَّهُ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّٰ إِلّهُ إِلّٰ إِلْكَا أَلِهُ إِلّٰ كُلُّ ثَنَّ وَهَالِكُ إِلَّا وَجَهَمُ لَهُ أَلْكُ كُمُ وَإِلَيْهِ وَتَجَعُونَ ١ المنظالة: المنظالة: المنظالة ا الَّهُ ۞ أَحَيبَ النَّاسُ أَن يُتْرَحِكُواْ أَن يَكُولُوا مَالنَّاوَهُ لَا يُقْتَنُونَ ۞ وَلَقَدُ فَنَنَا ٱلَّذِينَ مِن قَبِلِهِ مُؤَلِّمَ فَلَتَعَلَّمَ أَنَّ اللهُ الَّذِينَ مَلَدَ قُوا وَلَيْصًا لَمِّنَّا الْكَلْدِينَ ۞ أَمْحَسِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيْعَاتِ أَن يَسْبِغُونًا سَأَةً مَا يَحَكُّمُونَ ۞ مَنْكَانَ يَرْجُوا لِقَالَةُ اللَّهِ فَإِنَ أَجَلَ اللَّهِ لَآتِ وَهُوَ السَّيمُ الْعَلَمُ ۞ وَمَن جَهَدَ فَإِنَّمَا يُعْلَهُ لِتَقْسِمْ الْأَلْقَالَةُ لَيْنَ عَن الْعَالَمِينَ ٥

في كتبه وأخبرت [بها] رسله، التي [قد] جمعت كل نعيم، واندفع عنها كلُّ مكدر ومنغص، ﴿نجعلُها﴾ داراً وقراراً ﴿للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسلااً أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق، ﴿ولا فساداً ﴾ وهذا شامل لجميع المعاصى، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض والإفساد، لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقبصدهم البدار الأخبرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح.

وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة، ولهذا قال: ﴿والعاقبة ﴾ أي: حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستمر، لن اتقى الله تعالى، وغيرهم _وإن حصل لهم بعض الظهور والراحة _فإنه لا يطول وقته، ويزول عن قريب. وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها نصيب(١١).

﴿٨٤﴾ ﴿من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السّيئات إلاّ ما كانوا يعملون﴾

يخبر تعالى عن مضاعفة فضله، وتمام عدله، فقال: ﴿مَنْ جِاء مالحسنة﴾ شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقترن مها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة، والحسنة: اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى وحق (٢) عباده، ﴿فله خير منها ﴾ [أي: أعظم وأجل، وفي الآية الأخرى ﴿ فله عشر أمثالها ﴾ [(٣) .

هذا التضعيف للحسنة ، لا يد منه ، وقد بقترن تذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: ﴿والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم بحسب حال العامل وعمله، ونفعه ومحله ومكانه، ﴿ومَنْ جاء بالسيئة﴾ وهي كل ما نهي الشارع عنه نهي تحريم. ﴿ فِللا يُجِزِي الذِّينِ عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون كقوله تعالى: ﴿مَنْ جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومَنْ جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾.

﴿٨٨ ـ ٨٨﴾ ﴿إِنَّ السِّذِي فَسَرِضَ عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو ني ضلال مبين * وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين * ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين * ولا تدع مع الله إلْها آخر لا إله إلاّ هو كل شيء مالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون عقول تعالى: ﴿إِنَّ وَلَا تَتَّبِعُ أَهُواءُهُمْ. الذي فرض عليك القرآن﴾ أي: أنزله، وفرض فيه الأحكام، وبين فيه الحلال والحرام، وأمرك بتبليغه للعالمين، والدعوة لأحكام جميع المكلفين، لا يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط، من غير أن يئات العباد ويعاقبوا، بل لا بدأن يردك إلى معاد، يجازي فيه المحسنون بإحسانهم، والمسيؤون بمعصيتهم.

وقد بيّنت لهم الهدي، وأوضحت لهم المنهج، فإن تبعوك، فذلك حظهم وسعادتهم، وإن أبوا إلا عصيانك والقدح بما جئت به من الهدى، وتفضيل ما معهم من الباطل على الحق، فلم يبق للمجادلة محل، ولم يبق إلا المجازاة على الأعمال من العالم بالغيب والشهادة، والمحق والمبطل. ولهذا قال: ﴿قل ربي أعلم مَنْ جاء بالهدى ومَنْ هو في ضلال مبين، وقد علم أن رسوله هو المهتدى الهادى، وأن أعداءه هم الضالون المضلون.

﴿ وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب أي: لم تكن متحرياً لنزول هذا الكتاب عليك، ولا مستعداً له، ولا متصدياً. ﴿ إلا رحمة من ربك ﴾ بك وبالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب، الذي رحم به العالمين، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فإذا علمت أنه أنزله إليك رحمة منه، [علمت] أن جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنه رحمة وفضل من الله، فلا یکن فی صدرك حرج من شیء منه، وتظن أنّ مخالفه أصلح وأنفع.

﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي: معيناً لهم على ما هو من شعب كفرهم، ومن جملة مظاهرتهم، أن يقال في شيء منه، إنه خلاف الحكمة والمصلحة والمنفعة.

ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك بل أبلغها وأنفذها، ولا تبال بمكرهم ولا يخدعنك عنها،

﴿وادع إلى ربك ﴾ أي: اجـعـل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فارفضه، من رياء، أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإن ذلك داع إلى الكون معهم، ومساعدتهم على أمرهم، ولهذا قال: ﴿ولا تكونين من المشركين﴾ لا في شركهم، ولا في فروعه وشعبه، التي هي جميع المعاصي.

﴿ولا تدع مع الله إلها آخر ﴾ بل أخلص لله عبادتك، فإنه ﴿لا إله إلا هو الحديستحق أن يؤله ويحب ويعبد، إلا الله الكامل الباقي الذي ﴿كُلُّ شَيَّءُ هَالُكُ إِلاَّ وَجَهِّهُۗ وإذا كان كل شيء هالكاً مضمحلاً، سواه فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها، وفساد نهايتها. ﴿له الحكم، في الدنيا والآخرة ﴿وإليه﴾ لا إلى عيره ﴿ترجعون﴾ فإذا كان ما سوى الله باطلاً هالكاً، والله هو الباقي، الذي لا إله إلا هو، وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، يجازيهم بأعمالهم، تعينُ على مَنْ له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يقربه ويدنيه، ويحذر من سخطه وعقايه، وأن يقدم على ربه غير تائب، و لا مقلع عن خطئه وذنوبه.

> تم تفسير سورة القصص ـــ ولله الحمد والثناء والمجد دائماً أبداً ـــ

تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

﴿١ -٣﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين كينبر تعالى عن [تمام] حكمته، وأن حكمته لا تقتضى أن كل مَنْ قال «إنه مؤمن» وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لوكان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول

والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للإدادة، والشهوات المعارضة للإدادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها(١) بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دلَّ ذلك على صدق إيمانه وصحته.

ومَنْ كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وريباً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها.

﴿٤﴾ ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾ أي : أحسب الذين همهم فعل السيئات وارتكاب الجنايات، أن أعمالهم ستهمل، وأن الله سيغفل عنهم، أو يفوتونه، فلذلك أقدموا عليها، وسهل عليهم عملها؟

﴿ساء ما يحكمون﴾ أي: ساء حكمهم، فإنه حكم جائر، لتضمنه إنكار قدرة الله وحكمته، وأن لديم قدرة يمتنعون بها من عقاب الله، وهم أضعف شيء وأعجزه.

﴿ ٥ _ ٣ ﴾ ﴿ من كان يرجو لقاء الله فيأن أجل الله لآتٍ وهو السميع المعليم * ومن جاهد فإنّما يجاهد لنفسه إنّ الله لغني عن العالمين ﴾ يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت، وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه،

THE PROPERTY OF THE PARTY OF TH وَالَّذِينَ وَامْنُوا وَعَيِدُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَيْرَنَّ عَنْ هُرْسَيْعَاتِهِ مُر وَلَغَرْبَتَهُمُ أَخْسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْسَلُونَ ۞ وَقَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ إلاتع حُسناً ولانجها الدينشرك ماليس لك بديار اللَّهُ عَلَيْتُ مِنَا أَلِنَ مَنْ مِعُكُمْ فَأَنْبَتُكُم مِنَا كُنُتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَالَّذِينَ مَامَنُواْ وَعَيِلُواْ الصِّلِكُ حَتِ لَنَدْخِلْنَا فَرْفِي الصَّالِعِينَ ا ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعُولُ ءَامَّنَا بِاللَّهِ فَإِذَّا أُوذِي فِاللَّهِ مَا لَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَّا أُوذِي فِاللَّهِ مَا مَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَّا أُوذِي فِي اللَّهِ مَا لَا فِنْنَةَ ٱلنَّاسِ حَنَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَين جَأَةَ نَصْرُقِن زَّيْكَ لَيَتُولُزَّ إِنَّاكُنَّا مَعَكُمُ أُولِيْنَ إِلَّهُ بِأَعْلَمْ بَافِيصُدُودِ ٱلْعَلَمِينَ ٥ وَلَيْعَ لَمَنَّ أَلَقَهُ الَّذِيكَ وَامْتُواْ وَلَيْعَلِّمَ ۖ الْمُنْفِقِينَ ۞ وَهَالَ الَّذِيكَ كَنْتُرُواْ لِلَّذِيكَ وَامْتُواْ الَّبِيحُواسِيلَنَا وَلْنَجْلُ خَطَيَاكُ مُومَاهُ مِحْمِيلِينَ مِنْ خَطَلَيَاهُ مِين شَحَةً إِنَّهُمْ لَكَذِهُونَ ﴿ وَلَيْحُمِلُ أَثْمَالَهُمْ وَأَثْمَا لَامَّعَ الْقُدَالِمِينَّةُ وَلَيْسَعَانَ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفَتَرُونَ ا وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَيْمِهِ وَلَيْتَ فِيهِ مُ أَلْفَ سَنَةٍ مُ إِلَّا حَسِورَ عَامًا فَأَخَلَهُمُ ٱلتُّلُوكَ انُّ وَهُرَظَالِمُونَ ١ DESCRIPTION TO BE SEED TO

مستصحباً الرجاء، مؤملاً الوصول إليه، ولكن، ما كل مَنْ يَدَّعِي يُغطَى بدعواه، ولا كل مَنْ تمنى يعطى ما تمناه، فإن الله سميع للأصوات، عليم بالنيات، فَمَنْ كان صادقاً في ذلك أناله ما يرجو، ومَنْ كان كاذباً لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومَنْ لا يصلح.

ومن جاهد انفسه وشيطانه، وعدوه الكافر، ﴿فإنما يجاهد لنفسه ﴾ لأن نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، و الله غني عن العالمين، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به، ولا نهاهم عنه بخلاً عليه،

وقد علم أن الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهاه عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضات تحتاج إلى مجاهدات وسعى شديد.

﴿٧﴾ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ يعني أن الذين منَّ الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، سيكفر الله عنهم سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، ﴿ولنجزينهم أحسن الذي

كانوا يعملون أوهي أعمال الخير، من واجبات ومستحبات، فهي أحسن ما يعمل العبد، لأنه يعمل المباحات أيضاً، وغيرها.

﴿٨﴾ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي: وأمرنا الإنسان، ووصيناه بوالديه حسناً، أي: ببرهما والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يعقهما ويسيء إليهما في قوله وعمله.

﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم وليس لأحد علم بصحة الشرك بالله، وهذا تعظيم لأمر الشرك، ﴿فلا تطعهما إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فأجازيكم بأعمالكم، فبروا والديكم وقدموا طاعتهما، إلا على طاعة الله ورسوله، فإنها مقدمة على كل شيء.

﴿٩﴾ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ أي: مَنْ آمن بالله وعمل صالحاً، فإن الله وعده أن يدخله الجنة في جملة عباده الصالحين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كل على حسب درجته ومرتبته عند الله، فالإيمان

الصحيح والعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه، وأنه من أهل الرحمن، والصالحين من عباد الله تعالى.

﴿١١ _ ١١﴾ ﴿ومن السناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولين إنا كينا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين * وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمنَّ المنافقين﴾ لما ذكر تعالى أنه لا بدأن يمتحن من ادّعي الإيمان، ليظهر الصادق من الكاذب، بيِّن تعالى أن من الناس فريقاً لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل، فقال: ﴿ومن الناس مَنْ يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير، ليرتد عن دينه، وليراجع الباطل، ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله ♦ أي: يجعلها صادّة له عن الإيمان والثبات عليه، كما أن العذاب صادٌّ عمّا هو سببه.

﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ﴾ لأنه موافق للهوى ، فهذا الصنف من الناس من الذين قال الله فيهم: ﴿ومن الناس مَنْ يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المين ﴾ .

﴿ أُولِيسَ الله بأعلم بما في صدور العالمين ﴾ حيث خبركم بهذا الفريق، الذي حاله كما وصف لكم، فتعرفون بذلك كمال علمه وسعة حكمته.

﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ أي: فلذلك قدر عَمنا وابتلاء، ليظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه بمجرده، لأنهم قد يحتجون على الله، أنهم لو ابتُلُوا لَكَبَنُوا.

. (۱۲ ـ ۱۳) ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون *

وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون كينبر تعالى عن افتراء الكفار ودعوتهم للمؤمنين إلى دينهم، وفي ضمن ذلك، تحذير المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع في مكرهم، فقال: ﴿وقالَ الذينَ كَفَرُوا لَلَّذِينَ آمَنُوا اتبعوا سبيلنا، فاتركوا دينكم أو بعضه واتبعونا في ديننا، فإننا نضمن لكم الأمر﴿ولنحمل خطاياكم﴾ .وهذا الأمر ليس بأيديهم، فلهذا قال: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ﴾ لا قليل ولا كثير. فهذا التحمل، ولو رضى به صاحبه، فإنه لا يفيد شيئاً، فإن آلحق لله، والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره وحكمه، وحكمة «أن لا تزر وازرة وزر أخرى».

ولما كان قوله: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ﴾ قد يتوهم منه أيضاً، أن الكفار الداعين إلى كفرهم -ونحوهم ممن دعا إلى باطله _ليس عليهم إلا ذنبهم الذي ارتكبوه، دون الذنب الذي فعله غيرهم، ولو كانوا متسببين فيه، قال: [خبراً عن هذا الوهم](١) ﴿وليحملن أثقالهم﴾أي:. أثقال ذنوبهم التي عملوها ﴿وَأَثْقَالاً مع أثقالهم وهي الذنوب التي بسببهم ومن جراتهم، فالذنب الذي فعله التابع [لكل من التَّابع]، والمتبوع حصته منه، هذا لأنه فعله وباشره، والمتبوع [لأنه] تسبب في فعله ودعا إليه، كما أن الحسنة إذاً فعلها التابع له أجرها بالمباشرة، وللداعي أجره بالتسبب. ﴿ وليسألن يوم القيامة عمّا كانوا يفسرون من الشر وتريينه، [وقولهم](٢) ﴿ولنحمل خطاياكم﴾.

﴿ الله عَلَمُ الله ﴿ وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قُومَ فَلَبِثُ فِيهِمَ أَلْفُ سَنَةً إِلا خَسِينُ عَاماً فَأَخَذُهُم الطوفان وهم ظالمون * فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين يخبر تعالى عن حكمه وحكمته في عقوبة (٣) الأمم المكذبة،

⁽٣) في ب: عقوبات.

وأن الله أرسل عبده ورسوله نوحاً عليه الصلاة السلام إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والنهى عن الأنداد والأصنام، ﴿فلبِث فيهم﴾ نبياً داعياً ﴿ أَلْفَ سَنَّةً إِلَّا خُسِينَ عَاماً ﴾ وهو لا يَنِي بدعوتهم، ولا يفتر في نصحهم، يدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، فلم يرشدوا ولم يهتدوا، بل استمروا على كفرهم وطغيانهم، حتى دعا عليهم نبيهم نوح عليه الصلاة والسلام، مع شدة صبره وحلمه واحتماله، فقال: ﴿رَبُّ لَا تَذْرُ عَلَى الأرض من الكافرين دياراً ﴿ فَأَحْذُهُم الطوفان الله الذي نزل من السماء بكثرة، ونبع من الأرض بشدة ﴿وهم ظالمون مستحقون للعذاب.

﴿فَأَنْجِينَاهُ وأصحاب السفينة ﴾
الذين ركبوا معه، أهله ومَنْ آمن به.
﴿وجعلناها ﴾ أي: السفينة، أو قصة
نوح ﴿آية للمالمين ﴾ يعتبرون بها، على
أن مَنْ كذّب الرسل، آخر أمره
الهلاك، وأن المؤمنين سيجعل الله لهم
من كل هَمَّ فرجاً، ومن كل ضيق
غرجاً.

وجعل الله أيضاً السفينة، أي: جنسها آية للعالمين، يعتبرون بها رحة ربهم، الذي قيض لهم أسبابها، ويسر لهم أمرها، وجعلها تحملهم وتحمل متاعهم من محل إلى عل ومن قُطرٍ إلى قُطر.

شيء قدير * يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون * وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ومسالكسم مسن دون الله مسن ولي ولا نصير﴾ يذكر تعالى أنه أرسل خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى قومه، يدعوهم إلى الله، فقال [لهم]: ﴿اعسبدوا الله ﴾ أي: وحدوه، وأخلصوا له العبادة، وامتثلوا ما أمركم به، ﴿واتقوه﴾ أن يغضب عليكم، فيعذبكم، وذلك بترك ما يغضبه من المعاصى، ﴿ذلكم﴾ أي: عبادة الله وتقواه ﴿خير لكم﴾ من ترك ذلك، وهذا من باب إطلاق «أفعل التفضيل» بما ليس في الطرف الآخر منه شيء، فإن ترك عبادة الله، وترك تقواه، لا خير فيه بوجه، وإنماكانت عبادة الله وتقواه خيراً للناس، لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا والآخرة إلا بذلك، وكل خير يوجد في الدنيا والآخرة، فإنه من آثار عبَّادة الله وتقواه. ﴿إنْ كَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فاعلموا الأمور وانظروا ما هو أولى بالإيثار، فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام، وبين لهم نقصها وعدم استحقاقها للعبودية، فقال: ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً كتنحتونها وتخلقونها بأيديكم، وتخلقون لها أسماء الآلهة، وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تدعون من دون الله ♦ في نقصه، وأنه ليس فيه ما يدعمو إلى عبادته، ﴿لا يملكون لكم رزقاً﴾ فكأنه قيل: قد بان لنا أن حذه الأوثان مخلوقة ناقصة، لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وأن من هذا وصفه، لا يستحق أدني أدني أدنى مثقال مثقال مثقال ذرة من العبادة والتأله، والقلوب لا بدأن تطلب معبوداً تألهه وتسأله حوائجها، فقال ــ

CON ENTERN QUIET RO الْ فَعَاكَانِ حَوَابَ قَدِيمِةِ الْآنَ قَالُواْ آفْتُكُو ۗ أَوْحَدَقُوهُ فَأَجَمَهُ لَّهُمْ اللَّهُ مِنَ النَّالُمَانَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتِ لِقَوْمِرِ فَصِوْنَ ۞ وَقَالَ النَّمَا أَغَّنَا ثُرُمِن دُونِ أَمَّو أَوْلَنَا مُودَّةً مَنْ يَكُمُونِ الْ ٱلْكَيَّافِةُ ٱلدُّنْكُ أَنَّا وَمَا لِقَيْكَمَةِ يَكُفُرُ يَغْضُكُم يَغْضُ وَمَلْكُنُ مِعْضُكُ مِبَعْضًا وَمَأْوَلِكُمُ ٱلنَّارُوَمَالَكُم اللهِ عَن نَصِيتَ ﴿ وَنَاسَ لَدُلُوطٌ وَقَالَ إِنِّ مُعَاجِرًا لَا رَبِي إِنَّهُ وُوَالْمَ يِنِزُاكُمْكِيمُ ۞ وَوَهَبْ الْهُوَإِسْحَاقَ ال وَيَعْفَ قُوبَ وَيَحْمَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّهُوَّةَ وَٱلْكِنْبَ وَمَالَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي النُّنْ أَوْانَهُ فِي الْآخِرَةِ لِي الصَّالِحِينَ ٥ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ مِنْ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِثَةَ مَاكِبَقَكُمْ يِهَامِنُ أَحَامِيْنِ ٱلْعَالَمِينَ ۞ إُ أَيِّنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّحَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّهِيلَ وَتَأْتُونَ إِن اَدِيكُ مُ النَّكُرُ فَأَكَانَ جَوَابَ قَمْهِ مَ إِلَّا أَن فَ الْوَا آنَانَ إِمَا مَا اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّالِيقِينَ ﴿ وَالْسَدِينَ الْمُسْدَنِي عَلَ الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۞ TOWN THE WORK OF THE PARTY OF T

الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة مَنْ دعاه في أمسر دينه ودنياه (۱) واعبدوه واعبدوه واعبدوه لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير، وواشكروا له وحده، لكون جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النِعَم فمنه، وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها

﴿ إليه ترجعون ﴾ يجازيكم على ما عملتم، وينبئكم بما أسررتم وأعلنتم، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم، وارخبوا فيما يقربكم إليه، ويثيبكم _عند القدوم _عليه.

كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾.

﴿قل﴾لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: ﴿سيروا في الأرض﴾بأبدانكم وقلوبكم ﴿فانظروا من الآدميين والحيوانات، لا تزال من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئاً فشيئاً، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتاً بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائماً في بدء وإعادة، فانظر

وَلَأَحَانَتُ وُمُلُكَا إِزَهِي مِرَالْبُشْرَيٰ قَالُولْ إِنَّا مُهْلِكُولًا أَهْلُ هَلَا ذِوَالْقُرِّيَّةُ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْظُلِمِينَ ۞ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطَأْفَ الْوَاغَنُ أَعَكُرُ بِنَ فِيمَّا لَنُنَجِّينَ عُوَأَهَلَهُ وَ إِلَّا اُمِّهَ أَلَهُ كَانَتْ مِنَ الْعَكِمِينَ ۞ وَكَا أَنْ جَلَعَتْ رُسُلُنَا لُوطَايِعَ : يِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفَ وَلَا تَحْدَزُنَّ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَلَكَ كَانَتْ مِنَ الْعَلَيْمِينَ ۞ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَلَوْالْقَرَّيَّةِ رِجْزَايِّرِيَ السَّكَلَةِ بِمَاكَ أَوْايَفْسَقُونَ ۞ وَلَقَدَ رَّيْحُنَامِنْهِ ۖ آءَاكِةَ بَيُّنَةَ لِقَوْمِ يَسْقِلُونَ ۞ وَالَّكَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ مُشْعَيْبًا فَقَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُواْ اللَّهُ وَأَنْهُواْ المؤرز الأخرولا فتنقل فالأزن مفيدين فتكذَّبُوهُ فَأَخَذَتُهُمُ الرَّحْفَ فَأَصْبَحُوا فِ دَارِهِمْ جَليْمِينَ ۞ وَعَاذَا وَكَمُودًا وَقَدَ بُّتَيْنَ لَكُم يَن مَّسَكِينِهِ مُ وَزَيِّ لَهُمُ الشَّيْطَالِ أَعْمَالَهُمْ مَسَدَّةُ مُرْعَى السَّهِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْعِيدِينَ ٥ ACTUADE ... BORGEON

إليهم وقت موتتهم الصغري ـ النومَ ـ وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: «الحمد لله الذي أحياناً بعدما أماتنا وإليه النشور». ولهذا قال: ﴿ أُمُّ الله كِ بعد الإعادة ﴿يُنشيءُ النشأة الأخرة﴾ وهي النشأة التي لا تقبل موتاً ولا نوماً، وإنما هو الخلود والدوام في إحدى الدارين. ﴿إِن الله على كُلُّ شَيء قدير ﴾ فقدرته تعالى لا يعجزها شيء، وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقدرته على الإعادة من باب أولى وأحرى.

﴿يعذب مَنْ يشاء ويرحم مَنْ يشاء ﴾ أي: هـو المنفرد ببالحكم الجزائي، وهو إثابة الطائعين ورحتهم، وتعذيب العاصين والتنكيل بهم. ﴿وَالِيه تقلبون ﴾ أي: ترجعون إلى الدار، التي بها تجري عليكم أحكام عذابه ورحته، فاكتسبوا في هذه الدار، ما هو من أسباب رحته من الطاعات، وابتعدوا من أسباب عذابه، وهي المعاصي.

﴿وَمَا أَنتُم بِمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ أي: يا هـؤلاء المكذبون، المتجرؤن على المعاصي،

لا تحسبوا أنه مغفول عنكم، أو معجزون لله في الأرض ولا في السماء، فلا تغرنكم قدرتكم وما

زينت لكم أنفسكم وخدعتكم، من النجاة من عذاب الله، فلستم بمعجزين الله في جميع أقطار العالم.

﴿ وما لكم من دون الله من ولي ﴾ يتولاكم، فيحصل لكم مصالح دينكم ودنياكم، ﴿ ولا نصير ﴾ ينصركم، فدفه عنك الكاره

فيدفع عنكم المكاره. ﴿٢٣﴾ ﴿والذين كفروا بآيات الله

نوعان:

ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك بهم عذاب أليم غنبر تعالى مَنْ هم الذين زال عنهم الخير، وحصل لهم قالسر، وأنهم الذين كفروا به وبرسله، ويما جاؤوهم به، وكذبوا بلقاء الله، افليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك قدموا افليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك قدموا اولعاصي، لأنه ليس في قلوبهم ما يخوفهم من عاقبة ذلك، ولهذا قال المتعالى: ﴿أُولئك ينسوا من رحمتي﴾ تعالى: ﴿أُولئك ينسوا من رحمتي﴾ يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في من رحمة الله من أعظم المحاذير، وهو من رحمة الله من أعظم المحاذير، وهو ومن

إياس الكفار منها، وتركهم جميع عنهم عقابه.
سبب يقربهم منها، وإياس العصاة، ﴿٢٦ – / بسبب كثرة جناياتهم أوحشتهم، إني مهاجر فملكت قلوبهم، فأحدث لها الإياس، الحكيم * و ﴿وَأُولِئْكُ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ ﴾ أي: مؤلم وجعنا في فأ موجع. وكأن هذه الآيات معترضات أجره في السرح كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، الصالحين وردهم عليه، والله أعلم بذلك.

﴿٢٤ _ ٢٥﴾ ﴿ فسما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فانجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة اللنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ أي: فما كان بجاوبة قوم إبراهيم إبراهيم حين دعاهم إلى ربه قبول دعوته، والاهتداء بنصحه، ورؤية نعمة الله عليهم

بإرساله إليهم، وإنما كان مجاوبتهم له شر مجاوبة .

وقالوا اقتلوه أو حَرِّقوه ﴾ أشنع القتلات، وهم أناس مقتدرون، لهم السلطان، فألقوه في النار وفانجاه الله المناه

﴿إِن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ فيعلمون صحة ما جاءت به الرسل، وبرَّهُمْ ونصحهم، وبطلان قول من خالفهم وناقضهم، وأن المعارضين للرسل كأنهم تواصوا وحث بعضهم بعضاً على التكذيب.

وقال الهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه: ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة اللدنيا الدنيا ستنقطع وتضمحل، ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن القيامة يكفر بعضكم أي: يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر ﴿وإذا بعبادتهم كافرين فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه يتبرأ من عابديه ويلعنهم؟ يعلم أنه يتبرأ من عابديه ويلعنهم؟ والمعبودين ﴿النار وليس أحدد والمعبودين ﴿النار وليس أحدد والمعبودين ﴿النار وليس أحدد والمعبودين ﴿النار وليس أحدا والمعبودين ﴿النار وليس أحدد والمعبودين ﴿النار والمعبودين والمعبودين والمعبودين ﴿النار والمعبودين ﴿النار والمعبودين ﴿النار والمعبودين ﴿النار والمعبودين ﴿النار والمعبودين والمعبودين ﴿النار والمعبودين ﴿النار والمعبودين والمعبودين

﴿٢٧ ـ ٢٧﴾ ﴿نآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ أي: لم يزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو قومه، وهم مستمرون على عنادهم، إلا أنه آمن له بدعوته لوط، الذي نبأه الله، وأرسله إلى قومه كما سيأت ذكره.

ينصرهم من عذاب الله، ولا يدفع

﴿وقال﴾ إبراهيم حين رأى أن دعوة قومه لا تفيدهم شيئاً: ﴿إِنِي مهاجر إلى ربي﴾ أي: هساجر أرض السسوء، ومهاجر إلى الأرض المباركة، وهي الشام، ﴿إِنه هو العزيز﴾ أي: الذي له القوة، وهو يقدر على هدايتكم، ولكنه حكيم ما اقتضت حكمته ذلك، ولما اعتزلهم وفارقهم، وهم بحالهم، لم

يذكر الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم.

فأماً ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك الأمم الكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم [وأحلمهم] وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذاباً عاماً.

ا ومما يدل على ذلك، أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال.

ووهبنا له إسحاق ويعقوب أي: بعدما هاجر إلى الشام ووجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بالنبي (١) عمد ﷺ وعليهم أجمين.

وهذا [من] أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون. ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ من الزوجة الجميلة فائقة الجمال، والرزق الواسع، والأولاد، الذين بهم قرت عينه، ومعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه.

﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ بل هو ومحمد صلى الله عليهما وسلم أفضل الصالحين على الإطلاق، وأعلاهم منزلة، فجمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة.

﴿٢٨ ـ ٣٥ ﴾ ﴿ولوطاً إذ قال لقومه مضوا حتى أُتوا لوطاً، فساءه بجيئهم، المنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من وضاق بهم ذرعاً، بحسيث إنه لم أحد من العالمين * أثنكم لتأتون يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في السبيل الضيوف، فخاف عليهم من

ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اثتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين * قال رب انصرني على القوم المفسدين إلى آخر القصة. تقدم أن لوطاً عليه السلام آمن لإبراهيم، وصاد من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي إراهيم.

فقوله تعالى: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴿وإن كان عاماً، فلا يناقض كون لوط نبياً رسولاً وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطاً اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه وأكمل بمن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أما

فأرسل الله لوظاً إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، ونشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبين لهم قبائحها في نفسها، وما تؤول إليه من المعقوبة البليغة، فلم يرعووا ولم يذكروا. ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾

فأيس منهم نبيهم، وعلم استحقاقهم العذاب، وجزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم و ﴿قال ربّ انصري على القوم المسدين فاستجاب الله دعاءه، فأرسل الملائكة وبشروه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ثم سألهم إبراهيم أين يريدون؟ فأخبروه أنهم يريدون إهلاك قوم لوط، فجعل يراجعهم ويقول: وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ثم مضوا حتى أتوا لوطأ، فساءه بجيئهم، وضاق بهم ذرعاً، بحييث إنه لم يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء السبيل الضيوف، فخاف عليهم من

قومه، فيقالواله: ﴿لا تخيف ولا تحزن﴾ وأخبروه أنهم رسل الله. ﴿إِنَا مِنجُوكُ وأَهْلُكُ إِلَّا امْرَأَتُكُ كَانْتُ من الغابرين * إنّا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً ﴿أَي: عذاباً ﴿من السماء بما كانوا يفسقون المروه أن يسرى بأهله ليلاً، فلما أصبحوا، قلب الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سَمَرَأ من الأسمار، وعبرة من العِبر، ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون اي: تركنا من ديار قوم لوط، آثاراً بينة لقوم يعقلون العِبر بقلوبهم، [فينتفعون بها]، كما قال تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلاً تعقلون﴾ .

﴿٣٧ – ٣٧﴾ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجو اليوم الآخر ولا تعشوا في الأرض مفسدين * فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾أي: فأصبحاة الشهورة ﴿شعيباً ﴾فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجاته، والعمل له، ببخس المكاييل والموازين، والسعي ببخس المكاييل والموازين، والسعي عذاب الله ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾

وعاداً وثمود وقد تبین لکم من مساکنهم وزین لهم الشیطان أعمالهم فصدهم عن السبیل وکانوا مستبصرین * وقارون وفرعون فاستکبروا في الأرض وما کانوا فاستکبروا في الأرض وما کانوا أرسلنا علیه حاصباً ومنهم من أخذته المستحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومكن کانوا أنفسهم يظلمون أي : ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي : وكذلك ما فعلنا بعاد وثمود، وقد علمتم قصصهم، وتبين لكم بشيء

تشاهدونه بأبصاركم من مساكنهم رسلهم بالآيات البينات، المفيدة للبصيرة، فكذبوهم وجادلوهم.

﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ حتى ظنوا أنها أفضل مما جاءتهم به الرسل، وكذلك قارون، وفرعون، وهامان، حين بعث الله إليهم موسى بن عمران، بالآيات البينات، والبراهين الساطعات، فلم ينقادوا، واستكبروا في الأرض، [على عباد الله فأذلوهم، وعلى الحق فردوه فلم يقدروا على النجاء حين نزلت بهم العقوبة] ﴿وما كانوا سابقين﴾ الله، ولا فائتين، بل سلّموا واستسلموا.

﴿فكلاً من هؤلاء الأمم المكذبة ﴿ أَخِذْنَا بِذُنِّيهِ ﴾ على قدره، وبعقوبة مناسبة له ، ﴿فمنهم مَنْ أرسلنا عليه حاصباً أي: عذاباً يحصبهم، كقوم عاد، حين أرسل الله عليهم الريح العقيم، و ﴿سخرها عليهم سبع ليالَ وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾.

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ ﴾ كقوم صالح، ﴿ومنهم مَنْ خسفنا به الأرضَ الله كالمارون، ﴿ومنهم مَنْ أغرقنا﴾ كفرعون وهامان وجنودهما.

﴿وماكان الله أي: ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمالً عدله، وغناه التام عن جميع الخلق. ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون منعوها حقها التي هي بصدده، فإنها مخلوقة لعبادة الله وحده، فهؤلاء وضعوها في غير موضعها، وأشغلوها بالشهوات والمعاصى، فضروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها.

﴿ ١٤ ـ ٤٣ ﴾ ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتأ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون، هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن

الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل وآثارهم التي بانوا عنها، وقد جاءتهم والعنكبوت، اتخذت بيتاً يقيها من الحر والسبسرد والآفسات، ﴿وإن أوهسن البيوت، أضعفها وأوهاها ﴿لبيت العنكبوت) . فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفاً إلى ضعفهم، ووهناً إلى وهنهم.

فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل

فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال مَن اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرؤوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تولاه عبده وتوكل عليه، كفاه مؤونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله .

ولما بيَّن نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي تجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهُ يَعْلُمُ مَا يدعون من دونه من شيء ﴾ أي: إنه تعالى يعلم ـ وهو عالم الغيب والشهادة _ أنهم ما يدعون من دون الله شيئاً موجوداً، ولا إلهاً له حقيقة، كقوله تعالى: ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ وقوله: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون♦.

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الذي له القوة جميعاً، التي قهر بها جميع المخلوقات، ﴿الحكيمِ الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كلّ

شيء خلقه، وأتقن ما أمره. ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس.

﴿وَ لَكِن ﴿ما يعقلها ﴾ بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب ﴿ إِلاَّ العالمون ﴾ أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم .

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثُّ على تدَّبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن مَنْ لم يعقلها ليس من العالمين.

والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

وأما مَنْ لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولي وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها.

﴿ ٤٤﴾ ﴿ خلق الله السماوات والأرض بسالحسق إنّ فسى ذلسك لآيسةً للمؤمنين ﴾ أي: هو تعالى المنفرد بخلق السماوات، على علوها وارتفاعها وسعتها وحسنها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والملائكة، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والبراري والقفار والأشجار ونحوها، وكل ذلك خلقه بالحق، أي: لم يخلقها عبثاً ولا سدى، ولا لغير فائدة، وإنما خلقها، ليقوم أمره وشرعه، ولتتم نعمته على عباده، وليروا من حكمته وقهره وتدبيره، ما يدلهم على أنه وحده معبودهم ومحبوبهم وإلههم. ﴿إِنْ فَي ذلك لآية للمؤمنين ﴿ على كثير من THE PROPERTY OF THE PARTY OF TH وَقَدُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَكَنَّ وَلَقَدْجَآءَ هُرُهُوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَكُلَّا لَغَذْنَا مِذَنْبِهُ مِنْ أَمْرَمْنَ أَرْسَكُنَا عَلَيْهِ حَاصِيًا وَمِنْهُمُ مِنْ أَخِكَةُ مُالصَّبَحَةُ وَمِنْهُمُ مَنْ خَسَفْتَ البِهِ ٱلأَرْضَ وَمِنْهُمُ مِّنْ أَغْرَقْنَأُ وَمَاكَاتَ ٱللَّهُ لِيَغَلِّهِ مَهُمَّ وَلَيْكِيْ كَافَأَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ مَثَـُلُ ٱلَّذِينَ أغََّـُ دُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيكَ أَهَ كَمَثَلُ الْمَنْكِبُوتِ ٱتَّفَ لَذَ يَيْتُ أَمَانَ أَوْهَ لَ الْيُونِ لَبَيْتُ ٱلْمَنْكَ بُونِيَّ لَوْكَ الْوَالِيَّةُ لَمُونَ ۞ إِنْ اللَّهُ يَعْدُمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِيهِ مِن ثَمَّ وَوَهُوَ أَلْسَ نِيزُ أَكْمَكِيدُ ﴿ وَمَلْكَ ٱلْأَمْثَ لُ نَفْرِيْهُ كَالِلْتَ اللَّهِ وَمَا يَعْقِلُهُ كَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ @خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّسَلَوْتِ وَٱلْأَرْضِ إِلْحَيَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ الله المن المستقال المن المن المن المستقيد ا وَأَقِيهِ الصَّكَاوَةُ إِنَّ العَبَكَاةِ لَنْعَلِ عَنِ ٱلْفَحْشَكَةِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَذِحَهُ اللَّهِ أَحْبُرُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنافَعُونَ ٥

مناظرة أهل الكتاب، على هذا الطريق، فيه إلزام لهم ببالإقرار ببالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام.

فأما أن يقال: نؤمن بما دلَّ عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو يسرجع إلى قوله بالتكذيب، لأنه إذا كذَّب القرآن الدال عليها، المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن.

وأيضاً، فإن كل طريق تثبت به (۳) نبوة أي: نبي كان، فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد على، وكل شبهة يقدح بها في نبوة محمد على، فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في عقد على أظهر وأظهر.

وقوله: ﴿وتحن له مسلمون﴾ أي: منقادون مستسلمون لأمره. ومَنْ آمن الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى، لأن الصلاة أفضل من الذكر خارجها، ولأنها _كما تقدم _بنفسها من أكبر

﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه.

﴿٤٦﴾ ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي أحسن إلاَّ الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون پنهي تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الساطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها

﴿ وقولوا آمنًا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد) أي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم [على وجه] يحصل به (٢) القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وبماطل، فيهذا ظلم وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من آلحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً. وأيضاً، فإن بناء المطالب الإيمانية، إذا تدبرها المؤمن رأى ذلك فيها عياناً.

﴿ ٤٥﴾ ﴿ اتبل منا أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه، بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهي عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخلة في تلاوة الكتاب. فيكون قوله: وواقم الصلاة ﴾ من باب عطف الخاص على العام، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة، وهي ﴿إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكّر ﴾.

والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس.

والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر.

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، التمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وثَّمُّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن. فإن الله تعالى، إنما خلق الخلق(١) لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: **﴿ولذ**كر الله أكبر﴾.

ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج

• وَلَا يُجِيدُ لُواْ أَمْلَ ٱلْكِنْكِ إِلَّا إِلَّهِ مِنْ أَحْدُ اللَّهِ الَّذِينَ طْلَمُولِمِنْ فَرَّوْقُولُوا مَاكَا بِالَّذِي أُنزلَ إِلَيْكَ وَأُنزلَ إِلَيْكَ وَأُنزلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُ كُمْ وَلِيدٌ وَتَعْنُ لَهُمُسَامُون ۞ وَلَا لِكَ أَنْكَ آلِيكَ ٱلْكِتَابُ ٱلَّذِيكَ النَّيْنَ مُرَّالْكِتُكِ يُوْمِنُونَ بِقِهُ وَمِنْ هَلُوْلَاءِ مَن قُلِمِنُ بِقِدُ وَمَا يَجْعَدُ بِعَالِمِلْنَا إلَّا ٱلْكَافِرُونَ ﴿ وَمَاكُنتَ تَشَلُّوا مِن قَبْهِمِين كِنَا وَلا غَشَلُهُ يَسَنِكُ إِذَا لَآتِنَاكِ ٱلنَّبِطِلُون @ بَلْ هُوَءَ لِلتَّابِيَنَاتُ فِي صُدُورِ الذِيكَ أُوتُوا الْمِدَّ وَمَا يَخِحَدُ بِعَايَتِنَاۤ إِلَّالظَّالِمُونَ ۞ وَقَالُوالَّوْلَا أَمْزِلَ عَلَيْهِ مَالِئَتُ مِن نَيِيِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَكَ عِن اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنْ أَنْ أَنْ يُرْمُيُّهِ بِي المَوْرَةِ مَعْدِهِمْ أَنْ أَرَانُ اعْلَيْكَ ٱلْكِنْبُ يُشْلِ عَلَيْهِ أَلِثَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكَرَمِكَ لِمُسَوْرِ يُوْمِنُونَ ۞ قُلْكَ فَلَ إِلَّهُ وَبَيْنِي وَيَيْنَكُمْ شَهِيدًاً يَمْلُمُ مَا فِي السَّلُونِ وَالْأَرْضِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينِ مَا مَنُواْ إِلْمُنْطِيلِ وَكَفَرُوا بِالْقُواْوَلَيْمِكَ مُرَاعْظِيلِ وَكَفَرُونَ ٥ TO MODELLY MODELLO

به، واتخذه إلها، وآمن بجميع كتبه ورسله، وانقاد لله واتبع رسله، فهو السعيد، ومَنْ انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقى.

﴿٧٤ _ ٤٤﴾ ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ أي: ﴿وكذلك أزننا إليك﴾ يا محمد، هذا ﴿الكتاب﴾ الكريم، المبين كل نبأ عظيم، الداعي إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل، المصدق للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون.

فالذين آتيناهم الكتاب فعرفوه حق معرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى. ﴿يؤمنون به ﴾ لأنهم تيقنوا صدقه، بما لديهم من الموافقات، وبما عندهم من البشارات، وبما تميزوا به من معرفة الحسن والقبيح، والصدق والكذب.

﴿ومن هؤلاء﴾ الموجودين ﴿مَنْ يؤمن به﴾ إيماناً على بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته. ﴿وما يجحد بآياتنا إلا المحافرون﴾ الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له. وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق،

وإلاّ، فكل مَنْ له قصد صحيح، فإنه لا بدأن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات، لكل مَنْ له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وممايدل على صحته، أنه جاء به

هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطأ، ولا يقرأ خطأ مكتوباً، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التى لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز الحميد، ولهذا قال: ﴿وما كنت تتلو﴾ أي: تقرأ ﴿من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً ﴾ لو كنت هذه الحال ﴿لارتاب المبطلون﴾ فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتاباً جليلاً، تحديث به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجارياً له أو على منواله، ولهذا قال:

و 24 ﴾ ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴾.

أي: ﴿بل﴾ هذا القرآن ﴿آيات بينات﴾ لا خفيات، ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم.

فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلما، ولهذا قال: ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ لأنه لا يجحدها إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه.

﴿ ٥٠ _ ٥٠ ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون * قلُّ كفي بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرضُ والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخامسرون، أي: واعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول ولما جاء به، واقترحوا عليه نزول آيات عينوها، كقولهم: ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ الآيات. فتعيين الآيات ليس عندهم، ولا عند الرسول ﷺ، فإن في ذلك تدبيراً مع الله، وأنبه لبوكيّان كبذليك، وينبغي (١) أن يكون كذلك، وليس لأحد من الأمر شيء. ولهذا قال: ﴿ قِل إِنْ مِا الآيات عَنْدُ الله ﴾ إن شاء أنزلها أو منعها ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ وليس لي مرتبة فوق هذه المرتبة.

وإذا كان القصد بيان الحق من الباطل، فإذا حصل المقصود - بأي: طريق - كان اقتراح الآيات المعينات على ذلك ظلماً وجوراً، وتكبراً على الله وعلى الحق.

بل لو قدر أن تنزل تلك الآيات، ويكون في قلوبهم أنهم لا يؤمنون بالحق إلا بها، كان ذلك ليس بإيمان، وإنما ذلك شيء وافق أهواءهم، فآمنوا، لا لأنه حق، بل لتلك الآيات.

فأي: فائدة حصلت في إنزالها على التقدير الفرضي؟

ولما كان القصود بيان الحق، ذكر تعالى طريقه، فقال: ﴿ أُولُم يَكْفُهُم ﴾ في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به ﴿ أَنَّا أَنْزِلْنَا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات السبينات، والسدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجرده وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم (١١)، آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهراً علانية، يتلي عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قبل فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم یخفه، ولم یثن ذلك عزمه، بل صرح به على رؤوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟ .

ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين (٢)، والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع.

ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه، فما أمر بشيء فقال العقل «ليته لم يأمر به»، ولا نهى عن شيء فقال العقل: «ليته لم ينه عنه، بلُّ هو مطابق للعدلُ والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول [ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به] (٣).

فجميع ذلك يكفى من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى الله من لم يكسف القرآن، ولا شفى الله مَنْ لم يشفه الفرقان، ومَنْ اهتدي به واكتفى، فإنه خير له (٤)، فلذلك قال: ﴿إِنْ فِي ذَلَكُ لرحمة وذكري لقوم يؤمنون ﴾ وذلك لما يحصلون فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار

﴿قُلْ كُفِي بِاللهِ بِينِي وبِينِكِم شهيداً فأنا قد استشهدته، فإن كنت كاذباً، أَحَلُّ بِي ما به تعتبرون، وإن كان إنما يؤيدني وينصرني وييسر لي الأمور،

فلتكفِكم هذه الشهادة الجليلة من الله، فإن وقع في قلوبكم أن شهادته _ وأنتم لم تسمعوه ولم تروه ـ لا تكفي دليلاً، فإنه ﴿يعلم ما في السماوات والأرض، ومن جملة معلوماته حالي وحالكِم، ومقالي لكم (٥) فلو كنتُ متقولاً عليه، مع علمه بذلك، وقدرته على عقوبتي، لكان [قدحاً في علمه وقدرته وحكمته] كما قال تعالى: ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين # ثم لقطعنا منه الوتين، 🗣 .

﴿ وَالَّذِينَ آمِنُوا بِالْبِاطِلِ وَكُفِّرُوا بِاللَّهِ أولىئك هم الخاسرون، حيث هم خسروا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحيث فاتهم النعيم المقيم، وحيث حصل لهم في مقابلة الحق الصحيح كل باطل قبيح، وفي مقابلة النعيم كل عذاب أليه، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

﴿٥٥ _ ٥٥﴾ ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون * يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين * يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ يخبر تعالى عن جهل المكذبين للرسول وما جاء به، وأنهم يقولون ــ استعجالاً للعذاب، وزيادة تكذيب _ ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾؟

يقول تعالى: ﴿ولولا أجل مسمى﴾ مضروب لنزوله، ولم يأت بعد، ﴿ لِحَاَّهُمُ العذابُ ﴾ بسبب تعجيزهم لنا وتكذيبهم الحق، فلو آخذناهم بجهلهم، لكان كلامهم أسرع لبلاتهم وعقوبتهم، ولكن _مع ذلك _ فلا يستبطئون^(١) نزوله، فإنه سيأتيهم ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾ . فوقع كما أخبر الله تعالى، لما قدموا لـ «بدر» بطرين مفاخرين، ظانين أنهم قادرون

على مقصودهم، فأهانهم (٧) الله، وقتل كبارهم، واستوعب جملة أشرارهم، ولم يبق فيهم بيت إلا أصابته تلك المصيبة، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ونزل بهم وهم لا يشعرون. هذا، وإن لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي، فإن أمامهم العذاب الأخروي، الذي لا يخلص منهم أحد منه، سواء عوجل بعذاب الدنيا أو

﴿وإن جهنم لحيطة بالكافرين﴾ ليس لهم عنها معدل ولا متصرف، قد أحاطت بهم من كل جانب، كما أحاطت بهم ذنوبهم وسيشاتهم وكفرهم، وذلك العذاب، هو العذاب الشديد .

﴿ يُوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ فإن أعمالكم انقلبت عليكم عذاباً، وشملكم العذاب كما شملكم الكفر والذنوب.

﴿٥٦ ـ ٥٩﴾ ﴿يا عبادي الذين آسنوا إن أرضى واسعة فإيساى فاعبدون * كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) يقول تعالى: ﴿يا عبادي الذين آمنوا﴾ بي وصدقوا رسولي ﴿إِنَّ أرضى واسعة فإياى فاعبدون ﴿ فإذا تعذرت عليكم عبادة ربكم في أرض، فارتحلوا منها إلى أرض أخرى، حيث كانت العبادة لله وحده، فأماكن العبادة ومواضعها، واسعة، والمعبود واحد، والموت لا بد أن ينزل بكم ثم ترجعون إلى ربكم، فيجازي مَنْ أحسن عبادته وجمع بين الإيمان والعمل الصالح بإنزآله الغرف العالية، والمنازل الأنيقة الجامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون.

(Y)

في النسختين: فأحانهم، ولعلها كا

في ب: فإنه رحمة له وخير. (٤)

كذا في ب، وفي أ: ومقالكم. (0)

كذا في ب، وفي أ: يستعجلون. (7)

في ب: وتحديهم إياه. (1) في ب: السالفين.

زیادة من هامش: ب. (٣)

أثبت والله أعلم.

ف ﴿نعم﴾ تلك المنازل، في جنات النعيم ﴿أجر العاملين﴾ لله، ﴿الذين صبروا﴾ على عبادة الله ﴿وعلى ربهم على عبادة الله، قصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك.

وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن كان داخلاً في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به.

﴿٦٠﴾ ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله برزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ أي: الباري تبارك وتعالى، قد وعاجزهم، فكم ﴿من دابة﴾ في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة السعة لل رزقها ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها الرزق، في كل وقت بوقته.

﴿الله يرزقها وإياكم ﴾ فكلكم عيال الله ، القائم برزقكم ، كما قام بخلقكم وتدبيركم ، ﴿وهو السميع المعليم ﴾ فلا يخفى عليه خافية ، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه .

كما قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مين﴾.

﴿ ٦٦ ـ ٣٣ ﴾ ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون * الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم * ولشن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد

موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم مَن خلق السماوات والأرض، ومَن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، ومَنْ بيده تدبير جميع الأشياء؟ ليعجز الأوثان ومن عبدوه مع الله على شيء من ذلك.

فاعجب لإفكهم وكذبهم، وعدولهم إلى مَنْ أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئاً، وسَجِّلْ عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلاً، وأقل بصيرة، ممن أتبي إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا يسنفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار.

وقل: الحمد لله الذي بيّن الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذره الموفقون.

وقل: الحمد لله، الذي خلق العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على مَنْ يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون * فإذا ركبوا في الفلك دعوا لله خلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يسركون * ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون * أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون * ومن أظلم عمن افترى على يكفرون * ومن أظلم عمن افترى على

الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوي للكافرين * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين في تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى، فقال: ﴿وَما هذه الحياة الدنيا﴾ في الحقيقة ﴿إِلاَّ لِهُو وَلِعِبِ لَهُ تِلْهُو بِهِا ٱلقَلُوبِ، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة، ثم تزول سريعاً، وتنقضى جميعاً، ولم يحصل منها محبها إلاعلى الندم وألحسرة والحسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار والحيوان أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجوداً فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات المقلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿لُو كانوا يعلمون﴾ لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بدأن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين.

ئے الزم تعالی المسرکین بإخلاصهم شه تعالی، فی حالة (۱) الشدة، عند رکوب البحر وتلاطم أمواجه وخوفهم الهلاك، يتركون إذا أندادهم، ويخلصون الدعاء شه وحده ونجی (۱) مَنْ أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة، ولا أزال (۱) عنهم مشقة.

فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال

سم. (٣) كذا في ب، وفي أ: زال.

٢) كذا في ب، وفي أ: نجاهم.

وَيَسْتَفْعِلُونَكَ بِٱلْحَدَابِ وَلَوْلًا أَجَلُّ مُّسَحَى لَٰجَلَّةُ هُمُ ٱلْحَدَابُ وَلَيَ أَيْنَا هُرِهَ نُمَّاةً وَهُرَ لَا يَشْعُرُونَ ۞ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَلَابِ وَإِنَّ جَهَنَّرَ لِحُيْطَةً إِلَّا كُفِرِينَ ۞ يَوْمَ يَغْشَلْهُمُ ٱلْعَلَاكِمِين الْ الْوَقِهِ مِرْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِ مِرْ وَيَقُولُ دُوقُواْ مَاكُنتُرْ تَعْمَلُونَ يَعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ الْمَثُوا إِنَّ أَرْضِي وَلِيعَةٌ فَإِنَّلَى قَاعَبُدُونِ كُلُّ مَفْسٍ ذَا بِقَةُ ٱلْمُؤَتِّ ثُمُّ إِلَيْنَا أَتُؤَكِّعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيلُوا الصَّالِحَتِ لَنُبَوْمَنَةَهُ مِينَ ٱلْجُنَّةِ عُمَا أَجْرِي مِن غَيِّهِ كَا ٱلْأَنْهُ رُخَلِدِينَ فِيهَأَيْفَ مَأْجُ وُلِقَالِمِينِ ۞ ٱلَّذِينَ صَبَّرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِ مُ يَتُوكَ لُونَ ۞ وَكُأْيِن مِن دَآجَةِ لَّا تَحْمِلُ رِنْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّيْمِيعُ ٱلْعَلِيمُ۞ وَلَمِن سَأَلَتُهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّكَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَيَسَخُّواَ الشَّمْسَ وَالْفَرَلِقُولُنَّ اللَّهُ قَالَنَا فِوْفَكُونَ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ الله عِبَادِهِ وَيَقَدِّرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ مِنْ وَعَلِيدُ ﴿ وَلَهِ سَأَلْتُهُمُ مِّن تَنْزَلَهِ كَ السَّكَلَةِ مَا أَهُ فَأَحْيَا بِوَالْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْقِهَا إِلَّهُ لِيَعُولُ إِلَيْهُ عُلِي الْحَمْدُولَةُ بَلْ أَكْثَرُهُ لِا يَعْقِلُونَ ۞

O LONG TO LONG فظهر الفرس على الروم، فغلبوهم غلباً لم يحط بملكهم، بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة، وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم(١) أن الروم ستغلب الفرس.

﴿ فِي بضع سنين ﴾ تسع، أو ثمان، ﴿١ - ٧﴾ ﴿بــــم الله السرحمين ونحو ذلك، تما لا يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم، ثم غلبة الروم للفرس، كل ذلك بمشيئته وقدره، ولهذا قال: ﴿لهُ الأمر من قبل ومن بعد ﴿ فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بدأن يقترن بها القضاء والقدر .

﴿ويومئذ﴾أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم ويفرح المؤمنون بنصر الله ينصر مَنْ يشاء ﴾أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس، وإن كان الجميع كفاراً، ولكن بعض الشر أهون من بعض، ويحزن يومئذ المشركون.

﴿وهو العزيزِ الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين، يؤتي الملك مَنَّ يشاء، وينزع الملك تمن يشاء ويعز مَنْ يشاء ويذل مَنْ يشاء. ﴿الرحيم﴾ بعباده المؤمنين، حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم، ما والنصر والهداية. دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسرله أسباب الهداية، وعلى أن مَنْ جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعى من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من السلمين.

> تم تفسير سورة العنكبوت بحمدالله وعونه

تفسير سورة الروم وهي مكية

الرحيم الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الأخرة هم غافلون كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال، ما يكون بين الدول المتوازنة.

وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل، وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس، فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون - الاشتراكهم والفرس في الشرك - يحبون ظهور

الرخاء والشدة، واليسر والعسر، ليكونوا مؤمنين به حقاً، مستحقين ثوابه، مندفعاً عنهم عقابه.

ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم همَّ إلاّ بطونهم وفروجهم.

﴿فسوف يعلمون ﴾حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف وأليم العقوبة .

ثم امتنَّ عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن وسعة ورزق، والناس من حولهم يتخطفون ويخافون، أفلا يعبدون الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

﴿أَفْبَالْبَاطُلُ يَوْمُنُونَ﴾وهو ما هم عليه من الشرك، والأقوال، والأفعال الساطلة. ﴿وبنعمة اللهُ الله ﴿يكفرون ﴿فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم حيث آثروا الضلال على الهدى، والباطل على الحق، والشقاء على السعادة، وحيث كانوا أظلم الخلق.

﴿ وَمَنْ أَطْلُم مِمْنَ افْتُرَى عَلَى اللهِ كذباً ﴾فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، ﴿أُو كذب بالحق لما جاءه ﴾على يد رسوله محمد ﷺ

ولكن هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين ، يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، الذين لا يخرجون منه.

﴿والذين جاهدوا فينا﴾وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، ﴿لنهدينهم سبلنا﴾أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم

﴿ وإن الله لَمَ المحسنين﴾ بالعون الفرس على الروم.

وَمَاهَدُوهِ ٱلْمُيَّوَّةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَمَوْ وَلَمِثْ وَالْتَ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَعِي ٱلْمُنْوَانُ أَوْكَافُواْيَعْ أَمُونَ ۞ فَإِذَا رَكِبُولِيهِ ٱلْفُلُّكِ دَعَوْاُ اللَّهِ تُعْلِمِينِ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَضَافُمْ إِلَى ٱلْبَرّ إِنَاهُمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُدُواْ بِمَآ الْيَنْفَهُمْ وَلِيَتَمَنَّقُواْ مَتَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ أَوَلَرْيَرُواْ أَنَاجَعَ لَنَاحَكُمَا المِنَا وَيُنَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ مُّ أَفِياً لِبُطِلٍ فِيْمِنُونَ وَبِيْعَمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ۞ وَمَنْ أَظَلَمُ مِمَّنِ ٱفْلَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًّا أَوْكَذَبّ بِٱلْمَيِّ لَمُأْجَلَةُ وُوْ أَلِيْسَ فِجَهَمَّرُمَنُوكَ لِلْكَفِيدِ ٢٠ وَالَّذِينَ جَهَدُواْفِينَا لَنَهْدِينَقُرْسُبُلَنَاْوَانَ اللَّهَ لَمَعَ الْقُسِيدِن ٥ ين النفر الن مأفقالة فألتخار الَّذَي غُلِسَتِ الرُّوعُ ۞ فِيَأَدُفَ الْأَرْضِ وَعُدِينَ بَعْدِ غَلِيهِمْ سَيَعْلِوُرَ ۞ فِي مِشْعِ مِسِيْدِ ۖ لِمُواَلَّهُمْ الْمُثَرُّ مِن قِبَلُ وَمِنْ بَعْدُ أُوْمَوْمَ إِذِ يَفْسَحُ ۖ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِتَصْرِ اللهُ يَنصُرُون يَسَكَأَةً وَهُوَ الْعَسَنِيرُ الرَّحِيثُ ٥ TONDADA ... EGRUEO

﴿وعـد الله لا يخـلـف الله وعـده﴾ فتيقنوا ذلك، واجزموا به، واعلموا أنه لا بد من وقوعه.

لا يدخل في الحساب.

فلما نزلت هذه الآيات، التي فيها هذا الوعد، صدق بها المسلمون، وكفر بها المسركون، حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المسركين على مدة صنين عينوها، فلما جاء الأجل، الذي ضربه الله، انتصر الروم على الفرس، وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم، وتحقق وعد الله.

وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها، ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها، من المسلمين وللمسركين. ﴿ولكن أكشر الناس لا يعلمون﴾ أن ما وعد الله به حق، فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته، وهؤلاء الذين لا يعلمون، أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها، وإنما أيعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وفيظ ون إلى الأسباب، ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت

أسباب وجوده، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئاً، فهم واقفون مع الأسباب، غير ناظرين إلى مسببها، المتصرف فيها.

﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها، فعملت لها وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها، وهذا علامة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة.

ومن العجب أن هذا القسم من الناس، قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا، إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.

وأظهروا من العجائب الذرية (۱) والكهربائية، والمراكب البرية والبحرية والمهوائية، ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم، ورأوا غيرهم عاجزاً عمّا أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهم مع ذلك، أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة، في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي باطلهم يترددون (۱). نسوا الله فأنساهم أولئك هم الفاسقون.

ثم (٣) نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه، من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها، و[ما] حرموا من العقل العالي، فعرفوا (٤٠) أن الأمر لله، والحكم له في عباده، وإن هو إلا توفيقه وخذلانه، فخافوا (٥) رجم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم، من نور العقول والإيمان، حتى يصلوا إليه،

ويحلوا بساحته [وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرقي العالي، والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير، منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير](1).

﴿٨ ــ ١٠﴾ ﴿أولم يستىفىكروا فىي أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدمنهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر نما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا سها يستهزؤون﴾ أي: أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسل الله ولقائه ﴿ في أنفسهم فإن في أنفسهم آيات يعرفون (٧) بها، أن الذي أوجدهم من العدم، سيعيدهم بعد ذلك، وأن الذي نقلهم أطواراً من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي، قد نفخ فيه الروح، إلى طفل، إلى شاب، إلى شيخ، إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهمكين، لا ينهون ولا يؤمرون، ولا يثابون ولا يعاقبون.

﴿ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴿ آي البيلوكم أيكم أحسن عملاً . ﴿وأجل مسمى ﴾ أي : موقت بقاؤهما إلى أجل تنقضي به الدنيا ، وتجيء به القيامة ، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات .

﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ فلذلك لم يستعدوا للقائه، ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به، وهذا الكفر عن غير دليل، بل الأدلة القاطعة، قد دلّت على البعث والجزاء،

- (٤) في ب: عدلت إلى: لعرفوا.(٧) كا
 - (٥) في ب: عدلت إلى ولخافوا.
 - ٦) زيادة من هامش ب، لم يتضح أولها
 وقد نقلته من طبعة السلفية.

(٧) كذا في ب، وفي أ: يعرف.

⁽١) كذا في ب، وفي أ: النارية.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: يتردون.

⁽٣) هكذا في النسختين، وقد شطبت الكلمة في ب، وجعل بدلها (ولو).

ويردون القيامة عياناً، يومئذ ﴿يبلس المجرمون﴾ أي: ييأسون من كل خير. وذلك أنهم ما قدموا لذلك اليوم إلا الإجرام، وهي الذنوب، من كفر وشرك ومعاصى، فلما قدموا أسباب العقاب، ولم يخلطوها بشيء من أسباب الثواب، أيسوا وأبلسوا وأفلسوا، وضل عنهم ما كانوا يفترونه، من نفع شركائهم، وأنهم يشفعون لهم، ولهذًا قال: ﴿ولم يكن لهم من شركاتهم﴾ التي عبدوها مع الله ﴿شفعاء وكانوا بشركاتهم كافرين ، تبرأ المشركون عن أشركوهم مع الله، وتبرأ المعبودون، وقالوا: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر، كما

﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا المسالحات آمنوا بقلوبهم، وصدقوا ذلك بالأعمال الصالحة ﴿ فهم في روضة في نيها سائر أنواع النبات وأصناف المشتهيات، ﴿ يمبرون أي: يسرون، وينعمون بالمآكل اللذيذة، والحور الحسان، والخدم، والروائح المشجي، والمناظر العجيبة، والموائح الطيوبات، والمروائح الطيبة، والفرح والسرور، واللذة والحبور، عما لا يقدر أحد أن

افترقت أعمالهم في الدنيا.

(17) ﴿ وأسا النيس كفروا﴾ وجحدوا نعمه، وقابلوها بالكفر ﴿ وكذبوا بآياتنا﴾ التي جاءتهم بها رسلنا ﴿ فأولئك في المذاب عضرون﴾ فيه، قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم، واطلع العذاب الأليم على أفئدتهم، وشوى الحميم وجوههم وقطع أمعاءهم، فأين الفرق بين المنعمين والمعذبين؟!!

﴿١٧ _ ١٩﴾ ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد

وَعْدَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَمُولَكِكَ ٓ أَكُثَرَالنَّاسِ لَا مَعْلَهُ وَ ۞ يَعْلَمُ وَظَامِ إِمِنَ ٱلْحَمَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُرَعَنِ ٱلْآخِـرَةِ هُـمُـرُ غَلِفِلُوبَ ۞ أَوَلَمْ يَنَفَكُّرُوا فِيَ أَنفُسِهُمْ مَاخَلَقَ التَّمَا السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَالِينَنَهُ مَا إِلَّا بِٱلْحَيِّ وَأَجَلِ مُسَمِّقٌ وَإِنَّ حَيْيَرًا مِّنَ النَّامِ لِيَّا آي رَبِّهِ مُلْكَفِرُونَ ۞ أَوَلَّرَيْدِ رُواْفِ ٱلْأَرْضِ فَتَظُرُوا كَيْفَكَانَ عَلِقِيَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبِلِهِ مُرَّالُوٓ أَأْتُ. مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنْكَارُوا ٱلْأَرْضَ وَعَرُوهَا أَكُونَا عَرُوهَا وَجَآةَتُهُمْ رُسُلُهُم إِلَيْتِنَتُ فَأَكَانَ أَلَقَهُ لِظَلِيَعُمْ وَلَكِن كَافُواْ أَنفُ كُمْرَ يَظْلِيتُونَ ۞ ثُرَّكَانَ عَلَقِيمَةَ ٱلَّذِينَ أَسْتَعُواْ الشُّواٰ يَن أَنْ كَنَّهُ أَيْمَا يُنْتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْنِهُ وَنَ ۞ اللَّهُ يَنْدَوُّا ٱلْمُلَقَ ثُرَيْفِيدُهُ مُزُوَالِيَهِ ثَرْعَتُونَ ۞ وَيَوْمَ تَعُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِدُ إِلْقُرِمُونَ ۞ وَلَرْيَكُن لَمْرُيْن فَرَكَّآبِهِمْ شُفَغَقُواْ وَكَافُوا بِشُرَكَ آبِهِ مُركَعِينَ ۞ وَيَقْمَ تَعُومُ السَّاعَةُ يَوْمَهِ ذِينَكَةً فُونَ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ، امْنُوا إِلَمْ وَعَيَلُوا الضَّالِحَتِ فَهُمْ فِي رَفَضَ وَيُعْتَرُونَ ۞ alegal ... Earlean

ني السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون * يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الميت ويخرج الميت من الحيث من الحيث من الحيث عن النهاء والنقص، وتقدسه عن أن يماثله أحد من الحلق، وأمر للعباد أن يسبحوه حين يمسون وحين يصبحون، ووقت الظهيرة.

فهذه الأوقات الخمسة، أوقات الصلوات الخمس، أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل في ذلك، الواجب منه، كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب، كأذكمار المصباح والمساء وأدبار الصلوات، وما يقترن بها من النوافل، لأن هذه الأوقات التي اختارها الله [لأوقات المفروضات هي] أفضل من غيرها [فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها](١) بل العبادة، وإن لم تشتمل على قول اسبحان الله فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل، أن يكون له شريك في العبادة، أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة.

﴿يُخرِجِ الحي من الميت﴾ كما يخرج

ولهذا نبههم على السير في الأرض، والنظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم وخالفوا أمرهم، عمن هم أشد من هؤلاء قوة، وأكثر آثاراً في الأرض، من بناء قصور ومصانع، ومن غرس تغن عنهم قوتهم، ولا نفعتهم آثاره، فلم حين كذبوا رسلهم الذين جاؤوهم بالبينات الدالات على الحق، وصحة ما جاؤوهم به، فإنهم حين ينظرون في بالبينات الدالات على الحق، وصحة ما وخلقاً مهلكين، ومنازل بعدهم وحشة، وذم من الخلق عليهم متتابع. وهذا جزاء معجل، نموذج للجزاء ومبتداً له.

وكل هنذه الأمنم المهلكة، لم يظلمهم الله بذلك الإهلاك، وإنما ظلموا أنفسهم، وتسببوا في هلاكها.

﴿ نَم كَانَ صَاقَبَةَ النّيسَ أَسَاؤُوا السوأى ﴾ أي: الحالة السيئة الشنيعة، وصار ذلك داعياً لهم لأن ﴿ كنّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون ﴾ فهذا عقوبة لسوئهم وذنوبهم.

ثم ذلك الاستهزاء والتكذيب، يكون سبباً لأعظم العقوبات وأعضل المثلات.

﴿ ١١ - ١٦ ﴾ ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون * ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون * ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين * ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يجبرون * وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب يحضرون يجبر تعالى أنه المتفرد بإبداء المخلوقات، ثم يعيدهم، ثم إليه يرجعون بعد إعادتهم، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا ذكر جزاء أهل الخير، فقال: ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ الخير، العالمين، العالمين العالمين، العالمين العالمين، العالمين العالمين العالمين، العالمين العالمين، العالمين العالمين

7岁以此下 وَأَمَّا ٱلَّذِيرَ كَفَرُوا وَكَ ذَبُوا بِنَايَتِنَا وَلِقَابَهَا ٱلْآخِزَ وَفَأُولَا إِنَّا فِ ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُون ﴿ فَمُنْبَحَنَّ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُتَسِيحُونَ ۞ وَلَهُ ٱلْحَتْدُ فِي ٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَيْمَيًّا وَحِينَ تُطْهِرُونَ ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخِنَّ مِنَ الْمُنِّ وَيُخْرِجُ الْمُنَّتَ مِنَ أَغَيِّ وَيُحِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَالِكَ تُغَرِّجُونَ ۞ وَمِنْ مَالِيْمِيَّانُ خَلَقَكُمْ مِن شُرَابٍ ثُوَّلِيّاً النَّهُ بَشَرَّتِنَشِيرُونَ ﴿

وَمِنْ مَالِينِهِ مِنْ أَنْ خَلَقَ لَمَّكُم مِنْ أَنْشِيكُمْ أَزْفِيكَا ﴿

وَمِنْ مَالِينِهِ مِنْ أَنْ خَلَقَ لَمُسُمِّدُ مِنْ أَنْشِيكُمْ أَزْفِيكَا ﴿

عَلَمُ الْعِنْمِ اللَّهِ مِنْ أَنْ خَلَقَ لَمُسْمِدُ مِنْ أَنْشُيلِكُمْ أَرْفَتِهَا لِللَّهِ اللَّهِ عَلَى الْعَلَيْمِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى الْعَلَيْمِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى اللَّهِ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَّى اللَّهِ عَلَى الْعَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى ال لِتَنْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بِيْنَكُم مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي اللَّهِ ذَاكَ لَآيَنَتِ لِفَوْمِ يَنَفَكَ مُرُونَ ۞ وَمِنْ وَلَيْنِهِ خَلْقُ ذلك الاينو الفتورينكة كرور (و و ن مايندينك الله الاينو الفتورينكة كرور (و و ن مايندينك الله المستكون والمرافق الله الله الله المستكون والأولون والمنطقة المستكون والمنطقة المستكون المستكون و و و و و و و المنطقة المنطقة المستكون المنطقة وَٱلنَّهَارِ وَٱلْيَعَآ أَوْكُم مِن ضَمْلِوْ ۚ إِنْ فِي ذَالِكَ ٱلْآيَاتِ لِّغَوْمِرِيَسْمَعُونَ ۞ وَمِنْءَ اِنَدْمِدِيْرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَلْمَعُ اوْيُدَيْنِكُ مِنَ السَّمَاءَ مَاءً فَيَحْيِ مِيوا الْأَرْضَ مِّدَ مَوْقِهَا أَلِكَ فِي ذَالِكَ لَآئِكُ وَلِنَا لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ ﴿ A DE LA CONTRACTOR DE L

النبات من الأرض الميتة، والسنبلة من الحبة، والشجرة من النواة، والفرخ من البيضة، والمؤمن من الكافر، ونحو ذلك.

﴿ويخرج الميت من الحي﴾ بعكس المذكور ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ فينزل عليها المطر وهي ميتة هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ﴿وكذلك تخرجون﴾ من قبوركم.

فهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، فإنه يحيي الأموات، فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين، ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر.

﴿ ٢ - ٢١﴾ ﴿ ومن آيات أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون ﴾ هذا شروع في تعداد آياته الدالة على انفراده بالإلهية ، وكمال

عظمته، ونفوذ مشيئته، وقوة اقتداره، وجيل صنعه، وسعة رحمته وإحسانه، فقال: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ وذلك بخلق أصل النسل، آدم عليه السلام، ﴿نم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ [أي: الذي خلقكم من أصل واحد ومادة واحدة] (١) وبثكم في أقطار الأرض [وأرجائها ففي ذلك آيات على أن الذي أنشأكم من هذا الأصل وبثكم في أقطار الأرض] (١) هو الرب المعبود، الملك المحمود، والرحيم الودود، الذي سيعيدكم بالبعث بعد الموت.

ومن آیاته الدالة علی رحمته وعنایته بعباده، وحکمته العظیمة، وعلمه المحیط، وأن خلق لکم من أنفسكم أزواجاً تساسبكم وتناسبونهن، وتناكلكم وتناكلونهن، ولسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة بما رتب على الزواج من الأسباب الجالة للمودة والرحمة.

فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة، والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب، مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، ﴿إِن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ يُعمِلون أفكارهم، ويتدبرون آيات الله، وينتقلون من شيء إلى شيء.

﴿٢٢﴾ ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين والقالمون: هم أهل العلم، الذين يفهمون العبر، ويتدبرون الآيات. والآيات في ذلك كثيرة: فمن آياتٍ خلق السماوات والأرض وما فيهما، أنَّ ذلك دال على عظمة سلطان الله وكمال اقتداره، الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة،

وكمال حكمته، لما فيها من الإتقان، وسعة علمه، لأن الخالق لا بد أن يعلم ما خلقه ﴿ ألا يعلم مَنْ خلق﴾ وعموم رحمته وفضله، لما في ذلك من المنافع الجليلة، وأنه المريد، الذي يختار ما والمزايا، وأنه وحده، الذي يستحق أن يعبد ويوحد، لأنه المنفرد بالخلق، فيجب أن يفرد بالعبادة، فكل هذه أدلة عقلية، نبه الله العقول إليها، وأمرها بالتفكر واستخراج العبرة منها.

﴿و﴾ كذلك في ﴿اختلاف ألستكم وألوائكم ﴾ على كثرتكم وتباينكم مع أن الأصل واحد، ومخارج الحروف واحدة، ومع ذلك لا تجد صوتين متفقين من كل وجه، ولا لونين متشابهين من كل وجه، إلا وتجد من الفرق بين ذلك ما به يحصل التمييز.

وهذا دال على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته.

و[من]^(۳) عنايته بعباده ورحمته بهم، أن قدر ذلك الاختلاف، لشلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب، ويفوت كثير من المقاصد والمطالب.

﴿٣٣﴾ ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أي: سماع تدبر وتعقل للمعاني والآيات في ذلك. إن ذلك دليل على رحمة الله تعالى،

إن ذلك دليل على رحمة الله تعالى، كما قال: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ وعلى تمام حكمته، إذ حكمته اقتضت سكون الخلق في وقت، ليستريحوا به (١٠٠٠) ويستجموا (١٠٠٠)، والنبوية، ولا يتم ذلك إلا بتعاقب الليل والنهار عليهم، والمنفرد بذلك، هو المستحق للعبادة.

﴿٢٤﴾ ﴿ومن آياته يريكم البرق

⁽١) زيادة بخط المؤلف من هامش أ.

⁽۲) زیادة من ب.

⁽٣) زيادة يقتضيها السياق.

⁽٤) زيادة من أ.

⁽٥) الكلمة غير واضحة في النسختين وكأنها (ويجموا) وقد زيد عليها في نسخة ب حرفان فصارت يستجموا.

خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ أي: ومن أياته، أن ينزل عليكم المطر، الذي تحيابه البلاد والعباد، ويريكم قبل نزوله مقدماته، من الرعد والبرق، الذي يَخاف ويُطمع فيه.

﴿إِن فِي ذَلِكُ لِآبِاتِ ﴾ [دالة] على عموم إحسانه، وسعة علمه، وكمال إتقانه، وعظيم حكمته، وأنه يحيى الموتى، كما أحياً الأرض بعد موتها.

﴿لقوم يعقلون﴾ أي: لهم عقول، تعقل بها ما تسمعه، وتراه وتحفظه، وتستدل به على ما جعل دليلاً عليه.

﴿٢٥ ـ ٢٧﴾ ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تُخرجون * وله من في السماوات والأرض كل له قانتون * وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم أي: ومن آياته العظيمة، أن قامت السماوات والأرض واستقرتاء وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا، ولم تسقط السماء على الأرض، فقدرته العظيمة، التي بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا، يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض، إذا هم يخرجون ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق

﴿وله مَنْ في السماوات والأرض﴾ الكل خلقه وعاليكه، المتصرف فيهم مسن غيير مستباذع ولا مسعباون ولأ معارض، وكلهم قانتون لجلاله، خاضعون لكماله.

﴿وهُو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو﴾ أي: الإعادة للخلق بعد موتهم ﴿أَهُونَ عَلَيه ﴾ من ابتداء خلقهم، وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول، فإذا كان قادراً على الابتداء الذي تقرون به، كانت (١) قدرته على الإعادة التي أهون أولى وأولى .

يعتبر المعتبرون، ويتذكر المؤمنون ويتبصر المهتدون، ذكر الأمر العظيم والمطلب الكبير، فقال: ﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض) وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة، والمحية، والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين، والذكر الجُّليل، والعبادة منهم. فالمثل الأعلى، هو وصفه الأعلى، وما ترتب عليه.

ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى، فيقولون: كل صفة كمال في المخلوقات، فخالقها أحق بالاتصاف بها، على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه، فتنزيه الخالق عنه من باب أولى وأحرى.

﴿وهو العزيز الحكيم اي: له العزة الكاملة، والحكمة الواسعة، فعزته، أوجد بها المخلوقات وأظهر المأمورات، وحكمته، أتقن ساما صنعه وأحسن فيها ما شرعه.

﴿ ٢٨ ـ ٢٩﴾ ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون * بل اتّبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أَصْلُ اللهُ وما لهم من ناصرين ﴿ هذا مثل ضربه الله تعالى، لقبح الشرك وتهجينه، مثلاً من أنفسكم، لا يحتاج إلى حل وترحال، وإعمال الجمال.

﴿ هِلَ لَكُم مُمَا مِلْكُتِ أَيْمَانِكُم مِنْ شركاء فيما رزقناكم أي: هل أحد من عبيدكم وإمائكم الأرقاء يشارككم في رزقكم، وترون أنكم وهم فيه على أ حدّ سواء .

﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي: كالأحرار الشركاء في الحقيقة، الذين يخاف من قسمه، واختصاص كل شيء بحاله؟

ليس الأمر كذلك، فإنه ليس أحد ولما ذكر من الآيات العظيمة ما به عما ملكت أيمانكم شريكاً لكم فيما

رزقكم الله تعالى.

هذا، ولستم الذين خلقتموهم ورزقتموهم، وهم أيضاً مماليك مثلكم، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكاً من خلقه، وتجعلونه بمنزلته، وعديلاً له في العبادة، وأنتم لا ترضون مساوآة مماليككم لكم؟

هذا من أعجب الأشياء، ومن أدل شيء على [سفه](٢) من اتخذ شريكاً مع الله، وأن ما اتخذه باطل مضمحل، ليس مساوياً شه، ولا له من العبادة

﴿كذلك نفصًل الآيات﴾ بتوضيحها بأمثلتها ﴿لقوم يعقلون﴾ الحقائق ويعرفون، وأما مَنْ لا يعقل، فلو فُصِّلتْ له الآيات، وبيّنت له البينات، لم يكن له عقل يبصر به ما تبين، ولا لُّتُّ يعقل به ما توضح، فأهل العقول والألباب، هم الذين يساق إليهم الكلام، ويوجه الخطاب.

وإذا علم من هذا المثال، أن مَنْ اتخذ من دون الله شريكاً يعبده ويتوكل عليه في أموره، فإنه ليس معه من الحق شيء، فما الذي أوجب له الإقدام على أمرَ باطل، توضح له بطلانه وظهر برهانه؟ [لقد](٣) أوجب لهم ذلك اتباع الهوى، فلهذا قال: ﴿بِلِ أَتْبِعِ الذِّينَ ظلموا أهواءهم بغير علم، هويت أنفسهم الناقصة، التي ظهر من نقصانها ما تعلق به هواها، أمراً يجزم العقل بفساده، والفطر برده، بغير علم دلهم عليه، ولا برهان قادهم إليه.

﴿ فَمَنْ يَهِدِي مَنْ أَصْلُ اللهِ أَي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم، فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم، ولا طريق لهداية مَنْ أضل الله، لأنه ليس أحد معارضاً لله، أو منازعاً له في ملكه.

﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب.

﴿٣٠ ــ ٣٢﴾ ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم

ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيئموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال، وإقامة دينه، فقال: ﴿ فَأَقُّم وجهك ﴾ أي: انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام، والإيمان، والإحسان، بأن تتوجه بقلبك، وقصدك، وبدنك إلى(١٦) إقامة شرائع الدين الظاهرة، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة، كالمحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة، بأنّ تعبد الله فيها كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.

وخص الله إقامة الوجه، لأن إقبال الوجه، لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب، ويترتب على الأمرين سَعْيُ البدن، ولهذا قال:
حنيفاً ﴾ أي: مقبلاً على الله في ذلك، معرضاً عمّا سواه.

وهذا الأمر الذي أمرناك به، هو ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع، الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم عبة الحق، وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة.

ومَنْ خرج عن هنذا الأصل، فلعارض عرض لفطرته أفسدها، كما قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

﴿لا تبديل لخلق الله أي: لا أحد يبدل خلق الله ، فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله . ﴿ذلك ﴾ الدي أمرنا به ﴿الدين القيّم ﴾ أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله ، وإلى كرامته ، فإن مَنْ أقام وجهه للدين حنيفاً ، فإنه سالك الصراط المستقيم ، في جميع شرائعه وطرقه ، ﴿ولكن أكثر في جميع شرائعه وطرقه ، ﴿ولكن أكثر

الناس لا يعلمون﴾ فلا يتعرفون الدين القيّم، وإن عرفوه لم يسلكوه.

﴿منيبين إليه واتقوه ﴾ وهذا تفسير الإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى.

ويلزم من ذلك، حمل (٢) البدن بمقتضى ما في القلب، فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة، فلذلك قال: ﴿واتقوه﴾ فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات.

وخص من المأمورات الصلاة، لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى، لقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ فهذا إعانتها على التقوى.

ثم قال: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ فهذا حثها على الإنابة.

وخص من المنهيات أصلها، والذي لا يقبل معه عمل، وهو الشرك، فقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ لكون الشرك مضاداً للإنابة، التي روحها الإخلاص من كل وجه.

ثم ذكر حالة المشركين مهجناً لها ومقبحاً، فقال: ﴿من اللين فرقوا دينهم ﴾ مع أن الدين واحد، وهو إخلاص العبادة شه وحده، وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم مَنْ يعبد الأوثان والأصنام، ومنهم مَنْ يعبد الشمس والقمر، ومنهم مَنْ يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم يهود، ومنهم تصارى.

ولهذا قال: ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت، على نصر ما معها من الباطل، ومنابذة غيرهم ومحاربتهم.

في ب: عمل.

(٢)

وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق، بل الدين واحد، والرسول واحد، والإله واحد.

وأكثر الأمور الدينية، وقع فيها الإجماع بين العلماء والأنمة، والأخوة الإيمانية، قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلغى، ويُبنى التفرق والشقاق بين المسلمين على مساتل خفية، أو فروع خلافية، يضلل بها بعضهم بعضاً، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟

فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده، التي كادبها للمسلمين؟

وهل السعي في جمع كلمتهم، وإزالة ما بينهم من الشقاق، المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل الله، وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟

ولما أمر تعالى بالإنابة إليه ـ وكان المأمور بها، هي الإنابة الاختيارية، التي تكون في حالي العسر واليسر، والسعة والضيق ـ ذكر الإنابة الاضطرارية، التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكربه، فإذا زال عنه الضيق، نبذها وراء ظهره، وهذه غير نافعة، فقال:

﴿٣٣ _ ٣٧﴾ ﴿وإذا مسَّ الناس ضر دعوا ربهم منيين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون * ليكفروا بما أتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ .

وُوإذا مسَّ الناس ضرى مرض، أو خوف من هلاك، ونحوه. ﴿ دعوا ربهم منيبين إليه ﴾ ونسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال، لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا الله.

﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة ﴿ شفاهم من مرضهم، وآمنهم من خوفهم، ﴿إذا فريق منهم ﴾ ينقضون تلك الإنابة

⁽١) كذا في ب، وفي أ: على.

التي صدرت منهم، ويشركون به مَنْ لا دفع عنهم ولا أغني، ولا أفقر ولا أغنى وكل هذا كفر بما آتاهم الله ومَنَّ بِهِ عليهم، حيث أنجاهم، وأنقذهم من الشدة، وأزال عنهم المشقة، فهلاً قابلوا هذه النعمة الجليلة، بالشكر والدوام على الإخلاص له في جميع الأحوال؟

﴿أُمُ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ سَلَّطَانًا ﴾ أي: حجة ظاهرة ﴿فهو﴾ أي: ذلك السلطان، ﴿يتكلم بما كانوا به يشركون ويقول لهم: اثبتوا على شرككم، واستمروا على شككم، فإن ما أنتم عليه هو الحق، وما دعتكم الرسل إليه باطل.

فهل ذلك السلطان موجود عندهم، حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟ أم البراهين العقلية والسمعية، والكتب السماوية، والرسل الكرام، وسادات الأنام، قد نهوا أشد النهي عن ذلك، وحدروا من سلوك طرقه الموصلة إليه، وحكموا بفساد عقل ودين مَن ارتكبه؟

فشرك هؤلاء بغير حجة ولا برهان، وإنما هو أهواء النفوس، ونزغات الشيطان.

﴿٣٦ ـ ٣٧﴾ ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون * أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يخبر تعالى عن طبيعة أكثر الناس، في حالي الرخاء والشدة، أنهم إذا أذاقهم الله منه رحمة، من صحة، وغنى، ونصر ونحو ذلك، فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر وتبجح بنعمة الله.

﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي: حال تسوؤهم، وذلك ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من المعاصي. ﴿إذا هم يقنطونَ ﴾ ييأسون من زُوال ذلك الْفقر والمرض، ونحوه، وهذا جهل منهم وعدم

﴿أُولُمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهُ يَبِسُطُ الرَّزِقُ لِمَنْ يشاء ويقدر ﴾ فالقنوط بعدما علم أن الخير والشر من الله، والرزق، سعته

وضيقه من تقديره، ضائع ليس له محل. فلاتنظر أيها العاقل لمجرد الأسباب، بل اجعل نظرك لسببها، ولهذا قال: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لآيات لقوم يؤمنون﴾ فهم الذينّ يعتبرون بسط الله لمن يشاء وقبضه، ويعرفون بذلك، حكمة الله ورحمته وجوده، وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب

﴿٣٨ _ ٣٩﴾ ﴿فاآت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يسريسدون وجمه الله وأولسنسك هسم الفلحون * وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ أي: فأعط القريب منك _ على حسب قربه وحاجته _حقه الذي أوجبه الشارع، أو حض عليه، من النفقة الواجبة، والصدقة، والهدية، والبر، والسلام، والإكرام، والعفو عن زلته، والمسامحة عن هفوته. وكذلك [آت] المسكين، الذي أسكنه الفقر والحاجة، ما تزيل به حاجته، وتدفع به ضرورته، من إطعامه وسقيه وكسوته.

﴿ وابن السبيل ﴾ الغريب المنقطع به في غير بلده، الذي في مظنة شدة الحاجة، لأنه لا مال معه، ولا كسب قد دبّر نفسه به [ني] سفره، بخلاف الذي في بلده، فإنه وإن لم يكن له مال، ولكنّ لا بد_ في الغالب _أن يكون في حرفة، أو صناعة ونحوها تسد حاجته، ولهذا جعل الله في الزكاة حصة للمسكين وابن السبيل.

﴿ ذلك ﴾ أي: إيتاء ذي القربي والمسكين وابن السبيل وخير للذين يريدون الله العمل ﴿وجه الله ﴾ أي: خير غزير، وثواب كثير، لأنه من أفضل الأعمال الصالحة، والنفع المتعدي، الذي وافق محله المقرون به الإخلاص.

فإن لم يرد به وجه الله، لم يكن خيراً لِلْمُعْطِي، وإن كان خيراً ونفعاً لِلْمُعْطَى كما قال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاً مَنْ أمر بصدقة أو معروف

CONTRACT CONTRACT SECTION OF THE CONTRACT SECTION OF T وَمِنْ ءَايَكِيْهِ وَأَن تَقُومَ ٱلسَّكَاءُ وَٱلْأَرْضُ بَأَمْرِهُ مَثْمَ اذَادَعَاكُمُ يَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَّا أَنتُهُ تَغْرُجُونَ ۞ وَلَهُمَن فِي ٱلسَّمَوَٰتِ ا وَٱلْأَرْضِّ كُلُّلَهُ قَايَنُونَ ۞ وَهُوَالَّذِي يَبْدَوُا ٱلْحَالَقَ تُرْبُعُ مِدُورُهُو أَهُونُ عَلَيْهُ وَلَهُ ٱلنَّكُلُ ٱلْأَعْلَى فِي ٱلسَّمَهُ اَت وَٱلْأَرْضُ وَهُوَالْخَيِرُالْحَكِيرُ ۞ ضَرَبَ لَكُم مَّثَكُ مِّنْ أَنفُيكُمُّ هُل أَكُ مِين مَّا مَلَكَتْ أَيْمُنْكُمُ يِّن شُرَكَاءً فِي مَارَزَقَ كُوْفَأَشُدُ فِيهِ سَوَّاءً ثَغَافُونَهُمْ كَيْفَيْكُو أَنفُكُرُ عَكَنَاكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمِ يَعْقِلُونَ ۞ بَل ٱتَبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَهَوَآءَهُم بِعَكِرِعِلْمِ ۖ فَنَ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَمُدُمِّن نَفِيرِينَ ۞ فَأَقِهُ وَجُهَاكَ لِلدِّينِ حَيْفًا أَ إ فِنْ لِهَ اللَّهِ اللَّهِ فَطَلَا لَنَاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِحَلَقَ اللَّهِ النَّعَ المُونَ ۞ • مُنيبِينَ إِلَيْهِ وَالتَّعُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّالَوةَ وَلَاتَكُونُواْمِنَ ٱلنَّمْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَـ تَرْقُواْ المَا يَعَمُدُو وَكَانُوا شِيعَا حُلُحِ إِن إِلَا لَيْغِمْ وَيحُونَ ﴿ DESCRIPTION OF SECTION

أو إصلاح بين الناس﴾ . مفهومها، أن هذه الثبتات خير لنفعها المتعدى، ولىكىن مَـنْ يىفىعىل ذلىك ابىتىغىاء مرضاة الله، فسوف نوتيه أجراً عظيماً .

وقوله: ﴿وأولئك﴾ الذين عملوا هذه الأعمال وغيرها لوجه الله ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون بشواب الله، الناجون من عقابه .

ولما ذكر العمل الذي يقصدبه

وجهه، [من النفقات] ذكر العمل الذي

يقصد به مقصد دنيوي، فقال: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس أي: ' ما أعطيتم من أموّالكم الزائدة عن حوائجكم، وقصدكم بذلك أن يربو، أي: يزيد في أموالكم، بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر منها، فهذا العمل لا يربو أجره عند الله، لكونه معدوم الشرط، الذي هو الإخلاص. ومثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه، والرياء عند الناس، فهذا كله لا يربو عند الله. ﴿ وما آتيتم من زكاة ﴾ أي: مال يطهركم من الأخلاق الرذيلة، ويطهر أموالكم من البخل بها، ويزيد في دفع حاجة المُغطَى. ﴿تريدون﴾ بذلك ﴿وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ أي: المضاعف لهم الأجر، الذين تربو نفقاتهم عند الله، ويربيها الله لهم، حتى تكون شيئاً كثيراً.

وَلِنَا مَنَى ٱلنَّاسَ ضُرٌّ يَعَوْارَتَهُ مُنْسِيدِ كَ إِلَيْهِ فَرُّوالِا أَذَا فَهُم مِنْهُ رَحْمَةُ إِنَا فَرِينٌ مِنْهُم رَبِهِ مِنْشَرِكُونَ ۞ لِكَفْرُواْ عَاءَاتَنَا كُونُونَ مَنْ عُوافِيَةً فَ مَعَالَمُونِ ٥ أَوْ أَوْلَنَا عَلَيْهِمْ سُلطَنَا فَعُوَيَنَكَ لَمُ عَا كَاهُ المِهِ نُشَرُكُونَ ۞ وَإِذَّا أَذَقُنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرَحُواْبِهَا وَإِن تُصِيْهُمْ سَيْعَةً بِّكَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَاهُمْ يَقْنَطُونَ ۞ أَوَلَّرُيْ وَأَنَّا أَلَّهُ يَيْمُنُطُ ٱلرَّفَى لِنَ يَشَآهُ وَيَقُدِرُ أَنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمِ يُوْمِنُونَ ﴿ فَكَاتِ ذَا ٱلْمُثُمِّنَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَأَيْنَ ٱلسَّكِيلُ ذَلِكَ خَتْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَخِهَ ٱللَّهِ وَأُولَلْهَكَ مُرُالْمُفَلِّحُ نَ ٥ وَمَآءَاتَيْتُدُمِ مِن رَبَا لِيَرْبُوا فِي آمُوالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِندَاللَّهِ وَمَآ اتَيْتُ مِن زَحَكُ وْوَتُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَيْكَ هُمُٱلْمُشْعِفُونَ ۞ آفتُ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَرَّزَنَا كُوْ ثُرَّيْبِ تُكُو ثُرَّيْبِ الْكُو ثُرَّيْبِ عِكُمٌّ وَتَعَكَانِهَمُ الشُّرِكُونَ فَ طَهَرَ لَلْمَسَادُ فِي الْمَرْفَالْخِيرِ عَاكْسَلَتْ الله عَمَالُتَاسِ لِيُذِيقَهُم يَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَمَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١

ودل قوله: ﴿وما اتيتم من زكاة﴾ أن الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق، أو مع دَيْن عليه لم يقضه، ويقدم عليه الصدقة، أن ذلك ليس بزكاة يؤجر عليه العبد، ويرد تصرفه شرعاً، كما قال تعالى في الذي يمدح: ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ فليس مجرد إيتاء المال خيراً، حتى يكون بهذه الصفة، وهو: أن يكون على وجه يتزكى به المؤتي.

رفع الله الذي خلقكم شم رزقكم شم يميتكم شم يميتكم شم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون يخبر ورزقكم، وإماتتكم وإحيائكم، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون، مَنْ يشارك الله في شيء من هذه الأشاء.

فكيف يشركون بمن انفرد بهذه الأمور، مَنْ ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟!

فسبحانه وتعالى، وتقدس وتنزه، وعلا عن شركهم، فلا يضره ذلك، وإنما وبالهم (١٦ عليهم.

﴿ ٤١﴾ ﴿ طُهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾

أي: استعلن الفساد في البر والبحر، أي: فساد معايشهم ونقصها، وحلول الافات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء، وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة، المفسدة بطبعها.

هذه المذكورة ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال، فعجل لهم نموذجاً من جزاء أعمالهم في الدنيا ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن أعمالهم، التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم، ويستقيم أمرهم.

فسبحان مَنْ أنعم ببلائه، وتفضل بعقوبته، وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا، ما ترك على ظهرها من دابة.

﴿٤٢﴾ ﴿قبل سيبروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾ والأمر بالسير في الأرض، يبدخيل فيه السيبر بالأبدان (٢٠)، والسيبر في القلوب، للنظر والتأمل بعواقب المتقدمين.

﴿كان أكثرهم مشركين﴾ تجدون عاقبتهم شر العواقب، ومآلهم شر مآل، عذاب استأصلهم، وذم ولعن من خلق الله يتبعهم، وخزي متواصل، فاحذروا أن تفعلوا فعالهم، يُحذَى بكم حذوهم، فإن عدل الله وحكمته في كل زمان ومكان.

﴿٢٤ _ ٤٤ ﴾ ﴿ فاقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئلا يصدعون * من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون * ليجزي الذين آمنوا وعملوا الكافرين ﴾ أي: أقبل بقلبك، وتوجه بوجهك، واسع ببدنك، لإقامة الدين القيّم المستقيم، فنفذ أوامره ونواهيه بجد واجتهاد، وقم بوظائفه الظاهرة والباطنة، وبادر زمانك وحياتك وشبابك، ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله وهو يوم القيامة، الذي إذا جاء لا يمكن رده، ولا يرجأ العاملون

أن يستأنفوا^(٢) العمل، بل فرغ من الأعمال، لم يبق إلا جزاء العمال. ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي: يتفرقون عن ذلك اليوم، ويسسدرون أشستاتاً متفاوتين، لِيُرُوا أعمالهم.

﴿٤٤﴾ ﴿مَنْ كَفُرِ﴾ منهم ﴿فعليه كفره أو ويعاقب هو بنفسه ، لا تزر وازرة وزر أخرى، ﴿ومَنْ عسمل صالحاً ﴾ من الحقوق التي لله، أو التي للعباد، الواجبة والمستحبة، ﴿فلأنفسهم لا لغيرهم ﴿يمهدون ﴾ أى: يهيئون، ولأنفسهم يعمرون آخرتهم، ويستعدون للفوز بمنازلها وغرفاتها، ومع ذلك، جزاؤهم ليس مقصوراً على أعمالهم، بل يجزيهم الله من فضله المدود، وكرمه غير المحدود، ما لا تبلغه أعمالهم. وذلك لأنه أحبهم، وإذا أحب الله عبداً صب عليه الإحسان صباً، وأجزل له العطايا الفاخرة، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة.

وهذا بخلاف الكافرين، فإن الله لما أبغضهم ومقتهم، عاقبهم وعذبهم، ولم يزدهم كما زاد من قبلهم، فلهذا قال: ﴿إِنهُ لا يجبِ الكافرين﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ أي: ومن الأدلة المدالة على رحمته وبعثه الموتى، وأنه الإله المعبود، وأن يرسل الرياح﴾ أمام المطر ﴿مبشرات﴾ بإثارتها للسحاب ثم جمعها، فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله.

﴿وليذيقكم من رحمته ﴾ فينزل عليكم من رحمته ﴾ فينزل عليكم من رحمته مطراً، تحيا به البلاد والعباد، وتذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمته هي المنقذة للعباد والجالبة لأرزاقهم، فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، الفاتحة لخزائن

﴿ولتجرى الفلك﴾ في البحر

﴿بأمره﴾ القدري ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالتصرف في معايشكم ومصالحكم.

﴿ولعلكم تشكرون﴾ من سخر لكم الأسباب، وسير لكم الأمور. فهذا المقصود من النِعم، أن تقابل بشكر الله تعالى، ليزيدكم الله منها، ويبقيها علكم.

وأما مقابلة النِعم بالكفر والمعاصي، فهذه حال مَنْ بدَّل نعمة الله كفراً، ونعمته محنة، وهو معرض لها للزوال، والانتقال منه إلى غيره.

﴿٤٧﴾ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ أي: ﴿ولقد آرسلنا مِن قبلك ﴾ في الأمم السابقين ﴿رسلا إلى قومهم ﴿ حين جحدوا توحيد الله، وكذَّبوا بالحق، فجاءتهم رسلهم يدعونهم إلى التوحيد والإخلاص، والتصديق بالحق، وببطلان ما هم عليه من الكفر والضلال، وجاؤوهم بالبينات والأدلة على ذلك، فلم يؤمنوا، ولم يزولوا عن غيهم. ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل. ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا، وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به، فلا بد من وقوعه.

فأنتم أيها المكذبون لمحمد ﷺ، إن بقيتم على تكذيبكم، حلّت بكم العقوبة، ونصرناه عليكم.

الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في يسرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمة الله كيف لمبي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام نعمته،

أنه ﴿يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ من الأرض، ﴿فيبسطه في السماء﴾ أي: يمده ويوسعه ﴿كيف يشاء﴾ أي: على أي: حلل أي حسالة أرادها من ذلك، شم ﴿يمله﴾ أي: ذلك السحاب الواسع ﴿كسفاً﴾ أي: سحاباً ثخيناً، قد طبق بعضه فوق بعض.

﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أي: السحاب، نقطاً صغاراً متفرقة، لا تنزل جيعاً، فتفسد ما أتت عليه.

﴿فَإِذَا أَصَابِ بِهِ بِذَلْكَ الْمُطْرِ ﴿مَنَ يَسَاءُ مِن عَبَادِه إِذَا هَمْ يَسْتَبْشُرُونَ ﴾ يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ يبشر بعضهم بعضاً بنزوله ، وذلك للله حاجتهم وضرورتهم إليه ، فلهذا عليهم من قبله لمبلسين ﴾ أي: آيسين قانطين لتأخر وقت بجيئه ، أي: فلما نزل في تلك إلحال ، صار له موقع عظيم [عندهم] (١) ، وفرح واستبشار . عظيم [عندهم] (١) ، وفرح واستبشار . ﴿فَانَظُرُ إِلَى آثَار رَحَةَ اللهُ كِيفَ يحيي الأرض بعد موتبا ﴾ فاهتزت وربت

وانبتت من كل زوج كريم.

﴿إن ذلك﴾ الذي أحيا الأرض بعد موتها ﴿لحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ فقدرته تعالى، لا يتعاصى عليها شيء، وإن تعاصى على قدر خلقه، ودق عن أفهامهم، وحارت فيه عقولهم.

﴿١٥ ـ ٣٥﴾ ﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون * فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين * وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ يخبر تعالى عن حالة الخلق، وأنهم مع هذه النعم مليهم بإحياء الأرض بعد موتها، ونشر رحمة الله تعالى، لو أرسلنا على هذا النبات الناشىء عن المطر، وعلى زروعهم، ريحاً مضرة متلفة أو منقصة، وفراوه مصفراً﴾ قد تداعى إلى التلف ﴿فراوه مصفراً﴾ قد تداعى إلى التلف النعم الماضية، ويادرون إلى الكفر. وهؤلاء، لا ينفع فيهم وعظولا

ا قاْ سِهُ وَلِهِ فَالْوَيْنِ وَلَا نَظِيرُ وَاكْفَ كَانَ عَلَقِكُ ٱلَّذِينَ مِن قَبَلُ إِلَّا كَانَ أَكْمُرُمُّ مُرْكِينَ ۞ فَأَفِدْ وَجَهَكَ الِدِّينِ ٱلْقَيْسِدِين و الله الله الله المُعَلِّمَةُ المُعَمِّدُ اللهِ اللهُ فَعَلَيْهِ كُفُرُيُّ وَمَنْ عَمِلَ صَلِيمًا فَلِأَفْسِ هِرْ يَهَدُونَ ۞ لِجَيَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَيَدُواْ ٱلصَّالِحَتِ مِن فَضَيِلِمَتَالَهُ ٱلدِّيمُ أَلْكَفِينَ ﴿ وَمِنْ عَالِيْنِهِمَ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَتِ وَلِيُنِيعَكُم يِّن زَّحْيَتِهِ وَلِحَيِّيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَإِنَّبْتَخُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمُ تَشْكُرُونَ ٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَأَذُوهُم بِٱلْبِيِّنَاتِ فَالتَقَمَّنَامِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ اللَّهْنِينَ ۞ النَّهُ الَّذِي رُسِلُ النَّاحَ فَنْشِيرُ سَحَااً فَيَبْسُطُ مُد فِٱلسَّمَّةِ كَيْفَ يَشَآهُ فَيَجْمَلُهُ كِسَفَا فَنَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ المن عِلَالِيهِ وَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَكَّهُ مِنْ عِبَادِمِ وَالْمُرْيَسَتَنْ مُرَانَ 🔮 فَانْفَارُ الْآمَاتَ إِنْ رَمْنَتِ اللَّهِ كَيْنَدَعُيَّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَنْ مَنْ مَا إِنَّ ذَلِكَ لَنْسُ لَكُوْلَ وَهُوَ عَلَا كُولَ مَنْ وَلَيْدُ ۞ NOTE TO BE THE SECOND

زجر ﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع المصم المدصاء﴾ وبالأولى ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ فإن الموانع قد توفرت فيهم عن الانقياد والسماع النافع، كتوفر هذه الموانع المذكورة عن سماع الصوت

الحسي.

﴿ وما أنت بهادِ العُمْي عن ضلالتهم ﴾ لأنهم لا يقبلون الإبصار بسبب عماهم فليس منهم (٢) قابلية له . ﴿ إِنْ تَسْمِع إِلا مَنْ يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ فهؤلاء الذين ينفع فيهم المنقادون لأوامرنا ، المسلمون بأياتنا لنا ، لأن معهم الداعي القوي لقبول النصائح والمواعظ ، وهو استعدادهم للايمان بكل آية من آيات الله ، والمواهية ، والمواهية ، والمواهية ، والمواهية .

﴿٤٥﴾ ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم ما يشاء وهو العليم القدير﴾ يجبر تعالى عن سعة علمه، وعظيم اقتداره، وكمال حكمته، ابتدأ خلق الآدميين من ضعف، وهيو الأطوار الأول من خلقه، من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيواناً في الأرحام، إلى أن ولد، وهو في سن الطفولية، وهو إذ

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَارِيحَا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا لَّظَلُواْ مِنْ مَعْدِهِ. يَكُفُرُونَ ۞ فَإِنَّكَ لَاتُسْتِيعُ ٱلْحُزَّنَ وَلَانْسُنِيعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَى ٓ آءِ إِذَا وَلَّوْأَ مُدِّبِينَ ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِ ٱلْمُتَمِّعَ ضَالِلَهِ مِنْ إِن تُتَمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ مَا لِيَتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۞ • ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ كُمْ يِّن ضَعْفِ ثُرِّجَعَلَ مِنْ بَعْدِضَعْفِ قُوّةً ثُرُّجَعَلَ مِنْ بَعْدِ فُوّةٍ صَعْفَا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَايَشَكَاءٌ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيدُ ۞ وَيَوْمَ نَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْخُيْرُمُونِ مَالِّبَ ثُواْعَ يُرَسَاعَ فَرَ كَنَاكِ كَانُوا مُؤْفِكُونَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُونُواْ ٱلْمِيلَةِ وَٱلْإِينَ لَقَدْ لِمُنْ تُرِي كِتَبِ ٱللَّهِ إِلَى يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَلْكِنَّكُوْ كُنَّتُمْ لَاتَعْالَمُونَ۞ فَيَوْمَ لِذِلَّا يَنَفَعُ ٱلَّذِينَ طَلَمُواْمَعْذِرَتُهُمْ وَلَاهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ۞ وَلَقَدُّ خَرَيْنَا لِلنَّاسِ فِهَاذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلِّ وَلَهِن حِثْتَهُمُ بِعَايَةِ لَيَغُولَنَ ٱلَّذِيرَ كَفَتَرَوَا إِنْ أَسْتُمْ إِلَّامْتِطِلُونَ ۞ كَذَاكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ فَأَصْبِرُ إِنَّ الله وعَدَا لَقُوحَقُّ ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُولِهُ خُوكَ ۞

ذاك في غاية الضعف، وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئاً، حتى بلغ سن الشباب واستوت قوته، وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور، ورجع إلى الضعف والشية والهرم.

﴿يَعْلَق ما يشاء﴾ بحسب حكمته. ومن حكمته، أن يري العبد ضعفه، وأن قوته محفوفة بضعفين، وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له، لما وصل إلى قوة وقدرة، ولو استمرت قوته في الزيادة، لطغى وبغى

وليعلم العباد كمال قدرة الله التي لا تزال مستمرة، يخلق بها الأشياء، ويدبر بها الأمور ولا يلحقها إعياء ولا ضعف ولا نقص بوجه من الوجوه.

وه مروب المسلم بوب من الوجود .

إه م الاجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون * وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون في يخبر تعالى عن يوم القيامة، وسرعة بحيثه، وأنه إذا قامت الساعة وسرعة بحيثه، وأنه إذا قامت الساعة لبثوا في الدنيا إلا ﴿ساعة وذلك لبثوا في الدنيا إلا ﴿ساعة وذلك

اعتذار منهم لعله ينفعهم العذر، واستقصار لمدة الدنيا.

ولما كان قولهم كذباً لا حقيقة له، قال تعالى: ﴿كذلك كانوا يوفكون﴾ أي: ما زالوا _وهم في الدنيا _ يؤفكون عن الحقائق، ويأتفكون الكذب، ففي الدنيا، كذبوا الحق الذي جاءتهم به المرسلون، وفي الآخرة، أنكروا الأمر المحسوس، وهو اللبث الطويل في الدنيا، فهذا خلقهم القبيح، والعبد يبعث على ما مات عله.

﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان ﴾ أي: مَنَ الله عليهم بهما، وصارا وصفاً لهم، العلم بالحق، والإيمان المستلزم إيثار الحق، وإذا كانوا عالمين بالحق، مؤثرين له، لزم أن يكون قولهم مطابقاً للواقع، مناسباً لأحوالهم.

فلهذا قالوا الحق: ﴿لقد لبنتم في كتاب الله﴾ أي: في قضائه وقدره، الذي كتبه الله عليكم، وفي حكمه ﴿إلى يوم البعث﴾ أي: عمرتم عُمْراً يتذكر فيه المتذكر، ويتدبر فيه المتدبر، ويعتبر فيه المعتبر، حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال.

﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ فلذلك أنكرتموه في الدنيا، وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتاً تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة، فلم يزل الجهل شعاركم، وآساره من التكذيب والحسار دثاركم.

﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ فإن كذبوا وزعموا أنهم ما قامت عليهم الحجة، أو ما تمكنوا من الإيمان، ظهر كذبهم، بشهادة أهل العلم والإيمان، وشهادة جلودهم وأرجلهم، وإن طلبوا الإعذار وأنهم يردون ولا يعودون لما نهوا عنه،

لم يُمكّنوا، فإنه فات وقت الإعذار، فلا تـقبل معندرتهم، ﴿ولا هم يستعتبون﴾أي: يزال عتبهم والعتاب عنهم.

﴿٨٥ - ٢٠ ﴾ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بأية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون * كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون * فاصبر إن وعد الله حتى ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ أي: ﴿ولقد ضربنا﴾ لأجل عنايتنا في هذا القرآن من كل مثل﴾ تتضح به في هذا القرآن من كل مثل﴾ تتضح به الحقائق، وتعرف به الأمور، وتنقطع به الحجة. وهذا عام في الأمثال، التي يضربها الله وفي تقريب الأمور المعقولة بالمحسوسة. وفي الإخبار بما سيكون، وجلاء حقيقته، [حتى] (١١ كأنة وقع.

ومنه في هذا الموضع، ذكر الله تعالى، ما يكون يوم القيامة وحالة المجرمين فيه، وشدة أسفهم، وأنه لا يقبل منهم عذر ولا عتاب.

ولكن أبى الظالمون الكافرون، إلا معاندة الحق الواضح، ولهذا قال: ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ أي: آي: آية، تدل على صحة ما جئت به ﴿ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ أي: كفرهم وجراءتهم، وطبع الله على قلوبهم، وجهلهم المفرط، ولهذا قال: قلوبهم، وجهلهم المفرط، ولهذا قال: لا يعلمون﴾ فلا يدخلها خير، ولا حلى باطلاً، والباطل حقاً.

﴿ فاصبر ﴾ على ما أمرت به، وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضاً، فلا يصدنك ذلك.

وإن وعد الله حق أي: لا شك فيه، وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع، بل سيجده كاملاً، هان عليه ما يلقاه من

المكاره، ويسرعليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير.

﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ أي: قد ضعف إيمانهم، وقلّ يقينهم، فخفت لذلك أحلامهم، وقلل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء، فإنك إن لم تجعلهم (١) منك على بال وتحذر منهم، وإلاّ استخفوك وحملوك على عدم الشبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا، وتطلب التشبه والموافقة (٢٠)، وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل، يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف [العقل]"

فالأول بمنزلة اللب، والآخر بمُنزلة القشور. فالله المستعان.

تفسير سورة لقمان وهي مكية

﴿١ _ ٥ ﴾ ﴿بسم الله السرخمين الرحيم الم * تلك أيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمة للمحسنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى ﴿ آيات الكتاب الحكيم ﴾ أي: آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير.

من إحكامها، أنها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها.

ومن إحكامها، أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص والتحريف.

ومن إحكامها: أن جميع ما فيها من الأخبار (٤) السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء [ولم يأتِ ولن يأتي علمٌ محسوسٌ ولا معقول صحيح يناقض ما دلت

غله](٥).

ومن إحكامها: أنها ما أمرت بشيء، إلاَّ وهو خالص المصلحة أو راجحها، ولا نهت عن شي، إلاَّ وهو خالص المفسدة أو راجحها ، وكثيراً ما يجمع بين الأمر بالشيء مع ذكر [حكمته](٦) فائدته، والنهي عن الشيء مع ذكر مضرته.

ومن إحكامها: أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة وتحتكم، فتعمل بالحزم.

ومن إحكامها: أنك تجد آياته المتكررة، كالقصص، والأحكام، ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض ولا اختلاف. فكلما ازداد بها البصير تدبراً، وأعمل فيها العقل تفكراً، انبهر عقله، وذهل لبه، من التوافق والتواطؤ، وجزم جزماً لا يمترى فيه، أنه تنزيل من حکیم حمید.

ولكن _مع أنه حكيم _يدعو إلى كل خلق كريم، وينهى عن كل خلق لئيم، أكثر الناس محرومون الاهتداء به، معرضون عن الإيمان والعمل به، إلا مَنْ وفقه الله تعالى وعصمه، وهم المحسنون في عبادة ربهم والمحسنون إلى

فإنه ﴿هدى﴾ لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويحذرهم من طرق الححيم، ﴿ورحمة ﴾ لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة، والخير الكثير، والثواب الجزيل، والفرح والسرور، ويندفع عنهم الضلال والشقاء.

ثم وصف المحسنين بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل والخوف من عقاب الله، فيتركون معاصيه، ووصفهم بالعمل، وخصّ من العمل عملين فأضلين: الصلاة المشتملة على الإخلاص ومناجاة الله تعالى، والتعبد العام للقلب واللسان والجوارح المعينة

الَّمْ ۞ يَلْكَ مَالِئُتُ ٱلْكِتَبِ ٱلْحَيْكِيمِ ۞ هُدُى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ مُقِمُونَ الصَّلَوْةَ وَاقْتُونَ ٱلزَّكُوةَ وَهُــم مِٱلْآخِرَةِهُمْمُ وُقِنُونَ۞ أُوَلَيْكَ عَلَاهُدُى مِن زَيِهِمُّ وَأُولَيْكَ مُرَالْقُلِحُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَوَالْخِدِيثِ لِيُعِيلً عَنسَبِيلَاللَّهِ مِنْيُرِ عِلْمِ وَيَتَخِذَهَا هُذُوًّا أُوَّلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينًا ۞ وَلِمَا تُسْلَىٰ عَلَيْهِ ءَ لِيَتُنَا وَلَّى مُسْتَكَيْرًا كَأَن لَّهُ يَسْمَعْهَا كُأَنَّ فِي أُذُنِّيَهِ وَقُرًّا فَهَيْسِرُهُ بِعَذَابِ أَلِيدٍ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيمُوا الصَّالِحَتِ لَمَتْمَ جَنَّكُ التَّعِيمِ فَعَلِينَ فِيهَا وَعْدَاللَّهِ حَقّاً وَهُوَالْعَرِيرُ ٱلْحَسِيمُ ۞ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ بِغَيْرِعَكَدِ ثَرُوْنَهَا ۗ وَأَقْ لِهِ ٱلْأَرْضِ رَوَايِي أَن يَّيدَ بِكُرُ وَيَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ مَآتَةً وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءَ مَأَدُ مَأْنُبَتْنَ فِيهَا مِنكُلِّ زَفْعَ كَرِيمٍ ۞ هَلْذَاخَلُقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا الله عَلَقَ ٱلَّذِيرَ مِن دُونِهُ عِلِ ٱلظَّلَامُونَ فِي مَسَلَالِ مُّهِيبٍ ٥ AND THE PROPERTY OF THE PARTY O

> على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، وتنفع أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرجه محبوبه من المال لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة الله.

> ف ﴿أُولَــُك ﴾ هم المحسنون، الجامعون بين العلم التام والعمل ﴿على هدی﴾ أي: عظيم، كما يفيده التنكير، وذلك الهدى حاصل لهم، وواصل إليهم ﴿من ربهم﴾ الذي لم يزل يربيهم بالنعَم، ويدفع عنهم النقم.

> وهذا الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه، وهو أفضل أنواع التربية. ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ النين أدركوا رضا ربهم، وثوابه الدنيوي والأخروي، وسلموا من سخطه وعقابه. وذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها.

> ولما ذكر تعالى المهتدين بالقرآن، المقبلين عليه، ذكر من أعرض عنه، ولم يرفع به رأساً، وأنه عوقب على ذلك، بأن تعوض عنه كل باطل من القول، فترك أعلى الأقوال، وأحسن الحديث، واستبدل به أسفل قول وأقبحه، فلذلك

﴿٦ _ ٩﴾ ﴿ومن الناس من يشتري

زيادة من: ب.

زيادة من: ب.

(٦)

كذا في ب وفي أ: تجعل.

(1)

(Y)

زيادة من: ب. (٣)

في أ: الأحكام والتصويب من: ب.

كذا في ب وفي أ: والمرافقة.

وَلَقَدْ مَالِيَنَا لُقَمُنَ آلِحِكُمَةَ أَن آشُكُرِيلًوْ وَمَن سَشْكُمْ فَاتَّمَا لَيَشْكُمُ لِنَفْسِيِّهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَيْنُ حِيدٌ ۞ وَإِذْ قَالَ لُقَمَنُ لِإَنِيهِ وَهُوَيِعِظُهُ يَلْبُنَ لَانْشَرِكَ بَاتَيَّ إِنَّا الشِّرِكَ لَظُلْمُ عَظِيرٌ ۞ وَوَضَّيْنَ الْإِنسَانَ بِوَلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أَمُّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهْنِ وَفِصَلْمُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلُوَّالِهُ يُلْكَ إِلَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ إِنْ مُلْكَ بدِينْلُرُ فَلا تُطِعَهُ مَأْ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْكَ امَعْدُ وَفَأَ وَٱتَّبِعْ سيبلتن أأب إلَّ ثُمَّ إِلَّ مَنْ عِنْ مُنْ الْمَارِينَ مُنْ الْمِنْ عُلْمِينًا كُنتُرَقَ مَلُوت ﴿ يَنْفَيَّ إِنَّهَا إِن لَكُ مِثْقَالَ حَسَيْقِينَ خَتَهُ لِ فَتَكُن فِي صَخْرَةِ أَوْفِ ٱلسَّكَوْتِ أَوْفِ ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفُ خَيِرٌ ۞ يَلِئُنَّ أَقِيدًا لَصَّلَاةً وَأَمْرُ بِٱلْمُعُوفِ وَٱلْهَ عَنِ ٱلنَّكَوِ وَأَصْبِرَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَنْدِ ٱلْأُمُّودِ ۞ وَلَاتُصَعِّرْ غَذَ لَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَيْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ الْقَدَلَا يُحِبُ كُلُّ مُعْتَ الِ فَوْرِ ۞ وَاَقْصِدُ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْئِكَ إِنَّ أَنكُوا لَأَصْوَتِ لَصَوْتُ ٱلْحَيْدِ ۞ ACCEPTANT IN LONG CO.

لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوأ أولئك لهم عذاب مهين * وإذا تعلى عليه آياتنا ولي مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم * خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم،

أي: ﴿ومن النَّاسِ مَنْ﴾ هو محروم مخذول ﴿يشتري﴾ أي: يختار ويرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء. ﴿لهو الحديث أي: الأحاديث الملهية للقلوب، الصادَّة لها عن أجلُّ مطلوب. فدخل في هذا، كل كلام محرم، وكل لغو وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر والفسوق والعصيان، ومن أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، وشتم، وسب، ومن غناء ومزامير شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا.

فهذا الصنف من الناس، يشترى لبهو الحديث عن هدى الحديث ﴿ليضل﴾ الناس ﴿بغير علم﴾ أي: بعدما ضل بفعله، أضل غيره، لأن الإضلال ناشىء عن الضلال.

وإضلاله في هذا الحديث، صده

عن الحديث النافع، والعمل النافع، والحق المبين، والصراط المستقيم.

ولايتم له هذا، حتى يقدح في الهدى والحق، ويتخذ آيات الله هزواً ويسخر بها وبمن جاء بها، فإذا جمع بين مدح الباطل والترغيب فيه، والقدح في الحقّ والاستهزاء به وبأهله، أضلّ منّ لا علم عنده، وخدعه بما يوحيه إليه من القول الذي لا يميزه ذلك الضال ولا يعرف حقيقته.

﴿أُولَٰتُكُ لَهُم عَذَابِ مَهِينَ ﴾ بما ضلوا وأضلوا، واستهزؤوا [بآيات الله](١) وكذَّبوا الحق الواضح، ولهذا قال: ﴿وإذا تتلي عليه آياتنا﴾ ليؤمن بها وينقاد لها، ﴿ولِي مستكبراً﴾ أي: أدبر إدبار مستكبر عنها، راد لها، ولم تدخل قلبه ولا أثرت فيه، بل أدبر عنها ﴿كَأَن لم يسمعها ﴾ بل ﴿كَأَن في أذنيه وقرأ ﴾ أي: صمماً لا تصل إليه الأصوات، فهذا لا حيلة في هدايته.

﴿ فَبِشُرِه ﴾ بشارة تؤثر في قلبه الحزن والغم، وفي بشرته السوء والظلمة والغبرة. ﴿بعذاب أليم امؤلم لقلبه ولبدنه، لا يقادر قدره، ولا يدرى بعظيم أمره، وهذه بشارة أهل الشر، فلا نِعْمَتِ البشارة.

وأما بشارة أهل الخير فقال: ﴿إِنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، والظاهر بالإسلام، والعمل الصالح.

﴿ لهم جنات النعيم ﴾ بشارة لهم بما قدموه، وقِرى لهم بما أسلفوه. ﴿خالدين فيها﴾ أي: في جنات النعيم، نعيم القلب والروح والبدن.

﴿وعد الله حقاً ﴾ لا يمكن أن يخلف ولا يغير ولا يتبدل. ﴿وهو العزيز الحكيم كامل العزة، كامل الحكمة، من عزته وحكمته، وفي مَنْ وفِّق، وخذل مَنْ خذل، بحسب ما اقتضاه علمه فيهم وحكمته.

﴿١١ - ١١﴾ ﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقىٰ في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل

دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين التلو تعالى على عباده آثاراً من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونعماً من آثار رحمته، فقال: ﴿خلق السماوات﴾ السبع، على عظمها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل. ﴿بغير عمد ترونها﴾ أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرؤيت، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله تعالى.

﴿ وَأَلْقِي فِي الأَرْضِ رُواسِي ﴾ أي: جبالاً عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحاثها، لئلا ﴿تميدبكُم﴾ فلولا الجبال الراسيات لمادت الأرض، ولما استقرت بساكنيها.

﴿وَبِثُ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابِةٌ﴾ أي: نشر في الأرض الواسعة من جميع أصناف الدواب، التي هي مسخرة لبني آدم، ولمصالحهم ومنافعهم. ولما بثها في الأرض، علم تعالى أنه لا بدلها منَّ رزق تعيش به، فأنزل من السماء ماء مباركاً، ﴿فَأَنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زُوجٍ كريم﴾ المنظر، نافع مبارك، فرتعت فيه الدواب المنبشة، وسكن إليه كل

﴿ هذا ﴾ أي: خلق العالم العلوي والسفلي، من جماد، وحيوان، وسَوْقِ أرزاق الخلق إليهم. ﴿خلق الله﴾ وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذِّينِ مِن دُونِهِ﴾ أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، يلزم على هذا، أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة .

ومن المعلوم أنهم لا يقدرون أن يروه شيئاً من الخلق لها، لأن جميع المذكورات، قد أقروا أنها خلق الله وحده، ولا ثَمَّ شيء يعلم غيرها،

تستحق به أن تعبد.

ولكن عبادتهم إياها عن غير علم ويصيرة، بل عن جهل وضلال، ولهذا قال: ﴿بِلِ الظالمون في ضلال مبين﴾ أى: جَلى واضح حيث عبدوا من لأيملك نفعآولا ضرأولا موتأ ولا حياة ولا نشوراً، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور.

﴿١٩ _ ١٩﴾ ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد * وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم الى آخر القصة. يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم [بالحق](١) على وجهه وحكمته، فهي ألعلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقديكون الإنسان عالماً ولا يكون حكىماً.

وأما الحكمة، فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع والعمل الصالح.

ولما أعطاه الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن مَنْ كفر فلم يشكر الله، عاد وبأل ذلك عليه. والله غنى [عنه](٢) حميد فيما يقدره ويقضيه على مَنْ خالف أمره، فغناه تعالى، من لوازم ذاته، وكونه حيداً في صفات كماله، حيداً في جميل صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحدمن الوصفين صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر زيادة كمال إلى كمال .

واختلف المفسرون، هل كان لقمان نبياً، أو عبداً صالحاً؟ والله تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل على حكمته في وعظه لابنه، فذكر

فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها أصول الحكمة وقواعدها الكبار، فقال: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يَمِظُهُ ﴾

أو قال له قولاً به يعظه بالأمر والنهى، المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك فقال: ﴿إِنَّ الشرك لظلم عظيم، ووجه كونه عظيماً، أنه لا أفظع وأبشع عمن سَوَّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغنى من جميع الوجوه، وسوَّى مَنْ لم يُنعم بمثقال ذرة [من النعم](٣) بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدائهم إلأمنه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!!

وهل أعظم ظلماً عن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، [فجعلها في أخس المراتب](3) جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً، فظلم نفسه ظلماً كبيراً.

ولما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين، فقال: ﴿ووصينا الإنسان﴾ أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيناه ﴿بُوالْلَيْهِ ﴾ وقلنا له: ﴿اشْكُر لِي ﴾ بالقيام بعبوديتي وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمى على معصيتى، ﴿ولوالديك﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما [وإكرامهما](٥) وإجلالهما، والقيام بمؤونتهما، واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل.

فوصيناه بهذه الوصية، وأخبرناه أن ﴿إِلِّي المصيرِ ﴾ أي: سترجع أيها الإنسان إلى مَنْ وصاك وكلفك بهذه

الحقوق، فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟ أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟

ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم، فقال: ﴿ حملته أمه وهناً على وهن ای: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقى المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

تم ﴿ فصاله في عامين ﴾ وهو ملازم لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد مع شدة الحب، أن يؤكد على ولده، ويوصى إليه بتمام الإحسان إليه؟

﴿وَإِن جِاهِداك ﴾ أي: اجتهد والداك ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ ولا تظِن أن هذا داخيل في الإحسان إليهما، لأن حق الله مقدم على حق كل أحد، و الاطاعة لمخلوق في معصية الخالق".

ولم يقل: «وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما"، بل قال: ﴿فلا تطعهما ﴾ أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه، ولهذا قال: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصى، فلا تتبعهما.

﴿ واتبع سبيل مَنْ أناب إني ﴾ وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه.

واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعى البدن، فيما يرضى الله ويقرب منه.

﴿ثم إِنَّ مرجعكم الطائع والعاصى والمنيب، وغيره ﴿فَأَنْبِنُكُمْ بما كنتم تعملون﴾ فلا يخفي على الله من أعمالهم خافية.

(٥) زيادة من: ب.

(Y)

زيادة من: ب.

زيادة من: ب. (1)

زيادة من: ب. (٣)

زيادة من: ب. (٤)

﴿يا بُنَيَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴾ التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، ﴿فتكن في صخرة ﴾ أي: في وسطها ﴿أو في السماوات أو في الأرض ﴾ في أي: جهة من جهاتهما ﴿يأت بها الله ﴾ لسعة علمه، وتمام خبرته، ولهذا قال: ﴿إن الله لطيف خبير ﴾ أي: لطف في علمه وخبرته، حتى اطلع على البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار.

والقسود من هذا، الحث على مراقبة الله والعمل بطاعته مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كُثُرَ.

﴿يا بُنَيَ أَقِم الصلاة ﴾ حثه عليها ، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية ، ﴿وَأُمُرْ بِالمعروف وانه عن المنكر ﴾ وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به ، والعلم بالمنكر لينهى عنه .

والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به، من الرفق، والصبر، وقد صرّح به في قوله: ﴿وَاصِبر على ما أصابك﴾ ومن كونه فاعلاً لما يأمر به، كافأ لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهه.

ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى، وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك، فقال: ﴿واصبر على ما أصابك إنّ ذلك﴾ الذي وعظ به لقمان ابنه ﴿من عزم عليها ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أمل العزائم.

﴿ ولا تُصَمَّر خدك للناس﴾ أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك للناس، تكبُّراً عليهم وتعاظماً.

﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ أي: بِطِراً، فخراً بالنعَم، ناسياً المنعم، معجباً بنفسك. ﴿ إن الله لا يحب كل غتال ﴾ (١) في نفسه وهيئته وتعاظمه

﴿فخور﴾ بقوله .

﴿واقصد في مشيك﴾ أي: امش متواضعاً مستكيناً، لا مَشْيَ البطر والتكبر، ولا مشي التماوت.

واغضض من صوتك أدباً مع السناس ومع الله، ﴿إِن أَسكسر السناس ومع الله، ﴿إِن أَسكسر الأصوات ﴾ أي: أفظعها وأبشعها ﴿لصوت الحمير ﴾ فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة ، لما اختص بذلك الحمار ، الذي قد علمت خسته وبلادته .

وهذه الوصايا التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نياً.

وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام وحِكمِها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بمكره وشكرهما، ثم احترز بأن عل برهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جماهها وخوقه القدوم عليه، وأنه بمراقبة الله، وخوقه القدوم عليه، وأنه بمواقبة الله، وخوقه القدوم عليه، وأنه يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير

ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.

والشر إلا أتى بها.

وأمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى: فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصاً بالحكمة، مشهوراً بها. ولهذا من منّة الله عليه وعلى سائر عباده، أن قص عليهم من حكمة، ما يكون لهم به أسوة حسنة.

﴿٢٠ ـ ٢١﴾ ﴿الم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ يمتن تعالى عباده بنعمه، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها، وعدم الغفلة عنها فقال: ﴿الم تسووا ﴾ أي: تشاهدوا وتبصروا بأبصاركم وقلوبكم، ﴿أن الله سخر والقمر والنجوم، كلها مسخرات لنفع والعباد.

﴿وما في الأرض﴾ من الحيوانات والأشجار والزروع، والأنهار والمعادن ونحوها، كما قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جمعاً﴾.

﴿وأسبغ عليكم﴾ أي: عمّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها، والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم، بمحبة المنعم والخضوع له، وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته.

و كن مع توالي هذه النِعَم، ومن الناس مَن لهم لي شكرها، بل كفرها وكفر بمَن أنعم بها، وجحد الحق الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، فجعل ﴿ يادل في الله أي: يادل عن الباطل ليدحض به الحق، ويلفع به ما جاء به الرسول من الأمر عبادة الله وحده، وهذا المجادل على فير بصيرة، فليس جداله عن علم، فير بصيرة، فليس جداله عن علم، فير وشأنه، ويسمح له في الكلام في الكلام ولا كتاب منير ﴿ [غير مبن للحق فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء بالمهتدين الله مني اللهتدين أنها مني اللهتدين الله مني اللهتدين اللهتدين اللهتدين اللهتدين اللهتدين الله مني اللهتدين اللهتدين

⁽١) كذا في: ب، وزاد في: أ قوله تعالى: فخور.

⁽٢) زيادة من: ب.

على تقليد آباء غير مهتدين، بل ضالين مضلين.

ولهذا قال: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله على أيدي رسله، فإنه الحق، وبينت لهم أدلته الظاهرة ﴿قالوا ﴾ معارضين ذلك: ﴿بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقول أحد، كائناً مَنْ كان.

قال تعالى في الردعليهم وعلى آبائهم: ﴿ أُولُو كَانَ الشيطان يدعوهم إلى عداب السعير ﴾ فاستجاب له أباؤهم، ومشوا خلفه، وصاروا من تلاميذ الشيطان، واستولت عليهم الحدة.

فهل هذا موجب لاتباعهم لهم ومشيهم على طريقتهم، أم ذلك يرهبهم من سلوك سبيلهم، وينادي على ضلالهم وضلال مَنْ اتبعهم.

وليس دعوة الشيطان لأبائهم ولهم، محبة لهم ومودة، وإنما ذلك عداوة لهم ومكر بهم، وبالحقيقة أتباعه من أعدائه، الذين تمكن منهم وظفر بهم، وقرت عينه باستحقاقهم عذاب السعير بقبول دعوته.

﴿ ٢٢ - ٢٤﴾ ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور * ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور * نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ ﴿ ومن يسلم وجهه الشرائع نخلصاً له دينه . ﴿ وهو محسن﴾ الشرائع نخلصاً له دينه . ﴿ وهو محسن﴾ في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعاً ، قد اتبع فيه الرسول ﷺ

أو: ومن يسلم وجهه إلى الله، بفعل جميع العبادات، وهو محسن فيها، بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

أو ومن يسلم وجهه إلى الله، بالقيام بحقوقه، وهو محسن إلى عباد الله، قائم بحقوقهم.

والمعاني متلازمة، لا فرق بينها إلاّ

من جهة [اختلاف] (١٠٠ مورد اللفظتين، وإلا فكلها متفقة على القيام بجميع شرائع الدين، على وجه تقبل به وتكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم واستمسك بالعروة الوثقى أي: بالعروة التي من تمسك بها، توثق ونجا، وسلم من الهلاك، وفاز بكل

ومَنْ لم يسلم وجهه لله أو لم يحسن لم يستمسك بالعروة الوثقى، وإذا لم يستمسك بالعروة الوثقى، لم يكن تَمَّ الله الهلاك والبوار. ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ أي: رجوعها وموثلها ومنتهاها، فيحكم في عباده، ويجازيهم بما آلت إليه أعمالهم، ووصلت إليه عواقبهم، فليستعلوا لذلك الأمر.

﴿ومَنْ كفر فلا يحزنك كفره﴾ لأنك أديت ما عليك، من الدعوة والبلاغ، فإذا لم يهتد، فقد وجب أجرك على الله، ولم يبق للحزن موضع على عدم اهتدائه، لأنه لو كان فيه خير لهداه الله.

ولا تحزن أيضاً، على كونهم تجرؤوا عليك بالعداوة ونبابذوك المحاربة، واستمروا على غيهم وكفرهم، ولا تتحرق عليهم بسبب أنهم ما بودروا بالعذاب.

فإن ﴿إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا﴾ من كفرهم وعداوتهم، وسعيهم في إطفاء نور الله وأذى رسله.

﴿إِن الله عليم بذات الصدور﴾ التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر، وكان شهادة؟!!

﴿نمتعهم قليلاً في الدنيا، ليزداد إسمهم، ويتوفر عذابهم، ﴿ثم نضطرهم أي: [نلجئهم] (٢) ﴿ إلى عذاب غليظ أي: انتهى في عظمه وكبره وفظاعته وأله وشدته.

و ٢٥ ـ ٢٨﴾ ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنَ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * لله ما في السماوات والأرض إن الله

DESIGNATION OF THE PROPERTY OF ألَّاتَةَ وَأَ أَنَّ ٱللَّهُ مَهَ خَرِّكُ مِمَّا فِي ٱلسَّهُ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْكِغُ عَلَيْكُمْ مِعْكُمُ فِلْهُمَ وَكِلِطِنَةُ وَكِلِلْنَةُ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَلِدِلُ فِ ٱللَّهِ بِعَثْمِرِ عِلْمِ وَلَاهُ مُنَّى وَلَاكِتَ مُنِيرٍ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَتَّبِعُواْمًا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَشِّيعُ مَا وَجَدْنَا عَلِيْهِ مَا بَكَ مَنَّ أَوَلَوْكَانَ ٱلشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَّى عَذَابِٱلسَّعِيرِ ۞ • وَمَن يُسِّلِرُ وَجَهَةَ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ يُحْيِنَّ فَقَدَ اسْتَمْسَكَ بِٱلْمُرْوَةِ ٱلْوَثْقَلُّ وَإِلَى اللَّهِ عَلِقِيمَةُ ٱلْأَمُورِ ۞ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَخَزُنكَ كُفُرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُ مُنْ فَنُنَيْنُهُ فُرِبَاعَيْلُوا اِنَ ٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ تُمَيِّعُهُ مَ قَلِيكُ الْمُوَّنَضَعَارُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِظِ ۞ وَلَهِن سَأَلْتُهُ مُنَّ خَلَقَ ٱلسَّمَوَنتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ ٱلْحُمَّدُ لِنَّوْ بَلْ أَحْسَرُ مُزلَايِمًا لَوْنَ ﴿ لِلَّهِ مَانِ ٱلسَّنَوْتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهُ هُوَ ٱلْخَنِيُّ ٱلْحَيِيدُ ۞ وَلُوَأَمَّنَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةِ ٱلْكُلُو ۗ وَٱلْجَرْيَ لُهُمُ مِنْ بَعْدِيدِ سَبْعَةُ ٱلْحُي مَّانَفِدَتْ كَلِمْتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ حَكِيدٌ ۞ مَّاخَلَقُكُرُ إِلَّ وَلَابَعْثُكُرُ إِلَّاكَنَفْسِ وَحِدَّةً إِنَّ أَلَهُ سَكِيعٌ بَعِيدٍ ﴿ ۞ CE SACE III BARCEA

هو الغني الحميد * ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم * ما خلقكم ولا يعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير أي: ولشن سألت هؤلاء المسركين المكذبين بالحق ﴿من خلق السماوات﴾ لعلموا أن أصنامهم ما خلقت شيئاً من ذلك، ولبادروا بقولهم الله الذي خلقهما وحده.

ف ﴿قل﴾ لهم ملزماً لهم، ومحتجاً عليهم بما أقروا به، على ما أنكروا: ﴿الحمد شه الذي بين النور، وأظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، فلو كانوا يعلمون، لجزموا أن المنفرد بالخلق والتدبير، هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد.

ولكن ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ فلذلك أشركوا به غيره، ورضوا بنناقض ما ذهبوا إليه، على وجه الحيرة والشك، لا على وجه البصيرة، ثم ذكر في هاتين الآيتين نموذجاً من سعة أوصافه، ليدعو عباده إلى معرفته وعبته وإخلاص الدين له.

فذكر عموم ملكه، وأن جميع ما في السماوات والأرض _ وهذا شامل لجميع العالم العلوي والسفلي _ أنه ملكه، يتصرف فيهم بأحكام الملك

الانتراز القديم التياب القيار وقع لم القار والحيار التيار والتيار وال

DESIGNATION OF THE PROPERTY OF

القدرية، وأحكامه الأمرية، وأحكامه الجزائية، فكلهم عبيد ممالك، مدبرون مسخرون، ليس لهم من الملك شيء، وأنه واسع الغنى، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إلى أحد من الخلق. ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾.

TO SOME WE SOME LON

وأن أعمال النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا تنفع الله شيئاً وإنما تنفع عامليها، والله غني عنهم وعن أعمالهم، ومن غناه، أن أغناهم وأقناهم في دنياهم وأخراهم.

ثم أخبر تعالى عن سعة حمده، وأن حمده من لوازم ذاته، فلا يكون إلا حميداً من جميع الوجوه، فهو حميد في صفاته، فكل صفة من صفاته، يستحق عليها أكمل حمد وأنحه، لكونها صفات عظمة وكمال، وجميع ما فعله وخلقه يحمد عليه، وجميع ما أمر به ونهى عنه يحمد عليه، وجميع ما حكم به في العباد وبين العباد، في الدنيا والآخرة، يحمد عليه،

ثم أخبر عن سعة كلامه وعظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته أولو الأباب والبصائر، فقال: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ يكتب بها

﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ مداداً يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام، ولفني ذلك المداد، ولم تنفد ﴿كُلُّمَاتُ اللهُ ﴾ تعالى، وهذا ليس مبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تبارك وتعالى أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم تعالى أن معرفته لعباده أفضل نعمة أنعم بها عليهم، وأجلّ منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فنبههم تعالى تنبيها تستنير به قلوبهم، وتنشرح له صدورهم، ويستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه: الا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،، وإلا، فالأمر أجلُّ من ذلك

وهذا التمثيل، من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت (١) بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها خلوقة.

وأعظم.

وأما كلام الله تعالى، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، على أنه لا نفاد له ولا منتهى، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته ﴿وأن إلى ربك المتهى﴾.

وإذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالى وآخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض والتقدير، وساعد على ذلك من ساعد بقلبه ولسانه، فالله تعالى بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية.

والله في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله

وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المشل الـذي ضربه الله لـكـلامه، ليدرك العباد شيئاً منه، وإلا، فالأمر أعظم وأجل.

ثم ذكر جلالة عزته وكمال حكمته فقال: ﴿إِن الله عزيز حكيم أي: له العزة جيعاً، الذي ما في العالم العلوي والسفلي من القوة إلا منه، أعطاها للخلق، فلا حول ولا قوة إلا به، وبعزته قهر الخلق كلهم وتصرف فيهم وببحكمته خلق الخلق، وابتدأه بالحكمة، وجعل غايته والمقصود منه الحكمة، وكذلك الأمر والنهي وجد بالحكمة، وكانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه وأمره.

ثم ذكر عظمة قدرته وكمالها، وأنه لا يمكن أن يتصورها العقل، فقال: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴿ميم الخلق على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لمحة واحدة مكخلقه نفساً واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور والجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة الله وقوة قدرته.

ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات، وبصره لجميع المبصرات، ققال: ﴿إِنْ الله سميع بصير﴾

﴿٢٩ ـ ٣٠﴾ ﴿ أَلَم تر أَن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير * ذلك بأن الله هو الحق وأن الله هو المعلى الكبير ﴾ وهذا فيه أيضاً ، انفراده بالتصرف والتدبير ، وسعة تصرفه بإيلاج الليل في النهار ، وإيلاج النهار في الليل ، أي: إدخال أحدهما على الآخر ، فإذا دخل أحدهما على الآخر .

وتسخيره للشمس والقمر، يجريان بتدبير ونظام، لم يختل منذ خلقهما،

ليقيم بذلك من مصالح العباد ومنافعهم، في دينهم ودنياهم، ما به يعتبرون وينتفعون.

و ﴿كل﴾ منهما﴿يري إلى أجلٍ مسمَى﴾ إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، وتعطّل سلطانهما، وذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنتهي دار الدنيا، وتبتدىء الدار الآخرة.

﴿وأن الله بما تعملون ﴾ من خير وشر ﴿خبير ﴾ لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على تلك الأعمال، بالشواب للمطيعين، والعقاب للعاصين.

و ﴿ذلك﴾ الذي بين لكم من عظمته وصفاته، ما بين﴿بأن الله هو الحق﴾ في ذاته وفي صفاته، ودينه حق، ووعده حق، ووعده حق، ووعده حق.

﴿وأن ما يدعون من دُونه الباطل﴾ في ذاته وصفاته، فلولا إيجاد الله له لما وجد، ولولا إمداده لما بَقِيَ، فإذا كان باطلاً، كانت عبادته أبطل وأبطل.

﴿وأن الله هو العلي﴾ بذاته، فوق جميع نحلوقاته، الذي علت صفاته، أن يقاس بها صفات أحدٍ من الخلق، وعلا على الخلق فقهرهم، ﴿الكبير﴾ الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض.

﴿٣١ ـ ٣٦﴾ ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور * وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله غلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴾ أي: ألم تر من آثار قدرته ورحمته وعنايته بعباده، أن سخر البحر، تجري فيه الفلك بأمره القدري

[ولطفه وإحسانه، ﴿ليريكم من آياته﴾ ففيها الانتفاع والاعتبار](١).

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيات لَكُلُ صَبّارِ شكور﴾ فهم المتفعون بالآيات، صبّار على الضراء، شكور على السرّاء، صبّار على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره، شكور لله على نعمه الدينية والدنوية.

وذكر تعالى حال الناس عند ركوبهم البحر وغشيان الأمواج كالظل (٢) فوقهم، أنهم يخلصون الدعاء [ش] (٣) والعبادة: ﴿ فلما نجاهم إلى البر﴾ انقسموا فريقين:

فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم.

وفرقة كافرة بنعمة الله، جاحدة لها، ولهذا قال: ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل خقار ﴾ (*) أي: غدار، ومن غدره أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر وسدته، لنكونن من الشاكرين، فغدر، ولم يف بذلك، ﴿كفور﴾ يِنَعَمْ الله من هذه الله من هذه الله من هذه الله، إلا القيام التام بشكر يعَم الله؟

﴿٣٣﴾ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والدعن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره وترك زواجره، ويستلفتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد، الذي فيه كل أحد لا يهمه إلا نفسه، ف ﴿لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ لا يزيد في حسناته ولا ينقص من سيئاته، قد تم على كل عبد عمله، وتحقق عليه جزاؤه.

الدّن تنيا الكتب الارتباء ومن دّن المعلقة المنتقة الدّن تنيا الكتب الارتباء ومن دّن المعلقة المنتقة الدّن تنيا الكتب الارتباء ومن دّن المعلقة حن المتعلقة عن المتعلقة المتعلقة عن المتعلقة المتعلقة المتعلقة عن المتعلقة المتعلقة المتعلقة عن المتعلقة المتعلقة عن المتعلقة عن المتعلقة المتعلقة المتعلقة المتعلقة المتعلقة عن المتعلقة المتعلقة عن المتعلقة الم

بَنُوْفَكُمْ مَلَكُ ٱلْوْتِ ٱلَّذِي وَكُلَّ بِكُو لُمَّ إِلَّى اللَّهِ مُؤْمِنَا لِلْ رَبِّحُ لُوْمَتُونَ ٥

ON TON TON TON

فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهذا اليوم المهيل، مما يقوي العبد ويسهل عليه تقوى الله، وهذا من رحمة الله بالعباد، يأمرهم بتقواه التي فيها سعادتهم، ويعدهم عليها الثواب، ويخدهم من العقاب، ويزعجهم إليه بالمواعظ والمخوفات، فلك الحمديا رب العالمين.

﴿إِن وعد الله حق﴾ فلا تمتروا فيه، ولا تعملوا عمل غير المصدق، فلهذا قال: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بزينتها وزخارفها وما فيها من الفتن والمحن.

﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الذي هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان ولا يخفل عنه في جميع الأوقات، فإن لله على عباده حقاً، وقد وعدهم موعداً يجازيهم فيه بأعمالهم، وهل وفوا حقه أم قصروا فيه.

وهذا أمر يجب الاهتمام به، وأن يجعله العبد نصب عينيه، ورأس مال تجارته التي يسعى إليه.

ومن أعظم العوائق عنه والقواطع دونه، الدنيا الفتانة، والشيطان

⁽١) زيادة من: ب.

⁽٢) في ب: كالظلل.

⁽۳) زیادة من: ب.

 ⁽٤) كذا في ب، وزاد في أ: قوله تعالى: ﴿كفور﴾.

الم يُؤلِو المِينَانِ اللهِ عَلَى اللهِ الله のの一般は一般など وَلَوْتَرَكَا إِذِ لَلْهُ وَمُونَ فَاحِسُواْرُهُ وسِهِ مْعِندَ رَبِّهِ مْرَبِّناً أَبْصَرُنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلُ صَلِيحًا إِنَّا مُوقِئُونَ ۞ وَلَوْشِنْنَا لَآنِيْنَاكُلُّ فَقِينِ هُدَنَهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنَّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمُ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْهَمِينَ ۞ فَنُوقُواْ عَانَسِيتُمُ لِتَكَآءَ وَمِكُمُ هَاذَآ إِنَّانَسِينَكُمُّ وَذُوقُواْعَكَابَ ٱلْخُلُومِ اللَّهُ مَا تُعَمَّدُونَ ١ إِنَّا يُؤْمِثُ إِمَّا لِيَتِنَا الَّهُونَ اللَّهِ مِنْ إذا ذُحِيرُوا بِهَا خَرُوا مُعِنَدًا وَسَبَحُوا بِحَدِد رَبِهِمْ وَهُرَ لَايَسْتَكُيْرُونَ ۞ ﴿ تَمَّالَكُ جُنُوبُهُمْ عَن ٱلْحَبَى لَجِي يَنْعُونَ رَبِّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعُ اوْمُأَا رَزُقًا هُزُيْنِفِقُونَ ۞ فَلَا تَعَالَمُ نَفْسٌ مَّا أَخْلِي لَمُمُ مِن قُدَرَةِ أَعْيُن جَزَّاءً كُمَّاكُ أَوُّا يَعْسَلُونَ ۞ أَفَنَكَانَ مُؤْمِنَا كُنْ كَانَ فَاسِفَأَ لَايَسَتَوُونَ ﴿ أَمَّا الَّذِينَ مَا مَنُوا وَعَمِهُوا الصَّالِحَتِ فَلَهُ مُجَنَّتُ الْمَأْوَى نُزُلَا مِمَاكَ اوَٰ أَيْفَ مَلُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِيرَ فَسَقُوا فَمَأُونِهُمُ ٱلنَادِّ حُكُمُّنَا أَوْدُوْا أَن يَعْدُ جُوامِنْهَا أَيْبِ وُلْفِهَا وَقِيلَ كُمُرُ دُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُر بِهِدِ تَحْكَ يَبُونَ A DURANT MEGREEN

الموسوس المُسَوِّل، فنهى تعالى عباده أن تغرهم الدنيا أو يغرهم بالله الغرور ﴿يعلهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿إِن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي: أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كشير من الأمور الغيبية، وهذه [الأمور](١) الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلاً عن غيرهما، فقال: ﴿إِن الله عنده علم الساعة ﴾ أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ الآية.

﴿ويننزل الغيث﴾ أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله.

﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ فهو الذي أنشآ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل

بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنشى؟ فيقضى الله ما يشاء.

﴿وَمَا تَدَرِي نَفْسَ مَاذَا تَكْسَبُ غَداً﴾ من كسب دينها ودنياها، ﴿وما تَدَرِي نَفْسٌ بِأَي: أَرْضَ تَوتَ﴾ بِلِ الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه.

ولما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: ﴿إِنَّ اللهُ عليم خبير﴾ عيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا والسرائر، ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على مَنْ تدبر ذاك.

تم تفسير سورة لقمان بفضل الله وعونه، والحمد لله

تفسير سورة السجدة وهي مكية

﴿١ - ٣﴾ ﴿بـسم الله السرحمين الرحميم الله عنه من رب العالمين * أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، أنه تنزيل نزل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته.

ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه ولا شك ولا امتراء، ومع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك: افتراه محمد، واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام الله، ورمي عمد على كلام مثل كلام الخالق.

وكل واحد من هذه من الأمور العظائم، قال الله _ رادًا على مَنْ قال: افتراه: _ ﴿ بِل هُو الحق الله الله ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. ﴿ من

ربك أنزله رحمة للعباد (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك أي: هم في حال ضرورة وفاقة لإرسال الرسول وإنزال الكتاب، لعدم النذير، بل هم في جهلهم يعمهون، وفي ظلمة ضلالهم يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك (لعلهم يهتدون) من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه.

وهذه الأشياء التي ذكرها الله، كلها مناقضة لتكذيبهم له، وإنها تقتضي منهم الإيمان والتصديق التام به، وهو كونه (من رب العالمين) وأنه (الحق مقبول على كل حال، وأنه فليس فيه ما يوجه من الوجوه، لا يطابق للواقع (٢٠)، ولا بخبر واشتباه معانيه، وأنهم في ضرورة وحاجة إلى الرسالة، وأن فيه الهداية لكل خير وإحسان.

﴿٤ _ ٩ ﴾ ﴿الله السدى خسلسق السماوات والأرض وما بينهما في ستة آيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون * يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة ٰ عا تعدون * ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم * الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفندة قليلاً ما تشكرون المجبر تعالى عن كمال قدرته بخلق (السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ أوّلها يوم الأحد وآخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة، ولكنه تعالى رفيق

﴿ ثُم استوى على العرش ﴾ الذي هو سقف المخلوقات، استواء يليق بجلاله . ﴿ ما لكم من دونه من ولي ﴾ يتولاكم في أموركم فينفعكم ﴿ ولاشفيع ﴾ يشفع لكم إن توجه عليكم العقاب .

كان جماداً.

﴿أفلا تتذكرون﴾ فتعلمون أن خالق الأرض والسماوات، المستوي على العرش العظيم، الذي انفرد بتدبيركم وتوليكم، وله الشفاعة كلها، هو المستحق لجميع أنواع العبادة.

﴿يدبر الأمر﴾ القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المنفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير ﴿من السماء إلى الأرض﴾ فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعِزُ ويُذِلُ، ويُحرُمُ ويُعِزُ ويُذِلُ، آخرين، وينزل الأرزاق.

﴿ثم يعرج إليه ﴾ أي: الأمر ينزل من عنده ويعرج إليه ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ وهو يعرج إليه ويصله في لحظة.

﴿ ذلك ﴾ الدي خلق تسلك المخلوقات العظيمة ، الذي استوى على العرش العظيمة ، الذي استوى على المملكة ، ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ﴾ فبسعة علمه ، وكمال عزته ، وعموم رحمته ، أوجدها ، وأودع فيها من المنافع ما أودع ، ولم يعسر عليه تدبيرها .

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه أي: كل مخلوق خلقه الله، فإن الله أحسن خلقه، وخلقه خلقاً يليق به ويوافقه، فهذا عام.

ثم خص الآدمي لشرفه وفضله فقال: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ وذلك بخلق آدم عليه السلام، أبي البشر.

﴿ثم جعل نسله﴾أي: ذرية آدم ناشئة ﴿من ماء مهين﴾ وهو النطفة المتقذرة الضعيفة.

﴿ثُمْ سواه ﴾ بلحمه وأعضائه وأعضائه وأعصابه وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل عضو منه بالمحل الذي لا يليق به غيره، ﴿ونفخ فيه من روحه ﴾ بأن أرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن الله حيواناً بعد إذ

دال جادا. ﴿وجعل لكم السمع والأبصار ﴾ أي: ما زال يعطيكم من المنافع شيئا فشيئا، حتى أعطاكم السمع والأبصار ﴿والأثناء قليلا ما تشكرون ﴾ الذي خلقكم وصوركم. ﴿ ١٠ - ١١ ﴾ ﴿ وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم ملقاء رسم كافرون * قل بته فاكم ملك

﴿ ١٠ - ١١﴾ ﴿ وقالوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضَ أَإِنَا لَفِي خَلَقَ جَدِيد بِلَ هَمِ بِلَقَاء ربهم كافرون * قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: ﴿ أَإِذَا صَلَلْنَا فِي الأَرْضِ ﴾ أي: بلِيْنَا وتَمْزَقْنَا، وتَفْرَقْنَا، وتَفْرَقْنَا، وتَفْرَقْنَا فِي المُواضِعِ التي لا تُعَلِّمُ.

﴿ النَّالَفِي خَلَقَ جَدِيدَ أَنِ الْمَالِيدِ ﴾ أي: لبعوثون بعثاً جديداً. بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك لقياسهم قدرة الخالق بقدرهم.

وكالامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم وعناد، وكفر بلقاء ربهم وجحد، ولهذا قال: ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ فكلامهم عُلمَ (١) مصدره وغايته، وإلاّ، فلو كان قصدهم بيان الحق، لَبَيْنَ لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهداً للبصيرة بمنزلة الشمس للبصر.

ويكفيهم أنهم معهم علم أنهم قد التُدِئُوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء، وكذلك الأرض الميتة، ينزل الله عليها المطر، فتحيا بعد موتها، وينبت به متفرق بذورها.

﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكُل بكم ﴾أي: جعله الله وكيلاً على قبض الأرواح، وله أعوان. ﴿ثم إلى ربكم ترجعون ﴿فيجازيكم بأعمالكم، وقد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل الله بكم.

﴿١٤ ــ ١٤﴾ ﴿ولـــو تـــرى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس

وَلَنُذِيقَنَكُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْمِيمَ لَعَلَّهُمْ زَيْعِمُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَرُمَنَ ذُكِيْرَ وَالْإِنْ رَبِّو مِنْزُ أَغَيَّهُ وَمَنْ عَنْهَا أَنَّا مِنَ الْقُرْمِينَ مُسْتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ مَالَيْنَ ا مُوسَى ٱلْكِنْبَ فَلَاتَكُن فِي مِنْ فِين لِْقَالَهِ وَجَعَلْنَكُ هُدَى لِبَنِيَ إِسْرَةَ مِلَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَمِنَةُ يَهْدُونَ بِأَمْنِهَا لَمَاصَيْرُواْ وَكَانُواْ نِمَالِيَنَا أَيُوفَنُونَ ۞ إِذَ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ مِنْ عُرِّتُومً الْقِيكَةِ فِيمَا كَانُواْفِ فِي يَغْتَلِفُوكَ ۞ أَوْلَرْيَهُدِ لَهُمْ حَمِّمُ أَهْلَكَ نَامِن فَبْلِهِمِينَ ٱلْقُرُونِ يَتَشُونَ فِ مَسَاكِيْهِ مَرَٰإِنَّ فِي ذَلِكَ آلَابَتُ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۞ أَوْلَةً يَرْوَا لَنَانَسُوقُ ٱلْمَاتَةِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُسُرُونَ فَعُوْرِجُ بِهِ وَزَعَا تأكُلُونَهُ أَنْقُلُهُ عُمْ وَأَنْفُسُ فَمْرَأَكُ لا يُبْهِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَقَىٰ هَاذَا ٱلْمَتْمُ إِن كُنتُرْصَادِقِينَ @ فَلْ يَقِمَ الْفَتْمِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ حَكَفَرُوا إِيَّنُكُمْ وَلَا هُمُ يُظَرُّونَ ا ﴿ فَأَغْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْفِلُمْ إِنَّا ثُمِّرَمُنْ عَظِرُونَ ﴾ DUESDU IV ESTREES

أجمعين * فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون لا أذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة، ذكر حالهم في مقامهم [بين يديه](٢)، فقال: ﴿ ولو ترى إذ المجرمون الذين أصروا على الذنوب العظيمة، ﴿ ناكسوا رؤوسهم عند ربهم خاشعين رؤوسهم عند ربهم خاشعين الرجعة قائلين: ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا ﴾ أي: بان لنا الأمر، ورأيناه عياناً، فصار عين يقين.

﴿فارجعنا نعمل صالحاً إِنَّا موقنون﴾ أي: صار عندنا الآن يقين بما [كنا] (٢) نكذب به، أي: لرأيت أمراً فظيماً، وحالاً مزعجة، وأقواماً خاسرين، وسؤلاً غير مجاب، لأنه قد مضى وقت الإمهال.

وكل هذا بقضاء الله وقدره، حيث خلى بينهم وبين الكفر والمعاصي، فلهذا قال: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾أي: لهدينا الناس كلهم، وجعناهم على الهدى، فمشيئتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى، ولهذا قال: ﴿ولكن حق القول منى﴾أى: وجب، وثبت

⁽١) كذا في: ب، وفي أ: ظلم، ولعل الصوأب ما أثبته.

⁽٢) زيادة من: ب.

⁽٣) زيادة من: ب.

THE WARRENT TO SEE THE SECOND حاقة التخذالتجند يَتَأَيُّهُا النِّيمُ اللَّهِ وَلَا تُعْلِعِ الْكَافِينَ وَالْنَافِقِ لَ أَلَيْ اللَّهِ اللَّهِ الْك كَاتَ عَلِيمًا حَكِمًا ۞ وَأَتَّبِعُ مَا يُوحَقِّ إِلَيْكَ مِن زَبِكُ إِنَّ ٱللَّهَ كَالَ بِمَاتَعْمَلُونَ خَيْرًا ۞ وَقَوَكَمْ عَلَى ٱللَّهُ وَكَعَالَ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۞ مَّاجَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلُ مِن قَلْبَكِينَ فِي جَوْفٍ وَهُ وَمَاجَعَلَ أَزْوَجَكُمُ ٱلْكِنِي نُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَا تَكُمُّ وَمَاجَعَلَ أَدْعِيآ اَكُوْ أَيْنآ اَكُوْ ذَٰلِكُمْ فَوَلَكُمْ بِأَفْوَاهِكُمُّ وَأَسَّهُ يَقُولُ أَنْتُقَّ وَهُويَهُدِى أَلْسَكِيلَ ۞ أَدْعُوهُمْ لِأَبَأَتِهِمْ هُوَأَفَسَكُ عِندَاللَّهُ فَإِن لَّرَتَعُ لَمُوَّا ءَابَآةَ هُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلِيْنِ وَمَوَّلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَامٌ فِيمَا ٓلَخَطَالُمُ بِي وَلَحِين مَّاتَّكُمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَالَ ٱللَّهُ عَنْفُولًا تَحِيمًا ۞ ٱلنِّيمُ أَوْلَا بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمٌّ وَأَزْوَجُهُو أُمَّهَا لُعُمُّ وَأُولُوا ٱلْأَرْحَكَاءِ بَعْضُ عُمَّا أَوْلَكَ بِبَعْضِ فِ يكتب القوين المؤمنين والمتكنيري إلآأن قشعلوا إلى أَوْلِياً بِكُمْ مَعْدُونُ أَكَارَ ذَلِكَ فِي ٱلْكِينَ مَسْطُورًا ۞ A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

ثبوتاً لا تغير فيه.

﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فهذا الوعد لا بد منه، ولا عيد عنه، فلا بد من تقدير أسبابه من الكفر والمعاصى.

﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي: يقال للمجرمين الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه ولا ملاقيه.

﴿إِنا نسيناكم ﴾ أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نسيتُمْ نُسِيتُمْ، ﴿وَوْوَوَا عَذَابِ الخلد ﴾ أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل وغاية، كان فيه بعض التنفيس والتخفيف، وأما عذاب جهنم _ أعاذنا الله منه _ فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها. ﴿ وَالمَعْنَى وَالمُعْنَى مِن الكفر والفسوق والمعاصى.

﴿ ١٥ - ١٧ ﴾ ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم

لا يستكبرون * تنجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفأ وطمعأ ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿ لَمَا ذَكُر تعالى الكافرين بآياته ، وما أعد لهم من العذاب، ذكر المؤمنين بها، ووصفهم، وما أعدلهم من الثواب، فقال: ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ [أي:](١) إيماناً حقيقياً، من يوجد منه شواهد الإيمان، وهم: ﴿اللَّهِينِ إِذَا ذكروا، بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، وأتتهم النصائح على أيدي رسل الله، وَدُعُوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، و ﴿خروا سُجِّداً ﴾ أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله، وفرح بمعرفته.

وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، والتسليم وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم.

﴿تَتَجَالَ جَنُوبِهُمْ عَنَ المَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى.

ولهذا قال: ﴿يدعون ربهم﴾ أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما. ﴿خوفاً وطمعاً﴾ أي: جامعين بين الوصفين، خوفاً أن ترد أعمالهم، وطمعاً في قبولها، خوفاً من عذاب الله، وطمعاً في ثوابه.

وما رزقناهم من الرزق، قليلاً كان أو كثيراً فينفقون ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالى خير مطلقاً، سواء

وافق غنياً أو فقيراً، قريباً أو بعيداً، ولكن الأجر يتفاوت بتفاوت النفع، فهذا عملهم.

وأما جزاؤهم، فقال: ﴿فلا تعلم نفس﴾ يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد ﴿ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور، كما قال تعالى على لسان رسوله: «أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

فكما صلوا في الليل ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾

أُوّما كان مؤمناً كمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون * أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون * أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون بينه تعالى العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين، وأن حكمته تقتضي عدم تساويهما، فقال: ﴿أفمن كان مؤمناً له تعارحه لشرائعه، واقتضى إيمانه آثاره وموجباته، من ترك مساخط الله، وموجباته، من ترك مساخط الله، التي التي وجودها بالإيمان.

وكمن كان فاسقاً ♦ قد خرب قلبه وتعطل من الإيمان، فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن طاعة الله.

أفيستوي هذان الشخصان؟ ﴿لا يستوون﴾ عقلاً وشرعاً، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة.

﴿أَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمَلُوا

الصالحات من فروض ونوافل ﴿فلهم جنات المأوى ﴾ أي: الجنات التي هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحدن الخيرات، والنفوس والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه.

﴿ نزلا ﴾ لهم، أي: ضيافة وقرى ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم، هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية ، التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلاً ، سوى الإيمان والعمل الصالح.

﴿وَأَمَا الذين فسقوا فَمَأُواهُمُ النَّارِ﴾ أي: مقرهم ومحل خلودهم، النار التي جمعت كل عذاب وشقاء، ولا يُفَتَّرُ عنهم العقاب ساعة.

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ، ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، واشتد عليهم الكرب.

وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فهذا عذاب النار، الذي يكون فيه مقرهم ومأواهم، وأما العذاب الذي قبل ذلك، ومقدمة له وهو عذاب البرزخ، فقد ذكر بقوله:

﴿٢١﴾ ﴿ولتَلْيقتهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾

أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين نموذجاً من العذاب الأدني، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفاً منه قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت، كما في قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ثم

يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم.

وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثَمَّ عذاباً أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار.

ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم كما قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات

ربه ثم أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون أي: لا أحد أظلم وأزيد تعدياً، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته عليه على يد رسله، تأمره وتذكره مصالحه الدينية والدنيوية، وتنهاه عن مضاره الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها ولا اتبعها، بل أعرض عنها لمجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة، ولهذا قال: ﴿إنّا من المجرمين منتقمون أله

(۲۳ - ۲۰) ﴿ ولقد آتینا موسی الکتاب فلا تکن في مریة من لقائه وجعلنا هدی لبني إسرائیل * وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وکانوا بآیاتنا یوقنون * إن ربك هو یفصل بینهم یوم القیامة فیما کانوا فیه پختلفون ﴾ لما ذکر تعالی آیاته التی ذکر بها عباده، وهو القرآن، الذي أنزله علی عمد گر نه دکر أنه لیس ببدع من عمد الکتب، ولا من جاء به بغریب من الرسل، فقد آتی الله موسی الکتاب الذي هو التوراة المصدقة للقرآن، التی

قد صدقها القرآن، فتطابق حقهما، وثبت برهانهما، ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ لأنه قد تواردت أدلة الحق وبيناته، فلم يبق للشك والمرية محل.

وبينانه، فلم يبق للشك والمرية عل. ﴿وجعلناه﴾ أي: الكتاب الذي آتينا موسى ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ يهتدون به.في أصول دينهم وفروعه (١١) وشرائعه موافقة لذلك الزمان في بني إسرائيل.

وأما هذا القرآن الكريم، فجعله الله هداية هداية للناس كلهم، لأنه هداية للخلق، في أمر دينهم ودنياهم إلى يوم القيامة، وذلك لكمالله وعلوه ﴿وإنّهُ في أم الكتاب لدينا لَعَلَى حكيم﴾.

وجعلنا منهم أي: من بني إسرائيل ﴿أئمة يهدون بأمرنا ﴾ أي: علماء بالشرع وطرق الهداية ، مهتدين في أنفسهم ، يهدون غيرهم بذلك الهدى ، فالكتاب الذي أنزل إليهم هدى ، والمؤمنون به منهم على قسمين: أئمة يهدون بأمر الله ، وأتباع مهتدون سمه .

والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي واسترسالها في الشهوات.

﴿وكانوا بآياتنا يوقنون أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله إلى درجة اليقين، وهو العلم التام الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلماً صحيحاً، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون السائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين تُنَالُ الإمامة في الدين.

وثَـمَّ مُسائل اختلف فيها بنو إسرائيل، منهم مَنْ أصاب فيها الحق، ومنهم مَنْ أخطأه خطأ أو عمداً، والله تعالى ﴿يفصل بينهم يوم القيامة فيما

في النسختين: وفروعهم، ولعل الصواب ـ والله أعلم ـ ما أثبت.

كانوا فيه يختلفون وهذا القرآن يقص على بني إسرائيل بعض الذي يختلفون فيه، فكل خلاف وقع بينهم، ووجد في القرآن تصديق لأحد القولين، فهو الحق، وما عداه مما خالفه باطل.

﴿ ٢٦ ـ ٢٧﴾ ﴿ أُولَمُ يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لأيات أفلا يسمعون * أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون لهناء للكذبين أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول، ويهدهم إلى الصواب. ﴿ كم الملكوا مسلكهم، ﴿ يمشون في مساكنهم ﴾ فيشاهدونها عياناً، كقوم مود وصالح، وقوم لوط.

﴿إِنْ فَي ذَلَكَ لَآياتَ ﴾ يستدل بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك والشر، وعلى أن مَنْ فعل مثل فعلهم، فُعِلَ بهم كما فُعِلَ بأشياعه من قبل.

وعلى أن الله تعالى مجازي العباد، وباعثهم للحشر والتناد. وأفلا يسمعون آيات الله فيعونها فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح وعقل رجيح، لم يقيموا على حالة (١٦) يجزم بها بالهلاك.

﴿أَوَلَمْ يَرُوا﴾ بأبصارهم نعمتنا وكمال حكمتنا ﴿أَنَّا نسوق الله إلى الأرض الجرز﴾ التي لا نبات فيها، فيسوق الله المطر الذي لم يكن قبل موجوداً فيها، فيفرغه فيها من السحاب أو من الأنهار. ﴿فنخرج به زرعاً﴾ أي: نباتاً مختلف الأنواع ﴿تأكل منه أنعامهم﴾ وهو فعام الآدمين.

﴿أفلا يبصرون﴾ تلك المنة، التي أحيا الله بهما البلاد والعسماد، فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر وتلك البصيرة، إلى الصراط المستقيم، ولكن غلب عليهم العمى، واستولت عليهم العمل يبصروا في ذلك

بصر الرجال، وإنما نظروا إلى ذلك نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخد.

﴿٢٨ ـ ٠٣﴾ ﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين * قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم يُنظرون * فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون أي: يستعجل المجرمون بالعنذاب الذي وعدوا به على التكذيب، جهلاً منهم ومعائدة.

﴿وَيُقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتِح﴾ الذي يفتح بيننا وبينكم، بتعذيبنا على زعمكم ﴿إِنْ كُنتُم﴾ أيها الرسل ﴿صادقين﴾ في دعواكم.

﴿قُلْ يوم الفتح﴾ الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئاً، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، عندكم يقيناً، لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر، ولم يبق للمحنة محل فرلا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ لأنه صار إيمان ضرورة، ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم.

﴿فأعرض عنهم لل وصل خطابهم إلى حالة الجهل واستعجال العذاب. ﴿وانتظر ﴾ الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه، ولكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم ولا يتأخر. ﴿إنهم منتظرون ﴾ بك ريب المنون، والعاقبة ولتقوى.

تم تفسير سورة السجدة بحول الله ومته فله تعالى كمال الحمد والثناء والمجد

تفسير سورة الأحزاب وهي مدنية

﴿١ ـ ٣﴾ ﴿بـسـم الله السرحسن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً * واتبع ما يوحى إليك من

ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً * وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلاً أي : يا أيها الذي من الله عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، الشكر نعمة ربك عليك باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والذي يجب عليك منها أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأد إلى عباده وحيه، وابذل النصيحة للخلق.

ولا يصدنك عن هذا المقصود صاد، ولا يردك عنه راد، فلا تطع كل كافر قد أظهر العداوة لله ورسوله، ولا منافق قد استبطن التكذيب والكفر، وأظهر ضده.

فهولاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تطعهم في بعض الأمور، التي تنقض التقوى وتناقضها، ولا تتبع أهواءهم، يضلوك عن الصواب.

ولاً لكن واتبع ما يوحى إليك من ربك فإنه هو الهدى والرحمة، وارج بذلك ثواب ربك، فإنه بما تعملون خبير، يجازيكم بحسب ما يعلمه منكم من الخير والشر.

فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطعهم في أهوائهم المضلة، حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره، وهو التوكل على الله، بأن تعتمد على ربك اعتماد مَنْ لا يملك لنفسه ضرأ ولا نضعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين الذي أمرت به، وثق بالله في حصول ذلك الأمر على أي:

﴿وكفى بالله وكيلا﴾ توكل إليه الأمور، فيقوم بها وبما هو أصلح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف به من كل أحد،

خصوصاً خواص عبيده، الذين لم يزل يربيهم ببره، ويُدرُ عليهم بركاته الظاهرة والباطنة، خصوصاً وقد أمره بإلقاء أموره إليه ووعده، فهناك لا تسأل عن كل أمر يتيسر، وصعب يسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشرور

وهناك ترى العبد الضعيف، الذي فوض أمره لسيده، قد قام بأمور لا يقوم بها أمة من الناس، وقد سهل الله [عليه](١) ما كان يصعب على فحول الرجال، وبالله المستعان.

﴿٤ ــ ٥﴾ ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ومأ جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل * أدعوهم لآبائهم هو أقسطُ عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ يعاتب تعالى [عباده](٢) عن التكلم بما ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً لا حقيقة له من الأقوال، ولم يجعله الله تعالى كما قالوا، فإن ذلك القول منكم كذب وزور، يترتب عليه منكرات من الشرع. وهذه قاعدة عامة في التكلم في كل شيء، والإخبار بوقوع ووجود ما لم يجعله الله تعالى.

ولكن خص هذه الأشياء المذكورة لوقوعها، وشدة الحاجة إلى بيانها، فقال: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ هذا لا يوجد، فإياكم أن تقولوا عن أحد: إن له قلبين في جوفه، فتكونوا كاذبين على الخلقة

الإلهية . ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن، بأن يقول أحدكم لزوجته: «أنتِ عَلَى كظهر أمي أو كأمى الله والما وعلهن الله وامهاتكم أمكُ مَنْ ولدتك، وصارت أعظم الناس عليك حرمة وتحريماً، وزوجتك أحلُ النساء لك، فكيف تشبه أحد المتناقضين بالأخر؟

هذا أمر لا يجوز، كما قال تعالى: ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾.

﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم والأدعياء، الولد الذي كان الرجل يدَّعيه وهو ليس له، أو يُدْعَى إليه بسبب تبنيه إياه، كما كان الأمر بالجاهلية وأول الإسلام.

فأراد الله تعالى أن يبطله ويزيله، فقدم بين يدي ذلك بيان قبحه، وأنه باطل وكذب، وكل باطل وكذب، لا يوجد في شرع الله، ولا يتصف به عباد الله.

يقول تعالى: فالله لم يجعل الأدعياء الذين تدعونهم، أو يدعون إليكم، أبناءكم، فإن أبناءكم في الحقيقة، من ولدتموهم وكانوا منكم، وأما هؤلاء الأدعياء من غيركم، فلا جعل الله هذا كهذا .

﴿ذَلَكُمُ القولُ الذي تقولُونُ في الدعى: إنه ابن فلان الذي ادعاه، أو والده فلان ﴿قولكم بأفواهكم ﴾ أي: قول لا حقيقة له ولا معنى له !

﴿ وَاللَّهُ يَسْقُبُولُ الْحَسْقُ ﴾ أي: اليقسين والصدق، فلذلكم أمركم باتباعه على قوله وشرعه، فقوله حق، وشرعه حق، والأقوال والأفعال الباطلة لا تنسب إليه بوجه من الوجوه، وليست من هدايته، لأنه لا يهدي إلاّ إلى السبيل المستقيمة، والطرق الصادقة .

وَلِذَ أَخَذَنَا مِنَ ٱلنَّبِيعَنَ مِينَا فَكُمُّ وَمِناكَ وَمِن فُوجٍ وَإِنْزَهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى أَيْنِ مَرْيَمٌ وَكَفَدْنَا مِنْهُ مِيسَاقًا عَلَيظَ ١٠٠ لِيَسْمَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَاهِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَنَأَيُّهُا الَّذِينَ عَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمُ إِذْ جَاءَتُكُمُ جُوُدٌ فَأَنْهِمُلْنَاعَلَيْهِ رَبِيَا وَجُوْدًا لَيْتَرَوْهِ أُوكَا أَنْ لَلَّهُ عِمَاتَعُمَالُونَ بَصِيرًا۞ إِذْجَآءُوكُمْ مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُو وَإِذْ ذَاغَتِ ٱلْأَبْصَئْرُ وَيَلَعَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْمُنَا عِرَوَتَظُنُّونَ · إِلَهَ الظُّلُونَا ۞ هُذَا إِلَّ ٱبْتُلِحَ ٱلْكَوْمُونَ وَزُلُولُوا ذِلْزَا لَا شَكِيدًا ۞ وَإِذْ يَكُولُ ٱلْمُنَفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي اللَّهِ عَلَوْبِهِ وَتَرَصُّ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وِإِلَّاعُ رُولًا ۞ وَإِذْ قَالَت ظَالَهِ فَتُمِّنَهُمْ يَنَأَهُ لَ يَثْرِبَ لَامُقَامَرُكُو فَالْرَجِعُوا وَيَسْتَغَذِنُ فَكِيعَ مِنْ مِنْ مَنْهُمُ النَّبِيّ يَعُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْزَةً وَمَا مِنَ بِعَوْرَةً إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارَا ا وَلَوْدُخِلَتْ عَلَيْهِ مِقِنْ أَقْطَى إِهَا أَرْسُدِ فُوا الْفِنْسَةَ لَآوَهَا وَمَا تَلَبُنُوا بِهِمَّا إِلَّا يَسِيرًا ۞ وَلَقَدْكَ الْوَاعَلَهُ دُوا اللَّهَ الله عن مَّتْ لَا لَا يُولُونَ الْأَدْبُدَرُوكَ انْ عَهَدُ اللَّهِ مَسْتُولًا ٥

وإن كان ذلك واقعاً بمشيئته، فمشيئته عامة، لكل ما وجد من خير

ثم صرّح لهم بترك الحالة الأولى، المتضمنة للقول الباطل، فقال: ﴿ادعوهم أي: الأدعياء ﴿لآبائهم ﴾ الذين ولدوهم ﴿ هو أقسط عند الله ﴾ أي: أعدل وأقوم وأهدى.

﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبِاءُهُم ﴾ الحقيقيين. ﴿فَإِخُوانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمُوالِّيكُمِ﴾ أي: إخوتكم في دين الله ومواليكم في ذلك، فادعوهم بالأخوة الإيمانية الصادقة، والموالاة على ذلك، فترك الدعوة إلى مَنْ تبناهم حتم لا يجوز

وأما دعاؤهم لآبائهم، فإن علموا، دعوا إليهم، وإن لم يعلموا، اقتصر على ما يعلم منهم، وهو أخوة [الدين]^(٣) والموالاة، فلا تظنوا أن حالة عدم علمكم بآبائهم عذر في دعوتهم إلى مَنْ تبناهم، لأن المحذور لا يزول بذلك.

﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ بأن سبق على لسان أحدكم دعوته إلى مَنْ تبناه، فهذا غير مؤاخذ به، أو علم أبوه ظاهراً، [فدعوتموه إليه](٤) وهو في الباطن غير أبيه، فليس^(ه) عليكم في ذلك حرج إذا كان خطأ،

في (أ) وقعت هنا زيادة حرف (في)

(1)

ولا محل له.

زيادة من: ب.

زيادة من: ب. (1) زيادة من: ب. (٣)

زيادة من: ب. (1)

قُل أَن سَفَعَكُمُ ٱلْفِيرَانُ إِن فَيَرَرُثُرُ مِن ٱلْمُؤْتِ أُو ٱلْقَتْبَا عَلِانًا لَاتُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قُلْمَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِنَ الله إن أزاد بكرسو اأوأزاد بكم رحمة ولايجه ووالم يِّن دُونِ اللهِ وَلِيَّا وَلَانَصِيرًا ۞ • قَدْ يَعَلَمُ اللَّهُ ٱلْمُعَوِيِّينَ مِنكُرُ وَٱلْمَالَهِ لِينَ لِإِخْزِيهِ مُعَلَّمَ الْمِنَا وَلَا يَأْوُكَ ٱلْبَالْسَ إِلَّا فَلِيلًا ۞ أَيْمَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَاكِمَةَ ٱلْحَوْفُ وَأَسْتَكُرُ يَخُرُونَ إِلَيْكَ مَنُورُ أَعِينُهُمْ حِكَالَٰذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ لَلْوَبُّ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْغُونُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَثِمَةً عَلَا عُيْرً أُوَلَيْكَ لَرَيْقِهِ مُواْ فَأَحْمَطَ اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَ اللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَرَيْذَ هَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْخَرَابُ يَوَدُواْ لَوَالْنَهُ مَ بَادُونَ فِي ٱلْمُثَمَّ إِبِيسَتَلُونَ عَنْ أَبْلَ إِبْرُ وَلَوْ كَانُواْ فِكُمَّ التَّلَوْلِ إِلَا فِيلَا ۞ لَقَدُكَانَ لَكُونِ رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةً حَسَنَةً لِنَكَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيُوْمَ الْآخِرَ وَذَكْرَاللَّهَ كَثِيرًا ۞ وَلَنَا رَمَا الْمُرْمِنُونَ الْأَخْرَابَ قَالُواْهَذَا مَاوَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَفَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَازَادَهُمْ إِلَّا إِمَنَا وَنَسْلِمُانَ TOWNSON IN MORNEO

﴿ولكن ﴾ يؤاخدكم بما ﴿تعمدت قلوبكم ﴾ من الكلام بما لا يجوز. ﴿وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ غفر لكم ورحكم، حيث لم يعاقبكم بما سلف، وسمح لكم بما أخطأتم به، ورحمكم حيث بين لكم أحكامه التي تصلح دينكم ودنياكم، فله الحمد تعالى.

و ٦ ﴾ ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب ألله من المؤمنين والمهاجرين إلَّا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً كنبر تعالى المؤمنين خبراً يعرفون به حالة الرسول ﷺ ومرتبته، فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة، فقال: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أقرب ما للإنسان، وأولى ما له نفسه، فالرسول أولى به من نفسه، لأنه عليه الصلاة والسلام، بذل لهم من النصح والشفقة والرأفة، ما كان به أرحم الخلق وأرأفهم، فرسول الله أعظم الخلق مِنَّةً عليهم من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا أندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه

فلذلك، وجب عليه أنه إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس،

مع مراد الرسول، أن يقدم مراد الرسول، وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد، كائناً مَنْ كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على محبة الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه.

وهو ﷺ أب للمؤمنين، كما في قراءة بعض الصحابة، يربيهم كما يربي الوالد أولاده.

فترتب على هذه الأبوة، أن كان نساؤه أمهاتهم، أي: في الحرمة والاحترام والإكرام، لا في الخلوة والمحرمية، وكأن هذا مقدمة لما سيأن في قصة زيد بن حارثة، الذي كان قبل في عمد؛ حتى أنزل الله فقطع نسبه وانتسابه منه، فأخبر في هذه الآية، أن المؤمنين كلهم أولاد هذه الآية، أن المؤمنين كلهم أولاد انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة، انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة، فإن النسب الإيماني لم ينقطع عنه، فلا يجزن ولا يأسف.

وترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أنهن لا يحللن لأحد من بعده، كما الله صرّح (١٦) بذلك: ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾.

فوأولوا الأرحام أي: الأقارب، قربوا أو بعدوا ﴿بعضهم أولى ببعض في كتاب الله [أي:](٢) في حكمه، فيرث بعضهم بعضاً، ويبر بعضهم بعضاً، فهم أولى من الحلف والنصرة.

والأدعياء الذين كانوا من قبل يرثون بهذه الأسباب، دون ذوي الأرحام، فقطع تعالى التوارث بذلك وجعله للأقارب، لطفاً منه وحكمة، فإن الأمر لو استمر على العادة السابقة، لحصل من الفساد والشر والتحيل لحرمان الأقارب من الميراث شيء كثير.

﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ أي: سواء كان الأقارب مؤمنين مهاجرين وغير مهاجرين، فإن ذوي الأرحام مقدمون في ذلك، وهذه الآية حجة

على ولاية ذوي الأرحام في جميع الولايات، كولايات النكاح والمال، وغير ذلك.

﴿إِلاَّ أَن تَفَعِلُوا إِلَى أُولِياتُكُم معروفاً ﴾ أي: ليس لهم حق مفروض، وإنما هو بإرادتكم، إن شئتم أن تتبرعوا لهم تبرعاً وتعطوهم معروفاً منكم، ﴿كَانَ ﴾ ذلك الحكم المذكور ﴿في الكتاب مسطوراً ﴾ أي: قد سطر وكتب وقدره الله، فلا بد من نفوذه.

﴿٧-٨﴾ ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميشاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً * ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً﴾ غير تعالى أنه أخذ من النبيين عموماً، ومن أولي العزم _وهم هؤلاء الخمسة المذكورون _خصوصاً، ميشاقهم الغليظ وعهدهم الثقيل المؤكد، على الغيام بدين الله والجهاد في سبيله، وأن هذا سبيل قد مشى الأنبياء المتقدمون، حتى ختموا بسيدهم وأفضلهم، حتى ختموا بسيدهم وأفضلهم،

وسيسأل الله الأنبياء وأتباعهم عن هذا العهد الخليظ، هل وفوا فيه وصدقوا؟ فيثيبهم جنات النعيم؟ أم كفروا، فيعذبهم العذاب الأليم؟ قال تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

﴿٩ ـ ١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً * إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ يذكر تعلى عباده المؤمنين نعمته عليهم، ويحشهم على شكرها، حين جاءتهم ويحشهم على شكرها، حين جاءتهم وأهل نجد من أسفل منهم، وتعاقدوا

وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق.

ومالأتهم [طواتف](١) اليهود الذين حوالي المدينة، فجاؤوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة.

وخنسدة وسول الله على الله على الله على المدينة، فحصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة مدة طويلة، والأمر كما وصف الله: ﴿وإذ زاضت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله وبلغت القلوب الخناجر وتظنون بالله المظنونا﴾ أي: الظنون السيئة، أن الله ينصر دينه ولا يتم كلمته.

﴿ هنالك ابتلي المؤمنون ﴾ بهذه الفتنة العظيمة ﴿ وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ بالخوف والقلق والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر _ ولله الحمد _ من إيمانهم وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين.

وعندما اشتد الكرب، وتفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيسماناً وسلماً ﴾ .

وهنالك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون، قال تعالى:

﴿ ١٢﴾ ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاً غروراً﴾ .

وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة^(٢)، ويصدق ظنه.

﴿وإذ قالت طائفة ﴾ من المنافقين، بعدما جزعوا وقلَّ صبرهم، صاروا أيضاً من المُحَلَّلين، فلا صبروا بأنفسهم، ولا تركوا الناس من

شرهم، فقالت هذه الطائفة: ﴿يا أهل للدينة » يريدون: ﴿يا أهل المدينة » فنادوهم باسم الوطن المنبيء [عن التسمية] (») فيه إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك، مجرد الطبيعي.

﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم ﴾ أي: في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المُدينة، وكانوا عسكروا دون الخندقُ وخارج المدينة، ﴿فارجعوا﴾ إلى المدينة، فهذه الطائفة تخذل عن الجهاد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة أشرّ الطوائف وأضرها، وطائفة أخرى دونهم، أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخزلوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة ﴿ أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عِليها الأعداء، ونحن غُيَّبٌ عنها، فَأَذُنْ لَنَا نُرجِعِ إِلَيْهَا، فَنَحْرُسُهَا، وهُم كذبة في ذلك .

﴿وما هي بعورة إن يريدون أي: ما قصدهم ﴿إلا فراراً ولكن جعلوا هذا الكلام وسيلة وعدراً. [لهم](ع) فهؤلاء قل إيمانهم، وليس له ثبوت عند اشتداد المحن.

﴿ ولو دخلت عليهم ﴾ المدينة ﴿ من القطارها ﴾ أي: لو دخل الكفار إليها من نواحيها ، واستولوا عليها _ لا كان ذلك _ ﴿ الفتنة ﴾ أي: الانقلاب عن دينهم ، والرجوع إلى دين المستولين المتغلبين ﴿ لا توها ﴾ أي: لأعطوها مبادرين .

﴿وما تلبثوا بها إلا يسيراً أي: ليس لهم منعة ولا تَصلُبٌ على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم.

والحال أنهم قد ﴿عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا﴾ سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم إذاً برجم؟

(17) ﴿قل ﴾ لهم، لائماً على فرادهم، وغبراً أنهم لا يفيدهم ذلك شيئاً ﴿لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ﴾ فلو كنتم في بيوتكم، لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم.

والأسباب تنفع، إذا لم يعارضها القضاء والقدر، فإذا جاء القضاء والقدر، تلاشى كل سبب، وبطلت (٥٠) كل وسيلة ظنها الإنسان تنجيه.

﴿وإذاً﴾ حين فررتم لتسلموا من الموت والقتل، ولتنعموا في الدنيا فإنكم ﴿لا تمتعون إلاّ قليلاً﴾ متاعاً لا يسوى فراركم، وترككم أمر الله، وتفويتكم على أنفسكم التمتع الأبدي، في النعيم السرمدي.

ثم بيِّن أن الأسباب كلها لا تغني عن العبد شيئاً إذا أراده الله بسوء، فقال: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الذي يعصمكم﴾ أي: يمنعكم ﴿من الله إن أراد بكم سوءاً﴾ أي: شراً، ﴿أَو أراد بكم رحة﴾ فإنه هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع السوء إلا هو.

﴿ولا يجدون لسهم من دون الله ولياً عنه النفع (٦) ولياً عنه النفع (٩) ﴿ولا نصيراً ﴾ أي: ينصرهم، فيدفع عنهم المضار.

فَلْيَمْتَشِلُوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الذي نفذت مشيئته، ومضى قدره، ولم ينفع مع ترك ولايته ونصرته وَلَي ولا ناصر.

أثم توعَّد تعالى المخذلين المعوقين، وتهددهم فقال: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ عن الخروج لمن [لم](٧ يخرجوا ﴿والقائلين لإخوانهم﴾ الذين خرجوا:

⁽٤) زيادة من: ب. (٦)

⁽٥) كذا في ب، وفي أ: بطل. (٧)

⁽١) زيادة من: ب.

⁽٢) في ب: الحاضرة.

⁽٣) زيادة من: ب.

⁽٦) في ب: المنافع.

⁽٧) زيادة من: ب.

﴿ هَلَّمَّ إِلَينًا ﴾ أي: ارجعوا، كما تقدم من قولهم: ﴿ يَا أَهِلَ يَثْرُبُ لَا مَقَامُ لكم فارجعوا) .

وهم مع تعويقهم وتخذيلهم ﴿لا يأتون البأس﴾ القتال والجهاد بأنفسهم ﴿ إِلاَّ قليلا ﴾ فهم أشد الناس حرصاً على التخلف، لعدم الداعي لذلك من الإيمان والصبر، ووجود المقتضى للجبن، من النفاق وعدم الإيمان.

﴿أَشْحَةُ عَلَيْكُم ﴾ بأبدانهم عن القتال، وأموالهم عند النفقة فيه، فلا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم. ﴿ فَإِذَا جِاء الحُوف رأيتهم ينظرون إليك انظر المغشى عليه (من الموت) من شدة الجبن الذي خلع قلوبهم، والقلق الذي أذهلهم، وخوفاً من إجبارهم على ما يكرهون من القتال.

﴿فَإِذَا ذَهِبِ الخُوفِ﴾ وصاروا في حال الأمن والطمأنينة، ﴿سلقوكم بألسنة ﴾ أي: خاطبوكم وتكلموا معكم بكلام حديد، ودعاوى غير

وحين تسمعهم، تظنهم أهل الشجاعة والإقدام، ﴿أَسْحَةُ على الخير، الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون شُحيحاً بما أمر به ، شحيحاً بماله أن ينفقه في وجهه ، شحيحاً في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أويدعو إلى سبيل الله، شحيحاً بجاهه، شحيحاً بعلمه ونصيحته

﴿أُولِمُكُ الذين بتلك الحالة ﴿ لَمُ يؤمنوا ﴿ بسبب عدم إيمانهم أحبط الله أعسالهم، ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾.

وأما المؤمنون، فقد وقاهم الله شح أنفسهم، ووفقهم لبذل ما أمروا به، من بذل لأبدانهم في القتال في سبيله، وإعلاء كلمته، وأموالهم للنفقة في طرق الخير، وجاههم وعلمهم.

﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ أي:

في ب: يغالى.

(1)

(٢)

يظنون أن هؤلاء الأحزاب، الذين تحـزبـوا عـلى حـرب رسـول الله ﷺ وأصحابه لم يذهبوا حتى يستأصلوهم، فخاب ظنهم، وبطل حسبانهم.

﴿وإن يأت الأحزاب ﴾ مرة أخرى ﴿يبودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ﴾ أي: لو أتى الأحزاب مرة ثانية مثل هذه المرة، ودَّ هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة ولا في القرب منها، وأنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم، ويسألون عن أنبائكم، ماذا حصل عليكم؟

فتباً لهم، وبعداً فليسوا ممن يبالي(١) بحضورهم ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً فلا تبالوهم، ولا تأسوا

﴿ لَقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، البطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم عن أمر جاد رسول الله ﷺ بنفسه فيه؟!!

فَتَأْسُوا بِهِ في هذا الأمر وغيره. واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل، أن أمت أسوت في الأحكام، إلا ما دلُّ الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة .

فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة آلله، وهو الصراط المستقيم. وأما الأسوة بغيره إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار(٢) حين دعتهم الرسل للتأسّي [بهم](٢): ﴿إِنَّا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم

وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، مَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه (٤) من الإيمان،

وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسى بالرسول ﷺ. لما ذكر حالة المنافقين عند الخوف، ذكر حال المؤمنين، فقال: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب الذين تحزبوا، ونزلوا منازلهم، وانتهى الخوف، ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدُنَا اللهِ وَرَسُولُهُ ﴿ فَيَ قوله: ﴿ أُم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولَّمَا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾.

﴿وصدق الله ورسوله ﴾ فإنا رأينا ما أخبرنا يه ﴿وما زادهم ﴾ ذلك الأمر ﴿ إِلاَّ إِيمَانًا ﴾ في قلوبهم ﴿ وتسليماً ﴾ في جوارحهم، وانقياداً لأمر الله.

ولما ذكر أن المنافقين عاهدوا الله، لا يولون الأدبار، ونقضوا ذلك العهد، ذكر وفاء المؤمنين به، فقال: ﴿مِن المؤمنين رجيال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ أي: وفوابه، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبِّلوا أنفسهم في طاعته.

﴿فمنهم مَنْ قضى نحبه ﴾ أي: إرادته ومطلوبه وما عليه من الحق، فَقُتَلَ فِي سبيلِ الله، أو مات مؤدياً لحقه لم ينقصه شيئاً.

﴿ ومنهم مَنْ ينتظر ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك مجد.

﴿وما بِذُلُوا تبديلاً كما بدُّلُ غيرهم، بللم يزالوا على العهد، لا يلوون ولا يتغيرون، فهؤلاء الرجال على الحقيقة، ومن (٥) عداهم فصورهم صور رجال، وأما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال.

﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ أى: بسبب صدقهم، في أقوالهم وأحوالهم، ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم، قال الله تعالى: ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين

زيادة من: ب.

في ب: فإن ذلك ما معه.

في ب: المشركين.

في أ: وما عداهم، ولعل الصواب

ما أثبته.

صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنبار خالدين فيها أبداً﴾ الآية.

أي: قدرنا ما قدرنا من هذه الفتن والمحن والزلازل، ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين المذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم عند حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه.

﴿إِن شَاء ﴾ تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم فلم يوفقهم.

﴿أو يتوب عليهم ﴾ بأن يوفقهم للتوبة والإنابة ، وهذا هو الغالب على كرم الكريم ، ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة والفضل والإحسان فقال: ﴿إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رحيماً ﴾ غفوراً لذنوب المسرفين على أنفسهم ، ولو أكثروا من العصيان إذا أتوا بالمتاب. ﴿رحيماً ﴾ بهم ، حيث وفقهم للتوبة ، ثم قبلها منهم وستر عليهم ما اجترحوه .

﴿ وَرَدَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴾ أي: ردهم خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مغتاظين قادرين [عليه] (١) جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم بعديهم، وأعجبوا بتحزيهم، وفرحوا بعديهم، وغرجهم.

فأرسل الله عليهم ريحاً عظيمة، وهي (٢) ربح الصبا، فزعزعزت مراكزهم، وقوضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم الله بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين.

﴿وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، ﴿وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ لا يغالبه أحد إلا غُلب، ولا يستنصره أحد إلا غُلب، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة قوتهم وعزتم، إن لم يعنهم بقوته وعزته،

﴿ وَأَنْزُلُ النَّيْنُ ظَاهُرُوهُم ﴾ أي: عاونوهم ﴿ مِن أهل الكتاب ﴾ أي: اليهود ﴿ مِن صَيَاصِيهِم ﴾ أي: أنزلهم من حصونهم ، نزولاً مظفوراً بهم ، مجعولين تحت حكم الإسلام .

﴿وقذف في قلوبهم الرعب فلم يقووا على القتال، بل استسلموا وخضعوا وذلوا. ﴿فريقاً تقتلون ﴾ وهم الرجال المقاتلون ﴿وتأسرون فريقاً ﴾ مَنْ عداهم من النساء والصبيان.

﴿وأورثكم﴾ أي: غنَّ مكم ﴿أَرْضِهِم وَرُضاً لَم ﴿أَرْضِهِم وَدِيارِهِم وأموالهم وأرضاً لَم تطوّوها ﴾ أي: أرضاً كانت من قبل، من شرفها وعزبها عند أهلها، لا تتمكنون من وطئها، فمكّنكم الله وخذلهم، وغنمتم أموالهم، وقتلتموهم وأسرتموهم.

﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ لا يعجزه شيء، ومن قدرته قدر لكم ما قدر.

وكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب، هم بنو قريظة من اليهود، في قرية خارج المدينة غير بعيد، وكان النبي على الدينة النبي على الدينة ووادعهم وهادنهم، فلم يقاتلهم ولم يقاتلوه، وهم باقون على دينهم، لم يغير عليهم شيئاً.

فلما رأوا يوم الخندق الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله وكثرتهم، وقلمة المسلمين، وظنوا أنهم سيستأصلون الرسول والمؤمنين، وساعد على ذلك [تدجيل]⁽¹⁾ بعض رؤسائهم عليهم، فنقضوا العهد الذي يينهم وبين رسول الله على ومالؤوا المشركين على قتاله.

فلما خذل الله المشركين، تفرغ رسول الله ﷺ لقتالهم، فحاصرهم في حصنهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذرضي الله عنه، فحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى

CANADA IL CONTRACTOR DE CONTRA المِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينِ رِيَالٌ صَدَقُواْ مَاعَنِهَ دُواْ اللَّهَ عَلَيْتُوْ فَيَنْهُمُ مَنَ قَضَىٰ غَبَهُ وَمِنْهُ مِثَن يَسَتَظِرُّ وَمَاكِدَّ لُواٰتَبْدِيلًا ۞ لِيَجْزِيَ ٱلْمَدُّالْصَّادِيقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَلِّيْبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِن شَآهَ أَوْيَتُونِ عَلَيْهِمْ إِنَّ أَلْقَهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِ رُلَيْنَا لُوا خَيْرُا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْفُرْمِنِينَ ٱلْمِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ فَويًّا عَزِيزًا ۞ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظُهَرُوهُم يَنْ أَهْلِ ٱلْكِنْكِ مِن مَن كيابِهِ هِزْ وَقَذَ كَ فِي تُلُوبِهِمُ ٱلنَّهُ فَرِيقَاتَقَنْلُونَ وَتَأْمِرُونِ فَرِيقًا ۞ وَأَوْرَثَكُوَ أَرْضَاهُمُّرَ وَدِينَزَهُرُ وَأَمْوَلَكُمْ وَأَرْضَا لَّرْتَطَنُوهَا وَكَاتَ ٱللَّهُ عَلَى كَلِّ مَّى و قَدِيرًا ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِإِنْ وَإِجِكَ إِن كُنْ تُنَ تُرِدْكَ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْهَ اوْزِيدَتُهَا مَنْعَ الَّذِبَ أُمَيِّعْتُ وَأَمَرُ عَكُنَّ وَأَمَرُ عَكُنَّ مَرَلِنَا جَبِيلًا ۞ قَانَكُنْ تُنَّ تُرَدِّبُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالسَّالَ اللَّهَ الْأَالْكِيْرَةَ فَإِنَّ الْقَدَلْمَا لِللَّهُ عِيلَاتِ مِنكُنَ أَجْرًا عَظِيمًا مُّ اللَّهَ لَذَابُ مِنعَفَيْزُ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَ اللَّهِ يَسِيرًا ۞ OLONO I II MENERO

ذراريهم، وتغنم أموالهم.

فأتم الله لرسوله والمؤمنين المنة، وأسبغ عليهم النعمة، وأَقَرَّ أعينهم بخذلان مَنْ انخذل من أعدائهم، وقتل مَنْ قتلوا، وأسر مَنْ أسروا، ولم يزل لطف الله بعباده المؤمنين مستمراً.

﴿٢٩ ـ ٢٩﴾ ﴿يا أيها النبي قل الأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جيلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أحدً المحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ لا المتمع نساء رسول الله على عليه في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمراً لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، فشق ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه المنهن شهراً.

فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن يرفع درجة زوجاته، ويُذْهِبَ عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخيرهن (٥) فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِي قَلَ لأَزُواجِكُ إِن كنتن تردن الحياة الدنيا (اي الس لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها،

⁽٣) زيادة من: ب.

⁽٤) زيادة من: ب.

⁽١) زيادة من: ب.

⁽٢) في أ: وهو، ولعل الصواب ما أو-د

⁽٥) في أ: يخبرهن.

* وَمَن يَقْنُتُ مِن كُرِي لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَعْمَا صَلْلِحَالُّولَيْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدُنَا لَمُتَارِزُقًا كَرِيمًا ۞ يَنِسَلَّهُ ٱلنِّي لَسْتُنَّ كَأَحَدِمِّنَ النِّسَلَّهِ إِن اتَّقَتُثُنَّ فَلَا غَصَيْعَزَ بِٱلْفَعَلَ لِ فَيَظْمَعَ الَّذِي فِي قَلْمِهِ عِمْرَضٌ وَقُلْرِ كَوْ لا مَفْرُوفَا ١ وَهَـُونَ فِي بِيُوسِكُنَّ وَلَا تَكْرَخِي تَكِيمُ ۖ ٱلْجَعَلِي ٓ وَٱلْأُولَيُّ ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ الزِّيكُوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولُهُۥ ۖ لَا إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِلدُّهِبُ عَنْكُمُ ٱلرِّضَ أَهْلَ ٱلْكِيْتِ وَيُعَلِهِ مَكُمْ مِثْلُهِ مِرًا ۞ وَأَذْكُرْكَ مَا يُتَلَافِي يُودِكُنَّ مِنْ النِّهِ اللَّهِ وَالْحِكْ مَثَّ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا الله المرابي وَالْمُدَامِنَةِ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْقَلِينِينَ وَالْقَلِنَاتِ وَالْعَلِيقِينَ وَالْصَلِيقِينَ وَالصَّلِيقِينَ وَالصَّايِرَاتِ وَالْمَنْشِعِينَ وَالْمَنْشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ وَٱلْقَهَلَيْمِينِ وَٱلْقَلَيْمَاتِ وَٱلْحَلَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَلِفَظَاتِ وَالنَّلْكِينِ َ اللَّهَ كَيْرًا وَالذَّلِي رَاتِ أَعَدُ اللَّهُ لَمُتُم تَغْفِرَةً وَأَجْرُاعَ فِلِيمًا ۞ TO TO TO THE STATE OF THE STATE

وتغضبن لفقدها، فليس لي فيكن أرب وحاجة، وأنتن بهذه الحال.

﴿فتعالین أمتعکن﴾ شیئاً بما عندی من الدنیا ﴿وأسرحکن﴾ أي: أفارقکن ﴿سراحاً جمیلا﴾ من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي.

﴿وإن كستن تردن الله ورسوله والمدار الآخرة﴾ أي: همذه الأشمياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لَكُنَّ الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، ﴿ فَإِنَّ اللهُ أَعِدُ لِلْمُحَسِّنَاتُ مِنْكُنِ أَجِراً عظيماً﴾ رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول، فإن مجرد ذلك لا يكفى، بل لا يفيد شيئاً مع عدم الإحسان، فخيرهن رسول الله ﷺ في ذلك، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضى الله

وفي هذا التخيير فوائد عديدة:

منها: الاعتناء برسوله وغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنبوية.

ومنها: سلامته ﷺ بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾.

ومنها: تنزيه عن لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على الله ورسوله والدار الآخرة عنها، وعن مقارنتها.

ومنها: سلامة زوجاته رضي الله عنهن عن الإثم والتعرض لسخط الله ورسوله.

فحسم الله بهذا التخيير عنهن التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.

ومنها: إظهار رفعتهن وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن، أن كسان الله ورسوله والدار الآخرة مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.

ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار، للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.

ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه (۱۱ كاملات مكملات، طيبات مطيبات والطيبون والطيبون للطيبين والطيبون للطيبات .

ومنها: أن هذا التخبير داع، وموجب للقناعة التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه.

ومنها: أن يكون اختيارهن هذا، سبباً لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يَكُنَّ بمرتبة ليس فيها أحد من النساء، ولهذا قال:

﴿٣١ _ ٣١) ﴿ يَا نَسَاءَ النَّبِي مَنْ

يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً *

لا اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ذكر مضاعفة أجرهن، ومضاعفة وزرهن وإثمهن لو جرى منهن، ليزداد حذرهن، وشكرهن الله تعالى، فجعل من أتى منهن بفاحشة ظاهرة لها العذاب ضعفين.

﴿ومن يقنت منكن﴾ أي: تطيع ﴿لله ورسوله وتعمل صالحاً﴾ قليلاً أو كثيراً، ﴿نوتها أجرها مرتين﴾ أي: مثل ما نعطي غيرها مرتين، ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ وهي الجنة، فقنتن لله ورسوله، وعملن صالحاً، فعلم بذلك أجرهن.

﴿٣٢ _ ٣٤ ﴿ وَإِنْ نَسَاءَ النَّبِي لَسَتَنْ كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً * وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأوكى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً * واذكرن ما يتلي في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كأن لطيفاً خبيراً ﴾ يقول تعالى: ﴿ يَا نَسَاءُ النَّبِي ﴾ خطاب لهن كلهن ﴿لستن كأحدٌ من النساء إن اتقيتن الله، فإنكن بذلك تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكملن التقوى بجميع وسائلها ومقاصدها.

فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أي: في خاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فتَلِنَّ في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع ﴿الذي في قلبه مرض﴾ أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح، [فإن القلب

الصحيح](١)، ليس فيه شهوة لما حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تميله ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه وسلامته من المرض.

بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلين لهم

ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: ﴿وقلن قولاً معروفاً ﴾ أي: غير غليظ ولا جاف، كما أنه ليس بليّن خاضع.

وتأمل كيف قال: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ ولم يقل: «فلا تلِنَّ بالقول» وذلك لأن المنهى عنه القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع هو الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلُّم كلاماً ليناً ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم، فإن هذا لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح الله رسوله باللين، فقال: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم) وقال لموسى وهارون: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغي * فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشي،

ودلَّ قوله: ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم والحافظات، وسيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد

إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش(٢٠) لفعل المحرم عندما يري أو يسمع كلام مَنْ يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فلْيَعْرفُ أن ذلك مرض.

فَلْيجتهد في إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به.

﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكُنَّ، ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى أي: لا تكشرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه.

ولما أمرهن بالتقوى عموماً، وبجزئيات من التقوى، نص عليها [لحاجة](٢) النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعة، خصوصاً الصلاة والزكاة، اللتان يجتاجهما ويضطر إليهماكل أحد، وهما أكبر العبادات، وأجلُّ الطاعات، وفي الصلاة الإخلاص للمعبود، وفي الزكاة الإحسان إلى العبيد.

ثم أمرهن بالطاعة عموماً، فقال: ﴿وأطعن الله ورسوله ﴾ يدخل في طاعة الله ورسوله، كل أمر أمرا به أمر إيجاب أو استحباب.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ۖ بِأُمْرِكُنِّ بِمَا أُمَّرَكُنَّ به، ونهيكن بما(٤) نهاكُنَّ عنه، ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ أي: الأذي والشر والخبث، يا ﴿أَهِلِ البيت ويطهركم تطهيراً المحتى تكونوا طاهرين مطهرين .

أي: فاحمدوا ربكم واشكروه على هذه الأوامر والنواهي، التي أحبركم بمصلحتها وأنها محض مصلحتكم، لم يرد الله أن يجعل عليكم بذلك حرجاً ولا مشقة، بل لتتزكى نفوسكم، ولتتطهر أخلاقكم، وتحسن أعمالكم، ويعظم بذلك أجركم.

ولما أمرهن بالعمل الذي هو فعل وترك، أمرهن بالعلم، وبيَّن لهن طريقه، فقال: ﴿واذكرن ما يتلي في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ والمراد بآيات الله، القرآن. والحكمة، أسراره. أو سُنّة رسوله. وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكر فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله. ﴿إنَّ الله كان لطيفاً خبيراً﴾ يدرك أسرار (٥) الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا السماوات والأرض، والأعمال التي تبين وتسر.

فلطفه وخبرته، يقتضى حثهن على الإخسلاص وإسرار الأعسمال، ومجازاة الله على تلك الأعمال.

ومن معاني «اللطيف» الذي يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر، بطرق خفية لا يشعر بها، ويسوق إليه من الرزق ما لا يدريه، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقاً [له](٦) إلى أعلى الدرجات وأرفع المنازل .

﴿٣٥﴾ ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كشيرأ والذاكرات أعداله لهم مغفرة وأجرآ

(0)

زيادة من: ب، لا يستقيم الكلام بدونها. (1)

كذا في: ب، وفي أ: يشتهي، والأقرب ما أثبته. **(Y)**

⁽٣) زيادة من: ب.

⁽¹⁾ في ب: عمّا.

في ب: سرائر. زيادة من: ب. (٦)

عظيماً ﴾ لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول على وعقابهن [لوقدر عدم الامتثال](١) وأنه ليس مثلهن أحد من النساء، ذكر بقية النساء غيرهن.

ولما كان حكمهن والرجال واحداً، جعل الحكم مشتركاً، فقال: ﴿إِن المسلمين والمسلمات، وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين سا. ﴿والمؤمنين والمؤمنات ﴾ وهذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب

﴿والقانتين﴾ أي: المطيعين الله ولرسوله ﴿والقانتات والصادقين ﴾ في مقالهم وفعالهم ﴿والصادقات﴾ ﴿والصابرين ﴾ على الشدائد والمصائب ﴿والصابرات والخاشعين ﴾ في جميع أحوالهم، خصوصاً في عباداتهم، خصوصاً في صلواتهم ﴿وَالْخَاشِعَاتِ﴾ ﴿والمتسمسدِّقين﴾ فسرضاً ونسفيلاً فوالمتسدقات والسسائسين والصائمات الممل ذلك الفرض والنفل. ﴿والحافظين فروجهم﴾ عن النزنا ومقدماته ﴿والحافظات﴾ ﴿وَالْذَاكُرِينَ اللَّهِ [كَثَيْراً﴾ أي:](٢) في أكثر الأوقيات، خصوصاً أوقيات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار المسلوات المكتوبات ﴿والذاكرات﴾.

﴿أُعِدُ اللهُ لَهُمْ ﴾ أي: لهـؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان.

لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات. ﴿وأجراً عظيماً ﴾ لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، يما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، نسأل الله أن يجعلنا منهم .

﴿٣٦﴾ ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخييرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ أي: لا ينبغى ولايليق عمن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وأمتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة ﴿إِذَا قَنْضَى اللهِ ورسوله أمراً ﴾ من الأمور، وحتما به وألزما به ﴿أَن يكون لهم الخيرة من أمرهم اي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجاباً بينه وبين أمر الله ورسوله.

﴿ ومَنْ يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ أي: بيِّناً، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولاً السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال.

﴿٣٧﴾ ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس وألله أحق أن تخشاه فلما قضى زيدمنها وطرأ زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا فجازاهم على عملهم بالمغفرة منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾

وكان سبب نزول هذه الآيات، أن الله تبعيالي أراد أن يسشرع شبرعياً عبامياً للمؤمنين، أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، من جميع الوجوه وأن أزواجهم لا جناح على مَنْ تبناهم نكاحهن.

وكان هذا من الأمور المعتادة، التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولاً من رسوله وفعلاً، وإذا أراد الله أمراً جعل له سبباً، وكان زيد بن حارثة يدعى ازيد بن محمدا قد تبناه النبي على ، فصار يدعي إليه حتى نزل: ﴿ ادعوهم لآبائهم﴾ فقيل له: ازيد بن حارثة).

وكانت تحته زينب بنت جحش، ابنة عمة رسول الله على ، وقد كان قد وقع في قلب الرسول، لو طلقها زيد، لتزوّجها، فقدر الله أن يكون بينها وبين زيد ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي على في فراقها.

قال الله: ﴿ وَإِذْ تَسَقَّلُولُ لَسُلَّكُ يَ أنعم الله عليه أي: بالإسلام ﴿وانعمت عليه ﴾ بالعتق (٣)، حين جاءك مشاوراً في فراقها: فقلت له ناصحاً وغبراً بمصلحته (١)، مع وقوعها في قلبك: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ أي: لا تفارقها، واصبر على ما جاءك منها، ﴿واتق اللهِ تعالى في أمورك عامة، وفي أمر زوجك خاصة، فإن التقوى تحث على الصبر وتأمر به.

﴿ وتخفى في نفسك ما الله مبديه ﴾ والذي أخفاه، أنه لو طلقها زيد لتزوجها ﷺ.

﴿وتخشى الناس﴾ في عدم إبداء ما فى نفسك ﴿والله أحق أن تخشاه ﴾ (٥) وأن لا تباليهم شيئاً، ﴿فلما قضى زيد منها وطرأ ﴾ أي: طابت نفسه، ورغب عنها، وفارقها. ﴿زُوجِناكِها﴾ وإنما

زيادة من: ب. (1)

زيادة من: ب. (٢)

في هامش ب: والإرشاد والتعليم. (٣)

نى هامش ب: مقدماً لها على رغبتك. (1)

في هامش ب: فإن خشيته جالبة لكل خير، [مانعة] من كل شر (مع أن كلمة مانعة غير واضحة في الأصل). (0)

المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافة المنافة المنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافة والمنافقة والمنا

المَّالِيَّةُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ ال

وسنه الله في الدين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً في إلى بد من وقوعه. ثم ذكر مَنْ هم الذين من قبل قد خلوا، وهذه سنتهم وعادتهم، وأنهم ﴿الذين يبلغون رسالات الله فيتلون على العباد آيات الله وحججه وبسراهينه، ويدعونهم إلى الله ﴿ويخشونه ﴾ وحده لا شريك له ﴿ولا عَشْون أحداً ﴾ إلا الله .

فإذا كان هذا سُنّة في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها أتم القيام، وهو دعوة الخلق إلى الله، والخشية منه وحده، التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك كل مخطور، دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه.

﴿وكفى بالله حسيباً عاسباً عباده، مراقباً أعمالهم. وعلم من هذا، أن النكاح من سنن المرسلين.

﴿ ٤٠﴾ ﴿ ما كان محمد أبا أحدِ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ أي: لم يكن الرسول ﴿ عمد ﴾ ﷺ ﴿ أبا أحدِ من رجالكم ﴾ أبها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه ، من هذا الباب .

ولما كان هذا النفي عاماً في جميع الأحوال، إن حمل ظاهر اللفظ على

وهذا يدل على أنه رسول الله، ولا يـقــول إلاّ مــا أوحــي إليه، ولا يــريــد تعظيم نفسه.

ومنها: أن المستشار مؤتمن، يجب عليه _إذا استشير في أمر من الأمور _ أن يسشير بما يعلمه أصلح للمستشير ('')، ولو كان له حظ نفس، فتقدم مصلحة المستشير على هوى نفسه وغرضه.

ومنها: أن من الرأي: الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمساكها مهما أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة.

ومنها: [أنه يتعين](٢) أن يقدم العبد خشية الله على خشية الناس، وأنها أحق منها وأولى.

ومنها: فضيلة زينب رضي الله عنها أم المؤمنين، حيث تولى الله تزويجها من رسوله على من دون خطبة ولا شهود، ولهذا كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول الله على وتسقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

ومنها: أن المرأة إذا كانت ذات زوج، لا يجوز نكاحها، ولا السعي فيه وفي أسبابه، حتى يقضي زوجها وطره منها، ولا يقضي وطره، حتى تنقضي عدتها، لأنها قبل انقضاء عدتها، وهي في عصمته، أو في حقه الذي له وطر إليها، ولو من بعض الوجوه.

من حرج فيما فرض الله له سنة الله في من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً * الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفي بالله حسيباً هذا دفع لطعن من طعن في الرسول رها لا مطعن فيه، فقال: في الرسول رها كان على النبي من حرج أي: إثم وذنب. في حما فرض الله له أي: قدر له من الزوجات، فإن هذا قلد قدر له من الزوجات، فإن هذا قال: أباحه الله للأنبياء قبله، ولهذا قال:

ولما كان قوله: ﴿ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ﴾ عاماً في جميع الأحوال وكان من الأحوال، ما لا يجوز ذلك، وهي قبل انقضاء وطره منها، قيد ذلك بقوله: ﴿ إِذَا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ أي: لا بد من فعله، ولا عائق له ولا مانع.

وفي هذه الآيات المشتملات على هذه القصة فوائد، منها: الثناء على زيد بن حارثة، وذلك من وجهين:

أحدهما: أن الله سماه في القرآن، ولم يسم من الصحابة باسمه غيره.

والثاني: أن الله أخبر أنه أنعم عليه، أي: بنعمة الإسلام والإيمان. وهذه شهادة من الله له أنه مسلم مؤمن، ظاهراً وباطنا، وإلا فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن المراد بها النعمة الخاصة.

ومنها: أن المُغتق في نعمة المُغتِق.

ومنها: جواز تزوج زوجة الدَّعِي، كما صرّح به.

ومنها: أن التعليم الفعلي أبلغ من القولي، خصوصاً إذا اقترن بالقول، فإن ذلك نور على نور.

ومنها: أن المحبة التي في قلب العبد، لغير زوجته ومملوكته ومحارمه، إذا لم يقترن بها محذور، لا يأثم عليها العبد، ولو اقترن بذلك أمنيته، أن لو طلقها زوجها لتزوجها من غير أن يسعى في فُرقة بينهما، أو يتسبب بأي: سبب كان، لأن الله أخسر أن الرسول على أخفى ذلك في نفسه.

ومنها: أن الرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبن، فلم يدع شيئاً مما أوحي إليه إلا وبلغه، حتى هذا الأمر، الذي فيه عتابه.

⁽١) كذا في ب، وفي أ: للمستشار، ولعل الصواب ما أثبت _ والله أعلم _.

⁽٢) زيادة من: ب.

يَّيِنُهُ وَيَهُ يَلْقُوْنَ مُسَلَدُّ وَأَعَدَّ لَمَةً أَجْرًا كُوسًا @ يَاأَتُهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَلْهِ دُاوَمُبَثِّ كُاوَلَىٰذِيرًا ﴿ وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْ نِهِ وَمِسِ كِلِمَا مُّنِيرًا ۞ وَيَشِرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَمَيْر يِّرَكَ اللَّهِ فَضَلَّا كَيْرِينَ وَلَأَتُولِمِ الْكَثْفِرِينَ وَلَأَتُكِيْمِينَ وَدَعْ أَذَنَاهُمْ وَقُوَحَكُلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَلَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُ مُ الْمُؤْمِنَتِ ثُمَّ مَلْلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَنْشُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِ ﴾ مِنْ عِـ ذَةِ تَعْتَدُونَهَأُ فَيَعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَ سَرَاعَاجَيلُا۞ يَنَأَنَّهَا ٱلنَّيْزُانًا أَخَلَنَ الَّكَ أَزْوَلَهَكَ ٱلَّذِيَّ وَاتَّذِيَّ أُجُورَهُ ﴾ وتمامَّلُكُنَّ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَيِمَكَ وَبَنَاتِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتٍ خَلَيْكَ ٱلَّذِي هَاجَرْتَ مَعَكَ وَآمَرَأَهُ مُثَوِّمِكَ أَنِهُ وَهَبَتْ مَفْسَهَا لِلنَّبِيْ إِلنَّ إِنَّا النَّبِينُ أَن يَسْتَن كِحَقَهَا خَالِصَ لَهُ لَكَ مِن دُورِي ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمَتَ مَافَرَخْتَاعَلَيْهِمْ فِأَنْوَجِهِمْ وَمَامَلَكَتْ أَيْنَهُمْ لِكِيلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَيْعٌ وَكَانَ اللَّهُ عَنَوُلًا رَّحِيمًا ۞

ظاهره، أي: لا أبوة نسب، ولا أبوة ادعاء، وقد كان تقرر فيما تقدم أن الرسول الشيخ أب للمؤمنين كلهم، وأزواجه أمهاتهم، فاحترز أن يدخل في هذا النوع بعموم النهي المذكور، فقال: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبين﴾ أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المهتدى به، المؤمن له، الذي يجب تقديم عبته على عبة كل أحد، الناصح الذي لهم، أي: للمؤمنين، من بره [ونصحه](١)، كأنه أبّ لهم.

وكان الله بكل شيء عليماً أي: قد أحاط علمه بجميع الأشياء، ويعلم حيث يجعل رسالاته، ومَنْ يصلح لفضله ومَنْ لا يصلح.

سعبد ومن ما يطبعه . و الما الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلاً * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً * تحيتهم كريماً ﴾ تميراً من بالمؤمنين بدكره ذكراً كريماً وأعد لهم أجراً كثيراً، من تهليل وتحميد وتسبيح كثيراً، من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.

وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ أي: أول النهار وآخره، لفضلها وشرفها، وسهولة العمل فيها.

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم وثنائه، وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان والتوفيق والعلم والعمل، فهذه أعظم نعمة أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعى منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله، الذي لطف بهم ورحمهم، وجعل حملة عرشه أفضل الملائكة، ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا فيقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تَقِ السيئات يومئذٍ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم،

فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدنيا.

وأما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، وأفضل ثواب، وهو الفوز برضا ربهم وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية وجهه الجميل، وحصول الأجر الكبير، الذي لا يدري ولا يعرف كنهه، إلا مَنْ أعطاهم إياه، ولهذا قال: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً》.

﴿ ٤٥ _ ٤٨ ﴿ وَما أَيِّهَا النَّبِي إِنا أَرْسَلْنَاكُ شَاهَداً ومبشراً ونذيراً *

وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً هذه الأشياء التي وصف الله رسالته وزبدتها وأصولها التي اختص بها، وهي خسة أشياء: أحدها: كونه بها، وهي خسة أشياء: أحدها: كونه عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: الرسول عليكم شهيداً ﴿ وَكِيفَ إِذَا الرسول عليكم شهيداً ﴾ وفكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ فهو ﷺ شاهد عدل مقبول.

الثاني، والثالث: كونه ﴿مبشراً ونذيراً﴾ وهذا يستلزم ذكر البشر والمنذر، وما يبشر به وينذر، والأعمال الموجبة لذلك.

فالمبشر هم: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رتب على الإيمان والتقوى، وفي الأخرى بالنعيم المقيم.

وذلك كله يستلزم ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال، وخصال التقوى، وأنواع الثواب.

والمُنذر، هم: المجرمون الظالمون، أهل الظلم والجهل، لهم النذارة في الدنيا، من العقوبات الدنيوية والدينية المرتبة على الجمهل والنظلم، وفي الأخرى، بالعقاب الوبيل، والعذاب الطويل.

وهده الجملة تفصيلها، ما جاء به على من الكتاب والسُنة، المستمل على ذلك.

الرابع: كونه (داعياً إلى الله أي: أرسله الله يدعو الخلق إلى رجم، ويسوقهم (٢) لكرامته، ويأمرهم بعبادته التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لرجم

بصفاته القدسة، وتنزيهه عمّا لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والمعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بإذن الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره.

الخامس: كونه ﴿سراجاً منيراً﴾ وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور يهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها(١٠)، حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضُلالاً إلى الصراط المستقيم.

فأصبح أهل الاستقامة قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة.

وقوله: ﴿وبِشِّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ ذكر في هذه الجملة المبشّر، وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة.

وذكر المبشر به، وهو الفضل الكبير، أي: العظيم الجليل، الذي لا يقادر قدره، من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشمة الأرزاق الدارة، وحصول النِم السارة، والفوز برضا ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه.

وهذا نما ينشط العاملين، أن يذكر لهم من ثواب الله على أعمالهم، ما به

يستعينون على سلوك الصراط المستقيم، وهذا من جملة حكم الشرع، كما أن من حكمه، أن يذكر في مقام الترهيب، العقوبات المرتبة على ما يرهب منه، ليكون عوناً على الكف عمّا حرّم الله.

ولما كان ثم طائفة من الناس،

مستعدة للقيام بصد الداعين إلى الله من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون، الذين أظهروا الموافقة في الإيمان، وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهراً وباطناً، نهى الله رسوله عن طاعتهم، وحذره ذلك، فقال: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ أي: في كل أمر يصدعن سبيل الله، ولكن

لا يقتضي هذا أذاهم، [بل لا تطعهم ﴿ودع أذاهم ﴾ [^(۲) فإن ذلك جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذبتهم له ولأهله، ﴿وتوكل على الله في إتمام أمرك، وخذلان عدوك، ﴿وكفى بالله وكيلا﴾

وحدلان عدوك، حودهى بالله وديلاج تُوكل إليه الأمور المهمة، فيقوم بها ويسهلها على عبده.

﴿٤٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتلونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً نكحوا المؤمنات، ثم طلقوهن من قبل أن يمسوهن، فليس عليهن في ذلك عدة يعتدها (٣) أزواجهن عليهن، وأمرهم بتمتيعهن (٤) بهذه الحالة، بعبر لخواطرهن، لأجل فراقهن، وأن يفارقوهن فراقاً جيلاً، من غير نخاصمة ولا مطالبة، ولا غير ذلك.

ولا مشاعه ولا مطالبه، ولا غير دلك.

ويستدل بهذه الآية، على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح. فلو طلقها قبل أن ينكحها، أو علق طلاقها على يكاحها، لم يقع، لقوله: ﴿إِذَا نَكْحَتُمُ المؤمناتُ ثُم طلقتموهن﴾ فجعل المؤمنات ثم طلقتموهن﴾ فجعل

الطلاق بعد النكاح، فدل على أنه قبل ذلك لا محل له.

وإذا كان الطلاق الذي هو فرقة تامة وتحريم تام، لا يقع قبل النكاح، فالتحريم الناقص، لظهار أو إيلاء ونحوه، من باب أولى وأحرى، أن لا يقع قبل النكاح، كما هو أصح قولي العلماء.

ويدل على جواز الطلاق، لأن الله أخبر به عن المؤمنين، على وجه لم يلمهم عليه ولم يؤنبهم، مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين.

وعلى جوازه قبل المسيس، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن وعلى أن المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها يجوز لها التزوج، حيث لا مانع، وعلى أن عليها العدة بعد الدخول.

وهل المراد بالدخول والمسيس الوطء، كما هو مُجمّع عليه؟ أو وكذلك الخلوة، ولو لم يحصل معها وطء، كما أفتى بذلك الخلفاء الراشدون، وهو الصحيح. فمن دخل عليها، وطنها أملا، إذا خلابها، وجب عليها العدة.

وعلى أن المطلقة قبل السيس تمتع على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره، ولكن هذا إذا لم يفرض لها مهر، فإن كان لها مهر مفروض، فإنه إذا طلق قبل الدخول تنصف المهر، وكفى عن المتعة، وعلى أنه ينبغي لمن فارق زوجته قبل الدخول أو بعده، أن يكون الفراق جيلاً، يحمد فيه كل منهما الآخر.

ولا يكون غير جميل، فإن في ذلك من الشر المرتب عليه، من قدح كل منهما بالآخر شيء كثير.

وعلى أن العدة حق للزوج، لقوله: ﴿فسما لكم عليهن من عدة ﴾ دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس، كان له عليها عدة [وعلى أن المفارقة

⁽١) كذا في ب، وفي أ: جهاتها.

⁽٢) زيادة من: ب.

⁽٣) كذا في النسختين ولعل الصواب تعتدها.

 ⁽٤) كذا في ب، وفي أ: بتمتعهن.

بالوفاة تعتد مطلقاً لقوله: ﴿ثم طلقتموهن﴾ الآية](١).

وعلى أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة.

﴿ ٥٠ ﴿ وِيا أَيِّهَا النَّبِي إِنَا أَحِلْلُنَا لَكَ أزواجك اللاق آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ثما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يتحون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ يقول تعالى، ممتناً على رسوله بإحلاله له ما أحل مما يشترك هو والمؤمنون، وما ينفرد به ويختص: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن أي: أعطيتهن مهورهن، من الزوجات، وهذا من الأمور المشتركة بينه وبين المؤمنين [فإن المؤمنين](۲)، كذلك يباح لهم ما^(۳) آتوهن أجورهن من الأزواج.

﴿و﴾ كذلك أحللنا لك ﴿وما ملكت يمينك﴾أي: الإماء التي ملكت ﴿عا أفاء الله عليك﴾ من غنيمة الكفار من عبيدهم، والأحرار من لهن زوج منهم، ومَنْ لا زوج لهن، وهذا أيضاً مشترك.

وكذلك من المسترك، قوله: ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك﴾شمل العم والعمة، والخال والخالة، القريبين والبعدين، وهذا حصر المحللات.

يؤخذ من مفهومه أن ما عداهن من الأقارب غير محلل، كما تقدم في سورة

النساء، فإنه لا يباح من الأقارب من النساء، غير هؤلاء الأربع، وما عداهن من الفروع مطلقاً، والأصول مطلقاً، وفسروع الأب والأم، وإن نسزلوا، وفروع مَنْ فوقهم لصلبه، فإنه لا يباح.

وقوله: ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ قيد لحل هؤلاء للرسول، كما هو الصواب من القولين في تفسير هذه الآية، وأما غيره عليه الصلاة والسلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة.

﴿و﴾ أحللنا لك ﴿امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ بمجرد هبتها نفسها.

﴿إِن أراد النبي أن يستنكحها ﴾ أي: هذا تحت الإرادة والرغبة، ﴿خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ يعني: إباحة المؤهبة (٤). وأما المؤمنون، فلا يحل لهم أن يتزوجوا امرأة بمجرد هبتها نفسها لهم.

﴿قدعلمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم أي: قد علمنا ما على المؤمنين، وما يحل لهم، وما لا يحل من الزوجات وملك اليمين. وقد علمناهم بذلك، وبينا فرائضه.

فما في هذه الآية، مما يخالف ذلك، فإنه خاص لك، لكون الله جعله خطاباً للرسول وحده بقوله: ﴿يا أَيُّها النِّي إِنا أَحِلنا لك﴾ إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ وأبحنا لك يا أيها النبي ما لم نبح لهم، ووسعنا لك ما لم نوسع على غيرك، ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ وهذا من زيادة اعتناء الله تعالى برسوله ﷺ.

وكان الله غفوراً رحيماً اي: لم

يزل متصفاً بالمغفرة والرحمة، وينزل على عباده من مغفرته ورحمته وجوده وإحسانه، ما اقتضته حكمته، ووجدت منهم أسبابه.

﴿١٥﴾ ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت بمن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم توسعة الله عليماً وهذا أيضاً من توسعة الله على رسوله ورحمته به، أن وجه الوجوب، وأنه إن فعل ذلك فهو تبرع منه، ومع ذلك، فقد كان ﷺ تبرع منه، ومع ذلك، فقد كان ﷺ يجتهد في القسم بينهن في كل شيء، ويقول: ﴿اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمنى فيما لا أملك،

فقال هنا: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ [أي: تؤخر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك، ولا تبيت عندها] (٥٠) ﴿وَتُوْوِي إليك مَنْ تشاء﴾ أي: تضمها وتبيت عندها.

﴿و﴾ مع ذلك لا يتعين هذا الأمر ﴿من ابتغيت﴾ أي: تؤويها ﴿فلا جناح عليك﴾ والمعنى أن الخيرة بيدك في ذلك كله [وقال كثير من الفسرين إن هذا خاص بالواهبات له أن يرجي من يشاء ويؤوي من يشاء، أي: إن شاء قبل من وهبت نفسها له وإن شاء لم يقبلها والله أعلم](١٠).

ثم بين الحكمة في ذلك فقال: ﴿ذلك ﴾أي: التوسعة عليك، وكون الأمر راجعاً إليك وبيدك، وكون ما جاء منك إليهن تبرعاً منك ﴿أدنى أن تقر أصينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن لعلمهن أنك لم تترك واجا، ولم تفرط في حق لازم.

⁽١) زيادة من: ب.

⁽۲) زیادة من: ب.

⁽٣) كذا في أ، وفي ب: من.

⁽٤) في ب: الموهوبة.

⁽٥) زيادة من ب.

 ⁽٦) زيادة من هامش (ب) وفي بعض الكلمات عدم وضوح وتم تصويبها من طبعة السلفية.

الجزء الثاني والعشرون ك

﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ أي: ما يعرض لها عند أداء الحقوق الواجبة والمستحبة، وعند المزاحمة في الحقوق، فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول الله، لتطمئن قلوب زوجاتك.

﴿وكان الله عليماً حليماً ﴾ أي: واسع العلم، كثير الحلم. ومن علمه، أن شرع لكم ما هو أصلح لأموركم، وأكثر لأجوركم. ومن حلمه، أن لم يعاقبكم بما صدر منكم، وما أصرت عليه قلوبكم من الشر.

﴿٥٢﴾ ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾ وهذا شكر من الله، الذي لم يزل شكوراً لزوجات رسوله، رضى الله عنهن، حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، أن رحمهن، وقصر رسوله عليهن، فقال: ﴿لا يحل ليك النساء من بعد) زوجاتك الموجودات ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ أي: ولا تطلق بعضهن، فتأخذ بدلها .

فحصل بهذا أمنهن من الضرائر، ومن الطلاق، لأن الله قبضي أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، لا يكون بينه وبينهن فرقة .

﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ أي: حسن غيرهن، فلا يحللن لك ﴿إلا ما ملكت يمينك♦ أي: السراري، فذلك جائز لك، لأن الملوكات في كراهة الزوجات، لسن بمنزلة الزوجات في الإضرار للزوجات. ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾ أي: مراقباً للأمور، وعالماً بما إليه تؤول، وقائماً بتدبيرها على أكمل نظام وأحسن إحكام.

﴿٥٣ ــ ٥٤ ﴿ إِنَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي

النبي فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عندالله عظيماً * إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ يأمر تعالى عسباده المؤمسين سالساده المؤمسين رسول الله ﷺ في دخول بيوته، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام﴾ أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها لأجل الطعام. وأيضاً لا تكونوا ﴿ ناظرين إناه ﴾ أي: منتظرين ومتأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين:

الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث، أي: قبل الطعام وبعده.

ثم بيِّن حكمة النهى وفائدته فقال: ﴿إِن ذَلَكُم﴾ أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، ﴿كان يودى النبي﴾ أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شؤون بيته، واشتغاله فيه ﴿فيستحيى منكم ﴾ أن يقول لكم: (اخرجوا) كما هو جاري العادة، أن الناس ـ وخصوصاً أهل الكرم منهم _ يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ﴿و﴾ لكبن ﴿الله لا يستحيى من الحق) .

فالأمر الشرعي، ولوكان يتوهم أن في تركه أدباً وحياءً، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه ليس من الأدب في شيء. والله تعالى لا يستحيى أن يأمركم بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائناً ما

فهذا أدبهم في الدخول في بيوته،

ا * رُبِي مَن تَشَكَّهُ مِنْهُنَّ وَتُعِيَّ إِلَيْكَ مَن تَشَكَّهُ وَمَن كَبَعَيْتَ عَنْ عَزْلَتَ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُ ذَلِكَ أَذَكَ أَن تَعَرَّ أَعْيُسُنُهُ كَ ﴾ وَلَا يَحْدَنَ وَيُوْمَهُ وْنِ جَآءَ النَّيْنَهُ نَ كُلُّهُنَّ وَأَلْقَهُ يُصْلَمُ مَا فِي تُلُوبِكُمْ وَكَانَ أَفَةَ عَلِيمًا حَلِيمًا ۞ لَا يَعِلُ لَكَ ٱلْفِسَاءُ مِنْ مِنْدُ وَلِا أَن مَبَدَّ لَهِ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَجِ وَلَوْ أَعْبَكَ حُسْنُعُنَ إلَّا مَا مَلَكَتْ يَينُكُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىكُ لِ مَن و زَقِيبَ اللهِ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَتُوا لَا مَتَخُلُوا يُتُوتَ ٱلنِّينَ إِلَّا أَن يُؤْذَ كَ لَكُمُ لِلْ طَعَامِ غَيْرَتَظِيرِ بَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيمٌ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَهِمْتُمُ فَأَنتَهُمُوا وَلَامْسَتَفْسِينَ إِحَدِيثُ إِنَّ ذَلِكُو كَاتَ يُؤْذِي ٱلنَّيِّيَّ فَيَسَتَّخِي مِنكُمٌّ وَأَلْقَةُ لَابِنَتَّخِيهِ مِنَ ٱلْمُتِيَّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَنْكَا فَشَالُوهُنَّ مِن وَلَآءِ جِسَابُ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِمُتَلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَاكَاتَ أَكُولُو تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن لَنكِ حُوّاً أَزْوَلَكِمُ مِنْ بَعْدِوت أَبَدَّأُ إِنَ ذَالِكُمْ كَانَ عِندَاللَّهِ عَظِيمًا ﴿ إِن نُبْدُواْ ر الله المنطقة TO LEGISLES IN

وأما أدبهم معه في خطاب زوجاته، فإنه إما أن يحتاج إلى ذلك، أم لا يحتاج إليه، فإن لم يحتج إليه فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتيج إليه، كأن يُسألن متاعاً، أو غيره من أواني البيت أو نحوها، فإنهن يُسألن ﴿من وراء حجاب اي: يكون بينكم وبينهن ستريسترعن النظر، لعدم الحاجة

فصار النظر إليهن بمنوعاً بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل الذي ذكره الله، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ﴿ذَلَكُمُ أَطْهُرُ لَقُلُوبِكُمُ وَقُلُوبِهِنَ﴾ لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه.

فلهذا، من الأمور الشرعية التي بيِّن الله كثيراً من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته ممنوعة، وأنه مشروع البعد عنها بكل طريق.

ثم قال كلمة جامعة وقاعدة عامة: ﴿وما كان لكم الله معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بـل هـو أقـبـح شـيء ﴿أن تـؤذوا رسول الله أي أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدأً هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه على له مقام التعظيم والرفعة والإكرام، وتنزوج زوجاته

[بعده](١) مخل بهذا المقام.

وأيضاً، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده لأحد من أمته. ﴿إِن ذلكه كان عند الله عظيماً ﴾ وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه، ولله الحمد والشكر.

ثم قال تعالى: ﴿إِن تبدوا شيئاً﴾ أي: تظهروه ﴿أُو تَحْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهُ كَانَ بكل شيء عليماً ﴿ يعلم ما في قلوبكم وما أظهرتموه، فيجازيكم عليه.

﴿٥٥﴾ ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولاما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شيهيداً ﴾ لما ذكر أنهن لا يسألن متاعاً إلا من وراء حجاب، وكان اللفظ عاماً [لكل أحد](٢)، احتيج أن يستثنى منه هؤلاء المذكــورون مــن المحــارم، وأنــه ﴿لا جسساح عسليهسن ﴿ في عسدم الاحتجاب عنهم .

ولم يذكر فيها الأعمام والأخوال، لأنهن إذا لم يحتجبن عمن هن عماته ولا^(٣) خالاته، من أبناء الإخوة والأخوات، مع رفعتهن عليهم، فعدم

احتجابهن عن عمهن وخالهن من باب أولى، ولأن منطوق الآية الأخرى، المصرحة بذكر العم والخال مقدمة، على ما يفهم من هذه الآية .

وقوله: ﴿ولانسائهن﴾أي: لا جناح عليهن ألا يحتجبن عن نسائهن، أي: اللاق من جنسهن في الدين، فيكون ذلك مخرجاً لنسآء الكفار، ويحتمل أن المراد جنس النساء، فإن المرأة لا تحتجب عن المرأة. ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ ما دام العبد في ملكها جميعه.

ولما رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فیه وفی غیره لزوم تقوی الله، وأن لا يكون في محذور شرعى، فقال: ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهُ أَي: استعملُن تقواه في جميع الأحوال ﴿إن الله كان على كل شيء شهيدا العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلمواً تسليماً ﴾ وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. و ﴿إن الله تعمالي ﴿وملَّاتُكته بصلُونَ ﴾ عليه، أي: يثنى الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون.

﴿٥٦﴾ ﴿إِن الله وملائكته يصدون

﴿ يِا أَيُّهَا الَّذِينِ آمِنُوا صِلُوا عِلَيْهِ وسلموا تسليماك اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيماً له ﷺ، ومحبة وإكراماً، وزيادة في حسناتكم، وتكفيراً من سيئاتكم وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: «اللهم صلُّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنّك حميد

مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة.

﴿٧٥ _ ٨٥﴾ ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً * والذي يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴿ لما أمر تعالى بتعظيم رسوله على، والصلاة والسلام عليه، نهي عن أذيته، وتوعد عليها فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَؤَذُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، من سب وشتم، أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى. ﴿لعنهم الله في الدنيا أي: أبعدهم وطردهم، ومن لعنهم [في الدنيا](،)، أنه يحتم (٥) قتل من شتم الرسول ﷺ وآذاه .

﴿والآخرة وأعدُّ لهم عذاباً أليماً ﴾ جزاء له على أذاه، أن يؤذى بالعذاب الأليم، فأذية الرسول ليست كأذية غيره، لأنه _ ﷺ - لا يؤمن العبد بالله، حتى يؤمن برسوله ﷺ. وله من التعظيم الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضى ذلك أن لا يكون مثل غيره.

وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثمها عظيماً، ولهذا قال فيها: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴾ أي: بغير جناية منهم موجبة للأذي ﴿فقد احتملوا﴾ على ظهورهم ﴿مِتاناً﴾ حيث آذوهم بغير سبب ﴿وإثما مبيناً > حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها.

ولهذا كان سبُّ آحاد المؤمنين موجباً للتعزير، بحسب حالته وعلو مرتبته، فتعزير مَنْ سبُّ الصحابة أبلغ، وتعزير مَنْ سبُّ العلماء وأهل الدين أعظم من

﴿٥٩ ـ ٦٢﴾ ﴿يا أيها النبي قل

(٥) في ب: يتحتم.

(1)

زيادة من: ب.

في ب: بدون (لا) وهو الأقرب.

زيادة من: ب. (1)

زياة من: ب.

أن ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها وجوههن وصدورهن.

وأهليكم ناراً).

ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴿ دلَّ على وجود أذية إن لم يحتجبن، وذلك لأنهن إذا لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن مَنْ في قلبه مرض فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن مَنْ يريد الشر. فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

﴿وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ حيث غفر لكم ما سلف ورحمكم، بأن بيّن لكم الأحكام، وأوضع الحلال والحرام، فهذا سد للباب من جهتهنّ.

وأما من جهة أهل الشر فقد توعدهم بقوله: ﴿لَنْنَ لَمْ يَنْتُهُ الْمُنَافِقُونَ والذين في قلوبهم مرض﴾ أي: مرض شك أو شهوة ﴿والمرجفون في المدينة﴾ أي: المخوفنون المرهبيون الأعبداء، المُحَدُّثُونَ^(٢) بكثرتهم وقوتهم، وضعف

ولم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك كل ما توحى به أنفسهم إليهم وتوسوس به وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسبِّ الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة من أمثال هؤلاء.

﴿لنغرينُك بهم ﴾ أي: نأمرك بعقوبتهم وقتالهم، ونسلطك عليهم، ثم إذا فعلنا ذلك، لا طاقة لهم بك، وليس لهم قوة ولا امتناع، ولهذا قال: ﴿ ثُمُّ لا يجاورونك فيها إلا قليلا♦ أي: لا يجاورونك في المدينة إلاَّ قليلاً، بأن تقتلهم أو تنفيهم.

وهذا فيه دليل لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر وأبعد مِنه، ويكونون ﴿ملعونين أينما ثقفوا أَخذُوا وقُتُلُوا تقتيلاً ﴾ أي: مبعدين أين (٣) وُجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقر(1) لهم قرار، يخشون أن يُقتلوا، أو يُحبسوا، أو يعاقبوا.

﴿ سُنَّة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ أن مَنْ تمادي في العصيان، وتجرأ على الأذي، ولم ينته منه، فإنه يعاقب عقوبة بليغة. ﴿وَلن تجد لسُنّة الله تبديلا﴾ أي: تغييراً، بل سنة الله تعالى وعادته جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها (٥).

﴿ ٦٣ ـ ٦٨ ﴾ ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً * إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً * خالدين فيها أبدأ لا يجدون وليأ ولا نصيراً * يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا

يَسْتَلُكَ ٱلنَّاسُ عَن ٱلسَّاعَةُ قُلْ إِنَّاعِلْمُهَاعِندَ ٱللَّهِ وَمَايُدُيكِ لَمَالُ السَّاعَةُ تَكُونُ قَرِيبًا ۞ إِنَّ الْقَدَلَعَنَ الْحَافِرِينَ وَأَعَدُ لَمُ مُسَعِيرًا ﴿ خَلِلِينَ فِيهَا أَبَدُ ٱلَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَانَصِيرًا ۞ يَوْمَ تُعَلَّبُ وُجُوهُ لُهُ مِنْ الشَّادِيَتُولُونَ يَكَلِينَنَّا أَعْلَمُنَا أَلَّهُ وَأَعْلَمُنَا ٱلرَّسُولَا ﴿ وَقَالُوا رَبِّنَا إِنَّ أَظْلَمُنَا سَادَتُنَا وَكُبْرَةَنَا مَأْمَدُلُونَا السَّبِيلَا ﴿ رَبُّنَّ الْهِمْ صِعَفَيْنِ مِنَ ٱلْمَكَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَقَنَا حَجَبِيرًا ۞ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ المَنوُ الانكُونُو كَالَّذِينَ مَاذَوَا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ القَدْعِمَا قَالُواْ وَكَاتَ عِندَ أَنَّهُ وَجِيهًا ۞ يَتَأَنِّهَا ٱلَّذِينَ ءَاسَوُ التَّقُوا أَفَّة وَقُولُوا قَرْكَ سَدِينًا ۞ يُعْدِلِمُ لَكُو أَعْمَلُكُو وَيَغْفِرَ لَكُو نُوْرَكُو وَمَن يُعِلِع ٱلْمَةَ وَرَسُولُهُ وَهَذَ فَازَ فَوَزَّا عَظِيمًا ۞ إِنَّا عَرَضْتَ ٱلْأَمَّاتَ مَكَّلَ

التسكؤلن والأثين والجهال فأبين أن يخملنها وأشففن ينها

وَحَلَهَا ٱلْإِنْسُنُ إِلْقَكَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۞ لِيُعَذِبُ اللَّهُ

ٱلْنَيْفِقِينَ وَالْنَيْفِقَنِ وَالْشَرِكِينَ وَالْشَرِكْتِ وَيَتُوبِ اللَّهُ

الله عَلَى الْمُؤْمِدِينَ وَالْمُؤْمِدَتُ وَكَاتَ اللهُ عَلَى فُورًا تَجِعَمًا ۞

DUBARU IN MARKED وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً ﴾ أي: يستخبرك الناس عن الساعة استعجالاً لها، وبعضهم تكذيباً لوقوعها، وتعجيزاً للذي أخبر بها. ﴿قل﴾ لهم: ﴿إنما علمها عند الله أي: لا يعلمها إلاّ الله، فليس لي ولا لغيري بها علم، ومع هذا، فلا⁽ تستبطؤوها.

﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ وبجرد بجيء الساعة، قرباً وبعداً، ليس تحته نتيجة ولا فائدة، وإنما النتيجة والخسار والربح، والشقا(٧) والسعادة، هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟ فهذه سأخبركم بها، وأصف لكم مستحقها.

فوصف مستحق العذاب، ووصف العذاب، لأن الوصف المذكور منطبق على هؤلاء الكذبين بالساعة، فقال: ﴿إِن الله لعن الكافرين﴾ [أي:]^(^) الذين صار الكفر دأبهم وطريقتهم الكفر بالله وبرسله، وبما جاؤوا به من عند الله، فأبعدهم في الدنيا والآخرة من رحمته، وكفي بذُّلكُ عقاباً، ﴿وَأَعِدُ لهم سعيراً﴾ أي: ناراً موقدة، تسعر

كذا في ب، وفي أ: قد.

في ب: والشقاوة.

(V)

⁽⁷⁾ كذا في ب، وفي أ: ولا يقرر.

كذا في النسختين ولعله والله أعلم

المقتضية لمسبباتها. زيادة من: ب. (A)

زيادة من هامش: ب. (1)

في ب: المتحدثون. **(Y)**

في ب: حيث. (٣)

التعلقلية ﴿ _إِفَوَالِكُوْرُالِكِيْرِ ٱلْمُعَدُدِيَّهِ ٱلَّذِي لَهُمَا فِي ٱلسَّمَوْتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْمُحَمَّدُ فِ ٱلْآخِرَةُ وَهُوَ ٱلْحَكِيدُ ٱلْخَيْدُ ۞ يَمْلَدُ مَالِيكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّكَلَّةِ وَمَا يَتْرُجُ فِيهَا وَهُوَّ ٱلرَّحِيءُ ٱلْمَنْ غُورُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَتُرُوا لَا تَأْمِينَا ٱلسَّاتَّةُ قُلْ كَلَ وَزَيْفِ لَتَالِيَنَكُمْ عَلِمُ ٱلْفَيَنِّ لَا يَعْدُرُبُ عَنْهُ مِثْقَ الْ ذَرَّةِ حِهُ السَّمَوْتِ وَلَاحِهُ ٱلْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَاّ أَحْتَرُ لِلَّا فِ كِتَابٍ مُّبِينِ ۞ لَمِسْنِينَ الَّذِينَ المَثُوا وَعَيمُوا الصَّلِحَتِ أُولَيْكَ لَهُم مَّغَ فِرَةً وَرِزْقُ كَيمُ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي الْيَتِنَامُ عَلَجِينَ أَوْلَنْهِكَ لَمُتَمْ عَذَاتُ مِن يُجْزِأَلِيهُ ۞ وَيَرَى ٱلَّذِينَ لُوتُوا المعلمة الذي أنيل الميك من رقبات هو المتحقق ويتعدد عمال بسرط ٱلْمَنْ يِنِ ٱلْمُمَيِّدِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَمَّرُوا مَلْ نَدُلُكُو عَلَى رَجُل يُنِّتِثُكُمُ إِذَا مُنْ فَتُعْرَكُ أَمُنَّزَقِ إِنَّكُو لِنَ خَلْقِ جَدِيدٍ ۞ AND AND THE PROPERTY OF THE PR

في أجسامهم، ويبلغ العذاب إلى أفئدتهم، ويخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، ولا يُفَتَّر عنهم ساعة.

ولا يجدون لهم ولياً فيعطيهم ما طلبوه ﴿ولا نصيراً ﴾ يدفع عنهم العذاب، بل قد تخلى عنهم الولي والنصير، وأحاط بهم عذاب السعير، وبلغ منهم مبلغاً عظيماً، ولهذا قال: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار ﴾ فيذوقون حرها، ويشتد عليهم أمرها، ويتحسرون على ما أسلفوا.

﴿يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ فسلمنا من هذا العذاب، واستحققنا كالمطيعين جزيل الثواب. ولكن أمنية فات وقتها، فلم تفدهم إلا حسرة وندماً، وهماً، وغماً، وألماً.

﴿وقالوا ربنا إنَّا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ وقلدناهم على ضلالهم، ﴿فأضلونا السبيلا﴾

كقوله تعالى: ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءن ﴾ الآية.

ولما علموا أنهم هم وكبراءهم

مستحقون للعقاب، أرادوا أن يشتفوا عمن أضلوهم، فقالوا: ﴿ رَبِنَا آتِهِم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً ﴾ فيقول الله لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر والمعاصي، فتشتركون في العقاب، وإن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم.

﴿٢٩﴾ ﴿يا أيها اللذين آسنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾ يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم محمد ريان النبي الكريم، الرؤوف الرحيم، فيقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام والاحترام، وأن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران، كليم الرحمن، فبرأه الله مما قالوا من الأذية، أي: أظهر الله لهم براءته. والحال أنه عليه الصلاة والسلام، ليس محل التهمة والأذية، فإنه كان وجيهاً عند الله، مقرباً لديه، من خواص المرسلين، ومن عباده المخلصين، فلم يزجرهم ما له من الفضائل عن أذيته والتعرض له بما يكره، فاحذروا أيها المؤمنون، أن تتشبهوا بهم في ذلك، والأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى (١) لما راوا شدة حياته وتستره عنهم: ﴿إنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه آدر، أي: كبير الخصيتين، واشتهر ذلك عندهم، فأراد الله أن يبرئه منهم، فاغتسل يوماً، ووضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فأهوى موسى عليه السلام في طلبه، فمرّ به على مجالس بني إسرائيل، فرأوه أحسن خلق الله، فزال عنه ما رموه به.

﴿٧١ ـ ٧٧﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا القوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو

القول الموافق للصواب، أو المقارب له عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق موصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه.

ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه في نحاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة بما هو الأصلح.

ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: ﴿يصلح لكم أي: يكون ذلك سبباً لصلاحها وطريقاً لقبولها، لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾.

ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال [أيضاً] بحفظها عسما يضما يضما وحفظ ثرابها ومضاعفته، كما أن الإخلال بالتقوى والقول السديد، سبب لفساد الأعمال وعدم قبولها، وعدم تَرتُب آثارها علها.

﴿ويغفر لكم﴾ أيضاً ﴿ذنوبكم﴾ التي هي السبب في هلاككم، فالتقوى تستقيم بها الأمور، ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: ﴿ومَنْ يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾

﴿٧٧ ـ ٧٧﴾ ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً * ليعذب الله المسافقين والمسافقيات والمسركين والمؤمنين والمؤمنات وكان الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله عفوراً رحيماً وعظم تعالى شأن الأمانة التي ائتمن الله عليها المكلفين، السي هي امتشال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال العلانية، وأنه

تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وأنك إن قُمْتِ بها وأديتيها على وجهها فلك الثواب، وإن لم تقومي بها [ولم تؤديها] فعليك

﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ أي: خوفاً أن لا يقمن بما مُمُلْدَ، لا عصياناً لربهن، ولا زهداً في ثوابه، وعرضها الله على الإنسان علَّى ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحملُ الثقيل، فانقسم الناس _بحسب قيامهم بها وعدمه _إلى ثلاثة أقسام:

منافقون أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرآ لا باطناً، ومشركون تركوها ظاهراً وباطناً، ومؤمنون قائمون بها ظاهراً

فذكر الله تعالى أعمال هذه الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب، فقال: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكبان الله غفورا رحيما ﴾. فله الحمد تعالى، حيث ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين، الدالين على تمام مغفرة الله، وسعة رحمته، وعموم جوده، مع أن المحكوم عليهم، كثير منهم لم يستحق المغفرة والرحمة، لنفاقه وشركه.

> تم تفسير سورة الأحزاب بحمد الله وعونه

تفسير سورة سبأ وهي مكية

﴿١ - ٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السماوات وما ني الأرض وله الحمد نّي الآخرة وهو الحكيم الخبير * يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) الحمد: الثناء بالصفات الحميدة والأفعال الحسنة، فلله تعالى الحمد، لأن جميع صفاته يحمد عليها، لكونها صفات كمال، وأفعاله يحمد عليها، لأنها دائرة بين الفضل الذي

يحمد عليه ويشكر، والعدل الذي يحمد عليه ويعترف بحكمته فيه.

وحمد نفسه هنا، على أن ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض) ملكاً وعبيداً، يتصرف فيهم بحمده. ﴿وله الحمد في الآخرة ﴾ لأن في الآخرة يظهر من حمده والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه وحكمته فيه، حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم.

وأما ظهور حمده في دار النعيم والثواب، فذلك شيء قد تواردت به الأخبار، وتوافق عليه الدليل السمعي والعقلي، فإنهم فني الجنة، يرون من توالي نِعَم الله، وإدرار خيره، وكثرة بركاته، وسعة عطاياه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية ولا إرادة، إلاَّ وقد أعطى، فوق ما تمنى وأراد، بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيهم، ولم يخطر بقلوبهم .

فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة تضمحل العوارض والقواطع، التي تقطع عن معرفة الله ومحبته وآلثناء عليه، ويكون ذلك أحب إلى أهلها من كل نعيم، وألذ عليهم من كل لذة، ولهذا إذا رأوا الله تعالى، وسمعوا كلامه عند خطابه لهم، أذهلهم ذلك عن كل نعيم، ويكون الذكر لهم في الجنة كالنَّفَس، متواصلاً في جميع الأوقات، هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر الهل الجنة في الجنة كل وقت، من عظمة ربهم وجلاله وجماله وسعة كماله، ما يوجب لهم كمال الحمد والثناء عليه.

﴿ وهو الحكيم ﴾ في ملكه وتدبيره، الحكيم في أمره ونهيه. ﴿ الخبير ﴾ المطلع على سرائر الأمور وخفاياها ولهذآ فصل علمه بقوله: ﴿يعلم ما يلج في الأرض ﴾ أي: من مطر، وبذراً، وحيوان ﴿وما يخرج منها﴾ من

THE PARTIES AND THE PARTIES AN أَفَةَ ذَىٰ عَلَى لَقَهُ لَكُمَّا أَمْ مِمْ حَنَّةُ لَّمْ رَالَّذِينَ لَا نَهْ مِنْورَ كِمَا لَآخِذَ ة فِي ٱلْمَذَابِ وَالضَّالِ ٱلْبَعِيدِ ۞ أَفَلَةِ يَرَوْا إِلَى مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِنَ ٱلسَّمَلَةِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَشَأَ نَخْسِف بِهِمُ ٱلأَرْضَ أَوْنُشْقِطَ عَلَيْهِ مُرِكَنَا قِنَ ٱلسَّمَاءَ أِنَّ فِي ذَلِكَ الَّذِينَةُ إِكُلِّ عَبْدِرْمُنِيبٍ ۞ • وَلَقَدْ ءَالَّيْنَ ادَاوُدَ مِنَا فَضَلًّا يَكِجَالُ أَقِدِ مَعَكُو الطَّلِيرُّ وَالْنَالَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ ٱعْمَلْ سَهِ عَنْتِ وَقَدِّرْ فِي السَّرَّةِ وَٱعْمَلُواْ صَلِحاً إِنِّي مَا مَّتَمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلِمُنْ لَيْمَنَ ٱلِيْحَ غُدُوُهِ ۖ اشْفِرُّ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌّ وَأَسَلْنَالُهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرُ وَمِنَ أَنْجِنْ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ بِكَدْيُو بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَمَن يَزِغْ مِنْهُ مُعَنْ أَمْرِنَا لَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّيَعِيرِ @ يَعْمَلُونَ لَهُمَا يَشَآهُ مِن تَحَيْرِبَ وَتَكْثِيلَ وَحِفَانِ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُودِ زَاسِيَنَ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكُرا وَقِلِلَّ فِنْ عِبَادِي ٱلشَكُورُ ۞ فَلَمَّا قَصَيْنَاعَلَيْهِ ٱلْمُوتَ مَادَلَمُ عَلَامَوْتِهِ إِلَّا زَانَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَلَّةُ فَلْمَا خَرَّتَيْنَتِ ٱلْحِنَّ أَن لَوْكَافُوا يَعْ لَمُونَ الْعَيْبَ مَا لِيشُوا فِي ٱلْعَكَذَابِ ٱلْمُهِينِ ١ ONE TO LEAD WE ARE TO LEAD WATER

أنواع النباتات وأصناف الحيوانات، ﴿وَمَّا يِنْزُلُ مِنِ السَّمَاءِ﴾ مِن الأملاك والأرزاق والأقدار، ﴿وما يعرج فيها﴾ من الملائكة والأرواح وغير ذلك.

ولما ذكر مخلوقاته وحكمته فيها، وعلمه بأحوالها، ذكر مغفرته ورحمته لها، فقال: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ أي: الذي الرحمة والمغفرة وصفه، ولم تزل آثارهما تنزل على عباده كل وقت، بحسب ما قاموا به من مقتضياتهما.

﴿٣_٥﴾ ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلي وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين * ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئكُ لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم لل بين تعالى عظمته بما وصف به نفسه، وكان هذا موجباً لتعظيمه وتقديسه والإيمان به، ذكر أن من أصناف الناس طائفة لم تقدر ربها حق قدره، ولم تعظمه حق عظمته، بل كفروا به، وأنكروا قدرته على إعادة الأموات وقيام الساعة، وعارضوا بذلك رسله، فقال: ﴿وقال الذين كفروا ﴾ أي: بالله وبرسله، وبما جاؤوا به، فقالوا بسبب كفرهم: ﴿لا تأتينا الساعة ﴾ أي: ما هي إلا هذه الحياة الدنيا نموت ونحيا.

لةذكان استبال متحقه ماية خَسَّان عن يَدِن وَشِسَالُ لَكُوْنِ وَنَهُ عَالُورُ هُوَ لَكُوْنِ وَنَهُ عَالُورُ هُو كُوْنِ وَنَهُ وَنَهُ وَالْمُواللَّبَاءَ مُعِيْدَةً مُوارَبُّ عَامُورُ هِ اللَّهِ عَلَيْدِ وَاللَّهِ وَمَنْ وَوَنِ فَيهُ وَقَلِيهِ وَاللَّهِ وَمَنْ وَوَنِ فِيهِ لِ هَا اللَّهُ وَمَنْ وَوَنِ فِيهُ وَقِيلًا هَا وَاللَّهُ وَمَنْ وَمِن فِيهُ وَقِيلًا اللَّهُ وَمَنْ وَمَن فِيلًا اللَّهُ وَمَن وَمِن فِيلًا اللَّهُ وَمَن وَمِن فِيلًا اللَّهُ وَمَن وَمَن اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَن اللَّهُ وَمَا الْهُ وَمَا الْهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا الْمُعْلِقُ مِنْ اللَّهُ وَمَا اللْهُ وَمَا اللْهُ وَمَا الْمُؤْمِنِ مَا اللَّهُ وَمَا الْمُؤْمِنُ وَمَا الْمُؤْمِدُ وَمَا الْمُؤْمِنَ اللْهُ وَمَا اللَّهُ وَمَا اللْمُؤْمِنَ وَمَا الْمُؤْمِنُ وَاللَّهُ وَمَا الْمُؤْمِنُ وَاللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ وَمِن اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللِمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْمُؤْمِنَ اللْم

فأمر الله رسوله أن يرد قولهم ويبطله، ويقسم على البعث، وأنه سيأتيهم، واستدل على ذلك بدليل من أقرَّبه، لزمه أن يصدق بالبعث ضرورة، وهو علمه تعالى الواسع العام، فقال: ﴿عالم الغيب﴾ أي: الأمور الغائبة عن أبصارنا وعن علمنا، فكيف بالشهادة؟!

PORTOR III DO COMO

ثم أكّد علمه فقال: ﴿لا يَغُرُبُ﴾ أي: لا يغيب عن علمه ﴿مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾ أي: جميع الأشياء بذواتها وأجزائها، حتى أصغر ما يكون من الأجزاء، وهو المثاقيل منها.

الم الم الم الم الم الك ولا أكبر إلا أولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا علمه، وجرى به قلمه، وتضمنه الكتاب المبين، الذي هو اللوح المحفوظ، فالذي لا يخفى عن علمه مثقال الذرة فما دونه، في جميع الأوقات، ويعلم (١١) ما تنقص الأرض من الأموات، وما يبقى من أجسادهم، قادر على بعثهم، من باب أولى، وليس بعثهم بأعجب من هذا العلم المحيط.

ثم ذكر المقصود من البعث، فقال: ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ بقلوبهم، صدقوا الله، وصدقوا رسله تصديقاً جازماً، ﴿وعملوا الصالحات﴾ تصديقاً

لإيمانهم. ﴿أُولَتُكُ لَهُمْ مَعْفَرَةُ﴾ لذنويهم، بسبب إيمانهم وعملهم، يندفع بها كل شر وعقاب. ﴿وورْقَ كريم﴾ بإحسانهم، يحصل لهم به كل مطلوب ومرغوب وأمنية.

﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾
أي: سعوا فيها كفراً بها، وتعجيزاً لمن جاء بها، وتعجيزاً لمن أنزلها، كما عبجزوه في الإعادة بعد الموت. ﴿وَالنَّكُ لَهُمْ عَذَابُ مِنْ رَجِزُ الْمِهُ أَيْ رَفِلُ الْإِذَائِمِ وَقَلُوبُهُمْ .

﴿٢﴾ ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنبزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ لما ذكر تعالى إنكار مَنْ أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهل العلم، وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار هو الحق، أي: الحق منحصر فيه، وما خالفه وناقضه فإنه باطل، لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين.

ويرون أيضاً أنه في أوامره ونواهيه ﴿يهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾
وذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به
من وجوه كثيرة: من جهة علمهم
بصدق من أخبر به، ومن جهة موافقته
للأمور الواقعة، والكتب السابقة،
ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها،
التي تقع عياناً، ومن جهة ما يشاهدون
من الآيات العظيمة الدالة عليها في
الأفاق وفي أنفسهم ومن جهة موافقتها
لل دلت عليه أسماؤه تعالى وأوصافه.

ويرون في الأوامر والنواهي، أنها تهدي إلى الصراط المستقيم، المتضمن للأمر بكل صفة تزكي النفس، وتنمي الأجر، وتفيد العامل وغيره، كالسحدة، والإخلاص، وبسر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى عموم الخلق، ونحو ذلك. وتنهى عن كل صفة قبيحة، تدنس النفس، وتجب الإثم والوزر،

من الشرك، والزنا، والربا، والظلم في الدماء والأموال والأعراض.

وهذه منقبة لأهل العلم وفضيلة، وعلامة لهم، وأنه كلما كان العبد أعظم علماً وتصديقاً بأخبار ما جاء به الرسول، وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حجة على ما جاء به الرسول، احتج الله بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية وغيرها.

﴿٧- ٩﴾ ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل عرق إنكم لفي خلق جديد * أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يومنون بالآخرة في العداب والضلال البعيد * أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لاية لكل عبد منيب﴾ أي: ﴿وقال الذين كفروا﴾ على وجه التكذيب والاستهاء والاستبعاد، وذكر وجه التعدد.

أي: قال بعضهم لبعض: ﴿هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل عرق إنكم لفي خلق جديد﴾ يعنون بذلك الرجل، رسول الله ﷺ، وأنه صار _بزعمهم _فرجة يتفرجون صاد _بزعمهم _فرجة يتفرجون عليه، وأحجوبة يستخرون منه، وأنه كيف يقول: ﴿إِنكم مبعوثون بعدما واضمحلت أعضاؤكم؟!

فهذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل ﴿ النّبِي على الله كذباً ﴾ فتجراً عليه وقال ما قال ، ﴿ أَم بِه جَنَّةٌ ﴾ ؟ وقال ما قال ، ﴿ أَم بِه جَنَّةٌ ﴾ ؟ وكل هذا منهم ، على وجه العناد وكل هذا منهم ، على وجه العناد خلق الله وأعقلهم ، ومن علمهم ، أنهم أيدو وأعادوا في معاداتهم ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في صد الناس عنه ، فلو كان كاذياً مجنوناً لم ينبغ لكم فلو كان كاذياً مجنوناً لم ينبغ لكم

_ يا أهل العقول غير الزاكية _أن تصغوا لما قال، ولا أن تحتفلوا بدعوته، فإن المجنون، لا ينبغي للعاقل أن يلفت إليه نظره، أو يبلغ قوله منه كل مبلغ.

ولولا عنادكم وظلمكم، لبادرتم لإجابته، ولبيتم دعوته، ولكن «ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون» ولهذا قال تعالى: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ومنهم الذين قالوا تلك المقالة، ﴿في العذاب والضلال البعيد» أي: في الشقاء العظيم، والضلال البعيد، الذي ليس وضلال، أبلغ من إنكارهم لقدرة الله على البعث، وتكذيبهم لرسوله الذي على البعث، واستهزائهم به، وجزمهم بأن ما جناؤوا به هو الحق، فرأوا الحق، باطلاً، والباطل والضلال حقاً وهدى.

ثم نبههم على الدليل العقلي، الدال على عدم استبعاد البعث، الذي استبعدوه، وأنهم لو نظروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض فرأوا من قدرة الله فيهما ما يبهر الفعول، ومن عظمته ما يذهل العلماء الفحول، وأن خلقهما وعظمتهما وما فيهما من المخلوقات أعظم من إعادة الناس بعد موتهم من قبورهم، فما التصديق بما هو أكبر منه؟ نعم، ذاك خبر غيبي إلى الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به.

قال الله: ﴿إِن نَشَأَ نَحْسَفَ بِهِمَ الأَرْضِ أَو نَسَقَطَ عَلَيْهِم كَسَفَأَ مَنِ السَّمَاء﴾ أي: من العنداب، لأن الأرض والسماء تحت تدبيرنا، فإن أمرناهما لم يستعصيا، فاحذروا إصراركم على تكذيبكم، فنعاقبكم أشد العقوبة. ﴿إِن في ذلك﴾ أي: خلق السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات ﴿لاَية لكل عبد منيب﴾.

فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم،

لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريباً من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة.

﴿١١ .. ١١﴾ ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنّا له الحديد * أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير﴾ أي: ولقد مننا على عبدنا ورسولنا داود عليه الصلاة والسلام، وآتيناه فضلاً من العلم النافع، والعمل الصالح، والنِّعَم الدينية والدنيوية، ومن نِعَمه عليه، ما خصه به من أمره تعالى الجمادات، كالجبال والحيوانات، من الطيور، أن تُؤوِّب معه، وتُرَجِّع التسبيح بحمد ربها مجاوبة له، وفي هذا من النّعمة عليه، أن كان ذلكَ من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضاً له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربها وتمجيده وتكبيره وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى.

ومنها: آن ذلك ـ كما قال كثير من العلماء أنه طرب لصوت داود، فإن الله تعالى قد أعطاه من حسن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رجع التسبيح والتهليل والتحميد بذلك الصوت الرخيم الشجي المطرب، طرب كل مَنْ سمعه، من الإنس والجبال،

ومنها: أنه لعله ليحصل له أجر تسبيحها، لأنه سبب ذلك، وتسبح تبعاً له.

ومن فضله عليه، أن ألان له الحديد، ليعمل الدروع السابغات، وعلّمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد، أي: يقدره حلقاً، ويصنعه كذلك، ثم يدخل بعضها ببعض.

قال تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس

لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون).

ولما ذكر ما امتنَّ به عليه وعلى آله، أمره بشكره، وأن يعملوا صالحاً، ويراقبوا الله تعالى فيه، بإصلاحه وحفظه من المفسدات، فإنه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منهاشىء.

﴿١٤ _ ١٤﴾ ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير * يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كبالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شبكراً وقبليل من عبادي الشكور * فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، لما ذكر فضله على داود عليه السلام، ذكر فضله على ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام، وأن الله سخر له الريح تجري بأمره وتحمله، وتحمل جميع ما معه، وتقطع المسافة البعيدة جداً في مدة يسيرة، فتسير في اليوم مسيرة شهرين. ﴿غدوها شهر﴾ أي: أوّل النهار إلى الزوالِ ﴿ورواحها شهر﴾ من الزوال، إلى آخر النهار ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب في استخراج ما يستخرج منها من الأواني

وسخر الله له أيضاً الشياطين والجن، لا يقدرون أن يستعصوا عن أمره، ﴿وَمَنْ يَرَغُ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾ وأعمالهم (١)، كل ما شاء سليمان عملوه، ﴿من عاريب﴾ وهو كل بناء يعقد وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة، ﴿وَمَالُيلُ أَي: صور الحيوانات والجمادات، من إتقان صنعتهم،

وغيرها.

وقدرتهم على ذلك وعملهم لسليمان، ﴿وجفان كالجواب﴾ أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره، ﴿و﴾ يعملون له قدوراً راسيات لا تزول عن أماكنها، من عظمها.

فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها، فقال: ﴿اعملوا آل داود﴾ وهم داود وأولاده وأهله، لأن الله على الجميع، وكثير من هذه المصالح عائد لكلهم. ﴿وقليل من اعطاهم، الشكور﴾ فأكثرهم لم يشكروا الله تعالى على ما أولاهم من نعمه، ودفع عنهم من النقم.

والشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقاراً إليها، وصرفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية.

فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان عليه الصلاة والسلام كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعلمون الخيب ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، واتكا على عصاه وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكىء عليها، ظنوه حياً،

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط، فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الحد ﴿ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا عا هم فيه.

(٩٥ ـ ٢١) ﴿لقد كان لسباً في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا

عليهم سيل العرم وبدَّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من وهل نجازي إلاَّ الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين * فقالوا ربنا باعد أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لايات لكل صبار شكور * ولقد فريقاً من المؤمنين * وما كان له عليهم فريقاً من المؤمنين * وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ سبأ قبيلة معروفة في شيء حفيظ سبأ قبيلة معروفة في

أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها

«مأرب»، ومن نِعَم الله ولطفه بالناس

عموماً، وبالعرب خصوصاً، أنه قص

في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين،

ولهذا قال: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير﴾ أي: [سيراً] مقدراً يعرفونه ويحكمون عليه، بحيث لا يتيهون عنه ﴿ليالي وأياما آمنين﴾ أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي والأيام، غير خائفين. وهذا من عام نعمة الله عليهم، أن أمنهم من الخوف.

ولهذا قال: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾

ومنها: أن الله لما علم احتياجهم في

تجاراتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة

_ الظاهر أنها: [قرى صنعاء قاله غير

واحد من السلف، وقيل إنها] الشام _

هيأ لهم من الأسباب ما به يتيسر

وصولهم إليها بغاية السهولة، من

الأمن، وعدم الخوف، وتواصل القرى

بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم

مشقة بحمل الزاد والمزاد.

فأعرضوا عن المنبع، وعن عبادته، وبطروا النعمة وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى التي كان السير فيها متيسراً.

﴿وظلموا أنفسهم﴾ بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة التي أطغتهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العوم، أي: السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، فرخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل﴾ أي: شيء قليل من فيها، ولفل الذي لا يقع منهم موقعاً ﴿خط وأثل وشيء من سدر قليل﴾ وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم.

فكما بدلوا الشكر الحسن بالكفر القبيح، بدلوا تلك لنعمة بما ذكر، ولهذا قال: ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾ أي: وهل نجازي جزاء العقوبة _ بدليل السياق _ وإلا مَنْ كفر بالله وبطر النعمة؟

فلما أصابهم ما أصابهم تفرقوا

ممن كان يجاور العرب ويشاهد آثاره ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم﴾ أي: محلهم الذي يسكنون فيه ﴿آيةُ﴾ والآية هنا: ما أدر الله عليهم من النَّعَم، وصرف عنهم من النقَم، الذي يقتضى ذلك منهم، أن يعبدوا الله ويشكروه. ثم فسر الآية بقوله: ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ وكان لهم واد عظیم، تأتیه سیول کثیرة، وکانوا بنوا سداً محكماً، يكون مجمعاً للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتُغِلُّ لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور، فأمرهم الله بشكر نعمه التي أدرُّها عليهم من وجوه كثيرة، منها: هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم

ومنها: أن الله جعل بلدهم بلدة طيبة، لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها.

ومنها: أن الله تعالى وعدهم _ إن شكروه _ أن يغفر لهم ويرحمهم،

وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسماراً للناس، وكان يضرب بهم المثل، فيقال: «تفرقوا أيدي سبأ» فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلاَّ مَنْ قَالَ الله: ﴿إِن فَي ذَلِكَ لَآبِات لِكِيل صَبِّار شكور ﴾ صبّار على المكاره والشدائد، يتحملها لوجه الله ولا يتسخطها بل يصبر عليها. شكور لنعمة الله تعالى يُقِرُّ بها ويعترف، ويثنى على مَنْ أولاها، ويصرفها في طاعته . فهذا إذا سمع بقصتهم، وماجري منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة جزاء لكفرهم نعمة الله، وأن مَنْ فعل مثلهم فُعِلَ به كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالى حافظ للنعمة ، دافع للنقمة، وأن رسل الله صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق، كما رأى أنموذجه في دار الدنيا.

ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدِّق عليهم إبليس ظنه، حيث قال لربه: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلاّ عبادك منهم المخلصين ﴾. وهذا ظن من إبليس، لا يقين، لأنه لا يعلم الغيب، ولم يأته خبر من الله أنه سيغويهم أجعين، إلا مَنْ استثنى، فهؤلاء وأمثالهم، ممن صدق عليه إبليس ظنه، ودعاهم وأغواهم، ﴿فَاتِبِعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ المؤمنينَ ﴾ ممن لم يكفر بنعمة الله، فإنه لم يدخل تحت

ويحتمل أن قصة سبأ انتهت عند قوله: ﴿إِن في ذلك لآيات لكل صبّار شکور ﴾

ثم ابتدأ فقال: ﴿ولقد صدق عليهم اي: على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه.

ثم قال تعالى: ﴿وما كان له﴾ أي: لإبليس ﴿عليهم من سلطان﴾أي: تسلط وقهر، وقسر على ما يريده منهم، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت

تسليطه وتسويله لبني أدم.

﴿لنعلم مَنْ يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك اي: ليقوم سوق الامتحان، ويعلم به الصادق من الكاذب، ويعرف مَنْ كان إيمانه صحيحاً يثبت عند الامتحان والاختبار والقاء الشبه الشيطانية، ممن إيمانه غير ثابت، يتزلزل بأدنى شبهة، ويزول بأقل داع يدعوه إلى ضده، فالله تعالى جعله امتحاناً، يمتحن به عباده، ويظهر الخبيث من الطيب.

﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ يحفظ العباد، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويحفظ تعالى جزاءها، فيوفيهم إياها كاملة موفرة .

﴿٢٢ _ ٢٣﴾ ﴿قبل ادعوا المذيبن زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السسماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماً له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ أي: ﴿قل ﴾ يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزماً لهم بعجزها، ومبيناً لهم بطلان عبادتها: ﴿ادعوا الذين زعمتم من دون الله أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه، فإنهم ليس لهم أدني ملك ف ﴿ لا يسملكون مشقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، ولهذا قال: ﴿وما لهم﴾ أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم ﴿فيهما﴾ أي: في السماوات والأرض، ﴿من شُوكُ أى: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك.

بقى أن يقال: ومع ذلك، فقد يكونون أعواناً للمالك ووزراء له، فدعاؤهم يكون نافعاً، لأنهم ـ بسبب حاجة الملك إليهم _يقضون حوائج

TO ELECTION OF THE PARTY OF THE وَلَا نَنْفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندَهُ وَلَا لِمِنْ أَذِنَ لَذُّ حَتَّىٰ إِذَا فَرْعَ عَن قُلُوبِهِ مِنَالُواْ مَاذَاقَالَ رَبُّكُمٌّ قَالُواْ ٱلْحَقٌّ وَهُوَالْعَلُّ الْكَبِيرُ ۞ • قُلْ مَن يَدْزُقُكُم مِنَ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِاللَّهُ وَإِنَّا أَوْإِيَّا كُمْ لَعَنَا هُدًى أَوْ فِي ضَلَال مُّيِينِ ۞ قُل لَانشَتَلُوبَ عَمَّآ أَجْرَهُنَا وَلَانْتُتَلُّعَمَا لَعَمَلُونَ ۞ قُلْ يَجْمَعُ يَيْنَ نَارَثِنَا ثُمَّ يَفْمَعُ بِيَنْمَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَاحُ ٱلْعَلِيمُ ۞ قُلُ أَرُونِ ٱلَّذِينَ ٱلْحَقْتُ رِبِوِء شَرَكَٱٓ ۚ كَلَاَّ بَلْ هُوَاللَّهُ ٱلْعَسَانِيرُ ٱلْحَسِيمُ ۞ وَمَا أَرْسَلْمَاكَ إِلَّاكَافَةُ لِلْنَاسِ بَشِيرًا وَلَـٰذِيرًا وَلَلِكِنَّ أَحَـٰثُرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ @ وَيَعْوَلُوكِ مَتَّىٰ هَلَذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُمُتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُل لَكُم يَبِعَادُ يَوْمِ لَا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْيِمُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِيرَ كُفَّتُرُواْ لَن نُوْمِ كِيهَذَا ٱلْفُتُوَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ بَكَدَيَّهُ وَلَوْسَرَى إِذَ الظَّلِيلُونَ مَوْفُوفُوبَ عِندَرَيِهِمْ يَرْجِعُ ﴾ بَعْمَهُ مُرْ إِلَىٰ بَعْضِ ٱلْقَوْلِ _ يَعُولُ ٱلَّذِيرِ ٱسْتُضْعِفُواْ اللَّذِيكَ السَّمَ عَجَرُوا لَوْلَا أَسْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ CLEAR WEREER

من تعلق بهم، فنفى تعالى هذه المرتبة فقال: ﴿وما لُهُ﴾ أي: لله تعالى الواحد القهار ﴿منهم ﴾ أي: من هؤلاء المعبودين ﴿من ظهير﴾ أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتدبير .

فلم يبق إلاّ الشفاعة، فنفاها بقوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ فهذه أنواع التعلقات، التي يتعلق بها المشركون بأندادهم وأوثانهم، من البشر والشجر وغيرهم، قطعها الله وبيَّن بطلانها تبييناً حاسماً لمواد الشرك، قاطعاً لأصوله، لأن المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله، لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الـشـرك، فإذا كان مَنْ يدعوه [غير الله]، لا مالكاً للنفع والضر، ولا شريكاً للمالك، ولا عَوْناً وظهيراً للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء وهذه العبادة، ضلالاً في العقل، باطلة في الشرع.

بل ينعكس على المشرك مطلوبه ومقصوده، فإنه يريد منها النفع، فِبينٌ الله بطلانه وعدمه، وبيَّن في آيات أخر ضرره على عابديه (١)، وأنه يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، ومأواهم النار ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين،

Elen Samuel قَالَ الَّذِينَ ٱسْتَكُمْرُوا لِلَّانَ ٱسْتُضْعِفُوا أَفَقَى صَدَدْ نَلَكُهُ عَنِ ٱلْمُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَ كُم تَلْكُتُ مُعَجِّرِمِينَ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أستُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ أَسْتَكَ بَرُواْ بَلْ مَكُرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكُفُرُ إِلَّهُ وَنَجْعَكَ لَهُ إِنْدَاداً وَأَسَدُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَكَارَأُوْاٱلْمَدَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَالَ فِأَغْنَاقِ ٱلَّذِنَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ وَمَٱلْرَسَلْنَا فِي قَرْيَةِ مِنْ نَفِيرٍ إِلَّا فَالَ مُتَرَفُّوهَا إِنَّا يَمَّا أَرْسِلْتُمُ مِعِكَلِمْ وَنَ ٥ وَقَالُواْغَنُ أَحْمُ أَمْوَلَا وَأَوْلَدُا وَمَاغَنُ مُعَدِّينَ ٥ قُلْ إِذَّ رَقَى يَتْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَكَّاءُ وَيَقْدِدُ وَلِكِنَ ٱلْحُرَالنَّاسِ لَايِعْ لَمُونَ ۞ وَمَا أَمْوَلُكُو وَلاَ أَوْلُدُكُمْ بِالَّي تُقْرَقِيكُمْ عِندَمَا زُلْغَ إِلَّامَنْ ءَامَنَ وَعَكِمِلَ صَلِحًا فَأُولَكِكَ هَرُجَزَّاءُ ٱلضِّعْفِ يَاعَكُمُ أُوا وَهُمْ فِي ٱلْفُرُولَاتِ مَامِنُونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْتَعُونَ في مَالِنتِنَامُعَاجِزِينَ أُولَلَيْكَ فِي ٱلْعَدَابِ مُعْمَنَرُونَ ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلْرِزْقَ لِمَن يَشَكَّاهُ مِنْ عِسَادِ مِعَ وَيَقْدِرُ لَلْهُ وَمَا ٱنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ تُخْلِفُ مُّوَهُوَ خَدِّرُٱلزَّزِيْدِينَ ۞ CANADA III LORDEO

والعجب، أن المشرك استكبر عن الانقياد للرسل بزعمه (۱) أنهم بشر، ورضي أن يعبد ويدعو الشجر والحجر، استكبر عن الإخلاص للملك الرحن الديان، ورضي بعبادة من ضره أقرب من نفعه، طاعة لأعدى عدو له وهو الشيطان.

وقوله: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير، يحتمل أن الضمير في هذا الموضع يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمائر، أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، وفزع عن قلوب المشركين، أي: زال الفزع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون أن ما هم عليه من الكفر والشرك باطل، وأن ما قال الله وأخبرت به عنه رسله، هو الحق فيدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أن الحق لله، واعترفوا بذنوبهم.

﴿وهو العلي﴾ بذاته، فوق جميع غلوقاته وقهره لهم وعلو قدره، بما له من الصفات العظيمة، جليلة المقدار ﴿الكبير﴾ في ذاته وصفاته.

ومن علوه، أن حكمه تعالى يعلو، وتذعن له النفوس، حتى نفوس المتكبرين والمشركين.

وهذا المنى أظهر، وهو الذي يدل عليه السياق، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة، وذلك أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمعته الملائكة، فصعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أوّل مَنْ يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، وإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، وزال الفزع، فيسأل بعضهم بعضاً عن ذلك الكلام الذي سعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إما إجالاً، لعلمهم أنه لا يقول إلا حقاً، وإما أن يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق.

فيكون المعنى على هذا: أن المشركين النين عبدوا مع الله تلك الآلهة، التي وصفنا لكم عجزها ونقصها، وعدم نفعها بوجه من الوجوه، كيف صدفوا وصرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم، العلي الكبير، الذي _ من عظمته وجلاله _ أن الملائكة الكرام والقربين من الخلق، يبلغ بهم الخضوع والصعق عند سماع كلامه هذا المبلغ، ويقرون كلهم لله، أنه لا يقول إلا الحق.

فما بال هؤلاء المشركين، استكبروا عن عبادة مَنْ هذا شأنه، وعظمة ملكه وسلطانه. فتعالى العلي الكبير عن شرك المشركين وإفكهم وكذبهم.

السماوات والأرض قبل الله وإنا أو إلى السماوات والأرض قبل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين * قبل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون * قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم * قبل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم ويأمر تعالى نبيه عمداً على أن يقول لمن أشرك بالله ويسأله عن حجة شركه: ﴿مَنْ يرزقكم

من السماوات والأرض فإنهم لا بد أن يقروا أنه الله، ولئن لم يقروا في فإنك لا تجد من يدفع هذا القول، فإذا تبينً أن الله وحده والأرض، وينزل [لكم] المطر، وينبت لكم النبات، ويفجر لكم الأنبار، ويعلل لكم الحيوانات جميعها، لنفعكم ورزقكم، فلم تعبدون معه مَن لا يرزقكم شيئًا، ولا يفيدكم نفعاً؟

وقوله: ﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هُدى أو في ضلالِ مبين﴾ أي: إحدى الطائفتين منا ومنكم، على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله مَنْ تبينٌ له الحق واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه وبطلان ما عليه خصمه.

أي: قد شرحنا من الأدلة الواضحة عندنا وعندكم، ما به يعلم علماً يقيناً لا شك فيه، من المحق منّا ومن المبطل، ومن المهتدى ومن الضال؟ حتى إنه يصير التعيين بعد ذلك لا فائدة فيه، فإنك(٢) إذا وازنت بين مَنْ يدعو إلى عبادة الخالق لسائر المخلوقات، المتصرف فيها بجميع أنواع التصرفات، المسدي جميع النِعَمْ، الذي رزقهم وأوصل إليهم كلّ نعمة، ودفع عنهم كل نقمة، الذي له الحمد كله والملك كله، وكل أحد من الملائكة فما دونهم خاضعون لهيبته، متذللون لعظمته، وكل الشفعاء تخافه، لا يشفع أحدُ منهم عنده إلا بإذنه العلى الكبير، في ذاته وأوصافه وأفعاله، الذِّي له كل كمال، وكل جلال، وكل جمال، وكل حمد وثناء ومجد، يدعو إلى التقرب لمن هذا شأنه، وإخلاص العمل له، وينهى عن عبادة مَنْ سواه، وبين مَنْ يتقرب إلى أوثبان وأصنام وقبود، لا تخليق ولا ترزق، ولا عَلَكُ لأنفسها ولا لِمَنْ عَبَدها، نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً

⁽١) في النسختين: بزعمهم، ولعل الأقرب ـ والله أعلم ـ ما أثبت.

⁽٢) ورد في الهامش هنا: فعل الشرط.

ولا حياة ولا نشوراً، بل هي جمادات لا تعقل ولا تسمع دعاء عابديها، ولو سمعته ما استجابت لهم، ويوم القيامة ويتلاعنون بينهم، ليس لهم قسط من الملك، ولا شركة فيه، ولا إعانة فيه، ولا لهم شفاعة يستقلون بها دون الله، فهو يدعو مَنْ هذا وصفه، ويتقرب إليه مهما أمكنه، ويعادي مَنْ أخلص ملين الذين لله ويحاربه، ويكذب رسل الله وعاربه، ويكذب رسل الله تبين (۱) لك أي: الفريقين، المهتدي من الضال، والشقي من السعيد؟ ولم يحتج الحال أوضح من لسان المقال.

﴿قلّ لهم [﴿لاتسالون عمّا أجرمنا، ولانسأل عا تعملون ﴾ أي: كل منا ومنكم له عمله أنتما ﴿لا تسالون ﴾ عن إجرامنا وذنوبنا لو أذبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق، وسلوك طريق الإنصاف، وحوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعا لكم من اتباع الحق، فإن أحكام الدنيا ويجتنب الباطل، وأما الأعمال، فلها ويجتنب الباطل، وأما الأعمال، فلها الحاكمين، ويفصل بين المختصمين، أعدل العادلين.

ولهذا قال: ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا﴾ أي: يحكم بيننا حكماً، يتبين به الصادق من الكاذب، والمستحق للشواب من المستحق للقواب، وهو خير الفاتحين.

﴿ قُلَ ﴾ لهم يا أيها الرسول، ومَن ناب منابك: ﴿ أروني الذين ألحقتم به شركاء ﴾ أي: أين هم؟ وأين السبيل إلى معرفتهم؟ وهل هم في الأرض، أم في السماء؟ فإن عالم الغيب والشهادة قد أخبرنا أنه ليس في الوجود له شد بك.

﴿ ويسعسبدون مسن دون الله مسا

لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم الآية ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون .

وكذلك خواص خلقه من الأنبياء والمرسلين، لا يعلمون له شريكاً، فيا أيها المشركون أروني الذين ألحقتم بزعمكم الباطل بالله ﴿شركاء﴾ .

وهذا السؤال لا يمكنهم الإجابة عنه، ولهذاقال: ﴿كلا﴾ أي: لسن لله شريك، ولا ند، ولا ضد. ﴿بلُّ هُو الله ﴾ الذي لا يستحق التأله والتعبد إلاّ هو ﴿العزيزِ﴾ الذي قهر كل شيء، فكل ما سواه فهو مقهور مسخر مدير. ﴿ الحَكيم ﴾ الذي أتقن ما خلقه، وأحسن ما شرعه، ولو لم يكن في حكمته في شرعه إلا أنه أمر بتوحيده وإخلاص الدين له، وأحب ذلك، وجعله طريقاً للنجاة، ونهى عن الشرك به واتخاذ الأنداد من دونه، وجعل ذلك طريقاً للشقاء والهلاك، لكفي (٢) بذلك برهاناً على كمال حكمته، فكيف، وجميع ما أمر به ونهى عنه مشتمل على الحكمة؟!!

﴿٢٨ _ ٣٠) ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاديوم لا تستأخرون عنه ساعة ولأ تستقدمون مخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله ﷺ ، إلاّ يبشر جميع الناس بثواب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك، وينذرهم عقاب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة له، فليس لك من الأمر شيء، وكل ما اقترح عليك أهل التكذيب والعناد، فليس من وظيفتك، إنما ذلك بيد الله تعالى، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أي: ليس لهم علم صحيح، بل إما جهال، أو معاندون لم يعملوا بعلمهم، فكأنهم لا علم لهم. ومن عدم علمهم، جعلهم عدم

الإجابة لما اقترحوه على الرسول، موجباً لرد دعوته.

فمما اقترحوه، استعجالهم العذاب الذي أنذرهم به، فقال: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ وهذا ظلم منهم. فأي: ملازمة بين صدقه وبين الإخبار بوقت وقوعه؟ وهل هذا النذير [في أمر] في أحوال الدنيا، لو حاء قوماً يعلمون صدقه ونصحه، ولهم عدو ينتهز الفرصة منهم ويُعِدُ سار، يريد اجتياحكم واستئصالكم. فلو قال بعضهم: إن كنت صادقاً، فلو قال بعضهم: إن كنت صادقاً، فأخبرنا بأية ساعة يصل إلينا، وأين مكانه الآن؟ فهل يعد هذا القائل عاقلاً، أم يحكم بسفهه وجنونه؟

هذا، والمخبر يمكن صدقه وكذبه، والعدو قد يبدو له غيرهم، وقد تنحل عزيمته، وهم قد يكون بهم منعة يدافعون بها عن أنفسهم، فكيف بمن كذّب أصدق الخلق، المعصوم في خبره، الذي لا ينطق عن الهوى، بالعذاب اليقين، الذي لا مدفع له ولا ناصر منه؟! أليس رد خبره بحجة عدم

بيانه وقت وقوعه من أسفه السفه؟!! ﴿قُلُ لَهُم _ خبراً بوقت وقوعه الذي لا شك فيه _: ﴿لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون فاحذروا ذلك اليوم، وأعدوا له عدته.

﴿ ٣١ _ ٣٣ ﴾ ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استخبروا لولا استكبروا للذين استضعفوا أنحن استضعفوا أنحن كنتم بجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استضعفوا للذين استضعفوا إذ تأمروننا أن نكفر بالله والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له

⁽١) ورد في الهامش هنا: جواب الشرط.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: يكفى، ولعل الصواب ما أثبته.

أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون، لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب لا بدمن وقوعه عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم، وأنك لو رأيت حالهم إذا وقفوا عند ربهم، واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضلال، لرأيت أمراً عظيماً وهولاً جسيماً، ورأيت كيف يتراجع، ويرجع بعضهم إلى بعض القول، و ﴿ يقولَ الذين استضعفوا الاتباع ﴿للذين استكبروا ﴾ وهم القادة: ﴿لُولا أَنْتُم لَكُنَّا مؤمنين ﴾ ولكنكم حُلْتُم بيننا وبين الإيمان، وزينتم لنا الكفر[ان]، فتبعناكم على ذلك، ومقصودهم بذلك أن يكون العذاب على الرؤساء دونهم.

﴿قال الذين استكبروا للذين استُضْعِفُوا﴾ مستفهمين لهم ومخبرين أن الجميع مشتركون في الجرم: ﴿أَنْحِنْ صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ﴾ أي: بقوتنا وقهرنا لكم، ﴿بل كنتم مجرمين﴾ أي: مختارين للإجرام، لستم مقهورين عليه، وإن كنا قد زينا لكم، فما كان لنا عليكم من سلطان.

﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ﴾ أي: بل الذي دهانا منكم، ووصل إلينا من إضلالكم، ما دبرتموه من المكر، في الليل والنهار، إذ تُحسَّنون لنا الكفر وتدعوننا إليه، وتقولون: إنه الحق، وتقدحون في الحق وتهجنونه وتزعمون أنه الباطل، فما زال مكركم بنا وكيدكم إيانا، حتى أغويتمونا

فلم تفد تلك المراجعة بينهم شيئاً إلاّ تبري بعضهم من بعض، والندامة العظيمة، ولهذا قال: ﴿وأسرُّوا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي: زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم على بعض لينجو من العذاب، وعلم أنه ظالم مستحق له، فندم كل منهم غاية الندم، وتمنى أن لو كان على الحق،

[وأنه] ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب، سراً في أنفسهم، لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على أنفسهم. وفي بعض مواقف القيامة، وعند دخولهم النار، يظهرون ذلك الندم

﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتحذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتني ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾ الآيات.

﴿وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴿ فَاعترفُوا بِذُنبِهِم فسحقاً لأصحاب السعير، ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه كما قال تعالى: ﴿إِذْ الْأَعْلَالَ فَي أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون، الآيات.

﴿ مل يجزون ﴾ في هذا العذاب والنكال، وتلك الأغلال الثقال ﴿ إِلَّا مَا كانوا يعملون من الكفر والفسوق والعصيان.

﴿٣٤_٣٩﴾ ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين * قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون * وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون * والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون * قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسل، أنها كحال هؤلاء الحاضريىن المكذبين لرسولهم محمد ﷺ، وأن الله إذا أرسل رسولاً في قرية من القرى كفر به مترفوها،

وأبطرتهم نعمتهم وفخروا بها. ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ أي: بمن اتبع الحنق ﴿وما نبحن بمعذبين أي: أولاً، لسنا بمبعوثين،

فإن بُعِثْنا، فالذي أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا، سيعطينا أكثر من ذلك في الأخرة ولا يعذبنا.

فأجابهم الله تعالى، بأن بسط الرزق وتضييقه، ليس دليلاً على ما زعمتم، فإن الرزق تحت مشيئة الله، إن شاء

بسطه لعبده، وإن شاء ضيقه. وليست الأموال والأولاد بالتي

تقرب إلى الله زلفى وتدنى إليه، وإنما الذي يقرب منه زلفي، الإيمان بما جاءت به المرسلون، والعمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان، فأولئك لهم الجزاء عند الله تعالى مضاعفاً، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا الله، ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ أي: في المنازل العاليات المرتفعات جداً، ساكنين فيها مطمئنين، آمنون من المكدرات والمنغصات، لما هم فيه من اللذات وأنواع المشتهيات، وآمنون من الخروج منها والحزن فيها.

وأما الذين سعوا في آياتنا على وجه التعجيز لنا ولرسلنا، والتكذيب، ف ﴿أُولَئِكُ فِي العَدَابِ مُحَضَّرُونَ﴾.

(۳۹) ثم أعاد تعالى أنه ﴿يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدرُ له ليرتب عليه قوله: ﴿وما أنفقتم من شيء ﴾ نفقة واجبة أو مستحبة ، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، وغير ذلك، ﴿فهو﴾ تعالى ﴿يخلفه﴾ فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿وهو خير الرازقين﴾ فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم

﴿٤٠ ـ ٤٠﴾ ﴿ويسوم بحسسرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون * فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعأ ولاضرأ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً﴾ أي: العابدين لغير الله

والمعبودين من دونه، من الملائكة. ﴿ثم يقول﴾ الله ﴿للملائكة﴾ على وجه التوبيخ لمن عبدهم: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ فتبرأوا من عبادتهم.

و ﴿ قالوا سبحانك ﴾ أي: تنزيها لك وتقديساً ، أن يكون لك شريك أو ند ﴿ أنت ولينا من دونهم ﴾ فنحن مفترون إليها ، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟ أم كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أوليا وشركاء؟!!

ولكن هؤلاء المشركون ﴿كانوا يعبدون الجِنْ ﴾ أي: المشياطين، يأمرون (١) بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم بذلك، وطاعتهم هي عبادتهم، لأن العبادة الطاعة، كما قال تعالى مخاطباً لكل من اتخذ معه آلهة ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدون هذا صراط مستقيم ».

﴿ أكشرهم بهم مؤمنون ﴾ أي:

مصدقون للجنّ، منقادون لهم، لأن الإيمان هو التصديق الموجب للانقياد. فلما تبرأوا منهم، قال تعالى فلما تبرأوا منهم، قال تعالى بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً وتقطعت بعضكم من بينكم الأسباب، وانقطع بعضكم من والمعاصي بعدما ندخلهم النار والمعاصي بعدما ندخلهم النار تكذّبون فاليوم عاينتم بها ودخلتموها، جزاء لتكذيبكم، وعقوبة للرب من أسبابها.

﴿ ٤٣ ـ ٤٤ ﴾ ﴿ وإذا تسلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين * وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير * وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف

كان نكير﴾ يخبر تعالى عن حالة المشركين، عندما تتلى عليهم آيات الله البينات، وحججه الظاهرات، وبراهينه القاطعات، الدالة على كل خير، الناهية عن كل شر، التي هي أعظم نعمة جاءتهم، ومِنْةٍ وصلت إليهم، الموجبة لمقابلتها بالإيمان والتصديق والانقياد والتسليم، أنهم يقابلونها بضد ما ينبغي، ويكذبون مَنْ جاءهم بها ويقولون: ﴿مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلُ بريد أن يصدكم عمّا كان يعبد آباؤكم♦ أي: هذا قصده حين يأمركم بالإخلاص لله، لتتركوا عوائد آبائكم الذين تعظمون وتمشون خلفهم، فردوا الحق بقول الضالين، ولم يوردوا(٢) برهاناً ولا شبهة.

فأي: شبهة إذا أمرت الرسل بعض النصالين باتباع الحق، فادّعوا أن إخوانهم الذين على طريقتهم لم يزالوا عليه؟ وهذه السفاهة، ورد الحق بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حق رد، فإذا مذا مآله، لا يرد إلا بأقوال الضالين من المشركين، والدهريين، والفلاسفة، والصابئين، واللحدين في دين الله المارقين، فهم أسوة كل مَن رد الحق إلى يوم القيامة.

ولما احتجوا بفعل آبائهم، وجعلوها دافعة لما جاءت به الرسل، طعنوا بعد هذا بالحق، ﴿وقالوا ما هذا إلا إفكُ مفتری﴾ أي: كذب افتراه هذا الرجل الذي جاء به. ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مين﴾ أي: سحر ظاهر بين لكل أحد، تكذيباً بالحق، وترويجاً على السفهاء.

ولما بين ما ردوا به الحق، وأنها أقوال دون مرتبة الشبهة، فضلاً أن تكون حجة، ذكر أنهم وإن أراد أحد أن يحتج لهم، فإنهم لا مستند لهم، ولا لهم شيء يعتمدون عليه أصلاً، فقال: ﴿وما أتيناهم من كتبِ يدرسونها﴾ حتى تكون عمدة لهم ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ حتى يكون عندهم من أقواله وأحواله ما يدفعون به

TOTAL STREET, SECTION OF THE PARTY OF THE PA وَوْنَ يَخْشُرُ مُرْجِيهَا ثُرَّقُولُ لِلْمُلَدِّكَةِ أَمْلُولِآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْيِعْ بُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنتَ وَلِيُنَا مِن دُونِهُمْ بَلْ الْأَ كَانُواْيِعْ مُدُونَ آلِمِنَّ أَكْ تَرُهُربِهِ مِثْفُومِنُونَ ۞ فَٱلْتُوْمَ لَا يَلِكُ بِغَضُكُةٍ لِيَعْنِينِ نَفْعًا وَلِاحْمَرًا وَنَعُولُ لِلَّذِينَ طَلَكُوا ذُوقُوا عَذَابَ ٱلتَّارِ الَّهِ كُنتُ مِهَا تُكَذِّيُونَ ۞ وَإِذَا أَتُلَا عَلَيْهِمْ ءَلِيْتُنَايِّنَتِ قَالُواْ مَا هَلِنَا إِلَّارَعُلُّرُيدُ أَن يَعِمُنَكُمُ عَمَا كَانَ يَعْبُدُءَ ابْتَآؤُكُرُ وَقَالُواْ مَا هَنَذَاۤ إِلَّاۤ إِفْكُ مُفْتَكُ وَقَالَ ـــ الَّذِينَ كَفَدُوا لِلْحَقِ لَنَاجَآءَ هُزِانَ هَدَا ٱلَّاسِحْرُّ فَيِنَّ ۞ وَمَآءَاتِيَنَاهُ مِن كُتُ يَدْرُسُونَهَا وَمَاۤ أَرْسَلَنَاۤ إِلَيْهِمْ قَتِلَكَ مِن نَّذِيرِ ۞ وَكُذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا الْمُغُولِمِ مُشَارًا مَآءَايَنَنَافُرُ فَكُنَّقِوْ أَرْسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ۞ • قُلْ إِنْمَآ أَعِظُكُم وَنِعِدَةً أَنْ تَقُومُوا فِلَو مَثْنَىٰ وَفُرَدَىٰ ثُرُنَلَفَكُمُرُكُا مَايِصَاحِكُمْ مِن حِنَّةُ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ يَنْ يَدَىٰ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۞ قُلْ مَاسَأَ لَتُكُرِينَ أَجْرِ فَهُوَلَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى أَمْدُوهُوَ عَلَى كُلِّ مَنى و شَهِيدُ ۞ قُلْ إِنَّ رَبِي يَقْذِكُ بِأَكْتِقَ عَلَّمُ ٱلْفُيُوبِ ۞ DAGES IN MERCED

ما جئتهم به، فليس عندهم علم، ولا أثارة من علم.

ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين القبلهم] فقال: ﴿وكذّب الذين من قبلهم وما بلغُوا﴾ أي: ما بلغ هؤلاء المخاطبون ﴿معشار ما آتيناهم﴾ وفكذبوا﴾ أي: الأمم الذين من قبلهم ﴿رسلي فكيف كان نكير﴾ أي: إنكاري عليهم، وعقوبتي إياهم. قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال، وأن منهم من أغرقه، ومنهم مَن أهلكه بالريح العقيم، وبالصيحة، وبالرجفة، وبالحسف ببالأرض، وبارسال وبالخسب من السماء، فاحذروا يا هولاء المكذبون، أن تدوموا على التكذيب، فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، ويصيبكم ما أصابهم.

(13 - 0) (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا فنير لكم بين يدي عذاب شديد * قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد * قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب * قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد * قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فيما يوحي إلى ربي إنه سميع قريب أي:

MENTER COMPANY

نِسَانَتَكَانَتُوْنَ وَالْأَرْضَ عَامِلُ الْلَكَيْدُ الْمُكَالُوْنَ الْمُصَدُّدُ فِيهُ قَالِمُهُ الْمَسْكَوْنِ وَالْأَرْضَ عَامِلُ الْلَكَيْدُ وَمُدَّا لُوْنِ الْمُحْمَةُ مَنْنَى وَقُلْكَ وَوُقِعَ أَيْدِيدُ فِي الْمُعْلَقِ مَا يَشَكُمُ إِلَّالَ الْمَاكَةُ اللَّهُ الْمَعْلِيمِ مِن وَحَوَلَ الْمَرْزُ الْمُحْمِيلِ الْمُحْمَدِ اللَّهِ وَالْعَرْزُ الْمُحْمِيلِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمَعْرُ الْمُرْزُ الْمُحْمِدُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُونِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِينَا الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِينَ اللْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْم

وقل الما الرسول، لهولاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: ﴿إنما العظكم بواحدة ﴾ أي: بخصلة في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا وهي: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى وقي: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى لاتباع الصواب، وإخلاص لله، أي: تنهضوا بهمة ونشاط، وقصد بحتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى، كل واحد بخاطب نفسه بذلك.

فإذا قمتم لله مشنى وفرادى، استعملتم فكركم وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟

فلوقبلوا هذه الموعظة واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله ﷺ ليس بمجنون، لأن هيئاته (۱) ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته أجل الحركات، وهو أكمل

الخلق، أدباً، وسكينة، وتواضعاً، ووقاراً، لا يكون [إلا] لأرزن الرجال عقلاً.

ثم [إذا] تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب أمناً وإيماناً، وتزكي النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وترهب(٢) عن مساوىء الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالاً وتعظيماً.

فهل هذا يشبه هذيان المجانين وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟!!

فكل من تدبر أحواله، ومقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، ونبيه صدقاً، خصوصاً المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره.

وثم مانع للنفوس آخر من اتباع الداعي إلى الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة على دعوته. فبين الله تعالى نزاهة وقل ما سألتكم من أجر اي: على اتباعكم للحق ﴿فهو لكم ﴾ أي: على التقدير أنه لكم، ﴿إن أجري إلا أي: على الله وهو على كل شيء شهيد ﴾ أي: عيط علمه بما أدعو إليه، فلو كنت كاذباً، لأخذي بعقوبته، وشهيد أيضاً على أعمالكم، سيحفظها على أعمالكم، سيحفظها

ولما بين البراهين الدالة على صحة الحق وبطلان الباطل، أخبر تعالى أن هذه سنته وعادته أن ﴿يقذف بالحق﴾ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، لأنه بين من الحق في هذا الموضع، ورد به أقوال المكذبين، ما كان عبرة للمعتبرين، وآية للمتأملين.

فإنك كما ترى، كيف اضمحلت أقوال المكذبين، وتبين كذبهم

وعنادهم، وظهر الحق وسطع، وبطل الباطل وانقمع، وذلك بسبب بيان حالام الغيوب الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب من الوساوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك ويدفعه من الحجج.

فيعلم بها عباده، وبينها لهم، ولهذا قال: ﴿قَالَ جَاء الحَقِ﴾ أي: ظهر وبان، وصار بمنزلة الشمس، وظهر سلطانه. ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي: اضمحل وبطل أمره، وذهب سلطانه، فلا يبدىء ولا يعيد.

ولما تبين الحق بما دعا إليه الرسول، وكان المكذبون له يرمونه بالضلال، أخبرهم بالحق ووضحه لهم، وبين لهم عجزهم عن مقاومته، وأخبرهم أن رميهم له بالضلال ليس بضائر الحق شيئاً، ولا دافع ما جاء به.

وأنه إن ضل _ وحاشاه من ذلك، لكن على سبيل التنزل في المجادلة _ فإنما يضل على نفسه، أي: ضلاله قاصر على نفسه، غير متعدٍ إلى غيره.

﴿وإن اهتديت ﴾ فليس ذلك من نفسي وحولي وقوي ، وإنما هدايتي بما ﴿يوحي إلى ربي ﴾ فهو مادة هدايتي ، كما هو مادة هداية غيري . إن ربي ﴿سميع ﴾ للأقوال والأصوات كلها ﴿وَرِيب ﴾ من دعاه وسأله وعبده .

﴿ ١٥ - ٤٥ ﴾ ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب * وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من قبل مكان بعيد * وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد * وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ﴾ يقول تعالى: ﴿ ولو ترى ﴾ أيها الرسول، ومَنْ قام مقامك، حال هؤلاء المكذبين، ﴿ إذ فزعوا ﴾ حين أوا العذاب، وما أخبرتهم به الرسل ومنظراً مفظعاً، وحالة منكرة، وشدة مديدة، وذلك حين يحق عليهم العذاب.

فليس لهم عنه مهرب ولا فوت، ﴿وَاخَذُوا مِنْ مُكَانَ قَرِيبُ ﴾ أي: ليس بعيداً عن محل العذاب، بل يؤخذون ثم يقذفون في النار.

﴿وقالوا﴾ في تلك الحال: ﴿آمنا﴾ بالله وصدقنا ما به كذبنا ﴿و﴾ لكن ﴿ أَنِّي لَهُم السِّناوش ﴾ أي: تناول الإيمان ﴿من مكان بعيد﴾ قد حيا، بينهم وبينه، وصار من الأمور المحالة في هذه الحالة، فلو أنهم آمنوا وقت الأمكان، لكان إيمانهم مقبولاً، ولكنهم ﴿كفروا به من قبل ويقذفون﴾ أي: يرمون ﴿بالغيب من مكان بعيد﴾ بقذفهم الباطل، ليدحضوا به الحق، ولكن لأ سبيل إلى ذلك، كما لا سبيل للرامى من مكان بعيد إلى إصابة الغرض، فكذلك الباطل، من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه، وإنما يكون له صولة، وقت غفلة الحق عنه، فإذا برز الحق وقاوم الباطل قمعه.

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من الشهوات واللذات، والأولاد، والأمدوا، والجنود، قد انفردوا بأعمالهم، وجاؤوا فرادى كما خُلِقوا، وتركوا منا خولوا وراء ظهورهم، ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ من الأمم السابقين حين جاءهم الهلاك، كانوا في شك مريب﴾ أي: عدث الريبة وقلق القلب، فلذلك لم يؤمنوا، ولم يعتبوا حين استعتبوا.

تم تفسير سورة سبأ ــ ولله الحمد والمِنة والفضل، ومنه العون، وحليه التوكل، وبــه اللقــة

تفسیر سورة فاطر وهی مکیة

﴿ ا _ ٢﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير * ما يفتح الله للناس من رحمة فلا بمسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ يمدح الله تعالى نفسه العزيز الحكيم﴾ يمدح الله تعالى نفسه

الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه.

ولما ذكر الخلق، ذكر بعده ما يتضمن الأمر، وهو: أنه ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ في تدبير أوامره القدرية، ووسائط بينه وبين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية.

وفي ذكره أنه جعل الملائكة رسلاً، ولم يستثن منهم أحداً، دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم لأمره، كما قال تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون﴾.

ولما كانت الملائيكة مدبرات بإذن الله، ما جعلهم الله موكلين فيه، ذكر قوتهم على ذلك وسرعة سيرهم، بأن جعلهم ﴿أُولِي أَجنحة ﴾ تطير بها، فتسرع تنفيذ ما أمرت به. ﴿مثنى وثلاث ورباع ﴾ أي: منهم مَنْ له جناحان وثلاثة وأربعة، بحسب ما اقتضته حكمته. ﴿وزيد في الخلق ما بعض، في صفة خلقها، وفي القوة، بطهودة، وفي حسن الأصوات، ولذة النغمات.

﴿إِن الله عملى كمل شيء قمدير ﴾ فقدرته تعالى تأتي على ما يشاؤه، ولا يستعصي عليها شيء، ومن ذلك زيادة مخلوقاته بعضها على بعض.

ثم ذكر انفراده تعالى بالتدبير والعطاء والمنع، فقال: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا تُمسك لها وما يُمسك لها من بعده ﴾ فهذا يوجب التعلق بالله من بعده ﴾ فهذا يوجب التعلق بالله وأن لا يدعى إلا هدو، ولا يخاف ويرجى إلا هو. ﴿وهو العزيز ﴾ الذي قهر الأشياء كلها ﴿الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها.

﴿٣_٤﴾ ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله

٢٥ يُؤلُو فِطَالُ اللَّهِ اللّ وَإِن يُكَذِيُوكَ فَقَذَكُذِبَتْ رُسُلُ مِن فَيْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ وَتُجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعُدَاللَّهِ حَقٌّ فَلَاتَفَتُزَّكُمُ ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْتِ ۗ اللَّهُ وَلَا يَعُنَا لِكُمُ مِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۞ إِنَّا الشَّيْطَانَ ٱلْمُوعَدُوًّ فَاغْفِذُوهُ ۗ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزَهُ لِيكُونُوا مِنْ أَحْمَلُ السَّعِيرِ ۞ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَمُتُوعَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيِمُواْ الْصَلِيحَاتِ لَهُ وَمَغْفِرَةٌ وَأَخِرُكَ بِيرُ۞ أَفَن زُنِينَ لَهُ مُوَهُ عَلِهِ وَوَالْهُ حَسَنّاً فَإِنَّ اللَّهُ يُعِيدُ لُّ مَن يَشَكَهُ وَتَهْدِى مَن يَشَكَّهُ فَلَا لَذُهَبٌ فَعُمُكَ عَلَيْهِ مْ حَكَرَاتُ إِنَّ أَلَقَهَ عَلِيمُ بَمَا يَصْبَعُونَ ۞ وَأَلَقَهُ ٱلَّذِيَّ أَرْسَلَ ٱلِيَكَ مَشْفِيرُ مَعَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدِمِّيتِ فَأَحْيَيْنَا بِوَٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰ إِلَى النُّشُورُ۞ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحِدَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَيارُ ٱلقَلِيْبُ وَٱلْمَسَلُ ٱلصَّلِمُ يَرْفَحُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّعَاتِ لَمَمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكَّرُ أُولَكِكَ هُوَيَهُودُ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَاكُم فِن ثُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَة وثُمَّ جَعَلَكُمْ الْ وَالْحِاْوَمَا تَحْدِلُ مِنْ أَنَىٰ وَلَا نَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرِ مِنْعَمِّرِ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ ٓ إِلَّا فِي كِنَابٌ إِنَّ ذَاكِ عَلَ ٱلَّهِ يَسِيرُ ۞ DECEMBER 170 MOROMON

يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون * وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور * يأمر تعالى جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافاً، وباللسان ثناء، وبالجوارح انقياداً، فإن ذكر نعمه تعالى داع لشكره، ثم نبههم على أصول النعم، وهي الخلق والرزق، فقال: ﴿هِل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾.

ولما كان من المعلوم أنه ليس أحد يخلق ويرزق إلا الله، نتج من ذلك، أن كان ذلك دليلاً على ألوهيت وعبوديته، ولهذا قال: ﴿لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون﴾ أي: تصرفون من عبادة المخلوق المرزوق. ﴿وَإِنْ يَكُذُبُوكُ يَا أَيّهَا الرسول،

وان يحدبوك يا ايها الرسول، فلك أسوة بمن قبلك من المرسلين، وفقد كُذَبَتُ رُسُلٌ مِن قبلك وفاهلك فأهلك المكذبون، ونجى الله الرسل وأتباعهم. ﴿وَإِلَى الله ترجع الأمور﴾

﴿ ٥ _ ٧﴾ ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور * إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير * الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ يقول تعالى: ﴿ يا أيها الناس إن

وعد الله بالبعث والجزاء على الأعمال، ﴿حق الي الله الله فيه، ولا مرية، ولا تردد، قد دلت على ذلك الأدلة السمعية والبراهين العقلية، فإذا كان وعده حقاً، فتهيؤوا له، وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، تغرنكم الحياة الدنيا بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية، فتلهيكم عما خلقتم هو ﴿الشيطان ﴾ الذي هو عدوكم في الحقيقة ﴿فاتخذوه عدواً ﴾ أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا عاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم عاربة، وهو دائماً لكم بالمرصاد.

﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ هذا غايته ومقصوده فمن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.

ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان وعدمها إلى قسمين، وذكر جزاء كل منهما، فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أي: جحدوا ما جاءت به الرسل، ودلت عليه الكتب ﴿لهم عذاب شديد﴾ في نار جهنم، شديد في ذاته ووصفه، وأنهم خالدون فيها أيداً.

﴿والذين آمنوا﴾ بقلوبهم، بما دعا الله إلى الإيمان به ﴿وعملوا﴾ بمقتضى ذلك الإيمان، بجوارحهم،

الأعمال ﴿الصالحات لهم مغفرة﴾ لذنوبهم، يزول بها عنهم الشر والمكروه ﴿أجرُ كبير﴾ يحصل به المطلوب.

﴿٨﴾ ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليه م حسرات إن الله عليم بحا يصنعون في يقول تعالى: ﴿أفمن رُيُن له له عمله السيىء القبيح، زينه له الشيطان، وحسنه في عينه. ﴿فرآه السيال أي: كمن هداه الله إلى الصراط المستقيم والدين القويم، فهل يستوي هذا وهذا؟

فالأول: عمل السيِّء، ورأى الحق باطلاً، والباطل حقاً.

والثاني: عمل الحسن، ورأى الحق حقاً، والباطل باطلاً، ولكن الهداية والإضلال بيد الله تعالى، ﴿فَإِنَ الله يضل مَنْ يشاء فلا يضل مَنْ يشاء فلا تذهب نفسك عليهم﴾ أي: على الضالين الذين زين لهم سوء أعمالهم، وصدهم الشيطان عن الحق وسدهم الشيطان عن الحق وليس عليك إلاّ البلاغ، وليس عليك من هداهم شيء، والله [هو] الذي يجازيهم بأعمالهم ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾

﴿٩﴾ ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ يخبر تعالى عن كمال اقتداره، وسعة جوده، وأنه ﴿أرسل الرياح فتشير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت﴾ فانزله الله عليها ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ .

فحييت البلاد والعباد، وارتزقت الحيوانات، ورتعت في تلك الخيرات، ﴿كَذَلُكُ الذِي أحيا الأرض بعد موتها، ينشر الله الأموات من قبورهم، بعدما مزقهم البلى، فيسوق إليهم مطراً، كما ساقه إلى الأرض الميتة، فينزله عليهم فتحيا الأجساد والأرواح من القبور، ويأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم، ويفصل بحكمه العدل.

﴿ ۱ ﴾ ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جيماً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون

السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور أي: يا مَنْ يريد العزة، اطلبها بمن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل، وكل كلام حسن طيب، فييسرفع إلى الله ويعرض عليه، ويثني الله على صاحبه بين الملا الأعلى، ﴿والعمل الصالح》 من أعمال القلوب وأعمال الجوارح ﴿يرفعه》 الله تعالى إليه أيضاً، كالكلم الطيب.

وقيل: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي تُرفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه.

وأما السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولاً، ولهذا قال: ﴿والعمل الصالح عذاب شديد﴾ يهانون فيه غاية الإهانة . ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئاً، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل.

﴿١١﴾ ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثي ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا يُنقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ يذكر تعالى خلقه الآدمي، وتنقله في هذه الأطوار، من تراب إلى نطفة وما بعدها.

﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أي: لم يزل ينقلكم، طوراً بعد طور، حتى أوصلكم إلى أن كنتم أزواجاً، ذكراً يتزوج أنثى، ويراد بالزواج، الذرية والأولاد، فهو وإن كان النكاح من الأسباب فيه، فإنه مقترن بقضاء الله وقدره وعلمه، ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاً بعلمه ﴾ وكذلك أطوار الآدمى، كلها بعلمه وقضائه.

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمِّرِ وَلَا ينقص مِنْ عُمُره ﴾ أي: عمر الذِّي كان معمراً عمراً طويلاً ﴿إِلاَّ﴾ بعلمه تعالى، أو وما ينقص من عمر الإنسان الذي هو بصدد أن يصل إليه، لولا ما سلكه من أسباب قصر العمر، كالزنا، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، ونحو ذلك مما ذكر أنها من أسباب قيصر

والمعنى: أن طول العمر وقصره، بسبب وبغير سبب، كله بعلمه تعالى، وقد أثبت ذلك ﴿في كتابِ﴾ حوى ما يجري على العبد، في جميع أوقاته وأيام

﴿إِن ذلك على الله يسير ﴾ أي: إحاطة علمه بتلك المعلومات الكثيرة، وإحاطة كتابه فيها، فهذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث والنشور، كلها عقلية، نبه الله عليها في هذه الآيات: إحياء الأرض بعد موتما، وأن الذي أحياها سيحيى الموتى، وتنقل الآدمي في تلك الأطوار.

فالذي أوجده ونقله، طبقاً بعد طبق، وحالاً بعد حال، حتى بلغ ما قدر له، فهو على إعادته وإنشائه النشأة الأخرى أقدر، وهو أهون عليه، وإحاطة علمه بجميع أجزاء العالم، العلوى والسفلي، دقيقها وجليلها، الذي في القلوب، والأجنَّة التي في البطون، وزيادة الأعمال ونقصها، وإثبات ذلك كله في كتاب. فالذي كان هذا [نعته](١) يسيّراً عليه، فإعادته للأموات أيسر وأيسر. فتبارك من كثر خيره، ونبه عباده على ما فيه صلاحهم، في معاشهم ومعادهم.

﴿۱۲ – ۱۲﴾ ﴿وما يــــــــوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طريأ وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * يولج الليل في النهار ويولج النهار في اللّيل وسخرٌ

الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربُّكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مأ استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولأينبئك مثل خبير﴾ هذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضى كلهم، وأنه لم يسوَّ بينهما، لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة فراتاً، سائغاً شرابها، لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحاً أجاجاً، لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات، ولأنه ساكن لا يجرى، فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ، ولهذا قال: ﴿ومن كُل﴾ من البحر الملح والعذب ﴿تَأْكِلُونَ لَحْمَا طِرِياً ﴾ وهو السمك المتيسر صيده في البحر، ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ من لؤلؤ ومرجان وغيرهما، مما يوجد في البحر، فهذه مصالح عظيمة للعباد.

ومن المصالح أيضاً والمنافع في البحر، أن سخره الله تعالى يحمل الفلك من السفن والمراكب، فتراهاً تمخر البحر وتشقه، فتسلك من إقليم إلى إقــليم آخــر، ومــن محــل إلى محــل، فتحمل السائزين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير، ولهذا قال: ﴿ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

ومن ذلك أيضاً، إيلاجه تعالى الليل بالنهار والنهار بالليل، يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، كلما أتى أحدهما ذهب الأخر، ويزيد أحدهما وينقص الأخر، ويتساويان، فيقوم بذلك ما يقوم من مصالح العباد في أبدانهم وحيواناتهم وأشجارهم وزروعهم.

وكذلك ما جعل الله في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور،

وَمَانَشَةُوى ٱلْأَغْمَىٰ وَالْيَصِدُ ۞ وَلَا ٱلظُّلُمُنُ وَلَا ٱلظُّلُمُنُ وَلَا ٱلظُّلُمُنُ وَلَا ٱلذُّرُ ۞ وَلَا الظِّلُّ وَلَا ٱلْحَدُودُ ۞ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَــَاتُهُ وَلَا ٱلْأَمُواتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسُعِعُ مَن يَشَكَّأُ وَمَاۤ أَنَّ بِمُسْمِعِ مَّن فِ ٱلْقُبُورِ ۞ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۞ إِنَّا أَرْسَلَنَكَ بِٱلْحَقَّ يَشِيرًا وَنَذِيراً وَلَا مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّاخَكَ فِيهَا نَذِيرٌ ۞ وَلَا يُكَذِّ فُولَهُ فَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبِلِهِ مُرَجَّآءَتُهُمْ رُصُلُهُم بِٱلْبِيَنَتِ وَبَالزُّيُرُ وَ إِلْكِنَا النَّهِرِ ﴿ ثُرَّا خَذْتُ الَّذِي كَنَامُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيهِ ۞ أَلُوْتَرَأَكَ أَنَّهُ أَنزَلَ مِنَ النَّكَلَّةِ مَآءُ فَأَخْرَتِ عَنَابِهِ مُتَرَاتٍ تُعَلِقًا ٱلْوَانْهَأَ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدًا بيضٌ وَحُنَّرُ تُغَنَلِفُ أَلُونُهُا وَغَلَم بِيبُ سُودٌ ﴿ وَمِزَالنَّاسِ وَالدَّوَآتِ وَٱلْأَفْسُ مِغْنَلِفُ ٱلْوَنْمُكِ خَلْكً إِثَمَا يَغْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُكَنَّاقُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزُغَ عُورُ إِنَّ ٱلَّذِينَ ا يَسْلُونَ كِتَبَ اللَّهِ وَأَفَ مُوا ٱلصَّلَوْةَ وَاَنْفَقُوا عَآرَزَ فَتَعُمُ سِنَا وَعَلَائِكَةً يَنْحُونَ يَعْلَوْهُ لَنْ تَبُورَ ۞ لِيُوَفِيكُمْ الْجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم يِنْ فَضْ لِؤْيَا إِنَّهُ بَعَ فُورً سُكُورً ۞ POWER OF THE PARTY OF THE PARTY

والحركة والسكون، وانتشار العباد في طلب فضله، وما فيهما من تنضيج الثمار وتجفيف ما يجفف (؟)، وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت لَلَحِق الناس الضرر.

وقوله: ﴿ كُلِّ يجرى لأجل مسمى ﴾ أى: كل من الشمس والقمر، يسيران في فلكهما ما شاء الله أن يسيرا، فإذا جاء الأجل، وقرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، وتعطل سلطانهما، وخسف القمر، وكورت الشمس، وانتثرت النجوم.

فلما بين تعالى ما بيَّن من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العِبَر الدالة على كماله وإحسانه، قال: ﴿ ذلكم الله ربكم له المُلْك ﴾ أي: الذي انفرد بخلق هذه المذكورات وتسخيرها، هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله.

﴿ والذين تدعون من دونه ﴾ من الأوثان والأصنام ﴿ما يملكون من قطمير اى: لا يملكون شيئا، لا قليلاً ولا كثيراً، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يُدْعَوْن، وهم غَير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟

هنا جاءت كلمة (نعته) في الهامش ولم يتضح لي محلها بدقة والأقرب أنه هنا. (1)

كذا في: ب، وفي أ: وتخفيف ما يخفف. **(Y)**

٢٥ يَنْوَلُوْ فِطَاعَ الْمُؤْمِّنِ ٢٥ وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَ ٓ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتِّبِ هُوَ ٱلْحَيَّةُ مُصَدِّقًا لَآلَكُوْ يَدَيْهُ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَ ادِهِ م لَهَ يَرُلِيهِ مِيرٌ ۞ ثُمَّ أَوْرَثُ ٱلْكِئْلَ ٱلَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِيًّا فَنْهُمْ ظَالَةٌ لِّنْفُسِهِ، وَمِنْهُم مُقْنَصِدٌ وَمِنْهُمُ سَابِقُ مِا كُنِيزَتِ بِإِذْ بِ لِقَهُ ذَلِكَ هُوَ ۖ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ جَنَّتُ عَدْنَ يَدْخُلُونَهَا يُحَاَّةُورَى فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهِبَ وَلُوْلُوّاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَدِيرٌ ۞وَقَالُوا ٱلْحَنْمُدُيِّلُوا لَذِيَّ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَيْرَةً إِن رَبَّنَا لَفَ فُورٌ مُن كُورٌ ۞ الَّذِي أَعَلَنَ ادَارَ لَلْقُامَةِ مِن فَضَلِهِ لَايَمَشُ عَافِيهَا نَصَتْ وَلَا يَمَشُ عَافِيهَا لُغُوبُ ۞ وَالَّذِينَ كَفْتُرُواْ لَمُتَمَاّلُ جَهَانَمَ لَا يُقْضَ عَلَن هِرْفَيَهُ وَالْوَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُ مِنْ عَذَابِهَ أَكَ ذَالِكَ بَعْنِي كُلِّكَ غُورِ ۞ وَهُمْ يَصْطَيِخُونَ فِيهَا رَبِّنَآ أَخْرِجْنَا نَقْمَلُ صَلِحًا غَمَّ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْلَوْهُ مَرْكُمُ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَآةَ كُرُهُ ٱلنَّكِذِرُّ فَكُلُوهُما فَمَا لِلظَّلِلِمِينَ مِن نَصِيرِ۞ إِنَّالَّةَ عَكِلِمُ غَيْبِ السَّكَوْلِيِّ وَالْأَرْضِ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٥ ON TONE ETA LONG LO

ومسع هسذا ﴿إن تسدَّعسوهسم﴾ لا يسمعوكم لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. ﴿ولو سمعوا) على وجه الفرض والتقدير ﴿ما استجابوا لكم﴾ لأنهم لا يملكون شيئاً، ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ أي: يتبرؤون منكم، ويقولون: ﴿سبحانك أنت ولينا من دونهم).

﴿ولا ينبئك مِثْلُ خَبير﴾ أي: لا أحد ينبئك، أصدق من الله العليم الخبير ، فاجزم بأن هذا الأمر ، الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا عتر. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين الساطعة، الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئاً من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده

الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلَّق جديد * وما ذلك على ألله بعزيز * ولا تنزر بولدها. وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكي فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ﴾ يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم

ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا.

فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إياهم [بها]، لما استعدواً لأي: عمل

فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل [لهم] من الرزق والنّعم شيء.

فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.

فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية وأجناس التدبير .

فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلولم يوفقهم لذلك لهلكوا، وفسدت أرواحهم وقلوبهم وأحوالهم.

فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه لم يتعلمواً، ولولا توفيقه لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ﴿١٥ ـ ١٨﴾ ﴿بِما أيها الناس أنتم ويستصحب هذا المعنى في كُل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلْهه، الذي هو أرحم به من الوالدة

﴿والله هو الغنى الحميد ﴾ أي: الذي له الغني التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها صفات كمال، ونعوت وجلال.

ومن غِناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه لأنها حسني، وأوصافه لكونها عُلبا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه [الغني في

﴿إِن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جليد السيد المراد: إن يشا يذهبكم أيها الناس ويأت بغيركم من الناس، أطوع لله منكم، ويكون في هذا تهديد لهم بالهلاك والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك.

ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتكم بعد موتكم خلقاً جديداً، ولكن لذلك الوقت أجل قدّره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر .

﴿وما ذلك على الله بعزيز ﴾ أي: بممتنع، ولا معجز له.

ويدل على المعنى الأخير، ما ذكره بعده في قوله: ﴿ولا تنزر وازرة وزر أخرى أي: في يوم القيامة كل أحد يجازي بعمله، ولا يحمل أحد ذنب أحد. ﴿وإن تدع مثقلة ﴾ أي: نفس مثقلة بالخطايا والذنوب، تستغيث بمن يحمل عنها بعض أوزارها ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربي فإنه لا يحمل عن قريب، فليست حال الآخرة بمنزلة حال الدنيا، يساعد الحميم حميمه، والصديق صديقه، بل يوم القيامة، يتمنى العبد أن يكون له حق على أحد، ولو على والديه وأقاربه.

﴿إنما تنذر الذين بخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ﴿ أَي : هؤلاء الذين يقبلون النذارة وينتفعون بهاء أهل الخشية لله بالغيب، أي: الذين يخشونه في حال السر والعلانية، والمشهد والمغيب، وأهل إقامة الصلاة، بحدودها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، لأن الخشية لله تستدعى من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب مما يخشى من ارتكابه

العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

﴿ وَمَنْ تَرْكَى فَإِنَّما يَتَرْكَى لَنفسه ﴾ أي: ومَنْ زكى نفسه بالتنقي من العيوب، كالرياء والكبر، والكذب والغش، والمكر والخداع والنفاق، وتحلّ من الأخلاق الرذيلة، وتحلّ بالأخلاق الجميلة، من الصدق، والإخلاص، والتواضع، ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من المقد والحسد وغيرهما من مساوىء الأخلاق، فإن تزكيته يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء.

﴿وإلى الله المصير ﴾ في يجازي الخلائق على ما أسلفوه، ويحاسبهم على ما قدموه وعملوه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿١٩ ـ ٢٤﴾ ﴿وما يستوى الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * إن أنت إلا نذير * إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ يخبر تعالى أنه لا يتساوى الأضداد في حكمة الله، وفيما أودعه في فطر عباده، ﴿وما يستوى الأعمى﴾ فاقد البصر ﴿والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات) فكما أنه من المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى.

فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب النار، ولا أصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه ما هو أولى به وأحقها بالإيثار.

﴿إِن الله يسمع مَن يشاء ﴾ سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق ﴿وما أنت بمسمع مَن في القبور ﴾ أي: أموات القلوب، أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئاً، كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئاً، ولكن وظيفتك النذارة، وإبلاغ ما أرسلت به، قبل منك أم لا.

ولهذا قال: ﴿إِنْ أَنت إِلاَ نَذير * إِنَا أُرسلناك بالحق ﴾ أي: عجرد إرسالنا إياك بالحق، لأنَّ الله تعالى بعثك على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، واندراس من العلم، وضرورة عظيمة إلى بعثتك، فبعثك الله رحمة للعالمين.

وكذلك ما بعثناك به من الدين القويم، والصراط المستقيم، حق لا باطل، وكذلك ما أرسلناك به، من هذا القرآن العظيم، وما اشتمل عليه من المذكر الحكيم، حق وصدق. ﴿بشيراً ﴾ لمن أطاعك، بشواب الله العاجل والآجل، ﴿ونديراً ﴾ لمن عصاك، بعقاب الله العاجل والآجل، ولست بدع من الرسل.

فما ﴿من أُمدِّ من الأمم الماضية والقرون الخالية ﴿إِلاَ خلافيها نذير ﴾ يقيم عليهم حجة الله ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويجيا من حي عن بينة ﴾.

﴿٢٥ ـ ٢٦﴾ ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير * ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ أى: وإن يكذبك أيها الرسول، هؤلاء المشركون، فلست أوّل رسول كُذّب، ﴿فقد كذَّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) الدالات على الحق، وعلى صدقهم فيما أخبروهم به، ﴿وبِالزُّبُرِ ﴾ أي: الكتب المكتوبة، المجموع فيها كثير من الأحكام، ﴿والكتاب المنير ﴾ أي: المضيء في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئاً عن اشتباه، أو قصور بما جاءتهم به الرسل، بل بسبب ظلمهم وعنادهم.

﴿٢٦﴾ ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾

بأنواع العقوبات ﴿فكيف كان نكير﴾ عليهم؟ كان أشد النكير وأعظم التنكيل، فإياكم وتكذيب هذا الرسول الكريم، فيصيبكم كما أصاب أولئك، من العذاب الأليم والخزي الوخيم.

﴿٢٧ ـ ٢٧﴾ ﴿ألم تسر أن الله أنسزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

فمن ذلك: أن الله تعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات المختلفات، والنباتات المتنوعات، ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد، والأرض واحدة.

ومن ذلك: الجبال التي جعلها الله أوتاداً للأرض، تجدها جبالاً مشتبكة، بل جبلاً واحداً، وفيها ألوان متعددة، فيها جدد بيض، أي: طرائق بيض، وفيها طرائق صفر وحمر، وفيها غرابيب سود، أي: شديدة السواد جداً.

ومن ذلك: الناس والدواب والأنعام، فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات، ما هو مرثي بالأبصار، مشهود للنظار، والكل من أصل واحد ومادة واحدة.

فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف وذلك المتفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضاً، ما هو معلوم.

وذلك أيضاً، دليل على سعة علم الله تعالى، وأنه يبعث مَنْ في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له

التذكر، وإنما ينتفع بها مَنْ يخشى الله تعالى، ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها.

ولهذا قال: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فكل مَن كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية ، وأوجبت له خشية الله ، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء مَنْ يخشاه ، وهذا دليل على فضيلة العلم ، فإنه داع إلى خشية الله ، وأهل خشيته هم أهل كرامته ، كما قال تعالى: ﴿رضي الله عنه م ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ .

﴿إِن الله عزيز﴾ كامل العزة، ومن عزته خلق هذه المخلوقات المتضادات. ﴿غفور﴾ لذنوب التائين.

﴿٢٩ - ٣٠﴾ ﴿إِنَّ النّين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا عما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾ ﴿إِنَّ اللّين يتبعونه في يتلون كتاب الله﴾ أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه في متركونها، وفي أخباره فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضاً فالمنظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها.

ثم خص من التلاوة بعدما عم، الصلاة التي هي عماد الدين، ونور المسلمين، وميزان الإيمان، وعلامة صدق الإسلام، والنفقة على الأقارب والمساكين واليتامى وغيرهم، من الزكاة والكفارات والنذور والصدقات.
﴿سرا وعلانية ﴾ في جميع الأوقات.

رسر وحرب في بيم الوحا. ويرجون أي البنك في المجارة لن تكسد وتفسد، بل تجارة، هي أجل التجارات وأعلاها وأفضلها، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا فيه أنهم يخلصون (١) بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئاً.

وذكر أنهم حصل لهم ما رجوه فقال: ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ أي: أجور أعمالهم، على حسب قلتها وكثرتها، وحسنها وعدمه، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ زيادة عن أجورهم. ﴿إنه غفور شكور﴾ غفر لهم السيئات، وقبل منهم القليل من الحسنات.

﴿٣١ ـ ٣٥﴾ ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير * ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ألله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها بحلون فيسها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولياسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب، يذكر تعالى أن الكتاب الذي أوحاه إلى رسوله ﴿هو الحق﴾ من كثرة ما اشتمل عليه من الحق، كأن الحق منحصر فيه، فلا يكن في قلوبكم حرج منه، ولا تتبرموا منه، ولا تستهينوا به، فإذا كان هو الحق، لزم أن كل ما دل عليه من المسائل الإلهية والغيبية وغيرها، مطابق لما في الواقع، فلا يجوز أن يراد به ما يخالف ظاهره وما دل عليه.

﴿مُصَدُقاً لما بين يديه ﴾ من الكتب والرسل، لأنها أخبرت به، فلما وجد وظهر، ظهر به صدقها، فهي بشرت به وأخبرت، وهو صَدَّقها، ولهذا لا يمكن أحد أن يؤمن بالكتب السابقة، وهو كافر بالقرآن أبداً، لأن كفره به ينقض إيمانه بها، لأن من جملة أخبارها الخبر عن القرآن. ولأن أخبارها مطابقة لأخبار القرآن.

﴿إِن الله بعبادهِ لخبيرٌ بصيرٌ فيعطي كل أمة وكل شخص، ما هو اللاثق بحاله. ومن ذلك، أن الشرائع السابقة لا تليق إلا بوقتها وزمانها،

ولهذا، ما زال الله يرسل الرسل رسول بعد رسول، حتى ختمهم بمحمد ﷺ، فجاء بهذا الشرع، الذي يصلح لمصالح الخلق إلى يوم القيامة، ويتكفل بما هو الخير في كل وقت.

ولهذا، لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولاً، وأحسنهم أفكاراً، وأرقهم أنفساً، وأرقهم النفساء دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب، ولهذا قال: ﴿ثم عبادنا﴾ وهم هذه الأمة. ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ بالمعاصي، [التي] هي دون الكفر. ﴿ومنهم مقتصد﴾ مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم. ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ أي: سارع فيها للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم وهلكروه.

فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما الإيمان، وعلوم الإيمان، من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه.

وقوله: ﴿بإذن الله ﴿ راجع إلى السابق بالخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه.

﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ أي: وراثة الكتاب الجليل لمن اصطفى تعالى من عباده ؛ هو الفضل الكبير ، الذي جميع النّعَمَ بالنسبة إليه ، كالعدم ، فأجل النِعَم على الإطلاق ، وأكبر الفضل ، وراثة هذا الكتاب .

ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ أي:

جنات مشتملات على الأشجار، والظل، والظليل، والحدائق الحسنة، والأنهار المتدفقة، والقصور العالية، والمنازل المزخرفة، في أبد لا يزول، وعيش لا ينفد.

والعدن «الإقامة» فجنات عدن أي: جناب إقامة، أضافها للإقامة، لأن الإقامة والخلود وصفها ووصف

﴿ يُحَلُونَ فيها من أساور من ذهب وهو الحلي الذي يجعل في اليدين، على ما يجبون، ويرون أنه أحسن من غيره، الرجال والنساء في الحلية في الجنة سواء. ﴿ وَ ﴾ يحلون فيها ﴿ لولولواً ﴾ ينظم في أتيابهم وأجسادهم. ولاباسهم فيها حرير به من سندس، ومن إستبرق أخضر.

﴿و﴾ لما تم نعيمهم، وكملت لذتهم ﴿قالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن﴾ وهـذا يـشـمل كـل حـزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيداً، وهو في تزايد أبد

﴿إِن رَبِنَا لَغَفُورَ ﴿ حَيْثُ غَفُر لَنَا الرّلات ﴿ شَكُورَ ﴾ حَيْثُ قَبِلُ مِنَا الحسنات وضاعفها، وأعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا، فبمغفرته نجوا من كل مكروه ومرهوب، وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب عبوب.

﴿الذي أحلنا ﴾ أي: أنزلنا نزول معبر حلول واستقرار ، لا نزول معبر واعتبار . ﴿دار المقامة ﴾ أي: الدار التي يرغب ندوم فيها الإقامة ، والدار التي يرغب في المقام فيها ، لكثرة خيراتها ، وتوالي مسراتها ، وزوال كدوراتها ، وذلك الإحلال ﴿من فضله ﴾ علينا وكرمه ، لا بأعمالنا ، فلولا فضله ، لما وصلنا إليه ما وصلنا إليه .

﴿ لا يمسنا فيها نَصَبٌ ولا يمسنا

فيها لغوب﴾ أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيّى، لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لخوب، ولا محرن.

ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.

﴿٣٧ ـ ٣٧﴾ ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ لما ذكر تعالى حال لهل الجنة ونعيمهم، ذكر حال أهل النار وعذابهم فقال: ﴿والذين كفروا﴾ أي: جحدوا ما جاءتهم به رسلهم من الايات، وأنكروا لقاء ربهم.

ولهم نار جهنم المجلون فيها أشد العذاب، وأبلغ العقاب. ولا يقضى عليهم الملوت ولي موتوا المياري ولا يخفف عنهم من عذابها في فشدة العذاب وعظمه، مستمر عليهم في جميع الآنات واللحظات.

﴿كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ﴾ أي: يصرخون ويتصايحون ويستغيثون ويقولون: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ فاعترفوا بذنبهم، وعرفوا أن الله عدل فيهم، ولكن سألوا الرجعة في غير وقتها، فيقال لهم: ﴿أُولُم نعمُركُم ما ﴾ أي: دهراً وعمراً ﴿ يتمكن فيه مَنْ تذكّر ﴾ أي: يتمكن فيه مَنْ أراد التذكر من العمل، متعناكم في

الدنيا، وأدررنا عليكم الأرزاق، وقيضنا لكم أسباب الراحة، ومددنا(`` لكم في العمر، وتابعنا عليكم الآيات، وأوصلنا إليكم النذر، وابتليناكم بالسراء والضراء، لتنيبوا إلينا وترجعوا إلينا، فلم ينجع فيكم إنذار، ولم تفد فيكم موعظة، وأخرنا عنكم العقوبة، حتى إذا انقضت آجالكم وتمت أعماركم، ورحلتم عن دار الإمكان بأشر الحالات، ووصلتم إلى هذه الدار دار الجزاء على الأعسال، سألتم الرجعة؟ هيهات هيهات، فات وقت الإمكان، وغضب عليكم الرحيم الرحمن، واشتد عليكم عذاب النار، ونسيكم أهل الجنة، فامكثوا فيها خالدين مخلدين، وفي العذاب مهانين، ولهذا قال: ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلْظَالِمِينِ مِنْ نصير﴾ ينصرهم فيخرجهم منها، أو يخفف عنهم من عذابها.

﴿٣٨﴾ ﴿إن الله عالم غييب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾ لما ذكر تعالى جزاء أهل الدارين، وذكر أعمال الفريقين، أخبر تعالى عن سعة علمه تعالى، واطلاعه على غيب السماوات والأرض، التي غابت عن أبصار الخلق وعن علمهم، وأنه عالم بالسرائر، وما تنطوي عليه الصدور من الخير والشر والزكاء وغيره، فيعطي كلا ما يستحقه، وينزل كل أحد منزلته.

و ٣٩٧ ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً يخبر تعالى عن كمال حكمته ورحمته بعباده، أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل بعضهم يخلف بعضاً في الأرض، يجعل بعضهم يخلف بعضاً في الأرض، فينظر كيف يعملون، فمَن كفر بالله وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه، وعليه إثمه وعقوبته، ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له وبغضه إياه، وأي : عقوبة أعظم ربه له وبغضه إياه، وأي : عقوبة أعظم

من مقت الرب الكريم؟!

﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ أي: يخسرون أنفسهم وأهليهم وأعمالهم ومنازلهم في الجنة، فالكافر لا يزال في زيادة من الشقاء والخسران، والخزي عند الله وعند خلقه والحرمان.

﴿ ٤٠ ﴾ ﴿ قبل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ﴾ يقول تعالى مُعجّزاً لآلهة المشركين، ومبيناً نقصها، وبطلان شركهم من جميع الوجوه.

﴿قَلَ بِا أَيّها الرسول لهم: ﴿ارأيتم ﴾ أي: أخبروني عن شركائكم ﴿اللّهِن تلاعون من دون الله ﴾ هل هم مستحقون لللاعاء والعبادة، ف ﴿أروني ماذا خلقوا [من الأرض ﴾ هل خلقوا بجالاً أو خلقوا جبالاً أو خلقوا جبالاً أو سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء هو الله تعالى، أم لشركائكم شركة ﴿في السماوات ﴾ في خلقها وتدبيرها؟ سيقولون: ليس لهم شركة.

فإذا لم يخلقوا شيئاً، ولم يشاركوا الخالق في خلقه، فلِمَ عبدتموهم ودعوتموهم مع إقراركم بعجزهم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، ودلَّ على بطلانها.

ثم ذكر الدليل السمعي، وأنه أيضاً منتف، فلهذا قال: ﴿أَمْ آتيناهم كتاباً﴾ يتكلم بما كانوا به يشركون، يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. ﴿فهم﴾ في شركهم ﴿على بيّنةٍ﴾ من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟

ليس الأمر كذلك؟ فإنهم ما نزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولا جاءهم نذير قبل رسول الله محمد رسول ولا قدر نزول كتاب إليهم، وإرسال رسول إليهم، وزعموا أنه أمرهم بشركهم، فإنا نجزم بكذبهم، لأن الله قال:
﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا

نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون فالرسل والكتب، كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين لله تعالى، ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له المدين حنفاء ﴾.

فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي والنقلي قد دلاً على بطلان الشرك، فما الذي حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفطنة؟

أجاب تعالى بقوله: ﴿بلِ إِن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا خروراً﴾ أي: ذلك الذي مشوا عليه، ليس لهم فيه حجة، فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض، للبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، مناها الشيطان، وزين لهم [سوء] أعمالهم، فنشأت في قلوبهم، أعمالهم وتعسر انفصالها، فحصل ما الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل.

﴿٤١﴾ ﴿إِن الله يمسك السماوات والأرض أن ترولا ولئين زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾ يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أحد من الخلق، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما.

ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلىء قلوبهم له إجلالاً وتعظيماً، ومحبة وتكريماً، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنين، وعدم معاجلته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾

﴿٤٣ ــ ٤٣﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما

زادهم إلا نفوراً * استكباراً في الأرض ومكر السيىء ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً أي: وأقسم هؤلاء، الذين كذبوك يا رسول الله، قسماً اجتهدوا فيه بالأيمان الغليظة: ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي: أهدى من اليهود والنصارى [أهل الكتب]، فلم يفوا بتلك الإقسامات والعهود.

﴿فلما جاءهم نذير﴾ لم يهتدوا، ولم يصيروا أهدى من إحدى الأمم، بل لم يدوموا على ضلالهم الذي كان، بل ﴿ما زادهم﴾ ذلك ﴿إلا نفوراً﴾ زيادة ضلال وبغى وعناد.

وليس إقسامهم المذكور، لقصد حسن، وطلب للحق، وإلا لوفقوا له، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الحق، وبهرجة في كلامهم هذا، يريدون به المكر والخداع، وأنهم أهل الحق، الحريصون على طلبه، فيغتر به المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون.

ولا يحيق المكر السيّى، الذي مقصوده مقصود سيّى، ومآله وما يرمي إليه سيّى، باطل ﴿إلاّ بأهله ﴾ فمكرهم إنما يعود عليهم، وقد أبان الله لعباده في هذه المقالات وتلك الإقسامات، أنهم كذبة في ذلك مزورون، فاستبان خزيهم، وظهرت فضيحتهم، وتبين قصدهم السيى، فعاد مكرهم في نحورهم، ورد الله كيدهم في صدورهم.

فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، الذي هو سُنة الله في الأولين، التي لا تبدل ولا تغير، أن كل مَنْ سار في الظلم والعناد والاستكبار على العباد، أن يحل به نقمته، وتسلب عنه نعمته، فَلَيْتَرَقَّبْ هؤلاء، ما فعل بأولئك.

﴿ ٤٤ ـ ٥٤ ﴾ ﴿أولم يسسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا

هُوَالَّذِي جَعَلَكُرْخَلَتِفَ فِي ٱلْأَرْضِ فَنَكَفَرُفَعَلَيْهِ كُفَّرُ وَلَازِيدُ ٱلْكُنْفِينَ كُفُرُهُمْ عِندَرَتِهِمْ إِلَّامَقَنَّا وَلَا يَنِيدُٱلْكَفِينَ كُفُرُهُمُ إِلَّاحْسَارًا ۞ قُلْ أَرَّةٍ يَشُرْشُرَكَا ۚ كُرُ ٱلَّذِينَ مَّدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا حَكَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَمُنْ شِرْكُ فِ ٱلسَّمَاوَتِ أَمْءَ اتَيْنَاهُمُ كِنَابًا فَهُمْ عَلَى بَيْتَ مِنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّالِمُونَ بَعْضُ هُرَبَعْضًا إِلَّاعُ رُورًا ۞ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحْسِكُ ٱلسَّنَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَذُولَا وَلَين زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكُهُ عَامِنْ أَمَدِمِنْ مَعْدِهِ أَلْهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُولًا ۞ وَأَقْتَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْنَيْهِمُ لَبِنَجَآءَهُمُ نَذِيرٌ لِيَكُونَنَّ أَهُدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمِّ فَكَمَّا جَآءَ هُرَنِيْرُمَّازَادَهُمْ إِلَّانْقُورًا ۞ ٱسْيَكُازَافِ ٱلْأَرْضِ وَمَكُرُ ٱلسَّيِّيُّ وَلَا يَعِيقُ ٱلْكُرُّ ٱلسِّيقُ إِلَّا بِأَهْلِيهِ فَهَلْ يَظُرُونَ إِلَّاسُنَّتَ ٱلْأَوْلِينَ فَلَن يَجِدَ لِسُنَتِ ٱللَّهِ بَنَّدِ يِلا وَلَن يَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ عَمِولًا كُل الله أَوْلَرُ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلِيْمَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبَلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدَّمِنْهُمْ قُوَّةٌ وَمَاكَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَمُ الله عن شَيْء في السَّمَوَتِ وَلَافِ ٱلْأَرْضِ الْمُعَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٥

ON TO THE PROPERTY OF THE PARTY OF THE PARTY

الصراط المستقيم، مشتمل على أعمال، وهي الأعمال الصالحة، المصلحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة، والأخلاق الفاضلة، المزكية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر، فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول ﷺ، ووصف دينه الذي جاء به، فتأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجلُّ مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه، وهذا الصراط المستقيم وتنزيل العزيز الرحيم) فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقاً لعباده، موصلاً لهم إليه، فحماه بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين; العزيز

الرحيم. فلما أقسم تعالى على رسالته وأقام الأدلة عليها، ذكر شدة الحاجة إليها واقتضاء الضرورة لها فقال: (لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) وهم العرب الأميون، الذين لم يزالوا خالين بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تسندرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم * إنا نحن نحيي الموتى الموتى من الله تعالى بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة، وهي وضع كل شيء موضعه، وضع الأمر والنهي في المؤسم والنهي في المؤسم والشهي في المؤسم اللائق بهما، ووضع الجزاء المرحكامه الشرعية والجزائية كلها فأحكامة الشرعية والجزائية كلها مشتملة على غاية الحكمة.

ومن حكمة هذا القرآن، أنه يجمع بين ذكر الحكم وحكمته، فينبه العقول على المناسبات والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها:

﴿إِنكُ لَمْنُ المُرسلينَ ﴾ هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد عليه، وإنك من جملة المُرسلين، فلست ببدع من الرسل، وأيضاً فجئت بما جاء به فسمن تأمل أحوال (٢٣ المُرسلين فسمن تأمل أحوال (٢٣ المُرسلين عُيرهم، عرف أنك من خيار المُرسلين، بما فيك من الصفات الكاملة، والأخلاق الفاضلة.

ولا يخفى ما بين المقسم به ، وهو القرآن الحكيم ، وبين المقسم عليه ، [وهو] رسالة الرسول محمد ﷺ ، من الاتصال ، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم ، لكفى به دليلاً وشاهداً على رسالة محمد ﷺ ، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول ، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة

شم أخبر بأعظم أوصاف الرسول ﷺ، الدالة على رسالته، وهو أنه ﴿على صراط مستقيم﴾ معتدل، موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وذلك في الأرض إنه كان عليماً قديراً * ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً > يحض تعالى على السير في القلوب والأبدان، في القلوب والأبدان، لا لمجرد النظر والغفلة، وأن ينظروا إلى عاقبة الذين من قبلهم أموالاً وأولاداً وأشد قوة، وعمروا الأرض (١) أكثر مما عمرها هؤلاء، فلما جاءهم العذاب، لم تنفعهم قوتهم، ولم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، ونفذت فيهم قدرة الله من الله شيئاً، ونفذت فيهم قدرة الله

﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته ﴿إنه كان عليماً قديراً ﴾ شدة ذكر تعالى كمال حلمه، وشدة

امهاله وإنظاره أرباب الجرائم والذنوب، فقال: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ من الذنوب ﴿ما تسرك على ظهرها من دابة﴾ أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة.

﴿ولكن﴾ يمهلهم تعالى ولا يهملهم و ﴿يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر.

تم تفسير سورة فاطر ، والحمد لله رب العالمين

تفسیر سورة یس وهی مکیة

﴿١٠٢١﴾ ﴿بسم الله السرحمن الرحم * إنك الرحم تيس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم * لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من

⁽٢) في ب: في المحل.

وَلَوْنُوا حِنْ اَنْهُ النّاسِ بِهَا حَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَا طَهُ هِمَا مَن وَالْمَهُ وَالْحَبَاءُ مِن وَرَبَّهُ وَلَكِينَ وَوَحِنُ وَلَهُ الْمَالِمُ اللّهِ مُنْ الْمَالِمُ اللّهُ وَالْمَالَةُ وَالْمَالَةُ وَالْمَالَةُ وَالْمَالَةُ وَالْمَالُونِ اللّهِ اللّهِ وَاللّهُ وَالْمُؤْمِنُونُ وَاللّهُ وَ

TOURSE WEST TO THE SECOND

Ca Chien Candilla Co

من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين، فأرسل الله إليهم رسولاً من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ومَنْ لحق بهم من كل أمي، ويذكُّر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة الله به على العرب خصوصاً، وعلى غيرهم عموماً. ولكن هؤلاء الذين بعثت فيهم لإنذارهم بعدما أنذرتهم، انقسموا قسمين: قسم رد لما جئت به، ولم يقبل النذارة، وهم الذين قال الله فيهم ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴿ أَي: نَفَدُ فيهم القضاء والمشيئة، أنهم لا يزالون في كفرهم وشركهم، وإنما حق عليهم القول بعد أن عُرض عليهم الحق فرفضوه، فحيئذ عوقبوا بالطبع على

وذكر الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم، فقال: ﴿إِنَا جعلنا في أَصناقهم أَعْلالاً ﴾ وهي جمع "غل" و «الغنق، فهو للعنق بمنزلة القيد للرجل، وهذه الأغلال التي في الأعناق(١٠)، عظيمة قد وصلت إلى أذقانهم ورُفعت

رؤوسهم إلى فوق، ﴿فهم مقمحُون﴾ أي: رافعو رؤوسهم من شدة الغِل الذي في أعناقهم، فلا يستطيعون أن يخفضوها.

﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ﴾ أي: حاجزاً يحجزهم عن الإيمان، ﴿فهم لا يبصرون﴾ قد خمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تفد فيهم النذارة. ﴿وسواء عليهم أانذرتهم أم لم تنذرهم قلبه، ورأى الحق باطلاً والباطل حقا؟! والقسم الثاني: الذين قبلوا النذارة، وقد ذكرهم بقوله: ﴿إنما تنذر﴾ أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك إنما تنفع نذارك ﴿ ويتعظ بنصحك أمن اتبع الذكر ﴾ [أي:] مَنْ قصده اتباع الحق وما ذكر به، ﴿وخشي

ومن اتبع الذكر [اي:] من قصده اتباع الحق وما ذكر به، ووخشي الرحمن بالغيب أي: مَن اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين وفيشره بمغفرة لذنوبه، وونيم لاعماله الصالحة، ونيته الحسنة.

﴿إِنَّا نَحِن نَحِينِ المُوتِي﴾ أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال، ﴿ونكتب ما قدموا ﴾ من الخير والشر، وهو أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم، ﴿ وآثارهم ﴿ وهي آثار الخير وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيراً، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجداً، أو محلاً من المحال التي يرتفق بها الناس،

وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك عمل الشر.

ولهذا: «مَنْ سنّ سُنّة حسنة فله أجرها وأجرُ مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة، ومَنْ سنّ سُنّة سيئة فعليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها إلى يوم القامة».

وهذا الموضع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليقة، وأشدهم جرماً، وأعظمهم إثماً.

﴿وكل شيء ﴾ من الأعمال والنيات وغيرها ﴿احصيناه في إمام مين ﴾ أي: كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب، التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ.

(۱۳) (۱۳) (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) إلى آخر القصة. أي: واضرب لهؤلاء المكذبين برسالتك، الرادين لدعوتك، مثلاً يعتبرون به، ويكون لهم موعظة إن وفقوا للخير، وذلك المثل: أصحاب القرية، وما جرى منهم من التكذيب لرسل الله، وما جرى عليهم من عقوبته ونكاله.

وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة، لعينها الله، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر له قرار، ما تعرف به أن طريق العلم الصحيح، الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، ويزيد العلم، من حيث يظن الجاهل أن زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتياد الأمور المشكوك فيها.

والشاهد أن هذه القرية جعلها الله مشلاً للمخاطبين. ﴿إِذْ جِاءُهَا

(1)

المرسلون من الله تعالى يأمرونهم بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وينهونهم عن الشرك والمعاصي.

﴿إِذْ أُرسِلْنَا إِلَيْهِمَ اثْنَيْنَ فَكَذَّبُوهُمَا فعززنا بثالث♦أي: قويناهما بثالث، فصاروا ثلاثة رسل، اعتناء من الله بهم، وإقامة للحجة بتوالى الرسل إليهم، ﴿ فقالوا ﴾ لهم: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مرسلون الذي ما بحواب الذي ما زال مشهوراً عند مَنْ رد دعوة الرسل: ﴿ قَالُواْ مَا أَنتُمَ إِلَّا بِشُرُّ مَثَّلْنَا ﴾ أي: فما الذي فضلكم علينا وخصكم من دوننا؟ قالت الرسل لأمهم: ﴿إِنْ نُحِنْ إلاَّ بشر مثلكم ولكن الله يمنُّ على مَنْ يشاء من عباده ﴿ .

﴿وَمَا أَنْزُلُ الرَّمْنُ مِنْ شَيَّهُ ﴾ أي: أنكروا عموم الرسالة، ثم أنكروا أيضاً المخاطبين لهم، فقالوا: ﴿ إِنَّ أَنْتُمُ إِلاًّ

فقالت هؤلاء الرسل الثلاثة: ﴿ربنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون الله علو كنا كاذبين، لأظهر الله(١) خزينا، ولبادرنا

﴿وَما علينا إلا البلاغ المبين﴾ أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها، وما عدا هذا من آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب، فليس إلينا، وإنما وظيفتنا ـ التي هي البلاغ المبين ـقمنا بها، وبيناها لكم، فإن آهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتم، فليس لنا من الأمر شيء. فقال أصحاب القرية لرسلهم: ﴿ إِنَّا

تطيرنا بكم اي: لم نر على قدومكم علينا واتصالكم بنا إلاَّ الشر، وهذا منَّ أعجب العجائب، أن يجعل من قدم عليهم بأجل نعمة يُنعم الله بها على العباد، وأجل كرامة يكرمهم بها، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، قد قدم بحالة شر، زادت على الشر الذي هم عليه، واستشأموا بها، ولكن الخذلان وعدم التوفيق، يصنع بصاحبه أعظم مما^(۲) يصنع به عدوه.

ثم توعدوهم فقالوا: ﴿لَئِن لَم تنتهوا

لنرجمنكم أي: نقتلنكم رجماً بالحجارة أشنع القتلات ﴿وليمسنكم منّا عذاب

فقالت لهم رسلهم: ﴿طَائْرِكُم معكم، وهو ما معهم من الشرك والشر، المقتضى لوقوع المكروه والنقمة، وارتفاع المحبوب والنعمة. ﴿ أَإِنْ ذَكُرتُم ﴾ أي: بسبب أنَّا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم. ﴿بِلِ أنتم قوم مسرفون﴾ متجاوزون للحد، متجرهمون في قولكم، فلم يزدهم [دعاؤهم] إلّا نفوراً واستكباراً.

﴿وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى المحرصاً على نصح قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم ماردبه قومه عليهم، فقال [لهم]: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييداً لما شهد به ودعا إليه، فقال: ﴿اتبعوا مَنْ لا يسألكم أجراً ﴾ أي: اتبعوا مَنْ نصحكم نصحاً يعود إليكم بالخير، وليس [يريد منكم أموالكم ولا أجراً على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه.

بقى] أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجرة، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿وهم مهتدون﴾ لأنهم لا يدعون إلاّ لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه.

فكأن قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لائمين له على اتباع الرسل، وإخلاص الدين لله وحده، فقال: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾ أي: وما المانع لي من عبادة مَنْ هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي

100 四世n | 中国 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | 100 | المُ وَاصْرِتْ لَمُدُمِّنَكُ أَصْحَبَ الْقَرْبَةِ إِذْ عَالَةُ مَا ٱلْمُرْسَلُونَ الله الله السَّلْنَا إِلَيْهِ مُالْتَيْنِ فَكَذَّبُوهُ مَا فَعَزَّزْفَا بِنَالِثِ فَقَالُواْ النَّا آلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۞ قَالُواْمَاۤ أَنْتُمْ إِلَّا بِنَثِّرُ عِنْدُنَا وَمَا أَنْزَلَ ٱلرَّفَلُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَسْتُمْ إِلَّا تَكُذِبُونَ ﴿ قَالُواْرَبُّنَا إِيَّعَامُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَرْسُلُونَ ۞ وَمَاعَلَيْنَ ٓ إِلَّا ٱلْبَسَلَةُ الَّهُينُ۞ قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرُنَ الِكُوَّلِينِ لَّرَّتَ نَتَ عُواْ لَنَزَّهُ تَتَكُوُّ وَلَيْمَنْتَ نَكُرُمِنَا عَذَاجُ أَلِيدُ ٥ قَالُواْ طَلْيَرُكُم مَّعَكُمُ أَين ذُكِّرُةُ مُّ لِلَّا أَشُرُ فَوَيَّ مُشْرِفُونَ ۞ وَجَآ مِنْ أَفْسَا الْلَهِ يَنَةِ رَجُلُّ يَسْمَىٰ قَالَ يَنْقَوْمِ أَشِّعُواْ ٱلْتُرْسَكِينِ ۞ ٱتَيْعُواْ مَن لَايَسْتَلُكُمُ أَجْرًا وَهُم مُهَمَّدُونَ ۞ وَمَالِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعَنُونَ ﴿ وَأَنَّفِذُ مُنِونِةٍ أَ ءَالِمَةً إِن يُودِنِ ٱلزَّقَلُ بِصُرِّلًا تُعْدَنِ عَنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْعًا كُلُّ وَلَا يُنقِدُونِ ۞ إِنَّ إِذَا فَيْ صَلَكُلُو مُّهِينٍ ۞ إِنْ يَا امَّنتُ إِ رِرَيِكُمْ فَأَسْمَعُونِ ۞ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجُنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْ لَمُونَ ۞ يَمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُصْحَرَبِينَ۞ DNOMEN EDROLD

يستحق أن يُعبد، ويثني عليه ويمجد، دون مَنْ لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا عطاءً ولا منعاً، ولا حياةً ولا موتاً ولا نشوراً، ولهذا قال: ﴿أَأَيُّذُ من دونه آلهة إن يُردُن الرحمن بضرُّ لا تغن عنى شفاعتهم لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلا تغنى شفاعتهم عني شيئاً، ولا هم ينقذون من الضر الذي أراده الله بي.

﴿إِنِي إِذَا ﴾ أي: إن عبدت آلهة هذا وصفها ﴿لفي ضلال مبين﴾ فجمع في هذا الكلام، بين نصحهم، والشُّهادة للرسل بالرسالة، والاهتداء والإخبار بتعينُ (٣) عبادة الله وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها، والإعلان بإيمانه جهراً، مع خوفه الشديد من قتلهم، فقال: ﴿إِنَّ آمنت بربكم فاسمعون، فقتله قومه، لمَّا سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به.

ف﴿قيل﴾ له في الحال: ﴿ادخل الجنة﴾ فقال مخبراً بما وصنل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه، وناصحاً لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته: ﴿ياليت قوميُّ يعلمون * بما غفر لي ربى اي: بأي: شيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، ﴿وجعلني من المكرمين﴾

是 即 與 即 即 的 用 • وَمَاۤ أَنْزَلْنَاعَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندِمِن َ ٱلسَّكَلَةِ وَمَاكُنَّامُنِيلِينَ۞ إِنكَانَتْ إِلَّاصَيْحَةً وَبِيدَةً فَإِنَاهُرُ خَيِهُ وَنَ ۞ يَلْحَسْرَةً عَلَى ٱلْمِسَادُ مَا يَأْنِيهِ مِقِن زَسُولِ إِلَّا كَانُواْبِهِ يَسْتَهْنِءُ ونَ ۞ ٱلْرَيْرَوْاُكُرُ أَهْلَكَنَا تَبْلَهُ مِنَ ٱلْقُرُونِ أَنَهُمُ إِلَيْهِمُ لِاَيْزِحُونَ ۞ وَإِن كُلُّ أَنَّاجِيمٌ لْدَيْنَا نَحْصَرُونِ ۞ وَمَائِيةٌ لَمَّهُ ٱلأَرْضُ ٱلْيَنَةُ أَخِينَنَهَا وَأَخْرَتُنَامِنْهَا حَبَّا فَيَنْهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَافِيَا جَنَّتِ مِن يَخِيلٍ وَأَعْنَبُ وَخَتَرَافِهَامِنَ ٱلْمُيُونِ ۚ لِيأْكُلُوا مِن مُمَرِهِ، وَمَاعَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿ سُجْكُنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْفَجَ حَكُلُّهَا مِمَّا تُنْفِيتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُوجٍ وَمِمَّا لَايَعْ لَمُونَ ۞ وَمَاكِنَّهُ أَكْمُ الَّيْلُ لَسَلَمْ مِنْهُ ٱلْهَارَ فَإِذَاهُم مُثَظَلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْدِي لِمُسْتَقَرِّلْهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَرَيْزِ ٱلْعَرَلِيهِ ۞ وَٱلْفَتَمْرَ فَذَرْنَاهُ مَنَازِلَحَقَّ عَادَكَ ٱلْمُرْجُونِ ٱلْمَدِيرِ ۞ لَا ٱلشَّمْسُرِينَتِي لَمَكَ ٱلْنَ وَيُ اللَّهُ الْمُتَمَّرُولَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارُّ وَكُلُّونِ فَلَكِ يَسْبَحُونَ ٢ ACTUACY III DECEMBED

بأنواع المثوبات والمسرّات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم.

قال الله في عقوبة قومه: ﴿ وما أنزلنا على قومة] من بعده من جند من السماء﴾ أي: ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم، فننزل جنداً من السماء لإتلافهم، ﴿وما كُنَّا مُنزلينِ ﴾ لعدم الحاجة إلى ذلك، وعظمة اقتدار الله تعالى، وشدة ضعف بنى آدم، وأنهم أدنى شىء يصيبهم من عذاب الله يكفيهم. ﴿إِنْ كَانْتُ﴾ أي: كانت عقوبتهم ﴿ إِلاَّ صيحة واحدة ﴾ أي: صوتاً وأحداً، تكلم به بعض ملائكة الله، ﴿فإذا هم خامدون﴾ قد تقطعت قلوبهم في أجوافهم، وانزعجوا لتلك الصيحة، فأصبحوا خامدين، لا صوت ولا حركة، ولا حياة بعد ذلك العتو والاستكبار، ومقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح، وتجبرهم عليهم.

قال الله متوجعاً للعباد: ﴿ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزوون ﴾ أي: ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشد جهلهم، حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال!!

﴿ ٣٦ _ ٣٦﴾ ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون * وإن كل لما جميع لدينا مخضرون ﴾ يقول تعالى: ألم ير هؤلاء ويعتبروا بمن قبلهم من القرون المكنبة، التي أهلكها الله تعالى وأوقع بها عقابها، وأن جميعهم قد باد وهلك، فلم يرجع إلى الدنيا، ولن يرجع إليها، وسيعيد الله الجميع خلقاً جديداً، يديه تعالى، ليحكم بينهم بحكمه العدل يديه تعالى، ليحكم بينهم بحكمه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، ﴿ وإن تكُ حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾.

﴿٣٦ _ ٣٦﴾ ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبأ فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيهامن العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق الأزواج كلها عما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴿ أَي : ﴿ وآية لهم ﴾ على البعث والنشور، والقيام بين يدي الله تعالى للجزاء على الأعهال، هذه ﴿الأرض المستة ﴾ أنزل الله عليها المطر، فأحياها(١) بعد موتها، ﴿وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون﴾ من جميع أصناف الزروع، ومن جميع أصناف النبات، التي تأكُّله أنعامهم، ﴿وجعلنا فيها﴾ أي: في تلك الأرض الميتة ﴿جناتِ﴾ أي: بساتين، فيها أشجار كثيرة، وخصوصاً النخيل والأعناب، اللذان هما أشرف الأشجار، ﴿وفجّرنا فيها ﴾ أي: في الأرض﴿من العيون﴾

جعلنا في الأرض تلك الأشجار، والنخيل والأعناب، ﴿لِبَاكِلُوا من ثمره ﴾ قوتاً وفاكهة، وأذماً ولذة، ﴿و الحال أن تلك الثمار ﴿ما عملته أيديهم ﴾ [وليس لهم فيه صنع، ولا عمل، إن هو إلا صنعة أحكم الحاكمين، وخير الرازقين، وأيضاً فلم تعمله أيديهم] بطبخ ولا غيره، بل

أوجد الله هذه الثمار، غير محتاجة لطبخ ولا شيّ، تؤخذ من أشجارها، فتؤكل في الحال. ﴿أفلا يشكرون﴾ من ساق لهم هذه النّعَم، وأسبغ عليهم من جوده وإحسانه، ما به تصلح أمور دينهم ودنياهم، أليس الذي أحيا الأرض بعد موتها، فأنبت فيها الزروع والأشجار، وأودع فيها لذيذ الثمار، وأظهر ذلك الجنى من تلك الغصون، وفجّر الأرض اليابسة الميتة بالعيون، بقادر على أن يحيي الموتى؟ بل، إنه على كل شيء قدير.

﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها ﴾ أي: الأصناف كلها ، ﴿ كما تنبت الأرض ﴾ فنوع فيها من الأصناف ما يعسر تعداده . ﴿ ومن أنفسهم ﴾ فنوعهم إلى ذكر وأنثى ، وفاوت بين خلقهم وخُلقهم ، وأوصافهم الظاهرة والباطنة . ﴿ وها لا يعلمون ﴾ من والباطنة . ﴿ وها لا يعلمون ﴾ من علمنا ، والتي لم تخلق بعد ، فسبحانه وتعالى أن يكون له شريك ، أو ظهير ، أو عوين ، أو وزير ، أو صاحبة ، أو ولد ، أو سميات كماله ونعوت جلاله ، أو مثيل في يعجزه شيء يريده .

﴿٣٧ ـ ٤٠) ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون، أي: ﴿وآية لهم﴾ على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرتُه، وإحياثه الموتى بعد موتهم. ﴿الليل نسلخ منه النهار ﴾ أي: نزيل الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها محله ﴿ فَإِذَا هُم مَظْلُمُونَ ﴾ وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس، فتضىء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحهم، ولهذا قال: ﴿والشمس تجري لمستقر

وَعَلِيَةٌ لَمُنْ أَنَا حَلْنَا ذُرِّيَّتُهُمْ فِي الْفُلُكِ لَلْشَعُونِ ۞ وَخَلَفَنَا لَمُتُمِينَ مِّنْلِهِ مَا اِرَّكَبُونَ ۞ وَ إِن نَشَأَ نُغُرِقْهُمْ فَلَاصَرِيخَ لَمُمْ وَلَاهُمْ يُنْفَدُونَ ۞ إِلَّارَحْمَةُ مِنْنَا وَمَسْعُا إِلَّا حِيبٍ۞ الله وَاذَا قِيلَ لَمُتُمُ التَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُرُ وَمَا خَلْفَكُوْ لَعَلَّكُو تُرْخَمُونَ @ وَمَا تَأْنِيهُ مِينَ ءَايَةِ مِنْ ءَايَتِ رَبِهِ مِر إِلَّا كَانُواْعَنَهُا مُعْرِضِينَ ۞ وَلِذَاقِيلَ لَمُتُرَّأَ شِعُواْئِمَ ارْزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنْفُعِهُ مَن لَّوْيَثَكَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ ا إِلَافِي ضَلَالُ مُّهِينِ ۞ وَيَقُولُونَ مَقَىٰ هَلَاا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُو صَلِيقِينَ ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَلِيدَةً لَأَخُ لُهُمْ وَهُمْ يَخِصْمُونَ ۞ فَلَايِسْتَطِيعُونَ قَوْصِيَّةً وَلَا إِلَىٓ أَهْلِهِمْ يَحْعُونَ ٥ وَنُفِخَ فِ ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَّا يَهِمْ يَنْسِلُونَ و قَالُواْ يَنْ مُلْكَ امَّنْ بَعَشَكُ مِن مَرْقِدِ نَأُ هَلَنَا مَا وَعَدَ ﴾ الزَّخَلُ وَصَدَقَ ٱلمُتْرَسِلُونَ ۞ إن كَانْتَ إِلَّامَتِيْحَةً وَحِدَةً فَإِذَاهُمْ جَمِيعٌ لِلَّهِ يَنَا تُحْمَرُونَ ۞ فَالْتُومَ لَانْظَالُهُ الله من الله المُعْرَوْن إِلَّا مَا كُنتُرَقَت مَلُون ٥

الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

OZOGOW III KAROKA

فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن مَنْ عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونِعَمِهِ على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم [صنعة] الفلك [البحرية] الشراعية منها والنارية، والحوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، [والمراكب البرية] عما كانت الآية العظمي فيه لم توجد إلا في الذرية، نبَّه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: ﴿وآية لهم أنَّا حملنا ذريتهم في الفلك المسحون ﴿ أي: المملوء ركباناً وأمتعة .

فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من

أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولاإلى أهلهم يرجعون﴾ أي: ودليل لهم وبرهان، على أن الله وحده المعبود، لأنه المنعم بالنعم، الصارف للنقم، الذي من جملةً نِعَمِهِ ﴿ أَنَّا حَلْنَا ذُرِيتُهُم ﴾ قال كثيرٌ من المفسرين: المراد بذلك: آباؤهم. ﴿وخلقنا لهم﴾ أي: للموجودين من(١١) بعدهم ﴿من مثلهِ﴾ أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه ﴿ما يركبون به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن، لأن النعمة عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكل المواضع على في التفسير، فإن ما ذكره كثيرٌ من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإيهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يأباه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وثَمَّ احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية [بني] آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ إن أريد: وخلقنًا من مثل ذلك الفلك، أى: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريراً

فإن أريد بقوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضاً ، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: وآية لهم أنّا حملناهم في الفلك الشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، إلا أن يقال: لها﴾ [أي: دائماً تجرى لمستقر لها] قدَّره الله لها، لا تتعداه، ولا تُقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة ألله تعالى. ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ الذي بعزته دبّر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. ﴿العليم﴾ الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم.

﴿والقمر قدرناه منازل﴾ ينزل سا، كل ليلة ينزل منها واحدة، ﴿حتى﴾ يصغر جداً، فيعود ﴿كالعرجون القديم أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش وصغر حجمه وانحني، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئاً فشيئاً، حتى يتم [نوره] ويتسق ضياؤه.

﴿وَكُلُّ مِن الشَّمِسِ وَالقَّمِرِ ، والليل والنهار، قدره [الله] تقديراً لا يتعداه، وكلُّ له سلطان ووقت، إذا وجمد عمدم الآخر، ولمهمذا قمال: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي: في سلطانه الذي هو الليل، فلا يمكن أن توجد الشمس في الليل، ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه، ﴿وكلُّ من الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلكِ يسبحون﴾ أي: يترددونْ على الدوام، فكل هذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على عظمة الخالق وعظمة أوصافه، خصوصاً وصف القدرة والحكمة والعلم في هذا

﴿ ٤١ ـ • ٥ ﴾ ﴿ وآية لهم أنا حملنا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. ذريتهم في الفلك المسحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون * وإن نشأ تغرقهم فلأصريخ لهم ولأهم ينقدون * إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين * وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون * وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروأ للذين آمنوا أنطعم من لويشاء الله

إِنَّ أَصْحَلَ ٱلْجُنَّةِ ٱلْمُوْمَ فِي شُعُلُ فَلَكِهُونَ ﴿ هُمْ وَأَزْوَنَجُهُمْ فِي ظِلَاعَلَى ٱلْأَزْآمِكِ مُتَكِوْنَ ﴿ لَمُتَهْفِيهَا فَلَكُهَةً وَلَكُم مَّايِدَاً عُونَ ۞ سَلَكُمْ قَوْلَا مِن زَبْ زَجِيهِ ﴿ وَاسْتَدُواْ ٱلْيَعْ آلِيُّهَا الْجَيْوِتِ ﴿ • ٱلْرَاعْمَدُ إِلَيْكُمْ يَبَنَ عَادَمَ أَنْ لَاتَعْمُدُوا الشَّيْعَانِّ التَّمْلَكُمْ عَدُوَّتُسِينُ ٥ وَأَن اعْدُونِ هَا ذَا مِن هَا اللهِ مَرْطُ مُسْتَقِيدُ ١ وَلَقَدُ أَمْلَ مِنْ وَ حِلَاكِتُمْ أَلْمَاتَكُونُواْ مَعْقِلُونَ ۞ هَاذِهِ جَهَذُ الِّي كُنتُونُونَ فَيَعَدُونَ ﴿ أَصْلَوْهَا ٱلْوُمْ مَا أَنْتُهُ تَكُفُّهُ وَنَ ۞ ٱلَّذِي غَفِيتُهُ عَلَى أَفَوْهِ هِ مُودَةُ كَلِمُنَا أَلِدُ بِهِ مُوفَقَّهُمُ أُ أَرْجُلُهُمْ مِاكَافُوا يَكْمِبُونَ ۞ وَلَوْلَمُنَالَهُ لَعَلْمَسُنَا عَلَنَا أَعْيُنَ وَمُ فَاسْتَنَقُوا ٱلصِّرَطَ فَأَنَّى يُعِيمُونَ ﴿ وَتُولَشَكَهُ لتَسَخَنَعُزَعَلَى مَسِكَ النِهِمْ فَأَ أَسْتَطَلَعُ أَعْنِينًا وَأَيْرَحِعُونَ ﴿ وَمَن نُمُكِيِّرَهُ لُنُكِيِّتُهُ فِي آكِنَا فَي آلَكُ لِيَمْ عِلُونَ ﴿ وَمَاعَلَّتَنَكُ ٱلشِّعْرَوَمَا يَنْبَعِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُوَوْرَا أَنْفِينَ إِنْدِدَمَن كَانَ حَيَّا وَيَقِ الْعَوْلُ عَلَى الْكَافِينَاتِ

الغرق، و [لهذا] نبههم على نعمته عليهم حيث (۱) أنجاهم مع قدرته على ذلك، فقال: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ أي: لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة، ولا يزيل عنهم المشقة، ﴿ولا هم يُنقَدُون﴾ عما هم فيه، ﴿إلا رحمة منّا ومتاعاً إلى حين حيث لم نغرقهم، لطفاً بهم، وقتيعاً لهم إلى حين، لعلهم يرجعون، أو يستدركون ما فرط منهم.

﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أي: من أحوال البرزخ والقيامة، وما في الدنيا من العقوبات ﴿لعلكم ترحمون ﴾ أعرضوا عن ذلك، فلم يرفعوا به رأساً، ولو جاءتهم كل من آيات رجم إلا كانوا عنها معرضين ﴾ . وفي إضافة الآيات إلى رجم، دليل على كمالها ووضوحها، لأنه ما أبين من آية من آيات الله، ولا أعظم بياناً .

وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

﴿وَإِذَا قَسِيلٌ لَهُ مَ أَنْفَقُوا عُمَا رزقكم الله أي: من الرزق الذي من به الله عليكم، ولو شاء لسلبكم إياه، ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾

معارضين للحق، محتجين بالمشيئة: ﴿أَنْطِعِمُ مَنْ لو يشاء الله أطعمه إن أنتم﴾ أيها المؤمنون ﴿إلاّ في ضلال مين﴾ حيث تأمر وننا بذلك.

وهذا ممآيدل على جهلهم العظيم، أو تجاهلهم الوخيم، فإن المشيئة ليست حجة لعاص أبداً، فإنه وإن كان ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فإنه تعالى مكن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختياراً منهم، لا جبراً لهم وقهراً.

﴿ويقولون﴾ على وجه التكذيب والاستعجال: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ قال الله تعالى: ﴿ مستعدوا ذلك، فإنه [عن] قريب ﴿ما ينظرون إلاّ صيحة واحدة﴾ أي: تصيبهم ﴿وهم يخصمون﴾ أي: وهم لاهون عنها، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي وإذا أخذتهم وقت غفلتهم، فإنهم ﴿ فلا يستطيمون توصية ﴾ أي: لا قليلة ولا كثيرة ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾

﴿ ٥ - ٤ 0 ﴾ ﴿ ونفخ في الصور في إذا هم من الأجداث إلى ربّهم مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما نفخة الفزع والموت، وهذه نفخة البعث من الأجداث والقبور، ينسلون إلى من الأجداث والقبور، ينسلون إلى ربهم، أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من التأيّ والتأخر، ويظهرون الحسرة والندم، ويقولون: ويظهرون الحسرة والندم، ويقولون:

﴿يا ويلنا مَنْ بعثنا من مرقدنا ﴾ أي: من رقدتنا في القبور، لأنه ورد في بعض الأحاديث، أن لأهل القبور رقدة قبيل النفخ في الصور، فيجابون، فيقال [لهم:] ﴿هذا ما وعد الرحمن وعدكم الله به، ووعدتكم به الرسل، فظهر صدقهم رأني عين.

ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن في هذا.

وإن كانت البعثة من القبور وإلا صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور، فتحيا الأجساد، وفإذا هم جميع لمدينا مخضرون الأولون والآخرون، والإنس والجن، ليحاسبوا على أعمالهم.

﴿فاليوم لا تظلم نفسٌ شيئاً﴾ لا ينقص من حسناتها، ولا يزاد في سيئاتها، ﴿ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ من خير أو شر، فمَنْ وجد خيراً فليحمد الله على ذلك، ومَنْ وجد غير ذلك فلا يلومنٌ إلا نفسه.

وه _ ٨٥ ﴾ ﴿إِنَّ أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يذعون * سلام قولاً من رب رحيم إلا ذكر تعالى] أن كل أحد لا يجازى إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ بجزاء أهل الجنة، وأخبر أنهم في ذلك اليوم ﴿في شغل فاكهون﴾ أي: في شغل مفكه للنفس، مُلِدٌ لها، من كل ما تهواه النفوس، وتلذه العيون،

ومن ذلك افتضاض العذارى الجسميلات، كما قال: ﴿هم وأزواجهم﴾ من الحور العين، اللاتي قد

جمعن حُسن الوجوه والأبدان وحُسن الأخلاق. ﴿في ظلال على الأراثك﴾ أي: على السبرر المزينة باللباس المزخرف الحسن. ﴿مَتَكِنُونَ على عليها، اتكاء على كمال الراحة والطمأنينة واللذة.

﴿لهم فيها فاكهة﴾ كثيرة، من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ﴿ولهم ما يدعون﴾ أي: يطلبون، فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه.

ولهم أيضاً ﴿سلام﴾ حاصل لهم ﴿من رب رحيم﴾ ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: ﴿قولا﴾ وإذا سلم عليهم البرب الرحيم، حصلت لهم السلامة من جيع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، وما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل الرحيم، فلا يسخط عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك.

فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

﴿٥٩ ـ ٧٧﴾ ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون * ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون # اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون * اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون * ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّي يبصرون * ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولأ يرجعون﴾ لما ذكر تعالى جزاء المتقين، ذكر جزاء المجرمين ﴿وَ﴾ أنهم يقال لهم يوم القيامة ﴿استازوا اليوم أيها

المجرمون﴾ أي: تميزوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة، ليوبخهم ويقرعهم على رؤوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار، فيقول لهم: ﴿أَلَّمُ أَعَهَدُ إِلَيْكُمْ﴾ أي: آمركم وأوصيكم، على ألسنة رسلي، [وأقول لكم:] ﴿ يَا بِنِي آدِم أَنْ لا تعبدوا الشيطان ﴾ أي: لا تطيعوه؟ وهذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي، لأنهآ كلها طاعة للشيطان وعبادة له، ﴿إنه لكم عدوً مبين﴾ فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه، ﴿و﴾ أمرتكم ﴿أَن اعبدوني﴾ بامتثال أوامري وترك زواجري، ﴿هذا﴾ أي: عبادق وطاعتي، ومعصية الشيطان ﴿صراط

مستقيم العلوم الصراط المستقيم

وأعماله ترجع إلى هذين الأمرين، أي:
فلم تحفظوا عهدي، ولم تعملوا
بوصيتي، فواليتم عدوكم، ف فأضل
منكم جبلاً كثيراً في: خلقاً كثيراً.
فأفلم تكونوا تعقلون أي: فلا كان
ووليكم الحق، ويزجركم عن اتخاذ
أعدى الأعداء لكم ولياً، فلو كان لكم
عقل صحيح لما فعلتم ذلك، فإذ أطعتم
الشيطان، وعاديتم الرحمن، وكذبتم
بلقائه، ووردتم القيامة دار الجزاء،
وحق عليكم القول بالعذاب ف فهذه

ثم يكمل ذلك، بأن يؤمر بهم إلى النار، ويقال لهم: ﴿اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون﴾ أي: ادخلوها على وجه تصلاكم، ويحيط بكم حرها، ويبلغ منكم كل مبلغ، بسبب كفركم بآيات الله، وتكذيبكم لرسل الله.

جهنم التي كنتم توعدون، وتكذبون

بها، فأنظروا إليها عياناً، فهناك تنزعج

منهم القلوب، وتزوغ الأبصار،

ويحصل الفزع الأكبر .

قال الله تعالى في بيان وصفهم الفظيع في دار الشقاء: ﴿اليوم نختم على أفواههم ﴿ بأن نجعلهم خرسا فلا يتكلمون، فلا يقدرون على إنكار ما عملوه من الكفر والتكذيب. ﴿ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما

كانوا يكسبون أي: تشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوه، وينطقها الذي أنطق كل شيء.

ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نُذهِبَ أبصارهم، كما طمسنا على نطقهم. ﴿فاستبقوا الصراط ﴾ أي: فبادروا إليه، لأنه الطريق إلى الوصول إلى الجنة، ﴿فاني يبصرون وقد طمست أبصارهم.

﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم ﴾ أي: لأذهبنا حركتهم ﴿فما استطاعوا مضياً ﴾ إلى الأمام ﴿ولا يرجعون ﴾ إلى ورائهم ليبعدوا عن النار. والمعنى: أن هؤلاء الكفار، حقت عليهم كلمة العذاب، ولم يكن بُدُّ من عقابهم.

وفي ذلك الموطن، ما ثم إلا النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما هؤلاء، فليس لهم عند الله عهد في النجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم، فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر. المقصود: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة.

ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون في الخلق أفلا يعقلون يقول تعالى: ومن نعمره فنكسه في الخلق أي: يعود إلى الحالة التي ابتدأ حالة الضعف، ضعف العقل، وضعف القوة. وأفلا يعقلون أن الآدمي ناقص من كل وجه، فيتداركوا قوتهم وعقولهم، فيستعملونها في طاعة ربهم.

﴿ ٢٩ _ ٧٠﴾ ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ﴾ ينزه تعالى نبيه محمداً ﷺ عمّا رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي لله أن يكون شاعراً، أي: هذا من

جنس المحال أن يكون شاعراً، لأنه رشيد مهتد، والشعراء غاوون، يتبعهم الخاوون، يتبعهم الشبه التي يتعلّق بها الضالون على رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقراً، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له، ﴿إِن هو إِلاَّ ذَكر وقرآن مبين﴾ أي: ما هذا الذي جاء به إلاَّ ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهى عن كل قبيح.

﴿ وقرآن مبين ﴾ أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدلً على أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك على رسوله.

﴿ لِينَدُر مَنْ كَانَ حِياً ﴾ أي: حي القلب واعيه، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية. ﴿ ويحق القول على الكافرين ﴾ لأنهم قامت عليهم به خجة الله، وانقطع احتجاجهم، فلم يبق لهم أدنى عذر وشبهة يُذُلُونَ بها.

يشكرون الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعاً خالياً من العبرة والفكرة.

و ٧٤ - ٥٧﴾ ﴿ واتخد او اسن دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴾ هذا بيان لبطلان آلهة المشركين، التي (١) اتخذوها مع الله في غاية العجز ﴿ لا يستطيعون نصرهم ﴾ ولا أنفسهم ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر له شرطان: ينصرونهم، الاستطاع، يبقي: هل يريد نصرة من الأمرين كليهما.

وُوهم لهم جند محضرُونَ ﴾ أي: محضرون هم وهم في العذاب، ومتبرىء بعضهم من بعض، أفلا تبرأوا في الدنيا من عبادة هؤلاء، وأخلصوا العبادة للذي بيده الملك والنفع والضر، والعطاء والمنع، وهو الولى النصير؟

﴿٧٦﴾ ﴿ فلا يحزنك تولهم إنّا نعلم ما يسسرون وما يعلنون ﴾ أي: فلا يحزنك يا أيها الرسول، قول المكذبين، والمراد بالقول: ما دل عليه السياق، كل قول يقدحون فيه في الرسول، أو فيما جاء به.

أي: فلا تشغل قلبك بالحزن عليهم ﴿إِنَّا نَعلَم ما يسرون وما يعلنون﴾ فنجازيهم على حسب علمنا بهم، وإلا فقولهم لا يضرك شيئاً.

وُلاك مَلكَ ﴿ أُولَم بر الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون *

أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلي وهو الخلاق العليم * إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون الآيات الكريمات، فيها [ذكر] شبهة منكرى البعث، والجواب عنها بأتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: ﴿أُولُم يُورَ الإنسان، المنكر للبعث والشاك فيه، أمراً يفيده اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه ﴿من نطفة ﴾ ثم تنقله في الأطوار شيئاً فشيئاً، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، ﴿فإذا هو خصيم مبين ﴾ بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعدما تفرق وتمزق، من باب أولى.

﴿وضرب لنا مثلاً﴾ لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق.

فسر هذا المثل [بقوله]: ﴿قال﴾ ذلك الإنسان ﴿مَنْ يحيي العظام وهي رميم﴾ أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعدما بليت وتلاشت.

هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً، لم يضرب هذا المثل.

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقال: ﴿قلْ يُحييها الذي أنشأها أوّل مرة﴾ وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علماً يقيناً لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أوّل مرة

⁽١) كذا في ب، وفي أ: الذي.

^{) ﴿} زيادة من هامش ب، ويبدو _ والله أعلم _ أن الشرطين هما: الاستطاعة والإرادة، وبقية كلام الشيخ ــ رحمه الله _ يدل على ذلك.

قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، ﴿وهو بكل خلق عليم﴾

هذا أيضاً دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى عيط بجميع غلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

ثم ذكر دليلاً ثالثاً ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون في فإذا أخرج [النار] الياسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلاً رابعاً فقال: ﴿أُوليسَ الذي خلق السماوات والأرض﴾ على سعتهما وعظمهما ﴿بقادر على أن يُخلق مثلهم﴾ أي: [أن] يعيدهم [بأعيانهم]. ﴿بلى قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. ﴿وهو الخلاق العليم ﴾ وهذا دليل خامسٌ، فإنه تعلى الخلاق، الذي حيع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه غلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات، فرد من أفراد [آثار] خلقه، ولهذا قال: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً ﴾ نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. ﴿أَنْ يقولُ له كن فيكونَ ﴾ أي: في الحال من غير تمانع.

﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ

فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: ﴿وإليه ترجعون﴾ من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.

تم تفسير سورة يس، فلله [تعالى] الحمد كما ينبغي لجلاله، وله الثناء كما يليق بكماله، وله المجد كما تستدعيه عظمته وكبرياؤه، وصلى الله على محمد وآله وسلم

تفسير سورة الصافات، وهي مكيــة

﴿١١١) ﴿ وبسم الله السرحين الرحيم والصافات صفاً * فالزاجرات زجراً * فالتاليات ذكراً * إنّ إلهكم لواحد * رت السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق * إنّا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظاً من كل شيطان مارد * لا يسمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحوراً ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب * فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنّا خلقناهم من طين لازب المذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام، في حال عبادتها وتدبيرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته، فقال: ﴿والصافات﴾ صفاً أي: صفوفاً في خدمة ربهم، وهمم الملائكة، ﴿فَالْرَاجِرَاتُ زَجْراً﴾ وهم الملائكة، يزجرون السحاب وغيره بأمر الله، ﴿ فَالْتَالِياتِ ذِكْرَاً ﴾ وهم الملائكة الذين يتلون كلام الله تعالى.

فلما كانوا متألهين لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه طرفة عين، أقسم بهم على ألوهيته فقال: ﴿إِنَّ إلهكم لواحد﴾ ليس له شريك في الإلهية، فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة.

﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق ﴾ أي: هو الخالق

أوَلَهُ يَرَوْا أَنَاخَلَقْنَ الْحُدِيمَا عِيلَتْ أَنْدِينَ ٱلْعَيْمَا فَهُمْ لَمَا مَلِكُونَ ۞ وَذَلَّنْهَا لَمُهُ فِينَهَا رَكُونُهُ مُ وَمِنْهَا يَأْكُ لُونَ @ وَلِمُنْمَ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشَكُرُونَ ﴿ وَأَغَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ عَالِمَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصَرَهُمْ وَهُمْ لَمُنْ جُندُ تُخْضَرُونَ ٥٠ فَلَا يَعَمُ الْكَ فَوَلَمُهُمُ إِنَّانَعْ لَهُ مَا يُسِرُّون كَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ أَوْلَرْ يَرَأَ لَانسَانُ أَنَا خَلَقَنَاهُ مِن نُطُفَةِ فَإِذَا هُوَ خَصِ يَرْمُ مِنْ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَنْكُ وَلَيْنَ خَلْقَ كُمُّ قَالَ مَن يُغِي ٱلْعِظْلَةَ وَهِي رَمِيدٌ ۞ قُلْ يُحِيدِهَا ٱلَّذِي ٓ أَنشَأَهَا أَفَلَ مَرَّةً وَهُوَيِكُ لِحَلَّى خَلْقِ عَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَازَا فَإِذَا أَنتُع يِّنَهُ تُوفِدُونَ ﴿ أَوَلَٰ اللَّهُ مَا لَذِي خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالأَرْضَ مِسَالِدٍ عَلَىٰ أَن يَعْلُقَ مِشْلَهُمُ مِنَالَ وَهُوَ أَعْسَلُمُ الْعَبِلِمُ ۞ إِثْمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرُادَ شَيْعًا أَن يَتُعُولَ لَمُكُن فَيْكُونُ ٥ الله فَسُنَحَنَ اللَّهِي بَيدِهِ مَلَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْيَوْتُرَجَّعُونَ ٥ المُعَالِمُ المُعَالِمُ المُعَالِمُ المُعَالِمُ المُعَالِمُ المُعَالِمُ المُعَالِمُ المُعَالِمُ المُعَالِمُ ا

لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها، فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها، فكذلك لا شريك له في الوهيته، وكثيراً ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، لأنه دال عليه. وقد أقربه أيضاً المشركون في العبادة، فيلزمهم بما(١١) أقروا به على ما أنكروه.

وخص الله المسارق بالذكر، لدلالتها على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فلهذا قال: ﴿إِنَّا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظاً من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظمتين:

إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرماً مظلماً لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.

والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب أمن كل جانب طرداً لهم، وإبعاداً عن استماع ما يقول الملأ الأعلى.

۲۷۰۱

بناز المنتقدة الترب نفرك فالقيات وكراك إنّ المنتقدة التقديدة الترب نفرك فالقيات وكراك إنّ المنتقدة التنقيدة والمؤين و تلقيتها و و المنتقدة التنقيدة التنقيدية التنقيدية التنقيدية التنقيدية المنتقدة الم

نَهُوَوَكِيهَ أَوْاَكُويَا طُهُونَ ۞ وَقَالُوالِغَوْلَتَا هَانَاقُواْ الْنِينَ هَنَاقِرُ الْفَسْلِ الْذِي كُشْرِيدِ ثُكُولِينَ۞ • المَشْرُوا الَّذِينَ طَلَمُوا فَازْقَتِهِمُهُمْ وَمَاكَا أَوْلِينَهُمُونِ ۞ مِن دُونِلُقَو فَاهْدُوهُمْ الْنُورِطِ الْتَجْرِيدِ ۞ وَشُؤْهُمْ إِنَّهُمْ سَتَعُلُونَ ۞ فَاهْدُوهُمْ الْنُورِطِ الْتَجْرِيدِ ۞ وَشُؤْهُمْ إِنَّهُمْ سَتَعُلُونَ ۞

TO TO THE WAY TO THE STATE OF T

﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي: دائم،

﴿ أَوْ مَا إِنَّا أَوْ أَوْلُونَ ﴿ قُلْ نَصَرُوا لَنَّهُ وَلَوْمُونَ ﴿ وَإِنَّا لِمِنْ

معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم. ولولا أنه [تعالى] استثنى، لكان ذلك دليلاً على أنهم لا يستمعون شيئاً أصلاً، ولكن قال: ﴿إِلاَّ مَنْ تَلقف من الخيطفَةَ﴾ أي: إلاَّ مَنْ تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة، ﴿فأتبعه شهابُ ثاقب﴾ تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مئة كذبة يروجونها فيكذبون معها مئة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء.

ولما بين هذه المخلوقات العظيمة قال: ﴿فاستفتهم﴾ أي: اسأل منكري خلقهم بعد موتهم، ﴿أهم أشد خلقاً﴾ أي: إيجادهم بعد موتهم، أشد خلقاً وأشق؟ ﴿أم من خلقنا﴾ من [هذه] للخلوقات؟ فلا بد أن يقروا أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

فيلزمهم إذا الإقرار بالبعث، بل لو رجعوا إلى أنفسهم وفكروا فيها، لعلموا أن ابتداء خلقهم من طين لازب، أصعب عند الفكر من إنشائهم بعد موتهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّا خلقناهم من طين لازب﴾ أي: قوي شديد كقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من

صلصالٍ من حماً مسنون).

﴿۲۱ _ ۲۱﴾ ﴿بِل عــجــبـتَ ويـــــخـــرون * وإذا ذكــــروا لا يــــذكـــرون * وإذا رأوا آيـــة يستسخرون * وقالوا إن هذا إلا سحر مبين * أُءِذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون * قل نعم وأنتم داخرون * فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون * وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذّبون ﴿ بل عجبتَ ﴾ يا أيها الرسول وأيها الإنسان، مِن تكذيب مَنْ كذَّب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب، لأنه مما لا يقبل الإنكار، ﴿و﴾ أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم ﴿يسخرون﴾ ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق.

وه من العجب أيضاً أنهم ﴿إِذَا وَكُرُوا﴾ ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه ﴿لا يذكُرُونَ﴾ ذلك، فإن كان جهلاً، فهو من أدلُ الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة، حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال، وإن كان تجاهلاً وعناداً، فهو أعجب وأغرب.

ومن العجب [أيضاً] أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة، وذكروا الآيات التي يخضع لها فحول الرجال وألباب الألباء، يسخرون منها ويعجبون.

ومن العجب أيضاً، قولهم للحق لما جاءهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سَحرٌ مِينَ﴾ فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقها.

ومن العجب أيضاً، قياسهم قدرة رب الأرض والسماوات، على قدرة الأدمي الناقص من جميع الوجوه، فقالوا استبعاداً وإنكاراً: ﴿ إِذَا مِنا وَكِنَا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون * أو آباؤنا

الأولون﴾

ولما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم (۱)، فقال: ﴿قل نعم﴾ ستبعثون، أنتم وآباؤكم الأولون ﴿وأنتم داخرون﴾ ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة الله.

﴿ فإنما هي زَجْرَةُ واحدة ﴾ ينفخ إسرافيل فيها في الصور ﴿ فإذا هم ﴾ مبعوثون من قبورهم ﴿ ينظرون ﴾ كما ابتدىء خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلاً، وفي تلك الحال، ينظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور.

﴿وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين﴾ فقد أقروا بما كانوا في الدنيا به يستهزؤون .

فيقال لهم: ﴿هذا يوم الفصل ﴾ بين العباد فيما بينهم وبين ربهم من الحقوق، وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق.

﴿ ٢٢ - ٢٦﴾ ﴿ احشروا الله نظموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إنهم مسؤولون * المحم لا تناصرون * بل هم اليوم ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون ﴾ أي: إذا أحضروا يوم القيامة، وعاينوا ما به يكذبون، ورأوا ما به يستسخرون، يؤمر بهم إلى النار، ما به يستسخرون، يؤمر بهم إلى النار، التي بها كانوا يكذبون، فيقال: ﴿ احشروا الذين ظلموا ﴾ أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي، ﴿ وأزواجهم ﴾ الذين من جنس عملهم، كل يُضم إلى مَنْ يجانسه في العمل.

﴿وما كانسوا يسعبَدُون *من دون اللّهِ من الأصنام والأنداد التي زعموها، فاجمعوهم جميعاً ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ أي: سوقوهم سوقاً عنيفاً إلى جهنم، وبعد ما يتعين أمرهم إلى النار، ويعرفون أنهم من أهل

(1)

مَالَكُةُ لِانْنَاصَهُونَ۞ بَلْ هُوَ ٱلْمَةُ مُسْتَسْلُهُ نَ ۞ وَأَقِيَّا يَسْنُهُ عَنْ بَعْضِ بَتَكَةَ لُونَ۞ قَالُوا إِنَّكُوكُتُ مُ تَأْوُنَنَا عَنِ ٱلْكِينِ ۞ قَالُوانِلَ لَوْتَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَنَاعَلَيْكُمْ مِن سُلْطَانًا ا لِكُنُتُمْ قَوْمَا طَلِغِينَ ۞ فَقَى عَلَيْنَا قَوْلُ رَيِّنَّا إِنَّا لَذَا يَقُونَ۞ فَأَغْوَيْنَكُو إِنَّاكُنَّاعَلِينَ ۞ فَإِنَّهُمْ يَوْمَهِ ذِفِي ٱلْعَنَابِ مُشْتِرَكُونَ ﴿ إِنَّا كُذَلِكَ مَنْعَلُوا فَجْمِينَ ۞ إِنَّهُمْ كَافُوا إِنَا قِلَ لَمْتُمْ لَآ إِلَّهُ إِلَّا لَا اللَّهُ يَسْتَكَبِّرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَيِّنَا لَتَارِكُواْ مَلِلَيْنَا لِشَاعِ يَجْمُونِ اللهُ عَلَيْهِ مَا يُحَقِّ وَصَلَّقَ ٱلْمُرْسِلِينَ۞ إِنَّكُو لَذَا يَقُوا ٱلْعَذَابِ ٱلأَلِيهِ ۞ وَمَا تُجَوَّوْنَ إِلَّامَا كُتُتُرْتَتُ مَلُونَ ۞ إِلَّامِكَادُ الدَوالْمُعْلَمِينَ ۞ أُولَلَمِكَ لَمُمْ رِنْقٌ مَعْلُومٌ ۞ فَرْكِمْ وَهُمْ مُكُرِّمُونَ۞ فِ جَنَّتِ النِّهِيرِ۞ عَلَى سُرُرِ مُنَقَابِ إِينَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِم يِكَأْمِرِ فِن مِّعِينِ ۞ بَيْعَنِكَةُ لَذُ وَلِلشَّلِينِينَ ۞ لَانِيهَا غَوْلُ وَلَا حُرِعَتْهَا يُنْزَفُونَ ۞ وَعِندَهُ فَيْصِرَتُ ٱلطَّرْفِيوِينَّ اللهِ اللهُ اللهُ

النصرنه، وأخذوا ذلك على أعهم، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، وتبين كذب مَنْ خالفهم، فلو قدر عدم مجيئه، وهم قد أخبروا به، لكان ذلك قادحاً في صدقهم.

وصدَّق أيضاً المُسلين، بأن جاء بما جاؤوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم مشرعهم.

ولما كان قولهم السابق: ﴿إِنَّا لذائقون﴾ قولاً صادراً منهم، يحتمل أن يكون صدقاً أو غيره، أخبر تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين، وهو الخبر الصادر منه تعالى، فقال: ﴿إِنكم لذائقوا العذاب الأليم﴾ أي: المؤلم الموجع، ﴿ووسا تجزون﴾ في إذاقة العذاب الأليم ﴿إِلاَ ما كنتم تعملون﴾ فلم نظلمكم، وإنما عدلنا فيكم؟

ولما كان هذا الخطاب لفظه عاماً، والمرادبه المشركون، استثنى تعالى المؤمنين فقال:

﴿و﴾ الحال أنه ﴿ما كان لنا عليكم من سلطان﴾ أي: قهر لكم على اختيار الكفر ﴿بِل كنتم قوماً طاغين﴾ متجاوزين للحد(١).

﴿ فحقَ علينا ﴾ نحن وإياكم ﴿ إِنَا لَذَاتُقُونَ ﴾ العذاب، أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في العقاب ﴿ ف الذلك ﴿ أَغُويناكم إِنَا كُنَا عَاوِينَ ﴾ أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الغواية، فاستجبتم لنا، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْهُمْ يُومِنَدُ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فِي العذاب مشتركون ﴾ وإن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم ، كما اشتركوا في الآخرة بجزائه ، ولهذا قال: ﴿ إِنّا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ ثم ذكر أن إجرامهم قد بلغ الغاية وجاوز النهاية ، فقال: ﴿ إِنْهُمْ كَانُوا إِذَا قَيِلُ لَهُمُ اللّهِ إِلاَ اللهُ كَانُوا إِذَا قَيِلُ لَهُمْ لا إِلَمْ إِلاَ اللهُ فَدَوا إِلَيْهَا ، وأمروا بترك إلهية ما سواه فدعوا إليها ، وأمروا بترك إلهية ما سواه فيستكبرون ﴾ عنها وعلى مَنْ جاء بها .

ويقولون معارضة لها: وأإنا وشرعهم. لتاركوا آلهتنا التي لم نزل نعبدها نحن ولما كاه وآباؤنا وله قول وشاعر مجنون لذائقون المنعنون محمداً على فلم يكفهم يكون صد عبده الله الإعراض عنه، بالقول النه ولا مجرد تكذيبه، حتى حكموا عليه الصدق والا بأظلم الأحكام، وجعلوه شاعراً تعالى، فقا بمنونا، وهم يعلمون أنه لا يعرف الأليم أي الشعبر والشعراء، ولا وصف تجزون في وصفهم، وأنه أعقل خلق الله، ما كنتم تع واغظمهم رأياً.

ولهذا قال تعالى، ناقضاً لقولهم: ﴿ يل جاء ﴾ مد ﴿ بالحق ﴾ أي: بحيثه حقّ، وما جاء به من الشرع والكتاب حق. ﴿ وصدق المرسلين ﴾ [أي: وبحيثه صدق المرسلين] فلولا بحيثه وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق، لئن جاءهم ليؤمنن به

دار البوار، يقال: ﴿وقفوهم ﴾ قبل أن توصلوهم إلى جهنم ﴿إنهم مسؤولون ﴾ عمّا كانوا يفترونه في الدنيا، ليظهر على رؤوس الأشهاد كذبهم وفضيحتهم.

فيقال لهم: ﴿ مالكم لا تناصرون﴾ أي: ما الذي جرى عليكم اليوم؟ وما الذي طرقكم لا ينصر بعضكم بعضاً، بعدما كنتم تزعمون في الدنيا، أن آلهتكم ستدفع عنكم العذاب وتغيثكم وتشفع لكم عند الله، فكأنهم لا يجيبون هذا السؤال، لأنهم قد علاهم الذل والصغار، واستسلموا لعذاب النار، وخضعوا وأبلسوا، فلم ينطقوا.

ولهذا قال: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾.

﴿٧٧ _ ٣٩ ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين * قالوا بل لم تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين * فُحقَ علينا قول ربنا إنّا لذائقون * فأغويناكم إنا كنا غاوين * فإنهم يومئذ في ٰ العذاب مشتركون * إنّا كذلك نفعل ا بالمجرمين * إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أءنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدّق المرسلين * إنّكم لذائقوا العذاب الأليم * وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون لل جعوا هم وأزواجهم وآلهتهم، وهدوا إلى صراط الجحيم، ووقفوا، فسئلوا، فلم يجيبوا، أقبلوا فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضاً على إضلالهم وضلالهم، فقال الأتباع للمتبوعين الرؤساء: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي: بالقوة والغلُّبة، فتضلُّونا، ولولا أنتم لكنا

﴿قالوا﴾ لهم: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ أي: ما زلتم مشركين، كما نحن مشركون، فأي: شيء فضلكم علينا؟ وأي: شيء يوجب لومنا؟

CESTED TO PERSONAL PROPERTY OF THE PERSONAL PR يَقُولُ أَهَ نَكَوَلَنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۞ أَهِ ذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظَلْمًا أَءِنَالَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَسْمُمَّظَلِعُونَ ۞ فَأَطَلَعَ فَرَوَاهُ فِي سَوَآءِ أَنْجَدِيدِ ۞ فَالَ تَالَيْهِ إِن كِدَتَ لَثُرُدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْسَمَةُ رَبْ لَكُتُ مِنَ الْخُصَرِينَ ﴿ أَفَا اَعَنُ يَيْسِينِ ﴿ إِلَّا مَوْتَلْنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا غَنُ يُعَلِّمِينَ ۞ إِنَّ هَاذَا لَمُوۤ ٱلۡفَوۡ ٱلۡفَظِيمُ ۞ لِيْشِلِ هَلَمْا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَلِيمُلُونَ ۞ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ ثُرُّكُ أَمَّ ثَبَيَّةً أَلْزَقُور ۞ إِنَّا جَعَلْنَهَا فِنْتَ لَلظَّالِمِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ ٱلْجَيْدِ، هُ طَلْعُهُ اكَأَنَّهُ وَءُوسُ الشَّيْطِينِ فَ فَإِنْ عُرّ لَآكِ لُونَ مِنْهَا فَالِتُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۞ ثُرَّ إِنَّ لَمُمْرَعَلَيْهَا لَشَوْنَا فِنْ جَيْدِ ﴿ ثُرَّ إِنَّ مَنْ جِعَهُ ذَلَا لَى ٱلْجَحِيدِ ﴿ إِنَّهُ مُ الْفُوا ءَابَآءَهُمْ مَنَالِينَ ۞ فَهُمْ عَلَنَّ اللَّهِمْ يُهُمَّعُونَ ۞ وَلَقَدْ صَلَّ قِلَهُ وَأَحْتُ ثُرَّا لَأَوْلِينَ ۞ وَلَقَدُ أَيْسَكُنَا فِيهِم مُّنذِيينَ ۞ فَانظُرْكَيْفَكَانَ عَلِقِبَةُ ٱلْمُنذَيِينَ۞ إِلَّاعِبَ ادَاللَّهِ الْمُتَعَلِّمِينَ ۞ وَلَقَدْ نَادَ نِنَا أُوَّ فَلَيْقِهَ ٱلْجِيبُونَ ۞ وَغَيْنَكُ وَأَهْلَمُونَ ٱلْحَدْرِ ٱلْعَظِيمِ ۞ A DESCRIPTION OF THE BEAR OF T

ينزفون * وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنّن بيض مكنون .

يقول تعالى: ﴿ إِلاَّ عَبِادَ اللهُ المخلصين فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم، لأنهم أخلصوا لله الأعمال، فأخلصهم، واختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه، ﴿أولئك لهم رزق معلوم) أي: غير مجهول، وإنما هو رزق عظيم جليل، لا يجهل أمره، ولا يبلغ كنهه، فسره بقوله: ﴿فُواكِهِ مِن جميع أَنُواعِ الفُواكِهِ التي تتفكه بها النفس، للذَّها في لونها وطعمها. ﴿وهم مكرمون﴾ لا مهانون محتقرون، بل معظمون مجلون موقرون، قد أكرم بعضهم بعضاً، وأكرمتهم الملائكة الكرام، وصاروا يدخلون عليهم من كل باب، ويهنّئونهم ببلوغ أهنأ الثواب، وأكرمهم أكرم الأكرمين، وجاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب والأرواح والأبدان، ﴿في جنات النعيم﴾ أي: الجنات التي النعيم وصفها، والسرور نعتها، وذَّلِكُ لما جمعته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وسلمت من كل مخل بنعيمها، من جميع المكدرات والمنغصات.

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضاً، أنهم على ﴿سرر﴾ وهي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية

الفاخرة، المزخرفة المجملة، فهم متكتون عليها على وجه الراحة والطمأنينة والفرح. ﴿متقابلين﴾ فيما بينهم، قد صفت قلوبهم ومجبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة وجوههم، تدل على تقابل قلوبهم، وتأدب بعضهم مع بعض، فلم يستدبره أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور والأدب ما دل عليه ذلك التقابل.

﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر.

وتلك الخمر، تخالف خر الدنيا من كل وجه، فإنها في لونها ﴿بيضاء﴾ من أحسن الألوان، وفي طعمها ﴿لذة للشاربين﴾ يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده، وأنها سالمة من غول العقل وذهابه ونزفه ونزف مال صاحبها، وليس فيها صداع ولا كدر، فلما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم، وعموم النعيم وتفاصيله داخلة في قوله: ﴿جنات النعيم﴾.

لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشتاق النفوس إليها، ذكر أزواجهم فقال: ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين اي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلاَّ به، وإمَّا لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضاً، يدل على قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، و [كل] هذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، وعبة بعضهم بعضاً، محبة لا يطمح إلى غيره، وشدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض

ولا تشاحن، وذلك لانتفاء أسبابه.

﴿ عـين ﴾ أي: حِسسان الأعين جيلاتها، ملاح الحدق، ﴿ كأنهن ﴾ أي: الحور ﴿ بيض مكنون ﴾ أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفاتهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كذر ولا شين.

﴿٥٠ _ ٦١ ﴾ ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم إني كان لى قريس * يسقول أإنك لمن المصدقين * أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون * قال هل أنتم مطلعون * فاطلع فرآه في سواء الجحيم * قال تالله إنَّ كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذّبين * إنّ هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون لما ذكر تعالى نعيمهم وتمام سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: ﴿إِنِّ كَانَ لي قرينٌ ﴾ في الدنيا ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به، و ﴿يقول﴾ لى ﴿أَإِنَّكُ لَمْنَ الْمُصَدَّقِينَ * أَإِذَا مَتِنَا وَكُنَّا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون﴾ أي: مجازون بأعمالنا؟ أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا فصرنا تراباً وعظاماً، أننا نُبعث ونُعاد، ثم نُحاسب ونُجازي بأعمالنا؟!!

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمناً مصدقاً، وهو ما زال مكذباً منكراً للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلتُ أنا إلى ما ترون من النعيم الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك أنه قد وصل إلى العذاب. فرها أنتم مطلعون لا ننظر إليه، فنزداد غبطة وسروراً بما نحن فيه، ويكون ذلك رَأْيَ عين؟ والظاهر من حال أهل الجنة، وسرور بعضهم

أحاط به .

﴿ لِمُثُلِّ هِذَا فِلْيَعِمِلِ الْعَامِلُونَ ﴾ فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس، والحسرة كل الحسرة، أن يمضي على الحازم وقت من أوقاته وهو غير مشتغل بالعمل الذي يقرب لهذه الدار، فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار؟!! (۲۲ – ۷٤ – ۱۵) ﴿أَذَلَكُ خِيرِ نَزَلاً أَمْ شجرة الزقوم * إنّا جعلناها فتنةُ للظالمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم *طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنهم لأكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إنّ لهم عليها لشوباً من حميم * ثم إنّ سرجعهم لإلى الجحيم * إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون * ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين * ولقد أرسلناً فيهم منذرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذّرين * إلاّ عباد الله المخلصين) ﴿أَذَلُكُ خَيرٌ ﴾ أي: ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة خير، أم العذاب الذي مكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب؟ فأى: الطعامين أولى؟ الذي وصف في الجنة ﴿أم ﴾ طعام أهل النار؟ وهو ﴿ شجرة الزقوم * إنّا جملناها فتنة ﴿ أَي: عذاباً ونكالاً ﴿للظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي. ﴿إنها شبجرة تخرج في أصل الجحيم) أي: وسطه، فهذا تخرجها، ومعدنها أشر المعادن وأسؤؤها، وشر المغرس يدل على شر الغراس وخسته، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به، وبما ذكر من صفة ثمرتها.

وأنها كد ﴿رؤوس السياطين﴾ فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، وما تفعل في أجوافهم وبطونهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل(٢٠).

فوقه؟ أم هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسماوات، وفرحوا بقربه، وتنعموا بمعرفته، واستروا برؤيته، وطربوا لكلامه؟

> ف ﴿قال﴾ له لائماً على حاله، وشاكراً لله على نعمته أن نجاه من كيده: ﴿تالله إن كدت لتردين﴾ أي: تهلكني بسبب ما أدخلت على من الشبه بزعمك، ﴿ولولا نعمة ربي ﴾ على أن ثبتني على الإسلام ﴿لكنت من المحضرين في العذاب معك ﴿أَفَمَا نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴿ [أي: يقوله المؤمن مبتهجاً بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة من العذاب استفهام بمعنى الإثبات والتقرير] أي: يقول لقرينه المعذب: أفتزعم أننا لسنا نموت سوي الموتة الأولى، ولا بسعست بسعسدهسا ولا

ببعض، وموافقة بعضهم بعضاً، أنهم

أجابوه لما قبال، وذهبوا تبعاً له،

للاطلاع على قرينه، ﴿فاطلع ﴾ فرأى

قرينه ﴿ في سواء الجحيم ﴾ أي: في

وسط العذاب وغمراته، والعذاب قد

وقوله: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدلٌ ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، ' والمسائل التي وقع فيها السزاع والإشكال.

ومن المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من أنكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير

فلما ذكر تعالى نعيم الجنة، ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة، مدحه، وشؤق العاملين، وحثِّهم على العمل، فقال: ﴿إِنَّ هذا لهو الفور العظيم الذي حصل لهم به كل خير، وكلُّ ما تهوى النفوس وتشتهى، واندفع عنهم به كل محذور ومكروه، فهل فوز يطلب

CALCULATOR TO CALCULATE TO THE PARTY OF THE وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتُهُ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿ وَتَرَكَّاعَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿ سَلَمُ عَلَىٰ فُرِجٍ فِي ٱلْعَلَمِينَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَحْرِى ٱلْمُصِّيدِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِمَا ٱلْقُهِينِينَ ﴿ ثُمَّ أَعْتُمَا ٱلْآخَوِينَ ﴿ • وَاتَ مِن شِيعَةِهِ - لَإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْجَآةَ رَبَّهُ بِقِلْبِ سَلِيبِ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ء مَأْذَاتَعَبُدُونَ ۞ أَبِفَكًا ءَالِمُهُ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ۞ فَمَاطَئُكُرُ رِبِ ٱلْعَلِمِينَ۞ فَعَلَى نَظْرَةُ فِي ٱلنَّجُومِ عَالِهَنِيمِ فَقَالَ أَلَا تَأْحُلُونَ ۞ مَالَكُو لَا تَطِعُونَ ۞ وَاخَ عَلَيْهِ مُضَمَّا بِٱلْيَهِينِ ۞ فَأَعِلُوا إِلَيْهِ رَفُونَ ۞ قَالَ أَتَعَبُدُونَ مَاتَفِيتُونَ۞ وَلَقَهُ خَلَقَكُمُ وَمَاتَعْتَلُونَ۞ قَالُوا اَبْتُوالْمُهُيُكِنَا فَأَلْقُوهُ فِي أَنْجِيهِ ۞ فَأَرَادُواْ بِعِيدِكَيْمًا جَعَلْتُهُمُ ۖ ٱلْأَسْفِلِينَ ﴿ وَقَالَ إِنَّ ذَاهِبُ إِلَّا رَبِّي سَيَعْدِينِ ﴿ رَبِّ حَبْ لِي مِنْ ٱلصَّلِيدِينَ ۞ فَبَشَّرْنَكُ مِثْلَامٍ حَلِيدٍ ۞ فَكَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّقَ قَالَ يَبُنَّ إِنْ أَرَى فِي ٱلْمُنَامِ أَنْ أَذْبَكُكُ فَأَعْلُتُ مَاذَاتَ رَبُّ قَالَ يِّنَا يَنَابَتِ اَفْعَلُمَا أُوْمَرُّ سَتَجِدُنَ إِن شَكَةُ القَدُمِنَ الصَّلِمِينَ ۞

ولهذا قال: ﴿فإنهم لأكلون منها فمالتون منها البطون، فهذا طعام أهل النار، فبئس الطعام طعامهم، ثم ذكر شرابهم فقال: ﴿ثم إن لهم عليها﴾ أي: على أثر هذا الطعام ﴿ للسوبا من حَيم اي: ماء حاراً، قد انتهى، كما قال ٰتعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ورسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ٠٠٠٠

DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF

﴿ثم إن مرجعهم ﴾ أي: مآلهم ومقرهم [ومأواهم] ﴿ لإلى الححيم ﴾ ليذوقوا من عذابه الشديد وحره العظيم، ما ليس عليه مزيد من الشقاء. وكأنه قيل: ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: ﴿إنهم ألفوا ﴾ أي: وجدوا ﴿ آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون في أي: يسرعون في الضلال، فلم يلتفتوا إلى ما دعتهم إليه الرسل، ولا إلى ما حذرتهم عنه الكتب، ولا إلى أقوال الناصحين، بل عارضوهم بأن قالوا: ﴿إنا وجدنا آباءنا

﴿ولقد ضل قبلهم ﴾ أي: قبل هـؤلاء المخاطبين (أكثر الأولين) وقليل منهم آمن واهتدى.

على أمة وإنَّا على آثارهم مقتدون﴾.

﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين

ما بين الحاصرتين زيادة من: ب، وما بعد الحاصرة الثانية شطب عليه فيها، ورأيت إبقاءه لعدم شطبه في: أ. (1)

كذا في: ب، وفي أ: معدن. **(Y)**

CELENTE .. SENDER SE فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَهُ لِلْحَدِنِ ﴿ وَنَدَيْنَهُ أَن نَالْتُرْهِمُ ﴿ مَدْ صَدَّقْتَ الرُّهُ سِنَّا إِنَّا كُلَّاكَ بَعَدِي الْعُسِينَ ۞ انَّ عَلَالَهُ ٱلْبِلَوُّا ٱلْدِينُ ۞ وَفَدَيْنَهُ بِذِيْعِ عَظِيمٍ ۞ وَرَحَتَ اعَلَيْهِ فِ ٱلْآخِينَ ۞ سَلَامُ عَلَى البَرْهِيمَ ۞ كَذَلِكَ غَنِي ٱلْخُسَيْنَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَيَشْرَبُنُهُ بِإِسْحُقَ بَيْتَ امِّنَ ٱلصَّلِيعِينَ ۞ وَيُزَكِّنَاعَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَقَّ وَمِن ذُرَّتَتِهِ حَا مُحْسِنٌ وَظَالِرٌ لِنَفْسِهِ عَمُينٌ ۞ وَلَقَدْ مَنَنَاعَلَى مُوسَى وَهَلُوونَ ١ وَيَغِيَّنَهُمَا وَقُومَهُمَامِنَ ٱلْكَزِبِٱلْسَالِمِ @ وَنَصَرَتَهُمْ مَكَانُواْهُمُ الْمَنْلِيدِينَ ۞ وَمَاتَيَنَهُمُ الْكِنْبُ ٱلْمُسْتَدِينَ ﴿ وَهَدَيْنَهُمَا الْمِرَطِ الْمُسْتَقِيدَ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِذِينَ ١٠ سَكُنْدُ عَلَى مُوسَوَل وَهَلرُونَ ١٤ إِنَّا كَنَالِكَ غَيْرِي ٱلْمُحْسِينِينَ ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبِهِ نَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَإِنَّا إِلْكَاسَ لِمَنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ مَا أَلَاتَتَقُونَ ۞ أَلَنْعُونَ بَعْ لَا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَلِقِينَ ۞ ٱللَّهُ رَيْكُمْ وَرَبَّ مَابَّ كُمُّ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ TONE TONE OF THE SECTION

ينذرونهم عن غيهم وضلالهم، ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ كانت عاقبتهم الهلاك والخزي والفضيحة، فليحذر هؤلاء أن يستمروا على ضلالهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.

ولما كان المنفَرون ليسوا(١) كلهم ضالين، بل منهم مَنْ آمن وأخلص الدين لله، استثناء الله من الهلاك فقال: ﴿إِلاَ عباد الله المخلصين﴾أي: الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم، فإن عواقبهم صارت حدة.

ثم ذكر أنموذجاً من عواقب الأمم المكذبين، فقال:

وقال: ﴿رَبُّ انصرنِ على القوم المفسدين﴾ فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: ﴿فَلَنِعْمَ المجيبون﴾ لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجّاه وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسناً مستمراً إلى وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، وهذه سُنّته تعالى في عصن إلى الخلق، وهذه سُنّته تعالى في حسب إحسانهم.

ودل قرله: ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ أن الإيمان أرفع منازل العباد، وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه، لأن الله مدح به خواص خلقه.

﴿٨٣ ـ ١١٣ ﴾ ﴿وإن من شيعته لإبراهيم الى آخر القصة، أي: وإن من شيعة نوح عليه السلام، ومَنْ هو على طريقته في النبوة والرسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدعاء، إبراهيم الخليل عليه السلام. ﴿إذْ جَاء ربه بقلب سليم من الشرك والشبه، والشهوات المانعة من تصور الحق والعمل به، وإذا كان قلب العبد سليماً، سلم من كل شر، وحصل له كل خير، ومن سلامته، أنه سليم من غش الخُلْقَ وحسدهم، وغير ذلك من مساوىء الأخلاق، ولهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه وقومه، فقال: ﴿إِذْ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون مذا استفهام بمعنى (٢) الإنكار، وإلزام لهم بالحجة.

﴿ إِفَكا آلهة دون الله تريدون ﴾ أي: أتميدون [من دونه] آلهة كذباً، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.

وما الذي ظننتم برب العالمين، من

النقص حتى جعلتم له أنداداً وشركاء.

فأراد عليه السلام أن يكسر أصنامهم ويتمكن من ذلك، فانتهز الفرصة في حين غفلة منهم لما ذهبوا إلى عيد من أعيادهم، فخرج معهم ﴿فنظر نظرة في النجوم * فقال إن سُقيم . في الحديث الصحيح: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: قوله: ﴿إِنِّ سَقِيمٍ ﴾ وقوله: ﴿ إِلَّ فَعَلَّهُ كبيرهم هذا﴾ وقوله عن زوجته «إنها أختى)، والقصد أنه تخلف عنهم، ليتم له الكيد بآلهتهم ﴿ فَ ﴾ لهذا ﴿ تُولُوا عَنْهُ ا مدبرين الله فلما وجد الفرصة، ﴿فراغ إلى الهتهم أي: أسرع إليها على وجه الخفية والمراوغة، ﴿ فَقَالَ ﴾ متهكماً بها ﴿ الا تأكلون * ما لكم لا تنطقون ﴾ أي: فكيف يليق أن تُعبد، وهي أنقص من الحيوانات التي تأكل أو تكلم؟ فهذه جماد لا تأكل ولا تكلُّم. ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾أي: جعل يضربها بقوته ونشاطه، حتى جعلها جذاذاً، إلا كبيراً لهم، لعلهم إليه يرجعون، ﴿ فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴾ أي: يسرعون ويهرعون، أي: يريدون أن يوقعوا به، بعدما بحثواً وقالوا: ﴿مَنْ فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين♦.

وقيل لهم: ﴿سمعنا فتي يذكرهم يقال له إبراهيم القول: ﴿تالله لأكيدنْ أصنامكم بعدأن تولوا مدبرين فوبخوه ولاموه، فقال: ﴿بِل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤوسهم لقدعلمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولايضركم الآية. و ﴿قال﴾ منا: ﴿أتعبدون ما تنحتون اي: تنحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم، وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص ش؟ الذي ﴿خلقكم وما تعملون * قالوا ابنوا له بنياناً ﴿ أِي: عالياً مرتفعاً، وأوقدوا فيها النار

﴿فَالْقُوهُ فِي الجَحِيمِ﴾ جزاء على ما فعل من تكسير الهتهم.

﴿فأرادوا به كيداً ﴾ ليقتلوه أشنع قتلة ﴿فجعلناهم الأسفلين ﴾ رد الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم برداً وسلاماً.

﴿وَ﴾ لما فعلوا فيه هذا الفعل، وأقام عليهم الحجة، وأعذر منهم، ﴿قال إني ذاهب إلى ربي﴾ أي: مهاجر إليه، قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشام. ﴿سيهدين﴾ يدلني إلى ما فيه الخير لي، من أمر ديني ودنياي، وقال في الآية الأخرى: ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾.

﴿رِبُّ هب لِي ﴾ ولذاً يكون ﴿من قومه الصالحين ﴾ وذلك عندما أيس من قومه ولم يرّ فيهم خيراً ، دعا الله أن يهب له وبعد مماته ، فاستجاب الله له وقال: ﴿فِيشِرناه بغلام حليم ﴾ وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك ، فإنه ذكر بعده البشارة [بإسحاق ؛ ولأن الله تعالى قال في بشراه بإسحاق ﴿فبشرناها] بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ فدل على أن إسحاق غير الذبيح ، ووصف الله إسماعيل عليه السلام ووسف الله إسماعيل عليه السلام الحلق ، وهو ينضمن الصبر ، والعفو عمن جنى .

بيني.

﴿ فلما بلغ ﴾ الغلام ﴿ معه السعي ﴾

أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنا يكون في الغالب أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنّ أَرى في المنام أني أذبحك ﴾ أي: قد رأيت في المنوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا(١) الأنبياء وحي، ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ فإن أمر الله تعلى لا بد من تنفيذه، ﴿ قال ﴾ إسماعيل صابراً محتسباً، مرضياً لربه، وباراً بوالده: ﴿ فيا أبتِ افعل ما تؤمر ﴾ أي: [امض] لما أمرك الله ﴿ مستجدن إن

شاء الله من الصابرين اخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى.

﴿فلما أسلما ﴾ أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازماً بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالاً لأمر ربه، وخوفاً من عقابه، والابن قد وطن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده، ﴿وتله للجبين ﴾ أي: تل إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه.

﴿وناديناه ﴾ في تلك الحال المزعجة ، والأمر المدهش: ﴿أَنْ يِا إِبِراهِيم * قد صَدَقت ﴾ أي: قد فعلت ما أمرت به ، فإنك وطّنت نفسك على ذلك ، وفعلت كل سبب ، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه ، ﴿إِنَّا كَذَلْكُ نَجْزِي المحسنين ﴾ في عبادتنا ، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم .

﴿إِن هذا﴾ الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام ﴿لهو البلاء المبين﴾أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبته لربه وخلته، فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حباً شديداً، وهو خليل الرحن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضى أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلماً تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفى وُدُّه ويختبر خلته، فأمره أن يذبح مَنْ زَاحم حبُّه حبُّ ربه، فلما قدّم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقى الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّ هذا لهو البلاء المين * وفديناه بذبح عظيم أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيماً من جهة أنه كان فداء لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قرباناً وسُنّة إلى يوم

القيامة .

﴿ وتركنا عليه في الآخرين * سلامٌ على إبراهيم ﴾ أي: وأبقينا عليه ثناء صادقاً في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام، فإنه [فيه] محبوب معظم مثنى عليه.

﴿سلام على إبراهيم ﴾ أي: تحيته عليه كقوله: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾.

﴿إِنَّا كذلك تجزي المحسنين ﴿ فِي عبادة الله ، ومعاملة خلقه ، أن نفرج عنهم الشدائد ، ونجعل لهم العاقبة والثناء الحسن .

﴿إِنه من عبادنا المؤمنين ﴾ بما أمر الله بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقين ﴾.

و (۱۱۲) و وربشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين هذه البشارة الثانية بإسحاق، الذي من وراثه يعقوب، فبشر بوجوده وبقائه، ووجود ذريته، وكونه نبياً من الصالحين، فهي بشارات متعددة.

﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق. ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين، أي: منهم الصالح والطالح، والعادل والظالم الذي تبين ظلمه بكفره وشركه، ولعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة، أن تكون الذرية كلهم عسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسناً وظالماً، والله أعلم.

﴿١١٤ _ ١٢٢) ﴿ ولقد مننا على

موسى وهارون إلى آخر القصة يذكر تعالى مئته على عبديه ورسوليه موسى وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى، ونجاتهما وقومهما من عدوهما أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومَنْ عليهما بسلوكه.

﴿وتركنا عليهما في الآخرين *
سلام على موسى وهارون اي: أبقى
عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين،
ومن باب أولى وأحرى في الأولين ﴿إِنَّا كذلك نجزي المحسنين * إنهما من عبادنا المؤمنن ﴾.

﴿١٢٣ ــ ١٣٣﴾ ﴿وإن إلياس لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون * أتسدعسون بسعسلأ وتسذرون أحسسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين * فكذبوه فإنهم لمحضرون * إلا عباد الله المخلصين * وتركنا عليه في الأخرين * سلام على إلَّ ياسين * إنا كذلك نجزي الحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ يمدح تعالى عبده ورسوله إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم صنماً لهم يقال له «بعل»، وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدرً عليهم النِّعَم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة الله مَنْ هذا شأنه، إلى عبادة صنم لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق ولا يىرزق، بىل لا يىأكىل ولا يتكلم؟!! وهل هذا إلاً من أعظم الضلال والسفه والغي؟!!

﴿فكذبوه ﴾ فيما دعاهم إليه، فلم ينقادوا له، قال الله متوعداً لهم: ﴿فإنهم لمحضرون ﴾ أي: يوم القيامة

في العذاب، ولم يذكر لهم عقوبة دنيوية. ﴿إِلاَ عباد الله المخلصين﴾ أي: الذين أخلصهم الله ومنَ عليهم باتباع نبيهم، فإنهم غير محضرين في العذاب، وإنما لهم من الله جزيل المثواب. ﴿وتركنا عليه﴾ أي: على إلياس ﴿في الآخرين﴾ ثناء حسناً، ﴿سلام على إلْ ياسين﴾ أي: تحية من الله ومن عباده عليه.

﴿إِنَّا كَذَلَكَ نَجِزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين﴾ فأثنى الله عليه كما أثنى على إخوانه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿ ١٣٣ _ ١٣٨ ﴾ ﴿ وإن لوطاً لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزاً في الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون ﴾ وهذا ثناء منه تعالى على عبده ورسوله لوط، بالنبوة والرسالة، ودعوته إلى الله قومه، ونهيهم عن الشرك وفعل الفاحشة، فلما لم ينتهوا، نجاه الله وأهله أجمعين، فسروا ليلاً فنجوا.

﴿إِلاَ عجوزاَ في الغابرين ﴾ أي: الباقين المعذبين، وهي زوجة لوط لم تكن على دينه. ﴿ثم دمرنا الآخرين ﴾ بأن قلبنا عليهم ديارهم ﴿فجعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴾ حتى همدوا وخدوا.

﴿وإنكم لتمرون عليهم ﴾ أي: على ديار قوم لوط ﴿مصبحين * وبالليل ﴾ أي: في هذه الأوقات يكثر ترددكم إليها ومروركم بها، فلم تقبل الشك والمربة. ﴿أَفُلا تَعْقَلُونَ ﴾ الآيات والعبر، وتنزجرون عمّا يوجب الهلاك؟

﴿ ١٣٩ ـ ١٤٨ ﴾ ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾ إلى آخر القصة. وهذا ثناء منه تعالى على عبده ورسوله يونس بن متى، كما أثنى على إخوانه المرسلين، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه، أنه عاقبه عقوبة دنيوية، أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة، فقال: ﴿ إِذَ أَبِقَ ﴾

أي: من ربه مغاضباً له، ظاناً أنه لا يقدر عليه، ويحبسه في بطن الحوت، ولم يذكر الله ما غاضب عليه، ولا ذنبه الذي ارتكبه، لعدم فائدتنا بذكره، وإنما فائدتنا بما ذُكِّرنا عنه أنه أذنب، وعاقبه الله مع كونه من الرسل الكرام، وأنه نجاه بعد ذلك، وأزال عنه الملام، وقيض له ما هو سبب صلاحه.

فلما أبق لجا ﴿إلى الفلك المشحون﴾ بالركاب والأمتعة، فلما ركب مع غيره، والفلك شاحن، ثقلت السفينة، فاحتاجوا إلى إلقاء بعض الركبان، وكأنهم لم يجدوا لأحد مزية في ذلك، فاقترعوا على أن مَنْ قرع وغلب، ألقي في البحر عدلاً من أهل السفينة، وإذا أراد الله أمراً هيا أسبابه.

فلما [اقترعوا] أصابت القرعة يونس ﴿فكان من المدحضين﴾ أي: المغلوبين، فألقي في البحر ﴿فالتقمه الحوت وهو﴾ وقت التقامه ﴿مليم﴾ أي: فاعل ما يلام عليه، وهو مغاضبته لربه.

﴿فلولا أنه كان من المسبحين أي: في وقته السابق بكثرة عبادته لربه وتسبيحه وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنّ كنتُ من الظالمن ﴾

﴿لَلَبَتُ في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ أي: لكانت مقبرته، ولكن بسبب تسبيحه وعبادته لله، نجّاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين عند وقوعهم في الشدائد. ﴿فنبذنه بالعراء﴾ بأن قذفه الحوت من بطنه بالعراء، وهي الأرض الخالية العارية من كل أحد، بل ربما كانت عارية من الأشجار والظلال. ﴿وهو سقيم﴾ أي: قد سقم ومرض، بسبب جبسه في بطن الحوت، حتى صار مثل الفرخ المعوط من البيضة.

﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ تظله بظلها الظليل، لأنها بادرة باردة الظلال، ولا يسقط عليها ذباب، وهذا من لطفه به وبره.

ثم لطف به لطفاً آخر، وامْتَنَّ عليه مِثَةً عظمى، وهو أنه أرسله ﴿إلى مئة الف﴾ من الناس ﴿أو يزيدون﴾ عنها، والمعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، فدعاهم إلى الله تعالى.

﴿فاَمنوا﴾ فصاروا في موازينه، لأنه الداعي لهم، ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ بأن صرف الله عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه، قال تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾.

﴿۱٤٩ ـ ۱۵۷﴾ ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون * أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون * آلا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وإنهم لكاذبون * أصطفى البنات على البنين * ما لكم كيف تحكمون * أفلا تذكرون * أم لكم سلطانً مبين * فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فاستفتهم ﴾ أي: اسأل المشركين بالله غيره، الذين عبدوا الملائكة، وزعموا أنها بنات الله، فجمعوا بين الشرك بالله ووصفه بما لا يليق بجلاله، ﴿أَلْرَبُكُ البنات ولهم البنون ﴿ أِي: هذه قسمة ضيزي، وقول جائر، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أردأ القسمين وأخسهما له وهو البنات التي لا يرضونهن لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون، ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم ىذلك .

قال تعالى في بيان كذبهم: ﴿أَم خَلَقْنَا المُلائكة إِنَاثاً وهم شاهدون﴾ خلقهم؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنهم قالوا ما شهدوا خلقهم، فدل على أنهم قالوا هذا القول بلا علم، بل افتراء على الله، ولهذا قال: ﴿أَلا إِنهم من إِفْكَ هَمَا اللهِ عَلَى اللهُ مِنْ اللهِ عَلَى الله على اله على الله على الله على الله على الله ع

﴿ليقــولــون * ولــد الله وإنهــم لكاذبون﴾

﴿أصطفى﴾ أي: اختار ﴿البنات على البنين * ما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الجائر ﴿أفلا تذكرون﴾ وتميزون هذا القول الباطل الجائر، فإنكم لو تذكرتم لم تقولوا هذا القول. ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أي: حجة ظاهرة على قولكم، من كتاب أو

وكل هذا غير واقع، ولهذا قال: ﴿فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين﴾ فإن مَنْ يقول قولاً لا يقيم عليه حجة شرعية، فإنه كاذب متعمد، أو قائل على الله بلا علم.

﴿ ١٦٨ - ١٦٨ ﴾ ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون * سبحان الله عما أي: جعل هؤلاء المشركون بالله بين الله وبين الجنة نسباً، حيث زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم سروات الجن، والحال أن الجنة قد علمت أنهم محضرون بين يدي الله، وليجازيهم] عباداً أذلاء، فلو كان بينهم وبينه نسب لم يكونوا(١) كذلك.

﴿سبحان الله الملك العظيم، الكامل الحليم، عمّا يصفه به المشركون من كل وصف أوجب كفرهم وشركهم.

﴿ إِلاَ عباد الله المخلصين ﴾ فإنه لم ينزه نفسه عمّا وصفوه به، لأنهم لم يصفوه إلا بما يليق بجلاله، وبذلك كانوا مخلصين.

﴿١٦١ - ١٦١﴾ ﴿فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم﴾ أي: إنكم أيها المسركون ومَنْ عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً، إلا مَنْ قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهى، والمقصود من

اللَّذَيْوُهُ وَإِنَّهُ مُرَلَّمُ حَضَّرُونَ ۞ إِلَّاءِبَ لَاللَّهِ ٱلْخُلَصِينَ ۞ وَتَرَكَنَاعَلَيْهِ فِي ٱلْآخِينَ ۞ سَلَمُعَلَىٓ إِلْهَاسِينَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَحْذِي ٱلْمُحْسِينِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِسَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ لُوطًا لِّمِنَ الْتُرْسَلِينَ ۞ إِذْ نَجَيَّنَـٰكُهُ وَأَهْلَهُۥوَأَجْمَعِينَ ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْمَايِينَ ﴿ ثُرَّدَتَمَا ٱلْآَفِينَ ۞ وَالَّكُرُ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِعِينَ ۞ وَيِٱلْيُلِ أَفَلَا تَعْقِلُوكَ۞ وَإِذَ يُونُشَ لَمِنَ لَكُرْسَكِينَ ۞ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْشُعُونِ۞ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْدُحَينِينَ ۞ فَالْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَمُلِيتُمُ ﴿ فَلُولاً أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَيِّحِينَ ﴿ لَيْتَ فِي بَطْنِهِ مَ إِلَّ يَوْمِ يُبَعَثُونَ ﴿ • فَنَبَذْنَهُ بِٱلْمَدَرَّةِ وَهُوَسَقِيمٌ ۞ وَأَبْلَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينِ ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَّا مِأْنُهُ أَلْبِ أُوِّيزِيدُونَ ﴿ فَامْتُواْ فَتَغَنَّا هُمُ إِلَّاحِينِ ۞ فَأَسْتَفْتِهِمْ ٱلرَّبِكَ الْتِنَاتُ وَلِمُوالْبِنُونَ ﴿ أَمْخَلَقْنَ الْكُلَّبِكَةَ إِنْفَاوَهُمْ السُّهُ دُونَ ﴿ أَلَّا إِنَّهُ مُعَنَّ إِفْكِهِمْ لَيَعُولُونَ ﴿ وَلَدَّالَّمَهُ أُ وَانَّهُمُ لَكَانِهُونَ ۞ أَمْمَافَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَيْنَ ۞ ON TON WINDS EN

هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين.

﴿ ١٦٦_ ١٦٢﴾ ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن الصافون * براءة الملائكة عليهم السلام عمّا قاله فيهم المشركون، وأنهم عباد الله، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام وتدبير قد أمره الله به، لا يتعداه ولا يتجاوزه، وليس لهم من الأمر شيء.

﴿ وَإِنَّا لَنحن الصَّافُون ﴾ في طاعة الله وخدمته ﴿ وَإِنَّا لَنحن المسبّحون ﴾ لله عما لا يليق به. فكيف _ مع هذا _ يصلحون أن يكونوا شركاء ش؟! تعالى الله.

﴿ ١٩٢ ـ ١٩٢﴾ ﴿ وإن كانوا ليقولون * لو أن عندنا ذكراً من الأولين * لكنا عباد الله المخلصين * فكفروا به فسوف يعلمون * ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون * فتول عنهم حتى حين ﴾ إلى آخر السورة. يخبر تعالى أن هؤلاء المشركين يظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب ما جاء

(1)

مَالِكُوكَيْتَ تَعَكُّمُونَ ﴿ أَلَلَانَذَكُّرُونَ ﴿ أَمْلُكُم مُنْطَلَدُمُ مُّيِنُّ ۞ فَأَقُواْ بِكِنَيْكُمُ إِن كُ تُرْصَادِ قِينَ ۞ وَتَعَلُّواْ يُقِنَّهُ وَيَن آلِهُنَّ الْمُنْ الْمُتَا وَلَقَدَ عُلِمَتِ ٱلْمِنْ أَلْمُنْ لَكُمْ مَلَكُمْ مُرُونَ سُبْحَنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِعُونَ ۞ إِلَّاعِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْخُلُصِينَ ۞ فَإِنَّكُمُ وَمَاتَقَبُدُونَ ۞ مَآ أَشَرُعَلَيْهِ بِفَلِيِّينَ ۞ إِلَّامَنْ فُوصَالِأَجْيَمِ @وَمَامِنَا إِلَّا لَهُمَعَامٌ مَعَلُومٌ ۞ وَانَا لَتَحَدُّ الصَّافُونَ ۞ وَإِنَّا لَغَنَّ لَلْسُيَحُونَ ۞ وَلِذَكَافُواْ لَيَغُولُونَ ۞ لَوَأَنَّ عِندَنَا ذِكُرُا يَنَ ٱلْأَوَٰلِينَ۞ ٱلْكَاْعِبَادَامُوالْخُلُصِينَ۞ مَكَفَرُوٰلِيَّةِ فَسَوْفَ يَعْلَوْنَ @وَلَقَدْسَبَقَتَ كَلِمُنْالِعِيَادِنَا الْمُرْسِلِينَ ﴿ إِنَّهُمْ لَمُثُولِنَا مُعْمُورُونَ @ وَانَّجُندَا لَمُتُوالْفِلُونَ ۞ فَوَلْ عَنْهُ مُرَحَيٌّ عِيدر وَأَتِعِيرُهُرُ فَسَوْفَ يُبْعِيرُونَ ﴿ أَفِيعَذَا إِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۞ فَإِذَا لَلْ إِسَاحَهِمْ فَسَلَةَ مَسَبَاحُ لَلْنُدُوعِنَ ﴿ وَقُولًا عَنْهُمْ حَقَّ إِحِينِ ﴿ وَأَيْمِهِ رَفَتُوْفَ يُبْعِيرُونَ ۞ سُبْحَنَ زَيْكِ رَبِ ٱلْحِنَةِ عَمَا يَصِغُونَ وَسَلَامُ عَلَى النَّرْسَلِينَ ﴿ وَالْحَسْدُ فِعْوِرَتِ الْعَالَمِينَ ﴿ المُعْرِينَ وَالْمُعْرِينَ وَلَّهِ وَلَيْنِ وَالْمُعْرِينَ وَالْمُعِينَ وَالْمُعْرِينَ وَالْمُعِينَ وَالْمُعْرِينَ وَالْمُعِينَ وَالْمُعِلَى وَالْمُعِينَ وَالْمُعِينَ وَالْمُعِينَ وَلِمُعِينَ وَالْمُعِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِلَى وَالْمُعِلَى وَالْمُعِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِينَ وَالْمُعِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِلِيلُ وَالْمُعِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُعِلِينَ وَالْمُع TO NOTE OF LONG OF STREET

الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكنا المخلصين على الحقيقة.

وهم كَذَبة في ذلك، فقد جاءهم أفضل الكتب فكفروا به، فعلم أنهم متمردون على الحق، وفسوف يعلمون العذاب حين يقع بهم، ولا يحسبوا أيضاً أنهم في الدنيا كالبون، بل قد سبقت كلمة الله التي المرسلين وجنده المفلحين، أنهم المغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم نصراً عزيزاً، يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة، وقاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور.

ثم أمر رسوله بالإعراض عمن عاندوا ولم يقبلوا الحق، وأنه ما بقي إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، ولهذا فال : ﴿وَابِصرهم فسوف يبصرون﴾ من يحل به النكال، فإنه سيحل بهم. ﴿فَإِذَا نَوْلُ بِسَاحِتُهُم ﴾ أي: نول عليهم، وقريباً منهم ﴿فَسَاء صباح المنذرين﴾ لأنه صباح الشر والعقوبة والاستنصال. ثم كرّر الأمر بالتّولي عنهم، وتهديدهم بوقوع العذاب.

ولما ذكر في هذه السورة كثيراً من

أقوالهم الشنيعة التي وصفوه بها، نزه نفسه عنها فقال: ﴿سبحان ربك﴾ أي: آي: آي: آي: آكي: الغِزَّةِ ﴿ [أي:] الذي عز فقهر كل شيء، واعتز عن كل سوء يصفونه به، ﴿وسلامُ على المُرْسَلِينَ ﴾ لسلامتهم من الذنوب والآفات، وسلامة ما وصفوا به فاطر الأرض والسماوات.

﴿والحمد لله رب العالمين﴾ الألف واللام للاستغراق، فجميع أنواع الحمد من الصفات الكاملة العظيمة، والأفعال التي ربى بها العالمين، وأدرً عليهم فيها النّعَم، وصرف عنهم بها النقم، ودبرهم تعالى في حركاتهم وسكونهم، وفي جميع أحوالهم، كلها لله تعالى، فهو المقدس عن النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب المعظم، ورسله سالمون مسلم عليهم، المعظم، ورسله سالمون مسلم عليهم، الدنيا والآخرة. [وأعداؤه لهم الهلاك والعطب في الدنيا والآخرة.

تسم تفسير سبورة الصافيات

في ٢ شوال سنة ١٣٤٣ هـ على يد جامعه وكاتبه: عبد الرحن بن ناصر السعدي وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المجك السابع من تيسير الكريم المنان في تفسير آيات القرآن لجاممه: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الك السعدي غفر الله له ولواليه وجميع المسلمين

تفسیر سورة ص وهي مکية

﴿١٠١﴾ ﴿بسم الله السرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذكر * بل الذين كفروا في عزة وشقاق * كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص * وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجابٌ * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا

لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يلذوقوا علداب * أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب * أم لهم ملك السماوات والأرض ومابينهما فليرتقوا في الأسباب * جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب مذا بيان من الله تعالى لحال القرآن، وحال المكذبين به معه ومع مَنْ جاء به، فقال: ﴿ص والقرآن ذِي الذُّكُر﴾ أي: ذي القدر العظيم والشرف، الْمُذَكِّر للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكّر لهم في أصول دينهم وفروعه.

وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهبو هذا البقبرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تَلقيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه.

فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون به وبمن أنزله، وصار معهم الكافرون به وبمن أنزله، وصار معهم الإيمان به، واستكبار وشقاق له، أي: مشاقة ومخاصمة في رده وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به.

فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسل، وأنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا واستغاثوا في صرف العذاب عنهم ولكن ﴿لات حين مناص﴾ أي: وليس الموقت وقت خلاص مما وقعوا فبه، ولا فرج لما أصابهم، فليخذر هؤلاء أن يدوموا على عزتهم وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم.

﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي: عجب هؤلاء الكذبون في أمر ليس محل عجب، أن جاءهم منذر منهم، ليتمكنوا من التلقي عنه، وليعرفوه حتى المعرفة، ولأنبه من قومهم، فلا تأخذهم النخوة القومية عن اتباعه، فهذا مما يوجب الشكر عليهم، وتمام الانقياد له.

ولكنهم عكسوا القضية، فتعجبوا

تعجب إنكار وقالوا من كفرهم وظلمهم: ﴿هذا ساحِر كذَّابٌ ﴾ وذنبه _عندهم _أنه ﴿أَجَعَلَ الآلهَةَ إلها واحداً ﴾ أي: كيف ينهي عن اتخاذ الشركاء والأنداد، ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده. ﴿إِن هذا ﴾ الذي جاء به ﴿لشيء عُجَابٌ ﴾ أي: يقضى منه العجب لبطلانه وفساده. ﴿وانطلق الملا منهم المقبول قولهم، محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك. ﴿أن امشوا واصبروا على <u>الهتكم</u>♦أي: استمروا عليها، وجاهدوا نفوسكم في الصبر عليها وعلى عبادتها، ولا يردكم عنها راد، ولا يصدنكم عن عبادتها صاد. ﴿إن هذا ﴾ الذي جاء به محمد، من النهى عن عبادتها ﴿لشيء يُسرَادُ اللهِ أي: يقصد، أي: له قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلاّ على السفهاء، فإن مَنْ دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده، من الحجج والبراهين، وهم قصدهم، أن محمداً، ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، ويكون مُعَظَّمَاً عندكم، متبوعاً ﴿ما سمعنا بهذا ﴾ القول الذي قاله، والدين الذي دعا إليه ﴿في الملة الآخرة﴾ أي: في الوقت الأخير، فلا أدركنا عليه آباءنا، ولا آباؤنا أدركوا آباءهم عليه، فامضوا على الذي مضى عليه آباؤكم، فإنه الحق، وما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه، وكذب افتراه، وهذه أيضاً شبهة من جنس شبهتهم الأولى، حيث ردوا الحق بما ليس بحجة لرد أدنى قول، وهو أنه قول مخالف لما عليه

آباؤهم الضالون، فأين في هذا ما يدل على بطلانه؟

﴿ أَأْنُولَ عَلَيهِ الذُّكُرُ مِن بِينِنا ﴾ أي: ما الذي فضّله علينا، حتى ينزَّل الذُّكُر عليه من دوننا، ويخصه الله به؟ وهذه أيضاً شبهة، أين البرهان فيها على رد ما قاله؟ وهيل جميع الرسيل إلا بهذا الوصف، يَمُنُّ الله عليهم برسالته، ويأمرهم بدعوة الخلق إلى الله، ولهذا، لما كانت هذه الأقوال الصادرة منهم لا يصلح شيء منها لردما جاء به الرسول، أخبر تعالى من أين صدرت، وأنهم ﴿في شك من ذِكري﴾ ليس عندهم علم ولا بينة.

فلما وقعوا في الشك وارتضوا به، وجياءهم الحيق البواضح، وكيانبوا جازمين بإقامتهم على شكهم، قالوا ما قالوا من تلك الأقوال لدفع الحق، لا عن بينة من أمرهم، وإنما ذلك من باب الائتفاك منهم.

ومن المعلوم، أن مَنْ هو بهذه الصفة يتكلم عن شك وعناد، إن قوله غير مقبول، ولا قادح أدنى قدح في الحق، وأنه يتوجه عليه الذم واللوم بمجرد كلامه، ولهذا توعدهم بالعذاب، فقال: ﴿بل لما يذوقوا عذاب أي: قالوا هذه الأقوال، وتجرؤوا عليها، حيث كانوا ممتعين في الدنيا، لم يصبهم من عذاب الله شيء، فلو ذاقوا عذابه لم يتجرؤوا.

﴿ أَم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴿ فيعطون منها مَنْ شاؤوا، ويمنعون منها مَنْ شاؤوا، حيث قالوا: ﴿ أَأْنُولُ عَلَيهُ الذُّكُرِ مِن بِينِنا ﴾ أي: هذا فنضله تعالى ورحمته، وليس ذلك بأيديهم حتى يتحجروا على الله.

﴿ أُم لَهُم مَلَّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ وما بينهما﴾ بحيث يكونون قادرين على ما يريدون. ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ الموصلة لهم إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول الله، فكيف يتكلمون، وهم أعجز خلق الله وأضعفهم بما تكلموا به؟! أم قصدهم

٢٨ يُوَلُوطِنَا حافقا انغزالتف مَنْ وَالْقُرْوَانِ ذِي الذِّكْرِ فِي الَّذِينَ كَفَتُرُوا فِي عِزْوَ وَمِثْقَاقِ ۞ كُوأَهْلَكُمَا مِن قَيْلِهِ مِنْ قَرْدٍ فَنَادُواْ قَلَاتَ حِينَ مَنَاسٍ ۞ وَعَجِبُواْ أَن جَآيَهُ مُ مُنذِرُ مِنْ فَمُرَّا وَقَالَ ٱلْكَفِرُونَ هَذَاسَ حِرْسَكَ ذَابُ ٱجَمَلَ ٱلْآلِيةَ إِلَهَا وَمِينًا إِنَّ هَلَا لَفَيُّ عُجَابٌ ۞ وَاطْلَقَ ٱلْكُأْ مِنْهُمْ أَنِ أَنْشُواْ وَأَصْبِرُواْ عَلَى ٓ الْهَيْكُمْ لِلَّا هَلَا أَلْتَى مُ يُرَادُن مَاسَيِهُ نَابِهَاذَا فِي لِلْلَةَ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَاذَاۤ إِلَّا ٱخْتِكُ ۞ أَمُٰ لِلَّ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُمِنُ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُرُ فِي شَكِيْ مِن ذِكْرِيٌّ بَلِكَاكِنَدُوهُوا عَذَابٍ ۞ أَمْءِنَ هُوْحَ زَلِهُ رَحْمَةِ رَقِكَ ٱلْعَيْرِزَالُوعَابِ۞ أَمْ لَمُمْثَلُكُ ٱلسَّدُونِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَهْمَ مُثَا فَلِسَانَةَ عُواْفِ ٱلْأَسْبَلِ ۞ جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْ زُومٌ مِنَ ٱلْأَحْدَابِ ۞ كَذَبَتْ مَبْلَهُمْ فَقُهُ نُوجٍ وَعَنَادٌ وَفِيرَعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْسَادِ ۞ وَتُحُودُ وَقَعُهُ لُوطِ وَأَصْحَابُ لَيْكُو أُولَلَهِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿ إِن كُلُّ إِلَّا لَمُنَّبَ ٱلرُّسُلَ فَقَيْعِقَابِ ۞ وَمَايَظُ مُ الْوَكْنَةِ إِلَّاصَيْحَةً وَلَحِدَةً مَّا لَمَا مِن فَوَاقِ ۞ وَقَالُوارَتِنَا غِيلَ أَنَا فِشَلْنَا قِبَلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ۞ DECEMBE OF ESTATE

التحزب والتجند، والتعاون على نصر الباطل وخذلان الحق؟ وهو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم، بل سعيهم خائب، وجندهم مهزوم، ولهذا قال: ﴿ جسندٌ ما هُسُنالِكُ مسهرُوم مسن الأحزاب

﴿ ١٧ _ ١٥ ﴾ ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد * وثمود وقوم لوط وأصحاب الأنكة أولئك الأحزاب * إن كلّ إلا كذب الرسل فحق عقاب * وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق، يحذرهم تعالى أن يفعل بهم ما فعل بالأمم من قبلهم، الذين كانوا أعظم قوة منهم وتحزباً على الباطل، ﴿قوم نوح وعاد) قوم هود ﴿وفرعون ذو الأوتاد﴾أي: الجنود العظيمة، والقوة الهائلة، ﴿وثمود﴾ قوم صالح، ﴿وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾أي: الأشجار والبساتين الملتفة، وهم قوم شعيب، ﴿أُولَئِكُ الأَحْرَابِ﴾ الذين اجتمعوا بقوتهم وعَدَدِهمْ وعُدَدِهمْ على رد الحق، فلم تغن عنهم شيئاً.

﴿إِن كُلُ مِن هُؤُلاء ﴿إِلاَّ كُذُّب الرسل فحق عليهم ﴿عقاب الله، وهؤلاء ما الذي يطهرهم ويزكيهم، أن لا يصيبهم ما أصاب أولئك.

فلينتظروا ﴿صيحة واحدة ما لها من فواق﴾أي: من رجوع ورد، تهلكهم

LEVEL VALUE OF THE PROPERTY OF ٱصْبِرْعَلَ مَايَقُولُونَ وَلَذَكُرْعَبُدَنَا دَاوُدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥ أَوَابُ ۞ إِنَّا سَخَزَا آفِجِهَالَ مَعَكُدُسُهِ خَنَ الْعَيْنَ وَٱلْإِشْرَاقِ ۞ وَٱلطَّامَرُ مَعْشُورَةً كُنَّ أَلَهُ وَأَوَّاتِ ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكُمُ وَوَ الْيَنَاهُ ٱلْمِكْمَةُ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۞ • وَهَلْ أَتَنَكَ نَبُوًّا ٱلْحُضْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْحَرَابَ۞ إِذْ دَخَلُواْ عَلَى دَاوُدَ فَفَرْعَ مِنْهُمَّ قَالُوا لَا تَخَفَّا خَصَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَاعَلَ بَعْضِ فَأَحْكُم يَيْنَكَ إِلَّكَوَّ وَلَا تُتُطِظُ وَلَعْدِنَا إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَهَرَٰطِ ۞ إِنَّ هَٰذَآ أَيْنِى لَهُ يَنعُمُّ وَيَسْعُونَ نَعْجَةُ وَلِيَ نَعْجَةٌ وَعِدَةٌ فَقَالَ أَحْفِلْيِهَا وَعَنَّ نِي فِي آلْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَدْ ظُلَمَكَ بِمُوَالِ نَعْمِيكَ إِلَى يَعَاجِمْ وَانْ كَيْمِرًا فِنَ ٱلْمُلْطَلَهُ لَيْمَنِي بَعْمُهُ مُعَلَى بَعْضِ إِلَّا أَلَيْنَ عَامَتُوا وَعَمَلُوا ٱلصَّالِحَاتُ وَقِلِيلٌ مَّا هُمُّ وَظُنَّ دَاوُهُ أَنْسَا هُتَنَّهُ فَأَسْتَغْفَرَ رَبُّهُ وَخَرَّ رَاحِيمًا وَأَنَابَ ۞ ﴿ فَغَنَوْنَا لَهُ زَاكُّ وَلِمَ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَلُ وَحُسْرَ مَعَابٍ ۞ يَكَالُودُ إِنَّا جَعَلْنَكَ خَلِفَةً فِي ٱلْأَرْضِ مَا حَكُرَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱنْحَقَّ وَلَاتَنَّ عِلَهُوَىٰ فَيُضِلِّكَ عَن سَيِيلِٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَمْرْعَذَابُ شَيبِدُ إِمَا لَسُواْ يَوْمَ ٱلْمِسَابِ ۞

وتستأصلهم إن أقاموا على ما هم عليه .

(17 – 17) ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب * اصبر على ما يقولون ﴾ أي: قال هؤلاء المكذبون ، من جهلهم ومعاندتهم الحق، مستعجلين للعذاب: ﴿ ربّنا عَجِّل لنا أَلَهُ اللهذاب عاجلاً ﴿ قبل يوم الحساب ﴾ وجُوا في هذا القول، وزعموا أنك يا صدقك أن تأتينا بالعذاب، فقال صدقك أن تأتينا بالعذاب، فقال صبر من قبلك من الرسل، فإن قولهم صبر من قبلك من الرسل، فإن قولهم لا يضر الحق شيئاً، ولا يضرونك في شيء، وإنما يضرون أنفسهم.

(۱۷ - ۲۰ ﴿ وَاذَكَرَ عَبِدُنَا دَاوِد ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق * والطير محشورة كل له أوّاب * وشددنا ملكه أمر الله رسوله بالصبر على قومه، أمره أن يستعين على الصبر بالعبادة لله وحده، ويتذكر حال العابدين، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ فَاصبر على ما يقولون وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ .

ومن أعظم العابدين، نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ﴿ذَا الأيد﴾(١) أي: القوة العظيمة على عبادة الله تعلى، في بدنه وقلبه. ﴿إِنه أوّاب﴾ أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجَّاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح.

ومن شدة إنابته لربه وعبادته، أن سخر الله الجبال معه، تسبّح معه بحمد ربها ﴿بالعشي والإشراق﴾ أول النهار وآخره.

﴿و﴾ سخر ﴿الطير محشورة ﴾ معه مجموعة ﴿كلّ ﴾ من الجبال والطير ، لله تعالى : ﴿قَالَ ﴿ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَالطّير ﴾ فهذه مِنّةُ الله عليه بالعبادة ، ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال : ﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي : العَدُ والعُدُ والتي بها قرى الله ملكه ، ثم ذكر منته عليه بالعلم ، فقال : ﴿ وَاتّيناه الحكمة ﴾ أي : النبوة والعلم العظيم ، ﴿ وَفَضَلُ الخِطَابِ ﴾ أي : النبوة والعلم الخصومات بين الناس .

(۲۱ – ۲۱) ﴿ وهـل أتـاك نـبـأ الخصم إذ تسوروا المحراب * إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغي بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هنذا أخبى له تسمع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب * فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفي وحسن مآب * يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن

سبيل الله إن الذين ينضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب لا ذكر تعالى أنه آتي نبيه داود الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفاً بذلك مقصوداً، ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه وغفر له، وقيض له هذه القضية، فقال لنبيه عمد على: ﴿وهِل أَتَاكُ نِياً الخصم﴾ فإنه نبأ عجيب ﴿إذ تسوَّرُوا ﴾ على داود ﴿المحرابِ﴾ أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان، ولم يدخلوا عليه مع باب، فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة، فزع منهم وخاف، فقالوا له: نحن ﴿خصمان﴾فلا تخف ﴿بغي بعضنا على بعض > بالظلم ﴿فاحكم بيننا بالحق﴾أي: بالعدل، ولا تمل مع أحدنا فوولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط)

والمقصود من هذا، أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك، فسيقصان (٢) عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي الله داود من وعظهما له، ولم يؤنبهما.

فقال أحدهما: ﴿إِنْ هَذَا أَخِي ﴾ نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضائها عدم البغي، وأن بغيه الصادر منه أعظم من غيره، ﴿له تسعٌ وتِسْعُون نَعْجَةٌ ﴾ أي: زوجة، وذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه الله. ﴿ولِي نعجة واحدة﴾ فطمع فيها ﴿فقال أكفِلْنِيهَا ﴾ أي: دعها لي، وخلها في كفالتي. ﴿وعزني في الخطاب ﴾ أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد.

فقال داود ـ لما سمع كلامه ـ ومن المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هذا هو الواقع، فلهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر؛ فلا وجه للاعتراض بقول القائل: "لم حكم داود قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر؟

⁽١) كذا في ب، وفي الأصل: ذو الأيد.

⁽٢) في النسختين: فسيقصون.

﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتِك إلى نِعَاجِهِ وهذه عادة الخلطاء والقرناء الكثير منهم، فقال: ﴿وَإِن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض لأن الظلم من صفة النفوس. ﴿إِلاَ الذين من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم. ﴿وقليل ما هم > كما قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور ﴾. وظن داود > حين حكم بينهما ﴿أنما القضية ليتنه ﴿فاستغفر ربه > لما صدر منه، ﴿وخر راكما ﴾ أي: ساجداً القضوح منه، ﴿وأناب > لله تعالى بالتوبة النصوح ما الما الهادة

﴿فَغَفُرنَا لَهُ ذَلِك﴾ الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات، فقال: ﴿وَإِنْ لَهُ عَنْدُنَا لَزَلْفَى﴾ أي: منزلة عالية، وقربة منا، ﴿وحُسْنَ مَآبِ﴾ أي: مرجع.

وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قلها.

ويا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية، وفاحكم بين الناس بالحق أي: العدل، وهذا لا يتمكن بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، لقرابة أو صداقة أو عبة، أو بغض للآخر وفيضلك الهوى وعن سبيل الله ويخرجك عن الصراط سبيل الله خصوصاً المتعمدين منهم، المستقيم، وإن الذين يضلون عن سبيل الله خصوصاً المتعمدين منهم، المساب فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن.

﴿٢٧ ــ ٢٩﴾ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من

النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب غير تعالى عن تمام حكمته في خلقه السماوات والأرض، وأنه لم غلقهما باطلاً، أي: عبئاً ولعباً من غير كفروا بربهم، حيث ظنوا ما لا يليق بجلاله. ﴿ فويل للذين كفروا من النار و فإنها التي تأخذ الحق منهم، وبلغ منهم كل مبلغ.

وإنما خلق الله السماوات والأرض بالحق وللحق، فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه وقدرته وسعة سلطانه، وأنه تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مشقال ذرة من السماوات والأرض، وأن البعث حق، وسيفصل الله بين أهل الخير والشر.

ولا يظن الجاهل بحكمة الله أن يسوي الله بينهما في حكمه، ولهذا قال: ﴿أُم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ هذا غير لائق بحكمتنا وحكمنا.

﴿كتابٌ أنزلناهُ إليك مبارك﴾ فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله.

وليدبروا آياته أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي على لبا هذا المقصود.

﴿ وليتذكر أولو الألباب ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدلً هذا على

أنه بحسب لب الإنسان وعقله بحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب.

﴿٣٠ ـ ٤٠) ﴿ووهــبـنـا لــداود سليمان نعم العبد إنه أواب * إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد * فقال إن أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * ردوها على فطفق مسحأ بالسوق والأعناق * ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب * قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من يعدّى إنك أنت الوهاب * فسخرنا له الربح تجري بأمره رخاء حيث أصباب * والشيباطين كل بسناء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد * هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وإن له عندنا لزلفي وحسن مآب﴾ لما أثني تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثني على ابنه سليمان عليهما السلام فقال: ﴿ووهبنا لداود سليمان اي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه .

﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾ سليمان عليه السلام، فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو ﴿ إِنهُ أُوّابٌ ﴾ أي: رجًاع إلى الله فبي جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل

ولهذا، لما عرضت عليه الخيل الجياد السبق الصافنات، أي: التي من وصفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظرً راثق، وجمال معجب، خصوصاً للمحتاج إليها كالملوك، فما زالت تُعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة المسآء وذكره، فقال ندماً على ما مضى منه، وتقرباً إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديماً لحب الله على حب غيره: ﴿إِن أَحبِبِت حبِ الخيرِ ﴾ وضمن «أحببت» معنى «آثرت» أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموماً، وفي هذا الموضع المراد الخيل. ﴿عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب

﴿رُدُوها عَلَيَ ﴾ فردوها ﴿فطفق﴾ فيها ﴿مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها.

﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي: ابتليناه واختبرناه بذهاب ملكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية، ﴿والقينا على كرسيه جسداً﴾ أي: شيطاناً قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان، ﴿ثم أَنَابَ﴾ سليمان، إلى الله تعالى وتاب.

ف ﴿قال ربّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهّابُ﴾ فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكاً لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومَن عصاه منهم قرنه في الأصفاد وأوثقه.

وقلنا له: ﴿هذا عطاؤنا﴾ فَقَرَّ به عيناً ﴿فَامْنُنْ﴾ على مَنْ شئت، ﴿أَوْ الْمَسُكُ﴾ مَنْ شئت، ﴿أَوْ الْمَسِكُ مِنْ شئت، ﴿أَوْ اللّه حساب، لعلمه تعالى بكمال عدله، وحسن أحكامه، ولا تحسبن هذا لسليمان في الدنيا دون الآخرة، بل له في الآخرة خير عظيم، ولهذا قال: ﴿وَإِنْ لَهُ عَنْدَنَا لَوْلَفِي وَحُسنَ مَالَّكُو مِنْ الْمَقْرِينِ عَنْدَ الله الكرمين بأنواع الكرامات لله.

فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عليهما السلام

فمنها: أن الله تعالى يقص على نبيه عمد ﷺ أخبار مَنْ قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم منافستهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا _ في هذا الموضع _ لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتسلى به.

ومنها: أن الله تعالى يمدح ويجب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون، وأولئك الذين هدى الله فبهداهم التاركة

ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود عليه السلام، من حُسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشى والإشراق.

ومنها: أن من أكبر نِعَم الله على عبده، أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام.

ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عليهما السلام.

ومنها: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.

ومنها: أن داود عليه السلام [كان]
في أغلب أحواله لازماً عرابه لخدمة
ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه
المحراب، لأنه كان إذا خلا في عرابه
لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته
للناس، مع كثرة ما يرد عليه من
الأحكام، بل جعل له وقتاً يخلو فيه

بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.

ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.

ومنها: كمال حلم داود عليه السلام، فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما ولا وبخهما.

ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه «أنتَ ظلمتني» أو «يا ظالم» ونحو ذلك أو «باغ عليً » لقولهما: ﴿خصمان بغي بعضا على بعض﴾.

ومنها: أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد أو وعظه، لا يغضب ولا يشمئز، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمئز ولم يغضب، ولم يثنه ذلك عن الجق، بل حكم بالحق الصرف.

ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنّه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإسمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.

ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصاً الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.

ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحُسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع فى

قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الأثار، وما ذاك بعزيز على الكريم

ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضى العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه. أ

، ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقى عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

ومنها: أن سليمان عليه السلام من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نِعَم الله على عبده، أن يهب له ولداً صالحاً، فإن كان عالمًا، كان نوراً على نور.

ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله: ﴿نِعْمِ الْعَبِدُ إِنَّهُ أوّاب 🥱 🏻

ومنها: كثرة خير الله وبره بعبيده، أن يمنَّ عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثـم يثني عليهـم بهـا، وهـو المتفضل الوهَّاب.

ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى على محبة كل شيء.

ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشؤوم مذموم، فَلْيُفَارقه وَلَيُقْبِلُ عَلَى مَا هُوَ أَنْفُعُ لَهُ .

ومنها: القاعدة المشهورة «مَنْ ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه افسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديماً لمحبة الله، فعوضه الله خيراً من ذلك، بأن سخَّر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر

ورواحها شهر، وسخّر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحدِ بعد سليمان عليه السلام.

ومنها: أن سليمان عليه السلام، كان ملكاً نبياً، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلاّ بالأمر، كحال نبينا محمد ﷺ، وهذه الحال أكمل.

﴿٤١ ــ ٤٤ ﴾ ﴿واذكر عبدنا أيوب إذا نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب * اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب * ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكري لأولى الألباب * وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب، أي: ﴿وَاذْكُر ﴾ في هذا الكتاب ذي الذكر ﴿عبدنا أيوبِّ بأحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلاّ إليه.

فرنادي ربه ﴿ داعياً ، وإليه لا إلى غيره شاكياً، فقال: ربِّ ﴿أَنِّي مسَّنى الشيطان بنُصب وعذاب ﴿ أَي: بِأُمْرِ مشق متعب معذب، وكان سلط على جسده فنفخ فيه حتى تقرح، ثم تقيح بعد ذلك واشتدبه الأمر، وكذلك هلك أهله وماله.

فقيل له: ﴿اركضْ برجلِكُ ﴾ أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذي، ففعل ذلك، فذهب

عنه الضر، وشفاه الله تعالى.

﴿ ووهبنا له أهله ﴾ قيل: إن الله تعالى أحياهم له ﴿ومثلهم معهم﴾ في الدنيا، وأغناه الله، وأعطاه مالاً عظيماً ﴿رحمة منَّا﴾ بعبدنا أيوب، حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثواباً عاجلاً وآجلاً. ﴿وذكرى لأولي الألبساب﴾ أي: وليتذكر أولو العقول بحالة أيوب ويعتبروا، فيعلموا أن مَنْ صبر على الضر، أن الله تعالى يثيبه ثواباً عاجلاً

TO LIBRERY AND STREET وَمَاخَلَقْنَا ٱلسَّنَيَّةَ وَٱلْأَوْمَنَ وَمَامَنْتُمُ مَالِطَلُّا ذَلِكَ ظَيْرُٱلَّذِ ۚ كَذَبُواْ فَيْلُ لِلَّذِينَ كَمْتُوامِنَ النَّارِي أَمْ يَحْسَلُ الَّذِنَ مَامَنُوا وَعِسَمُوا المتلاحي كالمقسدين في الأرض أم بَعْمَلُ للنَّقِينَ كَالْهُمُار ٨ كِنْدُ أَنْفُتُهُ إِنِّكَ مُبْدَلُهُ لِيَنْبُرُوا وَالْمَدِهِ وَلِنَدُكُمَ أُولُوا ٱلْأَلْبُ ۞ وَوَهَنَا لِنَاهُوَ سُلَيْعَنَ فِينَا ٱلْمَايَةُ أَنَّهُ أَوَّابُ ۞ إِذْعُرِضَ عَلَيْهِ مِالْعَيْنِيِّ الصَّافِنَاتُ ٱلْجَيَادُ۞ فَعَالَ إِنَّ أَحَيْثُ حُبَّ ٱلْمَيْرِعَن وْحُدِيرَيْ حَقَّ تُوَارَتْ بِٱلْحِبَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَّ فَلَهِ فَ مَسْحًا إِللَّهُ وِي وَأَلْأَعْمَاقِ ۞ وَلَقَدُ فَنَاسُلَتُمَنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ حَصُرْمِينِهِ وِجَسَكَا ثُمَّ أَنَابَ ۞ قَالَ رَبِّ أَغْفِرُ لِي وَهَتْ لِي مُلْكًا لَآيَنُنِغِ لِأَحَدِينَ أَمَّدِينَ أَنِكَ أَنتَ ٱلْوَقَدَابُ ۞ مَسَخَزَا لَهُ الرَبِعَ تَعِيى بِأَمْرِهِ وُزَيَّاتُهُ حَيْثُ أَسَابَ۞ وَالشَّيِلِينَ كُلِّ بَنَّأُووَغَوَّلِين ﴿ وَمَاخَزِينَ مُقَرَّوِينَ فِي ٱلْأَمَّهُ كَادِ ﴿ هَلَذَا عَطَالَوْفَا فَأَمْنُزُ أَوْأَمْسِكَ بِعَيْرِجِسَابٍ ۞ وَإِنَّ لَمُتِعِنَدُنَا ٱلْزُلْفَى وَحُسْنَ مَنَابِ۞ وَاذَكُرْعَبُدُنَا أَوْبِ إِذَاذَىٰ زَعُرَاهُمْ أَيْمَتَنِا أَلْتَيْطَلُنُ إِنْ يَنْسَبِ وَعَذَابِ ۞ أَرَكُمْ بِيعِلِكُ هَذَا مُغْتَسَلُ بَارِدٌ وَمَرَابُ ۞

وآجلاً، ويستجيب دعاءه إذا دعاه .

﴿وخذ بيدك ضغثا ﴾ أي: حزمة شماريخ ﴿فاضرب به ولا تَحنَفُ ﴾ . قال المنسّرون: وكان في مرضه وضره قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: لئن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها الله ورحمه، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه .

﴿إِنَّا وجِلدناه ﴾ أي: أيوب ﴿صابراً﴾ أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى. ﴿نَعْمُ الْعَبِدِ﴾ الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء. ﴿إِنَّهُ أُوَّابٌ ﴾ أي: كشير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة و التأله .

﴿٤٥ ـ ٤٧﴾ ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار * وإنهم عسدنه لمن المصطفين الأخيار ﴾ يقول تعالى. ﴿واذكر عبادنا﴾ الذين أخلصوا لنا العبادة ذكراً حسناً، ﴿إبراهيم الخليل ﴿وَ ابنه ﴿إسحق و ﴾ أبن ابنه ﴿يعقوب أولي الأيدي﴾ أي: القوة على عبادة الله تعالى ﴿والأبصار ﴾ أي:

TO THE PROPERTY OF THE PROPERT وَوَجَنِنَالَهُ وَأَخْلُدُوَ مِثْلَهُ وَمَعَهُ وَرَحْمَةً مِثَاوَذِ حَجَرَىٰ لِأَوْلِي ٱلأَلْبَ ۞ وَخُذْبِيَدِكَ مِنْفُا فَاضْرِبِ بِوء وَلَا تَحْنَتُ إِنَّا وَجَدْنَهُ صَائِرُأَفِهُ مَالْمَنْهُ أَلِقَهُ أَقَالُ ٥ وَاذَكُرْعِيدَا البَرْهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْ غُوبَ أُولِي ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَرُو۞ إِنَّا أَخَلَسْنَاهُم يِعَالِصَةِ وَكُرَى ٱلدَّادِ ۞ وَانْهُمُ عِندَا لِذَا ٱلْمُتَعَلَقَيْنَ ٱلْأَحْيَادِ ۞ وَاذَكُوْ اسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِخَيْلُ وَكُلُّ مِنَ ٱلْأَخْيَادِ ۞ هَنَا ذِكُرُ فُولَانَ الْمُنْقِينَ لَحُسْنَ مَعَابٍ ﴿ جَنَّتِ عَنْدِهُ مُفَتَّحَةً لْمُمُوَّا لَأَبُولَ ۗ ۞ مُتَكِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا إِمَنْكِهُ وَكَيْهُوَ وَشَرَابٍ ۞ • وَعِندَ هُرُقَفِيرَتُ الطَّنْفِ أَثَرَابُ ۞ هَلنَا مَا تُوعَهُ وَنَ لِيُومِ أَنْحِسَابِ ۞ إِنَّ هَاذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِن نَّفَادٍ ۞ هَلَأُوَاذً لِلطَّلِغِينَ لَشَرَعَالِ ﴿ جَهَنَّرَيَعْمَلُونَهَا فِيقْسَ لِلْهَسَادُ ۞ هَلَاَ فَلْيَذُوفُوهُ مَعِيدُ وَغَمَاقٌ ۞ وَءَ لَ خَرُمِن مَنْكَلِودٍ أَزَوَاحُ ٨ هَلَا فَيْ مُفْتَحِمْ مُعَكُّرُ لَا مُرْجَنَّا لِهِمْ الْفَدْرَ سَالُوا النَّادِ ۞ عَالُواْ إِلَى أَشَمُ لَامْرَجَمَّا بِحَكُمَّ أَنْمُ فَذَمْتُمُوهُ لَنَا فَإِفْسَ ٱلْفَكَوْرُ ۞ قَالُواْرَبُّ امْنَ قَدَّمَ كُنَاهَ لَهُ الْمَيْدَةُ عَدَابَا مِنْ مُفَاسِفُ النَّادِ ۞

البصيرة في دين الله. فوصفهم بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير.

TO SERVED TO LONG TO

﴿إِنَا أَخْلَصِنَاهُم بِخَالَصِةَ ﴾ عظيمة ، وحصيصة جسيمة ، وهي ﴿ذكرى الدار ﴾ جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم ، والعمل لها صفوة وقتهم ، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر ، ويذكرون بأحسن الذكر .

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه، ﴿ الأخيار﴾ الذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم.

﴿٤٩ ـ ٤٩ ﴾ ﴿واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار * هذا ذكر ﴾ أي: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، وأثن عليهم أحسن الثناء، فإن كلاً منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكـمـل الأحـوال، مـن الأعـمـال والأخلاق، والحميدة، والخصال السديدة.

﴿هذا ﴾ أي: ذكر هؤلاء الأنبياء الصفوة وذكر أوصافهم، ﴿ذكر ﴾ في هذا القرآن ذي الذكر، يتذكر بأحوالهم المتذكرون، ويشتاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون، ويعرف ما من الله عليهم به من الأوصاف

الزكية، وما نشر لهم من الثناء بين الدية.

فهذا نوع من أنواع الذكر، وهو ذكر أهل الخير، ومن أنواع الذكر، ذكر جزاء أهل الخير وأهل الشر، ولهذا قال:

وال:

﴿ ٤٩ ـ ٤٩ ﴾ ﴿ وإن للمتقين لحسن مآب * جنات عدن مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب * هذا ما توعدون ليوم الحساب * إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾ أي: ﴿ وإن للمتقين ﴾ ربهم، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، من كل مؤمن ومؤمنة، ومرجعاً مستحسناً.

ثم فسره وفصله، فقال: ﴿جنات عدن﴾ أي: جنات إقامة، لا يبغي صاحبها بدلاً منها، من كمالها وتمام نعيمها، وليسوا بخارجين منها ولا بمخرجين.

﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ أي: مفتحة لأجلهم أبواب منازلها ومساكنها، لا يحتاجون أن يفتحوها هم، بل هم خدومون، وهذا دليل أيضاً على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها.

﴿متكثین فیها على الأراثك المزینات، والمجالس المزخرفات. ﴿یدعسون فیها ﴾ أي: یامرون خدامهم، أن یاتوا ﴿بفاكه كثیرة وشراب ﴾ من كل ما تشتهیه نفوسهم، وهذا یدل على كمال النعیم، وكمال الراحة والطمأنینة، وقام اللذة.

وعندهم من أزواجهم، الحور العين وقاصرات طرفهان على أزواجهان عليهان، أزواجهان عليهان، للخمالهم كلهم، ومحبة كل منهما للآخر، وعدم طموحه لغيره، وأنه لا يبغي بصاحبه بدلاً، ولاعنه عوضاً. وأتراب أي: على سن واحد، أعدل سن الشباب وأحسنه

وآلذه.

﴿هذا ما توعدون﴾ أيها المتقون ﴿ليوم الحسابِ﴾ جزاء على أعمالكم الصالحة.

﴿إِن هذا لرزقنا﴾ الذي أوردناه على أهل دار النعيم ﴿ماله من نفادٍ﴾ أي: انقطاع، بل هو دائم مستقر في جميع الأوقات، متزايد في جميع الآنات.

وليس هذا بعظيم على الرب الكريم، الرؤوف الرحيم، البر الجواد، الواسع الغني، الحميد اللطيف الرحن، الملك الديان، الجليل الجميل المنان، ذي الفضل الباهر، والكرم المتواتر، الذي لا تحصى نعمه، ولا يحاط ببعض بره.

﴿٥٥ _ ٦٤﴾ ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج * هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار * قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار * قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار * وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كناً نعدهم من الأشرار * اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار * إن ذلك لحق تخاصم أهل النبارك ﴿هذا ﴾ الحراء للمتقين ما وصفناه ﴿وإن للطاغين﴾ أي: المتجاوزين للحد في الكفر والمعاصي ﴿لشرَّ مآبِ﴾ أي: لشر مرجع ومنقلب، ثم فصله فقال: ﴿جهنم﴾ التي جمع فيها كل عذاب، واشتدحرها، وانتهى قرها ﴿يصلونها﴾ أي: يعذبون فيها عذاباً يحيط بهم من كل وجه، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل.

﴿ فَبِسُسُ المهاد ﴾ المعد لهم مسكناً ومستقراً ﴿ هذا ﴾ المهاد ، هذا العذاب الشديد ، والخزي والفضيحة والنكال . ﴿ فليذوقوه هميم ﴾ ماء حار ، قد اشتد حره ، يشربونه فَيُقَطّع أمعاءهم . ﴿ وغسّاق ﴾ وهو أكره ما يكون من الشراب ، من قيح وصديد ، مر المذاق ، كريه الرائحة .

﴿وآخر من شكله﴾ أي: من نوعه ﴿أزواجِ﴾ أي: عدة أصناف من

أصناف العذاب، يعذبون بها ويخزون بها.

وعند تواردهم على النار يشتم بعضاً، ويقول بعضهم لبعض:
هدا فوج مقتحم معكم النار
لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار .

﴿قالوا﴾ أي: الفوج المقبل المقتحم: ﴿بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه﴾ أي: العذاب ﴿لنا﴾ بدعوتكم لنا، وفتنتكم وإضلالكم وتسببكم. ﴿فبئس القرار﴾ قرار السوء والشر.

ثم دعوا على المغوين لهم فـ ﴿قالوا ربنا مَنْ قدَّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾. وقال في الآية الأخرى: ﴿قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾.

وقالوا وهم في النار: ﴿مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ أي: كنا نزعم أنهم من الأشرار، المستحقين لعذاب النار، وهم المؤمنون، تفقدهم أهل النار. قبعهم الله _هل يرونهم في النار؟

﴿ أَتَحَدْناهم سَخْرِياً أَمْ زَاَّخْتَ عَنهم الأَبْصَارِ ﴾ أي: عدم رؤيتنا لهم دائر بين أمرين:

إما أننا غالطون في عدنا إياهم من الأشرار، بل هم من الأخيار، وإنما كلامنا لهم من باب السخرية والاستهزاء بهم، وهذا هو الواقع، كما قال تعالى لأهل النار: ﴿إِنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون﴾.

والأمر الثاني: أنهم لعلهم زاغت أبصارنا عن رؤيتهم معنا في العذاب، وإلا فهم معنا معذبون ولكن تجاوزتهم أبصارنا، فيحتمل أن هذا الذي في قلوبهم، فتكون العقائد التي اعتقدوها في الدنيا، وكثرة ما حكموا لأهل الإيمان بالنار، تمكنت من قلوبهم، وصارت صبغة لها، فدخلوا النار وهم بهذه الحالة، فقالوا ما قالوا.

ويحتمل أن كلامهم هذا كلام تمويه، كما موهوا في الدنيا، موهوا حتى في النار، ولهذا يقول أهل الأعراف لأهل السنار: ﴿أهـؤلاء الـذيـن أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.

قال تعالى مؤكداً ما أخبر به، وهو أصدق القائلين: ﴿إِنْ ذَلْكُ الذي ذكرت لكم ﴿لحق﴾ ما فيه شك ولا مرية ﴿تخاصم أهل النار》.

﴿ ٦٥ ـ ٨٨﴾ ﴿قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار * رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار * قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون * ما كان لي من علم بالملاً الأعلى إذ يختصمون * إن يوحي إلى إلا أنما أنا نذير مبين * إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت نيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالِين * قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وبمن تبعك منهم أجمعين * قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين * إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ ﴿قل﴾ يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين، إن طلبوا منك ما ليس لك ولا بيدك: ﴿إنما أنا منذر﴾ هذا نهاية ما عندى، وأما الأمر فلله تعالى، ولكني آمركم وأنهاكم، وأحثكم على الخير وأزجركم عن الشر فمَن اهتدى فلنفسه ومَنْ ضلُّ فعليها. ﴿وَمَا مِنْ إِلَّهِ

إلا الله ﴾ أي: ما أحد يؤله ويعبد بحق إلاَّ الله ﴿الواحد القهار﴾ . هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى، وقهره لكل شيء، فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهارين متساويين في قهرهما أبدأ، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يُعبد وحده، كما كان قاهراً وحده، وقرر ذلك أيضاً بتوحيد الربوبية فقال: ﴿رَبُّ السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي: خالقهما، ومربيهما، ومدبرها^(١) بجميع أنواع التدابير . ﴿العزيز ﴾ الذي له القوة، آلتي بها خلق المخلوقات العظيمة. ﴿الغَّفَارِ﴾ لجميع الذنوب، صغيرها وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع

فهذا الذي يحب ويستحق أن يعبد، دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئاً، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار.

﴿قُلُّ لِهِم، مُحُوفًا ومُحَذِّراً، ومنهضاً لهم ومنذراً: ﴿ هُو نَبُّا عَظَيمٍ ﴾ أي: ما أنبأتكم به من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، خبر عظيم ينبغى الاهتمام الشديد بشأنه، ولا ينبغي إغفاله، ولكن ﴿أنتم عنه معرضون کانه لیس امامکم حساب ولا عقاب ولا ثواب، فإن شككتم في قولي، وامتريتم في خبري، فإني أخبركم بأخبار لأعلملي بها ولا درستها في كتاب، فإخباري بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، أكبر شاهد لصدقي، وأدلُّ دليل على حق ما جئتكم به، ولهذا قال: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى ﴿ أَي: الملائكة ﴿إِذْ يُحْتُنُصُمُونَ ﴾ لـولا تعليم الله إياي، وإيحاؤه إلى، ولهذا قال: ﴿إِن يُوحِي إِنِّي إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٍ مبين ﴾ أي: ظاهر النذارة، جليها، فلا نذير أبلغ من نذارته ﷺ.

(1)

ثم ذكر اختصام الملا الأعلى فقال:
﴿إِذْ قَالَ رَبِكُ لَلْمَلاتُكَة ﴾ على وجه
الإخبار ﴿إِنِ خَالَق بشراً من طين ﴾
أي: مادته من طين ﴿فإذا سويته ﴾ أي:
سويت جسمه وتم، ﴿ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين ﴾ فوطًن
الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين
لربهم، وإكراماً لأدم عليه السلام، فلما
تم خلقه في بدنه وروحه، وامتحن الله
تم خلقه في بدنه وروحه، وامتحن الله
عليهم، أصرهم الله بالسجود.
فسجدوا كلهم أجعون إلا إبليس لم
يسجد ﴿استكبر ﴾ عن أمر ربه،
واستكبر على آدم ﴿وكان من

ف ﴿قال﴾ الله موبخاً ومعاتباً: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ أي: شرفته وكرمته واختصصته بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، وذلك يقتضي عدم التكبر عليه.

الكافرين﴾ في علم الله تعالى.

﴿استكبرت﴾ في امتناعك ﴿أم

ومناقضاً: ﴿أنا خيرٌ منه خلقتني من نار ومناقضاً: ﴿أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. وبزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين، وهذا من القياس الفاسد، والعلو والطيش والخفة وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع، وإخراج أنواع الأشجار والنباتات، وهو يغلب النار ويطفئها، والنار تحتاج للى مادة تقوم بها، والطين قائم بنفسه، فهذا قياس شيخ القوم، الذي عارض به الأمر الشفاهي من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيستهم؟ التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ القاس.

ف ﴿قال﴾ الله له: ﴿فاخرج منها﴾ أي: من السماء والمحل الكريم. ﴿فإنك رجيم﴾ أي: مبعد مدحور. ﴿وإن عليك لعنتي﴾ أي: طردي

وإبعادي ﴿إلى يوم اللين﴾ أي: دائماً أبداً.

﴿قال ربِ فأنظرني إلى يوم يبمثون﴾ لشدة عداوته لآدم وذريته، ليتمكن من إغواء من قدر الله أن يغويه.

ف ﴿ قال ﴾ الله جيباً لدعوته، حيث اقتضت حكمته ذلك: ﴿ فإنك من المنظرينَ * إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ حين تستكمل الذرية، يتم الامتحان.
 فلما علم أنه مُنظَر، بادي ربه، من فلما علم أنه مُنظَر، بادي ربه، من

فلما علم أنه منظر، بادي ربه، من خبثه، بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته فقال: ﴿فبعزتك لأغرينهم أجمين﴾ يحتمل أن الباء للقسم، وأنه أقسم بعزة الله ليغوينهم كلهم أجمين. ﴿إِلاَ عبادك منهم المخلصين﴾

علم أن الله سيحفظهم من كيده. ويحتمل أن الباء للاستعانة، وأنه لما علم أنه عاجز من كا محه، وأنه

علم أنه عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحداً إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم هذا، وهو عدو الله حقاً.

ونحن يا ربنا العاجزون المقصرون، المقرون لك بكل نعمة، ذرية من شرفته وكرمته، فنستعين بعزتك العظيمة وقدرتك، ورحمتك الواسعة لكل غلوق، ورحمتك التي أوصلت إلينا بها وصلت من النعم الدينية والدنيوية، وصرفت بها عنا ما صرفت من النقم، أن تعيننا على محاربته وعداوته،

والسلامة من شره وشركه، ونحسن الظن بك أن تجيب دعاءنا، ونؤمن بوعدك الذي قلت لنا: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ فقد دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا. ﴿إِنْكُ لا تخلف المعاد ﴾. ﴿قال الله تعالى ﴿فالحق والحق قولي أقول ﴾ أي: الحق وصفي، والحق قولي

﴿ لأملأن جهنّم منك وغن تبعك منهم أجمعين ﴾ فلما بين الرسول للناس الدليل ووضح لهم السبيل قال الله له: ﴿ قُل ما أسألكم عليه ﴾ أي: على دعائي إياكم ﴿ من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ أدعي أمراً ليس لي، وأقفو ما ليس لي به علم، لا أتبع إلا ما

يوحي إلى .

﴿إِنْ هُو﴾ أي: هذا الوحي والقرآن ﴿إِلاَّ ذَكرٌ للعالمِن﴾ يتذكرون به كل ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم، فيكون شرفاً ورفعة للعاملين به، وإقامة حجة على المعاندين.

فهذه السورة العظيمة، مشتملة على الذكر الحكيم، والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين، على مَنْ كذّب بالقرآن وعارضه، وكذّب مَنْ جاء به، والإخبار عن عباد الله المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين. فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين.

وأكثر التذكير بها فيما بين ذلك، كقوله: ﴿واذكر عبدنا﴾ _﴿واذكر عبدادنا﴾ _﴿رحمة من عندنا وذكرى﴾ _﴿هذا ذكر﴾.

اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، نسيان غفلة ونسيان ترك. ﴿ولتعلمن نبأه ﴾ أي: خبره ﴿بعد حين ﴾ وذلك حين يقع عليهم العذاب وتتقطع عنهم الأسباب.

تم تفسير سورة ص بمنّه تعالى وعونه .

تفسير سورة الزَّمر وهي مكية

(١-٣) ﴿ بسم الله السرحسن الله العزيز الكتاب من الله العزيز الحتاب من الله العزيز الحكتاب من الله العزيز فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الله الله الخالص والذين الخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة مَنْ تكلّم به ونزل منه، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، والحكمة في خلقه وأمره.

فالقرآن نازل عمن هذا وصفه، والكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أن الله تعالى مَعَ الْمُعَالِمُ الْمُعَلِّمِ الْمُعَلَّمِ الْمُعَلِّمِ الْمُعَلِمِي الْمُعَلِّمِ الْمُعَلِّمِ الْمُعَلِّمِ الْمُعَلِّمِ الْمُعَلِمِي الْمُعَلِّمِ الْمُعَلِّمِ الْمُعَلِّمِ الْمُعَلِمِي الْمُعَلِمِي الْمُعَلِمِي الْمُعَلِمِي الْمُعَلِمِي الْمُعَلِمِي الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمِي الْمُعْلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْل

الكَّيْكُ الْمُعْمَلُ مُعْمَلُ مُونِ الْآلِيسَ الشَّكَةُ لَكُونَ الْكَرِينَ (الْآلِيسَ الشَّكَةُ لَا الْآلِين الْحُلْتِ مِن الْسَالِينَ هِ الْآلَانِ اللَّهِ الْآلَانِ اللَّهِ الْآلَانِ اللَّهِ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللْمُنْ الْمُنْلِيلُولِي اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْعُلِي

من خلقه يجعله راحماً لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأل ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم عليه.

ويعلم أيضاً الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حماكماً بين الفريقين المخلصين ولي ضمنه التهديد للمشركين وفي ضمنه التهديد للمشركين ﴿ إِنَّ اللهُ يُحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾

وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومَنْ

الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به، وأخبر بذم مَن أشرك به فقال: ﴿ وَالذِينَ اتَخْذُوا مِن دُونَه أُولِياء ﴾ أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، [معتذرين] () عن أنفسهم وقاتلين: ﴿ مَا نَعِيدُهُم إِلاَ لِيقْرِبُونَا إِلَى الله زَلْقَى ﴾ أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا، فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئاً.

أي: فهؤلاء قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرؤوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يسرف عون إليهم حسوات حراسح ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلاً وفطرة، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين أحتاجما لأنهم لا يعلمون أحوالهم، وربما فيحتاج مَنْ يعلمهم بأحوالهم، وربما الحاجة، فيحتاج مَنْ يعطفهم عليه السفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج مَنْ توسطوا لهم، مراعة لهم، ومداراة لخواطرهم، وهم الفقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى، فهو الذي أخاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج مَنْ يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته.

ولكنه _مع هذا _ زاد بياناً لكماله بمن نزل عليه، وهو محمد ، أله أشرف الحلق فعلم أنه أشرف الكتب، وبما نزل به، وهو الحق، فنزل بالحق الذي لا مرية فيه، لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور، ونزل مشتملاً على الحق في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فكل ما دلَّ عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية، وما بعد الحق إلاَّ الضلال.

ولما كان نازلاً من الحق، مشتملاً على الحق لهداية الخلق، على أشرف الخلق، عظمت فيه النعمة وجلّت، ووجب القيام بشكرها، وذلك في المناس الدين لله، فلهذا قال: فاعبد الله خلصاً له الدين أي: أخلص لله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه لا غير ذلك من المقاصد.

﴿ الالله الدين الخالص﴾ هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له المدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله شه في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في تحصيل عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة، فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشق للنفوس غاية

⁽١) في أ: متعذرين.

⁽٢) كذا في النسختين ولعل الصواب (ويسترحمهم له).

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ الْفُلُ ۞ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمِينَكَ وَحُنَّ يَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمِهِينَ ﴿ قُلْمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرُ فِكَا أَنَامِنَ ٱلْتُكَلِّفِينَ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُ الْمُعَالِمِينَ ﴿ وَلَتَعَلَّمُ نَا مُهَا مُرَعَدُ عِينِ ﴿ التعالی تَنْفِلُ ٱلْكِنْبِ مِنَ ٱلْمُؤَلِّكَ نِيْفًا لَحَيْفِ أَخْصَيْدِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَبَ إِلْحَقِ فَأَعْبُ إِلَقَ مُعْلِمِكًا أَهُ ٱلدِّيرَ ٥ ٱلَايِنِّهِ ٱلدِّينِ ٱلْحَالِصُ وَالَّذِينَ ٱلْخَنَ وَأَمِن دُونِهِ وَٱلَّذِينَ ٱخَّلَا مَانَعْ بُدُحُمْ إِلَّا لِيُعْ يَوْنَا إِلَى أَهُو زُلْفَنَ إِنَّ أَهَا يَعَكُرُ بَيْنَهُمْ فِي مَاهُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ أَلَمْهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَكَ لِذِبُّ كَفَّارُ ۞ لُوَلَزِدَ ٱللَّهُ أَن يَتَنْفِ ذَوَلَهُ ٱلْآَصْطَاعُ لِيمَا يَفْ لُقُ مَا يَشَاءُ شَبْحَانَكُمُ مُوَاللَّهُ الْوَسِدُ الْفَهَادُنِ حَكَةَ السَّكَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلْمَتِيَّ يُسْتَخِوْزُ أَلْتِلَ عَلَى النَّهَادِ ويُستحيِّوْدُالنَّهَادَعَلَىٰ أَيْنِلُّ وَسَخَدَرَالشَّعْسَ وَالْعَسَرُّ حُدُّ يَعْدِي لِأَحَالِ مُسَكِّنُ الْافْوَالْسَنِيرُ الْفَطْلُدُ ۞

يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. ﴿إِنَّ اللَّهُ لَا يَهِدَى﴾ أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم ﴿مَنْ هُو كِاذَبٌ كُفَّارٍ ﴾ أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنَّى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن؟!!

TOWN TON SON SERVICE

﴿٤﴾ ﴿لُو أَرَادُ اللهُ أَنْ يُتَخَذُّ وَلَٰذَا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار الى: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً > كما زعم ذلك مَنْ زعمه، من سفهاء الخلق. ﴿الصطفى مَّا يُخلق ما يشاء ﴾أي: لاصطفى بعض مخلوقاته التي يشاء اصطفاءه، واختصه لنفسه، وجعله بمنزلة الولد، ولم يكن حاجة إلى اتخاذ الصاحبة. ﴿سبحانه ﴿عما ظنه به الكافرون، أو نسبه إليه الملحدون. ﴿ هُو الله الواحد القهَّار ﴾ أي: الواحد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، فلا شبيه له في شيء من ذلك، ولا مماثل، فلوكان له ولد، لاقتضى أن يكون شبيهاً له في وحدته، لأنه بعضه، وجزء منه.

القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، فلوكآن له ولد لم يكن

مقهوراً، ولكان له إدلال على أبيه رأى من آياته العظيمة، ثم تاب

ووحدته تعالى وقهره متلازمان، فالواحد لا يكون إلا قهاراً، والقهَّار لا يكون إلا واحداً، وذلك ينفى الشركة له من كل وجه.

«ه _ ٧» «خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار * خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون * إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور الخبر تعالى أنه ﴿خلْق السماوات والأرض﴾ أي: بالحكمة والمصلحة، وليأمر العباد وينهاهم، ويثيبهم ويعاقبهم.

﴿ يَكُورُ اللَّهِ عَلَى النَّهَارُ وَيَكُورُ النهار على الليل الى يدخل كلا منهما على الآخر، ويحله محله، فلا يجتمع هذا وهذا، بل إذا أتى أحدهما انعزل الآخر عن سلطانه.

﴿وسخر الشمس والقمر﴾ بتسخير منظم، وسير مقنن. ﴿كُلُّ مِنْ الشمس والقمر ﴿يجري﴾متأثراً عن تسخيره تعالى ﴿لأجل مسمّى﴾ وهو انقضاء هذه الدار وخرابها، فيخرب الله آلاتها وشمسها وقمرها، وينشىء الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار، الجنة أو النار.

﴿ أَلا هو العزيز ﴾ الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصى عليه شيء، الذي من عزته أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها تجري بأمره. ﴿الغَفَّارِ﴾لذنوب عباده التوابين المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وإِن لَغَفَّارِ لمن تباب وآمين وعيميل صبالحياً ثيم اهتدى . الغفار لمن أشرك به بعدماً

ومن عزته أن ﴿خلقكم من نفسٍ واحدة﴾ على كثرتكم وانتشاركم، في أنحاء الأرض، ﴿ثم جعل منها زوجها ﴿ وذلك ليسكن إليها وتسكن إليه، وتتم بذلك النعمة. ﴿ وأَنزل لَكُم من الأنعام ﴾ أي: خلقها بقدر نازل منه، رحمة بكم. ﴿ثمانية أزواج﴾ وهي التي ذكرها في سورة الأنعام ﴿ثمانية أزواج من النضان اثنين ومن المعز اثنينَ ﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين∳ .

وخصها بالذكر، مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها، لكثرة نفعها، وعموم مصالحها، ولشرفها، ولاختصاصها بأشياء لا يصلح غيرها، كالأضحية والهدى والعقيقة، ووجوب الزكاة فيها، واختصاصها

ولما ذكر خلق أبينا وأمنا، ذكر ابتداء خلقنا، فقال: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ أي: طوراً بعد طور، وأنتم في حال لا يد غلوق تمسكم، ولا عين تنظر إليكم، وهو قد رباكم في ذلك المكان الضيق ﴿ في ظلمات تُلات ﴾ ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، ﴿ ذَلِكُم ﴾ الذي خلق السماوات والأرض، وسخّر الشمس والقمر، وخلقكم وخلق لكم الأنعام والنعم ﴿الله ربكم ﴾ أي: المألوه المعبود، الذي رباكم ودبركم، فكما أنه الواحد في خلقه وتربيته لا شريك له في ذلك، فهو الواحد في ألوهيته لا يشريك له، ولهذا قال: ﴿ لا إِلَّهُ إِلَّا هُـو فَأْنِّي تصرفون بعد هذا البيان ببيان استحقاقه تعالى للإخلاص وحده إلى عبادة الأوثان، التي لا تدبر شيئاً، وليس لها من الأمر شيء.

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِن اللهُ غَنِي عَنْكُم ﴾ لا يضره كفركم، كما لا ينتفع بطاعتكم، ولكن أمره ونهيه لكم محض فضله وإحسانه عليكم . ﴿ولا يرضى لعباده الكفر الكمال إحسانه بهم،

الجزء الثالث والعشرون كم

وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ لله تعالى بتوحيده، وإخلاص الدين له ﴿يرضه لكم﴾ لرحمته بكم، ومحبته للإحسان عليكم، ولفعلكم ما خلقكم لأجله.

وكما أنه لا يتضرر بشرككم، ولا ينتفع بأعمالكم وتوحيدكم، كذلك كل أحد منكم له عمله، من خسيسر وشسر ﴿ولا تسزر وازرة وزر أخرى) ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مُرْجِعِكُم﴾ في يوم القيامة ﴿فينبنكم بما كنتم تعملون اخباراً أحاط به علمه، وجرى عليه قلمه، وكتبته عليكم الحفظة الكرام، وشهدت به عليكم الجوارح، فيجازي كلا منكم ما

﴿إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي: بنفس الصدور، وما فيها من وصف برًّ أو فجور، والمقصود من هذا، الإخبار بالجزاء بالعدل التام.

﴿٨﴾ ﴿وَإِذَا مِسَّ الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النارك يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحْر أو غيره، أنه يجلم أنه لا ينجيه في هذا الحال إلا الله، فيدعوه متضرعاً منيباً، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك.

﴿ثم إذا خوله﴾ الله ﴿نعمة منه﴾ بأن كشف ما به من الضر والكربة، ﴿نسى ما كان يدعو إليه من قبل ﴾ أي: نسي ذَّلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومركأنه ما أصابه ضر، واستمرعلي

﴿وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله﴾أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال،

فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

﴿قُلِ ﴾ لهذا العاتي، الذي بدّل نعمة الله كفراً: ﴿تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النارك فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار.

﴿أَفْرَأُيتُ إِنْ مِتَعِنَاهِمِ سَنِينَ * ثُمُ جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون، ك.

﴿٩﴾ ﴿أَمِّن هُو قَالَتُ آنَاءُ اللَّيلُ ساجدأ وقائمأ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾ هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين السعالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التيُّ تقرر في العقول تبيانها، وعلم علماً يقيناً تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، التبع لهواه، كمن هو قانت، أي: مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنبوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن.

﴿قل هل يستوى الذين يعلمون ربهم ويعلمون دينه الشرعى ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿والذينُ لا يعلمون﴾شيئاً مين ذليك؟ لا يستوى هيؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار .

﴿إنما يتذكر ﴾ إذا ذكروا ﴿أولو الألباب♦أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولاً ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف مَنْ لا لَبُّ له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه.

﴿١٠﴾ ﴿قل يا عباد الذي آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى

Callina California Cal خَلَقَكُمِينَ نَفْس وَحِدَة ثُرَّجَعَلَ مِنْهَا زَفْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمُ يِنَ ٱلأَغْلَمِ ثَمَلِيَةً أَزْوَجَ يَغْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمُّهَا يَكُرُخَلُقًا مِنْ بَعَدِ خَلْقِ فِي ظُلْمُتِ ثَلَاثُ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَّ فَأَنَّا تُعَرِّفُونَ ۞ إِن تَكُفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَيْقُ عَنكُورٌ وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِوالكَ عُرْقَان تَشَكُّرُ والرَّضَة لَكُ مُّ وَلَا تَنْزُدُ وَانِدَةً وِزُدَا أُخْرَةً ثُمُّ الْأَرْبُكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْزَعُكُمُ مَا كُنتُوتَعَمَلُونَ إِنَّهُ وَلِيهُ وَلِينَا السَّالُونِ ﴾ • وَإِذَا مَسَ الْإِنسُكَ مُثَرُّهُ عَارَيْهُ مُنينيا إِلَيْهِ ثُرَّ إِذَا حَوَلَهُ فِعَهُ يِّنْهُ نِينَ مَا كَانَ يَدْعُوْ إِلَيْهِ مِن قِبَلُ وَجَعَلَ بِنَهِ أَنَدَاذَا لِيُخِيلُ عَن سَبِيلِهُ قُلْ مَّنَةُ وَكُفُرِكَ قَلِيلًا أَنْكَ مِنْ أَصْبَ السَّادِ ٥ أَمَّنْ هُوَقِلِيتُ ءَانَكَآءً أَيُّل سَاجِهُ اوَقَاهَمًا يَعَذُرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَيْجً عُلْ هَلْ مِسْتَعِي الَّذِيثَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعَمَ لَهُ وَأَ إِنَّا إِنَّذَ حَتَّمُ أُولُوا ٱلْأَلْبُ ۞ قُلْ يَعَيَادِ ٱلَّذِينَ المَثُوا التَّعُوارَيَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَلَا وَالدُّنْيَ احْسَنُو ا وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِيعَةً إِنَّمَ أَيُوفَى الصَّايِرُونَ أَجْرُهُم بِعَيْرِ حِسَابٍ ۞

الصابرون أجرهم بغير حساب، أي: قبل منادياً لأشرف الخلق، وهم المؤمنون، آمراً لهم بأفضل الأوامر، وهي التقوى، ذاكراً لهم السبب الموجب للتقوى، وهو ربوبية الله لهم وإنعامه عليهم، المقتضى ذلك منهم أنْ يتقوه، ومن ذلك ما مَنَّ الله عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى، كما تقول: أيها الكريم تصدَّق، وأيها الشجاع قاتل.

وذكر لهم الثواب المنشط في الدنيا فقال: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾ بعبادة ربهم لهم ﴿حسنة ﴾ ورزق واسع، ونفس مطمئنة، وقلب منشرح، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ٠٠٠٠

﴿ وَأُرضَ اللهِ واسعة ﴾ إذا منعتم من عبادته في أرض، فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم .

ولما قال: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ كان لبعض النفوس عجال في هذا الموضع، وهو أن النص عام، أنه كل مَنْ أحسن فله في الدنيا حسنةً، فما بال مَنْ آمن في أرض يضطهد فيها ويمتهن، لا يحصّل له ذلك، دفع هذا الظن بقوله: ﴿وأرض الله واسعة﴾ وهنا بشارة نص عليها النبى علي بقوله: «لا تزال طائفة من أمتى على

قُلْ إِنَّ أَمِنْ تُلَا أَعْبُدُ ٱللَّهَ تَعْلِصُا لَهُ ٱلذِينَ ۞ وَأَمِنْ لِأَنْ ٱلَّوْبَ أَوْلَ لَلْسُلِينَ ۞ قُلِلْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ مَنْ عَذَابَ وَم عَظِيرٍ۞ قُلِ اللّهَ لَعَبُ مُعْلِصَا لَكُوبِينِ۞ فَأَعَبُدُواْ مَا شِيتْدُرُ مِن دُونِةً عُقُل إِنَّ أَنْخَلِيمِ مِنَ ٱلَّذِينَ خَيِمُ وَالْفُسَكُمْ وَأَهْلِيهِ مَعْوَمَ ٱلْفِيكَةُ ۚ أَلَاذَٰ إِلَى هُوَالْمُعُمِّرَانُ ٱلْجِينُ۞ لَمُمِّن فَوَقِهِ مُرْشُلَلُ مِّنَ النَّادِ وَمِن مَّيْهِ هِرَ ظُلُلَّ ذَاكِ يُعَنِّونُ اللَّهُ بِدِيجِبَ ادَمُّرِيكِ بِسَادٍ فَالْقُونِ ۞ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ الطَّلْخُوتَ أَن يَمْبُدُوهَ وَالْآفِرَالِلَ ٱللَّهِ لَمُدُا لَلِثُمْرَةُ فَلَيْتَرَعِهَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَهِعُونَ الْمَوْلَ فَيَنْعُونَ لْعْسَنَهُ وَلَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَنهُمُ اللَّهُ وَأَوْلَتِكَ هُوَ أَوْلُوا الْأَلْبُ أفَنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِيمةُ ٱلْعَلَابِ أَفَأْنَتَ ثُنِيةً دُمَن فِي ٱلنَّالِينَ لَكِنَ الَّذِيكَ اتَّغَوَارَتَهُ وَلَمُ عُمَّةً مِن فَوْفِهَاعْتُ وَفُ مَنِينَيَّةً تَحْدِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَعُدَاللَّهِ لَا يُعْلِفُ الدِّيلِكَ الدِّيلِكَ الدِّيلِكَادَ ۞ ألْرُضَرَأَنَّ اللهُ أَرْزَلِ مِنَ السَّسَمَلَةِ مَا مُسْلَكَ مُسْلِيمَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَغُنِيجُ بِهِ دَزَيْنَا تُخْتَلِفا ٱلْوَنْهُ ثُمَّ يَعِسِيجُ مَثَرَيْهُ مُعْسَفَدًا ثُمَّرَ يَجْعَلُهُ مُعَالِمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدِحْتَىٰ يَأْوَلِ ٱلْأَلْبِ ٥

الحق ظاهرين لا يضرهم مَنْ خَذَلهم ولا مَنْ خالفهم حتى يأي أمر الله وهم على ذلك، تشير إليه هذه الآية، وترمي إليه من قريب، وهو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة، فمهما مُنعتم من عبادته في موضع فهاجروا إلى غيرها، وهذا عام في كل زمان ومكان، فلا بدأن يكون لكل مهاجر، ملجاً من المسلمين يلجأ إليه، وموضع يتمكن من إقامة دينه فيه.

﴿إِنَما يوق الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ وهذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر، الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر على طاعته حتى فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حدّ ولا عدّ ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله، وأنه معين على كل الأمور.

﴿ ١١ - ١٦ ﴾ ﴿ قسل إني أمسرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قا الله أعبد مخلصاً له ديني * فاعبدوا ما شنتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفهسم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين * لهم من ذلك هو الخسران المبين * لهم من

فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك مخوف الله به عباد فاتقون أي: ﴿قل ﴾ يا أيها الرسول للناس: ﴿إِنّي أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ في قوله في أول السورة: ﴿فَاعِبد الله مخلصاً له الدين ﴾

﴿وأمرت لأن أكون أوّل المسلمين﴾ لأني الداعي الهادي للخلق إلى ربهم، فيقتضي أني أوّل مَن التمر بما آمر به، وأوّل مَن أسلم، وهذا الأمر لا بد من إيقاعه من محمد ﷺ، وممن زعم أنه من أتباعه، فلا بد من الإسلام في الأعمال الظاهرة، والإخلاص لله في الأعمال الظاهرة، والإخلاص لله في

﴿قل إِن أَخاف إِن عصيت ربي ﴾
في ما أصرني به من الإخلاص
والإسلام. ﴿عذابَ يوم عظيم ﴾ غلد
فيه مَنْ أشرك، ويعاقب قيه مَنْ عصى.
﴿قل الله أعبد مخلصاً له دِيني *
فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ كما قال
تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون *
عابدون ما أعبد * ولا أنتم
عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد *
لكم دينكم ولي دين ﴾.

﴿قل إِن الخاسرين ﴾ حقيقة هم ﴿الذين خسروا أنفسهم ﴾ حيث حرموها الثواب، واستحقت بسببهم وخيم العقاب ﴿وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي: فرق بينهم وبينهم، واشتد عليهم الحزن، وعظم الخسران. ﴿الا ذلك هو الخسران المبين ﴾ الذي ليس مشله خسران، وهو خسران مستمر، لا ربح بعده، بل ولا سلامة.

ثم ذكر شدة ما يحصل لهم من الشقاء فقال: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ أي: قطع عذاب كالسحاب العظيم ﴿ومن تحتهم ظلل﴾

﴿ ذَلك ﴾ الوصف الذي وصفنا به عذاب أهل النار، سوط يسوق الله به عباده، عباده إلى رحمته، ﴿ يَحُوفُ الله به عباده، يا عبادِ فاتقون ﴾ أي: جعل ما أعده لأهل الشقاء من العذاب داع يدعو

عباده إلى التقوى، وزاجر عمّا يوجب العذاب. فسبحان مَنْ رحم عباده في كل شيء، وسهل لهم الطرق الموصلة إليه، وحثهم على سلوكها، ورغبهم بكل مرغب تشتاق له النفوس وتطمئن له القلوب، وحذّرهم من العمل لغيره (١) غاية التحذير، وذكر لهم الأسباب الزاجرة عن تركه.

﴿١٧ ـ ١٨﴾ ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ لما ذكر حال المجرمين ذكر حال المجرمين ذكر حال المنبين وثوابهم، فقال: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ والمراد بالطاغوت في هذا الموضع، عبادة عير الله، فاجتنبوها في عبادتها. وهذا لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها.

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهُ بِعَبَادَتُهُ وَإِخْلَاصُ الدين له، فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن السرك والمعاصى إلى التوحيد والطاعات، ﴿لهم البشري﴾ التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلاَّ مَنْ أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشري في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة.

ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببسارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: ﴿فَبَشُر عِبَادِ * الذين يستمعون القول﴾ وهذا جنس يشمل كل قول، فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره

أَفَكَن شَسَرَحَ اللَّهُ صَدْرَمُ الْإِسْلَيرِفَهُ وَعَلَى فُورِ مِن زَيِّهِ عَلَى لُ الْقَلْسِيَةِ قُلُونُهُ مِنْ ذِكْرِاللَّهِ أُولَتَهِكَ فِي ضَلَالُهُ بِنِ ۞ أَقَادُنَزَلَ أَحْسَنَ أَنْحَلِيثِ كِتَابًا مُتَشَلِبِهَا مَّشَانِي فَتَشْعِرُهِنَّهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَعْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ يَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُومُهُمْ إِلَّا نِكُراللَّهُ ذَلِكَ هُدَى أَللَّهِ يَهْدِي بِهِ عَمَن يَشَآءُ وَمَن يُصْلِل أللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ۞ أَفَكَن يَتَقِى بِوَجْهِهِ عَلَيْ ٱلْعَذَاب وَمَ ٱلْقِيلَ مَدُّ وَقِيلَ لِلغَلالِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكُمِبُونَ ١ كَنْتَ الَّذِيكِ مِن قَعِلِهِ مَ فَأَتَنَاهُمُ الْعَكَ الْبُعِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُونَ ٥ فَأَذَاقَهُمُ أَلَدُهُ أَيْدِزْيَ فِي أَنْحَيَوْ وَالدُّنْيَ أُولَعَدَابُ أَلْآهِدِرَةِ أَحْتُرُكُوْكَا فُأْيَعْ لَهُونَ ۞ وَلَقَدْ مَنْ يَمَا الِلَّايِنِ سِيغَ لَمُلْذَا ٱلْفُرْةَ إِن مِن كُلِّي مَثَلِ لَمُنالَّمُهُمْ يَنَذَكَّرُونَ ۞ أُوَانًا عَرَيِّنَا غَيْرَوٰى عِرَجَ لَمَ لَهُمْ يَتَعَفُّونَ ۞ مَثَرَبَ ٱلْتَهُمَثَلَاقَةُ لاَ

مَنَلًا ٱلْحَمَدُدُيْوَمُلُ أَحْمَرُ وُولَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّكَ يَبِتُ وَالْمُهُم المَّنْ وَمَنْ الْمُؤْمَّعُ الْمِيْكَةِ عِندَدَيْكُمْ فَعْتَصِمُونَ ٥

DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

يده شركام متشكيك وتعبلاسكا أيهل عل يستويان

للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ﴾ أي: أفيستوي مَنْ شرح الله صدره للإسلام، فاتسع لتلقى أحكام الله والعمل بها، منشرحاً قرير العين، على بصيرة من أمره، وهو الراد بقوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ كمن ليس كذلك، بدليل قوله: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ أي: لا تلين لكتابه، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشر الكبير.

﴿أُولَٰ مُن فَى ضَلَالِ مَبِينَ ﴾ وأي: ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟ ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره؟!!

﴿ ٢٣﴾ ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابأ متشاجأ مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد، يخبر تعالى عن كتابه الذي نزله أنه ﴿أحسن الحديث﴾ على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه

مزخرفة، من حسنها وبهائها وصفائها، أنه يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، ومن علوها وارتفاعها، [أنها](١) تري كما يري الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي، ولهذا قال: ﴿من فوقها غرف﴾ أي: بعضها فوق بعض ﴿مبنيَّةٌ ﴾ بذهب وفضة، وملاطها المسك الأذفر.

﴿ تَجِرِي مِن تحتها الأنهار ﴾ المتدفقة ، المسقية للبساتين الزاهرة والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، والفاكهة النضيجة.

﴿وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾ وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به، فليوفوا بخصال التقوي، ليوفيهم أجورهم .

﴿٢١﴾ ﴿أَلَمْ تَسر أَنْ اللهُ أَنسزلُ مِسن السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوآنه ثم يهيج فتراه مصفراً ثبم يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى الأولى الألباب ، يذكر تعالى أولى الألباب، ما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض، أي: أودعه فيها ينبوعاً يستخرج بسهولة ويسر، ﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه من بر وذرة، وشعير وأرز، وغير ذلك. ﴿ثم يهيج﴾ عند استكماله، أو عند حدوث آفة فيه ﴿ فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ﴾ متكسراً ﴿إِن في ذٰلك لذكري لأولى الألباب) يذكرون به عناية ربهم ورحمته بعباده، حيث يسر لهم هذا الماء، وخزنه بخزائن الأرض تبعاً لمصالحهم.

ويذكرون به كمال قدرته، وأنه يحيى الموتى، كما أحيا الأرض بعد موتها، ويذكرون به أن الفاعل لذلك

اللهم اجعلنا من أولى الألباب، الذين نوهت بذكرهم، وهديتهم بما أعطيتهم من العقول، وأريتهم من أسرار كتابك وبديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم، إنك أنت الوهاب.

﴿٢٢﴾ ﴿أَفْمِن شرح الله صدره

ما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: ﴿ الله نرَّلُ أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾ الآية .

وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء المدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولى الألباب، وحتى نعرف أن من آثره علمنا أنه من أولى الألباب؟

قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه ﴿الله نول أحسن الحليث كتاباً متشاحاً ﴾ الآية .

والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله لأحسن الأخلاق والأعمال ووأولتك هم أولو الألباب) أي: العقول الز اكية .

ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميزبين الأقوال، حسنها وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقى عقله تابعاً لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.

﴿١٩ ـ ٢٠ ﴾ ﴿أَفْ مِن حِقْ عِلْيَهِ كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار * لكن الذين اتّقوا رجم لهمّ غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله المبعاد﴾ أي: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه وعناده وكفره، فإنه لا حيلة لك في هدايته، هو المستحق للعبادة. ولا تقدر تنقذ مَنْ في النار لا محالة، لكن الغنى كل الغنى، والفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة وأنواع النعيم ما لا يقادر

﴿لهم غُرَفٌ ﴾ أي: منازل عالية

(1)

CA CHEN QUEN • فَيْزَاظْ لَرُمِتَن كَنَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ حِنَّاهُ مُبِأَلَقِسَ فِي جَهَنَّ مَعْوَى لِلْكَنِعِينَ ۞ وَٱلَّذِي جَاتَة بِالْفِيدُةِ وَصَدَّقَ بِلِيَّةُ أُولَدِكَ هُمُ الْمُتَقُونَ ۞ لَهُمْ مَّالِنَثَ أَوْنَ عِندَرَتِهِمُّ ذَلِكَ جَنَلَهُ ٱلْمُحْسِنِينَ إِنْكَ قِرَالَةُ عَنْهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي عَيدُواْ وَيَجْزِيهُ وَلَجْرَهُمْ بِأَحْسَنَ الَّذِي كَافُواْ يَشْمَلُونَ ۞ ٱلْتَسَرَاللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُحَوِّقُونَاكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِ وَعَن يُصَّلِل اللّهُ فَسَالَهُ مِنْ هَسَادِ ۞ وَمَن يَهُدِ اللَّهُ فَسَالَهُ مِن مُعِسَلُّ أَلْيَسَ اللَّهُ مِسْ يُغِرِفِي أَنْيَقَ الرَّ ۞ وَلَمِن سَأَلْتُهُم مِّنْ خَلَقَ التسكونة والأزخ ليغول المأفظ أفرة بشرماتذعون مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَزَادَ فِي اللَّهُ مِعْدَرِهِ لَهُ فَنَّ كَنْ يُعَدُّ مُرِّعَة أَوْأَرَادَنِي رِرَحْمَةِ هَمُلْهُ إِنْ مُعَيدِكُ لَنُ مُؤْكِمُنِينَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّ لَ الْمُتَوَكِّ لُونَ ۞ قُلْ يَلْقَوْمِ أغمكوا عَلَ مَكَانَ حَمْمُ إِنَّ عَلَيمًا مُعَتَوْقَ مَعْ مَتُوت ۞ مَن يَأْتِهِ وَعَذَابٌ يُغْزِيهِ وَيَعِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ تُغِيدُ TO SOR IN MOROLOW

أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجلُ المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابهاً في بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع.

وأما في قوله تعالى: ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ فالمراد بها، التي تشتبه على فهوم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاستباه إلا آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابها، أي: في وهن سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضا كما ذكرنا.

﴿مثاني﴾ أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته وحُسنه، فإنه تعالى لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي

الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بَعُد عهدها بسقى الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتآج دائماً إلى تكرر معانى كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعاً، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراع لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغى للقارىء للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير ونفع غزير.

ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلهذا قال تعالى: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر.

﴿ذَلْكُ ﴾ الذي ذكره الله من تأثير القرآن فيهم ﴿ هُدَى الله ﴾ أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم، ﴿ يهدي بِهِ ﴾ أي: بسبب ذلك ﴿ مَنْ يشاء ﴾ من عباده. ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿ذلك ﴾ أي: القرآن الذي وصفناه لكم.

﴿هـدى الله ﴾ الـذي لا طريق يوصل إلى الله إلا منه ﴿هدي به مَنْ يشاء من عباده ﴾ بمن حسن قصده، كما قال تعالى: ﴿يهدي به الله مَن اتبع رضوانه سبل السلام ﴾.

﴿ومَنْ يُضْلِلِ الله فما له من هادٍ﴾ لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه والتوفيق للإقبال على كتابه، فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى، وما هو إلا الضلال المين والشقاء.

﴿٢٤ ـ ٢٦﴾ ﴿أَفَمَنْ يَتَقَى بُوجِهِهُ سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون * كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * فأذاقهم الله الخزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون أي: أفيستوي هذا الذي هداه الله، ووفقه لسلوك الطريق الموصلة لدار كرامته، كمن كان في الضلال واستمر على عناده حتى قدم القيامة ، فجاءه العذاب العظيم فجعل يتقى بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء، وأدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، فهو يتقى فيه سوء العذاب لأنه قد غُلّت بداه ورجلاه، ﴿وقيل للظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصى، توبيخاً وتقريعاً: ﴿ فُوقُوا مَا كُنتُم تكسبون)

﴿كُذُبِ الذينَ مِن قبلهم ﴾ من الأمم كما كذّب هؤلاء ، ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ جاءهم في غفلة أول نهار ، أو هم قائداب ﴿الحزي في الحياة الدنيا ﴾ فافتضحوا عند الله وعند خلقه ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ فليحذر هؤلاء من المقام على التكذيب، فيصيبهم ما أصاب أولئك من التعذيب .

﴿٧٧ _ ٣١﴾ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون * قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون * ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون * إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تغتصمون﴾ يغبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير وأمثال أهل الشر، وأمثال العرائمية وإلشرك، وكل مثل يقرّب التوحيد والشرك، وكل مثل يقرّب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك إلعلهم يتذكرون﴾ عندما نوضح لهم الحق فيعلمون ويعملون.

﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ أي: جعلناه قرآناً عربياً، واضع الألفاظ،

سهل المعانى، خصوصاً على العرب. ﴿فير ذي عوج﴾ أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته كما قال تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً * قيماً * .

﴿لَمِلْهُم يِتَقُونَ ﴾ الله تعالى ، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية والعملية، بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب الله فيه من كل مثل.

ثم ضرب مثلاً للشرك والتوحيد فقال: ﴿ضرب الله مثلاً رجلا﴾ أي: عبداً ﴿فيه شركاء متشاكسون﴾ فهم كثيرون، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كلِّ له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾ أي: خالصاً له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة . ﴿ هِلْ يُستويانَ ﴾ أي : هذان الرجلان ﴿مثلاً﴾؟ لا يستويان. ·

كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقرله قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحّد مخلص لربه، قد خلصه الله من الشركة لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة، ف ﴿ هُل يُستويان مثلاً الحمد لله على تبيين الحق من الباطل، وإرشاد الجهال. ﴿بِل أكشرهم وفيما فعله من خصال الصدق. لا يعلمون،

> ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ أي: كلكم لا بدأن يموت ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدُون﴾ .

> ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون باينازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل، ويجازى كُلاً ما عمله ﴿أحصاه الله ونسوه ﴾.

﴿٣٧_٣٥﴾ ﴿فيمن أظلم ممن

كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين * والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون * لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون الذي كانوا تعالى، محذراً وغيراً: أنه لا أظلم وأشد ظلماً ﴿ يُمِن كَذَّبَ عِلَى اللَّهِ ﴾ إما بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله، أو بادعاء النبوة، أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا، أو أخبر بكذا، أو حكم بكذا وهو كاذب، فهذا داخل في قوله تعالى: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ إن كان جاهلاً، وإلاّ فهو أشنع وأشنع،

[﴿وكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جِاءُهُ﴾](١) أي: ما أظلم عمن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه، فتكذيبه ظلم عظيم منه، لأنه رد الحق بعدما تبين له، فإن كان جامعاً بين الكذب على الله والتكذيب بالحق، كان ظلماً على ظلم. ﴿ اليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ يحصل بها الاشتفاء منهم، وأخذ حق الله من كيل ظالم وكافر. ﴿إِنَّ الشرك لظلم عظيم ﴿ .

ولما ذكر الكاذب الكذب وجنايته وعقوبته، ذكر الصادق المصدق وثموابه، فعال: ﴿واللَّذِي جِماء بالصدق﴾ في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، عن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه،

﴿وصدِّق به﴾ أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يُصِدُق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.

﴿ أُولِئُكُ ﴾ أي: الذين وفقوا للجمع بين الأمرين ﴿هم المتقون﴾ فإن جميعً خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق

四三三三 إِنَّا أَوْلُنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَبْ لِلنَّاسِ بِٱلْحَيِّ فَهَنِ آهَٰتَذَىٰ فَلِنَهْ بِيرِيِّهُ وَمَن صَلَّ فَإِنْ كَايَتِينُ كُلَّهُ كَأَنَّهُ كَأَوْمَا أَنتَ عَسَلَتِهِ مِ العَوْكِيلِ ﴿ الْقَدُيْتُولَ الْأَنْفُرُودِ تَوْقَاوَالْقَ لَوْقَاتُ لَقَالُ اللَّهِ الْمُثَنَّ المَثَنَّ المُثَنَّ المَثْنَا اللَّهُ المُثَنَّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنِّ المُثنِّ المُثنِّ المُثنِّ المُثنِّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنَّ المُثنّلِ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنّلُ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنَّ المُثنِّ المُثنَّ المُل فِ مَنْ المِقَّا فَعُيدِكُ أَلَى قَضَىٰ عَلَيْهَا لَلْوَتَ وَيُرْمِدُ أَالْخُرُكَا إِلَّهُ أَحِل مُّسَكِّمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيِكَ لِفَوْمِ يَتَفَكُّرُونَ @ أَمِرَاتُفَ دُوا مِن دُوبِ اللَّهِ شُفَعَ لَهُ ثُلُ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْنَا وَلَا يَشْفِلُونَ ۞ قُل يَتْمُ ٱلشَّفَاعَةُ جَمِعًا أَفَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ ثُمَّ الَّيْهِ ثُبِّعَتُونَ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَالَةُ وَحْدَهُ أَشَكَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِي لَا يُؤْمِنُونَ بِأَلْآخِرَةً فَلَا دُكِرَالِّينَ مِن دُونِيةٍ إِذَاهُمْ يَسْتَنْفِرُونَ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّكَوَتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ ٱلْمَنْفِ وَالشَّهَلَةِ أَتَ تَعَكُّمُ يَمِنَ عِلِكَ فِ مَاكَ أَوْافِيهِ يَغْتَلِقُونَ ۞ وَلَوْأَذَ لِلَّذِينَ ظُلَمُوا مَا فِي ٱلْأَرْضِ يَعَيِعُنَا وَعِشْلَهُ مُعَنَدُ لَا فُلَدٌ فَأَيْدِينِ شَوْهَ ٱلْعَلَابِ إِنْ مَا أَلْمَيْكَ مَا فُورَبُنَا لَمُدُمِّنَ ٱللَّهِ مَا لَرْبَكُمُ وَلَا يَعْتَسِبُونَ ۞ A DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

والتصديق به .

﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ من الشواب، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فكل ما تعلقت به إرادتهم ومشيئتهم، من أصناف اللذات والمستهيات، فإنه حاصل لهم، معدمهياً، ﴿ذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم ﴿المحسنين﴾ إلى عباد الله.

﴿لِيُكَفِّرَ اللهِ عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون عمل الإنسان له ثلاث حالات:

إما أسوأ، أو أحسن، أو لا أسوأ ولا أحسن.

والقسم الأخير قسم المباحات وما لا يتعلق به ثواب ولا عقاب، والأسوأ، المعاصى كلها، والأحسن، الطاعات كلها، فبهذا التفصيل يتبين معنى الآية، وأن قوله: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ﴾ أي: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم وتقواهم، ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أي: بحسناتهم كلها. ﴿إِن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرأ عظيما ﴾.

وَبَدَا لَمُدُرْسَيْنَاتُ مَاكَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّاكَانُواْ بِهِ، يَسْتَهْنِهُ وَدَهِ ﴿ فَإِذَامَسَ ٱلْإِنسَانَ مُثَرُّدُ عَامَا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْتَهُ يغستة ينداقال إثما أوييته وكاليط فليط الدين فينتة ولكن أخ ترفز لَايَعْ لَمُونَ ۞ قَدَّ قَالَمُ اللَّيْنِ مِن قَيْلِهِ مَرْفَا أَغْنَ عَنْهُم مَاكَانُواْ يَكْمِيمُونَ ۞ فَأَصَابَهُمْ سَيْعَاتُ مَاكَسَبُولًا وَالَّذِينَ طَلَمُوا مِنْ كَنَاؤُلآءَ سَيُصِيبُ هُرُسَيْنَاتُ مَاكْسَبُوا وَمَاهُم مِنْعُجِنِينَ ۞ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَلَهُ يَشُطُ ٱلِزَقَ لِمَن يَشَكَآهُ وَيَقْدِدُ أَلِكَ فِي ذَاكَ لَآيَنتِ لِقَوْمِ يُؤْمِ خُورَ ۞ قُلْ يَلْعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَشْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِ مَر لاَنفَتَطُولُونِ زَّمْءَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ النُّنُوبَ جَيِعاً إِنَّهُ مُوَ الْفَفُورُ الْحَجِيمُ ۞ وَأَنِيهُواْ إِلَا رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَمُين قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْمُنَابُ ثُمَّ لَاشْمَرُونَ ۞ وَانَّبِمُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن دَيِّكُ م مِن جَسْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَكَدَابُ بَغْمَةُ وَأَنتُمْ لَاتَشْعُرُونَ ﴿ أَن تَكُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَقَا عَلَىٰ مَا فَرَطِتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَ لَا سَكُنتُ لِنَ السَّاخِينَ ٥

جده وخوفونك بالذين من دونه ومن عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بكاف بعزيز ذي انتقام > ﴿اليس الله بكاف وعنايته بعبده، الذي قام بعبوديته، ومتلل أمره واجتنب نهيه، خصوصاً أكمل الخلق عبودية لربه، وهو أكمل الخلق عبودية لربه، وهو أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه من ناوأه بسوء.

AND THE TRUE OF THE PROPERTY O

ويخوفونك بالذين من دونه من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيهم وضلالهم.

﴿ وَمَنْ يُضِلِ الله فما له من هَادِ * وَمَنْ يَهْدِ اللّهُ فَما له من مَضِلُ ﴾ لأنه تعالى الذي بيده الهداية والإضلال، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ﴿ اليس الله بعزيز ﴾ له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، وبعزته يكفي عبده ويدفع عنه مكرهم. ﴿ ذِي انتقام ﴾ عن عصاه، فاحذروا موجبات تي التقام ﴾

﴿٣٨﴾ ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أورأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله يضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن عسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾

أي: ولئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه، وأقمت عليهم دليلاً من أنفسهم، فقلت: ﴿مَنْ خَلَقَ السماوات والأرض﴾ لم يثبتوا لآله تهم من خلقها شيشاً. ﴿لِلهَ تَهْمَ اللّٰهِ الذي خلقها وحده.

تبينت قدرة الله: ﴿أَفُوالِيتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر﴾ أيّ ضرّ كان.

﴿قل﴾ لهم مقرراً عجز آلهتهم، بعدما

﴿هل هُنَّ كاشفات ضُرَّهِ بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟ ﴿أو أرادن برحمة ﴾ يوصل إليَّ بها منفعة في ديني أو دنياي. ﴿هل هنَّ ممسكات وحمد ﴾ ومانعاتها عنه ؟ سبقه له ن:

رحمته ﴾ ومانعاتها عني؟ سيقولون: لا يكشفون الضر ولا يمسكون الرحة.

قل لهم بعدما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق والنفع والضر، مستجلباً كفايته،

مستدفعاً مكرهم وكيدهم: ﴿قُلْ حسبي الله عليه يتوكّل المتوكلون﴾ أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده _ وحده _ الكفاية هو حسبي، سيكفيني كل ما أهمني ومالا أهتم به.

﴿٣٩ - ٤٤ ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّ عامل فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ أي: ﴿قل ﴾ لهم يا أيها الرسول: ﴿ يا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ أي: على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم ، من عبادة مَن لا يستحق من العبادة شيئاً ولا له من الأمر شيء .

﴿إِنِ عاملٌ على ما دعوتكم إليه، من إخلاص الدين لله تعالى وحده. ﴿فسوف تعلمون ﴾ لن العاقبة و ﴿مَنْ يأتيه عذاب يخزيه ﴾ في الدنيا، ﴿ويحل عليه ﴾ في الأخرى ﴿عذاب مقيم ﴾ لا يحول عنه ولا يزول، وهذا تهديد عظيم لهم، وهم يعلمون أنهم

المستحقون للعذاب المقيم، ولكن

الظلم والعناد حال بينهم وبين الإيمان.

﴿٤١﴾ ﴿إِنّا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل﴾ يخبر تعالى أنه أنزل على رسوله الكتاب المشتمل على الحق، في أخباره وأوامره ونواهيه، الذي هو مادة السهداية، وبلاغ لمن أراد الوصول إلى الله وإلى دار كرامته، وأنه قامت به الحجة على العالمين.

﴿ نَمَن اهتدى ﴾ بنوره واتبع أوامره ﴿ وَمَنْ فَلَكَ يعود إلى نفسه ﴿ وَمَنْ ضَلّ ﴾ بعدما تبين له الهدى ﴿ فإنما يضلُّ عليها ﴾ لا يضر الله شيئاً. ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، وإنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به.

﴿٢٤﴾ ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد، في حال يقظتهم ونومهم، وفي حال حياتهم وموتهم، فقال: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكُل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكُل بكم﴾ ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سبباً.

وقوله: ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ وهذه الموتة الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، ﴿فيمسك﴾ من هاتين النفسين النفس ﴿التي قضى عليها الموت﴾ وهي نفس

مَنْ كان مات، أو قضى أن يموت في منامه.

﴿ويرْسل﴾ النفس ﴿الأخرى إلى المجل مسمى﴾ أي: إلى استكمال رزقها وأجلها. ﴿إِن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ على كمال اقتداره، وإحياته الموتى بعد موتهم.

وفي هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها في الوفاة والإمسال، وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع فتتحادث، فيرسل الله أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات.

دون الله شف عداء قلل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون النكر تعالى على مَن اتخذْ من دونه شفعاء يتعلق بهم ويسألهم ويعبدهم. ﴿قُلِ﴾ لهم ـ مبيناً جهلهم، وأنها لا تستحق شيئاً من العبادة _: ﴿ أُولُو كَانُوا ﴾ أي: مَنْ اتخذتم من الشفعاء ﴿لا يملكون شيئاً ﴾ أي: لا مشقال ذرة في السسماوات ولا فسى الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، بال وليس لهم عقل يستحقون أن يمدحوا به، لأنها جمادات من أحجار وأشجار وصور وأموات، فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلاً؟ أم هو من أضل الناس وأجهلهم وأعظمهم ظلمأ؟

﴿قل﴾ لهم: ﴿لله الشفاعة جميعاً﴾ لأن الأمر كله لله وكل شفيع فهو يخافه، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد الأ بإذنه، فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنين. ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله: ﴿له ملك السماوات والأرض﴾ أي: جميع ما فيهما من الذوات والأفعال والصفات. فالواجب أن تطلب الشفاعة عمن يملكها، وتخلص له العبادة. ﴿ثم إليه ترجعون﴾ فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، ومَن

أشرك به بالعذاب الوبيل.

﴿ 6 ك - 2 ؟ ﴿ وَإِذَا ذَكَرِ اللهُ وحده السمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون * قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون ﴾ يذكر تعالى حالة المشركين، وما الذي اقتضاه شركهم أنهم ﴿إِذَا الذي اقتضاه شركهم أنهم ﴿إِذَا الذي له، وترك ما يعبد من دونه، أنهم يشمئزون وينفرون، ويكرهون ذلك أشد الكراهة.

﴿وإذا ذكر الذين من دونه ﴾ من الأصنام والأنداد، ودعا الداعي إلى عبدادتها ومدحها، ﴿إذا هم معبوداتهم، ولكون الشرك موافقاً لأهوائهم، وهذه الحال أشر الحالات وأشنعها، ولكن موعدهم يوم الجزاء. فهناك يؤخذ الحق منهم، وينظر: هل تنفعهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون الله شيئاً؟

ولهذا قال: ﴿قل اللهم فاطر السماوات والأرض﴾ أي: خالقهما ومدبرهما، ﴿عالم الغيب﴾ الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، ﴿والشهادة﴾ الذي نشاهده.

﴿أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه غتلفون﴾ وإن من أعظم الاختلاف اختلاف الموحدين المخلصين القائلين: إن ما هم عليه هو الحق، وإن لهم الحسنى في الآخرة دون غيرهم، والمشركين الذين اتخذوا من دونك الأنداد والأوثان، وسووا فيك مَن لا يسوى شيئا، وتنقصوك غاية التنقص، واستبشروا عند ذكر آلهتهم، واشمئزوا عند ذكرك، وزعموا مع هذا أنهم على المباطل، وأن لهم الحسنى.

قال تعالى: ﴿إِن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾.

وقد أخبرنا بالفصل بينهم بعدها

بقوله: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نبار يصب من فبوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد ﴾ إلى أن قال: ﴿ إِنَّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ .

وقال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ ﴿إنه مَنْ يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ ففي هذه الآية، بيان عموم خلقه تعالى عباده، فقدرته التي نشأت عنها المخلوقات، وعلمه المحيط بكل شيء، دال على حكمه بين عباده وبعثهم، دال على حكمه بين عباده وبعثهم، وعلمه بأعمالهم، خيرها وشرها، وبمقادير جزائها، وخلقه دال على علمه ﴿ألا يعلم مَنْ خلق﴾.

﴿ ٤٧ ـ ٤٨ ﴾ ﴿ ولو أنَّ لللَّذِينَ ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون * وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون للا ذكر تعالى أنه الحاكم بين عباده، وذكر مقالة المشركين وشناعتها، كأن النفوس تشوقت إلى ما يفعل الله بهم يوم القيامة، فأخبر أن لهم ﴿سوء العذاب﴾ أي: أشده وأفظعه، كما قالوا أشد الكفر وأشنعه، وأنهم على ــ الفرض والتقدير _ لو كان لهم ما في الأرض جميعاً، من ذهبها وفضتها ولؤلؤها وحيواناتها وأشجارها وزروعها وجميع أوانيها وأثاثها ومثله معه، ثم بذلوه يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب وينجوا منه، ما قُبل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً، ﴿ يُومُ لَا يَنْفُعُ مَالُ وَلَا بِنُونَ * إِلَّا مَنْ أتى الله بقلب سليم .

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾أي: يظنون من السخط العظيم، والمقت الكبير، وقد كانوا

يحكمون لأنفسهم بغير ذلك. ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ أي: الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم وكسبهم. ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ من الوعيد والعذاب الذي

نزل بهم، وما حل عليهم العقاب.

﴿٤٩ ـ ٢٥﴾ ﴿فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون * قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ١ أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرزق لن يشاء ويقدر إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون ﴾ يخبر تعالى عن حالة الإنسان وطبيعته، أنه حين يمسه ضر، من مرض أو شدة أو كرب، ﴿دعانا﴾ ملحاً في تفريج ما نزل به ﴿ثم إذا خولناه نعمة منّا ﴿ فكشفنا ضره وأزلنا مشقته، عاد بربه كافراً، ولمعروفه منكراً، و ﴿قال إنما أوتيته على علم﴾ أي: علم من الله، أني له أهل، وأني مستحق له، لأني كريم عليه، أو على علم مني بطرق تحصيله.

قال تعالى: ﴿بل هي فتنة ﴾ يبتلي الله به عباده، لينظر مَنْ يشكره بمن يكفره. ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ فلذلك يعدون الفتنة منحة، ويشتبه عليهم الخير المحض، بما قد يكون سبباً للخير أه للشد

قال تعالى: ﴿قد قالها الذين من قبلهم ﴾ أي: قولهم ﴿إنما أوتيته على علم ﴾ فما زالت متوارثة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، ولا يرون له حقاً، فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا، ولم يغنِ ﴿عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ حين جاءهم العذاب.

﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ والسيئات في هذا الموضع: العقوبات، لأنها تسوء الإنسان وتحزنه. ﴿واللين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ فليسوا خيراً من أولئك، ولم يكتب لهم براءة في الزبر.

ولما ذكر أنهم اغتروا بالمال، وزعموا _ بجهلهم _ أنه يدل على حسن حال صاحبه، أخبرهم تعالى، أن رزقه لا يدل على ذلك، وأنه ﴿يبسط الرزق لمن يشاء، من عباده، سواء كان صالحاً أوطالحاً ﴿ويسقدر ﴾ البرزق، أي: يضيقه على مَنْ يشاء، صالحاً أو طالحاً، فرزقه مشترك بين البرية، والإيمان والعمل الصالح يخص به خير البرية. ﴿إِن في ذلك ، آلايات لقوم يؤمنون ﴿ أي: بسط الرزق وقبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك، عائد إلى الحكمة والرحمة، وأنه أعلم بحال عبيده، فقد يضيق عليهم الرزق لطفاً بهم، لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض، فيكون تعالى مراعياً في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحهم، والله أعلم.

﴿٥٣ ــ ٥٩ ﴿قل يا عبادي الذين

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أنَّ تقول نفس یا حسرتی علی ما فرطت فى جىنىب الله وإن كسنىت لمن الساخرين * أو تقول لو أنَّ الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى المعذاب لو أنّ لي كرة فأكون من المحسنين * بلى قد جاءتك آيات فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين مخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: ﴿قل﴾ يا أيها الرسول ومَنْ قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبراً للعباد عن ربهم: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام

﴿لا تقنطوا من رحمة الله أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق

يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعاً، من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. ﴿ إِنَّهُ هُو الغفور الرحيم اي: وصفه المغفرة والرحمة، وضفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجلُّ، والطريق الأعظم، ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه، والمبادرة إليها فقال: ﴿وأنيبوا إلى ربكم ﴾ بقلوبكم ﴿وأسلمواله﴾ بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، وإذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.

وفي قوله: ﴿إلى ربكم وأسلموا له لل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص، لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئاً. ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب عينا لا يدفع ﴿ثم لا تنصرون ﴿ . فكأنه قيل: ما هي الإنبابة والإسلام ؟ وما جنزئياتها وأعمالها ؟

فأجاب تعالى بقوله: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ بما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، وعبة الخير لهم، وترك ما يضاد ذلك.

ومن الأعمال الظاهرة، كالصلاة،

والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب السلم، ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ وكل هذا حتَّ على المبادرة وانتهاز الفرصة.

ثم حذرهم ﴿أَنَّ لا يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، ولا تنفع الندامة، و ﴿تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جَنب اللهِ ﴾ أى: في جانب حقه، ﴿وإن كنتُ﴾ في الدنيا ﴿ لمن الساخرين ﴾ في إتيان الجزاء، حتى رأيته عياناً.

﴿أُو تقول لُو أَن الله هداني لكنت من المتقين﴾ و «لو» في هذا الموضع للتمنى، أي: ليت أن الله هداني فأكون متقياً له، فأسلم من العقاب وأستحق الثواب، وليست «لو» هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة.

﴿أُو تَقُولُ حِينَ تُرى العِذَابِ﴾ وتجزم بموروده ﴿لو أن لي كرَّةُ ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا لكنيت أمن المحسنين﴾ . قال تعالى: إن ذلك غير محكن ولا مفيد، وإن هذه أماني باطلة لا حقيقة لها، إذ لا يتجدد للعبد لو رُدْ، بيان بعد البيان الأول.

﴿بلي قد جاءتك آياتي﴾ الدالة دلالة لا يمترى فيها على الحق ﴿ فكذبت بها واستكبرت > عن اتباعها ﴿وكنت من الكافرين فسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث، ﴿ولو ردوا لعادوا لما سواعنه وإنهم لكاذبون، ٩

﴿٦٠ ـ ٦١﴾ ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين * وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهّم السوء ولا هم يحزنون﴾ يخبرُ تعالى عن خزى الذين كذبوا عليه، وأن وجوههم يوم القيامة مسودة كأنها الليل البهيم، يعرفهم بذلك أهل الموقف،

فالحق أبلج واضح كأنه الصبح، فكما سوَّدوا وجه الحق بالكذب، سود الله وجوههم، جزاء من جنس عملهم.

فلهم سواد الوجوه، ولهم العذاب الشديد في جهنم، ولهذا قال: ﴿ أَلْيُسَ في جهنم مثوى للمتكبرين) عن الحق، وعن عبادة ربهم، المفترين عليه؟ بلي والله، إن فيها لعقوبة وخزياً وسخطاً، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ، ويؤخذ الحق منهم بها.

والكذب على الله يشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد والصاحبة، والإخبار عنه بما لا يليق بجلاله، أو ادعاء النبوة، أو القول في شرعه بما لم يقله، والإخبار بأنه قاله وشرعه.

ولما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين، فقال: ﴿وينجى الله الذين اتقوا بمفارتهم اي: بنجأتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة. ﴿لا يمسهم السوء﴾ أي: العذاب الذي يسوؤهم ﴿ولا هم يحزنون فنفي عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان.

فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام، فحينتُذُ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، ويقولون: ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنَّا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾.

﴿٦٢ ـ ٦٣ ﴾ ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل * له مقاليد السسماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ يخبر تعالى عن عظمته وكماله، الموجب لخسران مَنْ كفر به فقال: ﴿الله خالق كل شيء ﴾ هذه العبارة وما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة، ففيها رد على كـل مَـنُ قـال بـقـدم بـعـض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقدم الأرض والسماوات، وكالقائلين بقدم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن

خلقه .

CENTER 14 أَوْتَ عُولَ لَوْأَنَ اللَّهُ هَدَائِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِّمِ فَ ا أَوْتَكُولَ حِينَ تَدَى الْمُكَذَابَ لَوْأَنَ لِي كَرَّةً وَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ بَلَىٰ قَدْجَآءَ لْكَ ءَائِنِي فَكَذَبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرُتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِينَ ۞ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَذَةً أَالْيَسَ فِجَهَلَمَ مَنْوَى لِلْمُتَكِينِ ۞ وَيُنَجِي اللَّهُ ٱلَّذِينَ اتَّقَوَّا بِمَفَازَتِهِ رُلايَشُ فَمُ الشُّوءُ وَلَاهُمْ يَعْزَنُونَ ۞ اللَّهُ خَلِقُ كُلُ مَنَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ وَكِيلٌ ١٠ أَنْهُمَ قَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَالَّذِينَ كَلَتَهُ وَالَّذِينَ كَلَتَهُ وَا يَالِتِ اللَّهِ أَوْلَلَهِ كَ خُدُاكَغَنِيرُونَ ۞ قُلُ أَفَعَدَ يَرَالَوَتَأْمُ رُوَقِ أَعْبُدُ ٱلْيُهَا ٱلْجَكِهِ لُونَ ۞ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَلِمَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبَلِكَ لَهِنْ أَشْرَحَتْ لَيَحْبَطُنَ عَسَلُكَ وَلَتَكُونَ مِنَ ٱلْحَلِيمِينَ ۞ بَلِ اللَّهَ كَأَعْبُدُ وَكُّنْ فِينَ الشَّلِكِينَ ۞ وَمَا تَعَزُواْ الْتَتَحَقَّ مَّنْدِهِ وَٱلْأَرْضُ حَمِيعَ اجْتَمَتُ مُرَّقِعَ ٱلْقِيكَ مَوْوَالسَّمَوَتُ المُعْلِمِينَا اللَّهِ مِنْ وَمُنْ اللَّهُ مُعَلِّمَ مُعَالِمَ مُعَالِمَ مُعَالِمَ مُعَالِمَ مُعَالِمَ مُعَالِمُ مُعَالِمُ مُعَلِّمَ مُعَالِمُ مُعَلِّمُ مُعَالِمُ مُعَلِّمُ مُعِلِمُ مُعَالِمُ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِمِّمُ مُعِمِّمُ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِمِلًا مُعَلِمُ مُعِلِمُ مُعَلِمُ مُعِلِمُ مُعِمِلًا مُعِلِمُ مُعِمِ مُعِلِمُ مُعِمِ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِمِعُ مِعِمِ مُعِمِعِ مُعِمِعِمُ مِعْمِعُ مِعِلِمُ مُعِلِمُ مُعِمِلِمُ مُعِلِمُ مُعِمِلِمُ مُعِم 939702 110 20000

وليس كلام الله من الأشهاء المخلوقة، لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء، فَأَخْذُ أهل الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق، من أعظم الجهل، فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلاً عنها بوقت من الأوقات، والشاهد من هذا، أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة أنه خالق لجميع العالم العلوي والسفلي، وأنه على كل شيء وكيل، والوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل بما كان وكيلاً عليه، وإحاطته بتفاصيله، ومن قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ومن حفظ لما هو وكيل عليه، ومن حكمة، ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلاّ بذلك كله، فما نقص من ذلك فهو نقص

ومن المعلوم المتقرر، أن الله تعالى منزه عن كيل نقص في صفة من صفاته، فإخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها.

﴿ ٦٣ ﴾ ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ أي: مفاتيحها، علماً من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك، وذلك لأن الشرك بالله عبط للأعمال، مفسد للأحوال، ولهذا قال: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ من جميع الأنبياء فلم نصرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأنباء، أن الشرك محبط لجميع الأنباء، أن الشرك محبط لجميع الأنباء، أن الشرك محبط لجميع قال عنهم . ﴿ذلك هدى الله يهدي به قال عنهم ما كانوا يعملون﴾ .

﴿ولتكونن من الخاسرين﴾ دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال.

ثم قال: ﴿بل الله فاعبد﴾ لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: ﴿بل الله فاعبد﴾ أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وكن من الشاكرين﴾ لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعَم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يُشكر ويُثنى عليه بالنعَم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نِعَم الدين، هي النُّعَم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر الله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلاً، فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

ريده المعاور .

﴿ ١٧﴾ ﴿ وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه قدر هؤلاء المشركون ﴿ يقول تعالى : وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره ولا عظموه حق تعظيمه ، بل فعلوا ما يناقض ذلك ، من إشراكهم به مَنْ هو ناقصة من كل وجه ، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضر ، ولا عطاء ولا منع ،

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحن، وأن السماوات _على سعتها وعظمها _مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته من سوّى به غيره، ولا أظلم منه.

﴿سبحانه وتعالى عمّا يشركون﴾ أي: تنزه وتعاظم عن شركهم به.

﴿ ٦٨ _ ٧٠) ﴿ وَنَفْخُ فِي الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام يستطرون * وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهدآء وقَّضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ لما خوفهم تعالى من عظمته، خوفهم بأحوال يوم القيامة، ورغّبهم ورمّبهم فقال: ﴿ونفخ في الصور) وهو قرن عظيم، لا يعلم عظمته إلاّ خالقه، ومن أطلعه الله على علمه من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن.

﴿ فصعق﴾ أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: ﴿ مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض﴾ أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمها، وما يعلمون أنها مقدمة له. ﴿ إِلاّ مَنْ شاء الله عند النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، وهذه النفخة الأولى، نفخة الصعق ونفخة الأولى، نفخة الصعق ونفخة الفزع.

﴿ثم تفخ فيه﴾ النفخة الثانية نفخة البعث ﴿فَإِذَا هِم قيام ينظرون﴾ أي: قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم، قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح، وشخصت أسصارهم ﴿ينظرون﴾ ماذا يفعل الله بهم.

﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور،

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّكَوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَكَةَ اللَّهُ ثُمَّةً نُعِمَ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يُنظُّرُونَ ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِثُورِ رَبِّهَا وَقُضِعَ ٱلْكِتَّهُ وَجِأَى ا بِٱلنَّبِينَ وَالشُّهَ كَنَّاء وَقُينَ يَيْنَعُم بِإِثْمَيَّ وَهُمْ لَايُظَامُونَ ۞ وَوُفِيَتَ كُلُّ فَفْسِ مَّاعَكِلَتْ وَهُوَأَعْلَرُ بِمَا يَغْمَلُونَ ۞ وَسِيقَ الَّذِيبَ كُفُ رُوا إِلَى جَهُ نَمْ زُمُ كُلُّحَقَّ إِذَا جَاءُوهَا فَتَنْ أَقِرَبُهَا وَقَالَ لَمُنْهُ خَزَنَتُهَا أَلَرْ يَأْتِ كُنْرُنُصُلُّ فِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلِيَكُ وَالْنِي رَبِيكُو وَسُولُونَكُولِمَا مَا يَوْمِكُو هَنَأَ قَالُواْ بَلَنَ وَلَكِنَ حَقَّتْ كَيْعَةُ ٱلْمَذَابِ عَلَى ٱلْكَفِرِينَ ﴿ فِيلَ أَدْخُ لُوا أَبُوابَ جَهَا مَرْخَلِومِ وَفَي أَفِقُسُ مَثْوَى ٱلْمُنْكَيْمِينَ ۞ وَمِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّـعَوَّارَبَهُمُولِ ٱلْجُنَاءُ وُمُسَرًّا حَفَّا إِذَا جَآءُ وهِسَا وَفُيْحَتْ أَبُو يُعَاوَقَالَ لَمُنَهُ خَرْنَتُهَا سَلَقُرْعَلَيْسِكُمْ مِلْتِثُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَلِيدِتَ ۞ وَقَالُوا الْحَسَدُيَّةِ الَّذِي مُسِدَّقَتَ اوَعْدَ مُوَالُّودَ ثَنَا الْأَوْنَ تَبَوَّأُونَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ لَشَنَّةً فَيْعَدَ أَجْرًا لْمُنْفِيدِي ٥

وتدبيراً، فرما يفتح الله للناس من رحمة فلا تمسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم). فلما بيَّن من عظمته ما يقتضي أن تمتليء القلوب له إجلالاً وإكراماً، ذكر حال من عكس القضية فلم يقدره حق قدره، فقال: ﴿والذين كفروا بآيات الله الدالة على الحق اليقين والصراط المستقيم، ﴿ أُولِنُكُ هُمُ الخاسرون﴾ خسروا ما به تصلح القلوب من التأله والإخلاص لله، وما به تصلح الألسن من إشغالها بذكر الله، وما تصلح به الجوارح من طاعة الله، وتعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب والأبدان، وخسروا جنات النعيم، وتعوضوا عنها بالعذاب الأليم.

﴿ ٢٤ - ٢٤ ﴿ وَسَل أَفْ غَيْس اللهُ تَأْمروني أُعبد أَيها الجَاهلون * ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبدوكن من الشاكرين ﴾ ﴿ وَل ﴾ يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: ﴿ أَفْغِير الله تَأْمروني عبادة أيها الجاهلون ﴾ أي: هذا الأمر عبد أيها الجاهلون ﴾ أي: هذا الأمر عدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون مَنْ كان ناقصاً

بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح

أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم

باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم

﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾

والقمر يُخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما يتجلي وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يَسَقُووُنَ عِلَى أَنْ لَا يَحْرِقُهُم نُـوره، ويتمكنون أيضاً من رؤيته، وإلاً، فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من

﴿ووضع الكتاب﴾ أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات والسيئات، كما قال تعالى: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾. ويقال للعامل من تمام العدل والإنصاف: ﴿اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا).

﴿وجىء بالنبين ﴾ ليُسألوا عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم. ﴿والشهداء﴾ من الملائكة، والأعضاء والأرض. ﴿وقَضِيَ بِينِهِم بِالحِقِ﴾ أي: العدل التام والقسط العظيم، لأنه حساب صادر عن لا يظلم مثقال ذرة، ومَنْ هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك مَنْ يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب، فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون به من عظمته وعلمه وحكمته ورحمته مالم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم، ولهذا قال: ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون).

﴿٧١ ـ ٧٠﴾ ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم

وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلي ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم

﴿قالوا﴾مقرين بذنبهم، وأن حجة الله قامت عليهم: ﴿بلي﴾قد جاءتنا رسل ربنا بآياته وبيناته، وبينوا لنا غاية التبيين، وحذرونا من هذا اليوم. ﴿ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾أي: بسبب كفرهم وجبت عليهم كلمة العذاب، التي هي لكل مَنْ كفر بآيات الله، وجحد ما جاءت به المرسلون، فاعترفوا بذنبهم

البراهين .

بخلاف هذه الحال؟

ف ﴿قيل﴾ لهم على وجه الإهانة والإذلال: ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾كل طائفة تدخل من الباب الذي ينأسبها ويوافق عملها . ﴿خالدين فيها﴾ أبدأ، لا يظعنون عنها، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. ﴿فبئس مثوى المتكبرين أي: بئس المقر، النار

وقيام الحجة عليهم .

الحق، فعجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والذل والخزي.

مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على

ثم قال عن أهل الجنة: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم ابتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدأ على النجائب. ﴿إلى الجنة زمراً﴾ فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها وتشاكله. ﴿حتى إذا جازوها ﴾ أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة، وهبٌ عليهم ريحها ونسيمها، وأن خلودها ونعيمها. ﴿وفتحت﴾لهم ﴿أبوابها ﴾ فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. ﴿وقال لهم خزنتها﴾ تهنئة لهم وترحيباً: ﴿سلام عليكم﴾ ي: سلام من كيل آفية وشر حيال عليكم. ﴿طبتم﴾أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. ﴿فَ﴾ بسبب طيبكم ﴿ادخلوها خالدين﴾

فادخُلُوها خالدين * وقالوا الحمد للهُ الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين * وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقَضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين لا ذكر تعالى حكمه بين عباده، الذين جمعهم في خلقه ورزقه وتدبيره، واجتماعهم في الدنيا، واجتماعهم في موقف القيامة، فرقهم تعالى عند جزائهم، كما افترقوا في الدنيا بالإيمان والكفر، والتقوى والفجور، فقال: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم اي: سوقاً عنيفاً، يُضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأفظع موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال تعالى: ﴿يوم يُدُّعُونَ إلى نار جهنم دعًا ﴾ أي: يدفعون إليها دفعاً، وذلك لامتناعهم من دخولها.

ويساقون إليها ﴿زمراً﴾ أي: فرقاً متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعض. ﴿حتى إذا جاؤوها﴾أي: وصلوا إلى ساحتها ﴿فُتِحَتْ﴾لهم أي: لأجلهم ﴿أبوابها ﴾ لقدومهم وقِرى لنزولهم.

﴿وقال لهم خزنتها ﴾ مهنئين لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع: ﴿ أَلَمُ يأتكم رسلٌ منكم﴾ أي: من جنسكم تعرفونهم وتعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقى عنهم؟ ﴿يتلُون عليكم آيات ربكم التي أرسلهم الله

لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلاّ الطيبون.

وقال في النار: ﴿فتحت أبوابها﴾ وفي الجنة: ﴿وفتحت﴾ بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها.

وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا مَنْ أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد ﷺ حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى.

وفي الآيات دليل على أن النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور.

﴿وقالوا﴾ عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومن عليهم وهداهم: والحمد لله الذي صدقنا وعده أي: وصلحنا، فوق لنا بما وعننا، وأنجز وصلحنا، فوق لنا بما وعننا، وأنجز أرض الجنة ﴿ وأورثنا الأرض ﴾ أي: أرض الجنة ﴿ نتبوً أمن الجنة حيث نشاء ﴾ أي: ننزل منها أي: مكان أجر العاملين ﴾ الذين اجتهدوا بطاعة ربم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيراً عظيماً باقياً مستمراً.

وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه، ورضيها الجواد الكريم لهم نزلاً، وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، ويزول الكدر ويتم الصفاء.

﴿ وترى الملائكة ﴾ أيها الرائي ذلك

اليوم العظيم ﴿حافين من حول العرش﴾ أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا.

﴿وقضي بينهم﴾ أي: بين الأولين والآخرين من الخلق ﴿بالحق﴾ الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، عمن عليه الحق. ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ لم يذكر القائل مَنْ هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد رجم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.

تم تفسير سورة الزمر بحمد الله وعونه

تفسير سورة المؤمن مكيسة

﴿ ١-٣﴾ ﴿بـــم الله السرحسن الله الرحيم حَم * تنزيل الكتاب من الله المعزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله المعير > غبر تعالى عن كتابه العظيم ، بأنه صادر ومنزل من الله المعبود، لكماله وانفراده بأفعاله ، ﴿العزيز > الذي قهر بعزته كل خلوق ، ﴿العليم > بكل شيء ، ﴿غافر الذنب > ﴿العذبين ﴿وقابل التوب > من التائين ، ﴿شديد العقاب > على مَنْ تَجِراً على الذنوب ولم يتب منها ، ﴿ذِي الطول > أي : التفضل والإحسان الشامل .

فلما قرر ما قرر من كماله، وكان ذلك موجباً لأن يكون وحده المألوه المذي تخلص له الأعمال، قال: ﴿لا إِله إِلا هو إِله المصير﴾

ووجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله، الموصوف بهذه الأوصاف، أن هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل عليه القرآن من المعاني.

ف إن السقرآن: إما إخسار عن أسماء الله وصفاته وأفعاله، وهذه أسماء وأوصاف وأفعال.

وإما إخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة، فهي من تعليم العليم لعباده.

وإما إخبار عن نِعَمِهِ العظيمة، وآلاته الجسيمة، وما يوصل إلى ذلك من الأوامر، فذلك يدل عليه قوله: ﴿ وَى الطُّولِ ﴾.

وإما إخبار عن نِقَمِهِ الشديدة، وعمّا يوجبها ويقتضيها من المعاصي، فذلك يدل عليه قوله: ﴿شديد المعقاب﴾.

وإما دعوة للمذنبين إلى التوبة والإنابة، والاستغفار، فذلك يدل عليه قوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾.

وإما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، والحث عليه، والنهي عن عبادة ما سوى الله، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها، والترهيب منها، فذلك يدل عليه قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾.

وإما إخبار عن حكمه الجزائي العدل، وثواب المحسنين، وعقاب العاصين، فهذا يدل عليه قوله: ﴿إليه المسير﴾.

فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات .

﴿ ٤_٦﴾ ﴿ما يجادل في آيات الله إلاَّ الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد * كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب * وكذلك حقت كلمة ربك على الذيس كفروا أنهم أصحاب النار > يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون، فيخضعون لله تعالى الذي يلقى الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغى للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدُّنيوية، ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا، دليل على محبته له وأنه على الحق، ولهذا قال: ﴿فلا يغررك

تقلبهم في البلاد أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه مَنْ لا علم ولا عقل له.

شم اسدد مَن جادل بايات الله ليبطلها، كما فعل مَنْ قبله من الأمم من قبوم نبوح وعباد والأحيزاب مين بعدهم، الذين تحزبوا وتجمعوا على الحق ليبط لوه، وعلى الباطل لينصروه، ﴿و﴾ أنه بلغت بهم الحال، وآل بهم التحزب إلى أنه ﴿مت كل أمة ﴾ من الأمم ﴿برسولهم ليأخذوه أي: يقتلوه. وهذا أبلغ ما يكون الرسل الذين هم قادة أهل الخير، الذين معهم الحق الصرف الذي لا شك فيه ولا اشتباه، هموا بقتلهم، فهل بعد هذا البغى والضلال والشقاء إلا العذاب العظيم الذي لا يخرجون منه؟ ولهذا قال في عقوبتهم الدنيوية والأخروية: ﴿فَأَخَذَتُهُم ﴾ أي: بسبب تكذيبهم وتحزبهم ﴿فكيف كان عقاب كان أشد العقاب وأفظعه، ما هو إلا صيحة، أو حاصب ينزل عليهم، أو يأمر الأرض أن تأخذهم، أو البحر أن يغرقهم، فإذا هم خامدون.

﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا ﴾ أي: كما حقت على أولئك، حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب، ولهذا قال: ﴿أنَّم أصحاب النار﴾

﴿ ٧- ٩﴾ ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ يخبر تعالى عن كمال الفوز العظيم﴾ يخبر تعالى عن كمال

لطفه تعالى بعباده المؤمنين، وما قيض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم، من استغفار الملائكة القربين لهم، ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم، وفي ضمن ذلك، الإخبار عن شرف حملة العرش ومن حوله، وقربهم من ربهم، وكثرة عبادتهم، ونصحهم لعباد الله، لعلمهم أن الله يحب ذلك منهم فقال: ﴿الذين يحملون العرش♦أي: عرش الرحمن، الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأحسنها، وأقربها من الله تعالى، الذي وسع الأرض والسماوات والكرسى، وهولاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم، واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر، وقربهم منه، يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ .

ومن حوله من الملائكة المقربين في المنزلة والفضيلة ويسبحون بحمد ربهم هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم شه تعالى، وخصوصاً التسبيح والتحميد، وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره، وحمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة لله تعالى، وأما قول العبد: «سبحان الله وبحمده» فهو العبادة لله تعالى، وأما قول العبادة لله تعالى، وأما قول العبادة في ذلك، وهو من جملة العبادات.

﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ وهذا من جملة فوائد الإيمان وفضائله الكثيرة جداً، أن الملائكة الذيين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم.

ثم ولما كانت المغفرة لها لوازم لا تتم إلا بها _غير ما يتبادر إلى كثير من الأذهان، أن سؤالها وطلبها غايته عجرد مغفرة الذنوب _ذكر تعالى صفة دعائهم لهم بالمغفرة، بذكر ما لا تتم إلا به، فقال: ﴿ربنا وسعت كل شيء

LEVEL WHENTER ا وَتَرَى الْمَلَيْكَةَ عَلَيْنَ مِنْ حَوْلِ الْمَدَقِ يُعَيِّبُحُونَ بِحَمَّدِ رَبِهِمٌّ وَتُعِنَّى يَيْنَهُ مِ الْحَيْقَ وَقِيلَ أَنْحَنَّدُ لِقَورَتِ الْعَكَدِينَ ۞ المنظمة حمَّ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِنْكِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَيْرِيزِ ٱلْعَلِيمِ عَافِر اللَّهُ اللَّهُ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَهِيدِ الْمِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوًّ إِنَّهِ لَلْقِيدُ ۞ مَا يُجَادِلُ فِي وَلَيْ اللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَعَرُواْ وَٱلْأَخَذَابُ مِنْ بَعَدِيرٌ وَهَمَّتْ حَكُلُّ أَمَّةٍ بَرَسُولِهِمْ لِتَأْخُذُونَ وَجَادَ لُواْ بِالْبُلِطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقِّ فَأَخَذَتْهُمُّ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ وَكُذَاكِ حَفَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَغُوَّا أَنَّهُ مُرْأَصِّكُ النَّارِ ۞ الَّذِنَّ يَخْصِلُونَ ٱلْغَرْشَ وَمَنْ حَوْلَةُ رُسَيْحُونَ يَحَمَّدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ يدِء وَيَسْتَغْفِرُونَ ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّجْمَةً وَعِلْمَا فَاغْفِرْ اللَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَيِيلَكَ وَقِهِ مُرَعَدًابَ الْجَوَيدِ ﴿ ﴾ ACCEPTANT OF THE PROPERTY OF T

رحة وعلماً فعلمك قد أحاط بكل شيء، لا يخفى عليك خافية، ولا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ورحتك وسعت كل شيء، فالكون علويه وسفليه قد امتلا برحة الله تعلل ووسعتهم، ووصل إلى ما وصل إليه خلقه. والمعاصي ﴿واتبعوا سبيلك ﴾ باتباع والمعاصي ﴿واتبعوا سبيلك ﴾ باتباع رسلك، بتوحيدك وطاعتك. ﴿وقهم عذاب الجحيم أي: قهم العذاب.

﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم على ألسنة رسلك ﴿ومَنْ صلح﴾ أي: صلح بالإيمان والعمل الصالح ﴿من آباتهم وأزواجهم﴾ زوجاتهم وأزواجهن وأصحابهم ورفقائهم ﴿وذرياتهم ﴿إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، فبعرتك تغفر ذنوبهم، وتكشف عنهم المحذور، وتوصلهم به إلى كل خير ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا نسألك يا ربنا أمراً تقتضى حكمتك خلافه، بل من حكمتك التي أخبرت بهاعلى ألسنة رسلك، واقتضاها فضلك، المغفرة للمؤمنين. ﴿وقِهمُ السيئات أي: الأعمال السيئة وجزاءها، لأنها تسوء صاحبها. ﴿ومن تَق السيئات يومئذ ﴾ أي: يوم القيامة

عَلَى اللَّهِ مِنْهُ مُرْضَى مُ لِمَن ٱلْمُلْكُ ٱلْمُورِّمَ يَعْدَ الْوَيْمِدِ ٱلْمَعْهَادِ ۞

TORONO WEDGE

﴿فقدرحته ﴾ لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد، لا يمنعها إلا ذنوب العباد وسيئاتهم، فمن وقيته السيئات وفقته للحسنات وجزائها الحسن. ﴿وَذَلُكُ﴾ أي: زوال المحذور بوقاية السيئات، وحصول المحبوب بحصول الرحمة، ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ الذي لا فوز مثله، ولا يتنافس المتنافسون بأحسن منه .

وقد تضمن هذا الدعاء من الملائكة

كمال معرفتهم برجهم، والتوسل إلى الله

بأسمائه الحسنى، التى يحب من عباده

التوسل بها إليه، والدعاء بما يناسب ما

دعوا الله فيه، فلماكان دعاؤهم

بحصول الرحمة، وإزالة أثر ما اقتضته

النفوس البشرية التي علم الله نقصها

واقتضاءها لما اقتضته من المعاصي،

ونحو ذلك من المباديء والأسباب التي

قدأحاط الله بها علماً، توسلوا بالرحيم العليم. وتضمن كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة والخاصة، وأنه ليس لهم من الأمر شيء، وإنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من جميع الوجوه، لا يُدُلي على ربه بحالة من الأحوال، إن هو إلا فضل الله وكرمه وإحسانه.

وتضمن موافقتهم لربهم تمام الموافقة، بمحبة ما يحبه من الأعمال التي هي العبادات التي قاموا بها،

واجتهدوا اجتهاد المحبين، ومن العمال الذين هم المؤمنون، الذين يحبهم الله تعالى من بين خلقه، فسائر الخلق المكلفين يبغضهم الله إلا المؤمنين منهم، فمن محبة الملائكة لهم دعوا الله، واجتهدوا في صلاح أحوالهم، لأن الدعاء للشخص من أدلُ الدلائل على محبته، لأنه لا يدعو إلاّ لمن يحبه.

وتضمن ما شرحه الله وفصله من دعائهم بعد قوله: ﴿يستغفرون للذين آمنه اله التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه، وأن لا يكون المتدبر مقتصراً على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهماً صحيحاً على وجهه، نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ.

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه .

الثانى: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكر في كتابه.

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعانى. وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحاً، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب ما وفقه الله له وقد كان في تفسيرنا هذا، كثيرٌ من هذا مَنَّ به الله

وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببآ لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه، والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينًا رحمته، إنك الكريم الوهاب، الذي

تفضل بالأسباب ومسبباتها.

وتضمن ذلك، أن المقارن من زوج وولد وصاحب، يسعد بقرينه، ويكون اتصاله به سبباً لخير يحصل له، خارج عن عمله وسبب عمله كما كانت الملائكة تدعو للمؤمنين ولمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وقد يقال: إنه لا بدّ من وجود صلاحهم لقوله: ﴿ومَنْ صلح﴾ فحينتذ يكون ذلك من نتيجة عملهم، والله أعلم.

﴿ ١٠_ ١٢﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَـَفْرُوا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون * قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل * ذلكم بأنه إذا دُعي آلله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير﴾ يخبر تعالى عن الفضيحة والخزى الذي يصيب الكافرين، وسؤالهم الرجعة، والخروج من النار، وامتناع ذلك عليهم وتوبيخهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كُفِّرُوا﴾ أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من الكفر بالله، أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون النار، ويقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب والأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت، ويغضبون عليها غاية الغضب، فينادون عند ذلك، ويقال لهم: ﴿ لَقْتُ اللَّهِ ﴾ أي: إياكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِسمانِ فَتَكَفِّرُونَ ﴾ أي: حين دعتكم الرسل وأتباعهم إلى الإيمان، وأقاموا لكم من البينات ما تبين به الحق، فكفرتم وزهدتم في الإيمان الذي خلقكم الله له، وخرجتم من رحمته الواسعة، فمقتكم وأبغضكم، فهذا ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم أي: فلم يزل هذا المقت مستمرأ عليكم، والسخط من الكريم حَالاً بكم، حتى آلت بكم الحال إلى ما آلت، فاليوم حلّ عليكم غضب الله وعقابه، حين نال المؤمنون رضوان الله وثوابه، فتمنوا الرجوع، و ﴿قالوا ربنا شر أنفسنا المانع والمعوق لنوصول أمتنا اثنتين﴾ يريدون الموتة الأولى وما بين النفختين على ما قيل، أو العدم

القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبة والمستحبة، حقوق الله وحقوق عباده. أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به وتتقربون به إليه.

مُّ إِنا اللهُ مُعْرُومًا كَنِدُ ٱلْكَافِينِ إِلَّا فِي مَثَالِلِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

ON DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF THE PROPERTY

﴿ولو كره الكافرون﴾ لذلك، فلا تبالوا بهم، ولا يثنكم ذلك عن دينكم، ولا تأخذكم بالله لومة لائم، فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة، كما قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده السمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾.

ثم ذكر من جلاله وكماله ما يقتضي إخلاص العبادة له، فقال: ﴿ رفيعً الدرجات ذو العرش الى: العلى الأعلى، الذي استوى على العرش واختص به، وارتفعت درجاته ارتفاعاً باین به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وجلَّت أوصافه، وتعالَّت ذاته، أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكى الطاهر المطهر، وهو الإخلاص، الذي يرفع درجات أصحابه ويقربهم إليه، ويجعلهم فوق خلقه، ثم ذكر نعمته على عباده بالرسالة والوحي، فقال: ﴿يلقي الروح) أي: الوحي الذي للأرواح والقلوب بمنزلة الأرواح للأجساد، فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا ولا يعيش، فالروح والقلّب بدون روح الوحي لا يصلح ولا يفلح، فهو تعالى﴿ يلقي الروح مَنْ أَمْرُهُ ﴾ الَّذِي فيه

عباده، بتبيين الحق من الباطل، بما يُرى عباده من آياته النفسية والآفاقية والقرآنية، الدالة على كل مطلوب مقصود، الموضحة للهدى من الضلال، بحيث لا يبقى عند الناظر فيها والمتأمل لها أدنى شك في معرفة الحقائق، وهذا من أكبر نعمه على عباده، حيث لم يُبْق الحق مشتبهاً، ولا الصواب ملتبساً، بل نوع الدلالات ووضح الآيات، ليهلك مَنْ هلك عن بيّنة، ويجيا مَنْ حي عن بيّنة وكلُّما كانت المسائل أجلُّ وأكبِّر، كانت الدلائل عليها أكثر وأيسر، فانظر إلى التوحيد لما كانت مسألته من أكبر المسائل، بل أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقلية والنقلية وتنوعت، وضرب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال، ولهذا ذكرها في هذا الموضع، ونبه على جملة من أدلتها فقال: ﴿فادعوا الله مخلصين له

ولما ذكر أنه يُري عباده آياته، نبه على
آية عظيمة فقال: ﴿وينزل لكم من
السماء رزقا﴾ أي: مطراً، به ترتزقون
وتعيشون أنتم وبهائمكم، وذلك يدل
على أن النعَم كلها منه، فمنه نِعَم
الدين، وهي المسائل الدينية والأدلة
عليها، وما يتبع ذلك من العمل بها.
والنعَم الدنيوية كلها، كالنعم الناشئة
عن الغيث، الذي تحيا به البلاد
والعباد. وهذا يدل دلالة قاطعة أنه
وحده هو المعبود، الذي يتعين إخلاص
الدين له، كما أنه _ وحده _ المنعم.

﴿وما يتذكر ﴾ بالآيات حين يذكر بها ﴿إِلاَ مَنْ يُنِيبُ ﴾ إلى الله تعالى، بالإقبال على مجبته وخشيته وطاعته والتضرع إليه، فهذا الذي ينتفع بالآيات، وتصير رحمة في حقه، ويزداد بها بصيرة.

ولما كانت الآيات تشمر التذكر، والتذكر يوجب الإخلاص لله، رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على السببية فقال: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ وهذا شامل لدعاء المبادة ودعاء المسألة، والإخلاص معناه: تخليص المحض قبل إيجادهم، ثم أماتهم بعدما أوجدهم، ﴿وأحييتنا اثنتين﴾ الحياة الدنيا والحياة الاخرى، ﴿فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ أي: تحسروا وقالوا ذلك، فلم يفدولم ينجع، ووبخوا على عدم فعل أسباب النجاة، فقيل لهم: ﴿ ذَلَكُم بِأَنَّهُ إِذَا دعسى الله وحسده ﴾ أي: إذا دُعسي لتوحيده، وإخلاص العمل له، ونهي عن الشرك به ﴿كفرتم﴾ به واشمأزتُ لذلك قلوبكم ونفرتم غاية النفور. ﴿وإن يشرك به تؤمنوا ﴾ أي: هذا الذي أنزلكم هذا المنزل، وبوأكم هذا المقيل والمحل، أنكم تكفرون بالإيمان، وتؤمنون بالكفر، ترضون بما هو شر وفساد في الدنيا والآخرة، وتكرهون ما هو خير وصلاح في الدنيا والآخرة. تؤثرون سبب الشقاوة والذل

والغضب، وتزهدون بما هو سبب الفوز والفلاح والظفر ﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً . ﴿فَا لَحُكُم اللهُ العلي الكبير العلي:

وفالحكم لله العلي الكبير العلي: الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر ومن علو قدره، كمال عدله تعالى، وأنه ينضع الأشياء مواضعها، ولا يساوي بين المتقين والفجار.

﴿الكبير﴾ الذي له الكبرياء والعظمة والمجد، في أسمائه وصفاته وأفعاله المتنزه عن كل آفة وعيب ونقص، فإذا كان الحكم له تعالى، وقد حكم عليكم بالخلود الدائم، وحكمه لا يغير ولا يبدل.

﴿ ۱۳ – ۱۷ ﴾ ﴿ هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب * فادعوا الله خلصين له الدين ولو كره الكافرون * من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار * اليوم يُمزىٰ كل نفس الماكسيت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ يذكر تعالى نعمه العظيمة على المحسوبة المعلمة على المحسوبة المح

وَقَالَ وَعَوَٰنُ ذَرُونِتَ أَقَالُ مُومَىٰ وَلَينَهُ عُرَيَّهُ مِنْ إِنَّ أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْأَنْ يُظْلِهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِي عُذْتُ بِرَنِي وَرَبِّكُم مِن كُلِّ مُتَكَ بِرَلَا وُمِنْ يِتُومِ آنِيسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُلُ تُؤْمِثُ مِنْ عَالَ فِتِعَوْنَ يَحُنُهُ إِيمَانَهُۥ أَلَقَ مُلُونَ رَجُلًا أَن يَغُولَ رَفِ آلَهُ وَقَدْ جَآءَ كُم بِٱلْبَيْنَاتِ مِن زَبَكُمُ وَلِن يَكُ كَذِبَافَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَلَن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمُ بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمُّ إِنَّ أَمَّةَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَمُسْرِقٌ كَذَّابٌ ۞ يَغَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيُومَ طَلْهِدِنَ فِ ٱلْأَرْضِ فَنَ يَنصُرُفَ لِعِنَ بَلِّي ٱللَّهِ إِن ۗ جَآءَنَأُ قَالَ فِنْعَوْثُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّامَا أَنَّىٰ وَمَا أَهْدِيكُرُ إِلْاسَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ وَقَالَ ٱلْذِيّ مَامَزَ يَقَوْمِ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُ مِنْلَ يَوْمِ ٱلْأَخْزَابِ ۞ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ فُرْجٍ وَعَادٍ وَمَّوْدَ وَالَّذِيرَ مِنْ بَعْدِهِرْ وَمَا اللَّهُ رُبِيدُ ظُفَا لِلْمِسَادِ ۞ وَيَنْفَوْمِ أَنِّ لَمَا فُ عَلَيْكُرُ يَوْمُ النَّسَادِ ۞ يَوْمَ تُولُونَ مُنْفِونَ مَا لَكُمُ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَلِيهِ مِنْ وَمَن يُضْلِلُ اللَّهُ فَاللَّهُ مِنْ هَادِ ۞

نفع العباد ومصلحتهم. ﴿على مَنْ يشاء من عباده ﴾ وهم السرسل اللذين فلضلهم الله واختصهم الله لوحيه ودعوة عباده.

والفائدة في إرسال الرسل، هو تحصيل سعادة العباد في دينهم ودنياهم وإزالة الشقاوة عنهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ولهذا قال:

للنذر من ألقى الله إليه الوحي في ويوم الشلاق أي: يخوف العباد بذلك، ويحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية عما يكون فيه.

وسماه "يوم التلاق"، لأنه يلتقي فيه الخالق والمخلوق، والمخلوقون بعضهم مع بعض، والعاملون وأعمالهم وجزاؤهم.

﴿يوم هم بارزون﴾ أي: ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد، لا عوج ولا أمنت فيه، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

﴿لا يَخفى على الله منهم شيء﴾ لا من ذواتهم ولا من أعمالهم، ولا من جزاء تلك الأعمال.

﴿ لَمْنَ المُلْكُ اليوم ﴾ أي: مَنْ هـو المالك لذلك اليوم العظيم، الجامع للأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، الذي انقطعت فيه الشركة في الملك، وتقطعت الأسباب،

ولم يبق إلاّ الأعمال الصالحة أو السيئة؟

الملك ﴿ لله الواحد القهار ﴾ أي: المنفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه. ﴿القهار﴾ لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات وذلت وخضعت، خصوصاً في ذلك اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي القيوم، يومئذ لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه، ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت في الدنيا، من خير وشّر، قليل وكثير. ﴿ لا ظلم اليوم ﴾ على أحد، بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته. ﴿إن اللهُ سريع الحساب أي: لا تستبطئوا ذلك اليوم، فإنه آت، وكل آت قريب. وهو أيضاً سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة، لإحاطة علمه وكمال قدرته.

﴿ ١٨ ـ ٢٠) ﴿ وأنسدُرهــم يسوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * يعلم خآئنة الأعين وما تخفى الصدور * والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله حو السميع البصير) يقول تعالى لنبيه عمد على: ﴿وأنذرهم يوم الأزفة ﴾ أي: يوم القيامة التي قد أزفت وقربت، وأن النوصول إلى أهوالها وقلاقلها وزلازلها، ﴿إذ القلوب لدى الحناجر، أي: قدارتفعت وبقيت أفئدتهم هواء، ووصلت القلوب من الروع والكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم. ﴿كاظمين﴾ لا يتكلمون إلاَّ مَنْ أَذَن لِهِ الرحمن وقال صواباً، وكاظمين على ما في قلوبهم من الروع

﴿ما للظالمِن من حميم ﴾ أي: قريب ولا صاحب، ﴿ولا شفيع يُطاع ﴾ لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك، ولو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها. ﴿يعلم خائنة الأعين ﴾ وهو النظر المبارقة، ﴿وما تخفى وهو رنظر المسارقة، ﴿وما تخفى

الشديد والمزعجات الهائلة.

الصدور ﴾ تما لم يبينه العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي، فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى.

الامور الظاهرة من باب اولى واحرى. والله يقضي بالحق له لأن قوله حق، وحكمه الشرعي حق، وحكمه الجزائي حق وهو المحيط علماً وكتابة وحفظاً بجميع الأشياء، وهو المنزه عن الظلم والنقص وسائر العيوب، وهو الذي يقضي قضاءه القدري، الذي إذا الذي يقضي بين عباده المؤمنين والكافرين في الدنيا، ويفصل بينهم والكافرين في الدنيا، ويفصل بينهم بقتح ينصر به أولياءه وأحبابه.

والذين يدعون من دونه وهذا شامل لكل ما عبد من دون الله ولا يقضون بشيء لعجزهم وعدم إرادتهم للخير واستطاعتهم لفعله. وإن الله هو السميع المحميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. والبصير وما لا نبصر، وما يكون، وما نبصر وما لا يعلمون.

قسال في أول هساتسين الآيستسين ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ ثم وصفها بهذه الأوصاف المقتضية للاستعداد لذلك اليوم العظيم، لاشتمالها على الترغيب والترهيب.

﴿ ٢١ ــ ٢٢﴾ ﴿أُولُم يسسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدَّ منهم قوةً وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم ألله إنه قوى شديد العقاب ﴾ يقول تعالى: ﴿ أُولَمُ يسيروا في الأرض) أي: بقلوبهم وأبدائهم، سير نظر واعتبار، وتفكر في الآثار، ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، من المكذبين، فسيجدونها شر العواقب، عاقبة الهلاك والدمار والخزى والفضيحة، وقد كانوا أشد قوةً من هؤلاء في العَدَد والعُدَد وكبر الأجسام. ﴿وَ أَسْدِ ﴿ آثَاراً فَي

وَلَقَدُ جَآءَ كُمْ مُوسُفُعِن فَعَلُ الْبَيْنَاتِ فَا ذِلْتُمْ فِي شَاتِي مِمَّاجًاءً حُم مِيْدِ حَتَى إِذَاهِ كَلْكَ قُلْتُ مِنْ يَنْفَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ و رَسُولًا حَكَذَاكَ يُضِلُّ أَمَّةً مَنْ هُوَمُسْرِقٌ مُّرْتَابُ ۞ ٱلَّذِينَ يُحَادِلُونَ فِي ءَايَنتِ ٱللَّهِ بِعَدِّيمُ لَطَانَ أَمَا هُمَّةً كَبْرَمَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ مَامَثُواْكَ أَلِكَ يَطْبَعُ أَلَّهُ عَلَاكُ إِنَّلْ مُتَكَيِّرِ جَبَادٍ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْثُ يَنْهَكُنُ أَيْنِ لِي صَرْحًا لَعَلَى أَلِلُمُ ٱلْأَمْسُكِ ٥ أَسْبَبُ التَّسَوُنِ فَلُمَّلِمَ إِنَّ إِلَاهِ مُوسَىٰ وَإِنِ لَأَهُلُنُمُ كَلِيمًا وَكَذَالِكَ نُغِنَ لِفِيزِعَوْنَ شُوَّهُ عَمَلِهِ ، وَصُدَّعَيَّالْسَيِيلُ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْتَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي مَا اسْنَ يَعَقَدُ أَنَّهِ مُونِ أَهْدِ سِكُمْ سَيِيلَ ٱلرَّشَاذِ ﴿ يَكَفَّوْهِ إِنَّمَا هَلَا وَالْحَيَوةُ ٱلذُّنْبَ امْتَنَّعٌ وَلِكَ ٱلْآخِرَةَ فِي

مَّ اللهُ ال DESCRIPTION OF THE PROPERTY

ومن جملة الأسباب، هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت الملكة، لا بدأن يكون له كلمة مسموعة، وخصوصاً إذا كان يظهر موافقتهم ويكتم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، كما منع الله رسوله محمداً على بعمه أبي طالب من قريش، حيث كان أبو طالب كبيراً عندهم، موافقاً لهم على دينهم، ولو كان مسلماً لم يحصل منه ذلك المنع.

وَازَالْعَسَادِ ۞ مَنْ عَسِمِلَ سَيْعَةً فَلَا يُعِنْفَ إِلَامِ فَلَهُ أُوْمَنَ

عَيِلَ مَسَلِمَا مِن ذَكِرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُومُؤْمِثَ فَأُولَلِكَ

ا يُنظِلُوعَ فِلْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الل

فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحاً فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿ اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ﴾ أي: كيف تستحلون قتله، وهَّذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضاً قولاً مجرداً عن البينات، ولهذا قال: ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهاراً علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، قصدوا، أهلكهم الله وأبادهم عن

(۱) وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأرَّاد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين.

فلهذا لم يقل «وما كيدهم إلاّ في ضلال، بل قال: ﴿ وما كيد الكافرين إلا في ضلال)

و ﴿قال فرعون﴾ متكبراً متجبراً مغرراً لقومه السفهاء: ﴿ ذرون أقتل مسوسسي وليدع ربسه ﴾ أي: زعسم _ قبحه الله _ أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه، ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، وأنه نصح لقومه، وإزالة للشرفي الأرض فقال: ﴿إِن أَحَاف أَن يبدلُ دينكم الذي أنتم عليه ﴿أُو أَن يظهر في الأرض الفساد). وهذا من أعجب ماً يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق هذا من التمويه والترويج، الذي لا يدخل إلاّ عقل مَنْ قال الله فيهم: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومأ فاسقين﴾.

روقال موسى، حين قال فرعون تلكُ المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه، واستعان فيها بقوته واقتداره، مستحيناً بربه: ﴿إِنَّ عُدْتُ برب وربكم﴾ أي: امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمود ﴿من كل مشكبُر لا يؤمن بيوم الحِسَابِ أي: يحمله تكبره وعدم إيمانه بيوم الحساب على الشر والفساد، يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريباً في القاعدة، فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وقيّض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون الأرض، من البناء والغرس، وقوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها وعلى تمنعه بها. ﴿فأخذهم الله بعقوبته بذنوبهم حين أصروا واستمروا عليها، ﴿إنه قوى شديد العقاب ﴾ فلم تغن قوتهم عند قوة الله شيئاً، بل من أعظم الأمم قوة، قوم عاد الذين قالوا: ﴿مَنْ أشدمنا قوة ﴾ أرسل الله إليهم ريحاً أضعفت قواهم، ودمرتهم كل تدمير.

ثم ذكر نموذجاً من أحوال المكذبين بالرسل، وهو فرعون وجنوده فقال:

﴿ ٢٣_٤٣﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين، إلى آخر

﴿٢٣﴾ أي: ﴿ولقد أرسلنا﴾ إلى جنس هؤلاء المكذبين ﴿موسى﴾ ابن عمران، ﴿بآياتنا﴾ العظيمة، الدالة دلالة قطعية، على حقية ما أرسل به، وبطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك وما يتبعه. ﴿ وسلطان مبين ﴾ أى: حجة بينة، تتسلط على القلوب فتذعن لها، كالحية والعصا ونحوهما من الآيات البينات، التي أيد الله بها موسى، ومكّنه مما دعا إليه من الحق.

والمبعوث إليهم وفرعون وهامان وزيره ﴿وقارون﴾ الذي كان من قوم موسى، فبغى عليهم بماله، وكلهم ردوا عليه أشد الرد ﴿فقالوا ساحر كذَّابِ ﴿ فِلْمَا جِاءُهُمْ بِالْحِقِّ مِنْ عندنا﴾ وأيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإذعان، لم يقابلوها بىللىك، ولم يىكىفىهم مجرد الىتىرك والإعسراض، بل ولا إنكارها ومعارضتها بباطلهم، بل وصلت بهم الحال الشنيعة إلى أن ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين ﴾ حيث كادوا هذه المكيدة، وزعموا أنهم إذا قتلوا أبناءهم، لم يقووا، وبقوا في رقهم وتحت عبوديتهم.

فما كيدهم إلا في ضلال، حيث لم يتم لهم ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما

CA LENGE COMMENT ROOM • وَكَقَوْمِ مَالَىٰ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَتَهْعُونَيْ الْأَلْتَادِ ٠ تَنْعُونَ فِي لِأَحْفُرُ مِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ ، عِلْمُ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْمَسَرَحُ الْفَكَدِ لَاجَرُمُ أَثَمًا تَنْعُونَوْ النَّهِ لِنُورَ لَهُ مُعَوِّدً فِي الدُّنْسَاوَلَا فِي الْآيْرَةِ وَأَنَّ مَرَدًّنَّا ٓ إِلَىٰ اللَّهِ وَأَتَ ٱلْمُعْرِفِينَ هُمَّ أَصْحَابُ النَّارِ ٤ فَسَتَنْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرَى إِلَى اللَّهُ لَذَ الْقَدَبَهِمِيرُ يَالْمِسَادِ ۞ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ مُستِئَاتِ مَا مَكَرُّولًا وَحَافَ بِعَالِ فِرْعَوْبَ مُنْوَءُ ٱلْمَسَدَابِ ﴿ ٱلنَّارُ مُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَيْدِيًّا وَيَعْ مَ لَكُومُ السَّسَاعَةُ أَدْخِسهُ وَأِمَّاكِ فِنْغَوْبَ أَشَدَ الْعَدَابِ ۞ وَلَا يَتَمَا خُوبَ فِ النَّارِ فَيَعُلُ الشُّعَقَوْلِلَّذِينَ اسْتَحْتِرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُو تَبَعًا فَهُلُ أَنْتُومُغُنُونَ عَنَانِهِ بِبِكُامِنَ النَّادِي قَالَ الَّذِينَ اسْتَحْتَمُ وَأَ إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنَّ الْقَدَّقَةُ حَكَمَ بِّينَ الْمِسَادِ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِ النَّارِلِخَرْنَكَةِ مَ حَمَا فَرَادَ عُوارَبَكُمْ يُغَيِّفُ عَنَا يَوْمَا مِنَ ٱلْمَالِدِ ١ TONOROW W CORNED

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي: حالة قدرت، فقال: ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من

إجابته وتصديقه، وإن كان صادقاً وقد

جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم

تجيبوه عذبكم الله عذاباً في الدنيا

وعـذابـاً في الآخرة، فإنـه لا بـدأن

يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو

فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها

أعناق المطي.

عذاب الدنيا. وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تلك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهلً منكم.

ثم انتقل رضي الله عنه وأرضاه وغفر له ورحمه إلى أمر أعلى من دلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: ﴿إِنَّ اللهُ لا يهدي مَنْ هو مُسْرِفُ﴾ أي: متجاوز الحد بترك الحق منا أسرف فيه إلى الله، فهدنا لا يهديه الله الله، فهدنا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله،

ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفا ولا كاذبا، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه.

ثم حذر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، فقال: ﴿يا قوم لكم الملك اليوم أي: في الدنيا ﴿ظاهرين في الأرض على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شتتم من التدبير، فهبكم حصل لكم ذلك وتم، ولن يتم، ﴿فَمَن ينصرنا من بأس الله أي: عذابه ﴿إن جاءنا ﴾؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركاً بينه وبينهم بقوله: ﴿فَمَن ينصرنا ﴾ وقوله:

يرضى لنفسه.

ف ﴿قال فرعون﴾ معارضاً له في ذلك، ومغرراً لقومه أن يتبعوا موسى: ﴿ما أريكم إلاّ ما أرى وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد﴾ وصدق في قوله: ﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾ ولكن ما الذي رأى؟

﴿إِن جاءنا﴾ ليفهمهم أنه ينصح لهم

كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما

رائ: رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، ليقيم بهم رياسته، ولم يرَ الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقناً له.

وكذب في قوله: ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ فإن هذا قلب للحق، فلو أمرهم باتباعه اتباعاً مجرداً على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق، اتباع الحق، اتباع الحق، اتباع الصلال.

﴿وقال الذي آمن﴾ مكرراً دعوة قومه، غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة، فقال لهم: ﴿يا قوم إني أخافُ عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ يعني

الأمم المكذبين، الذين تحزبوا على أنبيائهم، واجتمعوا على معارضتهم، ثم بينهم فقال: ﴿مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾أي: مثل عادتهم في الكفر والتكذيب، وعادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الكنيا قبل الآخرة، ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، ولا جرم أسلفوه.

ولما خوفهم العقوبات الدنيوية، خوفهم العقوبات الأخروية، فقال:
﴿يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾
أي: يوم القيامة، حين ينادي أهل الجنة أهل النار: ﴿أَنْ قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً﴾ إلى آخر الآيات.

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ﴾.

وحين ينادي أهل النار مالكاً ﴿لِيقِضِ عَلَيْنَا رَبُّكُ﴾ فيقول: ﴿إِنَّكُم ماكثون﴾. وحين ينادون ربهم: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون. وحين يقال للمشركين: ﴿ ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم). فخوفهم رضي الله عنه هذا اليوم المهول، وتوجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك، ولهذا قال: ﴿يوم تولون مدبرين﴾ أي: قد ذهب بكم إلى النار ﴿مالكم من الله من عاصم﴾ لا من انفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله، ولا ينصركم من دونه من أحد ﴿يوم تبلي السرائر * فما له من قوة ولا ناصر♦.

﴿ومَنْ يضلل الله فما له من هادٍ ﴾ لأن الهدى بيد الله تعالى، فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، لخبثه، فلا سبيل إلى هدايته.

﴿ولقد جاءكم يوسف﴾ بن يعقوب عليهما السلام من قبل إتيان موسى، بالبينات الدالة على صدقه، وأمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له، ﴿فها

زلتم في شك عما جاءكم به في حياته حتى إذا هلك ازداد شككم وشرككم، و ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي: هذا ظنكم الباطل، وحسبانكم الذي لا يليق بالله تعلل، فإنه تعلل لا يترك خلقه سدى، فإنه تعلل لا يترك خلقه سدى، رسله، وظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال، ولهذا قال: ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب وهذا عوسى ظلماً وعلواً، فهم المسرفون موسى ظلماً وعلواً، فهم المسرفون بتجاوزهم الحق وعدولهم عنه إلى الضلال، وهم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله، وكذبوا رسوله.

فالذي وصفه السرف والكذب، لأ ينفك عنهما، لا يهديه الله، ولا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرف، فحراؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى، كما قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ورنقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ ﴿والله لا يهدي القوم الظالمن﴾.

﴿٣٥﴾ ثـم ذكر وصـف المسرف الكذاب فقال: ﴿الذين يجادلون في آيات الله ♦ التي بينت الحق من الباطل، وصارت من ظهورها م بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيهاعلى وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها ﴿بغير سلطان أتاهم ﴾ أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل مَنْ جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلاً، ﴿كبر﴾ ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل ﴿مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ فالله أشد بغضاً لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبته إليه، وهذه أمور يشتد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص

خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه، ﴿كذلك﴾ أي: كما طبع على قلوب آل فرعون ﴿يطبع الله على كل قلب متكبر جبًارٍ ﴾ متكبر في نفسه على الحق برده وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

﴿وقال فرعون ﴾ معارضاً لموسى ومكذباً له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين، الذي على العرش استوى، وعلى الخلق اعتلى: ﴿يا هامان ابن لي صرحاً ﴾ أي: بناء عظيماً مرتفعاً، والقصد منه لعلى أطلع ﴿إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا ﴾ في دعواه أن لنا رباً، وأنه فوق السماوات.

ولكنه يريد أن يحتاط فرعون، ويختبر الأمر بنفسه، قال الله تعالى في بيان الذي حمله على هذا القول: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله فزين له العمل السيّىء، فلم يزل الشيطان يزينه، وهو يدعو إليه وياظر مناظرة المحقين، وهو من أعظم بسبب الباطل الذي زين له. ﴿وما كيد فرعون ﴾ الذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه محق، وأن موسى مبطل ﴿إلاّ في تباب ﴾ أي: خسار وبوار، لا يفيده إلا الشقاء في الدنيا والآخرة.

﴿٣٨﴾ ﴿وقال الذي آمن﴾ معيداً نصيحته لقومه: ﴿يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ لا كما يقول لكم والفساد. ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ يتمتع بها ويتنعم قليلاً، ثم وتخدعنكم عما خلقتم له ﴿وإن الآخرة ومنزل السكون والاستقرار، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها عملاً يسعدكم فيها.

﴿مَنْ عمل سيسة ﴾ من شرك أو فسوق أو عصيان ﴿فلا يجزى إلا

THE RESERVE OF THE PARTY OF THE عَالْواْ أَوْلَوْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ مِالْتِينَاتُ قَالُواْ بَلَّ قَالُواْ فَادْعُواْ وَمَادُعَنُوا الْكَافِينَ إِلَّا فِي صَلَالِ ﴿ إِنَّا لَّتُصْبُرُ رُمُّ لَنَا وَالَّذِينَ وَامْتُوا فِي أَكْمَوْ وَالدُّنْيَا وَيَوْمَ يَكُومُ ٱلْأَشْهَادُ ۞ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ٱلظَّالِمِينَ مَعْذِرَهُمُّ وَلَمْ مُؤَاللَّفَ مُ وَلَمْ مُ مُونَ الدَّادِ ﴿ وَلَقَدْ مَالَيْتُ الْمُوسَى ٱلْمُهُدَىٰ وَأَوْرَثُ ابْنِ إِسْكَاهِ مِلَ ٱلْكِنْبُ ﴿ مُدَّى وَيْحَمَوْنُ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبُ ۞ فَأَصْبِرُ الَّ وَعْدَالُقُو حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرُلِدَنِّيكَ وَسَيِّحْ يَحَمْدِ رَيِّكَ بِٱلْعَيْقِ وَالْإِنْكُنِّي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ٓ الِّنِّ القويعت يرسلطن أندهم إن في شدود ويرالا يجتر مَّنَاهُ مِبِيَافِيكُ فَأَسْتَعِدُ إِلَيَّةً إِنَّكَهُ هُوَ السَّبِيعُ ٱلْمَيْدِ ٥ لَخَالَةُ السَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ أَحْبَرُمُنَّ حَلْقِ ٱلتَّالِسُ وَلَكِنَّ أَكْ تَرَّالْتَالِسُ لَايَمَّ لَتُونَ ٥ المُ وَمَا يَسَنِي الْأَغْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِيبَ السُّواْ وَعَيِلُواْ المَمْ الحَدْ وَلَا ٱلمُهِيَّةُ قِلْ لَا مُالْمَةِ فَعَلَى اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا ON THE WAY TO SOLE

مثلها أي: لا يجازي إلا بما يسوؤه ويجزنه لأن جزاء السيئة السوء.

﴿ وَمَنْ عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى ﴾ من أعمال القلوب والجوارح، وأقوال اللسان ﴿ فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ أي: يعطون أجرهم بلا حد ولا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم.

﴿ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة ﴾ بما قلت لكم ﴿وتدعونني إلى النار ﴾ بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام. ثم فسر ذلك فقال:

وتدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق أن يُعبد من دون الله، والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، ﴿وأنا كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. ﴿الغفار﴾ الذي يسرف العباد على أنفسهم ويتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخروية.

﴿لا جرم﴾ أي: حقاً يقيناً ﴿أَنُما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجأ إليه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعاً

إِذَّ السَّاعَةُ لَآلِبَةٌ لَارْبَ فِيهَا وَلَكِنَ أَحُمَّرُ النَّاسِ لَايُوْمِنُونَ ۞ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِ ٱَسْتَجِهْ لَكُمْ إِذَا ٱلَّذِينَ يَسْمَ الْحَاثِمُ وَمُ عَنْ عِبَ ادْقِ سَيَدْخُلُونَ جَهَ فَرَانِفِينَ ۞ أَمَةُ الَّذِي جَمَالَ لَكُمُ ٱلَّتِ لَ لِتَسْتُ وُافِيهِ وَالنَّهَ ارْمُتِصِدًا إِنَ ٱللَّهَ لَذُوفَضْ ل عَلَالْتَاسِ وَلَلِكِنَ أَحْدُرُ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ ۞ زَلِحُهُ ٱللَّهُ رَبُّكُو خَلِقُ كُنِ شَيْءِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوُّمَا أَنَّا تُؤْفَكُونَ ۞ كَذَاكِ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُواْ بِعَايَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ اللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَحَيْمُ ٱلْأَرْضَ قَسَوْلاً وَالسَّسَلَة بِسَاءً وَصَوْرَكُمْ مَأْحَسُنَ مُورَكُمْ وَدَنَقَكُمْ مِنَ الطَّيْبَنَتُ ذَلِكُواللَّهُ رَبُّكُمُ مُنْسَارُكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَلَمِينَ ﴿ هُوَ الْحَقُّ لَا إِلَّهُ إِلَّا هُوَالَّمْقُ الَّهُ وَلَا يَعُوهُ مُعْلِصِينَ لَهُ الدِّينِ أَنْ الْمُعَمَّدُ مِنْ الْمَنْ الْمَنْ لَمِينَ ﴿ • قُلْ إِنِّي نَهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِيثَ مَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَلْجَلَّونَ الْبِيَنَتُ مِن زَنِي وَأُمِرُتُ أَنْ أُسْلِمُ لِآتِ الْمَالِمِينَ ۞ TONOMINE EN BONNES

ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً.

وان مردنا إلى الله تعالى فسيجازي كل عامل بعمله. وأن المسرفين هم اصحاب النار وهم الذين أسرفوا على أنفسهم بالتجرود على ربهم، بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم.

فلما نصحهم وحذرهم وأنذرهم، ولم يطيعوه ولا وافقوه، قال لهم: في يطيعوه ولا وافقوه، قال لهم: فذه فنستذكرون ما أقول لكم، من هذه النصيحة، وسترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب.

روأفوض أمري إلى الله اي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. ﴿إن الله بصير بالعباد ﴾ يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم علي، فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

﴿فَوْقَاهُ اللهُ سَيْئَاتُ مَا مُكْرُوا﴾ أي: وقى الله القوتي الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون

وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه، وهم الذين لهم حنقهم عليه، فأرادوا به كيداً، فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على الفذاب أغرقهم الله تعالى في صبيحة العذاب أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم.

وفي البرزخ ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشِيّا ويوم تقوم الساعة أذخِلُوا الله فرصون أشد المعداب فسهده المعقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.

﴿ ٤٧ ـ ٥٠) ﴿وَإِذْ يُتَحَاجُونَ فَي النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار * قال الذين استكبروا إنا كلّ فيها إن الله قد حكم بين العباد * وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب * قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلي قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار، وعتاب بعضهم بعضاً، واستغاثتهم بخزنة النار، وعدم الفائدة في ذلك فقال: ﴿وإذ يتحاجون في النارك يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، ويتبرأ المتبوعون من التابعين، ﴿فيقول الضعفاء أي: الأتباع للقادة (للذين استكبروا﴾ على الحق، ودعوهم إلى ما استكبروا لأجله. ﴿إِنَّا كِنَا لَكُمْ تَبِعاً﴾ أنتم أغويتمونا وأضللتمونا وزينتم لنا الشرك والشر، ﴿فهل أنتم مغنون عنّا نصيبا من النار، أي: ولو قليلاً.

﴿قال الذين استكبروا ، مبينين لعجزهم ونفوذ الحكم الإلهي في الجميع: ﴿إِنَا كُلُ فِيهَا إِنَّ الله قد حكم بين العباد ، وجعل لكل قسطه من العذاب ، فلا يزاد في ذلك ولا ينقص

منه، ولا يغير ما حكم به الحكيم.

﴿ وقال الذين في النار ، من الستكبرين والضعفاء ﴿ لخزنة جهتم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴾ لعله تحصل بعض الراحة ، ف ﴿ قالوا ﴾ لهم موبخين ومبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم ، ودعاءهم لا يفيدهم شيئاً : ﴿ أولم تك تأتيكم والصراط المستقيم ، وما يقرب من الله وما يبعد منه ؟

﴿قالوا بلى﴾ قد جاؤونا بالبينات، وقامت علينا حجة الله البالغة، فظلمنا وعاندنا الحق بعدمًا تبين. ﴿قالوا﴾ أي: الخزنة، لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم والشفاعة: ﴿فادعوا﴾ أنتم ولكن هذا الدعاء، هل يغني شيئاً أم

قال تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلاَ في ضلال ﴾ أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال، صاد لإجابة الدعاء.

﴿١٥ – ٢٠﴾ ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمن معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ لما ذكر عقوبة آل فرعون في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وذكر حالة أهل النار الفظيعة، الذين نابذوا رسله وحاربوهم، قال: ﴿إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ أي: بالحجة والبرهان والنصر، وفي الآخرة بالحكم لهم، ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العقاب.

﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ حين يعتذرون ﴿ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ أي: الدار السيئة التي تسوء نازلها.

﴿ ٥٣ ـ ٥٥ ﴾ ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب * هدى وذكرى لأولي الألباب * فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار ﴾ لا ذكر

المنافقة النافقة النافقة المنافقة المن

كان مستكبراً على عبادة ربه، مقدماً على معاصيه، ساعياً في مساخطه، ﴿قليلا ما تتذكرون ﴿ قليلا أَنَّ مَا تتذكرون ﴿ قليلا أَنَّ فلو تذكرتم مراتب الأمور، ومنازل الخير والشر، والفرق بين الأبرار والفجار، وكانت لكم همة علية، لآثرتم النافع على الضار، والسعادة والهدى على الضلال، والسعادة الدائمة على الدنيا الفائية.

﴿٥٩﴾ ﴿إن الساعة لآتية لا ريب

DE LA CARROLLE LA

فيها﴾ قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق ونطقت بها الكتب السماوية، التي جميع أخبارها أعلى مراتب الصدق، وقامت عليها الشواهد المرئية والآيات الأفقية. ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مع هذه الأمور، التي توجب كمال التصديق والإذعان. و ٦٠ ﴾ ﴿ وقسال ربسكسم ادعسوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين، هذا من لطفه بعباده ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه دعاء العبادة ودعاء السألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها فقال: ﴿إِنَّ اللَّهِينِ يستكبرون عن عبادت سيدخلون جهنم داخرين، أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب

ولكن هذا لا يتم لهم، وليسوا ببالغيه، فهذا نص صريح، وبشارة، بأن كل مَنْ جادل الحق أنه مغلوب، وكل مَنْ تكبّر عليه فهو في نهايته ذليل. ﴿فاستعذ﴾ أي: اعتصم والجأ ﴿بالله ولم يذكر ما يستعيذ، إرادة للعموم. أي: استعذبالله من الكِبر على الحق، واستعذبالله من شياطين الإنس والجِن، واستعذبالله من شياطين الإنس والجِن، واستعذبالله من شياطين الإنس والجِن،

والمساوية على بيع المسرورة ﴿إِنَّهُ هُو السميع ﴾ لجميع الأصوات على اختلافها، ﴿البصير ﴾ بجميع المرثيات، بأي: محل وموضع وزمان كانت.

﴿ ٥٧_٥٩ ﴿ لَلَّمُ السَّمَاواتِ والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون * وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا البصبالحيات ولاالمسيء قبليلاً منا تتذكرون * إن الساعة لأتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ يخبر تعالى بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض -على عظمهما وسعتهما _أعظم وأكبر من خلق الناس، فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى وأحرى. وهذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث دلالة قاطعة بمجرد نظر العاقل إليها يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من البعث. وليس كل أحد يجعل فكره لذلك

وليس كل أحد يجعل فكره لذلك ويقبل بتدبره، ولهذا قال: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ولذلك لا يعتبرون بذلك، ولا يجعلونه منهم على بال، ثم قال تعالى:

﴿وما يستوي الأعمى والبصير والنين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء أي: كما لا يستوي الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي مَنْ آمن بالله وعمل الصالحات، ومَنْ

ما جرى لموسى وفرعون، وما آل إليه أمر فرعون وجنوده، ثم ذكر الحكم العام الشامل له ولأهل النار، ذكر أنه أعطى موسى ﴿الهدى﴾ أي: الآيات، والعلم الذي يهتدي به المهتدون. جعلناه متوارثاً بينهم، من قرن إلى مشتمل على الهدى الذي هو العلم مشتمل على الهدى الذي هو العلم التذكر للخير بالترغيب فيه، وعن الشر بالترهيب عنه، وليس ذلك لكل أحد، وإنما هو ﴿لأولى الألباب﴾.

﴿فاصبر﴾ يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين. ﴿إِنَ وَهِدَ الله حق﴾ أي: ليس مشكوكاً فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر، وإنما هو الحق المحض، والهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون، ويجتهد في التمسك به أهل البصائر.

فقوله: ﴿إِن وعد الله حق﴾ من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله وعن ما يكره الله.

﴿واستغفر لذنبك﴾ المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصاً ﴿بالعشي والإبكار﴾ اللذين هما أفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما، لأن في ذلك عوناً على جميع الأمور.

﴿ (٥) ﴿ إِن اللّهِ من بِحادلون في آيات الله يغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعد بالله إنه هو السميع البصير ﴾ يخبر تعالى أن مَن جادل في آياته ليبطلها بالباطل، بغير بينة من أمره ولا حجة، إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق وعلى مَن جاء به، يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم ومرادهم.

وَلَقَدُ أَرْسَلُنَارُسُ لَا قِنْ فَيْلِكَ مِنْهُمِ مِنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مِنْ أَرْفَقُهُ مِ عَلَيْكُ قَمَاكَ أَزِلِسُولِ أَن كَأْنِي بَعَايَةِ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَاءً أَمْرُ ٱللَّهِ قُصِيَ بِٱلْكُنِّ وَخَسِرَ هُذَاكِ ٱلْبُعُلِلُونَ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَسَكُمُ ٱلْأَمْدَة لِتَرْكَبُواْمِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِهُ وَلِتَ بَلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَكَةً فِي صُدُودِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَ ٱلْفُلُكِ تَحُمَلُونَ ۞ وَيُرِيكُمْ مَالِيَتِمِ فَأَيَّ مَالِتِهِ اللَّهُ شُكِرُوبَ ۞ أَلَكَّرْ يَسِيرُوا حِذَا لَأَرْضِ فَيَطُرُوا كَيْفَ كَانَ عَلِيْهَ أُلَّذِيكِ مِن قَبْلِهِ خُرَافُواْ أَحْتُ مَنْهُمْ وَأَنْتُ فُوَّةً وَمَاكَ لَا فِي ٱلأَوْضِ فَسَا أَغْفَى عَنْهُم مَّا كَافُوا يَكْسِبُونَ ۞ فَكَتَاجَلَة تُهُمُّرُومُ لُهُم إِلْبَيْنَاتِ فَرِجُواْبِ كَاعِن كَافُر عَنَ ٱلْمِيلِهِ وَمَاقَ بِهِمَّاكَ أَوْلِ بِدِيْتَ تَغَيَّةُ وَتَكَ ﴿ فَأَا رأوا بأستنا قالواءامتنا بأنقه وتعدمه ككنزنا يما ككابوء مشريكين ﴿ فَلَرَيْكُ يَنفَعُهُ مُ لِينَنَهُ مُ لَمَّا رَأُوا بَأْسِيًّا مُسُمِّتًا مُنْ مُسَالًا الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَ الدُّوِّهِ وَخَسِرَ كُمْ نَالِكَ ٱلْكُهْرُونَ ۞

TO THE WAR TO THE TOTAL OF THE PARTY OF THE والإهانة، جزاء على استكبارهم.

﴿ ٦١ ــ ٦٥﴾ ﴿الله السذى جسعسل

لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً

إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر

الناس لا يشكرون * ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأني تؤفكون * كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون * الله الذي جعل لكم الأرض قبرارأ والسيمياء بيشاء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين * هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ♦ تدبر هذه الآيات الكريمات، الدالة على سعة رحمة الله تعالى وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال حياته، واتصافه بالحمد على كل ما اتصف به من الصفات الكاملة، وما فعله من الأفعال الحسنة، وتمام ربوبيته وانفراده فيها، وأن جميع التدبير في العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقات وحاضرها ومستقبلها بيد الله تعالى، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء، فينتج من ذلك، أنه تعالى المألوه المعبود وحده، الذي

لا يستحق أحد من العبودية شيئاً، كما

لم يستحق من الربوبيه شيئاً، وينتج من

ذلك، امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى

ومحبشه وخوفه ورجائه، وهذان الأمران ـوهما معرفته وعبادته _هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروبة، وهما اللذان هما أشرف عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذات على الإطلاق، وهما اللذان إن فاتا فات كل خير وحضر كل

فنسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بمعرفته ومحبته، وأن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة خالصة لوجهه، تابعة لأمره، إنه لا يتعاظمه سؤال، ولا يحفيه فقوله تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم

الليل♦ أي: لأجلكم جعل الله الليل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله مظلماً، ﴿لتسكنوافيه ﴾ من قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون). حركاتكم، التي لو استمرت لضرت، فتأوون إلى فرشكم، ويُلقى الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب والبدن، وهو من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه، ويسكن أيضاً، كلّ حبيب إلى حبيبه، ويجتمع الفكر، وتقل الشواغل.

﴿وَ جعل تعالى ﴿النهار مبصراً ﴾ منيراً بالشمس المستمرة في الفلك، فتقومون من فرشكم إلى أشغالكم الدينية والدنيوية، هذا لذكره وقراءته، وهذا لصلاته، وهذا لطلبه العلم ودراسته، وهذا لبيعه وشرائه، وهذا لبنائه أو حدادته، أو نحوها من الصناعات، وهذا لسفره برأ وبحرأ، وهذا لفلاحته، وهذا لتصليح حيواناته.

﴿إِنَّ اللَّهُ لَذُو فَصْلَ ﴾ أي: عظيم، كما يدل عليه التنكير ﴿على الناس﴾. حيث أنعم عليهم بهذه النُّعَم وغيرها، وصرف عنهم النقم، وهذا يوجب عليهم تمام شكره وذكره، ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون) بسبب جهلهم وظلمهم. ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ الذين يقرون بنعمة ربهم، ويخضعون لله ويحبونه، ويصرفونها في

طاعة مولاهم ورضاه.

﴿ذَلَكُم﴾ الذي فعل ما فعل ﴿الله ربكم اي: المنفرد بالإلهية، والمنفرد بالربوبية، لأن انفراده بهذه النِّعَم من ربوبيته، وإيجاما للشكر من ألوهيته، ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ﴿خالق كل شيء ♦ تقرير لربوبيته.

ثم صرَّح بالأمر بعبادته فقال: ﴿ فَأَنَّى تَوْفَكُونَ ﴾ أي: كيف تصرفون عن عبادته وحده لا شريك له، بعدما أبان لكم الدليل وأنار لكم السبيل؟!!

 كـذلـك يـؤفـك الـذيـن كـانـوا بآيات الله يجحدون﴾ أي: عقوبة على جحدهم لآيات الله، وتعديهم على رسله، صرفوا عن التوحيد والإخلاص، كما قال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل

﴿ الله الدِّي جعل لكم الأرض قراراً ﴾ أي: قارة ساكنة، مهيأة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها وغرسها والبناء عليها، والسفر والإقامة فيها.

﴿والسماء بناء﴾ سقفاً للأرض التي أنتم فيها، قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار والعلامات التي يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ﴿وصوركم فأحسن صوركم اللس في جنس الحيوانات أحسن صورة من بنى آدم، كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).

وإذا أردت أن تعرف حسن الآدمي وكمال حكمة الله تعالى فيه، فانظر إليه عضواً عضواً، هل تجد عضواً من أعضائه يليق به ويصلح أن يكون في غير محله؟ وانظر أيضاً، إلى الميل الذي في القلوب بعضهم لبعض، هل تجد ذلك في غير الآدميين؟ وانظر إلى ما خصه الله به من العقل والإيمان، والمحبة والمعرفة، التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجمل الصور .

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ وهذا شامل لكل طيب، من مأكل،

ومشرب، ومنكح، وملبس، ومنظر، ومسمع، وغير ذلك من الطيبات التي يسرها الله لعباده، ويسر لهم أسبابها، وتنضر أبدانهم وقلوبهم وأديانهم، وذلكم الذي دبر الأمور وأنعم عليكم بهذه النعم ﴿الله ربكم﴾ ونتبارك الله رب العالمين﴾ أي: تعاظم وكشر خيره وإحسانه، المربي جميع العالمين بنعمه.

﴿هو الحي﴾ الذي له الحياة الكاملة التامة، المستلزمة لما تستلزمه من صفاته المذاتية، التي لا تتم حياته إلا بها، كالسمع، والبصر، والقدرة، والعلم، والكلام، وغير ذلك من صفات كماله ونعوت جلاله.

﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبود بحق إلا وجهه الكريم. ﴿فادعوه﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة ﴿خلصين له الدين﴾ أي: اقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل وجه الله تعالى، فإن الإخلاص هو المأمور به، كما قال تعالى: ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله خلصين له الدين حنفاء﴾.

﴿الحمد لله رب العالمين ﴾ أي: جميع المحامد والمدائح والثناء، بالقول كنطق الحلق بذكره، والفعل، كعبادتهم له، كل ذلك شه تعالى وحده لا شريك له، لكماله في أوصافه وأفعاله، وتمام

أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين * هو الذي خلقكم من يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من تعقلون * هو الذي يحيي ويميت فإذا تغيى أمراً فإنما يقول له كن فيكون له لأ وذكر الأدلة على ذلك والبينات، صرح وذكر الأدلة على ذلك والبينات، صرح بالنهي عن عبادة ما سواه فقال: ﴿قَلْ بِالنهي عن عبادة ما سواه فقال: ﴿قَلْ بِالنّهِي عن عبادة ما سواه فقال: ﴿قَلْ بِالنّهِي عن عبادة ما سواه فقال: ﴿قَلْ بِالنّهِي عن عبادة ما سواه فقال: ﴿قَلْ بَالنّهِي عن عبادة ما سواه فقال: ﴿قَلْ بَالنّهُ النّبِي ﴿إِنْ نَهِيتُ أَنْ أَعِبْدُ الذّبِنُ

تمدعون من دون الله من الأوثان والأصنام، وكل ما عُبد من دون الله.

ولست على شك من أمري، بل على يقين وبصيرة، ولهذا قال: ﴿ لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ بقلبي ولساني وجوارحي، بحيث تكون منقادة لطاعته، مستسلمة لأمره، وهذا أعظم مأمور به على الإطلاق، كما أن النهى عن عبادة ما سواه أعظم مَنْهيِّ عنه على الإطلاق، ثم قرر هذا التوحيد بأنه الخالق لكم، والمطور لخلقتكم، فكما خلقكم وحده فاعبدوه وحده، فقال: ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ وذلك بخلقه أصلكم وأبيكم آدم عليه السلام. ﴿ثُم من نطفة ﴾ وهذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني ما دام في بطن أمه، فنبه بالابتداء على بقية الأطوار، من العلقة، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح، ﴿ثُمُّ يخرجكم طفلاً ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدّكم من قوة العقل والبدن، وجميع قواه الظاهرة والباطنة . ﴿ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم مَن يتوفي من قبل) بلوغ الأشد ﴿ولتبلغوا﴾ بهذه الأطوار المقدرة إلى أجل مسمى تنتهى عنده أعماركم. ﴿ولعلكم تعقلون احبوالكم، فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلاّ له، وأنكم ناقصون من كل وجه.

﴿هو الذي يحيي ويميت ﴾ أي: هو المنفرد بالإحياء والإماتة، فلا تحوت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه. ﴿وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسر ﴾ .

﴿فَإِذَا قَضَى أَمْراً﴾ جَلِيلاً أَوْ حَقَيْراً ﴿فَإِنْمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ لِا رَدْ فَي ذلك، ولا مثنوية، ولا تمنع.

﴿٦٩ ــ ٧٦ ﴿ أَلَمْ تَسَرَ إِلَى السَّذِينِ عَادِلُونَ فِي آياتَ اللهُ أَنَى يصرفون * الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون * إذ الأغلال في

أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون * ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين * ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون * ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوي المتكبرين ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِّينَ يَجَادُلُونَ في آيات الله الواضحة البينة متعجباً من حالهم الشنيعة . ﴿ أَنِّي يُصْرَفُونَ ﴾ أي: كيف ينعدلون عنها؟ وإلى أي: شيء يذهبون بعد البيان التام؟ هل يجدون آيات بيّنات تعارض آيات الله؟ لا والله. أم يجدون شبهاً توافق أهبواءهم، وينصبولون بها لأجل باطلهم؟ فبئس ما استبدلوا واختاروا لأنفسهم بتكذيبهم بالكتاب الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله به رسله، الذين هم خير الخلق وأصدقهم، وأعظمهم عقولاً، فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية، ولهذا توعدهم الله بعذابها فقال: ﴿فسوف يعلمون * إذ الأغلال في أعناقهم > التي لا يستطيعون معها حركة. ﴿والسلاسل﴾ التي يقرنون بها هم وشياطينهم ﴿يسحبون * في الحميم ﴾ أي: الماء الذي اشتد غليانه وحره. ﴿ثم في النار يسجرون﴾ يوقد عليهم اللهب العظيم فيصلون بها، ثم يوبخون على شركهم وكذبهم.

ويقال ﴿لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله * هل نفعوكم أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟ ﴿قالوا ضلوا عنا * أي: غابوا ولم يحضروا، ولو حضروا لم ينفعوا، ثم إنهم أنكروا فقالوا: ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا * يحتمل أن مرادهم بذلك الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل وهو الأظهر أن مرادهم بذلك الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كذلك يضل الله قشر تعالى: ﴿كذلك يضل الله

الكافرين أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم يقرون ببطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: ﴿وما يتبع الذين يدعون الله شركاء إن يتبعون إلا القيامة يكفرون بشرككم ﴿ومَنْ القيامة يكفرون بشرككم ﴿ومَنْ الشَّمَنْ على يوم القيامة لا يستجيب له إلى يوم القيامة الآيات.

ويقال لأهل النار ﴿ذلكم﴾ العذاب الذي نوع عليكم ﴿بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون بالباطل الذي أنتم عليه، وبالعلوم التي خالفتم بها علوم الرسل وتمرحون على عباد الله، بغياً وعدواناً وظلماً وعصياناً، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿فلما عندهم من العلم﴾.

وكسما قسال قسوم قسارون لسه: ﴿لا تفرح إن الله لا يجب الفرحين﴾.

وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح المدوح الذي قال الله فيه: ﴿قُلْ بَفْضُلُ الله وبرحته فبذلك فليفرحوا﴾ وهو الفرح بالعلم النافع والعمل الصالح.

﴿ادخلوا أبواب جهنم > كل بطبقة من طبقاتها على قدر عمله. ﴿خالدين فيها > لا يخرجون منها أبداً ﴿فبئس مثوى يخزون فيه ويهانون ويحبسون ويعذبون ويترددون بين حرها وزمهريرها.

﴿٧٧﴾ ﴿فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾ أي: ﴿فاصبر﴾ يا أيها الرسول على دعوة قومك وما ينالك منهم من أذى، واستعن على صبرك بإيمانك ﴿إن وعد الله حق﴾ سينصر دينه، ويُعْلَى والآخرة، واستعن على ذلك أيضاً، بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا

والآخرة، ولهذا قال: ﴿فَإِمَا نُرِينَكُ بِعِضُ الذي تعدهم ﴾ في الدنيا فذاك ﴿أُو نتوفينك ﴾ قبل عقوبتهم ﴿فَإِلِينا يرجعون ﴾ فنجازيهم بأعمالهم ، ﴿فَلا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الطالمون ﴾ . ثم سلاً ، وصبَّره بذكر إخوانه المرسلين فقال:

﴿٧٨﴾ ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن ياتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك البطلون﴾ أي: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً﴾ كثيرين إلى قومهم، يدعونهم ويصبرون على أذاهم. ﴿منهم مَنْ لم نقصصنا عليك﴾ خبرهم ﴿ومنهم منْ لم نقصص عليك﴾. وكل الرسل من لم نقصص عليك﴾. وكل الرسل مدرون، ليس بيدهم شيء من الأمر.

وما كان لأحدِ منهم ﴿أَنْ يَأْتِي بِآيَةٍ﴾ من الآيات السمعية والعقلية ﴿إلاَّ بإذن الله أي: بمشيئته وأمره، فاقتراح المقترح على الرسل الإتيان بالأيات، ظلم منهم وتعنت وتكذيب، بعد أن أيدهم الله بالآيات الدالة على صدقهم وصحة ما جاؤوا به. ﴿فإذا جاء أمر الله بالفصل بين الرسل وأعدائهم، والفتح. ﴿قَضِي﴾ بينهم ﴿بالحق﴾ الذي يقع الموقع، ويوافق الصواب بإنجاء الرسل وأتباعهم، وإحلاك المكذبين، ولهذا قال: ﴿وخسر هنالك﴾ أي: وقت القضاء المذكور ﴿المبطلون﴾ الذين وصفهم الباطل، وما جاؤوا به من العلم والعمل باطل، وغايتهم المقصودة لهم باطلة، فَلْيَحُذُر هؤلاء المخاطبون أن يستمروا على باطلهم فيخسروا كما خسر أولئك، فإن هؤلاء لا خير منهم، ولا لهم براءة في الكتب بالنجاة .

﴿٧٩ ـ ٧٩﴾ ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون * ويريكم آياته فأي: آيات الله

تنكرون﴾ يمتن تعالى على عباده بما جعل لهم من الأنعام التي بها جملة من الإنعام:

منها: منافع الركوب عليها والحمل.

ومنها: منافع الأكل من لحومها والشرب من ألبانها.

ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة من أصوافها وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع.

﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ من الوصول إلى الأوطان البعيدة، وحصول السرور بها، والفرح عند أهلها. ﴿وعليها وعلى الفُلْكِ تُحَمَلُونَ﴾ أي: على الرواحل البرية والفلك البحرية يحملكم الله الذي سخرها وهيأ لها ما هيأ من الأسباب التي لا تتم إلا بها.

﴿ ويريكم آياته ﴾ الدالة على وحدانيته وأسمائه وصفاته، وهذا من أكبر يُعَمِهِ، حيث أشهد عباده آياته النفسية، ويُعَمَهِ الباهرة، وعددها عليهم، ليعرفوه ويذكروه.

﴿فَأَيَّ آيات الله تنكرون أي: أي من آياته لا تعترفون بها؟ فإنكم قد تقرر عندكم، أن جميع الآيات والنعم منه تعالى، فلم يبق للإنكار على، ولا للإعراض عنها موضع، بل أوجبت لذوي الألباب بذل الجهد، واستفراغ الوسع، للاجتهاد في طاعته والتبتل في خدمته والانقطاع إله.

﴿٨٨ – ٨٨﴾ ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فلما جاءتهم رسلهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون * فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك

الكافرون محث تعالى المكذبين لرسولهم على السير في الأرض بأبدانهم وقلوبهم وسؤال العالمين. ﴿فينظروا ﴾ نظر فكر واستدلال، لا نظر غفلة وإهمال.

 كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم السالفة، كعاد وثمود وغيرهم، بمن كانوا أعظم منهم قوةً وأكثر أموالاً وأشد آثاراً في الأرض من الأبنية الحصينة، والغراس الأنبقة، والزروع الكثيرة ﴿فما أغني عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ حين جاءهم أمر الله، فلم تخن عنهم قوتهم، ولا افتدوا بأموالهم، ولا تحصنوا بحصونهم.

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات، من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، للهدى من الضلال، والحقّ من الباطل ﴿فرحوا بِما عندهم من العلم﴾ المناقض لدين الرسل.

ومن المعلوم، أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقاً، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القّاطعة أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها والمناقضة فالله

﴿وحاق بهم﴾ أي: نزل﴿ما كانوا به يستهزؤون من العذاب. ﴿فلما رأوا بأسنا ﴾ أي: عذابنا، أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين، من الأصنام والأوثان، وتبرأنا من كل ما خالف الرسل من علم أو عمل. ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا

بأسنا﴾ أي: في تلك الحال، وهذه ﴿سُنَّةُ اللهِ وعاَّدتِه ﴿التَّي خَلْتُ فَي عباده ﴾ أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله وعقابه إذا آمنوا، كان إيمانهم غير صحيح، ولا منجياً لهم من العذاب، وذلك لأنه إيمان ضرورة قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو

الإيمان الاختياري، الذي يكون إيماناً بالغيب، وذلك قبل وجود قرائن العذاب. ﴿وخسر هنالك ﴾ أي: وقت الإملاك وإذاقة البأس ﴿الكافرون﴾ دينهم ودنياهم وأخراهم، ولا يكفي مجرد الخسارة في تلك الدار، بل لا بد من خسران يشقى في العذاب الشديد،

والخلود فيه، دائمًا أبداً. تم تفسير سورة المؤمن بحمد الله ولطفه ومعونته، لا بحولنا وقوتنا، فله الشكر والثناء

تفسیر سورة فصلت^(۱) مكيـــة

﴿ ١ ـ ٨ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حَم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتأب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في أكنة ثما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد * فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير منون ﴿ يَخِبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل﴿تنزيل﴾ صادر ﴿من الرحمن الرحيم﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به من العلم والهدى والنور والشفاء والرحمة والخير الكثير، ما هو

النوالة فضالت والمنافذة حاقفال فألزنت حَمَّ ۞ تَنْزِيدُ مِنَ الْرَحْوَالِيَهِيدِ ۞ كِنَاتُ فَيْهَاتْ ءَائِنْتُهُ وَّهَ أَنَا عَرَبِينَا لِفَوْمِ مِنْ مُلُونَ ۞ بَشِيرًا وَيَذِيدًا فَأَعْرَضَ ا أَكْثَرُهُمْ فَهُدُ لِابْتَدَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَا مِمَّا تَدَعُونَا ۚ إِلَيْهِ وَفِي ٓ الَّالِيٰ اوَقُرُّ وَمِنْ بَيْنِينَا وَيَعْلِكُ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنْنَاعَلِمِلُونَ ۞ قُلْ إِنِّمَا آَنَابَشُرٌ مِسْلُكُومُ مُ كَالِكَ أَنَّا إِلَهُ كُو إِلَهُ وَمِدُّ فَأَسْ تَصِيمُواْ إِلَيْهِ وَأَسْسَغُورُوهُ وَقَالُ لِلْمُشْرِكِينَ ۞ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكُوَّةَ وَهُم إِلَّا خِرَة مُمْ كَنْفِرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ مَامَنُوا وَعَيْلُوا الْمَبْلِحَتِ كُمُّ أَجُرُعَمُرُ مَنُونِ ۞ • قُلُ أَيِنَكُو لَتَكَفِّرُونَ بِالَّذِي ۚ قَالَ الْأَيْنَ فِيَوْمَيْنِ وَتَقِيَّمُ لُونَ لَهُ رَأَنَدَاذًا ذَٰإِكَ رَبُّ ٱلْعَكَمِينَ ۞ وَيَحْمَلَ فيها دَوَيَعِيَ عِن فَوَقِهَا وَلَزَاهُ فِيهَا وَقَدْرَفِهَا أَفْوَتَهَا إِنَّ أَنْعِكُ آيَا رِسَوَآهُ لِلسَّالَ لِمِن ﴿ ثُرَّاسُ تَوَكَىٰ إِلَى السَّسَلَة وَحِن دُخَانُ مُّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ مِن اللّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّالِمُ مِن اللَّهُ مِن اللَّا مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن الل ON TO THE OR OF THE OWNER.

من أجلُّ نِعَمِهِ على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين.

ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال: ﴿فُصِّلتْ آياته﴾ أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق. ﴿قرآنا عربياً ﴾ أيّ: باللغة الفصحى أكمل اللغات، فُصِّلت آياته وجُعل عربياً. ﴿لقوم يعلمون ال أجل أن يتبين لهم معناه كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والغَيُّ من الرشاد .

وأما الجاهلون الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالاً، ولا البيان إلا عَمى فهؤلاء لم يُسَقِ الكلام لأجلهم، ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يۇمنون♦.

﴿بشيراً وسُديراً ﴾ أي: بشيراً بالشواب العاجل والآجل، ونذيراً بالعقاب العاجل والآجل، وذكر تفصيلهما، وذكر الأسباب والأوصاف التي تحصل بها البشارة والنذارة، وهذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يُتَلقِّي بالقبول والإذعان والإيمان والعمل به، ولكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين، ﴿فهم

النظافة المنافقة الم

لا يسمعون﴾ له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعاً تقوم عليهم به الحجة الشرعية.

يُحْدُرُ أَعْدَادُ أُفِّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ وُرَعُونَ ﴿ حَمَّ إِذَا مَا جَلَّهُ وَهَا

شَهِدَ عَلَيْهِ مُ مَعْمُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ وَكَاكُونُ اللَّهِ مَا كَانُواْ يَسْسَلُونَ ۞

MONIGOU W KOROKO

﴿وقالوا﴾ أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به، بسد الأبواب الموصلة إليه: ﴿قلوبنا في أَكِنْةٍ ﴾ أي: أغطية مغشاة ﴿مَا تدعونا إليه وفي آذاننا وقر﴾ أي: صحم فلا نسمع لك ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فلا نراك.

القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه من كل وجه، وأظهروا بغضه والرضا بما هم عليه، ولهذا قالوا: ﴿فاعمل إننا عاملون﴾ أي: كما رضيت بالعمل بدينك، فإننا راضون كل الرضا بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا.

﴿قل﴾ لهم يا أيها النبي: ﴿إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إلي ﴾ أي: هذه صفتي ووظيفتي، أني بشرٌ مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء، ولا عندي ما تستعجلون به، وإنما فضلني الله عليكم وميزني وخصني بالوحي الذي أوحاه إلي وأمرني باتباعه ودعوتكم إله.

﴿فاستقيموا إليه﴾ أي: اسلكوا الـصراط الموصل إلى الله تـعـالي،

بتصديق الخبر الذي أخبر به، واتباع الأمر واجتناب النهي، هذه حقيقة الاستقامة، ثم الدوام على ذلك، وفي قوله: ﴿إليه﴾ تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى دار كرامته، فبذلك يكون عمله خالصاً صالحاً نافعاً، وبفواته يكون عمله باطلاً.

ولما كان العبد_ ولو حرص على

الاستقامة ـ لا بدأن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور، أو ارتكاب منهى، أمره بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة فقال: ﴿واستغفروه﴾ ثم توعّد مَنْ ترك الاستقامة فقال: ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أى: اللذيان عبدوا من دونه مَنْ لا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد رجم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها. ﴿وهم بِالْآخرة هم كافرون﴾ أى: لا يؤمنون بالبعث ولا بالجنة والنار، فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم، أقدموا على ما أقدموا عليه مما يضرهم في الآخرة.

ولما ذكر الكافرين ذكر المؤمنين، ووصفهم وجزاءهم، فقال: ﴿إِنَّ اللّٰذِينَ آمنوا﴾ بهذا الكتاب، وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، والمتابعة. ﴿لهم أجرٌ أي: عظيم ﴿غير ممنون﴾ أي: غير مقطوع ولا نافد، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات.

﴿٩ ـ ١٢﴾ ﴿قل أثنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أبسعة أيام سواءً للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي

دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ينكر تعالى ويعجّب من كفر الكافرين به، الذين جعلوا معه أنداداً يشركونهم معه، ويبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة في يومين، ثم دحاها في يومين، بأن جعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار، فكمل خلقها، ودحاها، وإخراج أقواتها، وتوابع ذلك ﴿في أربعة أيآم سواء للسائلينَ عن ذلك، فلا ينبئك مثل خبير، فهذا الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه ولا نقص.

﴿ شم ﴾ بعد أن خلق الأرض ﴿استوى﴾أي: قصد ﴿إلى خلق ﴿السماء وهي دخان﴾ قد ثار على وجه الماء، ﴿فقال لها﴾ ولما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه بقوله: ﴿وللأرض انتيا طوعاً أو كرهاً ﴾ أي: انقادا لأمري طائعتين أو مكرهتين، فلا بدمن نفوذه. ﴿قالتا أتينا طائعين لله إرادة تخالف إرادتك. ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ فَتَمَّ خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، مع أن قدرة الله ومشيئته صالحة لخلق الجميع في لحظة واحدة، ولكن مع أنه قدير، فهو حكيم رفيق، فمن حكّمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة.

واعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ يظهر منها التعارض، مع أن كسساب الله لا تسعسارض فسيسه ولا اختلاف.

والجواب عن ذلك ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض وصورتها

متقدم على خلق السماوات كما هنا، عاد ودحي الأرض بأن ﴿أخرج منها ماءها حيد ومرعاها * والجبال أرساها﴾ متأخر وبي عن خلق السماوات كما في سورة وكف

بعد ذلك خلقها».
وقوله: ﴿وأوحى في كل سماء
أمرها أي: الأمر والتدبير اللائق بها،
التي اقتضته حكمة أحكم الحاكمين.
﴿وزيّنًا السماء الدنيا بمصابيع ﴿ هي
النجوم يستنار بها ويهتدى، وتكون زينة
وجالاً للسماء ظاهراً، وجالاً لها
باطناً، بجعلها رجوماً للشياطين، لئلا
يسترق السمع فيها. ﴿ذلك ﴾ المذكور،
من الأرض وما فيها، والسماء وما فيها
﴿تقدير العزيز العليم ﴾ الذي عزته قهز
بها الأشياء ودبرها، وخلق بها
المخلوقات. ﴿ العليم ﴾ الذي أحاط
علمه بالمخلوقات والغائب والشاهد.

النازعات، ولهذا قال فيها:

﴿والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج

منها﴾ إلى آخره ولم يقل: «والأرض

فَتَرْكُ المشركين الإخلاص لهذا الرب العظيم الواحد القهار، الذي انقادت المخلوقات لأمره ونفذ فيها قدره من أعجب الأشياء، واتخاذهم له أنداداً يسوونهم به، وهم ناقصون في أوصافهم وأفعالهم أعجب وأعجب، ولا دواء لهؤلاء إن استمر إعراضهم، إلا العقوبات الدنيوية والأخروية، فلهذا خوفهم بقوله:

﴿ ۱۳ ـ ۱۶ ﴾ ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود * إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾

أي: فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعدما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم فقل أنذرتكم صاعقة أي: عذابا يستأصلكم ويجتاحكم، ﴿مثل صاعقة

عاد وثمود القبيلتين المعروفتين. حيث اجتاحهم العذاب، وحلَّ عليهم وبيل العقاب، وذلك بظلمهم وكفرهم.

حيث ﴿جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ أي: يتبع بعضهم بعضاً متوالين، ودعوتهم جميعاً واحدة. ﴿ أَلَا تَعْبِدُوا إِلاَّ اللهِ أَي: يأمرون بالإخلاص لله، وينهونهم عن الشرك، فردوا رسالتهم وكذبوهم، و ﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ أي: وأما أنتم فبشرٌ مثلنا ﴿فإنَّا بِما أرسلتم به كافرون، وهذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين [من الأمم](١)، وهي من أوهى الشُّبِّهِ، فإنه ليس من شرط الإرسال أن يكون المرسل مَلَكاً، وإنما شرط الرسالة، أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه، فَلْيَقْدَحُوا إِن استطاعوا بصدقهم بقادح عقلي أو شرعي، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.

﴿ ١٥ - ١٦ ﴾ ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم عو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا عرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الخزي وهم لا ينصرون ﴾ هذا الأخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ هذا تفصيل لقصة هاتين الأمتين، عاد وثمود. ﴿ فأما عاد ﴾ فكانوا _ مع وكفرهم بالله، وجحدهم بآيات الله، وكفرهم برسله _ مستكبرين في العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم الأرض، قاهرين لمن حولهم من قوتهم. ﴿ وقالوا مَنْ أَشَدُ مِنَا قوة ﴾ قوتهم. ﴿ وقالوا مَنْ أَشَدُ مِنَا قوة ﴾

قوتهم. ﴿ وقالوا مَنْ أَشَدُ مَنَا قوة ﴾ تعالى رداً عليهم بما يعرفه كل أحد: ﴿ أُولُم يروا أَنْ الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظراً صحيحاً، لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم الله عقوبة تناسب قوتهم التي

اغتروا بها.

وَقَالُوا لَحُلُودِهِ لِمُ شَعِدتُهُ عَلَيْثَ قَالُواْ أَنْطَقْنَا الْقُوالَّذِي أَنْطَقَ كُلِّ مَنْ وَوَهُوَ خَلَقَكُمُ أَوْلَ مَنْ وَوَالْيَهِ رُجَعُون ٥ وَمَاكُنتُو تَسْتَقِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُوسَمْ عُكُووَلَا أَضَرُكُو وَلَا يُتُودُكُمُ وَلِكِن ظَنَنتُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَدِيرًا مِمَّا الَّعْسَلُونَ ۞ وَذَالِكُوظَاتُكُوالَّذِى ظَلَنَنهُ بِرَيْكُمُ أَزُدَىٰكُو فَأَصْبَحْتُمُ يِنَ ٱلْخَلِيدِينَ ﴿ فَإِن يَصْبِيرُواْ فَالنَّادُمَنَّوَى لَمُّنَّوَى لَمُّنَّوِّوالْ يَسْتَغِبُوافَمَاهُمِ مِنَ ٱلْمُعْنَبِينَ ۞ • وَقِيَّضَنَا لَمُدُوثُونَكَة فَنَيَّنُواْ لَمُدُمَّا يَيْنَ أَيْدِيهِ مُرْوَمَا خَلْفَهُ مُودَحَقٌّ عَلَيْهِمُ ٱلْفَوْلُ فِت أمَدِقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ مِينَ أَلِينَ وَٱلْإِنِينَ إِنَّهُمْ كَافُواْ خَلِيرِينَ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَعَرُوا لَاتَسْمَعُوا لِهَذَا ٱلْمُرَّةِ إِن وَالْعَوْافِيو لَمَتَلَّكُونَمُ لِيُونَ ۞ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَمَرُواْ مَذَابًا شَدِيدًا وَلَتَجْنِيَتُهُمُ أَسُوا ٱلَّذِي كَافُواْتِهُ مَكُونَ ۞ ذَالِكَ جَـَزَلَهُ أَعْدَلُه أتقوالنَّا ثُمَ كُنْ فِهَا دَارُا تَحْلُلُهِ جَرَّتَهُ مَا كَانْدَا بِعَلِيْنَا يَجْحَدُونَ ﴿ وَقَالَ الَّذِي كُلَّتُمُوا رَبُّنَا أَرِينَا الَّذِينَ أَخِيلًا مَن أَجْنَ وَٱلْانِينِ نَعْمَلُهُمَا تَعْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَامِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۞ ON TORSE WE ARE THE OWNER OF THE OWNER OWNER OF THE OWNER OWNER

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾
أي: ريحاً عظيمة، من قوتها وشدتها،
لها صوت مزعج، كالرعد القاصف.
فسخرها الله عليهم ﴿سبع ليال وثمانية
أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى
كمأنهم اعجاز نخسل خاوية﴾
كمأنهم اعجاز نخسل خاوية﴾
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، وقال
هنا: ﴿لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الذنيا﴾ الذي اختزوا به وافتضحوا بين
الخليقة. ﴿ولعذاب الآخرة أخزى وهم
لا ينصرون﴾ أي: لا يمنعون من

﴿١٧ ـ ١٧﴾ ﴿وأما ئـممود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا المعروفة الذين سكنوا الحجر وحواليه، المدين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام، يدعوهم إلى توحيد ربهم، وينهاهم عن الشرك وآناهم الله الناقة آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يوماً، ويشربون من الماء يوماً، وليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله، ولهذا قال هنا: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أي:

CHANGO CHANGE الله الله المارك المالك المتكافئة المستقلة واستقارا عسكه من المعتبين فيخبر تعالى عن أعدائه، المُلَتِكَةُ أَلَاقَ افْ أُولَا غَنَوْا وَأَنْ رُوا بِالْجَنَّةِ الِّي كُنتُرُ تُوعَدُونَ ۞ غَنْ أَوْلِي آؤَكُمْ إِنَّ أَغَيَّوْوَ ٱلدُّنْيَ اوَفِي ٱلْآخِرَةُ وَلَكُمْ فِيهَا مَالَشْنَاقِيَ النُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَذَعُونَ ۞ نُزُلَا فِنْ عَفُورِ نَجِيدٍ ۞ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلَامِتَن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَهِ لَهِ الْعَاوَقَالَ إِنِّي مِنَ لَلْشَالِمِينَ ۞ وَلَاتَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلِالنَّيْمَةُ ا دُفَعَ بِالْمَقِ هِي أَخْسَنُ فَإِنَا الَّذِي يَشِنَكَ وَيَيْنَمُ عَدُوَّةً كُأَنَّهُ وَلِنَّ جَيِدُ ١ ﴿ وَمَا يُلَقُّ مِنَا إِلَّا أَلِينَ مَسَرُوا وَمَا يُلَقُّلُهَا ۗ الْاذُوَكَةُ عَظِيمٍ ۞ وَامَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْعَلَيْنَ لَـُنْعُ فَأَسْتَعِذْ بِأَقَيَّ إِنْكُمُعُوَ السَّيْمِيعُ الْعَيَلِيمُ ۞ وَمِنْ مَايَنِهِ الُّيثُلُ وَالنَّهَادُ وَالنَّسَعْشُ وَالْقَسَعُرُ لِانْتَجُدُواْ لِلنَّفْتِينِ وَلَا اِلْفَسَتَرِ وَأَشْجُ مُوالِقِهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن حَسُنتُمْ لِمَاهُ تَسْبُدُونَ ﴿ فَإِن أَسْتَكَتِّرُواْ قَالَّذِينَ عِندَرَمِّكَ أُ يُسَيِّحُونَ لَمُوالَّئِيلِ وَالنَّهَادِ وَهُو لَا يَسْتَعُونَ ﴿ TO TO TO THE SAME OF THE SAME هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة وحصل لهم البيان، لأن

> ولكنهم _من ظلمهم وشرهم _ استحبوا العمى -الذي هو الكفر والضلال _على الهدى_ الذي هو العلم والإيمان _ فأخذهم العذاب بما كانوا يكسبون لا ظلماً من الله لهم. ﴿ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أي: نجّى الله صالحاً عليه السلام ومَن اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك والمعاصي .

والهدي.

﴿١٩ ــ ٢٤﴾ ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاؤوها شهدعليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بماكانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتهم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً بما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم

الذين بارزوه بالكفر به وبآياته، وتكذيب رسله ومعاداتهم ومحاربتهم، وحالهم الشنيعة حين يحشرون، أي : يجمعون. ﴿إلى النار فهم يوزعون﴾ [أي]: يرد أولهم على آخرهم، ويتبع آخرهم أولهم، ويساقون إليها سوقاً عنيفاً، لا يستطيعون امتناعاً، ولا يستصرون أنفسهم ولاحم ينصرون، ﴿حتى إذا ما جاؤوها﴾ أي: حتى إذا وردوا على النار، وأرادوا الإنكار، أو أنكروا ما عملوه من المعاصى، ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) عموم بعد خصوص. [﴿بما كانوا يعملون﴾] أي: شهدعليهم كل عضومن أعضائهم، فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا وكذا يوم كذا وكذا. وخص هذه الأعضاء الثلاثة، لأن أكثر الذنوب إنما آية ثمود آية باهرة، قدراها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت تقع بها أو بسببها. آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان

فإذا شهدت عليهم عاتبوها، ﴿وقالوا لجلودهم الله الله على أنَّ الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا: ﴿ لَمْ شَهَدْتُمْ عَلَيْنًا ﴾ ونحن ندافع عنكن؟ ﴿قَالُوا أَنطَقْنَا اللهُ الذِّي أَنطَقَ كل شيء ﴾ فليس في إمكاننا الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصى عن مشيئته أحد.

﴿ وهو خلقكم أوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فكما خلقكم بذواتكم وأجسامكم، خلق أيضاً صفاتكم، ومن ذلك الإنطاق. ﴿وإليه تسرجمهون ﴿ في الآخرة، فيجزيكم بما عملتم، ويحتمل أن المراد بذلك، الاستدلال على البعث بالخلق الأول، كما هو طريقة القرآن.

﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ أي: وما كنتم تختفون عن شهادة أعضائكم عليكم، ولا تحاذرون مسن ذلك. ﴿ولـكسن ظننتم ﴿ بإقدامكم على المعاصى ﴿أَنَ اللهُ لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ فلذلك صدر منكم ما صدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم ولهذا قال: ﴿ووذلكم ظنُّكُمُ الذي ظننتم

بربكم الظن السيّىء حيث ظننتم به ما لا يليق بجلاله . ﴿ أَرِدَاكُم ﴾ أي: أهلككم، ﴿فأصبحتم من الحاسرين﴾ لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم في العذاب، الذي لا يفتر عنهم

﴿فَإِنْ يَصِبِرُوا فَالْنَارِ مِثْوَى لَهُمَ﴾ فلا جَلَدَ عليها ولا صبر، وكل حالة قَدَر إمكان الصبر عليها، فالنار لا يمكن الصبر عليها، وكيف الصبر على نار قد اشتد حرها، وزادت على نار الدنيا بسبعين ضعفاً، وعظم غليان حميمها، وزاد نتن صديدها، وتضاعف برد زمهريرها وعظمت سلاسلها وأغلالها، وكبرت مقامعها، وغلظ خَزّانها، وزال ما في قلوبهم من رحمتهم، وختام ذلك سخط الجبار، وقوله لهم حين يدعونه ويستغيثون: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾.

﴿ وإن يستعتبوا ﴾ أي: يطلبوا أن يزال عنهم العتب ويرجعوا إلى الدنيا ليستأنفوا العمل. ﴿فما هم من المعتبين﴾ لأنه ذهب وقته، وعمروا ما يعمر فيه من تذكر وجاءهم النذير وانقطعت حجتهم مع أن استعتابهم كذب منهم ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ .

﴿٢٥﴾ ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ أي: وقيضنا لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق ﴿قرناء﴾ من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرُ أَنَّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾ أي: تزعجهم إلى المعاصي وتحثهم عليها، بسبب ما زينوا ﴿لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، فالدنيا زخرفوها بأعينهم، ودعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة حتى افتتنوا، فأقدموا على معاصى الله، وسلكوا ما شاؤوا من محاربة الله ورسله، والآخرة بَعَدُوها

عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشُبه بعدم وقوعها، فترحَّل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر والبدع والمعاصى.

وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق كما قال تعلل: ﴿وَمَن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

﴿وحق عليهم القول﴾ أي: وجب عليهم، ونزل القضاء والقدر بعذابهم ﴿فَي﴾ جملة ﴿أمم قد خلت من قبلهم من الجِنّ والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ لأديانهم وآخرتهم، ومَنْ خسر، فلا بدأن يذل ويشقى ويُعذب.

﴿٢٦ ــ ٢٩﴾ ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون * فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون * ذلك جزاء أعداء ألله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا البلذيين أضلانيا من الجين والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ يخبر تعالى عن إعراض الكفار عن القرآن وتواصيهم بذلك، فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى مَنْ جاء به، فإن اتفق أنكم سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه، فرالغوا فيه أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا _مع قدرتكم - أحداً يملك عليكم الكلام به وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم ولسان مقالهم في الإعراض عن هذا القرآن، ﴿لعلكم ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تغلبون﴾ [وهذه](١) شهادة من الأعداء، وأوضح الحق ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن

جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلبون، فإن الحق غالب غير مغلوب، يعرف هذا أصحاب الحق وأعداؤه.

ولما كان هذا ظلماً منهم وعناداً، لم يبق فيهم مطمع للهداية، فلم يبق إلا عذابهم ونكالهم، ولهذا قال: فلننديقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كان يعملون وهو الكفر والمعاصي، فإنها أسوأ ما كانوا يعملون، لكونهم يعملون المعاصي وغيرها، فالجزاء بالعقوبة، إن ما هو على عمل الشر(")،

﴿ ذلك جزاء أعداء الله الذين حاربوه وحاربوا أولياء بالكفر والتكذيب والمجادلة والمجالدة. ﴿ النار لهم فيها دار الخلد أي: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا هم ينصرون، وذلك ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ فإنها آيات واضحة، وأدلة قاطعة مفيدة للقين، فأعظم الظلم وأكبر العناد جحدها والكفر مها.

﴿وقال الذين كفروا﴾ أي: الأتباع منهم، بدليل ما بعده، على وجه الحنق على مَن أصلهم: ﴿وربنا أرنا اللذين أصلانا ألسنفين اللذين قادانا إلى الضلال الصنفين اللذين قادانا إلى الضلال والعذاب، من شياطين الجنّ وشياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم. ﴿نجعلهما قدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ أي: الأذلين المهانين كما أضلونا وفتنونا، وصاروا سبباً لنزولنا. ففي وتبرّي بعضهم من بعض،

﴿٣٠ ـ ٣٣﴾ ﴿إن الله الله قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة

وَمِنْ ءَ إِيَٰذِهِ وَ أَنَّكُ ثَرَى ٱلْأَرْضَ خَلِيْعَةً فَإِذَآ أَزَلْتَ عَلَيْهَا ٱلْمَاتَةَ ٱهْمَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِي ٓ أَحْيَاهَا لَيْحِي ٱلْمُؤْقِّ إِنَّهُ عِلَى كُلِّ مَّى وَقَدِيرُ ۞ إِنَّا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ٓ الْيَتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَاۗ أَفَهَن يُلْقِ فِي النَّا رِحَيْرُامَ مَّن يَأْقَ عَلِينَا يَوْمَ ٱلْقِيكَ مَوَّاعَمَلُوا مَاشِئْتُمُّ أِنَّهُ مِمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدِّحْر لَنَاجَانَهُ فَرُّ فَالْتُدَلِكُكُ عَنِيدٌ ۞ لَآيَانِيهِ ٱلْبَلِيلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيُووَلَامِنْ خَلْفِوْءَ مَنْ بِيلُ مِنْ حَكِيمِ عِيدٍ ۞ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا فَذَ قِبَلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبَلِكَ إِنَّ رَبِّكَ لَذُومَغُ فِرَوَ وَدُوعِقَابٍ أَلِيدٍ ۞ وَلَوْجَعَلَنَهُ وَمَانًا أَغِينًا لَعَالُوا لَوْلَا فَعِبَكَ ا النكة ومَا عِن وَعَرَبَ فَلَ هُوَ لِلَّذِيبَ مَامَنُوا هُدَى وَشِفَلَةً وَالَّذِيثَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَفُرُّ وَهُوَ عَكَيْفِهِمْ عَمَّى أُوْلَيْكَ يُسَادَوْنَ مِن مُكَانِ بَعِيدِ ﴿ وَلَحَدْ مَالَيْسَا مُوسَى الْسِيكُنْبَ فَأَخْتُلِفَ وَبِي وَلَوْ لَاسْكِلْمَةُ سَبَقَتْ مِن زَيْكَ لَقَيْنَ يَيْنَهُمُّ فَالْهُمُ لَى مَنْكِ مِنْدُ مُرِيبٍ ۞ مَّنْ عَيِلَ مَلِيمًا فَلِنَفْسِدُهُ ء وَمَنْ أَسَلَةً فَعَكَيْهَا وَمَارَثُكَ بِظَلَامٍ لِلْعِسِدِ ۞

ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم > غير تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم والحث على الاقتداء بهم فقال: ﴿إِنَّ الذَّيْنَ قَالُوا رَبِنَا اللهُ ثُم استقاموا > أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علماً وعملاً، فلهم البشرى في الحياة الذنيا وفي الآخرة.

﴿تنزل عليهم الملائكة ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ﴿ أَلَّا تَخَافُوا ﴾ على ما يستقبل من أمركم، ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً، ويقولون لهم أيضاً مثبتين لهم ومبشرين: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) يحثونهم في الدنيا على الخير"، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصاً عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون

CONTRACTO STRUCT إِلَيْهِ يُرَدُّ عِنْدُ السَّاعَةُ وَمَا عَنْدُمُ مِن ثَمَرُ بَرِمِنْ أَحْمَامِهَا وَمَاتَعْمِلُهِنْ أَثَنَا وَلَاتَهُمُ إِلَّا بِعِلْمِدًا وَيَوْمَ يُسَادِيهِمْ أَتِنَ شُرَكَاآءى قَالُواْ مَاذَنَّكَ مَامِنَا مِن شَهِيدٍ ﴿ وَمَسْلَعَتْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبَلَّ وَظَلْمُواْ مَا لَمُتَمِعَن يَجِيصِ ۞ لَّا يَسْتَعُمُ ٱلإنسَانُ مِن دُعَكَ إِنْ كَنْ مِن اللَّهِ مِنْ الشَّرُ مَتَى وَاللَّهِ مِنْ مُنْ مُؤلِّكُ ۞ وَلَمِنْ أَذَهُٰنَهُ رَحْمَةً مِنْ لِعِنْ إِمَّا وِصَرَّآةٍ مَسَتَنَهُ لِيَعُولَنَ حَكَالِي وَمَا أَظُنُّ السَّكَاعَةَ قَابِمَةً وَلَهِن ثُبِينَتُ إِلَى دَبَّ إك لِمعندَهُ ٱلْحُسْقُ قَائِيَةً لَا أَلِينَ كَثَرُهُ إِمَّا عَيْلُواْ وَلَنُذِيقَنَّكُمُ فِي عَنَابِ غَلِيظٍ ۞ وَإِنَّا أَنْعَتَمْنَاعَلَى ٱلْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَنَا بِعِرَانِيهِ ء وَلِذَا مَسْتَ ٱلنَّسُرُ وَنَذُو نُعَكُّهِ عَيِيضٍ ۞ قُلْأَرْةَ بُنْعُمْ لِذَكَ انْمِنْ عِندِاللَّهِ ثُمَّزَ كَفْرْتُمْرِهِ - مَنْ أَصَلُّ مِثَنْ هُوَفِي شِقَاقِ بَعِيدِ ۞ سَأَرِيهِمْ مَ لِلَيْنَا فِي ٱلْآفَ إِنْ وَقِي أَنْفُسِ هِرْحَقَّا بِيَنَبِيِّنَ لَهُمْ أَكَ مُ ٱلْفَيْقُ أَوْلَةُ يَكُولِهِ إِنَّاكَ أَنْدُمَالِكُ لِ مَنْ وَشَهِيدٌ ﴿ ٱلْأَلِقُهُمْ الدرنك ون المسكالة ربعة ألا إنا فريك المن وفي بطا ا ON THE WAR WAR

عليهم من كل باب ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنِعْمَ عقبي الدار ﴾ ويقولون لهم أيضاً: ﴿ولكم فيها ﴾ أي: في الجنة ﴿ما تشتهى أنفسكم ﴾ قد أعدّ وُهيِّيء. ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ أي: تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتسط لبونه من أنواع اللذات والمشبتهات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿نزلاً من غفور رحيم ﴾ أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نُزُلُ وضيافة ﴿من غفور﴾ غفر لكم السيئات، ﴿رحيم﴾ حيث وفقكم لفعل الحسنات ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته أنالكم المطلوب.

و ٣٣ و ومن أحسن قولاً عن دعا الله وعمل صالحاً وقال إنني من السلمين هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلاماً وطريقة، وحالة (عمن دعا المعافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين المغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه، الدعوة إلى أصل دين الإسلام

وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عمّا يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عسموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم والعوارض والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك عما لا تنحصر أفراده، عما يشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى: ﴿وعمل صالحاً﴾
أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو
بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل
الصالح، الذي يُرْضِي ربه. ﴿وقال
إنني من المسلمين﴾ أي: المنقادين
الأمره، السالكين في طريقه، وهذه
المرتبة، تمامها للصديقين، الذين عملوا
على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم،
وحصلت لهم الوراثة التامة من
الرسل، كما أن من أشرً الناس قولاً،

وبين هاتين المرتبتين المتباينتين، التي ارتفعت إحداهما إلى أعلى عليين، ونزلت الأخرى إلى أسفل سافلين، مراتب لا يعلمها إلا الله، وكلها معمورة بالخلق ﴿ولكلّ درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾. ﴿ولا تستوى الحسنة

م ٣٤٣ ـ ٣٥٠ فولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي

حيم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم > يقول تعالى:
﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة > أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها ولا في وصفها، ولا في الإحسان إلا الإحسان .

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى مَن أساء إليك، فقال ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ أي: فإذا أساء إليك مسيء من الحَلَق، خصوصاً مَنْ له حتَّ كبير عليك، كالأقارب والأصحاب ونحوهم، إلاحسان إليه، فإن قطعك فَصِلهُ، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائباً أو حاضراً فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك وترك خطابك فَطيّبُ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ أي: كأنه قريب شفيق:

﴿وما يُلَقّاها﴾ أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿إلا الذين صبروا﴾ نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟!!

فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله لا يفيده شيئاً، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك متلذذاً مستحلياً له.

﴿ وما يُلَقَّاها إلا ذو حظَّ عظيم ﴾

لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

﴿٣٩ _ ٣٩﴾ ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العلّيم * ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون * فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون * ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ لما ذكر تعالى ما يقابل به العدُّو من الإنس، وهنو مقابلة إساءته بالإحسان، ذكر ما يدفع به العدو الجنِّي، وهو الاستعاذة بالله والاحتماء من شره، فقال: ﴿وإمَّا ينزغنك من الشيطان نزغ ائي: أيّ وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان، أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيله عن الخير، وإصابة ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به ﴿فاستعذ بالله ﴾ أي: اسأله، مفتقراً إليه، أن يعيذك ويعصمك منه، ﴿إنه هو السميع العليم﴾ فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك واضطرارك إلى عصمته وحمايته.

ثم ذكر تعالى أن ﴿من آياته ﴾ الدالة على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته، وسعة سلطانه، ورحمته بعباده، وأنه الله وحده لا شريك له ﴿الليل النهار ﴾: هذا بمنفعة ضيائه وتصرف العباد فيه، وهذا بمنفعة ظُلِمَه، وسكون الخلق فيه، ﴿والشمس والقمر ﴾ اللذان لا تستقيم معايش العباد ولا أبدان حيواناتهم إلا بهما، وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده.

القمر الشمس ولا للقمر الشيخ القمر الميخد الم

اعبدوه وحده لأنه الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما سواه من المخلوقات، وإن كبر جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، وإنما هو من خالقه تبارك وتعالى. ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له.

﴿ فَإِن استكبروا ﴾ عن عبادة الله تعالى، ولم ينقادوا لها، فإنهم لن يضروا الله شيئاً، والله غني عنهم، وله عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولهذا قال: ﴿ فَالَّذِينَ عَند ربك ﴾ يعني: الملائكة المقربين ﴿ يسامون ﴾ أي: والنهار وهم لا يسامون ﴾ أي: لا يملون من عبادته، لقوتهم وشدة الداعي القوي منهم إلى ذلك.

ومن آياته الدالة على كمال قدرته، وانفراده بالملك والتدبير والوحدانية، وأنك ترى الأرض خاشعة أي: لا نبات فيها وفإذا أنرلسنا عليها الماء أي: المطر واهترت أي: تحركت بالنبات وربت ثم: أنبتت من كل زوج بهج، فيحي به العباد والبلاد.

﴿إِن الذي أحياها﴾ بعد موتها وهمودها، ﴿لمحيى الموتى﴾ من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم ﴿إِنه على كل شيء قدير﴾ فكما لم تعجز قدرته على إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى.

و ٤٠٤ - ٤٤ ﴿ إِنّ الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير * إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب بأي: وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب مَنْ جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها ما أرادها الله منها.

فتوعَّد تعالى مَنْ ألحد فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلع على

ظاهره وباطنه، وسيجازيه على إلحاده بما كان يعمل، ولهذا قال: ﴿أَفَهُن يُلْقَى فِي النار﴾ مثل الملحد بآيات الله ﴿خيرٌ أَم مَن يأي آمناً يوم القيامة﴾ من عذاب الله مستحقا لثوابه؟ من المعلوم أن هذا خير.

لًا تبين الحق من الباطل، والطريق المنجي من عذابه من الطريق المهلك قال: ﴿اعملوا ما شئتم ﴾ إن شئتم فاسلكوا طريق الرشد الموصلة إلى رضا ربكم وجنته، وإن شئتم فاسلكوا طريق الغيّ المسخطة لربكم، الموصلة إلى دار الشقاء.

﴿إنه بما تعملون بصير ﴾ يجازيكم بحسب أحوالكم وأعمالكم، كقوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمَنْ شاء فليؤمن ومَنْ شاء فليكفر ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿إِن الذِّينِ كَفُرُوا بالذكر ﴾ أي: يجحدون القرآن الكريم المذكر للعباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية والأخروية، المُعلى لقدر مَن اتبعه، ﴿ لما جاءهم ﴾ نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق وأكملهم. ﴿وَ﴾ الحال ﴿إِنَّهُ لِكِتَابِ ﴾ جامع لأوصاف الكمال ﴿ عزيز ﴾ أي: منيع من كل مَنْ أراده بتحريف أو سوء، ولهذا قال: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أي: لآ يقربه شيطان من شياطين الإنس والجنّ، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل مَنْ أنزله بحفظه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون♦.

﴿تنزيل من حكيم﴾ في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه، وينزلها منازلها. ﴿حيد﴾ على ما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وعلى ما له من العدل والإفضال، فلهذا كان كتابه مشتملاً على تمام الحكمة، وعلى تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار، التي يجمد عليها.

﴿٤٣﴾ ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة

وذو عقاب أليم ﴾ أي: ﴿ما يقال لك ﴾ أيها الرسول من الأقوال الصادرة بمن كذبك وعائدك ﴿إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جيع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق يقدرون عليه، وقولهم: ﴿ما أنتم إلا بِسُرٌ مثلنا ﴾.

واقتراحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت قلوبهم، في الكفر تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر مَنْ قبلك.

ثم دعاهم إلى التوبة والإتيان بأسباب المغفرة، وحذرهم من الاستمرار على الغيّ فقال: ﴿إِن ربك لذو مغفرة﴾ أي: عظيمة، يمحوبها كل ذنب لمن أقلع وتاب ﴿وذو عقاب أليم﴾ لمن أصر واستكبر.

﴿٤٤﴾ ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذى لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) يخبر تعالى عن فضله وكرمه، حيث أنزل كتابه عربياً، على الرسول العربي، بلسان قومه، ليبين لهم، وهذا مما يوجب لهم زيادة الاعتناء به، والتلقي له والتسليم، وأنه لو جعله قرآناً أعجمياً بلغةً غير العرب، لاعترض المكذبون وقالوا: ﴿لُولًا فَصَّلَتَ آيَاتُهُ﴾ أي: هلا بينت آياته، ووضحت وفسرت. ﴿ أَأَعِجِمِي وَعَرِي ﴾ أي: كيف يكون محمد عربياً، والكتاب أعجمي؟ هذا لا يكون فنفي الله تعالى كل أمر يكون فيه شبهة لأهل الباطل عن كتابه، ووصفه بكل وصف يوجب لهم الانقياد، ولكن المؤمنون الموفقون انتفعوا به، وارتفعوا، وغيرهم بالعكس من أحوالهم .

ولهذا قال: ﴿قل هو للذين آمنوا

هدى وشفاء ﴾ أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة وشفاء لهم من الأسقام البدنية والأسقام القلبية، لأنه يزجر عن مساوىء الأخلاق وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح التي تغسل الذنوب وتشفي القلب.

﴿والذين لا يؤمنون﴾ بالقرآن﴿في آذانهم وقرّ﴾ أي: صمم عن استماعه وإعراض، ﴿وهو عليهم عميّ﴾ أي: لا يبصرون به رشداً، ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالاً فإنهم إذا ردوا الحق، ازدادوا عمى إلى عماهم، وغيّاً إلى غيهم.

﴿أُولئك ينادون من مكان بعيد ﴾
أي: ينادون إلى الإيمان ويدعون إليه فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادى وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعياً ولا يجيب منادياً. والمقصود: أن الذين لا يؤمنون بالقرآن، لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيراً، لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم.

﴿ وَعُ ٢٦ ﴾ ﴿ وَلَقَدَ آتِينًا مُوسَى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفي شك منه مريب * من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) يقول تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب ﴿ كما آتيناك الكتاب، فصنع به الناس ما صنعوا معك، اختلفوا فیه: فمنهم مَنْ آمن به واهتدی وانتفع، ومنهم مَنْ كذبه ولم ينتفع به، وإن آلله تعالى، لولا حلمه وكلمته السابقة بتأخير العذاب إلى أجل مسمى لا يتقدم عليه ولا يتأخر ﴿لقضي بينهم ، بمجرد ما يتميز المؤمنون من الكافرين، بإهلاك الكافرين في الحال، لأن سبب الهلاك قد وجب وحق. ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ أي: قد بلغ بهم إلى الريب الذي يقلقهم، فلذَّلُكُ كَذُبُوهُ وَجَحَدُوهُ .

﴿مَنْ عمل صالحاً ﴾ وهو العمل الذي أمر الله به ورسوله ﴿فلنفسه ﴾

نفعه وثوابه في الدنيا والآخرة، ﴿وَمَنْ الساء فعليها ﴾ ضرره وعقابه في الدنيا والآخرة، ووقي هذا حثَّ على فعل الخير وترك الشر، وانتفاع العاملين بأعمالهم الحسنة، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. ﴿وَمَا رَبِكَ بِظَلَام للعبيد ﴾ فيُحمِّل أحداً فوق سيئاتهم.

﴿٤٧ ـ ٤٧﴾ ﴿إليه يسرد عسلسم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص﴾ هذا إخبار عن سعة علمه تعالى واختصاصه بالعلم الذي علمه الساعة﴾ أي: جميع الخلق ترد علمها إلى الله تعالى، ويقرون بالعجز عنه، الرسل، والملائكة، وغيرهم.

﴿وما تخرج من شمرات من أكمامها أي: وعائها الذي تخرج منه، وهذا شامل لشمرات جميع الأشجار التي في البلدان والبراري، فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار، إلا وهو يعلمها علماً تفصيلياً.

﴿وما تحمل من أنثى﴾ من بني آدم وغيرهم، من أنواع الحيوانات، إلا بعلمه ﴿ولا تضع﴾ أنثى حملها ﴿إلا بعلمه كل من لا علم عنده ولا سمع ولا بصر؟

﴿ويوم يناديهم ﴾ أي: المشركين به يوم القيامة توبيخاً وإظهاراً لكذبهم، فيقول لهم: ﴿أَيْن شركائي ﴾ الذين وحمتم أنهم شركائي، فعبدتموهم وجادلتم على ذلك، وعاديتم الرسل لأجلهم؟ ﴿قالوا ﴾ مقرين ببطلان الهيتهم وشركتهم مع الله: ﴿آذَنَاكُ ما واشهد علينا أنه ما منّا أحد يشهد واشهد علينا أنه ما منّا أحد يشهد قد رجعنا إلى بطلان عبادتها، وتبرأنا منها، ولهذا قال: ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون ﴾ من دون الله، أي:

ذهبت عقائدهم وأعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة غير الله، وظنوا أنها تفيدهم وتدفع عنهم العذاب وتشفع لهم عند الله، فخاب سعيهم، وانتقض ظنهم، ولم تغن عنهم شركاؤهم شيئاً ﴿وظنوا﴾ أي: أيقنوا في تلك الحال ﴿ما لهم من محيص﴾ أي: منقذ ينقذهم، ولا مغيث ولا ملها الله لعباده ليحذروا الشرك بالله

﴿٤٩ ــ ١ ٥﴾ ﴿لا يسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط * ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذالي وما أظن الساعة قائمة ولئن رُجعت إلى ربي إن لي عنده للحسني فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ * وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض الإنسان عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا على الشر، إلا مَنْ نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال، فقال: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير اي: لا يمل دائماً من دعاء الله، في الغنى والمال والولد، وغير ذلك من مطالب الدنيا، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل ولا كثير منها، فلو حصل له من الدنيا ما حصل، لم يزل طالباً للزيادة.

﴿وإن مسه الشر﴾ أي: المكروه، كالمرض والفقر وأنواع البلايا ﴿فيئوسٌ قنوط﴾ أي: ييأس من رحمة الله تعالى، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه بالهلاك، ويتشوش من إتيان الأسباب على غير ما يجب ويطلب.

إلا النين صبروا وعملوا الصالحات، فإنهم إذا أصابهم الخير والنعمة والمحاب، شكروا الله تعالى، وخافوا أن تكون نعم الله عليهم استدراجاً وإمهالاً، وإن أصابتهم مصيبة في أنفسهم وأموالهم وأولادهم صبروا، ورجوا فضل ربهم، فلم

ثم قال تعالى: ﴿ولئن أَذْقَناهُ أَي: الإنسان الذي لا يسأم من دعاء الخير، وإن مسه الشر فيؤوس قنوط ﴿رحمة منّا﴾ أي: بعد ذلك الشر الذي أصابه، بأن عافاه الله من مرضه، أو أغناه من فقره، فإنه لا يشكر الله تعالى، بل يبغى ويطغى، ويقول: ﴿هذا لي ﴾ أي: أتاني لأني له أهلِّ وأنا مستحق له ﴿وَمِا أَظُنُّ السَّاعَةِ قَائْمَةٍ ﴾ وهذا إنكار منه للبعث، وكفرٌ للنعمة والرحمة التي أذاقها الله له. ﴿ ولنن رجعت إلى ربَّ إن لي عنده للحسني ﴿ أي: على تقدير إتيان الساعة، وأني سأرجع إلى ربي، إن لى عنده للحسني، فكما حصلت لى النعمة في الدنيا، فإنها ستحصل [لي] في الآخرة وهذا من أعظم الحراءة والقول على الله بلا علم، فلهذا توعده الله بقوله: ﴿فلننبِّشُّ الذِّينِ كفروا بِما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظٍ ﴾ أى: شديد جداً.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان ﴾ بصحة أو رزق أو غيرهما ﴿أعرض ﴾ عن ربه وعن شكره ﴿ونائ ﴾ آي: ترقع ﴿بجانبه ﴾ عجباً وتكبراً. وإن ﴿مسه غيرهما ﴿فَلُو دُعاءِ عريض ﴾ أي: كثير جداً، لعدم صبره، فلا صبر في الضراء، ولا شكر في الرخاء، إلا مَن هداه الله ومن عليه.

﴿٢٥ ــ ٤٥﴾ ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد * سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء تحيط الى: ﴿قل ا لهؤلاء الكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران ﴿أُرأيتم إن كان﴾ هذا القرآن ﴿من عسند الله ﴾ من غيسر شك ولا ارتياب، ﴿ثم كفرتم به مَنْ أَصْلُ ممن هو في شقاق بعيد ﴿ أَي: معاندة لله ولرسوله، لأنه تبين لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل وجهل، فإذاً تكونون أضل الناس وأظلمهم.

فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم ويريكم من آياته في الآفاق، كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة الدالة للمستبصر على الحق.

﴿وفي أنفسهم ﴾ مما اشتملت عليه أبدانهم من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين. ﴿حتى يتبين لهم ﴾ من تلك الآيات، بياناً لا يقبل الشك ﴿أنه الحق ﴾ وما اشتمل عليه حق.

وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات ما به تبين لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان مَنْ شاء، والحاذل لمن يشاء.

﴿ أَوْلَمْ يَكُفِ بِرِبُكُ أَنه على كل شيءِ شهيد﴾ أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، بشهادة الله تعلل، فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيده ونصره نصراً متضمناً لشهادته القولية عند مَنْ شك فيها.

﴿ الا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ﴿ الا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِعلَمُ علماً وقدرة وعزة.

تم تفسير سورة السجدة _ بمنّه تعالى _

تفسير سورة الشورى مكيــة

﴿ 1 - ٩ ﴾ ﴿ بسم الله الرحن الرحيم حَم * عسق * كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم * له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم * تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هـو الغفور الرحيم * والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم

بوكيل * وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير * ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير * أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ يخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم، كما أوحى إلى مَنْ قبله من الأنبياء والمرسلين، ففيه بيان فضله، بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، سابقاً ولاحقاً، وأن محمداً ﷺ ليس بيدع من الرسل، وأن طريقته طريقة مَنْ قبله، وأحواله تناسب أحوال مَنْ قبله من المرسلين. وما جاء به يشابه ما جاؤوا به، لأن الجميع حق وصدق، وهو تنزيل مَن اتصف بالألوهية والعِزة العظيمة والحكمة البالغة، وأن جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي.

وأنه ﴿العلي ﴿ بذاته ، وقدره ، وقهره . ﴿ العظيم ﴾ الذي من عظمته ﴿ تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن ﴾ على عظمها وكونها جاداً ، ﴿ والملائكة ﴾ الكرام المقربون خاضعون لعظمته ، مستكينون لعزته ، مذعنون بربوبيته . كل نقص ، ويصفونه بكل كمال ، ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ عمّا كل يليق بعظمة ربهم وكبريائه ، مع أنه تعالى هو ﴿ الغفور الخلق بالعقوبة الستأصلة .

وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموماً، وإلى محمد حصلى الله عليهم أجعين حصوصاً، إشارة إلى أن هذا السقرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من

معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول، اتخاذ أنداد لله من دونه، ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم، ولهذا عقبه بقوله: ﴿ وَٱلَّـٰذِينِ اتَّخَـٰذُوا مِن دُونِهِ أُولِياء ﴾ يتولونهم بالعبادة والطاعة، كما يعبدون الله ويطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، وليسوا بأولياء على الحقيقة. ﴿الله حفيظ عليهم ﴾ يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها وشرها. ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ فتسأل عن أعمالهم، وإنما أنت مبلغ أديت و ظيفتك .

ثم ذكر منته على رسوله وعلى الناس، حيث أنزل الله ﴿قرآناً عربياً﴾ بين الألفاظ والمعاني ﴿لتنذر أم القرى﴾ وهي مكة المكرمة ﴿ومَنْ حولها﴾ من العرب، ثم يسري هذا الإنذار إلى سائر الخلق. ﴿وتنذر﴾ الناس ﴿يوم الجَمْعِ﴾ الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، وتخبرهم أنه ﴿لا ريب فيه وأن الخلق ينقسمون فيه فريقين ﴿فريق في الجنة ﴾ وهم الذين آمنوا المسلين، ﴿وفريق في المسلين، ﴿وفريق في المسلين، ﴿وفريق في المكذبين.

﴿ ٨﴾ ﴿ و﴾ مع هذا ﴿ لو شاء الله جعل الناس، أي: جعل الناس ﴿ أُمة واحدة ﴾ على الهدى، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، ولكنه أراد أن يدخل في رحمته مَنْ شاء من خواص خلقه.

وأما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة، في أما لهم من دون الله أمن ولي لا يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب أولا نصير له يدفع عنهم المكروه.

والذين ﴿ اتخذوا من دونه أولياء ﴾ يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط، فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما

أمكن من أنواع التقربات، ويتولى عباده عموماً بتدبيره ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصاً، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم.

﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قديسر أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، ونفوذ المسيشة والقدرة، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

﴿ ١٠ ــ ١٢﴾ ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله رس عبليه تبوكيلت وإليه أنبيب * فياطير السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم الله يقول تعالى: ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء ﴾ من أصول دينكم وفروعه، مما لم تتفقوا عليه ﴿فحكمه إلى الله ﴾ يرد إلى كتابه، وإلى سُنّة رسوله، فما حكما به فهو الحق، وما خالف ذلك فياطل. ﴿ ذلكم الله ربي ﴾ أي: فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر، فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم.

ومفهوم الآية الكريمة، أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه، يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقها موافقاً لما في كتاب الله وسئة رسوله.

وقوله: ﴿عليه توكلت ﴾ أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار، واثقاً به تعالى في الإسعاف بذلك. ﴿وإليه أُنيبُ ﴾ أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته.

وهـذان الأصـلان، كـشـيـراً مـا يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته استدادی استدا

كُلِ مَنْ وَقَادِرُ ۞ وَمَا أَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن مَنْ وَفَكْمُهُ

إِلَى اللَّهُ وَالِكُواللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ وَوَكَلَّتُ وَالَّيْهِ أَنِيبُ ۞

AND SATE OF THE SAME OF THE SA

ولهذا قال: ﴿أَنْ أَقْيِمُوا اللَّيْنَ ﴾
أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع
اللَّدِينَ أُصوله وفروعه، تقيمونه
بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على
غيركم، وتعاونون على البر والتقوى
﴿ولا تتفرقوا فيه ﴾ أي: ليحصل منكم
الاتفاق على أصول اللين وفروعه،
واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل
وتحزبكم أحزاباً، وتكونون شيعاً
يعادي بعضكم بعضاً مع اتفاقكم على
أصل دينكم.

ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجُمَع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق.

وكبر على المشركين ما تدعوهم المه أي: شق عليهم غاية المشقة، حسيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: ﴿وإذا ذكر الله وحده السمأزت قلوبه المذين من دونه إذا هم يستبشرون وقولهم: ﴿ أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾.

والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شرع.

والله تعالى هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو، و أما يفتح الله للناس من رحمة فلا عمسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده .

ولهذا قال هنا: ﴿يبسط الرزق لن يشاء﴾ أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، ﴿ويَقْدَرُ﴾ أي: يضيق على مَنْ يشاء، حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته، فلهذا قال: ﴿إنه بكل شيء عليم﴾ فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلاً ما يليق بحكمته وتقتضيه مشئته.

﴿١٣﴾ ﴿شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والَّذي أوْحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبرعلي المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بدأن يكون مناسباً لأحوالهم، موافقاً لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب. الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وقوله: ﴿فاعبده وتوكل عله﴾.

﴿فاطر السماوات والأرض﴾ أي: خالقهما بقدرته ومشيئته وحكمته. ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ لتسكنوا إليها، وتنتشر منكم الذرية، ويحصل لكم من النفع ما يحصل.

﴿ ومن الأنعام أزواجا ﴾ أي: ومن جميع أصنافها نوعين، ذكراً وأنثى، لتبقى وتنمو لمنافعكم الكثيرة، ولهذا عداها باللام الدالة على التعليل، أي: جعل ذلك لأجلكم، ولأجل النعمة عليكم، ولهذا قال: ﴿ يذرو كم فيه ﴾ أي: يبثكم ويكثركم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم، وجعل لكم من أنواجاً.

﴿ لِّس كُمثله شيء ﴾ أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسني، وصفاته صفة(١) كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. ﴿وهو السميع م لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. ﴿البصير﴾ يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جداً، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. ونيها رد على المشبهة في قوله: ﴿ليس كمثله شيء وعلى المعطلة في قوله: ﴿وهو السميع البصير》.

وقبوله: ﴿ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ أي: له ملك السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وبيده مَفَاتِيع الرحمة

CONTRACTOR OF THE PARTY OF THE الله المُعالِمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنفُ كُمُ مَرَّا أَنفُ كُمَّ أَرْفِهَا اللهِ وَ وَمَنَ الْأَفْلُوا أَزْوَجُا يُذَرُقُكُمْ فِيهُ لِنَسَكِمْ فِيهِ لِنَسَكِمْ فِيهِ الْمَنْ وَهُوَّالْسَيْمُ الْبَصِيرُ ۞ لَهُمَعَالِيدُ السَّمَوَّنِ وَالْأَيْنَ ا يَيْمُطُ ٱلرِّزُقِ لِن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنْمُهِكُلِ فَيْ وَعِلْدُ ۞ شَرَعَ لَحَهُم مِنَ الدِينِ مَا وَمَنى بِدِينُ عَا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَاوَضَيْنَا بِهِ يَ إِبْرُهِي مَ وَمُوسَ فَ عَيْسَمَّ أَنَّ أَيْدِ مُوا الدِّينَ وَلاَنْتَفَرَقُوا فِيهُ كَبُرَعَلَ لَلْشْرِكِينَ مَانَدْعُومُ إِلَيْوُاللَّهُ يَجْتَهِمَ إِلَيْهِ مَن يَشَكَهُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۞ وَمَاتَفَ زَفُواْ اللامِنْ بَعْدِ مَاحَمَاءَ مُرُالُو أَيْمَةً البَيْنَ مُوْ وَلَوْ لَاحْكِلْمَةً ۗ سَبَقَتْ مِن زَيِكَ إِنَّ أَجَلِ مُسَكَّى لَقُضِى بَيْنَ عُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِنْكِينُ بَعْدِيمَ لَى شَلْقِيقِنْهُ مُرِيبِ ﴿ فَلِنَاكِ فادع وأستقيزكما أيرت ولانشيغ أهوآء هن وفال المنتُ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِنَاتُ وَأُمِنْ لِأَعْدِلَ مِنْ حَكُمُ المَهُ رَبُّنَا وَرَبُّ عَنْمُ لَنَا أَعْمَلُ وَلَكُو أَعْمَلُ عُمَّ لَاحْبَهُ يَنْكَنَا وَبَيْنَكُمُّ أُمَّةً يَجْمَعُ يَنْكَأُ قَالَتِو ٱلْمَسِيرُ ۞ TO THE PARTY OF TH

﴿الله يجتبي إليه مَنْ يشاء﴾ أي. يختار من خليقته مَنْ يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته ومنه أن اجتبى هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها.

﴿ويهدي إليه مَنْ يُسنيب﴾ هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصداً وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾. وفي هذه الآية، أن الله ﴿يهدي إليه مَنْ يُنبِ ﴾ مع قوله: ﴿واتبع سبيل مَنْ أناب إلى مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أنْ قولهم حجة، خصوصاً الخلفاء على النه إلى محجة، خصوصاً الخلفاء

الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين.

(18 - 10) (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب * فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وربكم بيننا وبينكم الله يجمع بيننا

وإليه المصير ﴾ لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضدما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدواناً منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيا المسلمون أن تكونوا مثلهم.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾
أي: بتأخير العذاب القاضي ﴿ إِلَى أَجِلُ
مسمّى لقضي بينهم﴾ ولكن حكمته
وحلمه، اقتضى تأخير ذلك عنهم.
﴿وإن اللّه الله عن أورشوا الكسّاب من
بعدهم﴾ أي: اللين ورثوهم وصاروا
خلفاً لهم عن ينتسب إلى العلم منهم
خلفاً لهم عن ينتسب إلى العلم منهم
الشباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث
اختلف سلفهم بغياً وعناداً، فإن
خلفهم اختلفوا شكاً وارتياباً، والجميع
مشتركون في الاختلاف المذموم.

﴿ فلذلك فادع ﴾ أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه من لم يقبله، ﴿ واستقم ﴾ بنفسك ﴿ كما أمرت ﴾ أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، ويتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

ومن المعلوم أن أمر الرسول ﷺ أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له .

دمه إدام يرد عصيص له.

﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين، ولم يقل: ﴿ولا تتبع دينهم الأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم،

ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

﴿وقيل﴾ لهم عند جدالهم ومناظرتهم: ﴿ آمنت بِما أنزل الله من كتاب أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم، الدال على شرف الإسلام وجلالته وهيمنته على سائر الأديان، وأن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليهم جزء من الإسلام، وفي هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقاً بهذا القرآن وبمن جاء به، فكتابنا ورسولنا لم يأمرنا إلآ بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها، وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته.

وأما مجرد الـتـوراة والإنـجـيـل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابنا، فلم يأمرنا بالإيمان

وقوله: ﴿وأمرت الأعدل بينكم﴾ أي: في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل، ﴿الله ربنا وربكم﴾ أي: هو رب الجميع، لستم بأحق به منا. ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ من خير وشر ﴿لا حُجَّة بِيننا وبِينكُم﴾ أي: بُعدما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن الرادما

ذکرنا .

﴿الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ يوم القيامة، فيجزي كلا بعمله، ويتبين حينتذ الصادق من الكاذب.

﴿١٦﴾ ﴿والذين يحاجُون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد وهذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا وبينكم، فأخبر هنا أن ﴿الذين يحاجون في الله بالحجج الباطلة، والشبه المتناقضة ﴿من بعد ما استجيب له﴾ أي: من بعد ما استجاب لله أولو الألباب والعقول، لما بيّن لهم من الآيات القاطعة، والبراهين الساطعة، فهؤلاء المجادلون للحق من بعد ما تبين ﴿حجتهم داحضة ﴾ أي: باطلة مدفوعة ﴿عندُ ربهم﴾ لأنها مشتملة على رد الحق وكل ما خالف الحق، فهو

﴿وعليهم غضب﴾ لعصيانهم وإعراضهم عن حجج الله وبيناته وتكذيبها. ﴿ولهم عذابٌ شديد﴾ هو أثر غضب الله عليهم، فهذه عقوبة كل

مجادل للحق بالباطل. ﴿١٧ ـ ١٨﴾ ﴿الله السذي أنسزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب * يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾ لما ذكر تعالى أن حججة واضحة بيّنة، بحيث استجاب لها كل مَنْ فيه خير، ذكر أصلها وقاعدتها، بل جميع الحجج التي أوصلها إلى العباد، فقال: ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ فالكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين، وكله آيات بينات، وأدلة واضحات، على جميع المطالب الإلهية والعقائد الدينية، فجاء بأحسن المسائل وأوضح الدلائل.

وأما الميزان، فهو العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الأفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل،

والأحكام والحكم، داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما أشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله، فما خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب والميزآن مما قيل إنه حجة أو بسرهان أو دليل أو نسحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك من خبر المسائل ومآخذها، وعرف التمييز بين راجخ الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه، وأما من اغتر بالعبارات المزخرفة، والألفاظ المموهة، ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوفاقه وخلافه سيان.

ثم قال تعالى مخوفاً للمستعجلين لقيام الساعة المنكرين لها، فقال: ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ أي: ليس بمعلوم بعدها، ولا متى تقوم، فهي في كل وقت متوقع وقوعها، مخوف وجبتها. ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون ما) عناداً وتكذيباً، وتعجيزاً لربهم. ﴿واللَّهِن آمنوا مشفقون منهاً ﴾ أي: خاتفون، لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء بالأعمال، وخوفهم، لمعرفتهم بربهم، أن لا تكون أعمالهم منجية لُهم ولا مسعدة، ولهذا قال: **﴿ويعلمون أنها الحق﴾** الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يمارون في الساعة ﴾ أي: بعدما امتروا فيها، ماروا الرسل وأتباعهم بإثباتها فهم في شقاق بعيد، أي: معاندة ومخاصمة غير قريبة من الصواب، بل في غاية البُعد عن الحق، وأيُّ بعد أبعد بمن كذَّب بالدار التي هي الدار على الحقيقة، وهي الدار التي خلقت للبقاء الدائم والخلود السرمد، وهي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله وفضله وإنما هذه الدار بالنسبة إليها، كراكب

قال في ظل شجرة ثم راح وتركها،

وهي دار عبور وممر، لا محل استقرار.

CA KINGE " SHEEK NO وَالَّذِينَ يُمَآجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِمَا أَسْتُحِيبَ لَهُ مُجَنَّدُهُمْ دَاحِضَةُ عِندَرَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَظَمْتُ وَلَمَدْعَذَاتِ شَدِيدُ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنزَلَ ٱلْكِتْبَ إِلْحُقِّ وَٱلْمِيزَاتُ وَمَالِدُرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِيكَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَأَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلا إِذَا الَّذِيكِ يُمَّارُونِكِ فِي السَّاعَةِ لَيْ صَلَا بَعِيدٍ ١ ٱللَّهُ لَهِلِيفًا بِعِبَادِمِهِ يَزِنُكُ مَن يَشَاءٌ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَيْرُ اللَّهِ مَنْ كَالَ يُرِيدُ حَرْثُ ٱلْآخِرَةِ لَيْدَ لَكُوْ حَرْثُمُ وَمَن كَانَيُرِيدُ حَدَّثَ ٱلدُّنْسَا فُوْتِهِ مِنْهَا وَمَالَمُ لِي ٱلْآخِرَ وَمِنْ نَصِيب ۞ أُمِّ لَمُنْ مُشْرَكَكُ وَالسَّرَعُوا لَمُنْ مِنْ الدِّينِ مَا لَرْيَاذَنَا بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَاكِيمَةُ ٱلْفَصْيِلِ لَقَضِيَ بَيْنَكُمْزُّ وَاذَالْقَالِينِ لَتَوْعَنَاتُ أَلِيدُ وَ تَرَى الْفَالِينَ المُشْفِقِينَ مِمَّاكَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمُّ وَالَّذِينَ ا اَمَنُواْ وَعَيَالُواْ الْمَهَالِحَتِ فِي رَوْمَهَاتِ الْجَفَاتَ لَهُم أُ مَايَشَاءُونَ عِندَرَهِ فِمْ ذَالِكَ هُوَالْفَصِّلُ الْحَكِيمُ DESCRIPTION OF THE PARTY OF THE

فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها وشاهدوها، وكذبوا بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية، والرسل الكرام وأتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولاً، وأغزرهم علماً، وأعظمهم فطنةً وفهماً .

﴿١٩ ـ ٢٠ ﴾ ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز * من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب، يخبر تعالى بلطفة بعباده ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده _ وخصوصاً المؤمنين _ إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعياً لاتباعه .

ومن لطفه أن أمر المؤمنين بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس

CONTRACTOR IN SECURIOR SECTION OF THE PROPERTY ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّدُ الْقُدُعِ ادَّهُ الْذِينَ وَامْتُواْ وَعِمْ لُوا الْعَيْلِحَتُّ قُلُ لَآ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا لَلْوَدَّةَ فِي ٱلْعُرَّفُّ وَمَن يَقْدَفْ حَسَنَةً نَزِذَ لَمُرْفِهَا حُسَنًا إِنَّ اللَّهُ عَفُورُ شَكُورُ ۞ أَمْتُهُ أُونَ اَفْتَرَىٰ عَلَ اللَّهِ كَذِبًّا فَإِن يَشَرَ اللَّهُ يُعَيِّيدُ عَلَى قَلِيكَ ۗ وَيَسْمَحُ اللَّهُ ٱلْبُطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْتُنَّ بِكُولَئِوْدَ إِنَّهُ يَلِيدُ بِذَارِتِ ٱلسُّهُودِ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَوَيَعْ فُواْعَنِ ٱلسَّيِّعَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفَعَلُونَ ۞ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ النَّهُ اوَعَمِلُهُ أ ٱلعَمَالِ حَنْ وَيَهِيدِهُ هُرِينَ فَضَالِهُ وَوَالْكَافِرُونَ خَيْرَ عَذَابٌ شَيدِيدٌ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَواْ فِي الأَرْضِ وَلَكِنَ يُنَزِّلُ بِفَدَدِ مَّايِشَكَةُ إِنَّدُيوبِ الدِيدِ خِيرُ لَقِيدٌ ﴿ وَقُوَالَّذِي يُنَزِلُ ٱلْعَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَسَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْنَهُ وَعُوَالُولُ ٱلْجَيدُ وَمِنْ عَلَيْدُهِ مَ خَلْقُ الْسَسَمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَاتَثَ فِيهِ حَلَين دَآبَةً وَهُوَعَلَ جَمْعِهِ مُ إِذَا يَشَكَأَةً فَلِيرٌ ۞ وَمَٱلْمَلْبَكُونِن مُّعِيبَة فِيمَا كُسَبَتْ أَيْدِيكُرُ وَيَعْفُواْ عَنكَوْيرِ۞ وَمَٱلْمُ مُ يُعْدِينَ فِي ٱلْأَرْضُ وَمَالَكُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِي وَلَانْصَدِهِ AND THE SALES

على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها عما يتنافس فيه أهل تعمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: ﴿يرزق مَنْ يشاء﴾ بحسب العزيز﴾ الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء.

ثم قال تعالى: ﴿مَنْ كَانْ يُرِيدُ حَرَثُ الْأَحْرَةِ ﴾ أي: أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق، وسعى لها سعيها ﴿نزد له في حرثه ﴾ بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافاً كثيرة، كما قال تعالى: ﴿ومَنْ أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن

﴿ومَن كان يريد حرث الدنيا ﴾ بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها. ﴿نوته منها﴾ نصيبه الذي قسم له، ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾ قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها.

وهذه الآية، شبيهة بقوله تعالى: ﴿مَن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴿ لِل آخر الآيات.

﴿ ۲۱ ـ ۲۳﴾ ﴿أُم لَـهـم شـركـاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم * ترى الظَّالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك حو الفضل الكبير * ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربي ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنّ الله غفورٌ شكور ﴿ يُخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر ﴿شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله به من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرّم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

مع أن المدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله وعن رسوله، فكيف جؤلاء الفسقة المشتركين هم وأباؤهم على الكفر.

﴿ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم﴾
أي: لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلاً بين الطوائف المختلفة، وأنه سيؤخرهم إليه، لقضي بينهم في الوقت الحاضر بسعادة المحق وإهلاك المبطل، لأن المقتضي للإهلاك موجود، ولكن أمامهم العذاب الأليم في الآخرة، هؤلاء وكل ظالم.

وفي ذلك اليوم ﴿ترى الظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿مشفقين﴾ أي: خاتفين وجلين ﴿ما كسبوا﴾ أن يعاقبوا عليه.

ولما كان الخائف قديقع به ما أشفق منه وخافه، وقد لا يقع، أخبر أنه (واقع بهم) العقاب الذي خافوه،

لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب، من غير معارض، من توبة ولا غيرها، ووصلوا موضعاً فات فيه الإنظار والإمهال.

﴿ والذين آمنوا ﴾ بقلوبهم بالله ويكتبه ورسله وما جاؤوا به، ﴿وعملوا الصالحات، يشمل كل عمل صالح من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فهؤلاء ﴿في روضات الجنات ﴾ أي: الروضات المضافة إلى الجنات، والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفقة، والفياض المعشبة، والمناظر الحسنة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتماع بكل حبيب، والأخذمن المعاشرة والمنادمة بأكمل نصيب، رياض لا تزداد على طول المدي إلاّ حسناً وبهاء، ولا يزداد أهلها إلا اشتياقاً إلى لذاتها ووداداً، ﴿لهم ما يشاؤون﴾ فيها، أي: في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، ومهما طلبوا حصل، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿ذَلِكَ هُو الفَصْلِ الْكَبِيرِ﴾ وهل فوز أكبر من الفوز برضا الله تعالى، والتنعم بقربه في دار كرامته؟

﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وحملوا الصالحات﴾ أي: هذه البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر على الإطلاق، بشر بها الرحيم الرحن، على يد أفضل خلقه لأهل الإيمان والعمل الصالح، فهي أجلُ الغايات، والوسيلة الموصلة إليها أفضل الوسائل.

﴿قل لا أسألكم عليه ﴾ أي: على تبليغي إياكم هذا القرآن ودعوتكم إلى أحكامه. ﴿أجراً ﴾ فلست أريد أخذ أموالكم، ولا التولي عليكم والترأس، ولا غير ذلك من الأغراض ﴿إلا المودة في القربي ﴾ .

يحتمل أن المراد: لا أسألكم عليه أجراً إلا أجراً واحداً هو لكم، وعائد نفعه إليكم، وهو أن تودوني وتحبوني

ني القرابة، أي: لأجل القرابة. ويكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان بالرسول، وتقديم محبته على جميع المحاب بعد وهؤلاء طلب منهم زيادة على ذلك أن يحبوه لأجل القرابة، لأنه على ختى باشر بدعوته أقرب الناس إليه، حتى أحد، إلا ولرسول الله على في بطون قريش قرابة.

﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفَ حَسَنَةً ﴾ من صلاة، أو صوم، أو حج، أو إحسان إلى الخلق ﴿ نزد له فيها حسناً ﴾ بأن يشرح الله صدره، وييسر أمره، وتكون سبباً للتوفيق لعمل آخر، ويزداد بها عمل المؤمن، ويرتفع عند الله وعند خلقه، ويحصل له الثواب العاجل والآجل.

﴿إِن الله خفور شكور﴾ يغفر الذنوب العظيمة ولو بلغت ما بلغت عند التوبة منها، ويشكر على العمل القليل بالأجر الكثير، فبمغفرته يغفر الذنوب ويستر العيوب، ويشكره يتقبل الحسنات ويضاعفها أضعافاً كثيرة.

﴿٢٤﴾ ﴿أَم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور ﴾ يعني أم يقول المكذبون للرسول ﷺ جرأة منهم وكذباً: ﴿افترى على الله كذبا ﴾ فرموك بأشنع الأمور وأقبحها، وهو الافتراء

على الله بادعاء النبوة والنسبة إلى الله ما هو بريء منه، وهم يعلمون صدقك وأمانتك، فكيف يتجرؤون على هذا الكذب الصراح؟

بل تجرؤوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله، حيث مكنك من هذه الدعوة العظيمة، المتضمنة _ على موجب زعمهم _ أكبر الفساد في الأرض، حيث مكنه الله من التصريح بالدعوة، ثم بنسبتها إليه، ثم يؤيده بالمعجزات السظاهرات، والأدلة على من خالفه، وهو تعالى قادر على وهو أن يختم على قلب الرسول وهو أن يختم على قلب الرسول في فلا يدخل إليه خير، وإذا يعي شيئاً ولا يدخل إليه خير، وإذا ختم على قلبه انحسم الأمر كله وانقطع.

فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر، ولهذا من حكمته ورحمته، وسُنته الجارية، أنه يمحو الباطل ويزيله، وإن كان له صولة في بعض الأوقات، فإن عاقبته الاضمحلال.

ويحق الحق بكلماته الكونية، التي لا تغير ولا تبدل، ووعده الصادق، وكلماته الدينية التي تحقق ما شرعه من الحق، وتثبته في القلوب، وتبصر أولي الألباب، حتى إن من جملة إحقاقه تعالى الحق، أن يُقيض له الباطل ليقاومه، فإذا قاومه، صال عليه الحق ببراهينه وبيناته، فظهر من نوره وهداه ما به يضمحل الباطل وينقمع، ويتبين بطلانه لكل أحد، ويظهر الحق كل الطهور لكل أحد.

﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أي: بما فيها، وما اتصفت به من خير وشر، وما أكنته ولم تبده.

﴿ ٢٥ ـ ٢٨﴾ ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون * ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد * ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في

الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير * وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد > هذا بيان لكمال كرم الله تعالى وسعة جوده وتمام لطفه، يقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقلعون عن ذنوجهم ويندمون عليها، ويعزمون على أن لا يعاودوها إذا قصدوا بذلك وجه ربهم، فإن الله يقبلها بعدما انعقدت سبباً للهلاك، وقوع العقوبات الدنيوية والدينية.

﴿ويعفو عن السيئات ﴾ ويمحوها، ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريماً، كأنه ما عمل سوءاً قط، ويحبه ويوفقه لما يقربه إليه.

ولما كنانت التوبة من الأعمال العظيمة ، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصهما، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ فالله تعالى دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه والتوبة من التقصير، فانقسموا _ بحسب الاستجابة له _ إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه وينقادون له ويلبون دعوته، لأن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح يحملهم على ذلك، فإذا استجابوا له، شكر الله لهم، وهو الغفور الشكور.

وزادهم من فضله توفيقاً ونشاطاً على العمل، وزادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب والفوز العظيم.

وأما غير المستجيبين لله وهم المعاندون الذين كفروا به وبرسله، في المدنيا ولهم عذاب شديد في المدنيا والآخرة، ثم ذكر أن من لطفه بعباده، أنه لا يوسع عليهم الدنيا سعة، تضر بأديانهم فقال: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ أي: لغفلوا

عن طاعة الله، وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهيه نفوسهم، ولوكان معصية وظلماً.

﴿ولكن يعنزل بقدر ما يشاء ﴾ بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته ﴿إنه بعباده خبير بصير ﴾ كما في بعض الأثار أن الله تعالى يقول: ﴿إن من عبادي مَنْ لا يصلح إيمانه إلاّ الغنى، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي مَنْ لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته لأفسده ذلك، إن وإن من عبادي مَنْ لا يصلح إيمانه إلاّ المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إن أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إن خبير بصيره.

وهو الذي ينزل الغيث أي:
المطر الغزير الذي به يغيث البلاد
والعباد، ﴿من بعد ما قنطوا﴾ وانقطع
عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا
فينزل الله الغيث ﴿وينشر﴾ به
فرحته ﴿ من إخراج الأقوات للآدمين
وبهائمهم، فيقع عندهم موقعاً عظيماً،
ويستبشرون بذلك ويفرحون. ﴿ وهو
ويستبشرون بذلك ويفرحون. ﴿ وهو
التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم
ودنياهم. ﴿ الحميد ﴾ في ولايته
وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال،
وما أوصله إلى خلقه من أنواع

﴿٢٩﴾ ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بَثُ فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ أي: ومن أدلة قدرته العظيمة، وأنه سيحيي ﴿السماوات والأرض﴾ على عظمهما وسعتهما، الدال على قدرته وسعة والإحكام دال على حكمته وما فيهما من المنافع والمصالح دال على رحمته، وذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها، وأن إلهية ما سواه باطلة.

وما بث فيهما أي: نشر في السماوات والأرض من أصناف السماوات والأرض من أصناف لدواب التي جعلها الله مصالح ومنافع لعباده. ﴿وهو على جمعهم ﴾ أي: جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة ﴿إذا يشاء قدير ﴾ فقدرته ومشيئته صالحان لذلك، ويتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق، وقد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين وكتبهم بوقوعه.

﴿٣٠ ـ ٣١﴾ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير * وما أنتم بمعجزين في الأرض وصالكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ يخبر تعالى، أنه ما أصاب وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزأ العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، يظلمون ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾. وليس إهمالاً منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزاً.

﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ﴾ أي: معجزين قدرة الله عليكم، بل أنتم عاجزون في الأرض، ليس عندكم امتناع عمّا ينفذه الله فيكم. ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ﴾ يتولاكم، فيحصل لكم المنافع ﴿ ولا نصير ﴾ يدفع عنكم المضار.

ومن آياته الجوار ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور * أو ويقهن بما كسبوا ويعف عن كثير * ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص أي: ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده ﴿الجوار في البحر ﴾ من السفن، والمراكب النارية والشراعية ، الجبال الكبار، التي سخر لها البحر المجام ، وحفظها من التطام الأمواج ، وجعلها تحملكم وتحمل أمتعتكم وجعلها تمملكم وتحمل أمتعتكم وسخر لها من الأسباب ما كان معونة وسخر لها من الأسباب ما كان معونة

على ذلك .

ثم نبه على هذه الأسباب بقوله:

﴿إِنْ يَسْناً يَسْكَنَ الرَّبِحِ التِي جعلها الله سبباً لمشيها، ﴿فَيظللنَ ﴾ أي: الجوارِ ﴿رواكـد ﴾ على ظهر البحر، لا تتقدم ولا تتأخر، ولا ينتقض هذا بالمراكب النارية، فإن من شرط مشيها وجود الريح.

وإن شاء الله تعالى أوبق الجوار بما كسب أهلها، أي: أغرقها في البحر وأتلفها، ولكنه يحلم ويعفو عن كثير. ﴿ إِنْ في ذلك لآيات لكل صَبّارٍ شكورٍ ﴾ أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية، أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط، ﴿ شكور ﴾ في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته، فهذا الذي ينتفع بايات الله.

وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نِعَم الله، فإنه مُعْرض أو معاند لا ينتفع بالآيات .

ثم قال تعالى: ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ ليبطلوها بباطلهم. ﴿ما لهم من محيص﴾ أي: لا ينقذهم منقذ عما حل بهم من العقوبة.

﴿٣٦ _ ٣٦﴾ ﴿فسما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذبن آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذي يجتنبون كبائر الإثم والمفواحش وإذا ما غيضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ونما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون مذا تزهيد في الدنيا وترغيب في الأخرة، وذكر الأعمال الموصلة إليها فقال: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِن شيءٌ مِن ملك ورياسة، وأموال وبنين، وصحة وعافية بدنية . ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ لذة منغصة منقطعة . ﴿وما عند اللهِ﴾ من الثواب الجزيل، والأجر الجليل، والنعيم المقيم ﴿خيرٌ ﴾ من لذات الدنيا، خيرية لا نسبة بينهما ﴿وأبقى﴾ الجزء الخامس والعشرون كم

لأنه نعيم لا منغص فيه ولا كدر، ولا

ثم ذكر لمن هذا الشواب فقال: ﴿للذين أمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي: جمعوا بين الإيمان الصحيح، المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة والباطنة، وبين التوكل، الذي هو الآلة لكل عمل، فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام، وهو الاعتماد بالقلب على الله في جلَّب ما يحبه العبد، ودفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى.

﴿ والذَّيْن يجتنبون كباثر الإثم **والفواحش﴾** والفرق بين الكبائر والفواحش _مع أن جميعهما كبائر _ أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع إفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه.

﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴿ أَي : قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح.

فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيءً كثير، كما قال تعالى: ٰ ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ۞ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظًّ

﴿والذين استجابوا لربهم ﴾ أي: انقادوا لطاعته، ولبُّوا دعوته، وصار قصدهم رضوانه، وغايتهم الفوز

ومن الاستجابة لله، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص، الدال على شرفه وفضله فقال: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي: ظاهرها وباطنها، فرضها ونفلها. ﴿ومما رزقناهم ينفقون من النفقات

الواجبة، كالزكاة والنفقة على الأقارب ونحوهم، والمستحبة، كالصدقات على عموم الخلق.

﴿وأمرهم الديني والدنيوي ﴿ شُورِي بِينهُم ﴾ أي: لا يستبد أحدُ منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلاً فرعاً عن اجتماعهم وتوالفهم وتواددهم وتحاببهم وكمال.عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي: فيهاً، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي: في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموماً، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابِهِمَ الْبِغِي ﴾ أي: وصل إليهم من أعدائهم ﴿هم ينتصرون﴾ لقوتهم وعزتهم، ولم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار.

فوصفهم بالإيمان، والتوكل على الله، واجتناب الكبائر والفواحش الذي تكفر به الصغائر، والانقياد التام، والاستجابة لربهم، وإقامة السصلاة، والإنفاق في وجوه الإحسان، والمشاورة في أمورهم، والقوة والانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، ويلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، وانتفاء

﴿٤٠ ـ ٤٣﴾ ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم.

فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس

A RECEIPED IN ENGLISH DECK وَمِنْ مَالِمَتِهِ ٱلْجَوْرِ فِي ٱلْبَحْرِيَّ ٱلْأَقْلَدِ ۞ إِن يَشَا لِيُسَكِئِ ٱلِيْحَ فَيَظُلَلْنَ دَوَالِكَ عَلَىٰ ظَهْرِوْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ ٱلْآيَلَتِ لِكُلِّ صَبْبَ إِيشَكُهُ رَ الله الله المُعَامَّة مَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَيْدٍ ﴿ وَيَعْلَمُ النَّايِنَ اللَّهِ عِنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَا عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُوا عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُوا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَّ يُجَادِلُونَ فِي مَالِيَيْنَا مَا لَحَمُونَ تَجِيصٍ۞ فَمَاۤ أُويَيْتُ مِيْنِ مَنْيُهِ فَتَنَعُ ٱلْحَيَوٰوَ ٱلدُّنِّيا ۗ وَمَاعِندَ ٱللَّهِ حَيْرٌ وَأَبْقَ لِلَّذِي عَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِهِ مْرَتَوَكَلُونَ ۞ وَالَّيْنَ يَعْتَنِيُونَ كَلَّيْرَا لَإِمْ وَالْتَوْحِشَ وَلِمَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغُورُونَ ۞ وَالَّذِيبَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوْةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ يَنْتَهُمْ وَمََّارَ وَثَنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَسَابَهُمُ الْفَيْ مُرَيِّنَهِمُ وَنَ ﴿ وَمَرَّأَوُّا سَيِّتَةً سَيِعَةٌ مِنْ لَمَّا فَنَ عَفَا وَأَسْلَمَ لَأَجُرُهُ عَلَاللَّهُ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظُّللِينَ ۞ وَلَنَ ٱتَصَرَّبَعْدَ ظُلْمِهِ مَأْوَلَلِكَ مَاعَلَيْهِ مِنْ سَيِيلِ ۞ إِنَّا ٱلسَّيِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَعْوُنَ فِٱلْأَرْضِ إِمَّهُ إِنْ اللَّهِ لَمُ مُعَ عَذَابُ أَلِيهُ ۞ وَلَمُن صَبْرَوَعَمَ إِنَّ ذَلِكَ إ لَنَ عَزْمِ ٱلْأَمُورِ ۞ وَمَن يُعَبِيلِ اللَّهُ فَالْمَين وَلَوْ مِنْ بَعْدِدُّ وَوَرَى الظُّومِينَ لَنَا رَأُوا الْمَدَابَ يَعُولُونَ حَلْ إِلَّا مَرَوْمِن سَيِيلِ ١ POSSOS IN BORGEON

بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله.

ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ عَفّا وأصلح فأجره على الله يجزيه أجراً عظيماً، وثواباً كثيراً، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفوعنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به .

وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: ﴿إِنه لا يحب الظالمين ﴾ الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم.

﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ أي: انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه ﴿ فَأُولِنُكُ مَا عَلَيْهِم مِنْ سَبِّيلٍ ﴾ أي: لا حرج عليهم في ذلك.

ودل قوله: ﴿والذين إذا أصابهم البغي، وقوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ أنه لا بد من إصابة البغى والظلم ووقوعه.

وأما إرادة البغى على الغير، وإرادة

CO CHARTER NO. وَتَرَكُهُمْ مُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَلِيْمِونَ مِنَ ٱلذُّلِّي مَظُمُ وَكِينِ طَرُفْ خَفِيًّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ ٱلْحَيْرِينَ ٱلَّذِينَ خيدرُوٓأ أَفْسَكُمُ وَأَهْلِيهِ مَرُوْمَ ٱلْقِيكَمَةُ ٱلْآلِنَ ٱلظَّالِيدِينَ فِي عَذَابِ مُقِيدٍ ۞ وَمَا كَانَ لَهُمُرِينَ أَوْلِيَاتَهَ يَنْهُرُونَهُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُعَبِيل ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَيِيل ۞ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَيْكُم مِن قَبْل أَن يَأْفَ يَوْمُ لَا مُرَدٍّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِن مَلْحَمَا يَوْمَهِ لِمِ وَمَالَكُم مِن نَّكِيرِ ۞ فَإِنْ أَغْرَشُواْ فَأَأَنْ كَنْكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبِكُافُرُّ وَإِنَّا إِذَا أَذَهَٰنَاٱلْإِنسَكِنَ مِنَاارَحَهُ فَرَيَعِهِا كَالِن شَيبُ هُرُسَيْنَةٌ كِمَا فَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ قَالَ ٱلْإِنْكَنَ كَعُورٌ ۞ يَقُومُلْكَ السَّنوَاتِ وَٱلْرَّضُ يَعْلَقُ مَايَشَآ أُمِيَّهُ لِمَن يَشَآ ۗ إِنْفَا وَيَهَتُ لِمَن يَشَآءُ الذُّحُورَ ۞ أَوْبُرَوْجُهُمْ أَكُولِنَا وَانتَأَ وَيَعْمَلُ مَن يَشَالُهُ عَفِيسًا التُعْمَلِيمُ فَكِيدُ ۞ • وَمَأَكَّات لِنَشَرِ أَن يُكَلِّمُهُ أَلَقُهُ إِلَّا وَخِياً أَوْمِن وَرَآي حِابِ أَوْرُسِلَ رَسُولًا فَيُورِكِ إِذْنِهِ مَالِشَاءُ إِنَّهُ عَلِي حَكِيمٌ ۞ TO THE TOWN

ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدب تأديباً يردعه عن قولٍ أو فعل صدر منه.

﴿إنما السبيل﴾ أي: إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية ﴿على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ وهذا شامل للظلم والبغي على الناس، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. ﴿أولئك لهم عذابُ اليم﴾ أي: موجع للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم.

ولن صبر ♦على ما يناله من أذى الخلق ﴿وففر ﴾ لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم، ﴿إن ذلك لمن حزم الأمور التي حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والصائر.

وبسلور، فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ

﴿ ٤٤ ـ ٢٤ ﴾ ﴿ ومن يضلل الله فعا له من ولي من بعده وترى الظالمين لما وأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل * وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم * وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية والإضلال، وأنه ﴿من يضلل الله بسبب ظلمه ﴿ فما له من بعده ﴾ يتولى أمره ويهديه.

﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ مرأى ومنظراً فظيعاً، صعباً شنيعاً، يظهرون الندم العظيم، والحزن على ما سلف منهم، و ﴿ يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾ أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا، لنعمل غير الذي كنا نعمل، وهذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن.

وتراهم يعرضون عليها أي: على النار (خاشعين من الذل أي: ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم، (ينظرون من طرف خفي أي: ينظرون إلى النار مسارقة وشزراً، من هيبتها وخوفها.

﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ حين ظهرت عواقب الخلق، وتبين أهل الصدق من غيرهم: ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ ﴾ على الحقيقة ﴿ اللّٰذِينَ خسروا أنفسهم وأهليهم يوم الشيامة ﴾ حيث فوتوا أنفسهم جزيل وفرّق بينهم وبين أهليهم، فلم يجتمعوا بم، آخر ما عليهم. ﴿ إِلا إِنَّ الظالمِينَ ﴾ أي: في سواته ووسطه، أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿ في عذابٍ مقيم إِنَّ : في سواته ووسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبداً، ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله كما كانوا في الدنيا يمنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم ولغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعت، وأنه حين جاءهم

عذاب الله لم يدفع عنهم. ﴿ومَنْ يَضِلُ الله فما له من سبيل﴾ تحصل به هدايته، فهؤلاء ضلوا حيت زعموا في شركاتهم النفع ودفع الضر، فتبين حينذ ضلالهم.

﴿٧٤ _ ٤٨﴾ ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير * فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾ يأمر تعلى عباده واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك واحتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف، من قبل أن يأتي يوم واستدراك الفائت، وليس للعبد في واستدراك الفائت، وليس للعبد في ديم وبهرب منه.

بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم، ونودوا ﴿ يا معشر الجِنَّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان وليس للعبد في ذلك اليوم نكير لما اقترفه وأجرمه، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه.

وهذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات.

﴿ فإن أعرضوا ﴾ عمّا جنتهم به بعد البيان التام ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ تحفظ أعمالهم وتسأل عنها ، ﴿ إِن عليك إلا البلاغ ﴾ فإذا أديت ما عليك ، فقد وجب أجرك على الله ، سواء استجابوا أم أعرضوا ، وحسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها ، وظاهرها وباطنها .

ثم ذكر تعالى حالة الإنسان، وأنه إذا أذاقه الله رحمة، من صحة بدن، ورزق رغد، وجاه ونحوه ﴿ فرح بها ﴾ أي: فرح ضرحاً مقصوراً عليها، لا يتعداها، ويلزم من ذلك طمأنينته بها، وإعراضه عن المنعم.

﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي: مرض أو فقر، أو نحوهما ﴿ بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفُورٌ ﴾ أي: طبيعته كفران النعمة السابقة، والتسخط لما أصابه من السيئة.

﴿ ٤٩ - • • ﴾ ﴿ شه ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور * أو عقيماً إنه عليم قدير ﴾ هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره عن الأسباب التي يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء.

فمن الخلق مَنْ يهب له إناثاً، ومنهم مَنْ يهب له ذكوراً، ومنهم مَنْ يزوجه، أي: يجمع له ذكوراً وإناثاً، ومنهم مَنْ يجعله عقيماً لا يُولد له.

﴿إنه عليم ﴾ بكل شيء ﴿قدير ﴾ على كل شيء ﴿قدير ﴾ على كل شيء، فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء، وبقدرته في مخلوقاته.

﴿١٥ - ٥٣ ﴾ ﴿وما كان ليشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم * وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السماوات ومنا فني الأرض ألا إلى آلله تستسيير الأمور ﴾ لما قال المكذبون لرسل الله، الكافرون بالله: ﴿لُولًا يَكُلُّمُنَا اللهُ أُو تأتينا آية﴾ من كبرهم وتجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة، وأن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء والمرسلين، وصفوته من العالمين، وأنه يكون على أحد هذه

إما ﴿أَن يَكلمه الله وحياً ﴾ بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير

الأوجه.

إرسال ملك، ولا نخاطبة منه شفاهاً. ﴿أُوكِ يكلمه منه شفاهاً، لكن ﴿من وراء حجاب ﴾ كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحن.

ئة. ﴿أَوْ يَكْلُمُهُ اللّٰهِ السَّمَاوَاتِ اللّٰكِي، وَ ﴿يَرْسُلُ رَسُولاً ﴾ كجبريل رُض يُخلق ما يشاء يهب لمن يشاء أو غيره من الملائكة.

وفيوحي بإذنه أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه، وإنه تعالى على الذات، على الأوصاف، عظيمها، على الأفعال، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات. حكيم في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات والشرائم. قبلك وأوحينا إليك روحاً من أمرنا وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحاً، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير.

وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: ﴿ما كنت تدري﴾أي: قبل نزوله عليك ﴿ما الكتاب ولا الإيمان﴾ أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أمياً لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب الذي وجملناه نوراً جدي به مَنْ نشاء من عبادنا﴾ يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به ألحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم.

﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ أي: تبينه لهم وتوضحه، وتنيره وترغبهم فيه، وتنهاهم عن ضده، وترهبهم منه، ثم فشر الصراط المستقيم فقال:

﴿صراط الله السذي ليه ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ﴿أَلَا إِلَى الله تصير الأمور﴾ أي: ترجع جميع أمور الخير والشر، فيجازى كلاً بحسب عمله، إن خيراً فيجازى كلاً بحسب عمله، إن خيراً

فخير، وإن شراً فشر. تم تفسير سورة الـشــورى، والحـمــد لله أولاً وآخــراً، وظاهراً وباطناً، على تيسيره وتسهيله.

تفسير سورة الزخرف مكيسة

﴿١ - ٥﴾ ﴿بسم الله الرحن الرحيم حَم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم * أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾ هذا قسم بالقرآن، فأقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والأخرة.

﴿إِنّا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ هذا المقسم عليه، أنه جُعِل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك فقال: ﴿لعلكم تعقلون﴾ ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان.

﴿ وَإِنه ﴾ أي : هذا الكتاب ﴿ لدينا ﴾ في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها ﴿ لعلي حكيم ﴾ أي : لعلي في قدره وسمرة ومحله ، حكيم فيما يشتمل غليه من الأوامر والنواهي والأخبار ، فليس فيه حكم خالف للحكمة والعدل والميزان .

ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله يقتضي أن لا يشرك عباده هملاً، لا يرسل إليهم رسولاً، ولا ينزل عليهم كتاباً، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال:

﴿أفنضرب عنكم الذّكر صفحاً﴾
أي: أفنعرض عنكم، ونترك إنزال
الذّكر إليكم، ونضرب عنكم صفحاً،
لأجل إعراضكم، وعدم انقيادكم له؟
بل ننزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم
فيه كل شيء، فإن آمنتم به واهتديتم،
فهو من توفيقكم، وإلا قامت عليكم
الحجة، وكتم على بينة من أمركم.

﴿٦ - ٨﴾ ﴿وكم أرسلنا من نبي إلا
 في الأولين * وما يأتيهم من نبي إلا

كانوا به يستهزؤون * فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين * يقول تعالى: إن هذه سنتنا في الخلق، أن لا نتركهم هملاً، فكم ﴿أرسلنا من نبيً في الأولين * يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ولم يزل التكذيب موجوداً في الأمم.

﴿وما يُأْتِيهِمُ من نبي إلاَّ كانوا به يستهزؤون﴾ جحداً لما جاء به، وتكبراً على الحق.

﴿فَأَهَلَكُنَا أَشَدَ ﴾ من هؤلاء ﴿بطشاً ﴾ أي: قوة وأفعالاً وآثاراً في الأرض، ﴿ومضى مثل الأولين ﴾ أي: مضت أمثالهم وأخبارهم، وبينا لكم منها ما فيه عبرة ومزدجر عن التكذيب والإنكار.

﴿٩ _ ١٤ ﴾ ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم * الذي جعل لكم الأرض مهدأ وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون * والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون > يخبر تعالى عن المشركين، أنك لو ﴿سألتهم مَنْ خلق السماوات والأرض ليقولنَّ♦ الله وحده لا شريك له، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، العليم بظواهر الأمور وبواطنها، وأوائلها وأواخرها، فإذا كانوا مقرين بذلك، فكيف يجعلون له الولد والصاحبة والشريك؟! وكيف يشركون به مَنْ لا يخلق ولا يرزق، ولا يُميت ولا يُحيى؟!

ثم ذكر أيضاً من الأدلة الدالة على كمال نعمته واقتداره، بما خلقه لعباده من الأرض التي مهدها وجعلها قراراً للعباد، يتمكنون فيها من كل ما يريدون.

﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ أي:

جعل منافذ بين سلاسل الجبال المتصلة، تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار. ﴿لعَلَكُم تَهْتُدُونَ﴾ في السير في الطرق ولا تضيعون، ولعلكم تهتدون أيضاً في الاعتبار بذلك والادكار فيه.

﴿ والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ لا يزيد ولا ينقص، ويكون أيضاً بمقدار الحاجة، لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع، ولا يزيد بحيث يضر العباد، والبلاد، بل أغاث به العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، ولهذا قال: ﴿ فأنشرنا به بلدة ميتاً﴾ أي: أحييناها بعد موتها، ﴿ كذلك تخرجون﴾ أي: فكما أحيا الأرض الميتة الهامدة بالماء، كذلك يحييكم بعدما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم.

﴿والذي خلق الأزواج كلها ﴾ أي: الأصناف جميعها، عما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، من ليل ونهار، وحروبرد، وذكر وأنثى، وغير ذلك. ﴿وجعل لكم من الفلك﴾ أي: السفن البحرية، الشراعية والنارية، ما تركبون ﴿و﴾ من ﴿الأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ﴾ وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام، أى: لتستقروا عليها، ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بلكك، ولهذا قال: ﴿ وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين ﴾ أي: لولا تسخيره لنا ما سخّر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذللها ويسر أسبابها.

والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد.

(10 _ 70) (وجعلواله من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين * أم اتخذ مما يخلق بناتٍ وأصفاكم

بالبنين * وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * أوَمن يُنشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون * وقالوا أو شاء الرحن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون * أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى نما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴿ يَجْبِر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولداً، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ملذ.

ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذاً يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها: أن الصنف اللي نسبوه لله، وهو البنات، أدرن الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك ﴿إِذَا يُشُر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

ومنها: أن الأنثى ناقصة في

وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُومَن يُنشًا في الحلية ﴾ أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ ﴿ وهو في الخصام ﴾ أي: عند الخصام الموجب الإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿ غير مبين لحجته، والا مفصح عمّا احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن الله تعالى؟

ومنها: أنهم جعلوا الملاتكة الذين هم عباد الله إناثاً، فتجرؤوا على الملاتكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المساركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان مَنْ أظهر تناقض مَنْ كذب عليه وعاند رسله.

ومنها: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بدأن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة، وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلاً وشرعاً. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه.

وأما شرعاً، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المسركين به المكذبين لرسله، فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلاً، ولهذا قال هنا: ﴿ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون تخرصاً لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء.

ثم قال: ﴿أَمْ آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون﴾ يخبرهم بصحة أفعالهم، وصدق أقوالهم؟ ليس الأمر كذلك، فإن الله أرسل محمداً نذيراً إليهم، وهم لم يأتهم نذيز غيره، أي:

فلا عقل ولا نقل، وإذا انتفى الأمران، فلا ثُمَّ إلاّ الباطل.

نعم، لهم شبهة من أوهى الشبه، وهي تقليد آبائهم الضالين، الذين ما زال الكفرة يردون بتقليدهم دعوة الرسل، ولهذا قال هنا: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ أي: على دين وملة ﴿وإنا على آئارهم مهتدون﴾ أي: فلا نتبع ما جاء به محمد ﷺ.

وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها أي: منعموها، وملوها الذين أطغتهم الدنيا، وغربهم الأموال، واستكبروا على الحق. ﴿إِنَا وجدنا آباءنا على أُمَةِ وَإِنَا عِلَى آلَاهِم مقتدون﴾ أي: فهؤلاء ليسوا ببدع منهم، وليسوا بأول مَنْ قال هذه المقالة.

وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل.

ولهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: ﴿أُولُو جَنْتُكُم بِأَهْدَى مما وجدتم عليه آباء كم﴾ أي: فهل تتبعوني لأجل الهدى؟ ﴿قالُوا إِنَّا يَما أُرسِلْتُم بِه كَافُرُونَ﴾ فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الباطل والهوى.

﴿فانتقمنا منهم ﴾ بتكذيبهم الحق، وردهم إياه بهذه الشبهة الباطلة. ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم ما أصابهم.

CO CONC. ا وَكَذَاكَ أَوْحَيْنَا ٓ إِلَيْكَ رُوعًا مِنْ أَمْرِنَّا مَا كُنْتَ مِّدُرى مَا ٱلْكِئَلُثُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلَنَهُ ثُولَانَهُ دُولَانَهُ اللهِ عَن نَشَآهُ مِنْ عِبَادِنَأُ وَلِمَنَّكَ لَنَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيدِ ۞ صِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُ مَافِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضُ أَلا إِلَى السَّوتَصِيرُ الْأَمُورُ ٥ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلِمَنْمُونَ أَيْرَالُكِ تَلِ لَدَيْنَا لَدَلُ مَكِيدُ ۞ أَفَضَرُ عَنكُمُ النَّاحِرَصَفَانَ كُنتُرْقَوْمًا تُسْمِعْين ۞ وَحَكَمْ أَرْسَكْنَامِن لِّينَ فِي ﴾ ٱلْأَوْلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم فِن نَيِي إِلَّا كَانُوْلِيمِ يَسْتَهْزِهُونَ ۞ فَأَهۡلَكَ اَأَشُدُومُهُم بَطُثُ اوَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿ وَلَين سَأَلْتُهُ مِنْ خَلَقَ أَلْتَ مَوْتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَعُولُ خَلَقَهُنَّ الْمَسَنِيزُ الْعَيْلِيمُ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَحَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْذَا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ DESIGN IN LONG CO.

بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون في خبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم:

﴿إِنْنِي بِراء مما تعبدون ﴾ أي: مبغض له، جتنبٌ معاد لأهله، ﴿إِلاَ الذي فطرني فإني أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به، فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، في ﴿سيهدين للسيهدين لليصلح ديني وآخرتي.

﴿وجعلها ﴾ أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والترري من عبادة ما سواه.

﴿ كلمة باقية في عقبه ﴾ أي: ذريته ﴿ لعلهم ﴾ إليها ﴿ يرجعون ﴾ لشهرتها عنه، وتوصية بعض بنيه _ كإسحاق ويعقوب _ لبعض، كما قال تعالى: ﴿ ومَنْ يرغب عن ملة إبراهيم إلا مَنْ سفه نفسه ﴾ إلى آخر الأنات.

فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف والطغيان.

CA CINCA STRUCK وَٱلَّذِي نَزَّلَهِ مِنَ ٱلسَّمَاءَ مَاءً بِفَكَدَ فَأَنْتُدُواْ مِدِه مِكَلَّةَ فَمَيْتُأُ كَذَاكِ تُعْرَجُونَ ۞ وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَجَ كُلَّا وَجَعَلَ لَكُومَ وَإِلَا لَهُ لَكُ وَالْأَنْقُاءِ مَا زَتَكُونَ ۞ لِتَعَتَّمُ أَعَلَى ظُهُ رود ثُوَّلَذُكُرُ وَلِنَعْمَةَ رَبَّكُ إِذَا ٱسْتَحَاثُمُ عَلَيْهِ وَتَسَعُّولُواْ سُنِحَورَ ٱلَّذِي سَخَرَلْنَاهَا ذَا وَمَاكُنَّا لَهُمُقَدِيدَ ٢ مَانَا إِلَى رَبِّنَا لَكُفَلِهُونَ ۞ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ مِحْزَمًا إِنَّ ٱلإنسَانَ لَكُنُورُ ثُينِ أَن إِم أَغَنَدَمِ مَنايَقَالُقُ بَنَاتِ وَأَصْفَلَكُمُ بَالْهَذِينَ ۞ وَإِذَا لِيُشْرَأُ حَدُمُ مِمَا صَرَبَ لِلرَّحْدَن مَشَكَلُ ظُلَّ وَحْهُمُمُ مُونَا وَهُوَكَوْلِهُ ﴿ أَوْمَن يُتَشَوُّا فِ أَيْدُلُو وَهُوِّهِ فِهُ أَيْسَادِ عَيْرُهُ بِنِ ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَاكَةَ الَّذِينَ مُعْمِعَةُ الرَّحْلِ إِنَّا أَنْهِ مُواخَلَقَهُمْ مُسَاكِحُتُهُ شَهَلَتَهُمُ وَيُسَتَلُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْشَكَةَ الرَّخَنُ مَاعَبُلَقَهُمْ مَّا لَكُ مِينَا لِكَ مِنْ عِلْمِ لَّهِ مُدَّا إِلَّا يَغْرُمُهُونَ ۞ أَمَّ عَالَيْنَاهُمُّ كِتْبَايْن قَبْلُهِ عَفْهُم بِو مُسْتَسِكُون ۞ بَلْ قَالْزَاإِنَا وَ وَجَدُنّا مَاسَلَة مَا عَلَ أُمَّة وَإِنَّا عَلَى مَاكِرِهِم مُمَّهُ مَدُّونَ ٥ ACTION IN MORE OF

فقال تعالى: ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم﴾ بأنواع الشهوات، حتى صارت هي غايتهم ونهاية مقصودهم، فلم تزل يتربى حبها في قلوبهم، حتى صارت صفات راسخة، وعقائد متأصلة. ﴿حتى جاءهم الحقُ﴾ الذي لا شك فيه ولا مرية ولا اشتباه. ﴿ورسول مبين﴾ أي: بين الرسالة، قامت أدلة رسالته قياماً باهراً، بأخلاقه ومعجزاته، وبنفس دعوته ﷺ.

ولما جاءهم الحق الذي يوجب على من له أدنى دين ومعقول أن يقبله وينقاد له. ﴿قالوا هذا سحر وإنّا به والمشاقة، فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه، بل ولا جحده، فلم يرضوا حتى قدحوا به قدحاً شنيعاً، لا يأتي به إلا أخبث الخلق وأعظمهم افتراء، والذي حملهم على ذلك،

﴿وقالوا﴾ مقترحين على الله بعقولهم الفاسدة: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ أي: معظم عندهم، مبجّل من أهل مكة، أو أهل الطائف، كالوليد بن المغيرة ونحوه، عن هو عندهم عظيم.

قال الله رداً لاقتراحهم: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ أي: أهم الخزان

لرحمة الله، وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة مَنْ يشاؤون، ويمنعونها عمن يشاؤون؟

﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ أي: في الحياة الدنيا، ﴿و﴾ الحال أن رحمة ربك خير مما يجمعون من الدنيا.

فإذا كانت معايش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى، هو الذي يقسمها بين عباده، فيبسط الرزق على مَنْ يشاء، ويضيقه على مَنْ يشاء، بحسب حكمته، فرحمته الدينية، التي أعلاها النبوة والرسالة، أولى وأحرى أن تكون بيد الله تعالى، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

فعلم أن اقتراحهم ساقط لاغ، وأن التدبير للأمور كلها، دينيها ودنيويها، بيد الله وحده. هذا إقناع لهم، من جهة غلطهم في الاقتراح، الذي ليس في أيديهم منه شيء، إن هو إلا ظلم منهم ورد للحق.

وقولهم. ولولا مؤل هذا القرال على رجل من القريتين عظيم و عرفوا حقائق الرجال، والصفات التي بها عند الله وعند خلقه، لعلموا أن عسمد بسن عسسد الله بسن عسسد الله بسن عدراً، وأعظم الرجال قدراً، وأعلاهم فخراً، وأحملهم عقلاً، وأخرهم علماً، وأجلهم رأياً وأوسعهم رحمة، وأشدهم شفقة، وأهداهم وأتقاهم.

وهو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف الرجال، ألا وهو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يفضل عليه المسركون مَنْ لم يشم مثقال ذرة من كماله؟!، ومن جرمه ومنتهى حقه، أن جعل إلهه الذي يعبده ويدعوه ويتقرب لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، وهو كل على مولاه، يحتاج لمن يعرم مهما الأ من فعل على هذا إلا من فعل

السفهاء والمجانين؟ فكيف يجعل مثل هذا عظيماً؟ أم كيف يفضل على خاتم الرسل وسيد ولد آدم ﷺ؟ ولكن الذين كفروا لا بعقلون.

وفي هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً مسخرياً ﴾ أي: ليسخر بعضهم بعضاً من الأعمال والجرف والصنائم.

فلو تساوى الناس في العنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم.

وفيها دليل على أن نعمته الدينية خيرٌ من النعمة الدنيوية كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قَلَ بِفُضِلَ اللهُ وَبِرِحْته فَبِذَلْكُ فَلِيفُر حوا هو خيرٌ مما يجمعون﴾.

وطبيها يطهرون على سطوحهم. وللبيوتهم أبواباً وسرراً عليها ورخون من فضة، ولجعل لهم وزخون أله الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو عند الله جناح بعوضة، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدرة، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره

واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين

﴿٣٦٣٣﴾ ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين * ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون، يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: ﴿وَمَنْ يَعِشُ﴾ أي: يعرض ويصد ﴿عن ذكر الرحن الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحن عباده، فمَنْ قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومَنْ أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً، وقيَّض له الرحمن شيطاناً مريداً، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويسمنيه، ويسؤزه إلى المعاصي أزآ، ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل﴾ أي: الصراط المستقيم، والدين القويم. ﴿ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا

فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

فهذه حالة هذا المُعْرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغي، وانقلاب الحقائق.

وأما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال، وهو: إظهار الندم والتحسر، والحزن الذي لا يجبر مصابه، والتبري من قرينه، ولهذا قال

تعالى ﴿حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين،

كما في قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذو لا).

وقوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون، أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم فسي العدذاب، أنستسم وقسرناؤكم وأخلاؤكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه وعِذابه.

ولن ينفعكم أيضاً، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هانّ عليهم بعض الهون، وتسلَّى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. نسألك يا ربنا العافية، وأن تريحنا برحمتك.

﴿ ٤٠ _ ٤٠ ﴾ ﴿ أَفَأَنْتُ تَسْمِعُ الْصِيرُ أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين * فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون * أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون * فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم * وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون * واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون المقول تعالى لرسوله عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له، وأنهم لا خير فيهم، ولا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمِّ ﴾ أي: الذين لا يسمعون ﴿أو تهدي العُمْيَ﴾ الذين لا يبصرون، أو تهدي ﴿مَنْ كَانَ فِي ضَلَالُ مَبِينَ ﴾ أي: بيُّن واضح، لعلمه بضلاله، ورضاه به.

فكما أن الأصم لا يسمع الأصوات، والأعمى لا يبصر، والنضال ضلالاً مبيناً لا يهتدى، فهؤلاء قد فسدت فطرهم وعقولهم، بإعراضهم عن الذكر، واستحدثوا

CONTRACTOR OF THE PROPERTY AND ADDRESS OF THE PROPERTY OF THE وَكَذَاكِكَ مَا أَرْسَلُنَا مِن قَبِيكَ فِي قَهْيَوْمِن نَدِيرٍ إِلَّا فَالْمُلْكُومُمَّا إِنَّا وَجَدْنَا عَلِيَّا مَنَا عَلَىٰ أَمْدَ وَعِلْنَا عَلَىٰ وَالْكِيهِمُ مُقْتَدُونَ ﴿ • قَلَ أَوْلُوحِفْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ عَمَّا وَجَدَثُمْ عَلَيْهِ مَالِهَ مُرَّعًا لُواْ النَّا يَمَا أَرْسِلْمُ بِهِ عَكَافِرُونَ ۞ فَأَنفَقَمْنَا مِنْهُمُّ فَأَنظُرْكَيْفَ كَانَ عَلِيَهُ ٱلْكُولِينَ ۞ وَلِمَا قَالَ إِزَاهِ بِرُلِأَيهِ وَقَوْمِومَ إِنَّي بَرَلَةُ مُحَاتَقُهُ وَنَ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِي مَلَكُونِ فَإِنَّهُ مُسَيَّهُ وِينَ ﴾ وَجَعَلَهَا كُلِمَةً بَاقِيَّةً فِي عَقِيهِ عِلْقَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ أَلْهَ لَمْتُ مَنْوُلَا } وَمَالِكَةَ خُرُحَيًّ جَلَة خُرُالْتِيُّ وَرَسُولُ فِي فَلَا صَالَكَ اللهِ جَآءَهُ وَأَنْفُ فَالْوَاهَدَ اسِعُرُ وَلِمَا يوركَ يُرُونَ ۞ وَقَالُواْ وَلَانْزِلَ حَنَا ٱلْقُرْدَانُ عَلَى رَجُلِ فِنَ ٱلْقَرْبَدَيْ عَظِيمٍ ٥ المُحْرَيَةُ سِمُونَ رَحْمَتَ دَيْكُ خَنُ قَسَمْنَا بَيِّنَهُ مُعْمِيشَكُهُمُ فِي ٱتْحَيَّرَةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعَـ ابْمُصَافَرَ فَوَقَ بَمْضِ دَرَجَاتِ لِيَتَسْخِدَ بَمْشُهُمُ ﴾ بَنْمَنَا شُخْرِيَاً وَرَحْتُ رَيْكَ خَيْرُغَنَا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَوْلَآ أَن إِيكُونَ ٱلنَّاسُ أَمَّةً وَحِدَةً لَجَعَلَنَالِنَ يَحَعُمُ بِٱلْحَمْلُنِ المُسْرَفِهِ مُسْقُفُا مِن فِضَهِ وَمَعَسَارِعَ عَلَيْهَا يَظْهِرُونَ ۞ AND SAN III MARCHAN

عقائد فاسدة، وصفات خبيثة، تمنعهم وتحول بينهم وبين الهدي، وتوجب لهم الازدياد من الردي، فهؤلاء لم يبق إلاَّ عذابهم ونكالهم، إما في الدنياً، أو في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ﴿ أي: فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب، فاعلم بخبرنا الصادق أنَّا منهم منتقمون .

﴿أُو نرينك الذي وعدناهم من العذاب ﴿ فَإِنَّا عليهم مقتدرون ﴾ ولكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة لتعجيله أو تأخيره، فهذه حالك وحال هؤلاء المكذبين.

وأما أنت ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك) فعلاً واتصافاً، بما يأمر بالاتصاف به ودعوة إليه، وحرصاً على تنفيذه في نفسك وفي غيرك. ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وهذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق، تكون بانياً على أصل أصيل، إذا بني غيرك على الشكوك والأوهام، والظلم والجور.

﴿ وَإِنَّهُ أَي : هذا القرآن الكريم ﴿لَذِكُرٌ لَكَ وَلَقُومُكَ﴾ أي: فخر لكم، ومنقبة جليلة، ونعمة لا يقادر قدرها، ولا يعرف وصفها، ويذكركم أيضاً ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم

رَيْدُمُونِهِ أَنِوَا وَمُرُواعَلَيْهَا بَشَكُوْنِ ۞ وَدُوَّ فَا وَانْ فَلَ اللّهِ وَالْمُواعَلَيْهَا بَشَكُوْنِ ۞ وَدُوْقًا وَانْ فُلْ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهُ اللّه

TO CINCE CONTRACT

وَسَوْفَ نَشُعَلُونَ ۞ وَسُعَلْ مَنْ أَرْسَلْنَامِن فَيْلِكَ مِن زُمُيلِنَا

أَجَمَلُنَامِن دُونِ الرَّحْنِ مَالِهَةً يُمُسَكُونَ ﴿ وَلَقَدُ أُوسَلُنَا مُوسَىٰ اِيعَانِيْنَا إِلَىٰ وَعَوَّرَت وَمَلَإِنْهِ وَمَثَّالَ إِلَى رَسُولُ رَبِّ

ٱلْمَالِمِينَ ۞ فَلَمَّاجَآءَ مُرِيعَالِيَتَا إِذَا هُمِيْمَالِيَشَكُونَ۞

﴿ واسأل مَنْ أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة بعبدون﴾ حتى يكون للمشركين نوع حجة ، يتبعون فيها أحداً من الرسل ، فإنك لو سألتهم واستخبرتهم عن أحوالهم، لم تجد أحداً منهم يدعو إلى اتخاذ إله آخر مع الله مع أن كل الرسل، من أولهم إلى آخرهم، يدعون إلى عبادة الله، وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، وكل رسول بعثه الله، يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فدل هذا، أن المشركين ليس لهم مستند في شركهم، لا من عقل صحيح، ولا نقل عن الرسل.

﴿٤٦ - ٥٠﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه﴾ إلى آخر القصة . لما قال تعالى: ﴿واسأل مَنْ أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ بين تعالى حال موسى ودعوته ، التي هى أشهر ما يكون من دعوات الرسل،

ولأن الله تعالى أكثر من ذكرها في كتابه، فذكر حاله مع فرعون، فقال:
﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ التي دلت دلالة قاطعة على صحة ما جاء به، كالعصا، والحية، وإرسال ألجراد، والقمل، إلى آخر الآيات.

إلى فرعون ومَلتِهِ فقال إني رسول رب السعالمين فلاعاهم إلى الإقرار بربهم، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وفلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي: ردوها وأنكروها، واستهزؤوا بها، ظلماً وعلواً، فلم يكن لقصور بالآيات، وعدم وضوح فيها، ولهذا قال: ﴿وما نربهم من آية إلاّ هي أكبر من أختها أي: الآية المتأخرة أعظم من السابقة، ﴿وأخذناهم العذاب كالجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات. ولذعنون له، ليزول شركهم وشرهم.

﴿ وقالوا ﴾ عندما نزل عليهم العذاب: ﴿ يَا أَيُّا السَّاحِرِ ﴾ يعنونُ موسى عليه السلام، وهذا، إما من باب التهكم به، وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحاً، فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به مَنْ يزعمون أنهم علماؤهم، وهم السحرة، فقالوا: ﴿يا أيها الساحر ادعُ لنا ربك بما عهد عندك أي: بما خصك الله به، وفضَّلك به، من الفضائل والمناقب، أن يكشف عنّا العذاب ﴿إنا لمهتدون ﴾ إن كشف الله عنّا ذلك، ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون، أي: لم يفوا بما قالوا، بل غدروا، واستمروا على كفرهم. وهذا كقوله تعالى: وفأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والنضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومأ مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادعُ لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك

ولنرسلن معك بني إسرائيل * فلما

كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه

إذا هم ينكثون﴾ .

﴿ونادى فرعون في قومه قال﴾ مستعلياً بباطله، قد غره ملكه، وأطغاه ماله وجنوده: ﴿يا قوم أليس لي مُلْكُ مِضرَ﴾ أي: ألست المالك لذلك، المتصرف فيه، ﴿وهذه الأنهار تجري من في وسط القصور والبساتين. ﴿أقلا تبصرون﴾ هذا الملك الطويل العريض، وهذا من جهله البليغ، حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته، ولم ينفخر بأوصاف حيدة، ولا أفعال سديدة.

﴿أُم أَنَا خَيرٌ منَ هذا اللّهِ هو مهِينٌ ﴾ يعني _ قبحه الله _ بالمهين، موسى بن عمران، كليم الرحمن، الوجيه عند الله، أي: أنا العزيز، وهو الذليل المهان المحتقر، فأيّنا خير؟ ﴿و﴾ مع هذا فلا ﴿ يكاد يُبِينُ ﴾ عمّا في ضميره بالكلام، لأنه ليس بفصيح المسان، وهذا ليس من العيوب في شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو كان ثقيلاً عليه الكلام.

ثم قال فرعون: ﴿فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي: فهلا كان موسي بهذه الحالة، أن يكون مزيناً جملاً بالحلي والأساور؟ ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ يعاونونه على دعوته، ويؤيدونه على قوله.

﴿فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ أي: استخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلاً على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول.

فأي: دليل يـدل عـلى أن فرعـون محق، لكون مُلك مصر له، وأنهاره تجرى من تحته؟

وأي: دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى، لقلة أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية الله له، ولكنه لقي ملأ لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حق وباطل. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ فبسبب فسقهم، قيض لهم ولم قُلْتَ: ﴿إِنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها

واردون). وهذا لفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة [الذي](١) فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون

ويتباشرون.

وهي _وش الحمد _من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا المرسلون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا مَنْ سواهم من الخلق، فأي: شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟

وليس تفضيل عيسى عليه السلام، وكونه مقرباً عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُو إِلاَّ عَبدٌ أَنعَمنا عليه ﴾ بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، ﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

وأما قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوله: ﴿إِنكَم وما تعبدون من دون الله أن «ما» اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح وتحوه.

الثاني: أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناماً وأوثاناً ولا يعبدون المسيح.

الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: ﴿ إِن الذِين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ فلا شك أن

و مَائِيهِم مِنْ عَلَيْ الْمِعْنَا صَعْمُونُ لَخَعْنَا وَالْعَلَمُ الْمَعْنَا فَهُمُ وَالْعَلَا لِمَا الْحَمْدُ الْخَعْنَا وَالْمَائِلَةُ الْسَالِحُوْلُونُ كَانَ وَالْمَائِلَةُ السَّالِحُوْلُونُ كَانَ وَالْمَائِلَةُ السَّالِحُولُونُ كَانَ وَالْمَائِلُةُ الْمَائِلُةُ مَا عَنْ الْمَائِلُةُ مَا عَنْ الْمَائُونُ وَمَعُونُ لَهُ وَمُومِدِهُ الْمَائِلُةُ مِنْ وَمَالُونُ وَمَعْوَنُ لَى الْمَائِلُونُ مُومِعِينًا عَنْ اللّهِ مَائِلُةُ مَا اللّهُ مَائِلُونُ مُومِعِينًا فَي مَائِلُونُ مُومِعِينًا فَي مَائِلُونُ مِنْ اللّهِ مَائِلُونُ مُومِعِينًا فَي مَائِلُونُ مِنْ اللّهِ مَائِلُونُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَائِلُونُ اللّهِ مَائِلُونُ اللّهُ مَائِلُونُ اللّهُ مَائِلُونُ اللّهُ اللّهُ مَائِلُونُ اللّهُ اللّهُ مَائِلُونُ اللّهُ اللّهُ مَائِلُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ اللّهُ مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ اللّهُ مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَائِلُهُ مِنْ اللّهُ مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَائِلًا مَائِلًا مَائِلُونُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

OS CHICK STRUCK

عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية.

إِنْ هُوَ الْمُعَدِدُ أَنْعَمَنَاعَلَيْهِ وَتَعَمَلْنَهُ مَثَلَا لِمُعَالِمَتِهِ اللهِ

وَلَوْنَشَاتُهُ لَجَعَلْنَامِنكُم مَّلَّتِهِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَظْلُفُونَ ۞

ON THE STREET

ثم قال تعالى: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ أي: لجعلنا بدلكم ملائكة يخلفونكم في الأرض، ويكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من جنسهم، وأما تتميل اليكم الملائكة، فمن رحمة الله بكم، أن أرسل إليكم رسلاً من بخسكم، تتمكنون من الأخذ عنهم.

﴿وإنه لعلمٌ للساعة ﴾ أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم قبورهم، أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة ﴿فلا تمترنُ في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر. ﴿واتبعون﴾ بامتثال ما أمرتكم، واجتناب ما موصل إلى الله عـز وجل، ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ عما أمركم الله عمر وحل، ﴿ولا عمل إلى الله عـز وجل، ﴿ولا عمل إلى الله عدرً عمل عدرً عمل عدرً عمل على إغوائكم، باذل جهده في ذلك.

فرولا جاء عيسي بالبينات، الدالة على صدق نبوته وصحة ما جاءهم به، فرعون، يزين لهم الشرك والشر.

وفلما آسفونا) أي: أغضبونا بأفعالهم ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمين * فجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين) ليعتبر بهم المعتبرون، ويتعظ بأحوالهم المتعظون.

﴿٥٧ - ٦٥﴾ ﴿ولما ضسرب ابسن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون * وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم *ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون * إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبِ أَبِنَ مُرِيمٍ مثلاً﴾ أي: نهُي عن عبادته، وجعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد. ﴿إِذَا قومك ﴾ المكذبون لك ﴿منه ﴾ أي: من أجل هذا المثل المضروب، ﴿يصدون﴾ أي: يستلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلجوا.

﴿وقالوا أألهتنا خيرٌ أم هو﴾ يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على مَنْ عبدهم، ونزل أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنكِم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾.

ووجه حجتهم الظالة، أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله القربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، قَلِمَ سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض.

CO COME CHART وَانْدُلُهِ لُورُ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَعْتَرُكَ بِهَا وَأَنِّيعُونُ هَا ذَاهِ وَلَ مُسْتَقِيمٌ ۞ وَلَا يَصُدُ لَكُوالشَّيْعَانُّ إِنْدُلْكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينُّ ۞ وَلَتَاجَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْحِثْتُكُمْ بَالْحِكْمَةِ وَلِأَبْيِنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَعْتَكِفُونَ فِيهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ أَلْهَ هُوَرَتِي وَرَبُّكُمْ مَّاعْبُدُوهُ هَانَا صِرَطْ مُسْتَقِيدٌ ۞ فَأَخْتَلَفَ ٱلْأَخْزَابُ مِنْ يَنْدِهِمْ فَوَيْلُ لَلْذِينَ ظَلَمُوامِنَ عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيدٍ ۞ حَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْلِيَهُمُ مَعْتَةً وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ ۞ ٱلْأَخِلَآ يُوْمَ إِيَسْمُهُمْ لِمُسْءَدُوُ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۞ يَعِبَادِ لَاخَوْفُ عَلَيْصَمُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُدْ يَغَزَوُنَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْمِعَايُونَا وَحَالُواْ مُسْلِمِينَ ۞ اتشُلُوا الْجُنَّةَ أَسَّدُوا أَرْوَبُهُمُ تُعَبَّرُونَ ٥ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافِ مِن ذَهَبِ وَأَحْدُوابٍ وَفِيهَا مَاتَشْتَهِ مِوالْأَنْفُسُ وَتَكَذُّ ٱلْأَعْثِرُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَلِهُ وُونَ ٥ وَعَلْكَ أَجْتَ مُ أَلِّي أُورِيثُتُمُوهَا مَا كُتُتُم تَعْمَلُونَ الله لَكُمْ فِهَا لَكِمَةً كَيْرَةً يُنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ TO SERVICE OF THE PROPERTY OF

من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك من الآيات. ﴿قال﴾ لبني إسرائيل: ﴿قد جنتكم بالحكمة ﴾ النبوة والعلم، بما ينبغي على الوجه الذي ينبغي. ﴿ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾ أي: أبين لكم صوابه وجوابه، فيزول عنكم بذلك اللبس، فجاء عليه السلام مكملأ ومتمما لشريعة موسي عليه السلام، ولأحكام التوراة. وأتبي ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد له، وقبول ما جاءهم به. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهُ وأطيعون أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وآمنوا بي وصدقوني وأطيعون.

﴿إِنْ الله هـ وربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ ففيه الإقرار بتوحيد الربوبية، بأن الله هو المربي جميع خلقه بأنواع النّعم الظاهرة والباطنة، والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخبار عيسي عليه السلام أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: «إنه ابن الله، أو ثمالت ثـ الاثــة»، والإخبيار بيأن هنذا المذكور صراط مستقيم، موصل إلى الله وإلى جنته.

فلما جاءهم عيسي عليه السلام بهذا ﴿ اختلف الأحزاب المتحزبون على التكذيب ﴿من بينهم ﴾ كلِّ قال بعيسي

عليه السلام مقالة باطلة، ورد ما جاء به، إلا مَنْ هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة، وصدقوا بكل ما جاء به، وقالوا: إنه عبد الله

﴿فُويِلُ لِلذِينِ ظِلْمُوا مِنْ عِذَابِ يُومِ أليم﴾ أي: ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارهم في ذلك اليوم!!

لا يشعرون * الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين * يا عباد لا خـوف عـليكــم اليوم ولا أنــتــم تحزنون * الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين * ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون * يطاف عليهم بصحافٍ من ذهب وأكواب وفيها مأ تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون * وتلك الجنة التي أورثتُموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ، يقول تعالى: ما ينتظر المكذبون، وهل يتوقعون ﴿إلاَّ السناعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ أي: فإذا جاءت، فلا تسأل عن أحوال مَنْ كذَّب بها، واستهزأ بمن جاء بها، وإن الأخلاء يومئذ، أي: يوم القيامة، المتخالِّين على الكفر والتكذيب ومعصية الله، ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ لأن خلتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة. ﴿ إِلَّا المُتَقِينَ ﴾ للشرك والمعاصى، فإن محبتهم تدوم وتتصل، بدوام مَنْ كانت المحبة لأجله، ثم ذكر ثواب المتقين، وأن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم، ويذهب عنهم كل آفة وشر، فيقول: ﴿ياعباد لا خوفَ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولاحزن يصيبكم فيما مضي منها، وإذا انتفى المكروه من كل وجه، ثبت المحبوب المطلوب.

﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ أي: وصفهم الإيمان بآيات الله، وذلك ليشمل التصديق

بها، وبما لا يتم التصديق إلاَّ به، من العلم بمعناها والعمل بمقتضاها. ﴿وكانوا مسلمين﴾ لله منقادين له في جميع أحوالهم، فجمعوا بين الاتصاف بعمل الظاهر والباطن.

﴿ادخلوا الجنة﴾ التي هي دار القرار ﴿أَنْتُم وَأَزُواجِكُم﴾ أيُّ: مَنْ كَانَ عَلَى مثل عملكم، من كل مقارن لكم، من زوجة، وولد، وصاحب، وغيرهم. ﴿٦٦ ـ ٧٣﴾ ﴿ميل يستظرون إلا ﴿تجبرون﴾ أي: تنعمون وتكرمون، الساعبة أن تسأتيهم ببغيتية وهم ويأتيكم من فضل ربكم من الخيرات والسرور والأفراح واللذات، ما لا تعبُّر الألسن عن وصفه.

﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم، بألطف الأواني، وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير.

﴿ وَفِيها ﴾ أي: الجنة ﴿ ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾ وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومناكح، ولذته العيون، من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ويُعَم مونقة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال تعالى: ﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ ﴿وأنتم فيها خالدون، وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، وهو الخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته، وعدم انقطاعه .

﴿ وتلك الجنة ﴾ الموصوفة بأكمل الصفات، هي ﴿التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ أي: أورثكم الله إياها بأعمالكم، وجعلها من فضله جزاء لها، وأودع فيها من رحمته ما أودع.

[﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾ كما في الآية الأخرى: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾. ﴿منها تأكلون﴾ أي: مما تتخيرون من تلك الفواكه الشهية،

والثمار اللذيذة تأكلون]^(١).

ولما ذكر نعيم الجنة، عقبه بذكر عذاب جهنم، فقال:

﴿٤٧ ــ ٧٨﴾ ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون * وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين * ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون * لقد جنناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾.

﴿إِنْ المجرسين ﴾ الذين أجرسوا بكفرهم وتكذيبهم ﴿في عذاب جهنم ﴾ أي: منغمرون فيه، محيط بهم العذاب من كل جانب، ﴿خالدون فيه، لا يخرجون منه أبداً، و ﴿لا يفتر ولا بتهوين عذابه، ﴿وهم فيه مبلسون ﴾ أي: آيسون من كل خير، مبلسون أي: آيسون من كل خير، غير راجين للفرج، وذلك أنهم ينادون عدنا فإنا ظالمون * قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون ﴾ وهذا العذاب العظيم، بما قدمت أيديهم، وبما ظلموا به أنفسهم، والله لم يظلمهم ولم يعاقبهم بلا ذنب ولا جرم.

﴿ونادوا﴾ وهم في النار، لعلهم يحصل لهم استراحة ، ﴿ يَا مَالُكُ لِيَقْضُ علينا ربك ﴾ أي: ليمتنا فنستريح، فإنَّنا في غم شديد، وعذاب غليظ، لا صبر أنا عليه ولا جَلَد. فـ ﴿قال﴾ لهم مالك خازن النار _حين طلبوا منه أن يدعو الله لهم أن يقضى عليهم -: ﴿إِنكِم مَاكِنُونَ ﴾ أي: مقيمون فيها، لا تخرجون عنها أبدأ، فلم يحصل لهم ما قصدوه، بل أجابهم بنقيض قصدهم، وزادهم غماً إلى غمهم، ثم وبخهم بما فعلوا، فقال: ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ الذي يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعتموه، لفزتم وسعدتم، ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ فلذلك شقيتم شقارة لا سعادة بعدها. ﴿٧٩ ــ ٨٠) ﴿أُمَّ أَبِرِمُوا أَمِراً فَإِنَّا مبرمون * أم يحسبون أنا لا نسمع

سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديم يكتبون في يقول تعالى: أم أبرم المكذبون بالحق المعاندون له ﴿أمرا في أي: كادوا كيداً، ومكروا للحق ولمن جاء بالحق، ليدحضوه، بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق، ﴿فإنًّا مبرمون في أي: تحكمون أمراً، ومدبرون تدبيراً يعلو تدبيرهم، وينقضه ويبطله، وهو ما قيضه الله من الأسباب والأدلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فدمغه ﴾.

﴿أَمْ يُحسبون﴾ بجهلهم وظلمهم ﴿أَنَّا لا نسمع سرَّهُم﴾ الذي لم يتكلموا به، بل هـو سـر فـي قـلـوبهـم ﴿ونجواهم﴾ أي: كلامهم الخفي الذي يتناجون به، أي: فلذلك أقدموا على المعاصي، وظنوا أنها لا تبعة لها ولا مجازاة على ما خفى منها.

فرد الله عليهم بقوله: ﴿بل ﴾ أي: إنّا نعلم سرهم ونجواهم، ﴿ورسلنا ﴾ الملائكة الكرام، ﴿لديهم يكتبون ﴾ كل ما عملوه، وسيحفظ ذلك عليهم، حتى يردوا القيامة، فيجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحداً.

﴿ ٨ ٨ - ٨٨﴾ ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين * سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولداً، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد.

﴿قُلُ إِنْ كَانَ لَلْرِحْنَ وَلِدَ فَأَنَا أُوّلُ الْعَابِدِينَ لَلْكَ الْولْدَ، لأَنْهُ جَزَّ مَنْ وَاللّهُ، وأَنَا أُولُ الْخَلْقَ انقياداً للأمور المحبوبة لله، ولكني أوّل المنكرين لذلك، وأشدهم له نفياً، فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند مَنْ عرف أحوال الرسل، وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهم أوّل الناس سبقاً إليه وتكميلاً له، وكل شر

فهم أوّل الناس تركاً له وإنكاراً له وبُعداً منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، أفضل الرسل أوّل مَنْ عبده، ولم يسبقه إليه المشركون.

ويحتمل أن معنى الآية: لوكان للرحين ولد، فأنا أوّل العابدين لله، ومن عبادتي لله، إثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقاً، لكنت أوّل مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلاً ونقلاً. ﴿سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عمّا يصفون) من الشريك والظهير، والعوين والولد، وغير ذلك، مما نسبه إليه المشركون. ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾ أى: يخوضوا بالباطل، ويلعبوا بالمحال، فعلومهم ضارة غير نافعة، وهي الخوض والبحث بالعلوم التي يعارضون بها الحق وما جاءت به الرسل، وأعمالهم لعب وسفاهة، لا تزكي النفوس، ولا تثمر المعارف. ولهذا توعدهم بما أمامهم من يوم

ولهذا توعدهم بما أمامهم من يوم القيامة فقال: ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ فسيعلمون فيه ماذا حصلوا، وما حصلوا عليه من الشقاء الدائم، والعذاب المستمر.

السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم السماوات والأرض وما بينهما وعنده السماوات والأرض وما بينهما وعنده يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون * وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون * فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون * يجبر مقال، أنه وحده المألوه المعبود في السماوات والأرض فأهل السماوات والأرض فأهل السماوات يعظمون من أهل الأرض، يعبدونه، ويعظمونه، ويخضعون

لجلاله، ويفتقرون لكماله.

﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومَنْ فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ ﴿ولله يسجد مَنْ في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾.

فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألهه الخلائق كلهم، طائعين مختارين، وكارهين. وهيذه كقوله تعالى: ﴿وهـو الله فسي الــــمـاوات وفسي الأرض﴾ أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فهو فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله، ﴿وهو الحكيم﴾ الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئاً إلا لحكمة، ولا شرع شيئاً إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي والجزائي مشتمل على الحكمة. ﴿العليم ﴾ بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر.

﴿وتباركُ الَّذِي لَهُ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ والأرض وما بينهما ، تبارك بمعنى تعالى وتعاظم، وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعظم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسموات والأرض وما بينهما، وسعة علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم كثير من الغيوب، التي لم يطلع عليها أحدّ من الخلق، لا نبى مرسل، ولا ملك مقرب، ولهذا قال: ﴿وعنده علم الساعة ﴾ قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلاّ هو، ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿وإليه ترجعون ﴾ أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل، ومن تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئاً، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلاّ بإذنه .

﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ أي: كل مَنْ دُعي من دون الله، من الأنبياء والملائكة

وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يــشــفــعــون إلاّ بـــإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولهذا قال: ﴿ إِلاَّ مَنْ شهد بِالْحِقِ ﴾ أي: نطق بلسانه، مقراً بقلبه، عالماً بما شهديه، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاؤوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه. ثم قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم مَنْ خلقهم ليقولن الله أي: ولئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية، ومن هو الخالــق، لأقــروا أنــه الله وحـــده لا شريك له.

﴿فأنى يؤفكون﴾ أي: فكيف يصرفون عن عبادة الله والإخلاص له وحده؟! فإقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك.

﴿ وقِسِلِهِ يا رَبُ إِنَّ هَوْلاء قُوم لا يؤمنون ﴾ هذا معطوف على قوله: ﴿ وعنده علم الساعة ﴾ أي: وعنده علم قيله، أي: الرسول ﷺ ، شاكياً لربه تكذيب قومه، متحزناً على ذلك، متحسراً على عدم إيمانهم، فالله تعالى عالم بهذه الحال، قادر على معاجلتهم بالعقوبة، ولكنه تعالى حليم، يمهل العباد ويستأني بهم، لعلهم يتوبون ويرجعون، ولهذا قال:

وفاصفح عنهم وقُلْ سَلامٌ أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أذيتهم المقولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يُقَابِلُ به أولو الألباب والبصائر المحاهلين، كما قال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ أي: خطاباً بمقتضى جهلهم ﴿قالوا سلاماً ﴾ فامتثل على لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من قومه وغيرهم من الأذى، بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب

الجميل.

فصلوات لله وسلامه على مَنِ خصه الله بالخلق العظيم، الذي فَضَل به أهل الأرض والسماء، وارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء.

وقوله: ﴿ نسوف يعلمون ﴾ أي: غِبُّ ذنوبهم، وعاقبة جرمهم.

تم تفسير سورة الزخرف

تفسير سورة الدخان مكيسة

﴿١٦٠١﴾ ﴿بسب الله السرحسن الرحيم حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين * رحمة من ربك إنه هو السميع العليم * رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين * بل هم فى شك يلعبون * فارتقب يوم تأي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم * ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون * أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا معلمٌ مجنون * إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون * يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه، أنه أنزله ﴿ في ليلة مباركة ﴾ أي: كثيرة الخير والبركة، وهي ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام، على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام، لينذر به قوماً عمتهم الجهالة، وغلبت عليهم الشقاوة، فيستضيؤوا بنوره، ويقتبسوا من هداه، ويسيروا وراءه، فيحصل لهم الخير الدنيوي، والخير الأخروي، ولهذا قال: ﴿إنا كنا منذرين * فيها أي: في تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن ﴿يفرق كل أمر حكيم اي: يفصل ويميز، ويكتب كل أمر قدري وشرعى حكم الله به، وهذه الكتابة والفرقان،

الذي يكون في ليلة القدر، أحد^(١) الكتابات التي تكتب وتميز، فتطابق الكتاب الأول، الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجرى على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد وجبوده إلى البدنيا، وكُمل بيه كبرامياً كاتبين، يكتبون ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه، وكمال حكمته، وإتقان حفظه، واعتنائه تعالى بخلقه ﴿أَمْراً مِنْ عَنْدُنّا﴾ أي: هذا الأمر الحكيم، أمر صادر من عندنا، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسُلِينَ ﴾ للرسل، ومنزلين للكتب، والرسل تبلغ أوامر المرسل، وتخبر بأقداره، ﴿رَحْمَةُ مِنْ ربك﴾ أي: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب، التي أفضلها القرآن، رحمة من رب العباد بالعباد، فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب والرسل، وكل خير ينالونه في الدنيا والآخرة، فإنه من أجل ذلك وسببه، ﴿إنه هو السميع العليم ﴾ أي: يسمع جميع الأصوات، ويعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة، وقد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله وكتبه، فرحمهم بذلك، ومنَّ عليهم، فله تعالى الحمد والمنة والإحسان.

﴿ربِ السسماوات والأرض وما بينهما أي: خالق ذلك ومدبره، والمتصرف فيه بما يشاء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقَّنْيَنَ﴾ أي: عالمين بذلك علماً مفيداً لليقين، فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق، ولهذا قال: ﴿لَا إِلَّهُ إِلَّا هُو﴾ أي: لا معبود إلا وجهه، ﴿ يحيي ويميت ﴾ أي: هو المقصرف وحده بالإحياء والإماتة، وسيجمعكم بعد موتكم فيجزيكم بعملكم، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر، ﴿ رَبُّكُم ورب آبائكُم الأولين أي: رب الأولين

والآخرين، مربيهم بالنعم، الدافع عنهم النقم.

فلما قرر تعالى ربوبيته وألوهيته، بما يوجب العلم التام ويدفع الشك، أخبر أن الكافرين مع هذا البيان ﴿في شك يلعبون، أي: منغمرون في الشكوك والشبهات، غافلون عما خلقوا له، قد اشتغلوا باللعب الباطل، الذي لا يجدى عليهم إلا المضرر، ﴿فارتقب﴾ أي: انتظر فيهم العذاب، فإنه قد قرب وآن أوانه، ﴿يوم تَأْتِي السماء بدخان مبين * يغشى الناس♦ أي: يعمهم ذلك الدخان، ويقال لهُم: ﴿ هَذَا عَذَابِ أَلْيُم ﴾

واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدّخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة، وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة، وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.

ويؤيد هذا المعنى، أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار والتأني بهم، وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه، وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم، ويؤيده أيضاً، أنه قال في هذه الآية: ﴿أَنَّى لَهُم الذكري وقد جاءهم رسول مبين، وهذا يقال يوم القيامة للكفار، حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا، فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

وقيل: إن المراد بذلك، ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان، واستكبروا على الحق، فدعا عليهم النبي على ، فقال: «اللهم أعنى عليهم بسنين كسنى يوسف، فأرسل الله عليهم الجوع العظيم، حتى أكلوا الميتات والعظام، وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان، وليس به، وذلك من شدة الجوع.

فيكون _على هذا _قوله: ﴿يوم تأتي السماء بدخان ان ذلك بالنسبة

ON CONCET PRINCIPLE RO إِذَا لَيْجُهِ مِنَ فِي عَذَابِ جَهَا تُرْخَالِتُونَ ۞ لَا يُغَتَّرُ عَنْهُمُ وَالْمَنِيْدِ مُيلِسُونَ ﴿ وَمَاظَلَمْنَاهُ وَلَكِن كَافُوا هُوَ الظَّالِينَ ﴾ وَنَادَوَا يَمْنَاكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيُّكُّ قَالَ إِنَّكُمْ مَّلِكُونَ ۞ لَعَدّ حِنْنَكُمْ ٱلْحَقِّ وَلِلْكِنَّ أَكُ ثَرَكُرُ لِلْحَقِّ كَلِيهُونَ ۞ أَمَّ أَسْرُمُواَ أَمْرًا فإِنَّا مُتْرِعُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَافَسَمَعُ بِسَرَّهُمُ وَبَجُولِهُمُّ بَلَ وَرُمُدُكُنَا لَدَيْهِ مَيْكُنُهُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَهُ قَأَنَا أَوْلُ ٱلْعَلِيدِينَ ۞ سُبْحَنَ رَبِّ ٱلمُسْعَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرَيْس عَنَّايَقِينُونَ ۞ هَٰذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْقَبُواْ حَقَّىٰ يُلَكُّواْ وَمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۞ وَخُوَالَّذِي فِي ٱلسَّسَلَةِ إِلَهُ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَمُمثَلَثُ التشكؤت والأثن ومايتنهما وعندم علزالت عقوم لأيو تُرْجَعَونَ ۞ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَنْعُوبَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّامَن شَهِدَ إِنْتُحِيِّ وَهُمْرَيَعَ لَمُونَ ۞ وَلَهِن سَأَلْتُهُم مَّنْ خَلَقَحُ لَيْعُولُوْ اللَّهُ عَالَنْ يُؤْدَكُونَ ۞ وَقِيلِهِ يَنَزَبِ إِنَّ هَلَوْلاً وَوَرْ لَايِزْمِنُونَ ۞ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَدْمُفَتَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ COMPANIO CONCEDE

إلى أبصارهم وما يشاهدون، وليس بدخان حقيقة.

ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ﷺ، وسألوه أن يدعو الله لهم، أن يكشفه الله عنهم، فدعا ربه، فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿إِنَّا كَاشْفُوا الْعَذَابِ قَلْيُلاَّ إِنَّكُمْ عائدون﴾ إخبار بأن الله سيصرفه عنكم وتوعُدٌ لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب، وإخبار بوقوعه فوقع، وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة «بدر» وفي هذا القول نظر ظآهر .

وقيل: إن المراد بذلك، أن ذلك من أشراط الساعة، وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس، ويصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿ فَارْتُقْبُ يُومُ تُأْتِي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم * ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون * أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ أن هذا كله يكون يوم القيامة، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشُفُوا الْعَذَابِ قَلْيُلا إِنَّكُم عائدون * يوم نبطش البطشة الكبرى

سَنَعَالَمُونِ فَ الْحَسَالُونِ فَ الْآوَالِيَّةِ الْمَالُونِ فَالْحَالِيَّةِ الْمَالُونِ فَالْمَالُونِ فَالَّهُ فَالْمَالُونِ فَالْمُنْفِقِ فَالْمَالُونِ فَالْمُنْفِقِ فَالْمَالُونِ فَالْمِنْ فَلِيمُونِ فَالْمَالُونِ فَالْمِنْ فَالْمِنْ فَالْمَالُونِ فَالْمِنْ فَالْمِنْ فَالْمِنْ فَالْمِنْ فَالْمِنْ فَالْمُونِ فَالْمِنْ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُلْمِلُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُولِ فَالْمُلْمُونِ فَالْمُلْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُلْمُونِ فَالْمُلْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُلْمُونِ فَالْمُلْمُونِ فَالْمُونِ فَالْمُلْمُونِ فَالْمُو

إنا منتقمون أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم.

وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين، لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك.

بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح، والله أعلم.

﴿١٧ ـ ٣٣﴾ ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ إلى آخر القصة(١) لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول محمداً ﷺ، ذكر أن لهم سلفاً من المكذبين، فذكر قصتهم مع موسى، وما أحل الله بهم، ليرتـدع هـؤلاء المكذبون عن ما هم عليه، فقال: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أي: ابتليناهم واختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم، الرسول الكريم، الذي فيه من الكرم ومكارم الإخلاق ما ليس في غيره، ﴿ أَن أَدُوا إلى حساد الله أي: قال لفرعون وملته: أدوا إلِّي عباد الله، يعني بهم: بني إسرائيل، أي: أرسلوهم، وأطلقوهم من عذابكم وسومكم إياهم سوء العذاب، فإنهم عشيري، وأفضل العالمين في زمانهم.

وأنتم قدظ لمتموهم،

واستعبد تموهم بغير حق، فأرسلوهم ليعبدوا ربهم، ﴿إِنِي لكم رسول أمين﴾ أي: رسول من رب العالمين، أمين على ما أرسلني به، لا أكتمكم منه شيئاً، ولا أزيد فيه ولا أنقص، وهذا يوجب تمام الانقياد له.

﴿وأن لا تسعل واعسلى الله بالاستكبار عن عبادته، والعلو على عباد الله، ﴿إِنِ آتيكم بسلطان مبين ﴾ أي: بحجة بينة ظاهرة، وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات، والأدلة القاهرات، فكذبوه وهموا بقتله، فلجأ بالله من شرهم، فقال: ﴿وإِنِي عذت بربي وربكم أن ترجمون ﴾ أي: تقتلوني أشر القتلات، بالرجم بالحجارة.

﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي، وهو مقصودي منكم، فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة، فاعتزلوني، لا علي منهم المرتبة الأولى ولا الثانية، بل لم يزالوا متمردين عاتين على الله، محاربين لنبيه موسى عليه السلام، غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل، ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ﴾ أي: قد أجرموا جرماً، يوجب تعجيل العقوبة.

فأخبر عليه السلام بحالهم، وهذا دعاء بالحال، التي هي أبلغ من المقال، كما قال عن نفسه عليه السلام ﴿رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾ فأحره الله أن يسسري بعباده ليلا، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه، وذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل وذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله، ثم تبعهم فرعون، كما أمره الله، ثم تبعهم فرعون، فضربه، فصار اثني عشر طريقاً، وصار الماء من بين تلك الطرق كالجبال المعظيمة، فسلكه موسى وقومه.

فلما خرجوا منه، أمره الله أن يتركه رهواً، أي: بحاله، ليسلكه فرعون وجنوده ﴿إنهم جند مفرقون﴾ فلما تكامل قوم موسى خارجين منه، وقوم

فرعون داخلين فيه، أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم، فغرقوا عن آخرهم، وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا، وأورثه الله بني إسرائيل، الذين كانوا مستعبدين لهم، ولهذا قال: ﴿كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها أي: هذه النعمة المذكورة ﴿قوماً آخرين وفي الآية الأخرى: ﴿كذلك وأورثناها وأورثناها بني إسرائيل ﴾ .

﴿ فعا بكت عليهم السماء والأرض﴾ أي: لما أتبل فهم السماء وأهلكهم، لم تبك عليهم السماء والأرض، أي: لم يُحزن عليهم، ولم يُوسَ على فراقهم، بل كل استبشر بهلاكهم وتلفهم، حتى السماء والأرض، لأنهم ما خلفوا من آثارهم إلا ما يسود وجوههم، ويوجب عليهم العنة والمقت من العالمين.

﴿ وما كانوا منظرين ﴾ أي: عمهلين عن العقوبة ، بل اصطلمتهم في الحال . ثم امتنَّ تعالى على بني إسرائيل من فقال : ﴿ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ﴾ الذي كانوا فيه ﴿ من فرعون ﴾ إذ يذبِّح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم .

﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِياً﴾ أي: مستكبراً في الأرض بغير الحق، ﴿من المسرفين﴾ المتجاوزين لحدود الله، المتجرئين على عارمه.

﴿ولسقد اخترناهم ﴿ أي: اصطفيناهم وانتقيناهم ﴿ على علم ﴾ منا بهم ، وباستحقاقهم لذلك الفضل ﴿ على العالمين ﴾ أي: عالمي زمانهم ومن قبلهم وبعدهم حتى أتى الله بأمة عمد ﷺ ، فَفَضَلوا العالمين كلهم ، وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس ، واستن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم .

﴿ وَآتَينَاهُم ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿ من الآيات ﴾ الباهرة، والمعجزات الظاهرة، ﴿ ما فيه بلاء مبين ﴾ أي:

كلهم سيجمعهم الله فيه، ويحضرهم ويحضر أعمالهم، ويكون الجزاء عليها ولاينفع مولى عن مولى شيئاً لا قريب عن قريبه، ولا صديق عن صديقه، ﴿ولا هم ينصرون﴾ أى: يسمنعون من عداب الله عز وجل، لأن أحداً من الخلق لا يملك من الأمر شيئاً.

﴿ إِلَّا مِن رحم الله إنه هو العزيز الرحيم، فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحمة الله تعالى، التي تسبب إليها، وسعى لها سعيها في الدنيا. ثم قال تعالى:

﴿ ٤٣ _ ٥٠ ﴿ إِن شَـــجَــرة

الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلى في البطون * كغلى الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم # ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون للا ذكر يوم القيامة ، وأنه يفصل بين عباده فيه، ذكر افتراقهم إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصي، وأن طعامهم ﴿ شبحرة المزقوم ﴾ شهر الأشبجار وأفظعها، وأن طعامها ﴿كَالُّهُلُ﴾ أي: كالصديد المنتن، خبيث الريح والطعم، شديد الحرارة، يغلى في بطونهم ﴿كغلِي الحميم ﴿ ويقالُ للمعذَّب: ﴿ فَق ﴾ هذا العذاب الأليم، والعقاب الوخيم، ﴿إنك أنت العزيز الكريم اي: بزعمك أنك عزيز، ستمتنع من عذاب الله، وأنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس، ﴿إن هذا﴾ العذاب العظيم ﴿ما كنتم به تمترون﴾ أي: تشكون، فالآن صار عندكم حق اليقين.

﴿١٥ _ ٥٩ ﴾ ﴿إن المتقين في مقام

﴿إِن يوم الفصل﴾ وهو يوم القيامة الذي ينفسسل الله بنه بنين الأولين والآخرين، وبين كل مختلفين ﴿ميقاتهم﴾ أي: الخلائق ﴿أجمعين﴾

من سندس واستبرق متقابلين * كذلك وزوجناهم بحور عين * يدعون فيها بكل فاكهة آمنين * لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقناهم عنذاب الجحيم * فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم * فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون *فارتقب إنهم مرتقبون به الذين المتقين لله الذين

اتقوا سخطه وعذابه، بتركهم

المعاصي، وفعلهم الطاعات، فلما

انتفى السخط عنهم والعذاب، ثبت

لهم الرضا من الله، والثواب العظيم،

في ظلال ظليل، من كثرة الأشجار

والفواكه، وعيون سارحةٍ، تجري من

تحتهم الأنهار، يفجرونها تفجيراً في

جنات النعيم.

CA CHURCH STRUCK

وَأَنْ لَاتَمَا لُوا عَلَ اللَّهِ إِنَّ يَاتِيكُم بِسُلْطُن ثُيبٍ ۞ قَانِي

عُنْتُ يَرَقِ وَرَبِّكُواْن تَرْجُمُونِ ۞ وَإِن لَوْ أُوْمِنُوالِ مَلْتَازَلُونِ

﴿ فَدَعَارَتُهُ وَأَنْ هَلَوُلآ وَقُومٌ تُخْدِيمُونَ ۞ فَأَسْرِهِمَادِي لَيْلاً

إِنَّكُمْ مُّنَّدَبَعُونَ ۞ وَاتَّرُاكِ ٱلْبَحْرَوَهُوًّا إِنَّهُمْ جُنَّدُمُّ فَوْرَقُونَ

﴿ كَوْتَرَكُّوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونِ ﴿ وَلَا مُعَ وَمَقَامِ كَيْدِ ﴿ وَمَعْ مَوَكَا فُولِهِ عَا فَكِهِ مِنَ ﴿ كَذَالِكُ وَأُورَ فَهُمَا فَوَمَّا

يَلْفَيِنَ ۞ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّكَلَّهُ وَالأَرْضُ وَمَا كَالْوَا

مُنظرين ﴿ وَلَقَدْ فَهَيْنَا بَنِيَ إِسْرَّهِ مِلْ مِنَ الْقَلَابِ لَلْهِينِ

۞ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيَا مِنَ ٱلْمُعْرِفِينَ ۞ وَلَمْنَكِ

ٱخْتَرَنَهُمْ عَلَى عِلْمِ عَلَ ٱلْعَمَالَمِينَ ۞ وَءَاتَبِنَكُمْ عِنَ ٱلْآيَاتِ مَافِيهِ

بَعَوْنِينَ ۞ إِذَ مَنْ لِكُمْ لِيَصْلِينَ ۞ إِذْ مِنَ الْإِمْوَتُكَا ٱلْأَلْكَ

وَمَا نَعَنُ مِمُنشَرِينَ ﴿ فَأَقُواْ بِعَابَا إِنَّا إِن كُنتُرْصِلَا قِينَ

किर्देशींत्रहें के के कि हो हैं।

المجرمين ٥ وَمَاخَلَقُنَا ٱلسَّمَلُونِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَتْنَهُمُنَا لَلِعِينَ

٥ مَا حَلَقَتَهُمُ مَا إِلَّا إِلْحَقِ وَلَكِنَ أَحْمَرُ وَلَا يَعْلَمُونَ ٥

أمين * في جنات وعيون * يلبسون

فأضاف الجنات إلى النعيم، لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم وسرور، كامل من كل وجه، ما فيه منغص ولا مكدر بوجه من الوجوه.

ولباسهم من الحرير الأخضر من السندس والإستبرق، أي: غليظ الحرير ورقيقه، عما تشتهيه أنفسهم، ﴿متقابلين﴾ في قلوبهم ووجوههم في كمال الراحة، والطمأنينة، والمحبة، والعشرة الحسنة، والآداب المستحسنة. ﴿كذلك﴾ النعيم التام والسرور الكامل ﴿ورُوجِناهم بحورِ عَينَ ﴾ أي: نساء جميلات، من جمالهن وحسنهن أنه

إحسان كثير، ظاهر منا عليهم، وحجة عليهم، على صحة ما جاءهم به نبيهم موسى عليه السلام.

﴿ ٣٤ _ ٣٧﴾ ﴿إن هــــــؤلاء ليقولون * إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين * فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * أهم خير أم قوم تبع والذين ٰ من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا محرمين في غير تعالى ﴿إن هُولاء ﴾ المكذبين يقولون مستبعدين للبعث والنشور : ﴿إنَّ هِي إلاَّ مُوتَّتَّنَّا الأُولَى وَمَا نحن بمنشرين﴾ أي: ما هي إلا الحياة الدنيا، فلا بعث ولا نشور، ولا جنة ولا نار، ثم قالوا متجرئين على ربهم، معجزين له _: ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنَّ كنتم صادقين، وهذا من اقتراح الجهلة المعاندين في مكان سحيق، فأي: ملازمة بين صدق الرسول ﷺ، وأنه متوقف على الإتيان بآبائهم؟ فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به، وتواترت تواتراً عظيماً من كل

قال تعالى: ﴿أهم خير﴾ أي: هؤلاء المخاطبون ﴿أَمْ قُومُ تُبُّعُ وَالَّذِينَ من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين﴾ فإنهم ليسوا خيراً منهم، وقد اشتركوا في الإجرام، فليتوقعوا من الهلاك ما أصَّاب إخوانهم المجرمين.

﴿٣٨ ـ ٤٢) ﴿وما خيليقنيا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين * يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون * إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم، يخبر تعالى، عن كمال قدرته، وتمام حكمته، وأنه ما خلق السماوات والأرض لعباً ولا لهواً أو سدى من غير فائدة، وأنه ما خلقهما إلا بالحق، أي: نفس خلقهما بالحق، وخلقهما مشتملٌ على الحق، وأنه أوجدهما ليعبدوه وحده لا شريك له، وليأمر العباد وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ فلذلك لم يتفكروا في خلق السماوات والأرض.

原创新。 《新斯斯斯》 》 إِنَ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَانَعُمُ أَجْمَعِينَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْفِي مَوْلًى عَن مَوْلَى شَيْعًا وَلَاهُمْ يُنصِرُونَ ﴿ إِلَّا مَن رَجِيمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَالْمَسَنِيزُ الرَّحِيدُ ۞ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّفُّومِ ۞ مَلَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۞ كَالْهُلْ يَعْلَى فِالْطُوبِ ۞ كَفَلُ الْحَيدِهِ ۞ خُذُوهُ فَأَعَيْدُ أُوهُ إِلَّا سَوَّلَهِ ٱلْجَدِيدِ ۞ ثُعَرَّمُبُواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَيِسِيدِ ۞ ذُقُ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْمَنْ يُزُالُكَيْمُ ۞ إِنَّ هَلَامًا كُنتُم بِهِ عَتَمُونَ ۞ إِذَا أَكْنَةِ وَرَفِي مَفَى الرَّامِينِ ۞ فِ جَنَّتِ وَعُيُونِ ۞ يَلْتَسُوكَ مِن سُندُسِ وَاسْتَبْرَقِ مُنْفَلِيلِينَ ﴿ كَذَٰ لِكَ وَزَوَّجْنَهُم بِحُورِعِينِ ۞ يَدْعُونَ فِيهَابِكُلِ فَلَكِهَةٍ وَلِمِنِينَ ۞ لَايَدُوفُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَ ٱلْأُولَنَّ وَوَقَىنا مُزْعَذَابَ ٱلْجَرِيدِ ۞ فَضَلَا فِن زَّيْكَ ذَلِكَ هُوَالْفَوْزُالْعَظِيمُ ۞ فَإِنْتَمَايَشَرَنِكُهُ بِلِسَالِكَ لَمَا لَهُمْ يَتَاكَ مُرُونَ ١٥ فَارْتَقِبْ إِنْهُم مُرْتِكَفِهُونَ ٥

يحار الطرف في حسنهن، وينبهر العقل بجمالهن، وينخلب اللب لكمالهن، عين أي: ضخام الأعين حسانها.

﴿يدعون فيها ﴾ أي: الجنة ﴿بكل فاكهة ﴾ مما له اسم في الدنيا، ومما لا يوجد له اسم، ولا نَظير في الدنيا، فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة وأجناسها، أحضر لهم في الحال، من غير تعب ولا كلفة ، ﴿ أَمنين ﴾ من انقطاع ذلك، وآمنين من مضرته، وآمنين من كل مكدر، وآمنين من الخروج منها والموت، ولهذا قال: ﴿ لا يَلُوقُونَ فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ أي: ليس فيها موت بالكلية، ولو كان فيها موت يستثنى، لم يستثن الموتة الأولى، التي هي الموتة في الدنيا، فتم لهم كل محبوب مطلوب، ﴿ووقاهم عذاب الجحيم * فضلاً من ربك اي: حصول النعيم واندفاع العذاب عنهم، من فضل الله عليهم وكرمه، فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة، التي بها نالوا خير الآخرة، وأعطاهم أيضًا ما لم تبلغه أعمالهم، ﴿ذلك هُو الفوز العظيم﴾ وأي: فوز أعظم من نيل رضوان الله وجنته، والسلامة من عذابه وسخطه؟

﴿ فَإِنَّمَا يُسْرِنَاهُ أَي: القرآن ﴿بلسانك﴾ أي: سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها، فتيسر به لفظه، وتيسر معناه.

﴿لعلهم يتذكرون ﴾ ما فيه نفعهم فيفعلونه، وما فيه ضررهم فيتركونه.

﴿فارتقب﴾ أي: انتظر ما وعدك ربك من الخيير والنصر، ﴿إنهم مرتقبون، ما يحل بهم من العذاب، وفرق بين الارتقابين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدنيا والآخرة، وضدهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة.

> تم تفسير سورة الدخان، ولله الحمد والمنة

تفسير سورة الجاثية مكيــــة

﴿١١-١١﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم حتم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبث من دابةٍ آيات لقوم يوقنون * واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون * تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي: حديث بعد الله وآياته يؤمنون * ويل لكل أفاكِ أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم * وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزواً أولتك لهم عذاب مهين * من وراثهم جهنم ولاً يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم * هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم، يخبر تعالى خبراً يتضمن الأمر بتعظيم القرآن والاعتناء به، أنه ﴿تنزيل﴾ ﴿مَن اللهِ المألوه المعبود، لما اتصف به من صفات الكمال، وانفرد به من النعم، الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة، ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية، من خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من الدواب، وما أودع فيهما من المنافع، وما أنزل الله من الماء، الـذي يحيى به الله البلاد والعباد.

فهذه كلها آيات بينات، وأدلة

العظيم، وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضاً على ما لله تعالى من الكمال، وعلى البعث والنشور.

واضحات، على صدق هذا القرآن

ثم قسم تعالى الناس، بالنسبة إلى الانتفاع بآياته وعدمه، إلى قسمين:

قسم يستدلون بها، ويتفكرون بها، وينتفعون فيرتفعون، وهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، إيماناً تاماً، وصل بهم إلى درجة اليقين، فزكى منهم العقول، وازدادت به معارفهم وألبابهم وعلومهم .

وقسم يسمع آيات الله سماعاً تقوم به الحجة عليهم، ثم يعرض عنها ويستكبر، كأنه ما سمعها، لأنها لم تزك قلبه، ولا طهّرته، بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه.

وأنه إذا علم من آيات الله شيئاً اتخذها هزوأ، فتوعده الله تعالى بالويل فقال:

﴿ ويل لكل أفاك أثيم ﴾ أي: كذاب في مقاله، أثيم في فعاله.

وأخبر أنَّ له عذاباً أليماً، وأن ﴿من ورائهم جهنم تكفى في عقوبتهم البليغة .

وأنه ﴿لا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من الأموال ﴿ولا منا اتحدوا من دون الله أولياء ﴾ يستنصرون بهم فخذلوهم، أحوج ما كانوا إليهم لو نفعوا.

فلما بيَّن آياته القرآنية والعيانية، وأن الناس فيها على قسمين، أخبر أنَّ القرآن المشتمل على هذه المطالب العالية ، أنه هدى، فقال: ﴿هذا هدى ﴾ وهذا وصف عام لجميع القرآن، فإنه يهدي إلى معرفة ألله تعالى، بصفاته المقدسة، وأفعاله الحميدة، ويهدي إلى معرفة رسسلمه، وأوليائمه، وأعمدائمه، وأوصافهم، ويهدي إلى الأعمال الصالحة ويدعو إليها، ويبين الأعمال السيئة وينهى عنها، ويهدى إلى بيان الجزاء على الأعمال، ويبين الجزاء الدنيوي والأخروي، فالمهتدون اهتدوا به، فأفلحوا وسعدوا، ﴿والذين كفروا

بآيات ربهم﴾ الواضحة القاطعة، التي لا يكفر بها إلا من اشتد ظلمه، وتضاعف طغيانه، ﴿لهم عذاب من رجز أليم)

﴿١٢ _ ١٣﴾ ﴿ الله الذي سخَّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوأ من فضله ولعلكم تشكرون * وسخر لكم ما في السمأوات وما في الأرض جيعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ يخبر تعالى بفضله على عباده وإحسانه إليهم، بتسخير البحر لسير المراكب والسفن بأمره وتيسيره، ﴿لتبتغوا من فضله ﴾ بأنواع التجارات والمكاسب، ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله تعالى، فإنكم إذا شكرتموه، زادكم من نعمه وأثابكم على شكركم أجرأ

﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جيعاً منه ﴾ أي: من فضله وأحسانه، وهذا شامل لأجرام الـــــمــاوات والأرض، ولما أودع الله فيهما، من الشمس والقمر، والكواكب، والثوابت، والسيارات، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمرات، وأجناس المعادن، وغير ذلك عما هو معدُّ لمصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته، وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ وجملة ذلك أن خلقها وتدبيرها وتسخيرها، دال على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنعة، وحسن الخلقة، دالٌ على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة، دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصيصات والأشياء المتضادات، دليل على أنه الفعَّال لما يريد، وما فيها من المنافع، والمصالح الدينية والدنيوية، دليل على سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه، وبديع لطفه

وبره، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود، الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له، وأن رسله صادقون فيما جاؤوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة، لا تقبل ريباً ولا شكاً.

﴿ ١٤ _ ١٥) ﴿ قُلَ لَلَّذِينَ آمِنُوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون * من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق، والصبر على أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله، أي: لا يرجون ثوابه، ولا يخافون وقائعه في العاصين، فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون. فأنتم يا معشر المؤمنين، يجزيكم على إيمانكم، وصفحكم وصبركم، ثواباً جزيلاً، وهم إن استمروا على تكذيبهم فلا نِجِلَ بكم ما حل بهم من العذاب الشديد والخزي، ولهذا قال: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) .

﴿ ١٦ _ ١٧ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدُ آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي: ولقد أنعمنا على بني إسرائيل نعماً لم تحصل لغيرهم من الناس، وآتيناهم ﴿الكتابِ﴾ أي: التوراة والإنجيل، و ﴿ الحكم ﴾ بين الناس، و ﴿النبوة﴾ التي امتازوا بها، وصارت النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام، أكثرهم من بني إسرائيل، ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ من المآكل والمشارب والملابس، وإنزال المن والسلوى عليهم، ﴿وفضلناهم على العالمين ﴾ أي: على الخلق بهذه النُّعَم، ويخرج من هذا العموم اللفظي، هذه

CONTROL STRAIGH SEC بنــــــنافَوَالْغَيَالِيَحَمِي حَدَّ ۞ نَبْرِيلُ الْكِنْسِ مِنَ الْعَرَالْعَ بِيزِ الْعَيْدِ ۞ إِنَّ فِي السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ لَآيَنتِ لِلْمُؤْمِنِينَ۞ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُ مِن دَابَهُ عَلَيْتُ لِقَوْمِيُوفِوُنَ ۞ وَٱخْذِلَفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَاۤ أَذَلَ الْقَدُمِنَ السَّسَلَهِ مِن رِزْقِ فَأَحْيَابِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَمُونِهَا وَتَصِّرِيفِ ٱلرِّيَاحِ ءَايَتُ لِفَوْمِ يَعْقِلُونَ ۞ الْكَ مَالِنَتُ ٱللَّوَنَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَهَأَي حَدِيثٍ إِمَّدَ ٱللَّهِ وَهَ النِّنهِ مِنْوَمِنُونَ ۞ وَيُلِّ لَكِنِّ أَفَالِهِ أَيْدِ ۞ يَسْمَعُ مَا لِنَتِ ٱللَّهِ مُثْلَ عَلَيْهِ وَمُرْتَعِيرُمُ مُسْتَكَيِّرِ كَأَن أَرْتِهُ مَعْمَاً فَهَيْرَهُ بِعَدَابٍ أَلِيهِ ۞ وَإِذَا عَلِيْهِ مِنْ مَ إِيْلِنَا الْمَنْيَا أَغَنَدُهَا هُزُوًّا أُولَلَمِكَ لَمُتُوعَذَابُ مُّهِينُّ ۞ مِن وَلَآيِهِمْ جَهَنَّمْ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمُ مَا كَسَبُواْ شَيْعًا وَلَا مَا الْتَخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَّآةً وَلَكُمُّرُ عَذَا ثُ عَظِيدُ ﴿ لَمَا ا هُدَّى وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَنتِ رَبِّهِمَ لَكُمُ عَذَاتُ مِن رَجْزِ أَلِين مَاللَّهُ ٱلَّذِي مَخَّرَالُكُمُ ٱلْبَعْرَ لِنَعْرِي ٱلْمُثَلِّفُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَنْ هُولُينَ فَصْلِهِ ، وَلَمَ لَكُونَشُكُرُونَ ۞ وَيَخْرَ الْكُرُمَّافِ ٱلسَّمَوَتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضِ و عَيمَا مِنْهُ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآلِكَ لِلْكَوْتِ لِقَوْمِ يَنْفَحَكُرُونَ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

الأمة، فإنهم خير أمة أخرجت للناس.

والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة، فإن الله يقص علينا ما امتن به على بنى إسرائيل، وميزهم عن غيرهم، وأيضاً فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة، وغيرها من النعوت، قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة فضائل كثيرة، فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيمن على سائر الكتب السابقة، ومحمد على مصدق لجميع المرسلين.

﴿ و آتيناهم ﴾ أي: آتينا بني إسرائيل ﴿بينات﴾ أي: دلالات تبين الحق من الباطل ﴿من الأمر﴾ القدري الذي أوصله الله إليهم.

وتلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى عليه السلام، فهذه النعم التي أنعم الله بها على بنى إسرائيل، تقتضى الحال أن يقوموا بها على أكمل الوجوه، وأن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم، ولكن انعكس الأمر، فعاملوها بعكس ما يجب.

وافترقوا فيما أمروا بالاجتماع به، ولهذا قال: ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم العلم أي: الموجب لعدم

في أ: هذه الجملة غير واضحة وفيها شطب وتصويبه من: ب.

GALLER STRAIGH SO قُل لِلَّذِينَ عَامَنُوا يَغْ فِرُوا لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِي قَوْمًا يَمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٥ مَنْ عَيملَ صَلِيحًا فَلِتَفْسِيَّةِ وَمَنْ أَسَاةَ فَعَلَيْمًا ثُورُ إِلَى رَبِيكُمْ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَقَدْ مَالَيْنَا يَعِ إِسْرَهَ ال ٱلْكِنْبَ وَٱلْحُكُمُ وَٱلشُّبُوَّةَ وَلَاَقْتُكُمُ مِنَ ٱلْتَلِيَاتِ وَفَضَّلْنَاهُ عَلَىٰ الْعَلَمِينِ ۞ وَءَاتَيْنَهُم بِيَنَئْتِ مِنَ الْأَثْرِيُّ فَمَا الْخَسَلَقُوٓا إلَّامِنْ بَعْدِ مَاجَآءَ هُرُ ٱلْمِانُرُمَعْ يَايَعْنَهُمْ إِنَّ رَبُّكَ يَقْفِينِ بَيْنَهُمْ يَوْعَ ٱلْقِيْكَ مَدِيمَا حُكَاثُولُ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ ۞ ثُمَجَعَلْنَكَ عَلَ شَرِيعِكَ قِنَ ٱلأَشْرِفَاتَ عَهَاوَلَانَتَهِمْ أَهُوَآةَ ٱلَّذِيكَ لَايَعً لَمُوبَ ۞ إِنَّهُمُرْ لَن يُقْمُواْ عَنكَ مِنَّ ٱللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ ٱلظَّلَالِي رَبَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيكَ أَبُعْضُ وَالْعَدُولِيُّ ٱلْمُثَقِينَ ۞ هَنَذَابَعَتَنْ بِرُلِكَ إِن وَهُدَى وَيَحْدَمُ لِلْفَامِ يُوَفِنُونَ ۞ أَمْرَحَيبَ الَّذِينَ آجْتَرَجُوا السَّيِّمَاتِ أَن جَنَّلَعُمُ كَالَّذِينَ مَامَنُوا وَعَيِلُوا ٱلصَّلِاحَةِ سَوَّلَةً غَيَّا لَمُرْ وَمَمَانُهُمُّ وَّ سَآة مَا يَعْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ أَلَهُ السَّنَوَتِ وَالْرُونَ مَا تَحَى مُ وَلِنُجْزَىٰ كُلُ مُفْيِنِ مِا حَسَبَتْ وَهُمُ لَا يُظُلِّدُونَ ۞ TOLOROW ... MOROMO

الاختلاف، وإنما حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم على بعض، والظلم.

﴿إِن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيميز المحق من المبطل، والذي حمله عمل الاختلاف، الهوى أو غيره.

﴿١٨ ـ ١٩ ﴾ ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير، وتنهى عن كل شر، من أمرنا الشرعي ﴿ فاتبعها ﴾ فإن في اتباعها ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم، ولا ماشية خلفه، وهم كل من فرادته، فإنه من أهواء الذين خلعلمون ؛

﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾
أي: لا ينفعونك عند الله، فَيُحَصِّلُوا
لك الخير، ويدفعوا عنك الشر، إن
اتبعتهم على أهوائهم، ولا تصلح أن
توافقهم وتواليهم، فإنك وإياهم
متباينون، وبعضهم ولي لبعض ﴿والله ولي المتقين﴾ يخرجهم من الظلمات إلى
النور، بسبب تقواهم وعملهم بطاعته.

﴿٢٠﴾ ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ أي: ﴿هذا﴾ القرآن الكريم والذكر الحكيم ﴿بصائر للناس﴾ أي: يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس، فيحصل به الانتفاع للمؤمنين، والهدى والرحمة.

﴿لقوم يوقنون﴾ فيهتدون به إلى الصراط المستقيم، في أصول الدين وفروعه، ويحصل به الخير والسرور، والسعادة في الدنيا والآخرة، وهي الرحمة، فتزكو به نفوسهم، وتزداد به عقولهم، ويزيد به إيمانهم ويقينهم، وتقوم به الحجة على من أصر وعاند.

﴿٢١﴾ ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم وماتهم ساء ما يحكمون﴾ أي: أم حسب المسيؤون، المكثرون من الذنوب، المقصرون في حقوق ربهم.

﴿أَنْ نَجِعُلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمَلُوا الصالحات﴾ بأن قاموا بحقوق ربهم، واجتنبوا مساخطه، ولم يزالوا مؤثرين رضاه على هوى أنفسهم؟ أي: أحسبوا أن يحونوا ﴿سواء﴾ في الدنيا والآخرة؟ ساء ما ظنوا وحسبوا، وساء ما حكموا به، فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين، وخير العادلين، ويناقض العقول السليمة، والفطر المستقيمة، ويضاد ما نزلت به الكتب، وأخبرت به الرسل، بل الحكم الواقع القطعي، أن المؤمنين العاملين الصالحات، لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب، في العاجل والآجل، كل على قدر إحسانه، وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة، والعذاب والشقاء، في الدنيا والآخرة.

والعذاب والشقاء، في الدنيا والآخرة.

﴿ ٢٢﴾ ﴿ وخلق الله السماوات
والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما
كسبت وهم لا يظلمون ﴾ أي:
خسلسق الله السسماوات والأرض
بالحكمة، وليعبد وحده لا شريك له،
ثم يجازي بعد ذلك من أمرهم بعبادته،
وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة،
هل شكروا الله تعالى، وقاموا بالمأمور؟
أم كفروا، فاستحقوا جزاء الكفور؟

﴿ ٢٦ _ ٢٦﴾ ﴿ أَفِر أَبِتِ مِن اتَّخِذَ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون * وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يقول تعالى: ﴿أَفْرَأَيت ﴾ الرجل الضال الذي ﴿ اتَّخذ إله هواه ﴾ فما هويه سلكه، سواء كان يرضى الله أو يسخطه. ﴿وأضله الله على علم﴾ من الله تعالى، أنه لا تليق به الهداية، ولا يزكو عليها. ﴿وختم على سمعه﴾ فلا يسمع ما ينفعه ، ﴿وقلبه ﴾ فلا يعى الخير، ﴿وجعل على بصره غشاوة) تمنعه من نظر الحق، ﴿فمن يهديه من بعد اله ♦ أي: لا أحد بهديه، وقد سند الله عليه أبواب الهداية، وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله، ولكن هو ظلم نفسه، وتسبب لمنع رحمة الله عمليه ﴿أَفَّلَا تذكرون ما ينفعكم فتسلكونه، وما يضركم فتجتنبونه.

﴿وقالوا﴾ أي: منكرو البعث ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أي: إن هي إلا عادات، وجَرِيٌ على رسوم الليل والنهار، يموت أناس، ويحيا أناس، وما مات فليس بسراجع إلى الله، ولا مجازيه بعمله.

وقولهم هذا صادر عن غير علم ﴿إِن هم إِلا يظنون﴾ فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين، من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان.

إن هي إلا ظنون، واستبعادات خالية عن الحقيقة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَتَلَى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا اثتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ وهذا جراءة منهم على الله،

حيث اقترحوا هذا الاقتراح، وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآئهم و جاؤوهم بكل آية لم يؤمنوا، إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا وهم كذبة فيما قالوا، وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل، لا بيان الحق، قال تعالى: ﴿قل الله يجييكم ثم يمميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا يعلمون﴾ وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم، لعملوا له أعمالاً وتهيؤوا له.

السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون * وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابناً ينطق عليكم بألحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين * وأماً الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلي عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين * وإذاً قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين * وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون * وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين * ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوأ وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون * فللهِ الحمد رب السماواتُ ورب الأرض رب السعسالمين * ولسه الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ، يخبر تعالى عن سعة ملكه، وانفراده بالتصرف والتدبير في جميع الأوقيات، وأنه ﴿يَنُومُ تَنْقُومُ الساعة ﴾ ويجمع الخلائق لموقف القيامة، يحصل الخسار على المبطلين، الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكانت أعمالهم باطلة، لأنها متعلقة بالباطل، فبطلت في يوم القيامة، اليوم الذي تستبين به الحقائق، واضمحلت عنهم، وفاتهم الثواب، وحصلوا على

أليم العقاب.

ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة وهوله ليحذره العِبَاد، ويستعدله العُبَاد، فقال: ﴿وترى﴾ أيها الرائي للذلك اليوم ﴿كل أمة جاثية﴾ على ركبها خوفاً وذعراً، وانتظاراً لحكم الملك الرحن.

﴿كُلُّ أُمَّةً تَدْعَى إِلَى كَتَابِهَا﴾ أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى، وأمة عيسى كذلك، وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم، كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية، وهو معنى صحيح في نفسه ، عير مشكوك فيه، ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿كُلُّ أُمَّةً تدمى إلى كتابها ﴾ أي: إلى كتاب أعمالها، وما سطر عليها من خير وشر، وأن كل أحد يجازي بما عمله بنفسه، كقوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾.

ويحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية، ويدل على هذا قوله: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العذل، ﴿إِنَّا كُنَّا نستنسخ ما كنتم تعملون، فهذا كتاب الأعمال، ولهذا فصل ما يفعل الله بالفريقين فقال: ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إيماناً صحيحاً، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة، من واجبات ومستحبات، ﴿فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ التي محلها الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، والعيش السليم، ﴿ذُلُكُ هُو النَّفُورُ الْمُبِينَ﴾ أي: المُفَارُ والنجاة والربح، والفلاح الواضح البين، الذي إذا حصل للعبد، حصل له كل خير، واندفع عنه كل شر.

﴿وأما الذين كفروا﴾ بالله، فيقال لهم توبيخاً وتقريعاً: ﴿أَفَلَمْ تَكُنُ آيَاتِي تَتَلَى عَلَيْهِمَ عَلَى ما فيه صلاحكم، ونهتكم عما فيه ضرركم، وهي أكبر نعمة وصلت إليكم، لو

وفقتم لها، ولكن استكبرتم عنها، وأعرضتم، وكفرتم بها، فجنيتم أكبر جناية، وأجرمتم أشد الجرم، فاليوم تجزون ما كنتم تعملون، ويوبخون أيضاً بقوله: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم﴾ منكرين لذلك: ﴿ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقين﴾.

فهذه حالهم في الدنيا، وحال البعث الإنكار له، ورد قول من جاء به. قال تعالى: ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾ أي: وظهر لهم يوم القيامة عقوبات أعمالهم، ﴿وحاق بهم﴾ أي: نزل ﴿ما كانوا به يستهزؤون﴾ أي: نزل بهم العذاب، الذي كانوا في الدنيا يستهزؤون به وبوقوعه وبمن جاء به. في العذاب ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، ﴿وماواكم النار﴾ أي: هي مقركم ومصيركم، ﴿وما لكم من ناصرين﴾ ينصرونكم من عذاب الله، ويدفعون عنكم عقابه.

﴿ذلكم﴾ الذي حصل لكم من العذاب ﴿ب﴾ سبب ﴿أنكم اتخذتم آيات الله هزواً﴾ مع أنها موجبة للجد والاجتهاد، وتلقيها بالسرور والاستبشار والفرح.

﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ بزخارفها ولذاتها وشهواتها، فاطمأننتم إليها، وعملتم لها، وتركتم العمل للدار الباقية.

﴿فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ أي: ولا يمهلون، ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحاً.

﴿ فَلَلَهُ الْحَمدُ ﴾ كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه ﴿ رب السماوات ورب الأرض رب المالمين ﴾ أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق، حيث خلقهم ورباهم، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، ﴿ وله الكبرياء في السماوات والأرض ﴾ أي: له الجلال والعظمة والمجد.

فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال، ومحبته تعالى وإكرامه،

والكبرياء فيها عظمته وجلاله، والعبادة مبنية على ركنين، عبة الله، والذل له، وهما ناشتان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبرياته.

﴿وهو العزيز﴾ القاهر لكل شيء، ﴿الحكيم﴾ الـذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة، ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة.

تم تفسير سورة الجاثية، وله الحمد والنعمة والفضل

تفسير سورة الأحقاف مكيسة

(۱ - ۳) ﴿ بسم الله السرهسن الله الرحيم حَم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له، وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره، والإقبال على تدبر آياته، واستخراج كنوزه.

ولما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر والنهى، ذكر خلقه السماوات والأرض، فجمع بين الخلق والأمر، ﴿ أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرِ ﴾ كما قال تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن وكما قال تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتَّقُونَ # خلق السماوات والأرض بالحق، فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين، وخلق مساكنهم، وسخرلهم مافي السماوات وما في الأرض، ثم أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وأمرهم ونهاهم، وأخبرهم أن هذه الدار دار أعمال وعمر للعمال، لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها، وأنهم سينتقلون منها إلى دار الإقامة والقرار، ومبوطن الخبلود والبدوام، وإنسما أعمالهم التي عملوها في هذه الدار،

سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملاً موفراً.

وأقام تعالى الأدلة الدالة على تلك الدار، وأذاق العباد نموذجاً من الثواب والعقاب العاجل، ليكون أدعى لهم إلى طلب المحبوب، والهدا قال هنا: ﴿ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: لا عبثاً ولا سدى، بل ليعرف العباد عظمة خالقهما، ويستدلوا على كماله، ويعلموا أن الذي يعيد العباد بعد موتهم للجزاء، وأن خلقهما وبقاءهما مقدر إلى ﴿أجل مسمى﴾.

فلما أخبر بذلك _ وهو أصدق القائلين وأقام الدليل، وأنار السبيل أخبر _ مع ذلك _ أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضاً عن الحق، وصدوفاً عن دعوة الرسل، فقال: ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ وأما الذين آمنوا، فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم، وتلقوها بالقبول والتعظيم، فقازوا بكل خير، واندفع عنهم كل شر.

﴿٤ ٢٠ ﴿ قِلْ أَرأيتم ما تدعون من دون الله أرون ماذ اختلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتون بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين * ومن أضل بمن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي: ﴿قُلِ ﴾ لهؤلاء الذين أشركوا بالله، أوثاناً وأنداداً، لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، قل لهم _مبيناً عجز أوثانهم، وأنها لا تستحق شيئاً من العبادة _: ﴿ أرون ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات). هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئاً؟ هل خلقوا جبالاً؟ هل أجروا أنهاراً؟ هل نشروا حيواناً؟ هل

أنبتوا أشجاراً؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟

لا شيء من ذلك، بإقرارهم بأنفسهم، فضلاً عن غيرهم، فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله، فعبادته باطلة.

ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي، فقال: ﴿ائتون بكتاب من قبل هذا﴾ الكتاب يدعو إلى الشرك، ﴿أُو أَثَارَةُ مِن عِلْمِ﴾ موروث عن الرسل يأمر بذلك. من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم، ونهوا عن الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم، قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ وكل رسول قال لقومه: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ فعلم أن جدال المشركين في شركهم، غير مستندين فيه على برهان ولا دليل، وإنما اعتمدوا على ظُنون كاذبة، وآراء كاسدة، وعقول فاسدة.

يدلُك على فسادها استقراء أحوالهم، وتتبع علومهم وأعمالهم، والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته، هل أفادهم شيئاً في الدنيا أو في الآخرة؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة أي: مدة مقامه في الدنيا، لا ينتقع به بمشقال ذرة، ﴿وهم عن دعائهم في غافلون لا يسمعون منهم دعاء، ولا يجيبون لهم نداء، هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء لهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعضاً ويتبرأ بعضهم من

﴿٧ ـ ١٠ ﴾ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بيناتِ قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحرٌ مبين * أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم * قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما

يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين * قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين أي: وإذا تتلى على المكذبين ﴿آياتنا بينات﴾ بحيث تكون على وجه لا يمتري بها، ولا يشك في وقوعها وحقهال لم تفدهم خيراً، بل قامت عليهم بذلك الحجة، ويقولون من إفكهم وافتراثهم ﴿للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ﴿ أي: ظاهر لا شك فيه، وهذا من باب قلب الحقائق، الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول، وإلا فبين الحق الذي جاء به الرسول على الله وبين السحر من المنافاة والمخالفة، أعظم مما بين السماء والأرض، وكيف يقاس الحق_ الذي علا وارتفع ارتفاعاً على الأفلاك، وفاق بضوئه ونوره نور الشمس، وقامت الأدلة الأفقية والنفسية عليه، وأقرت به وأذعنت أولو البصائر والعقول الرزينة _ بالباطل الذي هو السحر، الذي لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس، خبيث العمل؟! فهو مناسب له وموافق لحاله، وهل هذا إلا من البهرجة؟

﴿أُم يقولون افتراه ﴾ أي: افترى محمد هذا القرآن من عند نفسه، فليس هو من عند الله.

﴿قُلُ لِهِم: ﴿إِنَّ افْتُرِيتُهُ فَاللَّهُ على قادر وبما تفيضون فيه عالم، فكيف لم يعاقبني على افتراثي الذي زعمتم؟

فهل ﴿ تملكون لِي من الله شيئاً ﴾ إن أرادني الله بسضر، أو أرادني بسرحمة ﴿كفي به شهيداً بيني وبينكم) فلو كنت متقولاً عليه، لأخذ منى باليمين، ولعافيني عقاباً يراه كل أحدً، لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولاً، ثم دساهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة الحق ومخاصمته، فقال: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ أي: فتوبوا إليه، وأقلعوا عما أنتم فيه، يغفر لكم ذنوبكم، ويرحمكم، فيوفقكم للخير، ويثيبكم جزيل الأجر.

﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾ أي: لست بأول رسول جاءكم، حتى تستغربوا رسالتي وتستنكروا دعوتي، فقد تقدم من الرسل والأنبياء من وافقت دعوي دعوتهم، فلأي: شيء تنكر رسالتي؟ ﴿وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم الى: لست إلا بشراً، ليس بيدي من الأمر شيء، والله تعالى هو المتصرف بي وبكم، الحاكم على وعليكم، ولست الآق بالشيء من عندي، ﴿وما أنا إلا نذير مبين ﴾ فإن قبلتم رسالتي، وأجبتم دعوت، فهو حظكم ونصيبكم في الدنيا والآخرة، وإن رددتم ذلك على فحسابكم على الله، وقد أنذرتكم، ومن أنذر فقد

﴿قُلُ أُرأيتم إِنْ كَانَ مِنْ عَنْدُ اللهُ وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم أي: أخبرون، لو كان هذا القرآن من عند الله، وشهد على صحته الموفقون من أهل الكتاب، الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق، فأمنوا به واهتدوا، فتطابقت أنباء الأنبياء وأتباعهم النبلاء، واستكبرتم أيها الجهلاء الأغبياء، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ ﴿إِن الله لا يهدى القوم الظالمين، ومن الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه.

﴿١١ ــ ١٢﴾ ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذلم بهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم * ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينفذر الفيسن ظلموا وبسرى للمحسنين أي: قال الكفار بالحق معاندين له، ورادِّين لدعوته: ﴿ لُو كَانَ خيراً ما سبقونا إليه ﴾ أي: ما سبقنا إليه المؤمنون، أي: لكنا أول مبادر به، وسابق إليه، وهذا من البهرجة في مكان، فأيُّ دليل بدل على أن علامةً الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟ هل هم أزكى نفوساً؟ أم أكمل عقولاً؟ أم الهدى بأيديهم؟ ولكن هذا الكلام الذي صدر منهم، يُعَزُّون به أنفسهم

CONTROL CONTROL OF أَفَرَة يْتَ مَنْ أَغَذَ إِلَهُ مُووَلُهُ وَأَضَلَهُ أَلَهُ كَالِي عِلْمِ وَخَلَمَ عَلَى سَمُعِهِ: وَقَلْهِهِ وَبَحَكَ عَلَى بَصَرِهِ عِشْلُوةً فَن بَهْدِيهِ مِن بُعْدِ اللَّهُ أَفَلا لَذَكُّونَ ۞ وَقَالُواْ مَاهِمَ إِلَّاحِيَا لَنَا ٱلدُّنْيَا ثَمُونُ وَغَيَا وَمَا يُمْلِكُنَّا إِلَّا الدَّهُرُّ وَمَا لَحُهُ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمِ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُونَ ۞ وَإِذَا تُتُلَّ عَلَيْهِمْ عَائِنُنَا يَتِنَابُ مَّأَكَانَ جُنَهُمُ إِلَّا أَنْ قَالُواْ اَتَنُواْ عَابَا بِسَأَإِن كُنْتُرْصَادِقِينَ ﴿ قُلِ الْقَدُيْجِيكُونُرْ يُسِنَّكُونُرُ يَجْمَعُكُولِكَ يَوْمِ ٱلْقِينَـعَةِ لَارْتِبَ فِيهِ وَلَكِنَ أَكْتُرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَبَقَومُمْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضُ وَيُومَ تَعُومُ ٱلسَّاعَةُ يُوْمِ إِنِيَعْ مَرُٱلْبُولُونَ۞ وَتَرَىٰ كُلُّ أَمْتُهُ سَائِينَةً ۚ كُلُّ أَمْتُو نُدُعَنَ إِلَى كِنْسِهَا ٱلْيُومَ تُحْرَفُنَ مَا كُمُتُو تَعْمَلُونَ۞ هَلِنَا كِنَبُنَا يَطِقُ عَلَيْكُمْ بِأَنْحِقُ إِنَّاكُنَّا أَسْنَسِخُ مَاكُنُهُ تَعْمَلُونَ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصِّرْلِحَتِ فِيُدَخِلُّمُ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهُ مِذَالِكَ هُوَالْفَوْزُالْشِينُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَشَرُوٓا أَفَارَتَكُنْ اَيْتِي تُتَلَاعَلَيْكُوفَالْسَتَكُمْزَفَرُ وَكُنْدُ فَوْمَا أَخْرِينَ ۞ وَإِذَا فِيلَ إِنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَتُ لَارْبُ فِيهِ الْكُلُّمُ مَانَدْيِي مَا المُسَاعَةُ إِن نَظُنُ إِلَّا ظَنَّا وَمَا غَنُ يُسَتَيَعِنِينَ ۞ ON CORDE IN CORDE

بمنزلة من لم يقدر على الشيء، ثم طفق يذمه، ولهذا قال: ﴿وإذَّ لَمْ يَهْتُدُوا بِهُ فسيقولون هذا إفك قديم أي: هذا السبب الذي دعاهم إليه، أنهم لما لم يهتدوا بهذا القرآن، وفاتهم أعظم المواهب، وأجل الرغائب، قدحوا فيه بأنه كذب، وهو الحق الذي لا شك فيه، ولا امتراء يعتريه، الذي قد وافق الكتب السماوية خصوصاً، أكملها وأفضلها بعد القرآن، وهي التوراة التي أنزلها الله على موسى ﴿ إَمَامَا وَرَحُمَّهُۗ أي: يقتدي بها بنو إسرائيل، ويهتدون بها، فيحصل لهم خير الدنيا والآخرة.

﴿وهذا ﴾ القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ للكتب السابقة، شهد بصدقها، وصدِّقها، بموافقته لها، وجعله الله ﴿لساناً عربياً﴾ليسهل تناوله، ويتيسر تَذَكُّره، ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر والفسوق والعصيان، إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الوبيل، ويبشر المحسنين في عبادة الخالق، وفي نفع المخلوقين، بالثواب الجزيل، في الكنيا والآخرة، ويذكر الأعمال التي ينذر عنها، والأعمال التي يبشر بها.

﴿١٤ ــ ١٤﴾ ﴿إِن اللَّذِيسَ قَالُوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾أي: إن الذين أقروا بربهم، وشهدوا له بالوحدانية، والتزموا طاعته

وَكِدَ الْمُدْسَيَّاتُ مَا عَلَوْا وَعَاقَيْهِم مَا كَافَا لِمِيسَنَعْ وَعُنْ الْمُ وَلَيْكُمْ الْمَا وَمُنَا وَعَلَمُ الْمُوا الْمُوْسَالُمُ وَلَيْكُمْ الْمَائِمُ الْمُؤْمِنَا وَعَلَمُ الْمُؤْمِنَا وَعَلَمُ الْمُؤْمِنَا وَعَلَمُ الْمُؤْمِنَا وَعَلَمُ اللّهُ وَهُوَ اللّهُ وَهُوَ اللّهُ وَعُمْ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعِلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعِلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعِلَمُ اللّهُ وَعِلَمُ اللّهُ وَعِلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعَلَمُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ اللّهُ وَعَلّمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ وَعِلْمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

مِا فَمَا التَّمْ التَّحْدِ

SO BENEZO SERBER

وداموا على ذلك، و ﴿استقاموا﴾ مدة حياتهم ﴿فلا خوف عليهم﴾ من كل شر أمامهم، ﴿ولا هم يجزنون﴾ على ما خلّفوا وراءهم، ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ أي: أهلها الملازمون لها، النين لا يبغون عنها حولاً، ولا يريدون بها بدلاً، ﴿خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ من الإيمان بالله، المقتضي للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها.

﴿١٥ ـ ١٦﴾ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرهأ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتيي إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإن من السلمين * أولَّتك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كأنوا يوعدون﴾ هذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين، أن وصَّى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف، والكلام اللين، وبذَّل المال والنفقة، وغير ذلك من وجوه الإحسان.

ثم نبّه على ذكر السبب الموجب لذلك، فذكر ما تحملته الأم من ولدها

وما قاسته من المكاره وقت حملها، ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة، ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانة، وليست المذكورات مدة يسيرة، ساعة أو ساعتين، وإنما ذلك مدة طويلة قدرها فلاثون شهراً في: للحمل تسعة أشهر ونحوها، والباقي للرضاع، هذا الغالب.

ويستدل بهذه الآية مع قوله: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، لأن مدة الرضاع ـ وهـى سنتان _ إذا سقطت منها السنتان، بقى ستة أشهر، مدة للحمل، ﴿حتى إِذَا بلغ أشده أي: نهاية قوته وشبابه، وكمال عقله، ﴿وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أي: ألهمني ووفقني ﴿أَن أَشَكُر نَعِمتُكُ التِي أَنْعُمتُ عَلَى وعلى والديُّ الله أي: نعم الدين، ونعم الدنيا، وشكره بصرف النعم في طاعة مسديها وموليها، ومقابلته مِنَّتَهُ، بالاعتراف والعجز عن الشكر، والاجتهاد في الثناء بها على الله، والنعم على الوالدين، نعم على أولادهم وذريتهم، لأنهم لا بدأن ينالهم منها ومن أسباسا وآثارها، خصوصاً نِعَم الدين، فإن صلاح الوالدين بالعلم والعمل، من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم.

﴿ وَأَن أَعمل صَالِحاً ترضاه ﴾ بأن يكون جامعاً لما يصلحه، سالماً عما يفسده، فهذا العمل الذي يرضاه الله ويقبله، ويثيب عليه. ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ لما دعا لنفسه بالصلاح، دعا للريته أن يصلح الله أحوالهم، وذكر أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم، لقوله: ﴿ وأصلح لي ﴾ .

﴿إِنِ تبت إليك﴾ من الـ نسوب والمعاصي، ورجعت إلى طاعتك ﴿وإِنِ مِن المسلمين﴾.

﴿أُولِئكُ﴾ الذين ذكرت أوصافهم ﴿الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ وهو الطاعات، لأنهم يعملون أيضاً

غيرها. ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم ﴾ في جملة ﴿أصحاب الجنة ﴾ فحصل لهم الخير والمحبوب، وزال عنهم الشر والمكروه.

﴿وعد السهدق الذي كسانسوا يسوعدون﴾ أي: هذا السوعد الذي وعدناهم هو وعد صادقٌ من أصدق القائلين، الذي لا يخلف الميعاد.

﴿٧١ – ١٩﴾ ﴿والذي قال لوالديه أفّ لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين * أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين * ولكل درجات نما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴾ ذكر حال العاق، وأنها شر الحالات، فقال: ﴿والذي قال لوالديه ﴾ إذ دعواه الجزاء.

وهذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما، أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية، وفلاحه السرمدي، فقال: ﴿أَفَ لَكُما﴾ أي: تباً لكما ولما جنتما به.

ثم ذكر وجه استبعاده وإنكاره لذلك فقال: ﴿ أَتعدانني أَنْ أَخْرِجٍ ﴾ مِنْ قبري إلى يوم القيامة ﴿وقد خلت القرون من قبلي على التكذيب، وسلفوا على الكفر، وهم الأثمة المقتدى بهم لكل كفور وجهول ومعاند؟ ﴿وهما﴾ أي: والداه ﴿يستخيشان الله ﴿ عليه ، ويقولان له: ﴿ويلك آمن﴾ أي: يبذلان غاية جهدهما، ويسعيان في هدايته أشد السعى، حتى إنهما _ من حرصهما عليه _أنهما يستغيثان الله له، استغاثة الغريق، ويسألانه سؤال الشريق، ويعذلان ولدهما، ويتوجعان له، ويبينان له الحق، فيقولان: ﴿إِنَّ وعد الله حق﴾ ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما، وولدهما لا يزداد

إلا عتواً ونفوراً، واستكباراً عن الحق وقدحاً فيه، ﴿فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: إلا منقول من كتب المتقدمين، ليس من عند الله، ولا أوحاه الله إلى رسبوله، وكل أحد يعلم أن محمداً عِينَ أَمْنُ لا يكتب ولا يقرأ، ولا تعلم من أحد، فمن أين يتعلُّمه؟ وأنَّى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟ ﴿أُولِتُكُ الدِّينِ ﴾ بهذه الحالة الذميمة ﴿حقّ عليهم القول﴾ أي: حقت عليهم كلمة العذاب ﴿في ﴾ جلة ﴿أمم قد خلَّت من قبلهم من الجن والإنس﴾ على الكفر والتكذيب، فسيدخل هؤلاء

﴿إنهم كانوا خاسرين ﴾ والخسران فوات رأس مال الإنسان، وإذا فقد رأس ماله، فالأرباح من باب أولى وأحرى، فهم قد فاتهم الإيمان، ولم يحصلوا على شيء من النعيم، ولا سلموامن عذاب الجحيم ﴿ولكل﴾ من أهل الخير وأهل الشر ﴿درجات مما عملوا﴾ أي: كلُّ على حسب مرتبته من الخير والشر، ومنازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم، ولهذا قال: ﴿وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون، بأن لا يزاد في سيشأتهم، ولا ينقص من

في غمارهم، وسيغرقون في تيارهم.

﴿٢٠﴾ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبماكنتم تفسقون يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النارحين يوبخون ويقرعون، فيقال لهم: ﴿أَذَهِبِتُمْ طَيِبَاتُكُمْ فَي حياتكم الدنيا ، حيث اطمأننتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها، ورضيتم بشهواتها، وألهتكم طيباتها عن السعى لأخرتكم، وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من أخرتكم، ﴿فَالْيُومُ تَجْزُونَ عَذَابِ الْهُونِ ﴾ أي:

العذاب الشديد، الذي يهينكم ويفضحكم بما كنتم تقولون على الله غير الحق، أي: تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله، وإلى حكمه، وأنتم كذبة في ذلك، ﴿وبما كنتم تفسقون اي: تتكبرون عن طاعته، فجمعوا بين قول الباطل، والعمل بالباطل، والكذب على الله بسنبته إلى رضاه، والقدح في الحق، والاستكبار عنه، فعوقبوا أشد العقوبة.

﴿٢٦_٢١﴾ ﴿واذكر أخاعاد إذ أنذر قومه بالأحقاف) إلى آخر القصة(١) أي: ﴿واذكر﴾ بالثناء الجميل ﴿أَخَا عَادِ﴾ وهو هود عليه السلام، حيث كان من الرسل الكرام، الذين نضلهم الله تعالى بالدعوة إلى دينه، وإرشاد الخلق إليه.

﴿إِذْ أَنْكُر قُلُومُلُهُ وَهُمُ عَلَادُ ﴿بِالأَحقاف﴾ أي: في منازلهم المعروفة بالأحقاف، وهي: الرمال الكثيرة في أرض اليمن.

﴿ وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ فلم يكن بدعاً منهم ولا مخالفاً لهم، قائلًا لهم: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهُ إن أخاف عليكم عذاب يوم عظيم،

فأمرهم بعبادة الله، الجامعة لكل قول سديد وعمل حميد، ونهاهم عن الشرك والتنديد، وخوَّفهم -إن لم يطيعوه - العذاب الشديد، فلم تفد فيهم تلك الدعوة. ﴿قالوا أَجِنْتِنا لتأفكنا عن آلهتنا♦ أي: ليس لك من القصد، ولا معك من الحق، إلا أنك حسدتنا على آلهتنا، فأردت أن تصرفنا

﴿ فَأَتِنَا بِمَا تَعَدُنَا إِنْ كُنْتُ مِنْ الصادقين﴾ وهذا غاية الجهل والعناد. ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعُلَّمُ عَنْدُ اللَّهُ ۖ فَهُو الَّذِي بيده أزمة الأمور ومقاليدها، وهو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء . ﴿وأبلغكم ما أرسلت به ﴿ أي: ليس على إلا البلاغ المبين، ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة، فأرسل الله عليهم

CA CINCA STREET وَلِذَا حُيْرَالْنَاسُ كَانُوا لَمُرَّأَعْدَاءُ وَكَانُوا بِمِادَتِهِمْ كَنْفِيتَ ۞ وَإِذَا أَتُنْلَ عَلَيْهِمْ ءَالِنَفُنَا بَيْنَتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَمْ وَالْمُعَقِّ لَلَّجَلَّهُمُ هَننَاسِ مَرْمُهِينً ۞ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّيْهُ قُلُ إِن ٱفْرَيْتُهُ فَلا تَلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَأَعَلَرُ بِمَا تَفْيِضُونَ فِيوً كَفَلَ بِهِ مَشْهِيدًا بَيْنِي وَيَيْنَكُمُّ وَهُوَالْفَغُورُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْ مَاكُنتُ بِنْعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ فِي وَلَابِكُمُّ إِنَّ أَيْمُ إِلَّا مَا وُفَقَ إِنَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرُهُم بِنَّ ۞ قُلْ أَرَهَ يُشَرُّ إِن كَانَ مِنْ عِندِاللَّهِ وَكَفَرْتُهُ مِهِ وَشَهِدَ شَلِهِدُ مِنْ بَنِيَ إِسْرَةَ مِلَ عَلَى مِشْلِهِ مِفَعَامَنَ وَٱسْتَكْبَرَيْتُمَّ إِنَّالَةَ لَايَعْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْكَانَ خَيْرًا مَاسَتَبَغُونَاۤ إِلَيْهُ وَاذَ لَزِيَهُ تَدُواْ بِهِ مَسَيَقُولُونَ هَلَآ إِفْكُ قَلِيرٌ ۞ وَمِن قَبَلِهِ حَكِنَّا مُوتَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَحَلَا كِنْتُ مُصَدِقً لِكَانًا عَرَبَيًا لِيُنْ ذِرَا لَذِينَ ظَلَتُواْ وَبُشْرَهَا لِلْمُحْسِيْنَ ۞ لِذَا لَيْرِبَ قَالُواْ رَبُّنَ اللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَلْتُواْ فَلَاخَوْقُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَعْزَلُونَ ۞ أُوْلَلِكَ أَمْكُ الْمُعَنَّةُ خَلِاير كِيْهَا جَازَةً كِمَاكُ أَوْلَهُ مَا لُونَاهُ ON ON ON ON ONE OF

العذاب العظيم، وهي الريح التي دمرتهم وأهلكتهم، ولهذا قال: ﴿فلما رأوه ﴾ أي: العذاب ﴿عارضاً مستقبل أوديتهم﴾ أي: معترضاً كالسحاب، قد أقبل على أوديتهم التي تسيل، فتسقى نوابتهم، ويشربون من آبارها وغُذرانها .

﴿قَالُوا﴾ مستبشرين: ﴿هَذَا عَارِضَ ممطرنا﴾ أي: هذا السحاب سيمطرنا.

قال تعالى: ﴿بل هو ما استعجلتم به ﴾ أي: هذا الذي جنيتم به على أنفسكم، حيث قلتم: ﴿ فَأَتِنَا بِمَا تَعَدِنَا إن كنت من الصادقين ﴿ ريح فيها عذاب أليم، ﴿تدمر كل شيء كم تمر عليه من شدتها ونحسها.

فسلطها الله عليهم ﴿سبع ليالِ وثمانية أيام حسوماً ، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ [﴿بأمررها﴾ أي: بإذنه ومشيئته]. ﴿فأصبحوالا يرى إلامساكنهم له قد تلفت مواشيهم وأموالهم وأنفسهم. ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ بسبب جرمهم وظلمهم، هذامع أن الله تعالى قد أدرُّ عليهم النعم العظيمة ، فلم يشكروه، ولا ذكروه، ولهذاقال: ﴿ولقدمكناهم فيما إن مكناكم فيه أي: مكناهم في الأرض، يتناولون طيباتها، ويتمتعون بشهواتها،

CO COLUMN CONTRACTOR OF THE PERSON OF THE PE وَوَضَيْنَا ٱلْإِنسَانَ عِلْمَيْهِ إِحْسَنَا حَمَلَتُهُ أُمُّهُ كُمُ هَا وَوَضَعَتْهُ كُرَهَأَ وَحَلْدُونِهِ صَلْدُ ثَلَاثُونَ شَهْرُّا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِغِنَ أَذْ أَشْكُرُ فِعْمَتَكَ ٱلْقَ أَفْمَتَ عَلَى وَكُلُ وَالدَى وَأَنْ أَعْسَلُ صَلِحًا زَضِينَهُ وَأَصْلِمُ لِي فِي نُرَيِّيَةً إِنْ تَنْتُ إِلَيْكَ مَا إِنْ مِنَ الْشَيادِينَ ۞ أُوْلَيْهِكَ ٱلَّذِينَ نَفَتِلُ عَنْهُمُ أَحْسَنَ مَاعِمُ أُواْ وَنَتَجَاوَزُعَن سَيْعَالِهِمْ فِي أَصْلَ ٱلْجَنَّةُ وَعُدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۞ وَٱلَّذِي ۚ قَالَ لِوَلِدَيْهِ أَنِي لَكُمَّا أَتَعِدَ إِنِيَّ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيَبِلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعُدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَعُولُ مَاهَانَا إِلَّا أَسَطِيرًا لأَوَّلِنَ ۞ أُوَلَئِكَ أَلْيِنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِي أَمِّي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ مِينَ أَنْهِنَ وَأَلْإِنِينَ إِنَّهُمْ كَافُوا حَيْدِينَ ۞ وَلِكُلِّ دَنَحَتْ عَمَاعَمِلُواْ وَإِنْ فِيهُمُ أَعْمَالُهُمْ وَهُرُلا يُظَامُونَ ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَلَتَرُوا عَلَ النَّارِ أَذْ هَبَ تُرَطِّيبَ تَكُونِ حَيَاتِكُوالدُّيْنَاوَاسْتَمْتَعَتَّرِيعَا فَٱلْوَعَجَّرَوْنَ عَذَابَ لَكُونِ إِيَّا كُنْةُ نَسْتَكْهِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَنْدِالْمُتِيِّ وَيَاكُنُهُ فَلَسُنُونَ ۞

وعمرناهم عمراً، يتذكر فيه من تذكر، ويعظ فيه المهتدي، أي: ولقدمكناعاداً كمامكناكم يا هؤلاء المخاطبون، أي: فلا تحسبوا أن مامكناكم فيه مختص بكم، وأنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئاً، بل غيركم أعظم منكم تمكيناً، فلم تخرعنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جنودهم من الله شيئاً.

﴿وجعلنالهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة أي: لا قصور في أسماعهم ولا أنهانهم، حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلاً منهم، وعدم تمكن ولكن العلم به، ولا خلل في عقولهم، ولكن التوفيق بيد الله. ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء لا قليل ولا كثير، وذلك بسبب أنهم ﴿يحدون بآيات الله الدالة على توحيده وإفراده بالعبادة.

﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه، ويستهزؤون بالرسل الذين حذروهم منه.

﴿٧٧ - ٢٨﴾ ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون * فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون على مشركي العرب وغيرهم، بإهلاك الأمم المكذبين، الذين هم حول ديارهم، بل كثير منهم في جزيرة

العرب، كعاد وشمود ونحوهم، وأن الله تعالى صرّف لهم الآيات، أي: نوّعها من كل وجه، ﴿لعلهم يرجعون﴾ عما هم عليه من الكفر والتكذيب، فلما لم يؤمنوا، أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، ولم تنفعهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء، ولهذا قال هنا: ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً الهة﴾ أي: يتقربون إليهم، ويتألهونهم لرجاء نفعهم.

﴿بل ضلوا عنهم﴾ فلم يجيبوهم، ولا دفعوا عنهم، ﴿وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ من الكذب، الذي يمنون به أنفسهم، حيث يزعمون أنهم على الحق، وأن أعمالهم ستنفعهم، فضلت وبطلت.

﴿ ٢٩ _ ٣٧ ﴾ ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما ين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله من عنداب أليم * ومسن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في رسوله محمداً إلى الخلق، إنسهم رسوله محمداً إلى الخلق، إنسهم وجنهم، وكان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة.

فالإنس، يمكنه عليه الصلاة والسلام دعوتهم وإنذارهم، وأما الجن، فصرفهم الله إليه بقدرته، وأرسل إليه فنفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا أي: وصى بعضهم بعضاً بذلك، فيهم فولوا إلى قومهم منذرين في نصحاً منهم لهم، وإقامة لحجة الله عليهم، وقيضهم الله معونة لرسوله وقي الجن.

﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ لأن كتاب موسى

أصل للإنجيل، وعمدة لبني إسرائيل في أحكام الشرع، وإنما الإنجيل متمم ومكمل ومغير لبعض الأحكام.

﴿مصدقاً لما بين يديه يهدي ﴾ هذا الكتاب الذي سمعناه ﴿إلى الحق ﴾ وهو الصواب في كل مطلوب وخبر، ﴿وإلى طريق مستقيم ﴾ موصل إلى الله، وإلى جنته، من العلم بالله، وبأحكامه الدينية، وأحكام الجزاء.

فلما مدحوا القرآن وبينوا محله ومرتبته، دعوهم إلى الإيمان به، فقالوا: ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله أي: السذي لا يسدعو إلا إلى ربه، لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه ولا هرى، وإنما يدعوكم إلى ربكم، ليثيبكم، ويزيل عنكم كل شر ومكروه، ولهذا قالوا: ﴿يغفر لكم من دنوبكم ويجركم من عذاب اليم وإذا أجارهم من العذاب الأليم، فما ثمّ بعد ذلك إلا النعيم، فهذا جزاء من أجاب داعى الله.

﴿ ومن لا يجب داعي الله على كل بمعجز في الأرض﴾ فإن الله على كل شيء قدير، فلا يضوته هارب، ولا يغالبه مغالب. ﴿ وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾ وأي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل، ووصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات، فأعرض واستكبر؟!!

﴿٣٣﴾ ﴿أولم يسروا أن الله السني خلق السسماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى منه تعلى على الإعادة بعد الموت، بما هو أبلغ منها، وهو أنه الذي خلق السماوات والأرض، على عظيمهما وإتقان خلقهما، من دون أن يكترث بذلك، ولم يَعْيَ بخلقهن فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم، وهو على كل شيء قدير؟!!

﴿ ٣٤ ــ ٣٥﴾ ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * فاصبر كما صبر أولو العزم والمستنطق المستنطق ا

ولا أَشْبَدُوْ وَلَا أَنْفِتُهُمْ وَنَ وَهِ إِلَّ كَالْفَالْمُعْمَدُونَ عَلَيْتِ الْفَوْسَالَةِ بِهِمِ مِنَاكُولُ الْمِيسَتِعَامُ وَنَ ۞ وَلَقَدْ الْمُلَكَ عَامَا وَلَكُونَ الْفَرْقِ وَمَرَقَا الْآيِنِ الْمَلْمُونِ وَاللهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ

والأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة، كانت الأعمال لأجلها باطلة.

وأما ﴿والذين آمنوا﴾ بما أنزل الله على رسله عموماً، وعلى محمد ﷺ خصوصاً، ﴿وعملوا الصالحات﴾ بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة.

﴿ كَفُر ﴾ الله ﴿ عنهم سيئاتهم ﴾ صغارها وكبارها، وإذا كُفُرت سيئاتهم، نجوا من عذاب الدنيا والآخرة. ﴿وأصلح بالهم﴾ أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيته، وأصلح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم : ﴿ اتبعوا الحق ﴾ الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر ﴿من ربهم الذي رباهم بنعمته، ودبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم، فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقى الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقية، باقياً ثوابها.

﴿كذلك ينضرب الله للناس أمثالهم ، حيث بين لهم تعالى أهل الخير وأهل الشر ، وذكر لكل منهم صفة يعرفون بها ويتميزون ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيً عن بينة ﴾ . إلى الدار الآخرة، ونعم الزاد والبلغة، زاد يوصل إلى دار النعيم، ويعصم من العذاب الأليم، فهو أفضل زاد يتزوده الخلائق، وأجل نعمة أنعم الله بها

﴿ فهل يهلك ﴾ بالعقوبات ﴿ إلا القوم الفاسقون ﴾ أي: الذين لا خير فيهم، وقد خرجوا عن طاعة ربهم، ولم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل.

وأعذر الله لهم وأنذرهم، فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم وكفرهم، نسأل الله العصمة.

آخر تفسير سورة الأحقاف، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة القتال، وهي مدنية

﴿١ - ٣﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم * والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم * ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين أمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم الهدا الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين وعقاب العاصين، والسبب في ذلك، ودعوة الخلق إلى الاعتبار بذلك، فقال: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴿ وهؤلاء رؤساء الكفر، وأثمة الضلال، الذين جمعوا بين الكفر بالله وآياته، والصد لأنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، التي هي الإيمان بما دعت إليه الرسل واتباعه.

فهؤلاء ﴿أَصَلَ ﴾ اللهَ ﴿أعمالهم ﴾ أي: أبطلها وأشقاهم بسببها، وهذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الله، أن الله جعل كيدهم في نحورهم، فلم يدركوا نما قصدوا شيئاً، وأعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها، أن الله سيحبطها عليهم، والسبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل، وهو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام والأوثان،

من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون في غير تعالى عن حال الكفار كانوا يكذبون بها، وأنهم يوبخون، كانوا يكذبون بها، وأنهم يوبخون، ويقال لهم: ﴿اليس هذا بالحق﴾ فقد حضرتموه وشاهدتموه عياناً؟ ﴿قالوا بلى وربنا﴾ فاعترفوا بذنبهم، وتبين كذبهم وربنا فاعترفوا العذاب بما كنتم تكفرون أي: عذاباً لازماً دائماً، كما كان كفركم صفة لازمة.

ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي السعزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم.

فامتثل ﷺ لأمر ربه، فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله، حتى رماة المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعاً بصده من المعاداة والمحاربة، وهو ﷺ لم يزل صادعاً بأمر الله، مقيماً على جهاد ألله، صابراً على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليماً.

وقوله: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أي: لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب، فإن هذا من جهلهم، ولا يحملك ما ترى من استعجالهم على أن تدعو الله عليهم بذلك، فإن كل ما هو آت قريب، و ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا﴾ في الدنيا ﴿إلا ساعة من نهار﴾ فلا يحزنك تمتعهم القليل وهم صائرون إلى العذاب الوبيل.

﴿بلاغ﴾ أي: هذه الدنيا، متاعها وشهواتها ولذاتها بلغة منغصة، ودفع وقت حاضر قليل.

أوهذا القرآن العظيم، الذي بَيُّنَا لكم فيه البيان التام، بلاغ لكم، وزاد

المنظامة ال

धारक्षाम् 🤻 🛊

MANAGE OF THE STATE OF THE STAT ﴿٤ ـ ٦﴾ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فإما منا بعدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنّة عرّفها لهم﴾ يقول تعالى _مرشداً عباده إلى ما فيه صلاحهم، ونصرهم على أعدائهم -: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا الحرب والقسال، فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى تثخنوهم وتكسروا شوكتهم وتبطلوا شرتهم، فإذا فعلتم ذلك، ورأيتم الأسر أولى وأصلح، ﴿ فَشَدُوا الوثاقَ ﴾ أي: الرباط، وهذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا، فإذا شد منهم الوثاق اطمأن المسلمون من هربهم ومن شرهم، فإذا كانوا تحت أسركم، فأنستم بالخياد بين المنّ عليهم، وإطلاقهم بلا مال ولا فداء، وإما أن تفدوهم بأن لا تطلقوهم حتى يشتروا أنفسهم، أو يشتريهم أصحابهم بمال، أو بأسير مسلم عندهم.

وهذا الأمر مستمر ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أي: حتى لا يبقى حرب، وتبقون في المسالة والمهادنة، فإن لكل حال فإن لكل حال حكماً، فالحال المتقدمة، إنما هي إذا

كان قتال وحرب.

فإذا كان في بعض الأوقات، لا حرب فيه لسبب من الأسباب، فلا قتل ولا أسر.

﴿ذَلَك﴾ الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، ومداولة الأيام بينهم، وانتصار بعضهم على بعض ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ فإنه تعلى على كل شيء قدير، وقادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبداً، حتى بييد المسلمون خضراءهم.

﴿ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ ليقوم سوق الجهاد، ويتبين بذلك أحوال العباد، الصادق من الكاذب، وليؤمن من آمن إيماناً صحيحاً عن بصيرة، لا إيماناً مبنياً على متابعة أهل الغلبة، فإنه إيمان ضعيف جداً، لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن والبلايا.

﴿ والذين قتلوا في سبيل الله ﴾ لهم ثواب جزيل، وأجر جميل، وهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم، لتكون كلمة الله هي العليا.

فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم، أي: لن يحبطها ويبطلها، بل يتقبلها وينميها لهم، ويظهر من أعمالهم نتائجها، في الدنيا والآخرة.

﴿سيهديهم﴾ إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة، ﴿ويصلح بالهم الي حالهم وأمورهم، وثوابهم يكون صالحاً كاملاً لا نكد فيه ولا تنغيص بوجه من الوجوه.

﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ أي: عرفها أولاً، بأن شوقهم إليها، ونعتها لهم، وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جلتها القتل في سبيله، ووفقهم للقيام بما أمرهم به ورغبهم فيه، شم إذا دخلوا الجنة، عرفهم منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم.

﴿٧- ٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويشبت أقدامكم * والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم * ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ هذا أمر منه

تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره.

وأما الذين كفروا بربهم، ونصروا الباطل، فإنهم في تعس، أي: انتكاس من أمرهم وخذلان.

﴿وأضلَ أعمالهم ﴾ أي: أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق، فرجع كيدهم في نحورهم، وبطلت أعمالهم التي يـزعـمـون أنهم يـريـدون بهـا وجه الله.

ذلك الإضلال والتعس للذين كفروا، بسبب أنهم ﴿كرهوا ما أنزل الله من القرآن الذي أنزله الله صلاحاً للعباد، وفلاحاً لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه، ﴿فأحبط أعمالهم﴾

﴿١١ ــ ١١﴾ ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كأن عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها * ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأنَّ الكافرين لا مولى لهم﴾ أي: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول على، ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة إلا وجدوا ما حولهم، قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر، فخمدوا، ودمَّر الله عليهم أموالهم وديارهم، بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان، أمثال هذه العواقب الوخيمة، والعقوبات الذميمة.

وأما المؤمنون، فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب.

﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا﴾

فتولاهم برحمته، فأخرجهم من

الظلمات إلى النور، وتولى جزاءهم

ونصرهم، ﴿وأن الكافرين ﴾ بالله

تعالى، حيث قطعوا عنهم ولاية الله،

وسدوا على أنفسهم رحمته ﴿لا مولى

لهم السلام، الى سبل السلام،

ولا ينجيهم من عذاب الله وعقابه،

بل أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من

النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب

وعملوا الصالحات جناتٍ تجرى من

تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون

ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى

لهم الذكر تعالى أنه ولى المؤمنين،

ذكر ما يفعل جم في الآخرة، من

دخول الجنات، التي تجري من تحتها

الأنهار، التي تسقى تلك البساتين

الزاهرة، والأشجار الناظرة المثمرة،

ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم،

ذكر أنهم وُكِلُوا إلى أنفسهم، فلم

يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات

الإنسانية، بل نزلوا عنها دركات،

وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها

ولا فضل، بل جُلُ همهم ومقصدهم

التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى

حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة

حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير

والسعادة، ولهذا كانت النار مثوى

لهم، أي: منزلاً معداً، لا يخرجون

﴿ ١٣﴾ ﴿ وكأين من قريةٍ هي أشد

قوةً من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم

فلا ناصر لهم﴾ أي: وكم من قرية من

قرى المكذبين، هي أشد قوة من

قسريستسك، فسي الأمسوال والأولاد

﴿أهلكناهم ﴿ حين كذبوا رسلنا،

ولم تفد فيهم المواعظ، فلم نجد لهم^(١)

ناصراً، ولم تغن عنهم قوتهم من

والأعوان، والأبنية والآلات.

منهاً، ولا يفتر عنهم من عذابها.

لكل زوج بهيج، وكل فاكهة لذيذة.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّ الله يدخل الذين آمنوا

النار هم فيها خالدون.

DESTRUCTION OF THE PROPERTY OF

بصيرة من أمر دينه، علماً وعملاً، قد علم الحق واتبعه، ورجا ما وعده الله لأهل الحق، كمن هو أعمى القلب، قد رفض الحق وأضله، واتبع هواه بغير هدى من الله، ومع ذلك، يرى أن ما هو عليه من الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين! وما أعظم التفاوت بين الطائفتين، أهل الحق وأهل الغيّ!(٢)

﴿١٥﴾ ﴿مثل الجنة التي وعد

﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ أي: غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاها، وأطيبها ريحاً، وألذها شرباً.

﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بحموضة ولا غيرها، ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴿ أَي: يلتذ به شاربه لذَّة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل. ﴿وأنهار من عسل مصفى ﴿ من

﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾ من

فكيف حال هؤلاء الضعفاء، أهل قريتك، إذ أخرجوك عن وطنك وكنبوك، وعادوك وأنت أفضل المرسلين، وخير الأولين والآخرين؟!

أليسوا بأحق من غيرهم بالإهلاك والعقوبة، لولا أن الله تعالى بعث رسوله بالرحمة والتأني بكل كافر و جاحد؟

[﴿١٤﴾ ﴿أَفِمِن كَانَ عِلَى بِينَةٍ مِن ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ أي: لا يستوي من هو على

المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهازٌ من لبن لم يتغير طعمه وأنهارٌ من خر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصَفّى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرةً من ربهم كمن هو خالدٌ في النار وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم﴾ أي: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة.

شمعه وسائر أوساخه.

حاقبال كالتخال تيند

الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَنْ مَبِيلِ أَمَّوا أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ ۞ وَالَّذِنَّ مَامَوُّا وَعَيلُواْ الصَّلِيحَتِ وَمَامَنُواْ مَا أَزَلَ عَلَى تُعَنَّدِ وَهُوَالْحَقُّ مِن زَبَهُمْ كُفَّرَ عَنْهُمْ سَيِنَانِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالْحَدُ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَقَرُوا ٱلْبَسُوا الْبَطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا النَّبَعُوا الْتَيَّ مِن زَّيَّهُمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الْعَهُ النَّاسِ أَمْنَالَهُمُ وَ وَإِذَا لَقِيمُ الَّذِينَ لَقَرُواْ فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَقَّمَانًا أَشْخَنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعَدُ وَإِمَّا فِلَهَ حَتَّى مَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْيَشَكَ ۗ أَلَّهُ لَآنَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِيَاكُواْبِعُصَ كُم يَغْضِ وَٱلَّذِينَ قُيلُوا فِي سَيِيلِ اللَّهِ فَلَن يُعِيلًا أَعْمَلَهُمْ ۞ سَيِّهِ وَعِمْ وَيُصْلِحُ بَلَكُونَ وَيُدِّحِلُهُمُ ٱلْحِنَّةَ عَرَقُهَا لَمُنْدَى يَتَأَيَّهَا ٱلَّذِينَ التَوْرَأ إِن نَصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرُكُرُ وَيُتَيِّتُ أَفْدَامَكُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَنَعْسَا المُتُوَاْمَتِلُ أَعْمَلَهُمْ ۞ ذَاكِ بَانْهُمُ كَيْهُواْمَا أَنزَلَاهَهُ فَأَخْبَطُ المَنلَفِة ٥ • أَفَلَتْ تَمِيرُ وأَفِي ٱلْأَرْضِ فِنَظُرُ وأَحَيْثَ كَانَ الله عَلَيْهُ ٱلَّذِينَ مِن تَبْلِهِ مُرَدِّتَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكُوْمِينَ أَمْثَالُهَا ۞ الله بالأالمة مول المين مامنوا وأذا أسكني ومول المدود

نخيل، وعنب، وتفاح، ورمان، وأترج، وتين، وغير ذلك مما لا نظير له في الدنيا، فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم.

ONOTON ON LONG TO

ثم قال: ﴿ومغفرة من ربهم﴾ يزول بها عنهم المرهوب، فأي: هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، وتضاعف عذابها، ﴿وسقوا﴾ ﴿ماء حميماً ﴾ أي: حاراً جداً، ﴿فقطع أمعاءهم﴾ .

فسبحان من فاوت بين الدارين والجزاءين، والعاملين والعملين.

﴿١٦ ــ ١٧﴾ ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم * والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم المقول تعالى: ومن المنافقين ﴿من يستمع إليك ﴾ ما تقول استماعاً، لا عن قبول وانقياد، بل معرضة قلوبهم عنه، ولهذا قال: ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم المستفهمين عما قلت، وما سمعوا، عما لم يكن لهم فيه رغبة ﴿ماذا قال آنفاً﴾ أي: قريباً، وهذا في غاية الذم لهم، فإنهم لو كانوا حريصين على الخيس اللقوا إليه

عذاب الله شيئاً.

في ب فلا تجد لهم ناصراً. (1)

زيادة من هامش ب بخط المؤلف _ رحمه الله _.

CONTRACTOR OF THE PROPERTY OF إِذَاللَّهُ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَبِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ يَجْدِي مِن تَحِيَّا الْأَنْهُرُّ وَالَّذِينَ لَقَرُولِيَتَمَنَّعُونَ وَيَأْكُلُونَكُمَانَأْكُولَالْتُعَدُّهُ وَالنَّادُمَثُوى لَمَنْدُ ۞ وَكَأَيْنِ مِن فَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ فُوَّةً مِن فَيَيْكَ ٱلْيَ ٓ لَمُزَحَلُكَ أَهۡ لَكُنَّهُمُ فَلَا نَامِرَ لِمَنْهِ۞ أَفَنَ كَانَ عَلَى يَشَوَ مِن زَيْهِ ، كَنْ زُوْرَ لَهُ سُوَّةً عَمَلِهِ ، وَأَنْبَعُوٓ أَهْوَلَهُ حُرْثُ مُثَلُّ الْمُنَدَّة ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُثَقُونَ فِيهَا أَنْهَ رُمِّن مَّلَهِ غَيْرِ السِن وَأَنْهَرُ مِن لَهِنِ لَمْ بَنَعَيْرَطَعْمُهُ وَأَفِعَارُهُنَّ خَرِلْنَوَ لِلشَّرِينَ وَأَنْهَزُهُنْ عَسَلِقُصَفٌّ وَلَمُنْرِفِهَا مِن كُلِّ ٱلنَّمَرُتِ وَمَغْفِرَةً فِن زَيِّهِمْ كَنْ هُوَخَلِا يُنْ ٱلْسَارِ وَسُقُوا مَلَةٌ جَيهُمَا فَقَطَعَ أَمْعَلَهُ هُرَ فَ وَمِنْهُم مِنْ يَسْتَحِعُ إِلَيْكَ حَنْنَ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوثُوا ٱلْمِكْرُ مَا ذَا قَالَ مَا لِغَنَّا أُوْلَئِكَ ٱلَّذِنَ مَنْمَ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ وَأَنَّبَهُوا أَهُوَلَتْهُ ﴿ وَٱلَّذِنَ ٱهْتَدَوْأَ زَلَا خُرْهُدَى وَءَالَىٰهُمُ لَقَوْنَهُمْ ﴿ فَعَلْ يَظُرُونِ } إلاالتاعة أن تأييهم بفتة فقد بتة أشريلها فالفي كالمبتقاتية وْحُرَيْهُمْ ﴿ مَاعْتُرَأَنْكُو إِلَهُ إِلَّا الْمُوْتَاتِ مُعْتَمِدُ لِيكَ وَالْمُؤْمِينِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْقَدُيْمُ لَمُ مُنْفَلِّحَكُمْ وَمَثْوَاكُونَ

أسماعهم، ورعته قلوبهم، وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه الحال، ولهذا قال: ﴿أُولْتُكُ الذِينَ طبع الله على قلوبهم﴾ أي: ختم عليها، وسد أبواب الخير التي تصل إليها بسبب اتباعهم أهواءهم، التي لا يهوون فيها إلا الباطل.

شم بين حال المهتدين، فقال: ﴿وَاللَّهِ الْمَعْدُولِ﴾ بالإيمان والانقياد، والنبع مدى ﴾ واتباع ما يرضي الله ﴿زادهم هدى ﴾ ﴿ وَاتاهم تقواهم ﴾ أي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر، فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح.

﴿ ١٨﴾ ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ أي: فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون ﴿ إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴾ أي: فجأة، وهم لا يشعرون ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ أي: علاماتها الدالة على قربها.

﴿فَاتَى لَهُم إِذَا جَاءَتُهُم ذَكْرَاهُم﴾
أي: من أين لهم، إذَا جَاءَتُهُم الساعة
وانقطعت آجالهم أن يتذكروا
ويستعتبوا؟ قد فات ذلك، وذهب
وقت التذكر، فقد عمروا ما يتذكر فيه
من تذكر، وجاءهم النذير.

ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت، فإن موت الإنسان قيام ساعته.

﴿١٩﴾ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله علم متقلبكم ومثواكم العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به _وهو العلم بتوحيد الله _ فرض عين علي كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائناً من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته (١)، فإنها توجب بذل الحامل الذي له كل حمد ومجد وجلال.

الشاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به وعبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على

ذلك، وتواطؤها عليه .

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً، ورأياً وصواباً، وعلماً _وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون _قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد _على تكرر الباطل والشبه _إلا نموا وكمالاً.

هــذا، وإن نــظــرت إلى الــدليل العظيم، والأمر الكبير ـ وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته ـ فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.

وقوله: ﴿واستغفر لذنبك﴾ أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب والعفو عن الجرائم.

﴿و﴾ استغفر أيضاً ﴿للمؤمنين والمؤمنات﴾ فإنهم _بسبب إيمانهم _ كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة.

ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأموراً بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يجب لهم من الخير ما

يحب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بمأ فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساويهم ومعايبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعاً تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

﴿والله يعلم متقلبكم ﴾ أي: تصرفاتكم وحركاتكم، وذهابكم ومجيئكم، ﴿ومثواكم الذي به تستقرون، فهو يَعْلمكم في الحركات والسكنات، فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه .

﴿٢٠ ــ ٢٣﴾ ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم *طاعة وقولُ معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم * فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم يقول تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ استعجالاً ومبادرة للأوامر الشاقة: ﴿لُولا نُزلت سورة﴾ أي: فيها الأمر

﴿فإذا أنزلت سورة محكمة ﴾ أي: ملزم العمل بها، ﴿وذكر فيها القتال﴾ الذي هو أشق شيء على النفوس، لم يثبت ضعفاء الإيمان على امتثال هذه الأوامر، ولهذا قال: ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت، من كراهتهم لذلك، وشدته عليهم .

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَّمْ تُرُّ إِلَّى الَّذِينَ قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾.

ثم ندبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم، فقال: ﴿فأولى لهم *طاعة

وقول معروف اي: فأولى لهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر المحتم عليهم، ويجمعوا عليه هممهم، ولا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم، وليفرحوا بعافية الله تعالى وعفوه.

﴿ فَإِذَا عَرْمُ الْأَمْرِ ﴾ أي: جاءهم الأمر جد، وأمر محتم، ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به، وبذل الجهد في امتثاله ﴿لكان خيراً لهم﴾ من حالهم الأولى، وذلك من وجوه:

منها: أن العبد ناقص من كل وجه، لا قدرة له إلا إن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

ومنها: أنه إذا تعلقت نفسه بالمستقبل، ضعف عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبل، أما الحال، فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبع للهمة، وأما المستقبل، فإنه لا يجيء حتى تفتر الهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

ومنها: أن العبد المؤمل للآمال المستقبلة، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألِّي الذي يجزم بقدرته، على ما يستقبل من أموره، فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هَمَّ به ووطن نفسه (١) عليه، فالذي ينبغي أن يجمع العبدهمه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويؤدى وظيفته بحسب قدرته، ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعيناً بربه في ذلك، فهذا حريٌّ بالتوفيق والتسديد في جميع أموره .

ثم ذكر تعالى حال المتولى عن طاعة ربه، وأنه لا يتولى إلى خير، بل إلى شر، فقال: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تنفسدوا في الأرض وتنقبط علوا أرحامكم أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتثال لأوامره، فثَمَّ الخير والرشد والفلاح، وإما إعراضٌ عن ذلك، وتولي عن طاعة الله، فما ثمَّ إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام.

﴿أُولِمُنكُ اللَّذِينَ ﴾ أفسدوا في

TO DESIGN WHEN THE PARTY NO. وَيَقُولُ الَّذِي عَامَنُوا لَوْ لَا نُزَلِّتْ سُورَةً فَإِذَا أَزِلْتْ سُورَةً للمُعْكَمَةُ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِيبَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يَظُرُونِ إِلَيْكَ نَظَرَ لِلْغَيْنِ عَلَيْهِ مِنَ لَكُونَ فَأَوْلَىٰ لَمُنْهِ مَناعَةً وَقُلِ مَعْدُوفٌ فَإِذَاعَنَ مَا لَأَمْرُ فَاوْصَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَ انْ خَيْرًا لَمُّنْهُ ۞ فَهَلْ عَسَيْتُمُ انْ تَوْلَيْمُ إِلَّا تُعْلِيدُواْ فِ الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُو ﴿ أُوْلَيْكَ الَّذِينَ لَمُنْ كُورُ اللهُ فَأَصَدَتُهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصِكَرَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَذَبُّونِ ٱلْفُرْمَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِ أَضَا لَٰكُمّا ۚ ۞ إِنَّا ٱلْبِيرِ ۖ ٱرْبَيْدُواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيِّ لَهُ مُرَالَهُ مَنْ الشَّيْطَانُ سَوِّلَ لَهُمْ وَأَسْلَ لَهُمْ ﴿ وَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرَجُواْ مَانَذُلُ اللهُ سَنْطِيعُكُونِ بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِمْرَادُهُمْ الله وَكَنْ مُن اللَّهُ الْمُلْتِهِ وَمُنْ مُواللَّهُ الْمُلْتِهِ عَلَى اللَّهُ الْمُلْتِهِ عَلَى اللَّهُ المُ وُجُومَهُ مُدُواَلِبَ مَرْضَرُ ۞ دَالِكَ بِأَلْهُمُ ٱلْبَحُوا مَا أَسْخَطَ الله وكرفوا يسون دُفاحبَط أَعْلَمُهُمْ ۞ أَمْ حَسِبَ اللَّذِيكَ فِي قُلُوبِهِم مِّرَضٌ أَن لِّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَلَنَا كُمَّرُ ۞ TO LEGISLON

الأرض، وقطعوا أرحامهم ﴿لعنهم الله بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله.

﴿فَأَصِمِهِم وَأَعْمَى أَبِصَارِهُم ﴾ أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلهم آذان، ولكن لا تسمع سماع إذعان وقبول، وإنما تسمع سماعاً تقوم به حجة الله عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يلتفتون بها إلى البراهين

﴿ ٢٤﴾ ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ أي: فهلا يتدبر هـؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدَلهم على كل خير، ولَحَذَّرهُم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفشدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبينٌ لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي: شيء تحذر، ولعرَّفهم بربهم، وأسماته وصفاته وإحسانه، ولشوِّقهم إلى الثواب الجزيل، ورهِّبهم من العقاب الوبيل.

﴿ أُم على قلوب أقفالها ﴾ أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت،

فلا يدخلها خير أبداً؟ هذا هو الواقع.

﴿٢٥ ــ ٢٨﴾ ﴿إِنَّ السَّدِيسَ ارتسَدُوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملي لهم * ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مأنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم * فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى والإيمان على أعقابهم إلى الضلال والكفران، ذلك لا عن دليل دلهم ولا برهان، وإنما هو تسويل من عدوهم الشيطان وتنزيين لهم، وإملاء منه لهم: ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾.

وذلك أنهم قد تبين لهم الهدى، فزهدوا فيه ورفضوه، و ﴿قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من المبارزين العداوة لله ولرسوله ﴿سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ أي: الذي يوافق أهواءهم، فلذلك عاقبهم الله بالضلال، والإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي.

﴿والله يعلم إسرارهم > فلذلك فضحهم، وبينها لعباده المؤمنين، لثلا يغتروا بها.

﴿فكيف﴾ ترى حالهم الشنيعة، ورؤيتهم الفظيعة ﴿إِذَا توفتهم

الملائكة للوكلون بقبض أرواحهم، ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم ﴿ بالمقامع الشديدة؟!

﴿ذلك﴾ العذاب الذي استحقوه ونالوه ﴿ب﴾ سبب ﴿أنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ من كل كفر وفسوق وعصيان.

﴿وكرهوا رضوانه ﴾ فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، ولا يدنيهم منه، ﴿فأحبط أعمالهم ﴾ أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه. ﴿٢٤ ـ ٣٧﴾ ﴿أم حسب الذين في

قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم * ولو شاء لأريناكهم فلمرفتهم بسيماهم * ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أحمالكم * ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم في يقول

تعالى: ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ من شبهة أو شهوة، بحيث تخرج القلب عن حال صحته واعتداله، أن الله لا يخرج ما في قلوبهم من الأضغان والعداوة للإسلام وأهله؟

هذا ظن لا يليق بحكمة الله، فإنه

لا بدأن يميز الصادق من الكاذب، وذلك بالابتلاء بالمحن، التي من ثبت عليها، ودام إيمانه فيها، فهو المؤمن حقيقة، ومن ردته على عقبيه فلم يصبر عليها، وحين أتاه الامتحان، جزع

وضعف إيمانه، وخرج ما في قلبه من الضغن، وتبين نفاقه، هذا مقتضى الحكمة الإلهية، مع أنه تعالى قال: ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم

بسيماهم أي: بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم. ﴿ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ أي:

لا بدأن يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات ألسنتهم، فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر ﴿ والله يعلم أعمالكم﴾

فيجازيكم عليها. ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده، وهو الجهاد في سبيل الله،

فقال: ﴿ولنبلونكم﴾ أي: نختبر إيمانكم وصبركم، ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقاً، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصاً في إيمانه.

﴿٣٢﴾ ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم﴾ هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها، من الكفر بالله، وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلاً إليه.

﴿وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى أي: عاندوه وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن جهل وغي وضلال، فإنهم ﴿لن يضروا الله شيئاً ﴾ فلا ينقص به ملكه.

﴿وسيحبط أعمالهم ﴾ أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب، لا تقبل لعدم وجود شرطها.

﴿٣٣﴾ ﴿يا أيها الله ين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو طاعته وطاعة رسوله في أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال الأمر، واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام المتاعة.

وقوله: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ يشمل النهي عن إبطالها بعد عملها، بما يفسدها، من مَنَّ بها وإعجاب، وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، ويحبط أجرها، ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من مفسداتها.

فمبطلات الصلاة والصيام والحج ونحوها، كلها داخلة في هذا، ومنهيً عنها، ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض، وكراهة قطع

النفل، من غير موجب لذلك، وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها، وإكمالها وإتمامها، والإتيان بها، على الوجه الذي تصلح به علماً وعملاً.

﴿٣٤ ـ ٣٥﴾ ﴿إِن السَّدِينَ كَسَرُوا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفارٌ فلن يغفر الله لهم * فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكُم﴾ هذه الآية والتي في البقرة قوله: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه، فقال هنا: ﴿إِن الذِّينِ كَفُرُوا﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ﴿وصدوا﴾ الخلق ﴿عن سبيل الله بتزهيدهم إياهم بالحق، ودعوتهم إلى الباطل، وتزيينه، ﴿ثم ماتوا وهم كفار﴾ لم يتوبوا منه، ﴿فَلَنْ يَغْفُرُ اللَّهُ لهم﴾ لا بشفاعة ولا بغيرها، لأنه قد تحتم عليهم العقاب، وفاتهم الثواب، ووجب عليهم الخلود في النار، وسدت عليهم رحمة الرحيم الغفار .

ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم، فإن الله يغفر لهم ويرحمهم، ويدخلهم الجنة، ولو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصدعن سبيله، والإقدام على معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحة، ولم يغلقها عن أحد، ما دام حياً متمكناً

وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافيهم، ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم.

ثم قال تعالى: ﴿فلا تهنوا﴾ أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي عليكم الخوف، بل اصبروا واثبتوا، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد، طلباً لمرضاة ربكم، ونصحاً للإسلام، وإغضاباً للشيطان.

ولا تدعوا إلى المسالة والمتاركة بينكم وبين أعدائكم، طلباً للراحة، ﴿و﴾

الحال أنكم ﴿أنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم ﴾ أي: ينقصكم ﴿أعمالكم ﴾ .

فهذه الأمور الثلاثة، كل منها مقتض للصبر وعدم الوهن كونهم الأعلين، أي: قد توفرت لهم أسباب النصر، ووعدوا من الله بالوعد الصادق، فإن الإنسان لا يهن إلا إذا كنان أذل من غيره وأضعف عدداً، وقوة داخلية وخارجية.

الشاني: أن الله معهم، فإنهم مؤمنون، والله مع المؤمنين، بالعون والنصر والتأييد، وذلك موجب لقوة قلوبهم، وإقدامهم على عدوهم.

الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئاً، بل سيوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصاً عبادة الجهاد، فإن النفقة تضاعف فيه، إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقال تعالى:

﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾.

فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده، أوجب له ذلك النشاط، وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب، فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب الله النشاط التام، فهذا من ترغيب الله لعباده، وتنشيطهم وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم.

(٣٦ - ٣٦) ﴿إنما الحياة الدنيا لعبّ ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم * إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم * ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل عن نفسه والله لغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل

قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهياً في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساكن والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبأ في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصى، حتى تستكمل دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولّت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا ﴾ بأن تؤمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد، وهو الذي ينبغي أن يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه، وهو مقصود الله من عباده رحمة بهم ولطفأ، ليثيبهم الثواب الجزيل، ولهذا قال: ﴿ وَإِن تَوْمِنُوا وَتَتَقُوا يَوْتُكُم أَجُورُكُم ولا يسألكم أموالكم﴾ أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم، ويعنتكم من أخذ أموالكم، وبقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصاً يضركم، ولهذا قال: ﴿إِنْ يِسَأَلُكُمُوهَا فَيَحَفُّكُمُ تبخلوا ويخرج أضغانكم﴾ أي: ما في قلوبكم من الضغن، إذا طلب منكم ما تكرهون بذله.

والدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها، أنكم تمتنعون منها، أنكم ﴿تدعون لتنفقوا في سبيل الله على هذا الوجه، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية.

﴿فمنكم من يبخل﴾ أي: فكيف لو سألكم، وطلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟ أليس من باب أولى وأحرى امتناعكم من ذلك.

ثم قال: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه واب الله عن نفسه واب الله تعالى، وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئاً.

فإن الله هو ﴿الغني وأنتم الفقراء﴾ تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم.

﴿ وَإِن تتولوا ﴾ عن الإيمان بالله وامتثال ما يأمركم به ﴿ يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ في التولي ، بل يطيعون الله ورسوله ، ويحبّون الله ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيّهَا الذِّينَ آمَنُوا مِن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يجبهم ويجبونه ﴾ .

تم تفسير سورة القتال، والحمد لله رب العالمين

(١-٣) ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً هذا الفتح المذكور هو صلح الحديبية، حين صد المشركون رسول الله على أمرها أن صالحهم رسول الله على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وعلى أن يعتمر من العام المقبل، وعلى أن من أراد أن يدخل في عهد قريش وحلفهم دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد رسول الله على وعقده فعل.

وبسبب ذلك لما أمن الناس بعضهم بعضاً، اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجل، وصار كل مؤمن بأي: محل كان من تلك الأقطار، يتمكن من ذلك، وأمكن الحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام، فلخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجاً، فلذلك سماه الله فتحاً، ووصفه بأنه فتح مبين أي: ظاهر جلي، وذلك لأن المقصود

في فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله، وانتصار المسلمين، وهذا حصل بذلك(١) الفتح، ورتب الله على هذا الفتح عدة أمور، فقال: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ وذلك _والله أعلم _بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرة، وبما تحمَّل على من تلُّك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من الرسلين، وهذا من أعظم مناقبه وكراماته على، أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ بإعزاز دينك، ونصرك على أعدائك، واتساع كلمتك، ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾ تنال به السعادة الأبدية، والفلاح

السرمدي.

﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ أي:
قوياً لا يتضعضع فيه الإسلام، بل
يحصل الانتصار التام، وقصع
الكافرين، وذلهم ونقصهم، مع توفر
قوى المسلمين ونموهم، ونمو

ثم ذُكر آثار هذا الفتح على المؤمنين، فقال:

وعدائم المومنين ليزدادوا إيماناً مع في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيماناً مع ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً * ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من عنها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيماً * ويعذب المنافقين والمنافقات والمسركين والمسركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدً لهم جهنم وساءت مصيراً .

يخبر تعالى عن مِنْتِهِ على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن

نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه، فالصحابة رضى الله عنهم لما جرى ما جرى بين رسول الله على والمشركين، من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، وحطَّ من أقدارهم، وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس، فلما صبروا عليها ووطَّنوا أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيماناً مع إيمانهم. وقوله: ﴿وللهُ جنود السماوات والأرض) أي: جميعها في ملكه، وتحت تدبيره وقهره، فلا يظن المشركون أن الله لا ينصر دينه ونبيه، ولكنه تعالى عليم حكيم، فتقتضى حكمته المداولة بين الناس في الأيام، وتأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر . ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم، فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين، أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات، ويزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات. ﴿ وكان ذلك ﴾ الجزاء المذكور للمؤمنين ﴿عند الله فوزاً عظيماً ﴾ فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين.

وأما المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، فإن الله يعذبهم بذلك، ويريهم ما يسوؤهم؛ وظنوا بالله الظنّ السوء، أنه لا ينصر دينه، ولا يُعلي كلمته، وأن أهل الباطل، ستكون لهم الدائرة على أهل الحق، فأدار الله عليهم ظنهم، وكانت دائرة السوء عليهم في الدنيا، المحادة لله ولرسوله، ﴿ولعنهم ﴾ أي: البعدهم وأقصاهم عن رحمته ﴿واعدُ لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾.

﴿٧﴾ ﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ كرر بماعاهدعليه الله فسيؤتيه أجرآ عظيماً ﴿ هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي (بيعة الرضوان) التي بايع الصحابة رضى الله عنهم فيها رسبول الله على أن لا ينفروا عنه، فهي عقد خاص، من لوازمه أن لا يفروا، ولو لم يبق منهم إلا القليل، ولو كانوا في حال يجوز الفرار فيها، فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم ﴿يبايعون الله ويعقدون العقد معه ، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: ﴿يد الله فوق أيديهم ﴾ أي: كأنهم بايعوا الله وصافحوه بتلك

المبايعة، وكل هذا لزيادة التأكيد

والتقوية، وحملهم على الوفاء بها،

ولهذا قال: ﴿فَمَنْ نَكُتُ﴾ فلم يف بما

عاهد الله عليه ﴿فإنما ينكِث على

نفسه ﴾ أي: لأن وبال ذلك راجع إليه،

وعقوبته واصلة له، ﴿ومن أوفي بما

عاهدعليه الله أي: أتى به كاملاً

موفراً، ﴿فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾

لا يعلم عظمه وقدره إلا الذي آتاه

﴿١١ _ ١٣﴾ ﴿سيسقسول لسك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إنْ أراد بكم ضراً أو أرادُ بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً * بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدآ وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً * ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيراً ﴾ يذم تعالى المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم الا طلبهم الاستغفار من رسول الله على يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم

الإخسار بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهما من الجنود، ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المذل، وأنه سينصر جنوده المنسوبة إليه، كما قال تعالى: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ ﴿وكان الله عزيزاً ﴾ أي: قوياً غالباً، قاهراً لكل شيء، ومع عزته وقوته فهو حكيم في خلقه وتدبيره، يجري على ما تقتضيه حكمته وإتقانه.

﴿٨ .. ٩ ﴾ ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً أي: ﴿إِنَّا أُرْسَلْنَاكُ أَيَّا الرسول الكريم ﴿شاهداً﴾ لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهداً على المقالات والمسائل، حقها وباطلها، وشاهدأ لله تعالى بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه، ﴿ومبشراً ﴾ من أطاعك وأطاع الله بالثواب الدنيوي والديني والآخروي، ومنذراً من عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ومن تمام البشارة والنذارة، بيان الأعمال والأخلاق التي يبشربها وينذر، فهو المبين للخير والشر، والسعادة والشقاوة، والحق من الباطل، ولهذا رتب على ذلك قوله: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله، المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور .

﴿وتعزروه وتوقروه﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم، ﴿وتسبحوه﴾ أى: تسبحوا لله ﴿بكرة وأصيلا ﴾ أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيسان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح لله والتقديس بصلاة أو غيرها.

﴿١٠﴾ ﴿إِن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفي

ON MIEN STREET إِنَّا فَتَنَا لَكَ فَعَالَمُهِينًا ۞ لِيَعْفِرَكَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنَّهِكَ وَمَا تَأْخُرَ وَيُنِمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَتِهْدِيكَ صِرَطَا مُسْتَقِيمًا ۞ وَمَعْمَرِكِ ٱللَّهُ تَضْرُاعَ رِزَّانَ هُوَالَّذِيَّ أَنْلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُرْمِينِ لِيَزْدَادُوٓ إِيمَنَامَمُ إِيمَنِهُمْ وَيقَوجُنُودُ ٱلسَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ أَيُنْ عَظِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُوْمِنَاتِ جَنَّتِ جَنْرِي مِن تَخِيهَا ٱلأَنْهَارُ خَلِينَ فِيهَا وَيُكَيِّرُ عَنَّهُ وَسَيِّعَاتِهِمُّ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَاللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ وَيُعَذِّبَ ٱلْتَنَفِقِينَ وَٱلْمُنَفِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَتِ ٱلظَّآلِينَ بألقوظنَّ التَقوَّ عَلَيْهِمْ دَآنِيرَةُ التَّقَ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَمَنَهُمْ وَأَعَدُ لَمُنْ حَهَا لَمْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ وَيِقْوجُونُهُ السَّمَوْنِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَنِيزَ حَكِمًا ۞ إِنَّ أَرْسَلْنَكَ شَهُمًا وَمُبَيْفَ رَاوَنَكِيدًا ٢٠ لِلْوَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الله وَمُعَاذِرُونُ وَفُولَا رُونُ وَلُمَانِهُ وَلُهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الل

بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفاً يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعاً لهم، لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء.

فظنوا ﴿أَن لَنْ يَنْقَلُّ الرَّسُولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبداً ﴾ أي: إنهم سيقتلون ويستأصلون، ولم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم، ويطمئنون إليه، حتى استحكم، وسببُ ذلك

أحدها: أنهم كانوا ﴿قوماً بوراً﴾ أي: هلكي، لا خير فيهم، فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم.

الثاني: ضعف إيمانهم ويقينهم بوعد الله، ونصر ديسه، وإعلاء كلمته، ولهذا قال: ﴿وَمِنْ لَمْ يَؤْمُنْ بِاللَّهُ ورسوله ﴾ أي: فإنه كافر مستحق للعقاب، ﴿فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ .

﴿١٤﴾ ﴿ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ أي: هو تعالى المنفرد بملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدرية، والأحكام الشرعية، والأحكام الجزائية، ولهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعية، فقال: ﴿يغفر لمن يشاء﴾ وهو من قام

THE PRINCIPAL OF THE PRINCIPAL PROPERTY OF THE PRINCIPAL إِنَّا ٱلَّذِرِ - ثِنَامُهُ ذَكَ إِنَّمَا لِنَابِعُهِ رَبِي أَفَّةَ مَدُّ أَقَّهُ فَ قَ أَسْدِيهُمُّ فَنَ لَكُنَ فَإِنَّمَا يَنكُنُ عَلَى نَفْسِيةً ، وَمَنْ أَوْفَى بَمَاعَهُ ذَعَلَيْهُ الله مَسَيُهُ فِيهِ أَخِرًا عَظِمًا ۞ سَيَقُولُ لِكَ ٱلْمُحَلِّفُهُ وَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَنَا أَمُوالُنَا وَأَهْلُونَا فَأَسْتَغَيْرَ لَنَا مُعُولُونَ بألْسِيَنهم مَّالَيْسَ في قُلُوبهم مُّ قُلْ فَرَن يَمْلِكُ لَكُم مِنَ لَكُو شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُرْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعَنَّا بَلْكَ أَنَّالُهُ عَاتَعَتَمَلُونَ حَيِيرًا ۞ بَلْ ظَنَنتُمُ أَن لَّهُ يَعَلِكَ ٱلْتَمُولُ وَٱلْقِمَةُ ذَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبِدَا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَلَمَتُمْ ظَلَّ ٱلتَّذِهِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ۞ وَمَن لَّمْ يُوْمِنُ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْحَيْفِينَ سَعِيرًا ۞ وَيَقُومُلُكُ ٱلْمُسْتَوَاتِ وَالأَرْضُ يَغْفِرُلُمَن يَشَكَّاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَكَّأَهُ وَكَالَاقَةُ عَغُورًا رَّحِيمًا ۞ سَيَقُولُ ٱلْمُحَلِّقُونَ إِذَا الطَّلَقَتُمُ إِلَّى مَعَالِمَة لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَلِّعْكُمُ مِيرُيدُونَ أَنْ يُبُولُوا كُلْمَ الله قُل لَن تَنْبَعُوناً كَذَالِكُو قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ غَنْمُ دُونَنَأ بَلْ كَافُوا لَا يَشْفَهُونَ إِلَّا قَلْ لَا ۞

CANDER TO LEGICAL بما أمره الله به ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ يمن تهاون بأمر الله، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رحيماً ﴾ أي: وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة والرحمة، فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين، ويتجاوز عن الخطائين، ويتقبل توبة التائبين، وينزل خيره المدرار، آناء الليل

﴿١٥﴾ ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ﴾ لما ذكر تعالى المخلفين وذمهم، ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية، أن رسول الله ﷺ وأصحابه إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها ليأخذوها، طلبوا منهم الصحبة والمشاركة، ويقولون: ﴿ ذَرُونَا نَتَبِعُكُمُ يُريدون﴾ بذلك﴿أن يبدلوا كلام الله﴾ حيث حكم بعقوبتهم، واختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم، شرعاً وقدراً. ﴿قُلُّ لَهُم ﴿لَن تُتَّبِّعُونَا كذلكم قال الله من قبل ﴿ إنكم محرومون منها بما جنيتم على أنفسكم، وبما تركتم القتال أول مرة.

﴿فسيقولون﴾ عيبين لهذا الكلام، الذي منعوا به عن الخروج: ﴿ بِلَّ تحسدوننا﴾ على الغنائم، هذاً منتهى علمهم في هذا الموضع، ولو فهموا

رشدهم، لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم، وأن المعاصي لها عقوبات دنيوية ودينية، ولهذا قال: ﴿بل كانوا لايفقهون إلا قليلاً .

﴿١٦ ـ ١٧﴾ ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً * ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حسرج ولاعسلي المريسض حسرتج ومسن يطع الله ورسوله يدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ومن يتولّ يعذبه عذاباً أليماً ﴾ لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله، ويعتذرون بغير عذر، وأنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة ولا قتال، بل لمجرد الغنيمة، قال تعالى متحناً لهم: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد اي: سيدعوكم الرسول ومن نياب منبابيه من الخلفاء الراشديين والأثمة، وهؤلاء القوم فارس والروم ومن نحا نحوهم وأشبههم. ﴿تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ أي: إما هذا وإما هذا، وهذا هو الأمر الواقع، فإنهم في حال قتالهم ومقاتلتهم لأولئك الأقوام، إذ كانت شدتهم وبأسهم معهم، فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية، بل إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يقاتلوا على ما هم عليه، فلما أثخنهم المسلمون، وضعفوا وذلوا، ذهب بأسهم، فصاروا إما أن يسلموا، وإما أن يبذُّلوا الجزية، ﴿فإن تطيعوا﴾ الداعي لكم إلى قستال هولاء ﴿يؤتكم الله أجراً حسناً﴾ وهو الأجر الذي رتبه الله ورسوله على الجهاد في سبيل الله ، ﴿وإن تتولوا كما توليتم من قبل ﴾ عن قتال من دعاكم الرسول إلى

ثم ذكر الأعذار التي يعذر بها العبد عن الحروج إلى الجهاد، فقال: ﴿ليس على الأعمى حرج ولاعلى الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ أي: في التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع.

﴿ومن ينظم الله ورسوله ﴾ في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ﴿ومن يتول﴾ عن طاعة الله ورسوله ﴿يعذبه عذاباً أليماً ﴾ فالسعادة كلها في طاعة الله، والشقاوة في معصيته و مخالفته .

﴿١٨ ـ ٢١﴾ ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه وكفّ أيدى النّاس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ يخبر تعالى بفضله ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول على تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة _ التي يقال لها «بيعة الرضوان» لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها «بيعة أها, الشجرة - أن رسول الله ﷺ كما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية فى شأن مجيئه، وأنه لم يجىء لقتال أحد، وإنما جاء زائراً هذا البيت، معظماً له، فبعث رسول الله ﷺ عشمان بن عفان لمكة في ذلك، فجاء خبر غير صادق، أن عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله ﷺ من معه من المؤمنين، وكانوا نحواً من ألف وخمس مئة، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفروا حتى قتاله، ﴿يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ ودلت يموتوا، فأخبر تعالى أنه رضي عن هذه الآية على فضيلة الخلفاء المؤمنين في تلك الحال، التي هي من الراشدين، الداعين لجهاد أهل البأس أكبر الطاعات وأجلّ القربات، ﴿فُعلم من الناس، وأنه تجب طاعتهم في ما في قلوبهم﴾ من الإيمان، ﴿فأنزلُ

قُلِ لِلْمُخَلِّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَسَتُدَّعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمِ أَوْلِي بَأْمِي شَدِيدِ تُعَيَّدُونَهُمْ أَوْلِيُسُونَ فَإِن تَعِلِيمُ إِيُّوْتِكُمُ أَمَّةُ أَجْدًا حَسَنَا فَإِن تَنَوَلُّوا كَمَا تُولُّتُ مِن قَبل يُعَدِّبُكُوعَذَاباً إليمًا ۞ لَيْسَ عَلَ ٱلْخَدَىٰ حَرَجٌ وَلَاعَلَ ٱلْأَعْدَىٰ حَرَجٌ وَلَاعَلَ الْمِينِ حَرَجٌ وَمَن يُطِع ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ يُدِّينُهُ حَنَّتِ تَحْدِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُوْمَن يَتُولُ يُعَلِيْهُ عَلَابًا أَلِيمًا ۞ • لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَعْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَيلِرَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَرْلَ ٱلْمَكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَلَبَهُمْ فَتَحَاقِيبًا ۞ وَمَعَاتَمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ أَنَّهُ عَزِيزًا لَحَكِمًا ۞ وَعَدَكُمُ القَهُ مَغَانِ رَكَيْدِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُوهَ لَذِهِ وَكُفَّتَ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنصَهُمْ وَإِنَّكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ مِرَمِلَا مُسْتَقِيبِمًا ۞ وَأُخْرَىٰ لَوَفَقِدِرُواْعَلَيْهَا فَدَ أَعَامَلَاللَهُ مِنَّا وَكَانَ أَنَّهُ عَلَاكُ إِنَّ مَنْ وَقَدِيدًا ۞ وَلَوْقَلَنْلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَتْتُوا لُولُوا الْأَبْلَزَنْمَ لِإِيجِدُونَ وَلِنَاوَلَانَهِ بِرَاقِ سُنَةَ إِلَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَدْ خَلَتْ مِن قِبْلُ وَلَن يَهِدَ لِلسُّنَّةُ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿

وليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن لا يتاليهم أذى، فلولا هولاء الرجال المؤمنون، والنساء المؤمنات، الذين لا يعلمهم المسلمون أن تطؤوهم فقتصيبكم منهم معرة بغير علم والمعرة: ما يدخل تحت قتالهم، من نيلهم بالأذى والمكروه، وفائدة أخروية، وهو: أنه ليدخل في رحمته من يشاء فيَمُنُ عليهم بالإيمان بعد الكفر، وبالهدى بعد الضلال، فيمنعكم من قتالهم لهذا

OSSOCIONO OU BORGEON

﴿لو تزيلوا﴾ أي: لو زالوا من بين أظهرهم ﴿لعلينا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ بأن نبيح لكم قتالهم، ونأذن فيه، وننصركم عليهم.

﴿٢٦﴾ ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ يقول تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ حيث أنفوا من كتابة "بسسم الله الرحمن السول الله ﷺ والمؤمنين إليهم في الل السنة، لئلا يقول الناس: «دخلوا مكة قاهرين لقريش»، وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية، لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت قلومهم ما أوجبت

بشارة من الله لعباده المؤمنين، بنصرهم على أعدائهم الكافرين، وأنهم لو قابلوهم ﴿لولوا الأدبار، ثم لا يجدون ولياً ﴾ يتولى أمرهم، ﴿ولا نصيراً ﴾ ينصرهم ويعينهم على قتالكم، بل هم مخذولون مغلوبون وهذه سنة الله في الأمم السابقة، أن جند الله هم الغالبون، ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾.

﴿٤٤ ـ ٢٥﴾ ﴿وهـ والسذى كـف

أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفر كم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً * هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلواً لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) يقول تعالى ممتناً على عباده بالعافية، من شر الكفار ومن قتالهم، فقال: ﴿وهو الذي كف أيديهم أي: أهل مكة وعنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ أي: من بعد ما قدرتم عليهم، وصاروا تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد، وهم نحو ثمانين رجلاً، انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة، فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكوهم، فتركوهم ولم يقتلوهم، رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم، ﴿وكان الله بما تعملونُ بصيراً﴾ فيجازي كل عامل بعمله، ويدبركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن.

ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال المشركين، وهي كفرهم بالله ورسوله، وصدهم رسول الله ومن زائرين معظمين، أن يأتوا للبيت الحرام وهم الذين أيضاً صدوا ﴿الهدي معكوفاً﴾ أي: عبوساً ﴿أن يبلغ محله﴾ وهو عل ذبحه وهو مكة، فمنعوه من الوصول إليه ظلماً وعدواناً، وكل هذه أمور موجبة وداعية إلى قتالهم، ولكن أمور موجة وداعية إلى قتالهم، ولكن أهل الإيمان بين أظهر المشركين،

السكينة عليهم شكراً لهم على ما في قلوبهم، زادهم هدى، وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم، ﴿وَاثَابِهم فَتَحَا قَرِيباً﴾ وهو فتتح خيبر، لم يحضره سوى أهل الحديبية، فاختصوا بخيبر وغنائمها، جزاءاً لهم، وشكراً على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته.

﴿ومغانم كثيرة يأخلونها وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ أي: له العزة والقدرة، التي قهر بها الأشياء، فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم وبين المؤمنين، ولكنه حكيم، يبتلي بعضهم ببعض، ويمتحن المؤمن بالكافر.

﴿وصدكم الله مغانم كشيرة تأخذونها ﴾ وهذا يشمل كل غنيمة غنيمه أخنمها المسلمين إلى يوم القيامة ، وفعجل لكم هذه ﴾ أي: فلا تحسبوها وحدها ، بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها ، ﴿و ﴾ المادوا الله إذ ﴿ كفُّ أيدي الناس ﴾ وعنكم ﴾ فهي نعمة ، وتخفيف عنكم . ﴿ ولتكون هذه الغنيمة ﴿ آلة

ولتحول العنيمة والعنيمة واله للمؤمنين ستدلون بها على خبر الله السادق، ووعده الحسق، وشواب للمؤمنين، وأن الذي قدرها سيقدر غيرها، وويهديكم بما يقيض لكم من الأسباب وصراطاً مستقيماً في من الإيمان والعمل.

﴿وأخرى ﴿ أي: وعدكم أيضاً غنيمة أخرى ﴿ لم تقدروا عليها ﴾ وقت هذا الخطاب ، ﴿قد أحاط الله بها ﴾ أي: هو قادر عليها ، وتحت تدبيره وملكه ، وقد وعدكموها ، فلا بد من وقوع ما وعد به ، لكمال اقتدار الله تعالى ، ولهذا قال : ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ .

A COMPANY OF THE PARTY OF THE P وَهُوَالَّذِي كُنَّ أَيْدِيَهُمْ عَنَكُو وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُم يَظُن مَكَّةً مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ أَلَّهُ بَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ هُدُالِّنِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكَمْ عَنِ ٱلْمَنْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَالْمُدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ عَِلَهُ مُولَوَ لَا يُجالُّهُ فَامُونَ وَنِسَلَّهُ مُّوْمِنَكُ لِّرْتَعَكُوهُمُ أَن تَطَعُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِنْهُمُ مَّعَكُمُ الْ بِغَيْرِعِلْمَ لِيُنْضِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِعَن يَشَكَأُهُ لَوْسَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَنَهُ وَامِنْهُ مُعَذَابًا ٱلِيمَّا۞ إِذْجَعَلَ ٱلَّذِينَ كَشَرُوا فِي قُلُوبِهِ مُرَاتِحِينَةً جَينَةً أَجَهِ لِلسَّةِ فَأَزَلْ اللَّهُ سَكِ اَنَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ حَكِيمَةً ٱلتَّغُويٰ وَحَكَانُوٓا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَحِكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِ شَىْءٍ عَلِيمًا ۞ لَقَدْ مَسَدَقَ أَفَةَ رَسُولَهُ ٱلرُّهُ سِسَا بِٱلْحُقُّ لَتَدْخُلُونَ لَلْسُجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآةً أَلَّهُ ءَامِنِينَ مُعَلِّقِينَ رُهُ وسَكُرُ وَمُقَيِّمِينَ لَا غَنَا فُرِثُ فَعَلِمُ مَا لَوْتَعُلُمُوا فِيْعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَشَا قِرِيبًا ﴿ حُوَالَٰذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ إِلْكُدُىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَانَى إِلَّهُ مَنْهِيدًا ۞ TO SERVICE OF LEASE OF من كثير من المعاصى، ﴿ فَأَنْزُلُ اللهُ سكّينته على رسوله وعلّي المؤمنين﴾ فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله،

الربهين.

﴿ والرمهم كلمة التقوي ﴾ وهي
﴿ له إله إلا الله وحقوقها، الزمهم
القيام بها، فالتزموها وقاموا بها،
﴿ وكانوا أحق بها ﴾ من غيرهم ﴿ و ﴾
كانوا ﴿ أهلها ﴾ الذين استأهلوها لما
يعلم الله عندهم وفي قلوب من
الخير، ولهذا قال: ﴿ وكان الله بكل
شيء عليما ﴾

والتزموا الشروط التي فيها تعظيم

حرمات الله ولو كانت ما كانت، ولم

يبالوابقول القائلين، ولا لوم

رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً * يقول تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وذلك أن رسول الله ولا أن رسول الله ولا أن رسول الله ولا أن رسول الله ولا أن وليا بالحق وذلك أن رسول الله ولا أن عن المدينة رؤيا ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجعوا من غير دخول لمكة، كثر في ذلك الكلام

منهم، حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ: ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: «أخبرتكم أنه العام؟ قالوا: لا، قال: «فإنكم ستأتونه وتطوفون به»، قال الله هنا: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ أي: لا بدمن وقوعها وصدقها، ولا يقدح في ذلك تأخر تأويلها، ﴿لتدخلن السجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين أي: في هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام، وأداتكم للنسك، وتكميله بالحلق والتقصير، وعدم الخوف، ﴿فعلم﴾ من المصلحة والمنافعُ ﴿ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك﴾ الدخول بتلك الصفة ﴿فتحاً قريباً ﴾ ولما كانت هذه الواقعة عما تشوشت

ومنفعتها، وهكذا سائر أحكامه الشرعية، فإنها كلها هدى ورحمة. أخبر بحكم عام، فقال: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ﴾ الذي هو العلم النافع، الذي يهدي من الضلالة، ويبين طرق الخير والشر.

بها قلوب بعض المؤمنين، وخفيت

عليهم حكمتها، فبين تعالى حكمتها

مرى بير والمسود ﴿وديسن الحسق﴾ أي: السديسن الموصوف بسالحسق، وهو السعدل والإحسان والرحمة.

وهو كل عمل صالح مُزَكَ للقلوب، مطهر للنفوس، مُربً للأخلاق، مُعُل للأقدار.

للاخلاق، مُغلِ للاقدار. ﴿ليظهره﴾ بما بعثه الله به ﴿على الدين كله﴾ بالحجة والبرهان، ويكون داعياً لإخضاعهم بالسيف والسنان.

رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين

والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم ﴿ أَشَدَاءَ عَلَى الكفار﴾ أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ﴿ رحماء بينهم ﴾ أي: متحابون متراحون متعاطفون، كالجسد الواحد، عب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخلق، وأما ركعاً سجداً ﴾ أي: وصفهم كثرة والسجود.

﴿يبتغون﴾ بتلك العبادة ﴿فضلاً من الله ورضواناً ﴾ أي: هنذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه.

﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ أي: قد أثرت العبادة _ من كثرتها وحسنها _ في وجوههم، حتى استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت إبالجلال]

ظواهرهم. ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿مثلهم في التوراة﴾ أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة هكذا.

وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم ﴿كزرع أخرج شطأه فآزه﴾ أي: أخرج فراخه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء.

﴿ فاستغلظ ﴾ ذلك الزرع أي: قوي وغلظ ﴿ فاستوى ﴾ ﴿ على سوقه ﴾ جمع ساق، ﴿ يعجب الزراع ﴾ من كماله واستوائه، وحسنه واعتداله، كذلك في نفعهم للخلق واحتياج الناس أيهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه،

كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلّظ، ولهذا قال: ﴿ليغيظ بهم الكفار، حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال.

﴿وعد الله اللذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) فالصحابة رضى الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوآزمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

ولنسق قصة الحديبية بطولها، كما ساقها الإمام شمس الدين ابن القيم في «الهدي النبوي»، فإن فيها إعانة على فهم هذه السورة، وتكلم على معانيها وأسرارها، قال_رحمه الله تعالى

فصل في قصة الحديبية

قال نافع: كانت سنة ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان. قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة على

وفي الصحيحين عن أنس، أن النبي ﷺ اعتمر أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، فذكر منهن عمرة الحديبية، وكان معه ألف وخمس مئة، هكذا في الصحيحين عن جابر، وعنه فيهما: كانوا ألفاً وأربع مئة، وفيهما، عن عبد الله بن أبي أوفى: كنا ألفاً وثلاث مشة، قال قشادة: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مئة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع

عشرة مئة، قال: يرحمه الله وهِمَ، وهو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مئة، قلت: وقد صح عن جابر القولان، وصح عنه أنهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، فقيل له: كم كنتم؟ قال: ألفاً وأربع مئة، بخيلنا ورجلنا، يعنى: فأرسهم وراجلهم.

البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع، في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حزن، قال شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ألفاً وأربع مئة، وغلط غلطاً بيِّناً من قال: كانوا سبع مئة، وعذره (١) أنهم نحروا يومئذ سبعين بدنة، والبدنة قد جاء إجزاؤها عن سبعة أو عشرة، وهذا لا يدل على ما قاله هذا القائل، فإنه قد صرح بأن البدنة كانت في هذه الغزوة عن سبعة، فلو كانت السبعون عن جميعهم، لكانوا أربع مئة وتسعين رجلاً، وقد قال بتمام الحديث بعينه، أنهم كانوا ألفاً وأربع مئة.

فلما كانوا بذي الحليفة، قلد رسول الله ﷺ السهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث عيناً له بين يديه من خزاعة، يخبره عن قريش، حتى إذا كانوا قريباً من عُشفان، أتاه عينه، فقال: إن قد تركت كعب بن لؤى، قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادُوك عن

واستشار النبي ﷺ أصحابه: أترون أن نسميل إلى ذراري هولاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا تكن عنقاً قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت؟ فمن صدنا عنه قاتلناه؟ قال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين،

ولم نجيء لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: "فروحوا إذاً"، فراحوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبى ع اله الوليد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد، حتى إذا هو بغبرة الجيش، فانطلق والقلب إلى هذا أمْيَل، وهو قول يركض نذيراً لقريش.

وسار النبى على ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلات القصواء، فقال النبي عَيْلِين: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لَها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألون خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهموها»، ثم زجرها، فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية، على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبث السناس أن نرحوه، فسشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش.

فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوها فيه، قال: فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنها، وفزعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله، ليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لى، إن أوذيت، فأرسل عشمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش، وقال: «أخبرهم أنا لم نأت لقتال، إنما جئنا عُمَّاراً، وادعهم إلى الإسلام،.

وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق

عثمان، فمرعلى قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله على أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ونخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عُمَاراً، قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك.

وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، فأجاره، وأردفه أبان حتى جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به، فقال رسول الله ﷺ: «ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون»، فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: «ذاك ظنى به، أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه»، واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح، فرمي رجل ا من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل ، فدعا إلى البيعة.

فثار المسلمون إلى رسول الله هم وهو تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا، فأخذ رسول الله هم بيد نفسه، وقال: «هذه عن عثمان»، ولما تحت البيعة، رجع عثمان، فقال له المسلمون: اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت، فقال: بشما ظننتم سنة، ورسول الله هم معاطفت بها حتى يطوف بها رسول الله هم ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله هم كان المسلمون: رسول الله من كان المسلمون: رسول الله من كان المسلمون: رسول الله من كان المسلمون:

وكان عمر أخذ بيد رسول الله ﷺ للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلم معقل بن يسار، أخذ بغصنها يرفعه

عن رسول الله ﷺ، وكان أول من بايعه، أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم.

فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله على الله من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت.

قال رسول الله على الله الله الله الله المنجىء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا أماددهم ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جوا، وإن أبوا إلا القتال، فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره، قال بديل: سأبلغهم ما تقول.

فانطلق حتى أتى قريشاً، فقال: إنى قد جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولاً، فإن شئتم عرضته عليكم، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرآي: منهم: هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها، ودعوني آته، فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال له عروة عند ذلك: أي: محمد، أرأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فوالله إني لأرى وجوهاً، وأرى أوباشاً من الناس، خليقاً أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسى بيده، لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها،

وجعل يكلم النبي ﷺ ، وكلما

كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة على رأس النبي على ومعه السيف، وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي على ، ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يسدك عسن لحسية وقال: من ذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي: غُدر، أولست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوماً في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي على: «أما المال فلست منه في شيء».

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ، فوالله ما تنخم النبي ﷺ نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها جلده ووجهه.

وإذا أمرهم ابتدروا إلى أمره، وإذا توضأ، كادوا يقتتلون على وَضُوئِه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُون إليه النظر، تعظيماً له.

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي: قدوم، والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب عمد عمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تركلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُون إليه النظر تعظيماً له، وقد عرض عليكم خطة رشدٍ فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: اثته.

فلما أشرف على النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له»، فبعثوها فاستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك، قمال: سبحنان الله، لا ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت

فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا عن البيت فقام مكرز بن

حفص، وقال: دعوني آته، فقالوا: التمه، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم، إذ جاء سهيل بن عمرو، فقال النبي ﷺ: «قد سهل لكم من أمركم»، فقال: هات، اكتب بيننا «اكتب: بسم الله الرحن الرحيم»، فقال نقال سهيل: أما الرحن الرحيم»، فقال ندري ما هو، ولكن اكتب: «باسمك ندري ما هو، ولكن اكتب: «باسمك اللهم» كما كنت تكتب، فقال اللهم، كما كنت تكتب، فقال الملهم، كما كنت تكتب، فقال الملهمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الملهم، كما كنت تكتب، فقال الملهم الله الملهم، كما كنت تكتب، فقال الملهم اللهم، كما كنت تكتب، فقال الملهم اللهم، كما كنت تكتب، فقال الملهم الملهم، كما كنت تكتب الملهم، كما كنت تكتب الملهم اللهم، كما كنت تكتب الملهم اللهم، كما كنت تكتب الملهم اللهم، كما كنت تكتب الملهم اللهم الملهم الملهم اللهم اللهم الملهم اللهم الملهم اللهم الملهم اللهم الملهم اللهم الملهم اللهم ا

فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم».

الرحمن الرحيم.

ثم قال: «اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: فوالله لو نعلم أنك رسول الله، ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال السنبي على : «إني رسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله»، فقال النبي على : «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب.

فقال سهيل: على أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك، إلا رددته علينا.

فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما قاضيتك عليه، أن ترده، فقال النبي عليه : "إنا لم نقض الكتاب بعد"، فقال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً، فقال

النبي ﷺ: "فأجزه لي"، فقال: ما أنا بمجيزه، فقال: "بلى فافعل"، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: قد أجزناه.

فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أُرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً.

قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي على في فقلت: يا رسول الله ألست نبي الله? قال: "بلى". قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: "بلى" فقلت: علام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبرجع ولما يحكم الله بيننا ووهو ناصري، ولست أعصيه"، قلت: وهو ناصري، ولست أعصيه"، قلت: ونطوف به؟ قال: "بلى، أفأخبرتك ونطوف به؟ قال: "بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال:

قال: فأتيت أبا بكر، فقلت له كما قلت لرسول الله على ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله على سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ: "قوموا وانحروا، ثم احلقوا،، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فقام فخرج، فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، ثم جاءت نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل: ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴿ حتى بلغ ﴿بعصم الكوافر﴾ فطلَّق عمر

ON CHANGE A CONTRACT POR عُحَدَّةً يَسُولُ أَمَّهُ وَالَّذِنَ مَعَهُ إِلَيْكَاتُهُ عَلَى الْكُفَارِ وُمَاكَةُ مَدْتُهُ تَرَيَّهُمْ ذُكَّكَا سُجَكَا يَسْتَغُونَ فَضْلَا مِنَ اللَّهِ وَيضُونَا ليسيمَا هُرُ فِي وْجُوهِهِ مِنْ أَثْرَ الشُّجُودُ ذَاكَ مَثَلُهُمْ فِي الْتُورِيدُ وَمَثَلُهُمْ في الإنجيل كرَزْع أَخْرَعَ شَعْكَهُ فَالزَيْهُ فَأَسْتَغَلَظَ فَاسْتَعْلَظَ فَأَسْتَعْلَظُ فَأَسْتَوَىٰ عَلَى سُوقِهِ ، يُعْجِبُ ٱلزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارُّ وَعَدَاللهُ ٱلَّذِينَ المنواوع بأوا المتالكت ينهرم ففرة وأجراع ظيمان े तासाग्रह 🐧 🐩 يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ عَامَتُوا لِالْتَدَيْمُوا بَيْنَ يَدِّي اللَّهِ وَرَسُولَةٍ وَالْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ سَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ، اسْتُوالِ الزَّفَعُوا أَسْوَتُكُو فَوْقَ صَوْتِ النِّي وَلَا نَجْهَرُوا لَهُ بِالْقُولِ كَجَهْرِ يَعْضِ حَكَّمْ لِتَعْيِراً لَ تَعْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَسْتُمْ لَاتَشْعُرُونَ ۞ إِذَا أَلِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَتَهُمْ عِندَ رَسُولِ أَلَاهِ أُوْلَلِكَ ٱلَّذِينَ ٱمُتَحَنَّ اللهُ اللُّهُ مُعْمَلِلنَّ فُويَّ لَمُدَمِّعَ فِي وَأَجْرُعَظِيرٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُّ يُنَادُونَا لَكَ وَن وَزَلَهِ ٱلْحُجُزَاتِ أَحْتُ ثَرُهُمُ لَا يَعْقِلُونَ ۞

يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجم إلى المدينة.

وفي مرجعه أنزل الله عليه: ﴿إِنَا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ إلى آخرها، فقال عمر: أفتح هو يا رسول الله؟ فقال: «نعم»، فقال الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، فما لنا؟

فأنزل الله عز وجل: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ الآية. انتهى.

وهذا آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة

[وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. نقلته من خط المفسر رحمه الله وعفا عنه، وكان الفراغ من كتابته في ١٣٤ ذي الحجة ١٣٤٥ وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين آمين. بقلم النقير إلى ربه سليمان بن حمد العبد الله البسام. غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين. وصلى الله على محمد السلمين آمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمين وسلم تسليماً بنعمته تتم الصالحات](١).

المجلد الثامن من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان منَّ به الله على عبده وابن عبده وابن أمته: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي.

وَلَوْ أَنْهُمْ صَبَرُواْ حَتَّى تَغَرْمُ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَذَاكِ أَوْ أَلْقَدُ عَلَهُ رَّالْ تَحِيدُ۞ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن كَلَاكُو قَاسِقٌ بِنَهَا فَتَسَيَّتُوا أَنْ أَنَّ تُصِيبُواْ قَوْمًا بِحَهَلَقِ فَضْيحُواعَلَى مَافَعَلَتْمُ نَادِمِينَ ۞ وَأَعْلَمُوٓ الْزَفِيكُرُ رَسُولَ اللَّهُ لَوْيُطِيعُكُمْ فِيكِيدِينَ ٱلأَمْنِ لَيَنِيُّهُ وَلَٰكِنَ الْقَهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَنَ وَزَيِّنَكُونِ قُلُوبُكُ وَكَيَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْمُسُوقَ وَالْمِصْيَانُ أُوْلَيْكَ هُرُ الْزَيْدُ وُنَ الْ فَضَلَامِنَ اللَّهِ وَيَعْمَةُ وَاللَّهُ عَلِيهُ مَكِيدٌ ۞ وَإِن طَآلِهَنَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱفْسَنَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَّا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَنْهُمَا عَلَ ٱلْأَخْرَىٰ فَقَلِنُلُوا ٱلِّي تَبْغِي حَلَّىٰ تَعِيَّ إِلَّىٰ أَشْرِ لَقَوْ فَإِن فَآيَتْ فأضياحُوايَننَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِذَا اللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً كَأْصُيلِحُواْبَيْنَ لَّخَوَيْكُمْ وَٱلْقُواْلَلَهَ لَعَلَّكُونُوَعَتُونَ ۞ يَالَيْهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَايَسْخَرَقَوْمِيْن قَوْءٍ عَسَنَ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يُسَاءُ مِن لِيَنَا إِعْسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنهُنُّ وَلَا لَلِهُزُوَا أَنفُسَكُمُ وَلَا ثَنَاتِزُوا بِٱلْأَلْفَكِ بِمِثْنَ ٱلِاَتُمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَالْإِينَ وَمَن لَّمْ يَتُبَ فَأُوْلَيْكَ هُرُ الظَّالِيُونَ ۞ ON TORSE OF THE PROPERTY OF TH

تفسير سورة الحجرات وهي مدنية

﴿١ -٣﴾ ﴿بسم الله الرحن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إنَّ الله سميع عليم * با أيها الذين أمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن ألله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم اهذا متضمن للأدب مع الله تعالى، ومع رسول الله ﷺ، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر [الله] عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الهي في جميع أمورهم، و[أن] لا يتقدموابين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب السواجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العيد

وفلاحه، وبفواته تفوته السعادة الأبدية والنعيم السرمدي، وفي هذا، النهي [الشديد] عن تقديم قول غير الرسول على على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله على أوجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائناً ما كان".

ثم أمر الله بتقواه عموماً، وهي كما قال طلق بن حبيب: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخشى عقاب الله.

وقوله: ﴿إِن الله سميع ﴾ أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات، في خفي المواضع والجهات، ﴿عليم ﴾ بالظواهر والبواطن، والسوابق واللواحق، والواجبات والمستحيلات والمكنات (٢٠).

وفي ذكر الاسمين الكريمين _ بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله والأمر بتقواه _ حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال (٣).

ثم قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ﴾ وهذا أدب مع لا يرضع المخاطب له صوته معه فوق صوته، ولا يجهر له بالقول، بل يغض الصوت، ويخاطبه بأدب ولين، الصوت، ويخاطبه بأدب ولين، وتعظيم وتكريم، وإجلال وإعظام، ولا يكون الرسول كأحدهم، بل يميزوه في خطابهم، كما تميز عن غيره في وجوب حقه على الأمة، ووجوب لا يمنان به، وإلحب الذي لا يتم الإيمان إلا به، فإن في عدم القيام بذلك محذوراً، وخشية أن يجبط عمل بذلك عذوراً، وخشية أن يجبط عمل

العبد وهو لا يشعر، كما أن الأدب معه من أسباب [حصول الثواب و] قبول الأعمال.

ثم مدح من غض صوته عند رسول الله عنه أبأن الله امتحن قلوبهم للتقوى أي: ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلحت قلوبهم للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم المتضمنة لزوال الشر والمكروه، والأجر العظيم، الذي لا يعلم وصفه وجود المحبوب (ئ)، وفي هذا دليل على والمحن، فمن لازم أمر الله، واتبع والمحن، فمن لازم أمر الله، واتبع والمحن، قصارع إلى ذلك، وقدمه على هواه، تمحض وتمحص للتقوى، وصارع الم يكن كذلك، علم أنه لا يصلح للتقوى.

﴿٤ _ • ﴾ ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفورٌ رحيم ﴾ نزلت هذه الأيات الكريسمات في أناس من بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا وافدين على رسول الله على رسوله، قدموا في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد أي: أخرج إلينا]، فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب.

فأدب العبد، عنوان عقله، وأن الله مريد به الخير، ولهذا قال: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم﴾ أي: غفور لما صدر عن عباده من الذنوب والإخلال بالآداب، رحيم بهم، حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات والمثلات.

⁽١) في ب: من كان.

⁽٢) في ب: والجائزات.

⁽٣) في ب: عن ضده.

⁽٤) في ب: وفيه حصول كل محبوب.

﴿٦﴾ ﴿يا أيها الـذيسن آمسوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، وهذا أيضاً من الآداب التي على أولى الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجرداً، فإن في ذلك خطراً كبيراً، ووقوعاً في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كُذُب ولم يعمل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير [من] الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فساقاً.

﴿٧ ـ ٨﴾ ﴿وأعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرَّه إليكمُ الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم اي: ليكن لديكم معلوماً أن رسول الله على بين أظهركم، وهو الرسول الكريم، البار، الراشد، الذي يريد بكم الخير وينصح لكم، وتريدون لأنفسكم من الشر والمضرة ما لا يوافقكم الرسول عليه، ولو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأعنتكم، ولكن الرسول يرشدكم، والله تعالى يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد والأدلة الدالة على صحته،

وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم من توفيقه للإنابة إليه، ويكرّه إليكم الكفر والفسوق أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب(١)، بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله، وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساده وعدم قبول الفطر له، وبما يعلمه الله من الكراهة في القلوب له (٢)

﴿أُولَتُك﴾ أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان هم الراشدون﴾ أي: الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم.

وضدهم الغاوون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان، والذنب ذنبهم، فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما فراغوا أزاغ الله قلوبهم ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفئدتهم.

وقوله: ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي: ذلك الخير الذي حصل لهم، هو بفضل الله عليهم وإحسانه، لا بحولهم وقوتهم.

﴿واللهُ عليم حكيم﴾ أي: عليم بمن يشكر النعمة فيوفقه لها، عن لا يشكرها، ولا تليق به، فيضع فضله حيث تقتضيه حكمته.

(٩ - ١٠) ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون هذا متضمن لنهي المؤمنين [عن] أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل (٣) بعضهم بعضا، وأنه بعض، ويقاتل (٣)

إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا فبها ونعمت، وإن ﴿بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ أي: ترجّع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير وترك الشر، الذي من أعظمه الاقتتال، [وقوله] ﴿فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل، هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح قديوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعي أحدهما لقرابة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب العدول عن العدل، ﴿إِنَّ الله يحب المقسطين﴾ أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات التي تولوها، حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله وعياله في أداثه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: «المقسطون عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

وإنما المؤمنون إخوة هذا عقد عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي: شخص كان في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسلمه واليوم الآخير، فإنه أخ المكومنين، أخوة توجب أن يجب له المؤمنون ما يجرهون لأنفسهم، ولهذا قال له ما يكرهون لأنفسهم، ولهذا قال النبي المحاسدة ولا تعاسدوا، ولا تعاسدوا، ولا تباغضوا، ولا يبغ أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المؤمن أخو المؤمن،

⁽١) في ب: أي: الذنوب الصغار.

⁽٢) في ب: وبما يجعل الله في القلوب من الكراهة له.

⁽٣) في ب: ويقتل.

لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره)(١).

وقال على المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشيك على بين أصابعه.

ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد والتواصل بينهم، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتغرق القلوب وتباغضها [وتدابرها]، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شناتهم.

ثم أمر بالتقوى عموماً، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة [فقال: ﴿لعلكم ترحمون﴾]، وإذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة.

وفي هاتين الآيتين من الفوائد، غير ما تقدم: أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا كان من أكبر الكبائر، وأن الإيمان والأخوة الإيمانية لا تزول مع وجود القتال كغيره من ذلك مذهب أهل السنة والجماعة، وعلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين بالعدل، وعلى وجوب قتال البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله، وعلى أنهم لو يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه وجه لا يجوز ذلك، وأن أموالهم معصومة، لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم.

﴿١١﴾ ﴿ إِنَّا أَنِّهَا الَّذِينَ آمِنُوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء مَن نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، وهذا أيضاً من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض، أن ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيراً من الساخر، كما هو (٣) الغالب والواقع، فإن السخرية لا تقع إلا من قلب عتلى، من مساوىء الأخلاق، مُتَحَلِّ بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي بَيَّالَةِ: ابحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه السلم».

ثم قال: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي: لا يعب بعضكم على بعض، واللمز بالقول، والهمز بالفعل، وكلاهما منهيًّ عنه حرام، متوعد عليه بالنار.

كما قال تعالى: ﴿ ويلٌ لكل همزة لمزة ﴾ الآية، وسمى الأخ المؤمن (٤) نفساً لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهمزه، فيكون هو المتسبب لذلك.

﴿ولا تنابزوا بالألقاب أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه (٥)، وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا.

﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنابز بالألقاب.

ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون و فهذا [هو] الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله والاستغفار، والمدح له مقابلة [على] ذمه.

﴿ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تأثب، وتائب مفلح، ولا ثَمَّ قسم ثالث غيرهما.

﴿١٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضأ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم، نهى تعالى عن كثير من الظن السوء (٦) بالمؤمنين، في ﴿إِنْ بعض الظن إثم وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كشير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا إساءة الظن بالمسلم، وبغضه وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

﴿ولا تجسسوا﴾ أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا^(٧) المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله^(٨)، التي إذا فتشت ظهر منها ما لا ينبغي.

 ⁽١) في ب: أورد الشيخ الحديث كما يلي: (لا تحاسدوا ولا تناحشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو
المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه) متفق عليه.

⁽٢) في ب: وفيهما عن النبي ﷺ.

⁽٣) في ب: وهو الغالب.

⁽٤)في ب: المسلم.

⁽٥) في ب: بلقب يكره أن يقال فيه.

⁽٦) في ب: السيء.

⁽٧) في ب: ودعوا.

⁽A) في ب: عن زلاته.

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ والغيبة كما قال النبي على «ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه».

ثم ذكر مثلاً منفراً عن الغيبة، فقال: ﴿أَيُعِب أَحدكم أَن يأكل لحم أَخيه ميناً فكرهتموه ﴾ شبه أكل لحمه ميناً المكروه للنفوس [غاية الكراهة] باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصاً إذا كان ميناً، فاقد الروح، فكذلك [فلتكرهوا] غيبته وأكل لحمه حياً.

﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ والتواب الذي يأذن بتوبة عبده فيوفقه لها، ثم يتوب عليه بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.

﴿١٣﴾ ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليم خبير ﴾ يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنشى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله [تعالى] بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وفرقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها ممايتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافاً عن المعاصى، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله ظاهراً وباطناً، ممن يقوم بذلك ظاهراً لا باطناً، فيجازي كلاً

بما يستحق.

وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوباً وقبائل لأجل ذلك.

﴿ 14 _ 14 ﴾ ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمانُ في قلوبكم * وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إنَّ الله غفورٌ رحيم * إنَّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتبابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون * قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم * يمنون عليك أن أسلموا قبل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين * إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون، يخبر تعالى عن مقالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله على دخولاً من غير بصيرة، ولا قيام بما يجب ويقتضيه الإيمان، أنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا أي: إيماناً كاملاً، مستوفياً لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام، فأمر الله رسوله أن يرد عليهم، فقال: ﴿ قَالَ لَمْ تَسُومُ مِنْ وَ أَي : لا تَلْقُعُوا لأنفسكم مقام الإيمان، ظاهراً وباطناً،

﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أي: دخلنا في الإسلام، واقتصروا على ذلك.

كاملاً.

و السبب في ذلك، أنه و الدخل الإيمان في قلوبكم و إنما آمنتم خوفا أو رجاء أو نحو ذلك، مما هو السبب في إيمانكم، فلذلك لم تدخل بساشة الإيمان في قلوبكم، وفي قلوبكم أي: وقت هذا الكلام الذي صدر منكم، فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيراً منهم، أن الله عليهم بالإيمان الحقيقي، والجهاد في سبيل الله، ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله بفعل خير، أو ترك شر ﴿ لا يلتكم من أعمالكم شيئا و أي: لا ينقصكم منها مثقال

ذرة، بل يوفيكم إياها أكمل ما تكون لا تفقدون منها صغيراً ولا كبيراً، فإن الله غفور رحيم أي: غفور لمن تاب إليه وأناب، رحيم به، حيث قبل توبته.

﴿إنما المؤمنون﴾ أي: على الحقيقة ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله أي: من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار، دل ذلك على الإيمان التام في القلب، لأن من جاهد غيره على الإسلام، والقيام بشرائعه، فجهاده لنفسه على ذلك، من باب أولى وأحرى؛ ولأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك دليل على ضعف إيمانه، وهو الشك، لأن الإيمان عدم الريب، وهو الشك، لأن الإيمان عدم الريب، الجزم اليقيني بما أمر الله بالإيمان به، الوجوه.

وقوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة، فإن الصدق دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة الذي هو مدار السعادة، والفون الأبدي، والفلاح السرمدي، فمن ادعاه وقام بواجباته ولوازمه، فهو الصادق المؤمن حقاً، ومن لم يكن كذلك، علم أنه ليس بصادق في الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى.

فإثباته ونفيه من باب تعليم الله بما في القلب، وهذا سوء أدب، وظن بالله، ولهذا قال: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض * والله بكل شيء عليم وهذا شامل للأشياء كلها، التي من جملتها ما في القلوب من الإيمان والكفران، والبر والفجور، فإنه تعالى يعلم ذلك كله ويجازي عليه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

هذه حالة من أحوال من ادّعي لنفسه الإيمان وليس به، فإنه إما أن

يكون ذلك تعليماً لله، وقد علم أنه عالم بكل شيء، وإما أن يكون قصدهم بهذا الكلام المُّنَّة على رسوله، وأنهم قد بذلواله [وتبرعوا] بماليس من مصالحهم، بل هو من حظوظه الدنيوية، وهذا تجمُّل بما لا يجمل، وفخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به (۱)، فإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن (٢) عليهم بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنته عليهم بمدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان، أعظم (4) من كل شيء، ولهذا قال تعالى: ﴿ يمنون عليكَ أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم

﴿إِن الله يعلم غيب السماوات والأرض الي الأمور الخفية فيهما، التي تخفى على الخلق، كالذي في لجبح البحار، وما جنّه الليل أو وازاه النهار، يعلم قطرات الأمطار، وحبّات الرمال، ومكنونات الصدور، وخبايا الأمور.

﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلممات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مين﴾.

﴿والله بصير بما تعملون ﴾ يحصي عليكم أعمالكم، ويوفيكم إياها، ويجازيكم عليها بما تقتضيه رحمته الواسعة وحكمته البالغة.

تم تفسير سورة الحجرات، بعون الله ومنه وجوده وكرمه، فلك اللهم من الحمد أكمله وأتمه، ومن الجود أفضله وأعمه ^(٤)

تفسير سورة ق وهي مكيــة

﴿١ - ٤ ﴾ ﴿ سبم الله السرحسن الرحيم ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب * أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد * قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) يقسم تعالى بالقرآن المجيد أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الوجوه كثير البركات، جزيل المبرات. والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام يوصف بهذا، هذا القرآن، الذي قد احتوى على علوم الأولين والآخرين، الذي حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتباعه و[سرعة] الانقيادله، وشكر الله على

ولكن أكثر الناس لا يقدر نعم الله قدرها، ولهنذا قبال تعالى: ﴿بِلَ عجبوا﴾ أي: المكذبون للرسول ﷺ، ﴿أَن جاءهم منذر منهم﴾ أي: ينذرهم ما يضرهم، ويأمرهم بما ينفعهم، وهو من جنسهم، يمكنهم التلقي عنه، ومعرفة أحواله وصدقه.

فتعجبوا من أمر لا ينبغي لهم التعجب منه، بل يتعجب من عقل من تعجب منه.

﴿فقال الكافرون﴾ الذين حملهم كفرهم وتكذيبهم، لا نقص بذكائهم وآرائهم (٥).

﴿ هـذا شيء عـجـيسب ﴾ أي: مستغرب، وهم في هذا الاستغراب بين أمرين:

إما صادقون في [استغرابهم و] تعجبهم، فهذا يدل على غاية جهلهم،

وضعف عقولهم، بمنزلة المجنون الذي يستغرب كلام العاقل، وبمنزلة الجبان الذي يتعجب من لقاء الفارس للفرسان، وبمنزلة البخيل الذي يستغرب سخاء أهل السخاء، فأي: ضرر يلحق من تعجب من هذه حاله؟ وهل تعجبه إلا دليل على زيادة ظلمه وجهله؟ وإما أن يكونوا متعجبين، على وجه يعلمون خطأهم فيه، فهذا من أعظم الظلم وأشنعه.

ثم ذكر وجه تعجبهم، فقال: ﴿أَإِذَا مِنَا وَكِنَا تَرَاباً ذَلْكُ رَجِع بِعِيد﴾ فقاسوا قدرة من هو على كل شيء قدير، الكامل من كل وجه، بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه، وقاسوا الجاهل الذي لا علم له، بمن مقامهم في برزخهم، وقد أحصى في كتابه الذي هو عنده محفوظ عن التغيير والتبديل، كل ما يجري عليهم في والتبديل، كل ما يجري عليهم في حياتهم ومعاتهم، وهذا استدلال بكمال علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا

وه في أمر مريح أي: ﴿بل المنهم أي: ﴿بل الله في أمر مريح أي: ﴿بل المنهم الذي صدر منهم، إنما هو عناد وتكذيب للحق الذي هو أعلى أرواع الصدق ﴿لما جاءهم فهم في أمر مريج أي: غتلط مشتبه، لا يشتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار، فتارة يقولون عنك إنك ساحر، وتارة جعنون، وتارة شاعر، وكذلك جعلوا القرآن عضين، كل قال فيه ما اقتضاه رأيه الفاسد، وهكذا كل من كذب بالحق، فإنه في أمر غتلط، لا يدرى له وجهة (١) ولا قرار، [فترى أموره متناقضة مؤتفكة] كما أن من اتبع الحق متناقضة مؤتفكة] كما أن من اتبع الحق

⁽١) في ب: لا ينبغي لهم الفخر به على رسوله.

⁽٢) في ب: هو المان.

⁽٣) في ب: أفضل.

⁽٤) في ب: يعد قوله وكرمه: والحمد لله.

⁽٥) كذا في ب، وفي أ: لا نقص بقلوبهم وعقولهم.

⁽٦) في ب: وجه.

سبيله، وصدق فعله قيله.

 (٦) ﴿ أَفَالَمَ يَسْظُرُوا إِلَى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها روآسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرةً وذكري لكل عبدٍ منيب * ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحب الحصيد * والنخل باسقاتِ لها طلع نضيد * رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج ﴾ لما ذكر تعالى حالة المكذبين وما ذمهم به، دعاهم إلى النظر في آیاته (۱۲ الأفقیة، کی یعتبروا، ویستدلوا ساعل ما جعلت أدلة عليه، فقال: ﴿أَفِلُم ينظروا إلى السماء فوقهم﴾ أي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة وشد رلحل، بل هو في غاية السهولة، فينظرون ﴿كيف بّنيناها﴾ قبة مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، مزينة بالنجوم الخنس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن والملاحة، لا ترى فيها عيباً، ولا فروجاً، ولا خلالاً، ولا إخلالاً.

قد جعلها الله سقفاً لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما

أودع. ﴿وَ﴾ إِلَى ﴿الأَرْضَ كَيْفُ مَدَّدِنَاهِا﴾ * مَنْ مَنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ اللهِ ووسعناها، حتى أمكن كل حيوان السكون فيها والاستقرار(٢)، والاستعداد لجميع مصالحه، وأرساها بالجبال، لتستقر من التزلزل والتموج، ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ أي: من كل صنف من أصناف النبات التي تسر ناظرها، وتعجب مبصرها، وتقر عين رامقها، لأكل بني آدم، وأكل بهائمهم ومنافعهم، وخص من تلك المنافع بالذكر، الجنات المشتملة على

وصدق به، قد استقام أمره، واعتدل الفواكه اللذيذة، من العنب والرمان والأترج والتفاح، وغير ذلك من أصناف الفواكه، ومن النخيل

الباسقات أي: الطوال، التي يطول نفعها وترتفع إلى السماء حتى تبلغ مبلغاً لا يبلغه كثير من الأشجار، فتخرج من الطلع النضيد، في قنوانها ما هو رزق للعباد قوتاً وأدماً وفاكهة، يأكلون منه ويدخرون، هم ومواشيهم وكذلك ما يخرج الله بالمطر، وما هو أثره من الأنهار الَّتي على وجه الأرض، والتي تحتها من حبّ الحصيد، أي: من الزرع المحصود، من بُرِّ وشعير، وذرة، وأرز، ودخن وغيره.

فإن في النظر في هذه الأشياء ﴿تبصرة ﴾ يتبصر بها من عمى الجهل، ﴿وذكرى﴾ يتذكر بها ما ينفع في الدين والدنيا، ويتذكر بها ما أخبر الله به، وأخبرت به رسله، وليس ذلك لكل أحد، بل ﴿لكل عبد منيب ﴾ إلى الله أي: مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء، وإجابة داعيه، وأما المكذب أو المعرض، فما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

وحاصل هذا، أن ما فيها من الخلق الباهر، والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة(١)، دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء عليم، وما فيها من النافع والصالح للعباد، دليل على رحمة الله آلتي وسعت كل شيء، وجوده الذي عم كُل حي، وما فيها من عظم الخلقة وبديع النظام، دليل على أن الله تعالى هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له كفواً

أحد، وأنه الذي لا تنبغي العبادة والذل [والحب] إلا له تعالى.

وما فيها من إحياء الأرض بعد موتها، دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: ﴿وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج).

ولما ذكرهم بهذه الآيات السماوية والأرضية، خوَّفهم أخذات الأمم، وألا يستمروا على ما هم عليه من التكذيب، فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين، فقال:

﴿١٢ ـ ١٥﴾ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الأيكة وقومُ تبع كل كذَّب الرسل فحقَّ وعيد * أفعييناً بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد اي: كذب الذين من قبلهم من الأمم رسلهم الكرام وأنبياءهم العظام، كـ «نوح» كذبه قومه [وثمود كذبوا صالحاً](المحمرة)، وعاد كذبوا «هوداً»، وإخوان لوط كذبوا «لوطاً»، وأصحاب الأيكة كذبوا اشعيباً، وقوم تبع، وتبع كل ملكِ ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام(١٦) فقوم تبع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول، وأي: تُبُّع من التبابعة، لأنه - والله أعلم - كان مشهوراً عند العرب لكونهم من العرب العرباء، الذين لا تخفى ماجرياتهم على العرب خصوصاً مثل هذه الحادثة العظيمة .

فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل، الذين أرسلهم الله إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعقوبته، ولستم أيها المكذبون لمحمد ﷺ خيراً منهم، ولا

كذا في ب، وفي أ: آيات الله. (1)

كذا في ب، وفي أ: القرار. **(Y)**

كذا في ب، وفي أ: التي يستمر نفعها، ويطول حتى تبلغ مبلغاً لا يبلغ إليه. **(**٣)

كذا في ب، وفي أ: وعجيب الخلقة. (1)

زيادة من هامش ب. (0)

كذا في ب، وفي أ: وقوم تبع وهو كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق يقال له تبع. (1)

يمكنها أن تتأخر عنه، ﴿وشهيد﴾

يشهد عليها بأعمالها، خيرها وشرها،

وهذا يدل على اعتناء الله بالعباد،

وحفظه لأعمالهم، ومجازاته لهم

بالعدل، فهذا الأمر، مما يجب أن يجعله

العبد منه على بال، ولكن أكثر الناس

غافلون، ولهذا قال: ﴿لقد كنت في

غفلة من هذا الي: يقال للمعرض

المكذب يوم القيامة هذا الكلام توبيخاً،

ولوماً وتعنيفاً أي: لقد كنت مكذباً

جذا، تاركاً للعمل له فالآن **«كشفنا**

عنك غطاءك الذي غطى قلبك، فكثر نومك، واستمر (٩) إعراضك،

﴿فبصرك اليوم حديد﴾ ينظر ما يزعجه

ويروعه من أنواع العذاب والنكال.

رسلهم أكرم على الله من رسولكم، فاحذروا جرمهم، لئلا يصيبكم ما أصابهم.

ثم استدل تعالى بالخلق الأول _ وهو النشأ الأول(١) _على الخلق الآخر، وهو النشأة الآخرة.

فكما(٢) أنه الذي أوجدهم بعد العدم، كذلك يعيدهم بعد موتهم وصيرورتهم إلى [الرفات و] الرمم، فقال: ﴿أَفْعِينا﴾أي: أفعجزنا وضعفت قدرتنا ﴿بِالْخِلْقِ الأولِ﴾؟ ليس الأمر كذلك، فلم نعجز ونَعْيَ عن ذلك، وليسوا في شك من ذلك، وإنما هم في لبس من خلق جديد هذا الذي شكوا فيه، والتبس عليهم أمره، مع أنه لا محل للبس فيه، لأن الإعادة أهون من الابتداء، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، .

﴿١٦ ـ ١٨﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الموريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبً عتيد﴾ يخبر تعالى أنه المتفرد بخلق^(٣) جنس الإنسان، ذكورهم وإناثهم، وأنه يعلم أحواله وما يسرُّه، ويوسوس في صدره (١٤)، وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق^(ه) المكتنف لَثغرة النحر، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه (٦) في جميع

أحواله، فيستحيي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وكذلك ينبغى له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضى رب العالمين، ولهذا قال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيانَ ﴾ أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد وعن اليمين) يكتب الحسنات، وو) الآخر ﴿عن الشمال﴾ يكتب السيئات، وكل منهما ﴿قعيد﴾ بذلك متهيىء لعمله الذي أعدله، ملازم له (٧) ﴿ما يلفظ من قول > خير أو شر ﴿ إلا لديه رقيب عتيد اي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون 🦫 .

أو هذا خطاب من الله للعبد فإنه في الدنيا في غفلة (١٠٠) عما خلق له، ولكنه يوم القيامة ينتبه ويزول عنه (۱۹ ـ ۲۲) ﴿ وجاءت سـكـرة وسنه، ولكنّه في وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط، ولا يستدرك الفائت، وهذا كله تخويف من الله للعباد، وترهيب بذكر ما يكون على المكذبين في ذلك اليوم العظيم.

﴿ ٢٧ _ ٢٩ ﴾ ﴿ وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيد * ألقيا في جهنم كل كفّار عنيد * منّاع للخير معتد مريب * الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشدّيد * قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد * قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد * ما يبدلُ القولُ لديُّ وما أنا بظلام للعبيد) يقول تعالى: ﴿ وقال قريت الكذب

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أي: ﴿وجاءت ﴿ هذا الغافلِ المكذب بآيات الله ﴿سكرة الموت بالحق﴾الذي لا مردله ولا مناص،

الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد *

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد *

﴿ذَلُكُ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحْيِدُ ﴾ أي: تتأخر وتنكص(^) عنه، ﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد اي: اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب، والمؤمنين ما وعدهم به من الشواب، ﴿وجاءت كل نفس معها

سائق ﴾ يسوقها إلى موقف القيامة، فلا

(A)

كذا في ب، وفي أ: تحيد.

في ب: النشأة الأولى. (1)

كذا في ب، وفي أ: وأنه كما أنه. (٢)

كذا في ب، وفي أ: أنه الذي خلق. **(4)**

⁽¹⁾ في ب: وتوسوس به نفسه.

⁽⁰⁾ في ب: العظم.

⁽⁷⁾ في ب: إليه.

في ب: لذلك. (V)

⁽⁴⁾ كذا في ب، وفي أ: ودام.

كذا في ب، وفي أ: أنه في غفلة في الدنيا.

المعرض، من الملائكة، الذين وكلهم الله على حفظه وحفظ أعماله، فيحضره يوم القيامة ويحضر أعماله ويقول: ﴿هذا ما لدى عتيد﴾ أي: قد أحضرت ما جعلت عليه، من حفظه وحفظ عمله، فيجازي بعمله.

ويقال لمن استحق النار: ﴿ أَلَقِيا فِي جهنم كل كفار عنيد ﴾ أي: كثير الكفر والعناد لآيات الله، المكشر من المعاصي، المجترىء على المحارم

﴿مناع للخير ﴾ أي: يمنع الخير الذي عنده(١)، الذي أعظمه الإيمان بالله [وملائكته](٢) وكتبه ورسله مناع، لنفع ماله وبدنه، ﴿معتد﴾ على عباد الله، وعلى حدوده (٢٦)، ﴿مريب﴾ أي: شاك في وعد الله ووعيده، فلا إيمان ولا إحسان ولكن وصفه الكفر والعدوان، والشك والريب والشح، واتخاذ الآلهة من دون الرحمن، ولهذا قال: ﴿الذي جعل مع الله إلها آخر﴾ أي: عبد معه غيره، بمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ﴿فألقياه ﴾ أيها الملكان القرينان ﴿في العذاب الشديد﴾ الذي هو معظمها وأشدها وأشنعها.

﴿قال قرينه ﴾ الشيطان، متبرئاً منه، حاملاً عليه إثمه: ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ لأني لم يكن لي عليه سلطان ولا حجة ولا برهان، ولكن كان في الضلال البعيد، فهو الذي ضل وأبعد عن الحق باختياره، كما قال في الآية الأخرى:

﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا

تلوموني ولوموا أنفسكم . . . ♦

قال الله تعالى مجيباً لاختصامهم: ﴿ لا تختصموا لدى ﴾ أي: لا فائدة في اختصامكم (٥) عندي، ﴿و﴾ الحال أني ﴿قد قدمت إليكم بالوعيد﴾ أي: جاءتكم رسلى بألآيات البينات، والحجج الواضحات، والبراهين الساطعات، فقامت عليكم حجتى، وانقطعت حجتكم، وقدمتم على بما أسلفتم من الأعمال التي وجب جزاؤها.

﴿ما يبدل النقول لدى﴾ أي: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله وأخبر به، لأنه لا أصدق من الله قيلاً، ولا أصدق حديثاً.

﴿ وما أنا بظلاًم للعبيد﴾ بل أجزيهم بما عملوا من خير وشر، فلا يزاد' في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم. ﴿٣٠ _ ٣٠) ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد * وأزَّلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ * من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴿ يقولُ ا تعالى مخوفاً لعباده: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلات﴾ وذلك من كثرة ما ألقى فيها، ﴿وتقول هل من مزيد﴾ أي: لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين العاصين، غضباً لربها، وغيظاً على الكافرين.

وقدوعدها الله ملأها، كما قال تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ٦ حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه،

GREATER III يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَجْتَنِبُوا كَيْبِيرَا مِنَ ٱلظَّلْقَ إِنَّ بَعْضَ الظَّلَّةِ إِنْدَّ وَلَا تَجْسَسُوا وَلَا يَغْتَ بَعَثُكُمْ يَعْضًا لَيُحِبُ أَعَدُكُمُ أَن يَأْكُلَ لَهُمَ أَنِيهِ مَنِينًا فَكُرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا النَّمَانَ اللَّهَ قَوَّاتُ تَجِيدُ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّاخَلَقْنَكُمْ مِن ذَكْرِ وَأَنَّى وَجَعَلْنَكُوْ شُعُويًا وَقَبَا إِلَى لِنَعَارَهُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَا لَقَوَ أَنْفَىكُمُ إِذَالْتَهُ عَلِيمُ خَبِرٌ ۞ * قَالَتِ ٱلأَغْرَابُ عَامَنَّا قُل لَهُ تَوْمِ خُواْ وَلَكِنَ فَوْلُواْ السَّلَمَنَ وَلَيَا يَدْخُلِ الْإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُو ۖ وَادْ تُعِلِيمُوا ٱلْمَهُ وَرَسُولَهُ لِلا يَلِنْ حَكُم مِنْ أَعْدَلِكُو شَيْئًا إِنَّ ٱلْمَهَ عَسَفُولٌ رَجِيمُ ۞ إِنَّا ٱلْمُوْمِنُونَ ٱلَّذِينَ المَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ مُثَمَّلُمُ يَرْتَابُواْ وَجَهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُ هِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْلَيْكَ هُرُ ٱلمَنَادِهُونَ ۞ قُلْ أَتْعَلِمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُمَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ يُكُلِّ مَنَّى وَعَلِيمٌ ۞ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَاتَمُنُوا عَلَ إِسْلَمَكُمْ مِلَ اللَّهُ يَنْ عَلَيْكُمُ أَنْ هَدَىٰكُرُ لِلْإِيمَنِ إِن كُنتُمْ صَيِقِينَ۞ إِنَّ مُ اللَّهَ يَعْلَمُ عَيْبَ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ مِمَانَعْمَلُونَ ٤ ON LONGE OF SECTION

فينزوي بعضها على بعض، وتقول. قط قط، قد اكتفيت وامتلأت، ﴿وأَزلفت الجنة ﴾ أي: قربت بحيث تشاهد وينظر ما فيها، من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، وإنما أزلفت وقربت، لأجل المتقين لرسم، التاركين للشرك، صغيره وكبيره، المتثلين لأوامر ربهم، المنقادين له، ويقال لهم على وجه التهنئة: ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ﴾ أي: هذه الجنة وما فيها مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، هي التي وعد الله كل أواب أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأوقات، بذكره وحبه، والاستعانة به، ودعاته وخوفه ورجائه.

﴿ حَفِيظٌ ﴾ أي: يحافظ على ما أمر الله به، بامتثاله على وجه الإخلاص والإكمال له، على أكمل(٧) الوجوه، حفيظ لحدوده، ﴿من خشي الرحمن﴾ أي: خافه على وجه المعرفة بربه، والرجاء لرحمته، ولازم على

في ب: قِبَلَهُ. (1)

زيادة من هامش ب. (٢)

في أ زيادة هنا هي (أثيم) أي كثير الإثم) ويبدو أن الشيخ سبق قلمه لآيات سورة القلم. وقد شطبت الزيادة من ب. (٣)

في ب وقف عند قوله: (فأخلفتكم). (1)

كذا في ب، وفي أ: خصامكم. (0)

كذا في ب، وفي أ: يزيد. (1)

في ب: أتم.

ما المستخدم المستخدم

خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم، فقد تكون رياء واسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية الله في الغيب والشهادة ويحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب وأن هذا مقابلٌ للشهادة حيث يكون الإيمان والخشية ضرورياً لا اختيارياً حيث يعاين العذاب وتأتي آيات الله وهذا هو الظاهر (١٠).

﴿وجاء بقلب منيب﴾ أي: وصفه الإنابة إلى مولاه، وانجذاب نواعيه إلى مراضيه، ويقال لهؤلاء الأتقياء الأبرار: ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي: دخولاً مقروناً بالسلامة من الآفات والشرور، مأموناً فيه جميع مكاره ولا تنغيص، ﴿ذلك يوم الخلود﴾ الذي لا زوال له ولا موت، ولا شيء من الكدرات، ﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾ أي: كل ما تعلقت به مشيئتهم فهو حاصل فيها ولهم فوق ذلك ﴿مزيد﴾

أي: ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم، عما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأعظم ذلك وأجله وأفضله، النظر إلى وجه الله الكريم، والتمتع بسماع كلامه، والتنعم بقربه، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

﴿٣٦ ـ ٣٦﴾ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص * إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ يقول تعالى ـ غوفاً للمشركين المكذبين للرسول ـ : ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي : أعاً كثيرة هم أشد من هؤلاء بطشاً أي: قوة وآثاراً في الأرض.

ولهذا قال: ﴿فنقبوا في البلاد﴾ أى: بنوا الحصون النيعة والمنازل الرفيعة، وغرسوا الأشجار، وأجروا الأنهار، وزرعوا، وعمروا، ودمروا، فلما كذبوارسل الله، وجحدوا آيات الله، أخذهم الله بالعقاب الأليم، والعذاب الشديد، فرهمل من من اللهم من اللهم من عذاب الله حين نزل بهم ولا منقذ، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا أموالهم، ولا أولادهم، ﴿إِنْ فِي ذَلْكُ لَذَكُرِي لمن كان له قلب أي: قلب عظيم حيًّ ذَكِيٌّ زَكِيٌّ، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تـذكر بها، وانـتفع فارتفع (٢)، وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها استماعاً يسترشد به، وقلبه ﴿شهيد﴾ أي: حاضر، فهذا له أيضاً ذكري وموعظة، وشفاء وهدي.

وأما المعرض، الذي لم يلق^(٣) سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيده شيئاً، لأنه لا قبول عنده، ولا تقتضي حكمة الله هداية من هذا وصفه ونعته.

﴿٣٨ ـ ٤٠ ﴾ ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب * فاصبر على ما يُقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) وهذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة، ومشيئته النافذة، التي أوجد بها أعظم المخلوقات ﴿السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام اللها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، من غير تعب ولا نصب، ولا لغوب، ولا إعياء، فالذي أوجدها _على كبرها وعظمتها _قادر على إحياء الموتى، من باب أولى وأحرى، ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ من الذم لك والتكذيب بما جئت به، واشتغل عنهم واله بطاعة ربك وتسبيحه، أول النهار وآخره، وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإنَّ ذكر الله تعالى مُسلِّ للنفس، مؤنس لها، مُهوِّنُ للصبر.

﴿١٤ ـ ٤٤﴾ ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكانِ قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج * إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير * يوم علينا يسير * نحن أعلم بما يقولون علينا يسير * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ أي: ﴿واستمع﴾ بقلبك نداء المنادي وهو إسرافيل عليه السلام، نداء المنادي وهو إسرافيل عليه السلام، قريب﴾ من الخلق (أي ﴿يوم يسمعون قريب﴾ من الخلق (أي ﴿يوم يسمعون تلك الصيحة أي: كل الخلائق يسمعون تلك الصيحة المؤعجة المهولة ﴿بالحق﴾ الذي لا شك فيه ولا امتراء.

﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور، الذي انفرد به القادر على كل شيء، ولهذا قال: ﴿إِنَا نَحِن نَحِيي وَنَمِيت وإلينا المصير * يوم تشقق الأرض

⁽١) من قوله: ويحتمل إلى: هذا هو الظاهر ليس في ب.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: وارتفع.

⁽٣) في ب: لم يصغ.

⁽٤) في ب: من الأرض.

عنهم أي: عن الأموات(١).

﴿سراعاً ﴾ أي: يسرعون لإجابة الداعي لهم إلى موقف القيامة، ﴿ذلك حشر علينا يسير) أي: هين (٢) على الله، يسير لا تعب فيه ولا كلفة، ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ لك مما يحزنك من الأذي، وإذا كنا أعلم بذلك، فقد علمت كيف اعتناؤنا بك، وتيسيرنا لأمورك، ونصرنا لك على أعدائك، فليفرح قلبك، ولتطمئن نفسك، ولتعلم أننا أرحم بك وأرأف من نفسك، فلم يبق لك إلا انتظار وعد الله، والتأسِّي بأولي العزم من رسل الله، ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ أي: مسلط عليهم ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ ولهذا قال: ﴿فَذَكُر بالقرآن من يخاف وعيد، والتذكير [هو] تذكير ما تقرر في العقول والفطر، من محبة الخير وإيثاره وفعله، ومن بغض الشر ومجانبته، وإنما يتذكر بالتذكير من يخاف وعيد الله، وأما من لم يخف الوعيد ولم يؤمن به، فهذا فائدة تذكيره إقامة الحجة عليه، لئلا يقول: ﴿مَا جَاءِنَا مِن بِشِيرِ وَلَا نَذَيْرٍ ﴾ .

آخر تفسير سورة ق، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

تفسير سورة الذاريات مكيسة

﴿١-٢﴾ ﴿بسم الله السرحمن الرحم والذاريات ذرواً * فالحاملات وقراً * فالجاريات يسراً * فالمقسمات أمراً * إنما توعدون لصادق * وإنَّ السين لواقع﴾ هذا قسم من الله الصادق في قيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع ما جعل على أن وعده صدق، والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأداة والمراهين عليه، فلم يكذب به الأداة والمراهين عليه، فلم يكذب به

المكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون.

والمراد بالذاريات: هي الرياح التي تذروا في هبوبها (فروا) بلينها، ولطفها، وقوتها، وإزعاجها، (والحاملات وقراً > السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به البلاد و العباد، و الجاريات يسراً > النجوم التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها السماوات، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها، (والمقسمات أمراً > الملائكة التي منهم قد جعله الله على تدبير أمر من منهم قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدر له وما حدة ورسم، ولا ينقص

﴿٧_٩﴾ ﴿والـــــاء ذات الحبك * إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك) أي: والسماء ذات الطرائق الحسنة، التي تشبه حبك الرمال، ومياه الغدران، حين يحركها النسيم، ﴿إِنكِم ﴾ أيها المكذبون الحمد على أ ولفى قول مختلف منكم من يقول ساحر، ومنكم من يقول كاهن، ومنكم من يقول مجنون، إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة، الدالة على حيرتهم وشكهم، وأن ما هم عليه باطل، ﴿يؤفك عنه من أفك ﴾ أي: يصرف عنه من صرف عن الإيمان، وانصرف قلبه عن أدلة الله اليقينية وبراهينه، واختلاف قولهم دليل على فساده وبطلانه، كما أن الحق الذي جاء به محمد ﷺ ، متفق [يصدق بعضه بعضاً] لا تناقض فيه ولا اختلاف، وذلك دليل على صحته، وأنه من عند الله ﴿ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.

وأن الله الله الله على هو يدوم الجزاء ﴿١١ - ١٤) ﴿ قتل الخراصون * الله الله على الأعمال، لواقع لا الذين هم في غمرة ساهون * يسألون عالة، ما له من دافع، فإذا أخبر به أيّان يوم الله ين * يوم هم على النّار الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام يفتنون * ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم الأدلة والبراهين عليه، فلم يكذب به به تستعجلون * يقول تعالى : ﴿قتل

وَلَقَدْ خَلَفْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوسُوسُ بِهِ مَ فَسَمَّرُونَحُنُ أَقْبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۞ إِذْ يَنَافَى ٱلْمُنْكَفِيَ إِن عَنِ ٱلْهَينِ وَعَنَ ٱلِثَمَالِ فَعِيدُ ۞ مَايَلْفِظُ مِن فَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِيبٌ عَنِيدٌ ۞ وَجَلَة تَ سَكُرَةُ ٱلْمُوْتِ بِٱلْحُوِّ ذَاك مَا كُنت مِنْ مُتِّيدُ ﴿ وَنُفِحَ فِي الصُّورُ ذَاك يَوْعُ ٱلْوَعِيدِ ۞ وَيَعَلَقَتْ كُلْ فَقْيرِ مَعَهَا سَآيِقٌ وَتُعَيدُ ۞ لَقَدَكُتَ فِعَفْلَةِ مِنْ هَذَا فَكُشَفْنَا عَنِكَ غِطَاتَهُ لَا فَصَرُلُوا أَلْمُوْمَ عَلِيدٌ ۞ وَقَالَ قِينُهُ هَذَا مَالَدَى عَنِيدُ ۞ أَلْقِيَا في جَهَنَّمُ كُلُّ هَمَّا رِعَنِيدٍ ۞ مَنَاعِ لِلْحَيْرِمُعْمَلِهِ ثَمِيبٍ ۞ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلْهَا مَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۞ * قَالَ قَرِينُهُ رَبُّنَامَا أَطْقَيْنُهُ وَلِكُر كَانَ فِي صَلَالِ يَعِيدِ ۞ فَالَ لَا تَخْفَصِهُواْ لَذَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمُ بِٱلْوَعِيدِ۞مَايُرَدُلُ ٱلْقَوْلُ لَدَى وَمَاۤ أَنَا بِظَلِّدِ لِلْعَبِيدِ۞ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْمِن مَّزِيدٍ ۞ وَأَزْلِفَتِ أَجَّنَّهُ الْمُنْقِينَ عَيْرَبَعِيدِ ۞ هَنَامَاتُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَّنْ خَيْنَ ٱلزَّحْزَنَ إِلْفَيْتِ وَجَآءَ بِقَلْبِ مُّنِيبٍ ۞ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَيْرٍ ذَاك يَوْمُ أَغْفُودِ ﴿ لَمُعَمَّا يَشَآءُ وَدَفِيهَا وَلَدَيْتَ امْزِيدُ ۞ DUSTON MOROMON

الخراصون ﴾ أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، ﴿الذين هم في غمرة ﴾ أي: في لجة من الكفر والجهل والنصلال، ﴿ساهون﴾ ﴿يسألون﴾ على وجه الشك والتكذيب أيّان يبعثون أي: متى يبعثون، مستبعدين لذلك، فلا تسأل عن حالهم وسوء مآلهم ﴿يوم هم على النار يفتنون أى: يعذبون بسبب ما انطووا عليه من حبث الباطن والظاهر، ويقال [لهم]: ﴿ ذُوقُوا فَتَنْتُكُم ﴾ أي: العذاب والنَّار، الذي هو أثر مَّا افتتنوا به، من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر والضلال، ﴿هذا ﴾ العذاب، الذي وصلتم إليه، [هو] ﴿الذي كنتم به تستعجلون فالأن تمتعوا بأنواع العقاب والنكال، والسلاسل والأغلال، والسخط والوبال.

﴿ ١٥ - ١٩ ﴾ ﴿ إِن المتقين في جنّاتٍ وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل لا كانوا قبل * كانوا قبل من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حقّ للسائل والمحروم ﴾ يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين وأعمالهم ، التي أوصلتهم (٣) إلى

المنظامة ومحوضهد والمنظامة والمنظمة والمنظامة والمنظ

اً فَالْمُنْسِمَتِ أَمْرًا ۞ إِنَّا تُوعَدُونَ لَسَادِقٌ ۞ وَاذَّالِيْنَ لَوَقِعٌ ۞

TOURSE OF LEASE OF

ذلك الجزاء: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ﴾ أي: الذين كانت التقوى شعارهم، وطاعة الله دثارهم، ﴿في جنات ﴾ مشتملات على جميع [أصناف] الأشجار والفواكه التي يوجد لها نظير في الدنيا، والتي لا يوجد لها نظير، تما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على قلوب العبآد(١)، ﴿وعيون﴾ سارحة، تشرب منها البساتين، ويشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيراً، ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلاً، ولا يبغون عنه حولاً، وكل قد ناله من النعيم ما لا يطلب عليه الزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي أي: قد تلقوها بالرحب وانشراح الصدر، منقادين لما أمر الله به، بالامتثال على أكمل

الوجوه، ولما نهى عنه، بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر والنواهي هو أفضل العطايا، التي حقها أن تتلقى بالشكر [لله] عليها والانقياد.

والمعنى الأول ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم ﴿عسنين﴾ بأن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإن لم يكونوا عباد الله ببذل النفع والإحسان إلى مال، أو علم، أو جاه، أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو طرق الخيرات.

حتى إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين، والإحسان إلى الماليك، والبهائم المملوكة وغير المملوكة (٣)، ومن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان، ولهذا قال: ﴿كَانُوا﴾ أي: المحسنون ﴿قليلاً من الليل ما يهجعون﴾أي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل قليلاً، وأما أكثر الليل، فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع، ﴿وبِالأسحارِ التي مي قبيل الفجر ﴿ هم يستغفرون ﴾ الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار المذنب لذنبه، وللاستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: ﴿وَالْمُستَغَفِّرِينَ بِالْأُسْحَارِ ﴾ ﴿وَفَي

أموالهم حق واجب ومستحب (السائل والمحروم) أي: للمحتاجين الذين يطلبون من الناس، والذين لا يطلبون منهم (1).

﴿ ٢٠ ــ ٢٣﴾ ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنّفسكم أفلا تبصرون * وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون﴾ يقول تعالى _ داعياً عباده إلى التفكر والاعتبار _: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وذلك شامل لنفس الأرض، وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات، تدل المتفكر فيها، المتأمل لمعانيها، على عظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه بالظواهر والبواطن. وكذلك في نفس العبد من العبر والحكمة والرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد(٥) الفرد الصمد، وأنه لم يخلق الخلق سدى.

وقوله: ﴿وفي السماء رزقكم﴾
أي: مادة رزقكم من الأمطار،
وصنوف الأقدار، الرزق الديني
والدنيوي، ﴿وما توعدون﴾ من الجزاء
في الدنيا والآخرة، فإنه ينزل من
عند الله كسائر الأقدار، فلما بين
الآيات ونبه عليها تنبيها ينتبه به الذكي
وجزاءه حق، وشبه ذلك بأظهر الأشياء
[لنا] وهو النطق، فقال: ﴿فورب
السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم
تنطقون﴾ فكما لا تشكون في
نطقكم، فكذلك لا ينبغي الشك في
البعث بعد الموت(١).

﴿٢٤ ـ ٣٧﴾ ﴿ مل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه

⁽١) في ب: قلب بشر.

⁽٢) في ب: من وجوه البر.

⁽٣) كذا في ب، وفي أ: التي تملك والتي لا تملك.

⁽٤) في ب: والذين لا يسألونهم.

 ⁽٥) في ب: أن الله واحد أحد.

⁽٦) في ب: فكذلك ينبغي أن لا يعتريكم الشك في البعث والجزاء.

فقالوا سلاماً قال سلام قومٌ منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذلك قال ربك إنّه هو الحكيم العليم * [قال فما خطبكم أيهاً الرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * لنرس عليهم حجارة من طين * مسوقة عند ربك للمسرفين * فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غيربيت من السملمين * وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم]♦ يقول تعالى: ﴿ هِلَ أَتَاكُ ﴾ أي: أما جاءك ﴿ حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ ونبأهم الغريب العجيب، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم بالمرور على إبراهيم، فجاؤوه في صورة أضياف.

﴿إِذْ دَخُلُوا عَلَيْهُ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ ﴾ مجيباً لهم ﴿سلام ﴾ أي: عليكم ﴿قوم منكرون) أي: أنتم قوم منكرون، فأحب أن تعرفوني بانفسكم، ولم يعرفهم إلا بعد ذلك.

ولهذا راغ إلى أهله أي: ذهب سريعاً في خفية، ليحضر لهم قراهم، ﴿ فَجاء بِعجل سمين * فقرَّبه إليهم ﴾ وعرض عليهم الأكل، فـ ﴿قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة > حين رأى أيديهم لا تبصل إليه، ﴿قبالوا لا تخف وأخبروه بما جاؤواله ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ وهو إسحاق عليه السلام، فلما سمعت المرأة البشارة ﴿أَقْبِلْتَ﴾ فرحة مستبشرة ﴿في صرة ﴾ أي: صيحة ﴿فصكت وجهها﴾ وهذا من جنس ما يجري من النساء عند السرور [ونحوه] من الأقوال والأفعال المخالفة للطبيعة والعادة، ﴿وقالت عجوز عقيم اي: أنَّى لي الولد، وأنا عجوز، قد بلغت من السن، ما لا تلد

معه النساء، ومع ذلك، فأنا عقيم، غير صالح رحمي للولادة أصلاً، فَثَمَّ مانعان، كُلُّ منهمًا مانع من الولد، وقد ذكرت المانع الثالث في سورة هود بقولها: ﴿وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشيء عجيب) .

﴿قالوا كذلك قال ربك ﴾ أي: الله الذي قدر ذلك وأمضاه، فلا عجب في قدرة الله تعالى ﴿إنه هو الحكيم العليم﴾ أي: الذي يضع الأشياء مواضعها، وقدوسع كل شيء علماً فسلموا لحكمه، واشكروه على نعمته.

قال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ الآيات، أي: ما شأنكم وما تريدون؟ لأنه استشعر (۱) أنهم رسل، أرسلهم الله لبعض الشؤون المهمة.

﴿٣٢﴾ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ وهم قوم لوط، قد أجرموا، أشركوا بالله، وكذبوا رسولهم، وأتوا الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين.

﴿لنرسل عليهم حجارة من طين * مسوَّمة عند ربك للمسرفين ﴿ أَي : معلمة، على كل حجر منها سمة صاحبه (٢)، لأنهم أسرفوا وتجاوزوا الحد، فجعل إبراهيم يجادلهم في قوم لوط، لعل الله يدفع عنهم العذاب، فقال الله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرُضُ عَنَّ هَذَا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود♦.

﴿ فَأَخْرِجِنَا مِنْ كَانَ فَيِهَا مِنْ المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين، وهم بيت لوط عليه السلام، إلا امرأته، فإنها من المهلكين.

﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ يعتبرون بها ويعلمون أن الله شديد العقاب، وأن رسله صادقون مصدوقون.

فصل في بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام

منها: أن من الحكمة، قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بحالهم (٣)، وأين وصلت بهم الأحوال.

ومنها: فضل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، حيث ابتدأ الله قصته بما يدل على الأهتمام بشأنها، والاعتناء

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله هذا النبي (٤) وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء.

ومنها: أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم بأنهم مكرمون أي: أكرمهم إبراهيم، ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة قولاً وفعلاً، ومكرمون أيضاً عند الله تعالى.

ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير إستئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب في الابتداء بالسلام^(٥)، فرد عليهم إبراهيم سلاماً أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتي به جملة اسمية دالة على الشبوت والاستقرار .

ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك فوائد كثيرة.

ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿قوم منكرون﴾ ولم يقل: «أنكرتكم» [وبين اللفظين من الفرق ما لا يخفى].

ومنها: المادرة إلى النصيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله [ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قِرَى

ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي

(٥) في ب: في ابتداء السلام.

- في ب ليعتبروا بهم.
- أمر الله محمداً وأمته. (٤)
- كذا في ب، وفي أ: علم. (1)

(Y)

في ب على كل حجر اسم صاحبه.

قد أعدت لغير الضيف الحاضر (١)، إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

ومنها: ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضراً عنده (٢)، وفي بيته معداً، لا يحتاج إلى أن يأتي به (٢) من السوق أو الجيران، ولا غير ذلك.

ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وكبير⁽³⁾ من ضيَّف الضيفان.

ومنها: أنه قرّبه إليهم في المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: «تفضلوا، أو انتوا إليه» لأن هذا أيسر عليهم وأحسن.

ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصاً عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضاً لطيفاً، وقال: ﴿الا تأكلون﴾ ولم يقل: «كلوا» ونحوه من الألفاظ، العرض، فقال: ﴿الا تأكلون﴾ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق الحال، كقوله لأضيافه: «ألا تأكلون» أو: «ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا»، ونحوه.

ومنها: أن من خاف من الإنسان (٥) لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمن روعه، ويسكن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم [لما خافهم]: ﴿لا تخف﴾ وأخبروه بتلك البشارة السارة بعد الخوف منهم.

ومنها: شدة فرح سارة امرأة إبراهيم، حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها، وصرّتها غير

المعهودة .

ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة بغلام على

﴿٣٨ ـ ٤٠) وقوله تعالى: ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين * فتولى بركنه وقال ساحرٌ أو بجنون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم) أي: ﴿وفي موسى﴾ وما أرسله الله به إلى فرعون ومكيّه بالآيات البينات، والمعجزات الظاهرات، آية للذين يخافون العذاب الأليم، فلما أتى موسى (٦) بذلك السلطان المبين، فتولى فرعون ﴿بركنه﴾ أي: أعرض بجانبه عن الحق ولم يلتفت إليه، وقدح فيه أعظم القدح، فقالوا: ﴿ساحر أو مجنون﴾ أي: إن موسى، لا يخلو إما إن يكون ساحراً وما أتىٰ به شعبذة (٧) ليس من الحق في شيء، وإما أن يكون مجنوناً لا يؤاخذ بما صدر منه لعدم عقله.

هذا، وقد علموا، خصوصاً فرعون، أن موسى صادق، كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم [ظلماً وعُلُواً]﴾ وقال موسى لفرعون: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء الآية]، ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في الليم وهو مليم﴾ أي: مذنب طاغ، عات على الله، فأخذه الله أخذ عزيز مقتد.

﴿ ٤ ك ٢٤ ﴾ ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الربح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ أي: ﴿ وفي عاد ﴾ القبيلة المعروفة آية عظيمة (٨) ﴿ إذ أرسلنا عليهم الربح العقيم ﴾ أي: التي لا خير فيها، حين كذبوا نبيهم هودا عليه السلام، ﴿ ما تنت عليه إلا جعلته تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته

كالرميم أي: كالرمم البالية، فالذي أهلكهم على قوتهم وبطشهم، دليل على [كـمال] قوته واقتداره، اللذي لا يعجزه شيء، المنتقم ممن عصاه.

﴿٢٤ ـ ٤٤﴾ ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربيم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون * فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين﴾ أي: ﴿وفي تمود﴾ [آية عظيمة]، حين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام، فكذبوه وعاندوه، وبعث الله له الناقة آية مبصرة، فلم يزدهم ذلك إلا عتواً ونفوراً.

فقيل ﴿لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة ﴾ أي: الصيحة العظيمة المهلكة ﴿وهم ينظرون ﴾ إلى عقوبتهم بأعينهم، ﴿فما استطاعوا من قيام ﴾ ينجون به من العذاب، ﴿وما كانوا منتصرين ﴾ لأنفسهم.

﴿٢٤﴾ ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي: وكذلك ما فعل الله بقوم نوح، حين كذبوا نوحاً عليه السلام وفسقوا عن أمر الله، فأرسل الله عليهم السماء والأرض بالماء المنهمر، فأغرقهم الله تعالى [عن آخرهم]، ولم يبق من الكافرين دياراً، وهذه عادة الله وسنته فيمن عصاه.

﴿٧٤ ـ ١ ٥﴾ ﴿والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون * ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا إلى الله إني لكم منه نذيرٌ مبين * نذيرٌ مبين﴾ يقول تعالى مبيناً لقدرته العظيمة: ﴿والسماء بنيناها﴾ أي: خلقناها وأتقنّاها، وجعلناها سقفاً للأرض وما عليها.

﴿بأبيدِ﴾ أي: قوة وقدرة عظيمة

(A) في ب: تقديم وتأخير في هذا

الكلام.

⁽٦) كذا في ب، مصححة في الهامش،وفي أ: فلما أتى فرعون.

 ⁽٧) في ب: إما أن يكون ما أتى به سحراً وشعبذة.

⁽١) كذا في ب، وفي أ: الخاص.

⁽٢) في ب: لديه.

⁽٣) كذا في ب، وفي أ: أن يستلحقه.

⁽٤) في ب: وسيد.

⁽٥) في ب: من أحد.

﴿وإنا لموسعون﴾ لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون [أيضاً] على عبادنا بالرزق الذي ما ترك الله دابة في مهامه القفار، ولجح البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها.

فسبحان من عم بجوده جميع المخلوقات، وتبارك الذي وسعت رحمته جميع البريات، ﴿والأرض فرشناها ﴾ أي: جعلناها فراشاً للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن وغراس وزرع وحرث وجلوس، وسلوك للطرق الموصلة إلى مقاصدهم ومآربهم، ولما كان الفراش قد يكون صالحاً للانتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها، وأثنى على نفسه بذلك، فقال: ﴿فنعم الماهدون، الذي مهد لعباده ما اقتضته الماهدون، [حكمته و] رحمته وإحسانه، ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴿ [أي: صنَّفين] أن ذكر وأنثى، من كل نوع من أنواع الحيوانات، ﴿لعلكم تذكرون﴾ [لنعم الله التي أنعم بها عليكم](١) في تقدير ذلك، وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها، فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع.

فلما دعا العباد إلى النظر لآياته الموجبة لخشيته والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه أي : الفرار مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً الى ما يجبه، ظاهراً وباطناً، فرار من المحمل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى ذكر الله، فمن استكمل هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله وقد زال عنه المرهوب، وحصل له نهاية

المراد^(٢) والمطلوب.

وسمى الله الرجوع إليه فراراً، لأن في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه أنواع المحاب والأمن [والسرور] والسعادة والفوز، فيفرّ العبد من قضائه وقدره إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلا الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه يكون الفرار إليه، ﴿إني لكم منه نذير مبين أي: منذر لكم من عذاب الله، ومخوف بين النذارة، ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ هذا من الفرار إلى الله، بل هذا أصل الفرار إليه أن يفر العبد من اتخاذ آلهة غير الله من الأوثان والأنداد والقبور، وغيرها، مما عبد من دون الله، ويخلص العبد لربه العبادة والخوف والرجاء والدعاء والإنابة.

﴿٢٥ ـ ٣٠﴾ ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ يقول الله مسلياً لرسوله ﷺ عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القاتلين فيه من الأقوال الشنيعة ما هو منزه عنه، وأن هذه الأقوال ما زالت دأباً وعادة للمجرمين المكذبين للرسل، فما أرسل الله من رسول إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون.

يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم - الأولين والآخرين -هل هي أقوال تواصوا بها، ولقن بعضهم بعضاً بها؟

فلا يستغرب بسبب ذلك ما اتفاقهم عليها: ﴿أَم هم قوم طاغون﴾ تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟ وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال

الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم و وكذلك المؤمنون، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه والسعي فيه، بادروا إلى الإيمان برسلهم وتعظيمهم وتوقيرهم وخطابهم بالخطاب اللائق بهم.

﴿٥٥ _ ٥٥﴾ ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم * وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ يقول تعالى آمراً رسوله بالإعراض عن المعرضين المكذبين: ﴿فتول عنهم﴾ أي: لا تبال بهم ولا تؤاخذهم، وأقبل على شأنك.

فليس عليك لوم في ذنبهم، وإنما عليك البلاغ، وقد أديت ما حملت، وبلغت ما أرسلت به.

﴿وَذَكُر فَإِنَ الذَكرِى تَنفع المؤمنين﴾ والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول على عبة الخير وإيشاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، من التذكير، وتمام التذكير، أن يذكر ما في المأمور به، من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه من الظهار.

والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو (٤) معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيُذكّرون لذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه من ذلك، وليحدث لهم نشاطاً وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.

وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، وتقع منهم الموعظة موقعها، كما قال تعالى: ﴿فَذَكُر إِنْ نَفْعَتُ الذَّكْرِى ﴿ سِينَدُكْر مِنْ يَغْشَى ﴿ ويتجنبها

⁽١) كذا في ب، وفي أ: نعمة الله عليكم.

⁽٢) في ب: غاية المراد.

⁽٣) كذا في ب، وفي أ: مما عرف بالفطر والعقول مجمله.

⁽٤) كذا في ب، وفي أ: ما..

الأشقى ﴾ وأما من ليس له معه إيمان ولا استعداد لقبول التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره، بمنزلة الأرض السبخة التي لا يفيدها المطر شيئاً، وهؤلاء الصنف، لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

*٥٥ ـ ٥٩ * ﴿ وما خلقت الحن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أربد أن يطعمون * أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين * هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، عبادته المتضمنة لمعرفته وعبته، والإنابة اليه والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، وذلك يتضمن (١) معرفته تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة لربه، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم خلاجة منه إليهم.

فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه، تعالى الله الغنى المغنى عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم، الضرورية وغيرها، ولهذا قال: ﴿إِنَّ الله هو الرزاق﴾ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، ﴿ ذُو القُّوةُ المُّتِينَ ﴾ أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة ، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وماً لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته أنه أوصلَ رزقه إلى جميم العالم، ومن قدرته وقوته أنه يبعث الأموات بعدما مزقهم البلي، وعصفت بترابهم^(٢) الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته

منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين.

﴿٩٥ _ ٠٠ ﴾ ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً مشل ذنوب أصحاب فلا يستعجلون * فويلُ للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ أي: وإن للذين ظلموا وكذبوا(٢) محمداً ﷺ من العذاب والنكال ﴿ذنوبا﴾ أي: نصيباً

وقسطاً، مثل ما فعل بأصحابهم من أهل الظلم والتكذيب. ﴿ وَلَا يَسْتَعَجَلُونَ ﴾ بالعذاب، فإن سنة الله في الأمم واحدة، فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بدأن يقع عليه

مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بدأن يقع عليه العذاب، ولو تأخر عنه مدة، ولهذا توعدهم الله بيوم القيامة، فقال: ﴿ وَفُولِ لَلْذِينَ كَفُرُوا مِن يومهم الذي يوعدون ﴾ وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والسلاسل والأغلال، فلا مغيث لهم، ولا منقذ من عذاب الله تعالى

تفسير سورة الطور، مكيسة

[نعوذ بالله منه].

﴿١٦١﴾ ﴿بسم الله السرحمين الرحيم والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع * والبحر المسجور * إنّ عذاب ربك لواقع * ماله من دافع * يوم تمور السماء موراً * وتسير الجيبال سيراً * فويلٌ يومئذ للمكذبين * الذين هم في خوض يلعبون * يوم يدعّون إلى نار جهنّم دعا * هـذه الـتّـار الـتــى كـنـتــم بهـأ تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواءً عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون، يقسم تعالى بهذه الأمور العظيمة ، المشتملة على الحكم الجليلة ، على البعث والجزاء للمتقين والمكذبين، فأقسم بالطور الذي هو الجبل الذي

كلم الله عليه نبيه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، وأوحى إليه ما أوحى من الأحكام، وفي ذلك من المنة عليه وعلى أمته، ما هو من آيات الله العظيمة، ونعمه التي لا يقدر العباد لها على عَدُّ ولا ثمن.

﴿وكتاب مسطور﴾ يحتمل أن المراد به اللوح المحفوظ، الذي كتب الله به كل شيء، ويحتمل أن المراد به القرآن الكريم، الذي هو أفضل كتاب (أنزله الله محتوياً على نبأ الأولين والآخرين، وعلوم السابقين واللاحقين.

وقوله: ﴿ني رقُّ أي: ورقُ ﴿منشور﴾ أي: مكتوب مسطر، ظاهر غير خفي، لا تخفى حاله على كل عاقل بصير.

والبيت المعمور وهو البيت الذي فوق السماء السابعة، المعمور مدى الأوقات بالملائكة الكرام، الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك [يتعبدون فيه لربهم ثم]، لا يعودون الله إلى يوم القيامة وقيل: إن البيت المعمور هو بيت الله الحرام، المعمور بالطائفين والمصلين والذاكرين كل وقت، وبالوفود إليه بالحج والعمرة.

كما أقسم الله به في قوله: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ وحقيق ببيت أفضل بيوت الأرض، الذي قصده بالحج والعمرة، أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، التي لا يتم إلا بها، وهو وجعله الله مثابة للناس وأمناً، أن يقسم الله به، ويبين من عظمته ما هو اللائق به ويحرمته.

﴿والسقف المرفوع﴾ أي: السماء، التي جعلها الله سقفاً للمخلوقات، وبناء للأرض، تستمد منها أنوارها، وينزل الله منها المطر والرحمة وأنواع الرزق.

﴿والبحر المسجور﴾ أي: المملوء

⁽۱) في ب: وذلك متوقف. (٣) في ب: بتكذيبهم.

⁽٢) في ب: عصفت بهم. (٤) في ب: الكتب.

ماء، قد سجره الله، ومنعه من أن يفيض على وجه الأرض، مع أن مقتضى الطبيعة، أن يغمر وجه الأرض، ولكن حكمته اقتضت أن يمنعه عن الجريان والفيضان، ليعيش من على وجه الأرض، من أنواع الحيوان وقيل: إن المراد بالمسجور، الموقد الذي يوقد [ناراً] يوم القيامة، فيصير ناراً تلظى، ممتلئاً على عظمته وسعته من أصناف العذاب.

هذه الأشياء التي أقسم الله بها، مما يدل على أنها من آيات الله وأدلة توحيده، وبراهين قىدرته، وبعثه الأموات، ولهذا قال: ﴿إِنْ عِذَابِ ربك لواقع) أي: لا بدأن يقع، ولا يخلف آلله وعَده وقيله .

﴿مَا لَهُ مِن دَافِعِ﴾ يدفعه، ولا مانع يمنعه، لأن قدرة الله تعالى لا يغالبها مغالب، ولا يفوتها هارب، ثم ذكر وصف ذلك اليوم، الذي يقع فيه (١) العذاب، فقال: ﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾ أي: تدور السماء وتضطرب، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون، ﴿وتسير الجبال سيراً ﴿ أي: تزول عن أماكنها، وتسير كسير السحاب، وتتلون كالعهن المنفوش، وتبث بعد ذلك [حتى تصير] مثل الهباء، وذلك كله لعظم هول يوم القيامة، وفظاعة ما فيه من الأمور المزعجة، والزلازل المقلقة، التي أزعجت هذه الأجرام العظيمة، فكيف بالآدمي الضعيف؟ أ المبرهنة الواضحة الجليَّة. ﴿فُويِل يُومِئُذُ لِلْمَكَذَبِينَ ﴾ والويل: كلمة جامعة لكل عقوبة وحزن وعذاب وخوف، ثم ذكر وصف المكذبين الذين استحقوا به الويل، فقال: ﴿الذين هم في خوض يلعبون﴾أي: خوض في الباطل ولعب به. فعلومهم وبحوثهم بالعلوم الضارة المتضمنة للتكذيب

بالحق، والتصديق بالباطل، وأعمالهم وأن حجة الله قامت عليهم (٢٠). أعمال أهل الجهل والسفه واللعب، بخلاف ما عليه أهل التصديق والإيمان من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة.

> ﴿يوم يدعُون إلى نار جهنم دعا﴾ أي: يوم يدفعون إليها دفعاً، ويساقون إليها سوقاً عنيفاً، ويجرون على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً ولوماً: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ فاليوم ذوقوا عذآب الخلد الذي لا يبلغ قدره، ولا يوصف أمره.

﴿أَفْسُحُرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمُ لَا تُبْصُرُونَ﴾ يحتمل أن الإشارة إلى النار والعذاب، كما يدل عليه سياق الآية أي: لما رأوا النار والعذاب قيل لهم من باب التقريع: «أهذا سحر لا حقيقة له، فقد رأيتموه، أم أنتم في الدنيا لا تبصرون أي: لا بصيرة لكم ولا علم عندكم، بل كنتم جاهلين بهذا الأمر، لم تقم عليكم الحجة؟ والجواب انتفاء الأمرين:

أما كونه سحراً، فقد ظهر لهم أنه أحت الحق، وأصدق الصدق، المخالف(٢٠) للسحر من جميع الوجوه، وأما كونهم لا يبصرون، فإن الأمر بخلاف ذلك، بل حجة الله قد قامت عليهم، ودعتهم الرسل إلى الإيمان بذلك، وأقامت من الأدلة والبراهين على ذلك، ما يجعله من أعظم الأمور

ويحتمل أن الإشارة [بقوله: (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) إلى ما جاء به الرسول ﷺ من الحق المبين، والصراط المستقيم أي: هذا الذي جاء به محمد على المسحر أم عدم بصيرة بكم، حتى اشتبه عليكم الأمر، وحقيقة الأمر أنه أوضح من كلُّ شيء وأحق الحق،

﴿اصلوها﴾ أي: ادخلوا النار على وجه تحيط بكم، وتستوعب جميع أبدانكم (١)، وتطلُّع على أفئدتكم.

﴿ فَاصِيرُوا أَو لا تصبرُوا سواء عليكم الي أي: لا يفيدكم الصبر على النار شيئاً، ولا يتأسى بعضكم ببعض، ولا يخفف عنكم العذاب، وليست^(ه) من الأمور التي إذا صبر العبد عليها هانت مشقتها وزالت

وإنما فعل بهم ذلك، بسبب أعمالهم الخبيثة وكسبهم، [ولهذا قال] ﴿إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنتُم تَعْمُلُونَ﴾ ﴿

﴿٢٠ _ ٢٠﴾ ﴿إن المتقين في جنّات ونعيم * فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم * كلواً واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون * متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين الله ذكر تعالى عقوبة المكذبين، ذكر نعيم المتقين، ليجمع بين الترغيب والترهيب، فتكون القلوب بين الخوف والرجاء، فقال: ﴿إِنَّ المتقين الربهم، الذين اتقوا سخطه وعذابه، بفعل أسبابه من امتثال الأوامر واجتناب النواهي .

﴿ في جنات ﴾ أي: بساتين، قد اكتست رياضها من الأشجار الملتفة، والأنهار المتدفقة، والقصور المحدقة، والمنازل المزخرفة، ﴿ونعيم﴾[وهذا] شامل لنعيم القلب والروح والبدن، ﴿فَاكُهُ بِنُ بِمَا أَتَاهُمُ رَبِّمُ ﴾ أي: معجبين به، متمتعين على وجه الفرح والسرور بما أعطاهم الله من النعيم الذي لا يمكن وصفه، ولا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، ووقاهم عذاب الجحيم، فرزقهم المحبوب،

كذا في ب، وفي أ: يقع به. (1)

⁽٢) في ب: المنافي.

بعد قوله والصراط المستقيم جاءت العبارة في ب مختلفة عمّا في أ، وهذا نصُّ ما في: ب: (أي: أفيتصور من له عقل أن يقول (٣) عنه: إنه سحرً، وهو أعظم الحق وأجله، ولكن لعدم بصيرتهم قالوا فيه ما قالوا).

⁽¹⁾ في ب: (وتشمل أبدانكم).

كذا في ب، وفي أ: وليس. (0)

الأمر الثالث، وهو أن كلامهم فيها

سلام طيب طاهر، مسر للنفوس،

مفرح للقلوب، يتعاشرون أحسن

عشرة، ويتنادمون أطيب المنادمة،

ولا يسمعون من رجم، إلا ما يقر

أعينهم، ويدل على رضاه عنهم [ومحبته

﴿ويطوف عليهم غلمان لهم﴾ أي:

خدم شباب ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ من

حسنهم وبهائهم، يدورون عليهم

بالخدمة وقضاء ما يحتاجون إليه^(ه)،

وهذا يدل على كثرة نعيمهم وسعته،

﴿ وأقبل بعضهم على بعض

لهم].

وكمال راحتهم.

ونجاهم من المرهوب، لما فعلوا ما أحبه الله، وجانبوا ما يسخطه ويأباه.

﴿كلوا واشربوا﴾ أي: مما تشتهيه أنفسكم، من [أصناف] المآكل والمشارب اللذيذة، ﴿منيئاً ﴾ أي: متهنئين بتلك المآكل والمشارب^(١) على وجه الفرح والسرور والبهجة والحبور.

﴿بِما كنتم تعملون ﴾ أي: نلتم ما نلتم بسبب أعمالكم الحسنة، وأقوالكم الستحسنة، ﴿متكئين على سرر مصفوفة الاتكاء: هو الجلوس على وجه التمكن والراحة والاستقرار، والسرر: هي الأرائك المزينة بأنواع الزينة من اللباس الفاخر والفرش

ووصف الله السرر بأنها مصفوفة، ليدل ذلك على كشرتها، وحسن تنظيمها، واجتماع أهلها وسرورهم، بحسن معاشرتهم، ولطف كلأم بعضهم لبعض (٢)، فلما اجتمع لهم من نعيم القلب والروح والبدن ما لا يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، من المآكل والمشارب [السنينة]، والمجالس الحسنة الأنيقة، لم يبق إلا التمتع بالنساء اللاق لا يتم سرور بدونهن (۳)، فذكر الله أن لهم من الأزواج أكمل النساء أوصافاً وخلقاً وأخلاقاً، ولهذا قال: ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ وهن النساء اللواتي قد جمعن من جمال الصورة الظاهرة وبهائها، ومن الأخلاق الفاضلة، ما يوجب أن يحيرن بحسنهن الناظرين، ويسلبن عقول العالمين، وتكاد الأفئدة أن تطيش (٤) شوقاً إليهن، ورغبة في وصالهن، والعِين: حسان الأعين مليحاتها، التي صفا بياضها وسوادها.

﴿٢١ ـ ٢٨﴾ ﴿والسذيسن آسنسوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بسما كسب رهين * وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها إثم ومعصية، وإذا انتفى الأمران، ثبت

(1)

ولا تأثيم * ويطوف عليهم غلمانٌ لهم كأنهم لؤلؤ مكنون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنّا كنا من قبل ندعوه إنّه هو البر الرحيم، وهذا من تمام نعيم أهل الجنة، أَنْ أَلْحَق الله [بهم] ذريتهم الذين

يتساءلون﴾ عن أمور الدنيا وأحوالها. ﴿قالوا﴾ في [ذكر] بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الحبرة والسرور: ﴿إِنَّا كنا قبل ﴾ أي: في دار الدنيا ﴿في أهلنا مشفقين﴾ أي: خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، وأصلحنا لذلك

﴿ فَمِنَّ اللهُ عِلْمِنًا ﴾ بالهداية والتوفيق، ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ أي: العذاب الحار الشديد حره.

﴿إِنَا كِنَا مِن قِبِلِ نَدْعُوهُ أَنْ يَقِينَا عذاب السموم، ويوصلنا إلى النعيم، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة أى: لم نزل نتقرب إليه سأنواع القربات(٦)، وندعوه في سائر الأوقات، ﴿إنه هو البِّرُّ الرحيم﴾ فمن برِّه بنا ورحمته إيانا، أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار.

﴿ ٢٩ _ ٤٣ _ ﴿ فَذَكُر فَمَا أَنْتَ بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * قل تربصوا فإني معكم من المتربصين * أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون * أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين * أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون *

اتبعوهم بإيمان أي: الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم، فصارت الذرية تبعاً لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون، يلحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنة وإن لم يبلغوها، جزاءً لأبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك، لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئاً، ولما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك، يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكماً واحداً، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالى أن لا يعذب أحداً إلا بذنب، ولهذا قال: ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ أي: مرتهن بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يحمل على أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور.

وقوله: ﴿وأمددناهم ﴾ أي: أمددنا أهل الجنة من فضلنا الواسع ورزقنا العميم، ﴿بِفَاكِهِةَ ﴾ من العنب والرمان والتفاح، وأصناف الفواكه اللذيذة الزائدة على ما به يتقوتون، ﴿ولحم مما يشتهون) من كل ما طلبوه واشتهته أنفسهم، من لحم الطير وغيرها.

﴿ يتنازعون فيها كأساً ﴾ أي: تدور كاسات الرحيق والخمر عليهم، ويتعاطونها فيما بينهم، وتطوف عليهم الولدان المخلدون بأكواب وأباريق وكأس ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ أي: ليس في الحنة كلام لغو، وهو الذي لا فائدة فيه ولا تأثيم، وهو الذي فيه

في ب: متهنئين بذلك على وجه. في ب: وقضاء أشغالهم. (0) في ب: إلا بهن. (٣)

في ب: العبادات. (1) (٤) في ب: تطير. فى ب: وملاطفه بعضهم بعضاً. (٢)

أم عسندهم خرزائن ربك أم هم المصيطرون * أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين * أم له البناتُ ولكم البنون * أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون * أم يريدون كيدأ فالذين كفروا هم المكيدون * أم لهم إلى غير الله سبحان الله عمّا يشركون المرتعالى رسوله ﷺ أن يذكر الناس، مسلمهم وكافرهم، لتقوم حجة الله على الظالمين، ويهتدي بتذكيره الموفقون، وأنه لا يبالي بقول المشركين المكذبين وأذيتهم وأقوالهم التي يصدون بها الناس عن اتباعه، مع علمهم أنه أبعد الناس عنها، ولهذا نَفَى عنه كُل نقص رموه به، فقال: ﴿فما أنت بنممة ربك اي: مَنَّه ولطفه، ﴿بِكَاهِنِ ﴾ أي: له رَئِيٌّ من الجن، يأتيه بأخبار بعض الغيوب، التي يضم إليها مئة كذبة، ﴿ولا مجنون﴾ فاقد للعقل، بل أنت أكمل الناس عقلاً، وأبعدهم عن الشياطين، وأعظمهم صدقاً، وأجلهم وأكملهم، وتارة ﴿يقولون﴾ فيه: إنه ﴿شاعر﴾ يقول الشعر، والذي جاء به شعر، والله يقول: ﴿وما علَّمنَاه الشعر وما ينبغى له﴾.

﴿نتربص به ريب المنون﴾ أي: ننتظر به الموت^(۱)، فسيبطل أمره، [ونستريح منه]، ﴿قل﴾ لهم جواباً لهذا الكلام السخيف: ﴿تربصوا﴾ أي: انتظروا بي الموت، ﴿فَإِنَّ مُعَكَّمُ من المتربصين فنتربص بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا، ﴿أَم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أي: أهذا التكذيب لك، والأقوال التي قالوها؟ هـ ل صدرت عن عقولهم وأحلامهم؟ فبئس العقول والأحلام، التي أثرت ما

أثرت، وصدر منها ما صدر(۲).

فإن عقولاً جعلت أكمل الخلق عقلاً مجنوناً، وأصدق الصدق (٣) وأحق الحق كذباً وباطلاً، لَهيَ العقول التي ينزه المجانين عنها، أم الذي حملهم على ذلك ظلمهم وطغيانهم؟ وهو الواقع، فالطغيان ليس له حد (٤) يقف عليه، فلا يستغرب من الطاغي المتجاوز الحد كل قول وفعل صدر منه.

﴿ أُم يقولون تقوله ﴾ أي: تقول محمد القرآن، وقاله من تلقاء نفسه؟ ﴿بل لا يؤمنون﴾ فلو آمنوا، لم يقولوا ما قالوا.

﴿٣٤﴾ ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ أنه تقوله، فإنكم العرب الفصحاء، والفحول البلغاء، وقد تحداكم أن تأتوا بمثله، فتصدق معارضتكم أو تقروا بصدقه، وأنكم لو اجتمعتم، أنتم والإنس والجن، لم تقدروا على معارضته والإتيان بمثله، فحينتذ أنتم بين أمرين: إما مؤمنون به، مهتدون بهدیه، وإما معاندون متبعون لما علمتم من الباطل.

﴿ أُم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبسيان ذلسك: أنهسم مسنسكسرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمور لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضاً محال، فإنه لا يتصور أن يوجِدوا أنفسهم (٥)

فإذا بطل [هذان] الأمران، وبان ولا نشور.

ا وَٱلسَّمَآ وَاتِ ٱلْحُبُكِ ۞ إِنَّكُولَىٰ قَوْلِ تُغْلِفِ ۞ يُوْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَيْكَ ۞ قُلِلَ ٱلْخُرَّاصُونَ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَ قِسَاهُونَ۞ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينِ ۞ يَوْمَ هُرَّعَلَ النَّارِيفُتَنُونَ ۞ دُوقُواْ فِنْتَكُرُّ هَانَا الَّذِيكُنُمُ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿ إِنَّ الْمُثَقِينَ فِيجَنَّتِ وَعُمُونِ ﴿ النيفيذين مَأْءَانَنهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَبَل ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُواْ الْ قِلِيلَاقِنَ النِّيلِ مَايَةٍ جَعُونَ ﴿ وَيِالْأَسْمَارِهُمْ يَسْتَغَفِرُونَ ﴿ وَفِي أَمُوَا لِمِهُ مَحَقُّ لِلسَّآبِلِ وَالْخُرُومِ ۞ وَفِي ٱلْأَرْضِ مَ لِنَتْ لِلْمُوفِينَ ۞ وَفِيَ أَنفُسِكُمُ أَفَلَا نُتَعِدُونَ۞ وَفِ ٱلشَّمَآءِ رِزْفَكُمُ وَمَا فُوعَدُونَ ﴿ وَرَبِ السَّمَآ وَالْأَرْضِ إِنَّمْلِكَ فَأَمْنَا مَا أَنَّكُمْ نَطِعُونَ ﴿ هَلَأَنَكَ حَدِثُ صَيْفٍ إِنْزَهِيمَ لَلْكُرْمِينَ ۞ إِذْ دَخَلُواْعَلَيْهِ فَقَالُواْسَلَمَا قَالَ سَلَدُ قَوْمٌ مُنكُرُونَ ۞ فَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ مَجْمَآة بِعِجْلِ سَيِينِ۞ فَقَرَّتِهُ وَإِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ۞ ا فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ حِنْفَةً قَالُوا لَا تَغَفُّ وَيَشَرُوهُ مِفْلَامٍ عَلِيهِ ٥ ا فَأَقِلَتِ ٱمْرَأَلُهُ فِي صَرَّعِ فَصَكَّتُ وَجْعَهَا وَقَالَتُ عَجُوزُ عَقِيعٌ الله عَالُوا كَذَاكِ عَالَى رَبُّكِ إِنَّهُ مُوَالْحَسِيمُ الْمَلِيمُ ۞ AND TO WORK OF THE PARTY OF THE

استحالتهما، تعين [القسم الثالث] أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى .

وقوله: ﴿أُم خلقوا السماوات والأرض، وهذا استفهام يدل على تقرير النفي أي: ما خلقوا السماوات والأرض، فيكونوا شركاء لله، وهذا أمر واضح جداً.

ولكن المكذبين ﴿لا يوقنون﴾ أي: ليس عندهم علم تام، ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية والعقلية.

﴿أُم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون﴾ أي: أعند هؤلاء المكذبين خزائن رحمة ربك، فيعطون من يشاؤون ويمنعون من يريدون؟ أي: فلذلك حجروا على الله أن يعطى النبوة عبده ورسوله محمداً عَيْهُ، وكأنهم الوكلاء المفوضون على خزائن رحمة الله، وهم أحقر وأذل من ذلك، فليس في أيديهم لأنفسهم نفع ولا ضمر، ولا موت ولا حميماة

(1)

كذا في ب، وفي أ: نتربص به الموت، وننتظره فيه. (1)

في ب: التي هذه نتائجها، وهذه ثمراتها. **(Y)**

في ب: وجعلت أصدق الصدق. (٣)

كذا في ب، وفي أ: لا حدّ له. **في ب: أن يوجد أحدٌ نفسه.** (0)

• قَالَ فَمَا خَطْبُكُو أَيُّهَا ٱلْمُرْسِكُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أَرْسِيلْنَا إِلَّى فَوْمِ تُجْرِمِينَ ۞ لِتُرْمِيلَ عَلَيْهِ مُعِجَازَةً مِن طِين ۞ مُسَوَّمَةً عِندَرَيِكَ الْمُسْرِفِينَ ۞ فَأَخْرَجْنَامَن كَانَ فِيهَامِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدْ ذَافِهَا غَيْرَبَيْتِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ وَتَرَكَنَا فِيهَا ٓ : ايَةُ لِّلَٰذِينَ يَغَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلأَلِيمَ ۞ وَفِيمُومَنَى إِذَ أَرْسَلُنَهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَلَن مُّبِينِ۞ فَكُلِّ دِرُكْيِهِ، وَقَالَ سَلِيحُ أَوْجَعْنُونٌ ا فَأَخَذْتُهُ وَيَحُونُونُمُ فَيَكُذُنَّا لَهُ فِٱلْمِيْوَفُومُلِكُمْ وَفِيعَادِ إِذَ أَرْسَلْنَاعَلِيْهِمُ ٱلرِّيِحَ ٱلْعَقِيمَرِ۞ مَالْذَرُمِن ثَنَّى ۚ أَنْتُ عَلَيْتِ إِلَّا جَعَلَنهُ كَالرَّمِيمِ ﴿ وَفِي تَمُودُ إِذْ قِيلَ لَمُتُمَّ تَمَّنَّعُواْ حَتَّى حِينِ ۞ فَعَنَوْاعَنْ أَمْرِرَجِهُمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّابِعَةَ وَكُرْيَظُرُونَ ﴿ فَكَمَا ٱسْتَطَلَعُواْمِن قِيَامِ وَمَا كَانُواْمُنْمَصِرِينَ ۞ وَقَوْمَ نُوجٍ مِن قَتَلُ إِنَّهُمْ كَافُواْ فَوْمَا فَسِفِينَ ۞ وَالسَّمَاءُ بَنَيْنَهَا بِأَيْنِهِ وَالَّا لَمُوسِعُونَ ۞ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَهَا فَيَعْمَ لَلْهِدُونَ۞ وَمِن كُلِّ مَنْ وَخَلَفْنَا زَفِيمَيْنِ لَمَلَكُونَدُكُونَ ٥ فَيَدُوا إِلَى اللَّهِ إِن الكُونِهُ تَذِيرُ عُبِينٌ ٥ وَلَا يَعْتَلُواْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرُّ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّسِينً ١ TOURSE ON LONGER

﴿اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾.

﴿أَم هِ مَا المُ الصِّيطُ وَنَ ﴾ أي: المُتسلطون على خلق الله وملكه، بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الفقراء، ﴿أَم لَهم سلم يستمعون فيه ﴾ أي: ألهم اطلاع على الغيب، واستماع له بين الملأ الأعلى، فيخبرون عن أمور لا يعلمها غيرهم؟

﴿فليأت مستمعهم﴾ المدعي لذلك ﴿بسلطان مبين﴾ وأنّى له ذلك؟

والله تعالى عالم الغيب والشهادة، فلا يظهر على غيبه [أحداً](١) إلا من ارتضى من رسول يخبره بما أراد من علمه

وإذا كان محمد الله أفضل الرسل وأعلمهم وإمامهم، وهو المخبر بما أخبر به، من توحيد الله، ووعده، ووعيده، وغير ذلك من أخباره الصادقة، والمكذبون هم أهل الجهل والغي والعناد، فأي المخبرين أحس بقبول خبره؟ خصوصاً

والرسول شخة قد أقام من الأدلة والبراهين على ما أخبر به، ما يوجب أن يكون خبره (٢٠ عين اليقين وأكمل الصدق، وهم لم يقيموا على ما ادعوه شبهة، فضلاً عن إقامة حجة.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُ البناتِ﴾ كما زعمتم ﴿ولكم البنونَ﴾ فتجمعون بين المحذورين؟ جعلكم له الولد، واختياركم له أنقص الصنفين؟ فهل بعد هذا التنقص لرب العالمين غاية أو دونه نهاية؟

﴿أُم تسألهم﴾ يا أيها الرسول ﴿أَجِراً﴾ على تبليغ الرسالة، ﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ ليس الأمر كذلك، بل أنت الحريص على تعليمهم، تبرعاً من غير شيء، بل تبذل لهم الأموال الجنيلة، على قبول رسالتك، والاستجابة [لأمرك و] دعوتك، وتعطي المؤلفة قلوبهم [ليتمكن العلم والإيمان من قلوبهم].

﴿أُم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ ما كانوا يعلمونه من الغيوب، فيكونون قد اطلعوا على ما لم يطلع عليه رسول الله، فعارضوه وعاندوه بما عندهم من علم الغيب؟ وقد علم أنهم الأمة الأمية، الجهال الضالون، ورسول الله ﷺ هو الذي عنده من العلم أعظم من غيره، وأنبأه الله من علم الغيب على ما لم يُطْلِغ عليه أحداً من الخلق، وهذا كله إلزام لهم بالطرق العقلية والنقلية على فساد قولهم، وتصوير بطلانه بأحسن الطرق وأوضحها وأسلمها من الاعتراض، وقوله: ﴿أُم يريدون﴾ بقدحهم فيك وفيما جئتهم به ﴿كيداً﴾ يبطلون به دينك، ويفسدون به أمرك؟

﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ أي: كيدهم في نحورهم، ومضرته عائدة

إليهم، وقد فعل الله ذلك ولله المحمد في المحمد فلم يُتِق الكفار من مقدورهم من المكر شيئا إلا فعلوه، فنصر الله نبيه ودينه عليهم (")، وخذلهم وانتصر منهم.

﴿ أُم لَهُمَ إِلَّهُ غَيْرِ اللَّهِ ﴿ أَي : أَلَهُمَ إِلَّهُ يدعى ويرجى نفعه، ويخاف من ضره، غير الله تعالى؟ ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة، وهذا هو المقصود من الكلام الذي سيق لأجله، وهو بطلان عبادة ما سوى الله وبيان فسادها بتلك الأدلة القاطعة، وأن ما عليه المشركون هو الباطل، وأن الذي ينبغي أن يعبد ويُصلي له ويسجد ويخلص له دعاء العبادة ودعاء المسألة، هو الله المألوه المعبود، كامل الأسماء والصفات، كثير النعوت الحسنة، والأفعال الجميلة، ذو الجلال والإكرام، والعرز الذي لا يرام، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الكبير الحميد المجيد.

﴿ ٤٤ ــ ٤٦ ﴾ ﴿ وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحابٌ مركوم * فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون * يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون﴾ يقول تعالى في [ذكر] بيان أن المشركين المكذبين بالحق الواضح، قد عنوا [عن الحق] وعسوا على الباطل، وأنه لو قام على الحق كل دليل لما اتبعوه، ولخالفوه وعاندوه، ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً ﴾ أي: لو سقط عليهم من السماء من الآيات الباهرة كسف أي: قطعٌ كبارٌ من العذاب ﴿يقولوا سحاب مركوم﴾ أي: هذا سحاب متراكم على العادة أي: فلا يبالون بما رأوا من الايات ولا يعتبرون بها، وهؤلاء لا دواء لهم إلا العنداب والنكال، ولهذا قال: ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه

⁽۱) زیادة من هامش ب.

⁽٢) في ب: ما يوجب أن يكون ذلك عين اليقين.

٣١) في ب: فنصر الله نبيه عليهم، وأظهر دينه، وخذلهم.

يصعقون الفيامة الذي

يصيبهم [فيه] من العذاب والنكال، ما

﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً﴾

أي: لا قليلاً ولا كثيراً، وإن كان في

الدنيا قد يوجد منهم كيد يعيشون به

زمناً قليلاً، فيوم القيامة يضمحل

كيدهم، وتبطل مساعيهم،

ولا يستسمسرون من عداب الله

﴿٤٧ ــ ٤٩﴾ ﴿وإنَّ للذين ظلموا

عنذاباً دون ذلك ولكن أكشرهم

لا يعلمون * واصبر لحكم ربك فإنك

بأعيننا وسبح بحمد ربك حَين تقوم *

ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم للا

ذكر [الله] عذاب الظالمين في القيامة،

أخبر أن لهم عذاباً دون عذاب يوم

القيامة(١)، وذلك شامل لعذاب الدنيا،

بالقتل والسبى والإخراج من الديار،

ولعذاب البرزخ والقبر، ﴿ولكن

أكثرهم لا يعلمون﴾ أي: فلذلك

أقاموا على ما يوجب العذاب، وشدة

ولما بين تعالى الحجج والبراهين على

بطلان أقوال المكذبين، أمر رسوله ﷺ

أن لا يعبأ بهم شيئاً، وأن يصبر لحكم

ربه القدري والشرعى بلزومه

والاستقامة عليه، ووعده الله بالكفاية

بقوله: ﴿فإنك بأعيننا ﴾ أي: بمرأى

منا وحفظ، واعتناء بأمرك، وأمره أن

يستعين على الصبر بالذكر والعبادة،

فقال: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾

ففيه الأمر بقيام الليل، أو حين تقوم

إلى الصلوات الخمس، بدليل قوله:

﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾

أي: آخر الليل، ويدخل فيه صلاة

تم تفسير سورة والطور والحمد لله

﴿ولا هم ينصرون﴾

لا يقادر قدره، ولا يوصف أمره.

والمقسم عليه، تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه، والغيِّ في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتديًّا في علمه، هادياً، حسن القصد، ناصحاً للأمة (٢)، بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد(٣)، وقال ﴿صاحبكم﴾ لينبههم على ما يعرفونه منه، من الصدق والهداية، وأنه لا يخفى عليهم أمره، ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أي: ليس نطقه صادراً عن هوي نفسه، ﴿إن هو

تفسير سورة النجم [وهي] مكيـة

﴿١ ١٨ ﴾ ﴿ بسبم الله السرحمين الرحيم والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوي * إن هو إلا وحي يوحي * عملهمه شديد القوي * ذو ممرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنّة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى لله يقسم تعالى بالنجم عند هُويِّه أي: سقوطه في الأفق في آخر اللِّيل عند إدبار الليل وإقبال النَّهار، لأن في ذلك من آيات الله العظيمة، ما أوجب أن أقسم به، والصحيح أن النجم، اسم جنس شامل للنجوم كلها، وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول على من الوحي الإلهى، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحى وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم .

كَذَلِكَ مَا أَنَ ٱلَّذِينَ مِن قِبْلِهِ مِن رَّسُولِ إِلَّا فَالْوَاسَاءِ أَوْ يَحْوُنُ ٥ أَقُواصَوْابِهِ مَنْ هُرْقَوْمٌ طَاعُونَ ۞ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَتَ بِمَلُورِ۞ وَذَيْرَ فَإِنَّ ٱلذِّكَرَىٰ نَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَاخَلَقْتُ ٱلْحِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُدِ مِن رَزْقِ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ۞ إِنَّ أَلَهَ هُوَ الرَّزَّاقُ دُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَيْتِينُ۞ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَدِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ

۞ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۞

SO WHILE OF STREET SO

اللاللالا والمالا وَٱلتَّاوِ ۞ وَكِنَّكِ مَسْتُلُورِ ۞ فِيرَقِّ مَنشُورٍ ۞ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمُعْمُورِ ۞ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمُرْفُوعِ ۞ وَٱلْفِرَ ٱلْسُهُورِ ولَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَيْقِ ﴿ مَّالَكُونِ دَافِعٍ ﴿ يُومَ تَمُورُ السَّمَالَةِ مَوْدًا ۞ وَتَسِيرُ أَغِمَالُ سَيْرًا ۞ فَوَثِيلٌ يَوْمَهِ ذِلْمُكَذِيبِنَ ﴾ ﴿ ۞ ٱلَّذِينَ هُمَّ فِ خَوْضِ يَلْعَبُونَ ۞ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَادٍ أُ جَهَنَّرَتُمَّا ۞ هَذِهِ النَّارَأُ لَتِي كُنتُرِيهَا تُكَوِّبُونَ۞ DANSAL OU ROBOROL

إلا وحى يوحى أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتّقوى، في نفسه وفي غيره.

ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوي، وإنما يصدر عن وحي يوحي، ثم ذكر المعلم للرسول ﷺ، وهو جبريل [عليه السلام]، أفضل الملائكة [الكرام] وأقواهم وأكملهم، فقال: ﴿علْمه [شديد القوى] ﴿ أَي: نزل بالوحى على الرسول عليه جبريل عليه السلام، ﴿شديد القوى ﴾ أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوى على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ، ومنعه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ماليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين.

﴿ وَمِسرَّةً ﴾ أي: قدوة، وخلق حسن، وجمال ظاهر وباطن.

﴿ فاستوى ﴾ جبريل عليه السلام

الفجر، والله أعلم.

أي: من الليل.

في ب: في الآخرة أخبر أن لهم عذاباً قبل عذاب . . . (1)

⁽٢) **في ب: للخلق.**

في ب: وسوء. (٣)

A COMPANY OF THE PARTY OF THE P أَفَي خُرُهُ لِذَا أَمْ أَمَّتُهُ لَانْتِهِمُ وِنَّ ۞ أَصْفَةُ هَا فَأَصْدُوۤا أَوْلَاتَهُمُوا الْأ سَوَّآءُ عَلَيْكُمُّ إِنَّمَا يُحْزَوْكَ مَاكُنةُ تَعْمَلُونَ ۞ إِذَا لَمُنَقِينَ فِي جَنَّلتِ وَيَعِيدٍ ۞ فَلَكِهِينَ يَمَآءَ النَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَلْهُ مِنَهُ مُعَذَابَ ٱلْجَحِيرِ ﴿ كُلُواْ وَأَشَّرَ مُواْ هَسَتَا عَا كُتُعُ فِعَمَلُونَ ۞ مُتَّكِينَ عَلَى سُرُومَ ضَفُونَةً وَزَوَجَنَاهُم بحُرِينِينِ۞ وَٱلَّذِينَ مَامَنُوا وَٱلَّبَعَنْهُمُ ذُرِّيَّنَهُم وإيمَن ٱلْمُفْنَا يهِ مْ ذُرِّيِّنَكَهُمْ وَمَآ أَلْنَنْهُم مِنْ عَلِهِم مِن مَنْ عُكُمَا مُرِي عِلَكَتَبَ رَهِينُ ۞ وَأَمْدَدُ تَهُم مِطَلِكِمَ وَوَلَنْي مَنَا يَشْتَ فُونَ ۞ يَتَنْ زَعُونَ فِهَا كَأْمًا لَا لَفُوفِهَا وَلَا تَأْثِيرُ • وَعَلَّوْنُ عَلَيْهِمْ عِلْمَانَ لَمُنْ كُأَنَّهُمُ لُؤُلُونَكُونَ ۞ وَأَفْرَلَ بَعْشُهُمْ عَلَى بَسْنِ يَشْكَةُ لُونَ ۞ قَالْمَ إِنَّا كُنَّا قِلْ إِن أَعْلِكَ مُشْفِقِينَ ۞ فَنَ لَقَهُ عَلَيْنَ اوَوَقَدْنَا عَنَابَ السَّمُومِ ۞ إِنَّا كُنَّا مِن قَسِلُ تَنْعُونًا لَنُمُعُوا لَذُالِحَيدُ ۞ فَنَحِيْرُفَا أَنَّ بِيعْمَتِ رَيْكَ بِكَاهِنِ وَلَاجَنُونِ ۞ أَمْرِيَتُولُونَ شَاعِرٌ بُرْيَقُلُ بِدِرَبَ ٱلْمَنُونِ ۞ قُلْ تُرَبِّمُهُوا فَإِنِّى مَعَكُم مِنَ ٱلْمُتَرَّبِيدِينَ ۞ TO TO THE OWNER OF THE OWNER O

﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أي: أفق السماء الذي هو أعلى من (١١) الأرض، فهو من الأرواح العلوية، التي لا تنالها الشياطين ولا يتمكنون من الوصول إليها .

﴿ثم دنا ﴿ جبريل من النبي عِيد، لإيصال الوحي إليه .

﴿فتدلى عليه من الأفق الأعلى ﴿فكان﴾ في قربه منه ﴿قابِ قوسين﴾ أي: قدر قوسين، والقوس معروف، ﴿ أُو أَدني ﴾ أي: أقرب من القوسين، وهنذا يندل على كنمال المباشرة(٢) للرسول ﷺ بالرسالة، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام.

﴿فأوحى﴾ الله بواسطة جبريل عليه السلام ﴿ إِلَى عبده ﴾ معمد ﷺ ﴿ ما أوحي النادي أوحياه إليه من الشرع العظيم، والنبأ المستقيم.

﴿ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ أي: اتفق فؤاد الرسول ﷺ ورؤيته على الوحى الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على كمال الوحى الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقياً لا شك فيه ولا شبهة ولاريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك. ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى ﷺ ليلة

كذا في ب، وفي أ: الأعلى على.

في ب: مباشرته.

(1)

(٢)

أسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه تيقنه حقاً بقلبه ورؤيته، هذا [هو] الصحيح في تأويل الآية الكريمة، وقيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول على لرب ليلة الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول على لربه في الدنيا، ولكن الصحيح القول الأوّل، وأن المرادبه جبريل عليه السلام، كما يدل عليه السياق، وأن محمداً على رأى جبريل في صورته الأصلية [التي هو عليها] مرتين، مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله على، ولهذا قال: ﴿ولقد رآه نسزلة أخسري اي: رأى محسد جبريل مرة أخرى، نازلاً إليه.

﴿عند سدرة المنتهي﴾ وهي شجرة عظيمة جداً، فوق السماء السابعة، سميت سدرة المنتهى، لأنه ينتهى إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله، من الوحى وغيره، أو لانتهاء علم الخلق (٣) إليها أي: لكونها فوق السماوات والأرض، فهي المنتهى في علوها(١)، أو لغيّر ذلك، والله

فرأى محمد ﷺ جبريل في ذلك المكان، الذي هو محل الأرواح العلوية الزاكية الجميلة، التي لا يقربها شيطان ولا غيره من الأرواح الخبيثة .

عند تلك الشجرة ﴿جنة المأوى﴾ أي: الجنة الجامعة لكل نعيم، بحيث كانت محلاً تنشهي إليه (٥) الأماني، وترغب فيه الإرادات، وتأوي إليها الرغبات، وهذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة. ً

﴿إِذْ يَغْشَى السَّدَرَةُ مَا يَغْشَى ﴾ أي: يغشاها من أمر الله، شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل.

﴿ما زاغ البصر وما طغي ﴾ أي: ما زاغ يمنة ولا يسرة عن مقصوده ﴿وما

طغي الله أي: وما تجاوز البصر، وهذا كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقاماً أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد بما أمر به، أو يقوم به على وجه التفريط، أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يميناً وشمالاً، وهذه الأمور

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ من الجنة والنار، وغير ذلك من الأمور التي رآها ﷺ ليلة أسري به.

كلها منتفية عنه على الله

﴿١٩ _ ٢٥﴾ ﴿أَفْرِ أَيْتُمَ الْكُلُّتُ والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سمَّيتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * أم للإنسان ما تمنى * فلله الآخرة والأولى) لما زكمي تعالى ما جاء به محمد على من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عيادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وآباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهلذه الأنبداد البتيي سيميوها بهلذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا «اللات، من «الإله» المستحق للعبادة، و «العزى» من «العزيز»، و «مناة» من «المنان»، إلحاداً في أسماء الله وتجرياً على الشرك به، وهذه أسماء متجردة

في ب: علم المخلوقات.

كذا في ب، وفي أ: علومها. (1)

⁽٣)

⁽٥) كذا في ب، وفي أ: إليها.

عن المعانى، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف

﴿ أَلَّكُم الدَّكر وله الأنشى ﴾ أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم، ولكم

﴿تلك إذا قسمة ضيزي﴾ أي: ظالمة

جائرة، [وأيُّ ظلم أعظم من قسمة] تقتضى تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ [تعالى عن قولهم علواً كبيراً]. وقدوله: ﴿إِن هي إلا أسسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان الى: من حجة وبرهان على صحة مذهبكم، وكل أمر ما أنزل الله به من سلطان، فهو باطل فاسد، لا يتخذديناً، وهم ـ في أنفسهم اليسوا بمتبعين لبرهان، يتيقنون به ما ذهبوا إليه، وإنما دلهم على قولهم، الظن الفاسد، والجهل الكاسد، وما تهواه أنفسهم من الشرك والبدع الموافقة لأهويتهم، والحال أنه لا موجب لهم يقتضى اتباعهم الظن، من فقد العلم والهدى، ولهذا قال تعالى: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أي: الذي يرشدهم في باب التوحيد والنبوة، وجميع المطالب التي يحتاج إليها العباد، فكلَّها قد بينها الله أكمل بيان وأوضحه، وأدله على المقسود، وأقام عليه من الأدلة والبراهين، ما يوجب لهم ولغيرهم اتباعه، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة من بعد البيان والبرهان، وإذا كان ما هم عليه، غايته اتباع الظن، ونهايته الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، فالبقاء على هذه الحال، من أسفه السفه، وأظلم الظلم، ومع ذلك يتمنون الأماني، ويغترون بأنفسهم.

ولهذا أنكر تعالى على من زعم أنه يحصل له ما تمني وهو كاذب في ذلك، فقال: ﴿أُم للإنسان ما تمنى * فلله الآخرة والأولى ﴾ فيعطى منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، فليس الأمر تابعاً لأمانيهم، ولا موافقاً لأهوائهم.

﴿۲٦﴾ ﴿وكـم مـن مــلـك فــى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى يقول تعالى منكراً على من عبد غيره من الملائكة وغيرهم، وزعم أنها تنفعه وتشفع له عند الله يوم القيامة: ﴿وكم من ملَّك في السماوات﴾ من الملائكة المقربين، وكرام الملائكة، ﴿لا تغنى شفاعتهم شيئاً أي: لا تفيد من دعاها وتعلق بها ورجاها، ﴿إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى أي: لا بد من اجتماع الشرطين: إذنه تعالى في الشفاعة، ورضاه عن المشفوع له. ومن المعلوم المتقرر، أنه لا يقبل من العمل إلاما كان خالصاً لوجه الله، موافقاً فيه صاحبه الشريعة، فالمشركون إذاً لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين، وقد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين. ﴿٢٧ ـ ٣٠ ﴿إِن السَّذِيسِينَ

لا يؤمنون بالآخرة ليسمُّون الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً * فأعرض عن من تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى، يعنى ان المشركين بالله المُكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وبسبب عدم إيمانهم بالأخرة تجرؤوا على ما تجرؤوا عليه، من الأقوال، والأفعال المحادة لله ولرسوله، من قولهم: «الملائكة بنات الله»، فلم ينزهوا ربهم عن الولادة، ولم يكرموا الملائكة ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثاً، والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عنن الله، ولا عنن رسوله، ولا دلت على ذلك الفطر والعقول، بل العلم كله دال على نقيض قولهم، وأن الله منزه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحمد، وأن الملائكة كرام مقربون

THE PROPERTY OF أَمْ نَأْمُرُهُمُ أَخَلَمُهُم بِهَانَأَ أَمْ هُرَقَقٌ طَاعُونَ۞ أَمْ يَقُولُونَ فَقُوَّلُهُ. بَلَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْقُواْ بِحَدِيثِ مِنْدِودِ إِن كَافُواْ صَادِقِينَ ۞ أَمْ خُلِقُواْمِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُرُ أَكْفَلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضُ بَل لَا يُوقِهُ نُونَ ۞ أَمْ عِندَهُ رَخَلَيْنُ رَبِّكَ أَمْهُمُ ٱلْمُهَيِّطِرُونَ ۞ أَمْ لَمُرْسُلُرُ يَسْتَحِمُونَ فِيَّهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُ مُرِيسُلُطُن مُينِ ۞ أَمَلَهُ ٱلْبَنَتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۞ أَمْ تَشَعَلُهُمُ أَجْرَا فَهُدِيَنِ مَّغْرَمِ مُثَقَلُونَ ۞ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْمَدَيْثُ فَهُمْ يَكُثُونَ ۞ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْنَا فَالَّذِينَ كَثَرُوا هُمُ الْكِيدُونَ ۞ أَمْ لَمُكُمْ إِلَا تُعَيِّرُا لَقَوِّ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَلِمَ يَرَقُ لِكِنْفَا مِنَ السَّمَاءِ سَافِطاً يَقُولُواْ سَمَاتٌ مَّرَكُمْ عَ ۞ فَذَرْهُ رَحَلَىٰ يُلْقُواْ يَوْمَهُ مُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْنُهُمْ شَيْعًا وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظُلَمُواْعَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَ أَكْدَرُهُ لِلسِّفَانُونَ ۞ وَأَسْيِرْ لِحَكْمِ رَبِكَ فَإِنَّكَ مِأْتُكَ الْمَيْنَ أَوْسَيْع يِعَنْدِ رَيِّكَ حِينَ تَعْوُمُ ۞ وَمِنَ النَّيلِ مَسَيِّعْهُ وَاذْبَرَ النَّجُومِ ۞ المنافقة في المنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة والمنافقة

إلى الله، قائد مون بخدمته ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون الشركون (١) إنما يتبعون في ذلك القول القبيح، وهو(٢) الظن الذِّي لا يُغنى من الحقُّ شيئاً، فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.

ولما كان هذا دأب هؤلاء المذكورين أنهم (٣) لا غرض لهم في اتباع الحق، وإنما غرضهم ومقصودهم، ما تهواه نفوسهم، أمر الله رسوله بالإعراض عمن تولى عن ذكره، الذي هو الذكر الحكيم، والقرآن العظيم، والنبأ الكريم، فأعرض عن العلوم النافعة، ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهذا منتهى إرادته، ومن المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده، فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصّلوها، وبأي: طريق سنحت ابتدروها، ﴿ذلك مبلغهم من العلم أي: هذا منتهى علمهم وغايته، وأما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الألباب والعقول، فهمتهم وإرادتهم للدار الأخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والله تعالى أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ممن لا يستحق

كذا في ب، وفي أ: وهم.

or سوية العِنْمُ السياق حِلْقَهَا لَوَّمُزَالَ كَيْمِ وَالنَّجْمِهِ إِنَا هَوَىٰ ۞ مَاضَلُّ صَالِحِبُكُمْ وَمَاغُوىٰ ۞ وَمَايَطِقُ عَنَ الْمُوَيِّ ۞ إِذْ هُوَ إِلَّا وَخَيْ يُوحَىٰ۞ عَلَمْهُ شَدِيدُ ٱلْقُوْعَٰ۞ دُومِزَةِ فَأَسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ إِلْأَفُقِ ٱلْأَخْلَ ۞ ثُرُّدُنَافَنَدَ لَى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْأَدَنَ ۞ فَأَوْجَنَى إِلَى عَبْدِهِ عِمَا أَوْجَى ۞ مَاكَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَازَأَىٰٓ ۞ أَفَنْمَنُرُونَهُ عَلَى مَايِرَىٰ۞ وَلَقَدْ رَوَاهُ نَزَلَةُ أَخْرَىٰ ۞ عِندَسِدُرَةِ ٱلْمُنْفَعَىٰ ۞ عِندَهَاجَنَّةُ ٱللَّهُوَيَ۞ إِذْ يَعْشَى ٱلبِنِدْرَةَ مَا يَعْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُوَ مَا طَعَىٰ ۞ لَعَدْ رَأَىٰ مِنْ النِّتِ رَبِهِ ٱلْكُبْرَيِّ ۞ أَفَرَّةَ يُثُمُ ٱللَّتَ وَٱلْمُسْزَّىٰ ۞ وَمَنَوْوَا لَنَا لِنَهَا ٱلْأَخْرَىٰ ۞ أَلَكُمُ الذَّكُرُ وَلَهُ ٱلْأَسْقَى فِلْكَ إِذَا قِتَمَةٌ ضِيزَةَ ۞ إِنْ هِنَ إِلَّا أَسْمَآةٌ سَتَيْتُتُمُوهَٱ أَنْتُرُومَ الْبَالْؤُكُمُ مَّا أَرْلَ اللَّهُ يَهَامِن سُلْطَنَّ إِن يَتِّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّرَ ﴿ وَمَاتَهُوكِ ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَ هُمِ مِنَ رَبِهِ مُ الْفُكَ كَنْ ۞ أَمُ الْإِنسَانِ مَا مَّنَّى ﴿ فَلِنَوَ الْأَخِرَةُ وَٱلْأُولَ ﴿ • وَكُرِينَ مَّلَكِ فِي الشَّهَوَتِ لَانْتُنِي شَفَعَهُمُ مُشَيِّعًا إِلَّامِنَ بَعَدِ أَن يَأْذَكَ أَعَمُلُن يَشَكَّهُ وَيُرْضَى ٥

ذلك فيكله إلى نفسه، ويخذله، فيضل عن سبيل الله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى فيضع فضله حيث يعلم المحل اللائق به.

﴿٣١ ـ ٣١﴾ ﴿ولله مـــا قــــى السماوات وما في الأرض ليجزى الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ يخبر تعالى أنه مالك الملك، المتفرد بملك الدنيا والآخرة، وأن جميع من في السماوات والأرض ملك لله، يتصرف فيهم تصرف الملك العظيم، في عبيده ومماليكه، ينفذ فيهم قدره، ويجري عليهم شرعه، ويأمرهم وينهاهم، ويجزيهم على ما أمرهم به ونهاهم [عنه]، فيثيب المطيع، ويعاقب العاصي، ليجزي الذين أساؤوا العمل السيئات من الكفر فما دونه بما عملوا

من أعمال الشر بالعقوبة البليغة (۱).

﴿ويجزي المذين أحسنوا ﴾ في عبدادة الله تعلى، وأحسنوا إلى خلق الله، بأنواع المنافع ﴿بالحسنى ﴾ أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، وأكبر ذلك وأجلّه رضا ربهم، والفوز بنعيم الجنة (۲).

ثم ذكر وصفهم فقال: ﴿الدِّين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش♦ أي: ينف عبلون منا أمرهم الله بنه من الواجبات، التي يكون تركها من كبائر الذنوب، ويتركون المحرمات الكبار، كالزنا، وشرب الخمر، وأكل الربا، والقتل، ونحو ذلك من الذنوب العظيمة، ﴿إلا اللمم﴾ وهي الذنوب الصغار، التي لا يصر صاحبها عليها، أو التي يلم بها العبد، المرة بعد المرة، على وجه الندرة والقلة، فهذه ليس بجرد الإقدام عليها مخرجاً للعبد من أن يكون من المحسنين، فإن هذه مع الإتيان بالواجيات وترك المحرمات، تدخل تحت مغفرة الله التي وسعت كل شيء، ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَبُّكُ واسع المغفرة > فلولا مغفرته لهلكت البلاد والعباد، ولولا عفوه وحلمه لسقطت السماء على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة. ولهذا قال النبي ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورميضان إلى رميضان، مكفرات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر، [وقوله:] ﴿ هو أعلم بكم إذْ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم أي: هو تعالى أعلم بأحوالكم كلها، وما جبلكم عليه، من النضعف والخور، عن كشير محا أمركم الله به، ومن كثرة الدواعي إلى بعض (٣) المحرمات، وكثرة الجواذب إليها، وعدم الموانع القوية، والضعف

أنشاكم (٤) الله من الأرض، وإذ كنتم في بطون أمهاتكم، ولم يزل موجوداً فيكم، وإن كان الله تعالى قد أوجد فيكم قوة على ما أمركم به، ولكن الضعف لم يزل، فلعلمه تعالى بأحوالكم هذه، ناسبت الحكمة الإلهية والجود الربان، أن يتعمدكم برحمته ومغفرته وعفوه، ويغمركم بإحسانه، ويزيل عنكم الجرائم والمآثم، خصوصاً إذا كان العبد مقصوده مرضاة ربه في جميع الأوقات، وسعيه فيما يقرب إليه في أكثر الآنات، وفراره من الذنوب التي يتمقت بها عند مولاه، ثم تقع منه الفلَّتة بعد الفلتة، فإن الله تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين (٥)، أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فلا بدلتل هذا أن يكون من مغفرة ربه قريباً وأن

موجود مشاهد منكم حين

﴿هو أعلم بسمن اتقى﴾ [فإن التقوى، محلها القلب، والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من برّ وتقوى، وأما الناس، فلا يغنون عنكم من الله شيئاً].

يكون الله له في جميع أحواله مجيباً،

ولهذا قال تعالى: ﴿ فلا تركوا

أنفسكم أي: تخبرون الناس بطهارتها

على وجه التمدح(٢).

(٣٣ - ٢٦) ﴿أفسر أيست السذي تولى * وأعطى قليلاً وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وق * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المستمهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والانشى * من نطفة إذا تمنى * وأن

 ⁽١) في ب: الفظيعة.

⁽٢) في ب: والفوز بالجنة وما فيها من النعيم.

⁽٣) في ب: إلى فعل.

⁽٤) في ب: حين أخرجكم.

⁽٥) في ب: وأجود الأجودين.

⁽٦) كذا في ب، وفي أ: تطهرونها، وتخبرون النَّاس بذلك على وجه التمدح.

عليه النشأة الأخرى ﴾ إلى آخر السورة يقول تعالى: ﴿ أَفُر أَيْتَ ﴾ قبح حالة من أمر بعبادة ربه وتوحيده، فتولى عن ذلك وأعرض عنه؟

فإن سمحت نفسه ببعض الشيء، القليل، فإنه لا يستمر عليه، بل يبخل ويكدى ويمنع.

فإن المعروف ليس سجية له وطبيعة (١) بل طبعه التولي عن الطاعة، وعدم الشبوت على فعل المعروف، ومع هذا، فهو يزكي نفسه، وينزلها غير منزلتها التي أنزلها الله بها. الغيب فهو يرى الغيب ويخبر به، أم هو متقول على الله، متجرىء على الجمع بين الإساءة والتزكية (٢) ، كما هو الواقع، الإساءة والتزكية (٢) ، كما هو الواقع، دنه علم من الغيب، وأنه لو قُدر أنه ادعى ذلك فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب التي على يد النبي المعصوم، تدل على التيض قوله، وذلك دليل على بطلانه.

﴿أُم لَم ينبأُ﴾ هذا المدعى ﴿بِما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفي أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به من الشرائع وأصول الدين وفروعه، وفي تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله: ﴿ أَلَا تَوْرِ وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ أي: كل عامل له عمله الحسن والسيّىء، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحد عن أحد ذنباً ، وأن سعيه سوف يرى ﴿ فِي الآخرة فيميز حسنه من سيئه، ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى أي: المستكمل لجميع العمل الحسن الخالص بالحسني، والسييء الخالص بالسُّوأي، والمشوب بحسبه، جزاءً تقرّ بعدله

وإحسانه الخليقة كلها، وتحمد الله عليه، حتى إن أهل النار ليدخلون النار، وإن قلوبهم مملوءة من حمد ربهم، والإقرار له بكمال الحكمة ومقت أنفسهم، وأنهم الذين أوصلوا أنفسهم وأوردوها شر الموارد، وقد استدل بقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى المن يرى أن القُرَبَ لا يفيد^(٣) إهداؤها للأحياء ولا للأموات قالوا لأن الله قال: ﴿وأن ليس للإنسان ما سعي﴾ فوصول سعي غيره إليه مناف لذلك، وفي هذّا الاستدلال نظر، فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلاف فيه، وليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعى غيره، إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنّه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه وتحت يده، ولا يلزم من ذلك، أن لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه.

وقوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾
أي: إليه تنتهي الأمور، وإليه تصير
الأشياء والخلائق بالبعث والنشور،
وإلى الله المنتهى في كل حال، فإليه
ينتهي العلم والحكم، والرحمة وسائر
الكمالات، ﴿وأنه هو أضحك
وأبكى﴾ أي: هو الذي أوجد أسباب
الضحك والبكاء، وهو الخير والشر،
والفرح والسرور والهم [والحزن]،
وهو سبحانه له الحكمة البالغة في
وهو سبحانه له الحكمة البالغة في
ذلك، ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ أي:
هو المنفرد بالإنجاد والإعدام، والذي
أوجد الخلق وأمرهم ونهاهم،
سيعيدهم بعد موتهم، ويجازيهم بتلك
الأعمال التي عملوها في دار الدنيا،

﴿وأنسه خسلسق السزوجسين ﴾ فسسر الزوجين(١) بقوله: ﴿الذكر والأنشى﴾ وهذا اسم جنس شامل لجميع الحيوانات، ناطقها وميمها، فهو المنفرد بخلقها، ﴿من نطفة إذا تمني﴾ وهذا من أعظم الأدلة على كمال قدرته وانفراده بالعزة العظيمة، حيث أوجد تلك الحيوانات، صغيرها كبيرها من نطفةٍ ضعيفة (٥) من ماء مهين، ثم نماها وكملها، حتى بلغت ما بلغت، ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع المقامات في أعلى عليين، وإما إلى أدني الحالات في أسفل سافلين، ولهذا استدل بالبداءة على الإعادة، فقال: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى العباد من الأجداث، ويجمعهم ليوم الميقات، ويجازيهم على الحسنات والسيئات، ﴿وانه هو اغنى واقنى اى: اغنى العباد بتيسير أمر معاشهم من التجارات وأنواع المكاسب، من الحرف وغيرها، وأقنى أي: أفاد عباده من الأموال بجميع أنواعها، ما يصيرون به مقتنين لها، ومالكين لكثير من الأعيان، وهذا من نعمه على عباده أن جميع النعم منه تعالى(٦)، وهذا يوجب للعباد أن يشكروه، ويعبدوه وحده لا شريك له، ﴿وأنه هو رب الشعري﴾ وهي النجم المعروف بالشعرى العبور، المسماة بالمرزم، وخصها الله بالذكر، وإن كسان رب كسل شسىء، لأن هسذا النجم مما عُبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبده المشركون مربوب مدبر مخلوق، فكيف تتخذ إلهاً مع الله^(٧)، ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ وهم قوم هود عليه السلام، حين كذبوا

⁽١) في ب: فإن الإحسان ليس سجية له وطبعاً.

⁽٢) فتجرىء عليه جامع بين المحذورين الإساءة والتزكية.

 ⁽٣) في ب: لا يجوز.

⁽٤) في ب: فسرهما.

 ⁽٥) كذا في ب، وفي أ: قليلةٍ.

⁽٦) في ب: وهذا من نعمه تعالى أن أخبرهم أن جميع النعم منه.

⁽٧) في ب: فكيف تتخذ مع الله آلهة.

هوداً، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية، ﴿وتمود﴾ قوم صالح عليه السلام، أرسله الله إلى ثمود فكذبوه، فبعث الله إليهم (١) الناقة آية، فعقروها وكذبوه، فأهلكهم الله تعالى، ﴿فما أبقى الله منهم أحداً، بل أهلكهم الله عن آخرهم (٢) ، ﴿ وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطعي، من هؤلاء الأمم، فأهلكهم الله وأغرقهم في اليم، ﴿وَالْمُؤْتِفَكَةُ﴾ وهم قوم لوط عليه السلام ﴿أهوى اي: أصابهم الله بعذاب ما عذب به أحداً من العالمين، قلب أسفل ديارهم أعلاها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، ولهذا قال: ﴿فغشاها ما غشى ﴾ أي: غشيها من العذاب الأليم الوخيم ما غشى أي: شيء عظيم لا يمكن وصفه، ﴿فبأي: آلاء ربك تتمارى﴾ أي: فبأي: نعم الله وفضله تشك أيها الإنسان؟ فإن نعم الله ظاهرة لا تقبل الشك بوجه من الوجوه، فما بالعباد من نعمة إلا منه تعالى، ولا يدفع النقم إلا هو.

﴿هذا نذير من النذر الأولى أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله، ليس ببدع من الرسل، بل قد تقدمه من الرسل السابقين، ودعوا إلى ما دعا إليه، فلأي: شيء تنكر رسالته؟ وبأي: حجة تبطل دعوته؟

أليست أخلاف [أعلا] أخلاق الرسل الكرام، أليست دعوته إلى كل خير والنهي عن كل شر؟(٣)

ألم يأت بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؟ ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟ فما الذي يمنع العذاب عن المكذبين لمحمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحبّلين؟

﴿أَرْفَت الآرْفَة ﴾ أي: قربت القيامة ، ودنا وقتها ، وبانت علاماتها ، ﴿لِيس لها من دون الله كاشفة ﴾ أي: إذا أتت القيامة وجاءهم العذاب الموعود به .

ثم توعد المنكرين لرسالة الرسول محمد ﷺ، المكذبين لما جاء به من القرآن الكريم، فقال: ﴿أَفْمِن هِذَا الحديث تعجبون ١٤٠ أي: أفمن هذا الحديث الذي هو خير الكلام وأفضله وأشرفه تتعجبون منه، وتجعلونه من الأمور المخالفة للعادة الخارقة للأمور [والحقائق] المعروفة؟ هذا من جهلهم وضلالهم وعنادهم، وإلا فهو الحديث الذي إذا حدث صدق، وإذا قال قولاً فهو القول الفصل الذي ليس بالهزل، وهو القرآن(٤) العظيم، الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، الذي يزيد ذوى الأحلام رأياً وعقلاً، وتسديداً وثباتاً، وإيماناً ويقيناً والذي(٥) ينبغي العجب من عقل من تعجّب منه، وسفهه وضلاله.

﴿وتضحكون ولا تبكون﴾ أي: تستعملون الضحك والاستهزاء به، مع أن الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون، سماعاً لأمره ونهيه، وإصغاء لوعده ووعيده، والتفاتاً لأخباره الحسنة الصادقة، ﴿وانتم سامدون﴾ أي:

غافلون عنه، لاهون عن تدبره، وهذا من قلة عقولكم وأديانكم، فلو عبدتم الله وطلبتم رضاه في جميع الأحوال لما كنتم بهذه الثابة التي يأنف منها أولو الألباب، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاسَجِدُوا للهُ واعبِدُوا﴾ الأمر بالسجود لله خصوصاً، ليدل ذلك على فضله''، وأنه سر العبادة ولبها، فإن لبها الخشوع لله (الخضوع له، والخضوع له، والسجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد (^^)، فإنه يخضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة موضع وطء الأقدام.

ثم أمر بالعبادة عموماً، الشاملة لجميع ما يجبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

تم تفسير سورة النجم، والحمد لله الذي لا نحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، وصلى الله على محمد وسلم تسليماً كثيراً.

تفسير سورة اقتربت مكيسة

﴿١ - ٥﴾ ﴿بسم الله الرحن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يسروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم من الأنباء ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغني النار﴾ يخبر تعالى أن الساعة وهي القيامة اقتربت وآن أوانها، وحان وقت يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين لننزولها، ويريهم الله من الآيات العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على

⁽١) في ب: لهم.

⁽٢) في ب: بل أبادهم عن آخرهم.

⁽٣) في ب: أليس يدعو إلى كل خير، وينهي عن كل شر.

⁽٤) في ب: القرآن.

⁽٥) في ب: بل الذي.

⁽٦) في ب: يدل على فضله.

⁽٧) في ب: فإن روحها الخشوع لله.

⁽٨) ﴿ فِي أَ: الْقَلْبِ، وفي ب: الكلمة غير واضحة، وقد جعلتها العبد لمناسبة الكلمة للسياق لقوله فيما بعد: (قلبه وبدنه).

مثله البشر، فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله على أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على [صحة ما جاء به و] صدقه، أشار على إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقتين، فلقة على جبل أي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى(١) الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخييل، فشاهدوا أمراً ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيراً، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم، وقالوا: سحرنا محمد، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم^(۲) إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا(٣) يقدر أن يسحر من ليس مشاهداً مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: ﴿سحر مستمر﴾ سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل، وهذا ليس إنكاراً منهم لهذه الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لقابلتها بالباطل (٤) والردلها، ولهذا قال: ﴿وإن يسروا آية يسعسر ضسوا ﴾ ولم يسعد الضمير على انشقاق القمر فلم يقل: وإن يروها بـل قـال: ﴿وإن يـروا آيـة يعرضوا ، وليس قصدهم اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى، ولهذا قبال: ﴿وكنذبوا والسعوا أهواءهم كقوله تعالى: ﴿فإن لم

يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعاً، واتبعوا محمداً ﷺ، لأنه أراهم الله على يديه (٥) من البينات والبراهين والحسجيج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، ﴿وكل أمر مستقر﴾ أي: إلى الآن، لم يبلغ الأمر غايته ومنتهاه، وسيصير الأمر إلى آخره، فالمصدق يتقلب في جنات النعيم، ومغفرة الله ورضوانه، والمكذب يتقلب في سخط الله وعذابه، خالداً مخلداً أبداً.

وقال تعالى _مبيناً أنهم ليس لهم قصد صحيح، ولا اتباع للهدى _: ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ﴾ أي: الأخبار السابقة واللاحقة والمعجزات الظاهرة ﴿ما فيه مزدجر﴾ أي: زاجر يزجرهم عن غيهم وضلالهم، وذلك ﴿حكمةُ ﴾ منه تعالى ﴿بالغة ﴾ أي: لتقوم حجته على المخالفين(٢٠)، ولا يبقى لأحد على الله حجة بعد الرسل، ﴿فما تغن النذر﴾ كقوله تعالى: ﴿ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم♦.

﴿٦ ـ ٨﴾ ﴿فتول عنهم يوم يدعو الداع إلى شيء نكر * خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يومُ عسر، يقول تعالى لرسوله رهي قد بان أن المكذبين لا حيلة في هداهم، فلم يبق إلا الإعراض عنهم والتولي عنهم، [فقال:] ﴿فتول عنهم التظر بهم يوماً عظيماً وهَوْلاً جسيماً، وذلك حين

CHUE or CHUE IN إِذَالَّذِنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَدُّونَ ٱلْكُلِّيكُهُ مَسْمِيَّةَ ٱلْأُسْقَى ﴿ وَمَا لَمُتُم بِهِ مِنْ عِلْمِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْنًا ۞ فَأَعْرِضَ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُدِدُ إِلَّا ٱنْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَا۞ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبِّكَ هُوَأَعْلَمُ بَنَ ضَرَّا عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَأَعْلَرُ بَنِ أَهْتَدَىٰ ۞ وَلِلَّهِ مَافِ ٱلسَّمَوَاتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضِ لِعَرِي ٱلَّذِينَ أَسَتَعُوا بَمَا عَيِمُوا وَيَحْزِيَ الِّينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَ ۞ ٱلَّذِينَ يَخْتَنِبُونَ كَبْتَهِ ٱلْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَةُ إِنَّ رَبِّكَ وَاسِعُ ٱلْمُغْفِرَةُ هُوَأَعَلَّرُ كُمُّ إِذْ أنشأكُم مِن الأرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجَّدُةٌ فِ بُطُونِ أُمَّهَاكُمُ فَلَا تُزَكِّوا أَنْشُكُو هُوَ أَعْلَرُ بَنِ أَقَٰقَ ۞ أَوْرَيْتَ ٱلَّذِي تَولَّكُ ﴿ وَأَعْلَىٰ قِلِيلُاوَا كُمُنَا ۞ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَرَكَا ۞ أَمْ لَرُّيْنَيَّأُ عِمَافِى مُسْفِ مُوسَىٰ ﴿ وَالْبَرَاهِ يَمَ ٱلَّذِي وَفَّى ﴿ ٱلَّانَزِرُ الله وارزة وزراً خرى في والله والمناسخ في والنسخة سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُرَيُجُزَنِهُ ٱلْجُزَلَةِ ٱلْأَوْفَا۞ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِيكَ ٱلْمُنعَىٰ الله عَلَيْدُهُ وَأَضَاكَ وَأَجْكُنْ ۞ وَأَنْدُهُ وَأَمَاتَ وَأَخْيَا ۞ CONTRACTOR OF THE STATE OF THE

﴿يدعو الداع﴾ إسرافيل عليه السلام ﴿ إِلَّى شَيَّ نَكُر ﴾ أي: إلى أمر فظيع تنكره الخليقة، فلم تر منظراً أفظع ولا أوجع منه، فينفخ إسرافيل نفخة، يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة، ﴿خشعا أبصارهم﴾ أي: من الهول والفزع الذي وصل إلى قلوبهم، فخضعت وذلت، وخشعت لذلك أبصارهم.

﴿يخرجون من الأجداث، وهي القبور، ﴿كأنهم ﴾ من كثرتهم، وروجان بعضهم ببعض المجراد منتشر ﴾ أي: مبثوث في الأرض، متكاثر جداً، ﴿مهطعين إلى الداع﴾ أي: مسرعين لإجابة السداء الداعي(٧)، وهذا يدل على أن الداعي يدعوهم ويأمرهم بالحضور لموقف القيامة، فيلبون دعوته، ويسرعون إلى إجابته، ﴿يقول الكافرون﴾ الذين قد حضر عذابهم: ﴿هذا يوم عسر﴾ كما قال تعالى ﴿على الكافرين غير يسير ﴾

في ب: العظيمة. (1)

في ب: من ورد. **(Y)**

⁽٣) في ب: لم.

⁽¹⁾ في ب: بالتكذيب.

كذا في النسختين والمراد ظاهر وهو أن الله أراهم على يديه. (0)

في ب: العالمين. (1)

⁽V) كذا في ب، وفي أ: مسرعين لنداء الداعي.

ونهاراً، وسراً وجهاراً، فلم يزدهم

医型型型 电影图型器 وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْعَيَنَ الذَّكَرَوَالْأُنْتَىٰ ۞ مِن نُطْفَةِ إِذَا تُمْتَىٰ ۞ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشَأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۞ وَأَنَّهُ مُوٓ أَغَنَّى وَأَقْنَىٰ ۞ وَأَنَّهُ هُوَرَبُ الشِّعْرَيٰ ۞ وَأَنَّهُ ﴿ أَهَلَكَ عَادًا ٱلْأُولَا ۞ وَثَمُونَا فَمَا النَّيْ ﴿ وَقَوْمَ نُوحِ مِن قَيْلِّ إِنَّهُمْ كَانُواْهُمُ أَظْلَمُ وَأَطْفَى ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَهُ أَهُوى ﴿ فَعَشَّهَا مَاغَشِّي ﴿ فَهِ أَي ءَالَادِ رَيْكَ تَتَمَارَىٰ۞ هَذَا نَفِيرُ مِنَ النُّدُرِ ٱلْأُولَٰٓ ۞ أَرْفَتِ ٱلْأَرْفَةُ ۞ لَيْسَ لَمَاعِن دُونِ اللَّهِ كَايِشْفَةٌ ۞ أَفَعِنْ هَلَذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَتَضْحَكُونَ وَلَانَبْكُونَ ۞ وَأَنتُهُ سَكِيدُوكَ ۞ فَأَسْجُدُواْ لِنَّهِ وَأَعْبُدُواْ ۞ و المنتابي المنتابي المنتابية المنتا ٱقْتَرَبِّ ٱلسَّاعَةُ وَأَنشَقَ ٱلْقَتَرُ ۞ وَلَا يَرَوْأَ الِهَ يُمْضُوا وَيَقُولُوا مِعْرُمُتُمَيِّرٌ ۞ وَكَذَبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَآءَ هُزُوكُلُ أَمْرِ مُسْتَقِرُ ۞ وَلَقَدْ جَآءَ هُمِينَ ٱلْأَبْنَاءِ مَافِيهِ مُزْرَجَرٌ ۞ حِكُمَةُ لِلِغَةُ فَالْتُفْرِ ٱلنَّذُرُ ۞ فَوَلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءِ نُكُرٍ۞

[مفهوم ذلك أنه يسيرٌ سهل على المؤمنين]^(۱)

﴿٩ _ ١٧ ﴾ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فادعا ربه أن مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فالتقي الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح وكسر * تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركَّناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كه لما ذكر تبارك وتعالى حال المكذبين لرسوله، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئاً، أنذرهم وخؤفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسل، وكيف أهلكهم الله وأحلُّ بهم

فذكر قوم نوح، أول رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فامتنعوا من ترك الشرك وقالوا: ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً * ولا يغوث ويعوق

ذلك إلا عناداً وطغياناً، وقدحاً في نبيهم، ولهذا قال هنا: ﴿ فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون، لزعمهم أن ما هم عليه وآباؤهم من الشرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل، وأن ما جاء به نوح عليه الصلاة والسلام جهل وضلال، لا يصدر إلا من المجانين، وكذبوا في ذلك، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعاً وعقلاً، فإن ما جاء به هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول النيرة المستقيمة، إلى الهدى والنور والرشد، وما هم عليه جهل وضلال مبين، [وقوله:] ﴿وازدجر ﴾ أي: زجره قومه وعنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى، فلم يكفهم _قبحهم الله _عدم الإيمان به، ولا تكذيبهم إياه، حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، وهكذا جميع أعداء الرسل، هذه حالهم مع أنبيائهم، فعند ذلك دعا نوح ربه [فقال:] ﴿ أَن مغلوب ﴾ لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم، ﴿فانتصر ﴾ اللهم لي منهم، وقال في الآية الأخرى: ﴿رَبُّ لا تذرعلى الأرض من الكافرين دياراً ﴾ الآيات، فأجاب الله سؤاله، وانتصر له من قومه، قال تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ أي: كثير جداً متتابع، ﴿وفجرنا الأرض عيوناك فجعلت السماء ينزل منها من الماء شيء خارق للعادة، وتفجرت الأرض كلها، حتى التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، فضلاً عن كونه منبعاً للماء، لأنه

﴿ فِالسَّقِي المَاءِ ﴾ أي: ماء السماء والأرض ﴿عـلى أمـر﴾ مـن الله لــه بذلك، ﴿قد قُدر ﴾ أي: قد كتبه الله في الأزل وقضاه، عقوبة لهؤلاء ولم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلاً الظَّالمين الطاغين، ﴿ وحملناه على ذات

الواح ودسر﴾ أي: ونجينا عبدنا نوحاً على السفينة ذات الألواح والدسر أي: المسامير [التي] قد سمرت [بها] ألواحها وشدبها أسرها(٢)، وتجرى سأعيننا) أي: تجري بنوح ومن آمن معه، ومن حمله من أصناف المخلوقات رعاية من الله، وحفظ [منه] لها عن الغرق [ونظر]، وكلائه منه تعالى، وهو نعم الحافظ الوكيل، ﴿ حِزاء لَمْ كَانَ كف كه أي: فعلنا بنوح ما فعلنا من النجاة من الغرق العام، جزاء له حيث كذبه قومه وكفروابه فصبرعلي دعوتهم، واستمر على أمر الله، فلم يرده عنه راد، ولا صده عنه (٣) صاد، كما قال [تعالى] عنه في الآية الأخرى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾ الآية.

ويحتمل أن المراد: أنا أهلكنا قوم نوح، وفعلنا بهم ما فعلنا من العذاب والخزي، جزاء لهم على كفرهم وعنادهم، وهذا متوجه على قراءة من قرأها بفتح الكاف، ﴿ولقد تركناها آبة فهل من مدكر، أي: ولقد تركنا قصة نوح مع قومه آية يتذكر بها المتذكرون، على أنّ من عصى الرسل وعاندهم أهلكه الله بعقاب عام شديد، أو أن الضمير يعود إلى السفينة وجنسها، وأن أصل صنعتها تعليم من الله لعبده(١) نوح عليه السلام، ثم أبقى الله تعالى صنعتها وجنسها بين الناس ليدل ذلك على رحمته بخلقه وعنايته، وكمال قدرته، وبديع صنعته، ﴿فهل من مدكر ﴾؟ أي: فهل متذكر (٥) للأيات، مُلق ذهنه وفكرته لما يأتيه منها، فإنها في عاية البيان واليسر؟ ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أي: فكيف رأيت أيها المخبأطب عبذاب الله الأليم وإنبذاره الذي لا يُبقي لأحد عليه حجة.

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا موضع النار .

في ب: ولا صده عن ذلك صاد. (٣)

في ب: لرسوله، (1)

في ب: فهل من متذكر. (0)

زیادة من هامش: ب.

كذا في ب، وفي أ: وشدت (٢)

﴿فهل من مدكر﴾ .

﴿١٨ ـ ٢٢﴾ ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ «وعاد» هي القبيلة المعروفة باليمن، أرسل الله إليهم هوداً عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوه، فأرسل الله عليهم ﴿ رَجَّا صرصراً ﴾ أي: شديدة جداً، ﴿في يوم نحس﴾ أي: شديد العذاب والشقاء عليهم، ﴿مستمر﴾ عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، ﴿تنزع الناسِ﴾ من شدتها، فترفعهم إلى جو السماء، ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم، فيصبحون ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴿ أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوي الذي أصابته (أ) الريح فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره، ﴿ فَكَيف كَانَ حَذَانِي ونسذر كسان [والله] السعداب الأليم، والنذارة التي ما أبقت لأحد عليه حجة ، ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر تعالى ذلك رحمة بعباده

وعناية بهم، حيث دعاهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم.

﴿۲۳ ـ ۲۳﴾ ﴿كسذبست شمسود بالنذر * فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر * أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غداً من الكذاب الأشر * إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ أي: كذبت ثمود وهم القبيلة المعروفة المشهورة في أرض الحجر، نبيهم صالحاً عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنذرهم العقاب إن هم خالفوه، فكذبوه واستكبروا عليه، وقالوا _كِبْراً وتيها ... ﴿ أَبِشِراً مِنَّا واحداً نتبعه ﴾ أي: كيف نتبع بشراً، لا ملكاً مناً، لا من غيرنا، عن هو أكبر عند الناس منا، ومع ذلك فهو شخص واحد ﴿إِنَّا إذا ﴾ أي: إن اتبعناه وهو سذه الحال ﴿ لَفِي صَلال وسعر ﴾ أي: إنا لضالون أشقياء، وهذا الكلام من ضلالهم وشقائهم، فإنهم أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر، ولم يأنفوا أن يكونوا عابدين للشجر والحجر والصور ﴿أَأَلْقِي الذَّكُو عليه من بيننا﴾ أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي: مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصولون ويجولون ويردون به دعوة الرسل، وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأعهم: ﴿قالت رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده الرسل مَنَّ الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم والاختصاص بوحيه،

CANTER OF SEMINARY SOL خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَغْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَزَادُ مُنْيَدُمْ ۞ مُعْقِلِمِينَ إِلَى الدَّاعِيَّةُ وِلُ الْكَيْرُونَ هَلْدَاوْمُ عَيِيرٌ ۞ • كُذَّيْتُ قَتَلَهُمْ قَوْمُ ثُومٍ مَّكُمَّ فِواعَبُدُنَا وَقَالُواْ مَعْنُونٌ وَٱدْدُحِرَ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ وَأَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنتَهِرُ ۞ فَفَنْحَنَّا أَفِرَبَ السَّمَاءِ بَمَاءَ مُنْهَير @وَفَرُوا الْأَرْضَ عُيُوا فَالْتَقَ الْلَهُ عَلَى أَمْرِ فَدُ فَوْرَ ۞ وَتَمَلَّنَهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاجِ وَدُسُرِ فَهُمْ إِلَى تَعْمِي بِأَعْيُنِنَا جُزَّا مَلِنَ كَانَ كُفِرَ ۞ وَلَقَدَ أَرُّكُنُهَا عَايَةً فَهَلْ مِن مُلَكِدٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَبُدُرِ ۞ وَلَقَدُ يَنَرُوا ٱلْقُرُوَ انَ لِلذِّ حَيْرِفَهَلْ مِن مُّذَكِر ۞ كَذَّبَتْ عَادُفَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ مْرِيحًا صَرْصَرَا فِي يَوْمِ نَعْيِس مُسْتَيرِ ۞ نَيزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنْهُمُ أَعْمَا زُغَوْلِ مُّنقَعِ ۞ فَكَيْفَكَانَ عَلَابِي وَنُدُرِّ۞ وَلَقَدُ يَتَرَا ٱلْمُؤَانَ لِلذَّكْرِ فَعَلْ مِن مُّنَدِّ كِنَّ مِنْ مُقَوْدَةٍ النَّذُرِ ۞ فَعَالُواْ أَبِسَكَ مَنَّا وَحِدًا نَلْيَعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَيْ صَلَل وَسُعُر ۞ أَعُلِقَ ٱللَّكُرُ عَلَيْهِ مِنْ يَشِنَابَلْ هُوَكَذَابُ أَشِرُ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدَامَنِ ٱلْكَنَّابُ ٱلأَثِيرُ النَّامُ النَّاكَ عَدِ فِنْتَ لَمَّتُهُ فَارْتَفِيتُهُ مُواَلَّهُمُ وَأَصْطَيْرُهُ ALCON ON LONG CO

> ومن رحمته وحكمته أن كانوا من البشر، فلو كانوا من الملائكة لم يمكن البشر أن يتلقوا عنهم، ولو جعلهم من الملائكة لعَاجَل الله المكذبين لهم بالعقاب العاجل.

> والمقصود بهذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر، فقالوا: ﴿بل هو كذاب أشر ﴾ أي: كثير الكذب والشر، فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم وأظلمهم، وأشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع، لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم، فأرسل الله ألناقة التي هي من أكبر النعم عليهم، آية من آيات الله، ونعمة يحتلبون من ضرعها(٢) ما يكفيهم أجمعين، ﴿فتنةُ لهم﴾ أي: اختباراً منه لهم وامتحاناً ﴿فَارِتَقْبِهِم واصطبر ﴾ أي: اصبر على دعوتك إياهم، وارتقب ما يحل بهم، أو ارتقب هل يؤمنون أو يكفرون؟ ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ أي: أخبرهم أن الماء أي: موردهم الذي يستعذبونه، قسمة بينهم وبين الناقة، لها شرب يوم ولهم شرب يوم آخر معلوم، ﴿كل شرب محتضر ﴾ أي: يحضره من كان قسمته، ويحظر على من

Called or Carried of وَنَيْتَهُمْ أَنَ لَكُآءَ فِسْمَةٌ بِيَنْهُمُ مُكُلُّ شِرْبِ تُحْتَفَدُ ۞ فَلَدَوْا صَاحِبُهُمْ فَنَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۞ فَكَيْفَكَانَ عَذَابِ وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَحِدَةً فَكَانُواْ كَهَيْدِيرِ الْتُخَطِّى ۞ وَلَقَدْيَتَزَوَا الْقُرْيَانَ لِلْأَرْفَهُ لَي مُنْكِرِ ۞ كَذَّتْ قَوْمُ لُوطِ بِالنُّدُو ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ رَحَاصِنًا إِلَّاءَ الْلُوطِّ فَيَنَكُهُ ويسَكَرِ ۞ يَعْمَةُ فِنْ عِدِنَّا كَذَٰ لِكَ نَجْزِي مَن شَكَرُ ۞ وَلَقَدُ أَنذَرَهُم يَظُفَتَنَا فَفَارُواْ بِالْنُذُرِ ا وَلَقَدْ زَوَدُوهُ عَن صَيْفِهِ ۽ فَطَمَسْنَا أَعُينُهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْصَبَّحَهُم يُكُرَّةً عَذَابٌ مُسْنَقِرٌ ۞ وَكَدُوقُواْ عَذَابِ وَنُذُدِ ۞ وَلَقَدُ يَتَزَيَّا ٱلْقُرْيَانَ لِلزِّكْرِفَهِ لَ عِن مُدَّكِر ۞ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنَّذُرُ ۞ كَذَّهُ أَبِهَا يَذِينَا كَيْلَهَا مَأْخَذُنَّهُمُ أَخْذَ عَزِيزِمُقُنَّدِينَ أَكُونَا كُوْخَيْرِينَ أُولَتِكُو أَمْ لَكُوْبَرَكَةَ أَقَ الْزُيْرِ ۞ أَمْ يَتُولُونَ غَنْ يَجِيعُ مُّنْفِيرٌ ۞ سَيْهُرَهُ ٱجْمَتُمْ وَلُوْلُونَ ٱلدُّبُرُ فِي مِلَ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْنُ ۞ إِذَا كَفِيمِينَ فِي مَنكُلِ وَسُعُرٍ ۞ يَوْمَ يُسْتَحَوُنَ فِي النَّارِعَلَى وُجُوهِهِمْ دُوتُوا مَسَ سَقَرَ ﴿ إِنَّا كُلُّ ثَنَّى وَخَلَفْتُهُ مِقْدَرِ ۞ TO METERS OF LONG TO SECOND

ليس بقسمة له .

﴿فنادوا صاحبهم﴾ الذي باشر عقرها، الذي هو أشقى القبيلة ﴿فتعاطى﴾ أي: انقاد لما أمروه به من عقرها ﴿فعقر﴾ ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ كان أشد عذاب، أرسل الله عليهم صيحة ورجفة أهلكتهم عن آخرهم، ونجى الله صالحاً ومن آمن معه، ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

رسوط الله وسلام الله وسال الله وسال الله وسال الله و الله السلام الله والله الله و ا

عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، فكذبوه واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاؤوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط، جاؤوهم (١) مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم، فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم بجناحه، وأنذرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته وفتماروا بالنذر﴾ ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة من سجيل منضود، مسومةً عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطأ وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له.

﴿ ٤١ ـ ٥٥ ﴾ ﴿ ولـقـد جـاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر * أكفاركم خير من أولئِكم أم لكم براءة ني الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر * إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النّار على وجوههم ذوقواً مس سقر * إناكل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر * ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر *وكل شيء فعلوه في الزبر * وكل صغير وكبير مستطر * إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر اي: ﴿ولقد جاء آل فرعون﴾ أي: فرعون وقومه ﴿النذر﴾ فأرسل الله إليهم موسى الكليم، وأيده بالآيات الباهرات، والمعجزات القاهرات^(٢)، وأشهدهم

من العبر ما لم يشهد عليه أحداً غيرهم (٢)، فكذبوا بآيات الله كلها، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فأغرقهم في اليم هو وجنوده (٤).

والمراد من ذكر هذه القصص تحذير [الناس و] المكذبين لمحمد ﷺ، ولهذا قال: ﴿ أَكِفَارِكُمْ خَيْرِ مِنْ أُولِئُكُمْ ﴾ أى: هـولاء الـذيـن كـذبـوا أفـضـل الرسل، خير من أولئك المكذبين، الذين ذكر الله هلاكهم وما جرى عليهم؟ فإن كانوا خيراً منهم، أمكن أن ينجوا من العذاب، ولم يصبهم ما أصاب أولئك الأشرار، وليس الأمر كذلك، فإنهم إن لم يكونوا شراً منهم، فليسوا بخير منهم، ﴿أُم لَكُم براءة في الزبر﴾ أي: أم أعطاكم الله عهداً وميثاقاً في الكتب التي أنزلها على الأنبياء، فتعتقدون حينئذ أنكم الناجون بإخبار الله ووعده؟ وهذا غير واقع، بل غير ممكن عقلاً وشرعاً، أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية المتضمنة للعدل والحكمة، فليس من الحكمة نجاة أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين، لأفضل الرسل وأكرمهم على الله، فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها، فأخبر تعالى أنهم يقولون: ﴿نحن جميع منتصر ﴾ قال تعالى مبيناً لضعفهم، وأنهم مهزومون: ﴿سيُهزم الجمع ويُولُون الدبر﴾ فوقع كما أخبر، هزم الله جمعهم الأكبريوم بدر، وقتل من^(۵) صناديدهم وكبراثهم ما ذلوا به (٦)، ونصر الله دينه ونبيه وحزبه المؤمنين. ومع ذلك، فلهم موعد يجمع به أولهم وآخرهم، ومن أصيب في الدنيا منهم، ومن متع بلذاته، ولهذا قال: ﴿بِلَ الساعة موعدهم الذي يجازون به، ويؤخذ منهم الحق بالقسط، ﴿والساعة أدهى وأمر ﴾ أي:

⁽١) في ب: جاءوا.

⁽٢) في ب: بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات.

⁽٣) في ب: ما لم يشهد غيرهم.

⁽٤) في ب: فأغرقه وجنوده في اليم.

⁽۵) في ب: وقتلت.

⁽٦) في ب: فأذلوا.

أعظم وأشق، وأكبر من كل ما يتوهم، أو يدور بالبال(١).

﴿إِنْ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: الذين أكثروا من فعل الجرائم، وهي الذنوب العظيمة من الشرك وغيره، من المعاصى ﴿في ضلال وسعر﴾ أي: هم ضالونٌ في الدنيا، ضُلاَّلُ عن العلم، وضلال عن العمل، الذي ينجيهم من العذاب، ويوم القيامة في العذاب الأليم، والنبار التي تتستعر بهم، وتشتعل في أجسامهم، حتى تبلغ أفتدتهم، ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم) التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشدمن ألم غيرها، فيهانون بذلك ويخزون، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مِس سقر﴾ أي : ذوقوا ألم النار وأسفها وغيظها ولهبها.

﴿إِنَا كُلِّ شَيء خَلَقْنَاه بِقَدْرِ﴾ وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها^(۲)، وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير، فلهذا قال: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون كما أراد، كلمح البصر، من غير ممانعة ولا صعوبة.

﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، وكذبوا كما كذبتم ﴿فهل من مدكر﴾ أي: متذكر يعلم أن سنة الله في الأولين والآخرين واحدة، وأن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار، فإن هؤلاء مشلهم، ولا فرق بين الفريقين. ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ أي: كل ما فعلوه من خير وشر مكتوب عليهم في الكتب القدرية ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ أي: مسطر مكتوب، وهذا حقيقة القضاء

والقدر، أن جميع الأشياء كلها، قد علمها الله تعالى، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن

﴿إِن المتقين ﴾ لله ، بفعل أوامره وترك نواهيه، الذين اتقوا الشرك والكبائر والصغائر.

﴿ فِي جِنات ونهر ﴾ أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار اليانعة، والأنهار الجارية، والقصور الرفيعة، والمنازل الأنبقة، والمآكل والمشارب اللذيذة، والحور الحسان، والروضات البهية في الجنان، ورضوان الملك الديان، والفوز بقربه، ولهذا قال: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم من كرامته وجوده، ويمدهم به من إحسانه ومنته، جعلنا الله منهم، ولا حرمنا خير ما عنده بشرّ ما عندنا.

تم تفسير سورة اقتربت، ولله الحمد والشكر

تفسير سورة الرحمن [وهي] مكية

﴿١٣ ـ ١٣﴾ ﴿ بسم الله السرحسن الرحيم * الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان *علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تبط غوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكسمام * والحسب ذو السمسف والريحان * نسأى: آلاء رسكما تكذبان مذه السورة الكريمة الجليلة، افتتحها باسمه «الرحمن» الدال على سعة

وَمَآ أَمُرُآ إِلَّا وَاحِدَةُ كُلَمْجِ بِٱلْبَصَدِ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكُنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلِ مِن مُّلَكِدِ ۞ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُر ۞ وَكُلُّ صَغِيرُ وَكَبِيرُ مُسْتَطَرُ ۞ إِذَا لَلْتَقِينَ فِجَنَّتِ وَنَهَرِ ۞ فِمَقْعَدِصِدْقِ عِندَمَلِكِ مُقْتَدِرٍ۞ حِالْمَةِ الرَّمَّزِ الرَّحَيْدِ ٱلزَّخْنُ ۞ عَلْمَ ٱلْقُرُوانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِسْلَنَ ۞ عَلْمَهُ ٱلْبِيانَ ۞ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَّرُ عُسْبَانِ۞ وَٱلنَّجُهُ وَٱلشَّجَرُ سَجُ مَانِ ٥ وَالسَّمَاءَ رَفَّهَا وَوَصَعَ لِلْيِزَانَ ۞ أَلَّا تَطْعُوا فِي ٱلْمِيزَان الم وَأَقِيمُ وَالْوَزْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُحْسِرُوا اللِّيرَانَ ۞ اً وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَسَامِ ۞ فِيهَا فَسَكِهَةً وَالنَّحْلُ ذَاتُ ٱلْأَحْتُ مَاءِ ۞ وَٱنْحَبُ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلْزَيْحَ كَانُ الله فِي أَيْ ءَالَآءِ رَبِّ مُعَالِّكُيْنِ ان ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنْكُنَ المن صَلْحَالُكَ أَلْمُخَارِ ۞ وَخَلَقَ ٱلْجَاآذَين مَّ اَرِج مِن نَارِ ۞ فَيأَيّ ءَالَآهِ رَبِكُمَاتُكَدِّبَانِ ۞ ON TON OTHER PERSON

رحمته، وعموم إحسانه، وجزيل بره، وواسع فضله، ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية [والآخروية وبعد كل جنس ونوع من نعمه، ينبه الثقلين لشكره، ويقول: ﴿فَبِأَي: آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

فذكر أنه ﴿علم القرآن﴾ أي: علم عباده ألفاظه ومعانيه، ويسرها على عباده، وهذا أعظم منة ورحمة رحم بها عباده، حيث أنزل عليهم قرآناً عربياً بأحسن ألفاظ، وأحسن تفسير، مشتمل على كل خير، زاجر عن كل

﴿خلق الإنسان﴾ في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفى الأجزاء، محكم البناء، قد أتقن البديع تعالى (٣) خلقه أي اتقان، وميزه على سائر الحيوانات، بأن ﴿علمه البيان﴾ أي: التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله به الأدمى على غيره من أجلّ نعمه، وأكبرها عليه، ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أي: خلق الله الشمس والقمر، وسخرهما يجريان بحساب مقنن، وتقدير مقدر،

في ب: في الخيال. (1)

نی ب: خلقه. (٢)

في ب: قد أتقن الباري تعالى البديع خلقه. (٣)

رَبُّ ٱلْمَشْرِ قَدْ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِيَيْنِ فِيأَى ءَالْإِيِّرَيِّكُمَا تُكَوْبَانِ مَرَجَ ٱلْبَعْرَيْنِ يَلْفِقِيَانِ۞ بَيْنَهُمَا مَرْزَةً لَا يَغِيَانِ۞ فِلِّي الْآهِ رَيَكُمَا تَكَذِبَانِ۞ يَغُرُمُ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُوُ وَٱلْمَرْمَادُ۞ فَيَأَيَّ ءَالَآهِ رَيَكُمَا تُكَذِبَاذِ ۞ وَلَهُ ٱلْجُوَارِ ٱلْمُنْتَعَاتُ فِي ٱلْجُرَكَا ٱلْأَعْلَامِ ۞ فَإِنَّ مَا لَآدَ تَرَكُمُ أَنُّكَذِ بَاذِ ۞ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَاذِ ۞ وَيَتَقَ وَخِهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجُلَالِ وَٱلْإِحْدَامِ ۞ فَهِأَي ءَالْآهِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ يَسْتَلُهُ مِن فِي ٱلسَّكَوْتِ وَٱلْأَرْضُ كُلِّ وَهُو فِي شَأْن ﴿ فِيأَةِ مَا لَآمِ رَبُّكُما تُكَذِبَانِ ۞ سَنَفُرُغُ لَكُو أَيُّهُ ٱلْفَعَلَانِ ۞ فَإِنَّ وَالْآهِ رَبِّكُما تُكَدِّبَانِ ۞ بَسَعَتْ رَالْحِينَ وَٱلْإِنِينِ إِن ٱسْتَطَعْتُمْ أَن نَنفُذُوا مِنْ أَقْطَا رِالْسَكَوْتِ وَٱلْأَرْضِ فَانفُذُوّا لَانْفُدُونَ إِلَّامِ مُلْطَلِن ﴿ فِيأَيِّ وَالَّهِ رَيْكُمَا تُكَيْبِان ۞ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظُ مِن نَارِ وَخُمَاسٌ فَلَا تَنفَصِرَانِ ۞ فَبِ أَيْ ءَالآءِ رَبِكُمَا تَكُذِبَانِ ۞ فَإِذَا ٱنشَغَتِ ٱلسَّمَاءُ فَكَانَتْ وَزَدَةً كَالدِّهَانِ ۞ فَإِلَيَّ الْآدِ رَيْكُمَا تَكَذِّبَانِ ۞ فَوْمَهِ لِلْإِنْتَ الْمِنْتَ لُعَن ذَبُّوة إِنسُّ وَلَاجَأَنُّ ۞ فِمَأْيَ ءَالَآةِ رَبِّكُمَا ثُكُذِبَانِ۞

TORONO ON MOROMO!

رحمة بالعباد، وعناية بهم، وليقوم بذلك من مصالحهم ما يقوم، وليعرف العباد عدد السنين والحساب، ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ أي: نجوم السماء، وأشجار الأرض، تعرف ربها وتسجدله، وتطيع وتخشع(١١)، وتنقاد لما سخرها له من مصالح عباده ومنافعهم، ﴿والسماء رفعها فلمخلوقات الأرضية، ووضع الله الميزان أي: العدل بين العباد، في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف، والمكسال الذي تكال به الأشساء والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقام بها العدل بينهم، ولهذا قال: ﴿ أَلَّا تَطَعُوا فِي الميزان أي: أنزل الله الميزان، لئلا تتجاوزوا الحد في الميزان، فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم، لحصل من الخلل ما الله به عليم، ولفسدت السماوات والأرض.

﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ أي: اجعلوه قائماً بالعدل، الذي تصل إليه

المعلوه فاتما بالعدل، الذي نصل إليه مقدرتكم وإمكانكم، ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي: لا تنقصوه وتعملوا ﴿والأرض وضعها﴾ الله على ما كانت عليه من الكثافة والاستقرار واختلاف [أوصافها و] أحوالها ﴿للأنام﴾ أي: للخلق، لكي يستقروا عليها، وتكون للخلق، ليغرسون ويحفرون ويسلكون سبلها ويعرسون ويحفون بمعادنها وجميع ما فيها، مما تدعو إليه حاجتهم، بل ضرورتهم.

ثم ذكر ما فيها من الأقوات الضرورية، فقال: ﴿فيها فاكهة﴾ وهي جميع الأشجار التي تثمر الثمرات التي يتفكه بها العباد، من العنب والتين والرمان والتفاح، وغير ذلك، ﴿ والنَّخِل ذات الأكمام ﴾ أي: ذات الوعاء الذي ينفلق عن القنوان التي تخرج شيئاً فشيئاً حتى تتم، فتكون قوتاً يؤكل ويدخر، يتزودمنه المقيم والمسافر، وفاكهة لذيذة من أحسن الفواكه، ﴿والحب ذو العصف أي: ذو الساق الذي يداس، فينتفع بتبنه للأنعام وغيرها، ويدخل في ذلك حب البر والشعير والذرة [والأرز] والدخن، وغير ذلك، ﴿والريحان﴾ يحتمل أن المراد بذلك جميع الأرزاق التي يأكلها الآدميون، فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص، ويكون الله قد امتنَّ على عباده بالقوت والرزق، عموماً وخصوصاً، ويحتمل أن المراد بالريحان، الريحان المعروف، وأن الله امتنَّ على عباده بما يسره في الأرض من أنواع الروائح الطيبة، والمشام الفاخرة، التي تسر الأرواح،

وتنشرح لها النفوس.

ولما ذكر جملة كثيرة من نعمه التي تشاهد بالأبصار والبصائر، وكان الخطاب للثقلين، الإنس والجن، قررهم تعالى بنعمه، فقال: ﴿فَبِأَي: اللهُ أَي: فَبِأَي: نعم الله الدينية والدنيوية تكذبان؟

وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي على هذه السورة، فما مر بقوله: ﴿فَبَأَي: آلاء ربكما تكذبان﴾ إلا قالوا^(۲): ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد، فهذا الذي ينبغي ^(۳) للعبد إذا تليت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يقرّ بها ويشكر، ويحمد الله

﴿ ١٤ - ١٦ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار * فبأي: آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

وهذا من نعمه تعالى على عباده، حيث أراهم [من] آثار قدرته وبديع صنعته، أن ﴿خلق﴾ أبا الإنس وهو آدم عليه السلام ﴿من صلصال كالفخار، أي: من طين مبلول، قد أحكم بله وأتقن، حتى جف، فصار له صلصلة وصوت يشبه صوت الفخار الذي طبخ على النار(٤)، ﴿وخلقُ الجان اي: أبا الجن، وهو إبليس اللعين(٥) ﴿من مارج من نار﴾ أي: من لهب النار الصافي، أو الذي قد خالطه الدخان، وهذا يدل على شرف عنصر الأدمى المخلوق من الطين والتراب، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع، بخلاف عنصر الجان وهو النار، التي هي محل الخفة والطيش والشر

ولما بين خلق الشقيلين ومادة ذلك (٦) ، وكان ذلك منةً منه [تعالي]

⁽١) في ب: وتخضع.

⁽٢) في ب: فكلما مر بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قالوا.

⁽٣) في ب: فهكذا ينبغي.

⁽٤) في ب: وهو الطين المشوي.

⁽٥) في ب: لعنه الله.

 ⁽٦) كذا في ب، وفي أ: مادة الثقلين.

على عباده (۱)، قال: ﴿فَبِأَي: آلاء ربكما تكذبان﴾.

﴿ ١٧ ــ ١٨﴾ ﴿ رب المشرقين ورب المغربين * فبأي: آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: هو تعالى رب كل ما أشرقت عليه الشمس والقمر، والكواكب النيرة، وكل ما غربت عليه، [وكل ما كانا فيه] فهي تحت (٢) تدبيره وربوبيته، وثناهما هنا لإرادة العموم مشرقي الشمس شتاءً وصيفاً، ومغربها كذلك (٢).

﴿ ١٩ - ٢١﴾ ﴿ مرج البحريس يلتقيان ﴿ بيغيان ﴿ بيغيان ﴿ بيغيان ﴾ فيباي: آلاء ربكما تكذبان ﴾ المراح بالبحرين: البحر العذب، والبحر المالح، فيهما يلتقيان كلاهما، فيصب العذب في البحر المالح، ويختلطان ويكن الله تعالى جعل بينهما برزخاً من الأرض، حتى لا يبغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب منه يشربون به يطيب الهواء ويتولد الحوت والملواء والموان، ويكون مستقراً مسخراً للسفن والمراكب، ولهذا قال:

﴿ ٢٤ - ٢٥﴾ ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام * فبأي: آلاء ربكما تكذبان ﴾.

أي: وسخر تعالى لعباده السفن الجواري، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشئها الآدميون، فتكون من كبرها وعظمها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون عليها أمتعتهم وأنواع عاراتهم، وغير ذلك عما تدعو إليه حافظ السماوات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة، فلذلك قال: ﴿فَبْأَي: الله عما تكذبان﴾.

﴿٢٦ ـ ٢٦﴾ ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام * فبأي: آلاء ربكما تكفيان أي: كل من على الأرض، من إنس وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنى ويموت ويبيد ويبقى الحي الذي لا يموت ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل والجد، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياء وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، [ويعظمونه] يكرمه أولياؤه ويجلونه، [ويعظمونه]

﴿۲۹ ـ ۲۹﴾ ﴿يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن * فبأى: آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: هو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، وهو واسع الجود والكرم، فكل الخلق مفتقرون إليه، يسألونه جميع حوائجهم، بحالهم ومقالهم، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك، وهو تعالى ﴿كُلُّ يُومُ هُو فَي شأن الله يغنى فقيراً، ويجبر كسيراً، ويعطي قوماً، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسماوات، وعم لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشؤون التي أخبر أنه تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها

في الأزل وقضاها، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته، وهي أحكامه الدينية التي هي الأمر والنهي، والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار، حتى إذا تمت [هذه] الخليقة وأفناهم الله تعالى (ئ)، وأراد تعالى أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء، ويريهم من عدله وفضله وكثرة إحسانه، ما به يعرفونه ويوحدونه، نقل المكلفين من دار الجيوان.

وفرغ حينئذ لتنفيذ هذه الأحكام، التي جاء وقتها، وهو المراد بقوله: (٣١ ـ ٣٧) ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان * فبأي: آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا.

﴿٣٣﴾ ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فسانسف ذوا لا تسنسف ذون إلا بسلطان﴾ أي: إذا جمعهم الله في موقف القيامة، أخبرهم بعجزهم وضعفهم، وكمال سلطانه، ونفود مشيئته وقدرته، فقال معجزاً لهم: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض ، أي: تجدون منفذاً مسلكاً تخرجون به عن ملك الله وسلطانه، ﴿فَانْفُدُوا لا تستفذون إلا بسسلطان ♦ أي: لا تخرجون عنه إلا بقوة وتسلط منكم، وكمال قدرة، وأنَّى لهم ذلك، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً؟! ففى ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همساً، وفي ذلك الموقيف يستوى الملوك والمماليك، والرؤساء والمرؤوسون، والأغنياء والفقراء.

⁽١) في ب: عليهم.

⁽٢) فالجميع تحت..

⁽٣) في ب: وثناهما هنا باعتبار مشارقها شتاء وصيفاً والله أعلم.

⁽٤) كذا في ب، وفي أ: وأفنى الله الخلق.

(٣٦_٣٥) ثم ذكر ما أعد لهم في ذلك الموقف العظيم (١) ، فقال : ويرسل عليكما شواظ من نار [ونحاس فلا تنظران فبأي : آلاء ربكما تكذبان أي : يرسل عليكما] لهب صاف من النار .

﴿ونحاس﴾ وهو اللهب، الذي قد خالطه الدخان، والمعنى أن هذين الأمرين الفظيعين يرسلان عليكما يا معشر الجن والإنس، ويحيطان بكما فلا تنتصران، لا بناصر من أنفسكم، ولا بأحد ينصركم من دون الله.

ولما كان تخويفه لعباده نعمة منه عليهم، وسوطاً يسوقهم به إلى أعلى المطالب وأشرف المواهب، امشن عليهم (٢٠)، فقال: ﴿فَبَأَي: آلاء ربكما تكذبان﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿فإذا انشقت السماء﴾ [أي] يوم القيامة من شدة الأهوال، وكثرة البلبال، وترادف الأوجال، فانخسفت شمسها وقمرها، وانتثرت نجومها، ﴿فكانت﴾ من شدة الخوف كانت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه ﴿فبأي: آلاء ربكما تكذبان * فيومثذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ أي: الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، وقد جعل لأهل الخير والشر يوم القيامة علامات يعرفون بها، كما قبال تعالى: ﴿يوم تبيضٌ وجوه وتسودٌ وجوه وتسودٌ

﴿ ٤١﴾ وقسال هسنسا: ﴿ يسعسرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام أي: فيؤخذ بنواصي المجرمين وأقدامهم، فيلقون في النار ويسحبون فيها، وإنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ وتقرير بما وقع منهم، وهو أعلم به منهم، ولكنه تعالى يريد

أن تظهر للخلق حجته البالغة، وحكمته الجليلة.

﴿٢٤ ـ ٤٤﴾ ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن * فبأي: الآء ربكما تكذبان ﴾ أي: يقال للمكذبين بالوعد والوعيد حين تسعر الجحيم: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون فليهنهم تكذيبهم بها، وليذوقوا من عذابها ونكالها وسعيرها وأغلالها، ما هو جزاء لتكذيبهم (٣)، ﴿يطوفون بينها ﴾ أي: بين أطباق الجحيم ولهبها أوبين حيم آن ﴾ أي: ماء حار جداً قد وقره، ﴿فبأي: آلاء ربكما تكذبان ﴾ ولا ذكر ما يفعل بالمجرمين، ذكر وإا المتقين الخائفين، فقال:

٢٦ _ ٢٥ > ﴿ولمن خاف مقام ربه
 جنتان * فبأي: الآء ربكما تكذبان﴾
 إلى آخر السورة.

أي: وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهى عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات، والأخرى على فعل الطاعات، ومن أوصاف تلك فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الجنتين أنهما ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر] (أئ) أن (أه) فيهما الأشجار الكثيرة بشر] (أئا أنواع وأصناف من جميع أصناف فيها الثمار اليانعة الكثيرة اللذيدة، أو النعيم وأنواعه جمع فن، أي: صنف. وفي تلك الجنتين حمينان تحدمان الحالم

وفي تلك الجنتين ﴿عينان تجريان﴾ يفتحريان﴾ يفجرونها على ما يريدون ويشتهون، ﴿فيهما من كل فاكهة﴾ من جميع أصناف الفواكه ﴿زوجيان﴾ أي: صنفان، كل صنف له لذة ولون، ليس للنوع الآخر، ﴿متكثين على فرش بطائنها من إستبرق﴾ هذه صفة فرش

أهل الجنة وجلوسهم عليها، وأنهم متكثون عليها، [أي:] جلوس تمكن واستقرار [وراحة]، كجلوس من الملوك على الأسرة، وتلك الفرش، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها، من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها التي تلي بشرتهم؟!(١)

﴿وجنى الجنتين دان﴾ الجنى هو الثمر المستوي أي: وثمر هاتين الجنتين قريب التناول، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ أي: قد قصرن طرفهن على أزواجهن، من حسنهم وجمالهم، وكمال محبتهن لهم، وقصرنَ أيضاً طرف أزواجهن عليهن، من حسنهن وجمالهن ولذة وصالهن، ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ أي: لم ينلهن قبلهم أحد من الإنس والجن، بل هن أبكار عرب، متحببات إلى أزواجهن، بحسن التبعل والتغنج والملاحمة والمدلال، ولمهمذا قمال: ﴿كَأَنِّهِ لَا لَيَاقِبُوتَ وَالْمُرْجِانَ ﴾ وَذَلْكُ لصفائهن وجمال منظرهن وبهائهن، ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق ونفع عبيده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم المقيم، والعيش السليم، فهاتان الجنتان العاليتان للمقربين، ﴿ومن دونهما جنتان﴾ من فضة بنيانهما وآنيتهما وحليتهما وما فيهما لأصحاب اليمين، وتلك الجنتان ﴿مدهامتان﴾ أي: سوداوان من شدة الخضرة التي هي أثر الري.

٣) في ب: جزاء لهم على تكذيبهم. (٥) كذا في ب، وفي أ: أي.

⁽٤) زيادة من هامش: ب. (٦) في ب: التي يباشرون

⁽١) في ب: في ذلك اليوم.

⁽٢) في ب: ذكر منته بذلك.

الأخلاق حسان الأوجه، فجمعن بين جمال الظاهر والباطن، وحسن الخَلْق والخلُّق، ﴿حورٌ مقصورات في الخيام﴾ أي: مُحبوسات في خيام اللوَّلو، قُد التفاوت بين ذلك. تهيأن وأعددن أنفسهن لأزواجهن، ولا ينفى ذلك خروجهن في البساتين ورياض ألجنة، كما جرت العادة لبنات الملوك ونحوهن [المخدرات] الخفرات، في الأخيرتين. ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان * فأي: آلاء ربكما تكذبان * متكئين الأخريين، يدل على فضلهما. على رفرف خضر ﴾ أي: أصحاب فبهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين هاتين الجنتين، متكأهم على الرفرف الأخضر، وهي الفرش التي فوق' المجالس العالية، التي قد زادت على مجالسهم، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم، لزيادة البهاء وحسن المنظر، ﴿وعبقرى حسان العبقري: نسبة لكل منسوج نسجاً حسناً فاخراً، ولهذا وصفها بالحسن الشامل، لحسن الصنعة وحسن المنظر، ونعومة الملمس، وهاتان الجنتان دون الجنتين الأوليين، كما نص الله على ذلك بقوله: ﴿ومِنْ دونهما جنتان، وكما وصف الأوليين

> الجارية والنضاخة. وقال في الأوليين: ﴿ دُواتِنَا أَفْنَانَ ﴾ ولم يقل ذلك في الأخريين.

بعدة أوصاف لم يصف بها الأخريين،

فقال في الأوليين: ﴿فيهما عينان

تجريان ﴿ وفي الأخريين: ﴿عينان

نضاختان . ومن المعلوم الفرق بين

وقال في الأوليين: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان، وفي الأخريين: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ وقد علم ما بين الوصفين من التفاوت.

وقال في الأولين: ﴿متكثين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان ﴿ ولم يقل ذلك في الأخيرتين، بل قال: ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان،

وقدال في الأوليين، في وصف نسائهم وأزواجهم: ﴿فيهن قاصرات

الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ وقال في الأخريين: ﴿حورٌ مقصورات في الخيام، وقد علم

وقال في الأوليين (٢): ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ فدل ذلك أن الأوليين جزاء المحسنين، ولم يقل ذلك

ومجرد تقديم الأوليين على

على الأخريين، وأنهما معدّتان للمقربين من الأنبياء، والصديقين، وخواص عباد الله الصالحين، وأن الأخريين معدتان لعموم المؤمنين، وفي كل من الجنات [المذكورات] ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيهن ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأهلها في غاية الراحة والرضا والطمأنينة وحسن المأوى، حتى إن كلالام منهم لا يرى أحداً أحسن حالاً منه، ولا أعلى من نعيمه [الذي هو فيه]. ولما ذكر سعة فضله وإحسانه، قال: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) أي: تعاظم وكثر خيره، الذي له الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه.

> تم تفسير سورة الرحن، ولله الحمد والشكر والثناء الحسن

تفسير سورة الواقعة [وهي] مكية

﴿١ _ ١٢﴾ ﴿ بِـسم الله السرحسن الرحيم إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة *خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجاً * وبست الجبال بسأ * فكانت هباء منبثاً * وكنتم أزواجاً ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون

٥٠ يولااجينا الله الله WARDEN ROVE يُعَهِ ٱلْمُجْرِثُونَ بِسِيمَنِهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوْسِي وَٱلْأَقْدَامِ ﴿ فَإِلَّى عَالْاَ رَجُكُنا تُكَدِّبَانِ ۞ هَلْدِهِ حَهَا فَرُالِّي يُكَذِّبُهَا ٱلْمُجْرِمُونَ @يَطُونُونَيَنَّهَا وَيُنْ هَيهِ مَانِ۞ فِيأَيْ مَا لَآءِ رَبُّكَأَ تُكَوْيَانِ @ وَلِمُرْخَافَ مَعَامَ رَيْهِ بِجَنْنَانِ ۞ فِبَأَيْ وَالْإِرْزُكُمَا تُكَيِّبَانِ @نَوَاتَأَ أَفْادِ ۞ فِأَيْءَ الْآرَيْكُمَ أَتُكَذِبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَعْرِيَانِ ۞ فَيَأْيَ مَالَآءَ تَوْكُمُا تُكَثِّبَانِ۞ فِيمَا مِنْكُلُ فَلَكِهَةِ زَفْيَانِ ۞ فَإِنِّي مَالَآ رَيْكُمَا أَكُذِّبَانِ ۞ مُتَّبِكِينَ عَلَى فُرُشِ بَطَلَإِنْهَا مِنْ إِسْتَبْرَقْ وَجَنَ ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانِ ۞ فِيَأْيِ ءَالَآهِ رَيْكُمَاتُكُذِبَانِ ۞ فِيهِنَّ قَلْصِرَكُ ٱلظَّرْفِ لَرْيَطْمِنْهُرَ ﴾ إِنْ فَلَهُ وَلَاحَ أَذُّ ۞ فَإِنْ الآوِرَيُكُمَا تُكَيْبَانِ۞ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُونُ وَلِلْرَجَادُ ﴿ فِيأَى ءَالَّهِ رَبِّكُمَّا تُكَذِّبَاذِ۞ مَلْجَزَّاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ۞ فَيَأَيْ اللهِ وَيَكِمُنَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَمِن دُونِهِمَاجَنَّانِ۞ فِيَأَيَّ الْإِ ا رَيِكُمْ تُكُونِهَانِ ۞ مُدْعَامِّتَانِ ۞ فِيأَيْ وَالْإِرْزِيكُمُ تُكُونِهِانِ ۞ الله مَن عَمْنَانِ نَضَا خَتَانِ ٥ فِما عَيْ مَالَةٍ رَيْكُمَا ثُكُوْبَانِ٥ ON ON OTHER CENT

السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم﴾ يخبر تعالى بحال الواقعة التي لا بد من وقوعها، وهي القيامة التي ﴿ليس لوقعتها كاذبة ﴾ أي: لا شك فيها، لأنها قد تظاهرت عليها الأدلة العقلية والسمعية، ودلت عليها حكمته تعالى، ﴿خافضة رافعة ﴾ أي: خافضة لأناس في أسفل سافلين، رافعة لأناس في أعلى علين، أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد. ﴿إذا رجت الأرض رجا♦ أي: حـركـت واضطربت، ﴿وبُسَّت الجبال بسا﴾ أي: فتتت، ﴿فكانت هباء منبثا﴾ فأصبحت الأرض ليس عليها جبل ولا معلم، قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ﴿وكنتم الها الخلق ﴿أَرُواجاً ثلاثة﴾ أي: انقسمتم ثلاث فرق بحسب أعمالكم الحسنة والسيئة، ثم فصل أحوال الأزواج الثلاثة، فقال: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴾ تعظيم لشأنهم، وتفخيم لأحوالهم، ﴿وأصحاب المشامة) أي: الشمال، ﴿ما أصحاب المشأمة ﴾ تهويل لحالهم.

﴿والسابقون السابقون * أولئك

ني ب: تحت.

⁽٣) في ب: كل واحد منهم.

كذا في ب، وفي أ: الأخيرتين ويبدو أنه سبق قلم.

فِيمَا فَكِكِمَةً وَغَلُّ وَرُمَّانٌ ﴿ فَإِلَى ءَالْإِرَبُكُمَا كُلُّوبَ إِن ﴿ فِهِنَّ خَيْرَتُ حِكَانٌ ۞ فِلْنِي وَالْإِرْزِيكُمَّا تُكْذِيان ۞ حُرِّدُ مَّقْصُورَاتُ فِي ٱلْخِيَامِ ۞ فَإِلَى ءَالَآءَ رَيِّكُمَا ثُكَيْبَانِ۞ لَرْيَظْمِتْ هُنَّ إِنسٌ قِنَلَهُ رَوَلَاجَانٌ ۞ فِيأَيْءَ الْآذِ رَيْكُمَا تُكْذِيَانِ الله مُثَلِكِينَ عَلَى رَفْرَفِ خُشْرِ وَعَبَقَرِي حِسَانِ ﴿ فَيَأْيَ عَالَآ رَيْكُمَا تُكَذِّبَاذِ ۞ تَنْزَكَ ٱسْمُرَبِكَ ذِى ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَاءِ۞ المنظمة المنطقة المنطق حافقال تغزال تجتب إِذَا وَقَمَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ لِتَسْ لِوَقَعَنِهَا كَاذِبَةً ۞ عَافِضَةً زَافِعَتَةً ۞ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجَّا ۞ وَثُنَّتِ ٱلْجَمَالُ مَنَّ الْ فَكَانَتْ هَبَاتَهُ مُنْبَعًا ۞ وَكُنتُمْ أَزْوَنِهَا ثَلَنْتُهُ ۞ فَأَضِفَتُ ٱلْيُتَنَّةِ مَا أَضَابُ ٱلْيَمَنَّةِ ۞ وَأَصَابُ ٱلْمُثْمَةُ مَا أَصْحَابُ ٱلْمُتَعْمَدَةِ ۞ وَالْسَنَيِعُونَ السَّيغُونَ ۞ أُولَتِكَ ٱلْمُعَرِّعُونَ ۞ فِجَنَّتِ ٱلنَّعِيمِ فَأَنَّةُ مِنَ ٱلأَوْلِينَ ۞ وَعَلِيلٌ فِنَ ٱلْآخِيرِينَ ۞ أُمَّ عَلَا سُرُر مِّوْصِنُونَ وَ ۞ مُّشَكِوِينَ عَلَيْهَا مُنْقَسِيدِينَ ۞ ﴿ اللَّهِ TONOTON OF LONGEO

المقربون أي: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات.

أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله، في جنات النعيم، في أعلى علين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها، وهؤلاء المذكورون فله من الأولين أي: جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة وغيرهم.

﴿ ١٤﴾ ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها ، لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين والمقربون هم خواص الخلق ، ﴿ على صرر موضونة ﴾ أي: مرمولة بالذهب والفضة ، واللؤلؤ والجوهر ، وغير ذلك من [الحلي] الزينة ، التي لا يعلمها إلا الله تعالى ﴿ متكثين عليها ﴾ أي: وط مانينة وراحة واستقرار . وحمانينة وراحة واستقرار . وحمانين وجه كل منهم إلى وجه صاحب ، من صفاء قلوبهم ، وحسن أدبهم ، وتقابل قلوبهم .

﴿١٧﴾ ﴿يطوف عليهم ولدان

غلمون أي: يدور على أهل الجنة للخدمة وقضاء حوائجهم، ولدان صغار الأسنان، في غاية الحسن والبهاء، ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون أي: مستور، لا يناله ما يغيره، غلوقون للمستقاء والخلد، لا يهرمون ولا يتغيره، ويدورون عليه بآنية شرابهم ﴿بأكواب ﴾ وهي التي لا عرى لها، ﴿وكأس من معين ﴾ أي: الأواني التي لها عرى، وكأس من معين أي: من خر لذيذ ﴿وكأس من معين أي: من خر لذيذ عنها أي: لا تصدعهم رؤوسهم كما تصدع خرة الدنيا رأس شاربها.

ولاهم عنهاينزفون، أي: لا تنزف عقولهم، ولا تذهب أحلامهم منها، كما يكون لخمر الدنيا.

والحاصل: أن جميع (۱) ما في الجنة من أنواع النعيم الموجود جنسه في الدنيا، لا يوجد في الجنة فيه آفة، كما قال تعالى: ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل خر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ وذكر هنا خر الجنة، ونفى عنها كل آفة توجد في الدنيا.

عنها دل افه توجد في الدبيا.

(وفاكهة مما يتخيرون) أي: مهما تخيروا، وراق في أعينهم، واشتهته نفوسهم، من أنواع الفواكه الشهية، والجنى اللذيذ، حصل لهم على أكمل وجه وأحسنه، (ولحم طينر مما يشتهون) أي: من كل صنف من يشتهون، ومن أي: جنس من لحمه أرادوا، وإن شاؤوا مشويا، أو طبيخا، أو غير ذلك.

﴿وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي: ولهم حور عين، والحوراء: التي في عينها كحل وملاحة، وحسن وبهاء، والعين: حسان الأعين وضخامها(٢)، وحسن

العين في الأنثى، من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها.

﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ أي: كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن [بوجه]، بل هن كاملات الأوصاف، جيلات النعوت.

فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر الخاطر⁽⁷⁾ ويروق الناظر، وذلك النعيم المعد لهم ﴿جزاء بما كاثوا يعملون﴾ فكما حسنت منهم الأغمال، أحسن الله لهم الجزاء، ووفر لهم الفوز والنعيم.

ولا تأثيماً أي: لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً أي: لا يسمعون في جنات النعيم كلاماً يلغي، ولا يكون فيه فائدة، ولا كلاماً يؤثم صاحبه، ولا قيلاً سلاماً سلاماً أي: إلا كلاماً طيباً، وذلك لأنها دار الطيبين، ولا يكون فيها إلا كل طيب، وهذا دليل على حسن أدب أهل الجنة في خطابهم فيما بينهم، وأنه أطيب كلام، وأسره للنفوس (أ)، وأسلمه من كل وأمر، نسأل الله من فضله.

(۲۷) ثم ذكر تعيم أصحاب اليمين اليمين أم فقال: ﴿وأصحاب اليمين منا أصحاب اليمين﴾ أي: شأبم عظيم، وحالهم جسيم، ﴿في سدر والأغصان [الرديثة] المضرة، بجعول مكان ذلك الثمر الطيب، وللسدر من الخواص، الظل الظليل، وراحة الجسم معروف، وهو شجر [كبار] يكون بالبادية، تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ الشهى، ﴿وماء مسكوب﴾ أي: كثير السهى، ﴿وماء مسكوب﴾

⁽١) في ب: كل.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: ضخام الأعين.

⁽٣) في ب: القلب.

⁽٤) في ب: للقلوب.

⁽٥) في ب: ثم ذكر ما أعد لأصحاب اليمين.

من العيون والأنهار السارحة، والمياه المتدفقة، ﴿وفاكنهة كشيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة ♦ أي: ليست بمنزلة فاكهة الدنيا تنقطع في وقت من الأوقبات، وتكون عمتنعة [أي: متعسرة] على مبتغيها، بل هي على الدوام موجودة، وجناها قريب يتناوله العبد على أي: حال يكون، ﴿وفرش مرفوعة أي: مرفوعة فوق الأسرة ارتفاعاً عظيماً، وتلك الفرش من الحرير والذهب واللؤلؤ ومالا يعلمه إلا الله. ﴿إِنَّا أَنشأنَاهِنَ إِنشَاءَ﴾ أي: إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل ألفناء، ﴿فَجِعلناهِن أَبِكَاراً﴾ صغارهن وكبارهن، وعموم ذلك يشمل الحور العين ونساء أهل الدنياء وأن هذا الوصف _وهو البكارة _ ملازم لهن في جميع الأحوال، كما أن كونهن ﴿عرباً أتراباً ﴾ ملازم لهن في كل حال، والعروب: هي المرأة المتحببة إلى بعلها بحسن لفظها، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها [ومحبتها]، فهي التي إن تكلمت سبت العقول، وود السامع أن كلامها لا ينقضى، خصوصاً عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنغمات المطربة، وإن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحأ وسروراً، وإن برزت (١) من محل إلى آخر، امتلأ ذلك الموضع منها ريحاً طيباً ونوراً، ويدخل في ذلك الغنجة عند

والأتراب اللاي على سن واحدة، ثلاث وثلاثين سنة، التي هي غاية ما يتمنى ونهاية سن الشباب، فنساؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، والخيزن، بل هن أفراح النفوس، وقرة العيون، وجلاء الأبصار، ولأصحاب اليمين أي: معدات لهم مهيئات، ﴿ ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين ﴾ أي: هذا القسم من أصحاب اليمين عدد كثير من الأولين،

وعدد كثير من الآخرين.

﴿ ٤١ ـ ٤٨ ﴾ ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم * إنهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم * وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أثنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون ﴾ .

المراد بأصحاب الشمال [هم:] أصحاب النار، والأعمال المشؤومة، فذكر [الله] لهم من العقاب، ما هم حقيقون به، فأخبر أنهم ﴿في سموم﴾ أى: ريح حارة من حر نار جهنم، يأخذ بأنفاسهم، وتقلقهم أشد القلق، ﴿وحميه أي: ماء حاريقطع أمعاءهم، ﴿وظل من يحموم﴾ أي: لهب نار يختلط بدخان، ﴿لا بارد ولا كريم أي: لا بردفيه ولا كرم، والمقصود أن هناك الهم والغم، والحزن والشر، الذي لا خير فيه، لأن نفي الضد إثبات لضده. ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء، فقال: ' ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلُ ذَلْكُ مِتْرَفِينَ ﴾ أي: قد ألهتهم دنياهم، وعملوا لها، وتنعموا وتمتعوا بها، فألهاهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا الترف الذي ذمهم الله عليه، ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ أي: وكانوا يفعلون الذنوب الكبار ولا يتوبون منها، ولا يندمون عليها، بل يصرون على ما يسخط مولاهم، فقدموا عليه بأوزار كثيرة [غير مغفورة].

وكانوا ينكرون البعث، فيقولون استبعاداً لوقوعه: ﴿ [إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً إإنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون ﴾ أي: كيف نبعث بعد موتنا وقد بلينا، فكنا تراباً وعظاماً ؟ [هذا من المحال] ﴿ أَنْسَا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ﴾ قال تعالى جواباً لهم ورداً عليهم (٢٠): ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقاتِ يوم معلوم ﴾ ، لمجموعون إلى ميقاتِ يوم معلوم ﴾ ، أي: قل إن متقدم الخلق ومتأخرهم ،

CAN CANCE OF CANCELLAND اليَّلُونُ عَلَيْهِ مْ وَلُدَّنَّ مُخَلَّدُونَ ۞ بِأَخْوَابِ وَأَبَادِيقَ وَكَأْسِ مِن مَعِينِ ۞ لَايِصَدَءُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِقُونَ ۞ وَقَلِكُهُ وَمُثَالِقَتْمُونَ ۞ وَلَيْوِ طَنِيمُ عَالِشَنَاهُونَ ۞ وَحُرُّعِينً ۞ كَأَمْشَلِ ٱللَّوْلُو ٱلْكُنُونِ۞ جَزَّةً بِمَا كَافُولَةٍ مُعَلُّونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُولًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّامِيلَا سَلَمًا سَلَمًا ۞ وَأَصْرَبُ أَلِمَينِ مَا أَصْلَبُ ٱلْيَمِينِ۞ فِي سِدْرِ تَخْفُورِ۞ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ۞ وَظِلَ مَنْدُودِ ۞ وَمَآهِ مَّنْ كُوب۞ وَفَذِكُهُ وَكِيرَوْ۞ لَامَقْطُوعَةِ وَلَا مَتَوْعَةِ ا ۞ وَفُرْشِ مَرْفُوعَةِ ۞ إِنَّا أَنشَأْتَهُنَّ إِنشَآهُ۞ جَعَلْتُهُزَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُهُ الْزَيِّا۞ لِأَشْحَبُ لَيْمِينَ۞ ثَلَةً مِنَ ٱلْأَوْلِينَ۞ وَثُلَةٌ ثِنَا لَكَيْزِينَ ۞ وَأَصْحَبُ ٱلِثِمَالِ مَاۤ أَصْحَبُ ٱلشِّمَالِ ﴿ لِ سَمُورِوَتَمِيدِ ۞ وَظِلِ مَن يَعْمُومِ ۞ لَا بَارِدِوَلَا كَيْمِ ﴿ إِنَّهُ مُكَافُواْ مَثَلَ ذَلِكَ مُتَرَفِينَ ۞ وَكَافُواْ يُصِرُّونَ عَلَى أَيْمِنْتِ ٱلْفَظِيرِ ۞ وَكَافُواْ يَقُولُونَ أَبِذَا مِتْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَيِّاً لَمَيْهُ فُورَ ﴿ أَوَءَاكِأَ فُواا الْأَوْلُونَ ۞ قُلْ إِنَّا الْأَوْلُونَ إِلَّا وَٱلْآخِدِينَ ۞ لَجَمُّوعُونَ إِلَّ مِيقَتِ يَوْمِ مَّعْ لُومِ ۞ ON TO SOL OF

الجميع سيبعثهم الله ويجمعهم لميقات يوم معلوم، قدره الله لعباده، حين تنقضي الخليقة، ويريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف.

﴿ ثُم إِنكم أيها الضالون﴾ عن طريق الهدى، التابعون لطريق الردى، ﴿ المكنبون﴾ بالرسول ﷺ وما جاء به من الحق والوعيد، ﴿ لأكلون من شجر من زقوم﴾ وهو أقبح وأبشعها منظراً، ﴿ فمالئون منها البطون﴾ والذي أوجب لهم أكلها مع ما هي عليه من الشناعة _الجوع المفرط، الذي يلتهب في أكبادهم وتكاد تنقطع منه أفئدتهم.

هذا الطعام الذي يدفعون به الجوع، وهو الذي لا يسمن ولا يغني من حه ع.

وأما شرابهم، فهو بنس الشراب، وهو أنهم يشربون على هذا الطعام من الماء الحميم الذي يغلي في البطون شرب الإبل الهيم أي: العطاش، التي قد اشتد عطشها، أو [أن الهيم] داء يصيب الإبل، لا تروى معه من شراب الماء.

﴿هذا ﴾ الطعام والشراب ﴿نزلهم ﴾ أي: ضيافتهم ﴿يوم الدين ﴾ وهي

⁽١) في ب: وإن انتقلت.

ثُمَّالِكُوْ أَيْنَا ٱلْمَنَا لُونَ ٱللَّكَيْءُنَ ۞ لَآكِلُونَ مِن خَمَ مِن زَقُومِ ﴿ فَالْحُنَامِنَهَا ٱلْحُلُونَ ۞ فَشَارِقُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَيْدِيدِ ۞ مَسَارِعُونَ شُرْبَ ٱلْمِيدِ هِ مَذَا أَرُقُلُمْ عَمَ اليِّنِ هِ عَنْ خَلَقْتَ كُو فَلُوۡلَافُهُمۡدِقُونَ ۞ أَفَرَيۡنِهُمَا تُتُودَ ۞ ءَانَهُ تَعَلَٰمُونَهُۥ أَمْعَنُ ٱلْحَلِلْقُونَ ۞ غَنَّ مَّلَانَا بَيْدَنَّكُوالْمُوْتَ وَمَا غَنَّ بَمَسْجُوفِينَ ۞ عَلَىٰ أَنْ نُبْدِلَ أَمْثَلَكُمُ وَنُسْمَنَكُمُ فِي مَا لَاتَعَلَّمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَيْشُمُ النَّشَأَةَ ٱلْأُولَىٰ مَلْوَلَانَدَكُرُونَ۞ أَوْءَيْتُمُ مَا تَحْرُقُونَ ﴿ اَلْمُزْتَزْتَعُونَهُ وَأَمْ تَحَنُّ الزَّرِعُونَ ۞ لَوْنَشَآةً لَجَعَلْتُهُ مُعَلَّمًا فَظَلْتُهُ مِّنَكُمُّهُونَ ۞ إِنَّالَكُمْ رَثُونَ ۞ بَلْ نَحْنُ تَحْدُرُومُونَ ۞ أَفَرَةَ يَنْدُ ٱلْكَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَقُونَ ۞ مَأْنَدُّ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزُّنِ أَمْغَنُ ٱلْمُرْلِونَ ۞ لَوَنْشَآءُ جَسَلْنَهُ أَجَاجًا ظَوْلَا تَشَكُّرُونَ ۞ أَوْرَهَ يَثِكُمُ السَّارَالِي فَرُدُوتَ ۞ وَأَنتُوا أَنشَأَتُ مُنْجَرَبُهَا أَمْ تَحْنُ ٱلْنَسْفُونَ ۞ غَنُ جَعَلَتُهَا لَنْحِكَرَةً وَمَنَهَا لِلْمُقْوِينَ ۞ مُسَيِّع إِسْدِرَةِكَ الْعَظِيدِ ۞ • فَكُلَّ أَفْيدُ بِمَوَاقِعِ النُّجُورِ ۞ وَانْتُهُ لَفَسَمُّ أَوْتَعَا لَمُونَ عَظِيمٌ ۞ TOURSE OF THE PROPERTY OF THE

الضيافة التي قدموها لأنفسهم، وآثروها على ضيافة الله لأوليائه.

قال تعالى: ﴿إِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا * خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً .

ثم ذكر الدليل العقلي على البعث، فقال: ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ أي: نحن الذين أوجدناكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكوراً، من غير عجز ولا تعب، أفليس القادر على ذلك بقادر على أن يحيى الموتى؟ بلى إنه على كل شيء قدير، ولهذا وبخهم على عدم تصديقهم بالبعث، وهم يشاهدون ما هو أعظم منه وأبلغ.

﴿ ١٥ - ٢٢ ﴾ ﴿ أَفْرَايِتُم مَا تَمَنُونَ * أَاتُتُم تُخْلَقُونَهُ أَمْ نَحِنَ الْخُالَقُونَ * نَحِنَ الْخُالَقُونَ * نَحِنَ الْخُالَقُونَ * نَحِنَ الْخُالَقُونَ * نَحِنَ الْمَسْاكِم بِمسبوقِينَ * على أَنْ نَبِدَلُ أَمْسُالِكُم وَنَنْشَتُكُم فِي مَا لا تعلمونَ * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ أي: أفرأيتم ابتداء خلقتكم من المني الذي تمنون، فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟ أم الله تعالى الخالق الذي خلق فيكم من الشهوة والتها من الذي ولا أنثى، وهدى كلاً منهما لما الذكر والأنثى، وهدى كلاً منهما لما هنالك، وحبب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب

للتناسل، ولهذا أحالهم الله تعالى على الاستدلال(١) بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، فقال: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ أن القادر على ابتداء خلقكم، قادر على إعادتكم.

﴿٦٣ _ ٦٧﴾ ﴿أفرايته ما

تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن

الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن نحرومون، وهذا امتنان منه على عباده، يدعوهم به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار، فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم، التي لا يقدرون أن يحصوها، فضلاً عن شكرها وأداء حقها، فقررهم بمنته، فقال: ﴿ أَأَنْتُم تُرْرَعُونُهُ أَم نُحِنَّ الزارعون﴾ أي: أأنتم أخرجتموه نباتاً من الأرض؟ أم أنتم اللهين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حباً حصيداً وثمراً نضيجاً؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك ومع ذلك، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومتاعاً إلى حين، فقال ﴿لُونَشَاء لِجَعِلْنَاهُ﴾ أي: الزرع المحروث وما فيه من الثمار ﴿حطاماً﴾ أي: فتاتاً متحطماً، لا نفع فيه ولا رزق، ﴿فظلتم﴾أي: فصرتم بسبب جعله حطاماً، بعد أن تعبتم فيه وأنفقتم النفقات الكثيرة ﴿تفكهون﴾ أي: تندمون وتحسرون على ما أصابكم، وينزول بذلك فرحكم وسروركم وتفكهكم، فتقولون: ﴿إِنَّا لمغرمون اي: إنا قد نقصنا وأصابتنا مصيبة اجتاحتنا.

ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم،

وبأي: سبب دهيتم، فتقولون: ﴿بل نحن محرومون﴾ فاحمدوا الله تعالى حيث زرعه الله لكم، ثم أبقاه وكمله لكم، ولم يرسل عليه من الأفات ما به تحرمون نفعه وخيره.

﴿ ٦٨ _ ٧٠) ﴿ أَفْرَأَيْتُمُ الْمَاءُ الَّذِي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نَحنَ المنزلون * لُو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون﴾ لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام، ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه، وأنه الذي أنزله من المزن، وهو السحاب والمطر، ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة ، ومن نعمته أن جعله عذباً فراتاً تسيغه النفوس، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً مكروهاً للنفوس. لا ينتفع به ﴿فلولا تشكرون﴾ الله تعالى على ما أنعم به عليكم.

﴿١٧ – ٤٧﴾ ﴿أفرأيتم النار التي تورون * أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ وهذه نعمة تدخل في الضروريات التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوائجهم، فقررهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفؤوها وأخدوها.

﴿نحن جعلناها تذكرة للعباد بنعمة ربهم، وتذكرة بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين، وجعلها سوطاً يسوق به عباده إلى دار النعيم، ﴿ومناعاً للمقوين ﴾ أي: [المنتفعين أو] المسافرين وخص الله المسافرين لأن نفع المسافر بذلك أعظم من غيره، ولعل

السبب في ذلك، لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين ولد فهو مسافر إلى ربه، فهذه النار، جعلها الله متاعاً للمسافرين في هذه الدار، وتذكرة لهم بدار القرار، فلما بين من نعمه ما يوجب الثناء عليه من عباده وشكره وعبادته، أمر بتسبيحه وتحميده^(١)، فقال: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقليك ولسانك وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى، ويُطاع فلا يُعصى.

﴿٥٧ _ ٨٧﴾ ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تسزيل من رب العالمين * أفسهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون * فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينتذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ أقسم تعالى بالنجوم ومواقعها أي: مساقطها في مغاربها، وما يحدث ألله في تلك الأوقات، من الحوادث الدالة على عظمته وكبريائه وتوحيده، ثم عظم هذا المقسم به، فقال: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ وإنما كان القسم عظيماً، لأن في النجوم وجريانها، وسقوطها عند مغارسا، آيات وعبراً لا يمكن حصرها، وأما المقسم عليه، فهو إثبات القرآن، وأنه حق لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، وأنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه، ﴿في كتابِ مكنون﴾ أي: مستور عن أعين الخلق، وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ أي: إن هذا القرآن

مكتوب في اللوح المحفوظ، معظم عند الله وعند ملائكته في الملأ الأعلى.

ويحتمل أن المراد بالكتاب المكنون، هو الكتاب الذي بأيدى الملائكة الذين ينزلهم الله بوحيه وتنزيله (٢٦)، وأن المراد بذلك أنه مستور عن الشياطين، لا قدرة لهم (٣) على تغييره، ولا الزيادة والنقص منه واستراقه، ﴿لا يسمسه إلا المطهرون﴾ أي: لا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام، الذين طهرهم الله تعالى من الآفات والذنوب والعيوب، وإذا كان لا يمسه إلا المطهرون، وأن أهل الخبث والشياطين، لا استطاعة لهم، ولا يدان إلى مسمه، دلت الآية بتنبيهها (٤)، على أنه لا يجوز أن يمس القرآن إلا طاهر، كما وردبذلك الحديث، ولهذا قيل أن الآية خبرً بمعنى النهى أي: لا يمس القرآن إلا طاهرٌ.

﴿تنزيل من رب العالمين﴾ أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين، الذي يربى عباده بنعمه الدينية والدنيوية، ومن أجل تربية ربي بها عباده، إنزاله هذا القرآن، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحمة لا يقدرون لها شكوراً، ومما يجب عليهم أن يقوموا به(٥) ويعلنوه ويدعوا إليهِ ويصدعوا به، ولهذا قال: ﴿أَفْبِهِذَا الحديث أنتم مدهنون اي: أفبهذا الكتاب العظيم والذكر الحكيم أنتم تدهنون أي: تختفون وتدلسون خوفاً من الخلق وعارهم وألسنتهم؟ هذا لا ينبغى ولا يليق، إنما يليق أن يداهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه

وأما القرآن الكريم، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب إلا غلب، ولا يصول به صائل إلاكان العالى على غيره، وهمو اللذي لا يلداهن بله

ولا يختفي، بل يصدع به ويعلن.

وقوله: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الله أي: تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب والكفر لنعمة الله، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وتضيفون النعمة لغير مسديها وموليها، فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله، فإن التكذيب والكفر داع لرفع النعم وحلول النقم.

﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينتذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال أنا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرون، ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ﴿ أي: فهلا إذا كنتم تزعمون، أنكم غير مبعوثين ولا محاسبين ومجازين، ترجعون الروح إلى بدنها ﴿إن كنتم صادقين، وأنتم تقرون أنكم عاجزون عن ردها إلى موضعها، فحينئذ إما أن تقروا بالحق الذي جاءكم به محمد ﷺ، وإما أن تعاندوا وتعلم حالكم وسوء مالكم.

﴿٨٨ ٢٦٠ ﴾ ﴿فأمنا إن كبان من المقربين * فروح وريحان وجنّة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم * إن هذا لهو حقّ اليقين * فسبح باسم ربك العظيم الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين، في أول السورة في دار القرار.

ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار والموت، فقال: ﴿فأما إن كان الميت ﴿من المقربين ﴿ وهم الذين أدوًا الواجبات والمستحبات، وتركوا

يقوموا به.

(1)

كذا في ب، وفي أ: لها.

في ب: تنبيهاً.

كذا في ب، وفي أ: عليهم به أن

في ب: وتعظيمه. **في ب: لوحيه ورسالته. (Y)**

المحرمات والمكروهات (١) وفضول المباحات، ﴿فَ لَهُ لَهُم ﴿رُوح ﴾ أي: راحة وطمأنينة، وسرور وبهجة، ونعيم القلب والروح، ﴿وريحان﴾ وهو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المآكل والمسارب وغيرهما، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون تعبيراً بنوع الشيء عن جنسه العام (٢).

﴿وجنة نعيم ﴾ جامعة للأمرين كليه ما ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيبشر المقربون عند الاحتضار بهذه البشارة ، التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح والسرور .

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ قالُوا رَبِنَا اللهُ ثُم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم .

وفد أول قوله (٣) تبارك تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أن هذه البشارة المذكورة، هي البشرى في الحياة الدنيا.

[وقسول عن المعابية وقسول المستحاب اليمين وهم النيس أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، و [إن] حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم وإيمانهم، وفي يقال لأحدهم: ﴿سلام لك من أخوانك أصحاب اليمين أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين أي: سلام ولقائهم له، أو يقال له: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، لأنك من أصحاب اليمين، الذين لأنك من أصحاب اليمين، الذين

سلموا من الذنوب الموبقات.

﴿وأسا إن كان من المكذبين الضالين﴾ أي: الذين كذبوا بالحق وضلوا عن الهدى، ﴿فنزل من حيم * وتصلية جحيم أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية المحيم التي تحيط بهم، وتصل إلى أفشدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ ﴿يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾.

وإن هذا الغياد ذكره الله تعالى، من جزاء العباد بأعمالهم، خيرها وشرها، وتفاصيل ذلك ولهو حق اليقين أي: الذي لا شلك فيه ولا مرية، بل هو الحق الثابت الذي لا يلد من وقوعه، وقد أشهد الله عباده الأدلة القواطع على ذلك، حتى صار عند أولي الألباب كأنهم ذائقون له مشاهدون له أنه تعالى على ما خصهم به من هذه النعمة العظيمة والمنحة الجسينة.

ولهذا قال تعالى: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فسبحان ربنا العظيم، وتعالى وتسزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

[تم تفسير سورة الواقعة]

تفسير سورة الحديد [وهي] مدنية

﴿١-١﴾ ﴿بسم الله السرحين المرحين المرحين المرحين المرحين المرحين والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السماوات والأرض يحيي ويميث وهو على كل شيء قديس * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * هو الذي خلق

السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور، يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وسعة سلطانه، أن جميع ما في السماوات والأرض من الحيوانات الناطقة والصامتة وغيرها، [والجوامد] تسبّح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وأنها قانتة لربها، منقادة لعزته، قد ظهرت فيها آثار حكمته، ولهذا قال: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ فهذا فيه بيان عموم افتقار المخلوقات العلوية والسفلية لربها، في جميع أحوالها، وعموم عزته وقهره للأشيآء كلها، وعموم حكمته في خلقه وأمره، ثم أخبر عن عموم ملكه، فقال: ﴿له ملك السماوات والأرض يحييي ويميت ﴿ أي: هو الخالق لذلك، الرازق المدبر لها بقدرته ﴿وهو على كل شيء قدير،

﴿ هو الأول ﴾ الذي ليس قبيله شيء ، ﴿ والآخر ﴾ الذي ليس بعده شيء ﴿ والظاهر ﴾ الذي ليس فوقه شيء ، ﴿ والباطن ﴾ الذي ليس دونه

وهو بكل شيء عليم قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة. والذي خلق السسماوات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ﴿ثم استوى على العرش ﴾ استواء يليق بجلاله، في علم ما يلج في

الأرض من حب وحيوان ومطر،

⁽١) في ب: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ أي: إن كان الميت من المقربين إلى الله المتقربين إليه بأداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات.

⁽٢) في ب: فيكون من باب التعبير بنوع الشيء عن جنسه.

⁽٣) في ب: فسر.

⁽٤) في ب؛ مشاهدون لنحقيقته.

وغير ذلك.

﴿وما يخرج منها ﴾ من نباتٍ وشجر وحيوان وغير ذلك ، ﴿وما ينزل من السماء ﴾ من الملائكة والأقدار والأرزاق .

﴿وما يعرج فيها﴾ من الملائكة والأرواح، والأدعية والأعمال، وغير ذلك.

﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ كقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾.

وهذه المعية، معية العلم والاطلاع، ولهذا توعد وعد على المجازاة بالأعمال بقوله: ﴿والله بما تعملون بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تملك الأعمال، من بر وفجور، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم، وخلقاً وعبيداً، يتصرف فيهم بما شاءه من أوامره القدرية والشرعية، الجارية على الحكمة الربانية، ﴿وإلى الله ترجع على الحكمة الربانية، ﴿وإلى الله ترجع على الخمون عليه العباد، فيميز الخبيث من الطيب، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل على النهار، فيغشيهم الليل بظلامه، النهار، فيغشيهم الليل بظلامه، فيسكنون ويهدؤون، ثم يدخل النهار الظلام، ويضيء الكون، فيتحرك العباد، ويقومون إلى مصالحهم ومعايشهم، ولا يزال الله يكور الليل على النهار، والنهار على الليل، ويداول بينهما، في الزيادة والنقص، والطول وتستقيم الأزمنة، ويحصل من المصالح واستقيم الأزمنة، ويحصل من المصالح ما يحصل بذلك انفريم الجواد، الذي ما العالمين، وتعالى الكريم الجواد، الذي

أنعم على عباده بالنعم الظاهرة والباطنة، ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ أي: بما يكون في صدور العالمين، فيوفق من يعلم أنه أهل لذلك، ويخذل من يعلم أنه لا يصلح لهدايته(١).

﴿٧ ـ ١١﴾ ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير * ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين * هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم * وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاوعد الله الحسنى والله بما تعلمون خبيس * من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم، يأمر تعالى عباده بالإيمان به وبرسوله وبما جاء به، وبالنفقة في سبيله، من الأموال التي جعلها الله في أيديهم واستخلفهم عليها، لينظر كيف يعملون، ثم لما أمرهم بذلك، رغبهم وحقهم عليه بذكر ما رتب عليه من الثواب، فقال: ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، والنفقة في سبيله، لهم أجر كبير، أعظمه [وأجله] رضا ربهم، والفوز بدار كرامته، وما فيها من النعيم المقيم، الذي أعده الله للمؤمنين والمجاهدين، ثم ذكر [السبب] الداعي لهم إلى الإيمان، وعدم المانع منه، فقال: ﴿ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين أي: وما الذي يمنعكم من الإيمان، والحال أن الرسول عمندا على أفضل الرسل

وأكرم داع دعا إلى الله يدعوكم، فهذا

مما يوجب المبادرة إلى إجابة دعوته،

٧٥ نَيْزَا قِالْمُالِدُ اللَّهِ اللَّ إِنَّهُ أَمُّونَ الْكَايِدُ ۞ فِي كِنْبَ مَّكُونِ ۞ لَا يَمْتُهُ وَإِلَّا ٱلْتُلْقَةَ رُونَ ۞ تَيْزِيلٌ مِن زَبِ ٱلْعَلَيِينَ۞ أَفَيَكَذَا ٱلْحَدِيثِ أَنْهُ مُّدُهِنُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ رِزُقَكُمُ أَنَّكُمُ ثَكَيْبُونَ۞ فَلُولَا إِنَابِلَغَتِ ٱنْحُلْقُومَ ۞ وَأَنتُرْجِينَهِ إِنْظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ أَقَرُ إِلَيْهِ مِنكُو وَلَكِنَ لَانْتُصِرُونَ۞ فَلَوَلَآ إِن كُنتُهُ غَيْرُمَدِينِينَ۞ تَرْجِعُونَآ آ إِن كُنتُهُ صَدِيقِينَ ۞ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْقُرَيِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ يَعِيدٍ ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصَّبَ ٱلْيَمِينِ ۞ فَسَلَمُ أَكَ مِنْ أَصْحَبِ ٱلْبَعِينِ ۞ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْكُذِينَ ٱلصَّالِينَ ۞ فَتُزَلِّينَ عَيدٍ۞ وَتَصْلِتُهُ عَيدٍ ۞ إِنَّ هَاذَا لَهُوَحَقُّ ٱلْفَدِينِ ۞ مَسَيِّعْ بِأَسْمِ تَالِدَ ٱلْمَيْلِينِ۞ ي ينون الماينيان و الماينيان الماين الماينيان الماين حافقالة فزالتجيم سَبِّعَ بِقَومَافِ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِّ وَهُوَ الْمَرْيِزُ ٱلْمَرِيدُ مُ لَهُ مُلْكُ الشَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُنِي مَوَيُّتِكُ وَهُوَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَلِيرُ ۞ المُوَالْ وَالْكُورُ وَالْكُورُ وَالْعَلَيْمُ وَالْسَاعِلْ وَهُو يَكُلُ مَنَى وَعِلْدُونَ DESCRIPTION OF STREET

والتلبية والإجابة للحق الذي جاء به، وقد أخذ عليكم العهد والميثاق بالإيمان وعنايته بكم، أنه لم يكتف بمجرد دعوة الرسول الذي هو أشرف العالم، بل أيده بالمعجزات، ودلكم على صدق ما جاء به بالآيات البينات، فلهذا قال: بينات أي غلم على عبده آيات العقول على صدق كل ما جاء به (٢)، وأنه حق اليقين، فليخرجكم بإرسال الرسول إليكم، وما أنزله الله بإرسال الرسول إليكم، وما أنزله الله على يده من الكتاب والحكمة.

﴿من الظلمات إلى النور﴾ أي: من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور العلم والإيمان، وهذا من رحمته بكم ورأفته، حيث كان أرحم بعباده من الوالدة بولدها ﴿وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾

﴿١٠﴾ ﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض﴾ أي: وما الذي يمنعكم من النفقة في سبيل الله، وهو طرق الخير كلها، ويوجب لكم أن تبخلوا، ﴿و﴾ الحال أنه ليس لكم شيء، بل ﴿لله ميراث السماوات والأرض﴾ فجميع الأموال ستنتقل من أيديكم أو تنقلون

⁽١) كذا في ب، وفي أ ونخذل من يعلمه لا يصلح.

⁽٢) في ب: على صحة جميع ما جاء به.

« وَالدِّي عَلَقَ السّتَوَنِ وَالأَرْضَ فِي سِتَة اِلَّهِ مُّ اسْتَوَكِ

 هَوَ الدِّي عَلَقَ السّتَوَنِ وَالأَرْضَ فِي سِتَة اِلَّهِ مُّ اسْتَوَكِ

 عَلَمْ المَّرْنِي فِعَلَمْ مَا لِمُ فِي الْمُرْثِ وَمَا فَيْعُ مِنْهَا مُتَعَلِيلُ اللّهِ فِي المُرْثِ وَالمَا فَيْعُ مِنْهَا مِتَعَلِيلُ اللّهُ وَاللّهُ و

TOURS OF MANAGEMENT

عنها، ثم يعود المُلك إلى مالكه تبارك وتعالى، فاغتنموا الإنفاق ما دامت الأمنوال في أيليكم، وانتهزوا الفرصة، ثم ذكر تعالى تفاضل الأعمال بحسب الأحوال والحكمة الإلهية، فقال: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ المراد بالفتح هنا هو فتح الحديبية، حين جرى من الصلح بين الرسول وبين قريش مما هو أعظم الفتوحات التي حصل بها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدعوة إلى الدين من غير معارض، فدخل الناس من ذلك الوقت في دين الله أفواجاً، واعتز الإسلام عزاً عظيماً، وكان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها، كالمدينة وتوابعها، وكان من أسلم من أهل مكة وغيرها من ديار المشركين يؤذي ويخاف، فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وأنفق وقاتل، أعظم درجة وأجرأ وثواباً بمن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك، كما هو مقتضى الحكمة، ولذلك كان السابقون وفضلاء الصحابة، غالبهم أسلم قبل الفتح، ولما كان التفضيل بين الأمور قد

يتوهم منه نقص وقدح في المفضول، احترز تعالى من هذا بقوله: ﴿وكلاُّ وعد الله الحسني الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة [كلهم]، رضى الله عنهم، حيث شهد الله لهم بالإيمان، ووعدهم الجنة، ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازي كُلاً منكم على ما يعلمه من عمله، ثم حث على النفقة في سبيله، لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه، وبذل الأموال في التجهز له، فقال: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴿ وهي النفقة [الطيبة] التي تكون خالصة لوجّه الله، موافقة لمرضأة الله، من مال حلال طيب، طيبة به نفسه، وهذا من كرم الله تعالى [حيث] سماه قرضاً، والمال ماله، والعبد عبده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافاً كثيرة، وهو الكريم الوهاب، وتلك المضاعفة محلها وموضعها يوم القيامة، يوم كل يتبين فقره، ويحتاج إلى أقل شيء من الجزاء الحسن، ولذلك قال:

﴿١٢ ـ ١٥﴾ ﴿يوم تىرى المؤمسنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النارهي مولاكم وبئس المصير﴾ يقول تعالى _مبيناً لفضل الإيمان واغتباط أهله به يوم القيامة _: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ أي: إذا

كان يوم القيامة، وكورت الشمس، وخسف القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينشذ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه، ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: ﴿بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم، فلله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب [محبوب]، ونجوا من كل شر ومرهوب، فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به (۱)، وهم قد طفيء نورهم وبقوا في الظلمات حاثرين، قالوا للمؤمنين: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ أي: أمهلونا لننال من نوركم ما تمشى به، لننجو من العذاب، ف ﴿قيلُ ﴾ لهم: ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ أي: إن كان ذلك بمكناً، والحال أن ذلك غير بمكن، بل هو من المحالات، ﴿فضرب بين المؤمنين والمنافقين ﴿بسور﴾ أي: حائط منيع، وحصن حصين، ﴿له بابِ باطنه فيه الرحمة ﴾ وهو الذي يلي المؤمنين، ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ وهو الذي يلى المنافقين، فينادي المنافقون المؤمنين، فيقولون لهم تضرعاً وترحماً: ﴿ أَلَّمُ نَكُنَّ معكم﴾ في الدنيا نقول: «لا إله إلا الله، ونصلي ونصوم ونجاهد، ونعمل مثل عملكم؟

﴿قالوا بلى ﴾ كنتم معنا في الدنيا، وعملتم [في الظاهر] مثل عملنا، ولكن أعمالكم أعمال المنافقين، من غير إيمان ولا نية [صادقة] صالحة، بل ﴿فتتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم ﴾ أي: شككتم في خبر الله الذي لا يقبل شكاً، ﴿وغرتكم الأماني ﴾ الباطلة، حيث (٢) تمنيتم أن تنالوا منال المؤمنين، وأنتم غير موقنين، ﴿حتى

⁽١) في ب: يمشون بنورهم.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: التي.

جاء أمر الله أي: حتى جاءكم الموت وأنتم بتلك الحال الذميمة.

﴿وغـركــم بِسالله السغـرور﴾ وحـو الشيطان، الذي زين لكم الكفر والريب، فاطمأننتم به، ووثقتم بوعده، وصدقتم خبره، ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) فلو افتديتم بمثل الأرض ذهباً ومثله معه، لما تقبل منكم، ﴿مأواكم النار)أي: مستقركم، ﴿مي مولاكم) التي تتولاكم وتضمكم إليها، ﴿ وبشس المصير ﴾ النار.

[قال تعالى:] ﴿ وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية * وما أدراك ما هيه * نار حامية ٠٠٠٠

﴿١٦ _ ١٧﴾ ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولآ يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون لله ذكر حالً المؤمنين والمؤمنات، والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها، والاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين [على عدم ذلك]، فقال: ﴿أَلَّمُ بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾

أى: ألم يجيء (١) الوقت الذي تلين به قلومهم (۲^{۱)} وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، ومنا نيزل من الحيق البذي جناء بنه عمد يه وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب شه تعالى، ولما أنزله من الكتآب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت،

يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله آلله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك (٣) سبب لقسوة القلب وجمود العن.

﴿ اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قدبينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيى الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيى القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله و[لم] ينقد لشرائع الله.

﴿١٩ _ ١٩﴾ ﴿إن المسسدقسين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم * والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوأ بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴿ إن المصدِّقين والمصدِّقات ﴾ بالتشديد أي: الذين أكثروا من الصدقات الشرعية، والنفقات المرضية، ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخراً لهم (٤) عند ربهم، ﴿يضاعف لهم﴾ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مثة ويحاسبوا أنفسهم على ذلك، ﴿ ولا ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ﴿ ولهم

Je Hilliam OF THE STATE OF THE وَّمَ زَيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ فُرُهُمْ ثِنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَنِيهِم بُشْرَكُوْالْيَقَ جَنَّتُ تَجَهِ مِن تَحِيهَا ٱلْأَنْعَرُ خَلِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيدُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْتَنْفِقُونَ وَٱلْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ مَامَنُواْ ٱللُّهُ وَاَلَقَتَهَرُونِ فُرِكُرُ قِيلَ الْيَحِمُوا وَزَاءَكُو فَالْسَحِسُوا نُورًا فَضُرِبَ يَيْنَهُ مِبْدُورِلَّهُ بَابُ بَاطِئْهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَلِهِ رُمُونِ فَيَلِهِ ٱلْعَدَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلْرَنَكُمْ مَّعَكُمْ قَالُواْ بَكَلَ وَلَاكِنَكُمُ فتنت أنشكم وترتق أرقيه والتبشر وعقه كما الكان تخاسك أَمْرُ إِلَّهُ وَغَمَّ كُم بِإِلَّهَ الْفَكُرُودُ ۞ فَالْيُوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُرُ فِذْيَةٌ وَلَامِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَنَكُمُ ٱلنَّأَرُ هِي مَوْلَكُمُّ وَمِثْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ • أَلْرَيَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَمَنَّمَ مَلُوبُهُمُ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَانَزَلَ مِنَ ٱلْتُحَيِّ وَلَا يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوثُواْ ٱلْكِئْكِ مِن مَّتُلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَّدُ فَقَسَتْ قُلُومُهُمٌّ وَكَثِيرٌ فِيَعْهُمُ فَلْسِقُونَ ۞ٱۼڵؿۘۅٙٲڶۯؘٲڡڎٙۼؠٞٲڵۯٛۻٙؠڣۮڡٚۏۣؿؠٲ۠ڡڎؠؽۜڐٲڴڰؙؙۄٲڵٳڮٮ لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ إِنَّ ٱلْمُتَكِيِّينَ وَٱلْمُشَدِّقَتِ وَأَقْرَضُواْ الله قَصْالَ عَدَا يُضَاعَفُ لَمَا يُو وَلَمْ الْجُرُّكِيمُ ON THE OTHER PROPERTY.

أجر كريم) وهو ما أعده الله لهم في الجنة، مما لا تعلمه النفوس.

﴿واللَّذِينَ آمنوا بِاللهِ ورسله والإيمان عند أهل السنة: هو ما دل عليه الكتاب والسنة، هو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظَّاهرة والباطنة، فالذِّين جمعواً بين هذه الأمور هم الصدّيقون أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء.

[وقوله:] ﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم كما ورد في الحديث الصحيح: (إن في الجنة مئة درجة، ما بين الدرجتين (8) كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله،، وهذا يقتضي شدة علوهم ورفعتهم، وقربهم إلى الله تعالى.

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم افهذه الآيات جعت أصناف الخلق، التصدقين، والصديقين، والشهداء، وأصحاب الجحيم، فالمتصدقون الذين كان جُلُّ عملهم الإحسان إلى الخلق، وبذل النفع إليهم بغاية ما يمكنهم، خصوصا

في ب: ذخراً. (٤)

فی ب: ما بین کل درجتین. (0)

في ب: ألم يأت.

في ب: الذي به تلين قلوبكم. **(Y)**

في ب: فإنه.

THE PROPERTY OF THE PROPERTY O وَٱلَّذِينَ اَمَنُواْ بَالَّهِ وَرُسُلِهِ مَا أُوْلَيْكَ هُوُ ٱلْمَدَدِيثُهُ فَأَمَّاكُ مُدَاَّةُ عِندَرَتِهِ مُ لَمُ أَجُرُهُمْ وَفُورُهُمْ وَالَّذِينَ لَفَدُ وَأُوكَذَّوُا عَائِمَتَ أُوْلَتِكَ أَسْحَكُ ٱلْجَمِيدِ فِي أَعْلَمُوا أَنَّمُا ٱلْحَيَّاةُ ٱلدُّمْ الْمُعَالِّةُ الدُّمْ ال لَهِ ۗ وَلَهُو ۗ وَرَيِكُ ۗ وَقَاحُرُ بِنَكُمْ وَتَكَارُ اللهِ الْأَمْهَلِ وَٱلْأَوْلَٰذِيكُمْ الْعَيْثِ أَغِبَ ٱلْكُفَّارَيْكَ أَمُدُمَّ مَعِيمُ فَرَّدُهُ مُصْفَةً النَّمِّيكُونُ خُطَلَماً وَفِ الْآخِيرَةِ عَذَاتٌ شَكِيدٌ وَمَغْ فِرَّةً مِنَ اللَّهِ وَرِضُوَانَّ وَمَا الْحَيَوْةِ ٱلدُّنْكِ ٓ الْأَمْنَ ۗ الْأَمْنَاتُ ٱلْذُورِ ۞ سَابِقُوا إِلَا مَغْفِرَ وَمِن زَيْكُمْ وَبَحَنَّةِ عَرْشُهَا كَعَرَّضَ ٱلسَّمَلَ وَٱلْمُرْضَ أُعِدَتْ لِلَّذِينَ مَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهُ وَزُلْكَ فَضْ لُاللَّهِ يُؤْمِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ دُو الْفَصْلِ الْعَظِيدِ ۞ مَا أَصَاكِين مُصِيبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُيكُمْ إِلَّا فِي كِتَابِ مِن فَيْلِ أَن نَبْرَأُهِ أَإِنَّ ذَالِكَ عَلَى القَويَسِيرُ ﴿ لِحَيْدِ لَا أَسْوَا عَلَى مَا فَانْتَكُمْ وَلَانْفُ رَحُواْ بِمَا ءَاتَدْكُمُ وَالْقَدُلالِيُكُ كُلِّ عُمْنَالِ فَخُورِ ۞ ٱلَّذِينَ يَبْحَكُونُ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُحْدُلُ وَمَن يَتُولُ فَإِنَ ٱللَّهَ هُوَالْغَوْ يُ ٱلْحَسدُ ١

بالنفع بالمال في سبيل الله .

والصديقون هم الذين كملوا مراتب الإيمان والعمل الصالح، والعلم النافع، واليقين الصادق، والشهداء هم الذين قاتلوا في سبيل الله [لإعلاء كلمة الله، وبذلوا أنفسهم وأموالهم] فقتلوا، وأصحاب الجحيم هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله.

وبقي قسم ذكرهم الله في سورة فاطر، وهم المقتصدون الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، إلا أنهم حصل منهم تقصير ببعض حقوق الله وحقوق عباده، فهؤلاء مالهم الجنة، وإن حصل لهم عقوبة ببعض ما فعل.

وإن حصل لهم عهوبه ببعض ما فعل.

(۲۰ – ۲۱) ﴿اعلموا أنما الحياة المدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة وما الحياة الدنيا إلا متاع الفرور * سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض عرضها كعرض السماء والأرض فضل الله يوتيه من يساء والله ذو الفضل العظيم ﴾ يغبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية الذنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية

أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب ها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله(١)، وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعُمَّال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

[وقوله:] ﴿وزينة ﴾ أي: تزيّنٌ في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والمراحب والمراحب ﴿وتفاخر بينكم ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿وتكاثر في لكموال والأولاد ﴾ أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وقوعه من مُبِّي المنيا والمطمئنن إلها.

بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبراً ولم يجعلها مستقراً، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله^(۲)، وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للدنيا مثلاً بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض ما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم ألله إلى الدنيا⁽⁷⁾ جاءها من أمر الله [ما أتلفها] فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رُويَ لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها واهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما

أذهبها (٤) من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذُهِب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتباً لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي الآخرة مِن الله علله ومغيضرة من الله ورضوان﴾ أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله.

وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يمل من أحله (٥) به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله تما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور.

ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب المسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله عرضها كعرض السماء والأرض الأعمال الموجبة لذلك، فقال: ﴿وجنة أعدت للذين آمنوا بالله ورسله والإيمان بالله ورسله أعدت للذين وفروعها، ﴿ذلك قيه أصول الندين وفروعها، ﴿ذلك قيه قضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ أي: هذا قضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ أي: هذا

(1)

في ب: بلهو قلوبهم وغفلتهم.

⁽٣) في ب: همهم ونظرهم.

⁽٤) في ب: فأذهبها.

⁽٥) في ب: من أحله عليه.

⁽٦) كذا في ب، وفي أ: ورسوله.

⁽٢) في ب: إلى ذلك.

الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم (١)، من أعظم منته على عباده وفضله. ﴿والله ذو الفضل المظيم الذي لا يُحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده .

﴿۲۲ ـ ۲٤﴾ ﴿سا أصباب مين مصيبة في الأرض ولًا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علَّى الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل محتال فحور *الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ يقول تعالى مخبراً عن عموم قضائه وقدره: ﴿مَا أَصَابِ مَنْ مَصَيبة فِي الأرضُ ولَا في أنفسكم وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلُّها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن يكون ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بدمن نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومَنَّه، فيشتغلوا بشكر من أولي النعم ودفع النقم، ولهذا قبال: ﴿واللهُ لا بُحْتِ كُل مُحتال فخور ﴿ أَي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ثم

إذا خوَّلناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم علم علم علم علم علم المع فتنة .

﴿اللَّذِينِ يَبِحُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسِ بالبخل﴾ أي: يجمعون بين الأمرين الذميمين، اللذين كل منهما كاف في الشر البخل: وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذَّلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثُّوهم على هذا الخلق الذميم بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم وتوليهم عنها، ﴿ومن يتول﴾ عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، ﴿فَإِنَّ اللَّهُ هو الغنى الحميد﴾ الذي غناه من لوازم ذاته، الدي له ملك السماوات والأرض، وهو الذي أغنى عباده وأقناهم، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يحمد عليه ويثني ويعظم.

 ۲۰ – ۲۷) ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز * ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون * ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسي ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون عقول تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة على صدق ما جاؤوا به وحقيته.

﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ وهو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق وإرشادهم، ما ينفعهم في دينهم ودنياهم،

والميزان وهو العدل في الأقوال والأفعال، والدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق، وفي الجمنايات والمقبصاص والحدود والمواريث وغير ذلك]، وذلك بدين الله، وتحصيلاً لمصالحهم التي لا يمكن حصرها وعدها، وهذا دليل على أن الرسل متفقون في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن الرسل متفقون في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن الخراك، بحسب الأزمنة والأحوال، وأنزلنا الحديد فيه بأس اختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة والدووع وغير ذلك.

﴿ وَمِنافِع للناس﴾ وهو ما يشاهد من نفعه في أنواع الصناعات والحرف، والأواني وألات الحرث، حتى إنه قَلُ أن يوجد شيء إلا وهو يحتاج إلى الحديد.

﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ أي: ليقيم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب والحديد، فيتبين من ينصره وينصر رسله في حال الغيب، التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة، التي لا فائدة بوجود الإيمان فيها، لأنه حينئذ يكون ضرورياً.

﴿إِن الله قسوي عسزيسز﴾ أي:

لا يعجزه شيء، ولا يفوته هارب،
ومن قوته وعزته أن أنزل الحديد الذي
انه قادر على الانتصار من أعدائه،
ولكنه يبتلي أولياءه بأعدائه، ليعلم من
ينصره بالغيب، وقرن تعالى في هذا^(٣)
الموضع بين الكتاب والحديد، لأن
بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي
والبرهان والسيف الناصر بإذن الله،
وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي
يستدل به على حكمة البارى وكماله،

⁽١) في ب: وأن ثواب الله بالأجر الجزيل، والثواب الجميل.

⁽٢) في ب: أحدٌ من خلقه.

⁽٣) في ب: بهذا.

وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله .

ولما ذكر نبوة الأنبياء عموماً، ذكر من خواصهم النبيين الكريمين نوحاً وإبراهيم الله النبوة والكتاب في ذريتهما، فقال: ﴿ولقد ذريتهما النبوة والكتاب﴾ أي: الأنبياء المتقدمين والمتأخرين كلهم من ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام، وكذلك الكتب كلها نزلت على ذرية هذين الكريمين، ﴿فمنهم﴾ أي: عن أرسلنا إليهم الرسل ﴿مهتد﴾ أرسلنا إليهم الرسل ﴿مهتد﴾ بدعوتهم، منقاد لأمرهم، مسترشد بهداهم.

﴿وَكُثير منهم فاسقون أي: خارجون عن [طاعة الله و] طاعة الرسل والأنبياء (١٠)، كما قال تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾.

وشم قفينا أي: أتبعنا وعلى الرهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم خص الله عيسى عليه السلام؛ لأن السياق مع النصارى، الذين يزعمون التباع عيسى عليه السلام، ﴿وآتيناه الإنجيل الذي هو من كتب الله الفاضلة، ﴿وجعلنا في قلوب الذين النها التبعوه رأفة ورحمة كما قال تعالى: اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون الآيات.

ولهذا كان النصاري ألين من غيرهم قلوباً، حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام.

﴿ورهبانية ابتدعوها ﴾ والرهبانية: العبادة، فهم ابتدعوا من عند أنفسهم عبادة، ووظفوها على أنفسهم، والتزموا لوازم ما كتبها الله عليهم ولا فرضها، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قصدهم بذلك رضا الله

تعالى، ومع ذلك ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي: ما قاموا بها ولا أدوا حقوقها، فقصروا من وجهين: من جهة ابتداعهم، ومن جهة عدم قيامهم بما فرضوه على أنفسهم.

فهذه الحال هي الخالب من حوالهم.

ومنهم من هو مستقيم على أمر الله، ولهذا قال: ﴿فَاتَينَا اللَّيْنَ آمنُوا مِنْهُم أَجِدُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَي: اللَّيْسِنَ آمنُوا مَنْسَوَا مِنْسَدُ اللَّهُ على حسب إيمانه ﴿وكثير منهم فاسقون﴾

﴿٢٨ _ ٢٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وهذا الخطاب، يحتمل أنه [خطاب] لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم، بأن يتقوا الله فيتركوا معاصيه، ويؤمنوا برسوله محمد ﷺ، وأنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله کفلین من رحمته أي: نصیبین من الأجر نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين، ونصيب على إيمانهم بمحمد ﷺ

ويحتمل أن يكون الأمر عاماً يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، وهذا الشاهر، وأن الله أمرهم بالإيمان والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين، ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم أعطاهم الله ﴿كفلين من رحمته لا يعلم وصفهما وقدرهما إلا الله تعالى أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، أو أجر على التقوى، أو أجر على التنية المراد بها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى.

﴿ويعل لكم نوراً تمشون به ﴾ أي: يعطيكم علماً وهدى ونوراً تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السيئات.

﴿والله ذو الفضل العظيم ﴾ فلا يستكثر (٢) هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عم فضله أهل السماوات والأرض، فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين ولا أقل من ذلك. [وقوله] ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله أي: بينا لكم فضلناً وإحساننا لمن أمن إيماناً عاماً، واتقى الله، وآمن برسوله، لأجل أن أهل الكتاب يكون لديهم علم (٣) بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله أي: لا يحجرون على الله بحسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة، فيقولون: ﴿لَنْ يُدخَلُ الْجُنَّةُ إلا من كان هوداً أو نصاري﴾ ويتمنون على الله الأمان الفاسدة، فأخبر الله تعالى أنَّ المؤمنين برسوله محمد ﷺ، المتقين اله، لهم كفلان من رحمته، ونورٌ، ومغفرة، رغماً على أنوف أهل الكتاب، وليعلموا ﴿أَنِ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ عن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله، ﴿والله ذو الفضل العظيم الذي لا يقادر قدره].

> تم تفسير سورة الحديد، وله الحمد والمنة، والحمد لله

تفسير سورة قد سمع الله وهي مدنية

﴿١ - ٤﴾ ﴿بسم الله السرحمن الله وله التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير * الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور * الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير

٣) في ب: لأجل أن يكون عند أهل

الكتاب علم.

⁽١) في ب: طاعة رسله.

⁽٢) في ب: فلا يستغرب كثرة.

رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك خدود الله وللكافرين عذاب أليم من الأنصار اشتكته زوجته [إلى الله، من الأنصار اشتكته زوجته [إلى الله، حرمها على نفسه، بعد الصحبة حرمها على نفسه، بعد الصحبة شيخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله وإلى رسول الله يشيخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله وأبدت فيه وأعادت.

فقال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ﴾ أي: تخاطبكما فيما بينكما، ﴿إن الله سميع ﴾ لجميع الأوقات، على تفنن الحاجات.

﴿بصير﴾ يبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وهذا إخبار عن كمالً سمعه وبصره، وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله [تعالى] سيزيل شكواها، ويرفع بلواها، ولهذا ذكر حكمها، وحكم غيرها^(٢) على وجه العموم، فقال: ﴿ اللَّهِ يَنْ يَظَّاهُ رُونَ منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ﴿ المظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته: «أنت على كظهر أمى»، أو غيرها من محارمه، أو : «أنت عَلَى حرام»، وكانَ المعتاد عندهم في هذا لفظ «الظهر» ولهذا سماه الله «ظهاراً» فقال:

﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ﴾ أي: كيف يتكلمون بهذا الكلام الذي يعلم (٣) أنه لا حقيقة له، فيشبهون أزواجهم بأمهاتهم اللاتي ولدنهم؟ ولهذا عظم الله أمره وقبحه، فقال: ﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ أي: قولاً شنيعاً، ﴿وزوراً﴾

﴿وإن الله لعقو غفور﴾ عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ اختلف العلماء في معنى العود، فقيل: معناه العزم على جماع من ظاهر منها، وأنه بمجرد عزمه قبب عليه الكفارة المذكورة، ويدل على هذا أن الله تعلل ذكر في الكفارة أنها⁽¹⁾ تكون قبل المسيس، وذلك إنما يكون بمجرد العزم، وقيل: معناه حقيقة الوطء، ويدل على ذلك أن الله قال: إنما هو الوطء.

وعلى كل من القولين ﴿فَ إِذَا وَجِدَ الْعُودِ، صَارَ كَفَارَةَ هَذَا التَّحريمَ ﴿تَحريمِ رَقِبَةً ﴾ مؤمنة كما قيدت في آية أخرى (٥)، ذكر أو أنشى، بشرط أن تكون سالمة من العيوب المضرة (١)

﴿من قبل أن يتماسا﴾ أي: يلزم الزوج أن يترك وطء زوجته التي ظاهر منها حتى يكفر برقبة.

﴿ ذلكم ﴾ الحكم الذي ذكرناه لكم، ﴿ توعظون به ﴾ أي: يبين لكم حكمه مع الترهيب المقرون به، لأن معنى الوعظ ذكر الحكم مع الترغيب والترهيب، فالذي يريد أن يظاهر، إذا

LEBELS ON SERVICE OF THE PARTY لقذأ زسلنار ملنابا أبيتن وأنزأن امعهم الكتب وَالْمِيزَاتِ لِيَعُومَ النَّاسُ الْقِسْطِّ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ سَأْسٌ شَكِدِيدُ وَمَسَكِفِمُ لِلسَّاسِ وَلِيَعَلَمُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلْغَيْبُ إِنَ اللَّهُ فَوَئَّ عَنِيزٌ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرُهِ مِمْ وجَعَلْنَا فِ دُرِيتِهِ مَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابُّ فِينْهُمُ ثُهُمَّةً وَكَيْدِيرُ مِنْهُمْ فَلِي قُونَ ۞ ثُرُّ قَفَيْنَا عَلَى ٓ التَّرْهِ رَسُلِنَا وَقَفَيْنَ ابِعِيسَى أَبِن مَرْبِهُ وَءَاتَيْنَهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِيزِ ﴾ آخَيَعُوهُ رَأْفَ فَوَرَحْ مَدَةً وَرَهْ بَايِّنَّةً ٱبْنَدَعُوهَا مَاكَتَبْتَهَاعَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْيَعَآ أَيْ رَضُوْبِ اللَّهِ فَمَارَعُوْهِا حَقَّ رِعَلَيْهَا ۚ فَنَا تَلِنَا ٱلَّذِينَ وَامْتُواْمِنْهُمُ أَخِرَهُمْ وَحَكِيثِيرٌ يَنْهُمْ فَنَيِنَةُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَمَامِنُوا برسُولُه، يُؤْتِ كُرْكِ فَلَيْنِ مِن زَحْمَتِهِ، وَيَجْعَل لَكُمْ فُولًا غَشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَأَلْفَاعَ غُورٌ نَجِيدٌ ﴿ لِتَلَا يَعَلَمُ المفرُ الكيتَ الَّذِيمَ يرُون عَلَى مَن مَن صَف لِ اللَّهِ وَأَنَ الْفَضْلَ بِيكِ اللَّهِ وَقُرْتِيهِ مَن يَشَكَّهُ وَاللَّهُ ذُوا الْفَضْلِ الْفَظِيمِ 010000 011 E000 E01

> ذکر أنه يجب عليه عتق رقبة كف نفسه عنه، ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازي كل عامل بعمله.

﴿فمن لم يجد﴾ رقبة يعتقها، بأن لم يجدها أو[لم] يجد ثمنها ﴿فَ عليه ﴿صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ﴾ ﴿فمن لم يستطع ﴾ الصيام ﴿فياطعام ستين مسكينا ﴾ إما بأن يطعمهم من قوت بلده ما يكفيهم، كما هو قول كثير من المفسرين، وإما بأن يطعم كل مسكين مُذَّ بُرُّ أو نصف صاع من غيره مما يجزي في الفطرة، كما هو قول طائفة أخرى.

ذلك الحكم الذي بيناه لكم، ووضحناه لكم ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ وذلك بالتزام هذا الحكم وغيره من الأحكام والعمل به، فإن التزام أحكام الله والعمل بها من الإيمان، البل هي المقصودة] وعما يزيد به الإيمان (٧) ويكمل وينمو.

﴿وتلك حدود الله ﴾ التي تمنع من

⁽۱) زیادة من هامش: ب.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: ذكر حكم هذا الحكم وحكم غيره.

⁽٣) في ب: يعلمون.

⁽٤) كذا في ب، وفي أ: أن.

⁽٥) في ب: آية القتال.

⁽٦) في ب: الضارة.

⁽٧) في ب: ويزداد به الإيمان.

के धिरमध्य 🛊 _إِفَوَالْتَغَالِآتِكَالِيَ قَدْسَيَعَ اللَّهُ قُولَ الَّتِي تُجَدِلُكَ فِي زَفِجِهَا وَأَشْتَكِي إِلَى اللَّهُ وَالْقَهُ يَسْمَعُ غَاوُرَكُمْ أَلِنَالَةَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ ٱلَّذِينَ يُطَّلِّعُ مُهِنَّ مِنكُم مِن نِسَابِهِم مَا هُنَّ أُمَّهُ لِيُورِّ إِنْ أُمَّهُ لُكُورً إِنَّا أَمِّهُ لَكُورً إِلَّا أَلَّي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمُ لَيَقُولُونَ مُنكَزِّيْنَ ٱلْعَوَّلِ وَزُولًا وَإِنَّا لَا ٱللَّهَ لَعَنْفُونُ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظُّلُّهُمُّ وَنَا مِن يَسَالِيهِمْ ثُرَيَعُودُ ولَا لِمَا قَالُواْ فَتَحْدِيدُ لَقَدَةِ فِن قَبْلِ أَن يَسَمَّا صَا ذَٰلِكُرُ وْعَظُونَ بِدِّهِ وَأَنَّهُ مِمَا تَعْمَلُونَ خَيِرٌ ۞ فَنَ لَّهِ بِعَدْ فَعِيسَامُ شَهْرَيْنِ مُنْسَابِعَيْنِ مِن قَبِلِ أَن يَسَمَّا شَأَ فَنَ لَرُيَسْسَطِعَ فَإِطْعَامُ سِينِينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِنُوْمِنُواْ إِلَيْهِ وَرَسُولِهُ وَقَاكَ حُدُودُ أَعَوْ وَالْحَكَافِينَ عَنَابُ أَلِيدُ ۞ إِنَّ الَّذِيزَ يُحَكَّدُونَ الْقَدَوَتُ وَاللَّهِ اللَّهِ كُِتُواكَمَا كُنِهَ الَّذِينَ مِن قِبْلِهِ فُوفَة أَرَانًا بَالِيَمَ يَفِنَاتُ وَلِلْكَنِينَ عَذَابٌ ثُمِينٌ ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُ مُلَقَّ وَيَعَا فَيُنَيِّعُهُم عَاعَمِلُواْ أَحْسَنَهُ اللَّهُ وَلَنُوهُ وَالْقَاسَلُ كُلِّ عَنْ مُنْ وَشَهِيدً ۞ DANGE OF FORMED

الوقوع فيها، فيجب أن لا تتعدى ولا يقصر عنها.

﴿وللكافرين عذاب أليم ﴾.

وفي هذه الآيات عدة أحكام:

منها: لطف الله بعباده واعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة، وأزالها ورفع عنها البلوى، بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلى بمثل هذه القضية.

ومنها: أن الظهار مختص بتحريم الزوجة، لأن الله قال: ﴿من نسائهم ﴾ فلو حرم أمته، لم يكن [ذلك] ظهاراً، بل هو من جنس تحريم الطعام والشراب، تجب فيه كفارة اليمين فقط.

ومنها: أنه لا يصح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها، لأنها لا تدخل في نسائه وقت الظهار، كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو علّقه.

ومنها: أن الظهار محرم، لأن الله سماه منكراً [من القول] وزوراً.

ومنها: تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته، لأن الله تعالى قال: ﴿ما هن أمهاتهم﴾.

ومنها: أنه يكره للرجل أن ينادي زوجته ويسميها(١) باسم محارمه،

كقوله: (يا أمي)، (يا أختي) ونحوه، لأن ذلك يشبه المحرم.

ومنها: أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر، على اختلاف القولين السابقين، لا بمجرد الظهار.

ومنها: أنه يجزىء في كفارة الرقبة، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، لإطلاق الآية في ذلك.

ومنها: أنه يجب إخراجها إن^(۲) كانت عتقاً أو صياماً قبل المسيس، كما قيده الله، بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس والوطء في أثنائها.

ومنها: أنه لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس، أن ذلك أدعى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع، وعلم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة، بادر لإخراجها.

ومنها: أنه لا بد من إطعام ستين مسكيناً، فلو جمع طعام ستين مسكيناً، ودفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك، لأن الله قال: ﴿فإطعام ستين مسكيناً﴾.

﴿وَ﴾ ﴿إِن السنيسن بحسادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين﴾ عادة الله ورسوله: خالفتهما ومعصيتهما خصوصاً في الأمور الفظيعة، كمحادة الله ورسوله بالكفر، ومعاداة أولياء الله.

وقوله: ﴿كبتواكما كبت الذين من قبلهم﴾ أي: أذلوا وأهينوا كما فعل بمن قبلهم، جزاء وفاقاً.

وليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق، وقد أنزل من الآيات البينات والبراهين ما يبين الحقائق ويوضح المقاصد، فمن المهتدين الفائزين، ﴿وللكافرين﴾ بها ﴿عذاب مهين﴾ أي: يهينهم ويذلهم، كما تكبروا عن آيات الله، أهانهم وأذلهم.

فينبئهم بما علموا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد * ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكشر إلا هـو معهم أينما كانواثم ينيئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم♦ يقول الله تعالى: يوم يبعث الله الخلْق ﴿جِيعاً﴾ فيقومون من أجداثهم سريعاً فيجازيهم بأعمالهم ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من خير وشر، لأنه علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ، وأمر الملائكة الكرام الحفظة بكتابته، هذا وو العاملون قد نسوا ما عملوه، والله أحصى ذلك.

والله على كل شيء شهيد بالظواهر (٢) والسرائر، والخبايا والخفايا، ولهذا أخبر عن سعة علمه وإحاطته بما في السماوات والأرض من دقيق وجليل.

وأنه ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ والمراد بهذه المعية معية العلم والإحاطة بما تناجوا به وأسروه فيما بينهم، ولهذا قال: ﴿إِن الله بكل شيء عليم﴾ ثم قال تعالى:

﴿٨-٩﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولَا وَاللَّهُ وَاللَّهُ

فأمر تعالى المؤمنين أن يتناجوا بالبر، وهو اسم جامع لكل خير وطاعة، الجزء الثامن والعشرون

وقيام بحق لله ولعباده (١١)، والتقوى، وهي [هنا]: اسم جامع لترك جميع المحارم والمآثم، فالمؤمن يمتثل هذا الأمر الإلهي، فلا تجده مناجياً ومتحدثاً إلا بما يقربه من الله، ويباعده من سخطه، والفاجر يتهاون بأمر الله، ويناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، كالمنافقين الذين هذا دأبهم وحالهم ملم الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله أي: يسيئون الأدب معك في تحيتهم لك، ﴿ويقولون في أنفسهم أي: يسرون في أنفسهم (٣) ما ذكره عالم الغيب والشهادة عنهم، وهو قولهم: ﴿لُولا يَعَلَّبُنَّا اللَّهُ بِمَا نقول ومعنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك، ويستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور، قال تعالى في بيان أنه يمهل ولا يهمل: وحسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ أي: تكفيهم جهنم التي جعت كل شقاء وعذاب [عليهم]، تحيط بهم، ويعذبون بها ﴿فبئس المصير، وهؤلاء المذكورون إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان، ويخاطبون الرسول ﷺ بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيراً (٣)، وهم كذبة في ذلك، وإما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبى ﷺ، قالوا: «السام عليك يا محمد أ يعنون بذلك الموت.

﴿١٠﴾ ﴿إنما النجوي من الشيطان ليحزُن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا بسإذن الله وعسلي الله فسليتسوكسل المؤمنون ﴾ يقول تعالى: ﴿إنسا

النجوي أي: تناجى أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالمكر والخديعة، وطلب السوء من الشيطان، الذي كيده ضعيف ومكره غير مفيد.

﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ هذا غاية هذا المكر ومقصوده، ﴿وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ﴾ فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية والنصر على الأعداء، وقال تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السييء إلا بأهله ﴾ فأعداء الله ورسوله والمؤمنين، مهما تناجوا ومكروا، فإن ضرر ذلك(1) عائد إلى أنفسهم، ولا ينضر المؤمنين إلا شيء قدره الله وقسضاه، ﴿وعمل الله فسليتسوكمل المؤمنون﴾ أي: ليعتمدوا(٥) عليه ويثقوا بوعده، فإن من توكل على الله کفاه، وتولی أمر دینه ودنیاه^(٦).

﴿ ١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير، هذا تأديب (٧) من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود.

وليس ذلك بضار للجالس(٨) شيئاً، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه وسع الله عليه .

﴿وإذا قيل انشزوا ﴾ أي: ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض،

أَلْوَضَرَ أَنَّ الْقَدَيْفِ لَمُرَمَا فِي السَّنَوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ مَا سَكُونُ مِن يُّغَوَىٰ ثَلَنَتُهِ إِلَّاهُورَالِعُهُمْ وَلَاخَسَتِهِ إِلَّاهُوسَادِ مُمُمَّةٍ وَلَا أَتَنَا مِن ذَلِكَ وَلَا أَحْتُرُ إِلَّهُ وَمَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانَّوْ أَثْمُ بُنَيْتُهُمْ مَا عَمُوْاْ عَمَ ٱلْقِينَمَةُ إِذَا لَقَ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ ٱلْوَتَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَهُواْعَنِ ٱلنَّحْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِلمَانَهُواْعَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِٱلْإِنْير وَٱلْمُدُونِ وَمَعْمِيتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَاهُ وَلِدَ حَيْوَكُ مَا أَيْحُمَكَ بِهِ أَلَةٌ وَيَكُولُونَ فِي أَهْلِيهِمْ لَوْلَائِعَ ذِبْنَا أَلَّهُ بَالَكُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّهُ يَشَافَوْنَهُ فِي فَسَ الْمُصِيرُ فِي يَكَأَيُّهُا الَّذِيرَ ، امْنُوا إِذَا شَجَيْتُرُفَلَا تَنْنَجَوَا بِالْإِثْرِوَالْعُدُونِ وَمَعْصِبَتِ ٱلْصُولِ وَتُنْجَوَأ إِلْيِرَوَالْتَغُونَى وَاتَّغُوالْقَدَالَّذِيَّ إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ ۞ إِنَّمَا الدَّجَيِّي مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ وَلَيْسَ بِصَارَ هِرْ شَيْنًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ وَلَيْنَوَكَّ لِٱلْكُوْمِنُونَ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ المتنوا إذا قِل المستم المنتخوان المخطيس المنتخوا يفسنع إلى المَدَّلَ حَمَّمٌ كَاذَا قِيلَ أَنشُ زُوا فَأَنشُ زُوا رِّوْمَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ عَامَنُوا مِنكُو وَالَّذِينَ أُونُوا الْعِلْدَ دَرَكُتُ وَالَّهُ مُمَاتَقَعْمُ لُونَ خَيدُ ٥ ACTION OF PROPERTY

﴿ فَانْشُرُوا ﴾ أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات، بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان.

﴿والله بما تعملون خبير ﴾ فيجازي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه.

﴿١٢ - ١٣﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين بدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله خفور رحيم * أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقاتِ فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيمهوا المصلاة وآتوا الركاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما

⁽¹⁾ **في ب: بحق الله وحق عباده.**

⁽٢) في ب: يسرون فيها.

كذا في ب، وفي أ: والخطاب للرسول ﷺ الذي يوهمون به أنهم أرادوا خيراً. (٣)

كذا في ب، وفي أ: فإن ضررهم. (1)

كذا في ب، وفي أ: يعتمدوا. (0)

نى ب: وكفاه أمر دينه ودنياه. (1)

في ب: هذا أدب. (V)

في ب: للفاسح. **(A)**

ال يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوٓا إِذَا نَجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جَوْنِكُو صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرَكُمُ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَرْتَجِمُ وَأَفِإِذَ اللَّهَ عَفُورٌ رَجِيمُ ۞؞ٙٱشْفَقْتُواْن ثُقَدِمُواْبَيْنَ يَدَىْ جَوْلَكُوْصَدَقَاتٍّ فَإِذْ لَرَفَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكُوةَ وَأَطِيمُوا اللَّهَ وَرَيسُولَهُ وَأَلْقَهُ خَيرٌ عَاتَعَمُلُونَ ۞ • أَلْرَثَرَ إِلَى الَّذِينَ تُولُّوا فَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ مِ مَاهُرِ مِن كُرُ وَلَا مِنْهُ رُوَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُزِيَعْ لَمُونَ ۞ أَعَدَّ اللَّهُ لَمُنْعُ عَذَابَاتَ دِيدًا إِنَّهُمْ سَآةَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ أَغَنَدُوٓ الْيَلْنَهُمْ جُنَّةُ فَصَدُّواعَن سَبِيلَ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَاتُ ثَمِينٌ ۞ لَّن تُغْنَى عَنْهُمُ أَمْوَ لِمُنْهُ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيَّتًا أُوْلَيْكَ أَصْحَبُ ٱلنَّازُّ حُرَيْهَا خَلِدُونَ ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ يَعِيعًا فَيَسْلِفُونَ لَهُ حَسَاعَيْلِفُونَ لَكُرُ وَيَعْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ٱلْآ إِنَّهُمْ هُوُ ٱلْكَاذِبُونَ ۞ ٱسْتَحْوَدَعَلَيْهِمُ الشَّيْطُانُ فأنسكهُمْ وَكُرَاللَّهُ أُولَكِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانُ أَلاّ إِنَّ حِرَّبَ الشَّيْطِانِ حُرُّ ٱخْتِيرُونَ۞ إِذَا لَيْنَ يُخَاَّدُونَ أَلَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَيَكَ فِي ٱلْأَوْلِيَنَ ۞كَبَ ٱللَّهُ ٱلْأَغْلِيرَ ۖ أَمَا وَرُسُلُ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِي عَزِيدٌ ۞ TON TON OUT BORNEON

تعملون المرتعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد ﷺ تأديباً لهم وتعليماً، وتعظيماً للرسول ﷺ، فإن هذا التعظيم خير للمؤمنين وأطهر أي: بذلك يكثر خيركم وأجركم، وتحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام الرسول ﷺ والأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها، فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزاناً لمن كان حريصاً على الخير والعلم، فلا يبالي بالصدقة، ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده مجرد كثرة الكلام، فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول، هذا في الواجد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه وسأمحه، وأباح له المناجاة بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها.

ثم لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين ومشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة، سهل الأمر عليهم، ولم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة، وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله لم ينسخ، لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصوداً لنفسه، وإنما المقصود هو

الأدب مع الرسول والإكرام له، وأمرهم تعالى أن يقوموا بالمأمورات الكبار المقصودة بنفسها، فقال: ﴿فإذ لم تفعلوا﴾ أي: لم يهن عليكم تقديم الصدقة، ولا يكفي هذا، فإنه ليس من شرط الأمر أن يكون هيناً على العبد، ولهذا قيده بقوله: ﴿وتاب الله عليكم﴾ أي: عفا لكم عن ذلك، وجميع حدودها ولوازمها، ﴿وآتوا الركاة﴾ المفروضة [في أموالكم] إلى مستحقها.

وهاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية والمالية، فمن قام بهما على الوجه الشرعي، فقد قام بحقوق الله وحقوق عباده، [ولها أله ورسوله وهذا أشمل ما يكون من الأوامر.

ويدخل في ذلك طباعة الله [وطاعة] رسوله بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، وتصديق ما أخبرا به، والوقوف عند حدود الله(۱).

والعبرة في ذلك على الإخلاص والإحسان، ولهذا قال: ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فيعلم تعالى أعمالهم، وعلى أي: وجه صدرت، فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم.

﴿ ١٤ ـ ١٩ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَسْرُ إِلَى الْسَدْيَسِنُ
تُولُوا قُوماً خَصْبِ الله عليهم ما هم
منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب
وهم يعلمون * أعد الله لهم عذاباً
شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون *
اتخذوا أيمانهم جُنة فصدوا عن
سبيل الله فلهم عذاب مهين * لن
سبيل الله فلهم عذاب مهين * لن
تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم
من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم
فيعلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون *

استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون يخبر تعالى عن شناعة حال المنافقين الذين يتولون الكافرين، من اليهود والنصارى وغيرهم ممن غضب الله عليهم، ونالوا من لعنة الله أوفى نصيب، وأنهم ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين، ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿

فليسوا مؤمنين ظاهرأ وباطنأ لأن باطنهم مع الكفار، ولا مع الكفار ظاهراً وباطناً، لأن ظاهرهم مع المؤمنين، وهذا وصفهم الذي نعتهم الله به، والحال أنهم يحلفون على ضده الذي هو الكذب، فيحلفون أنهم مؤمنون، وهم يعلمون(٢) أنهم ليسوأ مؤمنين، فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة، أن الله أعد لهم عذاباً شديداً، لا يقادر قدره، ولا يعلم وصفه، إنهم ساء ما كانوا يعملون، حيث عملوا بما يسخط الله (٣)، ويوجب عليهم العقوبة واللعنة، ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ أي: ترسأ ووقاية، يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين، فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم، ومن صدُّ عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم، ﴿فلهم عداب مهين للحيث استكبروا عن الإيمان بالله والانقياد لآياته، أهانهم بالعذاب السرمدي، الذي لا يُفتّر عنهم ساعة ولا هُم يُنظرون، ﴿لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً من الله شيئاً من العذاب، ولا تحصل لهم قسطاً من الثواب، ﴿أُولِئِكُ أَصِيحًا إِلَيْنَارِ ﴾ الملازمون لها، الذين لا يخرجون عنها، و ﴿هم فيها خالدون﴾ ومن عاش على شيء مات عليه، فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على

⁽٣) كذا في ب، وفي أ: يَسْخَطُه.

⁽٤) في ب: أي لا تدفع.

⁽١) في ب: حدود الشرع.(٢) في ب: والحال.

المؤمنين، ويحلفون لهم أنهم مؤمنون، فإذا كان يوم القيامة وبعثهم الله جميعاً، حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين، ويحسبون في حلفهم هذا أنهم على شيء، لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة، لم تزل ترسخ في أذهانهم شيئاً فشيئاً، حتى غرتهم وظنوا أنهم على شيء يعتدبه، ويعلق عليه الثواب، وهُم كاذبون في ذلك، ومن المعلوم أن الكذب لا يروج على عالم الغيب والشهادة، وهذا آلذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم، وزين لهم أعمالهم، وأنساهم ذكر الله، وهو العدو المبين، الذي لا يريد بهم إلا الشر، ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾.

﴿أُولِمُكُ حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، الذين خسروا دينهم ودنياهم وأنفسهم وأهليهم.

﴿۲٠ ـ ۲۱﴾ ﴿إن الــــــــــن يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين * كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز الله هذا وعد ووعيد، وعيد لمن حادً الله ورسوله بالكفر والمعاصى، أنه مخذول مذلبول، لا عاقبةً له حميدة، ولاراية له

ووعد لمن آمن به وبرسله، واتبع ما جاء به المرسلون، فصار من حزب الله المفلحين، أن لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنسيا والآخرة، وهذا وعد لا يُخْلف ولا يُغيِّر، فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء

﴿٢٢﴾ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخــر يــوادون مــن حــاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا

عنه أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون) يقول تعالى: ﴿لا تجد قومأ يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملاً على مقتضى الإيمان (١) ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب

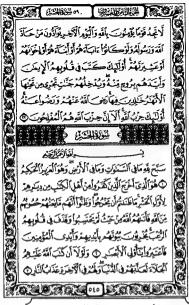
وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبَّته وغرسه غرساً، لا يتزلزل ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك.

وهم الذين قواهم الله بروح منه أي: بوحيه ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني.

وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدأ، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفيع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية^(٢).

وأمّا من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الأخسر، وهسو مسع ذلسك مُسوَادُّ لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان (٣) وراء ظهره، فإن هذا إيمان زَعْمِيُّ لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بدله من برهان يصدقه، فمجرد الدعوي لا تفيد شيئاً ولا يصدق صاحبها.

تم تفسير قد سمع الله ، بحمد الله وعونه وتسديده، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم تسليماً



تفسير سورة الحشر [وهي] مدنية

﴿١ -٧﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * هو اللذي أخرج اللذيان كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتبسوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار) ﴿ إِلَّ آخر

هذه السورة تسمى «سورة بني النضير» وهم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة، وقت بعثة النبي ﷺ فلمابعث النبى عظي وهاجرالي المدينة، كفروا به في جملة من كفر من اليهود، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هادن سائر طوائف اليهود الذين هم جيرانه في المدينة، فلما كان بعد [وقعة] بدر بستة أشهر أو نحوها، خرج إليهم النبي ﷺ، وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضى حاجتك، فخلا بعضهم ببعض،

ذَيْكَ بِأَنْهُمْ شَاَفُواْ ٱللّهَ وَوَسُولَةٌ وَمَن يُشَاقِق اللّهَ فَإِنَّا اللّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ مَاقَطَعَتُم مِن لِينَةٍ أَوْتَرَكُّتُمُوهِ مَاقَابِهَةً عَلَنَ أُصُولِهَا فِيإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَلْسِقِينَ ۞ وَمَا أَفَــَآءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمُ فَنَا أَوْجَفْتُرْعَلَيْهِ مِنْ خَبْلِ وَلَارِكَابِ وَلَلِكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلُهُ عَلَى مَن يَشَآ أَءُوَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْي وَقَدِيرٌ ۞ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِي وَلِذِى ٱلْقُرُقَ وَٱلْمِنْكَىٰ وَالْمُسَاكِينِ وَآيَنِ ٱلسَّهِيلِ كَنَ لَايَكُونَ دُولَةُ كَيْنَ ٱلْأَغْنِيكَ مِنكُو وَمَا مَالَكُو الرَّسُولُ فَخُنُوهُ وَمَا فَهَنَّكُمُ عَنْهُ فَانَنْهُواْ وَاتَّقُوا الْفَتَّإِنَّ الْقَدَشَدِيدُ ٱلْحِقَابِ ۞ لِلْفُقَلَ ۗ ٱلْمُنْجِينَ ٱلَّذِيكَ أُخْرِجُوا مِن دِينَ وِهِرْ وَأَمْوَا لِهِمْ يَبْتَغُونَ صَّبْلايَّنَ ٱللَّهَ وَرِضُونَا وَيَصُرُّونِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مُ أُولَلَيْكَ خُرُ ٱلمَسْدَيْقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبْوَهُ وَٱلدَّارَوَٱلْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ رُولَا يَهِدُونَ فِي صُدُورِ وِرْحَاجَةً مِمَّا أُوقُوا وَيُؤْثِرُونَ عَنَّ أَنفُ وَرُولُوكَ انْ يَعِمْ خَسَاتُهُ وَمَن يُوفَ شُعَّ مُفْسِهِ مَأْوَلَتِها كَ هُرُ ٱلْمُفْلِحُون ﴾ TO SECTION OF THE SEC

وسوًل لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتآمروا بقتله على وقالوا: الكم يأخذ هذه الرحى فيصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا، فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليُخبَرُنُ بما هممتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربه بما هموا به، فنهض مسرعاً، فتوجه إلى المدينة، وطقه أصحابه، فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همت يهود به. وبعث إليهم رسول الله على: «أن

وبعث إليهم رسول الله ﷺ: «أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه».

فأقاموا أياماً يتجهزون، وأرسل الهم المنافق عبد الله بن أي [بن سلول]: (أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان).

وطمع رئيسهم حُيي بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول الله ﷺ يَشِخ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فكبُّر رسول الله ﷺوأصحابه،

في ب: لعظمته.

في ب: عسير.

(1)

(٢)

(٣) كذا في ب، وفي أ: لا.

(٤) في ب: كان وبالاً عليه.

ونهضوا إليهم، وعلي بن أبي طالب يحمل اللواء.

فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخاتهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم رسول الله على ، وقطع نخلهم وحرَّق، فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح، وقسيض رسول الله على الأموال والسلاح.

وكانت بنو النضير خالصة لرسول الله على لنوائبه ومصالح عليه، ولم يخمسها، لأن الله أفاءها ولا ركاب، وأجلاهم إلى خيبر وفيهم حيئ بن أخطب كبيرهم، واستولى على أرضهم وديارهم، وقبض السلاح، فوجد من السلاح خمسين درعاً، وخمسين بيضة، وثلثمائة وأربعين سيفاً، هذا حاصل قصتهم كما ذكرها أهل السير.

فافتتح تعالى هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات والأرض تسبح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبده وتخضع لجلاله (۱) لأنه العزيز الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصي عليه مستعصي (۲)، الحكيم في خلقه ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته، ومن ذلك نصر الله مقتضى حكمته، ومن ذلك نصر الله الكتاب من بني النضير حين غدروا برسوله، فأخرجهم من ديارهم وأوطانهم التي ألفوها وأحبوها.

وكان إخراجهم منها أول حشر وجلاء كتبه الله عليهم على يدرسوله محمد على فجلوا إلى خيبر، ودلت الآية الكريمة أن لهم حشراً وجلاء غير هذا، فقد وقع حين أجلاهم النبي

من خيبر، ثم عمر رضي الله عنه، [أخرج بقيتهم منها].

﴿ما ظننتم﴾ أيها المسلمون ﴿أَن يخرجوا﴾ من ديارهم، لحصانتها ومنعها وعزهم فيها.

﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ فأعجبوا بها وغرتهم، وحسبوا أنهم لا يُنالُون بها، ولا يقدر عليها أحد، وقدر الله تعالى وراء ذلك كله، لا تغني عنه الحصون والقلاع، ولا تُجدي فيهم القوة والدفاع.

ولهذا قال: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِن حيث لم يحتسبوا الله أي: من الأمر والباب، الذي لم(٣) يخطر ببالهم أن يؤتوا منه، وهو أنه تعالى ﴿قذف في قلوبهم الرعب وهو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ينفع معه عَدَدُولًا عُدَّة، ولا قوة ولا شدة، فالأمر الذي يحتسبونه ويظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو الحصون التي تحصنوا بها، واطمأنت نفوسهم إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخذول، ومن ركن إلى غير الله فهو عليه وبالُ(٤)، فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم، التي هي محل الثبات والصبر، أو الخور والضعف، فأزال الله قوتها وشدتها، وأورثها ضعفاً وخوراً وجبناً، لا حيلة لهم ولا منعة معه^(ه)، فصار ذلك عوناً عليهم، ولهذا قال: ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمسنين﴾ وذلك أنهم صالحوا النبي على أن لهم ما حملت الإبل.

فنقضوا لذلك كثيراً من سقوفهم التي استحسنوها، وسلطوا المؤمنين بسبب بغيهم على إخراب ديارهم وهدم حصونهم، فهم الذين جنوا على أنفسهم، وصاروا من أكبر عون عليها، ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار أي: البيصائر النافذة، والعقول الكاملة، فإن في هذا معتبراً يعرف به صنع الله تعلل في المعاندين للحق، التبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم

- (٥) في ب: لا حيلة لهم في دفعه
 - ا وبالاً عليه. فصار

عزتهم، ولا منعتهم قوتهم، ولا حصنتهم حصونهم، حين جاءهم أمسر الله، ووصل إليهم السنكال بذنوبهم، والعبرة بعموم اللفظ(١) لا بخصوص السبب، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة، وبذلك يزداد^{رً(١)} العقل، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهودلم يصبهم جميع ما يستحقون من العقوبة، وأن الله خفف عنهم، فلولا أنه كتب عليهم الجلاء الذي أصابهم وقضاه عليهم وقدره بقدره الذي لا يبدل ولا يغير، لكان لهم شأن آخر من عذاب الدنيا ونكالها، ولكنهم _وإن فاتهم العذاب الشديد الدنيوي _ فإن لهم في الآخرة عذاب النار، الذي لا يمكن أن يعلم شدته إلا الله تعالى، فلا يخطر ببالهم أن عقوبتهم قد انقضت وفرغت ولم يبق لهم منها بقية ، فما أعد الله لهم من العنداب في الآخرة أعظم وأطم، وذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله وعادوهما وحاربوهما وسعوافي معصيتهما، وهذه عادته وسنته فيمن شاقه ﴿ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب 🎙 .

ولما لام بنو النضير رسول الله السلمين في قطع النخيل والأشجار، وزعموا أن ذلك من الفساد، وتوصلوا بذلك الله المسلمين، أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إيقاءهم إياه إن أبقوه، إنه بإذنه تعالى، وأمره وليخزى الفاسقين حيث

سلطكم على قطع نخلهم وتحريقها، ليكون ذلك نكالاً لهم، وخزياً في الدنيا، وذلاً يعرف به عجزهم التام، الذي ما قدروا على استنقاذ نخلهم الذي هو مادة قوتهم. واللينة: اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات وأولاها، فهذه حال بني النفير، وكيف عاقبهم الله في الدنيا، ثم ذكر من انتقلت إليه أموالهم وأمتعتهم، فقال: ﴿وما أقاء الله على رسوله منهم﴾ أي: من أهل هذه القرية، وهم بنو النضير.

﴿ فَ ﴾ إنكم يا معشر المسلمين ﴿ ما أوجفتم﴾ أي: أجلبتم وأسرعتم وحشدتم، ﴿عليه من حيل ولا ركاب﴾ أي: لم تتعبوا بتحصيلها، لا بأنفسكم ولا بمواشيكم، بل قذف الله في قلوبهم الرعب، فأتتكم صَفُواً عَفُواً، ولهذا قال: ﴿ولكن اللهُ يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير، من تمام قدرته أنه لا يمتنع منه(١) ممتنع، ولا يتعزز من دونه قَويٌ. وتعريف الفيء في اصطلاح الفَقهاء: هو ما أخذُ من مال الكفار بحق، من غير قتال، كهذا المال الذي فَرُوا وتركوه خوفاً من المسلمين، وسمى فيئاً، لأنه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له، إلى المسلمين الذي لهم الحق الأوفر فيه، وحكمه العام، كما ذكره الله في قوله: ﴿ما أناء الله على رسوله من أهل القرى﴾ عموماً، سواء أفاء الله في وقت رسوله أو بعده، لمن يتولى من بعده أمته^(٥)

﴿فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ وهذه الآية نظير الآية التي في سورة الأنفال،

٥٥ سُؤُوُّ الْمُثَالِقَ اللَّهِ وَٱلَّذِينَ جَآءُومِنُ بَعْدِهِ مِيَعُولُونَ رَبِّنَا ٱغْفِرْلَنَا وَلِإِخْوَافِنَا ٱلَّذِيكَ سَبَقُوكَ مِٱلْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوسَاعِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُواْرَبُّنَا إِنَّكَ رَهُوفٌ رَبِيعُ ۞ • أَلُوْتُرَ إِلَّ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ أَهْلِ ٱلْكِئْكِ لَيْنَ أَنْوَجْتُمْ لِتَخْرُكُ مَعَكُوْ وَلَانْظِيمُ فِيكُمْ أَكَمَا أَبَدًا وَإِن فُونِيكُمُ وَلَنَ مُمَرِّكُمُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمُ لَكَانِيوُبَ الن أخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُ وَلَيْن فُولُوا لَا يَعْبُرُونَهُمُ وَلَيْنِ نَصَرُوهُ مُدَالِيَّةً لَكَ ٱلْأَبْدَارَثُمَّ لَا يُصَرُّونَ ۞ لَأَشَدُ آشَدُّرَهْبَةً فِصُدُودِجِمِ مِنَ اللَّهُ وَالِكَ بِأَنْهُمُ قَوْمٌ لَاَيْفَ فَهُونَ ۞ لَاِيْمُنَائِلُونَكُوْجَيِعِمَّا إِلَّا فِي فَيُ مُحَمَّنَا فِي ﴾ أَوْمِن وَزَانَهِ جُدُرِ بِأَشْهُ رَبَيْنَهُ مُ شَدِيَّةٌ تَخْسَبُهُ مُرْجَيِعًا وَقُلُونَهُمُ مُشَقَّأَ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّايِعُ عِلُوكَ ۞ كَمْشَكِ كُلُ الَّذِيرَ مِن قَبِلِهِ مُرْبِبُ ذَافُواْ وَبُالَ أَصْرِهِمْ وَلَكُمْ عَمَدُكُ أَلِيةُ ۞ كَمْثَ لِالشَّيْعَانِ إِذْ قَالَ الْإِنسَانِ أَكُفُّرُفَاتَ يُّ كَفَنَرَوَالَ إِنْ بَرِئَ * يَنِ لَعَتَ إِنَّ أَخَافُ أَلَهُ زَبَّ ٱلْعَلَمِينَ ۞ OLUMBIA OUV DE ROCKO

في (٦) قوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السيل﴾.

فهذا الفيء يقسم خسة أقسام:

خُسنٌ لله ولرسوله يصرف في مصالح المسلمين [العامة]، وخس لذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، حيث كانوا يُسوَّى [فيه] بين ذكورهم وإناثهم، وإنما دخل بنو هاشم، ولم يدخل بقية بني عبد مناف، لأنهم شاركوا بني هاشم في دخولهم الشعب، حين تعاقدت قريش على رسول الله على بخلاف غيرهم، ولهذا وسول الله على بخلاف غيرهم، ولهذا قال النبي على بني عبد المطلب: قال النبي على المقارقوني في جاهلية ولا إسلام».

وخُس لفقراء اليتامي، وهم من لا أب له ولم يبلغ، وخُس للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، وهم الغرباء

⁽١) في ب: العبرة بعموم المعنى.

⁽٢) في ب: يكمل العقل.

⁽٣) كذًا في ب، وفي أ: به.

⁽٤) في ب: عليه.

 ⁽٥) في ب: سواء كان في وقت الرسول أو بعده على من تولى من بعده من أمته.

⁽٦) في ب: وهي.

⁽٧) كذًا في ب، وفي أ: حين تعاقد على هجرهم قريش وعداوتهم.

CARRY MERCHANICAL فكان عَقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِ النَّارِ خَلِاتَةِ فِيهَا وَذَلِكَ حِسَرَّاوُا ٱلطَّالِينِ ۞ يَنَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ اَنَّعُواْ الْقَهَ وَلِتَنظَرْ نَفْشُ مَافَدَ مَتْ لِغَدِّ وَأَتَّ قُوا اللهَ إِلَى اللهِ خَيْرُ يُمَاتَقَمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُوااللَّهَ فَانْسَاءُمُرَأَهُ مُسَاءُمُ أَوْلَيْكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ۞ لَايَسْتَوِيٓ أَصْحَبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَبُ ٱلْجُنَّةُ أَضْحَبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْمُنَا إِنُّونَ ۞ وَأَرْتَانَا هَامَا ٱلْفَتْرُةَ الْ عَلَى جَهِلِ لِّرَالِتَهُ خَنْهُ عَامُتُصَدِّعَا مِنْ حَشْرِيَةِ ٱلْمَةِ وتيلك الأمتال نضريهما للتاس لعالمهم يتفك تروب ۞ هُوَاللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَهُ إِلَّاهُوعَكِارُ ٱلْعَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلزَّحْتُوْالْتَحِيمُ۞ مُوَامَّةُ ٱلَّذِع لَا إِلَهَ إِلَّامُوا لَسَاكُ ٱلْقُدُّوسُ السَّلَاءُ الْمُؤْمِثُ ٱلْمُهَيِّينُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّالُ ٱلْمُنَكَيِّرُسُبْحَنَ اللَّهِ عَكَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللهُ أَخْذِلِقُ ٱلْمُسَادِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْسَانَهُ ٱلْحُسْسَىٰ يُسْبَعُ لَهُ مَافِ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيدُ ٱلْحَكِيمُ

TO THE OWNER OF THE OWNER OWNER OF THE OWNER المنقطع بهم في غير أوطانهم.

وإنما قدر الله هذا التقدير، وحصر النفيء في هولاء المعينين لـ ﴿كي لا يسكسون دولة ♦ أي: مدوالة واختصاصاً ﴿بينِ الأغنياء منكم﴾ فإنه لولم يقدره، لتداولته الأغنياء الأقوياء، ولما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء، وفي ذلك من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، كما أن في اتباع أمر الله وشرعه من المصالح مالاً يدخل تحت الحصر، ولذلك أمر الله بالقاعدة الكلية والأصل العام، فقال: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحدولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح [والدنيا والآخرة] ، وبها السعادة الدّائمة والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، فقال: ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب على من ترك التقوى، وآثر اتباع الهوي.

الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفيء لمن قدرها له، وأنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم، وأنهم ما بين مهاجرين قد هجروا المحبوبات والمألوفات، من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال، رغبة في الله ونصرة لدين الله، ومحبة لرسول الله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة، بخلاف من ادعى الإيمان وهو لم يصدقه بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات، وبين أنصار وهم الأوس والخزرج اللذين آمنوا ببالله ورسوليه طوعيا ومحبية واختيباراً، وآووا رسول الله ﷺ، ومنعوه من الأحر والأسود، وتبوؤوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موثلاً ومرجعاً يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوى، وجعل يزيد شيئاً فشيئاً، وينمو قليلاً قليلاً، حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسيف والسنان.

الذين من جملة أوصافهم الجميلة أنهم ﴿يحبون من هاجر إليهم ﴿ وهذا لمحبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبابه، وأحبوا من نصر دينه .

﴿ولا بجدون في صدورهم حاجة ما أوتوا) أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها.

ويدل ذلك على أن المهاجرين أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنبصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ♦٨﴾ ثم ذكر تعالى الحكمة والسبب ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصرة

والهجرة.

وقوله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيشار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيشار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكى، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جياعاً، والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشح، ومن رُزق الإيثار فقد وُقِي شبح نفسه ﴿ومن يُوقِ شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح في جميع ما أمر به، فإنه إذا وُقِيَ العبد شُحّ نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بتركه ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً للنفس، تدعو إليه وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلى بالشيح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان (١) الصنفان الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأتمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين (٢)

وحَسْبُ من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتم بهداهم، ولهذا ذكر الله من اللاحقين من هو مؤتم بهم وسائر خلفهم فقال: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم♦ أي: من بعد المهاجرين

كذا في ب، وفي أ: فهؤلاء.

والأنصار ﴿يقولون﴾ على وجه النصح لأنفسهم ولسائر المؤمنين ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سيقونا بالإيمان﴾

وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين (۱)، التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم م

ولهذا ذكر الله في الدعاء نَفْيَ الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره^(٢)، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهـ و المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك عاهو من حقوق المؤمنن.

فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم: ﴿سبقونا بالإيمان ودليل على المشاركة في الإيمان(٣)، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منهاء واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لحبة بعضهم بعضاً، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن ينصح له حاضراً وغائباً، حياً وميتاً، ودلت آلآية الكريمة [على] أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ثم ختموا دعاءهم باسمين كريمين، دالين على

كمال رحمة الله وشدة رأفته وإحسانه بهم، الذي من جملته، بل من أجله، توفيقهم للقيام بحقوق الله وحقوق عاده.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمة، وهم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام.

وهؤلاء أهله الذين هم أهله، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.

ثم تعجب تعالى من حال المنافقين الذين طَمَّعوا إخوانهم من أهل الكتاب، في نصرتهم وموالاتهم على المؤمنين، وأنهم يقولون لهم: ﴿لَتُن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ﴾ أي: لا نطيع في عدم نصرتكم أحداً يعذلنا أو يخوفنا، ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون، في هذا الوعد الذي غروا به إخوانهم، ولا يستكثر هذا عليهم، فإن الكذب وصفهم، والغرور والخداع مقارنهم، والنفاق والجبن يصحبهم، ولهذا كذبهم[الله] بقوله، الذي وجد مخبره كما أخبر الله به، ووقع طبق ما قال، فقال: ﴿لَنْنَ أَخْرِجُوا﴾ من ديارهم جلاء ونفيأ ﴿لا يخرجون معهم للحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم على القتال، وعدم وفائهم بوعدهم'

﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ﴾ بل يستولي عليهم الجبن، ويملكهم الفشل، ويخذلون إخوانهم، أحوج ما كانوا إليهم.

﴿ولئن نصروهم ﴾ على الفرض والتقديس (٥) ﴿ليولس الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ أي: ليحصل منهم

الإدبار عن القتال والنصرة، ولا يحصل لهم نصر من الله.

والسبب الذي أوجب لهم ذلك (١٦) أنكم _ أيها المؤمنون _ ﴿أَشَد رهبة في صدورهم من الله ﴿ فخافوا منكم أعظم عما يخافون الله، وقدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، على مخافة الخالق، الذي يبده الضر والنفع، والعطاء والمنع.

﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ مراتب الأمور، ولا يعرفون حقائق الأشياء، ولا يتصورون العواقب، وإنما الفقه كل الفقه، أن يكون خوف الخالق ورجاؤه ومحبته مقدمة على غيرها، وغيرها تبعاً لها.

﴿١٤﴾ ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ أي: في حال الاجتماع ﴿إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر﴾ أي: لا يثبتون لقتالكم (٧) ولا يعزمون عليه، إلا إذا كانوا متحصنين في القرى، أو من وراء الجدر والأسوار.

فإنهم إذ ذاك ربما يحصل منهم امتناع، اعتماداً [على] حصونهم وجدرهم، لا شجاعة بأنفسهم، وهذا من أعظم الذم، ﴿بأسهم بينهم شديد، أي: بأسهم فيما بينهم شديد، لا آفة في أبدانهم ولا في قوتهم، وإنما الآفة في ضعف إيمانهم وعدم اجتماع كلمتهم، ولهذا قال: ﴿ وَمَظَاهِرِينَ.

﴿و﴾ لكن ﴿قلوبهم شتى﴾ أي: متباغضة متفرقة متشتتة.

﴿ذلك﴾ الذي أوجب لهم اتصافهم بما ذكر ﴿بأنهم قوم لا يعقلون﴾ أي: لا عقل عندهم، ولا لب، فإنهم لو

⁽١) كذا في ب، وفي أ: للمؤمنين.

 ⁽۲) في ب: لقليله وكثيره.

⁽٣) في ب: المشاركة فيه.

⁽٤) في ب: بالوعد.

⁽٥) كذا في ب، وفي أ: على ضرب المثل.

⁽٦) في ب: حملهم على ذلك.

⁽٧) في ب: على قتالكم.

كانت لهم عقول، لآثروا الفاضل على المفضول، ولما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين، ولكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، فبذلك يتناصرون ويتعاونون على مصالحهم ومنافعهم الدينية والدنيوية.

مشل هؤلاء المخذولين من أهل الكتاب، الذين انتصر الله لرسوله منهم، وأذاقهم الخزي في الحياة الدنيا، وعدم بالمعاونة وكمثل الذين من قبلهم قريباً وهم كفار قريش الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه [وقال إن بريء منكم إني أرى ما لا ترون]

فغرتهم أنفسهم، وغرهم من غرهم، الذين لم ينفعوهم ولم يدفعوا عنهم العذاب، حتى أتوا «بَدْراً» بفخرهم وخيلائهم، ظانين أنهم مدركون برسول الله والمؤمنين أمانيهم.

فنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم، فقتلوا كبارهم وصناديدهم، وأسروا من أسروا منهم، وفرّ من فر، وذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شركهم وبغيهم، هذا في الدنيا، ﴿ولهم﴾ في الآخرة عذاب النار، ومثل مؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ أي: زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه، فلما اغتر به وكفر، وحصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه، بل تبرأ منه و ﴿قال إن بريء منك إن أخاف الله رب العالمين﴾ أي: ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك، ولست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير، ﴿ فكان عاقبتهما ﴾ أي: الداعي الذي هو الشيطان، والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه ﴿أنهما في النار

خالدين فيها كما قال تعالى: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴿وذلك جزاء الظالمن وإن الذين اشتركوا في الظلم والكفر، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته، وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم إلى ما يضرهم بغرور، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم وتغلى عنهم.

واللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه وأنذر، وأخبر بمقاصده وغايته ونهايته، فالمقدم على طاعته عاص على بصيرة لا عذر له.

﴿ ١٨ _ ٢١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون * لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون، يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان ويتقشضيه من لزوم تقواه، سرأ وعلانية، في جميم الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم آلله به من أوامره وشرائعه وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة قلوبهم، واهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا أيضاً أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد.

وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة

العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين من الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.

والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبدعن هذا الأمر، ويشابه قوماً نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطاً، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبناً لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه، فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ـ ومن غفل عن ذكر الله، ونسى حقوقه، فشقى في الدنيا، واستسحق العداب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون.

ولما بين تعالى لعباده ما بين، وأمرهم (١) ونهاهم في كتابه العزيز، كان هذا موجباً لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه وحثهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله أي: لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه عتوية على الحكم والمصالح المقرونة جمل، وهي من أسهل شيء على

النفوس، وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف (١) لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد.

ثم أخبر تعالى أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين له طرق الخير والشر، ويحته على مكارم الأخلاق، وعاسن الشيم، ويزجره عن مساوىء الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه.

﴿٢٢ ــ ٢٤﴾ ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسني يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ هذه الآيات الكريمات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه(٢) فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، وبعموم رحمته التي وسعت كل شيء ووصلت إلى كل حي، ثم كرر [ذكر] عموم إلهيته وانفراده بها، وأنه المالك لجميع الممالك، فالعالم العلوي والسفلِّي وأهله، الجميع مماليك لله، فقراء مدبرون.

﴿ القدوس السلام ﴾ أي: المقدس

السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله.

﴿المؤمن﴾ أي: المصدق لرسله وأنبياته بما جاؤوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات.

﴿العزيمز﴾ الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد قهر كل شيء، وخضع له كل شيء، ﴿الجبار﴾ الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ﴿المتكبر﴾ الذي له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور.

﴿سبحان الله عما يشركون ﴾ وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعائده ، ﴿هو الله الخالق ﴾ لجميع المخلوقات ﴿البارى ﴾ للمبروءات ﴿المسورات ، وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير ، وأن ذلك كله قد انفرد الله به ، لم يشاركه فيه مشارك .

﴿له الأسماء الحسنى ﴾ أي: له الأسماء الكثيرة جداً، التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو، ومع ذلك، فكلها حسنى أي: صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص في شيء منها بوجه من الوجوه، ومن حسنها أن الله يجبها، ويحب من يجبها، ويحب من عباده أن يدعوه ويسألوه بها.

ومن كماله، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، أن جميع من في السماوات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما تقتضيه رحمته وحكمته، ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الذي لا يريد شيئاً إلا ويكون،

TEARS - STRAIGH حافقالة فألخذ يِّنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا عَدُوَى وَعَدُوَّكُمْ ٱوْلِيَآهُ ثُلْقُورَ إِلَيْهِ دِالْمُوذَةِ وَقَدَكَمُ رُواْ عَاجَاتَهُ كُمِينَ ٱلْحَقِّ يُعْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُم آن تُوْمِنُواْ بِاللَّهِ دَيْكُمْ إِن كُنتُهُ حَرَجْتُمْ حِهَدَا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِيفَآ مَرْضَانٌ تَيْرُونَ إِلَيْهِ مِيَالْمُودَّةِ وَأَنَّا أَعَلَرُ عِمَّا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمُ وَمَن يَفْعَلُهُ مِنكُوْفَقَدْضَلْ سَوَّاءَ ٱلسَّبِيلِ ۞ إِن يُثْقَفُوكُمُ يَكُونُواْ لَكُوْ أَعَدَآ وَتَبْسُطُوٓ اللَّكُوْ أَيدِيَهُمْ وَٱلْسِنَتُهُمِ الشَّوْوَوَدُواْ لَوَتَكُفُدُونَ ۞ لَنَ نَفَعَكُمُ أَرْمَا مُكُولًا أَوْلَدُكُو يَوْمَ الْفِيدَمَةِ يَفْصِلُ بِينْنَكُو ۚ وَاللَّهُ مِمَا تَسْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ فَدَّكَاتَ لَكُو أَسْوَةً حَسَنَةُ فِيَ إِنْزِهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ ﴿ إِذْ فَالْوَا لِمَوْمِهِمُ إِنَّا اُمُرَآ ۖ أَوَّا مِنكُوْ وَيَمَا نَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَلَنَزُنَا بِكُوْ وَبَدَا يَنْنَا وَيَبْنَكُمُ ٱلْمَدَوَةُ وَٱلْبَغْضَ آهُ أَبِدًا حَتَى تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَالْاَفْزَلِ إِزَجِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْ نَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ النَّهِ مِن ضَيٌّ وِّزَنَّا عَلَيْكَ وَحَمَّنْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَمُنُنَا وَنْنَةَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَأَغْفِرُكَا رَبُّنَّا إِنَّكَ أَنْكَ أَنْكَ أَلْكَ الْعَزِيزُ ٱلْحَيكِيمُ

ولا يكون شيئاً إلا لحكمة ومصلحة .

تم تفسير سورة الحشر، فلله الحمد على ذلك، والمنّــةُ والإحسان

تفسير سورة الممتحنة [وهي] مدنية

﴿١ - ٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من ألحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادأ في سبيلي وابتغاء مرضاق تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون * لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير * قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله

⁽١) كذا في ب وفي أ: وأقلها تكلفاً.

لَقَدْكَانَ لَكُوْفِهِ مُأْسُوَّةً حَسَنَةً لِمَنَّانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ * وَمَنِيُّولَ فَإِنَّ اللَّهُ هُوَالْغَنِيُّ الْحَيِيدُ ۞ • عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُوْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُمْ فَوَدَّةٌ وَٱللَّهُ فَلِيرٌ وَٱللَّهُ عَفُورٌ يَحِيمٌ ۞ لَايَتْهَكُوُالَةُ عَنَ الَّذِينَ لَرُفَتَانِلُوكُورِ ` يَينِ وَلَوْ يُخْرِجُوكُمْ مِن دِيَكُورُ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ ۞ٳغَّايَتَهَنكُوالتَهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَنَنَلُوكُمْ فِ ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيَكِيْةُ وَظَلَهُمُ وَأَعَلَىٰ إِخْرَاجِكُمُ أَنَّ قَلْوَهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَتِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُواْ إِذَا جَاءَ كُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهُجَرِتِ فَأَمْنَحِنُوهُنَّ أَلَقَهُ أَعَلَمُ إِيكَنِينٌّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوفَنَّ مُؤْمِنَاتِ فَلا تَرْحِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَاهُنَّ جِلَّ لَمُنَّ وَلَاهُمْ يَعِيلُونَ لَمُنَّ وَءَاتُوهُمُ مَا أَنفَقُواْ وَلاجُنَاعَ عَلَيْكُواْنَ تَنِكُوهُنَّ إِذَا مَاتَيْتُمُوهُنَّ أنحروهن ولا تشيخوا بعصرالكوافر وستلوا ما أنففت والمتعلوا مَّا أَنْفُواْ أَلِكُوْ مُكُواللَّهِ يَعَكُمُ لِيَنْتُكُو وَاللَّهُ عَلِيمُ عَلِيمٌ ۞ وَلَنْ فَاتَكُو شَيْءٌ مِنَ أَزْوَجِكُرُ إِلَى ٱلْحَكُفَارِفَهَا فَبَتُرَفَعَا تُوا ٱلَّذِينَ وَهَبَتْ أَنْوَجُهُم مِثْلُ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهُ الَّذِيَّ الدِّيمَ الدُّريهِ مُؤْمِنُونَ ۞ CANADA ... POR SEC.

من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير * ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم * لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد * عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * لا ينهاكم الله عن الذيس لم يسقات لموكم في الديس ولم يخرجوكم من ديباركم أن تبروهم وتــقــــطــوا إليهــم إن الله يحــب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون فكر كثير من المفسرين، [رحمهم الله]، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح، فكتب حاطب إلى قريش(١) يخبرهم بمسير رسول الله على إليهم، ليتخذ بذلك يداً عندهم لا [شكأ و] نفاقاً، وأرسله مع امرأة، فأخبر

النبي ﷺ بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب.

وعاتب حاطباً، فاعتذر رضي الله عنه بعذر قبله النبي ﷺ، وهذه الآيات فيها النبهي الشديد عن موالاة الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، وغالف لملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبقي من مجهوده في العداوة شيئاً، وينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدو، فقال تعالى: ﴿يا أبها الذين عدو، فقال تعالى: ﴿يا أبها الذين ولاية من قام بالإيمان، ومعاداة من عادا، فإنه عدو لله وعدو للمؤمنين.

فلا تتخذوا عدو الله ﴿وعدوكم أولياء تسلسقون إليهم بسالمودة﴾ أي: تسارعون في مودتهم وفي السعي بأسبابها، فإن المودة إذا حصلت، تبعتها النصرة والموالاة، فخرج العبد من الإيمان، وصار من جملة أهل الكفران، وانفصل عن أهل الإيمان.

وهذا المتخذ للكافر ولياً، عادم المروءة أيضاً، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير، ويأمره به، ويحثه عليه؟! وجما يدعو المؤمن أيضاً إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاقة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، وزعموا ألكم ضلاً على غير هدى.

والحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية، ومن رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله، بل مجرد العلم بالحق (۲)، يدل على بطلان قول من رده وساده.

ومسن عمداوتهم البليغمة أنهم

﴿خُرجون الرسول وإياكم﴾ أيها المؤمنون من دياركم، ويشردونكم من أوطانكم، ولا ذنب لكم في ذلك عندهم، إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته، لأنه رباهم، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وهو الله تعالى.

فلما أعرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب الواجبات، وقمتم به، عادوكم، وأخرجوكم من أجله من دياركم، فأيُّ دين، وأيُّ مروءة وعقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل زمان أو مكان؟!! ولا يمنعهم منه إلا خوف، أو مانم قوى.

﴿إِنْ كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابست عاء مرضات ﴾ أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وابتغاء مرضاة الله (٣)، فاعملوا بمقتضى هذا، من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله (٤)، وهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربم ويبتغون به رضاه.

والمحمد المحمد المودة وأنا أعلم يما أخفيتم وما أعلنتم أي: كيف تسرون المودة للكافرين وتخفونها، مع علمكم أن الله عالم بما تخفون وما تعلنون؟!، على الله تعالى، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير والشر، ﴿ومن يعلمه منكم ﴾ أي: موالاة الكافرين يعدما حذركم الله منها ﴿فقد ضل سواء السبيل ﴾ لأنه سلك مسلكاً نخالفاً للشرع وللعقل والمروءة الإنسانية.

ثم بين تعالى شدة عداوتهم، تهييجاً للمعومنين على عداوتهم، ﴿إِن يثقفوكم﴾ أي: يجدوكم، وتسنح لهم الفرصة في أذاكم، ﴿يكونوا لكم

⁽١) في ب: إلى المشركين من أهل مكة.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: مجرد رد الحق.

⁽٣) في ب: وابتغاء رضاه.

⁽٤) في ب: هذا من أعظم الجهاد في سبيله.

أعداء ﴾ ظاهرين ﴿ ويبسطوا إليكم أبديهم ﴾ بالقتل والضرب، ونحو ذلك.

﴿وألسنتهم بالسوم﴾ أي: بالقول الذي يسوم، من شتم وغيره، ﴿وودوا لو تكفرون﴾ فإن هذا غاية ما يريدون منكم.

فإن احتججتم وقلتم: نوالي الكفار لأجل القرابة والأموال، فلن تغني عنكم أموالكم ولا أولادكم من الله شيئاً. ﴿وَالله بِما تعملون بصير﴾ فلذلك حذركم من موالاة الكافرين الذين تضركم موالاتهم، قد كان لكم يا قدوة صالحة وائتمام ينفعكم، ﴿فَي إبراهيم والذين معه﴾ من المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم وعما تعبدون من دون الله أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين، من قومهم المسركين وعما المؤمنين، من قومهم المسركين وعما يعبدون من دون الله.

ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: ﴿كفرنا بكم وبدا﴾ أي: ظهر وبان ﴿بيننا وبينكم العداوة والبغضاء البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حدّ، بل ذلك ﴿أَبِداً﴾ ما دمتم مستمرين على كفركم ﴿حتى تؤمنوا باللهُ وحده ﴾ أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية، فلكم أيها المؤمنون أسوة [حسنة] في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده، ﴿إلا﴾ في خصَّلة واحدة وهمى ﴿قُمُولُ إِسراهميَّهُ لأبسيه ﴾ آزر المشرك، الكافر المعاند، حين دعاه إلى الإيمان والتوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم: ﴿لأستغفرن لك و﴾ الحال أني لا ﴿ أُمُلِكُ لِكُ مِنَ اللهُ مِنْ شَيء ﴾ لكنى أدعو ربي عسى أن لا أكون

بدعاء ربي شقياً، فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين، وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾.

ولكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه، حين دعوا الله وتوكلوا عليه وأنابوا إليه، واعترفوا بالعجز والتقصير، فقالوا: ﴿ ربنا عليك توكلنا ﴾ أي: اعتمدنا عليك في جلب ما يفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك.

﴿وإليك أنبنا﴾ أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك وجميع ما يقرب إليك، فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون، ونعلم أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك، ونعمل ما يقربنا الزلفي إليك(١)، ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا ويمنعونا عايقدرون عليه من أمور الإيمان، ويفتنون أيضاً بأنفسهم، فإنهم إذا رأوا لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق وأنا على الباطل، فازدادوا كفراً وطغياناً، ﴿وَاغْفُرُ لَنَّا﴾ ما اقترفنا من الذنوب والسيئات، وما قصرنا به من المأمورات، ﴿ ربنا إنك أنت العزيز ﴾ القاهر لكل شيء، ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك (٢٢ وحكمتك انصرنا على أعدائنا، واغفر لنا ذنوبنا، وأصلح

ثم كرر الحث [لهم] على الاقتداء بهم، فقال: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على من ﴿كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه

كل كثير، ويوجب له الاكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقراً ومضطراً إلى ذلك غاية الاضطرار.

﴿ومن يستول ﴾ عن طاعة الله والتأسي برسل الله ، فلن يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئاً ، ﴿فإن الله هو الغني التام المطلق] من جميع الوجوه ، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه [بوجه] ، ﴿الحميد ﴾ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإنه محمود على ذلك كله .

ثم أخبر تعالى أن هذه العداوة التي أمر ألله بها المؤمنين للمشركين، ووصفهم بالقيام بها أنهم ما داموا على شركهم وكفرهم، وأنهم إن انتقلوا إلى الإيمان، فإن الحكم يدور مع علته، فيإن المودة (٣) الإيسمانية تسرجع، فلا تيأسوا أيها المؤمنون من رجوعهم إلى الإيمان، ف ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة سببها رجوعهم إلى الإيمان، ﴿والله قدير﴾ على كل شيء، ومن ذلك هداية القلوب وتقليبها من حال إلى حال، ﴿والله غفور رحيم لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا يكبر عليه عيب أن يستره، ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يخفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم، وفي هذه الآية إشارة وبشارة إلى إسلام بعض المشركين، الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين، وقد وقع ذلك، ولله الحمد والمنة.

ولما نزلت هذه الآيات الكريمات، المهيجة على عداوة الكافرين، وقعت من المؤمنين كل موقع، وقاموا بها أتم الشيام، وتأثموا من صلة بعض أقاربهم الشركين، وظنوا أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه، فأخبرهم الله أن ذلك فيما لا يسدخسل في المحسرم، فسقال: فإلا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب

المقسطين أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة ، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة ، لا عدور فيها ولا مفسدة (١) ، كما قال تعالى عن مسلماً: ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾.

[وقوله:] ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ﴾ أي: لأجل دينكم، عداوة لدين الله ولمن قام به، ﴿وأخرجوكم من دياركم وظاهروا ﴾ أي: عاونوا غيرهم ﴿على إخراجكم ﴾ نهاكم الله ﴿أن تولوهم ﴾ بالمودة والنصرة ، بالقول والفعل ، وأما بركم واحسانكم ، الذي ليس يتول للمشركين ، فلم ينهكم الله عنه ، بل إلى الأقارب وغيرهم من الآدميين ، وغيرهم .

ورمن يتولهم فأولتك هم الظالمون بحسب الظالمون و ولك الظلم يكون بحسب التوليا تاما، صار (٢) ذلك كفراً غرجاً عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك.

﴿ ١ - ١ ٤ ﴿ إِنَّا أَيَّهَا الذَّيْنَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمَ المُؤْمَنَاتُ مَهَاجَرَاتُ مَهَاجَرَاتُ مَامِتُحْنُوهُ فَإِنْ عَلَمْتُمُوهُنَ الله أعلم بإيمانَهِنْ فَإِنْ علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوههن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تحسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقوا ذلكم أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم

حكيم * وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مشل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ لما كان صلح الحديبية، صالح النبي ﷺ المشركين، على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلماً، أنه يرد إلى المشركين، وكان هذا لفظاً عاماً، [مطلقاً] يدخل في عمومه النساء والرجال، فأما الرَّجال، فإن الله لم يشه رسوله عن ردهم إلى المشركين وفياء ببالبشرط وتتميماً للصلح الذي هو من أكبر المصالح، وأما النساء، فلما كان ردهن فيه مفاسد كثيرة، أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات، وشكوا في صدق إيمانهن، أن يمتحنوهن ويختبروهن، بما يظهر به صدقهن، من أيمان مغلظة وغيرها، فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية .

فإن كن سذا الوصف، تعين ردهن وفاء بالشرط، من غير حصول مفسدة، وإن امتحنوهن فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان، فلا يرجعوهن إلى الكفار، ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ فهذه مفسدة كبيرة في ردهن راعاها الشارع، وراعى أيضاً الوفاء بالشرط، بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما أنفقوا عليهن من المهر وتوابعه عوضاً عنهن، ولا جناح حيننذ على المسلمين أن ينكحوهن ولو كان لهن أزواج في دار الشرك، ولكن بشرط أن يؤتوهن أجورهن من المهر والنفقة، وكما أنّ السلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها، غير أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر الإمساك

بعصمتها(۲)، فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى، ﴿واسألوا ما أنفقتم ﴾ أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت يأخذوا مقابلة ما ذهب من نسائهم (٤) للى الكفار، وفي هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم، فإذا أفسد مقسد نكاح امرأة رجل، برضاع فيعره، كان عليه ضمان المهر، وقوله: ذلكم الحكم الذي ذكره الله وبينه لكم يحكم به بينكم (٥)، ﴿والله عليم حكيم ﴾ فيعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، ويشرع لكم ما تقتضيه الحكمة (١).

وقوله: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾ بأن ذهبن مرتدات ﴿فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهم إلى المسلمين، فمن ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار وفاتت عليه، لزم أن يعطيه المسلمون من الغنيمة بدل ما أنقى (٧).

﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ فإيمانكم بالله يقتضي منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام.

﴿١٢﴾ ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴿ منايعة النساء اللاتي [كن] يبايعن على إقامة الواجبات المشتركة التي تجب على الذكور والنساء في جميع الوقات .

⁽٥) في ب: وبينه لكم حكم الله بينهلكم ووضحه.

⁽٦) في ب: فيشرعه بحسب حكمته

 ⁽١) في ب: ولا تبعة.
 (٢) في ب: كان ذلك.

⁽٣) كذا في ب، وفي أ: بعصمها.

⁽٤) في ب: زوجاتهم.

 ⁽٧) في ب: فعلى المسلمين أن يعطوه
 من الغنيمة بدل ما أنفق.

وأما الرجال، فيتفاوت ما يلزمهم بحسب أحوالهم ومراتبهم وما يتعين عليهم، فكان النبي على يمتشل ما أمره الله به، فكان إذا جاءته النساء يبايعنه، والتزمن بهذه الشروط بايعهن، وجبر قلوبهن، واستغفر لهن الله، فيما يحصل منهن من التقصير (۱)، وأدخلهن في جملة المؤمنين بأن ﴿لا يشركن بالله شيئاً بأن (۲) يفردن الله أوحده] بالعبادة.

﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ كما يجري النساء الجاهلية الجهلاء.

ولا يبزنين كسما كان ذلك موجوداً كثيراً في البغايا وذوات الأخدان، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن والبهتان: الافتراء على الغير أي: لا يفترين بكل حالمة، سواء تعلقت بهن وأزواجهن (٣)، أو سواء تعلق ذلك بغيرهم، ولا يعصينك في معروف أي: لا يعصينك في معروف به، لأن أمرك لا يكون إلا بمعروف، ومن ذلك طاعتهن [لك] في النهي عن النياحة، وشق الشياب، وخش الوجو، والدعاء بدعاء (١٤) الجاهلية.

﴿ فَبِالِعِهِنِ ﴾ إذا التزمن بجميع ما

واست ف فر لهن الله عن تقصيرهن، وتطييباً لخواطرهن، وإن الله خفور أي: كثير المغفرة للعاصين، والإحسان إلى المذنبين التائبين، ورحيم وسعت رحمته كل شيء، وعم إحسانه البرايا.

لا تتولوا قوماً غضب الديس آسنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من

أصحاب القبور > أي: يا أيها المؤمنون، إن كنتم مؤمنين بربكم، ومتبعين لرضاه ومجانبين لسخطه، ولا تتولوا قوماً غضب الله عليهم وهذا وإنما غضب عليهم لكفرهم، وهذا شامل لجميع أصناف الكفار. ﴿قد عير الآخرة ، فليس لهم منها نصيب، فاحذروا أن تولوهم فتوافقونهم على شرهم وكفرهم (٥)، فتحرموا خير الآخرة كما حرموا.

[وقوله:] ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ حين أفضوا إلى الدار الآخرة، ووقفوا على حقيقة الأمر (٢٠) منها. ويحتمل أن المعنى: قد يئسوا من الآخرة أي: قد أنكروها وكفروا بها، فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخط الله وموجبات عذابه وإياسهم من الآخرة، كما يئس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى.

تم تفسير سورة الممتحنة، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الصف [وهي] مدنية

﴿١-٣﴾ ﴿بسم الله السرحين الرحيم سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * يما أيها اللذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ وهذا بيان لعظمته تعالى وقهره، وذل جميع الخلق (٧) له تبارك وتعالى، وأن جميع من السماوات والأرض يسبحون في السماوات والأرض يسبحون

بحمد الله ويعبدونه ويسألونه حوائجهم، ﴿وهو العزيزِ﴾ الذي قهر الأشياء بعزته وسلطانه، ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه وأمره، ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ أي: لم تقولون' الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به، فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قالً تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسُ بِالْبُرُ وَتُنْسُونُ أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه،

﴿ ٤ ﴾ ﴿إِن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص، هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنه ينبغي [لهم] أن يصفوا في الجهاد صفاً متراصاً متساوياً، من غير خلل يقع(^) في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاضد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضاً، ولهذا كان النبى على إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال.

﴿٥﴾ ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم

⁽١) كذا في ب، وفي أ: يحصل من التقصير منهن.

⁽٢) في ب: بل.

⁽٣) في ب: مع أزواجهن.

⁽٤) في ب: بدعوى.

⁽٥) في ب: وشركهم.

⁽٦) في ب: وشاهدوا.

⁽۷) في ب: الخلق له. (۸)

⁽٨) في ب: يحصل.

لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين [أي:] ﴿وَإِذَ قَالَ مُوسَى لَقُومِه ﴾ موبخاً لهم على صنيعهم، ومقرعاً لهم على إذيته، وهم يعلمون أنه رسول الله: ﴿لم تؤذونني ﴾ بالأقوال والأفعال ﴿وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ﴾

والسرسول من حقه الإكرام والإعظام، والانقياد (١) بأوامره، والابتدار لحكمه.

وأما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخبليق فيوق كيل إحسسان بسعيد إحسان الله، ففي غاية الوقاحة والجراءة والزيغ عن الصراط المستقيم، الذي قد علموه وتركوه، ولهذا قال: ﴿ فَلَمَا زَاعُوا ﴾ أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم ﴿أَزَاعُ الله قلوبهم ﴾ عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، ولم يوفقهم الله للهدى، لأنهم لا يسليق بهم الخسيسر، ولا يصلحون إلا للشر، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي: الذين لم يزل الفسق وصفاً لهم، لا (؟) لهم قصد في الهدي، وهذه الآية الكريمة تفيد أنَّ إضلال الله لعباده، ليس ظلماً منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعدما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال^(٣) والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب [عقوبة لهم وعدلاً منه بهم] كما قال تعالى: ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في √طغيانهم يعمهون﴾ .

﴿٦ - ٩ ﴾ ﴿وإذ قال عيسى ابن

مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين * يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، يقول تعالى مخبراً عن عناد بنى إسرائيل المتقدمين، الذين دعاهم عيسى ابن مريم، وقال لهم: ﴿يَا بِنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رسول الله إليكم ﴾ أي: أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير وأنهاكم عن الشر، [وأيدني بالبراهين الظاهرة]، ومما يدل على صدقى، كوني ﴿مصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾ أي: جئت بما جاء به موسى من التوراة والشرائع السماوية، ولو كنت مدعياً للنبوة،

لجئت بغير ما جاءت به المرسلون،

ومصدقاً لما بين يديُّ من التوراة أيضاً ،

أنها أخبرت بي وبشرت، فجئت وبعثت

مصداقاً لها ﴿ومبشراً برسول يأتي من

بعدي اسمه أحمل وهو: محمد بن

عبد الله بن عبد المطلب النبي

الهاشمي.

فعيسى عليه الصلاة والسلام كالأنبياء (1) ، يصدق بالنبي السابق، ويبشر بالنبي اللاحق، بخلاف الكذابين، فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة، ويخالفونهم في الأوصاف والأخلاق، والأمر والنهي فلما جاءهم عمد على الأدلة الواضحة،

الدالة على أنه هو، وأنه رسول الله [حقاً].

﴿قالوا﴾ معاندين للحق مكذبين له ﴿هذا سحر مبين﴾ وهذا من أعجب العجائب، الرسول الذي [قد] وضحت رسالته، وصارت أُبَيْنَ من سحره، فهل في الخذلان أعظم من هذا؟ وهل في الخذلان أعظم من هذا الافتراء، الذي نفى عنه ما كان معلوماً من رسالته، وأثبت له ما كان أبعد الناس منه؟

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب مهذا وغيره، والحال أنه لا عذر له، وقد انقطعت حجته، لأنه ﴿يدعى إلى الإسلام﴾ ويبين له ببراهينه وبسينات، ﴿والله لا يهدى السقوم الظالمين﴾ الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين، لا تردهم عنه موعظة، ولا يرجرهم بيان ولا برهان، خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، ولينصروا الباطل، ولهذا قال الله عنهم: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ أي: بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة، التي يردُون بها الحق، وهي(٦) لا حقيقة لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون، أي: قد تكفل الله بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله، وإشاعة (٧) نوره على سائر الأقطار، ولوكره الكافرون، وبذلوا بسبب كراهتهم كل سبب يتوصلون^(۸) به إلى إطفاء نور الله فإنهم مغلوبون.

وصاروا بمنزله من ينفخ عين

⁽١) في ب: والقيام.

⁽٢) في ب: ليس.

 ⁽٣) كذا في ب، وفي أ: بالضلال.

⁽٤) في ب: كسائر الأنبياء.

⁽٥) في ب: أبلغ.

⁽٦) كذا في ب، وفي أ: التي.

⁽٧) في ب: وإظهار.

⁽A) فى ب: كل ما قدروا عليه مما يتوصلون.

الشمس بفيه (١) ليطفئها، فلا على مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدح فيها.

ثم ذكر سبب الظهور والانتصار للدين الإسلامي، الحسي والمعنوي، فقال، ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ أي: بالعلم النافع والعمل الصالح.

بالعلم الذي يهدي إلى الله وإلى دار كرامته، ويهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي إلى مصالح الدنيا والآخرة.

ودين الحق أي: الدين الذي عو يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وتسرك نواهية سلامة من الشر والفساد^(٢) فما بعث به النبي شرمان الهدى ودين الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد به العاقل تفكراً، ازداد به فرحاً

وليظهره على الدين كله أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان، فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه وبلسه، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك على أهل الأديان، وإذا ضبعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم

ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم، ويعرف هذا، من استقرأ الأحوال ونظر في أول السلمين وآخرهم.

﴿١٠ ــ ١٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أبها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين مذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الواحين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم، وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال ﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾

ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجل أعسمال الجوارح الجسهاد في سبيل الله (٢٠)، فلهذا قال: ﴿وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تيسر من

القاقالفية القاقاطفية النوات المنطقة الأركان المشريف المنافقة النوات المنافقة المنافقة النوات المنافقة المنافق

أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك، ولو (٤) كان كريها للنفوس شاقاً عليها، فإنه ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانشراحه.

وفي الآخرة الفوز (٥) بشواب الله والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة، فقال: ﴿يعفر لكم ذنوبكم وهذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، ولو كانت كنائه.

﴿ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: من تحت مساكنها [وقصورها] وغرفها وأشجارها، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من خر لذة يتغير طعمه، وأنهار من خر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، طيبة في جنات عدن﴾ أي: جعت كل طيب، من علو وارتفاع، وحسن بناء وزخرفة، حتى إن أهل الغرف من أهل

⁽١) في ب: ومثلهم كمثل من ينفخ عين الشمس.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: وترك للنواهي التي تعاطيها سبب الشر والفساد.

⁽٣) في ب: التي من أجلها الجهاد في سبيله.

⁽٤) في ب: وإن كان.

⁽٥) في ب: والخير الأخروي بالفوز.

الجليل الجميل، الذي أنشأ دار النعيم، عقول الخلق ويأخذ بأفئدتهم.

وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها، أن الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها(٢)، ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بألمها، وسرورها(٣)

وسميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبداً، ولا يبغون عنها حولاً، ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا

وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله: ﴿وأخرى تحبونها﴾ أي: ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها، وهي: ﴿نصر من اللهِ [لكم] على الأعداء، يحصل به العز والفرح، **﴿وفتح قريب﴾** تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين، وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد، [إذا قام غيرهم بالجهاد]^(٤) فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله وإحسانه، بل قال: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي: بالثواب العاجل والآجل، كل على حسب إيمانه، وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في

في الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله»(٥)

ثم قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينِ آمِنُوا كونوا أنصار الله [أي:] بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على إقامته (^{٦)} تنفيذه على الغير، وجهاد من عانده ونابذه بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه من العلم ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه.

ومن نصر دين الله، تَعَلَّمُ كتاب الله وسينة رسوله، والحث على ذلك، [والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر].

ثم هيج الله المؤمنين بالاقتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله: ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ﴾ أي: قسال لسهسم عسارضساً ومنهضاً (^{٧٧)}: من يعاونني ويقوم معي في نصرتي لدين الله، ويُدخل مدخلي ويخرج مخرجى؟

فابتدر الحواريون، فقالوا: ﴿نحن أنصار الله المضى عيسى عليه السلام على أمر الله ونصر دينه، هو ومن معه من الحواريين، ﴿ فَأَمنت طَائفة من بني إسرائيل > بسبب دعوة عيسى والحواريين، ﴿وكفرت طائفة﴾ منهم، فلم ينقادوا لدعوتهم، فجاهد المؤمنون الكافرين، ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم الى: قويناهم ونصرناهم عليهم

﴿فَأُصِبِحُوا ظِاهِرِينَ ﴾ عليهم وقاهرين [لهم]، فأنتم يا أمة محمد وَإِذْ قَالَ عِيسَى أَنْ مُنْهَرَكِهُ فِي إِسْرَةٍ بِلَ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا

لِمَا يَيْنَ يَدَىٰ مِنَ الْتَوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرُ الرَسُولِ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُۥ أَحْمَدُ

فَلْتَاجَآهُ مُ إِلْيِتَنْتِ قَالُواْ هَنْدَا يِعْرُمُينٌ ۞ وَمَنْ أَظْلَمْ مِنْ الْفَرْعِ الْفَرَى

عَلَاتَهُ الْكَذِبَ وَهُوَيُدُ عَنَ إِلَى ٱلْإِسْلَاءُ وَاللَّهُ لَا يَهُدِى ٱلْعَقَ الظَّالِمِينَ كُرُيدُونَ لِيُطْفِعُوا فُرَالَقِهِ بِأَفْرَيِهِم، وَاللَّهُ مُهُمُّ فُرِيهِ وَلُوْكُرَوَ ٱلْكَفِرُونَ

۞ هُوَالَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِإِلْمُ تَدَىٰ وَدِينَ ٱلْحَقِّ لِيظُهِرَهُ عَلَى الدِّيبِ

كُلِّهِ وَلُوكِوَ لَلْتُشْرِكُونَ ۞ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِنَ ءَامَتُوا هَلِ ٱذَٰكُمُ عَلَيْجَوْرَ

نُعِيكُمُ مِنْ عَنَابِ أَلِيرِ ۞ قُوْمُ وُنَ بَاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَخَهَدُونَ فِي

سَبِيلُ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُو وَأَنفُسِكُو ذَالِكُو عَيْرُلُكُو إِن كُنتُمُ تَعَالُونَ ۞

يَعْفِرُ لَكُو دُنُو بَكُوْ وَيُدْخِلُكُو جَنَّاتٍ تَعْرِي مِن تَحِيْهَا ٱلْأَنْهَازُ وَمَسَكِنَ

طَيِّبَةَ فِجَنَّتِ عَدْرُ دَاكِ ٱلْفَوْزُ الْمَظِيمُ ۞ وَأُمْزَىٰ يُجُوِّبَأَ لَفَكْرٌ

يْنَ ٱللَّهِ وَفَعْمٌ قَرِيبٌ وَيَشِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُواْ

أنصارًا تَعَوَكُمَا قَالَ عِيسَى أَيْنُ مَرْكِيمَ الْحَوَانِينَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى اللَّهِ

عَالَاْ تَحَوَارِيُونَ نَحَنُ أَصَارُا لَقَ فَعَامَنَت ظَلَهِفَةً مِنْ بَيَ إِسْرَةِ بِلَ وَكُفَرَت

مُ اللَّهَ مَا أَيْدَ أَنَا ٱلَّذِينَ مَا مَنُواعَلَى عَدُوهِمُ فَأَصْبَحُوا ظَلْهِ بِينَ ۞

TO SECTION OF THE SECTION

عليين، يتراءآهم أهل الجنة كما يتراءي

الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو

الغربي، وحتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب [وبعضه من] لبن فضة،

وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض

المنازل من الزمرد والجواهر الملونة

بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها

يري ظاهرها من باطنها، وباطنها من

ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما

لا يأتي عليه وصف الواصفين،

ولا خطر على قلب أحد من العالمين،

لا يمكن أن يدركوه حتى يروه،

ويتمتعوا بحسنه وتقرّ أعينهم به، ففي

تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل

الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة لا تقبل

العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح،

فسبحان من لا يحصى أحد من خلقه

ثناء عليه، بل هو كما أثني على نفسه

وفوق ما يثني عليه عباده (١١)، وتبارك

سبيل الله، كما قال النبي ﷺ: «إنَّ

وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر

الثواب الأخروي.

في ب: أحد من خلقه. (1)

في ب: أنه لو رأى العباد الجنة. (٢)

ني ب: وفرحها. (٣)

زيادة من هامش ب. (1)

في ب جاء بدلاً من هذا الحديث ما يلي: [كما قال النبي ﷺ: (من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً، وجبت له الجنة) فعجب لها أبو سعيد الخدري ــ راوي الحديث ــ فقال: أعدها عليَّ يا رسول الله، فأعادها عليه ثم قال: (وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) فقال: وما هي يا رسول الله قال: (الجهاد في سبيل الله، الجهاد **في سبيل الله) رواه مسلم.**

في ب: تنفيذه. (1)

في ب: قال لهم منبهاً. (V)

كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر من قبلكم، ويظهركم على عدوكم.

تمت وله الحمد(١)

تفسير سورة الجمعة [وهي] مدنية

﴿١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم أي: يسبح لله وينقاد لأمره، ويتألهه ويعبده، جميع ما في السماوات والأرض، لأنه الكامل الملك، الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، فالجميع ماليكه وتحت تدبيره، ﴿القدوس﴾ المعظم، المنزه عن كل آفة ونقص، ﴿العزيز﴾ القاهر للأشياء كلها، الحكيم
 في خلقه وأمره.

فهذه الأوصاف العظيمة بما تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿٢ _ ٤ ﴾ ﴿ هنو النذي بنعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وألله ذو الفضل العظيم♦ المراد بالأميين: الذين لا كتاب عندهم، ولا أثر رسالة من العرب وغيرهم، عن ليسوا من أهل الكتاب، فامتن الله تعالى عليهم منة عظيمة أعظم من منته على غيرهم، لأنهم عادمون للعلم والخير، وكانوا في ضلال مبين، يتعبدون للأشجار والأصنام والأحجار، ويتخلقون بأخلاق السباع الضارية، يأكل قويهم ضعيفهم، وقد كانوا في غاية الجهل بعلوم الأنبياء،

فبعث الله فيهم رسولاً منهم، يعرفون نسبه وأوصافه الجميلة وصدقه، وأنزل عليه كتابه، ﴿يتلوعليهم آياته﴾ القاطعة الموجبة للإيمان واليقين، ﴿ويزكيهم ﴾ بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، ويفصلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة، ﴿ ويعلمهمُ الْكتابِ والحُكمة ﴾ أي: علم القرآن (٢) وعلم السنة، المشتمل ذلك علوم الأولين والآخرين، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق، بل كانوا أثمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقاً، وأحسنهم هدياً وسمتاً، اهتدوا بأنفسهم، وهدوا غيرهم، فصاروا أتمة المهتدين، وهداة المؤمنين(٣)، فلله عليهم ببعثه هذا الرسول ﷺ أكمل نعمة، وأجلّ منحة، وقوله: ﴿وآخرين منهم لمَّا يلحقوا بهم اي: وامتن على آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، بمن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم أي: فيمن باشر(١) دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح، فإن الذين بعث الله فيهم رسوله وشاهدوه وباشروا دعوته، حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحداً أن يلحقهم فيها، وهذا من عزته وحكمته، حيث لم يترك عباده هملاً ولا سدى، بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم، وذلك من فضل ألله العظيم، الذي يؤتيه من يشاء من عباده، وهو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسعة الرزق، وغير ذلك من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز، والسعادة

حافقالغنالغنالتخام ل يُسَيِّحُ يَقِومَا فِي ٱلسَّكَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَيَا فِي ٱلْقُدُّوسِ الْعَرِيزِ ٱلْمُسَكِيمِ ۞ هُوَالَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأَمْيَةِ مِن رَسُولًا ينهترتنأوأغليهم الكيوه وتزكيهم ويعكيه كالسيك وَٱلْجِحْمَةَ وَإِن كَاثُواْمِن قَبْلُ لَىٰ صَلَالِ مَّٰبِينِ۞ وَمَلخَيِنَ مِنْهُمْ لَأَيَالُحَقُواْ بِهِنْ وَهُوَالْعَرِيزَ أَكْتِيكُمُ ۞ ذَاكِ فَضَلَّ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَكَأُ وَاللَّهُ دُو الْفَصْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَثَلُ الَّذِينَ خِتْلُواْ ٱلتَّوْرَيْنَةَ ثُرَّلَيْنَجْمِيلُوهَا كَسَنَّلَ ٱلْجِمَارِيَجْمِلُأَسْفَالُواْ بِنْسَ مَثَلُ ٱلْفَوْمِ ٱلَّذِينَ كَنْجُوا بِعَايَتِ ٱللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ النَّالِمِينَ ۞ قُلْ يَنَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوَا إِن رَعَنتُواْتَكُو أَوْلِيَاتُهُ يقوين دُونِ ٱلنَّاسِ مَتَعَنَّوا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُ مُسَدِقِينَ ۞ ا وَلَائِتَمَنَّوَنَهُ رَأَمَا مِا فَدَعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَقَةُ عَلِيمُ الظَّلِينَ ﴿ اللهُ إِذَا لُمُوْتَ اللَّذِي تَوْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ تُوْتُرُونُونَ الله عَالِمُ الْعَنْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنِّيثُكُمُ عِمَا كُنُّتُ مَعَمَلُونَ ۞ OND TO SOLO OF O

﴿٥ ــ ٨﴾ ﴿مثل اللَّذِينَ مُحَلُّوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارأ بئس مثل القوم الذين كذبوا بايسات الله والله لا يهدى السقوم الظالمين * قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدأ بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قبل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون للاذكر الله منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي، وما خصهم الله به من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأمية الذين فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون والأحبار المتقدمون، ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود وكذا النصاري، وأمرهم أن يتعلموها ويعملوا بما فيها^(ه)، وأنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفاراً

الأبدية .

في ب: تم تفسيرها والحمد لله رب العالمين. (1)

في ب: علم الكتاب. **(Y)**

في ب: وقادة المتقين. (٣)

كذا في ب، وفي أ: باشروا. (1)

⁽⁰⁾ في ب: ويعملوا بها.

المنافاطانيك ١٢ كولالتافين يَنَايُهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ إِذَا نُودِي لِلصَّلَوْةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَأَسْحَوْا إِلَّا ذِحْرِاللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيبَ أَلْصَالُوهُ فَأَنْتَشِرُوا فَ فَالْأَرْضِ وَأَيْنَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآذُكُرُوا اللَّهَ لَكِيرًا لَعَلَّمُ فُعْلِمُونَ ٥ وَإِذَا رَأُولَ بَعَدَرةً أَوْلَهُوا الفَضَّوا إِلَيْهَا وَزَرُ وَكَ قَآبِمَا قُلْ مَاعِندَاللَّهِ خَيْرُ قِنَ ٱللَّهْ وَوَمِنَ ٱلتَّجَرَةَ وَٱللَّهُ خَيْرًا لَرَزِقِينَ ۞ مِيُوْرَاوُ لِلنَّاافِبُونِ ﴿ وَ اللَّهُ الْمُعَالِقِ اللَّهُ الْمُعَالِقِ اللَّهُ الْمُعَالِقِ الْمُعَالِقِ ا إِذَا كِمَةَ لَا ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الْعَوَالْقَدُيْعَ لَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِهُنَ ۞ لَقَنْفُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةُ فَصَدُّ وَاعْنَ سَكِيلِ اللَّهِ أَيَّهُ رُسَلَةً مَا كَاثُواْ يَعْمَلُونَ ۞ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ المَثُواثُمَّ حَكَمُرُواْ فَطَبِمَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَايْفَقَهُونَ ۞ • وَإِذَارَأَتُهُمْ تَعْيِجُكَ أَجْسَامُهُمٌّ وَإِنْ يَعُولُواْ تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ وَكَأَنَّهُ مُحْشُبُ مُسَنَّدَةً يَحَسُبُونَ كُلَّ صَيْحَتَهُ عَلَيْهِمَّ هُمُ الْمَنْفُونَا مُذَرَهُمَّ قَلَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّ يُؤْتَكُونَ ۞ ASSESS OF LONGE

من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود (١١)، الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجلُه وأعظمه الأمر باتباع محمد ﷺ، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم.

وصدق ما جاء به. ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم ما دام الظلم لهم وصفاً والعناد لهم نعتاً، ومن ظلم اليهبود وعنادهم، أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حـق، وأنهــم أولياء الله مــن دون

بئس مثل القوم الذين كذبوا

بآيات الله الدالة على صدق رسولنا

ولهذا أمر الله رسوله، أن يقول لهم: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم على الحق، وأولياء لله: ﴿فَتَمَنُواْ الموت، وهذا أمر خفيف، فإنهم لو علموا أنهم على حق لما توقفوا عن هذا

التحدى الذي جعله الله دليلاً على صدقهم إن تمنوه، وكذبهم (٢) إن لم يتمنوه، ولما لم يقع منهم مع الإعلانُ لهم بذلك، علم أنهم عالمون ببطلان ما هم عليه وفساده، ولهذا قال: ﴿ولا يتمنونه أبدأ بما قدمت أيديهم من الذنوب والمعاصى التي يستوحشون من الموت من أجلها، ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فلا يمكن أن يخفى عليه من ظلمهم شيء، هذا وإن كانوا لا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم، ويفرون^(٣) منه [غاية الفرار]، فإن ذلك لا ينجيهم، بل لا بدأن يلاقيهم الموت الذي قد حتمه الله على العباد وكتبه عليهم.

ثم بعد الموت واستكمال الآجال،

يرد الخلق كلهم يوم القيامة إلى عالم

الغيب والشهادة، فينبثهم بماكانوا يعملون، من خير وشر، قليل وكثير. ﴿ ٩ ــ ١١ ﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن الأجر والثواب، لمن لازم الخير وصبر كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين المرتعالي عباده فمن اتقى الله رزقه من حيث المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها، من حين ينادي لها والسعى إليها، والمراد بالسعى هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العَدْوُ الذي قد نهي عنه عند المضى إلى الصلاة، وقوله:

> نودي للصلاة، وامضوا إليها. فإن ذلكم خير لكم من اشتغالكم بالبيع، وتفويتكم الصلاة الفريضة التي هي من آكد الفروض.

﴿وقروا البيع﴾ أي: اتركوا البيع، إذا

﴿إِنْ كُنتُم تعلمونَ ﴾ أن ما عند الله خير وأبقى، وأن من آثر الدنيا على

الدين، فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح، وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة، ﴿فإذا تضيت الصلاة فانتشروا في الأرض لطلب المكاسب والتجارات، ولما كان الاشتغال في التجارة مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره،

﴿لعلكم تقلحون﴾ فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح. ﴿ وَإِذَا رَأُوا تَجِارَةً أُو لَهُ وَأَ النَّفَضُوا إليها﴾ أي: خرجوا من المسجد حرصاً

فقال: ﴿واذكروا الله كثيراً ﴾ أي: في

حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم،

على ذلك اللهو و [تلك] التجارة، وتركوا الخير، ﴿وتركوك قائماً﴾ تخطب الناس، وذلك: [في] يوم جمعة بينما النبي على يخطب الناس، إذ قدم المدينة عير تحمل تجارة، فلما سمع الناس بها وهم في المسجد، انفضوا من المسجد، وتركوا النبي على يخطب استعجالاً لما لا ينبغي أنّ يستعجل له، وترك أدب، ﴿قل ما عند الله من

نفسه على عبادة ربه. ﴿خيرٌ من اللهو ومن التجارة﴾ التي، وإن حصل منها بعض المقاصد، فإنَّ ذلك قليل منغص، مفوت لخير الآخرة، وليس الصبر على طاعة الله مفوتاً للرزق، فإن الله خير الرازقين،

> لا يحتسب. وفي هذه الآيات فوائد عديدة:

منها: أن الجمعة فريضة على جميع المؤمنين، يجب عليهم السعى لها، والمبادرة والاهتمام بشأنها .

ومنها: أن الخطبتين يوم الجمعة فريضتان^(٤) يجب حضورهما، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضى إليه والسعى له.

ومنها: مشروعية النداء ليوم الجمعة والأمرية.

ومنها: النهي عن البيع والشراء بعد

في ب: بل يفرون.

في ب: فريضة. (٤)

في ب: علماء أهل الكتاب. (1)

⁽Y) كذا في ب، وفي أ: أو كذبهم.

نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه، فدل ذلك على أن كل أمر ولو كان مباحاً في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك

ومنها: الأمر بحضور الخطبتين (1) يوم الجمعة، وذم من لم يحضرهما، ومن لازم ذلك الإنصات لهما.

ومنها: أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو [والتجارات] والشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه.

تم تفسير سورة الجمعة ، وله الحمد والثناء (٢)

تفسير سورة المنافقين^(٣) مدنية

﴿١ - ٦﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقينُ لكاذبون * اتخذوا أيمانهم جُنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون * ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون * وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لزوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون * سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تسغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي المقوم الفاسقين ﴾ لما قدم النبي ﷺ المدينة، وكثر المسلمون في ألمدينة واعتز

الإسلام بها(٤)، صار أناس من أهملها من الأوس والخمررج، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ليبقى جاههم، وتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون، لكي يحذر العباد منهم، ويكونوا منهم على بصيرة، فقال: ﴿إِذَا جَاءُكِ المُنَافِقُونَ قالوا﴾ على وجه الكذب: ﴿نشهد إنك لرسول الله وهذه الشهادة من المنافقين على وجه الكذب والنفاق، مع أنه لا حاجة لشهادتهم في تأييد رسوله، فإن ﴿الله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في قولهم ودعواهم، وأن ذلك ليس بحقيقة منهم.

﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ أي: ترساً يتترسون بها من نسبتهم إلى النفاق.

فصدوا عن سبيله بأنفسهم، وصدوا غيرهم عمن يخفى عليه حالهم، ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴿ حيث أَظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وأقسموا على ذلك وأوهموا صدقهم، ﴿ ذلك ﴾ الذي زين لهم النفاق ﴿ ب سبب ﴿ أنهم ﴾ لا يثبتون على الإيمان.

بل ﴿آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم﴾ بحيث لا يدخلها الخير أبداً، ﴿فهم لا يفقهون﴾ ما ينفعهم، ﴿وإذا يعون ما يعود بمصالحهم، ﴿وإذا ونسمع ونضارتها، ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ أي: من حسن منطقهم تستلذ لاستماعه، فأجسامهم وأقوالهم معجبة، ولكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة والهدى الصالح، مسندة﴾ لا منفعة فيها، ولا ينال منها إلا الضرر المحض، ﴿يحسبون كل

OF CHURE II SERVICE TO الله والمالة وتعالزا يستغفز لكثم رسول الله لوزارة وسهتر يُّ وَرَأَتَتُهُ وَيَصُدُّونَ وَهُمِ مُّسُنَّكُمْرُونَ ﴾ صَوَّآهُ عَلَيْسُومُ ﴿ أَسْتَغَفَرْتِ لَمُنْدَ أَوْلَةِ تَسْتَغَفِرْ لَكُوْ لَن يَعَفِرُ أَلَّهُ لَكُمُ لِكَ أَلَّهُ ﴾ لَا يَدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ۞ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَانْيَفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلْهِ حَسَرَآلِينُ التكفؤت والأزم ولكيز المنظفيت لايفقهوت ۞ يَتُولُونَ لَيْن زَّجَعْنَ ٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُغْرِجَنَ ٱلْمُعْنُّ مِنْهَا ٱلأَذَلَّ وَيَعَوَالْمِـزَةُ وَلِرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِكَ ٱلْمُنْفِقِينَ لَايَقْلَمُونَ ۞ بَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَانْلُهِكُمُ أَمْوَالُكُمْ مَوَلَا أَوْلَادُكُوْعَن وْكَمِاللَّهُ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَيْكَ هُمُ ٱلْخَلِيدُونَ ۞ وَأَنفِقُوا مِن مَّارَزَقْنَكُم مِن قِبْلِ أَن يَأْقِ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَهَا الله أَمْل قَرِب فَأَصَدُق وَأَحَدُن فِنَ العَدُلِيدِي ﴿ وَلَن فِي خِرَاللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيِيرُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ स्थाप्ट के स्थापित ON COROLO ... COROLO !

صيحة عليهم وذلك لجبنهم وفزعهم وضعف قلوبهم، والريب الذي في قلوبهم (٥) يخافون أن يطلع عليهم.

فهؤلاء ﴿هم العدو﴾ على الحقيقة، لأن العدو البارز المتميز أهون من العدو الذي لا يشعر به، وهو مخادع ماكر، يزعم أنه وَلي، وهو العدو المبين، ﴿فَاحَذُرهُم قَأْتُلُهُم اللهُ أَنَّى يؤفَّكُونَ﴾ آي: كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعدما تبينت أدلته واتضحت معالمه، إلى الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسار والشقاء ﴿وإذا قبل ﴾ لهؤلاء المنافقين وتعالوا يستغفر لكم رسول الله عما صدر منكم، لتحسن أحوالكم، وتقبل أعمالكم، امتنعوا من ذلك أشد الامتناع، و ﴿لُووا رؤوسهم المتناعاً من طلب الدعاء من الرسول، ﴿ورأيتهم يصدون عن الحق بغضاً له ﴿وهم مُستكبرون ﴾ عن اتباعه بغياً وعناداً، فهذه حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول، وهذا من لطف الله وكرامته لرسوله، حيث لم يأتوا إليه، فيستغفر لهم، فإنه

⁽١) كذا في ب، وفي أ: الخطبة.

 ⁽٢) في ب: بمن الله وعونه والحمد لله رب العالمين.

⁽٣) كذا في النسختين.

⁽٤) في ب: وكثر الإسلام فيها وعز.

⁽۵) وفي ب: وضعف قلوبهم وريبها.

CHARLES 1 TRANSPORT _ وأَقْوَالْوَّغَزُالْوَكِيْمِ يُسَبَحُ يَقِعَا فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضَ لَهُ ٱلْكُلُكُ وَلَهُ ٱتْحَمَّدُوهُو عَلَىكُلُشَىٰءِ قَلِيرُ ۞ هُوَٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فِمَنَكُمْ كَافَ وَمَنكُمُ مُؤْمِنُّ وَاللَّهُ بِمَا لَعْمَالُونَ بَصِيرُ ۞ خَلَقَ ٱلسَّمَةِ مِن وَٱلْمُأْتَ بِٱنْعَقَ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَهِيرُ۞ يَعْلَمُمَا فِي ٱلمسكوَّتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَانَيْرُونَ وَمَاتَعْلِتُونُ وَأَلْقَهُ عَلِيمُ لِذَاتِ ٱلشُدُودِ ۞ ٱلْرَيَانِكُورَ مَوْا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّلُ فَذَا قُواْ وَكَالَ أَمْرِهِمْ وَلِمُمُوِّعَذَابُ أَلِيدٌ ۞ ذَلِكَ بِأَنْفَرُكَانَتَ تَأْيِهِمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبِيَنَتِ فَعَالُواْ أَجَنَرٌ بَهُ دُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلُواْ وَاللَّهُ عَلَىٰ لَهُ أُ وَاللَّهُ عَيْنُ عَيدٌ ۞ زَعَدُ الَّذِينَ كَلَدُوۤ إِلَا أَن يَنْعَمُوا فَلْ بَالْ وَوَلِهِ لَتُعَثَّنَّ ثَرَّكَنْبَقِنَّ مِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.وَالنُّورِالَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ مِمَا تَعَسَمُونَ حَبِيرٌ ۞ يَوْمَر يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ أَجْمَنِيمٌ ذَالِكَ يَوْمُ النَّفَ ابْنُ وَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلُ صَلِيحًا يُكُوِّرُ عَنْهُ سَيِّنَا لِهِ وَيُنْخِلُهُ جَنَّتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَا تُرْخَلِيدِ يَكِينَا أَبَكَأَ ذَالِكَ ٱلْمُؤْرُ ٱلْمَعْلِيمُ ۞ TO THE POT MONEY

سواء أستغفر لهم أم لم يستغفر لهم فلن يخفر الله لهم، وذلك لأنهم قوم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، مؤثرون للكفر على الإيمان، فلذلك لا ينفع فيهم استغفر الرسول، لو استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يخفر الله لهم الله لا يهدي القوم الفاسقين .

الله الله الله الله الله الله الله حتى الله الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون المن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون وهذا من شدة عداوتهم للنبي والمسلمين، لما رأوا اجتماع أصحابه وائتلافهم، ومسارعتهم في مرضاة الرسول ﷺ، قالوا بزعمهم الفاسد:

﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴿ فَإِنهِم _ بزعمهم _ لولا أموال المنافقين ونفقاتهم عليهم، لما اجتمعوا في نصرة دين الله، وهذا من أعجب العجب، أن يدعي هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على

خذلان الدين، وأذية المسلمين، مثل هذه الدعوى، التي لا تروج إلا على من لا علم له بحقائق الأمور ((')، ولهذا قال الله رداً لقولهم: ﴿ولله خزائن السماوات والأرض﴾ فيؤي الرزق من يشاء، ويمنعه من يشاء، ويعسرها ويبسر الأسباب لمن يشاء، ويعسرها على من يشاء، ﴿ولكن المنافقين على من يشاء، ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ فلذلك قالوا تلك المقالة، التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، وتحت مشيئتهم.

غزوة المريسيع، حين صار بين بعض المهاجرين والأنصار بعض كلام كدر الخواطر، ظهر حيننذ نفاق المنافقين، وأظهروا ما في نفوسهم (٢). وقال كبيرهم عبد الله بن أي ابن سلول: ما مثلنا ومثل هؤلاء _يعني المهاجرين _ إلا كما قال القائل: (غذ كلبك يأكلك) (٣).

ليخرجن الأعز منها الأذل) وذلك تي

وقال: لئن رجعنا إلى المدينة عليهم، بل وليخرجن الأعز منها الأذل بزعمه رقهم الله أنه هو وإخوانه من المنافقين الأعزون، فلهذا الله ومن معه (3) هذا إخوانهم المالأذلون، والأمر بعكس ما قال هذا إخوانهم المنافق، فلهذا قال [تعالى:] ﴿وله العزة الموت الذي ولرسوله وللمؤمنين فهم الأعزاء، يأتي بمثقال ولرسوله وللمؤمنين فهم الأعزاء، فيقول من قبط الأذلاء. ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون فيقول مت الذلك زعموا أنهم الأعزاء، الإمكان، المتارأ بما هم عليه من الباطل، ثم قال عال: ﴿رمِ تعالى: منالية تعالى: منالية تعالى: منالية المنافقين المنا

﴿٩ ـ ١١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من ألصالحين * ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير

بالإكثار من ذكره، فإن في ذلك الربح والفلاح، والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: يلهه ماله وولده، عن ذكر الله ﴿ فَأُولِتُكُ هِم الخاسرون ﴾ للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم، لأنهم آثروا ما يفني على ما يبقى، قال تعالى: ﴿إِنْمَا أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقوله: ﴿وأنفقوا بما رزقناكم النفقات النفقات الواجبة، من الزكاة والكفارات(٥)، ونفقة الزوجات، والمماليك، ونحو ذلك، والنفقات المستحبة، كبذل المال في جميع المصالح، وقبال: ﴿ مِما رزقناكم للدل ذلك على أنه تعالى، لم يكلف العباد من النفقة ما يعنتهم ويشق

عليهم، بل أمرهم بإخراج جزء(٦) مما

رزقهم الله الذي يسره لهم (٧) ويسر

بما تعملون، يأمر تعالى عباده المؤمنين

فليشكروا الذي أعطاهم، بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذلك، الموت الذي إذا جاء، لم يمكن العبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير، ولهذا قال: ﴿مُن قبل أن يسأتي أحدكم الموت فيقول﴾ متحسراً على ما فرَّط في وقت الإمكان، سائلاً الرجعة التي هي محال: ﴿ رب لولا أخرتني إلى أجل قريب ﴾ أي: الأتدارك ما فَرَّطْتُ فيه، ﴿فَأُصَّدُّقُ﴾ من مالي، ما به أنجو من العذاب، وأستحق به جزيل الثواب، ﴿وَأَكُنَ مِنِ الصَّالَحِينَ﴾ بأداء المأمورات كلها، واجتناب المنهيات، ويدخل في هذا، الحج وغيره، وهذا السؤال والتمني، قد فات وقته، ولا يمكن تداركه، ولهذا قال: ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ المحتوم لها ﴿والله

في ب، مما رزقهم ويسره ويسر

أسبابه .

⁽٤) في ب: ومن اتبعه.

⁽٥) كذا في ب، وفي أ: الكفارة.

⁽٦) كذا في ب، وفي أ: أمرهم بجزء.

 ⁽١) في ب: بالحقائق.
 (١) في ب: وتبيّن ما في قلوبهم.

⁽٣) في ب: سمَّن كلبك.

خبير بما تعملون من خير وشر، فيجازيكم على ما علمه منكم، من النيات والأعمال.

تم تفسير سورة المنافقين، وله الحمد

تفسير سورة التغابن [وهي] مكية

﴿ ا ع ﴾ ﴿ بسب الله السرحسن الرحيم يسبح لله ما في السماوات وما **فى الأرض له الملك وله الحمد وهو على** كل شيء قدير * هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بمأ تعملون بصير *خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير * يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ هذه الآيات [الكريمات]، مشتملات على جملة كثيرة واسعة، من أوصاف الباري العظيمة، فذكر كمال ألوهيته تعالى، وسعة غناه، وافتقار جميع الخلائق إليه، وتسبيح من في السماوات والأرض بحمد ربها، وأن الملك كله لله، فلا يخرج مخلوق عن ملكه، والحمد كله له، حمد على ما له من صفات الكمال، وحمد على ما أوجده من الأشياء، وحمد على ما شرعه من الأحكام، وأسداه من النعم.

وقدرته شاملة، لا يخرج عنها موجود، فلا يعجزه شيء يريده، وذكر أنه خلق العباد، وجعل منهم المؤمن والكافر، فإيمانهم وكفرهم كله بقضاء الله وقدره، وهو الذي شاء ذلك منهم، بأن جعل لهم قدرة وإرادة، بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر والنهي، ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فلما ذكر خلق الإنسان المكلف المأمور المنهي، ذكر خلق الإنسان المكلف المخلوقات، فقال: ﴿خلق السماوات

والأرض الله أي: أجرامهما، [وجميع] ما فيهما فأحسن خلقهما، ﴿بِالحق﴾ أي: بالحكمة والغاية المقصودة له تعالى، ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فالإنسان أحسن المخلوقات صورة، وأبهاها منظراً. **﴿وإليه المصير﴾** أي: المرجع يسوم القيامة، فيجازيكم على إيمانكم وكفركم، ويسألكم عن النعم والنعيم، الذي أولاكموه (١٠)، هل قمتم بشكره، أم لم تقوموا بشكره؟ ثم ذكر عموم علمه، فقال: ﴿يعلم ما في السماوات والأرض ﴾ أي: من السسرائسر والطواهر، والغيب والشهادة. ﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ أي: بما فيها من الأسرار الطيبة، والخبايا الخبيشة، والنيات الصالحة، والمقاصد الفاسدة، فإذا كان عليماً بذات الصدور، تعين على العاقل البصير، أن يحرص ويجتهد في حفظ باطنه، من الأخلاق الرذيلة، واتصافه بالأخلاق الجميلة.

﴿ ٥ _ ٦ ﴾ ﴿ أَلَمْ يَأْتُكُم نَبِأُ الَّذِينَ كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننأ فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد﴾ لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة، ما به يعرف ويعبد، ويبذل الجهد في مرضاته، وتجتنب مساخطه، أخبر بما فعل بالأمم السابقين، والقرون الماضين، الذين لم تزل أنباؤهم يتحدث بها المتأخرون، ويخبر بها الصادقون، وأنهم حين جاءتهم الرسل(٢) بالحق، كذبوهم وعاندوهم، فأذاقهم الله وبال أمرهم في الدنيا، وأخزاهم فيها، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في [الدار] الآخرة، ولهذا ذكر السبب في هذه العقوبة، فقال: ﴿ ذَلِكُ ﴾ النكال والوبال، الذي أحللناه بهم

بأنهم ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالآيات الواضحات، الدالة على الحق والباطل، فاشمأزوا واستكبروا على رسلهم، فقالوا: ﴿أَبِشُر يَهِدُونُنا﴾ أي: فليس لهم فضل علينا، ولأي: شيء خصهم الله دوننا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾ فهم حجروا فضل الله ومنته على أنبيائه أن يكونوا رسلاً للخلق، واستكبروا عن الانقياد لهم، فابتلوا بعبادة الأحجار والأشجار ونحوها ﴿فكفروا﴾ بالله ﴿وتولوا﴾ عن طاعة الله، ﴿واستغنى اللهِ ﴾ عنهم، فلا يبالي بهم، ولا يضره ضلالهم شيئاً، ﴿والله غني حميد﴾ أي: هو الغني، الذي له الغني التام المطلق، من جميع الوجوه، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه.

﴿٧﴾ ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ يجر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدى يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق، ﴿وذلك على الله يسير ﴾ فإنه وإن كان عسيراً، بل متعذراً بالنسبة إلى الحلق، فإن قواهم كلهم لو اجتمعت (٣) على أحياء ميت [واحد]، ما قدروا على ذلك.

وأما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، قال تعالى:
ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ().

﴿ ٨﴾ ﴿ فَآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير ﴾ لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأن ذلك [منهم] موجب كفرهم بالله وآياته، أمر بما يعصم من الهلكة

⁽١) في ب: أولاكم.

⁽٢) في ب: رسلهم.

والشقاء، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه(١)، وسماه الله نوراً، فإن النور(٢) ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام والشرائع والأخبار، أنوار يهتدي بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشى بها في حندس الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها أكثر من نفعها، وشرهاً أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع، إلا ما وافق ما جماءت به الرسل، والإيمان بالله ورسوله وكتابه، يقتضى الجزم التام، واليقين الصادق بها، والعمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، والتباب المناهي (٣)، ﴿ والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم بأعمالكم الصالحة والسيئة.

﴿٩ - ١١﴾ ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير يعنى: اذكروا يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، ويقفهم موقفاً هائلاً عظيماً، وينبئهم بما عملوا، فحينتذ يظهر الفرق والتفاوت بين الخلائق، ويُرْفعُ أقوامٌ إلى أعلى علين، في الغرف العاليات، والمنازل المرتفعات، المشتملة على جميع اللذات والشهوات، ويخفض أقوامٌ إلى أسفل سافلين، محل الهم والنغم، والحزن، والعذاب الشديد، وذلك نتيجة ما قدموه لأنفسهم، وأسلفوه أيام حياتهم، ولهذا قال: ﴿ ذلك يوم التغابن، 🗘 .

أي: يظهر فيه التغابن والتفاوت بين الخلائق، ويغبن المؤمنون الفاسقين، ويعرف المجرمون أنهم على غير شيء،

وأنهم هم الخاسرون، فكأنه قيل: بأي: شيء يحصل الفلاح والشقاء والنعيم والعذاب؟

فذكر تعالى أسباب ذلك بقوله: ﴿ومن يؤمن بالله ﴾ [أي :] إيماناً تاماً شاملاً لجميع ما أمر الله بالإيمان به، ﴿ويعمل صالحاً ﴾ من الفرائض والنوافل، من أداء حقوق الله وحقوق عباده. ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وتختاره الأرواح، وتحن إليه القلوب، ويكون نهاية كُل مرغوب، ﴿خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ أي: كفروا [بها] من غير مستند شرعي ولا عقلي، بل جاءتهم الأدلة والبينات، فكذبوا بها، وعاندوا ما دلت عليه.

﴿أُولِنُكُ أُصِحَابِ النَّارِ خَالَدِينَ فِيهَا وبئس المصير﴾ لأنها جمعت كل بؤس وشدة، وشقاء وعذاب.

﴿١١ – ١٣﴾ ﴿ميا أصباب مين مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه والله بكل شيء عليم * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين * الله لا إله إلا هو وعلى الله فكيتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى: ﴿مَا أَصَابِ مِنْ مَصِيبَةِ إِلَّا بإذن الله ﴾ وهذا عام لجميع المصائب، فى النفس، والمال، والبولد، والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله [تعالى]، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، والشأن كل الشأن، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والأخرة، فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله

قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري لمن (٤) لم يهذ الله قلبه ، بل

يرزقه الله الشبات عند ورودها^(ه) والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب^(٢)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفِ الصَّابِرُونَ أَجِرُهُمُ بغير حساب﴾ وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكله الله إلى نفسه، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع، الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر. هذا ما يتعلق بقوله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن أي: الإيمان المأمور به من (٧) الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله وأفعاله(^)، وفي علَّمه وعمله.

وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار: أ أن المؤمنين يثبتهم الله (٩) في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأصل النبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فأهل الإيمان أهدى الناس قلوباً، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان.

[وقوله:] ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا

في ب: في أقواله وأفعاله وجميعً أحواله .

في ب: كما قال تعالى مخبراً أنه

يثبت المؤمنين.

⁽£) في ب: ممن.

كذا في ب، وفي أ: عندها.

⁽¹⁾ في ب: من الأجر العظيم.

⁽V) في ب: وهو.

في ب: الإيمان به، وبرسوله، وبكتابه.

⁽٢) في ب: لأن النور.

في ب: النواهي. (٣)

الرسول ان في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فإن طاعة الله وطاعة رسوله، مدار السعادة، وعنوان الفلاح، ﴿فإن توليتم﴾ [أي] عن طاعة ألله وطاعة رسوله، ﴿ فإنما على رسولنا البلاغ المين اي: يبلغكم ما أرسل به إليكم، بلاغاً يبين لكم ويتضح وتقوم (١) به عليكم الحجة، وليس بيده من هدايتكم، ولا من حسابكم من شيء، وإنما يحاسبكم على القيام بطاعة الله وطاعة رسوله، أو عدم ذلك، عالم الغيب والشهادة.

﴿الله لا إلْـه إلا هـو﴾ أي: هـو المستحق للعبادة والألوهية، فكل معبود سواه فباطل، ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي: فليعتمدوا^(٢) عليه في كل أمر ناجم، وفيما يريدون القيام به، فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله، ولا سبيل إلى ذلك (٣) إلا بالاعتماد على الله، ولا يتم الاعتماد على الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه، ويثق به في كفايته الأمر الذي اعتمد عليه به، وبحسب إيمان العبد يكون توكله، فكلما قوي الإيمان قوي التوكل (٤).

﴿ ١٤ _ ١٥ ﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم * إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم الله المؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذا وصفه (٥)، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأرلاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كمان فيها ما فيها من المحذور الشرعي (٦)، ورغبهم في امتثال أوامره، وتقديم

مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية: وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك من الصالح ما لا يمكن حصره، فقال: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم لأن الجزاء من جنس العمل.

فمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره.

﴿١٦ _ ١٨﴾ ﴿فاتفوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * إن تقرضوا الله قرضأ حسنأ يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم *عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، يأمر تعالى بتقواه، التي هي امتشال أوامره واجتناب نواهيه، ويقيد(٧) ذلك بالاستطاعة والقدرة.

فهذ الآية تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور وعجز عن بعضه، فإنه يأتى بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال النبي ع الله المرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

ويدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع، ما لا يدخل تحت الحصر، وقوله: ﴿واسمعوا﴾ أي: اسمعوا ما يعظكم الله به، وما يشرعه لكم من الأحكام، واعلموا ذلك وانقادوا له، ﴿وأطيعوا﴾ الله ورسوله في جميع

EXCEPTION OF SECURITY وَالَّذِيَ كَعَرُواْ وَكُذَّوُا مِعَائِيْنَآ أَوْلَتِكَ أَصْحَبُ النَّارِ خَلِدِينَ فِيهَا وَيِنْنَ ٱلْمَصِيرُ۞ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ الَّامِاذُنِ ٱللَّهُ وَمَن بُوْمِنُ مِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَ مُوْاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيدٌ ۞ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّمُولَ فَإِنْ وَلَيْتُمُ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِتِ ٱلْبَكَانُحُ ٱلْمُدِيثُ ۞ ٱمَّةُ لَآ إِلَّهَ إِلَّا هُوَّ وَعَلَ اللَّهِ فَلْيَمَةً كَلَّ الْمُؤْمِنُونَ ۞ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزُواجِكُمْ وَأَوْلَا يِكُوْ عَكُونًا لَكُمْ فَلَمْ ذَرُوهُمْ مَ إِن تَعَفُوا وَيَضْفَحُوا وَتَضْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَ اللَّهَ عَنَفُورُتَكِيدُ ۞ إِنَّمَا أَمْوَلُكُمْ وَأَوْلَاكُمْ مِنْكُ وَالْقَهُ عِندَهُ وَأَجْرُعَظِيرٌ ۞ فَاتَنْكُوااللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُمُ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِأَنْفُيكُمُ وَمَن يُوقَ شُحَّ تَفْسِهِ مَا أُولَلِيكَ هُدُالْمُغُلِحُونَ ۞ إِن تُعْرِضُوالَقَهُ ا قَرْضًا حَسَنَا يُصَاعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُّورُ حَلِيدُ ۞ عَلِدُ ٱلْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ٱلْعَنِيدُ ٱلْعَلِيدُ

ON SON BONDERS أموركم، ﴿وأنفقوا﴾ من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة، يكن ذلك الفعل منكم خيراً لكم في الدنيا والآخرة، فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى، وقبول نصائحه، والانقياد لشرعه، والشركله، في مخالفة ذلك.

ولكن ثمَّ آفة تمنع كثيراً من الناس، من النفقة المأمور بها، وهو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس، فإنها تشح بالمال، وتحب وجوده، وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة .

فمن وقاه الله شر شح نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها ﴿ فَأُولِنُكُ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ لأنهم أُدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب، بل لعل ذلك شامل لكل ما أمر به العبد، ونهى عنه، فإنه إن كانت نفسه شحيّحة، لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قِبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة، وإن كانت نفسه نفساً سمحة مطمئنة منشرحة لشرع الله، طالبة لمرضاة الله، فإنها ليس بينها وبين فعل ما كلفت به إلا العلم به، ووصول معرفته إليها، والبصيرة بأنه مُرض لله

(1)

في ب: يكون توكله قوة وضعفاً. (٤)

في ب: هذه صفته. (0)

في ب: التي فيها محذور شرعي.

في ب: وقيَّد. (V)

في ب: بلاغاً بيناً واضحاً فتقوم. (1)

كذا في ب، وفي أ: يعتمدوا. كذا في ب، وفي أ: لذلك. (٣)

CONTRACTOR OF STREET مِأَمَّةِ الرَّغَزَّالرَّحَيْمِ إِلَّا يَنَّانُهُا النَّبِيُّ إِذَاطَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِيدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ الْمِدَةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبِّكُمْ لَا تُخْرِجُهُ هُنَّ مِنْ يُوتِهِنَّ وَلَا يَحْرُجُنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَلْحِشَةِ مُّبَيِّنَةً وَتِلْكَ حُدُودُاللَّهُ وَمَن سَعَيَدً حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَانَذْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۞ فَإِذَا بَلَغْرَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بَمْعُرُونِ أَوْفَارِقُوهُنَّ مِمَعْدُرُوفِيَّ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَكَدْلِ مِنْكُمَّ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَادَةَ يَقَّ ذَالِكُمْ يُوعَظَّ بِهِ عَنَ كَاتَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِيرُ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ يَخْرَجًا ۞ وَتَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَخْتَيبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَ أَلَّهِ فَهُوَحَسْبُهُ وَإِن ٱللَّهَ بَلِلْعُ أَمْرِهُ وَقَدْجَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَدَّرًا ﴿ وَٱلَّتِي بَلِسْزَمِنَ ٱلْحِيينُ مِن يَسَآ بِكُوْ إِنِ ٱلنَّبْسُرُ فِعِلَّا ثُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُ رِوَٱلَّتِي لَرْ يَعِضْنُ وَأُوْلَتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَصَعَنَ حَمْلَهُ بُّ وَمَن يَنِّي اللَّهَ يَجْمَلُ لَّهُ مِنْ أَصْرِهِ يُسْرًا ۞ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ وَإِلَيْكُمْ وَمَن يَنَّقِ أَلَّهَ يُحكَفِّرْعَنْهُ سَيِّعَانِهِ، وَيُعْظِمْ لَهُ وَأَجْرًا ۞

ACCEPTANCE ON FOREST تعالى، وبذلك تفلح وتنجح وتفوز كل

ثم رغب تعالى في النفقة، فقال: ﴿إِن تَقْرَضُوا اللَّهُ قَرَّضًا حَسَنًا ﴾ وهو كل نفقة كانت من الحلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ووضعها في موضعها ﴿يضاعفه لكم﴾ النفقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

﴿وَ﴾ مع المضاعفة أيضاً ﴿يغفر لكم السبب الإنفاق والصدقة ذنوبكم، فإن الذنوب يكفرها الله بالصدقات والحسنات: ﴿إِنَّ الحسنات يذهبن السيئات).

﴿والله شكسور حمليم > حمليم لا يعاجل من عصاه، بل يمهله ولا يهمله، ﴿ولويؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى. والله تعالى شكور يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر تعالى لمن تحمل من أجسليه المشساق والأثبقيال، ونساء(١ بالتكاليف الثقال، ومن ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه.

﴿عالم الغيب والشهادة﴾أي: ما غاب عن العباد من الجنود التي لا يعلمها إلا هو، وما يشاهدونه من المخلوقات، ﴿العزيز ﴾ الذي لا يغالب ولا يمانع، الذي قهر كل الأشياء، ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه وأمره، الذي يضع الأشياء مواضعها.

تم تفسير التغابن [ولله الحمد]

تفسير سورة الطلاق [وهي] مدنية

﴿١ - ٣﴾ ﴿ بسبم الله السرحين

الرحيم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلوقهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً * فإذًا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴿ يقول تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ وللمؤمنين:

﴿ يِا أَيُّهَا النَّبِي إِذَا طَلَقْتُمُ النَّسَاء ﴾ أي: أردتم طلاقهن ﴿فَ التمسوا لطلاقهن الأمر المشروع، ولا تبادروا بالطلاق من حين يوجد سببه، من غير مراعاة لأمر الله.

بل ﴿طلقوهن لعدتهن﴾ أي: الأجل عدتهن، بأن يطلقها زوجها وهي طاهر، في طهر لم يجامعها فيه، فهذا الطلاق هو الذي تكون العدة فيه واضحة بيّنة، بخلاف ما لو طلقها وهي حائض، فإنها لا تحتسب بتلك الحيضة التي وقع فيها الطلاق، وتطول عليها العدة بسبب ذلك، وكذلك لو

طلقها في طهر وطيء فيه، فإنه لا يؤمن حملها، فلايتبين و [لا] يتضح بأي: عدة تعتد، وأمر تعالى بإحصاء العدة، أي: ضبطها بالحيض إن كانت تحيض، أو بالأشهر إن لم تكن تحيض، وليست حاملاً، فإنَّ في إحصائها أداء لحق الله، وحق الزوج المطلق، وحق من سيتزوجها بَعْدُ، [وحقها في النفقة ونحوها] فإذا ضبطت عدتها، علمت حالها على بصيرة، وعلم ما يترتب عليها من الحقوق، وما لها منها، وهذا الأمر بإحصاء العدة، يتوجه [للزوج](٢)، وللمرأة، إن كانت مكلفة، وإلا فلوَليُّها، وقوله: ﴿واتقوا الله ربكم﴾ أي: في جميع أموركم، وخافوه في حمق الزوجات المطلقات، ف ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ مدة العدة، بل يلزمن بيوتهن (٣) الذي طلقها

﴿ وَلا يَخْرِجِنْ ﴾ أي: لا يجوز لهن الخروج منها، أما النهى عن إخراجها، فىلأن (٤) المسكن يجب على النزوج للزوجة (٥)، لتكمل فيه عدتها التي هي حق من حقوقه.

زوجها وهي فيها.

وأما النهي عن خروجها، فلما في خروجها من إضاعة حق الزوج وعدم

ويستمر هذا النهي عن الخروج من البيوت والإخراج إلى تمام العدة .

﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ أي: بأمر قبيح واضح، موجب لإخراجها، بحيث يدخل على أهل البيت الضرر من عدم إخراجها، كالأذى بالأقوال والأفعال الفاحشة، ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها، لأنها هي التي تسببت لإخراج نفسها، والإسكان فيه جبر لخاطرها، ورفق بها، فهي التي أدخلت الضرر على نفسها(٢٠)، وهذا في المعتدة الرجعية، وأما البائن، فليس لها سكني واجبة، لأن السكن تبع

- كذا في ب، وفي أ: فإن. (٤)
 - كذا في ب، وفي أ: يجب للزوجة (0)

(٣) في ب: بل تلزم بيتها.

(1)

(٢)

في ب: وأنواع التكاليف.

زيادة من هامش: ب.

(٦) في ب: عليها.

للنفقة، والنفقة تجب للرجعية دون البائن، ﴿وتلك حدود اللهِ [أي:] التي حدها لعباده وشرعها لهم، وأمرهم بلزومها والوقوف معهاء ﴿ومن يتعد حدود الله ﴾ بأن لم يقف معها، بل تجاوزها، أو قصر عنها، ﴿فقد ظلم نفسه ﴾ أي: بخسها حظها، وأضاع نصيبه من اتباع حدود الله التي هي الصلاح في الدنيا والأخرة. ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ أي: شرع الله العدة، وحدد الطلاق بها، لحكم عظيمة: فمنها: أنه لعل الله يحدث في قلب المطلق الرحمة والمودة، فيراجع من طلقها، ويستأنف عشرتها، فيتمكّن من ذلك مدة العدة، أو لعله يطلقها لسبب منها، فيزول ذلك السبب في مدة العدة ، فيراجعها لانتفاء سبب الطلاق.

ومن الحكم: أنها مدة التربص، يعلم براءة رحمها من زوجها.

وقوله: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: إذا قاربن انقضاء العدة، لأنهن لو خرجن من العدة، لم يكن الزوج غيراً بين الإمساك والفراق. ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أي: على وجه المعاشرة وجه الضرار، وإرادة الشر والحبس، فإن إمساكها على هذا الوجه لا يجوز، لا محذور فيه، من غير تشاتم ولا قهر لها على أخذ شيء من

﴿وأشهدوا﴾ على طلاقها ورجعتها ﴿ذوي عدل منكم﴾ أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد المذكور، سداً لباب المخاصمة، وكتمان كل منهما ما يلزمه بيانه.

﴿ وَاقْتِهِ مُوا ﴾ أيها الشهداء

﴿ السهادة شه أي: ائتوا بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، واقصدوا بإقامتها وجه الله وحده(١)، ولا تراعوا بها قريباً لقرابته، ولا صاحباً لحبته، ﴿ذلكم﴾ الذي ذكرنا لكم من الأحكام والحدود ﴿يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فإن من يؤمن بالله واليوم الآخر، يوجب له ذلك(٢) أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة ما تمكن منها، بخلاف من ترحل الإيمان عن قليه، فإنه لا يبالى بما أقدم عليه من الشر، ولا يعظم مواعظ الله لعدم الموجب لذلك، ولما كان الطلاق قد يوقع في الضيق والكرب والغم، أمر تعالى بتقواه، وأن (^(٣) من اتقاه في الطلاق وغيره، فإن الله يجعل له فرجاً ومخرجاً.

فإذا أراد العبد الطلاق، ففعله على الوجه الشرعي، بأن أوقعه طلقة واحدة، في غير حيض ولا طهر قد وطىء فيه أ⁽³⁾، فإنه لا يضيق عليه الأمر، بل جعل الله له فرجاً وسعة يتمكن فيها من مراجعة النكاح⁽⁶⁾، إذا ندم على الطلاق، والآية، وإن كانت في سياق الطلاق والرجعة، فإن العبرة بعموم اللفظ، فكل من اتقى الله تعلى، ولازم مرضاة الله في جميع أحواله، فإن الله يشيبه في الدنيا والآخرة.

ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجاً وخرجاً من كل شدة ومشقة، وكما أن من اتقى الله جعل له فرجاً وخرجاً، فمن أي يتق الله، وقع في الشدائد والأعلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها، واعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه

الَّهِ يَكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُ مِن وُجُدِكُمُ وَلَالْفَسَآزُوهُنَّ لِلْفَسَيْقُولُ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَئِتِ مَلْ فَأَنفِ قُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعُنَ مَلَهُنَّ فَإِنْ أَيْضَعَنَ لَكُوْفَنَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَغَرُواْبَيْنَكُمْ عِتَعُرُفَطُّولِن تَعَاسَرُ فَيُ فَسَرُضِعُ لَهُ وَأَخْرَىٰ ۞ لِينْفِقُ ذُوسَعَةِ مِنْ سَعَيْدٍ أَ وَمَن قُدُرَعَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْمُدُغِقْ مِثَآءَ اتَّناهُ اللَّهُ لَا يُكُلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا الَّامَآءَانَهَأُ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ يَعْدَعُسْرُفُسُرُ ۞ وَكَأْيَن مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ دَيْهَا وَرُسُلِهِ عَلَاسَبْنَهَا حِسَالًا شَدِيلًا وَعَذَّبْنَهُا عَذَابًا ثُكُوا ۞ فَذَاقَتْ وَيَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَلَيْمَةُ أَمْرِهَا خُسُرًا ۞ أَعَدَ اللهُ لَمُدُعَدَ اللهُ سَدِيدَ أَفَانَقُوا اللَّهَ يَأُولِ الْأَلْبُ الَّذِينَ المَنُواْ فَدَ أَرْلَ اللَّهُ إِلَيْكُمُ وَكُولُ فِي رَّسُولُا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ الْمِيالُونِ مُيِّنَتِ لِيُحْرَجُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعِمَلُوا الصَّلِحَتِ مِنَ الظُّلُمُتِ إِلَى ٱلنُّورُ وَمَن يُؤْمِن بِاللّهِ وَيَعْمَلُ صَلِيحًا يُدِّخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْيَمُ ٱلْأَنْهَ رُخَلِينَ فِيهَا أَبَدّاً فَدَأَحَسَ السَّلَهُ رِزُقًا ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَنَوَتِ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنَكُلُ ٱلْأَمْرُينَا مُثَنَّ لِتَعْلَمُوا أَتَ اللَّهُ عَلَىكُ لِ مَنْ وَقَدِيرُ وَأَنَ اللَّهَ قَدْ أَعَاطَ بِكُلِّ مَنْ وَعِلْمَا ۞ 000 000 000

المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يمكنه استدراكها(٢٦) والخروج منها.

وقوله: ﴿ويسرزقه من حيث لا يحتسب﴾ أي: يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به.

ومن يتوكل على الله أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك وفهو حسبه أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة المناسب له، فلهذا قال تعالى: وإن الله بالغ أمره أي: لا بد من نفوذ قضائه بالغ أمره أي: لا بد من نفوذ قضائه شيء قدراً في: وقتاً ومقدارًا، شيء قدراً أي: وقتاً ومقدارًا،

﴿ ٤ _ ٥ ﴾ ﴿ واللَّالِي يسسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن

⁽١) في ب: وجه الله تعالى.

⁽٢) في ب: فإنَّ الإيمان بالله، واليوم الآخر يوجب لصاحبه.

⁽٣) في ب: ووعد من.

⁽٤) في ب: ولا طهر أصابها فيه.

⁽٥) في ب: يتمكن بها من الرجوع إلى النكاح.

⁽٦) في ب: لا يتمكن من استداركها.

المنافعة المنتخفظ المنتخط المنخط المنتخط المنتخط المنتخط المنتخط المنتخط المنتخط المنتخط المن

ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً * ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً لا لا ذكر تعالى أن الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء، ذكر تعالى العدة، فقال:

TONOTON OF LONGER

﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾ بأن كن يحضن، ثم ارتفع حيضهن، لكبر أو غيره، ولم يُرْجَ رجوعه، فإن عدتها ثلاثة أشهر، جعل لكل شهر، مقابلة حيضة.

﴿واللاثي لم يحضن﴾ أي: الصغار السلائي لم يعضن الحيض بَعدُ، والبالغات (١) اللاتي لم يأتهن حيض بالكلية، فإنهن كالأيسات، عدتهن ثلاثة أشهر، وأما اللائي يحضن، في قبوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروه﴾. [وقوله:] ﴿وأولات الأحمال قروه﴾.

أجلهن أي: عدتهن وأن يضعن هلهن أي: عدتهن وأن يضعن هلهن أي: جميع ما في بطونهن، من واحد، ومتعدد، ولا عبرة حيئل بالأشهر ولا غيرها، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً أي: من اتقى الله تعالى، يسر له الأمور، وسهل عليه كل عسير. وذلك [أي:] الحكم الذي بينه الله لكم وأمر الله أنزله إليكم لتمشوا عليه، [وتأقوا] وتقوموا به وتعظموه.

﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾أي: يندفع عنه المحذور، ويحصل له المطلوب.

﴿٦ -٧﴾ ﴿اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى * لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾ تقدم أن الله نهى عن إخراج الطلقات عن البيوت، وهنا أمر بإسكانهن، وقدر الإسكان(٢) بالمعروف، وهو البيت الذي يسكنه مثله ومثلها، بحسب وبجد النزوج وعسره، ﴿ولا تنضاروهن لتضيقوا عليهن اي: لا تضاروهن عند سكناهن بالقول أو الفعل، لأجل أن يمللن، فيخرجن من البيوت قبل تمام العدة، فتكونوا أنتم المخرجين لهن، وحاصل هذا أنه نهى عن إخراجهن، ونهاهن عن الخروج، وأمر بسكناهن، على وجه لا يحصل عليهن

ضرر ولا مشقة، وذلك راجع إلى العرف، ﴿وإن كن ﴾أي: المطلقات ﴿أُولَاتِ حَمَلِ فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنِ حَتَّى يضعن حملهن وذلك لأجل الحمل الذي في بطنها، إن كانت بائناً، ولها ولحملها إن كانت رجعية، ومنتهى النفقة حتى يضعن حملهن (٢٦)، فإذا وضعن حملهن، فإما أن يرضعن أولادهن أو لا، ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾المسماة لهن، إنْ كان مسمى، وإلا فأجر المثل، ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾أي: ليأمر كل واحد من الزوجين ومن غيرهما الآخر بالمعروف، وهو كل ما فيه منفعة ومصلحة في الدنيا والآخرة، فإن الغفلة عن الائتمار بالمعروف، يحصل فيه^(٤) من الشر والضرر، ما لا يعلمه إلا الله، وفي الانتمار تعاون على البر والتقوى، وتما يناسب هذا المقام، أن الزوجين عند الفراق وقت العدة، خصوصاً إذا ولدلهما(٥) ولدفي الغالب يحصل من التنازع والتشاجر لأجل النفقة عليها وعلى الولدمع الفراق، الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض، ويتأثر منه البغض شيء

فكل منهما يؤمر بالمعروف، والمعاشرة الحسنة، وعدم المشاقة والمخاصمة(٧)، وينصح على ذلك.

﴿ وإن تعاسرتم ﴾ بأن لم تتفقوا (^^) على إرضاعها لولدها، فلترضع (^ 4) له أخرى غيرها ﴿ فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ﴾ وهذا حيث كان الولد يقبل نَدي غير أمه، فإن لم يقبل إلا ثدى أمه، تعينت الإرضاعه،

⁽١) في ب: أو البالغات.

⁽٢) في ب: إسكانهن.

 ⁽٣) في ب: إلى وضع الحمل.

⁽٤) في ب: فيهاً.

⁽٥) في ب: بينهما.

⁽٦) في ب: الذي لا يحصل في الغالب إلا مقروناً بالبغض فيتأثر من ذلك شيء كثير.

⁽٧) في ب: والمنازعة.

⁽٨) في ب: بأن لم يتفق الزوجان.

⁽٩) في ب: فسترضع له أخرى.

ووجب عليها، وأجبرت إن امتنعت، وكان لها أجرة الثل إن لم يتفقا على مسمى، وهذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى، فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل، ليس له خروج منه (١٦) ، عين تعالى على وليه النفقة ، فلما ولد، وكان يمكن (٢) أن يتقوت من أمه ومن غيرها، أباح تعالى الأمرين، فإذا كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه كان بمنزلة الحمل، وتعينت أمه طريقاً لقوته، ثم قدر تعالى النفقة، بحسب حال الزوج، فقال: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ﴾ أي: لينفق الغنى من غناه، فلا ينفق نفقة الفقراء.

و من قدر عليه رزقه اي: ضيق عليه ﴿ فلينفق مما آتاه الله ﴾ من الرزق. ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ وهذا مناسب للحكمة والرحمة الإلهية حيث جعل كلاً بحسبه، وخفف عن المعسر، وأنه لا يكلفه إلا ما آتاه، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، في باب النفقة وغيرها. ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرأ وهذه بشارة للمعسرين، أن الله تعالى سيزيل عنهم الشدة، ويرفع عنهم المشقة، ﴿فإن مُع العسر يسرأ * إن مع العسر يسرأ ﴾.

﴿٨ _ ١١ ﴾ ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً * أحد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ قد أحسن الله له رزقاً ﴾ بخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية، والقرون المكذبة للرسل أنَّ كثرتهم وقوتهم، لم تنفعهم (٣) شيئاً، حين جاءهم الحساب الشديد، والعذاب الأليم، وأن الله أذاقهم من

العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة، ومع عذاب الدنيا، فإن الله أعد لهم في الآخرة عذاباً شديداً، ﴿فَاتَقُوا اللهُ يا أولى الألباب أي: يا ذوى العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره، وأن الذي أهلك القرون الماضية بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم، لا فرق بين الطائفتين، ثم ذكر عباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه، الذي أنزله على رسوله محمد على، ليخرج الخلق من ظلمات الكفر والجهل والعصية، إلى نور العلم والإيمان والطاعة، فمن الناس من آمن به، ومنهم من لم يؤمن [به]، ﴿ومين يبؤمين بالله ويسمسل صالحاً ﴾ من الواجبات والمستحبات.

﴿ يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ فيها من النعيم المقيم، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾ [أي:] ومن لم يؤمن بالله ورسوله، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

﴿١٢﴾ ﴿الله اللذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [ثم] أخبر [تعالى] أنه خلَّق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن قيهن، وما بينهن، وأنزل الآمر، وهو الشرائع والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي يدبربها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى، وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك الظالمون المعرضون

[تم تفسيرها والحمد لله]

SERVICE IN SECURIOR SECTION إِيَّالَيُّهَا الَّذِيرَ عَامَنُوا تُوبُوا إِلَى الدَّوتُوبَةُ نَصُّومًا عَسَىٰ رَبُّكُمُ أَنْ ثُكُمَّةً عَنْكُمْ سَيْنَاتِكُوْ وَيُدْخِلَكُمْ خَنَّتِ تَحْيِفِينِ تَقِيَّهَا ٱلأَنْهَارُيُّومَ ٱلأَيْفَ زِي ٱللَّهُ النَّبِيِّ وَٱلَّذِيبَ وَامْوَا مَعَكُّمُ وْرُهُرْ يَسْتَى يَنْنَأَيْدِيهِ دُوبالْتُكَنِيةِ رَبَقُولُوكَ رَبُّنَا أَيْمُرُكَا وُرَيَا وَاعْفِرْ لِنَا أَأَنَكَ عَلَى كُلِ مَنْ وَقِيدً ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلْنَيْنَ جَعِدِ ٱلْكُفَّارَوَ ٱلْمُنظِيدِينَ وَأَغْلُظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَلَهُمْ جَهَا أَوْرِينُونَ الْمُصِيرُ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَنْ لَا لِلَّذِيبَ كَمْتُمُواْ أمرَ إِن وَمِ وَأَمْرَأَتَ لُولِ كَانْنَا غَنْ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا مَلِكَيْنَ فَنَانَنَاهُمَافَكُرْيُغُنِياعَنْهُمَامِنَ اللَّهِ مَسْيَنًا وَقِيلَ أَدْخُ لَا أَلْتَ ارْمَعَ أَلَدَّ خِلِينَ ۞ وَضَرَبَ ٱلْمَهُ مُشَكِلًا لِلَّذِينَ مَامَنُوا الْمُرْأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَيْن لِي عِندَكُ يَيْتُنَا فِي الْجَنْدَةِ وَتَجْنِي مِن فِرْعُوْثَ وَعَكَيْلِهِ ، وَغِينِهِ مِنَ الْفَوْمِ الفَلَامِينَ ۞ وَمَرْيَمُ ٱبْنَتَ عِعْرَاتَ ٱلْقَ أَحْسَنَتْ قَرْبَهَ كَافَنَفَخْنَافِيهِ مِن زُوجِنَا وَمَذَفَتْ بِكُلِنَاتِ رَبِّهَا وَكُنْ بِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِيْدِينَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY

تفسير سورة التحريم [وهي] مدنية

﴿١ _ ٥﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم *قدفرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأن العليم الخبير * إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائسات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً هذا عتاب من الله لنبيه محمد على نفسه سريته «مارية» أو شرب العسل، مراعاة لخاطر بعض زوجاته، في قصة معروفة، فأنزل الله [تعالى] هذه الآيات ﴿يا أيها النبي ﴾ أي: يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنبوة والوحى والرسالة ﴿ لم تحرم ما أحل الله لك من الطيبات التي أنعم الله بها عليك وعلى أمتك.

النو المنافعة المناف

خبتغي بذلك التحريم حموضاة أواجك والله ضفور رحيم هذا تصريح بأن الله قد غفر لرسوله، ورفع عنه اللوم، ورحمه، وصار ذلك التحريم الصادر منه سبباً لشرع حكم عام لجميع الأمة، فقال تعالى حاكماً حكماً عاماً في جميع الأيمان:

﴿قد فرض الله للكسم تحلة أيمانكم﴾ (١) أي: قد شرع لكم، وقدر ما به تنحل أيمانكم قبل الحنث، وما به الكفارة (٢) بعد الحنث، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا﴾ إلى أن قال: ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾.

من حرم حلالاً عليه، من طعام أو شراب أو سرية، أو حلف يميناً بالله، على فعل أو ترك، ثم حنث

أو أراد الحنث، فعليه هذه الكفارة المذكورة، وقوله: ﴿والله مولاكم﴾ أي: متولي أموركم، ومربيكم أحسن تربية، في أمور دينكم ودنياكم، وما به يندفع عنكم الشر، فلذلك فرض لكم تعلم ألمانكم، لتبرأ ذعكم، ﴿وهو العليم الحكيم﴾ الذي أحاط علمه بظواهركم وبواطنكم، وهو الحكيم في جيع ما خلقه وحكم به، فلذلك شرع لكم من الأحكام، ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، ومناسب لأحوالكم.

[وقوله:] ﴿ وَإِذْ أُسِرِ النَّبِي إِلَى بِعض أزواجه حديثاً ♦ قال كثير من المفسرين: هي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أُسَّرُّ لها النبي ﷺ حديثاً، وأمر أن لا تخبر به أحداً، فحدثت به عائشة رضى الله عنهما، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرَّفها ﷺ ببعض ما قالت، وأعرض عن بعضه، كرماً منه ﷺ وحلماً، في ﴿قالت ﴾ له: ﴿من أنبأك هذا﴾ الخبر الذي لم يخرج منا؟ ﴿قال نبِّأْنِ العليم الخبير ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية ، يعلم السر وأخفى، [وقوله:] ﴿إِن تَتُوبًا إِلَى اللهِ فقدصغت قلوبكما الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه ﷺ عائشة وحفصة رضي الله عنهما، كانتا سبباً لتحريم النبي على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما(۳) قد صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن، من الورع والأدب مع الرسول ﷺ واحترامه، وأن لا يشققن عليه، ﴿وإن تظاهرا

عليه اي: تعاونا (٤) على ما يشق

عليه، ويستمر هذا الأمر منكن،

﴿ فَإِنَ اللهُ هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه (٥٠)، فهو المنصور، وغيره ممن يناوئه مخذول (٢٠)، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه [الكريمة]، وخواص خلقه، أعواناً لهذا الرسول الكريم.

وهذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى، ثم خوفهما أيضاً بحالة تشق على النساء غاية المشقة، وهو الطلاق، الذي هو أكبر شيء عليهن، فقال: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ أى: فلا ترفعن عليه، فإنه لو طلقكن، لم يضق(٧) عليه الأمر، ولم يكن مضطراً إليكن، فإنه سيلقى (٨)، ويبدله الله أزواجاً خيراً منكن، ديناً وجمالاً، وهذا من باب التعليق الذي لم يوجد، ولا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهن، ولو طلقهن، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات، الجامعات بين الإسلام، وهو القيام بالشرائع الظاهرة، والإيمان، وهو: القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد وأعمال القلوب.

القنوت هو دوام الطاعة واستمرارها، ﴿تائبات﴾ عما يكرهه الله، فوصفهن بالقيام بما ﴿عَبه الله، والتوبة عما يكرهه الله، والتوبة عما يكرهه الله، وبعضهن أبكار، ليتنوع ﷺ فيما عنهن عبر، فلما سمعن رضي الله عنهن هذا التخويف والتأديب، بادرن إلى رضا رسول الله ﷺ، فكان هذا

⁽١) في ب: فقال تعالى: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ وهذا عامٌ في جميع أيمان المؤمنين.

⁽۲) فی ب: وما به تتکفر.

پ . (۳) فی ب: أن قلوبكما.

⁽٤) في ب: تتعاونا.

⁽٥) في ب: أنصاره.

⁽٦) في ب: وغيره أن يناوئه فهو مخذول.

⁽٧) في ب: لا يضيق.

⁽۸) فی ب: سیجد.

الوصف منطبقاً عليهن، فصرن أفضل نساء المؤمنين، وفي هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله على إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على أنهن خير النساء وأكملهن.

﴿٦﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون﴾ أي: يا من مَنَّ الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه.

ف ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل [والأولاد]، أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل (١) تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم عن هو تحت ولايته وتصرفه.

ووصف الله الناربهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره، فقال: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ كما قال تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون). ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ أي: غليظة أخلاقهم، عظيم (٢⁾ انتهارهم، يفزعون بأصواتهم، ويخيفون^(٣) بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمتثلون(٤) فيهم أمر الله، الذي حتَّم عليهم العذاب (٥) وأوجب عليهم شدة العقاب، ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويقعلون ما يؤمرون، وهذا فيه أيضاً مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به.

﴿٧﴾ ﴿يا أيها اللذين كفروا

لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي: يوبخ أهل الناريوم القيامة بهذا التوبيخ، فيقال لهم: ﴿يا أَيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ﴿ وَزَالَ نَفْعه، فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال، وأنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، والتكذيب بأياته، وعاربة رسله وأوليائه.

﴿٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيءً قدير﴾ قد أمر الله بالتوية النصوح في هذه الآية، ووعد عليها بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز والفلاح، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويشفقون إذا طفئت الأنوار، التي تعطي المنافقين، ويسألون الله، أنّ يتمم^(٢) لهم نورهم، فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما(٧) معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكل هذا من آثار التوبة النصوح.

والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجهه (^) والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله.

﴿٩﴾ ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واخلط عليهم ومأواهم جهنم وبنس المصير ﴾ يأمر [الله] تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم بإقامة الحجة [عليهم ودعوتهم] بالموعظة الحسنة (٩٠)، وإبطال

في ب: يتم.

في ب: بما.

(0)

(1)

ما هم عليه من أنواع النضلال، وجهادهم بالسلاح والقتال لمن أبى أن يبيب دعوة الله وينقاد لحكمه، فإن هذا يجاهد ويغلظ له، وأما المرتبة الأولى، فتكون بالتي هي أحسن، فالكفار والمنافقون لهم عذاب في الدنيا، بتسليط الله لرسوله وحزبه [عليهم و] على جهادهم وقتالهم، وعذاب النار في الآخرة وبئس المصير، الذي يصير إليها كل شقى خاسر.

﴿ ١٠ _ ١٢﴾ ﴿ ضرب الله مشلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين المذان المثلان اللذان ضربهما الله للمؤمنين والكافرين، ليبين لهم أن اتصال الكافر بالمؤمن وقربه منه لا يفيده شيئاً، وأن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً مع قيامه بالواجب عليه.

فكأن في ذلك إشارة وتحذيراً لزوجات النبي على عن المعصية، وأن اتصالهن به على لا ينفعهن شيئاً مع الإساءة، فقال:

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا أي: المرأتان ﴿ تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ وهما نوح ولوط عليهما السلام.

﴿فخانتاهما﴾ في الدين، بأن كانتا على غير دين زوجيهما، وهذا هو المراد بالخيانة، لا خيانة النسب والفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وما كان الله ليجعل امرأة أحد من أنبيائه

(١)

في ب: بالعذاب. (٨) في ب: إلا وجه الله.

⁽٩) كذا في ب، وفي أ: بإقامة الحجة

والموعظة الحسنة .

في ب: وفيمن يدخل.

⁽٢) في ب: شديد.

⁽٣) في ب: ويزعجون.

⁽٤) في ب: وينفذون.

بغياً، ﴿فلم يغنيا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عنهما﴾ أي: عن امرأتيهما ﴿من الله شيئاً وقيل﴾ لهما ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾.

﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) وهي آسية بنت مزاحم رضى الله عنها ، ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنُ لَيْ عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجّني من القوم الظالمين ﴾ فوصفها الله بالإيمان والتضرع لربهاء وسؤالها لربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن، ولهذا قال النبى ﷺ: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على ساثر الطعام». [وقوله:] ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ﴾ أي: صانته وحفظته عن الفاحشة، لكمال دیانتها، وعفتها، ونزاهتها.

﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ بأن نفخ جبريل [عليه السلام] في جيب درعها، فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم [عليه السلام]، الرسول الكريم والسيد العظيم.

وصدقت بكلمات ربها وكتبه وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، أي: المطبعين لله، المداومين على طاعته (١) بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضى الله عنها صديقة، والصديقية:

هي كمال العلم والعمل. تمت ولله الحمد

تفسير سورة الملك [وهي] مكية

﴿١ _ ٤ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور * الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاستا وهو حسيرم ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ أي: تعاظم وتعالى، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمته أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء، من الأحكام القدرية، والأحكام الدينية، التابعة لحكمته، ومن عظمته، كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسماوات

وخلق الموت والحياة أي: قدر لعباده أن يحيهم ثم يميتهم و ليبلوكم أيكم أحسن عملا أي: أخلصه وأصوبه، فإن (٢) الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء.

والأرض.

﴿وهو العزيز﴾ الذي له العزة كلها، التي قهربها جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات.

﴿الغفور﴾ عن المسيئين والمقصرين والمذنبين، خصوصاً إذا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم، ولو كانت

مل الدنيا، ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ أي: كل واحدة فوق الأخرى، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان، ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ أي: خلل ونقص.

وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات.

ولما كان كمالها معلوماً، أمر [الله] تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال:

﴿فارجع البصر﴾ أي: أعده إليها، ناظراً معتبراً ﴿هل ترى من فطور﴾ أي: نقص واختبلال، ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ والمراد بذلك: كثرة التكرار ﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ أي: عاجزاً عن أن يرى خللاً أو فطوراً، ولو حرص غاية الحرص.

ثم صرح بذكر حسنها، فقال:

(٥ ـ ١٠ ﴾ ﴿ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً
للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير *
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم
وبئس المصير * إذا ألقوا فيها سمعوا
لها شهيقاً وهي تفور * تكاد تميز من
الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم
خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من
وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في
أصحاب السعير *

أي: ولقد جملنا ﴿السماء الدنيا﴾ التي ترونها وتليكم، ﴿بمصابيع﴾ وهي النجوم، على اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكان سقفاً مظلماً، لا حسن فيه ولا جال.

ولكن جعل الله هذه النجوم زينة

طاعة الله.

⁽١) في ب: أي المداومين على (٢) في ب: وذلك أن.

للسماء [وجمالا]، ونوراً وهداية يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يحون كشير من النجوم فوق السماوات السبع، فإن السماوات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها، ﴿وجعلناها﴾ أي: المصابيح ﴿رجوماً للشياطين الذين يريدون استراق خبر السماء، فجعل الله هذه النجوم حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض، فهذه الشهب التي ترمى من السنجوم، أعدها الله في الدنيا للشياطين، ﴿وأعتدنا لهم﴾ في الآخرة ﴿عداب السعير ﴾ لأنهم تحردوا على الله، وأضلوا عباده، ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم، قد أعد الله لهم عذاب السعير، فلهذا قال: ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهب وبئس المصير) الذي يهان به أهله (⁽¹⁾ غاية الهوان، ﴿إذا ألقوا فيها ﴿ على وجه الإهانة والذل وسمعوا لها شهيقاً أي: صوتاً عالياً فظيعاً، ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ أي: تكاد على اجتماعها أن يفارق بعضها بعضاً، وتتقطع من شدة غيظها على الكفار، فما ظنّك ما تفعل بهم، إذا حصلوا فيها؟!! ثم ذكر توبيخ الخزنة لأهلها، فقال: ﴿كُلُّما أَلْقِي فَيِهَا فُوجِ سَأَلُهُم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾؟ أي: حالكم هذا واستحقاقكم النار، كأنكم لم تخبروا عنها، ولم تحذركم النذر منها، ﴿قالوا بلي قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير، فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله ولم يكفهم ذلك، حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم ضلالاً كبيراً، فأيُّ عناد وتكبر وظلم يشبه هذا؟

﴿ وقالوا ﴾ معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد: ﴿ لُو كِنَا نُسْمِعِ أُو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ فنفوا عن أنفسهم طرق الهدي، وهي السمع لما أنـزل الله، وجاءت بــه الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه على حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع [لهم] ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله علماً ومعرفة وعملاً.

والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم في الإيمان ـ بحسب ما منَّ الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختص بفضله من يشاء، ويمن على من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير.

قال تعالى عن هؤلاء الداخلين للنار، المعترفين بظلمهم وعنادهم:

﴿١١﴾ ﴿فاعترنوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾ أي: بُغْداً لهم وخسارة وشقاء.

فما أشقاهم وأرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، وكانوا ملازمين للسعير، التي تستعر في أبدانهم، وتطلع على أفئدتهم!

﴿١٢﴾ ﴿إِن اللَّذِينَ يُحَسُّونَ رَجِهِم بالغيب لهم مغفرة وأجرٌ كبير﴾ لما ذكر حالة الأشقياء الفجار، ذكر حالة السعداء الأبرار(٢)، فقال: ﴿إِن الذين يخشون ربهم بالغيب اي: في جميم أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلُّع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به^(٣)، ﴿لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم، وقاهم شرها، ووقاهم عذاب

وَأَسِرُوا وَلِكُوْ أَوَاجْهَرُواْ بِعِنَّالَهُ عَلِيمٌ بَذَاتِ ٱلصُّدُودِ ۞ ٱلْإِعَلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ ٱلْحَيْدُ ۞ هُوَّا لَّذِي جَعَلَ لَكُو ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَأَمْشُواْ فِي مَنَاكِهَا وَكُلُواْ مِن زَوْقِيَّةً وَالَّذِهِ ٱلنَّشُورُ ۞ ءَأَمِنتُهُمِّن فِي ٱلسَّمَآ إِنْ يَعْمِيفَ بِكُرُاۤ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِي مَّمُولُـ۞ أَمَّ أَيِنتُ مُنِّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْمِيلَ عَلَيْكُرُ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَدِيرِ ۞ وَلَقَدُكُذَبَ ٱلَّذِنَ مِن قَيْلِهِمْ فَكَيْفَكَانَ نَكِيرٍ ۞ أوَلَرْيَرَوْا إِلَى الطَلِيرِ وَوَقَهُ مُرصَلَفًاتٍ وَيَقْبِضَنَّ مَا يُسِكُمُنَّ إِلَّا الْزَحْنُ إِنَّهُ رُجُلَ إِنَّنَى مِبَعِيدٌ ﴿ أَمَّنْ هَاذَا الَّذِي هُوَجُدٌّ لَّكُو يَصُرُكُم مِن دُونِ الرَّحْنَرُ إِنَّ الْكَلْهُرُونَ إِلَّا فِي غُرُودٍ ۞ أَمَّنَ هَٰذَاٱلَّذِي يَرْزُقُكُرُ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بِلَ لَجُواْ فِي عُتُو وَنَعُورِ ﴾ أَفَن يَيْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِدِ ٓ أَهَدَىٰ أَمَّن يَنْدِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيرِ ٥ قُلْ هُوَالَّذِينَ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُوالسَّمْعَ وَالْأَبْسَرَوَالْأَقْيَّةَ قَلِيلاَمَاتَشَكُرُونَ ۞ قُلْهُوَالَّذِي ذَرَّأَكُمُ فِي ٱلْأَرْضِ وَالَّذِي تُحْتَرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَلَذَا ٱلْوَعَدُ إِن كُنْتُدْ صَلَدِ قِينَ ON SOLUTION OF THE PROPERTY.

الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعده الله لهم في الجنة، من النعيم القيم، والملك الكبير، واللذات [المتواصلات] والمشتهيات، والقصور [والمنازل] العاليات، والحور الحسان، والخدم والولدان.

وأعظم من ذلك وأكبر رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجنان (٤٠).

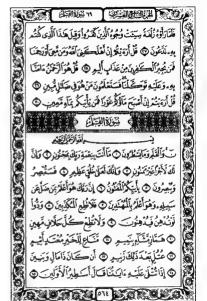
﴿ ١٤ ـ ١٤﴾ ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ هذا إخبار من الله بسعة علمه، وشمول لطفه، فقال: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به اي: كلها سواء لديه، لا يخفى عليه منها خافية، ف ﴿إِنَّهُ عليم بذات الصدور ﴿ أَي : بما فيها من النيات والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال، التي تسمع وترى؟!

ثم قال _مستدلاً بدليل عقلي على علمه -: ﴿ أَلا يعلم من خلق ﴾ فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ الذي لطف علمه وخبره، حتى أدرك السرائر والضمائر، والخبايا [والخفايا والغيوب]، وهو الذي ﴿يعلم السر

⁽٣) في ب: ولا يقصرون عمّا أمرهم (٤) في ب: الذي يحله على ساكني

في ب: التي يهان بها أهلها.

فى ب: ذكر وصف الأبرار **(Y)** السعداء .



وأخفى ومن معاني اللطيف، أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من [العبد] على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحاب الجللة، والمقامات النيلة.

﴿ ٩٥ ﴾ ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلو لا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ أي: هو الذي سخر لكم الأرض وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطبق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ أي: لطلب الرزق والمكاسب.

﴿وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾
أي: بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحاناً، وبلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم، وتحشرون إلى الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسيئة.

﴿17 ــ 17﴾ ﴿أأمنستم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف

نذير * ولقد كذّب الذين من قبلهم فكيف كان نكير * هذا تهديد ووعيد لمن استمر في طغيانه وتعدّيه، وعصيانه الموجب للنكال وحلول العقوبة، فقال: ﴿ المنتم من في السماء ﴾ وهو الله تعالى، العالى على خلقه.

﴿أَن يُخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ بكم وتضطرب، حتى تتلفكم وتهلككم(١٠).

﴿ أَمُ أَمْتُمُ مِن فِي السَّمَاءُ أَن يُرسَلُ عَلَيْكُمُ حَاصِباً ﴾ أي: عذاباً من السَّمَاء في حصبكم، وينتقم الله منكم ونستعلمون كيف نذير ﴾ أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب، فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن أمركم، سواء طال عليكم الزمان (٢) أو قصر، فإن من قبلكم، كذبوا كما قصر، فإن من قبلكم، كذبوا كما كذبتم، فأهلكهم الله تعالى، فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الذنوية قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم.

﴿١٩﴾ ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير﴾ وهذا عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها.

﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ فإنه اللذي سخر لهن الجو، وجعل أجسادهن وخلقتهن (٣) في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته على قدرة الباري وعنايته الربانية، وأنه الواحد الذي لا تنبغي العبادة إلا له، لا بكل شيء بصير﴾ فهو المدبر لعباده بما يليق بهم، وتقتضيه حكمته.

﴿٢١ _ ٢١﴾ ﴿أمَّن هذا الذي هو جندٌ لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور * أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور للعتاة النَّافرينُ عن أمره، المعرضين عن الحق: ﴿أمن هذا الذي هو جندٌ لكم ينصركم من دون الرحن ﴿ أَي: ينصر كم إذا أراد بكم الرحن سوءاً، فيدفعه عنكم؟ أي: من الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحين؟ فإنه تعالى هو الناصر المعز المذل، وغيره من الخلق لو اجتمعوا على نصر عبد، لم ينفعوه مثقال ذرة، على أيِّ عدوِّ كان ، فاستمرار الكافرين على كفرهم، بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحن، غرور وسَفَّةً.

﴿أَمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ أي: الرزق كله من الله، فلو أمسك عنكم رزقه، فمن الذي يرسله لكم؟ فإن الخلق لا يقدرون على رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟ فالرازق المنعم، الذي لا يصيب العباد نعمة إلا منه، هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ولكن الكافرون ﴿لموا﴾ أي: استمروا ﴿في عتو﴾ أي: قسوو عدم لين للحق ﴿ونفور﴾ أي: شرود عن الحق.

﴿٢٢﴾ ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾ أي: أيُ الرجلين غارقاً في الكفر قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلاً، والباطل حقاً؟ ومن كان عالماً بالحق، مؤثراً له، عاملاً به، يمشي على الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله؟ فبمجرد النظر وأعماله وجميع أحواله؟ فبمجرد النظر بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال.

﴿٢٦ ـ ٢٦﴾ ﴿قسل هسو السذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * قل هو

⁽۱) في ب: حتى تهلكوا وتتلفوا.

السني فرأكسم فسي الأرض وإليه تحشرون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ويقول تعالى مبيناً يقول تعالى مبيناً شكره، وإفراده بالعبادة من وقل هو اللذي أنشأكم أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مُظاهر، ولا أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفئدة، التي هي أنفع أعضاء البدن (1)، وأكمل القوى الجسمانية، ولكنه (7) مع هذا الإنعام الجسمانية، ولكنه (1) من هذا الإنعام منكم وقليلاً ما تشكرون الله، قليل منكم

﴿قل هو الذي ذراكم في الأرض﴾ أي: بثكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم، ونهاكم، وأسدى عليكم من النعم، ما به تنتفعون، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة، ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون ﴿ويقولون﴾ تكذيباً:

الشاكر، وقليل منكم الشكر.

﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا^(٣) بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد، فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخبر وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يعرف بأدلته، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك لمن ألقى السمع وهو شهيد.

(۲۷ - ۳۰) ﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون * قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجبر الكافرين من عذاب أليم * قل هو الرحن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مين * قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم خوراً فمن يأتيكم بماء معين يعني أن يحل تكذيب الكفار وغرورهم به حين كانوا في الدنيا، فإذا

كان يوم الجزاء، ورأوا العذاب منهم ﴿ وَلَفَهُ أَي: قريباً، ساءهم ذلك وأفظعهم، وقلقل أفئدتهم، فتغيرت لذلك وجوههم، ووبخوا على تكذيبهم، وقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون، فاليوم رأيتموه عياناً، وانجلي لكم الأمر، وتقطعت بكم الأسباب ولم يبق إلا مباشرة العذاب.

ولما كان المكذبون للرسول هي، النين] يردون دعوته، ينتظرون هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: أنتم (3) وإن حصلت لكم أمانيكسم (0)، وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافع لكم شيئاً، لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحقيتم العذاب، فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟ فإذا، تعبكم وحرصكم على هلاكي غير مفيد، ولا مجلم عنكم هشاأ

ومن قولهم، إنهم على هدي، والرسول على ضلال، أعادوا في ذلك وأبدوا، وجادلوا عليه وقباتلوا، فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم، وهو أن يقولوا: ﴿ آمنا به وعليه توكلنا الإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والطاهرة، ولما كانت الأعمال، وجودها وكمالها، متوقفةٌ على التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه كما قال تعالى: ﴿وعلى الله فتركلوا إن كنتم مؤمنين ﴿ فإذا كانت هذه حال الرسول وحال من اتبعه، وهي الحال التي تتعين للفلاح، وتتوقف عليها السعادة، وحالة أعدائه بضدها، فلا إيمان [لهم] ولا توكل، علم بذلك من هو على هدى، ومن هو في ضلال مبين.

سَنَيسُهُ عَلَا لَخُتِلُوهِ ۞ لَا لِتَوْنِعُ كَا لِلْوَا أَصَلَ ٱلْحِنَةِ إِذَا أَعْسَمُوا لَيَصْرِفُنَّهَا مُصِّيحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَنْفُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآبِتْ مِن رَّيَكَ وَحُمُّ نَأَيْمُونَ۞ فَأَصْعَتْ كَالصَّرِيمِ۞ فَنَادَوْأَمُصْبِعِينَ۞ أَنِ ٱغْدُواْعَلَىٰ مَوْكُمُ إِن كُنْمُ صَرِيعِينَ ۞ فَأَصْلَقُواْ وَهُمْ يَنْحَفَتُونَ۞ أَنَالًا يَدْخُلُتُهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ فِسْكِينُ۞ وَغَدَوْلُ عَلَ حَرْدِقَادِينَ۞ فَلْتَازَلُوهَا عَالْوَا أِنَا لَمَنَا لُونَ۞ بَلْ غَنُ عَرُومُونَ۞ عَالَأُوسَطُحُ أَلَا أَقُلُكُمُ لُوَلَا لَشَبَعُونَ ۞ قَالُواْسُتُهُ حَنَ رَيْنَا إِنَّاكُنَا طَلِينَ ۞ فَأَقِّلَ بَسْمُهُمْ عَلَ يَسْفِرَ تَلْوَمُونَ ۞ ۚ الْوَلِيْوَيْكَ أَإِنَّا كُمَّا عَلَيْهِينَ۞ عَسَىٰ رَبُّنَّا أَن يُبْدِلُنَا حَيْرُا وَنَهَمْ إِنَّا إِلَى رَبَّنَا زَغِنُونَ ۞ كَذَالِكَ ٱلْعَدَابُّ وَلَعَنَابُ الْآخِرَةِ أَحْبُرُ وَكَافُوا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ الْمُنَّقِينَ عِندَرَيْهِمْ جَنَّتِ ٱلنَّهِيرِ۞ أَفَيْمَالُ السِّلِينَ كَالْجُهِينَ۞ مَا لَكُو كَيْنَ تَعَكُّمُونَ۞ أَوْلُكُو كِنْتَ فِيهِ لَدُرْسُونَ ﴿إِنَّا لَكُونِهِ لِمَا تَغَيَّرُونَ ﴿ أَمْ لَكُو أَيْنَ عَلَيْنَ الْمِلْعَةُ إِلَّى يَوْمِ ٱلْقِينَمَةِ إِنَّ الْمُولَا اَعْتَكُمُونَ ﴿ سَلَهُمُ أَلَهُم بِذَالِكَ زَعِيمُ ۞ أَمْلُمُ مُشْرَكَكَةُ تَلْمَانُوا بِشُرَكَ إِيمَانُ كَانُوا مِنْدِ قِينَ ۞ الله عَمْ يَكُمُّنَفُ عَن سَانِي وَيُعْمَوْنَ إِلَى ٱلشُّجُودِ فَلَا يَسْتَعِلِيعُونَ ۞ DESCRIPTION OF THE PROPERTY

ثم أخبر عن انفراده بالنعم، خصوصاً بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حيّ، فقال: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ أي: غائراً ﴿فعن يأتيكم بماء معين﴾ تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفي أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى.

تمت ولله الحمد(٢)

تفسیر سورة ن وهي مکية

(١-٧) ﴿بسم الله السرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لاجراً غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأيكم المفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها [أنواع] العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على التي تستحق أن يقسم الله بها، على

٣) في ب: أن يخبروهم.

⁽٤) في ب: إنكم.

⁽٥) في ب: أمنيتكم.

 ⁽١) في ب: وهذه الثلاثة هي أفضل (٣) أعضاء البدن.

⁽٢) في ب: ولكنكم.

⁽٦) في ب: تم تفسير سورة الملك والحمد لله.

TA CALLES A CALLEST SECTION OF THE PARTY OF خَشْعَةُ أَصَدُهُ تَرْهَقُومُ ذَلَةً وَقَدْكَاهُ أَدْتَةً لَ إِلَى ٱلْتُعْدِدُوهُمْ سَالُهُ لَ فَذَرْنِ وَمَن يُكَذِّبُ بِهَاذَا ٱلْحَدِيثُ سَنَسْتَدُرِجُهُ مِنْ حَيْثُ لَايْغَلَمُونَ۞ وَأَمْلِي لَمُدُّ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ۞ أَمْ تَسْتَلُهُمْ أَمْرًا فَهُمْ مِن مَّغْرَمِ مُثَفَلُونَ ۞ أَرْعِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْثُبُونَ ۞ فَأَصْيرُ لِحُكْمِ رَيِّكَ وَلَاتَكُنْ كَصَاحِب ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَكُ وَهُومَكُظُومٌ ۞ لَّوْلَا أَن تَذَاكُمُهُوهُمَةٌ مِّن زَيْهِ النُّهُ ذَبِالْمُرَّاءِ وَهُوَمَذُمُومٌ ۞ فَأَجَلَبُهُ رَبُهُ فَعَلَهُ مِنَ الصَّلِحِينَ ۞ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ لَمَرُوا لَيُزَاهُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَنَاسَمِعُواْ الذِّكْرُوَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَجَنُونٌ ۞ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ٱلْعَلَمِينَ۞ الْ المعالمة المنافقة الماقة الماقة حانقال خزال يخبر الْحَافَةُ ۞ مَا ٱلْحَافَةُ ۞ وَمَا أَدْرَيْكَ مَا ٱلْحَافَةُ ۞ كُذَّتِكُ مُّودُ وَعَادُ إِلْقَارِعَةِ ۞ فَأَمَّا تَمُودُ فَأَهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَّةِ ۞ وَأَمَّا عَادُ كَأُهُ لِلْكُواْ بِرِيدِ مِسْرِضَ بِعَالِيَّةِ ۞ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَ الِ وَثَمَلِنِيَةً أَيْ الْمِحْسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَل المَّنْ الْمُعْمَرُ أَجْمَا رُغَفِل خَاوِيَةِ ۞ فَهَلْ تَرَى الْمُدَوِّنُ بَاقِيمُوْ

TO SEE ON SOME OF THE PARTY OF

براءة نبيه محمد على عانسبه إليه أعداؤه من الجنون، فنفى عنه الجنون(١١)، بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث منَّ عليه بالعقل الكامل، والرأى: الجزل، والكلام الفصل، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا، ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال: ﴿وإِنْ لَكَ لأجراً أي: عظيماً، كما يفيده التنكير، ﴿غير ممنون﴾ أي: [غير] مقطوع، بل هو دائم مستمر، وذلك لما أسلفه النبي على من الأعمال الصالحة، والأخلاق الكاملة، ولهذا قال: ﴿وَإِنْكُ لِعِلَى خُلُقَ عَظِيمٍ ﴾ أي: عالياً به، مستعلياً بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين [عائشة _ رضى الله عنها _] لمن سألها عنه، فقالت: «كان خلقه القرآن»، وذلك نحو قوله تعالى له: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم > [الآية]، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم الآيات وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه على بمكارم

الأخلاق، و [الآيات] الحاثّات على الخلق العظيم (٢)، فكان له منها أكملها وأجلّها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العلما، فكان على سهلاً ليناً، قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يجرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليساً له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولّا يطوى عنه بشرّهُ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ.

فلما أنزله الله في أعلى المنازل من جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه بجنون مفتون، قال: ﴿ فستبصر ويبصرون * بأيكم المفتون﴾ وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس [وشر الناس] (٣) للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي.

و ﴿ هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين و هذا فيه تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره.

﴿ ٨ ـ ٢ ٩ ﴾ ﴿ فلا تطّع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون * ولا تطع كل حلافِ مسهين * مماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعمد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير

الأولين * سنسمه على الخرطوم > يقول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿فلا تطع المكذبين الذين كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلاً لأن يطاعوا، لأنهم لا يأمرون إلا بما يوافق أهمواءهم، وهم لا يسريمدون إلا الباطل، فالطيع لهم مُقْدِمٌ على ما يضره، وهذا عام في كلُّ مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يسكت عن عيب الهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه، ولهذا قال: ﴿ودوا﴾ أي: المشركبون ﴿لوتلهن أي: توافقهم على بعض ما هم عليه، أما بالقول أو بالفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، ﴿فيدهنون ﴾ ولكن اصدع بأمر ألله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره بنقض ما يضاده، وعيب مايناقضه، ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب، ولا يكون كذاباً إلا وهو ﴿مهينَ﴾ أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة (٤) في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة . ﴿ مَمَازُ ﴾ أي : كثير العيب [للناس] والطعن فيهم (ة)، بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك.

﴿مشّاء بنميم﴾ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد ﴿منّاع للخير﴾ الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك، ﴿معتد﴾ على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض (٢) ﴿اليم﴾ أي: كثير الإثم والذبوب المتعلقة في حق الله تعالى ﴿عتلُ بعد ذلك﴾ أي: غليظ شرس الخلق قاس غير منقاد للحق ﴿زنيم﴾ أي: دَعِي، ليس له أصل و [لا] مادة

⁽٤) في ب: ليس له رغبة.

⁽٥) كذا في ب، وفي أ: في الناس.

⁽١) في ب: عنه ذلك.

⁽٢) في ب: على كل خلق جميل.

⁽٣) زيادة من هامش ب.

⁽٦) في ب: يظلمهم في دماثهم وأموالهم وأعراضهم.

ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زنمة أي: علامة في الشر يعرف بها.

وحاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيىء الأخلاق، خصوصاً الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر عن الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصى.

وهذه الآيات _وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره، لقوله عنه: ﴿أَن كَان دا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾أي: لأجل كشرة ماك وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها _ فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا

ثم توعد تعالى من جرى منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه على خرطومه(١) في العذاب، وليعذبه عذاباً ظاهراً، يكونَ عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه.

﴿١٧ ـ ٣٣﴾ ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾إلى آخر القصة يقول تعالى: إنا ً بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد، وطول عمر، ونحو ذلك، مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجاً لهم من حيث لا يشعرون(٢)، فاغترارهم بذلك نظير

اغترار أصحاب الجنة، الذين هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها وأينعت أشجارها، وآن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم وطوع أمرهم، [وأنه] ليس ثُمَّ مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سينصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها.

﴿فطاف صليها طائف من ربك﴾ أى: عـذاب نـزل عـليهـا ليلاً ﴿وهـم نائمون،فأبادها وأتلفها ﴿فأصبحتُ كالصريم اي: كالليل المظلم، ذهبت الأشبجار والشمار، هذا وهم لا يشعرون بهذا الواقع الملم، ولهذأ تنادوا فيما بينهم لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: ﴿أَفِدُوا عِلَى حَرِثُكُمُ إن كنتم صارمين * فانطلقوا) قاصدين له (٣) ﴿ وهم يتخافتون ﴾ فيما بينهم، ولكن بمنع حق الله، ويقولون: ﴿لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أي: بكروا قبل انتشار الناس، وتواصوا مع ذلك، بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون سِذا الكلام مخافتة، خوفاً أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء. ﴿وضدوا ﴾ في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة ﴿على حرد قادرين اي: على أمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها، ﴿فلما رأوها ﴾على الوصف الذي ذكر الله كالصريم، ﴿قالوا﴾من الحيرة والانزعاج. ﴿إنا لضالون ﴿[أي: تائهون] عنها، لعلها غيرها، فلما تحققوها، ورجعت إليهم عقولهم، قالوا: ﴿بل نحن محرومُون﴾منهأ، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة، ف ﴿قال أوسطهم أي: أعدلهم وأحسنهم طريقة: ﴿ أَلَّمُ أَقُلُ لَكُمْ لُولًا تَسْبِحُونَ ﴾ أى: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة،

فلولا استثنيتم فقلتم: «إن شاء الله»، وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئة الله، لما جرى عليكم ما جرى، فقالوا ﴿سبحان ربنا إنا كنا ظالمن أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعدما وقع العذاب على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندموا ندامة عظيمة، ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ♦فيما أجروه وفعلوه، ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين اي: متجاوزين للحدفي حق الله وحق عباده، ﴿عسى ربنا أنَّ يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾فهم رجوا الله أن يبدلهم خيراً منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلى الله، ويلحون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قالوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيراً منها، لأن من دعا الله صادقاً، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سُؤلُّه.

قال تعالى مبيناً (٤) ما وقع: ﴿ كَذَلْكُ السمنذاب﴾[أي:] الدنسيوي لمن أتبي بأسباب العذاب أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغي به وبغي، وآثر الحياة الدنيًّا، وأن يزيله عنه، أحوج ما يكون

﴿ولعذاب الآخرة أكبر ﴾ من عذاب الدنيا ﴿ لُو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فإن من علم ذلك، أوجب له الانرجار عن كل سبب يروجب العداب ويحل العقاب (ع).

﴿٤١ ـ ٤١) ﴿إِن لِلمتقين عند ربهم جنات النعيم * أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتابٌ فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان عليناً بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون * سلهم أيهم بذلك رعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركاتهم إن كانوا صادقين كغبر تعالى بما أعده للمتقين للكفر والمعاصي، من أنواع

(1)

(٥) في ب: كل سبب يوجب العقاب

في ب: معظماً. (1)

⁽٣) في ب: لها.

في ب: على الخرطوم. في ب: من حيث لا يعلمون. **(Y)**

ويحرم الثواب.

النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، وأن حكمت تعالى لا تقتضي أن يجعل المسلمين (()) القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين لمراضيه كالمجرمين الذين أوضعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، وعاربة أوليائه، وأن من ظن أنه يسويهم في الثواب، فإنه قد أساء الحكم، وأن حكمه حكم باطل، ورأيه (()) فاسد، وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون [ويتلون] أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا.

وليس لهم عند الله عهد ويمين بالغة إلى يوم القيامة أن لهم ما يحكمون، وليس لهم شركاء وأعوان على إدراك ما طلبوا، فإن كان لهم ضركاء وأعوان فليأتوا بهم إن كانوا صادقين، ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة، وقوله: ﴿سلهم أَيم بلك زعيم أِي : أيم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها ولا الزعامة فيها (٣).

يسجدون لله، طوعاً واختياراً، ويذهب الفجار والمنافقون ليسجدوا فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كمسياصي البقر، لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون فى الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة ولا الاعتذاريوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصى، و [يوجب] التدارك مدة الإمكان.

ولهذا قال تعالى ﴿٤٤ ٢٠٠﴾ ﴿ فَذُرِنِ وَمِنْ يَكُذُبُ بِهِذَا الْحَدِيثُ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملى لهم إن كيدي متين * أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون * فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم * لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصالحين * وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون * وما هو إلا ذكر للعالمين أي: دعني والمكذبين بالقرآن العظيم، فإن على جزاءهم، ولا تستعجل لهم، ف ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ♦فنمدهم بالأموال والأولاد، وتسمدهم في الأرزاق والأعمال، ليغتروا ويستمروا على ما يضرهم، فإن هذا من كيد الله لهم، وكيد الله لأعدائه، متين قوي، يبلغ من ضررهم وعنابهم فوق كلل مبلغ⁽¹⁾.

﴿أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون﴾ أي: ليس لنفورهم عنك، وعدم تصديقهم لما جئت به، سبب يوجب لهم ذلك، فإنك تعلمهم، وتدعوهم إلى الله، لمحض مصلحتهم، من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرماً يثقل عليهم.

﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ ما كان عندهم من الغيوب، وقد وجدوا فيها أنهم على حق، وأن لهم الثواب عند الله، فهذا أمر ما كان، وإنما كانت حالهم حال معاند ظالم، فلم يبق الما الصبر لأذاهم، والتحمل لما يصدر منهم، والاستمرار على دعوتهم، ولهذا قال: ﴿فاصبر لحكم ربك ﴾ أي: لما قلدري، يصبر على المؤذي منه، ولا يُتَلقَّى بالسخط والجزع، والحكم ولا يُتَلقَّى بالسخط والجزع، والحكم الشرعي، يُقابَل بالقبول والتسليم، والانقياد التام لأمره.

وقوله: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ وهو يونس بن متى، عليه الصلاة والسلام أي: ولا تشابهه في الحال التي أوصلته، وأوجبت له الانحباس في بطن الحوت، وهو عدم صبره على قومه الصبر المطلوب منه، وذهابه مغاضباً لربه، حتى ركب في البحر، فاقترع أهل السفينة حين ثقلت بأهلها أيهم يلقون لكي تخف بهم، فوقعت القرعة عليه، فالتقمه الحوت وهو مليم، [وقوله] ﴿إذْ نبادي وهو مكظوم)أي: وهو في بطنها قد كظمت عليه، أو نادي وهو مغتم مهتم، بأن قال: ﴿لا إِله إِلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين. فاستجاب الله له، وقذفته الحوت من بطنها بالعراء وهو سقيم، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، ولهذا قال هنا: ﴿ لُولا أَن تداركه نعمة من ربه لنبذ

⁽١) في ب: المتقين.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: ورأي.

⁽٣) في ب: بهذه الدعوى التي تبين بطلانها فإنه لا يمكن أحداً أن يتصدر بها، ولا يكون زعيماً فيها.

⁽٤) في ب: وعقوبتهم كل مبلغ.

بالعراء﴾ أي: لطرح في العراء، وهي الأرض الخالية ﴿وهـو مـذمـوم﴾ ولكن الله^(١) تغمده برحمته، فنبذ وهو ممدوح، وصارت حاله أحسن من حاله الأولى، ولهذا قال: ﴿فَاجِتُبَاهُ رَبُّهُ أي: اختاره واصطفاه ونقاه من كل كدر، . ﴿فجعله من الصالحين﴾ أي: الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، [وأحوالهم] فامتثل نبيناً محمد ﷺ أمر ربه، فصبر لحكم ربه صبراً لا يدركه فيه أحد من العالمين.

فجعل الله له العاقبة ﴿والعاقبة للمتقين ﴾ ولم يدرك أعداؤه فيه إلا ما يسوؤهم، حتى إنهم حرصوا على أن يزلقوه بأبصارهم أي: يصيبوه (٢) بأعينهم، من حسدهم وغيظهم وحنقهم، هذا منتهى ما قدروا عليه من الأذي الفعلي، والله حافظه وناصره، وأما الأذي القولى، فيقولون فيه أقوالاً، بحسب ما توحي إليهم قلوبهم، فيقولون تارة «مجنون»، وتارة اساحرًا، وتارة اشاعرا.

قال تعالى: ﴿وما هـ و إلا ذكر للعالمين أي: وما هذا القرآن الكريم، والذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم. تم تفسير سورة القلم، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الحاقة وهي مكية

﴿١ _ ٨﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم الحاقة * ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة * كلبت تسود وعباد بالقارعة *فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية *سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل

خاوية * فهل ترى لهم من باقية ﴾ ﴿ الحاقة ﴾ من أسماء يوم القيامة، لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبآت الصدور، فعظم تعالى شأنها وفخمه، بما كرّره من قوله: ﴿ الحاقة * ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة﴾ فإن لها شأناً عظيماً، وهولاً جسيماً، [ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل](٣)، ثم ذكر نموذجاً من أحوالها الموجودة فِي الدنيا المشاهدة فيها، وهو ما(٤) أحله من العقوبات البليغة بالأمم العاتية، فقال: ﴿كذَّبِتُ ثُمُودِ﴾ وهم القبيلة المشهورة، سكان الحجر، الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحاً عليه السلام، ينهاهم عما هم عليه من الشرك، ويأمرهم بالتوحيد، فردوا دعوته وكذبوه، وكذبوا ما أخبرهم به من يوم القيامة، وهي القارعة التي تقرع الخلق بأهوالها، وكذلك عاد الأولى، سكان حضرموت، حين بعث الله إليهم رسوله هوداً عليه الصلاة والسلام، يدعوهم إلى عبادة الله [وحده]، فكذبوه، وكذبوا بما أخبر (٥) به من البعث، فأهلك الله الطائفتين بالهلاك المعجل(٦): ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي انصدعت منها قلوبهم، وزهقت لها أرواحهم فأصبحوا موتى لا يُرى إلا مساكنهم وجئثهم، ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أي: قوية شديدة الهبوب، لها صُوت أبلغ من صوت الرعد [القاصف]، ﴿عَالِيهُ [أي:]عتت على خزانها، على قول كشير من المفسرين، أو عتت على عاد، وزادت على الحدكما هو الصحيح، ﴿سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً﴾ أي: نحساً وشراً فظيعاً عليهم، فدمرتهم وأهلكتهم، ﴿فترى القوم فيها

صرعي﴾ أي: هلكي موتي، ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ أي: كأنهم جذوع النخل التي قد قطعت رؤوسها الخاوية، الساقط بعضها على بعض، ﴿ فِهِل ترى لهم من باقية ﴾ وهذا استفهام بمعنى النفى المتقرر.

﴿ ٩٩ _ ١٢ ﴾ ﴿وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية * إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية ﴾ أى: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين، عاد وثمود، جاء غيرهم من الطغاة العتاة، كفرعون مصر، الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسى [ابن عمران] عليه الصلاة والسلام، وأراه من الآيات البينات، ما تيقنوا بها الحق، ولكن جحدوا وكفروا، ظلماً وعلواً، وجاء من قبله من المكذبين، ﴿والمؤتفكاتِ﴾ أي: قىرى قىوم لىوط، الجىمىيىع جاؤوا ﴿بِالخَاطِئةُ ﴾ أي: بالفعلة الطاغية، وهي(٧) الكفر والتكذيب، والظلم والمعاندة، وما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش (٨) والفسوق، ﴿فَعَصُوا رسول ربهم الله وهذا اسم جنس أي: كل من هؤلاء كذَّبَ (٩) الرسول الذي أرسله الله إليهم. فأخذ الله الجميع ﴿ أَحْدَةُ رَابِيةً ﴾ أي: زائدة على الحد والمقدار، الذي يحصل به هلاكهم، ومن جملة أولئك، قبوم نبوح، أغرقهم الله في اليم حين طغى [الماء عملي وجمه الأرض، وعملا عملي مواضعها الرفيعة .

وامتنَّ الله على الخلق الموجودين بعدهم أن الله حملهم ﴿ فَي الجارية ﴾ وهي السفينة في أصلاب آباتهم وأمهاتهم، الذين نجاهم الله، فاحمدوا الله واشكروا الذي نجاكم

كذا في ب، وفي أ: ومما. (1)

في ب: العاجل. (1)

في ب وأنكروا ما أخبر به. (0)

كذا في ب، وفي أ: ولكنه. (1)

كذا في ب، وفي أ: أي: **(Y)** يصيبوهم.

من هامش أ. (٣)

في ب: هو. (V)

في ب: المعاصي. (A)

نى ب: كذبوا. (٩)

حين أهلك الطاغين، واعتبروا بآياته الدالة على توحيده، ولهذا قال: والمراد النجعلها أي: الجارية، والمراد جنسها، لكم ﴿تذكرة﴾ تذكركم أول سفينة صنعت، وما قصتها، وكيف نجى الله عليها من آمن به واتبع رسوله، وأهلك أهل الأرض كلهم، فإن جنس الشيء مذكر بأصله.

وقوله: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ أي: تعقلها أولو الألباب، ويعرفون المقصود منها ووجه الآية بها.

وهـذا بـخـلاف أهـل الإعـراض والغفلة، وأهل البلادة وعدم الفطنة، فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله، لعدم وعـيـهـم عـن الله، وفــكـرهـم بآيات الله(١).

﴿ ١٣ ــ ١٨﴾ وقوله: ﴿فَإِذَا نَفْخَ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومنذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجاتها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ لما ذكر ما فعله تعالى بالمكذبين لرسله، وكيف جازاهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا، وأن الله نجّى الرسل وأتباعهم، كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي، وتوفية الأعمال كاملة يوم القيامة، فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة، وأن أول ذلك أنه ينفخ إسرافيل ﴿في الصور﴾ إذا تكاملت الأجساد نابتة، ﴿نفخة واحدة﴾ فتخرج الأرواح، فتدخل كل روح في جسدها، فإذا الناس قيام لرب العالمين.

﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحسدة﴾ أي: فستستست الجسبسال

واضمحلت، وخلطت بالأرض، ونسفت على الأرض، فكان الجميع قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، هذا ما يصنع بالأرض وما عليها، وأما ما يصنع بالسماء، فإنها تضطرب وتمور وتتشقق ويتغير لونها، وتهي بعد تلك الصلابة والقوة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها، وكرب جسيم هائل أوهاها وأضعفها.

﴿واللك﴾ أي: الملائكة الكرام ﴿على أرجائها﴾ أي: على جوانب السماء وأركانها، خاضعين لربهم، مستكينين لعظمته.

ويعمل عرش ربك فوقهم يومئذ شمانية أملاك في غاية القوة، إذا أتى للفصل بين العباد، والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله، ولهذا قال: ويومئذ تعرضون على الله ﴿لا تخفى منكم خافية ﴾ لا من أجسامكم وأجسادكم (٢)، ولا من أعمالكم السهادة.

ويحشر العباد حفاةً عُراةً عُرلاً، في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحيننذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء، فقال:

﴿ ١٩ - ٢٤ ﴾ ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ وهؤلاء هم أهل السعادة، يُعطَونَ كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم، تمييزاً لهم، ورفعاً لمقدارهم،

ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور، ومحبة أن يطلع الخلق على ما مَنَّ الله عليه به من الكرآمة: ﴿ هاؤهم اقرؤوا كتابيه أي: دونكم كتابي فاقرؤوه، فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب، والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما منَّ الله به على من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له، بالمكن من العمل، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ظننت أن ملاق حسابيه ﴾ أي: أيقنت، فالظن ــ هنا ــ[بمعنى] اليقين، ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي: جامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها، ولم يختاروا عليها غيرها. ﴿ فِي جنة عالية ﴾ المنازل والقصور، عاليَّة المحل. ﴿قطوفها دانية﴾ أي: ثمرها وجناها، من أنواع الفواكه، قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها، قياماً وقعوداً ومتكثين، ويقال لهم إكراماً: ﴿كلوا واشربوا﴾ أي: من كل طعام لذيذ، وشراب شَهي، ﴿ هنيئاً ﴾ أي: تاماً كاملاً، من غير مكدر ولا منغص.

وذلك الجزاء حصل لكم ﴿بما أسلفتم في الأيام الخالية من الأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة (٣) من صلاة، وصيام، وصدقة، وحج، وإحسان إلى الخلق، وذكر شه، وإنابة الله.

فالأعمال جعلها الله سبباً لدخول الجنة، ومادة لنعيمها، وأصلاً لسعادتها.

(٢٥ – ٣٧) ﴿ وأما من أوتي كتابه * بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عنى سلطانيه * خذوه فغلوه * ثم

⁽١) في ب: وتفكرهم بآياته.

⁽٢) في ب: لا من أجسادكم وذواتكم.

 ⁽٣) هكذا في المخطوطتين وقد جاءت جملة: (وترك الأعمال السيئة) بين جملة (الأعمال الصالحة) وتفصيل تلك الأعمال فصار في
الكلام نوع إيهام مما دفع إلى تأخير جملة: وترك. في الطبعات السابقة، وقد جعلت الكلام كما هو مع الإشارة إلى أنها جملة
معترضة.

ال وَسَاتَةِ وْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَٱلْمُؤْتِفِكُتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۞ فَعَصَوْاْرَسُولَ رَبَهِمْ فَأَخَذَهُ رَأَخَذَهُ زَارِيَةً ۞ إِنَا لَأَاطَعَ ٱلْلَاءُ مَمَ أَنْكُونِ ٱلْجَارِيَةِ ﴿ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُونَذَكِرَةَ وَتَعِيَّا أَذُنَّ وَعِيَّةٌ ۞ فَإِذَا نُفِحَ فِ ٱلصُّورِ ا نَفَخَةٌ وَعِدَةٌ ۞ وَمُلِتَ ٱلْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّا مَلَّا وَحِدَةً ۞ فَوْمَ إِذِ وَفَمَتِ ٱلْوَافِعَةُ ۞ وَأَنشَقَتِ ٱلسَّمَا ۗ فَوْمَ يُومَ إِن وَاهِيةٌ ۞وَٱلْمُلَكُ عَلَىٓ أَرْجَابِهِا ۚ وَيَحْمِلُ عَنْ مَن رَبِّكَ فَوْقَهُ مُوْمَ لِهِ مَّلَئِيدَةٌ ۞ يَوْمَهِ ذِنْتُمُهُونَ لَا غَنْنَ مِن كُرْخَافِيةً ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِ كِسَنَهُ بِيَمِينِهِ فَيْقُولُ مَا أَوْمُ أَقْرُهُ وَاكِتَلِيَّةُ ۞ إِنَّ طَنَنتُ أَنَّ مُلَقٍ حِسَايِيةُ ۞ فَهُوَ فِي عِيثَ وَزَانِهِ وَ۞ فِي جَنَّهُ عَالِكُونَ مُلُوفُهَا دَائِيَةٌ ۞ كُلُواْ وَاشْرَقُ الْمَيْتَنَا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَامِ آلْكَالِية ٥ وَأَمَا مَنْ أُوتِ كِنَبْتُه بِشِهَالِهِ ، فَيَقُولُ بَلَتِتَنِي أَرْ أُوتَكَبْيِهُ ۞ إِلَّ وَلَرَأَدُومَا حِسَابِية ۞ بَلَيْنَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَّة ۞ مَا أَغْفَاعَنِي ﴾ مَالِيَهُ۞ هَلَكَ عَنِي سُلطَنِيتُ۞ غُذُوهُ فَعُلُوهُ۞ ثُوَّا تُحَجِيهَ مَكُونُ وَتُوْسِلْسِلَةِ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَأَسْلُكُونُ ﴿ إِنَّهُ، كَانَ لَا يَوْمِنُ إِلَّهُ وَالْمُؤْمِدُ ۞ وَلَا يَشْشُ عَلَىٰ لَمُعَامِ لَلِسْكِينِ۞

DESCRIPTION OF STREET

رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين * وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين * وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم > أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل في ذلك كل الخلق، بل يدخل^(١) في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى، ، ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك، عدم إيمانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد ﷺ ، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمراً مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقاً، وأن ما جاء به تنزيل رب البعالمين، لا يبليق أن يبكسون قسول

يعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب، وواحسرة من له التوبيخ والعتاب، فإن السبب الذي أوصلته إلى هذا المحل: ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يؤمن بالله العظيم﴾ بأن كان كافراً بربه، معانداً لرسله، راداً ما جاؤوا به من الحق، ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم [من ماله]، ولا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه، وذلك لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى الخلق، بوجوه الإحسان، الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين، بإطعامهم ما يتقوتون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا، ﴿فليس له اليوم ها هنا ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ حيم ﴾ أي: قريب أو صديق يشفع له، لينجو من عذاب الله، أو يفوز بثواب الله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ ﴿ما للَّظالمين من حميم ولا شفيع يطاع).

وليس له طعامٌ إلا من غسلين وهو صديد أهل النار، الذي هو في غاية الحرارة، ونتن الريح، وقبح الطعم ومرارته لا يأكل هذا الطعام الذميم (إلا الخاطئون الذين أخطؤوا الصراط المستقيم، وسلكوا سبل الجحيم (٥)، فلذلك استحقوا العذاب الأليم.

﴿٣٨_ ٢٥﴾ ﴿فلا أقسم بما تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من

الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين * فليس له اليوم هاهنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون مؤلاء أهل الشقاء، يُعْطُونَ كتب أعمالهم السيئة(١) بشمالهم تمييزاً لهم وخزياً، وعاراً وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي(٢) : ﴿ يَا لَيْنَنِّي لَمْ أوت كتابيه لأنه يبشر بدخول النار، والخسسارة الأبديسة ، ﴿ وَلَمْ أَدْرُ مِنا اللَّهِ مِنا اللَّهُ مِنَا اللَّهُ مِنا اللّهُ مِنا اللَّهُ مِنا اللَّهُ مِنا اللَّهُ مِنا اللَّهُ مِنا اللّهُ مِنا اللَّهُ مِنا اللَّهُ مِنا اللَّهُ مِنا أَلَّهُ مِنا أَلّهُ مِنا أَلَّهُ مِنا أَلَّهُ مِنا أَلَّامِ مِنَا اللَّهُ مِنا أَلَّا مِنا أَلَّهُ مِنا أَلَّهُ مِنا أَلَّهُ مِنا أَلَّهُ مِنا أَل حسابیه ای: لیتنی کنت نسیاً منسیاً، ولم أبعث وأحاسب، ولهذا قال: ﴿يا ليتها كانت القاضية ﴾ أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها.

ثم التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه، لم يقدم منه لآخرته، ولم ينفعه في الافتداء من عذاب الله (٣) فيقول: ﴿مَا أَغْنَى عَنِي ماليه ﴾ أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئاً، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه.

﴿ هلك عني سلطانيه ﴾ أي: ذهب واضمحل، فلم تنفع الجنود الكثيرة، ولا الحداد الخطيرة (٤)، ولا الجاه المحريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأتراح، وحضر بدله الهموم والأتراح، فحينئذ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد: ﴿خُدُوه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد: ﴿خُدُوه فيقله عَلَم عَلى جمرها ولهبها، ﴿ثم في سلسلة على جمرها ولهبها، ﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً ﴾ من سلاسل المحيم في غاية الحرارة، ﴿فاسلكوه ﴾ أي: انظموه فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه، ويعلق فيها، فلا يزال

⁽١) في ب: كتبهم المشتملة على أعمالهم السيئة.

⁽٢) في ب: الحزن.

⁽٣) في ب: ولا ينفعه لو افتدى به من العذاب.

⁽٤) في ب: فلم تنفع الجنود ولا الكثرة ولا العَددُ ولا العِدَدُ.

⁽٥) في ب: وسلكوا كل طريق يوصلهم إلى الجحيم.

⁽٦) في ب: بل دخل.

البشر (۱) بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوه فوق عباده، وأيضاً، فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته فإنه لو تقول عليه (۱) وأيضاً، فإن هذا ظن منهم بما لا يليق وافترى (بعض الأقاويل) الكاذبة، الوتين) وهو عرق متصل بالقلب، إذا الوتين) وهو عرق متصل بالقلب، إذا انقطع، مات (۱) منه الإنسان، فلو قدر أن الرسول حاشا وكلا - تقول أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل أمن الله أباح له دماء من خالفه أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم وانباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك.

فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته، وقوله: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ أي: لو أهلكه، ما امتنع هو بنفسه، ولا قدر أحد أن يمنعه من عذاب الله.

(١) في ب: قولاً للبشر.

(٢) في ب: علينا.

(٣) في ب: هلك.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن الكريم ﴿لتذكرة للمتقن﴾ يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم، فيعرفونها، ويعملون عليها، يذكرهم العقائد الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكام السرعية، فيكونون من العلماء الربانيين، والعباد العارفين، والأئمة المهديين، ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ به، وهذا فيه تهديد ووعيد للمكذبين، فإنه سيعاقبهم على تكذيبهم بالعقوبة البليغة، ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ فإنهم لما كفروا به، ورأوا ما وعدهم به، تحسروا إذ لم يهتدوا به، ورأوا ما ينقادوا لأمره، فقاتهم الشواب، وحصلوا على أشد العذاب، وتقطعت وحصلوا على أشد العذاب، وتقطعت

﴿وإنه لحق اليقين﴾ أي: أعلى مراتب العلم ، فإن أعلى مراتب العلم ، النقين وهو العلم الثابت، الذي لا يتزلزل ولا يزول .

بهم الأسباب.

واليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى مما قبلها:

أولها: علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر.

ثم عين اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة البصر.

ثم حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة.

وهذا القرآن الكريسم، بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين.

﴿فسبِّح باسم ربك العظيم﴾ أي: نزهه عما لا يليق بجلاله، وقدسه بذكر أوصاف جلاله وجاله وكماله.

تم تفسير سورة الحاقة، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، على كماله وأفضاله وعدله.

تفسير سورة سأل سائل وهي مكية

﴿ ١ - ٧﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع * لكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خسين الف سنة * فاصبر صبراً جيلاً * إنهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً ﴾ يقول تعالى مبيناً + هل المعاندين، واستعجالهم لعذاب الله، استهزاء وتعنتاً وتعجيزاً:

﴿سأل سائل﴾ أي: دعا داع، واستفتح مستفتح ﴿بعذاب واقع * للكافرين﴾ لاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم ﴿ليس له دافع * من الله﴾ أي: ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل، من متمردي المسركين، أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله، وهذا حين دعا المشركين أخارث القرشي أو غيره من الخارث القرشي أو غيره من المشركين أن فقال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا مجارة من السماء أو انتنا بعذاب أليم﴾ إلى آخر الآيات.

فالعذاب لابدأن يقع عليهم من الله، فإما أن يعجل لهم في الدنيا، وإما أن يؤخر عنهم إلى الآخرة (^{٥)}، فلو عرفوا الله تعالى، وعرفوا عظمته، وسعة سلطانه، وكمال أسمائه وصفاته، لما استعجلوا ولاستسلموا وتأدبوا، ولهذا أخبر تعالى من عظمته ما يضاد أقوالهم القبيحة، فقال: ﴿ذَي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه ﴿ أي: ذو العلو والجلال والعظمة، والتدبير لساثر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها (١) على تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلُّها، برُّها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار، فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سمآء

- (٦) في ب: بما جعلها.
- هي ب: وإما أن يدَّخر لهم في الآخرة.

في ب: المكذبين.

إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فتحيّي ربها وتُسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام، والبر والإعظام.

وأما أرواح الفجار، فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها، وأعيدت إلى الأرض.

ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأنها تعرج وأعانها عليه من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير، مع أن تلك المسافة على السير، مع أن تلك المسافة على السيداء العروج إلى وصولها، ما حُد لها، وما تنتهي إليه من الملأ الأعلى، فهذا الملك العظيم، والعالم الكبير، علويه وسفليه، جميعه قد تولى خلقه وتدبيره، العلي الأعلى، فعلم أحوالهم وتدبيره، العلي الأعلى، فعلم أحوالهم ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته الظاهرة والباطنة، وعلم مستقرهم وبره ورزقه (٢)، ما عمهم وشملهم، وأجرى عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعى، وحكمه الجزائي.

فبؤساً لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم، وعافاهم ورزقهم.

هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية [الكريمة]، فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا.

اسپال ادول يدل على العداد، ويحتمل أن هذا في يوم القيامة، وأن الله تبارك وتعالى يُظهِرُ لعباده في يوم القيامة، من عظمته وجلاله وكبريائه، ما هو أكبر دليل على معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح، صاعدة ونازلة،

بالتدابير الإلْهية، والشؤون في الخليقة "".

في ذلك اليوم الذي مقداره خسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالى يخففه على المؤمن.

وقوله: ﴿فاصبر صبراً جميلاً أي: اصبر على دعوتك لقومك صبراً جميلاً، لا تضجّر فيه ولا ملل، بل استمر على أمر الله، وادع عباده إلى توحيده، ولا يمنعك عنهم ماترى من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم، فإن في الصبر على ذلك خيراً كثيراً، ﴿إنهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً ﴾ الضميرُ يعود إلى البعث، الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة والسكرة، حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يرآه قريباً، لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هو آت فهو قريب. ثم ذكر أهوال ذلك اليوم وما يكون

﴿٨ ـ ٨٨﴾ ﴿يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن * ولا يسأل حميم حميماً * يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميماً ثم ينجيه * كلا إنها لظى * نزاعة للشوى * تدعو من أدبر وتولى * وجم فأوعى﴾

فيه، فقال:

أي: ﴿يوم﴾ القيامة، تقع فيه هذه الأمور العظيمة فـ ﴿تكون السماء كالمهل﴾ وهو الرصاص المذاب، من تشققها، وبلوغ الهول منها كل مبلغ.

سقفها، وبلوع الهول منها كل مبلغ . ﴿ ٩ ﴾ ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ وهو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد ذلك هباء منثوراً، فتضمحل، فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد

يُرَمَّرُونَهُ مُ يُؤَدُّلُهُ مِ وَلَوْيَهُ مَدى مِنْ عَذَابٍ يَوْمِدٍ بِهِ بِينِيدِ وَ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ أَلَقَ أَتُوبِهِ۞ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعَاثُوَّ بُنجِيهِ ۞ كَلَّا أَنَهَا لَظَلَ ۞ زَّاتَةَ لِلَثَوَىٰ۞ لَنْعُواْ مَنْ أَدَبَرُ وَقُولًا ۞ وَجَمَعَ فَأُوعَى ۞ • إِنَّ الْإِسْنَنْ خُلِقَ هَلُوعًا @إذَامَتُهُ ٱلثَّنْمُ عِرُوعًا ۞ وَإِذَاتَتُهُ ٱلْمُعْرُمَنُوعًا ۞ إِلَّا ٱلْمُسَلِينَ۞ ٱلَّذِينَ هُرَعَلَى صَلَائِمُهُ ذَا يُونَ۞ وَٱلَّذِينَ فِي أَمْوَالِمَ حَقٌّ مَعَلُومٌ ۞ لِلسَّكَامِلِ وَلَلْتَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيُّومِ ٱلدِّينِ ۞ وَٱلَّذِينَ هُرِمِنَ عَلَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونِ۞ وَٱلَّذِينَ مُرْلِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ۞ إِلَّا عَلَيْٓ أَزْوَجِهِمْ أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْنُكُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُمَلُومِينَ ۞ فَيْنَ ٱبْتَغَيْ وَزَّتَهُ ذَالِكَ أَ فَأُوْلَئِكَ هُزُالْمَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتَهُمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُرِيشَهَ مَنتِهِمْ قَآمُونَ ۞ وَالَّذِينَ ثُمَّ ظَلَ سَكَنتِهُمْ يَافِظُونَ ۞ أُوَلَيْكَ فِجَنَّتِ مُكُومُونَ۞ فَالِ الَّذِينَ لَعَرُوافِيلَكَ مُعْطِعِينَ ۞ عَنِ ٱلْيَحِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۞ أَيَطْمَتُمُ كُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَجَنَّةَ نَعِيدٍ ۞ كَلَّا إِنَاخَلَلْنَاهُم مِمَّا يَعْلَمُونَ ۞ TO SECULO SECULO

الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟

أليس حقيقاً، أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟ ولهذا قال: ﴿ولا يسأل حميم حميما * يبصرونهم ﴾ أي: يشاهد الحميم، وهو القريب حميمه عن حاله، ولا فيما يتعلق بعشرتهم ومودتهم، ولا يهمه إلا نفسه، ﴿لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * ﴿لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته ﴾ أي: زوجته ﴿وأخيه * أي: التي جرت عادتها في الدنيا أن وقيامة، لا ينفع أحد أحداً، ولا يشفع أحد أحداً،

بل لو يفتدي [المجرم المستحق للعذاب] بجميع ما في الأرض ثم ينجيه لم ينفعه ذلك.

﴿كلا﴾ أي: لا حيلة ولا مناص لهم، قد حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون (٤)، وذهب نفع الأقارب والأصدقاء.

⁽١) في ب: تعرج فيها الملائكة والروح إلى الله.

⁽۲) في ب: وإحسانه.

⁽٣) في ب: والشؤون الربانية.

⁽٤) في ب: قد حقت عليهم كلمة ربك.

﴿إنها لظي * نزاعة للشوى، أي: للأعضاء الظاهرة والباطنة من شدة

﴿تسدعسو﴾ إليها(٢) ﴿من أدبر وتولى * وجمع فأوعى ﴾ أي: أدبر عن اتباع الحق وأعرض عنه، فليس له فيه غرض، وجمع الأموال بعضها فوق بعض وأوعاهاً، فلم ينفق منها فإن النار تدعوهم إلى نفسها، وتستعد للالتهاب

﴿١٩ _ ٣٥﴾ ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين في أموالهم حتٌّ معلوم * للسائل والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون * إن عذاب ربهم غير مأمون * والـذيـن هـم لـفـروجـهـم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعمهدهم راعون * والدين هم بشهاداتهم قائمون * والذين هم على صلاتهم يحافظون * أولئك في جنات

مكرمون، وهذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته الأصلية، أنه هلوع. وفسر الهلوع بأنه: ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضابما قضى الله، ﴿ وإذا مسه الخير منوعاً وللاينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء. ﴿إلا المصلين ﴾ الموصوفين بتلك الأوصاف، فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا.

وقوله: [في وصفهم] ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ أي: مداومون عليها في أوقاتها بشروطها ومكملاتها.

وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتاً دون وقت، أو يفعلها على وجه ناقص. ﴿والذين في أموالهم حق معلوم، من زكاة وصدقة ﴿للسَائلِ ﴾ الذي يتعرض للسؤال، ﴿والمحروم﴾ وهو المسكين الذي لا يسأل الناس فيعطوه، ولا يفطن له، فيتصدق عليه.

﴿والذين يصدقون بيوم الدين أي: يومنون بما أخبر الله به، وأخبرت به رسله، من الجزاء والبعث، ويتيقنون ذلك، فيستعدون للأخرة، ويسعون لها سعيها. والتصديق بيوم الدين، يلزم منه التصديق بالرسل، وبما جاؤوا به من الكتب.

﴿ واللَّذِينَ هِم مِن عَذَابِ رَجِم مشفقون﴾ أي: خائفون وجلون، فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله. ﴿إِن عذاب ربهم خير مأمون﴾ أي: هو العذاب الذي يحشى يحافظون، بمداومتها على أكمل ويحذر.

> ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ فلا يطؤون بها وطأ محرماً، من زنتى، أو لواط، أو وطع في دبر، أو حيض، ونحو ذلك، ويحفظونها أيضاً من النظر

إليها ومسها، ممن لا يجوز له ذلك، ويتركون أيضاً، وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة.

﴿ إِلَّا عَلَى أَزُواجِهِم أَوْ مَا مُلَكِّتُ أيمانهم ﴾ أي: سرياتهم ﴿فَإِنَّهُم غير ملومين، في وطئهن، في المحل الذي هو محل الحرث، ﴿فمن ابتغي وراء ذلك اي: غيس الزوجة وملك اليمين، ﴿فأولئك هم العادون ﴾ أي: المتــجـــاوزون مـــا أحـــل الله إلى مـــا حرم الله، ودلت هذه الآية على تحريم [نكاح] المتعة، لكونها غير زوجة مقصودة، ولا ملك يمين.

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، أي: مراعون لها، حافظونُ مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد عليه الخلق، فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه فلم يقم به؟ أ

﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريباً ولا صديقاً ونحوه، ويكون القصد بها^(٣) وجه الله.

قال تعالى: ﴿وأقيموا الشهادة شُ﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين).

﴿والسذيسن هــم عــلي صـــلاتهـــ وجوهها، ﴿أُولَئِكُ﴾ أي: الموصوفون بتلك الصفات ﴿في جنات مكرمون ﴾ أي: قد أوصل الله لهم من الكرامة والنعيم المقيم ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

في ب: تدعو إلى نفسها.

في ب: القصد بإقامتها.

في ب: أي: النار التي تتلظى تنزع من شدتها للأعضاء الظاهرة والباطنة .

وحاصل هذا، أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة، والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه، أحسن معاملة من إنصافهم، وحفظ عهودهم وأسرارهم (١٦)، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى.

﴿٣٩_٣٩﴾ ﴿نمال الذين كفروا قبلك مهطعين *عن اليمين وعن السمال عزين * أيطمع كل امرى، منهم أن يدخل جنة نعيم *كلا إنا خلقناهم بما يعلمون﴾ يقول تعالى، مبيناً اغترار الكافرين: ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ أي: مسرعين ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ أي: قطعاً متفرقة، وجاعات متوزعة (٢٠) كل منهم بما لديه فرح.

﴿أيطمع كل أمرىء منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ بأي: سبب أطمعهم، وهم لم يقدموا سوى الكفر، والجحود برب العالمين، ولهذا قال: ﴿كلا﴾ [أي:] ليس الأمر بأمانيهم، ولا إدراك ما يشتهون بقوتهم.

﴿إِنَا خَلَقْنَاهُم مما يعلمون﴾ أي: من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والتراثب، فهم ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

في المسلم برب المسلم برب المسلم برب المسلم و المغارب إنا لقادرون * على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون * يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون المغارب، للمسلم منه تعالى بالمشارق والمغارب، للمسمس والمقصر

والكواكب، لما فيها من الآيات الباهرات على البعث، وقدرته على تبديل أمثالهم، وهم بأعيانهم، كما قال تعالى: ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي: ما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده، فإذا تقرر البعث والجزاء، واستمروا على تكذيبهم، وعدم انقيادهم لآيات الله ﴿فَلَرَهُمْ يُحُوضُوا ويلعبوا اي: يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم. ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون يومهم (٣) الذي يوعدون، فقال: ﴿يُوم يخرجون من الأجداث﴾ أي: القبور، ﴿سراعاً﴾ مجيبين لدعوة الداعي، مهطعين إليها ﴿كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ أي: [كأنهم إلى عَلَم] يؤمون ويسرعون(١٤) أي: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام، بين يدي رب العالمين. ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ وذلك أن البذلة والقلق قد ملك قىلوبېم، واستولى على أفشدتهم، فخشعت منهم الأبصار، وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات. فهذه الحال والمآل، هو يومهم ﴿الذي كانوا يوعدون﴾ ولا بد من

تفسير سورة نوح عليه السلام وهي مكية

الوفاء بوعد الله [تمت والحمد لله].

﴿١ ـ ٢٨﴾ ﴿بسم الله السرحمين الرحمين الرحمين الرحمين الرحمين الرحمين قومك أن أنذر قومك إلى آخر السورة لم يذكر الله في المده السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك، فأخبر

في ب: اليوم.

في ب: ويقصدون.

(٣)

تعالى أنه أرسله (٥) إلى قومه، رحمة بهم وإنذاراً لهم من عذاب الله الأليم، خوفاً من استمرارهم على كفرهم، فيهلكهم الله هلاكاً أبدياً، ويعذبهم عذاباً سرمدياً، فامتثل نوح عليه السلام لذلك، وابتدر لأمر الله، فقال: ﴿يا قوم إنى لكم نذير مبين ♦ أي: واضح النذارة بيّنهاً، وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأي: شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بياناً شافياً، فأخبرهم وأمرهم بزبدة ما يأمرهم به (۲⁾، فقال: ﴿أَنْ أَعْبِدُوا أَلَّهُ وَاتَّقُوهُ﴾ وذلك بإفراده تعالى بالتوحيد والعبادة، والبعد عن الشرك وطرقه ووسائله، فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم، حصل لهم النجاة من العداب، والفوز بالشواب، ﴿ ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أي: يمتعكم في هذه الدار، ويدفع عنكم الهلاك إلى أجل مسمى أي: مقدر [البقاء في الدنيا] بقضاء الله وقدره [إلى وقت محدود]، وليس المتاع أبداً، فإن الموت لا بد منه، ولهذا قال: ﴿إِنْ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون لل كفرتم بالله، وعاندتم الحق، فلم يجيبوا لدعوته، ولا انقادوا لأمره، فقال شاكياً لربه: ﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلا فراراً أي: نفوراً عن الحق وإعراضاً، فلم يبق لذلك فائدة، لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه، ﴿وإن كلما دعوتهم لتغفر الهم الله أي: الأجل أن يستجيبوا، فإذا استجابوا، غفرت لهم، فكان هذا محض مصلحتهم، ولكنهم أبوا إلا تمادياً على باطلهم، ونفوراً عن الحق، ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم المحذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام، ﴿واستغشوا ثيابهم اي: تغطوا بها غطاء يغشاهم، بعداً عن الحق وبغضاً له، ﴿وأصرُوا﴾ على كفرهم وشرهم، ﴿واستكبروا﴾ على

⁽٥) في ب: أنه أرسل نوحاً.

⁽٦) في ب: وأمرهم بأصل ذلك.

⁽١) في ب: وحفظ حقوقهم وأماناتهم.

⁽٢) في ب: متنوعة.

الحق ﴿استكباراً﴾ فشرُّهم ازداد، وخيرهم بَعُدَ.

وشم إن دعوتهم جهاراً أي: بمسمع منهم كلهم، وثم إن أعلنت بمسمع منهم كلهم، وثم إن أعلنت حرص ونصح، وإتيانهم بكل باب يظن أن يحصل منه المقصود (۱)، وفقلت استغفروا ربكم أي: اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، واستغفروا الله منها.

﴿إنه كان غفاراً﴾ كثير المغفرة لن تاب واستغفر، فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب.

ورغّبهم أيضاً بخير الدنيا العاجل، فقال: ﴿ ورسل السماء عليكم مدرارا﴾ أي: مطراً متتابعاً، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد. ﴿ ويمددكم بأموال وبنين﴾ أي: يكثر أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وأولادكم، ﴿ ويجعل لكم جنات ويجمل لكم أنهاراً ﴾ وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها.

﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر، ﴿ وقد خلقكم أطوارًا ﴾ أي: خلقاً [من] بعد خلق، في بطن الأم، ثم في الرضاع، ثم الشباب، إلى الطفولية، ثم التمييز، ثم الشباب، إلى آخر ما وصل إليه الخلق^(۲)، فالذي انفرد بالخلق والتدبير البديع، متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد، وفي ذكر بلغاد، وأن الذي أنشأهم على الإقرار بالمعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم وقيم.

واستدل أيضاً عليهم بخلق السماوات التي هي أكبر من خلق الناس، فقال: ﴿ أَلْم تسروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا﴾ أي:

كل سماء فوق الأخرى، ﴿وجعل الشمر فيهن نوراً ﴾ لأهل الأرض ﴿وجعل الشمس سراجا ﴾.

ففيه تنبيه على عظم خلق هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى، ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾ حين خلق أباكم أدم وأنتم في صلبه، وثم يعيدكم فيها) عند الموت (ويخرجكم اخراجاك للبعث والنشور، فهو الذي يملُّك الحياة والموت والنشور، ﴿والله جعل لكم الأرض بساطا ﴾ أي: مبسوطة مهيأة للانتفاع بها، ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾ فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكنهم حرثها وغرسها وزرعها، والبناء، والسكون على ظهرها.

﴿قال نوح﴾ شاكياً لربه: إن هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجع فيهم ولا أفاد: ﴿إنهم عصوني﴾ فيما أمرتهم به ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾ أي: عصوا الرسول الناصح اللذال على الخير، واتبعوا الملأ والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولاهم إلا خساراً أي: هلاكاً وتفويتاً للأرباح، فكيف بمن انقاد لهم

وأطاعهم؟! ﴿ ومكروا مكراً كبارا﴾ أي: مكراً كبراً بليغاً في معاندة الحق. ﴿ وقالوا﴾ لهم داعين إلى الشرك مزينين له: ﴿ لا تنذرن آلهتكم ﴾ فدعوهم إلى التعصب على ما هم عليه من الشرك، وأن لا يدعوا ما عليه فقالوا: ﴿ ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ وهذه أسماء يغوث ويعوق ونسرا﴾ وهذه أسماء لقومهم أن يصسوروا صورهم، لينشطوا _ بزعمهم _ على الطاعة إذا

رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصى رؤساؤهم للتابعين لهم، أن لا يدعوا عبادة هذه الآلهة (٣).

وقد أضلوا كشيراً أي: وقد أضل الكبار والرؤساء بدعوتهم كثيراً من الخلق، ﴿ولا ترد الظالمين إلا ضلالهم عند دعوتي إياهم بحق، لكان مصلحة، ولكن لا يزيدون بدعوة الرؤساء إلا ضلالاً أي: فلم يبت محل لنجاحهم ولا لصلاحهم، ولهذا ذكر الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية، فقال:

﴿ عَا خطيئاتهم أَفَرقوا ﴾ في اليم اللذي أحاط بهم ﴿ فأدخلوا ناراً ﴾ فذهبت أجسادهم في الغرق، وأرواحهم للنار والحرق، وهذا كله نسبب خطيئاتهم، التي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها، ويخبرهم بشؤمها ومغبتها، فرفضوا ما قال، حتى حل بهم النكال، ﴿ فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴾ ينصرونهم حين نزل بهم الأمر الأمر، ولا أحد يتقدر يعارض القضاء والقدر.

وقال نوح رب لا تذرعلى الأرض من الكافرين ديارا پدورعلى وجه الأرض، وذكر السبب في ذلك، فقال: ﴿إِنْكَ إِنْ تَذْرِهِم يَضْلُوا عِبَادِكُ فِقَالَ: ﴿إِنْكَ إِنْ تَذْرِهِم يَضْلُوا عِبَادِكُ بِقَاوْهِم مُصْدَة محضة، لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح - عليه السلام - ذلك، لأنه مع كثرة خالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته (٤)، فأغرقهم أجمعين، ونجى نوحاً ومن معه من المؤمنين.

﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل

⁽١) في ب: بكل طريق يظن به حصول المقصود.

⁽٢) في ب: ثم إلى آخر ما يصل إليه الخلق.

⁽٣) في ب: هذه الأصنام.

⁽٤) في ب: فلهذا استجاب الله له دعوته.

بيتي مؤمناً ﴾ خص المذكورين لتأكد حقهم وتقديم برهم، ثم عمم الدعاء، فقال: ﴿وللمؤمنين والمؤمنات، ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ أي: خساراً ودماراً و هلاكاً .

[وألحمد الله]

تفسير سورة قل أوحي إلي [وهي] مكية

﴿١ - ٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الحن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ أي: ﴿قُلْ ﴾ يا أيها الرسول للناس ﴿أُوحِي إِلَى أَنَّهِ استمع نَفْرِ مِنِ الْحِنِ﴾ صرفهم الله [إلى رسوله] لسماع آياته، لتقوم عليهم الحجة، [وتتم عليهم النعمة] ويكونوا نذراً (١^{١)} لقومهم.

وأمر الله رسوله، أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا، فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، ﴿فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا ﴿ أَي : من العجائب الغالية، والمطالب

﴿٢﴾ ﴿يهدى إلى السرشد ﴾ والرشد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم، ﴿ فَأَمِنا بِهِ وَلَنْ نَشْرِكُ بِرِبِنا أَحِدا ﴾ فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى، [المتضمنة لترك الشر] وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد

واجتناب المضار، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبنى على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف تم تفسير سورة نوح عليه السلام ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة، ﴿وأنه تعالى جد ربنا ﴾ أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه، ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾ فعلموا من جد الله وعظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولداً، لأن له العظمة الكمال(٢) في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والوَّلد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغني.

﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا ﴿ أَي : قُولًا جِائِراً عِن الصواب، متعدياً للحد، وما حمله على ذلك إلا سفهه وضعف عقله، وإلا فلو كان رزيناً مطمئناً لعرف كيف يقول.

﴿٥﴾ ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا الله : كنا مغترين قبل ذلك، وغرنا القادة (٣) والرؤساء من الجن والإنس، فأحسنا بهم الظن، وظنناهم (٤) لا يتجرؤون على الكذب على الله، فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم، فاليوم إذ بان لنا الحق، رجعنا إليه (٥)، وانقدنا له، ولم نبال بقول أحد من الناس(٦) يعارض الهدى .

﴿٦﴾ ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ أي: كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزاع(٧)، فزاد الإنس الجن رهقا أى: طغياناً وتكبراً، لما رأوا الإنس

الرُّبِيلِ السَّمَاءَ عَلِيَكُمْ مِنْدَرَادًا ۞ وَتُحْدِذُكُمْ مَأْمُولُ وَيَهَى وَيَحْعَل لَكُوْجَنَّتِ وَيَجْعَلِ لَكُو أَلْبَارُ۞ مَّا لَكُو لَازْجُونَ بِنِّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمُ أَطْوَارًا۞ أَلَوْتَرَوْاْكَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَوَتِ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ ٱلْقَدَمَ فِيهِنَ ثُورًا وَجَعَلَ الثَّمْ يَرَاجًا ۞ وَاللَّهُ أَلَيْتَكُوْمِنَ ٱلْأَرْضِ نَهَافًا۞ تُرُّهُمُ ذُكُوفِهَا وَيُخْفِيكُوا فِزَلِيمًا الله وَاللَّهُ مَعَلَلُكُوا لَأَصْ بِسَاطًا ۞ لِتَسْلُحُوا فِينَا سُمُلًا فِجَاجًا ﴾ قَالَ فُوحٌ زَبِ إِنَّهُ مُعَصَوْفٍ وَأَنَّبَعُواْ مَن لَّهُ كِنْ وَمُعَالُهُ ﴾ وَوَلَدُهُۥ إِلَّاحْسَازَا۞ وَمَكُرُواْمَكُواكِتُبَارَا۞ وَقَالُوا لَاَمْذُرُنَّ ءَالِهَتَكُوُّ وَلَاتَذَرُنَّ وَذًا وَلَاسُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿ وَقَدْ أَضَالُواْ صَحَيْدِاً وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّاصَالَا ﴿ تتما خطيتنه م أغمة وا فأذخ أوانازا فلزيج دُوا لَمَدُمِن دُونِ اللهِ أَنْصَارًا ۞ وَقَالَ نُوْحُ زَنِ لَاتَذَرْعَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَفِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرُّهُ مُرْيُضٍ أُواْعِبَ أَدَكَ وَلَا يَلِدُ وَالْإِلَا فَاحِرًا كَفَّارًا ۞ زَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلَوْلِا نَّى وَلِعَن دَخَلَ يَبْتِي مُؤْمِثُ ا مُّ اللَّهُ وَلِلْمُوْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَلَانْزِوالظَّلِمِينَ إِلَّابَارُاهِ THE STATE OF THE S

يعبدونهم، ويستعيذون بهم، ويحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو (٨٦) أي: زاد الجن الإنس ذعراً وتخويفاً لما رأوهم يستعيذون بهم، ليلجئوهم إلى الاستعادة بهم، فكأن الإنسى إذا نزل بواد محوف، قال: «أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء

﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ﴾ أي: فلما أنكروا البعث، أقدموا على الشرك والطغيان.

﴿وأنا لمسنا السماء ﴾ أي: أتيناها واختبرناها، ﴿فُوجِدْنَاهَا مُلَّنْتُ حُوسًا شديداً ﴾ عن الوصول إلى أرجائها [والدنو منها]، ﴿وشهبا ﴾ يرمي بها من استرق السمع، وهذا بخلاف عادتنا الأولى، فإنا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء.

﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله، ﴿ فَمِن يستمع الآن يجدله شهاباً

⁽¹⁾ في ب: منذرين لقومهم.

في ب: والجلال. (٢)

⁽٣) في ب: عزتنا السادة والرؤساء.

فی ب: وحسبناهم. (1)

في ب: سلكنا طريقه. (٥)

في ب: من الخلق. (T)

في ب: كان الإنس يعوذون بالجن عند المخاوف والأفزاع، ويعبدونهم. (V)

في ب: ويحتمل أن الضمير وهي الواويرجع إلى الجن. (A)

النظائية ال

A DESCRIPTION OF SECOND

رصداً إلى: مرصداً له، معداً لإتلافه وإحراقه أي: وهذا له شأن عظيم، ونبأ جسيم، وجزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حادثاً كبيراً، من خير أو شر، فلهذا قالوا: ﴿وأنا لا بعرى أشراً أريد بعن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا أي: لا بد من هذا أو هذا، لا نهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيراً أنكروه، فعرفوا بفطنتهم، أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدباً مع الله.

﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك أي: فساق وفجار وكفار، ﴿كنا طرائق قددا ﴾ أي: فرقاً متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون.

وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله، فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه، فوأنا لما سمعنا الهدى وهو القرآن الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم،

وعرفنا هدايته وإرشاده، أثَّر في قلوبنا فـ ﴿آمنا به﴾ .

ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا: ﴿فمن يؤمن بربه﴾ إيماناً صادقاً ﴿فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾ أي: لا نقصاً ولا طغياناً ولا أذى يلحقه (١)، وإذا سلم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير وانتفاء كل شر.

﴿وأنا منا المسلمون ومنا المقامون أي: الجائرون، العادلون عن الصراط المستقيم.

﴿فمن أسلم فأولتك تحروا رشدا﴾
أي: أصابوا طريق الرشد، الموصل لهم إلى الجنة ونعيمها، ﴿وأسا القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ وذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله للهم، فإنهم ﴿لو استقاموا على الطريقة﴾ المثل ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ أي: هنيئاً مريئاً، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم وعدوانهم. ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم، ليظهر الصادق من الكاذب.

﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا﴾ أي: من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه ويئقد له، بل غفل عنه ولهي، يسلكه عذاباً صعداً أي: شديداً بليغاً.

﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً﴾ أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، فإن المساجد التي هي أعظم عال العبادة، مبنية على الإخلاص لله، والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته، ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ أي: يسأله ويتعبد له ويقرأ القرآن كاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه لبدا أي: متلبدين متراكمين، حرصاً على سماع ما جاء به من الهدى.

﴿قل﴾ لهم يا أيها الرسول، مبيناً حقيقة ما تدعو إليه:

﴿إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ﴾ أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذه المشركون من دونه.

﴿ قَـل إِنِي لا أمـلـك لـكـم ضـراً ولا رشداً﴾ فإني عبد ليس لي من الأمر ولا من التصرف شيء.

﴿٢٢﴾ ﴿قل إنّ لن يجيرني من الله احد﴾ أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عداب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضرأ ولا يمنع نفسه من الله [شيئاً] إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى، ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ أي: ملجأ ومنتصراً ليس لي مزية على الناس، إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إلى الله، وبهذا (٢) تقوم الحجة على الناس.

ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة.

وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي رائعة وأجمع عليه سلف الأمة.

وحتى إذا رأوا ما يوحدون أي: شاهدوه عياناً، وجزموا أنه واقع بهم، ونسيعلمون في ذلك الرقت حقيقة المعرفة ومن أضعف نباصراً وأقبل صدداً حين لا ينصرهم غيرهم ولا أنفسهم ينتصرون، وإذ يحشرون فرادى كما خلقوا أول مرة، وقل لهم إن سألوك [فقالوا] «متى هذا الوعد»؟: فإن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا أي: غاية طويلة، فعلم ذلك عند الله، ﴿عالم الغيب فلا يظهر علم الضمائر والأسرار والغيب، ﴿إلا علم الضمائر والأسرار والغيب، ﴿إلا علم الضمائر والأسرار والغيب، ﴿إلا

⁽١) ۚ في ب: فقالوا: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسأ ولا رهقاً﴾ أي: من آمن به إيماناً صادقاً فلا عليه نقص ولا أذى يلحقه.

⁽٢) في ب: ودعوة خلقه إليه وبذلك.

عدداکه .

من ارتضى من رسول♦أي: فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحداً من الحلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا(١) يزيدوا فيه أو ينقصوا، ولهذا قال: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الهأي: يحفظونه بأمر الله؛ ﴿ليعلم ﴾ بذلك ﴿أَنْ قِد أَبِلْغُوا رسالات ربهم ﴾ بما جعله لهم من الأسباب، ﴿وأحاط بما لديهم اي: بما عندهم، وما أسروه وأعلنوه، ﴿وأحصى كل شيء

وفي هذه السورة فوائد كثيرةً:

منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة .

ومنها: أن رسول الله عظرسول إلى الجن ، كنمنا هنو رسول إلى الإنس(٢٠) ، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحي إليه ويبلغوا قومهم.

ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم .

ومنها: اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض وأهلها رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدا، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج

له القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول ﷺ، وتراكمهم عليه.

ومنها: أن هذه السورة، قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأنّ كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمداً على، إذا كان لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط^(٣) اتخاذ من هذا وصفه إلهاً [آخر]

ومنها: أن علوم الغيب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصه^(٤) بعلم شيء منها.

> تم تفسير سورة قل أوحى إلي، وله الحمسد(٥)

تفسير سورة المزمل [وهي] مكية

﴿١١- ١١﴾ ﴿بسسم الله السرحسن الرحيم يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً * إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً * إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قيلاً * إن لك في النهار سبحاً طويلًا * واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكبيلاً * واصبر على ما يقولون واهبجرهم هبجراً جميلاً * وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا) المزمل: المتغطى بثيابه كالمدثر، وهذا

وَأَنَّامِنَا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَلِيطُونَّ فَمَنْ أَسْلَهُ فَأُولَاكَ تَحْزَوْا أً رَشَدًا ۞ وَأَمَّا ٱلْقَلِيطُونَ فَكَ الْوَلِيمَةُ وَعَلَاكُ وَأَلِّوانَسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقِيةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَّانَّا عَدَقًا ﴿ لِنَفْيِنَ الْحُرْ فِيهْ وَمَن يُعْهِمْ عَن ذِكْرِ رَبِهِ عِسَلُكُ عُذَابًا صَعَكُ كَانَا وَاسَعَكُ كَانَ وَأَنَّ ٱلْمَنَجِدَيِنَّهِ فَلَاتَدْعُواْ مَعَالَتِهِ أَحَدًا۞ وَأَنَّهُ فَتَاقَامَ عَبْدُاللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَاتِ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلِآ النَّهِ فِيهِ : أَحَدًا ۞ قُلْ إِنَّ لاَ أَمْلِكُ لَكُوْمَرًّا وَلِارَ شَدَا ۞ قُلْ إِنِّ الَن يُجِيرَ فِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدُّ وَلَنَّ أَجِدَ مِن دُونِهِ مِمُلْتَحَدَّا ۞ إِلَّا بَلَغَا مِنَ ٱللَّهِ وَرِسَكَلَيْهِ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ فَإِنَ لَهُ مَارَجَهَ خَر خليدي فيها أبدًا حَنَّ إذَا رَأُواْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعَكُونَ مَنْأَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَكَدُنَا ۞ قُلُ إِنْ أَدْرِعَ ۖ أَقِيبٌ مَّا وْ تُوَعَدُونَ أَمْ يَعِمَلُ لَمُرَدِّ أَمَدًا ﴿ عَلِمُ ٱلْغَيْبِ مَلَا يُطْهِرُ ا عَلَىٰ غَيْدِهِ مَا لَحَدُا ۞ إِلَّا مَنِ ٱدْتَصَىٰ مِن زَّسُولِ فَإِنَّهُ يَسَلُّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ مِنْ مَلَدًا ۞ لِيَعْلَمُ أَنْ هَذَا لَلْمُؤْلُوسَكَلْتِ إِنَّهُ مُر وَأَحَاظُ بِمَالَّذِهُمْ وَأَحْمَىٰ كُلِّ فَيْ وِعَلَمًا ۞ TO BE STORE OF THE SECOND

الوضف حصل من رسول الله ﷺ حين أكرمه الله برسالته، وابتدأه بإنزال [وحيه بإرسال] جبريل إليه، فرأي أمراً لم ير مثله، ولا يقدر على الثبات له إلا الرسلون، فاعتراه في ابتداء ذلك(٢) انزعاج حين رأى جبريل عليه السلام، فأتى إلى أهله، فقال: «زملوني زملوني» وهو ترعد فرائصه، ثم جاءه جبريل، فقال: «اقرأ»، فقال: «ما أنا بقارىء»، فغطه حتى بلغ منه الجهد، وهو يعالجه على القراءة، فقرأ ﷺ،ثم ألقى الله عليه الثبات، وتابع عليه الوحى، حتى بلغ مبلغاً ما بلغه أحد من المرسلين.

فسبحان الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته ونهايتها، ولهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول

فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر على أذية أعداثه(٧٧)، ثم أمره بالصدع بأمره، وإعلان دعوتهم إلى الله، فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي السملة، وبآكد الأوقيات

في ب: من غير أتن تقر به الشياطين فلا. (1)

⁽Y) في ب: مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس.

في ب: من الخطأ والظلم. (٣)

في ب: واختصه. **(£)**

في ب: تم تفسيرها والحمد لله رب العالمين. (0)

⁽٦) في ب: فاعتراه عند ذلك.

في ب: على أذية قومه. **(V)**

** التنظيفات المنطقة ا

وافضلها، وهو قيام الليل .

ومن رحمته تعالى، أنه لم يأمره بقيام الليل كله، بل قال: ﴿قم الليل إلا قليلا﴾ ثم قدر ذلك، فقال: ﴿نصفه أو انقص منه ﴾ أي: من النصف ﴿قليلا﴾ بأن يكون الثلث ونحوه ﴿أو زد عليه ﴾ أي: على النصف، فيكون الثلثن ونحوه ﴿

ورثل القرآن ترتيلا فإن ترتيل القرآن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، فإنه قال: وإنا سنلقي حليك قولاً ثقيلا أي: نوحي إليك هذا القرآن الثقيل أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يتهيأ له، ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه. ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل، فقال: ﴿إِن ناشئة الليل ﴾ أي: الصلاة قيله بعد النوم ﴿هي أشد وطأ وأقوم قيم بعد النوم ﴿هي أشد وطأ وأقوم قيما للقرآن، يتواطأ على القرآن (٢) القلب واللسان، وتقل الشواغل،

ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره، وهذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود (٣)، ولهذا قال: ﴿إِنْ لَكُ فِي النهار سبحاً طويلا﴾ أي: تردداً على حواتجك ومعاشك، يوجب اشتغال القلب، وعدم تفرغه التفرغ التام، ﴿واذكر السم ربك﴾ شامل لأنواع الذكر كلها ﴿وتبتّل إليه تبتيلا﴾ أي: انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانقصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه.

﴿رب المشرق والمغرب﴾ وهذا اسم جنس يشمل المشارق والمغارب [كلها]، فهو تعالى رب المشارق والمغارب، وما يكون فيها من الأنوار، وما هي مصلحة له من العالم العلوي والسفلي، فهو رب كل شيء وخالقه ومديره.

﴿لا إله إلا هو﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الأعلى، الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿فَاتَحْذُهُ وَكِيلا﴾ أي: حافظاً ومدبراً لأمورك كلها.

فلما أمره الله بالصلاة خصوصاً، وبالذكر عموماً، وذلك يحصل للعبد ملكة قوية في تحمل الأثقال، وفعل الثقيل (1) من الأعمال، أمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ويسبونه أمر الله، لا يحصده عنه صاد، ولا يرده راد، وأن يهجرهم هجراً معللاً، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم (1) بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي توذيه، وأمره وما وعن أقوالهم التي توذيه، وأمره

بجدالهم بالتي هي أحسن.

﴿وذرني والكذبين﴾ أي: اتركني وإياهم، فسأنتقم منهم، وإن أمهلتهم فلا أهملهم، وقوله: ﴿أُولِي النعمة﴾ أي: أصحاب النعمة والغنى، الذين طغوا حين وسع الله عليهم من رزقه، وأمدهم من فضله كما قال تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾ ثم توعدهم بما عنده من العقاب، فقال:

﴿١٤ _ ١٤﴾ ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً * يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبأل كثيباً مهيلاً أي: إن عندنا ﴿أَنْكَالاً﴾ أي: عذاباً شديداً، جعلناه تنكيلاً للذي لا يزال مستمراً على الذنوب (٢٠). ﴿وجحيما﴾ أي: ناراً حامية ﴿وطعاما ذا غصة ﴾ وذلك لمرارته وبشاعته، وكراهة طعمه وريحه الخبيث المنتن، ﴿وعذاباً أليما﴾ أي: موجعاً مفظعاً، وذلك ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ من الهول العظيم، ﴿وكانت الجبال﴾ الراسيات الصم الصلاب ﴿كثيباً مهيلا﴾ أي: بمنزلة الرمل المنهال المنتثر، ثم إنها تبس بعد ذلك، فتكون كالهباء المنثور.

﴿ ١٥ - ١٦ ﴾ ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً يقول تعالى: احمدوا ربكم على إرسال هذا النبي الأمي العربي البشير النذير، الشاهد على الأمة بأعمالهم، واشكروه وقوموا بهذه النعمة الجليلة، وإياكم أن تكفروها، فتعصوا رسولكم، فتكونوا كفرعون حين أرسل الله إليه موسى بن عمدران، فسدعاه إلى الله، وأصره بالتوحيد، فلم يصدقه، بل عصاه،

⁽١) في ب: حصول.

⁽٢) في ب: علية:

⁽٣) في ب: فإنه لا تحصل به هذه المقاصد.

 ⁽٤) في ب: وفعل المشق.

 ⁽٥) في ب: بل يعاملهم.
 (٦) في ب: على ما يغضب الله.

فأخذه الله أخذاً وبيلا أي: شديداً

﴿١٧ ــ ١٨﴾ ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً * السماء منفطرٌ به كان وعده مفعولاً ﴾ أي: فكيف يحصل لكم الفكاك والنجاة من يوم القيامة، اليوم المهيل أمره، العظيم قدره (١)، الذي يشيب الولدان، وتذوب له الجمادات العظام، فتتفطر به السماء وتنتثر به نجومها ﴿كان وعده مفعولا أي: لا بدمن وقوعه، ولا حائل دونه.

﴿١٩﴾ ﴿إِن هِذَهِ تَذَكُّرةَ فَمِن شَاءً اتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ [أي:] إن هذه الموعظة التي نبأ الله بها من أحوال يوم القيامة وأهواله(٢)، تذكرة يتذكر بها المتقون، وينزجر بها المؤمنون، ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا اي: طريقاً موصلاً إليه، وذلك باتباع شرعه، فإنه قد أبانه كل البيان، وأوضحه غاية الإيضاح، وفي هذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم، ومكّنهم منها، لا كما يقوله الجبرية: إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم، فإن هذا خلاف النقل والعقل.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ رَبِّكَ يَعَلَّمُ أَنْكُ تَقُومُ أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معنك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضأ حسنأ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله عفور رحيم ﴿ ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل، أو ثلثه أو ثلثيه، والأصل أن أمته أسوة له في الأحكام، وذكر في

هذا المُوضع، أنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين.

ولما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة على الناس، أخبر أنه سهل عليهم في ذلك غاية التسهيل، فقال: ﴿واللهُ يقدر الليل والنهار﴾أي: يعلم مقاديرهما وما يمضى منهما ويبقى.

﴿علم أن لن تحصوه ﴾ أي: [لن] تعرفوا مقداره من غير زيادة ولا نقص، لكون ذلك يستدعى انتباهاً وعناء زائداً أي: فخفف عنكم، وأمركم بما تيسر عليكم، سواء زاد على المقدر أو نقص، ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾أي: مما تعرفون ومما لا يشق عليكم، ولهذا كان المصلى بالليل مأموراً بالصلاة ما دام نشيطاً ، فإذا فتر أو كسل أو نعس، فليسترح، ليأتي الصلاة بطمأنينة وراحة.

ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف، فقال: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى للشق عليهم صلاة ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه، فليصل المريض المتسهل عليه (٣)، ولا يكون أيضاً مأموراً بالصلاة قائماً عند مشقة ذلك، بل لو شقت عليه الصلاة النافلة، فله تركها [وله أجر ماكان يعمل صحيحاً]. ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله أي: وعلم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة، ليستغنوا عن الخلق، ويتكففوا عن الناس (٤) أي: فالمسافر، حاله تناسب التخفيف، ولهذا خفف عنه في صلاة الفرض، فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد، وقصر الصلاة الرباعية.

وكذلك ﴿آخرون بقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه ﴿ فَذَكَرُ تعالى تخفيفين، تخفيفاً للصحيح المقيم، يراعى فيه نشاطه، من غير أن يكلف عليه تحرير الوقت، بل يتحرى الصلاة الفاضلة، وهي ثلث الليل بعد نصفه

Can Haran San Andrew إِنَّ رَبَّكَ يَعْدُ أَنَّكَ تَعْوُمُ أَدْنَا مِن ثُلُثَى أَلِّيلَ وَنِصْفَمُ وَثُلْثُمُ وَطَأَيفَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكُ وَالْلَهُ يُقَدِّرُ ٱلْثِيلَ وَالنَّهَازَّ عَلِمَ أَن تُحْسُوهُ فَلَبَ عَلَيَكُمْ ا فَاقْرَءُ وَامَا لَيْسَرَصَ الْقُرْدَ إِنْ عَلِرَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَرْضَى وَالعَرُونَ يَشْرِيُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْنَفُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاحُرُونَ يُقَلِّلُونَ فِي سَجِيلِ ٱللَّهِ فَأَقْرَءُ وَأَمَا لَيْسَرَعِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَا تُواْ ٱلزُّكُوٰةِ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُم مِنْ خَيْرِتِج دُوهُ عِندَالَهِ هُوَعَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغَفِرُ وِاللَّهِ أَنَّ اللَّهَ عَسَفُورٌ تَجِيمٌ ب الغَزَالِيَ التأتي الفرو فرما الدو ورود من المنافر والمنافر ا وَٱلرُّحْرَوَا أَخِرُ ۞ وَلَا غَنُن تَسْتَكُيرُ ۞ وَلِرَيْكَ فَأَسْيَرُ ۞ وَلَا غَنُورَ فِي النَّاقُورِ ۞ فَلَالِكَ يَوْمَ إِيرَةً مُّعَسِيرُ ۞ عَلَى ٱلْكُوٰبِينَ غَيْرُيِّسِيرِ ٥ ذَرْفِ وَكُنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُمَا لَا تَعْدُوكَا اله وَبَيْنِ شُهُودًا ﴿ وَمَهَدَثُ لَهُ مُتَّهِيدًا ﴿ ثُرَّتِكُمُ مُ أَنَّ أُرِيدً الله الله المناعضية الله المناعضية الله المنافعة الله المناعضية الله

ADDITION OF THE PROPERTY

وتخفيفاً للمريض أو المسافر، سواء كان سفره للتجارة، أو لعبادة، من قتال أو جهاد، أو حج، أو عمرة، ونحو ذلك^(ه)، فإنه أيضاً يراعي ما لا يكلفه، فلله الحمد والثناء، الذي ما جعل على الأمة في الدين⁽¹⁾ من حرج، بل سهل شرعه، وراعي أحوال عباده ومصالح دينهم وأبدانهم ودنياهم.

ثم أمر العباد بعبادتين، هما أم العبادات وعمادها: إقامة الصلاة، التي لا يستقيم الدين إلا بها، وإيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان، وبها تحصل المواساة للفقراء والمساكين، و لهذا قال:

﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ بأركانها، وشروطها، ومكملاتها، ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسنا﴾أي: خالصاً لوجه الله، من نيةٍ صادقة، وتثبيتاً من النفس، ومال طيب، ويدخل في هذا، الصدقة الواجبة والمستحبة، ثم حث على عموم الخير وأفعاله، فقال: ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

نی ب: خطره.

(١)

(Y)

في ب: ويتكففوا عنهم. (1)

في ب: أو لعبادة من جهاد أو حج (0) أو غيره.

في ب: وأهوالها. في ب: ما يسهل عليه. (٣)

في ب: حيث لم يجعل علينا في الدين .

إِنَّهُ فَكُرِّ وَقَدَّرَ ۞ فَقُيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُرَّفُولَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُرَّفَطَرَ ٥ أُمَّ عَبْسُ وَيُسَرَى ثُمَّ أَدْبَرُ وَأَسْتَكُبْرَ۞ فَعَالَ إِلَّهُ هَذَا إِلَّا مِعْ فَوْشُرُ الله وَاللَّهُ وَلِمُ الْبُشَرِ اللَّهُ مَا أَصْلِيهِ مَعَرَى وَمَا أَدْرَاكَ مَاسَعَرُ اللَّهِ اللَّهِ مَاسَعَرُ اللَّهُ مَاسَعَرُ اللَّهِ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَلًا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّمُوالِمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ لَاثِقْ وَلَانَدُ ١٥ لَوَّالَتَهُ لِلْبُشَرِ عَلَيْهَ لِشَعَةً عَشَرَ وَمَاجَعَلْنَا أَصْبَ النَّادِ الْامَلَيْكَةُ وَمَا يَعَلْنَاعِذَ ثَهُمْ إِلَّافِنَةُ لِلَّذِينَ كَثُرُوا لِسَنَيْهَنَ ٱلَّذِينَ أُوثُواْ ٱلْكِنَابَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ إِيَنَا ۚ وَلَا يَرْبَابَ ٱلَّذِينَ أُوثُواْ ٱلْكِنَبَ وَٱلْمُوْمِنُونُ وَلِيقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِ مِرَّرَضٌ وَٱلْكَيْرُونَ مَانَاۤ أَرَادَ أَلَتُهُ بِهِكَا مَثَلًا كُلَّاكِكَ بُعِيلًا لَقَهُ مَن يَشَكَّهُ وَيَهْدِى مَن يَشَكَّةُ وَمَايَمُ لَرُجُنُودَ رَبِّكَ إِلَّاهُوُّ وَمَاهِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ۞ كَلَّا وَٱلْغَمَرِ ۞ وَأَلْيِلِ إِذْ أَدْرُ ۞ وَالشَّيْعِ إِنَّا أَسْعُرَ۞ إِنَّهَا لَإِسْدَى ٱلْكُرِ۞ نَهُ اللَّهُ وَ إِن مَنْ مَن مُرَاد يَتَعَمُّ أَرْبَا خَر اللَّهُ مِكُلُّمْ مِن بِمَاكْسَبَتْ رَحِينَةُ ۞ إِلَّا أَصْنَبَ الْيِينِ ۞ فِبَخَّتْنِ بَنْسَكَةُ لُونَ ٤ عَنَ الْخُرِمِينَ ۞ مَاسَلَكَ كُونِي سَقَرَ ۞ قَالُوالْرَنْكُ مِنَ ٱلْمُتَيِلِينَ ۞ وَلَوْنَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ۞ وَسَكُنَا غَنُوسٌ مَعَ ٱلْخَابِينِينَ ۞ وَكُنَا نَكُونُهُ يَوْمَ الْدِينَ ۞ حَقَىٰ أَتَلَنَا ٱلْيَوِينُ ۞ TO DO TO MONO CO

وليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار، يقابله أضعاف أضعاف الدنيا، وما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره وأصله وأساسه، فو أسفاه على أوقات مضت في الغفلات، وواحسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات، وواغوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارثها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها (١٦).

فلك اللهم الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك.

﴿واستغفروا الله إن الله خفور رحيم﴾ وفي الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير، فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلاً أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار، فمتى لم

يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك.

تم تفسير سورة المزمل^(۲)

تفسير سورة المدثر [وهي] مكية

﴿١ - ٧﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾ تقدم أن المزمل والمدثر بمعنى واحد، وأن الله أمر رسوله ﷺ ، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه، وأمره هنا بإعلان الدعوة ^(٣)، والصدع بالإنذار، فقال: ﴿قُم اللهِ الله الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه، ﴿وربك فكبر♦ أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قبصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته.

﴿وثيابك فطهر﴾ يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الرجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شرك ورياء، [ونفاق]، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصاً في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة.

ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب

المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن [جميع] النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصاً في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأموراً بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن.

طهاره الطاهر من عام طهاره الباطن. ﴿والرجز فاهجر﴾ يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل.

ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمراً له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها والأناء ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه.

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكثر (٥) بتلك المنة، وترى لك [الفضل] عليهم بإحسانك المنة، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، وانسَ [عندهم] إحسانك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعلى، واجعل من أحسنت إليه وغيره على حد

﴿ولربك فاصبر﴾ أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى، فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، وبادر إليه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعظم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر كل ما يبعد عن الله أمن الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وله المنة على الناس بعد منة الله _من غير أن يطلب منهم بعد منة الله _من غير أن يطلب منهم

⁽١) في ب: أرحم بها من نفسها.

⁽۲) في ب: تم تفسيرها والحمد لله.

⁽٣) في ب: بالإعلان بالدعوة.

⁽٤) في ب: صغارها وكبارها.

⁽٥) في ب: فتستكثر.

⁽٦) في ب: وهجر كل ما يعبد من دون الله وما يبعد منه.

على ذلك (١) جزاء ولا شكوراً، وصبر لله أكمل صبر، فصبر على طاعة الله، وعن معاصى الله، وعلى أقدار الله المؤلمة (٢)، حستى فاق أولى العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

﴿٨ ـ ١٠﴾ ﴿فسإذا نسقسر فسي الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير ﴾ أي: فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور، وجمع الخلق (٢) للبعث والنشور. ﴿فَذَلْكُ يومئذ يوم عسير الكثرة أهواله وشدائده ﴿على الكافرين غير يسير﴾ لأنهم قد أيسوا من كل خير، وأيقنوا بالهلاك والبوار .

ومفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير، كما قال تعالى: ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر 🌣 .

﴿١١ ـ ٣١ ﴾ ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالاً ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً * سأرهقه صعوداً * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقى ولا تذر * لواحة للبشر *عليها تسعة عشر *وما جعلنا أصحاب النار إلا ملاتكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين أمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من

يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر﴾ هذه الآيات، نزلت في الوليد بن المغيرة، معاند الحق، والمبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمه الله ذماً لم يذمه (٤) غيره، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه، أن له الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، فقال: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ أي: خلقته منفرداً، بلا مال ولا أهل، ولا غيره، فلم أزِل أنمِيه وأربيه (هُ)،

﴿وجعلت له مألاً ممدوداً﴾ أي: كثيراً ﴿و﴾ جعلت له ﴿بنين﴾ أي: ذكوراً ﴿شهوداً﴾ أي: دائماً حاضرين عنده، [على الدوام] يتمتع بهم، ويقضى بهم حوائجه، ويستنصر بهم.

﴿ومهدت له تمهيدا﴾ أي: مكنته من الدنيا وأسبابها، حتى انقادت له مطالبه، وحصل على(٦) ما يشتهي ويسريد، ﴿ أَسُم ﴾ مع هذه النعم والإمدادات ﴿يطمع أن أزيد ﴾ أي: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا. ﴿كلا﴾ أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك لأنه ﴿ كَانَ لأَياتُنا عنيدا) أي: معانداً، عرفها ثم أنكرها، ودعته إلى الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض وتولى عنها، بل جعل يحاربها ويسعى في إبطالها، ولهذا قال عنه:

﴿إِنَّهُ فَكُرِ﴾ [أي:] في نفسه، ﴿وقدُر﴾ ما فكر فيه، ليقول قولاً يبطل به القرآن .

﴿فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر الله قدر أمراً ليس في طوره، وتُسَوَّر على ما لا يناله هنو و [لا] أمثاله، ﴿ثم نظر﴾ ما يقول، ﴿ثم

فَأَلْنَفَهُ مُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّفِعِينَ ۞ فَأَلْحَهُ عَنِ ٱلنَّفَكُرَةَ مُعْرِضِينَ ۞ كَأَنَّهُمْ مُثَرُّتُسْتَنفِرَةً ۞ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ۞ بَلْ يُرُيدُكُلُّ آمْرِي مِنْهُمْ أَن يُؤْنَى مُعُمَّا مُنَشِّرَةً ۞ كَلَّابَل لَا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ۞ كُلَّ إِنَّهُ مَّنْكِرَةً ۞ فَنَ شَآءَ ذَكَرُهُ ۞ وَمَا يَذَكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ أَلَقُهُ هُوَأَهُ لُ ٱلتَّـعُوىٰ وَأَهْ لَ ٱلمَّذْ يَرَةِ ۞ التكافئة حِلْقَوَالْزَفَرُ الْوَجَيْمِ المَّاتِيمُ وَالْفِيئَةُ ۞ وَلَا أَفْسِمُ وَالنَّفِي الْوَامَةِ ۞ أَحَسَبُ ٱلْإِنْسُنُ أَلْ خِمْمَ عِظَامَهُ ۞ مَلَ قَلِيدِينَ عَلَيَّانَ لُتَوْيَ بَنَانَهُ۞ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِسْنَ لِيفَجُرُ أَمَامَمُ فِي يَسْعَلُ أَيَانَ يَوْمُ الْبِيْمَةِ ۞ فَإِنَا رَقَ ٱلْجَمَرُ ۞ وَخَمَفَ الْفَتْرُ۞ وَيُعِمَ النَّمْسُ وَالْفَتْرُ۞ بَعُولَ الْإِسْنُ يُوْمِيدِ أَنْ الْمُرُّ ۞ كُلُّ لاوَرْدُ ۞ إِلَى رَبِكَ يَوْمِ بِالْمُسْتَعَدُّ ۞ يُنْتَوْلُ ٱلإنسَنُ وَمَهِدِياقَتَمَ وَأَخْرَى بَلِ ٱلإنسَنُ عَلَى تَسْدِه عَيديةً ٥ وَقُواْ أَنْ مَاذِيقُ ۞ لَا تُعَلِّي إِمِي إِسَائِكَ لِنَفِلَ مِنْ وَإِنْ عَلَيْنَا جَعَهُ الله وَقَرْوَالْعُنْ فَإِذَا قَرَأَتُهُ فَأَتَّبِعَ قُرْءَالَهُ، ﴿ ثُمَّ إِذَّ عَلَيْمَا بَهَا تَمْ DANSON WORSES

عبس وبسر، في وجهه، وظاهره نفرة عن الحق وبغضاً له، ﴿ثم أدبر﴾ أي: تولى ﴿واستكبر﴾ نتيجة سعيه الفكري والعملي والقولي، أن قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر أي: ما هذا كلام الله، بل كعلام البشر، وليس أيضاً كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من كل كاذب سحار.

فتبًّا له، ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب!!

كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه، كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟!

أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدىء المعيد(٧).

فماحقه إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى:

﴿سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقى ولا تذر♦ أي:

(0)

في ب: أن يطلب عليهم بذلك. (1)

في ب: وصبر لربه أكمل صبر، فصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وصبر على أقداره المؤلمة. (٢)

في ب: الخلائق. (٣)

في ب: لم يذم به غيره. (1)

في ب: أربيه، وأعطيه. في ب: وحصل له. (٦)

في ب: على وصفه بهذا الوصف لكلام الله تعالى. (V)

SO SINGLY SEINER كَلَّابَلْ غُبُونَ ٱلْمَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَهِ فَأَيْمَرَةً ۞ إِلَارَيَّهَا ۚ اَخِلَةً ۞ وَوُجُوهُ يَوْمَهِ إِبَاسِرَةً ۞ فَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۞ كُلّآ إِذَا بَلَقَتِ ٱلذَّاقِ۞ وَقِيلَ مَنَّ زَاق۞ وَعَلَ أَتَهُ ٱلْخِرَاقُ @وَالْتَغَيِّ السَّاقُ بِالسَّاقِي إِلَى رَبِكَ يَوْمَهِ ذِ ٱلْسَسَاقُ ۞ فَلا صَدَّقَ وَلَاصَلِّن ۗ وَلَكِن كَذَبَ وَقَوَلُ ۞ ثُرَّدَهَبَ إِلَّى أَهْلِهِ۔ يَنْمَعَلَىٰ ۞ أَوْلَ لَكَ فَأُولَكِ ۞ ثُرَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۞ أَيَعْسَبُ ٱلإنسَنُ أَن يُتَرَكَ سُدًى ۞ ٱلْرَيْكُ نُطْفَدَ مِن مِّنِي يُعَنَىٰ ۞ لَهُ كَانَ عَلَقَةُ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَعَكَلَمِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَّرُ وَٱلْأَنْفَىٰ ۞ أَلَيْسَ ذَالِكَ بِقَلَدِرِ عَلَىٰ أَن يُحْتِي ٱلْمَوْقَ ۞ الشتان و المناق و الم حانفالتغزالتخير عَلَ أَنْ عَلَ الْإِسْنَنِ مِنْ فِيَ الْقَعْي لَوَيْكُنْ شَيْعَا فَنْفُولُ ۞ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِسْنَنَ مِن نُفَلْقَةِ أَمْثَامِ نَبْنِلِهِ فَحَمَلْتُهُ مَهِمَا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّيهِ لَ إِمَّا شَاكِزُكُوا مَّا كَفُورًا ۞ إِمَّا أَعْتَدُ مَا لِلْكُورِينَ سَلَنِي لَا وَأَغْلُلَا وَسَيِعِرًا ٥ إِنَّ ٱلأَثْرَارَيْشَرُونَ مِن كَأْسِ كَانَ مِنَاجُهَا كَافُورًا ۞ ON DE OVA DE O

لا تبقى من الشدة، ولا على المعذب شيئاً إلاَّ وبلغته، ﴿لوَّاحة للبشر﴾ أي: تلوحهم [وتصليهم] في عذابها، وتقلقهم بشدة حرها وقَرُّها. ۗ

﴿عليها تسعة عشر﴾ من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ وذلك لشدتهم وقوتهم.

﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم وعقابهم في الآخرة، ولزيادة نكالهم فيها، والعدَّاب يسمى فتنة، [كما قالُ تعالى: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾] ويحتمل أن المراد: أنا ما أخبرناكم بعدتهم، إلا لنعلم من يصدق ومن يكذب، ويدل على هذا، ما ذكر بعده فى قوله: ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴿ فإن أهل الكتاب، إذا وافق ما عندهم وطابقه، ازداد يقينهم بالحق، والمؤمنون كلما أنزل الله آية، فآمنوا بها وصدقوا، قالوا لم نك من المصلين ﴿ وَلَمْ نَكَ نَطْعُمُ ازداد إيمانهم، ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي: ليزول الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * عنهم الريب والشك، وهذه مقاصد حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة جليلة، يعتني بها أولو الألباب، وهي الشافعين * فما لهم عن التذكرة

كل وقت، وكل مسألة من مسائل الدين، ودفع الشكوك والأوهام التي تعرض في مقابلة الحق، فجعل ما أنزله الله على رسوله محصلاً لبهذه الفوائد(١١) الجليلة، وعيزاً للكاذبين من الصادقين، ولهذا قال: ﴿وليقولُ الذين في قلوبهم مرض الى: شك وشبهة ونفاق. ﴿والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا على وجه الحيرة والشك، والكفر منهم بآيات الله، وهذا وذاك من هداية الله لمن يهديه، وإضلاله لمن يضل، ولهذا

﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من یشاء﴾ فمن هداه الله، جعل ما أنزله الله على رسوله رحمة في حقه، وزيادة في إيمانه ودينه، ومنَّ أضله، جعل ما أنزله على رسوله زيادة شقاء عليه وحيرة، وظلمه في حقه، والواجب أن يتلقى ما أخبر الله به ورسوله بالتسليم، فإنه لا يعلم جنود ربك من الملائكة وغيرهم ﴿ إِلَّا هُو ﴾ فإذا كنتم جاهلين بجنوده، وأخبركم بها العليم الخبير، فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك ولا ارتياب، ﴿وما هي إلا ذكري للبشر﴾ أي: وما هذه الموعظة والتذكار مقصوداً به العبث واللعب، وإنما المقصودبه، أن يتذكر [به] البشر ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه.

47-70> ﴿كلاوالقمر * والليل إذ أدبر * والصبح إذا أسفر * إنها لإحدى الكبر * نذيراً للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر * كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن الجرمين * ما سلككم في سقر * المسكين * وكنا نبخوض مع السعي في اليقين، وزيادة الإيمان في معرضين * كأنهم حمر مستنفرة *

فرت من قسورة * بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة * كلا بل لا يُخافون الآخرة * كلا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن ينشاء الله هو أهل الشقوي وأهل المغفرة﴾ ﴿كلاً﴾ هنا بمعنى: حقاً، أوَّ بمعنى «ألا» الاستفتاحية، فأقسم تعالى بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، لاشتمال المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سلطانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه والمقسم عمليه قدوله: ﴿إنها ﴾ أي: المنار ﴿لإحدى الكبير﴾ أي: لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم على بصيرة من أمرها، فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه من ربه، ويدنيه من رضاه، ويزلف من دار كرامته، أو يتأخر [عما خلق له و] عما يحبه الله [ويرضاه]، فيعمل بالمعاصي، ويتقرب إلى نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر ﴾ الآية .

﴿ كُلِّ نَفْسِ بِمَا كُسِبِتَ ﴾ من أعمال السوء وأفعال الشر، ﴿رهينة ﴾ بها موثقة بسعيها، قد ألزم عنقها، وغل في رقبتها، واستوجبت به العذاب، ﴿ إِلَّا أَصِحِابِ اليمِينِ ﴾ فإنهم لم يرتهنوا، بل أطلقوا وفرحوا ﴿في جنات يتساءلون *عن المجرمين ﴿ أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أي: حال وصلوا إليها، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟

فقال بعضهم لبعض: «هل أنتم مطلعون عليهم»، فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون، فقالوا لهم: ﴿ما سلككم في سقر﴾ أي: أي شيء أدخىلكم فيها؟ وبمأي: ذنب استحققتموها؟ فرقالوا لم نك من

الصلين * ولم نك نطعم السكين > فلا إخلاص للمعبود، [ولا إحسان] ولا نفع للخلق المحتاجين.

﴿وَكنا نخوض مع الخائضين﴾ أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ هذا آثار الخوض بالباطل، [وهو] التكذيب بالحق، ومن أحق الحق، يوم الدين، الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور ملك الله وحكمه العدل لسائر الخلق.

فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد (۱) ﴿ حتى أتانا اليقين ﴾ أي: المرت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حين عليهم الحيل، وانسد في وجوههم باب الأمل، ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ لأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهؤلاء لا يرضى الله أعمالهم (۲).

فلما بين الله مآل المخالفين، ورقب مما^(٣) يفعل بهم، عطف على الموجودين بالعتاب واللوم، فقال: ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أي: صادين غافلين عنها.

﴿كأنهم﴾ في نفرتهم الشديدة منها ﴿حَرْ مستنفرة﴾ أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضا، فزاد عدوها، ﴿فرت من قسورة﴾ أي: من أسد ورام يريدها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق، ومع هذا الإعراض وهذا النفور، يدعون الدعاوى الكبار.

فيريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منهم أن يؤتى صحفاً منشرة في نازلة عليه من السماء، يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك، وقد كذبوا، فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فإنهم

جاءتهم الآيات البينات التي تبين الحق وتوضحه، فلو كان فيهم خير لآمنوا، ولهذا قال: ﴿كلا﴾ أن نعطيهم ما طلبوا، وهم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز، ﴿بل لا يُخافون الآخرة﴾ فلو كانوا يخافونها، لما جرى منهم ما

﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله فإن مشيئته (٤) نافذة عامة ، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير ، ففيها رد على القدرية ، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله ، والجبرية ، الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة ولا فعل حقيقة ، وإنما هو مجبور على أفعاله ، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلاً ، وجعل ذلك تابعاً لمشيئته ، هو أهل أن يتقى ويعبد ، لأنه الإله هو أهل أن يتقى ويعبد ، لأنه الإله لذي لا تنبغي العبادة إلا له ، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه .

تم تفسير سورة المدثر، ولله الحمد^(ه)

تفسير سورة القيامة [وهي] مكية

﴿١-٢﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة * أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بل قادرين على أن نسوي بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر أمامه * يسأل أيان يوم القيامة ﴾ ليست «لا» [ها] هنا نافية ،

[ولا زائدة] وإنما أي بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح.

فالمقسم به في هذا الموضع، هو المقسم عليه، وهو البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم، ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم، ولا أقسم بالنفس اللوامة وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سُمّيت «لوامة» لكثرة ترددها وتلومها، وعدم عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت (٢)، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، عملت تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلى الجزاء، وبين مستحق الجزاء.

ثم أخبر مع هذا، أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال: ﴿ أَيْ سِبِ الإنسانُ أَنْ لِن نَجِمَع عظامه ﴾ بعد الموت، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قال من يحيى العظام وهي رميم)؟ فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن، فرد عليه بقوله: ﴿بلي قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك خلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره لقدرة الله تعالى قصوراً بالدليل الدال على ذلك، وإنما [وقع] ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب(٧) بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد.

⁽١) في ب: الباطل.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: ولا يرضى أعمالهم.

⁽٣) في ب: وبين ما يفعل بهم.

⁽٤) في ب: فإن مشيئة الله.

⁽٥) في ب: تمت ولله الحمد والمنة.

⁽٦) في ب: على ما فعلت.

⁽٧) في ب: لأن إرادته وقصده التكذيب.

ثم ذكر أحوال القيامة فقال:

⟨۷-01⟩ ﴿فإذا برق البصر *
وخسف القمر * وجمع الشمس
والقمر * يقول الإنسان يومئذ أين
المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ
المستقر * ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم
وأخر * بل الإنسان على نفسه
بصيره * ولو ألقى معاذيره ﴾.

أي: إذا كمانت القيامة برقت الأبصار من الهول العظيم، وشخصت فلا تطرف كما قال تعالى: ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواه ﴿ وحسف القمر ﴾ أي: ذهب نوره وسلطانه، منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين.

﴿يقول الإنسان﴾ حين يرى تلك القلاقل المزعجات: ﴿أين المفر﴾؟ أين الخلاص والفرار مما طرقنا وأصابنا(١)؟

﴿كلالا وزر﴾ أي: لا ملجاً لأحد دون الله، ﴿إلى ربك بومئة المستقر﴾ لسائر العباد، فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع، بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله، ولهذا قال: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر﴾ أي: بجميع عمله الحسن والسيىء، في أول وقته وآخره، وينبأ بخبر لا ينكره، ﴿بل والنسان على نفسه بصيرة﴾ أي: شاهدا وعاسباً، ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ فإنها معاذير لا تقبل، ولا تقابل ما يقرر به العبد(٢)، فَيُقرّبه، كما قال تعالى:

﴿اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ .

فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره يفيدانه شيئاً، لأنه يشهد عليه سمعه وبصره وجيع جوارحه بما كان يعمل، ولأن استعتابه قد ذهب وقته وزال نفعه: ﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ .

(17 - 17) ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إنّ علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إنّ علينا بيانه > كان النبي ﷺ إذا جاءه جبريل بالوحي، وشرع في تلاوته عليه، بادره النبي ﷺ من الحرص قبل أن يفرغ، وتلاه مع تلاوة جبريل إياه، فنهاه الله عن هذا، وقال: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه >.

وقال هنا: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ ثم ضمن له تعالى أنه لا بد أن يحفظه ويقرأه، ويجمعه الله في صدره، فقال: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ فالحرص الذي في خاطرك، إنما الداعي له حذر الفوات والنسيان، فإذا ضمنه الله لك، فلا موجب لذلك.

﴿فإذا قرآناه فاتبع قرآنه﴾ أي: إذا كمّل جبريل قراءة ما أوحى الله (٢) إليك، فحينئذ اتبع ما قرأه وأقرأه.

﴿ثم إن علينا بيانه ﴾ أي: بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون، فامتثل عليه لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه.

وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من⁽¹⁾ المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا

كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهماً يتمكن به من الكلام عليه.

وفيها: أن النبي ﷺ كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه.

﴿٢٠ ـ ٢٠﴾ ﴿كـلابـل تحبيون العاجلة * وتذرون الآخرة * وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة * ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل مِها فاقرة ﴾ أي: هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم ﴿تحبون العاجلة﴾ وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسار ما حصل.

فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتم، وربحتم ربحاً لا خسارة معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه.

ثم ذكر ما يدعو إلى إيثار الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إلى ربها ناظرة﴾ أي: تنظر إلى ربها ناظرة﴾ أي: تنظر إلى ربها ناظرة أي: تنظر إلى ربها ناظرة أي: منهم إلى ربها قل حسب مراتبهم: منهم

⁽١) في ب: والفكاك مما طرقنا وألم بنا.

⁽٢) في ب: بل يقرر بعمله.

 ⁽٣) في ب: إذا أكمل جبريل ما يوحى إليك.
 (٤) في ب: أن لا يبادر المتعلم للعلم قبل أن يفرغ المعلم.

⁽٥) في ب: أي ينظرون إلى ربهم.

من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجاله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم، وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم، وازدادوا جمالاً إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم.

وقال في المؤثرين العاجلة على الآجلة: ﴿وجوه يومئذ باسرة﴾ أي: معبسة ومكدرة (١٠) خاشعة ذليلة ﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ أي: عقوبة شديدة، وعذاب أليم، فلذلك تغيرت وجوههم وعبست.

﴿٢٦ ـ ٤٠ ﴾ ﴿كلا إذا بلغت التراقى * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق * فلا صدق ولا صلى * ولكن كذب وتولى * ثم ذهب إلى أهله يتمطى * أولى لكُ فأولى * ثم أولى لك فأولى * أبحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من منئ يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنشى * أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتي﴾ يعظ تعالى عباده، بذكر حال المحتضر عند السياق(٢)، وأنه إذا بلغت روحه التراقى، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: ﴿وقيل من راق﴾ أي: من يرقيه، من الرقية، لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية (٣).

ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مردله، ﴿وظن أنه الفراق﴾ للدنيا.

﴿والتفت الساق بالساق﴾ أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح التي ألفت البدن (٤) ولم تزل معه، فتساق إلى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها.

فهذا الزجر، [الذي ذكره الله] يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها.

ولكن المعاند الذي (ه) لا تنفع فيه الآيات، لا يزال مستمراً على بغيه وكفره وعناده.

﴿ فلا صدِّق ﴾ أي: لا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ﴿ولا صلى * ولكن كذب بالحق في مقابلة التصديق، ﴿وتولى عن الأمر والنهى، هذا وهو مطمئن قلبه، غير خائف من ربه، بل يذهب ﴿إلى أهله يتمطى ♦ أي: ليس على باله شيء، توعده بقولة: ﴿ أُولَى لَكُ فَأُولَى * ثُم أولى لك فأولى﴾ وهذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده، ثم ذكّر الإنسان بخلقه الأول، فقال: ﴿أَيْحُسُبُ الْإِنسَانَ أن يسترك سدى ♦ أي: معطلاً ١٦٠٠، لا يتومر ولا ينهي، ولا يُشاب ولا يُعاقَب؟ هذا حسبان باطل، وظن بالله بغير ما يليق بحكمته.

﴿ أَلَمْ يِكَ نَطْفَةُ مِنْ مَنِي يِمِنِي * ثُمْ كَانَ ﴾ يعد المني ﴿ علقة ﴾ أي: دماً ، ﴿ فَخَلَقَ ﴾ الله منها الحيوان وسواه أي: أتقنه وأحكمه ، ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنشى * أليس ذلك ﴾ الذي

خلق الإنسان هذه [وطوره إلى] الأطوار المختلفة ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ بلى إنه على كل شيء قدير .

تم تفسير سورة القيامة، ولله الحمد والمنة، وذلك في ١٦ صفر سنة ١٣٤٤(٧).

المجلد التاسع من تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصربن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أمين.

تفسير سورة هل أتى على الإنسان وهي مكية

﴿ ١ - ٣﴾ ﴿ بسم الله الرحن الرحيم هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً * إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ذكر الله في هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها.

فذكر أنه مر عليه دهرٌ طويل، وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم بل ليس مذكوراً.

ثم لما أراد الله تعالى خلقه، خلق [أباه] آدم من طين، ثم جعل نسله متسلسلا ﴿من نطفة أمشاج﴾ أي: ماه مهين مستقدر ﴿نبتليه﴾ بذلك، لنعلم هل يرى حاله الأولى، ويتفطن لها أم ينساها وتغره نفسه؟

فأنشأه الله، وخلق له القوى الباطنة والظاهرة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأتمها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده.

ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهذاه الطريق الموصلة

⁽۱) في ب: كدرة.

⁽٢) في ب: بذكر المحتضر حال السياق.

⁽٣) في ب: فتعلقوا بالأسباب الإلهية.

⁽٤) في ب: أن تخرج الروح من البدن الذي ألفته.

⁽٥) كذا في ب، وفي أ: التي.

⁽٦) في ب: أي مهملاً.

⁽V) في ب: والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم.

إلى الله^(۱۱)، ورغَّبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إلى الله .

ثم أخبره بالطريق الموصلة إلى الهلاك، ورهبه منها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاه بذلك، فانقسم الناس إلى شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما لنعمة الله عليه، أنعم الله عليه بالنعم الله ينه والدنيوية، فردها، وكفر بربه، وسلك الطريق الموصلة إلى الهلاك.

ثم ذكر تعالى حال الفريقين عند الجزاء فقال:

﴿٤ ـ ٢٢﴾ ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً * إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ إلى آخر الثواب أي: إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله، وكذب رسله، وتجرأ على المعاصي ﴿سلاسِل﴾ في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾.

﴿وأَعْلَالُهُ تَعْلَ بِهَا أَيْدَيْهُمْ إِلَى أَعِنَاقِهِمْ ويوثقون بِها.

وسعيرا أي: ناراً تستعربها أجسامهم، وتحرق بها أبدانهم، ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها، ليذوقوا العذاب وهذا العذاب دائم لهم أبداً، خلدون فيه

وأما ﴿الأبرار﴾ وهم الذين برت قلوبهم بما فيها من مجبة الله ومعرفته، والأخلاق الجسميلة، فبرت جوارحهم (٢)، واستعملوها بأعمال البر، أخبر أنهم ﴿يشربون من كأس﴾ أي: شراب لذيذ من خر قد مزج بكافور أي: خلط بكافور [في غاية وهذا الكافور [في غاية اللذة]، قد سلم من كل مكدر ومنغص، موجود في كافور الدنيا،

فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة وهي في الدنيا تعدم في الآخرة (٣).

كسما قال تسعالى: ﴿في سدر مخضود * وطلح منضود﴾ ﴿وأزواج مطهرة﴾ ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾.

﴿عيناً يشرب بها عباد الله أي: ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربون به، لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجرها عباد الله تفجيرا، أنى شاؤوا، وكيف أرادوا، فإن شاؤوا صرفوها إلى البساتين الزاهرات، أو إلى الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمساكن المزخرفات، أو إلى أي: جهة يرونها من الجهات المونقات. وقد ذكر(٤) جملة من أعمالهم في أول هذه السورة، فقال: ﴿يُوفُونُ بالنذر ﴾ أي: بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كأنوا يوفون بالنذر، وهو لم يجب (٥) عليهم، إلا بإيجابهم على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية، من باب أولى وأحرى، ﴿ويخافون يوماً كان شره مستطيرا الله أي: منتشراً فاشياً، فخافوا أن ينالهم شره، فتركوا كل سبب موجب لذلك، ﴿ويطعمون الطعام على حبه ﴾ أي: وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى النأس وأحوجهم، ﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴿

ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾ أي:

لا جزاء مالياً، ولا ثناء قوليا.

﴿إِنَا نَحَافَ مِن رَبِنَا يُوماً عِبُوساً﴾ أي: شديد الجهمة والشر ﴿قمطريراً﴾ أي: ضنكاً ضيقا، ﴿قوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ فلا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة [هذا يومكم الذي كنتم توعدون].

ولقاهم أي: أكرمهم وأعطاهم ونضرة في وجوههم ووسرورا في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن، ووجزاهم بما صبروا على طاعة الله، فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصي الله، فتركوها، وعلى أقدار الله المؤلة، فلم يتسخطوها، وجنة جامعة لكل نعيم، سالمة من كل مكدر ومنغص، ووحريرا كما قال [تعالى:] (ولباسهم فيها حرير) ولعل الله إنما خص الحرير، لأنه ولعل الله إنما خص الحرير، لأنه لباسهم الظاهر، الدال على حال صاحبه.

﴿متكشين فيها على الأراثك﴾ الاتكاء: التمكن من الجلوس، في حال الرفاهية والطمأنينة [الراحة]، والأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزين، ﴿لا يرون فيها﴾ أي: في الجنة ﴿ولا زمهريرا﴾ أي: برداً شديداً، بل جيع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حرولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا ترد ولا برد.

﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا أي: قربت ثمراتها من مريدها تقريباً ينالها، وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع.

ويطاف على أهل الجنة أي: يدور [عليهم] الخدم والولدان (٢٠) ﴿ بِالنية من فضة وأكواب كانت قواريرا * قوارير من فضة ﴾ أي: مادتها من فضة ،

 ⁽١) في ب: الطريق الموصلة إليه وبينها.

⁽٢) في ب: أعمالهم.

⁽٣) في ب: الموجودة في الدنيا تنعدم من الأسماء التي ذكرها الله في الجنة.

⁽٤) في ب: ثم ذكر.

⁽٥) في ب: الذي هو غير واجب.

⁽٦) في ب: ﴿ ويطاف عليهم ﴾ أي: يدور الولدان والخدم على أهل الجنة.

الجزء التاسع والعشرون]

[وهي] على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون الفضة الكثيفة، من صفاء جوهرها، وطيب معدنها، على صفاء القوارير.

﴿قدروها تقديرا الله أي: قدروا الأوان المذكسورة على قدر ريهم، لا تزيد ولا تنقص، لأنها لو زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تف

ويحتمل أن المراد: قدرها أهل الجنة بنفوسهم بمقدار يوافق لذتهم، فأتتهم على ما قدروا في خواطرهم، ﴿ويسقون فيها ﴾ أي: في الجنة، من كأس، وهنو الإنباء المملُّوء من خمر ورحيق، ﴿كان مزاجها﴾ أي: خلطها ﴿زنجبيلا﴾ ليطيب طعمه وريحه.

﴿عيناً فيها﴾ أي: في الجنة، ﴿تسمى سلسبيلا﴾ سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها.

﴿ويطوف﴾ على أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم.

﴿ولدان مخلدون﴾ أي: خلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، ﴿إذا رأيتهم﴾ منتشرين في خدمتهم ﴿حسبتهم﴾ أمن حسنهم ﴿لؤلؤا منثورا﴾ وهذا من تمام لذة أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخملدون، الذين تمسر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعتهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم، ﴿وإذا رأيت ثم﴾ أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم(١). ﴿ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار

الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة [المشجية]، ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس.

وعنده من الزوجات، اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سروراً، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك ومعظمه، الفوز برؤية (٣) الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه، فلا نهاية لبره وإحسانه، ﴿عاليهم ثياب سندس خضر﴾ أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديباج(1)، والاستبرق: ما رقّ منه.

﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهنذا وعمد وعدهم الله، وكان وعده مفعولا، لأنه لا أصدق منه قيلاً ولا حديثاً.

وقوله: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهورا) أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهراً لما في بطونهم من كل أذي وقذي .

﴿إِن هِذَا﴾ الجزاء الجزيل والعطاء الجميل (كان لكم جزاء) على ما أسلفتموه من الأعمال، ﴿وكان سعيكم مشكورا﴾ أي: القليل منه، يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن

DESIDENT PROPERTY POR عَيْنَاتِشْرَكْ بِمَاعِبَادُاللَّهِ يُفَجِّرُونَهَالَغِيرًا ۞ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَتَعَافُونَ إِلَّ يَوْمَا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُعْلِعِمُونَ الظَّمَامَ عَلَى حُبُو مِنكِنا وَمَتِمَا وَأَسِيرًا ﴾ إِنَّا أَفُلُومُكُمْ لِوَجِهِ اللَّهِ لَازْيِدُمِن كُرْجَزَّةَ وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا غَنَافُ مِن زَّيِّنَا يُومَّا عَبُوسًا قَنْظَ مِزَا۞ فَوَفَهُمُ أَفَّهُ شَرَّ ذَلِكَ ٱلْيَوْدِ وَلَقَنَاهُمُ نَضَرَةً وَمُرُوزًا ۞ وَجَنَاهُم عَاصَرُواْجَنَّةً وَجَرِيرًا ٥ مُتَكِينَ فِياعَلَى ٱلْأَزَابِكِ لَا يَوْنَ فِيهَا شَنْسَا وَلاَ وَمَهَالَ وَدَائِيةً عَلَيْهِ مُظِلَالُهَا وَذُلِلَتْ قُلُونُهَا لَذْلِيلًا ۞ وَيُطَافَ عَلَيْهِم عِعَايِنَةِ مِنْ فِضَةِ وَأَحْوَابِ كَانَتْ قَوَادِيزُ ۞ قَرَادِيزُ فِن فِضَةِ فَأَرُوهَا مَعْدِيرًا ۞ وَيُسْتَعُونَ فِيهَا كَأْسُاكَانَ مِنَ اجْهَا لَغِيدًا ﴿ عَيْنَا فِيهَا شُتَغَىٰ سَلْسَيِيلًا ﴿ وَيَعُلُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنُّ غُثَلَّهُ وَنَ إِذَا رَأَيْتَهُمُ حَسِنَهُمْ لَوْلُوا مَسْفُورًا ۞ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَرَرَأَيْتَ شِيمًا وَمُلْكًا كَيْ يَرُكُ عَلِيَحُ ثِيَابُ سُندُس خُنْرٌ فَاسْنَبْرَقُ وَحُلُوٓ الْسَاوِرَمِن فِنَهَ وَسَفَعَمُ رَيْهُمْ تَسْزَالِ طَهُورًا ۞ إِذَ حَتَاكَانَ لَكُرْجُرَاتَهُ وَكَانَ سَعْبِكُمْ مَشْكُورًا ﴿ فِأَا غَنُزُزُكُ عَلَيْكَ ٱلْقُرُوانَ تَنْفِيلًا ۞ فَأَصْبِرْ لِمُكْبِرُ رَبِّكَ وَلِانْفِلِمْ الله مِنْهُدُ مَانِمًا أَوْكُمُورًا ۞ وَاذَكُرُ أَسْمَرَيُكَ بُحُمْرَةً وَأَصِيلًا ۞ DAL TOWN DER SECTION

وقوله تعالى لما ذكر نعيم الجنة ﴿إِنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) فيه الوعد والوعيد، وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتم القيام، والسعى في تنفيذها، والصبر على ذلك.

ولهذا قال: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً أي: اصبر لحكمه القدري، فلا تسخطه، ولحكمه الديني، فامض عليه، ولا يعوقك عنه عائق.

﴿ولا تطع﴾ من المعاندين، الذين يريدون أن يصدوك﴿آثماً﴾ أي: فاعلاً إثماً ومعصية ولا ﴿كفورا﴾ فإن طاعة الكفار والفجار والفساق، لا بدأن تكون في المعاصى، فلا يأمرون^(٥) إلا بما تهواه أنفسهم.

ولماكان الصبريساعده القيام بعيادة الله(٦)، والإكثار من ذكره، أمره الله بذلك، فقال: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات

في ب: لم تكفهم لريهم. (1)

في ب: أي رمقت ما أهل الجنة عليه من النعيم الكامل. **(Y)**

في ب: برضا. **(T)**

في ب: ما غلظ الحرير. (٤)

في ب: لا بد أن تكون معصية لله لأنهم لا يأمرون. (0)

في ب: يستمد من القيام بطاعة الله. (1)

ور البيا قائدة المؤسّنة فالكو الموسلا (إن المؤسّنة فالكو الموسلا (إن المؤسّنة فالكو المؤسّنة في الكون المؤسّنة المؤسّنة في المؤسّنة في المؤسّنة المؤسّنة المؤسّنة المؤسّنة الكونية المؤسّنة المؤسّنة المؤسّنة الكونة المؤسّنة الم

بنسان الناس المناس الم

المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات.

﴿ومن الليل فاسجد له﴾ أي: أكثر [له] من السجود، ولا يكون ذلك إلا بالإكثار من الصلاة(١٠).

وسبحه ليلاً طويلا وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: ﴿يا أيها الزمل * قم الليل إلا قليلا الآيات؟ [وقوله] ﴿إن هؤلاء أي: المكذبين لك أيها الرسول بعدما بينت لهم الآيات، ورغبوا ورهبوا، ومع ذلك، لم يفد فيهم ذلك شيئاً، بل لا يزالون يؤثرون ﴿العاجلة ﴾ ويطمئنون إليها، ويهملون ﴿وراءهم ﴾ أي: أمامهم ويهما ثقيلا ﴾ وهو يوم القيامة، الذي وقال تعالى: ﴿يقول الكافرون هذا يوم عد. ﴾

فكأنهم ما خلقوا إلا للدنيا والإقامة فيها.

﴿٢٨﴾ ثم استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي، وهو دليل الابتداء، فقال: ﴿نحن خلقساهم﴾ أي: أوجدناهم من العدم، ﴿وشددنا السرهم﴾ أي: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، والعروق، والأوتار، والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تم الجسم واستكمل، وتمكن من كل ما يريده، فالذي أوجدهم على هذه الحالة، قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقلهم في هذه الدار الحالة، الأطوار، لا يليق به أن يتركهم لي يؤمرون، ولا ينهون، ولهذا ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا

﴿بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرى، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم.

﴿إِن هذه تذكرته أي: يتذكر بها المؤمن، فينتفع بما فيها من التخويف والترغيب.

﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾
أي: طريقاً موصلاً إليه، فالله يبين الحق والهدى، ثم يخير الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها، مع قيام الحجة عليهم (٣)، ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله فإن مشيئة الله نافذة، ﴿إِنَّ الله كَانَ عليماً حكيما﴾ فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال.

﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة ويهديه لطرقها.

﴿والظالمين﴾ الذين اختاروا الشقاء

على الهدى ﴿أُعد لهم عذاباً اليما﴾ [بظلمهم وعدوانهم].

> تم تفسير سورة الإنسان، وله الحمد والمنة (¹⁾

تفسير سورة المرسلات وهي مكية

﴿١ - ٥١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا * فالعاصفات عصفاً * والناشرات نشراً * فالفارقات فرقاً * فاللقيات ذكراً * عذراً أو نذراً * إنما توعدون لواقع * فإذا النجوم طمست * وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت * وإذا الرسل أقتت * لأي: يوم أجلت * ليوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين ليوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين أقسم تعالى على البعث والجزاء اللائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه الملائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه الشرعة ووحيه إلى رسله.

و ﴿عرفا﴾ حال من الموسلات أي: أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة، لا بالنكر والعبث.

﴿ فالعاصفات عصفا ﴾ وهي [أيضاً] الملائكة التي يرسلها الله تعالى، وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف، أو: أن العاصفات، الرياح الشديدة، التي يسرع هبوبها، أولننا شراك يحتمل أنها الملائكة (٦)، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي يُنشِر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها، وفالملقيات ذكرا ﴾ هي الملائكة، تلقي أشرف الأوامر، وهو الذكر الذي

⁽١) في ب: وذلك متضمن لكثرة الصلاة.

⁽٢) في ب: أكمل الآيات ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه﴾.

 ⁽٣) في ب: إقامة للحجة ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

⁽٤) في ب: تمت ولله الحمد.

⁽٥) في ب: على الأعمال.

⁽٦) في ب: يحتمل أن المراد بها الملائكة.

الجزء التاسع والعشرون ك

يرحم الله به عباده، ويذكرهم فيه منافعهم ومصالحهم، تلقيه إلى الرسل، ﴿عَدْراً أَو نَدْرا﴾ أي: إعداراً وإنذاراً للناس، تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف، وتقطع معذرتهم فلا يكون لهم حجة على الله.

﴿إنما توعدون﴾ من البعث والجزاء على الأعمال ﴿لواقع﴾ أي: متحتم وقوعه، من غير شك ولا ارتياب.

فإذا وقع حصل من التغير للعالم والأهوال الشديدة ما يزعج القلوب، وتشتدله الكروب، فتنطمس النجوم أي: تتناثر وتزول عن أماكنها وتنسف الجبال، فتكون كالهباء المنثور، وتكون هي والأرض قاعاً صفصفا، لا ترى فيهًا عوجاً ولا أمتا، وذلك اليوم هو اليوم الذي أقتت فيه الرسل، وأجلت للحكم بينها وبين أممها، ولهذا قال:

﴿ لأي: يوم أجُلت ﴾ استفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل.

ثم أجاب بقوله: ﴿ليوم الفصل﴾ [أي:] بين الخلائق، بعضهم لبعض، وحساب كل منهم منفرداً، ثم توعد المكذب بهذا اليوم، فقال: ﴿ويال يومئذ للمكذبين أي: يا حسرتهم، وشدة عذابهم، وسوء منقلبهم، أخبرهم الله، وأقسم لهم، فلم يصدقوه، فاستحقوا(٢) العقوبة

﴿١٦ _ ١٩﴾ ﴿ أَلَمْ نَهِ سَلَمَ سَلَكُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّلَّمِ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِلَّ اللَّا اللَّالِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّل الأولين * ثم نتبعهم الأخرين * كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين اي: أما أهلكنا المكذبين السابقين، ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين، وهذه سنته السابقة واللاحيقة في كبل مجرم لا بدمن عذابه ^(۳)، فلم لا تعتبرون بما ترون

وتسمعون؟ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بعدما شاهدوا من الآيات البينات، والعقوبات والمثلات.

﴿ ٢٠ _ ٢٤﴾ ﴿ أَلَمْ نَخْلَقَكُمْ مِنْ مَاءُ مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومنذ للمكذبين أي: أما خلقناكم أيها الآدميون﴿من ماء مهين﴾ أي: في غاية الحقارة، خرج من بين الصلب والتراثب، حتى جعله الله ﴿ في قرار مكين﴾ وهو الرحم، به يستقر وينمو ﴿إلى قدر معلوم ﴾ ووقت مقدر، ﴿فقدرنا ﴾ أي: قدرنا ودبرنا ذلك الجنين، في تلك الظلمات، ونقلناه من النطّفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى أن جعله الله جسداً، ثم نفخ فيه الروح، ومنهم من يموت قبل

﴿فنعم القادرون﴾ [يعنى بذلك نفسه المقدسة] حيث كان قدراً تابعاً للحكمة، موافقاً للحمد(٤).

﴿ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بعدما بين الله لهم الآيات، وأراهم العبر والبينات.

﴿ ٢٥ _ ٢٨﴾ ﴿ أَلَمْ نَجِعَلَ الأَرْضَ كفاتاً * أحياءً وأمواتاً * وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً * ويل يومئذللمكذبين أي: أما امتننا^(ه) عليكم وأنعمنا، بتسخير الأرض لمصالحكم، فجعلناها ﴿كفاتا﴾ لكم ، ﴿ أحياء ﴾ في الدور ، ﴿ وَأُمُواتًا ﴾ في القبور ، فكمَّا أن الدور والقصور من نعم الله على عباده ومنته، فكذلك القبور، رحمة في حقهم، وستراً لهم، عن كون أجسادهم بادية للسباع وغيرها.

· SETTING V SETTING TO THE ٱلْوَغَلْقَكُمُ مِن مَّآءِمُهِينَ۞ فَعَلَنْتُهُ فِي قَرَارِمَكِينِ۞ إِلَىٰ فَكَدِرِ مَعَلُومِ ۞ فَقَدَرْمًا فَيَعْمَا لَقَدِرُونَ ۞ وَفَلَّ يَوْمَهِذِ لِلْمُكَذِينَ ۞ أَرْبَغِهَ لَ ٱلأَرْضَ كِنَانًا ۞ أَخَياآء وَأَمْوَنًا ۞ مَجَعَلْتَ افِيهَا رَوَسِي شَيْهِ خَنْتِ وَأَسْقَيْنَكُمْ مَّآءَ فُرَاتًا ۞ وَيُلَّ يَومِهِ ذِ ٱلْمُكَذِيبَنَ۞ ٱنطَلَقُوٓا إِلَىٰ مَاكُنتُم بِهِ عَنَّكَذِبُونَ ۞ ٱنطَلِقُوٓا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تُلَاثِ شُعَبِ۞ لَاظَيِلِ وَلَايُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ۞ إِنَّهَا تَرَى يِشَرَدِ كَالْقَصْرِ ۞ كَأَنْهُ مِعَلَتْ مُعُرُ ۞ وَوَلَّ وَمَهِ ذِلِلْهُ كَذِيدِنَ ۞ هَذَا يَوْمُ لَا يَطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَمَدُ فِيَعَنَذِرُونَ۞ وَلَلْ يَوْمَهِ ﴿ لِلْمُكَذِينَ ۞ هَذَا فِوْمُ ٱلْمَصَالِ جَمَعْنَكُمْ وَٱلْأَوَلِينَ۞ فَإِن كَانَ لَكُوْكِيدٌ فَكِيدُونِ ﴿ وَمَلَّ وَمَهِدِ إِلْكُكُذِينَ ۞ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِيظِلَالِ وَعُيُونِ ۞ وَفَرَالِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۞ كُلُواْ وَاشْرَعُ الْمَيْتَا يِمَاكُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّاكَمَذَالِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَيَأْلُّ يَوْمِ إِلِمُنْكَذِينَ ۞ كُلُواْ وَتَنْتَعُواْ قِلِيلًا إِنَّكُمْ غُومُونَ۞ وَفَلَّ يَّوْمَهِ ذِلِمُكَنِّينَ ۞ قَاذَافِيلَ لَمُنُأَنْكُ فُوكَ ۞ وَيْلُّ يَوْمَهِ ذِ لِلْمُكَاذِينَ ۞ فِمَا يَ حَدِيثٍ بَعْدَ مُؤْمِنُونَ ۞ 011 001 001

ترسى الأرض، لئلا تميد بأهلها، فثبتها الله بالجبال الراسيات الشانحات أي: الطوال العراض، ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ أي: عـذباً زلالا، قـال تعالى: ﴿ أَفْرَأُيتُمُ المَاءُ الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون # لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾.

﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ مع ما أراهم الله من النعم، التي انفرد الله بها، واختصهم بها، فقابلوها بالتكذيب.

﴿ ٢٩ _ ٣٣ ﴾ ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انظلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب * لا ظليل ولا يغنى من اللهب * إنها ترمى بشرر كالقصر * كأنه جمالة صفر * ويل يومئذ المكذبين ﴿ هذا من الويل الذي أعد [للمجرمين] للمكذبين، أن يقال لهم يوم القيامة: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكنبون مم فسر ذلك بقوله: ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ ﴿وجعلنا فيها رواسي﴾ أي: جبالاً أي: إلى ظل نار جهنم، التي تتمايز في

في ب: أعذارهم. (1)

في ب: فلذلك استحقوا. (٢)

في ب: عقابه. (٣)

في ب: لأن قدره تابع لحكمته موافق للحمد. (1)

في ب: أمامننا. (0)

هم من النار هعب أي: قطع من النار أي: تتعاوره وتتناويه وتجتمع به.

﴿لا ظليل﴾ ذلك النظل أي: لا راحة فيه ولا طمأنينة، ﴿ولا يغني﴾ من مكث فيه ﴿من اللهب﴾ بل اللهب قد أحاط به، يمنة ويسرة ومن كل جانب، كما قال تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾.

﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين﴾ .

ثم ذكر عظم شرر النار، الدال على عظمها وفظاعتها وسوء منظرها، فقال:

﴿إنها ترمي بشرر كالقصر *كأنه جمالة صفر﴾ وهي السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، وهذا يدل على أن النار مظلمة، لهبها وجرها وشررها، وأنها سوداء، كريهة المرأى(١١)، شديدة الحرارة، نسأل الله العافية منها [من الأعمال المقربة منها].

﴿ويل بومئذ للمكذبين﴾

﴿٣٥ ـ ٤٠) ﴿هـــــذا يــــوم لا يـنـط قـون *ولا يـؤذن لـهـم فيعتذرون *ويل يومئذ للمكذبين *

في ب: كريهة المنظر.

هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين *
فإن كان لكم كيد فكيدون * ويل
يومئذ للمكذبين > أي: هذا اليوم
العظيم الشديد على المكذبين ،
لا ينطقون فيه من الخوف والوجل
الشديد ، ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون >
أي: لا تقبل معذرتهم ، ولو اعتذروا :
﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم ولا هم يستعبون > .

(۸۰ ــ تفسير سورة عــم

﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ﴾ لنفصل بينكم ، ونحكم بين الخلائق ، ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُم كَيد ﴾ تقدرون على الخروج من ملكي ، وتنجون به من عذابي ، ﴿ فكيدون ﴾ أي : ليس لكم قدرة ولا سلطان ، كما السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ .

ففي ذلك اليوم، تبطل حيل الظالمين، ويضمحل مكرهم وكيدهم، ويستسلمون لعذاب الله، ويبين لهم كذبهم في تكذيبهم ﴿ويل يومند للمكذبين﴾

﴿١٤ _ ٥٤﴾ ﴿إِن المتقين في ظلال وعيون * وفواكه تما يشتهون * كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون * إنا كذلك نجزي المحسنين * ويل يومئل للمكذبين ﴾ لما ذكر عقوبة المكذبين، ذكر ثواب (٢٠) المحسنين، فقال: ﴿إِنَّ المحسنين، فقال: ﴿إِنَّ المحسنين وقعالهم المتقين ﴾ [أي:] للتكذيب، المتصفين بالتصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، ولا يكونون كذلك إلا بأدائمهم الواجبات، وتركهم المحرمات.

﴿في ظلال﴾ من كشرة الأسجار المتنوعة، الزاهية البهية. ﴿وعيون﴾ جارية من السلسبيل، والرحيق وغيرهما، ﴿وفواكه مما يشتهون﴾ أي: من خيار الفواكه وطيبها، ويقال لهم: ﴿كلوا واشربوا﴾ من المآكل الشهية،

والأشربة اللذيذة، ﴿هنيناً﴾ أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه، حتى يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع ولا زائل، ﴿بما كنتم الموصل لكم إلى هذا النعيم (") المقيم، وهكذا كل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله، ولهذا قال: ﴿إِنَا كَذَلُكُ نَجْزِي المحسنين * ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرماناً وخسراناً.

(23 _ • • • ♦ ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً المكذبين * وإذ قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويل يومئذ للمكذبين * فيلي يومئذ للمكذبين * فبلي: حديث بعده يؤمنون ﴾ هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم وإن أكلوا في الدنيا وشربوا وتمتعوا باللذات، وغفلوا عن القربات، فإنهم المجرمون، يستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات، ومن إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم: ﴿ وكعوا ﴾ امتنعوا من ذلك.

فأيُّ إجرام فوق هذا؟ وأيُّ تكذيب يزيد على هذا؟!!

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ ومن الويل عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الكريم، الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الاطلاق.

﴿فبأي: حديث بعده يؤمنون﴾ أبالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلاً عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مين؟

فليس بعد النور المبين إلا دياجي

(1)

⁽٣) في ب: إلى جنات النعيم.

⁽٤) في ب: حزناً وحرماناً.

⁽٢) في ب: ثواب.

الظلمات، ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين على صدقه إلا الكذب الصراح والإفك المبين (١١)، الذي لا يليق إلا بمن يناسبه.

فتباً لهم، ما أعماهم! وويحاً لهم، ما أخسرهم وأشقاهم!

نسأل الله العفو والعافية [إنه جواد ريم. تمت].

تفسیر سورۃ عم وهی مکینہ

﴿١-٥﴾ ﴿بـسـم الله السرحمن الرحيم عم يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون * كلا سيعلمون﴾ أي: عن أي: شيء يتساءل المكذبون عنه، بآيات الله؟ ثم بين ما يتساءلون عنه، فقال: ﴿عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون﴾ أي: عن الخبر العظيم، وانتشر فيه خلافهم على وجه المتكذيب والاستبعاد، وهو النبأ الذي لا يقبل المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

ولهذا قال: ﴿كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون ﴾ أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين يُدَعُون إلى نار جهنم دعًا، ويقال لهم: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾.

ثم بين (٢) تعالى النعم والأدلة الدالة على صدق ما أخبرت (٢) به الرسل، فقال:

﴿٦ - ١٦) ﴿ أَلَمْ نَسِعِمُ لَا الأَرْضَ

مهاداً * والجبال أوتاداً * وخلقناكم أزواجاً * وجعلنا نومكم سباتاً * وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار معاشاً * وبنينا فوقكم سبعاً شداداً * وجعلنا سراجاً وهاجاً * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً * لنخرج به حباً ونباتاً * وجناتِ ألفافاً ﴾ أي: أما أنعمنا عليكم بنعم جليلة، فجعلنا لكم ﴿الأرض مهادا﴾ أي: عهدة مهيأة (٤) لكم ولمصالحكم، من الحروث والمساكن والسبل. ﴿والجبال أوتادا﴾ تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد، ﴿وخلقناكم أزواجاً ﴾ أي: أ ذكوراً وإناثاً من جنس واحد، ليسكن كل منهما إلى الآخر، فتكون (٥) المودة والرحمة، وتنشأ عنهما الذرية، وفي ضمن هذا الامتنان، بلذة المنكح.

﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ أي: راحة لكم، وقطعاً لأشغالكم، التي متى تحادت بكم أضرت بأبدانكم، فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس، لتنقطع (٦) حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة.

﴿وَبِنْينَا فَوقَكُم سَبِعاً شَدَادا﴾ أي: سبع سموات، في غاية القوة، والصلابة والشدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفاً للأرض، فيها عدة منافع لهم، ولهذا ذكر من منافعها الشمس، فقال: ﴿وجعلنا سراجاً وهاجا﴾ نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح (٧).

﴿وأنزلنا من المصرات ﴾ أي: السحاب ﴿ماء تجاجا ﴾ أي: كثيراً حداً.

CAN EIGHING VY GRANICH RE إِنَّ الْنُقِينَ مَفَازُكُ حَدَاتِينَ وَأَعْنَبُاكُ وَكُواعِبَ أَثْرُاكُ وَكُلَّمَا يماتًا ۞ لَايِسْمَهُ زَيْهَا لَفُوا وَلَا كِذَبَّا ۞ جَزَّاهُ مِن زَبِكَ عَطَلَةُ حِسَابًا ۞ زَبَ ٱلسَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَايِنَهُمَّا ٱلرَّحْنَ لَايَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلزُّهُ حُ وَٱلْكَلَّيِكَةُ صَفًّا ۖ لَا يَصَكَلُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَالُهُ ٱلرَّحْنُ وَقَالَ صَوَالِا ۞ ذَالِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَنَ شَكَّة اَتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِيهِ مَعَابًا ۞ إِنَّا أَنذَرْنَكُو عَذَا بَا قِيبًا يَوْمَ يَنظُمُ ٱلْمَرُهُ مَا فَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَغُولُ ٱلْكَافِرُ يُلَاتَمَ كُنتُ ثُرُيّاً ۞ अ टाइस्मिग्रहरू ६ وَالنَّوْعَنِهُ مَا كَالَّهُ مَاتَ شِعَلْتِ مَشْعًا ۞ وَالسَّبِحَتِ سَنْهُمَا ۞ قَالسَّا عَنْتِ سَنِعًا ۞ فَالْمُتَرَبِّ أَمْرًا ۞ وَمَ زَجُفُ الرَّاجِعَةُ اللَّهُ مُهَا اللَّهِ وَقُدُ اللَّهِ مُنْ مُنْ وَلَيْحَاتُ ١٠ أَنْصَارُهَا خَيْعَةُ ۞ يَقُولُونَ أَوِنَا لَتَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۞ أَوِدَاحَنَا عِظْنَا غِيْرَةً ۞ قَالُواْ لِلْكَ إِذَا سَكَرَّةً خَايِرَةٌ۞ فَإِنْمَا هِنَ دَجْرَةً وَعِنَةُ ۞ فَإِنَّا هُم وَالسَّاهِرَةِ۞ قَلْ أَلَكُ حَدِيثُ مُوسَى ﴿ DUDGE ON ED SED

﴿لنخرج به حباً﴾ من بُرٌ وشعير، وذرة وأرز، وغير ذلك عما يأكله الأدميون.

﴿ونباتاً﴾ يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتاً لمواشيهم، ﴿وجنات الفافا﴾ أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة.

فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة (^^)، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عدها، كيف [تكفرون به و] تكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟!!

(۱۷ - ۳۰ ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً * يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً * وفتحت السماء فكانت أبواباً * وسيرت الجبال فكانت سراباً * إن جهنم كانت مرصاداً * للطاغين مآباً * لابثين فيها أحقاباً * لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً * إلا

⁽١) في ب: الذي قامت عليه الأدلة والبراهين القاطعة إلا الإفك الصراح والكذب العبين.

⁽٢) في ب: ثم ذكر.

⁽٣) في ب: على ما جاءت به الرسل.

⁽٤) فى ب: مذاللة.

⁽٥) نى ب: فتتكون.

⁽٦) في ب: لتسكن.

⁽٧) في ب: الذي صار ضرورة للخلق، وبالوهاج وهي: حرارتها على ما فيها من الإنضاج والمنافع.

⁽٨) في ب: الجليلة.

हाहाहाहाहाहा ४१ CANCELL IN إِذْ نَادَنَهُ رَبُّهُمُ الْوَادِ ٱلْقُنِّينِ مُلُوى ۞ أَذْهَبِ إِلَى فِرْيَونَ إِنَّهُ مِلْغَى الله عَمَّا عَلَ أَكَ إِنَّ أَن زَكِ فِي وَأَهْدِيكَ إِنَّى رَيِّكَ فَتَخْشَىٰ اللهُ اللهُ وَالْمُدِيكَ إِنَّى رَيِّكَ فَتَخْشَىٰ اللهُ فَأَرِينُهُ ٱلْآَيَةُ ٱلْكُبْرَىٰ۞ فَكُنَّابُ وَعَصَىٰ۞ ثُمَّأَتُرَوْسَىٰ۞ فَتُرَر فَادَى ١٥ فَقَالَ أَوْرَكُمُ الْأَعْلِينَ فَأَخَذُهُ اللَّهُ مُعَالَ ٱلْآخِرَةِ وَالْأَلْلَ ۞ إِذَ فِ ذَٰلِكَ لَمِبْرَةً لِمَن يَغَثَىٰ ۞ ءَأَنتُرَأَ شَدُّ خَلُقًا أَمِرَ السَّمَلَةُ بَنَنَهَا ۞ رَفَعَ سَمْكُمُا فَسَوَنَهَا ۞ وَأَغَطَشَ لِيَلَهَا وَأَخْرَعَ مُعْصَلَهَا ٥ وَٱلْأَرْضَ بَعْدُ ذَلِكَ دَحَلَما ﴿ أَخْرَمُ مِنْهَا مَآءَ هَا وَمَرْعَلَهَا @ وَآجِيَالَ أَرْسَلَهَا ۞ مَنْهَا أَكُو وَلِأَمْنَكِهُ ۞ فَإِذَا جَلَّمْتِ ٱلطَّآمَةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ يَوْمَ يَتَذَكُّرُ ٱلْإِنسَانُ مَاسَعَىٰ ۞ وَيُعْزِقَتِ الْجَيِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿ فَأَمَّا مَن مَلْغَىٰ ۞ وَوَانْزَلْكُيُووَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَدْحِيرِ فِي ٱلْمَأْوَىٰ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَلَفَ مَقَامَ رَبِهِ وَفَعَى أَلْفَسَ عَنِ الْمُوَىٰ ﴾ فَإِنَّ الْجُنَّةَ مِنَ لَلْأُوىٰ ۞ يَتْنَالُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَعَا ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَمَهُ ۚ إِلَى مُنتَمِعًا ﴿ إِنَّا أَنتَ مُعْذِدُ ﴿ وَا مَن يَغْفَ لِهَا ۞ كَأَنَّهُمْ وَمُرْزُونَهَا لَرُ يَلْتُوا الْاعِشَةَ أُوْمُعُهَا۞ THE PARTY OF THE P

TO SO SOLE ON SOLE OF SOLE OF

حميماً وغساقاً * جزاء وفاقاً * إنهم كانوا لا يرجون حساباً * وكذبواً بآياتنا كذاباً * وكل شيء أحصيناه كتاباً * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة الذي يتساءل عنه المكذبون، ويجحده المعاندون، أنه يوم عظيم، وأن الله جعله ﴿ميقاتا﴾ للخلق ﴿ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ، ويجري فيه من الزعازع والقلاقل ما يشيب له الوليد، وتنزعج له القلوب، فتسير الجبال، حتى تكُون كالهباء المبثوث، وتشقق(١٦) السماء حتى تكون أبوابا، ويفصل الله بين الخلائق بحكمه الذي لا يجور، وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعدها للطاغين، وجعلها مثوى لهم ومآبا، وأنهم يلبثون فيها أحقاباً كثيرة، و «الحقب» على ما قاله كثير من المفسرين: ثمانون سنة.

وهم إذا وردوها (٢) ﴿لا يدوقون فيها بردا ولا شرابا﴾ أي: لا ما يبرد

جلودهم، ولا ما يدفع ظمأهم.

﴿إلا حميه ما ويقطع أمعاءهم، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، ووغساقا وعساقا وهو صديد أهل النار، الذي هو في غاية النتن، وكراهة المفاق، وإنما استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاء لهم ووفاقاً على ما عملوا يظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم، يظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم، هذا الجزاء، فقال: ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابا أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة.

﴿وكذبوا بآياتنا كذابا﴾ أي: كذبوا بها تكذيباً واضحاً صريحاً وجاءتهم البينات فعاندوها.

وكل شيء من قليل وكثير، وخير وشر واحصيناه كتابا أي: وخير وشر واحصيناه كتابا أي كتبيناه كتابا أي اللوح المحفوظ، فلا يخشئ المجرمون أنا عذبناهم يضيع من أعمالهم شيء، أو ينسى منها مثقال ذرة، كما قال تعالى: (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين عما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم رئك أحداً .

﴿ فَ فَوقَ وَ إِنَّ الْكَ لَدِونَ هَذَا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالْحَزِيِ الْدَاتِمِ ﴿ فَلَنَ نَزِيدُكُم إِلَا عَذَابًا ﴾ وكل وقت وحين يزداد عذابهم [وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار أجارنا الله منها].

مفازاً * حدائق وأعناباً * وكواعب أتراباً * وكأساً دهاقاً * لا يسمعون أتراباً * وكأساً دهاقاً * لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً * جزاءً من ربك عطاء حساباً كلا ذكر حال المجرمين، ذكر مآل المتقين، فقال: ﴿إِن المتقين مفازاً ﴾ أي (أ): الذين اتقوا سخط عما يكرهه (أ) فلهم مفاز ومنجى، عما يكرهه (أ) فلهم مفاز ومنجى، وكند عن النار، وفي ذلك المفاز لهم وحدائق وهي البساتين الجامعة وأسناف الأشجار الزاهية، في الثمار التي تتفجر بين خلالها الأنهار، وخص الحدائق.

ولهم فيها زوجات على مطالب النفوس ﴿كواعب﴾: وهي: النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من شبابهن، وقوتهن، ونضارتهن (٦٠).

﴿والأتراب﴾: اللتي على سن واحد متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكنّ متآلفات متعاشرات، وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة، في أعدل سن الشباب(٧٠).

﴿وكأسا دهاقا﴾ أي: محلوءة من رحيق، لذة للشاربين، ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ أي: كلاماً لا فائدة فيه ﴿ولا كذابا﴾ أي: إثماً.

كما قال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً .

وإنما أعطاهم الله هذا الشواب الجزيل [من فضله وإحسانه] ﴿حِزاء من ربك لهم ﴿عطاء حساباً ﴾ أي: بسبب أعمالهم التي وفقهم الله لها، وجعلها ثمناً لجنته ونعيمها (٨).

⁽١) في ب: وتنشق.

⁽٢) في ب: فإذا وردوها.

⁽٣) في ب: أثبتناه.

⁽٤) كذا في ب، وفي أ: فقال: إن المتقين.

⁽٥) في ب: عن معصيته.

⁽٦) كذا في ب، وفي أ: وهي الناهد التي لم ينكسر ثديها من شبابها ونضارتها وقوتها.

⁽٧) في ب: أعدل ما يكون من الشباب.

⁽A) في ب: وجعلها سبباً للوصول إلى كرامته.

﴿٣٧_٣٠) ﴿ رب السماوات تعالى: أن ضوما بنهما الرحمد لا يملكون ﴿

والأرض وما بينهما الرحن لا يملكون منه خطاباً * يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحن وقال صواباً * ذلك اليوم الحق فمن عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي : الذي أعظاهم هذه العطايا هو رجم خلقها ودبرها (الرحمن) الذي رحمته خلقها ودبرها (الرحمن) الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم،

ثم ذكر عظمته وملكه العظيم يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون لا يتكلمون ولا يملكون منه خطابا إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين: أن يأذن الله عني الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابا، لأن ﴿ ذلك اليوم ﴾ هو الذي لا يروج فيه الباطل، ولم ينفع فيه الكذب، وفي ذلك اليوم السلام، الذي هو أشرف الملائكة (أ) أسلام، الذي هو أشرف الملائكة (أ) فوالملائكة أي أيضاً يقوم الجميع ﴿ والمنافذ لهم الله به لا يمكلمون الله بما أذن لهم الله به (أ)

فلما رغّب ورهّب، وبشّر وأنذر، قال:

﴿ فِمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا ﴾ أي: عملاً، وقدم صدق يرجع إليه يوم القامة.

﴿إِنَا أَنْدُرِنَاكُم عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ لأنه قد أزف مقبلاً، وكل ما هو آت فهو قريب.

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ أي: هذا الذي يهمه ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدنيا إليه (٣)، كما قال

تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إنَّ الله خبيرٌ بما تعملون ﴾ الآيات.

فإن وجد خيراً فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا كان الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة والندم.

نسأل الله أن يعافينا من الكفر والشر كلّه، إنه جواد كريم.

> تم تفسير سورة عم، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة النازعات وهي مكية

﴿١٤ - ١٤﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم والنازعات غرقا * والناشطات نشطأ * والسابحات سبحاً * فالسابقات سبقاً * فالمديرات أمراً * يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة * يقولون أثنا لمردودون في الحافرة * أإذا كنا عظاماً نخرة * قالوًا تلك إذا كرة خاسرة * فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة ﴾ هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره، يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحدان، وأنه أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿والنازعات غرقا): وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتجازى بعملها.

٨٠ سُيْوَلَةُ عَبْسَيْنَ عَالَى الْمَ حاققا لتغكزا لتجنير عَيْسَ وَتُوَلِّنَ۞ أَنجَآءَهُ ٱلْخَعْمَا۞ وَمَالُدُرِيكَ لَعَلَّهُ زَكَّآ۞ أَوْ يَذَّكُّرُ فِيَنَفَعَهُ الذِّكْرَيِّ اللَّهِ أَمَّامَ إِسْتَغَنَّ ۞ فَأَنتَ لَهُ قَصَلَتُ عَ ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزَّكُّ ۞ وَأَمَّا مَن جَأَةَ لَهَ يَسْعَىٰ ۞ وَهُوَ يَغْشَىٰ ۞ فَأَتَ عَنْدُنَالَعَىٰ ۞ كُلَّا إِنَّهَا لَذَكِرَةٌ ۞ فَنَ شَآءَ ذَكَّرُمُ۞ فِاصْفِ مُكَّرِّمَةً ﴿ مَرْفُوعَةِ مُّطَهِّرَةِ ۞ بِأَيْدِى سَفَرَةِ ۞ كِزَيرَزَةِ ۞ قُلِزَا لَإِنسَنُ مَّا ٱلْفُرَوُ۞ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ۞ مِنْ أَطْفَةٍ خَلَقَهُ فَعَذَرُهُ۞ ثُرُّ ٱلسَيدِ لَيُتَرَبُّ فُرُأُمَا لَمُ فَأَقْرَمُ فَ ثُرُلِنا شَآءَ أَلْتَرَبُّ فَكُلَّا يَقْضِ مَا أَمْرَهُ ۞ فَلِنَظُرُ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِودَ ۞ أَنَّا صَبَّبَنَا ٱلْكَادَ صَبًّا ٥ ثُرَّمَقَقَنَا ٱلْأَرْضَ مَقَالَ تَأْنَتَنَا فِيَا حَبَّا ۞ وَعَنَا وَقَضْبًا ٨ وَزَيْنُونَا وَخَفَلَا۞ وَحَنَآ إِنْ غُلْبًا۞ وَفَلِكُمْ فَرَأَبُّ۞ مَّنَكَا لَكُمُ وَلِأَمُّنَكِكُوكُ فَإِذَا جَلَدَتِ ٱلصَّاغَةُ ۞ يَوْءَ يَوْأَكُرُو مُنَ أَخِهِ ۞ وَأَيْدِهِ وَأَيِدِهِ وَصَاحِنِيهِ وَيَنْدِهِ ۞ لِكُلَّ آمْرِي مِنْهُمْ وَمَهِ ذِسَأَنَّ يُنْيِهِ ۞ وُجُوهٌ يُوْمَهِ وَتُسْفِرَةٌ ۞ مَناعِكُمٌ تُسْتَبَيْرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ إُ وَمِينِعَلَيْهَا غَبُرةً ۞ تَرْمَعُهَا فَنَوَّ ۞ أُولَتِكَ مُوالْكُمْرُوا الْجَيْرَةُ ۞

﴿والناشطات نشطا﴾: وهم الملاثكة أيضاً، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أن النزع يكون لأرواح المؤمنين، والنشط لأرواح الكفار.

﴿والسابحات﴾ أي: المترددات في الهواء صعوداً ونزولاً ﴿سبحا﴾ ﴿فالسابقات﴾ فتبادر ﴿فالسبقا﴾ فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الله حسسى إلى رسسل الله حسسى لا تسترقه (٢٠).

﴿فالمدبرات أمرا﴾ الملائكة، الذين وكلهم الله أن يدبروا كثيراً من أمور العالم (٥) العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والحيوانات، والجنة، والنار [وغير فلك] ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ وهي قيام الساعة، ﴿تتبعها الرادفة﴾ أي: الرجفة الأخرى التي تردفها وتاتي تلوها، ﴿قلوب يومثل واجفة﴾ أي: موجفة ومنزعجة من شدة ما ترى وتسمم.

﴿ أَبِصارِها خاشعة ﴾ أي: ذليلة حقيرة، قدملك قلوبهم الخوف،

⁽١) في ب: أفضل الملائكة.

⁽٢) في ب: إلا بإذنه.

⁽٣) في ب: فلينظر في هذه الدار ما قدَّم لدار القرار.

⁽٤) في ب: لئلا تسترقه.

⁽٥) في ب: الذين جعلهم الله يدبرون كثيراً من أمور العالم.

والأولى * إنَّ في ذلك لسعبرة لمن

يخشى كا يقول [الله] تعالى لنبيه

المنافعة ال

عمد ﷺ: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه.

أي: هل أتاك حديثه ﴿إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتنّ عليه بالرسالة، واختصه بالوحي والاجتباء (١) فقال له: ﴿ (الفرار الله الله فرعون إنه طغى) أي: ﴿ فانه عن طغيانه وشركه وعصيانه،

﴿فقل﴾ له: ﴿هل لك إلى أن تركى﴾ أي: هل لك في خصلة حيدة، ومحمدة جيلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تُزكي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟

بقول لين، وخطاب لطيف، لعله

﴿ يتذكر أو يخشي ﴾

﴿وأهديك إلى ربك﴾ أي: أدلك عليه، وأُبيِّنُ لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه.

﴿ فتخشى ﴾ الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون مما دعاه إليه موسى.

﴿فأراه الآية الكبرى﴾ أي: جنس الآية الكبرى، فلا ينافي تعددها ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾. ﴿فكذب﴾ بالحق ﴿وعصى﴾ الأمر، مبارزة الحق وعاربته، ﴿فحشر ﴾ مبارزة الحق وعاربته، ﴿فحشر ﴾ المرا المرا المحم الأعلى ﴿ فأذعنوا له، ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ وأبينة لعقوبة الدنيا والآخرة، ﴿إن في ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة، ﴿إن في ولك لعبرة لمن يخشى ﴾ فإن من ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ فإن من

يخشى الله، هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن [بها].

﴿٧٧ _ ٣٣﴾ ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبالُ أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم يقول تعالى مبيناً دليلاً واضحاً لمنكري البعث ومستبعدي إعادة الله للأجساد: ﴿ أَانتم الله البشر ﴿ أَشَد خَلَقاً أَم السماء) ذات الجرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر ﴿بناها﴾ الله، ﴿رفع سمكها﴾ أي: جرمها وصورتها، ونسواها بإحكام وإتقان يحير العقول، ويذهل الألباب، ﴿وَاعْطُشُ لِيلِهِا﴾ أي: أظلمه، فعمت الظلمة [جميع] أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرضَّ، **﴿واخ**رج ضحاهـا﴾ أي: أظهر فيه النور العظيم، حين أتى بالشمس، فامتد (٣) الناس في مصالح دينهم ودنياهم.

﴿ والأرض بعد ذلك ﴾ أي: بعد خلق السماء ﴿ دحاها ﴾ أي: أودع فيها منافعها.

وفسر ذلك بقوله: ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * أي: ثبتها في الأرض.

 فَدَخيُ الأرض بعد خلق السماء، كما هو نص هذه الآيات [الكريمة].

وأما خلق نفس الأرض، فمتقدم على خلق السماء كما قال تعالى: ﴿قل أَإِنكُم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ إلى أن قال: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أنتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا

مراهم أفندتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف [واستولت عليهم] الحسرة.

يقولون أي: الكفار في الدنيا، على وجه التكذيب: ﴿أَإِذَا كُنَا عَظَامًا نخرة﴾ أي: بالية فتاتا.

﴿قالوا تلك إذاً كرّة خاسرة﴾ أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظاماً نخرة، جهلاً [منهم] بقدرة الله، وتجرُّوا عليه.

قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ ينفخ فيها في الصور .

فإذا الخلائق كلهم ﴿بالساهرة﴾ أي: على وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله ويقضي بينهم بحكمه العدل ويجازيهم.

﴿١٥ ـ ٢٦﴾ ﴿ هـل أتباك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى * اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقل هـل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربـك فـتخشى * فـأراه الآية الكبرى * فكذب وعصى * ثم أدبر يسعى * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة

⁽١) في ب: وابتعثه بالوحي واجتباه.

⁽٢) في ب: أي جعل الله عقوبته.

⁽٣) في ب: فانتشر.

طائعين﴾^(۱).

فالذي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الكثيفة الغبراء، وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى، ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا ذكر بعد هذا القيام الجزاء (٢)، فقال:

الكبرى * يوم يتذكر الإنسان ما الكبرى * يوم يتذكر الإنسان ما فأما من طغى * وبرزت الجحيم لمن يرى * فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإنّ الجنة هي المأوى أي: إذا جاءت القيامة الكبرى، والشدة العظمى، التي يهون عندها كل شدة، فحينذ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه [وكل عب عن والصاحب عن صاحبه [وكل عب عن حبيبه]. و ويتذكر الإنسان ما سعى في الدنيا، من خير وشر، فيتمنى زيادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمّه ويجزن مثقال ذرة في حسناته، ويغمّه ويجزن وثيرة مثقال ذرة في حسناته، ويغمّه ويجزن وشر، فيتمنى ويادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمّه ويجزن ويادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمّه ويجزن

ويحلم إذ ذاك أن مادة ربحه وخسرانه ما سعاه في الدنيا، وينقطع كل سبب ووصلة كانت في الدنيا، سوى الأعمال.

﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ أي: جعلت في البراز، ظاهرة لكل أحد، قد برزت (۳) لأهلها، واستعدت لأخذهم، منتظرة لأمر ربها.

﴿ فأما من طفى ﴾ أي: جاوز الحد، بأن تجرأ على المعاصي الكبار، ولم يقتصر على ما حده الله.

﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾ على الآخرة،

فصار سعيه لها، ووقته مستغرقاً في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة وترك العمل لها.

﴿فَإِنَ الجَحِيمِ هِي المَّاوِي ﴾ [له] أي:
المقر والمسكن لمن هذه حاله، ﴿وأما من
خاف مقام ربه ﴾ أي: خاف القيام عليه
و بجازاته بالعدل، فأثر هذا الخرف في
قلبه. فنهى نفسه عن هواها الذي
يقيدها(٤) عن طاعة الله، وصار هواه
تبعاً لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى
والشهوة الصاذين عن الخير، ﴿فَإِن
الجنة ﴾ [المشتملة على كل خير وسرور
ونعيم] ﴿هِي المَّوى ﴾ لمن هذا وصفه.
﴿لاك حن ﴿عيساً للونك عن

الساعة أيّان مرساها * فيم أنت من ذكراها * إلى ربك منتهاها * إنما أنت منذر من يخشاها * كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أي: أ يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث ﴿عن الساعة المتى وقوعها و ﴿ أيان مرساها﴾ فأجابهم الله بقوله: ﴿فيم أنت من ذكراها ﴾ أي: ما الفائدة لك أ ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة، ولهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه فقال: ﴿إِلَّى رَبُّكُ مِنتهاها ﴾ أي: إليه ينتهى علمها، كما قال في الآية الأخرى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغته يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٥) ﴿إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ أي:

إنما نذراتك [نفعها] لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها.

وأما من لا يؤمن بها، فلا يبلي به ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثاً، ينزه الحكيم عنه [تمت] والحمد لله رب العالمين.

تفسیر سورة عبس وهی مکیة

﴿۱ - ۱﴾ ﴿بسم الله السرحمين السرحيم عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تسلمى ﴾ وسبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبى ﷺ ويتعلم منه.

وجاءه رجل من الأغنياء، وكان على حداية الخلق، وكان على حداية الخلق، وصد عن الأعمى الفقير، رجاء لهداية ذلك عن الأعمى الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعاً في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف، فقال: ﴿عبس﴾ لأجل بجيء الأعمى له، ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿وما يدريك لعله﴾ أي: الأعمى ﴿يزّكي﴾؟ أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة؟

﴿أُو يَذْكُر فَتَنْفِعَهُ الذَّكْرِي﴾؟ أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل (١) بتلك الذكري.

 ⁽١) وقع هنا سبق قلم من الشيخ _ رحمه الله _ فقال: إلى أن قال ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ وصواب ذلك ما أثنته.

⁽٢) في ب: ذكر بعد هذا قيام الساعة ثم الجزاء.

⁽٣) في ب: هيئت.

⁽٤) في ب: الذي يصدها.

⁽٥) وردت الآية ناقصة في وسطها من نسخة (أ) ووردت ناقصة من آخرها من نسخة ب فأتممتها.

⁽٦) في ب: فينتفع.

وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقراً لذلك منك(١)، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغنى المستغنى الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلولم يَتزَكَ، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: الا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة»، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من

﴿١١ ـ ٣٢﴾ ﴿كلا إنها تذكرة * فىمىن شاء ذكره * فى صحف مكرمة *مرفوعة مطهرة *بأيدى سفرة * كرام بررة * قتل الإنسان ما أكفره * من أي: شيء خلقه * من نطفة خلقه فقذره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره * كلا لما يقض ما أمره * فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صبينا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شقاً * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلا * وحداثق غلباً * وفاكهة وأبّاً * متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ يقول تعالى: ﴿كلا إنها تَذْكُرة ﴾ أي: حقاً إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي، فإذا تبين ذلك ﴿فمن شاء ذكره ﴾ أي: عمل به، كقوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر 🎙 .

ثم ذكر محل هذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: ﴿في صحف مكرمة *مرفوعة > القدر والرتبة ﴿مطهرة﴾ [من الآفاق و] عن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها، بل هي

﴿بأيدى سفرة ﴾: وهم الملائكة [الذين هم] السفراء بين الله وبين عباده، ﴿كُوامِ﴾ أي: كثيري الخير والبركة، ﴿ ورة ﴾ قلون ، مأعمالهم .

وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلاً، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقِّيه بالقبول، ولكن مع هذا أبي الإنسان إلا كفوراً، ولهذا قال تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ لنعمة الله، وما أشد معاندته للحق بعدما تبين، وهو ما هو؟ هو من أضعف الأشياء، خلقه الله من ماء مهين، ثم قدر خلقه، وسواه بشراً سويا، وأتقن قواه الظاهرة والباطنة.

﴿ثم السبيل يسره﴾ أي: يسر له الأسباب الدينية والدنيوية، وهداه السبيل، [وبينه] وامتحنه بالأمر والنهى، ﴿ثم أماته فأقبره ﴾ أي: أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض، ﴿ أَمْ إِذَا شَاء أَنشره ﴾ أي: بعثه بعد موته للجزاء، فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه سذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك، وهو مع هذا م لا يقوم بما أمره الله، ولم يقض ما فرضه عليه، بل لا يزال مقصراً تحت الطلب.

ثم أرشده تعالى إلى النظر والتفكر في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكررت عليه طبقات عديدة، ويسره له، فقال: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صبينا الماء صباً ﴾ أي: أنزلنا المطرعلي الأرض بكثرة، ﴿ثم شققنا الأرض للنبات ﴿شقاً * فأنبتنا فيها ﴿ أصنافاً مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية ﴿حِياً﴾ وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، ﴿وعنباً وقضبا﴾: وهو القت، ﴿وزيتوناً ونخلا﴾ وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها .

الأشجار الكثيرة الملتفة، ﴿وفاكهة وأتا﴾ الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورمان، وغير

والأت: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم، أوجب له ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره.

﴿٣٣ ٢٤ ﴿ فَ إِذَا جِسَاءَت الصاخة * يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأنّ يغنيه * وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * أولئك هم الكفرة الفجرة♦ أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تصخ لهولها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، عما يرى الناس من الأهبوال وشيدة الحياجية ليساليف الأعمال، ﴿يقو الموء ﴾ من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، ﴿من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته اي زوجته ﴿وينيه ﴾ وذلك لأنه ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ أي: قد أشغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفات إلى غيرها، فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء، فأما السعداء، فوجوههم [يومئذ] ﴿مسفرة﴾ أي: قد ظهر فيها السرور والبهجة، من ما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم، وضاحكة مستبشرة * ووجوه الأشقياء ﴿يومثذ عليها غبرة * ترهقها ﴾ أي: تغشاها ﴿قترة﴾ فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها.

﴿أُولِئِكُ الذينِ بِهٰذَا الوصف ﴿هم الكفرة الفجرة) أي: الذين كفروا بنعمة الله، وكذبوابآيات الله،

وتجرؤوا على محارمه. **﴿وحدائق غلبا** أي: بساتين فيها

⁽١) في ب: مفتقراً لذلك مقبلاً.

كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع

الأبرار مع الأبرار، والفجار مع

الفجار، وزوج المؤمنون بالحور العين،

والكافرون بآلشياطين، وهذا كقوله

تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم

زمرا﴾ ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى

الجنة زمرا) ﴿احشروا الذين ظلموا

﴿ وإذا الموؤودة سئلت ﴾ وهي التي

كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن

البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا

خشية الفقر، فتسأل: ﴿بأي: ذنب

قتلت﴾ ومن المعلوم أنها ليس لها

ذنب، ففي هذا توبيخ وتقريع لقاتليها(٢).

عمله العاملون من خير وشر

﴿نشرت﴾ وفرقت على أهلها، فآخذ

كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو

﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ أي:

أزيلت، كما قال تعالى: ﴿ يوم تشقَّق

السماء بالغمام) ﴿ يوم نطوى السماء

كطى السجل للكتب ﴿ والأرض

جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات

﴿ وَإِذَا الْجَحِيمِ سَعِرت ﴾ أي: أوقد

عليها فاستعرت، والتهبت التهاباً لم

يكن لها قبل ذلك، ﴿وإذا الجنةُ

أزلفت ﴾ أي: قُربت للمتقين، ﴿علمت نفس﴾ أي: كل نفس،

وما أحضرت اي: ما حضر لديها

من الأعمال [التي قدمتها] كما قال

تعالى: ﴿وُووجِدُوا مَّا عَمَلُوا حَاضَرًا﴾. وهذه الأوصاف التي وصف الله بها

يوم القيامة، من الأوصَّاف التي تنزعج

لها القلوب، وتشتدمن أجلها

لإتيانها في سياق الشرط.

﴿وإذا الصحف﴾ الشتملة على ما

وأزواجهم 🦫 .

من وراء ظهره.

مطويات بيمينه ﴾ .

﴿١٤١﴾ ﴿بسب الله السرحسن لها ويراعونها في جميع الأوقات، كل نفيس .

جمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى إنه ليقتص من القرناء للجمّاء (٢)، ثم يقول لها: كوني تراباً. ﴿ وإذا السحار سنجرت ﴿ أَي :

[وهي] مكية

الرحيم إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت * وإذا النفوس زوجت * وإذا الموؤودة سئسلت * بأي: ذنب قتلت * وإذا الصحف نشرت * وإذًا السماء كشطت * وإذا الجحيم سعرت * وإذا الجنة أزلفت * علمت نفس ما أحضرت﴾ أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميز الخلق، وعلم كل أحد ما قدمه لآخرته، وما أحضره فيها من خير وشر، وذلك إذا كان يوم القيامة تكور الشمس أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر، ويلقيان في النار، ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ أي : تغيرت، وتساقطت (١١) من أفلاكها، ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ أي: صارت كثيباً مهيلاً، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت وصارت هباء منبثاً، وسيرت عن أماكنها، ﴿وإذا العشار عطلت﴾ أي: عطل الناس حينئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبه بالعشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من

نسأل الله العفو والعافية، إنه جواد أوقدت فصارت _على عظمها _ناراً ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ أي: قرن

تفسير سورة التكوير

﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ أي:

كريم [والحمد لله رب العالمين].

إِذَا التِّنَاتُةُ النَّطَرَةُ ۞ وَلِذَا ٱلْكُوْلِكُ أَسَّكُونَ ۞ وَإِذَا ٱلْمِحَارُ فَيْرَتْ ۞ وَلِذَا ٱلْقُبُورُيُعْ مِرْتَ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَالْقَدَّتُ وَأَخْرَتْ ۞ يَتَأَيُّهُا ٱلْإِنْكُنُ مَاغَرُهُ بِرَيْكَ ٱلْكَرِيرِ۞ ٱلَّذِي خَلَقَكَ مْنَوَىكَ فَعُدُلُكَ ۞ فِي أَيْ صُورَةِ مَا شَآءَ رَكَبَكَ ۞ كَلَّا ا بَلْ تُكَذِيُونَ بِالدِّينِ ۞ وَمَانَّ عَلَيْكُمُ لَحَفِظِينَ۞ كِرَامًا كَيْدِينَ ۞ يَمْلُمُونَ مَالَقَعْلُونَ ۞ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَيْ نَعِيرِ ۞ وَاذَالْفُهُ الْأَيْحِيدِ فَيَسْلَوْنَهَا يَوْمَ الْدِينِ ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمُنَآبِيِينَ ۞ وَمَا أَدْرَيكَ مَا يَوْمُ الدِينِ ۞ ثُرُّمَا أَدْرَيكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ مَفْسُ لِيَقْسِ شَيْئًا وَٱلْأَمْرُ يُوْمَهِ ذِيلَهِ ۞ الله المنافقة المنافق حاقفالتخالخة ا وَيْلِّ لِلْمُعْلِمَفِينَ ۞ الْذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْعَلَ النَّايِرِ يَسْتَوْفُونَ۞ ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أُووَرَوُهُمْ يُخْدِرُونَ ۞ أَلَا يَطُنُ أُوْلَيْكَ أَنْهُمُ

THE STATE OF THE S

الكروب، وترتعد الفرائص، وتعم المخساوف، وتحسث أولى الألسساب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي عين، فليتدبر سورة ﴿إذا

الشمس كورت).

المَّهُ وَفُونَ ۞ لِتَوْمِ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِ الْمَلْمِينَ ۞

بالخنس * الجوار الكنس * والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس * إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وما هو على الغيب بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * فأين تذهبون * إن هو إلا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أقسم تعالى ﴿بالخنس﴾ وهي الكواكب التي تخنس أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلى جهة المشرق، وهي النجوم السبعة السيارة: «الشمس»، و «التقسمسر»، و «السزهسرة»، و «المشـــــــــري»، و «المريــــخ»، و «زحل»، و «عطارد»، فهذه السبعة

⁽¹⁾ في ب: وتناثرت.

في ب: حتى إنه يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء.

⁽⁴⁾ في ب: ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها.

CHEER AT CHEER DE كَلَّا إِنَّ كِتُلَا الْفُجَّارِ لِنَي سِجِينِ ۞ وَمَا أَدْرَيْكَ مَاسِجِينٌ ۞ كِنَتُ مَرَقُومٌ ۞ وَيُلْ يَوْمَهِ ذِلِلْهُ كَذِيهِ يَنَ۞ ٱلَّذِينَ يُكَذِيوُكَ بِيَوْمِ ٱلِدِينِ۞ وَمَا يُكُونُ بِهِ ۗ إِلَّا كُلُّ مُعْنَدِ أَثِيرِ۞ إِذَا لُتُلَا عَلَيْهِ مَا يَثُنَا قَالَ أَسَطِيرًا لأُوَّالِينَ ۞ كَلَّابَلَّ زَانَ عَلَ قُلُوبِهِمِ مَّا كَاوُأْ يَكْسِبُونَ ۞ كُلَّ إِنَّهُ مُ عَن زَيِهِ مُوْمَ إِنْ أَمُّن مُونَ۞ ثُرَّ إِنَّهُ لَسَالُوا الْجَدِيمِ ۞ ثُرُيْقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُتُتُم بِهِۦ تُكَوْبُونَ۞ كُلَّ إِنَّ كِنْبَ ٱلأَبْرَارِ ۚ لَقِي عِلْيِينَ ۞ وَمَا أَدْرَيكَ مَاعِلْيُونَ ۞ كِنَابٌ مَرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرِّعُونَ ۞ إِذَا ٱلْأَبْرَارَ لِي نَعِيمِ ۞ عَلَى ٱلْأَرْآيَكِ يَنْظُرُونَ ۞ نَعْفُ فِي وُجُوهِهِ مُوْضَرَةَ ٱلنَّهِيرِ ۞ يُسْتَقَوْنَ مِن رَّحِيقِ مَّنْفُوهِ ۞ خِنَمُمُوسُكُ وَفِي ذَالِكَ فَلْيَتَنَافِسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ۞ وَمِزَاجُمُهُ مِن تَسْنِيمِ۞ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرِّعُونَ۞ إِنَّ ٱلَّذِيثَ أَجْرَعُوا كَافُوامِبَ ٱلَّذِينَ امْنُوالِعَنْ حَكُونَ ۞ وَإِذَا مَثُواجِمْ يَتَغَامَرُونَ ۞ وَإِذَا أَنْفَكُمُواْ إِلَى أَمْلِهِمُ أَنْفَكُمُواْ فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأُوْمُرُ قَالْوَا إِنَ مَنْوُلِا مِنْ الْوِنْ وَمَا أَرْسِلُواْ عَلَيْهِ رَحَفِظِينَ ا فَالْيُومُ الَّذِينَ ءَامَتُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَفْحَكُونَ ۞ CONTRACTOR

لها سيران.

سير إلى جهة المغرب مع باقي الكواكب والأفلاك(١)، وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة دون غيرها.

فأقسم الله بها في حال خنوسها أي: تأخرها، وفي حال جريانها، وفي حال كنوسها أي: استتارها بالنهار، ويحتمل أن المراد بها جميع النجوم (٢) الكواكب السيارة وغيرها.

﴿والليل إذا عسعس﴾ أي: أدبر، وقيل: أقبل، ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أي: بانت (٢) علائم الصبح، وانشق النور شيئاً فشيئاً حتى يستكمل وتطلع الشمس، وهذه آيات عظام، أقسم الله وحفظه من كل شيطان رجيم، فقال: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وهو جبريل عليه السلام، نزل به من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب لعالمين * نزل به الروح الأمين * على البك لتكون من المنذرين﴾

ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه،

وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملانكة، وأعظمهم رتبة عند ربه، ﴿ذي قوة﴾ على ما أمره الله به.

ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم .

﴿عند ذي العرش﴾ أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخصيصة من الله اختصه بها، ﴿مكِين﴾ أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم.

﴿مطاع ثم﴾ أي: جبريل مطاع في الملأ الأعلى، لديه (٥) من الملائكة القربين جنودٌ، نافذ فيهم أمره، مطاع أمر به، ﴿ أمين﴾ أي: ذو أمانة وقيام بما أمر به، لا ينزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حُدِّله، وهذا [كله] يدل على شرف القرآن عند الله تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل.

ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس، فقال: ﴿وما صاحبكم﴾ وهو محمد ﷺ ﴿بمجنون﴾ كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته، المتقولون عليه من الأقوال، التي يريدون أن يُطفؤوا بها ما جاء به ما شاؤوا وقدروا عليه، بل هو أكمل الناس عقلاً، وأجزلهم رأياً، وأصدقهم لهجة.

﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ أي: رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام بالأفق البين، الذي هو أعلى ما يلوح للبصر.

﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم

يزيد فيه أو بيقص أو يكتم بعضه، بل هو يشخ أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ ولا فقير، ولا رئيس ولا مرؤوس، ولا ذكر ولا أنشى، ولا حضريً ولا بعثه الله في أمة أمية، بدوي، ولذلك بعثه الله في أمة أمية، كانوا علماء ربانيين، وأحبارا كانوا علماء ربانيين، وأحبارا متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، واليهم المنتهى في استخراج الدقائق والهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم.

وما هو بقول شيطان رجيم له ذكر جلالة كتابه (٢) وفضله بذكر الرسولين الكريمين، اللذين وصل إلى الناس على أيديهما، وأثنى الله عليهما اثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما أثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما يقدح في صدقه، فقال: ﴿وما هو بيقول شيطان رجيم ﴾ أي: في غاية تلهبون ﴾ أي: كيف يخطر هذا ببالكم، وأين عزبت عنكم أذها نبالكم، وعلم طفة ببالكم، المحدق بمنزلة الكذب، الذي هو أنزل ما يكون [وأرذل] وأسفل الباطل؟ هل هذا إلا من انقلاب الحقائق.

﴿إِن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من النقائص والرذائل [والأمثال]، ويتذكرون به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وبالجملة، يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السعادتين.

﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ بعدما

⁽١) في ب: مع سائر الكواكب والفلك.

⁽٢) في ب: الكواكب.

⁽٣) في ب: بدت.

⁽٤) في ب: أقسم الله عليها لقوة سند القرآن.

⁽٥) في ب: لأنه.

⁽٦) كذا في ب، وفي أ: جلالته.

تبين الرشد من الغي، والهدى من الضلال.

﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أي: فمشيئته نافذة، لا يمكن أن تعارض أو تمانع.

وفي هذه الآية وأمثالها، ردَّ على فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة كما تقدم مثلها [والله أعلم والحمد لله].

تفسير سورة الانفطار [وهي] مكية

﴿١ _ ٥﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتشرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قلمت وأخرت أي: إذا انشقت السماء وانفطرت، وانتشرت (١) نجومها، وزال جالها، وفجرت البحار فصارت بحراً واحداً، وبعشرت المقبور بأن أخرجت (٢) ما فيها من الأموات، وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال.

فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفياً، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسران، هنالك يعض الظالم على يديه إذا رأى أعماله باطلة، وميزانه قد خف، والمظالم قد تداعت إليه، وأيقن بالشقاء الأبدي والسعاب السرمدي (٣).

و [هنالك] يفوز المتقون، المقدمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم، والنعيم المقيم، والسلامة من عذاب الجحيم.

﴿٦ ـ ١٢﴾ ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي: صورة ما شاء ركبك * كلابل تكذبون

بالدين * وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون * يقرل تعالى معاتباً للإنسان المقصر في حق ربه، المتجرىء على مساخطه (1): ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ أتهاوناً منك في حقوقه؟ أم احتقاراً منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟

أليس هو ﴿الذي خلقك فسواك﴾ في أحسن تقويم؟ ﴿فعدلك﴾ وركبك تركيباً قويماً معتدلاً، في أحسن الأشكال، وأجل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟

إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاجمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات [فلهذا قال تعالى في أي صورة ما شاء ركبك)

[وقوله:] ﴿كلابل تكذبون بالدين﴾ أي: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء.

وأنتم لا بدأن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كراماً يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتجلوهم وتحرموهم.

﴿ ۱۳ ← ۱۹ ﴾ ﴿إن الأبسرار لسفسي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين * وما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئل شُه المراد بالأبرار، القاتمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون

النالاتان غانون هم من في الكفائنا كافوا في من في الكفائنا كافوا كلا كافون في من كفائنا لا في من من كافون في من كفائنا لا في من كفائنا من كفائنا كافون كلما فاليون كلما فاليون كافون كافون في كفائنا من في من كفائنا في من كون كافون كلما فاليون كلما فاليون كلما فاليون كلما فاليون كلما فاليون كلما فاليون كلما كافون كلما كافون كلما كافون كلما كافون كافون كلما كافون كافو

للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا [وفي دار] البرزخ و [في] دار القرار.

﴿ وَإِن الفجار ﴾ الذين قصروا في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم، ففجرت أعمالهم ﴿ لفي جحيم ﴾ أي: عذاب أليم، في دار الدنيا و [دار] البرزخ وفي دار القرار ﴿ يصلونها ﴾ ويعذبون [بها] أشد العذاب ﴿ يوم الدين ﴾ أي: يوم الجزاء على الأعمال.

﴿وما هم عنها بغائبين﴾ أي: بل هم ملازمون لها، لا يخرجون منها. ﴿وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ ففي هذا تهويل لـذلـك اليوم الـشـديـد الـذي يحير الأذهان.

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾ ولو كانت لها قريبة [أو حبيبة] مصافية، فكل مشتغل بنفسه لا يطلب الفكاك لغيرها.

﴿والأمر يومئذ شه فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظاله [والله أعلم].

⁽١) في ب: وتناثرت.

⁽٢) في ب: بأن أخرج.

 ⁽٣) في ب: إذا رأى ما قدمت يداه وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي.

⁽٤) في ب: المقصر في حقه المتجريء على معاصيه.

﴿لَفِي سَجِّينَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله:

﴿وما أدراك ما سبخين * كساب

مرقوم اي: كتاب مذكور فيه

أعمالهم الخبيثة، والسجين: المحل

الضيق الضنك، و «سجين» ضد

«عليين» الذي هو محل كتاب الأبرار،

وقد قيل: إن «سجين» هو أسفل

﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ثم بين

المكذبين بأنهم (١٠) ﴿الذين يكذبون

بيوم الدين أي: يوم الجزاء، يوم

﴿وما يكذب به إلا كل معتد﴾ على

﴿ أَثْيِم ﴾ أي: كثير الإثم، فهذا

محارم الله، متعد من الحلال إلى الحرام.

الذي يحمله عدوانه على التكذيب،

ويحمله [عدوانه على التكذيب ويوجب

له] كبره رد الحق، ولهذا ﴿إذا تتلي عليه

آياتنا﴾ الدالة على الحق، و [على]

صدق ما جاءت به رسله، كذبها

وعاندها، ﴿وقال﴾: هذا ﴿أساطير

الأولين أي: من ترهات المتقدمين،

وأخبار الأمم الغابريين، ليس من

وأما من أنصف، وكان مقصوده

الحق المبين، فإنه لا يكذب بيوم

الدين، لأن الله قد أقام عليه من الأدلة

القاطعة، والبراهين الساطعة، ما يجعله

حق اليقين، وصار لقلوبهم مثل

الشمس للأبصار (١١١)، بخلاف من ران

على قلبه كسبه، وغطته معاصيه، فإنه

محجوب عن الحق، ولهذا جوزي على

ذلك، بأن حجب عن الله، كما

حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله،

﴿ثم إنهم مع هذه العقوبة البليغة

﴿لصَّالُوا الجحيمِ ثم يقال لهم توبيخاً

عند الله تكبراً وعناداً.

يدين الله فيه الناس بأعمالهم.

الأرض السابعة، مأوى الفجار

ومستقرهم في معادهم.

كما سيأتي.

SYNDE AN اً وَالسَّمَلَةِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۞ وَٱلْيُومِٱلْمُوعُودِ۞ وَشَاهِدِوَمَشْهُورِ ﴿ قُيْلَ أَصْعَبُ ٱلْأَخْدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۞ إِذْ هُرَعَاتُهَا قُعُودٌ ۞ وَمُرْعَلَىٰ مَايَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَانَقَـمُواْ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا إِلَّهَ الْعَزِيزِ الْحَيْدِ ۞ ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضُ وَٱللَّهُ عَلَى كَلَّهُ مَا لَهُ مُعَالِثُمْ وَهُمِيدُ ۞ إِنَّ ٱلَّذِنَ فَنَوُا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُرَّ لَرَيْتُوعُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَمَنَا رَوَلَمْ رُعَذَابُ الْعَرِيقِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ مَامَنُوا وَعَمِهُوا ٱلصَّالِحَتِ لَهُمْرَجَنَّكُ ۗ تَحْرِي مِن تَمْنِهَا ٱلْأَنْهَارُهُ إِلَّ ٱلْفَوْزَالْكِيرُ ۞ إِنَّ بَعْلَشَ رَبِّكَ لَشَكِيدُ ۞ إِنَّهُ هُوَيُهُدِئُ وَيُعِيدُ ۞ وَهُوَ الْفَعُورُ الْوَدُودُ ۞ ذُوالْمَرْشِ ٱلْمَجِيدُ فَهَا لَيْكَايُرِيدُ هَا أَنْكَ كَيِيثُ أَجْتُور ۞ فِيْهُوْنَ وَتُمُودَ ۞ الْمِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ فِي تَكْذِيبٍ ۞ وَالْشَهُن وَرَآيِهِ رَجِيدًا ۞ بَلْ مُوفَرُهَ النَّجِيدُ ۞ فِي لَيْعِ تَصْفُونِلِ ۞ स्त्रिक्षाकृति । TOWN OF THE PARTY OF THE PARTY

تفسير سورة المطففين وهي مکية(۱)

﴿١ ـ ٦﴾ ﴿بسم الله الرحن الرحيم ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين، ﴿ويلِ﴾ كلمة عذاب، ووعيد(٢) ﴿للمطففين﴾ وفسر الله المطففين بقوله (٣) ﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس﴾ أي: أخذوا منهم وفاة عما ثبت لهم قبلهم يستوفونه كاملاً من غير نقص.

﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم ﴿ أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي للناس(أ) عليهم بكيل أو وزن، ﴿يخسرون﴾ أي: ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك، فهذا سرقة [الأموال] الناس(٥)، وعدم إنصاف [لهم] منهم.

وإذا كان هذا الوعيد(٦) على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة،

أولى بهذا الوعيد من المطففين.

ودلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في [عموم هذا]^(٧) الحجج والمقالات، فإنه كما أنَّ المتناظرين قدُّ جرت العادة أن كل واحد [منهما] يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجج (^) [التي لا يعلمها]، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير .

ثم توعد تعالى المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فـقــال: ﴿أَلَا يَـنظــن أُولــــُــك أنهـــم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين فالذي جرأهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم (٩) على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه .

﴿٧ _ ١٧﴾ ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ما سجين * كستاب مسرقوم #ويسل يسومشذ للمكذبين *الذي يكذبون بيوم الدين * وما يكذب به إلا كل معتد أثيم * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ يقول تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجار﴾ [وهذا شامل لكل فاجر] من أنواع الكفرة والمنافقين، والفاسقين

- (١٠) في ب: ثم بينهم بقوله
- (۱۱) في ب: وصار لبصائرهم بمنزلة
 - الشمس للأبصار .

- في ب: وعيداً.
- في ب: يدخل في ذلك. (V) في ب: الحجة.
- في ب: أنهم سيقومون بين يدي الله (٩) فيحاسبهم.
- في ب: وهي مدنية. (١) في ب: وعقاب.
 - في ب: بأنهم. (٣)

(٢)

- في ب: لهم. (٤)
- كذا في ب، وفي أ: سرقة للناس. (٥)
- (٦)

(A)

وتقريعاً: ﴿ هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ فذكر لهم ثلاثة أتواع من العذاب: عذاب الححيم، وعذاب التوبيخ، واللوم.

وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار، ودل مفهوم الآية، على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله.

وفي هذه الآيات، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغطيه شيئاً فشيئاً، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتنقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، وهذا يرت . من بعض (١) عقوبات الذنوب.

﴿١٨ ـ ٧٧﴾ ﴿كــلا إن كـــــاب الأسرار لفي عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون * إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق محتوم *ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم له ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها وأن كتابهم المرقوم ﴿يشهده المقربون﴾ من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصديقين والشهداء، ويُنوِّه الله بذكرهم في الملأ الأعلى، و اعليون، اسم لأعلى ألجنة، فلما ذكر كتابهم، ذكر أنهم في نعيم، وهو اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن، وعلى الأرائك اي: [على] السرر المزيسة بالفرش الحسان.

﴿ينظرون ﴾ إلى ما أعد الله لهم من

في ب: من أعظم.

في ب: أي بهاءه،

(1)

(٢)

النعيم، وينظرون إلى وجه رسم الكريم، ﴿تعرف﴾ أيها الناظر إليهم ﴿ فِي وجوههم نضرة النعيم ﴾ أي: بهاء النعيم (٢) ونضارته ورونقه، فإن توالى اللذة والسرور (٣)، يكسب الوجه نوراً وحسناً وبهجة.

﴿يسقون من رحيق﴾ وهو من أطيب ما يكون من الأشربة وألذها، ﴿مُحْتُومِ﴾ ذلك الشراب، ﴿ختامه مسك﴾ يحتمل أن المراد مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه، وذلك الختام الذي ختم به مسك.

ويحتمل أن المراد أنه [الذي] يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه، الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة، ﴿وفي ذلك﴾ النعيم المقيم، الذي لا يعلم مقداره وحسنه إلا الله، ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ أي: يتسابقوا في المبادرة إليه والأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاحت للوصول إليه فحول

۲۷ _ ۲۷ ﴾ ومزاج هذا الشراب من تسنيم، وهي عينٌ ﴿يشرب بها المقربون﴾ صِرْفاً، وهي أعلى أشربة الجنة على الإطلاق، فلذلك كانت خالصة للمقربين، الذين هم أعلى الخلق منزلة، وممزوجة الصحاب اليمين أي: مخلوطة بالرحيق وغيره من الأشربة اللذيذة.

﴿٢٩ ـ ٣٦) إنَّ السَّدِينِ أَجِرِمُوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إنَّ هؤلاء لضالون * وما أرسلواً عليهم حافظين * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون *على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون للا ذكر تعالى جزاء المجرمين

وجزاء المؤمنين^(١)، و [ذكر] ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين، ويستهزؤون بهم، ويضحكون منهم، ويتغامزون بهم عند مرورهم عليهم، احتقاراً لهم وازدراء، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم، ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم، صباحاً أو مساء﴿انقلبوا فكهين﴾ أي: مسرورين مغتبطين (٥)، وهذا من أعظم (٦) ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن (٧) في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجرؤاً على القول عليه بلا علم.

قال تعالى: ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين أي: وما أرسلوا وكلاء على المؤمنين ملزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضلال، وما هذا منهم إلا تعنت وعناد وتلاعب، ليس له مستند ولا برهان، ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم، قسال تعمالي: ﴿فساليوم﴾ أي: يسوم القيامة، ﴿ الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم في غمرات العذاب يتقلبون، وقد ذهب عنهم ما كانوا يقترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة ﴿على الأرائك﴾ وهي السرر المزينة، ﴿ينظرون﴾ إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم.

﴿ هِل ثُوِّبِ السَّكَفَارِ مِنَا كِنَانُوا يفعلون﴾ أي: هل جوزوا من جنس عملهم؟

فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم (٨) في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال.

والمسرات والأفراح.

⁽٤) في ب: المحسنين.

كذا في ب، وفي أ: مغبوطين. (0)

في ب: فإن توالى اللذات (٣)

في ب: وهذا أشد. (7)

في ب: مع الأمن. (V)

في ب: حين رأوهم. (A)

نعم، ثوبوا ما كانوا يفعلون، عدلاً من الله وحكمة، والله عليم حكيم.

تفسير سورة الانشقاق وهي مكية

﴿١٥ ـ ١٥﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت * يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه * فأما من أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً * وأما من أوتى كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبوراً * ويصلي سعيراً * إنه كان في أهله مسروراً * إنه ظن أن لن محور * بلي إن ربه كان به بصيرا) يقول تعالى مبيناً لما يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام: ﴿إِذَا السماء انشقت ﴾ أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها، وخسف بشمسها وقمرها.

﴿وأذنت لبرها﴾ أي: استمعت لأمره، وألقت سمعها، وأصاخت لخطابه، وحق لها ذلك، فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يعصى أمره، ولا يخالف حكمه.

﴿وإذا الأرض مدت﴾ أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودك ما عليها من بناء ومعلم، فسويت، ومدها الله تعالى مد الأديم، حتى صارت واسعة جداً، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعاً صفصفاً لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً.

﴿ وَالْقَتْ مَا فَيَهَا ﴾ من الأموات الكنوز.

و تخلت منهم، فإنه ينفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجسه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون

على ما هم فيه يتنافسون، ﴿وأذنت لربها وحقت * يا أيها الإنسان إنك كادح فملاقيه ﴾ أي: كادح إنك ساع إلى الله، وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تعدم منه جزاء بالفضل إن كنت سعيداً، أو بالعدل إن كنت شقياً (۱).

ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ وهم أهل السعادة.

﴿٨﴾ ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله [تعالى] له: ﴿إِنِي قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم».

﴿وينقلب إلى أهله ﴾ في الجنة ﴿مسروراً ﴾ لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب، ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي: بشماله من خلفه (٢٠).

﴿فسوف يدعو ثبورا﴾ من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها، ﴿ويصلى سعيرا﴾ أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويقلب على عذابها، وذلك لأنه في الدنيا ﴿كان في أهله مسرورا﴾ لا يخطر البعث على باله، وقد أساء، ولم (٣) يظن أنه راجع إلى ربه وموقوف بين يديه.

﴿بلى إن ربه كان به بصيرا ﴾ فلا يحسن أن يتركه سدى، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب.

﴿١٦ ـ ٢٥ ﴿ فَ لِللَّ أَسَسَمُ السَّفَقَ * والليل وما وسق * والقمر إذا اتسق * لتركبن طبقاً عن طبق * فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون * بل الذين كفروا يكذبون * والله أعلم بما يوعون * فبشرهم بعذاب أليم * إلا

الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرً غير ممنون، أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل، ﴿والليل وما وسق﴾ أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها، ﴿والقمر إذا اتسق﴾ أي: امتلاً نوراً بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع، والمقسم عليه قوله: ﴿لتركبن﴾ [أي:] أيها الناس ﴿طبقاً عن طبق﴾ أي: أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة، من النطقة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح، ثم يكون وليداً وطفلاً، ثم تميزاً، ثم يجرى عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازي بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، اللدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم، ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون ﴿ وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون اى: لا بخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، ﴿بِلِ النَّذِينِ كَفِرُوا يَكَذَّبُونَ ﴾ أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وعدم انقيادهم للقرآن، فإن المكذب بالحق عناداً، لا حيلة فيه، ﴿واللهُ أعلم بما يوعون ﴾ أي: بما يعملونه وينؤونه سرأ، فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ وسميت البشارة بشارة، لأنها تؤثر في البشرة سروراً أو غماً.

فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان [به].

ومن الناس فريق هداهم الله، فأمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فأمنوا وعملوا الصالحات.

فهؤلاء لهم أجر غير ممنون أي: غير

⁽١) في ب: جزاء بالفضل أو العدل، بالفضل إن كنت سعيداً، وبالعقوبة إن كنت شقياً.

⁽٢) في ب: من وراء ظهره.

⁽٣) في ب: ولا.

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

تم تفسير السورة ولله الحمد

تفسير سورة البروج وهي مكية

﴿١ - ٢٢﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهد ومشهود * قتل أصحباب الأخدود * النسار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * ومأ نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * ألذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد * إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير * إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدىء ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد * هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود * بل الذين كفروا في تكذيب * والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد * فى لىوح محفوظ > ﴿والسماء ذات البروج أي: [ذات] المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته ، وسعة علمه وحكمته.

﴿واليوم الموعسود﴾ وهسو يسوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي

مقطوع، بل هو أجر دائم مما لا عين لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد .

﴿وشاهد ومشهود﴾ وشمل هذا كل من اتصف سذا الوصف أي: مُنِصر ومُنْصَر، وحاضر ومحضور، وراء

والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة، وقيل: إن المقسم عليه قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود) وهذا دعاء عليهم بالهلاك.

و «الأخدود»: الحفر التي تحفر في الأرض.

وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قومأ كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول (١) في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشأقّ الكافرون أخدوداً [في الأرض]، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿قتل أصحاب الأخدود) ثم فسر الأخدود بقوله: ﴿النار ذات الوقود * إذ هم عليها تعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقمواً من المؤمنين إلا خصلة(٢) يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له

٤ وَالنَّمْلَةِ وَاللَّادِقِ ۞ وَمَا أَدْرَىكَ مَا ٱلطَّادِقُ۞ ٱلْجَيِّمُ ٱلنَّاقِ ۞ إِنكُلُّ فَشْرِ لَمَّا عَلَيْهَا عَافِظُ ۞ فَلْمَنظُ إِلَّائِسُنُ مِيَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّكَو دَافِق إِن يَغْرُجُ مِنْ مِن ٱلصَّلْبِ وَالتَّرْآبِ ﴿ إِنَّهُ مَكَّانَ مُعِيدِ مَلْقَالِدٌ ﴿ وَمَنْتِوَ ٱلسَّرَآتِينِ فَالَدُمِن قُوَّةِ وَلَانَاصِرِ وَٱلسَّمَآ وَنَارَأُوتِمِ ٥ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّنْعِ ۞ إِنَّهُ لِقَوَّلُ فَصَدُّ ۞ وَمَا هُوَ بِالْخُتْلِ ۞ إِنَّهُ يَكِيدُونَ كَنَا ۞ وَأَكِدُكُنَا ۞ فَهَا ٱلْكَفِينَ أَنْهِلُهُ وُوَيًّا ۞ ्र अंग्रेडिसिन्स € _أَضَّالَ خَزَالَ حَدْد سَنِيجَ اسْمَرَيْكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِي خَلْقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَعَمَىٰ ۞ وَٱلَّذِي ٓ أَخْرَمَ الْمُزْعَىٰ ﴿ فَعَلَهُ عُنَّاهُ مُعْنَاهُ أَخْرَىٰ ۞ سَنُعْ مُكَ فَلَا تَنتَوَ ۞ إِلَّامَا شَآءَ اللَّهُ إِنَّهُ مِنْ لَمَّ أَنْكُمُ مِنْ الْمُعْمَدُ وَمَا يَعْفَى ۞ وَيُعْتَمُ اللّ الْلِسُرَى ٥ مَنْزُواد مُفَعَت الْفِصْرَى ٥ سَيَدُكُرُ مَن يَغْتَى ٥ الرَسَّخَتُهُمَا ٱلْأَشْقَ ۞ ٱلَّذِي يَسْلَ النَّازَالْكُبْرَىٰ ۞ ثُرَّلَا يَمُوتُ فِيهَا الله وَلَا يَغِينَ ١ مَن أَفْلَعَ مَن تَذَكُّ ١ ١٥ وَذَكَّرَ أَمْ مَ رَيْهِ وَ مُصَلِّل ١

العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقوالة وأوصافه وأفعاله.

﴿اللَّذِي لِيهِ مِلْكُ السَّمَاواتِ والأرض، ﴾ خلقاً وعبيداً، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه (٣) ، ﴿والله على أ كل شيء شهيد) علماً وسمعاً وبصراً، أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر، أوماعلموا أنهم جميعهم ماليك شه(٤)، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم (°°)؟ كلا إن الكَّافر فيَّ غرور، والظالم في جهل وعمى^(٦)عن سواء السبيل.

ثم وعدهم وأوعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) أي: العذاب الشديد المحرق.

قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه

في ب: على الدخول. (1)

⁽٢) في ب: حالة.

⁽⁴⁾ ني ب: يتصرف فيهم بما يشاء.

في ب: أفلا خاف هؤلاء المتمردون عليه أن يأخذهم العزيز المقتدر، أو ما علموا كلهم أنهم مماليك لله. (1)

⁽⁰⁾ في ب: مجازيهم عليها.

⁽⁷⁾ في ب: والجاهل في عمى وضلال.

TO STEEL AND STREET SECTION AND STREET مِنْ قَوْمِرُونَ أَخْتِوهُ ٱلدُّنْيَا ۞ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْوَا ۞ إِنَّ هَلِنَا لَغِي السُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۞ مُعُفِ إِبْرَاهِ مِرْوَمُوسَىٰ ۞ عَلَ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْفَنْشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يُؤْمَ يَخْمِدُ خَيْعَةً ۞ عَامِلَةً نَّاصِهَةً۞ضَهَ إِنَارًا حَامِيَةً۞ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنِ ۗ إِنِيهَ ٥ لَيْسَ لَمُعْرَطَعَامُ إِلَّامِن مَرِيعٍ ۞ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُعْفِين جُوعٍ ٥ وُجُوهُ وَمُ مِهِ ذِنَّاءِ مَدَّ ٥ أِسَعْيِهَا رَافِيكُ ٥ فِي جَنَّكُ عَالِيَةِ ۞ لَاتَسْتَمُونِهَا لَلِيَةً ۞ فِهَا عَيْنَجَارِيَةً۞ فِهَا شُرُدُ مَّنْ فُرِعَةً ۞ وَأَحْدُوا إِنَّ مَّوْضُوعَةً ۞ وَثَمَارِقُ مَصْفُولَةً ۞ وَزَرَانُ مِنْوُونَةُ ﴾ أَفَلَا يَظُرُونَ إِلَى الْإِيلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى ٱلسَّمَلَةِ كُفُ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَّ لِكُمِّالِ كَيْفَ نُعِبَتْ ﴿ وَإِلَّى أَلِمُمَّالِكُ خَيفَ نُعِبَتْ وَالَ ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۞ فَذَكُّوا أَمَّا أَتَ مُذَكِّرُ ۞ لَّتَ عَلَيْهِم عُيَيْنِطِي إِلَّا مَن وَلَى وَكُفَرَ فَ فَعُذَابُهُ اللَّهُ الْمُنَابَ ٱلأَحْتِرَ إِنَّ إِنَّ آبِابَهُمْ ۞ ثُرَّاذَ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۞ TO METERS OF THE PROPERTY OF T

وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة.

ولما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ آمنوا﴾ بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ بجوارحهم ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ الذي حصل به الفوز (١) برضا الله ودار كرامته.

راسة.

﴿إن بطش ربك لشديد﴾ أي: إن عقوبته لأهل الجراثم والذنوب العظام [لقوية] شديدة، وهو بالمرصاد للظالمين، كما قال الله تعالى:

﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

وهي علمه إن احده اليم سعيد أي: هو إنه هو يبدى و ويعيد أي: هو المنفر د بإبداء الخبلق وإعادته، فلا مسارك له في ذلك (٢)، ﴿وهو الغفور ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

والودود﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والافعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب،

ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعا لها، كانتٍ عذاباً على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد ويجبونه والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ولي هذا سر لطيف، حيث قرن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحاً بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر.

فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه!! ﴿ فو العرش المجيد ﴾ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة للسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الحرش، وأما على قراءة الرفع، فإنَّ للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإنَّ المجيد نعت للهُ (٣)، والمجيد سعة الأوصاف وعظمتها.

﴿ فعال لما يريد ﴾ أي: مهما أراد شيئاً فعله، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، وليس أحد فعالاً لما يريد إلا الله.

فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئاً، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع،

والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد.

ثم ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: ﴿ هِلْ أَتَاكُ حديث الجنود * فرعون وثمود) وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين، ﴿بِلِ الذِّينِ كَفُرُوا فِي تكذيب أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تُجدى لديهم العظات، ﴿والله من ورائهم محيط ﴾ أي: قد أحاط بهم علماً وقدرة، كقوله: ﴿إِنَّ ربك لبالرصاد) ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره. ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم، ﴿ فِي لُوحِ مُحْفُوظُ ﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء.

وهـذا يـدل عـلى جـلالـة الـقـرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم.

تم تفسير السورة

تفسير سورة الطارق وهي مكية

﴿١ – ١٧﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب * إن كل نفس لما عليها حافظ * فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على من توة ولا ناصر * والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع * إنه لقول فصل * وما هو بالهزل * إنهم لقول فصل * وما هو بالهزل * إنهم الكافرين أمهلهم رويدا﴾ يقول [الله] تعالى: ﴿والسماء والطارق﴾ .

ثم فسر الطارق بقوله: ﴿النجم

⁽١) في ب: حصل لهم الفوز.

⁽٢) في ب: فلا يشاركه في ذلك مشارك.

⁽٣) في ب: فإنه يكون نعتاً لله.

الثاقب الفي المضيء، الذي يثقب نوره، فيخرق السماوات [فينفذ حتى يرى في الأرض]، والصحيح أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب.

وقد قيل: إنه «زحل» الذي يخرق السماوات السبع وينفذ فيها(١١)، فيرى

وسمى طارقاً، لأنه يطرق ليلاً، والمقسم عُليه قوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسُ لَمَّا عليها حافظ محفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة، وستجازي بعملها المحفوظ عليها، ﴿فلينظر الإنسان مم خلق اي: فليتدبر خلقته ومبدأه، فإنه مخلوق ﴿من ماء دافق﴾ وهو المني الـذى ﴿ يخسرج مسن بسين السعسلسب والترائب المحتمل أنه من بين صلب الرجل وتراثب المرأة، وهي ثدياها.

ويحتمل أن المراد المني الدافق، وهو منى الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائبه، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف الله به الماء الدافق، والذي يحس [به] ويشاهد دفقه، هو منى الرجل، وكذلك لفظ التراثب فإنها تستعمل في الرجل، فإن التراثب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى، لقال: "من بين الصلب والثديين»، ونحو ذلك، والله أعلم.

فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث والنشور [والجزاء]، وقد قيل: إن معناه، أن الله على رجع الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا وإن كان المعنى صحيحاً ـ فليس هو المراد من الآية، ولهذا قال بعده: ﴿يوم تبلي السرائر أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه قال تعالى: ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ففي الدنيا، تنكتم كثير من الأمور، ولا تظهر عياناً للناس، وأما في القيامة، فيظهر برُّ الأبرار، وفجور الفجار،

وتصير الأمور علانية، ﴿فماله من قوة ﴾ يدفع بها عن نفسه (٢)، (ولا ناصر) خارجي (٢) ينتصر به، فهذا القَسَمُ على حالة العاملين وقت عملهم وعند جزائهم.

ثم أقسم قسماً ثانياً على صحة القرآن، فقال: ﴿والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع ♦ أي: ترجع السماء بالمطر كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون واليهائم، وترجع السماء أيضاً بالأقدار والشؤون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات، ﴿إِنهُ أَي: اللَّهِ آن ﴿لقول فصل﴾ أى: حق وصدق، بَيِّنٌ واضح.

﴿وما هو بالهزل﴾ أي: جد ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات، وتنفصل به الخصومات.

﴿إنهم أي: المكلف للرسول ﷺ، وللقرآن ﴿يكيدون كيدا﴾ ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل، ﴿وأكيد كيدا﴾ لإظهار الحق، ولوكره الكافرون، ولدفع ما جاؤوا به من الباطل، ويعلم بهذا من الغالب، فإن الآدمي أضعف وأحقر من أن يغالب القوى العليم في كيده، ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا ﴾ أي: قليلاً، فسيعلمون عاقبة أمرهم، حين ينزل بهم العقاب.

تم تفسير سورة الطارق، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة سبح وهي مكية

﴿١٩ ـ ١٩﴾ ﴿بسبم الله السرحمين الرحيم سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى * فجعله غثاء أحوى * سنَّقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى *

حافة التغزالتخاير ﴾ وَالْفَتَغِينِ وَلِيَالِ عَفْرِ ۞ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْدِ ۞ وَالنَّذِ إِذَا يَسْرِ رُ ﴿ مَلْ فِي ذَاكِ مَسَمُّ لِذِي حِمْرٍ ﴾ أَلَّرَتَكُيْفَ فَعَـلَ رَبُكَ بِعَمَادٍ ا إِنَّ ذَاتِ الْمِسَادِ ۞ الَّتِي لَرَيْخُ لَقَ مِثْلُهَا فِي ٱلْمِكْدِ ۞ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَانُوا الصَّحْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ مَلْغَوَا فِي الْمِلَادِ ۞ فَأَحْتُمُ وَافِيهَا ٱلْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِ مِرَيُّكَ سَوْطَ عَذَابِ ۞ إِنَّ رَبِّكَ لَيِسَالُمْ صَادِ۞ فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ ولَا مَا اَيْنَلَنهُ رَبُّهُ وَأَكْرَمَهُ وَيَغَمَهُ فَيَعُولُ رَبِّي أَكْرَمَني ﴿ ا وَأَمَّا إِذَا مَا آبْسَلُمَهُ مُعَكَدُرَعَلَيْهِ وِرُفَكُمُ فَيَسَعُولُ رَفِيَ أَهَنَوَ ۞ كَلَّابَلُ لَا تُكُومُونَ ٱلْيَتِيدَ۞ وَلَا تَغَنَّشُوتَ عَلَى طَعَامِ المنكين ٥ وَتَأْكُلُونَ اللَّهُ الصَّلَاكَ أَكُلُ الْمُنَّاكُ الْمُنَّاكُ وَغُيُونَ الْمَالَحُبَاجَمًا ۞ كُلَّدُ إِنَا دُحَتَتِ ٱلْأَرْضُ رَكًا ا رَحْنًا ﴿ وَبَكَةَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ مَنَا امْنَا ﴾ وَجِأَىَّ وَلَهُمْ إِنَّ وَمِينٍ مَّ بِعَيْنَةُ تُوْمِ إِينَة حَرَّالُإِنسَنُ وَأَلْ لَهُ ٱلْوَحْرَىٰ ۞ ON STATE OF LONG

ونيسرك لليسرى * فذكر إن نفعت الذكرى *سيذكر من بخشى * ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى * قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى المرتعالي بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأنّ يكون تسبيحاً، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسني العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم (٤) ، وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسواهًا، أي: أتقنها وأحسن خلقها، ﴿والذي قدر﴾ تقديراً، تتبعه جميع المقدرات ﴿فهدى﴾ إلى ذلك جميع المخلُّوقات.

وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: ﴿والذي أخرج المرعي﴾ أي: أنزل من السماء ماء فأنبت به أنواع (٥) النبات والعشب الكثير، فرتع قيها الناس والبهائم وكل حيوان (١٦)، ثم بعد أن

(0)

في ب: وينفذها.

(1)

في ب: أصناف.

في ب: من خارج. (٣)

⁽٦) في ب: بمعناها العظيم الجليل. (1)

في ب: أي من نفسه يدفع بها (٢)

في ب: وجميع الحيوانات.

الإنالية المنافقة ال

استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، وصَوَّح عشبه، ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ أي: أسود أي: جعله هشيماً رميماً، ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتنَّ الله بأصلها ومنشأها(١)، وهو القرآن، فقال: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ أى: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئاً، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد ﷺ، أن الله سيعلمه علماً لا ينساه، ﴿إلا ما شاء الله) مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة، ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يُشرع ما أراد، ويحكم بما يريد(٢٠)، ﴿ونيسرك لليسرى ﴾ وهذه أيضاً بشارة كبيرة (٣)، أن الله ييسر رسوله على لليسري في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسرأً⁽¹⁾.

﴿ فَلَكُو ﴾ بشرع الله وآياته ﴿ إِنَّ نَفْعَتُ اللَّكُونَ ﴾ أي: ما دامت الذكوى مقبولة ، والموعظة مسموعة ، سواء

حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه.

ومفهوم الآية أنه إن لم تسفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأموراً بها، بل منهياً عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منفعون وغير منتفعين.

فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله: ﴿سيذُكر من يخشى﴾ الله تعالى، فإن خشية الله تعالى، وعلمه بأن سيجازيه على أعماله (٥)، توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي (٦) والسعي في الخيرات.

وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ﴿ويتجنبها الأشتى * الذي يصلى النار الموقدة، التي تطلع على الأفشدة، ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ أي: يعذب عذاباً أليماً، من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾.

﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوى، الأخلاق، ﴿وذكر الشه، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصاً ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصاً الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة، وأما من فسر قوله: ﴿تزكى﴾ بمعنى أخرج زكاة ولهير، فإنه وإن كان داخلاً في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى محده.

وبل تؤثرون الحياة الدنيا أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها

المنغص المكدر الزائل على الآخرة، ووالآخرة خير وأبقى والآخرة خير وأبقى والآخرة وأبقى والقاء وصفاء، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء، والمدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة، وإيثارها على الآوام الحسنة، والأخبار المباركة، من الأوام الحسنة، والأخبار صحف إبراهيم وموسى اللذين هما أشرف المسلين، سوى (النبي عمد صلى الله عليه وسلم.

فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان.

تم تفسير سورة سبح، ولله الحمد

تفسير سورة الغاشية وهي مكية

﴿١٦ ـ ١٦﴾ ﴿ بِسِم الله السرحمين الرحيم هل أتاك حديث الغاشية * وجوه يومئذ خاشعة # عاملة ناصبة # تصلى ناراً حامية * تسقى من عين آنية * ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع * وجوه يومئذ ناعمة *لسعيها راضية * في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية * فيهاعين جارية *فيهاسرر مرفوعة * وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزراب مبثوثة > يذكر تعالى أحوال يوم القيامة وما فيها من الأهوال الطامّة، وأنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون [إلى] فريقين: فريقاً في الجنة، وفريقاً في السعير.

⁽۱) في ب: ومادتها.

⁽٢) كذا في ب، وفي أ: يحكم بما أراد، ويحكم بما يريد.

⁽٣) في ب: أخرى.

⁽٤) كذا في ب، وفي أ: يسيراً.

 ⁽٥) في ب: والعلم بمجازاته على الأعمال.
 (٦) في ب: الانكفاف عمّا يكرهه الله.

[.] ن

⁽٧) في .ب: بعد .

فأخبر عن وصف كلا الفريقين، فقال في [وصف] أهل النار: ﴿وجوه يومئذ﴾ أي: يوم القيامة ﴿خاشعة﴾ من الذل والفضيحة والخزي.

﴿عاملة ناصبة﴾ أي: تاعبة في العذاب، تُجرُ على وجوهها، وتغشى وجوههم النار.

ويحتمل أن المراد [بقوله:] ﴿ وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة ﴾ في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان، صاريوم القيامة هباء منثوراً، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحاً من الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول، لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا بان وصف أهل النار عموماً، وذلك بالنسبة إلى أهلها(۱) ؛ ولأن الكلام في بالنسبة إلى أهلها(۱) ؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا.

وقوله: ﴿تصلى ناراً حامية﴾ أي: شديداً حرها، تحيط بهم من كل مكان، ﴿تسقى من عين آنية﴾ أي: حارة شديدة الحرارة ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ فهذا شرابهم.

وأما طعامهم، ف خليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع > وذلك أن القصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة، نسأل الله العافية.

وأما أهل الخير، فوجوههم يوم

القيامة ﴿ناعمة﴾ أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور، ﴿لسعيها﴾ الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان ثوابه مدخراً مضاعفاً، فحمدت عقباه، وذلك أنها ﴿في جنة﴾ جامعة لأنواع النعيم كلها، ﴿عالية﴾ في علها ومنازلها، فمحلها على علين، ومنازلها مساكن غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة.

وقطوفها دانية أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المشمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها على أي: حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة. ولا تسمع فيها أي: الجنة فضلاً عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن [نافع] مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، و [على] الآداب المستحسنة (٢) بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

فيها عين جارية وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاؤوا، وأنَّى أرادوا.

﴿فيها سرر مرفوعة﴾ و «السرر» جمع «سرير»، وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

وأكواب موضوعة الي: أوان متلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم،

يطوف بها عليهم الولدان المخلدون. ﴿ونمارق مصفوفة ﴾ أي: وسائد من الحرير والإستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويَصُفُوها بأنفسهم.

﴿١٦﴾ ﴿وزرائِ مبثوثة ﴾ والزرابي [هي:] البسط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

﴿١٧ - ٢٦) ﴿أَفِلا يِسْطُرُونَ إِلَى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نسسبت * وإلى الأرض كسيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر * إلا من تولي وكفر * فيعذبه الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إنّ علينا حسابهم > يقول تعالى حثّاً للذين لا يصدقون الرسول ﷺ، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده: ﴿أَفَلَا يُنظِّرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفُ خلقت﴾ أي: [ألا] ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها .

﴿وإلى الجبال كيف نصبت ﴾ بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض (٣) وثباتها عن الاضطراب، وأودع الله فيها من المنافع [الجليلة] ما أودع.

﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ أي: مدت مدأ واسعا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر الخلائق (٤) على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة (٥) إلى أنواع المقاصد فيما

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك

⁽١) في ب: جزء قليل بالنسبة إلى أهل النار.

⁽٢) في ب: الحسنة.

⁽٣) في ب: الاستقرار للأرض.

⁽٤) في ب: العباد.

⁽٥) في ب: طرقها.

النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور مغروف عند أكثر (1) الناس، خصوصاً في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جداً، الذي لو سطح لم يق له استدارة تذكر.

وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة (٢)، فيكون كروياً مسطحاً، ولا يتنافي الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

﴿فَلْكُر إِنْمَا أَنْتَ مَلْكُر﴾ أي: ذكر الناس وعِظْهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله متذكيرهم، ولم تبعث مسيطراً عليهم، مسلطاً موكلاً بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم، كقوله تعالى: ﴿وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾.

وقوله: ﴿إِلا مِن تُولَى وَكَفُر﴾ أي: لكن من تولى وكفر بالله لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ أي: الشديد الدائم، ﴿إِنْ إِلْينا إِيابِهم﴾ أي: رجوع الخليقة (٣) وجمعهم في يوم القيامة.

﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ فنحاسبهم على ما عملوا من خير وشر.

> آخر تفسير سورة الغاشية ، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الفجر وهي مكية

﴿١ - ٥﴾ ﴿بسم الله السرحمن الله السرحمن السخيم والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ الظاهر أن المقسم به هو المقسم عليه، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمراً ظاهراً مُهماً، وهو كذلك في هذا الموضع.

َ فأقسم تعالى بالفجّر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل

وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه وحده المدبر⁽¹⁾ جميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، مضان، أو [عشر] ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع في غيرها.

وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام.

وفي أيام عشر ذي الحجة ، الوقوف بعرفة ، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان ، فما رُئِيَ الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة ، لما يرى من تَنَزُّلِ الأملاك والرحمة من الله لعباده ، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة ، وهذه أشياء معظمة ، مستحقة لأن يقسم الله بها .

﴿والسليل إذا يسسر﴾ أي: وقست سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالى وحكمة.

﴿ همل في ذلك﴾ الذكور ﴿ قسم لذي حجر﴾ أي: [لذي] عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

رح - ١٤ > ﴿ أَمْ تَرَ كَيْفُ فَعَلَّ رَبِكُ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتَ الْعَمَادُ * التِّي لَمْ يَخْلَقُ مَثْلُهَا فَي البلاد * وثمود اللّين جابوا الصخر بالواد * وفرصون ذي المواد * اللّين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم وبيك سوط عــلناب * إن ربــك ربــك مسوط عــلناب * إن ربــك بقلبك وبصيرتك كيف فُعِلَ بهذه الأمم بقلبك وبصيرتك كيف فُعِلَ بهذه الأمم الطاغية، وهي ﴿إرم﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ ذات العماد﴾ أي: القوة في اليمن ﴿ ذات العماد﴾ أي: القوة

الشديدة، والعتو والتجبر، ﴿التي لم يخلق مثلها ﴾ أي: مثل عاد ﴿في البلاد ﴾ أي: في جميع البلدان [في القوة والشدة]، كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾.

﴿وثمود اللَّين جابوا الصخر بالواد﴾ أي: وادي القرى، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن، ﴿وفرعون ذي الأوتساد﴾ أي: [ذي] الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد ما يراد إمساكه بها، ﴿الذين طغوا في البلاد) هذا الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال: ﴿فَأَكِثرُوا فَيِهَا الفسادِ وهو العمل بالكفر وشُعَبه، من جميع أجناس المعاصى، وسعوا في محاربة الرسل وصد الناس عن سبيلَ الله، فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوباً وسوط عذاب، ﴿إن ربك لبالمرصاد) لن عصاه (٥) يمهله قليلاً، ثم يأخذه أخذ عِزيز مقتدر.

(١٥ - ٢٠) ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين * وتأكلون التراث أكلاً لا * وتحبون المال حباً جماً > يغبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو ، وأنه يظن الحالة التي تقع فيه تستمر جاهل ظالم ، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول ، ويظن أن إكرام الله في يندن وقربه منه ، وأنه إذا ﴿ قدر عليه رزقه ﴾ أي : ضيَّقه ، فصار بقدر قوته رزقه ﴾ أي : ضيَّقه ، فصار بقدر قوته لا يفضل منه ، أن هذا إهانة من الله لا يفضل منه ، أن هذا إهانة من الله على كرامة لا يفضل منه ، أن هذا إهانة من الله الله على كرامة الله في المناه الله المناه المناه الله المناه المناه الله المناه المناه المناه الله المناه الله المناه الله المناه الله المناه الله المناه المناه الله المناه المناه المناه المناه المناه الله المناه اله المناه الله المناه الله المناه ا

في ب: لمن يعصيه.

(0)

⁽١) في ب: كثير. (٣) في ب: الخلائق.

٢) في ب: الذي هو كبير جداً واسع. (٤) في ب: وأنه تعالى هو المدبر.

له، فرد الله عليه هذا الحسيان:

بقوله ﴿كلا﴾ أي: ليس كل من نَعَمْتُه

في الدنيا فهو كريم على، ولا كل من

قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي،

وإنما الغني والفقر، والسعة والضيق،

ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به

العباد، ليرى من يقوم له بالشكر

والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب

الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى

وأيضاً، فإن وقوف همة العبد عند

مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة،

ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم

بأحوال الخلق المحتاجين، فقال:

﴿ كلا بل لا تكرمون اليتيم ﴾ الذي

فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر

يدل على عدم الرحمة في قلوبكم،

﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾

أي: لا يحض بعضكم بعضاً على

إطعام المحاويج من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا وعبتها

الشديدة المتمكنة من القلوب، ولهذا

قال: ﴿وتأكلون التراث﴾ أي: المال

المخلف ﴿ أَكِلا لَمَّا ﴾ أي: ذريعاً،

﴿وَتَحْبُونَ الْمَالُ حَبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً

شديداً، وهذا كقوله تعالى: ﴿بل

تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير

وأبقى ﴿ كلا بل تحبون العاجلة

﴿ ٢١ ـ ٣٠ ﴾ ﴿ كسلا إذا دكست

الأرض دكاً دكاً * وجاء ربك والملك

صفاً صفاً *وجيء يومئذ بجهنم

يومشذ يتذكر الإنسان وأنى له

الذكري *يقوليا ليتني قدمت

لحياتي * فيومئذ لا يعذب عذابه

أحد أ ولا يبوثيق وثباقيه أحد *

يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى

ربك راضية مرضية * فادخلي في

فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا

خاطره والإحسان إليه.

وعدم الرغبة في الخير .

لا تېقون على شيء منه.

وتذرون الآخرة﴾.

العذاب الوبيل.

بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم، تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تجعل قاعاً صفصفاً لا عوج فيه

ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم، صفاً صفاأي: صفاً بعد صف، كل سماء يجىء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار، ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تقودها الملائكة بالسلاسل.

فإذا وقعت هذه الأمور في ﴿يومئذ يتذكر الإنسان الله من خير

﴿وَانِّي لَهُ الدُّكري﴾ فقد فات أوانها، وذهب زمانها، يقول متحسراً على ما فرط في جنب الله: ﴿ يَا لَيْتُنِّي قدمت لحياتي ﴿ الدائمة الباقية، عملاً صالحاً، كما قال تعالى: ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتي ليتني لم أتَّخذ فلاناً خليلاً .

وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعى في أصلها وكمالها(١١)، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء، ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾ لمن أهمل ذلك اليوم ونسى العمل له، ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثمُّ في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين، وأما رسله، فيقال له: ﴿يا أيتها النفس

عبادي * وادخلي جنتي ﴿ كلاَّ ﴾ أي: ليس [كل] ما أحببتم من الأموال، وتنافستم فيه من اللذات، بياق لكم، ولا أمت.

في ب: وقت السياق والموت.

۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَدُهَا۞ وَٱلسَّكَآءِ وَمَا بَنَنَهَا۞ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَعَنَهَا ۞ وَنَفْسِ وَمَاسَوَّنِهَا ۞ فَأَلْمُهُمَا لِغُورُهَا وَتَفُونَهَا ٥ قَدْأَفْلَة مَن زَكَلهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَلهَا۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغُونِهَآ۞ إِذِ ٱنْبُعَثَ أَشْفَىٰهَا۞ فَقَالَ لَمُّتُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقِّبُهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَـ تَرُوهَ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّنَهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ۞ _أَفْمَالُآمَرُّالُرَّحِيْمِ الْ وَأَيُّولِ لِمَا يَعْتَمَى ۞ وَالنَّهَارِ لِمَا يَعَلَّى ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّرُوٓ ٱلأُحْقَ ۞ و النَّسَعَيْكُولَشَقَىٰ فَامَّامَنَ أَعْطَى وَالتَّقَافِ وَسَنَّقَ بِٱلْحُسْفَا ۞ فَسَنُيْمَرُمُولِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ يَعِلَ وَأَسْتَغْفَىٰ ۞ وَكَذَبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٥ فَسَنُيْتِيرُهُ لِلْمُسْرَىٰ ۞ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَا لَهُ ﴿ لِذَا تَرْدَىٰۤ ۞ لِأَعَلَيْنَا رُهُ اللَّهُ عَلْ وَإِنَّ لَنَا لَلْخَفِرَةَ وَأَلْأُولَ فَا الْمُولَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ فَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ فَلَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّلَّا لِللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّالَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا اللّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا لَا اللَّاللَّالِي اللَّلَّا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّا لَاللَّالَّا لَل

اً وَٱلشَّمْدِ وَضَعَهَا ۞ وَٱلْقَعَرِ إِذَا لَكُهَا۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَلْهَا

٤

حافقال فألغ ألتضع

أوليائه وأحبابه ﴿راضية مرضية﴾ أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها.

ON PARTY OF LONG BOOK

﴿فَادِحُلِّي فَي عَبَادِي * وَادْخُلِّي جنتي﴾ وهدا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به في حال الموت [والحمد لله رب العالمين].

تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد(٢) مكية

﴿ ١٠ - ٢٠﴾ ﴿بسب الله السرحسن الرحيم لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد * ووالد وما ولد * لقد خلقنا الإنسان في كبد * أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ما * يقول أهلكت مالاً لسدا * أيحسب أن لم يسره أحد * ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فكُ رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة * من اطمأن إلى الله وآمن بـ وصـدق يتيما ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر المطمئنة ﴾ إلى ذكر الله، الساكنة [إلى] وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب حبه، التي قرت عينها بالله . ﴿ ارجعي الميمنة * والذين كفروا بآياتنا هم إلى ربك﴾ الذي رباك بنعمته، وأسدى أصمحاب المشـأمــة * عــليهــم نــارُّ عليك من إحسانه ما صرت به من مؤصدة ﴾ يقسم تعالى ﴿ بهذا البلد ﴾

في ب: السعي في كمالها (٢)

⁽٣) في ب: سورة البلد.

وتحصيلها وكمالها.

النظام الانتفاق المنوان و المنوان و المنافق المنافق المنافق المنافق المنافق و المنافق المنافق و المنافق المنافق و المنافق المنافق و الم

الأمين، الذي هو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصاً وقت حلول الرسول ريج فيها، ﴿ووالدوما ولد﴾ أي: آدم وذريته.

TOWN OF MINISTER OF THE PARTY O

والقسم عليه قوله: ﴿لقد حُلقنا الانسان في كبد﴾ يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم.

وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد.

ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر (۱) على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، [فإنه] لم يمشكر الله على هذه النعمة [العظيمة]، بل بطر بالعافية وتجبّر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الخال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل، ولهذا قال تعالى: ﴿أيحسب لا ينعزل، ولهذا قال تعالى: ﴿أيحسب

أن لن يقدر عليه أحد ويطغى ويفتخر بما أنفق من الأموال على شهوات نفسه، قر ويقول أهلكت مالاً لبدا الله أى: كثيراً، بعضه فوق بعض.

وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكاً، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق.

قال الله متوعداً هذا الذي يفتخر بما أنفق في الشهوات: ﴿أَيُسِبُ أَن لَمْ يَرِهُ أَيُسِبُ أَن لَمْ يَرِهُ أَيْسِبُ أَن لَمْ يَرِهُ أَي: أَيْسِبُ ^(٢) في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصغير والكبير؟

بل قدرآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر.

ثم قرره بنعمه، فقال: ﴿ أَمْ نَجَعَلَ لَهُ عَيْنِ * وَلَسَانًا وَسَفَتِينَ ﴾ للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا، ثم قال في نعم الدين: ﴿ وهدينا والشر، النجدين ﴾ أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغير.

فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه (٣)، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذاك.

(۱۱ ﴾ ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته (٤)

وهذه العقبة شديدة عليه، ثم فسر [هذه] العقبة بقوله: ﴿ فَكُ رَقِبَهُ أَي:

فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار.

وأو إطعام في يوم ذي مسغبة اي: جاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة، ويتيما ذا مقربة أي: جامعاً بين كونه يتيماً فقيراً ذا قرابة، وأو مسكيناً ذا مقربة فقيراً ذا قرابة، وأو مسكيناً ذا مقربة أي: قد لرق بالتراب من الحاجة آمنوا أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم من كل قول (٢) وفعل بالصبر على طاعة الله وعن معصيته، والحبر أو مستحب، ووتواصوا بالصبر على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقدار الله المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضاً على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملاً منشرحاً به الصدر، مطمئنة به

﴿وتواصوا بالمرحمة ﴾ للخلق، من إعطاء عتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يكره لهم ما يكره لهم ما يكره لنفسه، أولئك الذين قاموا بهذه هذه العقبة ﴿أولئك أصحاب الميمنة ﴾ لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها.

﴿والذّين كفروا بآياتنا﴾ بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، [ولا آمنوا به]، ولا عملوا صالحاً، ولا رحوا عباد الله، ﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشامة *عليهم نبار مؤصدة﴾ أى: مغلقة، في عمد ممدة،

⁽۱) في ب: يقدر.

⁽۲) في ب: أيظن.

⁽٣) في ب: على معاصى الله.

 ⁽٤) في ب: لهواه.

⁽٥) سبق قلم الشيخ فزاد في الآية ﴿وعملوا الصالحات﴾ فحذفت الزيادة في الآية وأبقيت التفسير.

⁽٦) في ب: فدخل في هذا كل قول.

قدمدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهمّ وجوه (٢) الانتفاع. وشدّة [والحمد الله].

تفسير سورة والشمس وضحاها وهي مكية

﴿١ - ١٠﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم والشمس وضحاها * والقمر إذا تبلامًا * والنسهار إذا جبلاها * والليل إذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وماسواها *فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ۴ كذبت ثمود بطغواها * إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها * ولا يُخاف عقباها﴾ أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال:

﴿والـشـمـس وضـحـاهـا﴾ أي: نورها، ونفعها الصادر منها، ﴿والقمر إذا تلاها ﴾ أي: تبعها في المنازل والنور، ﴿والنهار إذا جلاها ﴾ أي: جلى ما على وجه الأرض وأوضحه، ﴿والليل إذا يغشاها ﴾ أي: يغشى وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلماً.

فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، على هذا العالم، بانتظام وإتقان، وقيام^(١) لمصالح العباد، أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه فباطل.

﴿والسماء وما بناها ﴾ يحتمل أن «ما» موصولة، فيكون الإقسام بالسماء وبانيها، الذي هو الله تبارك وتعالى، ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبنيانها، الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان، ونحو ذلك قوله: ﴿والأرض وما طحاها الله أي: مدها ووسعها، فتمكن

الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع

﴿ونفس وما سواها﴾ يحتمل أن المراد نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا العموم، ويحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده .

وعلى كُلُّ، فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها^(٣)، فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل [والحركة] والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه (١) آية من آيات الله العظيمة .

وقوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ أي: طهر نفسه من الذُّنوب، ونقاها من العيوب، ورقَّاها بطاعة الله، وعلاَّها بالعلم النافع والعمل الصالح.

﴿وقد خاب من دساها ﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها.

﴿ كُذِّبت تمود بطغواها ﴾ أي: بسبب طغيانها وترفعها عن الحق، وعتوها على رسل الله(٥)، ﴿إِذْ انْبِعَثْ أشقاها﴾ أي: أشقى القبيلة، [وهو] «قدار بن سالف» لعِقرها حين اتفقوا على ذلك، وأمروه فأتمَر لهم.

﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ صالح عليه السلام محذراً: ﴿ناقة الله وسقياها﴾ أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقى لبنها أن تعقروها، فكذبوا نبيهم صالحاً ﴿فعقروها، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) أي: دمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من

10 20 10 10 10 حاققالة تزالتختم وَالْتِينِ وَالنَّهُ وَفِو وَمُورِيدِينِ فَ وَهَذَا ٱلْبَلُوا لَأَيْسِينِ فَ وَهَذَا ٱلْبَلُوا لَأَيسِين لْقَدْحَكَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيرِ ثُرُّرُودَ ذَنَاهُ أَسْفَلَ سَلَطَالِنَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا وَعَيِلُوا المَثَيْلِ كَتِ فَلَهُ مُ أَمْرُ عَيْرُ مَنُون ۞ فَمَا يُكُذِبُكَ بَعْدُ بِالدِينِ۞ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَخَرُ ٱلْحَكِمِينَ ۞ ٱقرأ بأسم رَيْكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقِ ۞ ٱقرأ وَرَبُّكَ ٱلْأَكُونُ۞ٱلَّذِي عَلِّمَ ٱلْقَلَدِ۞ عَلَّمُ ٱلْإِنسَانَ مَالْزِيقَادُ۞ كُلَّاإِنَّ ٱلْإِسْنَ لِيَغْفَرُ ۞ أَن زُوَاهُ أَسْتَغْفَرُ ۞ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ ٱلرُّحْمَى ۞ أَرَيْتَ ٱلْدى يَنْغَلُ ۞ عَنْمًا إِذَا سَلَّ ۞ أَوَيْتَ إِذَكَانَ عَلَ لَلْمَكَ ۞ أَوَانِتَ إِذَكَانَ عَلَ لَلْمَكَ فَا أَوْرَ ﴿ إِلَا تُعْوَىٰ ۞ أَنْ يَتَ إِن كُفَّتِ وَقُولًا ۞ أَلْزِيقُلَ إِلَّنَا فَهُ زَعْ ۞ كُلَّا لَهِن المُنانَعَلَنَامُ النَّامِيةِ فَالمِيمَوكُونَهُ خَالِتُونَ فَلْيَنْعُ الدِّيمُ مُ اللَّهُ عَالَوْ النَّهُ إِنَّ اللَّهُ لَا تَعْلِغهُ وَأَسْجُدُ وَأَفْرَب ٥ DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF

فوقهم، والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعياً

﴿فسواها﴾ عليهم أي: سوى بينهم بالعقوبة (١^{٠)} ﴿ولا يُخافُ عقباها﴾ أي: تُبعَتُها .

وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه؟

تمت ولله الحمد

تفسير سورة والليل وهي مكية

﴿١ _ ٢١﴾ ﴿ بسبم الله البرحمين الرحيم والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسري * وأما من بخل واستغنى * وكنذب بالحسنى * فسنيسره للمسرى * وما يغنى عنه ماله إذا تردى * إن علينا للهدى * وإن لنا للآخرة والأولى * فأنذرتكم ناراً تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذي كذب وتولى * وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء

- في ب: يحق الإقسام بها.
- في ب: على ما هي عليه. (1)
- (٣)
- كذا في ب، وفي أ: وانتظام. (٢) في ب: أوجه.

في ب: في العقوبة.

في ب: على رسولهم.

المنافعة ال

وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى) هذا قسم من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أحوالهم، فقال: ﴿والليل إذا يغشي﴾ [أي: يعم] الخلق بظلامه، فيسكن كل إلى مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب، ﴿والنهار إذا تجلى ﴾ للخلق، فاستضاؤوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم، ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ إن كانت «ما» موصولة، كأن إقساماً بنفسه الكريمة الموصوفة، بأنه (١) خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسماً بخلقه للذكر والأنشى، وكمال حكمته في ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات ألتي يريد بقاءها ذكراً وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقادكلا منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاً منهما مناسباً للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقوله: ﴿إِن سعيكم لشتى ﴿ هَذَا [هو] المقسم عليه أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتاً كثيراً، وذلك

بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى السعي له (٢) ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها؟

وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالى، بهذا الوصف، ولهذا فصل الله تعالى العاملين، ووصف أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَا مِن أَعلَى﴾ [أي] ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات، والكفارات والنفقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية كالصلاة، والصوم ونحوهما.

والمركبة منهما، كالحج والعمرة، [ونحوهما] ﴿واتقى﴾ ما نهي عنه، من المحرمات والمعاصي، على اختلاف أجناسها.

﴿وصدّق بالحسنى﴾ أي: صدّق بد «لا إله إلا الله وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي.

﴿فسنيسره لليسرى﴾ أي: نسهل عليه أمره، ونجعله ميسراً له (٢٠ كل خير، ميسراً له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك.

﴿ وأما من بخل ﴾ بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب شه، فترك عبوديته جانباً، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه، ﴿ وَكَذَبُ بِالْحَسنَى ﴾ أي: بسما أوجب الله على العباد التصديق به من

العقائد الحسنة، ﴿فسنيسره للعسرى﴾ أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسراً للشر أينما كان، ومقيضاً له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية.

ورما يغني عنه ماله الذي أطغاه واستغنى به، وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح (٤).

وأما ماله [الذي لم يخرج منه الواجب] فإنه يكون وبالأعليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئاً.

﴿إِن علينا للهدى ﴾ أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، ويدني من رضاه، وأما الضلال، فطرق مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد.

﴿ وإن لنا للآخرة والأولى ﴾ ملكاً وتصرفاً، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين، ﴿ فَانْدُرْتُكُم نَاراً تَلظّي ﴾ أي: تستعر وتتوقد، ﴿لا يصلاها إلا الأشقى * الذي كذب ﴾ بالخبر ﴿ وتولى ﴾ عن الأمر.

﴿وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتى ماله يتزكى بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب (٥)، قاصداً به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب.

﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأه بها،

⁽١) في ب: بكونه.

⁽٢) في ب: العمل له.

⁽٣) في ب: أي نيسر له أمره، ونجعله مسهلاً عليه.

⁽٤) في ب: فإنه لا يصحب الإنسان إلا عمله الصالح.

⁽٥) في ب: والأدناس.

[إخلاصه].

CONTRACTOR OF THE PROPERTY OF

جَزَّا وَهُمْ عِندَرَتِهِ مُحَنَّتُ عَدْنِ تَجْدِي مِن تَعْنِهَا ٱلْأَنْهُ رُخَالِدِينَ

فِيهَا أَبُكُأْ رَضِي اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْعَنْهُ ذَالِكَ لِمَنْ خَيْسَ رَبُّهُ

إِذَا زُلُولَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَا لَمَا ۞ وَأَخْرَحَتِ ٱلْأَرْضُ أَنْسَ الْمَا ۞

وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَكَ اللَّهِ يَوْمَهِ ذِيْحُكِ ثُلَّا أَخْبَ ارْهَا ۞ بِأَنَّ

دَيَكَ أَوْحَىٰ لَمَتَا۞ يَوْمَهِ إِيَصْدُوْلُكَ الشَّ أَشْسَتَاتًا لِيُسْرَوْا

أَعْكَلَهُمْ ۞ فَنَ يَعْسَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةِ خَسَيْرًا بِسَرَهُ ۞

﴿ يَتَوَالْكَالِكِابُ ﴿ وَ مَنْ الْعَالِكِابُ الْعَالِكِ الْعَالَابُ الْعَالَابُ الْعَالِكِ الْعَالَا الْعَالَ

وَٱلْمَاكِينَةِ صَبَهَا ۞ فَٱلْمُورِيَةِ قَدْمًا ۞ فَٱلْمُغِيرَةِ مُبَهِمًا

۞ فَأَثَرُنَ بِهِ مَقْعًا ۞ فَوَسَقَلَ بِهِ مَجَعًا ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَارَ

اِرَيْعِهِ لَكُنُودُ ۞ وَالْمُعْظَلِ ذَاكِ لَشَهِيدُ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ

الْمُغْرِلْشَكِيدُ ۞ • أَفَكَايَعْكُولِنَا بُعْثُورَمَافِ الْعُبُورِ ۞

DESCRIPTION OF THE PROPERTY OF ﴿ ووجدك عائلاً ﴾ أي: فقيراً

﴿ فَأَغْنِي ﴾ بما فتح الله عليك (١) من

البلدان، التي جبيت لك أموالها

فالذى أزال عنك هذه النقائص،

سيزيل عنك كل نقص، والذي

أوصلك إلى الغنى، وآواك ونصرك

[ولهذا قال:] ﴿ فَأَمَا الْيَسْيِمِ

فلا تقهر﴾ أي: لا تسيء معاملة

اليتيم، ولا ينضق صدرك عليه،

ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما

تيسر، وأصنع به كما تحب أن يصنع

﴿وأما السائل فلا تنهر ﴾ أي:

لا يصدر منك إلى السائل كَلام (٧)

يقتضى رده عن مطلوبه، بنهر وشراسة

خلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده

وهذا يدخل فيه السائل للمال،

والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم،

ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن

في ذلك معونة له على مقصده، وإكراماً

لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد.

بولدك من بعدك.

بمعروف [وإحسان].

وهداك، قابل نعمته بالشكران.

وخراجها.

وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَ الْ ذَرَّةِ شَكَّرًا يَرَهُ و

_أَفَهُ الْتَغَزَّ الرَّخَزَ الرَّخِيمِ

_ إِفَوَالرَّغَيِّرَالِيَجِيْرِ

وربما بقى له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبداً لله، لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقي(١) عليه نعمة للناس لم يجزها ويكافئها، فإنه لا بدأن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص

وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه _ رضى الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزي، حتى ولا رسول الله ﷺ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي [نعمة] الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدي ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منةً لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف جذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى.

ولهذا قال: ﴿إِلَّا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى * هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات، والحمد لله ربّ العالمين.

تفسير سورة والضحى وهي مكية

﴿١١-١) ﴿بسم الله السرحمين السرحيم والتضحي * والبليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى * ولسلاّخبرة خبيبرٌ لسك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى * فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث، أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى، وبالليل إذا سجى وادلهمَّت ظلمته، على اعتناء الله برسوله عليه، فقال: ﴿ما ودَّعك ربك ﴾أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ

رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة.

﴿ وما قلا ﴾ ك الله أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإن نفى الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحاً، إلا إذا تضمن ثبوت كمال، فهذه حال الرسول عَلَيْهُ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درج^(٢)

وأما حاله المستقبلة، فقال: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ أي: كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة.

الكمال، ودوام اعتناء الله به.

فلم يزل الشيخ يصعد في درج المعالي (٢٠) ويمكن له الله دينه، ويستصره على أعدائه، ويسدد له أحواله، حتى مات، وقد وصل إلى حال لا يحسل (٤) إليها الأولون والآخرون، من الفضائل والنعم، وقرة العين، وسرور القلب.

ثم بعد ذلك، لا تسأل عن حاله فى الآخرة، من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولهذا قال: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضي ﴾ وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة.

ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله (°) [الخاصة] فقال: ﴿ إِلَّمْ يُجِدُكُ يتيماً فآوي اي: وجدك لا أم لك، ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فآواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده كفّله الله عمه أبا طالب، حتى أيده الله بنصره وبالمؤمنين.

﴿ ووجدك ضالاً فيهدى ﴾ أي: وجدك لا تدري ما الكسساب ولا الإيمان، فعلمَّك ما لم تكن تعلم، ووفَّقك لأحسن الأعمال والأخلاق.

(٧) في ب: لا يصدرك منك كلام

للسائل.

(Y)

في ب: درجات.

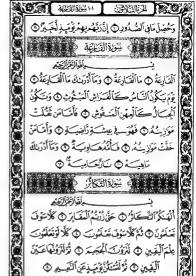
في ب: ما وصل.

كذا في ب، وفي أ: الأحوال. (0)

في ب: فأغناك الله بما فتح عليك. (٦)

⁽¹⁾ في ب: بقيت.

فی ب: درجات. (٣)



المنافعة (كوهذا يشمل المنعمة ربك وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية ﴿فحدث أَنْ على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة.

وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على معبة المحسن.

تفسير سورة ألم نشرح [لك ُ صدرك] وهي مكية

﴿١-٨﴾ ﴿بسم الله السرحمن البرحمن البرحميم ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك * فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً * فإذ مع العسر يسراً * وأذ فرغت فانصب * وإلى ربك فارضب يقول تعالى - يمتناً على رسوله -: ﴿ ألم نشرح لك صدرك أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة والإقبال على الآخرة، وتسمهيل والإقبال على الآخرة، وتسمهيل الخيرات، فلم يكن ضيقاً حرجاً، كن ضيقاً حرجاً، منسطاً.

﴿ ووضعنا عنك وزرك﴾ أي: ذبك

﴿الذي أنقض﴾ أي: أثقل ﴿ظهرك﴾ كما قال تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾. ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله عمد ﷺ.

وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

وقوله: ﴿فإنْ مع العسر يسرا * إنْ مع العسر يسرا ﴾ بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاهبه، حتى لو دخل العسر جـحـر ضـب لـدخـل عـليه اليسـر فـأخـرجـه، كـما قـال تـعـالى: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ وكما قـال الـنـبي ﷺ: ﴿وإن الـفـرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا ».

وتعريف «العسر» في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير «اليسر» يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ وإنه في آخره التيسير ملازم له ثم أمر الله رسوله أصلاً، والمؤمنين

ثم أمر الله رسوله أصلا، والمؤمنين تبعاً، بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: ﴿ فَإِذَا فَرِخْتَ فَانْصِبِ ﴾ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء.

﴿وَإِلَى رَبِكُ ﴾ وحده ﴿فَارِضُبُ أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك(١).

ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين.

وقد قيل: إن معنى قوله: فإذا

فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك.

واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم بذلك تحت ولله الحمد.

تفسير سورة والتين وهي مكية

﴿١-٨﴾ ﴿بسم الله السرحمن الرحيم والتين والزيتون * وطور سينن * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم وحلموا الصالحات فلهم أجر غير وعلموا الصالحات فلهم أجر غير أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ ﴿التين﴾ هسو السين المعسروف، وكذلك ﴿الزيتون﴾ أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، عل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام.

﴿وطور سينين﴾ أي: طور سيناء، على نبوة موسى ﷺ، ﴿وهذا البلد الأمين﴾ وهي الكرمة، محل نبوة محمد ﷺ. فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل النبوات (٢) وأشرفها.

والقسم عليه قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد عما يعتاج إليه ظاهر أأو باطنا شيئا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قدرضو الأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم، إلا من من الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، ﴿فلهم﴾

بذلك المنازل العالية، و ﴿ الجرغير عمنون ﴾ أي: غير مقطوع، بل لذات متوافرة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يجول، أكلهادائم وظلها، ﴿ فما يكذبك بعدبالدين ﴾ أي: شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، وقدر أيت من آيات الله الكثيرة ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء مما أخبرك به، ﴿ اليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى يُعاقبون؟

أم الذي خلق الإنسان أطواراً بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بدأن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمون. تمت وشه

تفسير سورة اقرأ [وهي] مكية

﴿١-٩١﴾ ﴿بسم الله السرحين الرحيم الله السرحين الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من حلق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * كلا إن الإنسان المبعى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى * عبداً الهدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كان على المبدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كان على كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى * كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية * كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية * الوينانية * كلا لا تطعه واسجد واقترب * هذه السورة أول السور الله ﷺ

فإنها نزلت عليه في مبادىء النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه الصلاة السلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ،

في ب: بإرسال الرسل.

فامتنع، وقال: «ما أنا بقارىء» فلم يزل به حتى قرأ. فأنزل الله عليه:
﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ عموم الخلق، ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء
خلقه ﴿ من على ﴾ فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره، لا بد أن يدبره بالأمر والنهيي، وذلك بإرسال الرسول
إليهم (١)، وإنزال الكتب عليهم، ولهذا
ذكر (٢) بعد الأمر بالقراءة، خلقه (٣)
للإنسان.

ثم قال: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾
أي: كثير الصفات واسعها، كثير
الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي
من كرمه أن علم بالعلم (3). و ﴿علم
بالقلم *علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فإنه
تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم
شيئاً، وجعل له المسمع والبصر
والفؤاد، ويسر له أسباب العلم.

فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم ، الذي به تحفظ العلوم ، وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور، ثم منّ عليهم بالغني وسعة الرزق، ولكن الإنسان - لجمهله وظلمه _إذا رأى نفسه غنياً، طغى وبغي، وتجبر عن الهدى، ونسى أن إلى ربه الرجعي، ولم يخف الجزاء، بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه، ويدعو [غيره] إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان. يقول الله لهذا المتمرد العاتي: ﴿ أَرأيت ﴾ أيها الناهي للعبد إذا صلى ﴿إِنْ كَانَ ﴾ العبد المصلي ﴿على الهدى ﴾ العلم بالحق والعملُّ به، ﴿ أَو أَمر ﴾ غيره ﴿بالتقوى﴾ .

فهل يحسن أن ينهى من هذا وصفه؟ أليس نهيه من أعظم المحادة لله والمحاربة للحق؟ فإن النهي لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى.

﴿أرأيت إن كذب ﴾ الناهي بالحق، ﴿وقول ﴾ عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه ؟ ﴿ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ ما يعمل ويفعل؟

ثم توعده إن استمر على حاله، فقال: ﴿كلالمُن لم ينته ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لنسفعن بالناصية ﴾ أي: لنأخذن بناصيته، أخذاً عنيفاً، وهي حقيقة بذلك، فإنها ﴿ناصية كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

وفليدع هذا الذي حق عليه العقاب (٥) وناديه أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به، وسندعوا الزبانية أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته، فلينظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟ فهذه حالة الناهي وما توعد به من العقوبة، وأما إلى هذا الناهي ولا ينقاد لنهيه، فقال: ولا ينقاد لنهيه، فقال: إلا بحا فيه خسارة الدارين، والسجد لوبك واقترب منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تُذني من رضاه وتقرب منه.

وهذا عام لكل ناهِ عن الخير ومنهى

(1)

⁽٣) في ب: بخلقه.

⁽٤) في ب: بأنواع العلوم.

⁽٢) في ب: ولهذا أتي.

⁽٥) في ب: العذاب.



عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله عن الصلاة، وعبث به (١) وآذاه. تمت ولله الحمد

تفسير سورة القدر [وهي] مكية

﴿١ _ ٥﴾ ﴿بـــم الله السرحــن الرحيم إنا أنزلناه في ليلَّة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ يقول تعالى مبيناً لفضل القرآن وعلو قدره: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ في ليلة القدر ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ وذلك أن الله [تعالى]، ابتدأ بإنزاله (٢) في رمضان [في] ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة عامة، لا يقدر العباد لها شكراً.

وسميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجال والأرزاق والمقادير القدرية.

ثم فخّم شأنها، وعظّم مقدارها، فقال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ أي: فإن شأنها جليل، وخطرها عظيم،

﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر [خالية منها]، وهذا مما تتحير فيه ^(٣) الألباب، وتندهش له العقول، حيث منَّ تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمراً طويلاً، نيفاً وثمانين سنة .

﴿تنزّل الملائكة والروح فيها﴾ أي: يكثر نزولهم فيها ﴿مَنْ كُلُّ أَمْرُ * سلام هي أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي: مبتداها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر (³).

وقد تواترت الأحاديث في فضلها، وأنها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصاً في أوتاره، وهي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة.

ولهذا كان النبي ﷺ يعتكف ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان، رجاء لليلة القدر [والله أعلم].

تفسير سورة لم يكن وهي مدنية

﴿١ ـ ٨﴾ ﴿بـــم الله السرحمين الرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة * فيها كتب قيمة * وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم السبينة * وما أمسروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة * إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نارجهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية * إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك

هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ﴾ يقول الكتاب﴾ أي: [من] اليهود والنصاري ﴿ والمشركين ﴾ من سائر أصناف الأمم.

﴿منفكُين﴾ عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه أي: لا يزالون في غيهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين٬ إلا كفراً.

﴿حتى تأتيهم البينة ﴾ الواضحة، والبرهان الساطع، ثم فسر تلك البينة فـقـال: ﴿رسول مـن الله ﴾ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتاباً يتلوه، ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا قال: ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام.

ولهذا قال عنها: ﴿فيها ﴾ أي: في تلك الصحف ﴿كتب قيمة ﴾ أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فإذا جاءتهم هذه البينة ، فحينئذ يتبين طالب الحق عن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيَّ عن

وإذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرَّقوا واختلفوا وصاروا أحزاباً ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم، لم يزدهم الهدى إلا ضلالاً، ولا البصيرة إلا عمى، مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد ودين واحد، فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿ الله تحلصين له الدين ﴾ أي:

(۵) في ب: الأوقات.

كذا في ب، وفي أ: تنتهي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

في ب: وعذبه. (1)

في ب: ابتدأ بإنزال القرآن. (٢)

كذا في ب، وفي أ: به. (٣)

قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، ﴿حنفاه﴾ أي: معرضين [ماثلين] عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. وخص الصلاة والزكاة، [بالذكر] مع أنهما داخلان في قوله: ﴿لِعبدوا الله مخلصين﴾ لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.

﴿وذلك أي: الستوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دين القيمة أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم.

ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: ﴿إِن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في تار جهنم﴾ قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، ﴿خالدين فيها﴾ لا يفتر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون، ﴿أُولئك هم شر البرية﴾ لأنهم عرفوا الدنيا والآخرة.

(إن الذين آمنوا وحملوا الصالحات الحليك هم خير البرية الأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة، ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل، ولا طلب لغاية فوقها، ﴿تجري من تحتها الأنهار ولرضوا عنه ورضوا عنه، بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات من أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، وقام بواجباته (1)

[تمت والحمد لله]

(٢) في ب: الزلزلة.

تفسیر سورة إذا زلزلت^(۲) وه*ی* مدنیة

﴿١-٨﴾ ﴿بسم الله السرحمن الرحيم إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره يغبر تعالى عما يكون يوم القيامة، وأن يغبر تعالى عما يكون يوم القيامة، وأن يسقط ما عليها من بناء وعَلَم (٢٠٠٠).

فتندك جبالها، وتُسوَّى تلالها، وتكون قاغاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمت.

﴿وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ أي: ما في بطنها، من الأموات والكنوز، ﴿وقال الإنسان ﴾ إذا رأى ما عراها من الأمر العظيم مستعظماً لذلك: ﴿ما لها ﴾ أي: أيُ شيء عرض لها؟

(يسومسئلة تحدث الأرض (أخبارها) أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم، ذلك رأن ربك أوحى لها [أي] وأمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصي لأمره (3).

﴿يومئذ يصدر الناس﴾ من موقف القيامة، حين يقضي الله بينهم ﴿الشاتا) أي: فرقاً متفاوتين. ﴿ليروا أعمالهم﴾ أي: ليريهم الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويريهم جزاءه موفراً.

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر

في ب: ومَعْلَمْ.

(٣)

الأشياء، [وجوزي عليها] فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من سوء تودلو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً».

وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً.

تفسير سورة العاديات وهي مكية

﴿١ - ١١﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحاً * فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً * فاثرن به نقماً * فوسطن به جمعاً * إن الإنسان لربه لكنود * وإنه على ذلك لشهيد * وإنه حب الخير لشديد * أفلا يعلم إذا يعثر ما في القبور * وحصل ما في الصدور * إن ربهم بهم يومثل لخبير أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل، لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق.

وأقسم [تعالى] بها في الحال التي لا يشاركها [فيه] غيرها من أنواع الحيوانات، فقال: ﴿ والعاديات ضبحا﴾ أي: العاديات عدواً بليغاً قوياً، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها عند اشتداد العدو^(ه). ﴿فالموريات﴾ بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار ﴿قدحاً﴾ أي: تقدح^(٦) النار من صلابة حوافرهن [وقوتهن] إذا عدون، ﴿فالمغيرات﴾ على الأعداء ﴿صبحاً﴾ وهذا أمر أغلبي، أن الغارة تكون صباحاً، ﴿ فَأَثُرُنْ بِهِ ﴾ أي: بعدوهن وغارتهن ﴿نقعاً﴾ أي: غباراً، ﴿فوسطن به﴾ أي: براكبهن ﴿جماً﴾ أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم.

والمقسم عليه قوله: ﴿إِن الإنسان لربه لكنود﴾ أي: لمنوعُ للخير الذي

- (٥) ني ب: عدوها.
- (٤) كذا في ب، وفي أ: ولا ستعصي. (٦) في ب: تنقدح.

⁽١) في ب: بما أوجب عليه.

عليه لربه^(١).

فطبيعة [الإنسان] وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا لمن هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق، الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع والكند لشاهد بذلك، لا يجحده ولا ينكره، لأن ذلك أمرٌ بينٌ واضح. أي: إن العبد لربه لكنود، والله شهيد على ذلك، ففيه الوعيد، والتهديد الشديد، لمن هو لربه كنود، بأن الله عليه شهيد.

﴿وإنههُأَي: الإنسان ﴿لحب الْخِيرِهُأَي: كثير الْخِيرِهُأَي: كثير الحب للمال.

وحبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه على حق (٢) ربه، وكلُ هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة، ولهذا قال حاثاً له على خوف يوم الوعيد:

﴿أَفُلَا يَعِلَمُ﴾أي: هلاً يعلم هذا المغتر ﴿إذَا يعشر ما في القبور﴾أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم.

﴿وَخُصِّل ما في الصدور﴾أي: ظهر وبان [ما فيها و] ما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهراً، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم.

﴿إِنْ رَبِهُم بِهُم يُومِئُلُ لِخَبِيْرٍ﴾أي: مطلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومجازيهم عليها. وخص خُبره (٣) بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت، لأن المراد

بذلك، الجزاء بالأعمال (٤)، الناشىء عن علم الله واطلاعه.

تفسير سورة القارعة [وهي] مكية

﴿١١ ـ ١١﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش * فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازيّنه * فأمه هاوية * وما أدراك ما هيه *نارٌ حامية * ﴿ القارعة ﴾ من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك، لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه بقوله: ﴿القارعة *ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس♦من شدة الفزع والهول، **﴿كالفراش المبثوث﴾**أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول، وأما الجبال الصم الصلاب، فتكون وكالعهن المنفوش﴾أي: كالصوف المنفوش، الذي بقى ضعيفاً جداً، تطير به أدنى ريىح، قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، ثم بعد ذلك تكون هباء منثوراً، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد، فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء، ﴿فأما من ثقلت موازينه ♦ أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فهو في عيشة راضية ﴾ في جنات النعيم.

﴿وأما من خفت موازينه ﴾ بأن لم

تكن له حسنات تقاوم سيئاته، ﴿فأمه هُويِهِ﴾ أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم الملازمة كما قال تعالى: ﴿إِنْ عَذَابِهَا كَانَ عُرَاماً﴾.

وقيل: إن معنى ذلك، فأم دماغه هاوية في النار أي: يلقى في النار على رأسه.

﴿ وما أدراك ماهيه ﴾ وهذا تعظيم لأمرها، ثم فسرها بقوله هي: ﴿ ناو حامية ﴾ أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفاً. نستجير بالله منها.

تفسير سورة ألهاكم التكاثر وهي مكية

﴿١ ـ ٨﴾ ﴿بــــم الله السرحمان الرحيم الهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ يقول تعالى موبخاً عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء: ﴿ السهاكم ﴾ عن ذلك المذكرور ﴿ التكاثر ﴾ ولم يذكر المتكاثر به ، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون. ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأمــوال، والأولاد، والأنــصــار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقسود به الإخسلاص له تعالى (°).

فاستمرت غفلتكم ولهوتكم [وتشاغلكم] ﴿حتى زرتم القابر﴾ فانكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن

⁽۱) في ب: الله عليه.

⁽٢) في ب: على رضا ربه.

⁽٣) في ب: خبرهم.

⁽٤) في ب: المراد بهذا الجزاء على الأعمال.

 ⁽a) في ب: وليس المقصود منه وجه الله.

بعدما تعذر عليكم استثنافه.

ودل قوله: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أن البررخ دارٌ مقصودٌ منها النفوذ إلى الدار الباقية(١)، لأن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين.

فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال(٢)، في دار باقية غير فانية، ولهذا توعدهم بقوله: ﴿كلاسوف تعلمون * ثم كلاسوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أي: لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة.

ولكن عدم العلم الحقيقي، صيَّركم إلى ما ترون، ﴿لترون الجحيم﴾ أي: لتردن القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها الله للكافرين.

﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ أي: رؤية بصرية، كما قال تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾.

﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيماً أعلى منه وأفضل.

ام اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصى الله، فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ الآية .

تفسير سورة والعصر [وهي]

﴿١ -٣﴾ ﴿بسبم الله السرحسن الرحيم والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا

بالصبر اقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسار مراتب متعددة متفاوتة :

قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الطَّاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده (٢٦)، الواجبة والمستحبة.

والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح أي: يوصى بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغّبه فيه.

والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين يكمل الإنسان(٤) نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح [العظيم].

تفسير سورة الهمزة وهي مكية

﴿١ ـ ٩ ﴾ ﴿بــــم الله السرحمين الرحيم ويل لكل همزة لمزة * الذي جمع مالاً وعدده * يحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذن في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصّدة *

فى عمدِ ممدة ﴾ ﴿ويل ﴾ أي: وعيد، ووبال، وشدة عذاب ﴿لكل ممزة لمزة ﴾ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله.

ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هَمَّ له سوى جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك، ﴿ يحسب ﴾ بجهله ﴿أن ماله أخلده ﴾ في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمى عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب المديمار، وأن البريزيد في

﴿ كلا لينبذن ﴾ أي: ليطرحن ﴿ في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة﴾ تعظيم لها، وتهويل لشأنها.

ثم فسرها بقوله: ﴿نَارُ اللَّهُ المُوقِدةَ﴾ التي وقودها الناس والحجارة ﴿التي﴾ من شدتها ﴿تطلع على الأفتدة ﴾ أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب.

ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ أي: مغلقة، ﴿في عمدٍ﴾ من خلف الأبواب ﴿مُدُدُّ لِسُلا يخرجوا منها ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها،

[نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية].

تفسير سورة الفيل وهي مكية

﴿١ ـ ٥ ﴿ بِـسـم الله السرحـن الرحيم ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم

في ب: بحقوق الله وحقوق عباده. (٤) في ب: العبد.

في ب: الآخرة. (1)

في ب: على الأعمال. **(Y)**

كعصف مأكول أي: أما رأيت من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلية تبوحييده، وصيدق رسبوليه محمد ﷺ، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا إخرابه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاؤوا بجمع لا قِبلَ للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم، أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أي: متفرقة، تحمل حجارة محماة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيهم ودانيهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، [وقصتهم معروفة مشهورة] وكانت تلك السنة الستى ولىد فيها رسبول الله على، فصارت من جملة إرهاصات دعوته، ومقدمات(١٦) رسالته، فلله الحمد والشكر.

تفسير سورة لإيلاف قريش وهي مكية

﴿١ - ٤﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها أي: فعلنا ما فعلنا واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب.

فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي: سفر أرادوا،

فى ب: أدلة.

(1)

(٢)

(٣)

صاحبه الدم واللوم "، وأما ال

في ب: مخلون بأركانها.

(٦) في ب: الذم والوعيد.

في ب: إطعام.

(0)

(A)

٤) كذا في ب، وفي أ: الذين ملتزمون.

في ب: الربوبية بالبيت.

ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال: ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة، ﴿ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ فرغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله تعالى

فلك اللهم الحمد والشكر على نعمك الظاهرة والباطنة، وخصّ الله بالربوبية البيت (٢)، لفضله وشرفه، وإلا فهو رب كل شيء.

تفسير سورة الماعون [وهي] مكية

﴿١-٧﴾ ﴿بسم الله السرحسن الرحيم أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض صلى طسمام المسكين * فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يترآءون * ويمنعون الماعون﴾ يقول تعالى ذاماً لمن ترك حقوقه وحقوق عباده: ﴿أرأيت والجزاء، فلا يتؤمن بما جاءت به الرسل.

﴿ فَذَلَكُ الذِي يَدَعُ النِيمِ ﴾ أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو شواباً، ولا يخشئ (٣) عقاباً.

ولا يحض غير، ﴿على طعام السكين ﴾ ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين ، ﴿فويل للمصلين ﴾ أي: الملتزمون (٤) لإقامة الصلاة ، مضيعون لها ، تاركون لوقتها ، مفوتون لأركانها (٥) ، وهذا لعدم اهتمامهم مأمر الله حيث ضيعوا الصلاة ، التي السهو عن الصلاة ، هو الذي يستحق والسهو عن الصلاة ، وأما السهو في صاحبه الذم واللوم (٢) ، وأما السهو في

الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ

وله ذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: ﴿الذين هم يراؤون﴾ أي: يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس.

﴿٧﴾ ﴿ويمنعون الماعون﴾ أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به (٧).

فهؤلاء _لشدة حرصهم _يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه.

وفي هذه السورة، الحث على إكسرام (^^ البتيسم، والسساكسين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص [فيها و] في جميع الأعمال.

والحث على [فعل المعروف و] بذل الأمور الخفيفة، كعارية الإناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الكوثر وهي مكية

(١-٣) ﴿بسم الله السرحسن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانتك هو الأبتر> يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ متنا عليه: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له «الكوثر»، ومن الحوض (١٠).

طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم (۱۱) السماء في

⁽٩) كذا في ب، وفي أ: ومن الحوض الذي يقال له: الكوثر.

⁽١٠) في ب: عدد نجوم السماء.

كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال: ﴿فصلُ لربك وانحر﴾ خصّ هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجلّ القربات.

ولأن الصلاة تتضمن الخضوع [في] القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

﴿إِن شَانِتُكُ أَي: مَنِعْضَكُ وذامك ومنتقصك ﴿ هو الأبتر ﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر.

وأما محمد على الله الكامل حقاً، الذي له الكمال المكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكشرة الأنصار والأتباع ﷺ.

تفسير سورة الكافرون

﴿١ - ٦﴾ ﴿بـــم الله السرحــن الرحيم قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينُكم ولى دين﴾ أي: قل للكافرين معلناً ومصرحاً ﴿لا أعبد ما تعبدون ﴾ أي: تبرًّأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهراً وباطناً.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ لعدم إخلاصكم لله في عبادته (١١)، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفاً لازماً.

ولهذا ميز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لكم دينكم ولي

دين﴾ كما قال تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته ﴾ ﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء ثما تعملون ﴾ .

تفسير سورة النصر وهي مدنية(٢)

﴿١ - ٣﴾ ﴿بسب الله السرحسن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك.

فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به، وأما الأمر بعد حصولَ النصر والفتح، فأمر الله رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره، وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين (٣)، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم) وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمراً، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاهم الله (٤) بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل.



يخطر بالبال، أو يدور في الخيال

وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله على قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به.

وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير

فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه.

فكان على يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي.

تفسير سورة تبت [وهي] مكية

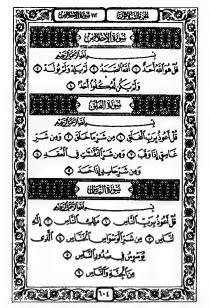
﴿١ ٣- ﴾ ﴿بسبم الله السرحسن [ومع هذا] فلهذه الأمة ، وهذا الرحيم تبت يدا أبي لهب وتب * ما الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا أغنى عنه ماله وما كسب *سيصلى

في ب: إخلاصكم في عبادتكم لله. (1)

في ب: وهي مكية. (٢)

في ب: إشارة أن النصر يستمر للدين. (٣)

⁽٤) في ب: فابتلوا.



ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد > أبو لهب هو عم النبي ﷺ وكان شديد العداوة [والأذية] للنبي ﷺ منا فلا فيه دين، ولا حمية للقرابة و تبعم الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة، فقال:

﴿ تبت يدا أي لهب﴾ أي: خسرت يداه، وشقي ﴿ وتب ﴾ فلم يربح، ﴿ ما أغنى عنه ماله ﴾ الذي كان عنده وأطغاه، ولا ما كسبه فلم يرد عنه شيئاً من عذاب الله إذ نزل به، ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ .

وكانت أيسضاً شديدة الأذية لرسول الله على تنعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول عليه وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطباً، قد أعد له في عنقه حبلاً ﴿من مسد﴾أي: من للف.

أو أنها تحمل في النار الحطب على

زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد، وعلى كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لغيب والشهادة.

تفسير سورة الإخلاص [وهي] مكية

﴿١ - ٤﴾ ﴿بسم الله السرحين السمد * أيلا ولم يولد * ولم يكن له الصمد * أيلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾ أي: ﴿قل﴾ قولاً جازماً به معتقداً له، عارفاً بمعناه، ﴿هو الله أحد﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

والله الصحد أي: المقصود في جميع الحواتج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي لكمل في رحمته الذي] وسعت رحمته كما أنه في رحمته الذي] وسعت رحمته كماك أنه في ليولد لكمال كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن غناه، فولم يكن له كفوا أحد للا في أصحائه ولا في أوصافه، ولا في أعمال، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.

تفسير سورة الفلق [وهي] مكية

﴿١ - •﴾ ﴿بسسم الله السرحمن برب الناس ومالكهم وإلههم، من الرحيم قل أعوذ برب الفلق * من شر الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومادّتها، الذي من فتنته وشره، أنه

ومن شر النقائات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد أي: ﴿قل ﴾ متعوذا ﴿أعوذ ﴾ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم ﴿برب المفلق ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.

﴿من شر ما خلق﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها، ثم خص بعدما عم، فقال: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

﴿ وَمن شر النفاثات في العقد﴾ أي: ومن شر السواحر، اللآتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر.

ومن شرحاسد إذا حسد والحاسد: هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعادة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعادة من جميع أنواع الشر، عموماً وخصوصاً.

ودلّت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه [ومن أهله].

تفسير سورة الناس وهي مدنية^(۱)

﴿١ ـ ٢﴾ ﴿بسسم الله السرحسن الرحيم قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * ملك الناس * ملك الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس﴾ وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادّتها، الذي من فتنته وشره، أنه

يوسوس في صدور الناس، فيحسن [لهم] الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إراداتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائماً بهذه الحال يوسوس ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان به على دفعه.

فينبغي له أن [يستعين و] يستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم.

وأن الخلق كلهم داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها.

وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿من الجنة والناس﴾.

والحسمد لله رب السعسالمين أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

ونسأله تعالى أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوباً لنا حالت (١) بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته.

ونرجوه ونأمل منه أن لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا

يقنط من رحمته إلا القوم المضالون.

وصلى الله وسلم على رسوله محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاة

وسلاما دائسمين متواصلين أبيد

الأوقات، والحمد لله الذي بنعمته تتم

الصالحات. تم تفسير كتاب الله بعونه وحسن توفيقه، على يد جامعه وكاتبه، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المعروف بابن سعدي، غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين، وذلك في غرة ربيع الأول من سنة أربع وأربعين

وثلثمائة وألف من هجرة محمد ﷺ (٢)

⁽١) في ب: ذنوبنا التي حالت.

⁽٢) في ب: ووقع النقل في شعبان ١٣٤٥ ربنا تقبل منا واعف إنَّك أنت الغفورُ الرحيم.

الملاحسق

١ ـ أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن.

٢ ـ تفسير الآيات التي اختلفت فيها النسختان..



اضول وكليّات مِن اصول التفسير وكليّاته لايستغني عَنْها المُفَسر للقرآن^(١)

النكرةُ في سياق النفي، أو سياق النهي، أو الاستفهام، أو سياق الشرط، تَعمُّ، وكذلك المفرد المضاف يعم، وأمثلة ذلك كثيرة.

فمتى وجدت نكرة واقعة بعد المذكورات، أو وجدت مفرداً مضافاً إلى معرفة، فأُثْبِتْ جميعَ ما دخل في ذلك اللفظ، ولاتعتبر سببَ النزول وحده، فإن «العبرة بعموم اللفظ، لابخصوص السبب».

وينبغي أن تنزل جميع الحوادث والأفعال الواقعة، والتي لاتزال تحدث، على العمومات القرآنية، فبذلك تعرف أن القرآن تبيان لكل شيء، وأنه لايحدث حادث، ولايستجد أمر من الأمور، إلا وفي القرآن بيانه وتوضيحه.

ومن أصوله أن الألف واللام الداخلة على الأوصاف، وعلى أسماء الأجناس، تُفيدُ استغراق جميع ما دخلت عليه من المعانى.

ومن كليات القرآن، أنه يدعوا إلى توحيد الله ومعرفته، بذكر أسماء الله، وأوصافه، وأفعاله الدالة على تفرده بالوحدانية، وأوصاف الكمال، وإلى أنه الحق، وعبادته هي الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، ويبين نقص كل ما عُبدَ من دون الله من جميع الوجوه.

ويدعو إلى صحة ما جاء به الرسول محمد ﷺ وصدقه، ببيان إحكامه، وتمامه، وصدق إخباراته كلها، وحسن أحكامه. ويبين ما كان عليه الرسول ﷺ، من الكمال البشري الذي لايلحقه فيه أحدٌ من الأولين والآخرين، ويتحداهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين.

ويُقرر ذلك بشهادته تعالى بقوله وفعله وإقراره إياه، وتصديقه له بالحجة والبرهان، وبالنصر والظهور، وبشهادة أهل العلم المنصفين. ويقابل بين ما جاء به من الحق في أخباره وأحكامه، وبين ما كان عليه أعداؤه، والمكذبون به، من الكذب في أخبارهم، والباطل في أحكامهم، كما يقرر ذلك بالمعجزات المتنوعة.

ويقررالله المعاد بذكر كمال قدرته، وخلقِه للسموات والأرض، اللتين هما أكبر من خلق الناس، وبأن الذي بدأ الخلق قادر على إحادته من باب أولى، وبأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى. ويذكر أيضاً أيامه في الأمم، ووقوع المثلات التي شاهدها الناس في الدنيا، وأنها نموذج من جزاء الآخرة.

ويدعو جميع المبطلين من الكفار والمشركين والملحدين بذكر محاسن الدين، وأنه يهدي للتي هي أقوم، في عقائده وأخلاقه وأعماله، وبيان ما لله من العظمة والربوبية، والنعم العظيمة. وأن مَنْ تفرد بالكمال المطلق، والنعم كلها، هو الذي لاتصلح العبادة إلا له، وأن ما عليه المبطلون، إذا مُيز وحقق وُجد شراً وباطلاً، وعواقبه وخيمة.

ومن أصول التفسير، إذا فهمتَ ما دلَّت عليه الآيات الكريمة من المعاني مطابقة وتضمناً، فاعلم أن لوازم هذه المعاني، وما لاتتم إلا به، وشروطها وتوابعها، تابعةٌ لذلك المعنى، فما لايتم الخبر إلا به،

⁽١) هذه الخاتمة جعلها الشيخ ــ رحمه الله ــ في آخر الجزء الخامس لمّا طبع في حياته، وقد جعلتها في خاتمة التفسير.

فهو تابع للخبر، وما لايتم الحكم إلا به، فهو تابع للحكم، وأنَّ الآيات التي يُفهم منها التعارض والتناقض، ليس فيها تناقض ولاتعارض، بل يجب حمل كل منها على الحالة المناسبة اللائقة بها. وأن حذف المتعلقات، من مفعولات وغيرها، يدل على تعميم المعنى، لأن هذا من أعظم فوائد الحذف، وأنه لا يجوز حذف ما لايدل عليه السياق اللفظي، والقرينة الحالية، كما أن الأحكام المقيدة بشروط أو صفات تدل على أن تلك القيود، لابد منها في ثبوت الحكم.

إذا أمر الله بشيء كان ناهياً عن ضده، وإذا نهى عن شيء كان آمراً بضده، وإذا أثنى على نفسه بنفي شيء من النقائص؛ كان إثباتاً للكمال المنافي لذلك النقص. وكذلك إذا أثنى على رسله وأوليائه ونزههم عن شيء من النقائص، فهو مدح لهم بما يضاد ذلك النقص، ومثله نفي النقائص عن دار النعيم، يدل على إثبات ضد ذلك.

ومن الكليات؛ أنه إذا وضح الحق وظهر ظهوراً جلياً، لم يبق للمجادلات العلمية والمعارضات العملية محل، بل تبطل المعارضات، وتضمحل المجادلات.

ما نفاه القرآن؛ فإما أن يكون غير موجود، أو أنه موجود، ولكنه غير مفيد ولانافع.

الموهوم لايدفع المعلوم، والمجهول لايعارض المحقق، وما بعد الحق إلا الضلال.

ذكرالله في القرآن الإيمان والعمل الصالح في مواضع كثيرة رتب عليهما من الجزاء العاجل والآجل والآثار الحميدة شيئاً كثيراً، فالإيمان هو: التصديق الجازم، بما أمر الله ورسوله بالتصديق به، المتضمن لأعمال الجوارح.

والعمل الصالح هو: القيام بحقوق الله، وحقوق عباده، وكذلك أمر الله بالتقوى، ومَدَح المتقين، ورتَّب على التقوى حصول الخيرات، وزوال المكروهات. والتقوى الكاملة: امتثال أمر الله وأمر رسوله، واجتناب نهيهما وتصديق خبرهما.

وإذا جمع الله بين التقوى والبر ونحوه، كانت التقوى اسماً لتوقي جميع المعاصي، والبر اسماً لفعل الخيرات، وإذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر.

وذكر الله الهدى المطلوب في مواضع كثيرة، وأثنى على المهتدي، وأخبر أن الهدى بيده، وأمرنا بطلبه منه، وبالسعي في كل سبب يحصل الهدى، وذلك شامل لهداية العلم والعمل.

فالمهتدي: من عرف الحق، وعمل به، وضده الغي والضلال، فمن عرف الحق ولم يعمل به فهو الغاوي، ومن جهل الحق فهو الضال.

أمر الله بالإحسان، وأثنى على المحسنين، وذكر ثوابهم المتنوع في آيات كثيرة. وحقيقة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأن تبذل ما تستطيعه من النفع المالي والبدني والقولي إلى المخلوقين.

وأمر بالإصلاح وأثنى على المصلحين، وأخبر أنه لايضيع ثوابهم وأجرهم.

والإصلاح هو: أن تسعى في إصلاح عقائد الناس وأخلاقهم. وجميع أحوالهم، بحيث تكون على غاية ما يمكن من الصلاح، وأيضاً يشمل إصلاح الأمور الدينية، والأمور الدنيوية، وإصلاح الأفراد والجماعات، وضد هذا الفساد.

والإفساد، قد نهى عنه، وذم المفسدين، وذكر عقوباتهم المتعددة، وأخبر أنه لايصلح أعمالهم الدينية والدنيوية.

أثنى الله على اليقين، وعلى الموقنين، وأنهم هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الأفقية.

واليقين أخص من العلم، فهو: العلم الراسخ، المثمر للعمل والطمأنينة.

أمر الله بالصبر، وأثنى على الصابرين، وذكر جزاءهم العاجل والآجل في عدة آيات، نحو تسعين موضعاً، وهو يشمل أنواعه الثلاثة: الصبر على طاعة الله، حتى يؤديها كاملة من جميع الوجوه، والصبر عن محارم الله حتى ينهى نفسه الأمارة بالسوء عنها. والصبر على أقدار الله المؤلمة، فيتلقاها بصبر وتسليم، غير متسخط في قلبه ولابدنه ولالسانه.

وكذلك أثنى الله على الشكر، وذكر ثواب الشاكرين، وأخبر أنهم أرفع الخلق في الدنيا والآخرة.

وحقيقة الشكر هو: الاعتراف بجميع نعم الله، والثناء على الله بها، والاستعانة بها على طاعة المنعم.

وذكر الله الخوف والخشية، في مواضع كثيرة. أمر به، وأثنى على أهله، وذكر ثوابهم، وأنهم المنتفعون بالآيات، التاركون للمحرمات.

وحقيقة الخوف والخشية: أن يخاف العبدُ مقامه بين يدي الله، ومقامه عليه، فينهى نفسه بهذا الخوف عن كل ما حرم الله.

والرجاء: أن يرجو العبد رحمة الله العامة، ورحمته الخاصة به. فيرجو قبول ما تفضل الله عليه به من الطاعات، وغفران ما تاب منه من الزلات، ويعلق رجاءه بربه في كل حال من أحواله.

وذكر الله الإنابة في مواضع كثيرة، وأثنى على المنيبين، وأمر بالإنابة إليه. وحقيقة الإنابة: انجذاب القلب إلى الله، في كل حالة من أحواله، ينيب إلى ربه عند النعماء بشكره، وعند الضراء بالتضرع إليه، وعند مطالب النفوس الكثيرة بكثرة دعائه في جميع مهماته، وينيب إلى ربه، باللهج بذكره في كل وقت.

[والإنابة أيضاً: الرجوع إلى الله، بالتوبة من جميع المعاصي، والرجوع إليه في جميع أعماله وأقواله، فيعرضها على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فتكون الأعمال والأقوال، موزونة بميزان الشرع [(١).

أمر تعالى بالإخلاص، وأثنى على المخلصين، وأخبر أنه لايقبل إلا العمل الخالص.

وحقيقة الإخلاص: أن يقصد العامل بعمله وجه الله وحده وثوابه. وضده: الرياء، والعمل للأغراض نفسية.

نهى الله عن التكبر، وذم الكبر والمتكبرين، وأخبر عن عقوباتهم العاجلة والأجلة.

والتكبر هو: رد الحق، واحتقار الخلق، وضد ذلك التواضع، فقد أمر به، وأثنى على أهله، وذكر ثوابهم، فهو قبول الحق ممن قاله، وأن لايحتقر الخلق، بل يرى فضلهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه.

العدل، هو: أداء حقوق الله، وحقوق العباد.

والظلم: عكسه، فهو يشمل ظلم العبد لنفسه بالمعاصي والشرك وظلم العباد في دماتهم وأموالهم وأعراضهم.

الصدق، هو: استواء الظاهر والباطن في الاستقامة على الصراط المستقيم، والكذب بخلاف ذلك.

حدود الله هي: محارمه، وهي التي يقول فيها ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾، ويراد بها ما أباحهالله وحلله، وقدره، وفرضه، فيقول فيها ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾.

الأمانة هي: الأمور التي يؤتمن عليها العبد. فيشمل ذلك أداء حقوقالله، وخصوصاً الخفية، وحقوق خلقه كذلك.

العهود والعقود، يدخل فيها التي بينه وبينالله، وهو: القيام بعبادةالله مخلصاً له الدين، والتي بينه وبين العباد من المعاملات ونحوها.

⁽١) ما بين القوسين في هامش النسخة بخط مغاير لخط الشيخ ... رحمه الله ..

الحكمة والقوام فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي.

والإسراف والتبذير، مجاوزة الحد في الإنفاق. والتقتير والبخل عكسه: التقصير في النفقات الواجبة.

المعروف: اسم جامع لكل ما عرف حسنه ونفعه شرعاً وعقلاً، والمنكر عكسه.

الاستقامة: لزوم طاعة الله، وطاعة رسوله على الدوام.

مرض القلب هو: اعتلاله، وهو نوعان: مرض شكوك في الحق، ومرض شهوة للأمور المحرمة.

النفاق: إظهار الخير، وإبطان الشر، فيدخل فيه النفاق الاعتقادي والنفاق العملي.

القرآن، كله مُحكم، وأحكمت آياته من جهة موافقتها للحكمة، وأن أخباره أعلى درجات الصدق، وأحكامه في غاية الحسن. وكله متشابة، من جهة اتفاقه في البلاغة والحسن، وتصديق بعضه لبعض وكمال اتفاقه.

ومنه محكم ومتشابه، من جهة أن متشابهه ما كان فيه إجمال أو احتمال لبعض المعاني. ومحكمه، واضح مبين صريح في معناه، إذا رُدَّ إليه المتشابه، اتفق الجميعُ، واستقامت معانيه.

معية الله التي ذكرها في كتابه، نوعان:

معية العلم والإحاطة، وهي: المعية العامة، فإنه مع عباده أينما كانوا.

ومعية خاصة، وهي: معيته مع خواص خلقه بالنصرة، واللطف، والتأييد.

الدعاء والدعوة، يشمل دعاء العبادة، فيدخل فيه كل عبادة أمر الله بها ورسوله.

ودعاء المسألة، وهو: سؤال الله جلب المنافع، ودفع المضار.

الطيبات: اسم جامع لكل طيب نافع، من العقائد، والأخلاق، والأعمال، والمآكل، والمشارب والمكاسب. والخبيث ضد ذلك.

وقد يراد بالخبيث: الرديء، وبالطيب: الخيار كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم، ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾(١).

النفقة، تشمل النفقة الواجبة: كالزكاة، والكفارة، ونفقة النفس، والعائلة، والمماليك، والنفقة المستحبة: كالنفقة في جميع طرق الخير.

التوكل على الله والاستعانة به، قد أمرالله بها، وأثنى على المتوكلين في آيات كثيرة.

وحقيقة ذلك: قوة اعتماد القلب على الله في جلب المصالح، ودفع المضار الدينية والدنيوية، مع الثقة به في حصول ذلك.

العقل الذي مدحه الله وأثنى على أهله، وأخبر أنهم هم المنتفعون بالآيات. هو: الذي يفهم، ويعقل الحقائق النافعة، ويعمل بها، ويعقل صاحبه عن الأمور الضارة، ولذلك قيل له: حِجْر، ولُب، ونُهى، لأنه يحجر صاحبه وينهاه عما يضره.

العلم هو: معرفة اُلهَّدى بدليله، فهو معرفة المسائل النافعة المطلوبة، ومعرفة أدلتها وطرقها،التي تهدي إليها.

والعلم النافع هو: العلم بالحق والعمل به، وضده الجهل.

لفظ «الأمة» في القرآن على أربعة أوجه: يراد به «الطائفة من الناس» وهو الغالب. ويراد به «المدة»،

 ⁽١) لم يتم الشيخ _ رحمه الله _ الآية، وبتمامها يتضح مراده، وتمامها قوله تعالى: ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن
تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد﴾.

ويراد به «الدين» و«الملة»، ويراد به «الإمام» في الخير.

لفظ «استوى» في القرآن على ثلاثة أوجه: إن عُدِّيَ بِ«على» كان معناه العلو والارتفاع، ﴿ثم استوى على العرش﴾

وإن عُدِّي بِدْإلَى، فمعناه قصد، كقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهنَ سبع سموات﴾ .

وإن لم يُعَدُّ بشيء، فمعناه «كَمُلِّ»، كقوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ إ

«التوبة» ورد في آيات كثيرة الأمر بها، ومدح التائبين وثوابهم، وهي: الرجوع عما يكرهه الله ظاهراً وباطناً، إلى ما يحبهالله ظاهراً وباطناً.

الصراط المستقيم، الذي أمر الله بلزومه وأثنى على المستقيمين عليه، هو: الطريق المعتدل الموصل إلى رضوانالله وثوابه، وهو متابعة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وكل أحواله.

الذكر لله الذي أمر به، وأثنى على الذاكرين، وذكر جزاءهم العاجل والآجل هو: عند الإطلاق، يشمل جميع ما يقرب إلى الله: من عقيدة، أو فكر نافع، أو خلق جميل، أو عمل قلبي أو بدني، أو ثناء على الله، أو تسبيح ونحوه، أو تعلم أحكام الشرع الأصولية والفروعية، أو ما يعين على ذلك، فكله داخل في ذكر الله.

فصـــل

وقد تكرر كثير من أسماء الله الحسنى في القرآن بحسب المناسبات، والحاجة داعية إلى التنبيه إلى معانيها الجامعة، فنقول:

قد تكرر اسم «الرب» في آيات كثيرة.

و «الرب»: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم. ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

«الله»: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.

«الملك، المالك»: الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك، وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك، ومضطرون إليه.

«الواحد، الأحد»: وهو الذي توحُّد بجميع الكمالات، بحيث لايشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقلاً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

«الصمد»: وهو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها، وضروراتها وأحوالها ، لما له من الكمال المطلق في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

•العليم، الخبير»: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والأسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلايخفى عليه شيء من الأشياء.

«الحكيم»: وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾. فلايخلق شيئاً عبثاً، ولايشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لايشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره وجزائه.

والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها.

(الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب.

هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته.، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ الآية.

والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار حمته.

(السميع) لجميع الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

«البصير» الذي يُبصر كل شيء وإن دقَّ وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء. ويُبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع. وأيضاً سميع بصير بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة.

«الحميد» في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأغعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل.

«المجيد، الكبير، العظيم، المجليل» وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى. وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملتت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه.

«العفو، الغفور، الغفار» الذي لم يزل، ولايزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾

«التواب» الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه، فهو التائب على التائبين أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم.

«القدوس، السلام» أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحدٌ من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحدٌ في شيء من الكمال ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ ﴿هل تعلم له سمياً﴾ ﴿فلاتجعلوالله أنداداً﴾

فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله.

«العلي الأعلى» وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى. وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى.

«العزيز» الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع. فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته.

«القوي، المتين» هو في معنى العزيز.

«الجبار» هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى «الرؤوف» الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه.

(المتكبر) عن السوء والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه.

«الخالق، البارىء، المصور» الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسوَّاها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولايزال على هذا الوصف العظيم.

«المؤمن» الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ما جاؤوا به.

«المهيمن»: المطلِّع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً.

«القدير» كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له «كن فيكون»، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد.

«اللطيف» الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لايشعرون بها، فهو بمعنى «الخبير» وبمعنى «الرؤوف».

«الحسيب» هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

«الرقيب» المطلّع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

«الحفيظ» الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها.

«المحيط» بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً.

«القهار» لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره.

«المُقيت» الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده.

«الوكيل» المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلاً كفاه ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

«ذو الجلال والإكرام» أي: ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود، والإحسان العام والخاص، المكرم لأولياته وأصفياته، الذين يجلونه ويعظمونه ويحبونه.

«الودود» الذي يحبُ أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه وداً وإخلاصاً وإنابة من جميع الوجوه.

«الفتاح» الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾

«الرزاق» لجميع عباده، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها. ورزقه لعباده نوعان:

رزق عام، شمل البِّرُّ والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان.

ورزق خاص وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان.

والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين، على مراتبهم منه، بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.

«الحكم، العدل» الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه. فلايظلم مثقال ذرة، ولايحمّل أحداً وزر أحد، ولايجازي العبد بأكثر من ذنبه ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلايدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره ﴿إن ربى على صراط مستقيم﴾.

«جامع الناس» ليوم لاريب فيه، وجامع أعمالهم وأرزاقهم، فلايترك منها صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها، وجامع ما تفرَّق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بكمال قدرته، وسعة علمه.

«الحيّ القيّوم» كامل الحياة والقائم بنفسه. القيوم لأهل السموات والأرض، القائم بتدبيرهم وأرزاقهم، وجميع أحوالهم، ف«الحي»: الجامع لصفات الذات، و«القيوم» الجامع لصفات الأفعال.

«النور» نور السموات والأرض، الذي نوَّر قلوب العارفين بمعرفته والإيمان به، ونَوَّر أفتدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السموات والأرض بالأنوار التي وضعها، وحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

«بديع السموات والأرض» أي: خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم.

«القابض الباسط» يقبض الأرزاق والأرواح، ويبسط الأرزاق والقلوب، وذلك تبع لحكمته ورحمته.

«المعطي، المانع» لامانع لما أعطى، ولامعطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته.

«الشهيد» أي: المطَّلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه.

«المبدىء، المعيد» قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، ابتدأ خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ثم يعيدهم ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ويجزي المسيثين بإساءتهم. وكذلك هو الذي يبدأ إيجاد المخلوقات شيئاً فشيئاً، ثم يعيدها كل وقت.

«الفعّال لما يريد» وهذا من كمال قوته ونفوذ مشيئته وقدرته، أن كل أمر يريده يفعله بلاممانع ولا معارض، وليس له ظهير ولاعوين، على أيّ أمر يكون، بل إذا أراد شيئاً قال له «كن فيكون». ومع أنه الفعال لما يريد، فإرادته تابعة لحكمته وحمده، فهو موصوف بكمال القدرة، ونفوذ المشيئة، وموصوف بشمول الحكمة، لكل ما فعله ويفعله.

والغني، المغني، فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلايتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولايمكن أن يكون إلا غنياً، لأن غناه من لوازم ذاته، كما لايكون إلا خالقاً، قادراً، رازقاً، محسناً، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني، الذي بيده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة. المغني جميع خلقه غنى عاماً، والمغنى لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية.

«الحليم» الذي يَدِرُ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا.

«الشاكر، الشكور» الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل. ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة،

تقرب الله منه أكثر.

«القريب، المجيب» أي: هو تعالى القريب من كل أحد، وقربه تعالى نوعان: قرب عام من كل أحد، بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته. وقرب خاص، من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قرب لاتدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده. ومن آثاره الإجابة للداعين، والإنابة (العابدين، فهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له المنقادين لشرعه، وهو المجيب أيضاً للمضطرين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به طمعاً ورجاء وخوفاً.

«الكافي» عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه.

«الأول، والآخر، والظاهر، والباطن».

قد فسَّرها النبي ﷺ تفسيراً جامعاً واضحاً، فقال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء».

«الواسع» الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لايخصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.

«الهادي، الرشيد» أي: الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما الايعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره.

وللرشيد معنى بمعنى الحكيم، فهو الرشيد في أقواله وأفعاله، وشرائعه كلها خير ورشد وحكمة، ومخلوقاته مشتملة على الرشد.

«الحق» في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولاوجود لشيء من الأشياء إلا به. فهو الذي لم يزل ولايزال بالجلال والجمال والكمال موصوفاً، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً.

فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لاشريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق. ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير﴾

﴿ وقل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ ﴿ قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً ﴾

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات؛ وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى ربه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي غفر الله له ولوالديه، ومشايخه، وأحبابه، وجميع المسلمين آمين.

⁽١) كذا في الأصل ولعلها: (الإثابة) والله أعلم.

	<i>.</i>	

﴿ ٢٣٨_ ٢٣٩﴾ ثـم قـال تـعـالـى: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقرموا ش قانتين * فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ يأمر تعالى بالمحافظة ﴿ على الصلوات ﴾ عموماً، وعلى ﴿ الصلاة الوسطى ﴾ وهي العصر خصوصاً.

والمحافظة عليها: أداؤها بوقتها، وشروطها، وأركانها، وخشوعها، وجميع ما لها، من واجب ومستحب.

وبالمحافظة على الصلوات، تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر، خصوصاً إذا أكملها كما أمر بقوله: ﴿وقوموا لله قانتين﴾، أي: ذليلين مخلصين خاشعين، فإن القنوت دوام الطاعة مع الخشوع،

﴿٢٣٩﴾ وقوله: ﴿فإن خفتم﴾ حذف المتعلق، ليعم الخوف من العدو، والسبع، وفوات ما يتضرر العبد يفوته فصلوا، ﴿رجالا﴾ ماشين على أرجلكم.

﴿أو ركباناً﴾ على الخيل والإبل، وسائر المركوبات، وفي هذه الحال، لا يلزمه الاستقبال، فهذه صفة صلاة المعذور بالخوف، فإذا حصل الأمن، صلى صلاة كاملة.

ويدخل في قوله: ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله تكميل الصلوات، ويدخل فيه أيضاً، الإكثار من ذكر الله، شكراً له على نعمة الأمن وعلى نعمة التعليم، لما فيه سعادة العبد.

وفي الآية الكريمة، فضيلة العلم، وأن على من علمه الله ما لم يكن يعلم الإكثار من ذكر الله.

وفيه الإشعار أيضاً أن الإكثار من ذكره، سبب لتعليم علوم أخر، لأن الشكر مقرون بالمزيد.

ثم قال تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى المحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾.

﴿٢٤٠﴾ اشتهر عند كشير من المفسرين، أن هذه الآية الكريمة، نسختها الآية الكريمة، نسختها الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾، وأن الأمر

كان على الزوجة، أن تتربص حولاً كاملاً، ثم نسخ بأربعة أشهر وعشر.

ويجيبون عن تقدم الآية الناسخة، أن ذلك تقدم في الرضع، لا في النزول، لأن شرط الناسخ أن يتأخر عن المنسوخ، وهذا القول لا دليل عليه.

ومن تأمل الآيتين، اتضح له أن القول الآخر في الآية، هو الصواب، وأن الآية الأولى في وجوب التربص أربعة أشهر وعشراً، على وجه التحتيم على المرأة، وأما في هذه الآية فإنها وصية لأهل الميت، أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم، حولاً كاملاً، جبراً لخاطرها، وبراً بميتهم، ولهذا قال: ﴿وصية لأزواجهم﴾، أي: وصية من الله لأهل الميت، أن يستوصوا بزوجته، ويمتعوها ولا يخرجوها.

فإن رغبت أقامت في وصيتها، وإن أحبت الخروج فلا حرج عليها، ولهذا قال: ﴿ فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن ﴾ أي: من التجمل واللباس. لكن الشرط، أن يكون بالمعروف، الذي لا يخرجها عن حدود الدين والاعتبار، وختم الآية بهذين الاسمين العظيمين، الدالين على كمال العزة، وكمال الحكمة، لأن هذه أحكام صدرت عن عزته، ودلت على كمال حكمة، حيث وضعها في مواضعها اللائقة

﴿ ٢٤١ ـ ٢٤٢﴾ ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ۞ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ لما بين في الآية السابقة، إمتاع المفارقة بالموت، ذكر هنا أن كل مطلقة، فلها على زوجها، أن يمتعها ويعطيها ما يناسب حاله وحالها، وأنه حق، إنما يقوم به المتقون، فهو من خصال التقوى الواجبة أو المستحبة.

فإن كانت المرأة لم يسم لها صداق، وطلقها قبل الدخول، فتقدم أنه يجب عليه بحسب يساره وإعساره.

وإن كان مسمى لها، فمتاعها نصف المسمى.

وإن كانت مدخولاً بها، صارت المتعة مستحبة، في قول جمهور العلماء.

ومن العلماء من أوجب ذلك، استدلالاً بقوله: ﴿حقاً على المتقين﴾، والأصل في «الحق، أنه واجب، خصوصاً وقد أضافه إلى المتقين، وأصل التقوى واجبة.

فلما بين تعالى هذه الأحكام الجليلة بين الزوجين، أثنى على أحكامه وعلى بيانه لها وتوضيحه، وموافقتها للعقول السليمة، وأن القصد من بيانه لعباده، أن يعقلوا عنه ما بينه، فيعقلونها حفظاً، وفهماً، وعملاً بها، فإن ذلك من تمام عقلها.

﴿ ٢٤٣﴾ ﴿ أَلَم تر إِلَى الذَين خرجوا من ديارهم وهم أَلُوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ أي: ألم تسمع بهذه القصة العجيبة الجارية على من قبلكم من بني إسرائيل، حيث طلوباء بديارهم، فخرجوا بهذه الكثرة، فراراً من الموت، فلم ينجهم الفرار، ولا أغنى عنهم من وقوع ما كانوا يحذرون، فعاملهم بنقيض مقصودهم، وأماتهم الله عن آخرهم، ثم تفضل عليهم، فأحياهم، إما بدعوة نبي، كما قاله كثير من المفسرين، وإما بغير ذلك.

ولكن ذلك، بفضله وإحسانه، وهو لا زال فضله على الناس، وذلك موجب لشكرهم لنعم الله بالاعتراف بها وصرفها في مرضاة الله، ومع ذلك فأكثر الناس قد قصروا بواجب الشكر.

وفي هذه القصة، عبرة بأنه على كل شيء قدير، وذلك آية محسوسة على البعث، فإن هذه القصة معروفة منقولة، نقلاً متواتراً عند بني إسرائيل ومن اتصل بهم، ولهذا أتى بها تعالى، بأسلوب الأمر الذي قد تقرر عند المخاطين.

ويحتمل أن هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم خوفاً من الأعداء، وجبناً عن لقائهم، ويؤيد هذا أن الله ذكر بعدها الأمر بالقتال وأخبر عن بني إسرائيل أنهم كانوا مخرجين من ديارهم وأبنائهم.

وعلى الاحتمالين فإن فيها ترغيباً في الجهاد، وترهيباً من التقاعد عنه، وأن ذلك لا يغني عن الموت شيئاً. ﴿قُلُ لُو كُنتُم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾.

﴿ ١٤٤. ٢٤٥﴾ ﴿وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ۞ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ جمع الله بين الأمر بالقتال في سبيله بالمال والبدن لأن الجهاد لا يقوم إلا بالأمرين، وحث على الإخلاص فيه، بأن يقاتل العبد، لتكون كلمة الله هي العليا، فإن الله العبد، لتكون كلمة الله هي العليا، فإن الله

﴿سميع﴾ للأقوال، وإن خفيت، ﴿عليم﴾ بما تحتوي عليه القلوب من النيات الصالحة وضدها.

وأيضاً، فإنه إذا علم المجاهد في سبيله، أن الله سميع عليم، هان عليه ذلك، وعلم أنه بعينه ما يتحمل المتحملون من أجله، وأنه لا بد أن يمدهم بعونه ولطفه.

وتأمل هذا الحث اللطيف على النفقة ، وأن المنفق قد أقرض الله المليء الكريم ، وعده المضاعفة الكثيرة ، كما قال تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ .

ولما كان المانع الأكبر من الإنفاق خوف الإملاق، أخبر تعالى أن الغنى والفقر بيد الله، وأنه يقبض الرزق على من يشاء، ويبسطه على من يشاء، فلا يتأخر من يريد الإنفاق خوف الفقر، ولا يظن أنه ضائع، بل مرجع العباد كلهم إلى الله، فيجد المنفقون والعاملون أجرهم عنده مدخراً، أحوج ما يكونون إليه، ويكون له من الوقع العظيم، ما لا يمكن التعبير عنه.

والمراد بالقرض الحسن: هو ما جمع أوصاف الحسن، من النية الصالحة، وسماحة النفس، بالنفقة، ووقوعها في محلها وأن لا يتبعها المنفق مناً ولا أذى؛ ولا مبطلاً ومنقصاً.

﴿٢٤٦﴾ ﴿ألم تر إلى المالاً من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله إلى آخر القصة. يقص الله تعالى هذه القصة على الأمة، ليعتبروا وليرغبوا في الجهاد، ولا ينكلوا عنه، فإن الصابرين صارت لهم العواقب الحميدة في الدنيا والآخرة، والناكلين خسروا الأمرين.

فأخبر تعالى أن أهل الرأي من بني إسرائيل وأصحاب الكلمة النافذة؛ تراودوا في شأن الجهاد، واتفقوا على أن يطلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكاً؛ لينقطع النزاع بتعيينه، وتحصل الطاعة التامة، ولا يبقى لقائل مقال.

وأن نبيهم خشي أن طلبهم هذا، مجرد كلام لا فعل معه، فأجابوا نبيهم بالعزم

الجازم، وأنهم التزموا ذلك التزاماً تاماً، وأن القتال متعين عليهم، حيث كان وسيلة لاسترجاع ديارهم؛ ورجوعهم إلى مقرهم ووطنهم.

﴿٢٤٧﴾ وأنه عين لهم نبيهم طالوت ملكاً، يقودهم في هذا الأمر الذي لا بد له من قائد يحسن القيادة، وأنهم استغربوا تعيينه لطالوت، وثم من هو أحق منه بيتاً وأكثر مالاً.

فأجابهم نبيهم: إن الله اختاره عليكم؛ بما آتاه الله من قوة العلم بالسياسة؛ وقوة الجسم، اللذين هما آلة الشجاعة والنجدة، وحسن التدبير، وأن الملك ليس بكثرة المال؛ ولا بكون صاحبه ممن كان الملك والسيادة في بيوتهم، فالله يؤتي ملكه من ساء.

﴿٢٤٨﴾ ثم لم يكتف ذلك النبي الكريم بإقناعهم بما ذكره! من كفاءة طالوت؛ واجتماع الصفات المطلوبة فيه حتى قال لهم: ﴿إِن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾، وكان هذا التابوت قد استولت عليه الأعداء.

فلم يكتفوا بالصفات المعنوية في طالوت، ولا بتعيين الله له على لسان نبيهم، حتى يؤيد ذلك هذه المعجزة، ولهذا قال: ﴿إِنْ فِي ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾، فحينئذ سلموا وانقادوا.

﴿٢٤٩﴾ فلما ترأس فيهم طالوت، وجندهم، ورتبهم، وفصل بهم إلى قتال عدوهم، وكان قد رأى منهم من ضعف العزائم والهمم، ما يحتاج إلى تمييز الصابر من الناكل، فقال: ﴿إِنْ الله مبتليكم بنهر﴾ تمرون عليه وقت حاجة إلى الماء.

﴿ قمن شرب منه فليس مني ﴾ أي: لا يتبعني؛ لأن ذلك برهان على قلة صبره، ووفور جزعه، ﴿ ومن لم يطعمه فإنه مني ﴾ لصدقه وصبره، ﴿ إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ ، أي: فإنه مسامح فعا.

فلما وصلوا إلى ذلك النهر وكانوا محتاجين إلى الماء، شربوا كلهم منه ﴿إلا قليلاً منهم﴾ فإنهم صبروا ولم يشربوا.

﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا﴾ أي: الناكلون أو الذين عبروا:

﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾.

فإن كان القائلون هم الناكلين، فهذا قول يبررون به نكولهم، وإن كان القائلون هم الذين عبروا مع طالوت، فإنه حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم، ولكن شجعهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل حيث قالوا: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ بعونه وتأييده، ونصره، فثبتوا، وصبروا لقتال عدوهم جالوت وجنوده.

﴿وَآتَــاهُ اللهُ﴾، أي: داود ﴿الــمــلــكُ والحكمة﴾ النبوة والعلوم النافعة، وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب.

﴿٢٥١﴾ ثم بين تعالى، فائدة الجهاد فقال: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ باستيلاء الكفرة والفجار، وأهل الشر والفساد.

﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ حيث لطف بالمؤمنين، ودافع عنهم وعن دينهم، بما شرعه وبما قدره.

﴿٢٥٢﴾ فلما بين هذه القصة قال لرسوله ﷺ: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾.

ومن جملة الأدلة على رسالته، هذه القصة، حيث أخبر بها وحياً من الله، مطابقاً للواقع، وفي هذه القصة عبر كثيرة للأمة.

منها: فضيلة الجهاد في سبيله، وفوائده، وثمراته، وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين، وحفظ الأوطان، وحفظ الأبدان والأموال، وأن المجاهدين، ولو شقت عليهم الأمور، فإن عواقبهم حميدة كما أن الناكلين، ولو استراحوا قليلاً، فإنهم سيتعبون طويلاً.

ومنها: الانتداب لرياسة من فيه كفاءة، وأن الكفاءة ترجع إلى أمرين: إلى العلم الذي هو علم السياسة والتدبير، وإلى القوة التي ينفذ بها الحق، وأن من اجتمع فيه الأمران فهو أحق من غيره.

ومنها: الاستدلال بهذه القصة على ما قاله العلماء، أنه ينبغي للأمير للجيوش،

أن يتفقدها عند فصولها، فيمنع من لا يصلح للقتال، من رجال وخيل وركاب، لضعفه، أو ضعف صبره، أو لتخذيله، أو خوف الضرر بصحبته، فإن هذا القسم ضرر محض على الناس.

ومنها: أنه ينبغي عند حضور البأس، تقوية المجاهدين، وتشجيعهم، وحثهم على القوة الإيمانية، والاتكال الكامل على الله، والاعتماد عليه، وسؤال الله التثبيت، والإعانة على الصبر والنصر على الأعداء.

ومنها: أن العزم على القتال والجهاد غير حقيقته، فقد يعزم الإنسان، ولكن عند حضوره، تنحل عزيمته، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: ﴿أَسَالُكُ النّباتُ في الأمر، والعزيمة على الرشد».

فهؤلاء الذين عزموا على القتال، وأتوا بكلام يدل على العزم المصمم، لما جاء الوقت، نكص أكثرهم، ويشبه هذا قوله على الفضاء الرضا بعد القضاء المكروه للنوس، هو الرضا الحقيقي.

﴿٢٥٣﴾ وقوله تعالى ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد أمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ يخبر الباري أنه فاوت بين الرسل في الفضائل الجليلة، والتخصيصات الجميلة، بحسب ما من الله واليقين الراسخ، والأخلاق العالية، واليقين الراسخ، والأخلاق العالية، والنقم العميم،

فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه فوق الخلائق درجات.

وجميعهم لا سبيل لأحد من البشر إلى الوصول إلى فضلهم الشامخ.

وخصَّ عيسى ابن مريم أنه آناه البينات الدالة على أنه رسول الله حقاً، وعبده صدقاً، وأن ما جاء به من عند الله كله حق، فجعله يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وكلم الناس في

المهد صبياً، وأيده بروح القدس، أي: بروح الإيمان.

فجعل روحانيته فائقة روحانية غيره، فحصل له بذلك القوة والتأييد، وإن كان أصل التأييد بهذه الروح عاماً لكل مؤمن، بحسب إيمانه، كما قال: ﴿وأيدهم بروح منه﴾، لكن ما لعيسى أعظم مما لغيره، لهذا خصه الله بالذكر.

وقيل: إن روح القدس ــ هنا ــ جبريل، أيده الله بإعانته ومؤازرته، لكن المعنى هو الأول.

ولما أخبر عن كمال الرسل، وما أعطاهم من الفضل والخصائص، وأن دينهم واحد، ودعوتهم إلى الخير واحدة، وكان موجب ذلك ومقتضاه، أن تجتمع الأمم على تصديقهم، والانقياد لهم، لما تتاهم من البينات التي على مثلها يؤمن البشر، لكن أكثرهم انحرفوا عن الصراط المستقيم، ووقع الاختلاف بين الأمم.

فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ووقع لأجل ذلك الاقتتال الذي هو موجب الاختلاف والتعادي، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، فما اختلفوا، ولو شاء الله أيضاً _ بعدما وقع الاختلاف الموجب للاقتتال _ ما اقتتاوا.

ولكن حكمته، اقتضت جريان الأمور على هذا النظام بحسب الأسباب، ففي هذه الآية أكبر شاهد على أنه تعالى، يتصرف في جميع الأسباب المقتضية لمسبباتها، وأنه إن شاء أبقاها، وإن شاء منعها، وكل ذلك تبع لحكمته وحده، فإنه فعال لما يريد، فليس لإرادته ومشيئته ممانع ولا معارض ولا معاون.

﴿٢٥٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾ يحتُّ الله المؤمنين على النفقات، في جميع طرق الخير؛ لأن عمته عليهم، بأنه هو الذي رزقهم، ويذكرهم عليهم النعم، وأنه لم يأمرهم بإخراج جميع ما في أيديهم، بل أتى به قمن الدالة على التبعيض، فهذا مما يدعوهم إلى على التبعيض، فهذا مما يدعوهم إلى

ومما يدعوهم أيضاً إخبارهم أن هذه النفقات، مدخرة عند الله في يوم لا تفيد

فيه المعاوضات بالبيع ونحوه، ولا التبرعات، ولا الشفاعات، فكل أحد يقول: ما قدمت لحياتي.

فتنقطع الأسباب كلها، إلا الأسباب المتعلقة بطاعة الله والإيمان به، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ورما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقريكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا، وهم في الغرفات آمنون)، ووما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً).

ثم قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾، وذلك لأن الله خلقهم لعبادته، ورزقهم وعافاهم، ليستعينوا بذلك على طاعتُه، فخرجوا عما خلقهم الله له، وأشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطاناً، والتعانوا بنعمه على الكفر، والفسوق، والعصيان، فلم يبقوا للعدل موضعاً، فلهذا حصر الظلم المطلق فيهم.

﴿٢٥٥﴾ ﴿الله لا إلىه إلا هو النحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيدهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ أخبر ﷺ أن هذه الآية أعظم آيات القرآن، لما احتوت عليه من معاني التوحيد والعظمة، وسعة الصفات للباري تعالى.

فأخبر أنه ﴿اللهِ الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة.

وأنه ﴿الحي﴾ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة، من السمع والبصر، والمرادة، وغيرها، والصفات الذاتية.

كما أن ﴿القيوم﴾ تدخل فيه جميع صفات الأفعال، لأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها.

ومن كمال حياته وقيوميته، أنه

﴿لا تسأخذه مسئة﴾، أي: نسعاس ﴿ولا نوم﴾؛ لأن السنة والنوم، إنما يعرضان للمخلوق، الذي يعتريه الضعف، والعجز، والانحلال، ولا يعرضان لذي العظمة والكبرياء والجلال.

وأخبر أنه مالك جميع ما في السماوات والأرض، فكلهم عبيد لله مماليك، لا يخرج أحد منهم عن هذا الطور، ﴿إِن كُلُ مِن فِي السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً﴾، فهو المالك لجميع الممالك، وهو الذي له صفات الملك والتصرف، والسلطان، والكبرياء.

ومن تمام ملكه أنه لا ﴿ يشفع عند، ﴾ أحد ﴿ إلا بإذنه ﴾ ، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له مماليك ، لا يقدمون على شفاعة حبي يأذن لهم. ﴿ قَلْ لله الشفاعة جميعاً ، له ملك السموات والأرض ﴾ والله لا يأذن لأحد أن يشفع إلا في من ارتضى ، ولا يرتضي إلا .توحيده ، واتباع رسله ، فمن لم يتصف بهذا ، فليس له في الشفاعة نصس .

ثم أخبر عن علمه الواسع المحيط، وأنه يعلم ما بين أيدي الخلائق، من الأمور المستقبلة، التي لا نهاية لها ﴿ رما خلفهم ﴾ من الأمور الماضية التي لا حد لها، وأنه لا تخفى عليه خافية ﴿ يعلم خانة الأعين وما تخفي الصدور ﴾.

وأن الخلق لا يحيط أحد بشيء من علم الله ومعلوماته ﴿إلا بما شاء﴾ منها وهو ما أطلعهم عليه من الأمور الشرعية والقدرية، وهو جزء يسير جداً مضمحل في علوم الباري ومعلوماته، كما قال أعلم الخلق به، وهم الرسل والملائكة: ﴿ ﴿ سِبِحَانِكُ لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾.

ثم أخبر عن عظمته وجلاله، وأن كرسيه، وسع السماوات والأرض، وأنه قد حفظهما ومن فيهما من العوالم بالأسباب والنظامات، التي جعلها الله في المخلوقات.

ومع ذلك فـ ﴿لا يؤوده﴾، أي: يثقله حفظهما، لكمال عظمته، واقتداره، وسعة حكمته في أحكامه.

﴿وهو العلي﴾ بذاته، على جميع مخلوقاته، وهو العلي بعظمة صفاته، وهو العلي الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات، وخضعت له الصعاب،

وذلت له الرقاب.

﴿العظيم﴾ الجامع، لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت عن الصغة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلى العظيم.

فآية احتوت على هذه المعاني التي هي أجلّ المعاني، يحق أن تكون أعظم آيات القرآن، ويحق لمن قرأها، متدبراً متفهماً، أن يمتلىء قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون محفوظاً بذلك من شرور الشيطان.

﴿٢٥٢﴾ ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي، وأنه لكمال براهينه، واتضاح آياته، وكونه هو دين العقل والعلم، ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفطرة له، والرشد، فلكماله وقبول الفطرة له، إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب، ويتنافى مع الحقيقة والحق، أو لما تخفى براهينه وإنا فمن جاءه هذا الدين، ورده ولم يقبله، فإنه لعناده.

فإنه قد تبين الرشد من الغي، فلم يبق لأحد علر ولا حجة، إذا رده ولم يقبله، ولا منافاة بين هذا المعنى، وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد، فإن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله، ولدفع اعتداء المعتدين على الدين.

وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البر والفاجر، وأنه من الفروض المستمرة الجهاد القعلي. فمن ظن من المفسرين أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد، فجزم بأنها منسوخة المناسبة المناس

فقوله ضعيف، لفظاً ومعنى، كما هو واضح بين لمن تدبر الآية الكريمة، كما نبهنا عليه.

ثم ذكر الله انقسام الناس إلى قسمين: قسسم آمن بالله وحده لا شريك له، وكفر بالطاغوت ـ وهو كل ما ينافي الإيمان بالله من الشرك وغيره ـ، فهذا قد استمسك بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها، بل هو مستقيم على الدين الصحيح،

حتى يصل به إلى الله؛ وإلى دار كرامته. ويؤخذ القسم الثاني، من مفهوم الآية، أن من لم يؤمن بالله، بل كفر به، وآمن بالطاغوت، فإنه هالك هلاكاً أبدياً، ومعذب عذاباً سرمدياً.

وقوله: ﴿والله سميع﴾، أي: لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، وسميع لدعاء الداعين، وخضوع المتضرعين.

﴿عليم﴾بما أكنته الصدور، وما خفي من خفايا الأمور، فيجازى كل أحد بحسب ما يعلمه، من نياته وعمله.

﴿٢٥٧﴾ ﴿الله ولي السنيسن آمسنسوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ هذه الآية مترتبة على الآية التي قبلها، فالسابقة هي الأساس، وهذه هي الثمرة.

فأخبر تعالى أن البذين آمنوا بالله وصدقوا إيمانهم، بالقيام بواجبات الإيمان، وترك كل ما ينافيه، أنه وليهم، يتولاهم بولايته الخاصة، ويتولى تربيتهم، فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي والغفلة والإعراض، إلى نور العلم واليقين والإيمان، والطاعة والإقبال الكامل على ربهم، وينور قلوبهم بما يقذفه فيها من نور الوحي والإيمان، وييسرهم فيها من نور الوحي والإيمان، وييسرهم للسرى، ويجنهم العسرى.

وأما الذين كفروا، فإنهم لما تولوا غير وليهم، ولأهم الله ما تولوا لأنفسهم، وخذلهم، ووكلهم إلى رعاية من تولاهم، ممن ليس عنده نفع ولا ضر، فأضلوهم وأشقوهم، وحرموهم هداية العلم النافع والعمل الصالح، وحرموهم السعادة، وصارت النار مثواهم، خالدين فيها مخلدين.

اللهم تولنا فيمن توليت.

﴿٢٥٨﴾ ﴿ألس تر إلى الذين حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يقص الله علينا من أنباء الرسل والسالفين، ما به تتبين الحقائق، وتقوم البراهين المتنوعة على التوحيد.

فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم وللله عنه حيث حاتج هذا الملك الجبار، وهو نمرذ (١) البابلي، المعطل المنكر لرب العالمين، وانتدب لمقاومة إبراهيم الخليل ومحاجته في هذا الأمر، الذي لا يقبل شكا، ولا إشكالاً، ولا ريباً، وهو توحيد الله وربوبيته، الذي هو أجلى الأمور وأوضحها.

ولكن هذا الجبار، غره مُلكه وأطغاه، حتى وصلت به الحال إلى أن نفاه، وحاج إبراهيم الرسول العظيم، الذي أعطاه الله من العلم واليقين، ما لم يعط أحداً من الرسل، سوى محمد ﷺ.

فقال إبراهيم مناظراً له: ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ أي: هو المنفرد بالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، فذكر من هذا الجنس أظهرها، وهو الإحياء والإماتة، فقال ذلك الجبار مباهتاً: ﴿ أَنَا أُحيي وأميت ﴾ ، وعنى بذلك أني أقتل من أردت قتله، وأستبقى من أردت استبقاءه.

ومن المعلوم أن هذا تمويه وتزوير، وحيدة عن المقصود، وأن المقصود أن الله تعالى هو الذي تفرد بإيجاد الحياة في المعدومات، وردها على الأموات، وأنه هو الذي يميت العباد والحيوانات بآجالها، بأسباب ربطها وبغير أسباب.

فلما رآه الخليل مموهاً تمويها، ربما راج على الهميج الرعاع، قال إبراهيم ملزماً له بتصديق قوله إن كان كما يزعم:

إذان الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر، أي: وقف، وانقطعت حجته، واضمحلت شيته.

وليس هذا من الخليل انتقالاً من دليل إلى آخر، وإنما هو إلزام لنمرود، بطرد دليله إن كان صادقاً، وأتى بهذا الذي لا يقبل الترويج والتزوير والتمويه.

فجميع الآدلة: السمعية، والعقلية، والغطرية، قد قامت شاهدة بتوحيد الله، معترفة بانفراده بالخلق والتدبير، وأن من هذا شأنه، لا يستحق العبادة إلا هو، وجميع الرسل متفقون على هذا الأصل العظيم، ولم ينكره إلا معاند مكابر، مماثل لهذا الجبار العنيد، فهذا من أدلة التوحيد.

﴿ ٢٥٩ ـ ٢٦٠﴾ ثـم ذكر أدلة كـمـال القدرة والبعث والجزاء، فقال: ﴿أُو كَالَّذِي مرّ على قرية وهي خاوية على على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم).

هذان دليلان عظيمان، محسوسان في الدنيا قبل الآخرة، على البعث والجزاء، واحد أجراه الله على يد رجل شاك في البعث على الصحيح، كما تدل عليه الآية الكريمة، والآخر على يد خليله إبراهيم.

كما أجرى دليل التوحيد السابق على يده، فهذا الرجل مر على قرية قد دمرت تدميراً، وخوت على عروشها، قد مات أهلها وخربت عمارتها، فقال _ على وجه الشك والاستبعاد _: ﴿أَنَى يحيي هذه الله بعد موتها﴾؟، أي: ذلك بعيد، وهي في هذه الحال، يعني: وغيرها مثلها، بحسب ما قام بقلبه تلك الساعة.

فأراد الله رحمته ورحمة الناس، حيث أماته الله مائة عام، وكان معه حمار، فأماته معه، ومعه طعام وشراب، فأبقاهما الله بحالهما كل هذه المدد الطويلة، فقال: فضت الأعوام المائة، بعثه الله، فقال: ﴿كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ وذلك بحسب ما ظنه، فقال الله: ﴿بل لبثت مائة عام﴾، والظاهر أن هذه المجاوبة على يد بعض الأنباء الكرام.

ومن تمام رحمة الله به وبالناس، أنه أراه الآية عياناً، ليقتنع بها، فبعدما عرف أنه ميت قد أحياه الله، قيل له: ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾، أي: لم يتغير في هذه المدد الطويلة، وذلك من آيات قدرة الله، فإن الطعام والشراب ـ

خصوصاً ما ذكره المفسرون: أنه فاكهة وعصير ـ لا يلبث أن يتغير، وهذا قد حفظه الله، مائة عام، وقيل له: ﴿انظر إلى حمارك﴾، فإذا هو قد تمزق وتفرق، وصار غظاماً نخرة.

﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها ، أي: نرفع بعضها إلى بعض، ونصل بعضها ببعض، بعدما تفرقت وتمزقت، ﴿ثم نكسوها ﴾ بعد الالتئام ﴿لحما ﴾ ، ثم نعيد فيه الحياة.

﴿فلما تبين له﴾ رأي عين لا يقبل الريب بوجه من الوجوه، ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

فاعترف بقدرة الله على كل شيء، وصار آية للناس، لأنهم قد عرفوا موته وموت حماره، وعرفوا قضيته، ثم شاهدوا هذه الآية الكبرى، هذا هو الصواب في هذا الرجل.

وأما قول كثير من المفسرين: إن هذا الرجل، مؤمن أو نبي من الأنبياء، إما عزير أو غيره، وأن قوله: ﴿أَلَى يحيي هذه الله بعد موتها﴾، يعني: كيف تعمر هذه القرية بعد أن كانت خراباً، وأن الله أماته، ليريه ما يعيد لهذه القرية من عمارتها بالخلق، وأنها عمرت في هذه المدة، وتراجع الناس اليها، وصارت عامرة، بعد أن كانت دامرة - فهذا لا يدل عليه اللفظ، بل ينافيه، ولا يدل عليه المعنى.

فأي آية وبرهان، برجوع البلدان الدامرة إلى العمارة، وهذه لم تزل تشاهد، تعمر قرى ومساكن، وتخرب أخرى، وإنما الآية العظيمة في إحيائه بعد موته، وإحياء حماره، وإبقاء طعامه وشرابه، لم يتعفن ولم يتغير.

ثم قوله: ﴿فلما تبين له﴾ صريح في أنه لم يتبين له إلا بعدما شاهد هذه الحال الدالة على كمال قدرته عياناً.

﴿٢٦٠﴾وأما البرهان الآخر، فإن إبراهيم قال طالباً من الله، أن يريه كيف يحيي الموتى، فقال الله له: ﴿أُولَم تؤمن﴾ ليزيل الشبهة عن خليله.

﴿قال﴾ إبراهيم: ﴿بلى﴾ يا رب، قد آمنت أنك على كل شيء قدير، وأنك تحيي الموتى، وتجازي العباد، ولكن أريد

أن يطمئن قلبي، وأصل إلى درجة عين . اليقين .

فأجاب الله دعوته، كرامة له، ورحمة بالعباد، ﴿قَالَ: فَخَذَ أَربِعة مِن الطير﴾ ولم يبين أي الطيور هي، فالآية حاصلة بأي نوع منها، وهو المقصود، ﴿فصرهن إليك﴾ أي: ضمهن، واذبحهن، ومزقهن.

﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم ادعهن، يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

ففعل ذلك، وفرق أجزاءهن على الجبال، التي حوله، ودعاهن بأسمائهن، فأقبلن إليه، أي: سريعات، لأن السعي: السرعة، وليس المراد أنهن جئن على قوائمهن، وإنما جنن طائرات، على أكمل ما يكون من الحياة.

وخص الطيور بذلك، لأن إحياءهن أكمل وأوضح من غيرهن.

وأيضاً أزال في هذا كل وهم، ربما يعرض للنفوس المبطلة، فجعلهن متعددات أربعة، ومزقهن جميعاً، وجعلهن على رؤوس الجبال، ليكون ذلك ظاهراً علناً، يشاهد من قرب ومن بعد، وأنه نحاهن عنه كثيراً، لثلا يظن أن يكون عاملاً حيلة من الحيل، وأيضاً أمره أن يدعوهن فجن مسرعات.

فصارت هذه الآية أكبر برهان على كمال عزة الله وحكمته.

وفيه تنبيه على أن البعث فيه يظهر للعباد كمال عزة الله وحكمته وعظمته وسعة سلطانه، وتمام عدله وفضله.

﴿ ١٦١- ٢٦٢﴾ ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ۞ الذين ينفقون مأ أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ هذا أنفقا أموالهم في سبيله، وهو طريقه الموصل إليه، فيدخل في هذا إنفاقه في ترقية العلوم النافعة، وفي الاستعداد للجهاد في سبيله، وفي تجهيزهم، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة للمسلمين.

ويلي ذلك الإنفاق على المحتاجين، والفقراء والمساكين.

وقد يجتمع الأمران، فيكون في النفقة

دفع الحاجات، والإعانة على الخير والطاعات، فهذه النفقات مضاعفة، هذه المضاعفة بسبعمائة إلى أضعاف أكثر من ذلك، ولهذا قال: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾، وذلك بحسب ما يقوم بقلب المنفق، من الإيمان، والإخلاص التام، وفي ثمرات نفقته ونفعها، فإن بعض طرق الخيرات يترتب على الإنفاق فيها منافع متسلسلة، ومصالح متنوعة، فكان الجزاء من جنس العمل.

ثم أيضاً ذكر ثواباً آخر للمنفقين أموالهم في سبيله، نفقة صادرة، مستوفية لشروطها، منتفية موانعها، فلا يتبعون المنفق عليه مناً منهم عليه، وتعداداً للنعم، وأذية له، قولية أو فعلية.

فهؤلاء ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ بحسب ما يعلمه منهم، وبحسب نفقاتهم ونفعها، وبفضله الذي لا تناله، ولا تصل إليه صدقاتهم.

﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، فنفى عنهم المكروه الماضي، بنفي الحزن، والمستقبل بنفي الخوف عليهم، فقد حصل لهم المحبوب، واندفع عنهم المكروه.

﴿٢٦٣﴾ ﴿قول معروف ومغفرة خيرٌ من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم﴾ ذكر الله أربع مراتب للإحسان: المرتبة العليا: النفقة الصادرة عن نية صالحة، ولم يتبعها المنفق مناً ولا أذى.

ثم يليها قول المعروف، وهو: الإحسان القولي بجميع وجوهه، الذي فيه سرور المسلم، والاعتذار من السائل إذا لم يوافق عنده شيئاً، وغير ذلك من أقوال المعروف.

والثالثة: الإحسان بالعفو والمغفرة، عمن أساء إليك، بقول أو فعل.

وهذان أفضل من الرابعة، وخير منها وهي التي يتبعها المتصدق الأذى للمعطى، لأنه كدر إحسانه وفعل خيراً وشراً.

فالخير المحض _ وإن كان مفضولاً _ خير من الخير الذي يخالطه شر، وإن كان فاضلاً، وفي هذا التحذير العظيم لمن يؤذي من تصدق عليه، كما فعله أهل اللؤم والحمق والجهل.

﴿واللهُ تعالى ﴿غني﴾ عن صدقاتهم، وعن جميع عباده.

﴿حليم﴾ مع كمال غناه، وسعة عطاياه، يحلم عن العاصين، ولا يعاجلهم بالعقوبة، بل يعافيهم ويرزقهم، ويدر عليهم خيره، وهم مبارزون له بالمعاصي.

﴿ ٢٦٤_ ٢٦٤﴾ ثم نهى أشد النهى عن المن والأذى، وضرب لذلك مثلاً، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمِنُوا لَا تَبْطُلُوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين * ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلٌ والله بما تعملون بصير * أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ ضرب الله في هذه الآيات ثلاثة أمثلة: للمنفق ابتغاء وجهه، ولم يتبع نفقته مناً ولا أذي، ولمن أتبعها مناً وأذي، وللمرائي.

﴿ ٢٦٥﴾ فأما الأول، فإنه لما كانت نفقته مقبولة مضاعفة، لصدورها عن الإيمان والإخلاص التام ﴿ ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم ﴾، أي: ينفقون، وهم ثابتون على وجه السماحة والصدق، فمثل هذا العمل ﴿ كمثل جنة بربوة ﴾، وهو المكان المرتفع، لأنه يتبين للرياح والشمس، والماء فيها غزير.

فإن لم يصبها ذلك الوابل الغزير، حصل طل كاف، لطيب منبتها، وحسن أرضها، وحصول جميع الأسباب الموفرة لنموها وازدهارها وإثمارها. ولهذا ﴿آتت أكلها ضعفين﴾، أي: متضاعفاً.

وهذه الجنة التي على هذا الوصف، هي أعلى ما يطلبه الناس، فهذا العمل الفاضل بأعلى المنازل.

﴿٢٦٦﴾ وأما من أنفق ش، ثم أتبع نفقته مناً وأذى، أو عمل عملاً، فأتى بمبطل لذلك العمل، فهذا مثله مثال صاحب هذه الجنة، لكن سلط عليها ﴿إعصار﴾ وهو الربح الشديدة ﴿فيه نار فاحترقت﴾، وله ذرية ضعفاء، وهو

ضعيف قد أصابه الكبر.

فهذه الحال من أفظم الأحوال، ولهذا صدر هذا المثل بقوله: ﴿أيود أحدكم﴾، إلى آخرها بالاستفهام المتقرر عند المخاطبين فظاعته، فإن تلفها دفعة واحدة، بعد زهاء أشجارها، وإيناع ثمارها، مصيبة كبرى.

ثم حصول هذه الفاجعة _ وصاحبها كبير قد ضعف عن العمل، وله ذرية ضعفاء، لا مساعدة منهم له، ومؤنتهم عليه _ فاجعة أخرى، فصار صاحب هذا المثل، الذي عمل فله، ثم أبطل عمله بمناف له، يشبه حال صاحب الجنة، التي جرى عليها ما جرى، حين اشتدت ضرورته إليها.

المثل الثالث: الذي يرائي الناس، وليس معه إيمان بالله، ولا احتساب لثوابه، حيث شبه قلبه بالصفوان، وهو الحجر الأملس، عليه تراب يظن الراثي أنه إذا أصابه المطر، أنبت كما تنبت الأراضي الطيبة، ولكنه كالحجر، الذي أصابه الوابل الشديد، فأذهب ما عليه من التراب، وتركه صلداً.

وهذا مثل مطابق لقلب المراثي، الذي ليس فيه إيمان، بل هو قاس لا يلين ولا يخشم.

فهذا أعماله ونفقاته لا أصل لها، تؤسس عليه، ولا غاية لها، تنتهي إليها، بل ما عمله، فهو باطل، لعدم شرطه.

والذي قبله بطل بعد وجود الشرط، لوجود المانع، والأول مقبول مضاعف، لوجود شرطه الذي هو الإيمان والإخلاص والثبات، وانتفاء الموانع المفسدة.

وهذه الأمثال الثلاثة، تنطبق على جميع العاملين، فليزن العبد نفسه وغيره بهذه الموازين العادلة، والأمثال المطابقة.

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون﴾ .

﴿ ١٦٧ - ٢٦٧﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد * الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾ يحث الباري عباده على الإنفاق مما كسبوا في التجارات، ومما أخرج لهم من الأرض،

من الحبوب والثمار، وهذا يشمل زكاة النقدين، والعروض كلها، المعدّة للبيع والشراء، والخارج من الأرض، من الحبوب والثمار، ويدخل في عمومها الفرض والنفل.

وأمر تعالى أن يقصدوا الطيب منها، ولا يقصدوا الخبيث، وهو الرديء الدون، يجعلونه نق، ولو بذله لهم من لهم حق عليه، لم يرتضوه ولم يقبلوه إلا على وجه المغاضاة والإغماض.

فالواجب إخراج الوسط من هذه الأشياء، والكمال إخراج العالي، والممنوع إخراج الرديء، فإن هذا لا يجزى عن الواجب، ولا يحصل فيه الثواب التام في المندوب.

﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾، فهو غني عن جميع المخلوقين، وهو الغني عن نفقات المنفقين، وعن طاعات الطائعين، وإنما أمرهم بها، وحثهم عليها، لنفعهم، ومحض فضله وكرمه عليهم.

ومع كمال غناه، وسعة عطاياه، فهو الحميد فيما يشرعه لعباده من الأحكام الموصلة لهم إلى دار السلام.

وحميدٌ في أفعاله، التي لا تخرج عن الفضل والعدل والحكمة، وحميد الأوصاف، لأن أوصافه كلها محاسن وكمالات، لا يبلغ العباد كنهها، ولا يدركون وصفها.

﴿٢٦٨﴾ فلما حثهم على الإنفاق النافع، ونهاهم عن الإمساك الضار، بين لهم أنهم بين داعيين:

داعي الرحمن، يدعوهم إلى الخير، ويعدهم عليه الخير، والفضل والثواب العاجل والآجل، وإخلاف ما أنفقوا.

وداعي الشيطان، الذي يحثهم على الإمساك ويخوفهم، إن أنفقوا أن يفتقروا، فمن كان مجيباً لداعي الرحمن، وأنفق مما رزقه الله، فليبشر بمغفرة الذنوب، وحصول كل مطلوب، ومن كان مجيباً لداعي الشيطان، فإنه إنما يدعو حزبه، ليكونوا من أصحاب السعير، فليختر العبد أي الأمرين أليق به.

وختم الآية بأنه ﴿واسع عليم﴾، أي: واسع الصفات، كثير الهبات، عليم بمن يستحق المضاعفة من العاملين، وعليم بمن هو أهل، فيوفقه لفعل الخيرات، وترك المنكرات.

﴿٢٦٩﴾ ﴿يوتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ لما ذكر أحوال المنفقين للأموال، وأن الله أعطاهم، ومن عليهم بالأموال التي يدركون بها النفقات في الطرق الخيرية، وينالون بها المقامات السنية، ذكر ما هو أفضل من ذلك، وهو أنه يعطي الحكمة من يشاء من عباده، ومن أراد بهم خيراً من خلقه.

والحكمة هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال.

وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات، ولهذا قال: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾؛ لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم.

وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام.

ولكن ما يتذكر هذا الأمر العظيم، وما يعرف قدر هذا العطاء الجسيم. ﴿إلا أولو الألباب﴾ وهم أهل العقول الوافية، والأحلام الكاملة، فهم الذين يعرفون النافع فعملونه، والضار فيتركونه.

وهذان الأمران، وهما بذل النفقات المالية، وبذل الحكمة العلمية، أفضل ما تقرب به المتقربون إلى الله، وأعلى ما وصلوا به إلى أجل الكرامات.

وهما اللذان ذكرهما النبي على بقوله: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آناه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آناه الله الحكمة فهو يعلمها الناس».

﴿ ٢٧٠_ ٢٧٠﴾ ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نفذ وما للظالمين من أنصار ۞ إن تبدوا الصدقات فنعماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾ يخبر تعالى، أنه مهما أنفق المنفقون أو تصدق المتصدقون، أو نذر الناذرون، فإن الله يعلم ذلك.

ومضمون الإخبار بعلمه، يدل على المجزاء، وأن الله لا يضيع عنده مثقال ذرة، ويعلم ما صدرت عنه، من نيات صالحة، أو سيئة، وأن الظالمين الذين يمنعون ما أوجب الله عليهم، أو يقتحمون ما حرم عليهم، ليس لهم من دونه أنصار، ينصرونهم ويمنعونهم، وأنه لا بد أن تقع بهم العقوبات.

﴿٢٧١﴾ وأخبر أن الصدقة إن أبداها المتصدق، فهي خير، وإن أخفاها، وسلمها للفقير، كان أفضل، لأن الإخفاء على الفقير، إحسان آخر.

وأيضاً فإنه يدل على قوة الإخلاص، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «من تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

وفي قوله: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ فائدة لطيفة، وهو أن إخفاءها خير من إظهارها، إذا أعطيت للفقير.

فأما إذا صرفت في مشروع خيري، لم يكن في الآية، ما يدل على فضيلة إخفائها، بل هنا قواعد الشرع، تدل على مراعاة المصلحة، فربما كان الإظهار خيراً، لحصول الأسوة والاقتداء، وتنشيط النفوس على أعمال الخير.

وقوله: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ في هذا: أن الصدقات يجتمع فيها الأمران:

حصول الخير، وهو: كثرة الحسنات والشواب والأجر، ودفع المشر والبلاء الدنيوي والأخروي، بتكفير السيئات.

﴿والله بما تعملون خبير﴾، فيجازي كلاً بعمله، بحسب حكمته.

﴿٢٧٢﴾ ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقون من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ أي: إنما عليك _ أيها الرسول _ البلاغ، وحث الناس على الخير، وزجرهم عن الشر، وأما الهداية، فبيد الله تعالى.

ويخبرهم عن المؤمنين حقاً، أنهم لا ينفقون إلا لطلب مرضاة ربهم، واحتساب ثوابه، لأن إيمانهم يدعوهم إلى ذلك، فهذا خير وتزكية للمؤمنين،

ويتضمن التذكير لهم بالإخلاص.

وكرر علمه _ تعالى _ بنفقاتهم، لإعلامهم أنه لا يضيع عنده مثقال ذرة: ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾.

﴿ ٢٧٣_ ٢٧٤﴾ ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم * الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرأ وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني أنه ينبغي أن تتحروا بصدقاتكم الفقراء، الذين حبسوا أنفسهم في سبيل الله، وعلى طاعته، وليس لهم إرادة في الاكتساب، أو ليس لهم قدرة عليه، وهم يتعففون، إذا رآهم الجاهل ظن أنهم أغنياء ﴿لا يسألون الناس إلحافاً ﴾، فهم لا يسألون بالكلية، وإن سألوا اضطراراً، لم يلحفوا في السؤ ال .

فهذا الصنف من الفقراء، أفضل ما وضعت فيهم النفقات لدفع حاجتهم، وإعانة لهم على مقصدهم وطريق الخير، وشكراً لهم على ما اتصفوا به من الصبر، والنظر إلى الخالق، لا إلى الخلق.

﴿٢٧٤﴾ ومع ذلك، فالإنفاق في طرق الإحسان وعلى المحاويج حيثما كانوا، فإنه خير وأجر، وثواب عند الله، ولهذا قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

فإن الله يظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله، وإن الله ينيلهم الخيرات ويدفع عنهم الأحزان والمخاوف والكريهات.

وقوله: ﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾، أي: كل أحد منهم بحسب حاله.

وتخصيص ذلك، بأنه عند ربهم، يدل على شرف هذه الحال، ووقوعها في الموقع الأكبر، كما في الحديث الصحيح: "إن العبد ليتصدق بالتمرة من كسب طيب فيتقبلها الجبار بيده، فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل العظيدة.

﴿ ٢٧٥- ٢٨١﴾ ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما

البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا ويُربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ لما ذكر الله حالة المنفقين وما لهم من الله، من الخيرات، وما يكفر عنهم، من الذنوب والخطيئات، ذكر الظالمين أهل الربا والمعاملات الخبيثة، وأخبر أنهم يجازون بحسب أعمالهم، فكما كانوا في الدنيا في طلب المكاسب الخبيثة كالمجانين، عوقبوا في البرزخ والقيامة، أنهم لا يقومون من قبورهم، إلى يوم بعثهم ونشورهم ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس♦، أي: من الجنون والصرع.

وذلك عقوبة، وخزي وفضيحة لهم، وجزاء لهم على مراباتهم ومجاهرتهم بقولهم: ﴿إنما البيع مثل الربا﴾، فجمعوا - بجراءتهم - بين ما أحل الله، وبين ما حرّم الله، واستباحوا بذلك الربا.

ثم عرض تعالى العقوبة على المرابين وغيرهم، فقال: ﴿فمن جاه موعظة من ربه﴾، بيان مقرون به الوعد والوعيد.

﴿فانتهى﴾ عما كان يتعاطاه من الربا ﴿فله ما سلف﴾ مما تجرأ عليه وتاب منه.

﴿ وأمره إلى الله ﴾ فيما يستقبل من زمانه، فإن استمر على توبته، فالله لا يضيع أجر المحسنين.

﴿ومن عاد﴾ بعد بيان الله وتذكيره وتوعده لآكل الربا ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ في هذا أن الربا موجب للدخول النار والخلود فيها، وذلك لشناعته، ما لم يمنع من الخلود مانع الإيمان.

وهذا من جملة الأحكام التي تتوقف على وجود شروطها، وانتفاء موانعها، وليس فيها حجة للخوارج، كغيرها من آيات الوعيد.

فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنة، فيؤمن العبد بما تواترت به النصوص، من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من الإيمان، من النار.

ومن استحقاق هذه الموبقات لدخول النار، إن لم يتب منها.

﴿٢٧٦﴾ ثم أخبر تعالى أنه يمحق مكاسب المعرابين، ويربي صدقات المنفقين، عكس ما يتبادر لأذهان كثير من الخلق، أن الإنفاق ينقص المال وأن الربا يزيده، فإن مادة الرزق وحصول ثمراته من الله تعالى، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وامتثال أمره.

فالمتجرى، على الربا، يعاقبه بنقيض مقصوده، وهذا مشاهد بالتجربة، ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾.

﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾، وهو الذي كفر نعمة الله، وجحد منّة ربه، وأثم بإصراره على معاصيه.

ومفهوم الآية، أن الله يحب من كان شكوراً على النعماء، تائباً من المآثم والذنوب.

لابعدب التحديد الآية بين آيات الربا، وهي قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾، الآية، لبيان أن أكبر الأسباب لاجتناب ما حرم الله من المكاسب الربوية تكميل الإيمان وحقوقه، خصوصاً إقامة الصلاة، وإبتاء الزكاة، فإن الصلاة تنهى عن المخلاء والمنكر، وإن الزكاة إحمان إلى الخلق، ينافي تعاطي الربا، الذي هو ظلم لهم، وإساءة عليهم.

﴿٢٧٨﴾ ثم وجه الخطاب للمؤمنين، وأمرهم أن يتقوه، ويذروا ما بقي من معاملات الربا، التي كانوا يتعاطونها قبل ذلك، وأنهم إن لم يفعلوا ذلك، فإنهم محاربون لله ورسوله، وهذا من أعظم ما يدل على شناعة الربا، جيث جعل المصر عليه، محارباً لله ورسوله.

﴿٢٧٩﴾ ثم قال: ﴿وإن تبتم﴾ يعني من المعاملات الربوية.

﴿فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون﴾

الناس بأخذ الربا ﴿ولا تُظلمون﴾ ببخسكم رؤوس أموالكم.

فكل من تاب من الربا، فإن كانت معاملات سالفة، فله ما سلف، وأمره منظور فيه، وإن كانت معاملات موجودة، وجب عليه أن يقتصر على رأس ماله، فإن أخذ زيادة، فقد تجرأ على الربا.

وفي هذه الآية، بيان لحكمة الربا، وأنه يتضمن الظلم للمحتاجين بأخذ الزيادة، وتضاعف الربا عليهم، وهو واجب إنظارهم.

وهو يجب عليه إذا حصل له وفاء بأي طريق مباح، أن يوفي ما عليه.

وإن تصدّق عليه غريمه براسقاط الدين كله أو بعضه فهو خير له، ويهون على العبد، التزام الأمور الشرعية، واجتناب المعاملات الربوية، والإحسان إلى المعسرين، علمه بأن له يوماً يرجع فيه إلى الله، ويوفيه عمله، ولا يظلمه مثقال ذرة، كما ختم هذه الآية بقوله:

﴿٢٨١﴾ ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت، وهم لا يظلمون﴾.

﴿ ٢٨٢_ ٢٨٣﴾ ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهیدین من رجالکم فإن لم یکونوا رجلین فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء

عليم * وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم.

احتوت هاتان الآيتان، على إرشاد الباري عباده في معاملاتهم إلى حفظ حقوقهم بالطرق النافعة والإصلاحات التي لا يقترح العقلاء أعلى ولا أكمل منها، فإن فيها فوائد كثيرة.

منها: جواز المعاملات في الديون، سواء كانت ديون سلم أو شراء مؤجلاً ثمنه، فكله جائز؛ لأن الله أخبر به عن المؤمنين، وما أخبر به عن المؤمنين، فإنه من مقتضيات الإيمان وقد أقرهم عليه الملك الديان.

ومنها: وجوب تسمية الأجل في جميع المداينات وحلول الإجارات.

ومنها: أنه إذا كان الأجل مجهولاً، فإنه لا يحل، لأنه غرر وخطر، فيدخل في الميسر.

ومنها: أمره تعالى بكتابة الديون.

وهذا الأمر قد يجب، إذا وجب حفظ الحق، كالذي للعبد عليه ولاية، كأموال اليتامى، والأوقاف، والوكلاء، والأمناء، وقد يقارب الوجوب، كما إذا كان الحق متمحضاً للعبد، فقد يقوى الوجوب وقد يقوى الاستحباب، بحسب الأحوال المقتضية لذلك.

وعلى كل حال، فالكتابة من أعظم ما تحفظ بها هذه المعاملات المؤجلة، لكثرة النسيان، ولوقوع المغالطات، وللاحتراز من الخونة الذين لا يخشون الله تعالى.

ومنها: أمره تعالى للكاتب أن يكتب بين المتعاملين بالعدل، فلا يميل مع أحدهما لقرابة ولا غيرها، ولا على أحدهما لعداوة ونحوها.

ومنها: أن الكتابة بين المتعاملين من أفضل الأعمال، ومن الإحسان إليهما، وفيها حفظ حقرقهما، وبراءة ذممهما كما أمره الله بذلك، فليحتسب الكاتب بين الناس هذه الأمور، ليحظى بثوابها.

ومنها: أن الكاتب لا بد أن يكون عارفاً بالعدل، معروفاً بالعدل؛ لأنه إذا لم يكن عارفاً بالعدل؛ لأنه إذا لم يكن معتبراً عدلاً عند الناس رضياً، لم تكن كتابته معتبرة، ولا حاصلاً بها المقصود، الذي هو حفظ الحقوق.

ومنها: أن من تمام الكتابة والعدل فيها، أن يحسن الكاتب الإنشاء، والألفاظ المعتبرة في كل معاملة بحسبها، وللمرف في هذا المقام، اعتبار عظيم.

ومنها: أن الكتابة من نعم الله على العباد التي لا تستقيم أمورهم الدينية ولا الدنيوية إلا بها، وأن من علمه الله الكتابة، فقد تفضل عليه بفضل عظيم، فمن تمام شكره لنعمة الله تعالى، أن يقضي بكتابته حاجات العباد، ولا يمتنع من الكتابة، ولهذا قال: ﴿ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله﴾.

ومنها: أن الذي يكتبه الكاتب، هو اعتراف من عليه الحق، إذا كان يحسن التعبير عن الحق الذي عليه، فإن كان يحسن ذلك _ لصغره، أو سفهه، أو جنونه، أو خرسه، أو عدم استطاعته _ أملى عنه وليه، وقام وليه في ذلك مقامه. ومنها: أن الاعتراف من أعظم الطرق، التي تثبت بها الحقوق، حيث أمر الله تعالى أن يكتب الكاتب، ما أملى عليه من عليه الحق.

ومنها: ثبوت الولاية على القاصرين، من الصغار والمجانين، والسفهاء ونحوهم.

ومنها: أن الولي يقوم مقام موليه، في جميع اعترافاته المتعلقة بحقوقه.

ومنها: أن من أمنته في معاملة، وفرضته فيها، فقوله في ذلك مقبول، وهو نائب منابك، لأنه إذا كان الولي على القاصرين ينوب منابهم، فالذي وليته باختيارك وفوضت إليه الأمر، أولى بالقبول، واعتبار قوله وتقديمه على قولك عند الاختلاف.

ومنها: أنه يجب على الذي عليه المحق _ إذا أملى على الكاتب _ أن يتقي الله، ولا يبخس الحق الذي عليه فلا ينقصه في قدره، ولا في وصفه، ولا في شرط من شروطه، أو قيد من قيوده، بل عليه أن يعترف بكل ما عليه من متعلقات الحق، كما يجب ذلك إذا كان الحق على غيره له، فمن لم يفعل ذلك، فهو من المطففين الباخسين.

ومنها: وجوب الاعتراف بالحقوق الجلية والحقوق الخفية، وأن ذلك من أعظم خصال التقوى، كما أن ترك الاعتراف بها من نواقض التقوى ونواقصها.

ومنها: الإرشاد إلى الإشهاد في البيع، فإن كانت في المداينات، فحكمها حكم الكتابة كما تقدم، لأن الكتابة هي كتابة الشهادة، وإن كان البيع بيعاً حاضراً، فينبغي الإشهاد فيه، ولا حرج فيه بترك الكتابة، لكثرته وحصول المشقة فيه.

ومنها: الإرشاد إلى إشهاد رجلين عدلين، فإن لم يمكن، أو تعذر، أو تعسر، فرجل وامرأتان، وذلك شامل لجميع المعاملات، بيوع الإدارة، وبيوع الديون، وتوابعها من الشروط والوثائق وغيرها.

وإذا قيل: قد ثبت أنه ﷺ قضى بالشاهد الواحد مع اليمين، والآية الكريمة ليس فيها إلا شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، قيل: الآية الكريمة، فيها إرشاد الباري عباده إلى حفظ حقوقهم، ولهذا أتى فيها بأكمل الطرق، وأقواها، وليس فيها ما ينافي ما ذكره النبي ﷺ من الحكم بالشاهد واليمين.

فباب حفظ الحقوق في ابتداء الأمر، يرشد فيه العبد إلى الاحتراز والتحفظ التام، وباب الحكم بين المتنازعين، ينظر فيه إلى المرجحات والبينات، بحسب حالها.

ومنها: أن شهادة المرأتين، قائمة مقام الرجل الواحد، في الحقوق الدنيوية، وأما في الأمور الدينية _ كالرواية والفترى _ فإن المرأة فيه، تقوم مقام الرجل، والفرق ظاهر بين البابين.

ومنها: الإرشاد إلى الحكمة في كون شهادة المرأتين عن شهادة الرجل، وأنه لضعف ذاكرة المرأة غالباً، وقوة حافظة الرحا..

ومنها: أن الشاهد لو نسي شهادته، فذكره الشاهد الآخر، فذكر أنه لا يضر ذلك النسيان، إذا زال بالتذكير لقوله: ﴿أَن تَضلُّ إحداهما الأخرى﴾، تضلُّ إحداهما الأخرى﴾، ومن باب أولى، إذا نسي الشاهد، ثم ذكر من دون تذكير، فإن الشهادة مدارها على العلم واليقين.

ومنها: أن الشهادة لا بد أن تكون عن علم ويقين، لا عن شك، فمتى صار عند الشاهد ريب في شهادته _ ولو غلب على ظنه _ لم يحل له أن يشهد إلا بما يعلم.

ومنها: أن الشاهد ليس له أن يمتنع، إذا دعي للشهادة، سواء دعي للتحمل أو

للأداء، وأن القيام بالشهادة من أفضل الأعمال الصالحة، كما أمر ألله بها، وأخبر عن نفعها ومصالحها.

ومنها: أنه لا يحل الإضرار بالكاتب، ولا بالشهيد، بأن يدعيا في وقت أو حالة، تضرهما.

وكسا أنه نسهي الأهل المحقوق والمتعاملين، وأن يضار الشهود والكتاب، فإنه أيضاً نهي للكاتب والشهيد، أن يضار المتعاملين أو أحدهما.

وفي هذا أيضاً أن الشاهد والكاتب _ إذا حصل عليهما ضرر في الكتابة والشهادة _ أنه يسقط عنهما الوجوب.

وفيها التنبيه على أن جميع المحسنين الفاعلين للمعروف، لا يحل إضرارهم، وتحميلهم ما لا يطيقون، ف ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾؟

وكذلك على من أحسن وفعل معروفاً، أن يتمم إحسانه بترك الإضرار القولي والفعلي بمن أوقع به المعروف، فإن الإحسان لا يتم إلا بذلك.

ومنها: أنه لا يجوز أخذ الأجرة على الكتابة والشهادة، حيث وجبت، لأنه حق أوجبه الله على الكاتب والشهيد، ولأنه من مضارة المتعاملين.

ومنها: التنبيه على المصالح والفوائد المترتبة على العمل بهذه الإرشادات الجليلة، وأن فيها حفظ الحقوق والعدل، وقطع التنازع والسلامة من النسيان والذهول، ولهذا قال: ﴿ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا﴾، وهذه مصالح ضرورية للعباد.

ومنها: أن تعلم الكتابة من الأمور الدينية، لأنها وسيلة إلى حفظ الدين والدنيا وسبب للإحسان.

ومنها: أن من خصه الله بنعمة من النعم، يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هذه النعمة، أن يعود بها على عباد الله النهي وأن يقضي بها حاجتهم، لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة، بتذكير الكاتب بقوله: ﴿كما علمه الله﴾، ومع هذا: افمن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجة أ

ومنها: أن الإضرار بالشهود والكتاب، فسوق بالإنسان، فإن الفسوق هو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته، وهو يزيد وينقص، ويتبعض، ولهذا لم يقل: «فأنتم فساق» أو «فاسقون»، بل قال: ﴿فإنه

فسوق بكم﴾ فبقدر خروج العبد عن طاعة ربه، فإنه يحصل به من الفسوق، بحسب ذلك.

واستدل بقوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله أن تقوى الله وسيلة إلى حصول العلم، وأوضح من هذا قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾، أي: علماً تفرقون به بين الحقائق، والحق والباطل.

ومنها: أنه كما أنه من العلم النافع، تعليم الأمور الدينية المتعلقة بالعبادات، فمنه أيضاً، تعليم الأمور الدنيوية المتعلقة المعاملات، فإن الله تعالى، حفظ على العباد أمور دينهم ودنياهم، وكتابه العظيم فيه تبيان كل شيء.

﴿٢٨٣﴾ ومنها: مشروعية الوثيقة بالحقوق، وهي الرهون والضمانات، التي تكفل للعبد حصوله حقه، سواء عامل برأ أو فاجراً، أميناً أو خائناً، فكم في الوثائق من حفظ حقوق، وانقطاع منازعات.

ومنها: أن تمام الوثيقة في الرهن، أن يكون مقبوضاً، ولا يدل ذلك على أنه لا يصح الرهن إلا بالقبض، بل التقييد بكون الرهن مقبوضاً، يدل على أنه قد يكون مقبوضاً، تحصل به الثقة التامة، وقد لا يكون مقبوضاً، فيكون ناقصاً.

ومنها: أنه يستدل بقوله: ﴿فرهان مقبوضة﴾ أنه إذا اختلف الراهن والمرتهن في مقدار الدين الذي به الرهن، أن القول قول المرتهن، صاحب الحق، لأن الله جعل الرهن وثيقة به، فلولا أنه يقبل قوله في ذلك، لم تحصل به الوثيقة لعدم الكتابة والشهود.

ومنها: أنه يجوز التعامل بغير وثيقة، ولا شهود، لقوله: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً، فليؤد الذي التمن أمانته ﴾، ولكن في هذه الحال يحتاج إلى التقوى والخوف من الله، وإلا فصاحب الحق مخاطر في حقه، ولهذا أمر الله في هذه الحال، من عليه الحق، أن يتقى الله ويؤدى أمانه.

ومنها: أن من ائتمنه معامله، فقد عمل معه معروفاً عظيماً، ورضي بدينه وأمانته، فيتأكد على من عليه الحق، أداء الأمانة من الجهتين: أداء لحق الله، وامتثالاً لأمره، ووفاء بحق صاحبه، الذي رضي بأمانته، ووثق به.

ومنها: تحريم كتم الشهادة، وأن كاتمها قد أثم قلبه، الذي هو ملك الأعضاء، وذلك لأن كتمها، كالشهادة بالباطل والزور، فيها ضياع الحقوق، وفساد المعاملات، والإثم المتكرر في حقه، وحق من عليه الحق.

وأما تقييد الرهن بالسفر ــ مع أنه يجوز حضراً وسفراً ــ فللحاجة إليه لعدم الكاتب والشهيد.

وختم الآية بأنه ﴿عليم﴾ بكل ما يعمله العباد، كالترغيب لهم في المعاملات الحسنة، والرهيب من المعاملات السيئة.

﴿٢٨٤﴾ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ يخبر والأرض، وإحاطة علمه بما أبداه العباد، وما أخفوه في أنفسهم، وأنه سيحاسبهم به، فيغفر لمن يشاء، وهو المنيب إلى ربه، الأواب إليه ﴿إنه كنان للأوابين غفرا﴾.

ويعذب من يشاء، وهو المصرّ على المعاصي، في باطنه وظاهره.

وهذه الآية لا تنافي الأحاديث الواردة في العفو، عما حدث به العبد نفسه، ما لم يعمل أو يتكلم، فتلك الخطرات التي تتحدث بها النفوس، التي لا يتصف بها العبد ولا يصمم عليها، وأما هنا فهي الغزائم المصممة، والأوصاف الثابتة في النفوس، أوصاف الخير، وأوصاف الشر، ولهذا قال: ﴿ما في أنفسكم﴾، أي: استقر فيها وثبت، من العزائم والأوصاف.

وأخبر أنه ﴿على كل شيء قدير﴾، فمن تمام قدرته، محاسبة الخلائق، وإيصال ما يستحقونه من الثواب والعقاب.

(۲۸۹ - ۲۸۳ ﴿ آمن السول بها أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حمّلته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ثبت عنه ﷺ

أن من قرأ هاتين الآيتين في ليلته كفتاه، أي: من جميع الشرور، وذلك لما احتوتا عليه من المعاني الجليلة، فإن الله أمر في أول هذه السورة الناس بالإيمان، بجميع أصوله في قوله: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾، الآية.

وأخبر في هذه الآية، أن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين، آمنوا بهذه الأصول العظيمة، وبجميع الرسل، وجميع الكتب، ولم يصنعوا صنيع من آمن ببعض، وكفر ببعض، كحالة المنحرفين من أهل الأديان المنحرفة.

وفي قرن المؤمنين بالرسول ﷺ، والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد، شرف عظيم للمؤمنين.

وفيه أنه على مشارك للأمة في توجه الخطاب الشرعي له، وقيامه التام به، وأنه فاق المؤمنين، بل فاق جميع المرسلين في القيام بالإيمان وحقوقه.

وقوله: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾، هذا التزام من المؤمنين، عام لجميع ما جاء به النبي ﷺ من الكتاب والسنة، وأنهم سمعوه سماع قبول وإذعان وانقياد، ومضمون ذلك تضرعهم إلى الله في طلب الإعانة على القيام به، وأن الله يغفر لهم ما قصروا فيه من الواجبات، وما ارتكبوه من المحرمات، وكذلك تضرعوا إلى الله في هذه الأدعية النافعة، والله تعالى قد أجاب دعاءهم على لسان نبيه ﷺ فقال: قد فلت».

فهذه الدعوات مقبولة من مجموع المؤمنين قطعاً، ومن أفرادهم، إذا لم يمنع من ذلك مانع في الأفراد، وذلك أن الله رفع عنهم المؤاخذة في الخطأ والنسيان، وأن الله سهل عليهم شرعه غاية التسهيل، ولم يحملهم من المشاق، والأصار، والأغلال، ما حمله على من قبلهم، ولم يحملهم فوق طاقتهم، وقد غفر لهم ورحمهم، ونصرهم على القوم الكافرين. فنسأل الله تعالى، بأسمائه وصفاته، وبما منّ به علينا من التزام دينه، أن يحقق لنا ذلك، وأن ينجز لنا ما وعدنا على لسان

ويؤخذ من هنا قاعدة التيسير، ونفي الحرج في أمور الدين كلها.

نبيه، وأن يصلح أحوال المؤمنين.

وقاعدة العفو عن النسيان والخطأ، في

العبادات، وفي حقوق الله تعالى.

وكذلك في حقوق الخلق من جهة رفع المأثم، وتوجه الذم.

وأما وجوب ضمان المتلفات، خطأ أو نسياناً، في النفوس والأموال، فإنه مرتب على الإتلاف بغير حق، وذلك شامل لحالة الخطأ والنسيان، والعمد.

تم تفسير سورة البقرة، ولله الحمد والثناء، وصلى الله على محمد وسلم.

تفسير سورة آل عمران وهي مدنية

﴿١ - ٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل لحدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام * إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السسماء * هنو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ﴿الم﴾من الحروف التي لا يعلم معناها إلا الله.

⟨۲ - ۷⟩ فأخبر تعالى أنه ﴿الحي﴾ كامل الحياة، ﴿القيوم﴾ القائم بنفسه، المقيم لأحوال خلقه، وقد أقام أحوالهم الدنيوية والقدرية، فأنزل على رسوله محمد ﷺ الكتاب بالحق، الذي لا ريب فيه، وهو مشتمل على الحق شهد بما شهدت به، ووافقها، وصدق من جاء بها من العرسلين.

وكذلك ﴿أَنْزَلَ التوراة والإنجيل﴾. ﴿٤﴾ ﴿من قبل﴾ هذا الكتاب ﴿هدى للناس﴾.

وأكمل الرسالة وختمها بمحمد و كتابه العظيم الذي هدى الله به الخلق، من الضلالات، واستنقذهم به من الجهالات، وفرق به بين الحق والباطل، والسعادة والشقاوة، والصراط المستقيم، وطرق الجحيم، فالذين آمنوا به واهتدوا، حصل لهم به الخير الكثير، والثواب العاجل والآجل.

و (إن الذين كفروا بآيات الله التي بينها في كتابه وعلى لسان رسوله (لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ممن عصاه

ومن تمام قيوميته تعالى، أن
 علمه محيط بالخلائق ﴿لا يخفى عليه
 شيء في الأرض ولا في السماء﴾ حتى ما
 في بطون الحوامل.

﴿٦﴾ فهو ﴿الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ من ذكر وأنثى، وكامل الخلق وناقصه، متنقلين في أطوار خلقته وبديع حكمته، فمن هذا شأنه مع عباده، واعتناؤه العظيم بأحوالهم، من حين أنشأهم إلى منتهى أمورهم لا مشارك له في ذلك ــ فيتمين أنه لا يستحق العبادة إلا هو.

﴿لا إله إلا هو العزيز﴾ الذي قهر الخلائق بقوته، واعتز عن أن يوصف بنقص أو ينعت بذم ﴿الحكيم﴾ في خلقه وشرعه.

﴿٧ ـ ٨﴾ ﴿هـ واللذي أنـزل عـليـك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلُّ من عند ربّنا ومَا يَذَكُّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ * رَبُّنَا لا تَزغُ قلوبنا بعد إن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ يخبر تعالى عن عظمته، وكمال قيوميته، أنه هو الذي تفرد بإنزال هذا الكتاب العظيم، الذي لم يوجد ـ ولن يوجد ـ له نظير أو مقارب في هدايته، وبلاغته وإعجازه، وإصلاحه للخلق، وأن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعانى البين، الذي لا يشتبه بغيره، ومنه آيات متشابهات، تحتمل بعض المعاني، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها، حتى تضم إلى المحكم.

فالذين في قلوبهم مرض وزيخ، وانحراف، لسوء قصدهم، يتبعون المتشابه منه، فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة، وآرائهم الزائفة، طلباً للفتنة، وتحريفاً لكتابه، وتأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم ليضلوا ويضلوا.

وأما أهل العلم الراسخون فيه، الذين وصل العلم واليقين إلى أفتدتهم، فأثمر لهم العمل والمعارف .. فيعلمون أن القرآن كله من عند الله، وأنه كله حق، محكمه ومتشابهه، وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف.

فلعلمهم أن المحكمات، معناها في

غاية الصراحة والبيان، يردون إليها المشتبه، الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم، وناقص المعرفة.

فيردون المتشابه إلى المحكم، فيعود كله محكماً، ويقولون: ﴿آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر﴾ للأمور النافعة، والعلوم الصائبة ﴿إلا أولوا الألباب﴾، أي: أهل العقول الرزية.

ففي هذا دليل على أن هذا، من علامة أولي الألباب، وأن اتباع المتشابه، من أوصاف أهل الآراء السقيمة، والعقول الواهية، والقصود السيئة.

وقوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ؛ إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور، وما تنتهي وتؤول إليه، تعين الوقوف على «إلا الله عيث هو تعالى المتفرد بالتأويل: معنى التفسير، ومعرفة معنى الكلام، كان العطف أولى، فيكون هذا مدحاً للراسخين العلم، أنهم يعلمون كيف ينزلون نصوص الكتاب والسنة، محكمها ومتشابهها.

ولما كان المقام مقام انقسام إلى منحرفين ومستقيمين، دعوا الله تعالى أن يثبتهم على الإيمان، فقالوا: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾، أي: لا تملها عن الحق إلى الباطل.

﴿بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة﴾، تصلح بها أحوالنا ﴿إنك أنت الوهاب﴾، أي: كثير الفضل والهبات.

وذلك أن الله تعالى ذكر عن الراسخين، أنهم يسألونه أن لا يزيغ قلوبهم، بعد إذ هداهم، وقد أخبر في آيات أخر الأسباب التي بها تزيغ قلوب أهل الانحراف، وأن ذلك بسبب كسبهم، كقوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾، ﴿شم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾.

﴿ونقلب أفتدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ .

فالعبد إذا تولى عن ربه، ووالى عدوه، ورأى الباطل ورأى البحق، فصدف عنه، ورأى الباطل فاختاره، ولاه الله ما تولى لنفسه، وأزاغ قلبه، عقوبة له على زيغه، وما ظلمه الله، ولكنه ظلم نفسه، فلا يلم إلا نفسه الأمارة بالسوء، والله أعلم.

﴿٩﴾ ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ربب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾ هذا

من تتمة كلام الراسخين في العلم، وهو يتضمن الإقرار بالبعث والجزاء، واليقين التام، وأن الله لا بد أن يوقع ما وعد به، وذلك يستلزم موجبه ومقتضاه، من العمل والاستعداد لذلك اليوم، فإن الإيمان بالبعث والجزاء، أصل صلاح القلوب، وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، اللذين هما أساس الخيرات.

﴿١٠ ـ ١١﴾ ﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ﴾ لما ذكر يوم وكذب رسول الله، لا بد أن يدخلوا النار ويصلوها، وأن أموالهم وأولادهم، لن تغني عنهم شيئاً من عذاب الله، وأنه والعقوبات، ما جرى عليهم في الدنيا من الأخذات والعقوبات، ما جرى على فرعون وسائر بذنوبهم ﴾ وعجل لهم العقوبات الدنيوية، منصلة بالعقوبات الاخزوية.

﴿والله شديد العقاب﴾، فإياكم أن تستهينوا بعقابه، فيهون عليكم الإقامة على الكفر والتكذيب.

﴿١٣ ـ ١٣﴾ ﴿قبل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ وهذا خبر وبشرى للمؤمنين، وتخويف للكافرين، أنهم لا بد أن يغلبوا في هذه الدنيا، وقد وقع كما أخبر الله، فغلبوا غلبة لم يكن لها مثيل ولا نظير.

وجعل الله تعالى ما وقع في «بدر» من آياته الدالة على صدق رسوله، وأنه على الحق، وأعداءه على الباطل، حيث التقت فتتان، فئة المؤمنين لا يبلغون إلا ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً مع قلة عددهم، وفئة الكافرين، يناهزون الألف، مع استعدادهم التام في السلاح وغيره، فأيد الله المؤمنين بنصره، فهزموهم بإذن الله، ففي هذا عبرة لأهل البصائر.

فلولا أن هذا هو الحق الذي إذا قابل الباطل أزهقه واضمحل الباطل لكان ـ

بحسب الأسباب الحسية _ الأمر بالعكس. ﴿١٤ ـ ١٥﴾ ﴿زيِّـن لـلناس حـب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ أخبر تعالى في هاتين الآيتين، عن حالة الناس في إيثار الدنيا على الآخرة، وبين التفاوت العظيم، والفرق الجسيم بين الدارين، فأخبر أن الناس زُيّنت لهم هذه الأمور، فرمقوها بالأبصار، واستحلوها بالقلوب، وعكفت على لذاتها النفوس، كل طائفة من الناس تميل إلى نوع من هذه الأنواع، قد جعلوها

· فهذا ﴿متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾.

هي أكبر همهم، ومبلغ علمهم، وهي ــ

مع هذا _ متاع قليل، منقض في مدة

﴿٥٩﴾ ثـم أخبر عن ذلك بأن المتقين لله، القائمين بعبوديته، لهم خير من هذه اللذات، فلهم أصناف الخيرات، والنعيم المقيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولهم رضوان الله الذي هو أكبر من كل شيء.

ولهم الأزواج المطهرة، من كل آفة ونقص، جميلات الأخلاق، كاملات الخلائق، لأن النفي يستلزم ضده، فتطهيرها من الآفات، مستلزم لوصفها بالكمالات.

﴿والله بصير بالعباد﴾ فييسر كلاً منهم لما خلق له، أما أهل السعادة، فييسرهم للعمل لهذه الدار الباقية، ويأخذون من هذه الحياة الله المنياء ما يعينهم على عبادة الله وطاعته، وأما أهل الشقاوة والإعراض، فيقيضهم لعمل أهل الشقاوة، ويرضون بالحياة الدنيا، ويطمئنون بها، ويتخذونها قراراً.

﴿17 ـ 17﴾ ﴿الذين يقولون ربّنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار * الصّابرين والصّادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ أي: هؤلاء

الراسخون في العلم، أهل العلم والإيمان، يتوسلون إلى ربهم بإيمانهم، لمغفرة ذنوبهم، ووقايتهم عذاب النار، وهذا من الوسائل التي يحبها الله، أن يتوسل العبد إلى ربه، بما من به عليه من الإيمان والأعمال الصالحة، إلى تكميل نعم الله عليه، بحصول الثواب الكامل، واندفاع العقاب.

﴿١٧﴾ ثم وصفهم بأجمل الصفات: بالصبر الذي هو حبس النفوس على ما يحبه الله، طلباً لمرضاته، يصبرون على طاعة الله، ويصبرون عن معاصيه، ويصبرون على أقداره المؤلمة.

وبالصدق بالأقوال والأحوال، وهو استواء الظاهر والباطن، وصدق العزيمة على سلوك الصراط المستقيم، وبالقنوت الذي هو دوام الطاعة، مع مصاحبة الخشوع والخضوع، وبالنفقات في سبيل الحجات، وبالاستغفار، خصوصاً وقت الاسحار، فإنهم مدوا الصلاة إلى وقت السحر، فجلسوا يستغفرون الله تعالى.

﴿٨٨﴾ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ هذه أجل الشهادات الصادرة من الملك العظيم، ومن الملائكة، وأهل العلم، على أجل مشهود عليه، وهو توحيد الله، وقيامه بالقسط، وذلك يتضمن الشهادة على جميع الشرع، وجميع أحكام الجزاء.

فإن الشرع والدين، أصله وقاعدته، توحيد الله وإفراده بالعبودية، والاعتراف بانفراده، بصفات العظمة والكبرياء، والمجد، والعز، والقدرة، والبحلال، وبنعوت الجود، والبر والرحمة، والإحسان، والجمال، وبكماله المطلق الذي لا يحصي أحلامن الخلق، أن يحيطوا بشيء منه، أو يبلغوه، أو يصلوا إلى الثناء عليه، والعبادات الشرعية، والمعاملات وتوابعها، والأمر والنهي، كله عدل وقسط، لا ظلم فيه ولا جور، بوجه من الوجوه، بل هو في غاية الحكمة والإحكام، والجزاء على الأعمال الصالحة والسيئة، كله قسط وعدل.

﴿قل أي شيء أكبر شهادة؟ قل الله﴾، فتوحيد الله، ودينه، وجزاؤه، قد ثبت

ثبوتاً لا ريب فيه، وهو أعظم الحقائق وأوضحها، وقد أقام الله على ذلك من البراهين، والأدلة ما لا يمكن إحصاؤه وعده.

وفي هذه الآية فضيلة العلم والعلماء ؟ لأن الله خصهم بالذكر، من دون البشر، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده ودينه وجزائه، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة.

وفي ضمن ذلك: تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنهم هم الأثمة المتبوعون، وفي هذا من الفضل والشرف، وعلو المكانة، ما لا يقادر قدره.

﴿ ٩٩﴾ ﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أو توا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ يخبر تعالى ﴿ إن الدين عند الله ﴾ ، أي: الدين الذي لا دين لله سواه ، ولا مقبول غيره ، هو ﴿ الإسلام ﴾ ، وهو الانقياد لله وحده ، قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من فهو لم يدن الإسلام ، فهو لم يدن الإسلام ، فالطريق الذي شرعه على ألسنة رسله ، فالطريق الذي شرعه على ألسنة رسله .

ثم أخبر تعالى، أن أهل الكتاب يعلمون ذلك، وإنما اختلفوا، فانحرفوا عنه عناداً وبغياً، وإلا فقد جاءهم العلم المقتضي لعدم الاختلاف، الموجب للزوم الدين الحقيقي.

ثم لما جاءهم محمد على عرفوه حق المعرفة، ولكن الحسد والبغي والكفر بآيات الله، هي التي صدتهم عن اتباع الحدة

﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾، أي: فلينتظروا ذلك فإنه آت، وسيجزيهم الله بما كانوا يعملون.

﴿٢٠﴾ ﴿فإن حآجوك فقل أسلمت وجهي شه ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ لما بين أن الدين الحقيقي عنده الإسلام، وكان أهل الكتاب قد

شافهوا النبي على بالمجادلة، وقامت عليهم الحجة، فعاندوها، أمره الله تعالى عند ذلك، أن يقول ويعلن: أنه قد أسلم وجهه، أي: ظاهره وباطنه، لله، وأن من اتبعه كذلك، قد وافقوه على هذا الإذعان الخالص.

وأن يقول للناس كلهم، من أهل الكتاب، والأميين، أي: الذين ليس لهم كتاب، من العرب وغيرهم: إن أسلمتم فأنتم على الطريق المستقيم، والهدى والحق، وإن توليتم فحسابكم على الله، وأنا ليس علي إلا البلاغ، وقد أبلغتكم وأقمت عليم الحجة.

﴿٢١ ـ ٢٢﴾ ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ♦ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾ أي الذين جمعوا بين هذه الشرور: الكفر بآيات الله، وتكذيب رسل الله، والجناية العظيمة على أعظم الجلت حقاً على الخلق وهم الرسل، وأثمة الهدى، الذين يأمرون الناس بالقسط، الذي اتفقت عليه الأديان والعقول.

﴿٢٢﴾ فهؤلاء قد ﴿حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾، واستحقوا العذاب الأيم، وليس لهم ناصر من عذاب الله، ولا منقذ من عقوبته.

(۳۳ - ۲۵) ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار كانوا يفترون * فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ أي: ألا تنظر وتعجب من هـؤلاء ﴿الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾، و ﴿يدعون إلى كتاب الله﴾ الذي يصدق ما أنزله على رسله.

﴿ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ عن اتباع الحق، فكأنه قيل: أي داع دعاهم إلى هذا الإعراض، وهم أحق بالاتباع، وأعرفهم بحقيقة ما جاء به محمد ﷺ؟ فذكر لذلك سبين:

أمنهم، وشهادتهم الباطلة لأنفسهم بالنجاة، وأن النار لا تمسهم إلا أياماً

معدودة حددوها بحسب أهوائهم الفاسدة، كأن تدبير الملك راجع إليهم، حيث قالوا: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾، ومن المعلوم أن هذه أماني باطلة، شرعاً وعقلاً.

والسبب الشاني: أنهم لما كذبوا بآيات الله وافتروا عليه، زين لهم الشيطان سوء عملهم، واغتروا بذلك، وتراءى لهم أنه الحق، عقوبة لهم على إعراضهم عن الحق، فهؤلاء كيف يكون حالهم _ إذا جمعهم الله يوم القيامة، ووفى العاملين ما عملوا، وجرى عدل الله في عباده، فهنالك لا تسأل عما يصلون إليه من العقاب، وما يفوتهم من الخير والثواب، وذلك بما كسبت أيديهم: ﴿وما ربك بظلام العدام

وقل اللهم مالك الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الحيم من الحيم نتشاء بغير حساب المرتمالي نبيه هي أصلاً، وغيره تبعاً _ أن يقول عن ربه، معلناً بتفرده بتصريف الأمور، وتدبير العالم العلوي والسفلي، واستحقاقه العالم العلوي والسفلي، واستحقاقه باختصاصه بالملك المطلق، والتصريف المحكم، وأنه يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك من يشاء، وينز من يشاء،

فليس الأمر بأماني أهل الكتاب، ولا غيرهم، بل الأمر أمر الله، والتدبير له، فليس له معارض في تدبيره، ولا معاون في تقديره، وأنه كما أنه المتصرف بمداولة الأيام بين الناس، فهو المتصرف بنفس الزمان.

﴿٧٧﴾ ﴿توليج الليل في النهار وتوليج النهار في الليل﴾ أي: يدخل هذا على هذا، ويتريد في هذا، ما ينقص من هذا، ليقيم بذلك مصالح خلقه.

ويخرج الحي من الميت، كما يخرج الزروع والأشجار المتنوعة من بذورها، والمؤمن من الكافر، والميت من الحي.

كما يخرج الحبوب والنوى، والزروع والأشجار، والبيضة من الطائر، فهو الذي

يخرج المتضادات، بعضها من بعض، وقد انقادت له جميع العناصر(١١).

وقوله ﴿بيدُكُ الخير﴾، أي: الخير كله منك، ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر، فإنه لا يضاف إلى الله تعالى، لا وصفاً، ولا اسماً، ولا فعلاً، ولكنه يدخل في مفعولاته، ويندرج في قضائه وقدره.

فالخير والشر، كله داخل في القضاء والقدر، فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن الشر لا يضاف إلى الله، فلا يقال: «بيدك الخير والشر»، بل يقال: «بيدك الخير» كما قاله الله، وقاله رسوله.

وأما استدراك بعض المفسرين حيث قال: «وكذلك الشر بيد الله» فإنه وهم محض، ملحظهم، حيث ظنوا أن تخصيص الخير بالذكر، ينافي قضاءه وقدره العام، وجوابه ما فصلنا.

وقوله: ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾، وقد ذكر الله في غير هذه الآية الأسباب التي يُنال بها رزقه كقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسه﴾.

فعلى العباد أن لا يطلبوا الرزق، إلا من الله، ويسموا فيه بالأسباب التي يسرها الله وأباحها.

﴿٢٨﴾ ﴿لا يتخد المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ هذا نهي من الله، وتحذير للمؤمنين، أن يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والله وليهم.

﴿ومن يفعل ذلك﴾ التولي، ﴿فليس من الله في شيء﴾، أي: فهو بريء من الله، والله بريء منه، كقوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾.

وقوله: ﴿إِلا أَن تتقوا منهم تقاة﴾، أي: إلا أن تخافوا على أنفسكم في إبداء العداوة للكافرين، فلكم _ في هذه الحال _ الرخصة في المسالمة والمهادنة، لا في التولي الذي هو محبة القلب، الذي

تتبعه النصرة .

﴿ويحذركم الله نفسه﴾، أي: فخافوه واخشوه، وقدموا خشيته على خشية الناس، فإنه هو الذي يتولى شؤون العباد، وقد أخذ بنواصيهم، وإليه يرجعون وسيصيرون إليه، فيجازي من قدم خوفه ورجاءه، على غيره بالثواب الجزيل، ويعاقب الكافرين، ومن تولاهم بالعذاب الويل.

﴿٢٩ ـ ٣٠﴾ ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير * يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ يخبر تعالى بإحاطة علمه بما في الصدور، سواء أخفاه العباد، أو أبدوه، كما أن علمه محيط بكل شيء، في السماء والأرض، فلا تخفى عليه خافية.

ومع إحاطة علمه، فهو العظيم القدير على كل شيء، الذي لا يمتنع عن إرادته موجود.

﴿٣٠﴾ ولما ذكر لهم من عظمته وسعة أوصافه، ما يوجب للعباد أن يراقبوه في كل أحوالهم، ذكر لهم أيضاً، داعياً آخر إلى مراقبته وتقواه، وهو أنهم كلهم صائرون إليه، وأعمالهم _ حينئذ، من خير وشر _ محضرة.

فحيننذ يغتبط أهل الخير، بما قدموا لأنفسهم، ويتحسر أهل الشر إذا وجدوا ما عملوه محضراً ويودون أن بينهم وبينه أمداً. بعداً.

فإذا عرف العبد أنه ساع إلى ربه، وكادح في هذه الحياة، وأنه لا بد أن يلاقي ربه، ويلاقي سعيه، أوجب له أخذ الحذر، والتوقي من الأعمال التي توجب الفضيحة والعقوبة، والاستعداد بالأعمال الصالحة، التي توجب السعادة والمثوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، وذلك بما يبدي لكم من أوصاف عظمته، وكمال عدله وشدة نكاله، ومع شدة عقابه، فإنه رؤوف رحيم.

ومن رأفته ورحمته، أنه خوّف العباد،

وزجرهم عن الغي والفساد، كما قال تعالى مد لما ذكر العقوبات مد: ﴿ ذَلْكُ يَخُوفُ اللهُ به عباده يا عباد فاتَقون﴾ ، فرأفته ورحمته، سهّلت لهم الطرق، التي ينالون بها الخيرات، ورأفته ورحمته، حذرتهم من الطرق التي تفضي بهم إلى المكروهات.

فنسأله تعالى أن يتمم علينا إحساته بسلوك الصراط المستقيم، والسلامة من الطرق، التي تفضي بسالكها إلى الجحيم.

﴿٣١ ـ ٣٧﴾ ﴿قُلْ إِنْ كُنتَم تَحْبُونُ اللهُ فَاتَبِعُونِي يَحْبِكُم اللهُ وَيَغْفِر لَكُم ذَنوبِكُم واللهُ غَفُور رحيم ﴿ قُلْ الطيعُوا اللهُ لا يحب الكافرين﴾ هذه الآية هي الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى اللك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله، اتباع محمد ﷺ، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه، طريقاً إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه، إلا بتصديق ما جاء به الرسول من واكتاب والسنة وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما.

فمن فعل ذلك، أحبه الله، وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه، فكأنه قيل: ومع ذلك، فما حقيقة اتباع الرسول وصفتها؟

﴿٣٢﴾ فأجاب بقوله: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ بامتثال الأمر، واجتناب النهي، وتصديق الخبر، ﴿فَإِنْ تُولُوا﴾ عن ذلك، فسهذا هـو الكفرين﴾. الكافرين﴾.

﴿٣٣ _ ٣٤ ﴾ ﴿إن الله اصطفى آدم ونبوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ إلى آخر القصة.

لله تعالى من عباده أصفياء، يصطفيهم ويختارهم، ويمن عليهم بالفضائل العالية، والنعوم النافعة، والأعمال الصالحة، والخصائص المتنوعة، فذكر هذه البيوت الكبار، وما احتوت عليه من كمل الرجال، الذين حازوا أوصاف الكمال، وأن الفضل والخير، تسلسل في ذراريهم وشمل ذكورهم ونساءهم، وهذا

⁽١) قدم الشيخ _ رحمه الله _ هذا الجزء من الآية، وقد آثرتُ إبقاءه على ما هو عليه، مع التنبيه إلى هذا التقديم.

من أجلُّ مننه وأفضل مواقع جوده وكرمه.

﴿والله سميع عليم﴾ يعلم من يستحق الفضل والتفضيل، فيضع فضله حيث اقتضت حكمته.

﴿٣٤ ـ ٣٦﴾ فلما قرر عظمة هذه البيوت، ذكر قصة مريم وابنها عيسى ﷺ، وكيف تسلسلا من هذه البيوت الفاضلة، وكيف تنقلت بهما الأحوال، من ابتداء أمرهما إلى آخره، وأن امرأة عمران، قالت _ متضرعة إلى ربها، متقربة إليه بهذه القربة التي يحبها، التي فيها تعظيم بيته وملازمة طاعته _: ﴿إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾، أي: خادماً لبيت العبادة، المشحون بالمتعدين.

﴿ وَتَقبِلُ مني ﴾ هذا العمل، أي: اجعله مؤسساً على الإيمان والإخلاص، مثمراً للخير والثواب، ﴿ إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب إني والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنش. ﴾.

كان في هذا الكلام، نوع تضرع منها، وانكسار نفس حيث كان نذرها بناء على أنه يكون ذكراً، يحصل منه من القوة والخدمة والقيام بذلك، ما يحصل من أهل القوة، والأنثى بخلاف ذلك، فجبر الله قلبها، وتقبل الله نذرها، وصارت هذه الأنثى، أكمل وأتم من كثير من الذكور، بل من أكثرهم، وحصل بها من المقاصد، أعظم مما يحصل بالذكر، ولهذا قال:

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً﴾، أي: ربيت تربية عجيبة، دينية، أخلاقية، أدبية، كملت بها أحوالها، وصلحت بها أقوالها وأفعالها، ونما فيها كمالها، ويسر الله لها زكريا كافلاً.

وهذا من منة الله على العبد، أن يجعل من يتولى تربيته من الكاملين المصلحين.

(٣٧٣ ـ ٣٩٩) شم إن الله تعالى أكرم مريم وزكريا، حيث يسر لمريم من الرزق الحاصل بلا كد ولا تعب، وإنما هو كرامة أكرمها الله به.

إذ ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ وهو محل العبادة، وفيه إشارة إلى كثرة صلاتها وملازمتها لمحرابها، ﴿وجد عندها رزقاً﴾، هنيئاً معداً.

﴿قال يا مريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير

حساب﴾ .

فلما رأى زكريا هذه الحال، والبر واللطف من الله بها، ذكره أن يسأل الله تعالى حصول الولد، على حين اليأس منه، فقال: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله ﴾، اسمه أي: الكلمة التي من الله (عيسى ابن

فكانت بشارته بهذا النبي الكريم، تتضمن البشارة به (عيسى) ابن مريم، والتصديق له، والشهادة له بالرسالة.

فهذه الكلمة من الله، كلمة شريفة، اختص الله بها عيسى ابن مريم، وإلا فهي من جملة كلماته التي أوجد بها المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون﴾.

وقوله: ﴿وسيداً وحصوراً﴾، أي: هذا المبشر به وهو يحيى، سيد من فضلاء الرسل وكرامهم: ﴿والحصور»، قيل: هو الذي لا يولد له، ولا شهوة له في النساء، وقيل: هو الذي عصم وحفظ من الذنوب والشهوات الضارة، وهذا أليق المعنيين.

﴿ونبياً من الصالحين﴾، الذين بلغوا في الصلاح ذروته العالية.

﴿٤٠﴾ ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؟!﴾، فهذان مانعان، فمن أي طريق _ يا رب _ يحصل لى ذلك، مع ما ينافى ذلك؟!

﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاه﴾، فإنه ـ كما اقتضت حكمته جريان الأمور بأسبابها المعروفة، فإنه قد يخرق ذلك، لأنه الفعال لما يريد، الذي قد انقادت الأسباب لقدرته، ونفذت فيها مشيئته وإرادته، فلا يتعاصى على قدرته شيء من الأسباب، ولو بلغت في القوة، ما بلغت.

﴿١٤﴾ ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ ليحصل السرور والاستبشار، وإن كنت _ يا رب _ متيقناً ما أخبرتني به، ولكن النفس تفرح، ويطمئن القلب إلى مقدمات الرحمة واللطف.

﴿قَالَ آيَتُكُ أَلا تَكُلُمُ النَّاسُ ثُلاثَةً أَيَامُ إِلاَ رَمَزاً﴾، ﴿وَ﴾ في هذه المدة ﴿اذكر ربك كثيراً وسبُّح بالعشي والإبكار﴾، أول النهار

وآخره، فمنع من الكلام في هذه المدة، فكان في هذا، مناسبة لحصول الولد من بين الشيخ الكبير، والمرأة العاقر.

وكونه لا يقدر على مخاطبة الآدميين، ولسانه منطلق بذكر الله، وتسبيحه، آية أخرى.

فحينئذ حصل له الفرح والاستبشار، وشكر الله، وأكثر من الذكر والتسبيح بالعشايا والأبكار.

وكان هذا المولود من بركات مريم بنت عمران، على زكريا، فإن ما منَّ الله به عليها، من ذلك الرزق الهني، الذي يحصل بغير حساب، ذكره وهيجه على التضرع والمؤال، والله تعالى هو المتفضل بالسبب والمسبب، ولكنه يقدر أموراً محبوبة على يد من يحبه، ليرفع الله قدره، ويعظم أجره.

﴿٢٤﴾ ثم عاد تعالى إلى ذكر مريم، وأنها بلغت في العبادة والكمال، مبلغاً عظيماً، فقال تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾، أي: اختارك، ووهب لك من الصفات الجليلة، والأخلاق الجميلة.

﴿وطهرك﴾ من الأخلاق الرذيلة، ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾، ولهذا قال ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام».

﴿٣٤﴾ فنادتها الملائكة عن أمر الله لها بذلك، لتغتبط بنعم الله، وتشكر الله، وتقوم بحقوقه، وتشتغل بخدمته، ولهذا ألت الملائكة: ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾، أي: أكثري من الطاعة، والخضوع والخشوع لربك، وأديمي ذلك ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾، أي: صلي مع المصلين، فقامت بكل ما أمرت به، وبرزت، وفاقت في كمالها.

ولما كانت هذه القصة وغيرها من أكبر الأدلة على رسالة محمد رسي حيث أخبر بها مفصلة محققة، لا زيادة فيها ولا نقص، وما ذاك إلا لأنه وحي من الله العزيز الحكيم، لا بتعلم من الناس _ قال تعالى _: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾، حيث جاءت بها أمها،

فاختصموا أيهم يكفلها، لأنها بنت إمامهم ومقدمهم، وكلهم يريد الخير والأجر من الله، حتى وصلت بهم الخصومة إلى أن اقترعوا عليها، فألقوا أقلامهم مقترعين، فأصابت القرعة زكريا، رحمة من الله به وبها.

فأنت _ يا أيها الرسول _ لم تحضر تلك الحالة لتعرفها، فتقصها على الناس، وإنما الله نبأك بها، وهذا هو المقصود الأعظم من سياق القصص أنه يحصل بها العبرة، وأعظم العبر، الاستدلال بها على التوحيد والرسالة، والبعث وغيرها من الأصول الكبار.

﴿6 ٤﴾ ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾، أي: له الوجاهة، والجاه العظيم في الدنيا والآخرة عند الخلق.

ومع ذلك فهو - عند الله - من الممقربين، الذين هم أقرب الخلائق إلى الله المخالفة المادة بشارة لا يشبهها شيء من البشارات.

ومن تمام هذه البشارة أنه: ﴿يكلم الناس في المهد﴾، فيكون تكليمه آية من آيات الله، ورحمة منه بأمه وبالخلق، ﴿وي كذلك يكلمهم ﴿كهلا﴾، أي: في حال كهولة، وهذا تكليم النبوة والدعوة والإرشاد.

فكلامه في المهد، فيه آيات وبراهين على صدقه ونبوته، وبراءة أمه مما يظن بها من الظنون السيئة، وكلامه في كهولته، فيه نفعه العظيم للخلق، وكونه واسطة بينهم وبين ربهم، في وحيه، وتبليغ دينه وشرعه.

ومع ذلك فهو ﴿من الصالحين﴾ الذين أصلح الله قلوبهم بمعرفته وحبه، وألسنتهم بالثناء عليه وذكره، وجوارحهم بطاعته وخدمته.

﴿٤٧﴾ ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾، وهذا من الأمور المستغربة ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾ ليعلم العباد أنه على كل شيء قلير، وأنه لا ممانم لإرادته.

﴿إِذَا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب﴾، أي: جنس الكتب السابقة، والحكم بين الناس،

ويعطيه النبوة.

﴿٤٩﴾ ﴿و﴾ يجعله ﴿رسولاً إلى بني إسرائيل﴾، ويؤيده بالآيات البينات، والأدلة القاهرة حيث قال: ﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ تدلكم أني رسول الله حةاً

وذلك ﴿أَنِي أَخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرىء الأكمه﴾، وهو ممسوح العينين، الذي فقد بصره وعينيه، ﴿والأبرص، وأحيي الموتى بإذن الله، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية لكم إن كنتم مؤمنين. ومصدقاً لما بين يدي من الآيات مؤمنين الخوارق المستغربة التي والبراهين الخوارق المستغربة التي والدعوة، والدين الذي جاء به، وأنه دين الأنبياء البابقين، وهذا أكبر الأدلة على صدق الصادقين.

فإنه لو كان من الكاذبين، لخالف ما جاءت به الرسل، ولناقضهم في أصولهم وفروعهم، فعلم بذلك أنه رسول الله، وأن ما جاء به حق لا ريب

وأيضاً فقوله: ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾، أي: ولأخفف عنكم بعض الآصار، والأغلال.

﴿١٥﴾ ﴿فاتقوا الله وأطيعون ۞ إن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾، وهذا ما يدعو إليه جميع الرسل، عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعتهم.

وهذا هو الصراط المستقيم الذي من يسلكه أوصله إلى جنات النعيم، فحينئذ اختلفت أحزاب بني إسرائيل في عيسى، فمنهم من آمن به واتبعه، ومنهم من كفر به وكذبه، ورمى أمه بالفاحشة كاليهود.

(٥٢﴾ ﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر﴾ والاتفاق على رد دعوته، ﴿قال﴾: نادباً لبني إسرائيل على مؤازرته ﴿من أنصاري إلى الله، قال الحواريون﴾، أي: الأنصار.

﴿نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد مأنا مسلمون﴾، وهذا من منة الله عليهم، وعلى عيسى، حيث ألهم هؤلاء الحواريين، الإيمان به، والانقياد لطاعته،

والنصرة لرسوله.

﴿٥٣﴾ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول﴾، وهذا التزام تام للإيمان، بكل ما أنزل الله، ولطاعة رسوله.

﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، ولدينك بالحق والصدق.

﴿٤٥﴾ وأما من أحس عيسى منهم الكفر وهم جمهور بني إسرائيل، فإنهم ﴿مكروا﴾ بعيسى ﴿ومكر الله بهم، فاتفقوا على قتله وصليه، وشبه لهم شبه عيسى.

♦٥٥) فقبضوا على من شبة لهم به، وقال الله لعيسى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾، فرفعه الله إليه، وطهره من الذين كفروا، وصلبوا من قتلوه، ظانين أنه عيسى، وباؤوا بالإشم العظم.

وسينزل عيسي ابن مريم، في آخر هذه الأمة حكماً عدلاً، يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويتبع ما جاء به محمد شخ ويعلم الكاذبون غرورهم وخداعهم، وأنهم مغرورون مخدوعون.

وقوله: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾، المراد بمن اتبعه: الطائفة التي آمنت به، ونصرهم الله على من انحرف عن دينه.

ثم لما جاءت أمة محمد ﷺ، فكانوا هم أتباعه حقاً، فأيدهم الله ونصرهم على الكفار كلهم، وأظهرهم بالدين الذي جاءهم به محمد ﷺ: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾، الآية.

ولكن حكمة الله عادلة، فإنها اقتضت أن من تمسك بالدين، نصره الله النصر السبين، وأن من ترك أمره ونهيه، ونبذ شرعه، وتجرأ على معاصيه، إنه يعاقبه ويسلط عليه الأعداء، ﴿والله عزيز حكيم﴾.

وقوله: ﴿ثم إليَّ مرجعكم، فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾.

4 - 02 - 00 فقد بين ما يفعله بهم، فقال: ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين * وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب

الظالمين﴾.

وهذا الجزاء عام لكل من اتصف بهذه الأوصاف، من جميع أهل الأديان السابقة.

ثم لما بعث سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ونسخت رسالته، الرسالات كلها، ونسخ دينه، جميع الأديان، صار المتمسك بغير هذا الدين، من الهالكين.

﴿٥٨﴾ وقوله تعالى: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم). أي: هذا القرآن العظيم، الذي فيه نبأ الأولين والآخرين، والأنبياء والمرسلين ـ هو آيات الله البينات، وهو الذي يذكر العباد كل ما يحتاجونه، وهو الحكيم المحكم، صادق الأخبار، حسن الأحكام.

﴿ ٥٩ - ٦٢﴾ ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم لما ذكر قصة مريم وعيسى ونبأهما الحق، وأنه عبد أنعم الله عليه، وأن من زعم أن فيه شيئاً من الإلهية، فقد كذب على الله، وكذب جميع أنبيائه، وكذب عيسى ﷺ، فإنه الشبهة التي عرضت لمن اتخذه إلهاً، شبهة باطلة، فلو كان لها وجه صحيح، لكان آدم أحق منه، فإن خلق من دون أم ولا أب، ومع ذلك، فاتفق البشر كلهم، على أنه عبد من عباد الله، فدعوى إلهية عیسی، بکونه خلق من أم بلا أب، دعوی من أبطل الدعاوي.

﴿٦٠﴾ وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، أن عيسى _ كما قال عن نفسه: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم، وكان قد قدم على النبي ﷺ وفد نصاري نجران، وقد تصلبوا على باطلهم، بعدما أقام عليهم النبي ﷺ البراهين بأن عيسى عبد الله ورسوله، حيث زعموا إلهيته.

﴿٦١﴾ فوصلت به وبهم الحال، إلى أن أمره الله تعالى أن يباهلهم، فإنه قد

متعاهم منه.

فدعاهم رسول الله على إلى المباهلة، بأن يحضر هو وأهله وأبناؤه، وهم يحضرون بأهلهم وأبنائهم، ثم يدعون الله تعالى، أن ينزل عقوبته ولعنته على الكاذبين، فتشاوروا هل يجيبونه إلى ذلك؟

فاتفق رأيهم أن لا يجيبوه، لأنهم عرفوا أنه نبى الله حقاً، وأنهم _ إن باهلوه _ هلكوا، هم وأولادهم وأهلوهم، فصالحوه وبذلوا له الجزية، وطلبوا منه الموادعة والمهادنة .

فأجابهم ﷺ ولم يحرجهم، لأنه حصل المقصود من وضوح الحق، وتبين عنادهم حيث صمموا على الامتناع عن المباهلة، وذلك يبرهن على أنهم كانوا ظالمين.

﴿٦٢﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هذا لهو القصص الحق﴾، أي: الذي لا ريب فيه، ﴿وَإِنَّ اللَّهُ لَهُو الْعَزِيزِ﴾، الذي قهر بقدرته وقوته جميع الموجودات، وأذعنت له سكان الأرض والسماوات.

ومع ذلك فهو ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها(١).

﴿ ١٤﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ هذه الآية الكريمة، كان النبى ﷺ يكتب بها إلى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ أحياناً في الركعة الأولى من سنة الفجر: ﴿قُولُوا آمنا باللهِ ،

ويقرأ بها في الركعة الآخرة من سنة الصبح، لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد، قد اتفق عليه الأنبياء والمرسلون، واحتوت على توحيد الإلهية المبنى على عبادة الله وحده، لا شريك له، وأن يعتقد أن البشر وجميع الخلق كلهم في طور البشرية، لا يستحق منهم أحد شيئاً من خصائص الربوبية، ولا من نعوت الإلهية. فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا

فقد اهتدوا.

و ﴿إِن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا

اتضح لهم الحق، ولكن العناد والتعصب مسلمون﴾، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكافرون﴾ إلى آخرها.

﴿ ٦٥ ـ ٦٨﴾ ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين * إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴾ كانت الأديان كلها، اليهود والنصاري، والمشركون، وكذلك المسلمون كلهم، يدعون أنهم على ملة إبراهيم.

فأخبر الله تعالى أن أولى الناس به، محمد ع وأتباعه، وأتباع الخليل، قبل

وأما اليهود والنصاري، والمشركون فإبراهيم بريء منهم، ومن ولايتهم، لأن دينه، الحنيفية السمحة، التي فيها الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وهذه خصيصة المسلمين.

وأما دعوي اليهود والنصاري، أنهم على ملة إبراهيم، فقد علم أن اليهودية والنصرانية، التي هم يدعون أنهم عليها، لم تؤسس إلا بعد الخليل.

فكيف يحاجون في هذا الأمر، الذي يعلم به كذبهم وافتراؤهم؟! فهب أنهم حاجوا فيما لهم به علم، فكيف يحاجون في هذه الحالة؟ فهذا قبل أن ينظر ما احتوى عليه قولهم من البطلان، يعلم فساد

وفي هذه الآية دليل على أنه لا يحل للإنسان أن يقول أو يجادل فيما لا علم له

وقوله: ﴿والله ولى المؤمنين﴾، فكلما قوي إيمان العبد، تولاه الله بلطفه، ويسره لليسرى، وجنبه العسرى.

﴿ ٦٩ ـ ٧٤﴾ ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون * يا أهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وأنتم تشهدون * يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل

وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النار واكفروا آخره لعلهم يرجعون * ولا تؤمنوا إلا لمن تبع مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم * هذا من منة الله على هذه الأمة، حيث أخبرهم بمكر أعدائهم من أطل الكتاب، وأنهم - من حرصهم على إضلال المؤمنين - ينوعون المكرات الخبيئة.

فقالت طائفة منهم: ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾، أي: أوله، وارجعوا عن دينهم آخر النهار، فإنهم _ إذا رأوكم راجعين، وهم يعتقدون فيكم العلم استرابوا بدينهم، وقالوا: لولا أنهم رأوا فيه ما لا يعجبهم، ولا يوافق الكتب السابقة، لم يرجعوا.

هذا مكرهم، والله تعالى هو الذي يهدي من يشاء، وهو الذي بيده الفضل، يختص به من يشاء، فخصّحم _ يا هذه الأمة _ بما لم يخص به غيركم.

ولم يدر هؤلاء الماكرون أن دين الله حق، إذا وصلت حقيقته إلى القلوب، لم يزدد صاحبه _على طول المدى _ إلا إيماناً ويقيناً.

ولم تزده الشبه، إلا تمسكاً بدينه، وحمداً لله، وثناء عليه حيث منَّ به عليه. وقولهم: ﴿أَن يَوْتَى أَحَدُ مثلُ مَا أُوتِيتَم أَو يحاجوكم عند ربكم﴾، يعنى: أن الذي

او يحاجوكم عند ربكم)، يعني: ان الدي حملهم على هذه الأعمال المنكرة، الحسد والبغي، وخشية الاحتجاج عليهم.

كما قال تعالى: ﴿وَدُ كَثِير مِن أَهَلِ الْكَتَابِ لُو يردونكم مِن بعد إيمانكم كفاراً، حسداً مِن عند أَنفسهم مِن بعد ما تبين لهم الحق﴾، الآية.

﴿ ٧٥ ـ ٧٩﴾ ﴿ ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلممون * بلى من أوفى بمهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ يخبر تعالى عن أهل الكتاب، أن منهم طائفة أمناء، بحيث لو أمنته على قناطير من النقود، وهي المال

الكثير، يؤده إليك، ومنهم طائفة خونة، يخونك في أقل القليل، ومع هذه الخيانة الشنيعة، فإنهم يتأولون بالأعذار الباطلة فيقولون: ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾، أي: ليس علينا جناح إذا خناهم واستبحنا أموالهم، لأنهم لا حرمة لهم.

قال تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أن عليهم أشد الحرج، فجمعوا بين الخيانة وبين احتقار العرب، وبين الكذب على الله، وهم يعلمون ذلك، ليسوا كمن فعل ذلك جهالاً.

ثم قال تعالى: ﴿بلى﴾، أي: ليس الأمر كما قالوا.

فإنه ﴿من أوفى بعهده واتقى﴾، أي: قام بحقوق الله، وحقوق خلقه، فإنّ هذا هو المتقي، والله يحبه.

أي: ومن كان بخلاف ذلك، فلم يف بعهده وعقوده، التي بينه وبين الخلق، ولا قام بتقوى الله، فإن الله يمقته، وسيجازيه على ذلك أعظم النكال.

﴿٧٧﴾ ﴿إِن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ أي: إن الذين يشترون الدنيا بالدين، فيحتارون الحطام القليل من الدنيا، المنكوثة، فهؤلاء ﴿لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾، أي: قد حق عليهم عذاب أليم، ووجب عليهم عقابه، وحرموا شوابه، ومنعوا من التزكية، وهي التطهير.

بل يردون القيامة، وهم متلوثون بالجراثم، متدنسون بالذنوب العظائم.

﴿٨٧﴾ ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أي: وإن من أهل الكتاب فريقاً هم محرفون لكتاب الله، ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب﴾، وهذا يشمل التحريف اللفظي، والتحريف المعنوي.

ثم هم _ مع هذا التحريف الشنيع _ يوهمون أنه من الكتاب، وهم كذبة في

ذلك، ويصرحون بالكذب على الله، وهم يعلمون حالهم وسوء مغبتهم.

﴿ ٧٩- ٨٠﴾ ﴿ ما كان لبسر أن يقول يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما الملائكة والنبين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ أي: يمتنع ويستحيل كل الاستحالة لبشر من الله عليه بالوحي والكتاب والنبوة، وأعطاه الحكم الشرعي والملائكة واتخاذهم أرباباً، لأن هذا هو الكفر، فكيف، وقد بعث بالإسلام المنافي للكفر من كل وجه، فكيف يأمر بضده؟!!

هذا من الممتنع، لأن حاله وما هو عليه، وما منَّ الله به عليه من الفضائل والخصائص، تقتضي العبودية الكاملة، والخضوع التام لله الواحد القهار.

وهذا جواب لوفد نجران، حين تمادى بهم الغرور، ووصلت بهم الحال والكبر، أن قالوا: أتأمرنا _ يا محمد _ أن نعبدك؟ حين أمرهم بعبادة الله وطاعته، فيين الباري انتفاء ما قالوا، وأن كلامهم وكلام أمثالهم في هذا ظاهر البطلان.

﴿ ٨١ - ٨١﴾ ﴿ وإذ أخذ الله ميناق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم من الشاهدين ۞ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ هذا إخبار منه تعالى أنه أخذ عهد النبيين وميناقهم كلهم، بسبب ما أعطاهم ومن به عليهم، من الكتاب والحكمة، المقتضي للقيام التام، بحق الله وتوفيته، أنه إن جاءهم رسول مصدق لما معهم، بعث بما بعثوا به من التوحيد والحق والقسط والأصول التي اتفقت عليها الشرائع، أنهم يؤمنون به، وينصرونه.

فأقروا على ذلك، واعترفوا، والتزموا وأشهدهم، وشهد عليهم، وتوعد من خالف هذا الميثاق.

وهذا أمر عام بين الأنبياء أن جميعهم طريقهم واحد، وأن دعوة كل واحد منهم، قد اتفقوا وتعاهدوا عليها، وعموم ذلك أنه أخذ على جميعهم الميثاق، بالإيمان،

والنصرة لمحمد ﷺ.

فمن ادعى أنه من أتباعهم، فهذا دينهم الـذي أخـذه الله عـلـيـهـم، وأقـروا بــه واعترفوا.

قمن تولى عن اتباع محمد، ممن يزعم أنه من أتباعهم، فإنه فاسق خارج عن طاعة الله، مكذب للرسول الذي يزعم أنه من أتباعه، مخالف لطريقه.

وفي هذا إقامة الحجة والبرهان، على كل من لم يؤمن بمحمد على من أهل الكتب والأديان، وأنه لا يمكنهم الإيمان برسلهم، الذين يزعمون أنهم أتباعهم، حتى يؤمنوا بإمامهم وخاتمهم على .

﴿ ٨٣ - ٨٥﴾ ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون * قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل علي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي بين أحد منهم ونحن له مسلمون * ومن يبن أحد منهم ونحن له مسلمون * ومن يبنغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين﴾ قد تقدم في سورة البقرة أن هذه الأصول التي هي أصول البقرة أن هذه الأصول التي هي أصول اتفقت عليها الكتب والرسل، وأنها هي الفرض الموجه لكل أحد، وأنها هي الدين والإسلام الحقيقي، وأن من ابتغي غيرها، والإسلام الحقيقي، وأن من ابتغي غيرها،

فمن زهد عنه، ورغب عنه، فأين يذهب؟ إلى عبادة الأشجار والأحجار والنيران؟ أو إلى اتخاذ الأحبار والرهبان والصلبان، أو إلى التعطيل لرب العالمين؟، أو إلى الأديان الباطلة، التي هي من وحي الشياطين؟ وهؤلاء كلهم ـ في الآخرة ـ من الخاسرين.

﴿ ٨٦ ٩٩﴾ ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ۞ أولئك جزآؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ۞ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ۞ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ۞ إن لذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرآ لنين كفروا وماتوا وهم كفارٌ فلن يقبل من أحدهم مل الأرض ذهباً ولو افتدى به أحدهم مل الأرض ذهباً ولو افتدى به

أولتك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين له يعني: أنه يبعد كل البعد، أن يهدي الله قوماً عرفوا الإيمان، ودخلوا فيه، وشهدوا أن الرسول حق، ثم ارتدوا على أعقابهم، ناكصين ناكثين؛ لأنهم عرفوا الحق فرفضوه.

ولأن من هذه الحالة وصفه، فإن الله يعاقبه بالانتكاس، وانقلاب القلب جزاء له، إذ عرف الحق فتركه، والباطل فآثره، فولاه الله ما تولى لنضه.

فهؤلاء ﴿عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴿ خالدين في اللعنة والعذاب ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ إذا جاءهم أمر الله لأن الله، عمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءهم النذر.

ثم إنه تعالى استثنى من هذا الوعيد، التائبين من كفرهم وذنوبهم، المصلحين لعيوبهم، فإن الله يغفر لهم ما قدموه، ويعفو عنهم ما أسلفوه.

﴿٩١﴾ ولكن من كفر وأصر على كفره، ولم يزدد إلا كفراً حتى مات على كفره، فهؤلاء هم الضالون عن طريق الهدى، السالكون لطريق الشقاء، وقد استحقوا بهذا العذاب الأليم، فليس لهم ناصر من عذاب الله، ولو بذلوا مل الأرض ذهباً ليفتدوا به، لم ينفعهم شيئاً، فعياذاً بالله من الكفر وفروعه.

﴿٩٢﴾ ﴿لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون رما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم عليم عنيم: لن تنالوا وتدركوا البر، الذي هو اسم جامع للخيرات، وهو الطريق الموصل إلى الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون، من أطيب أموالكم وأزكاها.

فإن النفقة من الطيب المحبوب للنفوس، من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها ورقتها.

ومن أدل الدلائيل على محبة الله، وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جبلت النفوس على قوة التعلق بها، فمن أثر محبة الله على محبة نفسه، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال، وكذلك من أنفق الطيبات، وأحسسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووفقه أعمالاً وأخلاقاً، لا تحصل بدون هذه الحالة.

وأيضاً فمن قام بهذه النفقة على هذا

الوجه، كان قيامه ببقية الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، من طريق الأولى والأحرى، ومع أن النفقة من الطيبات، هي أكمل الحالات، فمهما أنفق العبد من نفقة قليلة أو كثيرة من طيب أو غيره، فإن الله به عليم.

وسيجزي كل منفق، بحسب عمله، سيجزيه في الدنيا بالخلف العاجل، وفي الآخرة بالنعيم الآجل.

﴿ ٩٣ ـ ٩٣﴾ ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ۞ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون﴾ من جملة الأمور التي قدح فيها اليهود بنبوة عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، أنهم زعموا أن النسخ باطل، وأنه لا يمكن أن يأتي نبي يخالف النبي الذي قبله.

فكذبهم الله بأمر يعرفونه، فإنهم يعترفون بأن جميع الطعام _ قبل نزول التوراة _ كان حلالاً لبني إسرائيل، إلا أشياء يسيرة حرمها إسرائيل، وهو: يعقوب عليه السلام _ على نفسه ومنعها إياه لمرض أصابه.

ثم إن التوراة، فيها من التحريمات التي نسخت، ما كان حلا قبل ذلك شيء كثير. قل لهم _ إن أنكروا ذلك _: ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ بزعمكم أنه لا نسخ ولا تحليل ولا تحريم.

وهذا من أبلغ الحجج، أن يحتج على الإنسان بأمر يقوله ويعترف به ولا ينكره، فإن انقاد للحق، فهو الواجب، وإن أبى ولم ينقد بعد هذا البيان، تبين كذبه وافتراؤه، وظلمه وبطلان ما هو عليه، وهو الواقع من اليهود.

﴿٩٥﴾ ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ أي: قل صدق الله في كل ما قاله، ومن أصدق من الله قيلاً وحديثاً، وقد بيّن في هذه الآيات، من الأدلة على صحة رسالة محمد ﷺ، وبراهين دعوته، وبطلان ما عليه المنحرفون من أهل الكتاب، الذين كذبوا رسوله، وردوا دعوته، فقد صدق الله في ذلك، وأقنع عباده على ذلك، ببراهين وحجج، تتصدع لها الرجال، وتخضع لها الرجال.

فتعين عند ذلك على الناس كلهم، اتباع ملة إبراهيم، من توحيد الله وحده لا شريك له، وتصديق كل رسول أرسله الله، وكل كتاب أنزله، والإعراض عن الأديان الباطلة المنحرفة.

فإن إبراهيم كان معرضاً عن كل ما يخالف التوحيد، متبرتاً من الشرك وأهله.

﴿ ٩٦ - ٩٧﴾ ﴿إِنَّ أُولَ بِيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ﴿ فِيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع الله غني عن العالمين﴾ يخبر تعالى بعظمة بيته الحرام، وأنه أول البيوت التي وضعها الله في الأرض لمبادته، وإقامة ذكره، وأن فيه من البركات، وأنواع الهدايات، وتنوع المصالح والمنافع للعالمين – شيء كثير، وفضل غزير، وأن فيه آيات بينات، تذكر بمقامات إبراهيم الخليل، وتنقلاته في الحج، ومن بعده تذكر بمقامات سيد الرسل وإمامهم.

وفيه الأمن^(١) الذي من دخله كان آمناً قدراً، مؤمناً شرعاً وديناً.

فلما احتوى على هذه الأمور التي هذه مجملاتها، وتكثر تفصيلاتها ـ أوجب الله حجه على المكلفين المستطيعين إليه سبيلاً، وهو الذي يقدر على الوصول إليه بأي مركوب يناسبه، وزاد يتزوده، ولهذا أتى بهذا اللفظ الذي يمكنه تطبيقه على جميع المركوبات الحادثة، والتي متحدث.

وهذا من آيات القرآن، حيث كانت أحكامه صالحة لكل زمان وكل حال، ولا يمكن الصلاح التام بدونها، فمن أذعن لذلك وقام به، فهو من المهتدين المؤمنين، ومن كفر، فلم يلتزم حج بيته، فهو خارج عن الدين، ومن كفر، فإن الله غني عن العالمين.

﴿ ٩٩_ ٩٩﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون * قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾ لما أقام فيما تقدم، الحجج على أهل الكتاب _ مع أنهم قبل ذلك، يعرفون

النبي هي كما يعرفون أبناءهم _ وبئخ المعاندين منهم بكفرهم بآيات الله، وصدهم الخلق عن سبيل الله، لأن عوامهم تبع لعلمائهم، والله تعالى يعلم أحوالهم وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

﴿ ١٠٠ ـ ١٠٠﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ۞ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ لما أقام الحجج على أهل الكتاب، ووبخهم بكفرهم وعنادهم، حذر عباده المؤمنين عن الاغترار بهم، وبين لهم أن هذا الفريق منهم، حريصون على أضراركم وردكم إلى الكفر بعد الإيمان.

ولكن _ وش الحمد _ أنتم _ يا معشر المؤمنين _ بعدما من الله عليكم بالدين، ورأيتم آياته ومحاسنه ومناقبه وفضائله، وفيكم رسول الله الذي أرشدكم إلى جميع مصالحكم، واعتصمتم بالله وبحبله، دينكم، لأن الدين الذي بني على هذه الأصول والدعائم الثابتة الأساس، المشرقة الأنوار، تنجذب إليه الأفئدة، ويأخذ بمجامع القلوب، ويوصل العباد إلى أجل غاية، وأفضل مطلوب.

﴿ومن يعتصم بالله﴾، أي: يتوكل عليه، ويحتمي بحماه، ﴿فقد مُدي إلى صراط مستقيم﴾، وهذا فيه الحث على الاعتصام به، وأنه السبيل إلى السلامة والعداية.

﴿ ١٠٠ ـ ١٠٠﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا القوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة بدعون لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة بدعون المنكر وأولئك هم المفلحون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب

عظيم﴾ هذه الآيات فيها حث الله عباده المؤمنين أن يقوموا بشكر نعمه العظيمة، بأن يتقوه حق تقواه، وأن يقوموا بطاعته، وترك معصيته، مخلصين له بذلك، وأن يقيموا دينهم، ويستمسكوا بحبله الذي أوصله إليهم، وجعله السبب بينهم وبينه، وهو دينه وكتابه، والاجتماع على ذلك وعدم التفرق، وأن يستديموا ذلك إلى الممات.

وذكَّرهم ما هم عليه قبل هذه النعمة، وهو: أنهم كانوا أعداء متفرقين، فجمعهم بهذا البدين، وألف بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً، وكانوا على شفا حفرة من النار، فأنقذهم من الشقاء، ونهج بهم طريق السعادة.

﴿كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ إلى شكر الله والتمسك بحبله، وأمرهم بتتميم هذه الحالة، والسبب الأقوى الذي يتمكنون به من إقامة دينهم، بأن يتصدى منهم طائفة يحصل فيها الكفاية.

﴿يدعون إلى الخير﴾ وهو الدين، أصوله، وفروعه وشرائعه.

﴿ويأمرون بالمعروف﴾ وهو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً.

﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً.

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب.

ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس، عموماً وخصوصاً، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإبتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات.

فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة.

ثم نهاهم عن سلوك مسلك المتفرقين، الذين جاءهم الدين والبينات، الموجب لقيامهم به، واجتماعهم، فتفرقوا واختلفوا وصاروا شيعاً، ولم يصدر ذلك عن جهل

⁽١) مراد المؤلف ـ رحمه الله ـ في أي من الحرم: الأمن وقد غيرت الكلمة في المطبوع إلى: وفيه الحرم الذي من دخله.

وضلال، وإنما صدر عن علم وقصد سيىء، وبغي من بعضهم على بعض، ولهذا قال: ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾.

۱۰۱ - ۱۰۱ شم بين متى يكون هذا العذاب العظيم، ويمسهم هذا العذاب العظيم، ويمسهم هذا العذاب الأليم، فقال: ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم فني رحمة الله هم فيها خالدون ﴾.

يخبر تعالى، بتفاوت الخلق يوم القيامة، في السعادة والشقاوة، وأنه تبيض وجوه أهل السعادة، الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وأن الله تعالى، يدخلهم الجنات ويفيض عليهم أنواع الكرامات، وهم فيها خالدون.

وتسود وجوه أهل الشقاوة، الذين كلبوا رسله، وعصوا أمره، وفرقوا دينهم شيعاً وأنهم يوبخون، فيقال لهم: ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾، فكيف اخترتم الكفر على الإيمان؟!

﴿فَذُوتُوا العَذَابِ بِمَا كَنتُم تَكْفُرُون﴾.

ولما ذكر أن له الأمر والشرع، ذكر أن له تمام الملك والتصرف والسلطان، فقال:
وله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾، فيجازي المحسنين بإحسانهم، والمسيئين بعصانهم.

وكثيراً ما يذكر الله أحكامه الشلاثة مجتمعة ببين لعباده أنه الحاكم المطلق، فله الأحكام القدرية والأحكام الشرعية،

والأحكام الجزائية، فهو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة.

ي معني وط طود. ومن سواه من المخلوقات، محكوم عليها ليس لها من الأمر شيء.

﴿ ١١٠ ـ ١١١﴾ ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ۞ لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار شم لا ينصرون﴾ هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحاً، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليماً، وإرشاداً، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان،

وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام

بحقوق الإيمان.

وأن أهل الكتاب، لو آمنوا بمثل ما آمنتم به، لاهتدوا وكان خيراً لهم، ولكن لم يؤمن منهم إلا القليل، وأما الكثير، فهم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، وطاعة رسوله، محاربون للمؤمنين، ساعون في إضرارهم بكل مقدورهم، ومع ذلك، فلن يضروا المؤمنين إلا أذى باللسان، وإلا فلو قاتلوهم، لولوا الأدبار، ثم لا ينصرون.

وقد وقع ما أخبر الله به، فإنهم لما قاتلوا المسلمين، ولوا الأدبار، ونصر الله المسلمين عليهم.

﴿١١٧﴾ ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤو بغضب من الله وحبل من الناس المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانو يعتدون﴾ هذا إخبار من الله تعالى أن اليهود ضربت عليهم الذلة، فهم خائفون أينما ثقفوا، ولا يؤمنهم شيء إلا معاهدة، وسبب يرضخون لأحكام الإسلام، ويعترفون بالجزية.

أو ﴿بحبل من الناس﴾، أي: إذا كانوا تحت ولاية غيرهم ونظارتهم، [كما شوهد

حالهم سابقاً ولاحقاً، فإنهم لم يتمكنوا في الوقت الأخير من الملك المؤقت في فلسطين، إلا بنصر الدول الكبرى، وتمهيدهم لهم كل سبب (١٠).

﴿وباؤوا بغضب من اش﴾، أي: قد غضب الله عليهم، وعاقبهم بالذلة والمسكنة، والسبب في ذلك كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، أي ليس ذلك عن جهل، وإنما هو بغي وعناد.

تلك العقوبات المتنوعة عليهم ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾، فالله تعالى لم يظلمهم ويعاقبهم بغير ذنب، وإنما الذي أجراه عليهم بسبب بغيهم وعدوانهم، وكفرهم وتكذيبهم للرسل، وجناياتهم الفظيعة.

﴿ ١١٣ ـ ١١٥﴾ ﴿ليسوا سوآء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ لما ذكر الله المستقيمين من أهل الكتاب، بيّن حالة المستقيمين منهم، وأن منهم أمة مقيمين المدين وفروعه.

﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف ، وهو الخير كله، وينهون عن المنكر وهو جميع الشر. كما قال تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾.

و إيسارعون في الخيرات والمسارعة إلى الخيرات، قدر زائد على مجرد فعلها، فهو وصف لهم بفعل الخيرات، والمبادرة إليها، وتكميلها بكل ما تتم به من واجب ومستحب.

ثم بين تعالى أن كل ما فعلوه، من خير قليل أو كثير، فإن الله تعالى سيقبله، حيث كان صادراً عن إيمان وإخلاص، ﴿فلن يكفروه﴾، يعني: لن ينكر ما عملوه، ولن يعدر.

﴿والله عليم بالمتقين﴾، وهم الذين قاموا بالخيرات، وتركوا المحرمات،

قد يشكل ـ على القارىء ـ هذا الموضع إذ هو عن ملك اليهود لفلسطين مع أن الشيخ ألف التفسير قبل ذلك، ولكن هذه الجمل الموضوعة بين القوسين المركنين زيادة من هامش النسخة، لعل الشيخ كتبها بعد سنين من كتابته التفسير، والله أعلم.

لقصد رضا الله، وطلب ثوابه.

﴿ ١١٦_ ١١٦﴾ ﴿إِن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم يظلمون﴾ بين تعالى: أن ولكن أنفسهم يظلمون﴾ بين تعالى: أن رسله، أنه لا ينقذهم من عذاب الله منقذ، ولا ينفعهم نافع، ولا يشفع لهم عند الله شافع، وأن أموالهم وأولادهم، التي كانوا يعدونها للشدائد والمكاره، لا تفيدهم شيئاً، وأن نفقاتهم التي أنفقوها في الدنيا، فيصر باطلهم، ستضمحل.

وأن مثلها ﴿كمثل﴾ حرث أصابته ﴿ربح﴾ شديدة ﴿فيها صر﴾، أي: برد شديد، أو نار محرقة، فأهلكت ذلك الحرث، وذلك بظلمهم فلم يظلمهم الله ويعاقبهم بغير ذنب، وإنما ظلموا أنفسهم.

وهذه كقوله تعالى: ﴿إِن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾.

﴿ ١١٨_ ١١٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيط قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤكم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما تعملون محيط﴾ هذا تحذير من الله لعباده عن ولاية الكفار؛ واتخاذهم بطانة، أو خصيصة وأصدقاء، يسرون إليهم، ويفضون لهم بأسرار المؤمنين، فوضح لعباده المؤمنين، الأمور الموجبة للبراءة من اتخاذهم بطانة بأنهم لا يألونكم خبالاً، أي: هم حريصون غير مقصرين، في إيصال الضرر بكم، وقد بدت البغضاء من كلامهم، وفلتات ألسنتهم، وما تخفيه صدورهم، من البغضاء والعداوة، أكبر مما ظهر لكم من أقوالهم وأفعالهم.

فإن كانت لكم فهومٌ وعقول، فقد وضح الله لكم أمرهم.

وأيضاً، فما الموجب لمحبتهم واتخاذهم أولياء وبطانة، وقد تعلمون منهم الانحراف العظيم في الدين وفي مقابلة إحسانكم؟

فأنتم مستقيمون على أديان الرسل، تؤمنون بكل رسول أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله، وهم يكفرون بأجل الكتب، وأشرف الرسل، وأنتم تبذلون لهم من الشفقة والمحبة، ما لا يكافئونكم على لا يحبونهم، وهم لا يحبونهم، وهم لا يحبونكم وينافقونكم، فإذا لقوكم قالوا آمنا، وإذا خلوا مع بني جنسهم، عضوا عليكم الأنامل، من شدة الغيظ والبغض لكم ولدينكم.

قال تعالى: ﴿قل موتوا بغيظكم﴾، أي: سترون من عز الإسلام وذل الكفر ما يسوؤكم، وتموتون بغيظكم، فلن تدركوا شفاء ذلك بما تقصدون.

﴿إِنَّ اللهُ عليم بذات الصدور﴾، فلذلك بيِّن لعباده المؤمنين، ما تنطوي عليه صدور أعداء الدين من الكفار والمنافقين.

﴿إِن تمسسكم حسنة ﴾ عز ونصر وعافية وخير ﴿تسوهم، وإن تصبكم سيثة ﴾ من إدالة العدو، أو حصول بعض المصائب الدنيوية ﴿يفرحوا بها ﴾، وهذا وصف العدو الشديد عداوته.

لمًا بين تعالى شدة عداوتهم، وشرح ما هم عليه من الصفات الخبيثة، أمر عباده المؤمنين بالصبر، ولزوم التقوى، وأنهم إذا قاموا بذلك، فلن يضرهم كيد أعدائهم شيئاً، فإن الله محيط بهم وبأعمالهم وبمكائدهم، التي يكيدونكم فيها.

وقد وعدكم عند القيام بالتقوى، أنهم لا يضرونكم شيئًا، فلا تشكوا في حصول ذلك.

﴿ ١٢١_ ١٣٣﴾ ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوّى المؤمنين مقاعد للقتال﴾ ، إلى آخر القصة. وذلك يوم «أحدا حين خرج ﷺ بالمسلمين، حين وصل المشركون _ بجمعهم _ إلى قريب من «أحدا. فنزّلهم ﷺ منازلهم، ورتبهم في مقاعدهم، ونظمهم تنظيماً عجيباً، يدل على كمال رأيه وبراعته الكاملة في فنون السياسة والحرب، كما كان كاملاً في كل

﴿والله سميع عليم﴾، لا يخفى عليه شيء من أموركم.

﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ وهم بنو سلمة وبنو حارثة ، لكن تولاهما الباري بلطفه ورعايته وتوفيقه .

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فإنهم إذا توكلوا عليه، كفاهم وأعانهم، وعصمهم من وقوع ما يضرهم، في دينهم ودنياهم.

وفي هذه الآية ونحوها، وجوب التوكل وأنه على حسب إيمان العبد، يكون توكله، والتوكل هو اعتماد العبد على ربه في حصول منافعه، ودفع مضاره، فلما المصيبة، أدخل فيها تذكيرهم بنصره، ونعمته عليهم يوم «بلر» ليكونوا شاكرين لربهم، وليخفف هذا هذا، فقال: ﴿ولقد نصركم الله ببلر وأنتم أذلة﴾ في عددكم وعددكم، فكانوا ثلاثمائة، وبضعة عشر، في قلة ظهر، ورثاثة سلاح، وأعداؤهم يناهزون الألف، في كمال العدة والسلاح.

﴿ فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ الذي أنعم عليكم بنصره.

﴿إِذْ تَقُولُ﴾ مبشراً ﴿للمؤمنين﴾ مثبتاً لجنانهم: ﴿النّ يَحْفَيْكُم أَنْ يَمْدُكُم رَبِكُم بِثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا﴾، أي: من حملتهم هذه بهذا الوجه.

﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾، أي: معلمين علامة الشجعان.

واختلف الناس، هل كان هذا الإمداد حصل فيه من الملائكة، مباشرة للقتال، كما قاله بعضهم، أو أن ذلك تثبيت من الله لعباده المؤمنين، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين كما قاله كثير من المفسرين.

ويدل عليه قوله: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾، وفي هذا أن الأسباب لا يعتمد عليها العبد، بل يعتمد على الله.

وإنما الأسباب وتوفرها، فيها طمأنينة للقلوب، وثبات على الخير

﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾، أي: نصر الله لعباده المؤمنين، لا يعدو أن يكون قطعاً لطرف

من الكفار، أو ينقلبوا بغيظهم، لم ينالوا خيراً، كما أرجعهم يوم الخندق، بعدما كانوا قد أتوا على حرد قادريس، أرجعهم الله بغيظهم خائين.

﴿١٢٨﴾ ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ لما أصيب ﷺ يوم (أحدا وكسرت رباعيته، وقم، شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وبين أن الأمر كله لله، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء، لأنه عبد من عبيد الله، والجميع تحت عبودية ربهم، مدارون لا مدارون.

وهؤلاء الذين دعوت عليهم، أيها الرسول، أو استبعدت فلاحهم وهدايتهم، إن شاء الله تاب عليهم، ووفقهم للدخول في الإسلام، وقد فعل، فإن أكثر أولئك هداهم الله فأسلموا.

وإن شاء عذبهم، فإنهم ظالمون، مستحقون لعقوبات الله وعذابه.

﴿١٢٩﴾ ﴿وق ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ يخبر تعالى، أنه هو المتصرف في العالم العلوي والسفلي، وأنه يتوب على من يشاء، فيغفر له، ويخذل من يشاء، فيغفر له، ويخذل

﴿والله غفور رحيم ﴾ فمن صفته

اللازمة، كمال المغفرة والرحمة، ووجود مقتضياتهما في الخلق والأمر، يغفر للتائبين، ويرحم من قام بالأسباب الموجبة للرحمة، قال تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾.

تم الجزء المجلد الأول من تيسير الرحيم الرحمن في تفسير القرآن بخط مؤلفه عبد الرحمن الناصر بن سعدي ٩ ربيع أول ١٣٤٣ غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ويليه المجلد الثاني أوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا

فهرس أسماء السور 4٧٥

فهرس أسماء السور

تفسير سورة يَس	تفسير سورة الفاتحة
تفسير سورة الصافات	تفسير سورة البقرة
تفسیر سورة ص	تفسير سورة آل عمران ١٢١
تفسير سورة الزمر ٧١٧	تفسير سورة النساء
تفسير سورة المؤمن (غافر) ٧٣١	تفسير سورة المائدة ٢١٨
تفسير سورة فصلت	تفسير سورة الأنعام ٢٥٠
تفسير سورة الشورى	تفسير سورة الأعراف ٢٨٣ ٢٨٣
تفسير سورة الزخرف	تفسير سورة الأنفال
تفسير سورة الدخان ٧١/	تفسير سورة براءة (التوبة) ٣٢٨
تفسير سورة الجاثية	تفسير سورة يونس ٣٥٧
تفسير سورة الأحقاف ٧٧/	تفسير سورة هود
تفسير سورة القتال (محمد ﷺ) ٨٠/	تفسير سورة يوسف
تفسير سورة الفتح	تفسير سورة الرعد ٤١٢
تفسير سورة الحجرات	تفسير سورة إبراهيم ٤٢١
تفسير سورة قَ	تفسير سورة الحجر
تفسير سورة الذاريات	تفسير سورة النحل ٤٣٥
تفسير سورة الطور	تفسير سورة بني إسرائيل (الإسراء) ٤٥٣
تفسير سورة النجم	تفسير سورة الكُهف ٤٦٩
تفسير سورة اقتربت (الانشقاق)	تفسير سورة مريم
تفسير سورة الرحمن ٢٨٠٠٠٠٠٠٠ ٢٨٠	تفسیر سورة طُّـه
تفسير سورة الواقعة ٣٢.	تفسير سورة الأنبياء
تفسير سورة الحديد ٣٧.	تفسير سورة الحج ٥٣٢
تفسير سورة قد سمع الله (المجادلة) ٤٣	تفسير سورة المؤمنون ٥٤٧
تفسير سورة الحشر ٢٠٠٠، ٨٤٠٠	تفسير سورة النور
تفسير سورة الممتحنة	تفسير سورة الفرقان ٧٧٥
تفسير سورة الصف	تفسير سورة الشعراء
تفسير سورة الجمعة	تفسير سورة النمل
تفسير سورة المنافقون	تفسير سورة القصص ٢١١ ٦١١
تفسير سورة التغابن	تفسير سورة العنكبوت
تفسير سورة الطلاق	تفسير سورة الروم
تفسير سورة التحريم ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ ٧٢.	تفسير سورة لقمان
تفسير سورة الملك (تبارك) ٧٥	تفسير سورة السجدة
تفسير سورة نَ (القلم) ٧٨	تفسير سورة الأحزاب ٢٥٧ ٦٥٧
تفسير سورة الحاقة	تفسير سورة سبأ
اً تفسير سورة سأل سائل (المعارج) ٨٥٠٠٠٠٠	تفسير سورة فاطر

477

فهرس أسماء السور

تفسير سورة ألم نشرح لك صدرك (الشرح) ٩٢٩	تفسير سورة نوح ٨٨٨
تفسير سورة التين	تفسير سورة قل أوحي إلي (الجن) ٨٩٠
تفسير سورة اقرأ (العلق)	تفسير سورة المزمل ٨٩٢
تفسير سورة القدر	تفسير سورة المدثر
تفسير سورة لم يكن (البينة)	تفسير سورة القيامة ٨٩٨
تفسير سورة إذا زلزلت (الزلزلة) ٩٣٢	تفسير سورة الإنسان (الدهر) ٩٠٠
تفسير سورة العاديات	تفسير سورة المرسلات
تفسير سورة القارعة	تفسير سورة عمّ (النبأ)
تفسير سورة الهاكم التكاثر (التكاثر) ٩٣٣	تفسير سورة عبس
تفسير سورة العصر	تفسير سورة التكوير
تفسير سورة الهمزة	تفسير سورة الانفطار
تفسير سورة الفيل	تفسير سورة المطففين
تفسير سورة لإيلاف قريش (قريش) ٩٣٥	تفسير سورة الانشقاق
تفسير سورة الماعون	تفسير سورة البروج
تفسير سورة الكوثر	تفسير سورة الطارق
تفسير سورة الكافرون	تفسير سورة سبح (الأعلى)
تفسير سورة النصر	تفسير سورة الغاشية)
تفسير سورة تبت (اللهب)	تفسير سورة الفجر
تفسير سورة الإخلاص ٩٣٧	تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد (البلد)
تفسير سورة الفلق	تفسير سورة والشمس وضحاها (الشمس) ٩٢٦
تفسير سورة الناس	تفسير سورة الليل
	تفسير سورة الضحى